# دعوة الحق

مجلة تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الاول – السنة العاشرة – رجب 1386 – نوفمبر 1966

## في هذا العدد :


| صفحة | | | |
|---|---|---|---|
| 1 | دعوة صريحة | . . . . . . . . . . . | دعوة الحق |
| | **دراسات اسلامية :** | | |
| 3 | عقيدة الاسلام ، والمجتمع المغربي | . . . . . . | للاستاذ محمد الطنجي |
| 5 | لقاء مع الفكر الاسلامي | . . . . . . . . | للاستاذ عبد القادر زمامة |
| 9 | النسخ في القرآن | . . . . . . . . . | للاستاذ محمد عبد الملك الكتاني |
| 14 | عبقرية الاسلام في المغرب | . . . . . . . . | للاستاذ حسن السائح |
| 16 | ليس القرآن بلغة قريش فحسب | . . . . . . . | للاستاذ الراجي التهامي الهاشمي |
| 19 | نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط | . . . . . | للدكتور تقي الدين الهلالي |
| | **ابحاث ودراسات :** | | |
| 25 | نظرة في منجد الآداب والعلوم | . . . . . . . . | للاستاذ عبد الله كنون |
| 28 | الرقيق في الامبراطورية الرومانية | . . . . . . . | للاستاذ عبد المجيد بن جلون |
| 31 | عميد القرن العشرين | . . . . . . . . . | للدكتور زكي المحاسني |
| 33 | العدو رقم واحد | . . . . . . . . . | للاستاذ احمد زياد |
| 37 | تراثنا القصصي | . . . . . . . . . . | للاستاذ محمد الامري |
| 40 | شكسبير والانفعالات النفسية – بقلم فرانسوا كارير | | تقديم وتلخيص الاستاذ حسن المنيعي |
| 45 | الخان الطاحون – صفحة من حياة الفونس دوديه | . | للدكتور جمال الدين الرمادي |
| 48 | التفنن في المغرب | . . . . . . . . . | للاستاذ عبد النبي ميكو |
| 51 | من الادب الشيعي – دراسة تحليلية لبائية الكميت | | للاستاذ ابن دفعة محمد |
| 59 | المناهج التعليمية عند ابن خلدون | . . . . . . . | للاستاذ محمد الامين الدرقاوي |
| 63 | روبن داريو | . . . . . . . . . . . | للاستاذ حسن الوراكلي |
| 66 | لماذا نقرأ الشعر ؟ | . . . . . . . . . . | للاستاذ عبد العلي الوزاني |
| 73 | الى اين يسير التطور الحضاري في عالمنا الراهن | . | للاستاذ المهدي البرجالي |
| | **ديوان المجلة :** | | |
| 82 | انني الرائد انني عالما | . . . . . . . . . | للشاعر علال الهاشمي الفيلالي |
| 83 | عصفورتي | . . . . . . . . . . . . | للشاعر عبد الكريم الطبال |
| | **دراسات مغربية :** | | |
| 84 | جولة في المخطوطات العربية باسبانيا | . . . . . . | للاستاذ محمد ابراهيم الكتاني |
| 90 | محمد الخامس ، وتراث المغرب الثقافي | . . . . | للدكتور الطاهر احمد مكي |
| 93 | مؤرخ مكناس ابن زيدان | . . . . . . . . | للاستاذ محمد المنوني |
| 100 | المنتقى المقصور ، على مآثر خلافة المنصور | . . . . | للاستاذ محمد حجي |
| 104 | الشيخ عبد الرحيم المغربي ( 521 – 592 ) | . . . . | للاستاذ سعيد اعراب |
| | **معرض الكتب :** | | |
| 108 | المغرب | . . . . . . . . . . . . . | للاستاذ محمد بن تاويت |
| 111 | كتاب المن بالامامة | . . . . . . . . . . | للاستاذ محمد بن تاويت |
| 114 | معالم الفكر العربي المعاصر | . . . . . . . . | للاستاذ احمد حسن المحامي |
| 119 | الاسلام والمسلمون في المانيا بين الامس واليوم | . . | للشيخ فؤاد طبارة |
| | **قصة العدد :** | | |
| 122 | آخر الفرسان | . . . . . . . . . . . . | للاستاذ محمد احمد اشماعو |
| 128 | صيد | . . . . . . . . . . . . . | للاستاذ ربيع مبارك |


تصدرها وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الاسلامية
بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

ع

# كلمة العدد

٢-96

## دعوة صريحة

احتجبت المجلة عن قرائها فى عطلة معتادة ، دامت شهرين متواليين ، لتعود اليوم وفية بعهدها مستوفية لالتزامها ، مستأنفة جهادها ونضالها ، ومواصلة سيرها ونهجها ، دائبة العمل للنهوض بالرسالة السامية التي اضطلعت باعبائها ، وتعهدت بحمل ثقلها ومسئوليتها ، وهي اقوى ما تكون ثبات عقيدة ، ورسوخ ارادة ، وصدق عزيمة ، وقوة رأي ، ولتضيف الى سنواتها الحافلة باطيب ثمرات الفكر ، والوان المعرفة ، واشكال الثقافة ، اعمالا اخرى ، علها تخرج بنا من مظاهر الركود الفكري الذي تعانيه الحياة العلمية والادبية والثقافية فى مجاليها ببلادنا ، وتحقق مانصبو اليه من تطور وتقدم مستمر سواء فى عرض الافكار والمفاهيم التي تعالج مشاكل الشباب، او فى نشر البحوث والدراسات التي تقوم ما اعوج من اخلاق ، وانتشر من انحلال والحاد ، وترشد الحائر ، وتوجه المتشكك المرتاب الوجهة التي يامر بها الدين القويم .

ولعلنا نستقبل هذه السنه الجديدة بقلوب مومنة ، وعقول منفتحة لحياة نامية متحركة تزخر بالحيوية الدافقة والنشاط الموفور فى ظلال بعث اسلامي ينير السبيل ، ويضيء المجتمع ، ويبرز القيم الروحية فى أصدق صورها ، والمباديء الدينية فى اجلى مظاهرها ، ويحيي العقيدة النقية الصافية التي تحمي مقدسات الوجود الانساني الكريم .

ونأمل كذلك أن نستقبل سنتنا الجديدة بوجه مشرق باسم ، وقلوب مؤتلفة موحدة ، ورأي جميع للقيام باعمال مشتركة فى سبيل تدعيم هذه النهضة المغربية التي أسست على هدى من أول يوم ، بعد مقاومة الدخيل ، وطرد البغي ، وتجديد ما تهدم ، وتثبيت أسس العقيدة الصحيحة فى اطارها الاسلامي السليم .

اننا نامل من قادة الفكر والنظر ، وحملة العلم فى هذه الامة ، ورجال الفقه فيها ، ان يقدروا الاعمال التي نيطت بهم ، وكلفهم الله بتبليغها ، فيبينوا للناس ما نزل اليهم ، ويتحملوا مسؤولياتهم للعمل على ملء الفراغ الروحي والفكري الذي نحس به ، ونالم له ، ويتحللوا من التقصير الثابت الذي لاسبيل الى التنصل

العدد الاول
السنة العاشرة
رجب : 1386
نوفمبر : 1966
ثمن العدد
درهم واحد

# دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

## بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

---

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

**Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat**

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

---

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

---

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

# عقيدة الاسلام والمجتمع المغربي

للأستاذ محمد الطنجي

ان الامة المغربية كسائر الامم النامية فى العصر الحاضر تتطلع الى الحياة الكريمة الا انها تمتاز عن البعض برصيد روحي هام يجعلها سباقة فى ميدان العزة والكرامة تضيف طريف ما تكتسبه فى الحال الى تالد ما خلفه لها ماضي الاجيال ، ذلك الرصيد هو العقيدة والشريعة الاسلامية والاخلاق القرآنية التى عاشت فى ظلها طوال تاريخها الاسلامي المجيد .

وان تاثير العقائد فى حياه الامم والتقاليد الطيب فى المجتمع ليلعب كل ذلك دورا عظيما فى توجيهها وفى رقيها او انحطاطها . وكل مغربي منصف وكل مؤرخ غير متحيز يعلم علم اليقين بان اجتماع المغاربة حول دين الاسلام العظيم هو الذي دفعهم لتكوين دولهم المتعاقبة على الحكم فى المغرب على امتن الاسس واقواها التي هي عناصر الخلود والحياة الفاضلة فى مبادىء الاسلام كعقيدة وشريعة وسلوك واخص فقد استطاعت تلك الدول المغربية الاسلامية بتمسكها بهذا الدين العظيم الحفاظ على كيان المغرب وحماية حوزته وتكوين وحدته ، بل استطاعت زيادة على ذلك فتح الاندلس وحماية الاسلام فيه عدة قرون واستطاعت الامتداد فى تخوم الصحراء والسودان بل استطاعت احيانا جمع شمل المغرب الكبير تحت سلطة اسلامية موحدة واسترجاع ما كان بايدي روم صقلية منهم فى ادوار من تاريخ المغرب الحفيل وهنا يمكن ان نردد قول الامام مالك رحمه الله لا يصلح اخر هذه الامة الا بما صلح به اولها .

وان من يرى اويشاهد آثار التيارات الفكرية والمذاهب الاشتراكية المتطرفة والشيوعية والراسمالية مع الشعارات التي يعلن عنها مختلف المذاهب ثم يرى الويلات التي تنتاب الامم الضعيفة من تنازع القوى الدولية المتحكمة فى العالم على امتداد نفوذها فى الامم الصغرى ، نقول من يشاهد آثار هذه التيارات مع الانقلابات التي تتبع هذه النزعات ليود من صميم قلبه ان تبقى امته بمعزل عنها وعلى الحياد التام بينها حتى تضمن لنفسها الاستقرار وحتى لا تحترق بشظايا من نيران هذه الانقلابات التي تحرق الاخضر واليابس وحسبنا اتقاء هذه الفتنة واجتناب الركون اليها عملا بنهي الذكر الحكيم « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » فالسعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ بنفسه .

هذا وقد فكر اسلاف المغاربة الامجاد تفكيرا جديا فى عواقب الاختلافات العقائدية على حياة المجتمع المغربي الاسلامي الطاهر فبذلوا جهودا مشكورة فى تطهير المغرب من الاختلافات العقائدية سواء داخل الاطار الاسلامي كوضع حد لنشاط الخوارج من الصفرية والشيعية وغيرهما او كان هذا الاختلاف خارج الاطار الاسلامي كالبرغواطية التي كافحها المرابطون وعلى رأسهم يوسف بن تاشفين العظيم وكذلك ضيقت الدولة الموحدية الخناق على اليهود الذين اسلموا فتوحد المغرب عقيدة وشريعة وعظم شان هذه الامة بهذه الوحدة الشاملة حتى تكون ذلك التاريخ العلمي والسياسي والحضاري الذين لا زالت آثاره مشهودة فوحدة العقيدة الاسلامية الطاهرة هى التي جمعت قلوب المغاربة على الاهداف العليا وقوت العزائم على ادراك اعز المفاخر والمكارم ، بين الذين يومنون بالجزاء الاخروي على خير الاعمال التي قاموا بها فى المجال الدنيوي ولذلك كان الفوز والنصر دائما حليف المومنين الصابرين الصادقين فى ايمانهم وما تاريخ الفتوحات الاسلامية شرقا وغربا وما تمكين السيادة للمسلمين عند قوة عقيدتهم ويقينهم بنصر الله لهم الا شواهد صدق على عظمة تاثير العقيدة وربطها باوثق الروابط بين الامة التي آمنت بها ويظهر فضل الايمان فى المعارك بين المومنين وغير المومنين اذا تساوت الوسائل المادية الاخرى فيكون النصر حليف اهل الايمان، ولذلك يومن القواد العسكريون بالنصر

منـه ، لانقاذ شبابنا من حيرته ، وانتشاله من مشكلاته ، فقد جرفهم تيار التمـدن الكاذب الى مواطن نات بهم عن مباديء الدين وحدوده ، واغـرى بريقهـا الزائف ابصارهم ، فصرفهم عن النواحي الجدية التي تستلزم نشاطهم ، وتفجير طاقاتهم وزاد هذه المشاكل اضطراب القيم والمثل العليا بمعاني الحضارة في هذا العصر الذي يكاد يتفق فيه المفكرون على أنه يعاني داء ممضا ، وازمة مستعصية .

ولعـل السبب في ذلك يعود الى مناهج التعليم في بعض بلادنا الاسلامية التي جعلت في الوطن الواحد فريقين بعيدين عن بعضهما .

فريق يتبع مواريثه العقلية الروحية الاسلامية الصرف ، ويسير على سنن المباديء الدينية الصحيحة ، وفريق أبعد عن ذلك ، يتلقى نصحه وتوجيهه من الغرب اللاديني ، فاستخف بالقيم والامجاد التي عند الفريـق الاول ، وانكـر اعتبـارها في حيـاة الانسـان .

ومهمـا يكن الامر ، فان تشخيص اسباب الداء الذي يعانيه العالـم اليـوم عموما ، والعالم الاسلامي خصوصا ، وآراء المفكرين في طريق علاجه مختلفة جدا .

فمذهب ماركس ، مثلا ، ينبني على ان افات العالم ناشئـة عن بيئة الانسان الاجتماعية والاقتصادية ، وانه اذا ما تغيرت هذه البيئة امحت تلك الافات .

كما ان هناك مذهبا آخر مضادا لوجهة نظر الاول ، يفسر غفـوة الضمائـر ، وقسوة العواطف الى ان المشكلة الرئيسية التي يتعين مواجهتها ليست اقتصاديـة او اجتماعية بل هي مشكلة اخلاقية وسيكولوجية ، ذلك بأن التقدم الفني يقـوض المجتمعات التقليدية في سرعة جنونية ، وخطوات عملاقية ، حتى لقد اصبح القلـق والتذمر من كـل الاوضاع شعـارا للعصر الحاضر ، ومن المؤيدين لهـذا المذهب والقائليـن بـه « الدوس هكسلي » .

والحق ، ان مفتاح علاجنا ــ نحن المسلمين ــ بأيدينا ، وفي مبادىء تعاليمنـا الدينيـة ، وشريعتنـا القويمـة .

فديننا الحنيف دين ينبض بالحياة ، يلائم الظروف والبيآت ، لانه خالد بمثلـه قوي بمبادئه عظيم بامجاده يشتمل على عنصر حي من عناصر الحياة ، هو عنصـر المرونـة البصيرة ، الذي يوحيه ناموس التطور ، وتمليه سنة الحياة ، والذي لايكون بدونه تطور أو اصلاح ، وتقـدم وفـلاح .

واخيرا ، وليس آخرا ، نامل في سنتنا الجديدة أن تقـوم الهيآت والمنظمـات العلمية والادبية والفنية سواء على الصعيد الرسمي أو الشعبي بتنظيم الوسائـل والاسباب التي تكفل النهوض الثقافي والفني في مختلف المجالات ، ومتنوع الميادين وتبرز القيم الروحية منها والفكرية حتى تساعد تلك القيم حاضر الثقافة اليوم التي تاخذ من الماضي ، وتقتبس نورها واشعاعها من القديم الثري ، بما يرفد القريحـة ، ويمد الطبع ، غير ناسية في ذلك ما يتطلبه الحاضر الملح ، وما تنشده الثقافات اليوم للمستقبل الواعد ، من بعث وانطلاق ، في نطاق الفكر الناضـج ، والنقـد الصريـح ، والحكـم الموفـق ، والرأي السديـد .

دعوة الحق

# لقاء مع الفكر الإسلامي

للأستاذ عبد القادر زمامة

ـ 1 ـ

عند ما نلتقي مع التفكير الاسلامي المعاصر في قضايا الفلسفة والاجتماع والخلق والاقتصاد والسياسة نجد انفسنا امام الوان من التصميمات والتخطيطات من جهه وامام الوان من المفاهيم من جهه اخرى وكل هاته الالوان تقدم الينا على انها تفكير اسلامي يستوحي مبادئه من تعاليم الاسلام ويستوحي تخطيطه وتصميمه من المثل والاهداف القرءانية

وليس بالامكان ان نلمس بسهولة ويسر حقيقة الفكر الاسلامي من خلال ـ التفكير ـ الاسلامي المعاصر وذلك يرجع لسبب بسيط جدا وهو اننا حينما ندرس التفكير الاسلامي عند الاشعري في المعتقدات وعند الغزالي في الذوقيات وعند ابن القيم وابن تيمية في السلفيات وعند ائمة المذاهب في الفقهيات وعند غيرهم في سائر ضروب المعرفة نكون في شبه طمانينة الى اننا في لقاء مع ـ تفكير ـ اسلامي في اصوله وفروعه ومبادئه وغاياته

وبقطع النظر عما يقال حقا او باطلا من ان هذا ـ التفكير ـ نفسه يحمل عناصر ورواسب جاءت من شرق الدنيا وغربها عن طريق الامتزاج الثقافي والديني وعن طرق اخرى يجتهد ـ الشعوبيون ـ المعاصرون في البحث عنها فان هذا لا يغير في شيء من حقيقة نظرتنا وطمانينتنا الى ان الفكر الاسلامي الحقيقي عند اولئك المفكرين كان وسيلة ومادة وغاية فهو وسيلة من حيث المبدأ ومادة من حيث الدراسة وغاية من حيث الايمان

ـ 2 ـ

فاين الوسيلة ؟ واين المادة ؟ واين الغاية ؟ في التفكير الاسلامي المعاصر او بادق تعبير في هذه الالوان المختلفة التي تقدم الينا في تصميمات ومفاهيم على انها ـ تفكير ـ اسلامي

فنحن نعلم من روح الاسلام ونعلم من هديه وسائل اساسية لتطهير النفس وتهذيب الروح وتثقيف العقل وربط القلوب والافكار بروابط متينة في مقدمتها التصافي والتآخي والتماسك وكل ما ياتي بعد هذه الوسائل يكون ثمرة ناضجة وبناء متينا وصورة حية لتخطيط هادف ومفهوم واضح وتفكير شامل وسير مستقيم لا يجافي الطبيعة ولا يتنكر للفطرة ولا ينحرف عن الغريزة المهذبة والمطامح والاشواق المعقولة

فعند ما نقول ان الفكر الاسلامي يجب ان يكون ـ وسيلة ـ فاننا نعني ونومن بما نقول فبناء خلية اجتماعية في اسرة او جمعية او جماعة او مدينة او مجتمع لا يمكن ولن يمكن الا بالوسيلة الاسلامية التي تفرض السلامة والصفاء المكنين اللذين قامت التجربة على امكانهما بما لا يترك مجالا للزعم بأنهما امران خياليان بعيدان عن الواقع الانساني والطبيعة البشرية فحيث لا سلامة في النية ولا صفاء في الضمير وحيث لا وسيلة مشروعة فان الفكر

عندما تكون معنويات جيوشهم مرتفعة وهي لا ترتفع الا بالايمان بالله والنصر والمسلمون يومنون بان النصر من الله وباذنه . ولذلك يخاطب الله المجاهدين المومنين بقوله « ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون » من كرامة الاستشهاد في ميدان الشرف وحسن الذكر في الدنيا ومن حياة الشهداء عند الله في الجزاء الاخروي . ولذلك كان الايمان هو الذي يؤلف بين قلوب الامة ولا تؤلف بينها المرتبة بواسطة الاموال . وهذا ما يؤيده الفيلسوف الاجتماعي ابن خلدون الذي استخلص ذلك من الحوادث والانقلابات التي عاشها بنفسه في القرن الثامن الهجري . فان مقدمة تاريخه الشهيرة فصل في ان « الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك اصلها الدين . »

اما من نبوة او دعوة حق وذلك لان الملك انما يحصل بالتغلب والتغلب انما يكون بالعصبية ، واتفاق الاهواء على المطالبة . وجمع القلوب وتاليفها انما يكون بمعونة من الله في اقامة دينه . قال تعالى « لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم » وسره ان القلوب اذا تداعت الى اهواء الباطل والميل الى الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف . واذا انصرفت الى الحق ورفضت الدنيا والباطل واقبلت على الله اتحدت وجهتها . فذهب التنافس وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاضد واتسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدولة » انتهى كلامه .

وكما تحصل القوة في نصرة الحق وتاليف الدول بالعقيدة كذلك تحصل القوة وتجمع الكلمة للامة في الدفاع عن المبادىء العقائدية ولو حصل هذا في وقت خمود الفكرة الدينية في الظاهر .

والامثلة على ذلك كثيرة في تاريخ الامم في المشرق والمغرب ولا باس بالتعرض لبعض ما عرفه المغاربة من تاريخهم لان ذلك اوقع في نفوسهم .

1 — تاريخ المولى ادريس واجتماع المغاربة حوله حصل بواسطة كونه من البيت النبوي الذي يكن له المسلمون انواع التقديس حتى انهم بايعوا المولى ادريس الازهر ولده وهو صبي في حجر مولاه وخادم ابيه .

2 — قيام الزعيم الديني المربي السيد عبد الله بن ياسين رحمة الله عليه بتاسيس دولة المرابطين على اساس الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والعقيدة السلفية حتى امكنها بقوة ايمانها ان تنقذ بلاد الاندلس من ايدي المغيرين عليها واقامة حياة اسلامية فيها جديدة امتدت اربعة قرون اخرى .

3 — قيام الدولة الموحدية العظيمة بواسطة زعامة ابن تومرت وتلميذه عبد المومن بن علي فكان لها من الشأن العظيم وامتداد السلطان ما يعرفه كل من له المام بالتاريخ الاسلامي في هذا المغرب .

4 — ما كان من الدولة السعدية من الوقوف في وجه الدول الاوربية المغيرة على المغرب بزعامة البرتغال ، فقام السعديون بجمع كلمة المغاربة دفاعا عن الاسلام ومصيره في المغرب حتى حصل النصر العظيم لهم عند وقعة وادي المخازن الشهيرة بناحية القصر الكبير . فلم تقم لدولة البرتغال بعدها قائمة .

5 — ما وقع في عصرنا الحاضر عندما حاولت فرنسا فصل سكان الاطلس الشامخ عن دينهم وعقيدتهم في 16 ماي سنة 1930 حيث استصدر لوسيان سان الظهير البربري المعروف . فتحركت قوى الايمان الكامنة في قلوب المغاربة الاوفياء لدينهم فكان ذلك مبدأ تعميم الحركة الوطنية التي قاومت الاستعمار حتى نهايته في هذه الديار .

ولا زالت الحركة الوطنية في هذه الحقبة من التاريخ بين كر وفر ومد وجزر مع الاستعمار ولكنها في زيادة مستمرة حتى سولت للاستعمار نفسه التعدي على امام المسلمين الشرعي في المغرب مولانا محمد الخامس قدس الله روحه ، هو واسرته المالكة . فثار المغاربة ثورتهم العارمة على الاستعمار واذنابه ولم يقبلوا الشخص الذي نصبته فرنسا بقوتها الغاشمة اماما للمسلمين . فقاطعوا حتى صلاة الجمعة في المساجد لا رغبة عن الصلاة الواجبة ولكن لغاية اخرى ، هي ان حضورهم لسماع الدعوة الصالحة لشخص لم تنعقد له الامامة الشرعية عن طواعية من الشعب لم تجوزه لهم عقيدتهم التي تامرهم بطاعة الامام الشرعي والدفاع عن حقوقه التي تجب المحافظة عليها .

وهذا ما يعطينا صورة واضحة من الوقائع التاريخية الاسلامية عن اثر العقيدة الاسلامية في نفوس المغاربة . وهو ما يجعل كل مخلص لوطنه يرى وحدة العقيدة ضمانة للاستقرار وجمع كلمة الامة وتقوية معنوياتها في جميع المجالات ومن الاخلاص للاسلام والوطن والامام الشرعي في هذه الديار ان يقف المسلمون المغاربة في وجه الدعوات الهدامة المناوئة للاسلام تبشيرية او بهائية او شيوعية او غير ذلك حتى يضمنوا سلامة الوطن وعقيدة اهله الذي بها ازدهر المغرب في تاريخه العظيم .

**الرباط — محمد الطنجي**

بين من يقف على صخرة ثابتة الاساس . وبين من يقف على رمال في مهب الرياح . فالاول مختار في تصرفاته وخطواته . والثاني يترنح ويتمايل تحت رحمة العاصفة . !

على اننا يجب ان نعترف – في اعجاب – بطائفة من المفكرين الاسلاميين المعاصرين الذين انار الله عقولهم بالعلم . وطهر قلوبهم بالاخلاص . وملأ ارواحهم بالايمان . وثبت خطواتهم بالصبر . فلم ينصاعوا لمغريات الاسماء الخداعة . ولم يقفوا مندوهين امام سماسرة الالحاد المقلد . ! والجهل المنافق . ! والتفكير العابث . ! والضلال البليد . !

ومن اجل هذا يجب ان نتمسك بالمعرفة العميقة للمادة التشريعية والخلقية التي لم يكن لها مثيل في تاريخ الجنس البشري بما في ذلك المذاهب المعاصرة بقضها وقضيضها . !

فالمادة التشريعية في التفكير الاسلامي . تعززها الوسائل النبيلة المستقيمة كمبدأ . وتعززها الاخلاق الفاضلة كاسلوب . واخيرا يعززها الايمان كغاية انسانية . لا تتم انسانية الانسان بل ولا تتحقق بدونه .

فمن اليسير السهل ان يستورد الانسان بضاعة او اثاثا او لباسا . لكن استراد « التفكير » و « العقيدة » و « المبدأ » لا يتم « بسهولة ويسر » الا لمن لا تفكير له . ولا عقيدة . ولا مبدا . وتلك ماساة الفراغ التي تعانيها الرؤوس الفارغة . ! من المعرفة العميقة

— 4 —

اما الغاية في الفكر الاسلامي فهي الايمان . !

وسواء اراد الماديون ام كرهوا فان الغاية من كل تفكير ومن كل عمل هي الايمان بالله بارىء الكائنات

ولهذا كان الفكر الاسلامي وسيلة . ومادة . وغاية وكلها تدور في فلك واحد لتحقيق الرسالة الانسانية والامانة البشرية في حياة تنوعت الوانها . واختلفت مظاهرها . واتسعت افاقها . وتباينت اغراضها .. ولكنها – محدودة – رغم ذلك بسبب ان مبداها واحد ! ومصيرها واحد ! وخالقها واحد !

فاذا تنكر الانسان لهذه الغاية في تفكيره .. وما اكثر ما يتنكر . ! فاي غاية يختار . ؟ واي غاية جديرة بالاعتبار . ؟ وهنا ترتفع الاصوات باسماء ! والقاب ! وشعارات . ! تزعم ان الانسان مدعو الى استهدافها في اعماله وتصرفاته وتفكيره . وقد اتاح الزمان لجميع هذه الاصوات فرصا ومناسبات فجربت حظها في الالحاد ! والكفر ! والمادية ! والعبث ! والتقليد ! وحاولت جاهدة ان تستهدف كل شيء . ما عدا الايمان . ! ولكن ذلك لم يزدها الا اقتناعا بانها تبنى على رمال . ! وترقم على ماء . ! وترسم في فضاء . ! وتقدم كل يوم وقودا جديدا . حيث لا ينفع وقود . وتقوم كل يوم بتجربة حيث لا تفيد تجربة

ولو جربت – الايمان – وجعلته هدفا ومثلا اعلى تسعى للوصول اليه لعلمت انها تختصر المسافة . وتطوي الابعاد وتحقق الاشواق . وتنال السعادة

— 5 —

على ان الفكر الاسلامي لا يجعل التسليم الجاهل . ! والتقليد الاعمى . ! ضمن وسائله . وكتابه الكريم يقول:

« هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين »

ورسوله الامين يقول :

«الحكمة ضالة المومن فحيث وجدها فهو احق بها»

وائمة المذاهب والعقائد يقولون :

« المعرفة شرط الايمان »

فالعقل حكم . والعقل اداة . في الفكر الاسلامي .

وليس القصد فيه منصرفا الى تكوين انسان مدرب على فعل الخير . والاتصاف بالفضيلة والتحرك اليا نحو غايات معينة في العمران والكسب . ! ولكن قصده منصرف الى تكوين انسان يفهم . ويعلم . ويفكر ويتصرف بارادة حرة . بل ان نصوص الكتاب العزيز تحث الانسان على استعمال نعمة العقل في التفكير والبحث للوصول الى الحق.

— 6 —

والى جانب هذا . ومع هذا . وقع الفكر الاسلامي القديم ايام ازدهار المذاهب الفكرية في المعتقدات ولا

الاسلامي يكون بعيدا عن كل عمل يراد انجازه في مختلف الميادين. فالدرس الاول واللبنة الاولى في الفكر الاسلامي سواء في الماديات او المعنويات في الفرديات او الاجتماعيات هما ولا شك اتخاذ وسيلة سليمة شريفة. واي تعطيل او انحراف او تنكر لا يعطي الا ثمارا شوكية ونتائج معكوسة وصورا مشوهة لا تمت الى الفكر الاسلامي الا بصلة واحدة وهي صلة: الحروف! والكلمات! والاسماء! والالقاب! وما الى ذلك

والمفكرون الاسلاميون الحقيقيون لم يجافوا الصواب ولم ينحرفوا عن الروح التشريعية القويمة حينما قالوا :

« ان الوسائل تعطي حكم المقاصد »

وبالتعمق في دراسة الوسائل المختلفة التي نتوسل بها الى تحقيق اهدافنا في الحياة ندرك ان الفكر الاسلامي كان هو السباق الى هذا التماسك العملي بين الوسائل والغايات والى هذا الانسجام بين الرغبات الحيوانية والاشواق الروحية لانه فكر يبدأ بالوسيلة لتكون سليمة صافية مستقيمة

وسواء علينا في هذا الميدان اكانت الوسيلة قريبة ام بعيدة لان الفكر الاسلامي لا يعرف ما تلوكه الالسنة من امثال :

« الغاية تبرر الواسطة » فكل عمل اقتصادي او اجتماعي او سياسي من وجهة الفكر الاسلامي يجب ان يتحقق بوسيلة سليمة مشروعة والضمانة المعهودة المعروفة هي :

«انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى»

— 3 —

اما مادة الفكر الاسلامي ونعني بها المجال الواسع الذي تفسحه النصوص امام المشرع والمفكر والباحث والمتعبد فهي اولا وبالذات مادة مصوغة مبنية على اعتبار ان الاسلام نظام انساني عام يوجه الانسان ويقوده لادراك الكمال الممكن فرديا واجتماعيا وروحيا وعقليا وماديا. وهذه النصوص هي قانون الفرد ودستور الدولة ونظام المجتمع واعمق ما فيها انها تجعل كل تكييف يتكيف به عمل الفرد لصالح نفسه او لصالح غيره بالوسيلة السليمة المشروعة تجعله عبادة يراد بها وجه الله.. ويثاب فاعلها لانها قربة تقرب بها وطاعة قام بها وفريضة اداها

فالفكر الاسلامي من هذه الناحية واسع الافاق والابعاد لصالح الفرد باعتباره الوحدة الاساسية لبناء المجتمع ولصالح المجتمع باعتباره مجموعة الافراد ولصالح العالم باعتباره الميدان الذي تنعكس على صعيده اعمال الانسان في محاسنها ومباذلها وصلاحها وفسادها وفجورها وتقواها

والفكر الاسلامي من ناحية اخرى منطقي مع نفسه ومع الناس فهو منطقي مع نفسه لانه نصب اولا وسيلة نقية سليمة لكل عمل فردي او جماعي وجعل ازاء هذه الوسيلة مادة تشريعية متنوعة شاملة مرنة واسعة الابعاد عميقة المدلول

وهو منطقي مع الناس لانه فيما يرجع للعبادات الفردية او على ادق تعبير فيما يرجع للاشياء التي اصطلحنا على تسميتها باسم « العبادات » ( وقد علمنا ان كل عمل للانسان يقوم به بوسيلته الشرعية هو عبادة ) قد جاء بنصوص محكمة المدلول والمفهوم تفصلها بما يجعلها قربة اختارها الله لعباده ليتحقق بها مدلول الطاعة والامتثال للخالق جل علاه وفيما يرجع للاشياء الاخرى جاءنا بمبادىء عامة وقوانين اساسية تجب مراعاتها اما ما يحدث في عمر الانسانية الطويل من احداث ونوازل وما يجد في العالم المتحرك رقيا وانحطاطا وتقدما وتاخرا وحربا وسلما فذلك مجال « التفكير الاسلامي » ومجال « الاجتهاد » ومجال « العقل » الذي كان الانسان بسببه مستعدا لتحمل « الامانة » دون غيره من مخلوقات الله

واذا كان التفكير الاسلامي المعاصر قد وقف امام قضايا اجتماعية وعمرانية وسياسية وفكرية قلبت الاوضاع وزعزعت العقائد وزلزلت التقاليد وتنكرت للاخلاق فان الفكر الاسلامي في العصور الغابرة وقف امام اشباه هذه القضايا في ظروف وملابسات وازمات والفرق بين الموقفين هو الفرق

# السنة فى القرآن

للأستاذ محمد عبد الملك الكتاني

**نشرت صفحات هذه المجلـــة الغــراء فى العددين التاسع والعاشر من السنة العاشرة موضوعا حول مسألة النسخ فى القرآن للاستاذ احمد التيجاني ، وقد كانت طريقة الكاتب فى تناول الموضوع ووجهة نظره فيه مما يدعو الى تناوله من جديد للرد على بعض المسائل التي عنت لي ، ولاستيفاء بعض الحق الذي يجب لـــه .**

ان ظاهرة التغير والتطور الانسانيين ظاهـــرة حتمية لم يشذ عنها مجتمع من المجتمعات البشرية . والشرائع النقلية والوضعية انما تجـــيء فى نسقهـــا التطوري لتؤكد هذه الحقيقة الاجتماعية والتاريخية ، والا كان المجتمع أي مجتمع مستغنيا عن كل الرســل والدعوات الاصلاحية ، والتنظيمات المستحدثة بمـــا يكون لديه من تقاليد وعادات موروثة متداولة . واذا كان تطور الشرائع والاحكام الوضعية امـــرا ظاهـــرا للناس بحكم الممارسة والتجربة والواقع المشهود فان تطور الشرائع السماوية فى اعتقاد الناس أو عامتهـــم امر مستحيل ما دام مصدرها الوحي والرسل ، وهي أشياء موقوتة بزمانها ، فضلا عن كونها لا تقبل النقض

امام هذا الذي يتطور ، والذي لا يتطور فيمـــا يتصل بأحكام تنظيم المعاش الانساني تصاغ فى أذهـــان المضللين شبهة زائفة تنعي على الدين عموما جمـــوده وقصوره عن مجاراة التطور البشري الحتمي . وأول ما يجب ان نؤكده ان صياغـــة المقولـــة على هذا النحو فيه تضليل بعيد . فالشرائع السماوية نفسها ليست نظاما جامدا لايقبل التطور ، بل اذهب الى أبعد من ذلك فاقول ، انه ليس هناك الا دين واحد على مر العصور هو الدين الذي عرفه الرسل على اختلاف أزمانهـــم وأقدارهم ومجتمعاتهم . وأن هذا الدين الواحد كـــان يحمل من ورائه تنظيمات مختلفة ، وقد ظلت هـــذه التنظيمات بسبيل من التطور على مر العصور . وهذا ما يعرف بالشرائع . قال الشيخ مصطفـــى عبـــد الرزاق : « جاء الاسلام يقرر ان الدين الحق واحـــد، هو وحي الله الى جميع انبيائه وهو عبارة عن الاصول التي لاتتبدل بالنسخ ، ولا يختلف فيها الرسل ، وهي هدي أبدا . اما الشرائع العملية فهي متفاوتة بيـــن الانبياء ، وفى القرآن : « مايقـــال لك الا ما قد قيـــل للرسل من قبلك ، ان ربك لذو مغفـــرة وذو عقـــاب أليـــم . » وفى القرآن أيضا : « شرع لكم من الديـــن ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا بـــه ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيـــه .. » (1)

وقال الامام الزمخشري فى تفسير قوله تعالـــى : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده . » المـــراد بهداهم طريقتهم فى الايمان بالله وتوحيده ، واصـــول

1) تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية للشيخ مصطفى عبد الرزاق ص 114

سيما في القرون الخمسة الاولى في مشكلة الجبر والاختيار وذلك لان من طبيعة كل فكر ان يقع فيها. ولا يغيب عن ذهننا ان في القران الكريم ايات تمسك بها طائفة من المسلمين على انها دليل قاطع يصور الانسان المجبر امام ارادة الله جل وعلا

وبقطع النظر عن المحركات التي كانت تحرك الدعوة الى الجبر » ! من اجل اهداف بعيدة عن الفكر الاسلامي الصحيح

وبقطع النظر عن التفسيرات والتاويلات التي كانت لازمة للخروج من المشكل ! والتغلب على «تناقض» مزعوم

فان الفكر الاسلامي ظل الى جانب حرية الارادة في الانسان والى جانب سيادة العقل !

وبهذه الروح شيد المسلمون معالم الحضارة والثقافة والنظام السياسي والاجتماعي وبهذه الروح نصبوا مقاييس الخلق والفضيلة . ولو كانوا جبريين لبلعت الدنيا في ايام معدودات كل اخبارهم واثارهم .

— 7 —

ولعل الشكل اليوم لم يبق له ظل الا في ذهن الذين يبحثون عن الثغرات ليستدلوا بها استدلالا معكوسا

ونحن في لقائنا مع الفكر الاسلامي نحيل طالب الحقيقة على كتاب الله ليدرسه باعتباره المادة الاساسية يفسر بعضها بعضا لانها كل لا يتجزأ . وكل فراغ يحدثه الجهل بحقيقة الفكر الاسلامي في حياتنا المادية او الروحية او العقلية فان الضلال يملأه بما شاء من اسماء ما انزل الله بها من سلطان

**فاس : عبد القادر زمامة**

— صراحة لاذعة —

هاجم احد النقاد كاتبا معروفا . فشكاه الكاتب الى صديقه قائلا له : هل رأيت كيف هاجمني فلان ؟

فاجابه الصديق مواسيا : لاتكترث به . انه ليس الا ببغاء يردد ما يقوله الناس ! ! !

بهذه المقتضيات كان النسخ ذا وظيفة فعالة في النظام التشريعي الاسلامي يتفاعل مع مصالح الفرد ويوجهه ويستحثه نحو الافضل الاصلح باستمرار ، واذا لم يكن هذا هو السر فيه ، فماذا يكون وراء نزول القرآن نفسه منجما خلال ثلاث وعشرين سنة من فائدة . ولهذا قامت الشبهة ايضا ضد هذا السر الالهي العظيم « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة » . ويأتي الجواب الالهي « كذلك ، لنثبت به فؤادك » .

وكذلك يجب أن يكون دستور البشرية متفاعلا مع الاحداث ، ناميا مع الانسان متدرجا به نحو الاسمى والاصلح ، تثبيتا لفؤاد النبي العظيم ، وللتدريج ، وللامة التي تدين به في التاريخ .

هذا راينا في النسخ وحكمته نعلنه انتصارا لجمهور علماء الاسلام . أما ما يقع بين يدي الباحث بعد ذلك من اختلاف هؤلاء العلماء في اية او اخرى أو حكم او اخر ، وبالتالي بين مفرطين ومفرطين ، مغالين ومعتدلين فلنا فيه رأي آخر .

ومن الطبيعي أن يكون مفهوم النسخ بالمعنى الاصولي المشار اليه انما مفهوما متاخرا عن المعنى اللغوي الذي كان يتبادر للاذهان في الصدر الاول من عصر الاسلام . فلقد كان المسلمون الاولون يخبرون به عن جملة من المعاني كتخصيص العام وتقييد المطلق وقد أورد الشاطبي في الموافقات بضعا وعشرين قضية نسخ رويت عن الصحابة والتابعين ، ليستدل بها على أن مدلول النسخ عند الصحابة كان أوسع منه عند الاصوليين (5) . هذا الاتساع في المفهوم للكلمة من ناحية ، والمدلول الاصولي لها من ناحية ثانية أوقع المتاخرين في خلط أحيانا ، وهذا ما وقع لبعض العلماء الذين قالوا بانه لا وجود للنسخ ، وانما هناك تخصيص الاحكام كما فعل ابو مسلم الاصفهاني « م322هـ » . فقد أنكر هذا العالم النسخ ، وفند كل دعاوي النسخ محتجا بقوله تعالى : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . تنزيل من حكيم حميد » وقد ساق الاستاذ التيجاني راي هذا العالم وكانه — رغم انفراده به — في وزن رأي الجمهور من علماء المسلمين القائلين بالنسخ ، أو كانه راي غير مدحوض ، والواقع غير ذلك ، ومن اراد بيان ذلك فليرجع اليه في مظانه (6) .

وهناك من خبط خبط عشواء ، فادخل صورا من تخصيص العام في الناسخ والمنسوخ كالذي حدث لابي جعفر النحاس « م 338 هـ » الذي تحدث الاستاذ المحترم عن كتابه « الناسخ والمنسوخ » ومثله في ذلك هبة الله بن سلامة « م410 هـ» . فهذا صنف من العلماء تزيدوا في امثلة الناسخ والمنسوخ لما اشتبهت عليهم من مسائله . ومن اسباب ذلك :

- ظنهم بأن تخصيص العام أو تقييد المطلق هو من الناسخ والمنسوخ .
- توهمهم ابطال الاسلام لبعض عادات وأحكام الجاهلية نسخا .
- توهمهم التعارض بين امرين حيث لا تعارض كالذي حدث لابن النحاس في الآية « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله »

فهذه آية محكمة ، تفيد استغراق ملك الله للكون وشموله ، فالآفاق لله ، « فاينما تولوا فثم وجه الله » وله تعالى ان يوجه عباده طبقا لذلك مشرقا ومغربا أما الآية التي تحدد وجهة القبلة « فول وجهك شطر المسجد الحرام » فهي آية محكمة ايضا . وهي منطوية معنى في الاولى . فأمر الله بتعيين جهة من جهات الافق لايتنافى وأن يكون الكون لله مشرقا ومغربا ، بدليل نزول الاولى بعد حدوث التحويل ، ولا يعقل أن يتقدم الناسخ على المنسوخ .

وكذلك ما اورده ابن النحاس في آية الصيام « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » فلا وجه لكون الآية « أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم » لانه لاتعارض بين الآيتين من حيث كون المتشابهة المستفادة من الآية الاولى لا تقتضي المشابهة من كل وجه ، وانما تنص على المماثلة في الحكم بوجوب الصيام .

وقد ابان الاستاذ التيجاني طرفا من قصور نظر ابن النحاس في الكلام على الناسخ والمنسوخ بالمعنى الاصطلاحي الاصولي . ولكن الذي نؤاخذه عليه ان

---

5) النسخ في القرآن للدكتور مصطفى زيد ج 1 / 72 . والموافقات للشاطبي ج 3 / 65
6) مناهل العرفان في علوم القرآن ج 2 / 103

الدين دون الشرائع فانها مختلفة . وهي هدي ما لم تنسخ . فاذا نسخت لم تبق هديا ، بخلاف اصول الدين فانها هدي ابدا . » (2)

اما الاسلام فيجمع بين الدين والشريعة ، فالدين كله فى كتابه الكريم ، ولم يكل الناس الى عقولهم في شيء منه . واما الشريعة فقد استوفى اصولها ، ثم ترك للنظر الاجتهادي تفصيلها . أما الآية الكريمة « اليوم أكملت لكم دينكم » فيقول الامام الشاطبي عنها فى كتابه « الاعتصام » : « فلم يبق للدين قاعدة يحتاج اليها فى الضروريات والحاجيات الا وقد بينت غاية البيان ، نعم يبقى تنزيل الجزئيات على تلك الكليات موكولا الى نظر المجتهد ... فالجزئيات لا نهاية لها ، ولا تنحصر بمرسوم . والمراد بالكمال ما يحتاج اليه من القواعد الكلية التي يجري عليها مالانهاية له من النوازل » (3)

وقد قصدت بايراد هذه الاقوال بل تأكيد هذه الحقائق ، اثبات بعض معطياتها الاساسية ، وهي :

1 ـ كون الشرائع الالهية نفسها تتطور بتطور أحوال الناس .

2 ـ كون الاسلام كدين سماوي وشريعة سماوية حمل فى نظامه الجوهر الذي لايتغير كالاصول والمبادىء الاعتقادية ، كما حمل معه التنظيمات التي تتطور طبقا للكليات والقواعد الاساسية .

3 ـ كون الاسلام وهو آخر الاديان أعلن بهذا الاسلوب الصريح فى كتابه السماوي ، وفى سنة نبيه العظيم رشد العقل البشري ، وقدرته على الاعتماد على نفسه فى تنظيم امور المعاش ، وذلك بسن قاعدة الاجتهاد ، والا لما كان معنى لاختتام النبوة بنبوته عليه السلام ، واختتام الرسالات برسالته . فالانسان المسلم بعد الاسلام ليس بحاجة الى الجديد دائما من المبادىء والاسس التي يرسي عليها حياته ، وانما هو محتاج الى هذا الاسلام الذي يشده الى الكون ويشده الى اله الكون ، والى مصيره ، والى الانسانية بوشائج دونها الفلسفات ، كما يحثه على مسايرة التطور ، والاجتهاد فى استنباط الجزئيات من تلك الكليات .

## ما علاقة كل هذا بالنسخ فى القرآن ؟

علاقته أن القول بالنسخ قد يثير فى بعض الاذهان نوعا من الريبة فى قيمة الدين الاسلامي من حيث كونه انطوى على بعض التناقضات ـ كما قد يدعى ذلك مدع ـ وانه اضطر ان يعدل من مبادئه كل ما كشف التطور والواقع عن شيء من ذلك ، وكل ذلك بالتالي مدعاة للشك فى قيمته ومصدره . والواقع أن هذه احدى الشبهات الكبرى التي ينفخ فى ضرامها المفرضون من المستشرقين ، والطاعنين على الاسلام ، وبعض الناشئة المسلمة التي لم يهيأ لها الاطلاع على حقيقة الامر ، بل هي شبهة قديمة أثارها من قبل هؤلاء وأولئك طائفة من الناس مسلمين وغير مسلمين ، في الاسلام وفى غير الاسلام من الاديان السماوية .

ودحضا لهذه الشبهة نجيب بان الاسلام كدين سماوي نسخ بشريعته كل الشرائع التي جاءت قبله، وذلك مماشاة للتطور الانساني ، واتماما لمكارم الاخلاق، وان هذه الشريعة السمحاء حملت فى مبادئها الاساسية قابلية التعديل والتغيير وفق الاصلح دائما كي لايكون الناس فى حاجة بعده الى شريعة جديدة . ولانه كنظام ارتبط بالواقع البشري يجب أن يماشي طبيعة الانسان ، وقانون تعلمه وتربيته ، وهو قانون التدرج. نعم يجب ان يرتبط كل تعديل او تغيير دائما بالكليات التي لاتقبل التعديل . فالعلماء المسلمون أجمعوا على أن النسخ هو « دفع حكم شرعي بدليل شرعي » . ومؤداه أن النسخ لايكون الا فى الاحكام . أما العبادات وأمهات الاخلاق ومدلولات الاخبار المحضة فلا نسخ فيها . (4)

ان التعريف السابق يقتضي :

1 ـ كون النسخ يختص بالاحكام دون العبادات وأمهات الاصول والاخلاق والاخبار .

2 ـ كون الحكم الناسخ يأتي بعد الحكم المنسوخ بتراخي الزمان ، لانه لامعنى لناسخ ومنسوخ متواقتين .

3 ـ كون مصدر الناسخ والمنسوخ واحد .

4 ـ ان يكون بين الحكمين تعارض حقيقي .

---

2) الكشاف للامام الزمخشري تفسير سورة الانعام
3) الاعتصام للشاطبي ج 3 / 197 ـ 98
4) مناهل العرفان فى علوم القرآن للزرقاني ج 2 \ 71

رحمته وسعت كل شيء ما لعله يطفيء غيظ قلوبهم قوله تقدس اسمه « ما ننسخ من آية أو ننسها نات بخير منها او مثلها » (11)

ونحن نأبى أن نجاري الكاتب فى هذا الفهم لكونه بعيد عن الواقع التاريخي ، وعن اسلوب القرآن في مخاطبة اهل الكتاب . فانه وان كان يجادلهم بالتي هي احسن فانه لايحاول طمأنتهم أو ملاينتهم ، ولاسيما حين يكون سياق الآية كما هو الشأن هنا صريحا محذرا للمسلمين . بل نأخذ بالتفسير الذي ساقه الدكتور مصطفى زيد قال : « انه يعني ( أي سياق الآية ) ان اعداء الاسلام من المشركين وأهل الكتاب لما عجزوا عن منع الوحي من النزول على محمد ـ راحوا يشككون فى كون القرآن من عند الله ، والذي يوحي به اسلوب الآية انهم قداستغلوا فيهذا التشكيك ظاهرة النسخ لبعض آيات الاحكام ببعضها الآخر ، فمضوا يقولون : ان محمدا يأمر أصحابه اليوم بأمر وغدا ينهاهم عنه ، وما هو الا مفتر يتقوله من عند نفسه ! ولم يكن بد من الرد عليهم فكانت هذه الآية ، وانها لتتحدث عن النسخ والانساء فتوقعهما على ( آية ) وتجعل منهما فعل شرط جوابه ( نات بخير منها أو مثلها ) . وبهذا تتبين بعض الحكمة فى النسخ ، وأن الحكم انما ينسخ حين يصبح غيره اوفى منه بالمصلحة ( او خيرا منه ) فيرفع ليحل هذا الحكم محله ، أو حين يساويه غيره فى الوفاء بالمصلحة ورعايتها ، ولكن يراد امتحان المؤمنين بنسخه فيرفع ليؤتى بدلا منه بحكم مثله (12)

أما مسألة المثلية فى الآية والتي تقف اشكالا في نظر الكاتب فيما اذا لم نأخذ بالتأويل الذي ارتضاه وقال به فاني من جهتي اراها اشكالا قائما حتى مع التأويل الذي ذهب اليه . فما المقصود من نسخ شريعة بشريعة مثلها ؟ يقول الكاتب : « أين تتصور المثلية اذا لم تكن بين آية تنوسيت وطواها الزمان فيما طوى كما قلته آنفا وياتي سبحانه بأخرى عوضا عنها وبدلا منها ؟ » (13) واقول : انه يجب تحديد مفهوم الآية فى هذا السياق ، وعلى الاخذ بكونها تعني المعجزة او الشريعة كما يذهب اليه الكاتب نلاحظ أن القرآن نفسه ذكر بكثير من هذه الشرائع المطوية ودعا الى الايمان برسلها ، وان التاريخ احتفظ بها ، وأن الآخذين بها والقائمين على حفظها كانوا احياء يجادلون الرسول فى مكة والمدينة فاي نسيان نتصوره مع كل هذا ؟ وما الحكمة من هذا الانساء ؟ ان السير مع هذا النهج فى الجدل أمر عقيم . والاحرى أن نعتبر المثلية هنا يقصد منها مثلية الثواب على الامتثال لآيات الله ، حيث لا يتفاضل المؤمنون فى متوبتهم اذا امتثلوا لاوامر الله ونواهيه وشرائعه واحكامه بين زمان وزمان، وشريعة وشريعة اخرى ، وحكم قام بالامس وحكم يقوم اليوم . ان المقصود بكل ذلك اختبار طاعتنا وتحقيق مصلحتنا على النحو الذي يناسب واقعنا وبذلك تتجلى ربوبيته وتقوم حجته ولله الامر من قبل ومن بعد .

**الدار البيضاء ـ محمد عبد الملك الكتاني**

---

11) دعوة الحق ع ( 9 ـ 10 ) السنة التاسعة ( غشت 1966 ) ص 8

12) النسخ فى القرآن ج 1 / 260

13) دعوة الحق ع ( 9 ـ 10 ) السنة التاسعة ( غشت 1966 ) ص 9

يجعل من قصور النظر هذا عند هذا الرجل وامثالـه سببا فى اتهام جمهرة العلماء بالتوسع فى القول بالناسخ والمنسوخ مما اوحى اليه بنوع من المشابهة بين علمائنا وارباب الكنيسة وغيرهم من الذين جاروا على كتبهـم المقدسة . ولقد كتب مقاله « لتتبعن سنن من قبلكم » فى العدد 8 من السنة 9 / صفر / 1386 . فهل معنى ذلك ان الكاتب يميل الى القول بعدم وجـود الناسخ والمنسوخ ام يميل فقط الى القول به مع تضييق نطاقه او حصره فيما تواتر الخبر على ثبوته منه . فان كانت الاولى فسيكون فى حرج امـام النصوص القاطعـة والاخبار المتواترة وان كانت الثانية فنحن على وفـاق معه ، لاننا وجدنا ان النسخ اصبح عند البعض بـابـا عريضا يتسرب منه على ديننا وكتابنـا واحكامنـا اختلاف عظيـم .

ومـن المعلوم ان النسخ مشكلة واجهت علمـاء الاديان السماوية السابقة كما واجهت علماء الاسـلام من بعد ، فمنهم من انكر وجود النسخ عقـلا وسمعا . ومنهم من جوزه عقلا وانكره سمعا ، ومنهم من اجـازه بدليلهما معا . وقد اثبت الجمهور الاكبر من علمـاء الاسلام وجوده بما لم يعد مجالا للمناقشة او الاخـذ والـرد (7)

اما القرآن فيشير مرارا الى هذه الاحكام التـي ينزلها فى وقت ثم يرفعها او ينسخها حسب مشيئتـه ولحكمة خافية عن عقولنا ، قال تعالـى : « واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتـر، بل اكثرهم لايعلمـون » وقوله تعالى : « يمحـو الله ما يشاء ويثبت ، وعنده ام الكتاب . » وقال تعالـى: « ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها او مثلها »

اما سائر الشبهات الموضوعة على السنة المنكرين للنسخ فلها ردودها الخاصة فصلها العلماء فى بابها .(8) واما ابو مسلم بن بحر الذي انكر النسخ البتة كمـا اشار الى ذلك الاستاذ التيجاني ، فلعله لم ينكره وفق المعنى الذي نسميه نسخا او هكـذا تـأول له التاج السبكي حين قال : « ان ابا مسلم لا ينكر وقوع النسخ بالمعنى الذي نسميه نسخا ، ولكنه يتحاشى ان يسميه باسمه ، ويسميه تخصيصا .

تبقى الآية الكريمة « ما ننسخ من آية او ننسهـا نات بخير منها او مثلها . » وقد وضع الكاتب القائلين بالنسخ موضعا يلزمهم بالجواب عن المقصود بالمثلية فى هذه الآية لانهم وحدهم المطالبون بالاثبات للنسخ داخل الشريعة الاسلامية .

والظاهر ان الاستاذ التيجاني ذهب الى حمـل لفظ الآية فى هذه الآية الكريمة على معنى آية القرآن. وبذلك استطاع ان يتأول المعنى بكون القـرآن نسخ شريعة موسى وهذا ما يقتضيه السياق فى نظـره . ولكن ما معنى العطف على فعل الشرط وهو ( ننسخ ) بفعل آخر وهو ( ننسها ) ؟ الا يقتضي المقام هنا كـلا نوعي النسخ ؛ النسخ مع بقاء اللفظ اي نسخ الحكم دون نسخ التلاوة ، والنسخ حكما وتلاوة ، وهو المحـو من الذاكرة وهذا تفسير اكثر المتكلمين (9) ، وهـو التفسير الذي تهدي اليه الآية « يمحـو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب » والقـرآن يفسر بعضـه بعضا . وها هو الطبري يخرج فى تفسيره بصدد هذه الآية الاخيرة حديثا ينتهي بسنده الى ابن عباس مفاده كون المحو والا ثبات هنا متعلقين بالقـرآن (10) .

لقد مضى الاستاذ التيجاني يفسر الآية على ضوء سياقها ، وهو اسلوب نحمده منه ، لانه وحده يهـدي الى فهم القرآن جهد الامكان ، وحسب المرء أن يقـرأ الآية فى سياقها ونظمها الفني ليحتمل ما افترضـه الكاتب . ولكن هذا الاحتمال . وبالاسلوب الذي عبـر عنه يمثل القرآن وكانه اشفاقـا من غضب اليهـود وثورنهم على ظهور الاسلام اخذ يطمئنهم ويخاطبهـم بكون نسخ الشرائع سنة مطردة . يقول الكاتب فـي معرض يؤكد هذا الاتجاه « هذه الرواية تتفق تمـام الاتفاق مع النفسية المسيطرة على اليهود فى مستهـل بعثة النبي العربي ، كبر عليهم كمـا قلت ان تخـرج النبوة من ايديهم وهم شعب الله المختار كما يزعمـون وتنتقل الى امة بدوية يغمرها الجهل والوثنية خصوصا والنبي الذي على رأسها جاء بكتاب يلوح عليه طابـع التفوق والهيمنة على ما قبله من الكتب ... والتوراة من جملة هذه الكتب لاسيما وقد لاحت فى افق هـذه الهيمنة بوادر التبديل والتغيير اعني النسخ فأنزل من

---

7) النسخ فى القـرآن ج 1 / 221
8) مناهـل العرفـان ج 2 / 93 – 131
9) التفسير الكبير للفخر الرازي ج 3 / 256
10) تفسيـر الطبـري

الاعظم ، فلا تتجاهل الغزالي وابن العربي وابن سينا وابن طفيل وابن باجة وابن رشد . ومع هذا كله فلا يجوز مطلقا نكران فضل الحركة السلفية التي امدت المسلمين بمصل جديد ، وطاقة قوية لمواجهة الواقع المر. وانما يجوز أن نلاحظ كمؤرخين أن المجتمع انقسم بين جماعتين ( الاولى خيالية افلاطونية فارة من الواقع تركض وراء المثل العليا ، وتعاني تمزقا ذاتيا عنيفا . فهي لا تستطيع أن تلائم بين العقيدة الصافية المثالية وما تشاهده من واقع مغاير . ولذلك تصرف وجهتها عن الواقع . ( والثانية ) جماعة تعيش أمجادها وتحاول تطوير واقعها ، ولكنها تصطدم دائما بالحاجة الاكيدة الى المادية الغربية التي تعارض المبادىء الاساسية للدين في بعض الاحيان. ولو ان التقنية تطورت في العالم الاسلامي ليخرج من الاستنجاد بالغير الى الاكتفاء لاستطاع أن يكمل شطر دعوته ولحقق عالمه الذي يصبو اليه .

ولم يظل المغرب طويلا في هذا الموقف الحائر . او لم تتح له الفرصة ليصالح بين الجماعتين فكريا ليخرج من هذا المازق الحرج . فقد فوجيء بافواج متلاحقة من تلامذة المدرسة الغربية تدخل لميدان الفكر والعمل . وهي مهما كانت مشدودة الى ثقافتها بشيء من الاقتناع والعطف والوراثة والتحدي . فقد كانت في عمقها تواجه في قلق واشفاق عالما لا تقره على جميع ما فيه ، وكانت تعاني انقساما من نوع آخر . فبعض هؤلاء تأثروا بالليبرالية والضمير الفردي وفهموا الاسلام على أنه دين يمكن أن يفهم على اسلوب لا يغاير الاديان المنتشرة في الغرب التي تجعل من الدين ضميرا حيا لا يرتبط بالجماعة ارتباطا قويا ، وبعض هؤلاء تأثروا بحركة الالحاد المنتشرة آنذاك بالمغرب ، تلك الحركة الداعية الى تعطيل الشرائع . ومن حسن الحظ أن هؤلاء لم يتجاوزوا أفرادا لا تاثير لهم مطلقا وطائفة أخرى من الذين طالعوا كتب ماركس وانجل وتأثروا بها ورأوا فيها طريق الخلاص من المحنة الاستعمارية فروجوا لها في محيط محدود على أن اغلبية المتخرجين من المدرسة الحديثة ظلوا متمسكين بعقيدتهم ودينهم متفانين في الدفاع عن شخصية بلادهم وعظمة أجدادهم وصدق ملتهم .

ومهما يكن من هذا التعدد فان الحركة السلفية ظلت هي الاداة المحررة المستجيبة للتطور والتقدم في ثقة ويقين . وظلت تجد من اختلاف التطورات بالبلاد الاسلامية ما ينمي وجودها ويفتح لها باب الامل ، كما أن المؤمنين السلفيين وجدوا في حركتهم ما يؤخذ بين عقيدتهم وسلوكهم ومكانتهم في عصرهم ، ولكن مع ذلك فسوف تشرق الشمس عن جيل لا يستسيغ عقله هذه الجرعات الموقتة التي عالجت جيل آبائه فرضوا بها واطمأنوا اليها . حيث سوف لا يجدون من وقتهم متسعا للتوفيق بين تعاليم ميثالية وسلوك قرن يعيشونه، ولذلك يجب على المفكرين المسلمين أن يعبئوا قواهم لانقاذ الجيل الصاعد من الحيرة والارتباك والقلق الوجودي وشرح هذه التعاليم في لغة واضحة سهلة ، وعلى اساس ذلك يجب أن نجيب عن عدة اسئلة يثيرها شباب اليوم ، فهل الاسلام واقع لا ضرورة لفلسفته . أو هو في حاجة الى فلسفة جديدة . وهل الاسلام يدرس كعلم او يلقن كتربية أو هما معا . وعلى أي أساس يوحد الاسلام بين الفرد والجماعة على الصعيد النفسي والاجتماعي والاخلاقي . وما هو الاقتصاد الجديد الذي يمكن أن يدعو اليه الاسلام فيجد مجالا للخروج من النظرية الى الواقع . وكيف يسخر الفن والادب ، وهما قوام التوجيه في هذا العصر لخدمة الاسلام هذه أسئلة تفضي بدورها الى موضوعات ثانوية سنعالجها بعد ، ومن واجب المفكرين أن يجدوا لها جوابا فنحن لن نكون الا مسلمين ، ولن نرضى الا أن نكون مسلمين ، وحتى المتهافتون لن يستطيعوا الخروج من ذلك ،

ولو طار جبريل بقية عمره
من الدهر ما استطاع الخروج من الدهر

الرباط : **حسن السائح**

# عبقرية الاسلام في المغرب

للأستاذ : الحسن السائح

(3)

يمكن أن نجعل من فرض الحماية على المغرب بداية الاستجابة لنقد ذاتي عميق . فقد شعر جميع المغاربة وحتى المتفائلون منهم بأن الحماية بداية النهاية فهي في الواقع ليست وثيقة قانونية لاستنزاف خيرات البلاد بقدر ما هي هادفة الى محو الشخصية المغربية نهائيا ، ولذلك استجاب المغاربة بحماس للمحاولات التنظيمية الجديدة ، والعمل داخل الجماعات الاسلامية ، وليس من الصعب أن نستدل على أن سبب عزلة المغاربة من قبل . ولجوئهم الى التصوف والطرقية بدل الرباطات ، انما يرجع الى ما كبدتهم الحروب الصليبية من ارهاق في مختلف الميادين والمستويات ، فالحروب العنيفة المستمرة لا ينتصر فيها جانب على آخر ، وانما يموت أحد قبل الاخر ، وهكذا كانت العزلة المغربية مفضية الى ما هو ألعن واشد شؤما ، فكان لابد أن تفتح الابواب والنوافذ من جديد لتطل على عالم الغرب ، وكان المستعمرون مضطرين من جهتهم أن يحملوا الى المغرب حضارتهم المادية والثقافية ، كما كان المغاربة مضطرين ان يطلوا على الثقافة الغربية ليعرفوا كنه هذه الحضارة وليستطيعوا الاستفادة منها ، ومن الطبيعي الا يتفق الناس جميعا على ذلك ، والنتيجة الحتمية هي أن تعاني البلاد ازدواجية في الفكر والعاطفة سواء بالنسبة للفرد وحده أو بالنسبة للجماعة ، ولذلك كان بعض المواطنين يتمسكون بدينهم في جماعات طرقية أو صوفية ، وبعضهم يلتحق بالحركة السلفية التي كانت في أوج قوتها وحيويتها ، ومن الحق أن الفريق الاول كان مهتما باتنالوجية ينعموجدانيا بعالم هادي، فارا من تحليل الحقيقة الاليمة ومن الاستفسار عن مصيره الذي كان في بعض الاحيان من يسخرونه في الغالب عن حسن نية أو عن سوئها لاغراض يجهلون هم أنفسهم غايتها . أما الفريق الثاني فقد كان يحاول الرجوع لماضيه المجيد ليعيش في حاضر يناسب عزه القديم ، وفي الحق أن كلمة سلفية لم يعط لها مفهوم دقيق محدد ، ولم تتبلور في دراسات مخططة هادفة . بقدر ما كانت محاولة محركة للعقل الباطن ليعيد الصورة المجيدة الماضية في المحنة الحاضرة . والسلفية لم يقدر لها ان تعرف في القرن العشرين عبقرية اسلامية كالغزالي الذي قوض التسربات الفلسفية الهلينية الى الدين . ولا عبقرية كابن تيمية الذي أوتي من سعة الاطلاع والذكاء ما ساعده على نقد من سبقه . واعطاء شرح لحقيقة الاسلام . ولو أن السلفية الحديثة فهمت التجديد على أنه احياء للوعي الاسلامي والسلوك المستقيم والايمان العميق ، فاعادت حيوية التصورات الاعتقادية الشاملة للكون في شتى تحليلاته ، جاعلة من المسلم قوة لتحقيق المثل الاعلى في الارض . ومن الدين فعالية الخلق والاستمرار ، لا مجرد عرض لماضي الاسلام ومواقفه الفكرية والاجتماعية أو مجرد خلق ضمير انساني ، بل هو تفجير قوة الحركة المطلقة من الفكر والشعور والعمل على أساس الاخلاص والعمل في ملكوت الله الواسعة القوامة العادلة ولو أن السلفية درست القرآن دراسة فلسفية ولم تقتصر على الاستفادة الوعظية أو الفقهية لاعطت للغته الخالدة طاقتها الحقة وحيويتها وفعاليتها ووعيها ، فوعى المومنون كتابهم الخالد لا بطريقة شخصانية كما دعا اقبال ولكن في جماعة اشبه برجال الاسلام الاولين ، ثم لما كان لها أن تشتغل بالمقومات وتعطي المبدعات فهو ما خاصة فتهاجم الفن الاسلامي وصرح حضارة قرون من المعمار والفن لمختلف الدعاوي والاسباب . ولما كان لها أيضا أن تسلك الطريق السهل فتدعو الى الرجوع الى القرن الاول وحده غافلة تراث الاجداد من فلسفة وتصوف واخلاص وفقه وعلوم نفس واجتماع، ذلك التراث الخالد العظيم الذي كان منبثقا عن دعوة القرآن وسنة الرسول

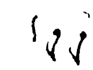
6) لفظة «صياصيهم» فى قوله تعالى : « وانـزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب ، فريقا تقتلون وتاسرون فريقـــا » الآية 26 من سورة الاحزاب ومعناها بلغة هذه القبيلة «حصونهم» . ولم تـرد هذه الكلمة الا مرة واحدة فى القرآن الكريم ولا بد ان هذا يدل على غرابتها .

ولم يذكر الجوهري فى صحاحـــه مفـــرد هذه اللفظة ، بل اكتفى بالقول : « والصياصي : الحصون »

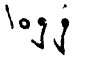
ومعلوم أن لهذه اللفظــة فى الافراد صيغتـــان: صيصة وصيصية ، بكسر الصاد فيهما معا .

اما الاب Belot فقـد أشار اليها فى قاموسه المعنون بـ « الفرائـد الدريـة فى اللغتيـن العربيـة والفرنسية (5) » بعلامة تدل على أن هذه المفردة دخيلة على اللغة العربية الفصيحة ، وانها لاتنتسب الى ايـة لهجة من لهجات قبـائل العـرب .

ونحن مضطرون ان نؤيده فى رأيه هذا ، رغم أن المهمين من علمائنا القدماء ، رحمة الله عليهم ، ذكروها من بين الفاظ لهجة قيس عيلان (6) .

ذلك ان الحجة القاطعة قامت الآن على أن هـذه اللفظة آراميـــة الاصل ؛ وينطـــق بهـــا Seso بتفخيم السينين حتى يتولد منها صـــاد . وتكتـب فى اصلها الاصليـــة  وتعنـي فى الآراميـــة الشوكة فى مؤخر رجل الديك .

ويؤسفني جدا أن اقول ان الجوهري اخطأ حين فتح الصاد الاولى من هذه اللفظة ، وحقهـــا الكسر للسبب البسيـط ، وهي انها مكسورة فى الاصل الآرامي، سيما وان الكسر أخف هنا بكثير من الفتح تليه يـــاء ساكنـــة (7) .

ويؤسفني كذلك أن أرد على بعض علماء اللغـة، ومن بينهم ابن بري الذين يرون أن تذكر هذه اللفظـة فى المعتل ، ظنا منهم ان لامها ياء لا صادا . ولـو كانت من المعتل باللام لكتبت وقرئت فى الآراميـــة بالواو . وعلـــى هـــذا الشكل  ولكنـــها لـم تكتـب ابـدا . واذا كنـت اثبتـــها مـــن بين الفـــاظ لهجة قيس عيلان فلانني أعتقد ، مـع علمائنا القدماء انها دخلت اول ما دخلت لقبيلة قيس عيلان ، التـي اذاعتها فى القبائل الاخرى . والله اعلم .

7) كلمـة « **اواب** » ومعناها بلغة قيس عيـلان المطيع ، وجدير بالملاحظة أن ننبه أن هذه المفردة ذكرت بنفس الصيغة اربع مرات فى سورة واحدة هي «ص» فى الآيات 17 ، 19 ، 30 ، 44 .

ولقد وردت مرة أخرى فى كتاب الله على هـذه الصيغة « للاوابين» فى الآية « ان تكونوا صالحين فانـه كان للاوابيـــن غفورا » . الآية 25 من سورة الاسراء ولقد سبق أن ذكرت أن هذه المفردة مشتركة بين ثلاث قبائل هي هذيل (8) وكنانـة (9) .

8) كلمـة « **رحيم** » فى الآية 36 من ســـــورة آل عمـران ومعناها بلغـة قيس عيـلان « ملعون » وقد كررها الحق سبحانه وتعالى فى آيات كثيـــرة وبصيـــغ مختلفـــة .

9) مفـردة « **يلتكـم** » فى قوله تعالـى « قالـت الاعراب آمنا قل لم تومنوا ولكن قولوا أسلمنا ولـما يدخل الايمان فى قلوبكم وانتطيعواالله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم » الآية 14 مـــن سورة الحجرات ، ومعناهـــا بلغـــة قيس عيـــلان « ينقصكـــم » .

ولقد نسب الزمخشري هذه اللفظة الى اهلهـا فقال : « وهي لغة غطفان ولغة اسد واهل الحجـاز لاته ليتا » اما غطفان وأسـد فيرى ان لغتهما « ألتـه السلطان أشد الألـت « وأما اهل الحجاز فيرى انهم

---

5) Belot تحت مـــادة ــ صيص ــ

6) يوجد من بين هؤلاء العلماء ، العلامة ابو القاسم بن سلام الذي جعلته المرجـع الاساسي فى بحثـي المتواضع هـذا ، والامام جلال الدين السيوطي فى كتابه الاتقان فى علوم القرآن صفحة 136 الجـزء الاول طبعة القاهرة سنة 1368 هـ

7) الصحاح الجزء الثالث صفحة 1044

8) دعوة الحق العدد الرابع السنة التاسعـــة صفحـــة 17

9) نفس المصدر العدد الخامس السنـة التاسعـــة صفحـــة 29 .

10) الكشـاف الجزء الرابع صفحة 17

# لم يكن القرآن بلغة قريش فحسب ...

للأستاذ : الراجي التهامي الهاشمي

(7)

**لغـة قيس عيلان «(1)»**

اما قبيلة قيس عيلان فقد شاركت هي بدورها في القرآن الكريم بـ 13 لفظة اتت على الشكل الآتي :

1) لفظة « **فورهم** » الكائنة في سورة آل عمران الآية 125 . وبما ان هذه اللفظة ، كما يذكره لنا المحققون من علماء اللغة ، لفظة مشتركة بين قيس عيلان وهذيل وكنانة فقد سبق شرحها آن الحديث عن مفردات القبيلتين الاخيرتين (2) .

2) لفظة « **نحلة** » الآية الرابعة من سورة النساء ومعناها بهذه اللهجة فريضة ، وغير مستبعد أن يكون معناها الفريضة التي تؤدى عن طيب خاطر أي « آتوهن صدقاتهن راضين » ومما يحمل على هذا التأويل ، آخر هذه الآية وهو : « فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه » فعدم الاكراه هنا يقابل طيب النفس هناك ، وهذا كما نرى من المحسنات المعنوية التي نغفل عنها كثيرا .

3) « **الحرج** » في الآية 6 من سورة المائدة وفي مواضع اخرى كثيرة من القرآن ومعناها « الضيق » .

4) لفظة « **أمة** » في سورة يوسف الآية 45 . ومعناها بلغة قيس عيلان « نسيان » ويقول ابو القاسم ابن سلام ان هذه المفردة مشتركة بين قيس عيلان وتميم . واللفظة التي تهمنا هنا هي « امة » بضم الهمزة بعدها ميم مشددة بالفتح . ولقد اجاد من من قراها بفتح الهمزة وتخفيف الميم بالفتح . واعتقد انها قراءة ابن عباس واستشهد الجوهري (3) لهذا الوجه الاخير بقول الشاعر :

امهت وكنت لا انسى حديثا
كذلك الدهر يؤدي بالعقول

وقد قراها الاشهب العقيلي بكسر الهمزة وتشديد الميم بالفتح ، ومعنى امة هذه : النعمة ، كما جاء في بيت عدي الذي اورده الزمخشري حين تفسيره لهذه الكلمة :

ثم بعد الفلاح والملك والامـ ـة وارتهم هناك القبور

وقد تقرا بسكون الميم وهي قراءة فاسدة ، لامعنى لها ، كما انها وردت بفتح الهمزة وكسر الميم في الحديث الزهري ، وقالوا ان معناها «أقر واعترف» واكتفوا بأن حكموا عليها بانها « لغة غير مشهورة » (4) وكان بودنا لو اخبرونا عن هذه اللغة ، ولماذا هي غير مشهورة .

5) مفردة **«تفندون»** في قوله تعالى : « ولما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون » الآية 94 من سورة يوسف . ومعناها بلغة هذه القبيلة «تستهزئون» والملاحظ انها لم ترد الا مرة واحدة في القرآن الكريم . وهي من الفند بالتحريك وهو ضعف الرأي من هرم ؛ ولا يقال في اللغة العربية الا للرجل العجوز ، اما المرأة العجوز فلا يجوز ان يقال انها مفندة لانه لم يكن لها رأي حصيف ذات يوم فيقع تفنيده في هرمها . وهذا شيء ناتج عن عدم اعتبار رأي المرأة في الجاهلية .

---

1) اليعقوبي الجزء الاول صفحة 212 ــ التاج جزء 4 صفحة 227 ــ نهاية الارب صفحة 327 ــ معجم قبائل العرب صفحة 972 ــ الاعلام الجزء 6 صفحة 59
2) دعوة الحق العدد الثاني شعبان 1385 صفحة 64 بالنسبة لقبيلة هذيل والعدد الخامس من نفس المجلة لشهر ذي القعدة 1385 صفحة 27 بالنسبة لقبيلة كنانة
3) الصحاح الجزء السادس صفحة 2224 .
4) الصحاح نفس الصفحة السابقة

# نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط

للدكتور تقي الدين الهلالي

## (15)

اعتـراض وجوابـه :

جاءني احد الاخوان فاخبرني ان معلما في المدارس الابتدائية في وجدة قال له : ان الدكتور الهلالي ياتي بالمناقضات . فبينما نراه يثبت كرامـات الاوليـاء في الخوارق التـي سردها في مجلة «دعـوة الحـق» فـي استحضار الارواح ، نراه في دروسه يقول : لا ينفع الا الله ولا يضر الا الله . ولا يتصرف في العالم الا الله ، وهذا انكار لتصرف الاولياء وكراماتهم ، فقال له الاخ المذكور : اتقرأ القرءان ، قال نعم ، واحفظه عن ظهر قلب . قال : فهل قرات قوله تعالى في سورة الاعراف ، ( 188 قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ، ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير . وما مسني السوء . ان انا الا نذير ، وبشير لقوم يومنون ) .

قال : اعرف هذه الاية . ومع ذلك اعتقد ان النبي ( ص ) ينفع ويضر . وان الاولياء يتصرفون في العالم والرد على ذلك من وجوه :

الاول : ان هذا المعترض يجهل توحيد الربوبية الذي كان يعترف به المشركون الذين قاتلهم رسول الله ( ص ) ، قال تعالى في سورة العنكبوت 61 ـ 63 : (ولئن سالتهم من خلق السمـوات والارض ، وسخـر الشمس والقمـر . ليقولـن الله . فانى يوفكون الله يبسـط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ، ان الله بكل شيء عليم ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا بـه الارض من بعد موتها ليقولن الله ، قل الحمد لله ، بل اكثرهم لا يعقلون ) .

قال الامام ابن كثير في تفسيره : يقول تعالى مقررا انه لا اله الا هو . لان المشركين الذين يعبدون معه غيره معترفون بانه المستقل بخلق السموات والارض ، والشمس والقمر . وتسخيـر الليل والنهـار ، وانـه الخالـق الرازق لعبـاده ومقدر اجالهـم واختلافهـا واختلاف ارزاقهم . ففاوت بينهم . فمنهم الغني والفقير ، وهو العليم بما يصلح كلا منهم . ومن يستحق الغنى ممن يستحق الفقر . فذكر انه المستقل بخلق الاشياء المتفرد بتدبيرها . فاذا كان الامر كذلك . فلم يعبد غيره . ولم يتوكل على غيره . فكما انه الواحد في ملكه ، فليكن الواحد في عبادته وكثيرا ما يقرر تعالى مقام الالهية بالاعتراف بتوحيد الربوبيـة وقد كان المشركـون يعترفون بذلك كما كانوا يقولون في تلبيتهم : ( لبيـك لا شريك لك . الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك )

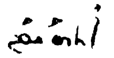
قال القاسمي في تفسير اية الاعراف : (قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا ) اي لا اقدر لاجل نفسي على جلب نفع ما ، ولا على دفع ضر ما ( الا ما شاء الله ) اي تمليكه لي من ذلك بان يلهمنيه فيمكننـي منه ويقدرني عليـه وهذا كقوله تعالى في سورة يونس ( 48 ـ49 ويقولـون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله . لكل امة اجل ) ( ولو كنت اعلم الغيب لا ستكثرت من الخير ) ، اي النفع بترتيب اسبابه . فكنت مثلا اعد للسنة المجدبة من المخصبة ، ولوقت الغلاء من الرخص ( وما مسني السوء ) اي الضر للتوقي عن اسبابه ( ان انا الا نذير وبشير ) اي عبـد ارسلت نذيرا وبشيرا ، وما من شاني ان اعلم الغيب اهـ

يقولون لات ليتـــا ، اما صاحب الصحاح (11) فيـــرى أن « الاتـــه مثل التــه » نقلا عن الفراء الذي استشهد ببيت لعدي بن زيـــد :

ويأكلـــن مـــا اعنـــى الولـــي فلـــم يلـــت
كـــأن بحـــافـــات النهـــاء المزارعـــا

ويحكي لنا الاصمعي انه سمع أم هشام السلولية تقول : « الحمد لله الذي لايفات ، ولا يلات ، ولا تصمه الاصوات » ولقد قرأها ابي بن كعب ، المتوفى سنـــة 29 هجريـــة « يالتكـم (12) .

10) مفردة « **الخراصون** » في الآية 10 من سورة الذاريات ، ومعناها بلغة قيس عيلان « الكذابون » وهي مذكورة خمس مرات في القـــرآن الكريم : في الانعـــام الآيات 116 و 148 ، في يونس : الآية 66 ، في الزخرف الآية 20 ، وهنا في الذاريات ويقول بعض علماء اللغـــة انهـــا كنانيـــة ايضـــا .

11) مفردة « **المهيمن** » في الآية 23 مـــن سورة الحشر . وفي الآية 48 من سورة المائدة ويزعم علماؤنا الاقدمون أن هذه المفـــردة من قيس عيلان ، ولهـــذا ادمجتها هنا ، وان كانت الحجة قد توفرت الآن لدي، على انها من اللغة الآرامية ، لا من لهجة قبيلـــة قيس عيلان ، وهم ينطقون بهـــا في اللغـــة الآراميـــة علـــى هذا الشكل : Hayman وتكتب وتقرأ 
ومعناها : « صار رقيبا على الشيء ومؤنمنا عليه » .

ولمفسري وشراح هذه اللفظة مذاهب كثيـــرة؛ فجلال الدين محمد بن احمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (13) ، يجعلانها من ما. هيمن يهيمن ، فتكون أذن رباعية ، وجميع حروفهـــا أصليـــة .

أما الزمخشري (14) فيزنها على مفيعل ؛ فتكون الحروف الاصليـــة في هذه المادة هـــي الهاء ، والميم والنون ، ويخبرنا أن هذه الهـــاء منقلبة عن همـــزة . فتكون ، والحالة هذه ، المادة الاصلية هـــي أمـــن . ويوافق الزمخشري في هذا التفسير الجوهري حيث يجعلها تحت مادة همن ويشرح ابدالها شرحا مفصـــلا حيث يقـــول (15 : « المهيمـــن » الشاهد وهو مـــن آمن غيره من الخوف ، وأصله أأمن فهـــو مؤأمـــن. بهمزتين قلبت الهمزة الثانية يـــاء كراهة لاجتماعهمـــا. فصار مأيمن ، ثم صيرت الاولى هاء ، كما قالوا : أراق الماء وهراقـــه » .

12) لفظـــة « **الغلـــب** » في قولـــه تعالـــى: « وحدائق غلبا » الآية 30 من سورة عبس ومعناهـــا بلغة قيس عيلان الملتفـــة ، ولو افردنا لقلنا حديقـــة غلباء ، والمقصود بهذا كما قال المفسرون ، هـــو انهـــا حدائق كثرت اشجارها وتكاثفت ، وعظمت .

13) مفردة « **خاسرون** » في الآية 14 مـــن سورة يوسف ومعناها « مضيعون » وهي مكـــررة في عـــدة آيـــات من القـــرآن الكريـــم .

**اكاديـــر — الراجي التهامي الهاشمي**

---

11) الصحاح . الجزء الاول صفحة 265
12) Materials for the history of the text of the Quran, par A. Jeffery صفحة 166 من طبعة Leiden 1937
13) تفسير القرآن العظيم ص 235 من الجزء الثاني طبعة القاهرة بدون تاريخ
14) الكشاف ص 85 من الجزء الرابع .
15) الصحاح الجزء السادس صفحـــة 2217

تصلي عليها وقد زنت ؟ فقال النبي ( ص ) : انها تابت توبة ، لو قسمت على سبعين منكم لغفر الله لهم ، او كما قال ، فهي من اولياء الله .

ولا يشترط في الولي ان تجري على يديه خوارق العادات ، فان اكثر اصحاب رسول الله ( ص ) واكثر التابعين والائمة المجتهدين لم تنقل عنهم خوارق ، وهم افضل اولياء الله وقد قال النبي ( ص ) في فضل السابقين من اصحابه على المتاخرين منهم : لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصفيه يعني ان السابقين من اصحاب رسول الله ( ص ) لهم فضل عظيم على المتأخرين من الصحابة ، حتى ان الواحد من المتأخرين لو انفق مثل احد ذهبا ، وهو جبل عظيم بقرب المدينة لا يساوي اجر انفاقه نصف حفنة مما انفقه السابقون هذا في فضل السابقين من الصحابة على اللاحقين فكيف بفضل الصحابة على التابعين ؟ فكيف بفضل التابعين على من بعدهم وقد قال النبي ( ص ) خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم ياتي قوم تسبق شهادة احدهم يمينه، ويمينه شهادته ، يشهدون ولا يستشهدون ، ويعدون ولا يوفون ، او كما قال والقرن عند المحققين اربعون سنة فقرن النبي ( ص ) ينتهي على راس سبع وعشرين من الهجرة في خلافة علي بن ابي طالب والقرن الثاني ينتهي بنهاية سنة سبع وستين من الهجرة والقرن الثالث ينتهي سنة مائة وسبع من الهجرة ، في زمان هشام ابن عبد الملك

الوجه الثالث : ان خوارق العادات تجري على يد الكفار والفساق والصالحين ، ولا تعتبر كرامات الا اذا جرت على ايدي الصالحين المحقق صلاحهم كمريم ام عيسى ، وابي بكر الصديق ، واسيد بن حضير ، وغيرهما من الصحابة

اما مريم ، فمن كرامات الله لها ان الله كان يرزقها حين كانت في المحراب بدون سبب ولا اكتساب كما قال تعالى في سورة ال عمران 37 : ( كلما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها رزقا ، قال : يا مريم انى لك هذا ، قالت هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ) .

قال المفسرون كان زكريا عليه السلام كلما دخل على مريم في محرابها ، اي المقصورة التي تتعبد فيها وجد عندها فاكهةالصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، قال يا مريم ، من اين لك هذا ؟ قالت هو من الله رزقنيه بلا سعي ولا سبب

ومن كرامات الله لها انه رزقها ابنا سريا مباركا نبيا رسولا من اولي العزم دون ان يمسها بشر ، فجعل ولادته بلا فحل من اياته الدالة على عظمته وكمال قدرته

ومن كراماته لها انه اوجد لها رطبا يسقط عليها عند هزها لجذع النخلة ، ومن ذلك نطق عيسى ببراءتها وهو في المهد

ومن كرامات الله لابي بكر ما اخرجه البخاري في صحيحه عن ابي عثمان عن عبد الرحمن بن ابي بكر ان اصحاب الصفة كانوا اناسا فقراء ، وان النبي ( ص ) قال : من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، وان اربع فخامس او سادس ، وان ابا بكر جاء بثلاثة ، فانطلق النبي ( ص ) بعشرة ، قال : فهو انا وابي وامي – فلا ادري ، قال : وامراتي – وخادم بيننا وبين بيت ابي بكر ، وان ابا بكر تعشى عند النبي ( ص ) ، ثم لبث حيث صليت العشاء، ثم رجع فلبث حتى تعشى النبي(ص) فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله قالت له امرأته: وما حبسك عن اضيافك ، او قالت ضيفك ؟ قال : او ما عشيتهم ، قالت : ابوا حتى تجيء ، قد عرضوا فابوا،قال: فذهبت انا فاختبأت فقال : يا غنثر ، فجدع وسب وقال : كلوا لا هنيئا ، فقال : والله لا اطعمه ابدا ، وايم الله ما كنا ناخذ من لقمة الا ربا من اسفلها اكثر منها ، قال : يعني حتى شبعوا ، وصارت اكثر مما كانت قبل ذلك ، فنظر اليها ابو بكر ، فاذا هي كما هي او اكثر منها فقال لامرأته : يا اخت بني فراس ، ما هذا ؟ قالت : لا ، وقرة عيني ، لهي الان اكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات، فاكل منها ابو بكر وقال : انما كان ذلك من الشيطان ، يعني يمينه ، ثم اكل منها لقمة ، ثم حملها الى النبي ( ص ) فاصبحت عنده ، وكان بيننا وبين القوم عقد ، فمضى الاجل ، ففرقنا اثنا عشر رجلا ، مع كل رجل منهم اناس ، الله اعلم كم مع كل رجل ، فاكلوا منها اجمعون او كما قال .

وقال تعالى في سورة يونس 31 ــ 32 : ( قل من يرزقكم من السماء والارض . امن يملك السمع والابصار . ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي . ومن يدبر الامر . فسيقولون الله . فقل افلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق . فما ذا بعد الحق الا الضلال . فانى تصرفون )

قال القاسمي في تفسيره : ( قل من يرزقكم من السماء والارض ) بالامطار والانبات . وهل يمكن الا ممن له التصرف العام فيها ( امن يملك السمع والابصار ) اي من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة كقوله تعالى في سورة الملك 23 . ( قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع والابصار )

ومن يخرج الحي من الميت . يعني النسمة من النطفة . او الطير من البيضة . او السنبلة من الحبة ، ( ومن يدبر الامر ) اي ومن يلي تدبير امر العالم كله . بيده ملكوت كل شيء . تعميم بعد تخصيص ، ( فسيقولون الله ) اذ لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه ( فقل افلا تتقون ) اي افلا تخافون بعد اعترافكم من غضبه لعبادة غيره اتباعا للهوى اه

وقال تعالى في سورة الانعام 50 : ( قل لا اقول لكم عندي خزائن الله . ولا اعلم الغيب . ولا اقول لكم اني ملك ، ان اتبع الا ما يوحى الي . قل هل يستوي الاعمى والبصير . افلا تتفكرون ) .

قال ابن كثير : يقول تعالى لرسوله ( ص ) . قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ) اي لست املكها ولا التصرف فيها ( ولا اعلم الغيب ) اي ولا اقول اني اعلم الغيب . اي ما غاب من علم الله . انما ذاك من علم الله عز وجل . لا اطلع منه الا على ما اطلعني عليه . ( ولا اقول لكم اني ملك ) اي ولا ادعي اني ملك . انما انا بشر من البشر ( ان اتبع الا ما يوحى الي ) من الله عز وجل شرفني بذلك وانعم علي به . ولهذا قال : ( ان اتبع الا ما يوحى الي ) اي لست اخرج عنه قيد شبر ، ولا ادنى منه اه

J1850

والايات في هذا المعنى اكثر من ان تحصى فالعجب ممن يحفظ القران ولا يعرف معنى لا اله الا لله ، ولو قرأ ترجمة هذه الايات انكليزي او فرنسية لعرف معناها كذلك يطبع الله على قلوب الذين يعلمون

الوجه الثاني، ما معنى الاولياء وما معنى كراماتهم قد ذكر الله سبحانه وتعالى في الكتاب العزيز ولاية اوليائه في مواضع ، منها قوله تعالى في سورة البقرة 257 : ( الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور . والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات . اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون )

وقال تعالى في سورة المائدة 55 ــ 56 : (انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا . الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا . فان حزب الله هم الغالبون ) وقال تعالى في سورة الاعراف 196 : ( ان ولي الله الذي نزل الكتاب . وهو يتولى الصالحين )

وقال تعالى في سورة يونس 62 ــ 64 : ( الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله . ذلك هو الفوز العظيم»

وقد نظرنا في هذه الايات وغيرها فعلمنا ان اولياء الله هم الذين يتصفون بالايمان والتقوى . فكل من تولى الله بان امن به وبرسوله (ص) وبما جاء به واتقى الله بفعل ما امر به واجتناب ما نهى عنه فهو ولي الله ، ومن لم يكن ولي الله فهو عدو الله. ولا يشترط في ولي الله ان يكون معصوما من الذنوب . الا انه لا يصر عليها اذا حدثت منه ، بل يتوب الى الله منها

وقد قرأت في كتب الصوفية ان الجنيد رحمه الله سئل . ايزني الولي ؟ فاطرق براسه ثم رفع راسه وقال : وكان امر الله قدرا مقدورا وصدق رحمه الله ، فان ما عزا الصحابي الذي جاء الى النبي ( ص ) واعترف بالزنى وسال النبي ( ص ) ان يقيم عليه الحد ، فاقامه عليه . بان رجم حتى مات من اولياء الله الصالحين رضي الله عنه .

والمرأة الغامدية التي جاءت الى النبي ( ص ) فاعترفت بالزنى مرارا فامر النبي ( ص ) برجمها فرجمت . وصلى عليها فقال له بعض اصحابه كيف

غيرهم فمن رأيناه يطيع الله ويتبع رسوله نرجو له الخير ولا نجزم بانه من اهل الجنة ، ومن رايناه من المسلمين الموحدين المصلحين منهمكا في المعاصي نخاف عليه ان يكون من اهل النار ولا نجزم ، لان الخاتمة مجهولة

وفي الصحيحين عن ام العلاء قالت قالت : مات عثمان ابن مظعون ، قلت : شهادتي عليك ابا السائب ، لقد اكرمك الله فقال لها رسول الله ( ص ) : وما يدريك ان الله اكرمه ؟ والله وانا رسول الله ما ادري ما يفعل بي

وروى الحافظ بن عبد البر في الاستيعاب عن ابن عباس ، قال : لما مات عثمان بن مظعون ، قالت امراته : هنيئا لك الجنة يا عثمان بن مظعون ، فنظر اليها رسول الله ( ص ) نظر غضب ، وقال : وما يدريك ؟ قالت : يا رسول الله ، فارسك وصاحبك ، فقال رسول الله (ص): اني رسول الله ، وما ادري ما يفعل بي

وروى الترمذي بسنده عن عائشة ، قالت : قبل النبي ( ص ) عثمان بن مظعون وهو ميت ، وهو يبكي وعيناه تذرفان ، ولما توفي ابراهيم بن النبي ( ص ) قال : الحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون ومن اخبار عثمان بن مظعون انه كان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية ، وقال : لا اشرب شرابا يذهب عقلي ويضحك بي من هو ادنى مني ، ويحملني على ان انكح كريمتي ، فلما حرمت الخمر اتى وهو بالعوالي فقيل له : يا عثمان قد حرمت الخمر ، فقال : تبا لها ، قد كان بصري فيها ثاقبا

وقال سعد بن ابي وقاص : رد رسول الله ( ص ) التبتل على عثمان بن مظعون ، ولو اذن له لاختصينا ، وكان عابدا مجتهدا من فضلاء الصحابة ، وقد كان هو وعلي بن ابي طالب وابو ذر هموا ان يختصوا ويتبتلوا، فنهاهم رسول الله ( ص ) عن ذلك اه

فانظر يا رعاك الله هذا الصحابي الجليل وما له من المناقب ، حرم الخمر على نفسه قبل ان تحرم ، بل قبل الاسلام ، وكان من السابقين الى الاسلام ، وهاجر الى الحبشة ثم الى المدينة ، فهو من اهل الهجرتين ، وكان النبي ( ص ) يحبه حبا كثيرا ، حتى انه قبله بعد موته وبكى عليه ، ومع ذلك لما قالت امرأته : هنيئا لك الجنة ، غضب عليها النبي ( ص ) ، وقال لها : اني رسول الله ، وما ادري ما يفعل به ، وسماه النبي ( ص ) سلفا صالحا

ولما قالت ام العلاء : شهادتي عليك ابا السائب ، لقد اكرمك الله ، ونهاها عن ذلك ، فمن شهد على ميت كيفما كانت درجته من الصلاح انه من اهل الجنة ، او انه من المكرمين عند الله ، فقد عصى الله ورسوله وقفا ما ليس له به علم وقد بلغ الجهل باكثر الناس في هذا الزمان الى ان صاروا يقيسون درجات الاموات عند الله بالقباب التي تبنى على قبورهم فعلى قدر جمال القبة وزخرفتها وكثرة تحفها وزوارها ، والذبائح التي تذبح عندها ، والمواسم التي تقام لها ، تكون منزلة صاحبها عند الله بزعمهم اللهم علمنا ما جهلنا وارزقنا العمل بما علمناه ، ولا تجعله حجة علينا يا رب العالمين

الوجه الرابع : ان ما نقلته من الخوارق التي وقعت لمستحضري الارواح في سلسلة المقالات التي نشرتها مجلة « دعوة الحق » بالعنوان المذكور اعلاه وقعت تلك الخوارق لاناس لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر ، ولا باحد من الانبياء ، فلم تكن من كرامات الاولياء ، كما زعم ذلك المتوهم ، ونسبني من اجل ذلك الى التناقض ومن ذلك تعلم ان الخوارق في حد ذاتها ، وان بلغت في الغرابة كل مبلغ لا علاقة لها بالايمان ولا بالصلاح ، فانها تقع للمومن والكافر ، والصالح والطالح

والميزان الصحيح لاولياء الله الصالحين هو الاستقامة قال تعالى في سورة فصلت 30ـ32 : (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، تتنزل علهم الملائكة ، الا تخافوا ولا تحزنوا ، وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة، ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ، ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم )

فقوله تعالى : قالوا ربنا الله ، معناه وحدوا الله فلم يشركوا به شيئا، لا في ربوبيته ولا في عبادته ومعنى استقاموا امنوا بالرسول (ص) واتبعوه في كل ما جاء به وقال الجنيد رحمه الله : لو رأيتم رجلا يطير في

حاصله ان عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما اخبر ان اهل الصفة كانوا يسكنون في المسجد النبوي في مكان خاص بهم مسقف ، يسمى الصفة ، وكانوا فقراء مهاجرين غرباء ليس لهم اهل ولا بيوت ولا مال ، متى جاء الجهاد جاهدوا مع رسول الله ( ص ) واذا لم يكن جهاد غرفوا من بحر علم النبي ( ص ) وكان الناس يطعمونهم . فقال النبي ( ص ) لاصحابه من اهل المدينة : من كان عنده طعام اثنين فليأخذ واحدا من اهل الصفة يتعشى معه . ومن كان عنده طعام ثلاثة فليجعل رابعهم واحدا من اهل الصفة . ومن كان عنده طعام اربعة فليأخذ معه خامسا ، وان شاء فلياخذ اثنين

وقد جاء في موضع اخر من صحيح البخاري عن النبي ( ص ) ، طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الاربعة ـ الحديث ولكن النبي ( ص ) لم يشأ ان يشق عليهم فلم يقل : من كان عنده طعام واحد فليذهب باثنين . ومن كان عنده طعام اثنين فليذهب باربعة . ومن كان عنده طعام اربعة فليذهب بثمانية . لكن ابا بكر الصديق رضي الله عنه اخذ ثلاثة من اهل الصفة ، وكان عنده طعام خمسة هو وزوجته ام رومان ، وابنه عبد الرحمن وزوجة ابنه اميمة ، وخادم كان يخدمهم .

اما النبي ( ص ) فانه اخذ عشرة من اهل الصفة قال اهل الحديث : وكان عند النبي ( ص ) في تلك الليلة طعام عشرة ، فخفف على اصحابه وشق على نفسه واهل بيته وذلك كان شانه صلى الله عليه وسلم ، يتحمل من الاعمال اكثر مما يامر الناس به ، فكان يواصل الصيام ، اي يصوم يومين او اكثر وينهى اصحابه عن ذلك فاذا قالوا له : انا نراك تواصل يقول : اني لست كهيئة احدكم ، اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني ، يعني طعاما روحيا وشرابا روحيا

وترك ابو بكر الصديق الاضياف الثلاثة لابنه عبد الرحمن وزوجته ام رومان وذهب الى بيت النبي (ص) وتعشى عنده ، واقام الى ما بعد صلاة العشاء ، فلما رجع سال زوجته اعشيتهم ؟ يعني الاضياف ، فقالت : انهم امتنعوا من قبول العشاء حتى تجيء انت ، وخاف ابنه عبد الرحمن من غضبه فاختبأ ، فاخذ يناديه ، يا غنثر ، معناه يا لئيم فلم يجبه خوفا منه ، فسبه ثم قدم العشاء الى الاضياف ، وقال : كلوا لا هنيئا ، قال ذلك غضبا عليهم، لانهم اساءوا الادب ، اذ لم يقبلوا عشاءهم فاخذوا ياكلون والطعام يزيد حتى صار كما قالت ام رومان اكثر مما كان بثلاث مرات وحلف ابو بكر في وقت غضبه ان لا ياكل من ذلك الطعام ، فلما راى الكرامة ظهرت في زيادة الطعام اكل منه لينال من تلك البركة ، فاكل اهل البيت وضيوفهم وعددهم ثمانية ، ثم حملت تلك الجفنة مفعمة بالطعام الى النبي ( ص ) فرحا بما اكرمه الله به فباتت الجفنة كذلك الى الصباح فاكل منها اثنا عشر عريفا. كل عريف معه جماعة من الناس جاءوا للتفاوض مع النبي ( ص )

واما كرامة اسيد بن حضير ، فاخرج البخاري في صحيحه من كتاب المناقب بسنده الى انس ان رجلين خرجا من عند النبي ( ص ) في ليلة مظلمة واذا نور بين ايديهما حتى تفرقا ، فتفرق النور معهما والرجلان هما اسيد بن حضير وعباد بن بشر

والكرامة التي اكرم الله بها عباده الصالحين كثيرة لا ياتي عليها الحصر ، وقد اجمع اهل السنة على قبولها، وما جاء في القران منها يومن به جميع المسلمين. ولكن ليس كل من جرت على يديه خوارق العادات هو من الصالحين ، فان الخوارق تقع للكافر والمسلم ، فاذا وقعت للمومن المتقي فهي كرامة . ولكن لا يجوز ان يامن من مكر الله بعد حصولها ، لان الخاتمة مجهولة فقد اخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود ، قال : سمعت رسول الله ( ص ) يقول : فوالله الذي لا اله غيره ، ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها ، وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتىما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها .

اذن فلا يثبت انه من اولياء الله الصالحين بجريان الخوارق على يديه حتى تثبت له الاستقامة ، والاستقامة لا يعلمها الا الله وعقيدة اهل السنة والجماعة كما قرر الامام الصابوني في عقيدته وغيره انهم لا ينزلون احدا جنة ولا نارا الا من شهد له المعصوم صلى الله عليه وسلم كالعشرة المبشرين بالجنة ، وخديجة وعكاشة ابن محصن ، وكل من صح الحديث بانه من الجنة . اما

# نظرة في منجد الآداب والعلوم

للأستاذ عبد الله كنون

(12)

**حـــرف الصـــــاد :**

308) فى ص 301 ، ع ني ترجمة للصاحب بن عباد الوزير الاديب المشهور بعنوان " « الصاحب الطالقاني » بكسر اللام وهو بفتحها نسبة الى طالقان بفتح اللام بلدة من عمل قزوين ، ومع أن الصاحب ينسب الى هـــذه البلدة حتى قال صاحب الشمقمقية :

لا تنس من دنياك حظا والـــى
كالطالقاني والخصيب انطلـــق

فلم يعينه الا بهذه النسبة ، الا ان شهرتـــــه بالصاحب بن عباد اكثر ، ولا يعرف تاريخيا الا بذلـــك فكان الاولى ان يذكره بما اشتهر به ، وبزيد ان شـــاء النسبة البلدانية بعد .

309) وفى العمود نفسه ذكر سورة صاد مـــن القرآن الكريم فقال فيها : « الصاد » بالالف والـــلام والصواب حذفهما ، وكتب سورة بالصاد ، وهو خطـــأ مطبعي .

وحدف الالف واللام وزيادتهما عند صاحب المنجد لايتبعان أية قاعدة كما أشرنا الى ذلك مرارا ، فهو هنا يقول فى سورة صاد : الصاد ، وفى نفس العمود يذكر ابن الهبارية فيقول فيه ابن هبارية بدون ال ويقول فى ابن ابي صادق الطيب : سموه البقراط الثاني هكذا بادخال ال على اسم بقراط ، وحيث اننا نبهنا على خطأه هذا غير ما مرة ، لم نشأ ان نميزه برقم خاص .

310) ومن خطأ التعبير فى هذا العمود ايضا قوله فى طائفة الصارلية : « ولهم عادات أشبه منها بعادات اليزيدية » يريد شبيهة بعادات اليزيدية .. ولما كان المنجد يعد من معاجم اللغة العربية لم يحسن منا السكوت على مثل هذه العبارات المغلوطة التي تقع فيه بكثرة .

311) فى ص 302 ، ع ل تعريف بالنبي صالح عليه السلامجاء فيهأنه دعا قومه ثمود «لكنهم لم يزعنوا لكلامه فانزل فيهم القصاص» وظاهر أن قوله لم يزعنوا بالزاي، هو من خطأ النطق وصوابه يذعنوا بالذال ، اما قولـــه فانزل فيهم القصاص ، فانه يريد به العذاب ولكنه يوهم بظاهره انه انزل فيهم حكم القصاص الذي هو أن يعاقب الشخص بمثل ما فعل . وهذا مما يتجنب ارتكابـــه فى المعاجم .

312) فى ص 303 ، ع ل ترجمة لصالح بن مرداس اسد الدولة ، ضبط فيها اسم مرداس بفتح الميم وهـــو بكسرها وقال انه قتل فى وقعة اخوانة على الاردن، وهي وقعة الاقحوانة كما يعرف بمراجعة ابن خلكان ، وهذا الخطأ وقع ايضا فى دائرة المعارف الاسلامية بسبـــب الترجمة من غير مراجعة الاصول .

313) وفيها ع ني تعريف بمدينة سبيطة المشهورة والمذكورة فى فتح افريقية كتبها بالصاد ولذلك ذكرها فى حرفه ، وضبطها بضم الصاد وفتح الطاء ، والصـــواب كتابتها بالسين على ما درج عليه الكتاب والمؤرخون ، وفى العدد الاخير من مجلة الفكر التونسية قصيدة لاحـــد

السماء او يمشي على الماء ، فلا تلتفتوا اليه ، فان الاستقامة افضل من الف كرامة

وقال ايضا رحمه الله : امرنا هذا مبني على اربعة امور ، اولها اتباع السنة ، وثانيها اكل الحلال ، وثالثها كف الاذى ورابعها حمل الاذى اه

وهذه الامور الاربعة التي بنى عليها الجنيد رحمه الله طريقة اهل الزهد موافقة لكتاب الله وسنة رسوله ولولا خوف الاطالة لسردت براهينها

وقول سعد بن ابي وقاص : رد النبي ( ص ) على عثمان التبتل ، ولو اذن له لاختصينا المراد بالتبتل هنا، الترهب والانقطاع عن متاع الحياة الدنيا ، والاشتغال بالعبادة وقد استأذن جماعة من الصحابة ، منهم المذكورون هنا ، ومنهم ابو هرة في الاختصاء ، وهو ازالة القدرة على مباشرة النساء بعمل جراحي معلوم . وانما ارادوا ذلك حتى يأمنوا انتهاء قرب النساء ، فلا يشغلهم شاغل عن عبادة الله ، ومن خلال ذلك يرى كل منصف عاقل ان اصحاب محمد ( ص ) كانوا افضل من اصحاب الرسل السابقين واتباعهم فلم نر في اتباع الرسل السابقين من هم بالاختصاء ، وان فيهم من اعتزل النساء وحرم قربهن على نفسه ، ولكن النبي الحكيم الذي جاء بدين قويم منعهم من الاختصاء لما فيه وفي الترهيب من المفاسد . فالشجاع هو الذي يثبت في مواجهة العدو ويستعين بالله ويحمي نفسه من هجماته والاختصاء والترهب فرار من وجه العدو وهزيمته وحرمان للنفس من بركة التعاون مع الزوجة على طاعة الله ، وعلى انجاب الابناء الصالحين والبنات الصالحات وحسن تربيتهن والسعي عليهم في اكتساب رزقهم

فالمختصي والترهب عضوان ميتان في جسم الامة وقد قال النبي ( ص ) لما علم ان ثلاثة من اصحابه هموا ان ينقطعوا للعبادة . فقال احدهم : اما انا فاصلي الليل ابدا وقال الاخر : انا اصوم النهار ابدا ولا افطر وقال الاخر : انا اعتزل النساء فلا اتزوج ابدا ، فجاء النبي ( ص ) اليهم فقال : انتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ اما والله انى لاخشاكم لله واتقاكم له ، لكني اصوم وافطر ، واصلي ، وارقد ، واتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني رواه البخاري ومسلم

**مكنـــاس — تقي الدين الهلالي**

## حــرف الضــــاد :

327) فى ص 313 ع ل ترجمة لضابىء بن الحرث لبرجمي الشـاعر ، قال عنه انه من عرب الجاهليــة ، ليس كذلك فانه شاعر اسلامي اشتهر بهجوه قوما من لانصار كان استعار منهم كلب صيد وتقاعد عليــه فانتزعوه منه واستعدوا عليه عثمان بن عفان ( ض ) ثم انه ضبط الحرث بفتح الراء وهو بكسرها .

328) وفى المكان نفسه بعنوان بنوضبة بكســر الضاد عرف بالضباب ، بطن من عامر .. فخلط بينه وبين ضبة بن اد المذكورة عنده بعده يليه ، على ان كســر ضاد ضبعة ليس بصحيح ، فهو بالفتح .

329) وفيه أيضا ترجمة للافوه الاودي الشاعــر الحاهلي المعروف ، سماه فيها ضبة بن أود ولا ندري من اين اتى بهذه التسمية ، والمعروف فى اسمه انـــه صلاءة بن عمرو ، فحقه أن يذكر فى حرف الصاد .

330) وفى هذه الصفحة ع ني من خطا اشكـــل ضبط الفهري بفتح الفاء وهو بكسرها وضبط ضرغــام بفتح الضرغام وهو أيضا بكسرها .

331) فى ص 314 ع ل ترجمة لضمرة بن ضمرة شاعر محارب من أهل الجاهلية، ضبط اسمه فيها واسم ابيه بضم الضاد وهو بالفتح فيها .

332) وفيها ع ني ذكر كتاب الضياء اللامع فى شرح جمع الجوامع للشيخ احمد حلولو المعروف ، جعلـــه المنجد هولولو بالهاء وهو من خطأ الاعتماد علـــى الترجمة فقط .

طنجة : **عبد الله كنون**

أدباء تونس في تحيتها وما كتبها الا بالسين ، واما ضبطها فعلى صيغة المصغر ، وبذلك تكون الطاء فيها مكسورة لا مفتوحة .

314) في ص 304 ، ع ل تعريف بالصحراء الافريقية عام ، ثم تعريف خاص بما سماه الصحراء الاسبانية ، ومع ما في هذه التسمية من المؤاخذة السياسية ، فان هذا التعريف قد وقع فيه اخطاء ، منها تعريف اسم جزر كناريا بكناري حسب النطق الفرنسي ولا يصح أن يعرب اللفظ بصيغتين اثنتين بعد ما اشتهر باحداهما اشتهارا واسعا . ثم ان هذه الجزر لها اسم عربي هو الجزر الخالدات فكان من المستحسن الاقتصار عليه ، ومنها تسمية وادي الذهب بريودي اورو ، حسب اللفظ الاسباني ، والمعجم عربي فالواجب فيه تسمية الاشياء والاماكن باسمها العربي ، ومنها تسمية الساقية الحمراء بالساخية الحمراء اي بالخاء المعجمة بدل القاف وهو خطأ متسبب من جهل الاسم العربي والاعتماد فيه على الترجمة فقط .

315) وفي المكان نفسه كلمة عن صحراء عيذاب ضبط فيها اسم عيذاب بكسر العين وهو بفتحها .

316) في ص 305 ، ع ل ترجمة لصردر الشاعر المعروف ضبط فيها اسمه هذا بفتح الصاد والراء المشددة والدال والراء المشددة ايضا ، جعله كالاسم المركب ، والصواب ضم الدال وتشديد الراء من غير فتح ، لانه اما نائب فاعل بصر اذا ضبطناه بضم الصاد على بنية الفعل المجهول ، واما ان يكون مفعولا بصر اذا ضبطناه بفتح الصاد وهو الاكثر ، ولكنه وقع وقفا بحذف الالف على لغة ربيعة أو لكثرة الاستعمال ، واصل هذا الاسم أو اللقب على الصحيح ان أبا الشاعر كان يقال له صربعر لشحه أي بخله لا ( لشحنه ) كما جاء في المنجد ، فلما نبغ ولده بالشعر قيل له صردر مدحا له ، والدر اللؤلؤ .

317) وفيها في ع ني ابيات من مقصورة صريع الدلاء ، سقط منها الواو في أول البيت الثاني والياء في آخر البيت الرابع من كلمة يشا فجاء شا ، والبيتان لا يتزنان بدون ذلك .

318) وفي العمود نفسه تعريف بمدينة صعدة اليمنية كتبها صعدى بالالف المقصورة وهي بالتاء .

319) وفيه ايضا تعريف بالصفرية وهم طائفة معروفة من الخوارج ، جعلهم المنجد الصغرية بالغين وليس هذا من خطأ الطبع لانهم مدركون في سياق الكلمات التي تاتي فيها الغين بعد الصاد ، كما انه ليس من خطا الترجمة لان الفاء لا خلاف فيها بيننا وبين اللغات الاجنبية .

320) في ص 306 ، ع ل تعريف بالصفا التي هي والمروة من مشاعر الحج . وقد ذكر فيه المروة طبعا ولكنه جعلها المرو ، بدون تاء وكررها كذلك ، ولم ترد في القرآن والسنة وكتب المناسك واللغة الا بالتاء .

321) وفي هذا العمود ذكر كلمة الصفر بفتحتين وذكر عقبتها لفظة TIBRE وقال نهر في ايطاليا الخ واسم هذا النهر التبر معروف ولكن تسميته بالصفر لا ندري من أين جاء بها ؟ ..

322) وفيه ايضا تحت عنوان صفروي بضم الصاد وسكون الفاء وفتح الراء على صيغة المنسوب تعريف بمدينة صفرو المغربية ، وتقدم له ذكرها في حرف السين ونبهنا هناك على أنها بالصاد ، لكن ذكرها بهذا الاسم هو من العجائب ، وقد وردت كذلك في دائرة المعارف الاسلامية ولكن بغير هذا الضبط ، ونسبت الدائرة كتابتها بهذا الشكل الى ليون الافريقي ( الحسن الوزان )

323) وفي هذه الصفحة ع . ني تعريف بصفية بنت حيي أم المومنين ، قال فيه انها من سبايا خيبر وان النبي ( ص ) اعتقها وتزوجها في مرضه الاخير ، وهذه الزيادة مردودة ، فان غزوة خيبر كانت سنة سبع للهجرة وفيها تزوج النبي ( ص ) بصفية ، فكيف يقال ان ذلك كان في مرضه الاخير ..

324) في 307 ، ع . ل تعريف بجزيرة صقلية ، جاء فيه « استعمرها الفينيقيون واليونان فاسسوا فيها المدن التجارية الزاهرة ( واجتاحها ) العرب فغزاها زيادة الله الاغلبي » ، وهكذا كان الفينيقيون واليونان في نظر مؤلف المنجد معمرين لصقلية الى حد الازدهار ، والعرب مجتاحين غزاة فقط ، مع أن تاريخ المدينة الحديثة يعترف بما لصقلية العربية من يد على نهضة العلوم في أروبا وان افضل عهودها هو العهد العربي .

325) في ص 310 ع . ني تعريف بمدينة سور الغزلان من الجزائر كتبها صور بالصاد وهي بالسين وحقها أن تذكر في حرفه .

326) في ص 311 ع . ني وقع ذكر مدينة سعيدة من الجزائر تحت اسم صيدا وهو خطأ في الترجمة ، فهي سعيدة وحقها ان تذكر ايضا في حرف السين .

ن حسن حظ الذي يعمل منهم في المناجم ان يلقى حتفه ي سن الشباب

وثاني النوعين العبيد الذين كان الرومان ياسرونهم ن المناطق الشرقية ، وخصوصا من السوريين والاغريق، كانوا يعتبرون ذوي اهمية بالغة في كثير من الاحيان، ما كانوا يتمتعون به من ثقافة وحنكة ودراية في كثير ن الميادين الفكرية . وسنعود الى التحدث عنهم بعد قليـــــل

ولاجل ان نتصور الدور الذي قام به العبيد لا بد ن الاشارة الى ان عددهم كان كبيرا جدا ، فقد كانوا يوجدون في كل مكان ، في المزارع الصغيرة والمملكات الكبيرة وفي الاكــواخ والقرى وفي الدور الفاخــرة ومكاتب الحكومة . وكان العبد في هذه الاماكن كلهــا يبذل اقصى جهده لتحقيق الراحة والرفاهية لسيــده ، ولذلك يمكن القول انه لــم توجد امبراطوريــة تدين بالفضل للرقيق ــ بالرغم من امتهانها لهــم ــ بمثــل ما تدين لهم به الامبراطورية الرومانية

ويسجل التاريخ في القرن الاول بعد الميلاد ان ثلث سكان روما كانوا من العبيد ، وقد اخذ سكان المدينة يعرمون بامتلاك العبيد منذ اتساع رقعة مدينتهــم . ففي خلال القرنين الاولين قبل الميلاد اسر الرومان خلال الحروب المحلية مئات الالاف من العبيد ، وكان تجار الرقيق يسيرون في اثر الجيوش الغازية لشراء الاسرى فور القبض عليهم في ميدان القتال . وكانوا يشترون في بعض الاحيان جميع سكان المدن التي خربتها الحرب ، وقد استرق الرومان خمسة وثلاثين الفا من جنود جيش هانيبال سنة 201 ق م ، وبعــد سنوات اســرت رومــا من الاغريق اربعين الفا من الرقيق ، ثم من سردينيا مائــة وخمسين الفا

وكان المرء يشاهــد في اســواق النخاسة بالمدن الكبرى عبيــدا من الجنسين ويسمــع مختلف اللغــات المعروفة ، ولما ضعفت موارد الرقيق حل محلها الرق بالولادة فبات سليل العبد عبدا

وقد دفعت هذه المعاملة القاسية العبيد الى التمرد والثورة في كثير من الاحيــان ، واشهر هــذه الثورات الثورة التي قادها الزعيم « سبارتاكوس » وقــد الحــق بالجيش الروماني هزائم متوالية قبل ان ينهزم ويلقى حتفه في الميدان ، ولما اسر الرومــان ستــة الاف من جنوده قادوهم الى روما حيــث صلبوهــم في شوارعها ، وظلت اجسامهم معلقة نهبا للتعفن

واذا كان العبيد قد لاقوا على يــد روما وحكامها وسادتها هذه المعاملة القاسية . وهذا العنف المروع ، واذا كانت الكنيسة لم تبذل اي مجهود كبير او صغير في سبيل الدفاع عنهم او انقاذهم او حتى التخفيف عنهم ، فان الامبراطورية الرومانية مع ذلك مدينة لهم بالفضل الكبيـــــر

وليست مدينة لهم فحسب بالاعمال المادية التــي كانوا يباشرون القيام للمحافظة على ازدهار الامبراطورية في الحقــول والمناجــم والمــدن والقرى والقصــور والاكواخ ولكنها مدينة لهم ايضــا لما ساهموا بــه من تزويد هذه الحضارة بحضارات بلادهم وثقافتهم وفنونهم وكل ما كانوا يحسنونه مما لا يحسنه الرومان

فكان العبيد المتحضــرون المنتمــون الى سوريــا وبلاد الاغريق يشرفــون على منازل اسيادهم ويتولــون تنظيم مادبهم . ويعنون بزينة زوجاتهم ولباسهن، ويربون اولادهم . ويقومون بتطبيبهــم وابداء المشورة لهــم . ويكتبون رسائلهم، ويعنون ــ بصفة عامة ــ بكل شؤونهم. وقد اصبح كثيرون منهم ينتمون الى طبقات روما الراقية كاطباء ومدرسين . ورجال فن وموسيقى واداب

كان كثيــرون من هــؤلاء الاســرى ينتمــون الى الطبقات الممتازة في بلادهم قبل ان تنهزم جيوشهــم في ميدان القتال ، ولذلك كان الرومان يحرسون على ان يتعرفوا على عاداتهم وادابهم واساليب النبالة في بلادهم فقد اشترى روماني مثلا احد عشر عبــدا ليقوموا بســرد اشعارهم في الحفلات التي كان يقيمها ، واشترى اخر عبدا افريقيا مثقفا بمبلغ كبير من المال يساوي 125 الف درهم مما نعد اليوم ، ليقوم بمهمــة التدريس ، وكان كثيرون ممن يتقدمون للاضطــلاع بمهــام الدولــة في مسابقات او مباريات او انتخابات يصحبون معهم عبــدا مستشارا ليذكرهم بما قد يغيب عن اذهانهم من اسماء او تواريخ او احداث

# الرقيق في الامبراطورية الرومانية

للأستاذ عبد المجيد بن جلون

تفصل بيننا اليوم وبين الامبراطورية الرومانية نفس الفترة التي استغرقتها هذه الامبراطورية العظيمة، عقب تأسيس الملك (رومولوس) لمدينة روما منذ الفين وسبعمائة سنة خلت، الى ان بلغت اوج عظمتها في اوربا وفي شمال افريقيا وغرب اسيا في اواخر القرن الثاني قبل الميلاد، الى ان اخذت تتصدع وتنهار في القرن السادس بعد الميلاد. ومع ذلك - او من اجل ذلك لا ندري - لا يزال الناس، وخصوصا المثقفين منهم، يذكرون احداثها واباطرتها وقادتها وجيوشها ومهندسيها وخطباءها وشعراءها وما يزالون يشاهدون اثارها الرائعة في هذه الرقعة المترامية من العالم: مسارحها وحماماتها واسوارها ومعابدها وفسيفاءها وتماثيلها واقواس نصرها وطرقها وصهاريجها واحواضها وقنواتها وحناياها ومختلف ما بقي - وما اكثره - من اثار العهد الروماني العتيد، لا يزال الناس يذكرون هذا كله. واكثر من هذا كله كما لو كان تاريخا حديثا، بل ان من التاريخ الروماني ما هو اشهر من احدث التواريخ

ولقد لعب العبيد في اقامة هذه الحضارة دورا مرموقا - وخصوصا من الناحية الفكرية كما سنرى - ولكن لا يكاد احد من هؤلاء المثقفين يذكر الدور التي قاموا به، لان من المستبعد ان يتصور المرء ان يقوم العبد مسلوب الحقوق قانونيا باي دور من هذا القبيل.

والحقيقة ان العبيد في العهد الروماني كانوا ينوؤون تحت حمل ثقيل من الواجبات دون ان تكون لهم اية حقوق، بل لم يكن للعبد اي وجود قانوني كانسان. فهو ملك لسيده ولم يكن يسمح القانون له بحق الاكتساب او حق الملكية، ولا يجوز له ان يدلي بشهادة في المحاكم الا عن طريق التعذيب. لانه كان يعتبره الطريقة الوحيدة الكفيلة باستخراج الصدق من صدره. ولم يكن يسمح له القانون حتى بحق الزواج، وكان من حق السيد ان يعاقب عبده على كسله او هفوة من لسانه بالجلد والسير مسافات طويلة محملا بالاثقال. وكانت تكتب بحديدة ملتهبة فوق جبينه اذا حاول الفرار حروف كلمة « فار » ليدمغ بذلك، وقد يصلب الفار وقد يحرق حيا، بل وقد يلقى به الى الوحوش الضارية لتفتك به، متعة للنظارة في ساعات اللهو والتسلية

على انه كان هناك نوعان من العبيد في العهد الروماني، اولهما يتمثل فيمن كانوا ينعتون « بذوي الجلود الناعمة » وهم الذين كان يستولي عليهم الرومان في مناطق شمال وغرب اوربا، وكان الرومان ينظرون الى المرء منهم على انه « حيوان اعجم » لا يحسن غير العمل في المزارع، وكانوا يكلفون بالقيام باحط انواع العمل، واكثرها مساسا بالكرامة الانسانية، وكانوا يجلدون خلال ممارستهم لهذه الاعمال المشينة، وكان

**مطارحات مع الادباء المعاصرين**

## عميد أدب القرن العشرين

# الدكتور طه حسين

للدكتور زكي المحاسني

كنت يومئذ مدرسا للغة العربية وآدابها في التجهيزية الاولى – وكانت فريدة – بدمشق وانا غرانق فى ميعة الصبا . كنت اكتب لطه حسين الشعلة الجديدة التي ارتفعت فى سمائي ، ولا اتلقى منه جوابا ، فعجبت لصلف ادبائنا العظام ، وذكرت له فى رسالة ضافية كيف ان « هنري روبير » نقيب المحامين فى باريس لعهده ، قد تلقى يوما رسالة عجلى من فتى معجب به وبآثاره ، واذا الفتى يتلقى جوابا اعجل ، يدعوه فيه سيد المحامين الى السمر عنده فى موعد مضروب ، فيقبل الفتى ، ويدخله الخدم الى بهو فسيح تعلقت الثريات فى سقفه ، حتى لج الزائر الشاب على مضيفه قاعدة مجلسه ، فى ردهة حافلة بجلة اهل الفكر والسياسة ودهاقين الادب .

وينهض « هنري روبير » فيمشي خطوات لتلقي زائره العزيز ، فيصافح يده بحرارة – كما نقول بلغة عصرنا – ويهزها هزا ثم يقدم اليه :

– الماريشال ليوتي ، مورو جيافيري النائب العام الاعظم ثم المحامي الاكبر ، نقولا سيفور صديق اناطول فرانس وكاتبه ، ثم طائفة من اهل القصة ورعاة الاقلام وافذاذ الصحافة الذين كانوا بحضرته يسمرون

حتى اذا انتهى السيد روبير من تقديم ضيفانه لزائره ، قال لهم بلهجة الجاد الفرح :

– صديقي السيد مارتان الذي كتب الي رسالة يبثني فيها اعجابه بي .

ولولا ثبات قلب ذلك الفتى فى تلك الغمرة الغامرة ، والبهرة الحافلة ، لاغمي عليه من الخجل والدهش ، ان كان الخجل والدهشة يسببان الاغماء مثل الفزع والخوف .. كتبت كل هذا ، ولم اتلق جوابا من طه حسين وكنت اقيد رسالاتي اليه بالبريد المسجل المضمون ..

وانشأت فى ذلك الحين مجلة الحديث الحلبية مسابقة كبرى موضوعها :

« من هو اديب العصر الافضل فى دنيا العرب المحدثين » ؟

بل : « من هو اكبر اديب عربي معاصر » ؟ .

فوجدتها سانحة وصرخت بيني وبين نفسي صرخة الاغريقي العالم ، ارخميدس :

– وجدتها ، « اوريكا » .

فادليت دلوي بين الدلاء – كما كان يقول العرب فى استعارات الجدود – وحبرت اوراقا كثرا بعد جهد ليال متتابعات ، فى تفضيل الدكتور طه حسين على ادباء العصر جميعا ، وبت انتظر حتى اعلنت لجنة التفضيل ان موضوعي هو الذي نال الجائزة ونشرت تلك المجلة دراستي لحياة طه حسين وآثاره التي كانت قد ظهرت يومذاك ، وكان ثاني الفائزين كاتب فضل العقاد . وكانت الجائزة ثمينة تجيء فى خمس ليرات ذهبية ، فلم تصل الي .

وضرب الدهر بيني وبين الجائزة حتى لقيني صاحبها الذي رصدها وهو الاقتصادي المشهور « سعيد الزعيم » رحمه الله ، فجعل يبارك فوزي ويسبغ التهنئة علي بجائزته وقد اعلمني مقدارها ، فدهشت وادهشته حين قلت له :

– لم اتسلم اية جائزة ..

ومن ذهابي بنفسي ، لم ارسل للدكتور طه

وكان منهم من يقوم بسائر اعمال سيده ويكفل له الانصراف الى حياة التسلية والفراغ والجدة ، بل كان من العبيد من يملكون بدورهم عبيدا ولأجل ان تتصور اهمية هؤلاء العبيد الاسياد يكفي ان نشير الى ان احدهم اشترى ستة عشر عبدا دفعة واحدة ، من بينهم طاهيان وثلاثة من الكتاب وطبيب ، وذلك ليصحبوه في رحلة هامة عقد العزم على القيام بها

ومع مرور الزمن نسي اصل كثيرين منهم واصبحوا اعضاء عاملين في المجتمع يتمتعون بحقوقه ويقومون بواجباتهم ، ومن بين هؤلاء العبيد اثنان من انبغ ادباء روما ، احدهما الكاتب الروائي تورنس الذي كان عبدا لاحد الشيوخ ، وثانيهما الشاعر هوراس الشهير

واذا كانت الكنيسة لم تدافع عنهم ، كما رأينا ، واذا كان التاريخ يكاد ينسى الدور الكبير الذي قاموا به على مدى القرون في تشييد صرح الحضارة الرومانية وتطعيمها والمحافظة عليها ، واذا كان الرومان قد ظلوا يعاملونهم بقسوتهم التقليدية دون ان يعترف لهم التاريخ بفضل كبير ، فان فيلسوفا وثنيا هو سينيكا كان الوحيد الذي اهاب بالرومان :

« تذكر ان ذلك الذي تدعوه عبدك ، ينتمي الى نفس المعدن الذي تنتمي اليه ، وتبتسم فوقه نفس السماوات وهو ايضا مثلك يتنفس ، ويحيا ، ويموت » .

ومرة اخرى : لا توجد امبراطورية تدين بالفضل للرقيق – بالرغم من امتهانها لهم – بمثل ما تدين لهم به الامبراطورية الرومانية

**الرباط – عبد المجيد بن جلون**

---

— حظ الادباء —

قال رجل لبرنادشو : « ان لي سبعة اولاد . منهم ستة يريدون ان يكونوا ادباء . والسابع يريد ان يكون صانعا

فقال برنادشو : « ولكن هل من العدل ان يصبح واحد من اولادك مكلفا باعالة اخوته الستة »

إفريقيا في مفترق الطرقين

# العدو رقم واحد

للأستاذ أحمد زياد

## (4)

**العـدو رقـم واحـد :**

ونعني به هذا البذخ المصطنع الذي تتفيأ ظلاله طبقة الاقلية في بعض البلاد الافريقيـة ان لم نقـل في اكثرها ، هذا البذخ الذي يبرز تناقضا غريبـا في حياة بلاد فتية ما تزال حديثة عهـد بالاستقـلال ، وتبرز في واجهتها العريضة ما يمكن ان يسمى بعدم الجدية ـ ان لم نقل الاستهتار ـ في كل تخطيط يرمي الى تحقيـق برامج النمو الاقتصادي الذي يكثـر الحديث عنـه في تلك البلاد ، وفي هذا الموضوع يعرض المسيو ديمونه لوحة في كتابه المشار اليه سابقا تبعث جوانبهـا على الكثير من الدهشة والاستغراب

ويقول المسيو ديمونـه وهو يتحدث عن البـلاد الافريقية التي كانت لها علاقة بفرنسا فيقول : « اننا نجد بها الان 15 حكومة وما يزيد على ـ 15 وزيرا ومئات من اعضاء الدواوين والالاف من البرلمانيين ، فالكابون مثلا الذي لا يتجاوز عدد سكانه 450 الف نسمة يتوفر على 65 عضوا في البرلمان اي بمعدل نائـب لكل ستة الاف شخص مقابل نائب لكل 100 الف شخص بفرنسا ، كما ان كل عضو في الديوان يستعمل سيارة رسمية ولا يتنقل الا في موكب رسمي محفوفا برجال الدراجات النارية ، وكثير منهم يحلم بحيـاة قصـر الايليـزي في حين ان الحفلات التي تنظـم على شرف روؤساء الدول تكلف مبالغ باهظة ، لا تتناسب مطلقا مع الوضعية الاجتماعيـة لهذه البلاد ، فهنالك رئيس مثلا يتمنى ان ينزل في قصره الصغير الذي يعد فيرساي في نظره ، فلم يكن له بد من ان يطلب السلف من الابناك السويسرية ، بل ان هناك من انفق اربعة مليارات قصد توسيع حديقة نزهته الامر الذي دعاه الى ان يستورد مئات الاطنان من الفسيفساء نقلت على متن الطائرة

ان عضو البرلمان في بعض البلاد الافريقية يعمل ثلاثة شهور في السنة ويتقاضـى كل شهـر ما بين مائـة وعشرين ومائة وخمسة وستين من الدولارات ،وهي نسبة تمثل ما يتقاضى البرلماني في شهـر ونصف اكثـر مما يحصل عليه الفلاح المتوسط خلال ثلاثين عاما من الكد والجد والمثابرة والمتاعب

ان بعض الوزراء والروؤساء يقومون بحفظ اموالهم لايام الشيخوخة في الابناك السويسرية ، اما زوجاتهم فيقمن بشراء المنازل الفخمة العصرية على شاطىء بحيرة ليمان للراحة والاستجمام »

هذا جانب من اللوحة التي عرضه المسيو ديمونه في كتابه « الانطلاقة الخاطئة لافريقيا » وهذا الجانب يصور امثلته الشاذة لما تعانيه الدول الافريقية من داء البذخ المصطنع الذي يبرز في خلاياه من المتناقضات التي تعيشها بعض الاقطـار الافريقيـة وتعانـي منهـا المجتمعات الصعوبات الجمة التي من شانها ان تزيـل طابع الجدية في معركة التخلف

فاي تخطيط للنمو لاقتصادي لا يمكن ان يتوفـر على حظوظ النجاح الا اذا كانـت الاستقامة والجديـة تنحدران في ثناياه من القاعدة الى القمة ، ولئن كانت الاساليب التقنية ذات الطابع المادي الصرف تتحكـم بدقتها الى حد بعيد في برامج التنمية،فان روح الاستقامة

حسين خبر هذا الفوز به . وما راعني وانا في غرفة التدريس الا المدير يبعث الي للقاء بعد الدرس، فخففت اليه واذا هو يسلمني رسالة من الدكتور طه حسين ، دفعها اليه الاستاذ عبد العزيز السيد وهو منطلق مع ركبه في السيارة الى العراق ليكون مدرسا في كلية الاداب ببغداد من قبل البعثة المصرية .

ففتحت الرسالة واذا هي بخط كاتبه فيها ثناء كبير على مقالي الفائز بتفضيله ، وكان مع الرسالة اول كتاب اهداه الي طه حسين وهو « الايام » وكان في جزئه الاول ، لم تخرج بعد الى الوجود اجزاؤه التالية .

ومنذ ذلك اليوم جعلت كتبه تفد الي نجوما بين السنين ، حتى بعثت لتحصيل الدكتوراة في الادب من الجامعة المصرية فسعيت اليه ، وجعل يأنس بي ويضفي علي التشجيع ، ومضى زمن ردني الى مصر ملحقا ثقافيا في سفارتنا السورية بالقاهرة ، فكنا نقيم المآدب فيها بمناسبة مواسمنا الوطنية والتزم زورة طه حسين واداري زوجته ، واسعى الى تكريمه واذا هي ذات مرة تقبل متهاوية لتختطف من يده كأسا من عصير الليمون جئته بها وتقول بعنف :

— كلا انه يتبع حمية . . . فجعل يقهقه ويعتذر .

وفي زورات متتالية كنت القاه في منزله وافرح بلقائه في سفارتنا بين حقولها الوارفة في حي الزمالك .

وقال لي قائده النابغ وامين سره على العمر الصديق الاستاذ فريد شحاته :

— تعال معنا حين ذهاب الدكتور ، فانه اهدى اليك مجموعة كتبه كلها ، وهو حدث لم يصنعه الا لقليل من خلصائه . .

فخففت ساعة توديعه ، وتلقيت رزما مغلقة، فلحق بي اديب ليشركني في توديعه ، وقال لي ما هذا؟ فقلت له في حذر :

— انها مخطوطات استعيرها من مكتبة العميد . .

وجعل من يزورني في منزلي ينظر فيها ، وفي اهداءاتها المبصومة بخاتم الدكتور اذ كنت عرضتها في خزانة ضاحية بحجرة الضيوف ، ومر زمن وهي في رف متوسط خاص بها وليس عليها من رتاج ، واذا بي اطلب يوما بعضها فلا اجده ، ويصير بي التحقيق الى ان الفتيان ربما زارونا من عشاق الادب ، فجعلت ايديهم تمتد الى كتب الدكتور وحدها وتذهب بها ، حال غيابنا في تحضير القهوة لهم ، او الخروج فجأة لسبب مطلوب ، وقد حدثت بهذا الدكتور ، فجعل يضحك ، وقال :

— جزاؤك الا تهدى من كتبي بعد اليوم .

وجئته منذ سنوات وانا على اهبة الطبعة الاولى لكتابي « المتنبي » (*) فسألني في جمع من الزائرين من الديار الشامية جئت بهم اليه :

— ماذا تصنع الآن . . . ؟

— الفت كتابا في « المتنبي » وسيصدر في طبعات دار المعارف بمصر وذكرتك فيه كثيرا . .

وهاهنا تحرك الدكتور العميد في مجلسه وكان فيه ساكنا لايريم عن قعود ، وقال مخاطبا :

— انني لألوم صاحبك ابا الطيب . .
— وفيما يا سيدي الدكتور المعلم . .؟
— لانه تنكر اواخر عمره للعرب .
— وكيف يكون منه ذلك وهو امام الداعين الى العروبة ومجد العرب وجمع كلامهم وعهودهم ؟

— بامتداحه الفرس .

فهششت ، وجعلتني ابعث في نفسه الحماسة لهذا الموضوع واذا هو يعاجل في قوله لي :

— اخرج كتابك ، وسأنقدك .

فزادت هشاشتي وفرحت ، وقلت له :

— بابي انت وامي ، هذه بغيتي التي احب ان اراها بعد اعجابك بكتابي الاول « النواسي شاعر من عبقر ، سنة 1939 » .

فقال وهو يبتسم ثم يضحك ضحكة عريضة كضحكاته المعهودة :

— تفتأ ، يامحاسني ، تقول على لغة العرب الاقدمين : « بأبي انت وامي » .

فجعلت اكررها له بنفس بهجة وقلب ممتلىء بحبه ولسان يدعو له بالعمر المديد .

**دمشق — الدكتور زكي المحاسني**

(*) تقوم الآن دار المعارف بالقاهرة بطبع كتاب « المتنبي » للدكتور زكي المحاسني الطبعة الثالثة في خمسة آلاف نسخة « دعوة الحق » .

4 — ان تفتح الاسواق الافريقية للبضائع الافريقية مع التوسع في عقد الاتفاقات التجارية والملاحية والسياحية

5 — ان تبدأ اجهزة الاعلام الافريقية حملات منظمة تستهدف التوعية باهمية الوحدة الافريقية وذلك باساليب خالية من كل ديماغوجية ومركزة على قواعد علمية متينة .

تلك هي الاسس والوسائل التي يمكن ان تقوم على قواعدها وحدة افريقية تتحدث بلغة العصر وتكيف باساليبه وتتسلح باسلحته في معركة تنازع البقاء .

لقد وقع العديد من المحاولات لتحقيق الوحدة الافريقية سواء على مستوى الوقائع الاقليمية او على مستوى القارة . كما ان هذه المحاولات قد اتخذت اشكالا مختلفة بعضها اقتصادي صرف وبعضها سياسي صرف بينما البعض الاخر منها اتخذ الشعارين معا . الا ان ما وقع من محاولات لحد الان لم يكتب له النجاح الكلي ولا حتى الجزئي في بعض الحالات . بل ان بعض العراقيل التي تعرضت لها تلك المحاولات لتبعث على الحسرة والمرارة . فلا المؤسسات الاقتصادية على اختلاف اسمائها ولا منظمة الوحدة الافريقية لمختلف فروعها استطاعت ان تقتحم الطريق في اتجاه الوحدة الافريقية او تبعث على الامل القوي في الوصول الى بلورتها . وما تزال عبارات اللوم والعتاب في تبادل مستمر فيما بين الدول الافريقية بخصوص هذه القضية .

والواقع ان انعدام الواقعية والانسياق والعاطفة الجامحة والارتجال في اتخاذ المواقف وفقدان الجدية المستمرة كلها ، تعد اسبابا فيما تعرضت وتتعرض له منظمة الوحدة الافريقية من تضارب وخلل وارتجال ، وان كل محاولة ترمي الى اخفاء هذه الحقائق فانما هي محاولة لا تعدو ان تكون تسترا بالغربال تفاديا لحرارة الشمس ، وكانت النتيجة الحتمية لنقط الضعف هذه هي ما يتوالى امامنا من مشاهد مؤسفة في بعض الاجزاء من القارة الافريقية التي يتعرض البعض منها الى انقلابات متوالية يشد بعضها بتلابيب البعض .

ان لغة هذا العصر هي اللغة الاقتصادية ، فلقد اصبحت قوة العملة الوطنية تفوق قوة الجيش والمعدات العسكرية ، وقوة العملة لا تاتى الا بعنصر واحد لا شريك له ، ونعني به الانتاج وتعدده وتنوعه وجودته وبساطته . وان تجربة اليابان ليمكن ان تكون قدوة حسنة للدول الافريقية . كما ان جدية اليابان يصح لها ان تكون مثالا يحتذى في اكتساب لغة العصر واتقانها .

واذا كانت جوانب الاوضاع الاجتماعية في البلدان الافريقية غير متقاربة في بعض الاجزاء فان النجاح في رفع مستوى البعض من تلك الاوضاع سيكون عنصرا من اقوى العوامل التي تساعد على تقريب شقة ذلك التباعد ثم القضاء عليه فيما بعد ذلك

## « التنازع في العمل »

منذ ان استقلت البلاد الافريقية وهي تتعرض لعمليات التنازع في العمل من جراء الحرب الباردة القائمة فيما بين مختلف المعسكرات المتنازعة .

فكل معسكر يريد ان يكسب لنفسه تاثيرا على بعض بلدان القارة ، فما يسمى بالبلاد الافرانكوفيلية ، يتبع البعض منها سبيلا يسعى الى الابقاء على « تقاليده » القديمة مع شيء من التكييف الذي يلائم عهد الاستقلال بينما البلاد الانجلوفيلية تسعى هي الاخرى الى سلوك طريق تبدو خطوطه العريضة في حظيرة الكومنويلت ، في حين ان دول المغرب العربي تقف معظمها موقفا يغاير الطرفين

وتبدو مشاهد التنازع في العمل الذي تقوم به الدول الكبرى على اختلاف أيديولوجيتها في تفاعل وصراع مستمرين

واذا كانت الفاقة والاحتياج الناتج عن الضعف الذي ما يزال يعاني منه الانتاج في الدول النامية ما يعانيه . يفرضان اللجوء احيانا الى هذا الفريق او ذاك من الاطراف المتنازعة ، فان خطة التحري الدقيق سواء في الاخذ او العطاء هي السواء السبيل لسلوك سبيل سليم العواقب . وذلك بالرغم عما قد يحيط بذلك من صعوبات فالتبعية العمياء هي التي من شانها ان تزج بالدول النامية في مازق يبدو مغلق المنافذ عليها في بعض الاحيان .

والبلاد الافريقية اذا كانت تسعى لكي لا تضع نفسها في عزلة تامة ، فلا ينبغي ان تكون الى جانب ذلك مادة اولية في مظاهر الحرب الباردة .

والجدية تعد هي الاخرى الجو المناسب لتلك البرامج، ومتى اخل بشرط من هذين الشرطين - فبالاحرى كليهما - فان برامج التنمية لا يعدو ان تكون مجرد مسكن ينطوي مفعوله على الكثير من الغش والتضليل وذلك تكون عاقبته الفشل والخسران المبين ، وكثير من الامثلة التي يمكن ان تقدم كنماذج بمثل هذه الحالة الا اننا نوثر التنويه على التصريح .

## الوحدة الافريقية :

ان كلمة الوحدة الافريقية تعتبر خفيفة على اللسان بيد انها ثقيلة في الميزان ذلك لان الوحدة لم تعد في عصرنا الحاضر مجرد شعارات ، ولا يكفي ان تكون مجرد شعارات ، واذا كان النعر الموزون وغير الموزون يقيم بنيانها في قصائد خصيبة الخيال رتيبة النغم رنينة الموسيقى فان بنيانها بالمواد العلمية والتقنية يختلف عن ذلك بكثير ويبتعد عن ذلك بكثير ايضا

فمفاهيم العصر والعلم اصبحت تحتم ان يطرق امر الوحدة من ابوابه وليعتبر باب الاقتصاد هو الباب الموصل الى ابهاء وحدة افريقية حقيقية لان وحدة المشاعر هي وان كانت توخذ بعين الاعتبار فانها في حاجة الى تعزيز مادي ملموس يبرزها ويبلورها في الاطار الواقعي

فافريقيا ما تزال قارة مستوردة فهي في ميدان النسيج تستورد كل سنة ما يعادل 900 مليون من الدولارات وفي ميدان القمح تستورد ما يعادل 160 مليون من الدولارات ، وفي ميدان اللحوم تستورد ما يتراوح ما بين 60،50 مليون ، كما انها تستورد ما يساوي عشرين مليون من الحيتان ، و 13 مليون من الفواكه . و 30 مليون من الخضروات

ولن تكون افريقيا قوية الا اذا اصبحت منتجة او على الاقل يتوازن ما تستورده مع ما تصدره ، وفي اطار الوحدة يمكن تحقيق هذه الغاية

ثم ان النمو الاقتصادي قبل ذلك وبعد ذلك ، ينبغي ان يصدر عن فكر ناضج في تفاعله ، واع كل الوعي في مسوولياته ، وتكون الجدية من اولى مميزاته ، ومن ابرز صفاته وخصائصه ان كل سطحية في التفكير الذي تضع تصاميم التخطيط ، وكل « عنترية» في التنفيذ ، انما يكونان حالة من حالات التجارب الفاشلة التي يعالج فيها الفشل احيانا بما هو افشل منه .

انه قد يكون من الصعب على قارة واسعة كافريقيا تضم 230 مليون نسمة يتكلمون لغات متعددة ويدينون بديانات مختلفة وينخفض مستوى دخل الفرد منهم في المتوسط عن 80 دولار في السنة . قد يكون من الصعب ان تقوم مع هذه الحالة وحدة افريقية شاملة ولكن هذه العقبة لن تكون حائلا فيما بين الافارقة وارادة في تحقيق هذه الوحدة ، بيد ان الذي يسهل الصعوبات هو الاتفاق على اسس هذه الوحدة واساليبها ، وعلى ضوء التجاريب الماضية والحاضرة يمكن تلخيص اسس الوحدة في النقط التالية :

1 - تصفية الاستعمار والتخلص من اثاره والقضاء على التمييز العنصري

2 - التضامن على اساس التكافؤ وعدم التدخل في الشؤون الداخلية .

3 - تحقيق التقدم في المجالات المختلفة على اساس التكامل بين المشروعات والتعاون في التخطيط .

4 - اتخاذ موقف يحمي المصالح الافريقية والمنتوجات الافريقية بمزيد من القدرة على المساومة وادخال تعديل على شروط الاعانات الاجنبية

5 - صيانة السلام والابتعاد بالقارة عن النزاع بين الكتل المتضاربة

هذه هي الاسس ، اما الاساليب فيمكن تلخيصها في النقط الاتية :

1 - ان تعيد بعض الدول الافريقية المرتبطة بالسياسة الاجنبية النظر في الاستقلال عن مناطق النفوذ الاجنبي وان تراعي في علاقاتها الاقتصادية عدم الاضرار بمصالح شقيقاتها الافريقية .

2 - بذل المحاولات لدمج المنظمات الاقتصادية وتقويتها حتى تصبح قادرة على التخلص من سيطرة الاقتصاد الاجنبي

3 - ان تفتح ابواب البلدان الافريقية للاستثمار المتبادل والاستثمار المشترك في المشروعات الضخمة التي لا تستطيع دولة وحدها ان تقوم بها .

# تراثنا القصصي

للأستاذ محمد الأمري

هناك حقيقة لامراء فيها ، وهي وجود تراث قصصي عربي ، يرجع بعضه الى ما قبل الاسلام ، بينما يرجع البعض الاخر الى مختلف العصور الاسلامية ، فهناك قصص البطولات الممثلة في ايام العرب ، وسيرة عنترة ، وسيف ابن ذي يزن ، وابي زيد الهلالي وغيرها ، وهناك القصص الديني الممثل في قصص الانبياء ، والغزوات الى غير ذلك ، وهناك القصص الغرامي العذري الذي تندرج تحته سيرة عنترة وقصة حبه لعبلة وقيس وليلى وقيس ولبنى بينما يشمل النوع الاباحي ، اخبار امريء القيس ، والنابغة الذبياني ، وعمر بن ابي ربيعة ، وثمت ايضا القصص الاخباري او الاجتماعي الذي تحفل به « الف ليلة وليلة » و « الاغاني » للاصفهاني و « البخلاء » و « الحيوان » للجاحظ

على ان الذي يثير الانتباه عدم انتساب قسط وافر من هذه القصص الى مؤلف بعينه ، على عكس ما هو معروف بالنسبة لفنون الادب الاخرى ، وصحيح اننا نعلم اسماء بعض الرواة او المترجمين او الجامعين من مثل عبد الله ابن المقفع ، ناقل « كليلة ودمنة » من الفارسية الى العربية ، ومثل ابن عربشاه الذي اعتمد في كتابه « فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء » على كتاب « مرزبان نامه » وسيرة عنترة التي يعزى تدوينها الى الاصمعي ، ثم يوسف بن اسماعيل المصري فيما بعد بايعاز من الخليفة الفاطمي العزيز بالله . اما المؤلفون الحقيقيون لتلك القصص والحكايات فنحن نجهلهم تمام الجهل ، ولا نعرف عنهم اي شيء ، ويبدو انها قصص شعبية تناقلتها الرواة ، وحكوها في ليالي السمر، في الخيام او الشوارع والساحات العامة ، وخارج اسوار المدن في العشايا والليالي المقمرة ، وفي المساجد كذلك بالنسبة للقصص الديني وغالبا ما كانت تدخلها تحويرات وتضاف اليها اضافات على مر الازمان الى ان تم تدوينها على عهد العباسيين والفاطميين .

على ان الامر يختلف بالنسبة للقصص اللغوي مثلما يختلف بالنسبة للقصص الفلسفي ، حيث لا نعدم اسماء ترتبط بكل النوعين من القصص وبديهي ان تتبادر الى اذهاننا فيما يتصل بالنوع الاول اسماء كبديع الزمان الهمذاني والحريري بينما نعرف اسماء ترتبط بالنوع الثاني ، كابي العلاء المعري في « رسالة الغفران » وابن شهيد الاندلسي في « التوابع والزوابع » وابن الهبارية في « الصادح والباغم » وابن الطفيل في « حي ابن يقظان »

وعلى الرغم مما قيل عن المقامات فانها فن عربي ذو صبغة قصصية ، له اصوله وقواعده الخاصة به . فالراوي مثلا واحد في جميع المقامات ، وهو عيسى بن هشام عند الهمذاني ، والحارث بن همام عند الحريري، وكذلك الامر بالنسبة للبطل وهو ابو الفتح الاسكندري عند الاول ، وابو زيد السروجي عند الثاني ، والامر كذلك على الرغم من تعدد مواضيع المقامات التي قد تكون مغامرة ، او نادرة ، او لغزا لغويا ، او برهانا نحويا ، او ملحة ادبية ، وظاهر انها تمتاز بعناية فائقة بالاسلوب لدرجة خيل لكثيرين معها انه الغاية الاولى. من هذا النوع من الادب الذي يستنكفون عن ادراجه في

ان عواقب الحرب الباردة شكلت وتشكل عواقب في سبيل اقرار السلام في جو يتميز بالصفاء في سبيل توفر الطمانينة والاستقرار لدى الدول النامية التي ما تزال تبحث عن نفسها وسط خضم هائل من التيارات المتعارضة والنظريات المتضاربة .

وازاء هذا الوضع الذي اصبح شرا لا بد منه فان هنالك وسيلة واحدة لتلافي شراراته ، وهي تتلخص في سلوك سياسة مستقلة تفرض نفسها عن طريق تضامن محكم متين فيما بين مختلف الدول النامية تبنى اولا وقبل كل شيء على الحفاظ على المصالح . لا على الانسياق مع الايديولوجيات المتعارضة التي اصبح تعارضها يشكل نوعا من الكماليات وهواية من الهوايات .

وقد تبدو عوامل هذا التضامن في مظهر صعب ، بيد ان تكاثر الدول المنضامنة يمكن ان يخفف من تلك الصعوبة ليفرض نفسه فرضا فيما بعد ذلك

ولقد عودتنا مختلف المشاهد والمواقف التي تشخص ادوار «التنازع في العمل» ان «طعم» الاعانات على اختلاف اشكالها واصنافها هو الذي يضعه الصيادون لقنص ما يمكن قنصه ، وتجد بعض الدول النامية نفسها وبحكم اوضاعها في حالة اضطرار لا تجد معها محيدا من الاقتراب الى ذلك « الطعم » فيقع اصطيادها

انها حالة واقعية لا يمكن اغفالها او التغافل عنها ، بيد ان مواقف متضامنة تظهر بها الدول النامية في شكل لا يعتريه بتر ولا انقطاع تستطيع ان تغير من عقلية الصيادين فتحول حالة الاصطياد الى حالة من التعاون الذي يلائم فيما بين المنفعة من جهة ، وشيء ولو قليل من احترام مواقف الغير

ولكي تستطيع الدول النامية ان تتفادى هذا التنازع في العمل الذي تعاني من امره الامرين فانه يحسن ان تقدم كل الاعانات من طرف الدول الصناعية الى الدول النامية عن طريق الامم المتحدة . حتى لا تكون هذه الاعانات وهي تتخذ شكل الرشوة في البعض من صورها، او بعبارة اكثر مرونة حتى لا تظل الشروط التي تتخذ شكلا من اشكال التبعية والتاثير تتحكم في مبدا تقديم تلك المساعدات ، وليس معنى هذا ان الدول النامية ينبغي ان تحيط نفسها بظروف انعزالية . وانما الذي نعنيه ونكرره هو ان تكون حرة في الاختيار والا تفرض عليها المواقف في مقابل الاعانات

والخلاصة ان البلاد النامية والافريقية منها توجد كما قلنا في مطلع هذه السلسلة بين طريقين : احدهما يؤدي الى الاستقرار ، والثاني يفضي بها الى ما يعانيه البعض منها من قلاقل ناتجة . اما عن ارتجال او سوء تصرف او انحراف ، وكل من الارتجال وسوء التصرف يؤديان الى الاسباب والعواقب التي اشرنا الى ما استطعنا ان نشير اليه منها « حتى لا تنقلب نعمة الاستقلال الى جحود وعقوق

**الرباط — احمد زياد**

كان للعرب شعر ، ولكن على طريقتهم الخاصة . وكان لهم فن معماري على طريقتهم الخاصة . وكان لهم كذلك قصص ولكن على طريقتهم الخاصة ايضا . ويوم ان احتكت الامم بالامم . وطويت المسافات وحصل بينها احتكاك . بصرف النظر عن اهداف هذا الاحتكاك ودواعيه . كان من الطبيعي ان تستفيد الامم المتأخرة من بعض الكشوف العلمية على اختلافها مما ربطت به الامم المتحضرة حلقات التسلسل الحضاري الذي ساهمت في بنائه دول مختلفة ، وكان من الطبيعي كذلك ان تتأثر او تحاول التاثر بها في ميدان الادب والفن كذلك ، وقدر لنا نحن العرب ان نكون من هؤلاء المتأثرين او الذين يحاولون التاثر ، فشعرنا بحاجتنا الى رواية مسرحية ، واوجدناها ، وحلا لبعض شعرائنا ان يتركوا العمود القديم ، واصبح لنا قصاصون يجيدون كتابة القصة ، طويلة كانت او قصيرة ، واصبحنا نستفيد من النظريات النقدية ومختلف المفاهيم في مختلف انتاجاتنا الادبية ، وما من ضير في ذلك ، بل انه نتيجة حتمية للاحتكاك والتطور والتمثل .

**الرباط ــ محمد الامــري**

— من الجنــة او من النــار ؟ —

قرا شخص في احــدى الصحف نبأ وفاته ، فامسـك بالتليفون ، واتصـل بصديق له قائلا : هل اطلعت على الخبر المنشور اليوم عني . . . ؟

فاجابه الصديق : نعم ، من اي مكان تكلمني . ؟ من الجنة ام النار ؟ »

عداد القصة ، وواضح ايضا ان عنصري التشرد والاحتيال اساسيان فيها كذلك .

على اننا لسنا ندري سببا وجيها لعدم ادماج المقامة في الفن القصصي . وليس من المنطق مطلقا اخضاع نتاجات ادبية قديمة لمقاييس ومفاهيم نقدية جديدة ، وقد سبق ان وقفنا (1) على مختلف التطورات التي قطعتها الرواية والقصة الاوربية التي لم تعرف الجمود والتقيد بمختلف المقاييس مما يسمى احيانا اسس الرواية او القصة ، وقد راينا كيف كانت تقوض هذه وتلك . ولسنا نرى هذا الذي يذهب هذا المذهب الا كالذي يمكن ان يزعم عدم وجود شعر عربي بحجة ان هذا الذي عند العرب لا يخضع لأسس بناء الشعر الاوربي او لا يجري على نسقه او كما ان الشعر العربي موجود وله اصالة ، ويتفق والروح العربي والكيان العربي كذلك ، فان مثل ذلك يقال عن القصة العربية وضمنها المقامة ، ذلك ان القصة لازمة للانسان اينما وجد الانسان ، لزوم الشعر والغناء له اينما كان ، يمني بها نفسه . ويخفف بها من وطأة الحياة والطبيعة عليه، فكان يأتنس بها ، ويقطع بها وحشة الليالي الداجية ، واوقات فراغه العريضة . انها كانت له بمثابة المسارح والمقاهي ودور العرض والملاهي والعرب كغيرهم من الامم انشأوها انشاءا ، وترجموها او اقتبسوها ، ثم صبغوها بصبغتهم الخاصة ، وكانت لهم التقاءات مع غيرهم من الشعوب ومنها الاوربية في كثير من الجوانب ، وكانت لهم اختلافات مع هؤلاء واولئك في البعض الاخر ، مثلما هو حاصل تماما في الاختلاف الموجود في مضمار الشعر والفن المعماري ، وكل ذلك لا ينفي عنها سمة القصة ، والا لصح ان يقال : ليس للعرب فن لانهم كانوا لا يعتمدون على الصور والرسوم وابداع التماثيل يعيبون على التراث القصصي عند العرب انه تعوزه الحبكة الفنية ويعتمد على السرد الساذج البسيط، كما يعتمد في غالبه على الرواية اي ( العنعنة ) في اصطلاح علماء الحديث ، وهذا يحملنا على التساؤل : هل توفرت القصة عند الشعوب الاخرى على الحبكة الفنية منذ نشأتها ؟ وهل كانت تتوفر منذ البداية على سبر الاغوار الانسانية دون الاعتماد على الخوارق والمغيبات كما يعاب على القصة العربية ؟ وهل احتفظت بسمات خاصة لأمد طويل ؟ ذلك ما لا يذهب اليه احد ، وصحيح ان السرد الواضح البسيط او المستقيم ان صح التعبير من سمات القصة العربية ، ولعل ذلك يرجع الى عوامل عدة : منها تحرر العربي من المركبات والعقد ، والتزام الصراحة ، وعدم اللجوء الى الغموض والاجترار . وصحيح كذلك ان القصة العربية تعتمد في معظمها على الرواية اي ( العنعنة ) ، ذلك انها ظاهرة لازمت العربي منذ اقدم العصور ، رواية الشعر ، ورواية الخطبة ، ورواية الخبر والمثل ، حفاظا على نسبة كل منها الى مصدره عن طريق رواة معروفين . اضيف الى ذلك فيما بعد ، ما اتسم به علماء الحديث من تشديد في الرواية ، صونا للحديث الشريف وحفاظا عليه من التزوير والاختلاق والوضع . فكان من الطبيعي اذن ان تعتمد القصة هي الاخرى على الرواية ، بالنظر الى ما كان لها من اهمية كما ذكر سابقا الا ان اعتمادها هنا واضح ، انه من الناحية الشكلية في الغالب

ويعيبون على المقامة انها تعنى بالاسلوب ، وما العيب في ذلك ؟ بل اننا نرى ان الامر كان طبيعيا ، فمقابل القصص الشعبي الذي يمتاز بالبساطة وسهولة الاسلوب ، كان لا بد ان ينشأ نوع من القصص يعنى غاية العناية بالاسلوب ، يرضي الخاصة ، ويستجيب لمقتضيات التطور الذي قطعه النثر الفني ، ومن يدري انها كانت تهدف في نفس الوقت الى رفع مستوى العامة، فقد كانت تلقى بالمساجد ، ولم تكن المساجد وقفا على الخاصة دون العامة . الا ترى ان القصص الفلسفي نفسه كان يهدف الى تقريب بعض الاراء والتأملات الفلسفية من اذهان العامة (2) ، فالمقامات اذن قصص بصرف النظر عن غاياتها واهدافها ، وبالرغم من ان اصحابها لم يسموها بذلك ، ومثل ذلك سنقوله في مقال تال عن القصص الفلسفي عند العرب

---

1 ) مقال « في ميدان القصة » (دعوة الحق) السنة الثامنة ، العدد الثامن .

2 ) سنعرض الى ذلك في مقال خاص عن « القصةوالفلسفة الاسلامية » .

خلال نصائح « هملت » للممثلين ، ان الفواجع لاتفهم في عقدتها وعمقها الا على خشبة المسرح ، وهذا التصوير الدرامي لانستطيع ادراكه دون مراعاة المقاييس المسرحية التي تيسر البحث امامنا . لذا فما علينا الا ان نشير الى انه اذا كان المسرح الشكسبيري خاضعا لمقاييس خاصة به ، فان المسرح الاغريقي له كذلك مقاييسه ، وكذا مسرح النهضة الايطالية، ومسرحيات القرن الثامن عشر وما كتب في ايامنا هذه ، اذ لايطالب بهذه المقاييس الا المؤلف الهزيل لانها لاتخص جانب المسرح فقط بل تشمل جميع الفنون .

ان شكسبير قد جرب فن الاداء المسرحي ، وهذا ما حفزه الى الابتعاد عن كل محاولة تجعله ينقل في صورة تاريخية حية جميع الانفعالات التي كان يحشد بها مشاهده ؛ لذا يئس عشاق التاريخ في بحثهم عن فوائد المجتمعات والازمنة التي تتحدث عنها مسرحياته ، وتيقنوا ان عمله كان يقتصر على طرح مجرى نوبة الانفعال باتباع منهج سطحي لاغير ، يمكنه من ترتيب الاحداث والمشاهد وتصنيف الكلمات باعتبارها مقاييس نظرية . فهذه الطريقة التي يتوخاها شكسبير تفرض في الوقت نفسه ان تتدفق الحقيقة الدرامية للانفعالات ، طبقا لقوانين مخالفة للواقع يصعب الوقوف عليها أو دراستها في حركات الابطال؛ لانه مهما كان هؤلاء يتنقلون فوق الخشبة أو يعبرون عن احساسات وافكار لها اتصال بعلم النفس ، فانهم ليسوا سوى مخلوقات مبتدعة تتلون بمحض الدراما المسرحية لا بمحض الحياة التي تنطق بمعالم وجودهم. وعليه فان شكسبير كان عوض أن ينغمس في جزئيات علم النفس ، يسلط ريشته كفنان على ابطاله في جل ما يصدر منهم ، مما جعل سيكلوجيته في منتهى البساطة حيث الاشخاص ينقسمون الى اخيار واشرار، منهم من يجري وراء الخير او الشر بدافع الفضيلة ، ومنهم من يقترف الجرائم وان كان يراها تخالف القيم الخلقية ؛ وربما اضطر بعضهم الى الفتك بقريبه وفي قرارة نفسه أنه قام بعمل فاضل . لذا فالطباع الشكسبيرية اذا لم تنفصم بحكم الحادث الذي يقودها ، فانها ترتبط دائما فيما بينها ، وتجعل من المستحيل دراستها متجزئة . ومن هناك فان دراستنا السيكلوجية للابطال لابد وأن تعرض كل واحد منهم في مرحلة معينة ، لان البطل المسرحي لاشيء سوى ما يقوم به او ما يتلقاه، «فهملت» مثلا لم يقم بادنى حركة وانما كان منشغلا بحقائق مطلقة وبمشاكل ميتافزيقية؛ والشخص المنفعل يتمظهر اما بحركاته « كبرتوس » عندما اودى بحياة « يوليوس قيصر » ، أو بتعلقه بشخص ثاني « كأنطوان » عندما داهمه حب « كيلوبترا » ، و « عطيل » الذي انقاد لكلام « باجو » . فحالة هذا الشخص المنفعل في شقائه او سعادته لا تجلو فيما هو عليه بل فيما يقوم به . ولذا فان هذه الحالات تغدو ، كما نرى ، غريبة عن حياتنا المشتركة حيث مفهوم السعادة عند البعض يتلخص في عدم القيام بشيء ، والحياة عند الكثير شيء زري لا يدعو الى القيام بادنى مبادرة ...

والآن وبعد ان قدمنا تعريفا للشخص المنفعل يلزمنا ان نتعرف عليه في كليته ، ونتطلع الى الظروف والاسباب التي تجعله فريسة الانفعالات . وهنا نتسرع الى القول ان شكسبير كانت لديه نظرة خاصة بالانفعال ، لان ابطال مسرحياته الذين يرتكبون الفظائع هم في حقيقة الخيال المسرحي نماذج بشرية لها أصل نبيل وحكمة سامية وبصيرة ثاقبة وشجاعة فائقة . فبرتوس يقوم بجريمته باسم الحكمة ، وكورنيان ، وان كان يتشبث بالفضائل ، يحمل في نفسه كل الحقد والكراهية لاشباهه من الناس . أما انطوان الجندي الباسل فان حبه الشديد لكليوباترة أنساه واجباته وقوض عزيمته الصلبة . والامثلة في ذلك كثيرة ، على اننا لو تمادينا في التحليل أدركنا ان هذا البطل المنفعل كان يملك السعادة الشاملة في المرحلة الاولى لما يقوم به من اعمال شريفة ، لكن سعادته تصبح مرتعا للشقاء . فهذا عطيل يكسب ثقة حكومة البندقية لبلائه في الحروب ويستحوذ على قلب ديد مونة بميزاته وبما وصلها من اخباره الحربية . بيد ان هذا الحب اللامتوفع يكون سببا في مصيبته لانه سوف ينسيه ماضيه المجيد ، ويلقي به في قبضة الحساد . كذلك « مكبث » القائد المنتصر والمخلص لواجبه ، يدفعه طموحه الى تسلق الدرجات العليا، ويضمن له تاج الملوك ثم يجعله غائصا في جرائم شتى.

اذن ، من خلال تولد الانفعالات نلاحظ أن الكارثة في كل مسرحية أساسها زلات لا تصدر بمحض ارادة اصحابها ، وان كانوا يرتكبونها مبدئيا في سبيل هدف خيري . ففي الملهاة مثلا نرى ان شرذمة الارستقراطيين في مسرحية « آلام الحب الضائع » يتوقون الى التحصيل العلمي معتزلين عن الحياة حتى لاتغريهم مفاتن المرأة التي يرون فيها حاجزا لبلوغ المعارف . الا ان طموحهم المنفعل يكون مآله الفشل، وبما أن الموضوع هزلي فانهم لم يضيعوا شيئا لانه

# شكسبير والانفعالات النفسية

بقلم فرانسوا كارير

تقديم وتلخيص الأستاذ حسن المنيعي

عندما سئل الاستاذ اندريه موروا عن شكسبير اجاب قائلا : « ان شكسبير لن يشيخ أو ينطفىء نوره ، لانه تمكن من معرفة خبايا النفوس ، وصور كل العواطف الانسانية ، ويستطيع كل فرد أن يجد نفسه منعكسة أو متالقة فى ثنايا أبطاله .. وفى هذه اللحظة بالذات يوجد فى كل عاصمة طالب هامليتي يحيا ويكابد انواع الالم ، بل فى كل يوم يقتل عطيل «ديدمونة» وتقطر اعمدة الجرائد بذكر جريمة قام بها عاشق ولهان .. وانا شخصيا كم تعرفت على الملك « لير » وبناته الممسوخات فى اكثر من عائلة بورجوازية . »

كذلك كان جواب الاديب الفرنسي ، وهو يعطي دليلا قاطعا على أن « وليم شكسبير » لا زال يقيم بيننا ، يخوض النقاد والمفكرون فى ثنايا مسرحه ، دون الوصول الى تأويل موحد . فمنهم من يراه قصير الابعاد ، وسجلا تاريخيا لاتتعدى حدوده نطاق العصر الاليزابيتي ؛ ومنهم من يلمس فى عالمه كل التمزق الوجودي ويجعله علما من اعلام العصر الحديث ، له قرابة بسارتر وكامو ، وكافكا ، ويونسكو ، وبرخته وتنير عقدته الروائية دراسة آثار كل هؤلاء . في حين نجد كذلك من يعتقد ان مسرحه يتسم بايديولوجيات عديدة كالاشتراكية مثلا التي قيل ان البعض وجد لها ارهاصات فى مسرحيته «سورتوماس مور» وان كانت المسرحية هذه مثار نقاش عنيف ومجرد مشروع ساهم فى كتابته العملاق الدرامي شكسبير الى جانب جماعة من معاصريه .

ومهما كان الامر فالظاهر أن الرجل اصبح محط الدراسات المتينة اذ فى كل يوم تطلع علينا ترجمات حديثة لمسرحه تقتحم جماهير عديدة ، واقتباسات فنية تعيد لكل اثر قيمته الادبية الحقيقية . وحسبي ان أقدم فى هذا المجال ملخصا لاحدى الدراسات التي التي قام بها الاستاذ فرنسوا كارير (F. Carrère) وعمل على نشرها بالتتابع فى حوليات كلية الآداب لمدينة (Aix-en-Provence) ساعيا من وراء ذلك الى الغوص فى أعماق المسرح الشكسبيري المليء بالخصوبة والتشعب والوقوف على جانب الصراع النفسي عند الابطال والمولد لانفعالاتهم . يقول الاستاذ :

« ... ان مسالة طرح الانفعالات فى المسرح الشكسبيري ترغمنا فى البداية على مواجهة مشكل شائك ينحصر فى التطلع الى خصائص مسرح شكسبير ومدى حقيقته ، فاذا اخذنا بعين الاعتبار ما فاه به مشاهير النقاد منذ القرن الثامن عشر ، اثبتنا ان ابطال شكسبير يشبهون سائر المخلوقات فى واقعيتهم ومعترك حياتهم . وقد نمس بهم كما يقول « بوب » « Pope » اذا نحن اعتبرناهم نسخة من الواقع ، لانهم الطبيعة ذاتها . على انه مهما تعددت الاقوال، فاننا نتسرع الى تقرير شيء صريح وهو أن نوبات الانفعال التي تستولي على اشخاص مسرحيات شكسبير لا تشبه فى شيء ما ندركه فى واقع الحياة من احوال نفسية شبيهة بما يضطرم فى اعماق هؤلاء الاشخاص ، لان التاريخ الدرامي وان كان يرتكز عند شكسبير على قاعدة منتزعة من الواقع ، فانه عندما يمسرح يصبح خاليا من كل اثر له صلة بالواقع. وحتى شكسبير نفسه لاينسى أن أساس الانفعال هو بالنسبة للمتفرجين محدود فى سلسلة من الصراخ الصامت ، او التنهدات ، والمنلوجات الداخلية الخالية من القوة المقنعة ؛ وهو يعرف ايضا كما نرى ذلك من

ثم يركن به الى سلبية ممقوتة تجرده من خصاله النبيلة التي تعــوزه ، وتخونه انذاك ، كما تتاخر في مساعدته اثنـــاء الشـــدة .

هذا الفعل الدرامي اذن لا وجود له في حياتنـــا اليومية لانه مهما كان هدفه نبيلا نحو الغير ، فانـــه لايعرف غير الدمار الذي نمليه الفضيلة التـــي كـــانت سبب حدوثه . وهو ينجلي في جل اثـــار شكسبيـــر وكانه حصيلة دوامة الانفعالات أو كما يقـــول هملت: « انه يفقد اسم فعل » . ومتى انعدمت طاقة الفعـــل عند المنفعل الشكسبيري أصبح هذا الاخير مزعـــزع الكيان مضطرب الجسد والعقل تتطلب حالته عيـــادة طبية لا علاجـــا يرتكز على مقاييس المسرح ، الشيء الذي حدا بشكسبير الى افادتنا في مسرحه ان طاقـــة التفكير عند أبطاله كانت تشكـــو التهابا مريـــرا ممـــا جعلنا نشاهد عند هؤلاء نقصا تصاعديا في التفكيـــر يحدثه الغضب والطمـــوح والغيرة والحب العنيف: فبروتوس كان يتالم للتغييرات التي طرات على تفكيـــره وسولت له الفتك بيوليـــوس قيصر . وهملت رغـــم نبوغه ورصانة تخميناته فقد كل توازن عقلـــي وأحس بمناقضات وعتاهات عابرة . وهكذا لمسنا من جـــراء ذلك ان المنفعل امسى وكانه عاجز عن التفكير وكبـــح جماح نفسه ، ينطق فيه كل شيء بمظهره الخارجـــي وحاسه النفسية . فتراه يستبد به الخوف وتوتـــر أعصابه . ويشمله تصدع في جسده ، يزرع فيه كـــل انـــواع الانحراف العقلي ، ويتركـــه فريسة اوهـــام وهواجس ، لايقدر عن النوم بسببها كما حدث لمكبث. أو طريد أخيلة رهيبة كهملت الذي يهدده طيف والده ويتراءى له في كل شيء ، او « ليـــر » الذي لم يشعر بقساوة البرد والعواطف عندما كان يحاكم بناتـــه في جلسة خـــارقـــة .

في جميع هذه الاحوال يصبح العالم الحقيقـــي بالنسبة لهؤلاء ميدانا لخيال فاتك ينسجه أحد الاعضاء المصابـــة . على أن الابطـــال الشكسبيريين رغم مـــا يلحقهم من خلل في عقولهم يعتقدون في امكانية الحصول على علاج وان استحال الامر ، ولذا يصيح «هملت» من أعماقه : « الى العمل يا دماغي » ويتبعه عطيل عـــوض ان يجعل حدا للشك المستبد به ، في منلوجات الانسان النائم اليقظ . هذه الظاهرة الاليمة التي تدفع العقـــل الى البحث عن منفذ بدون جدوى تعبر عنها حلكـــات الليل ، التي هي اطار المنفعل البعيد عن عالم الواقـــع، والعوامل الداخلية الدفينة التي أوعـــزت الى هاملت تعذيب أورفيليا وامـــه ، ولير الى طرد ابنته العزيـــزة لديـــه ، وبرتوس الى قتل والده ، وعطيل الى خنـــق محبوبته ديد مونة . وهذا المشهد المفجع الذي يعرضه امامنا شكسبير ، كمصور للعواطف الانسانية ، تحلـــق الموت في ارجائه منوعدة مهددة ، بعد ان تاخذ مكانهـــا ن العقول المعتوهة ، وفي ثنايا أفراد يائسين ضعفـــاء ، لا يقدر اي منهم على ملك اعصابه . . انه مشهد تقف فواصله كجهاز مخبر نموذجي يمكننـــا من دراســـة الانفعالات في نطاق خاص ، ودون تدخل من الواقـــع ، لانه في الحياة العادية تكون الحوادث سبب الحركات. اما عند شكسبير ، فالحركات وليدة الكلمات . وهذا ما يجعل الظواهر النفسية الانفعالية منعزلة عن العالم المعهود تتطلب دراسة طبية وتثيـــر انتباه الشهـــود لانفراد طريقة تأديتها على خشبة المسرح ، حيث انـــه من الناحية الفنية المسرحية نفهم أن شكسبير نفسه قد أدلى بالكيفية التعبيرية الدرامية للانفعالات وذلك على لسان هاملت اذ يقول : « استعملوا كل شيء فـــي زهد وعظة ، لانه يجب في دوامة العاطفة ، بل في زوبعة العواطف الاحتفاظ بالقناعة التي هي أساس الجمالية الفنيـــة » . فهذا الكلام يعني أن الممثل ليس من حقه ان يقلد الواقع كما هو ، بل عليـــه ان يراقب حركاته واصواته ويتجرد من الانفعالات التي يتقمصها ليسيطر عليها عن طريق الالقاء ، لان الحوار التراجيدي يوضح عبارته جوهر العواطف في عدم اتصال الابطال وانعدام التداخل فيما بينهم وغربة كل واحد عن الآخـــر .

هذا واذا كانت مهمة المؤلف التراجيدي هـــي محو الاتصال بين أبطال مسرحياته وتحريكهم في جـــو قاتـــم ليجذبهم الى الكوارث ، فان من واجبه كذلك ان ينير السبيل أمام الشهود ويرافقهم في اجتياز دهليـــز الافراد المنفعلين مما يحتم على قراء شكسبير التعـــود على ادراك عبارته الشعرية المستعملة ، حتى اذا نطق هاملت بهذه العبارة « اكون أو لا اكون » كان ذلك دليلا على أن لغة المنفعل تقوى شاعريتها كلما وصل المنفعل الى مرحلة من الخشونة أو الافراط في اليأس . في حين نرى أن لحظات كهذه يعبر عنها في واقع الحياة بآنـــات وزفرات متتالية وعليه نستنتج أن العبارة الشكسبيرية ليست مجرد لفظ لغوي فحسب ، بل هي نظرة فنية للحياة وتأويل صريح لافكار انسانية محضة تدعـــو القاريء او المتفرج الى اكتشاف الالغاز الشعرية الكامنة في المنلوجات والاقتناع بفحواها البعيد . »

ونخلص مما قدمه الاستاذ في بحثه أن المشهـــد الشكسبيري كيفما كان نوعه ليس مجرد « ترطبـــة »

مهما خسروا فى دراستهم فقد استطاعوا التقرب من الفتيات الجميلات ؛ فى حين نرى أن توالد هذه الانفعالات فى الدراما شبيه بما هو عليه فى الملهاة لو لم ينتج عنه ما كان يتمناه ارسطو من خشية وشفقة ، فاذا كان عطيل قد التزم طريق الشك القاتل الذي اغرقه فيه باجو ، فانه كان ينوي من وراء ذلك التيقن من فضيلة ديد مونة التي هي جوهر وجوده . واذا كان مكبث يلتزم مهنة الاجرام فما ذلك الا خضوعا لزوجته التي زينت له أهداف تلك المهنة وصلاحيتها كطريق للخلاص . وهكذا فالجمهور المنفرج لاينزع تقديره عن هؤلاء الاشخاص ولو كانت أعمالهم شنيعة لانهم يقومون بها دائما فى خدمة مباديء صالحة .

ومن جهة أخرى يخيل الينا ، وكان توالد الانفعالات عند شكسبير يفرض ضغط وحدة الزمن التي كان معمولا بها عند كتاب المدرسة الاتباعية الفرنسية ، اذ أن عملية الضغط هذه كانت عند أديبنا حصيلة طغيان الانفعال الذي يتكفل حدود الزمن بتطويره . ففي مسرحية عطيل يبدو ان ساعات قليلة كانت تفصل بين بروز الشك فى نفس عطيل وبين الجريمة التي قام بها . وفى مكبث نشاهد ، بعد مرور يوم على الجريمة ، بوابا طاشت الخمر بلبه فأمسى يقذف كلاما مبتذلا ويطرق احدى الابواب . اذ من خلال مداعباته البذيئة نستطيع رؤية التدفق الدرامي للزمن : كان ذلك فى لحظة قصيرة ، وكان فى مقدور مكبث أن يعدل فى ذلك المساء عن تسخير خنجره القاتل ولكنه لم يقو على صد نفسه ، ولذا فالبواب اليوم لا تتمكن دقاته الرهيبة من ايقاظ الموتى .

ان الانفعالات تنمو مع الزمن وسرعة جريانه وسط عاصفة هدامة يستحيل تهدئتها ؛ وعليه فما هو سر القوة الخارقة التي تلقي بهؤلاء الافاضل فى خضم دوامة الانفعال وتدفعهم الى الهلاك ؟ يرى شكسبير ومعاصروه من المفكرين ان ما يميز الانسان ويجعله ساميا على غيره هو امكانية فعله وطاقته . وفى نظره ايضا ان العمل المباشر فى نطاق الحرية يحقق سعادة الوجود ، بينما تسلم العاطفة البشرية النفس الى سائر الامراض خصوصا منها فقدان الحركة الواعية التي احس هملت بوطاتها فصاح فى وجه « هوراتيو » الذي لايعرف معنى الانفعال ، قائلا : « دلني على رجل لا يعرف قيود الانفعال لاجعل له مكانا فى قلبي كما فعلت بالنسبة اليك ... » وان وضع حل لمشكلة الانفعالات وصيانة الانسان من سطوتها القاسية يتطلب منا دراية صحيحة بالاعمال الفاضلة وهداية الافراد الى سبيلها باعدام تدخل كل عاطفة مقدرة . ولا حاجة الى التنبيه هنا انه اذا كانت المذاهب الخلقية الشكسبيرية تنفي فكرة الاله ، فانها تفعل ذلك بالنسبة للاثم ؛ وعليه تبقى الفضيلة عند شكسبير اسمى فكرة لانها هي الكفيلة وحدها بتأكيد نقاء الفرد الذي يعمل فى حرية باتفاق مع القوانين المتأصلة فى جذوره . ويظهر ان شكسبير هو فريد عصره الذي تنبه الى قيمة العمل ، فكل فعل مهما كان اختياريا لا يمكننا التلفظ بصلاحيته أو قيمته ، لذا فالقاريء لمسرحية « ترويلوس وكرسيدا » التي تقدم مطارحة فى نظرية القيمة يستنتج من قراءته ان صفات الانسان مهما كانت تبقى عقيمة لا فائدة منها اذا لم يكن هذا الانسان يسعى الى تمكين الغير من عمل خيري صالح . وهذه الفكرة تتردد كثيرا فى آثار شكسبير ، ولا جدال فى مضمونها الذي يرتكز على شيء واحد : وهو أن كل ماتملكه من خيرات لا نفع فيه ، مادمنا نحرم اشباهنا منه . ثم انها ميزة خاصة بشكسبير ، ويظهر أن مفكرنا استطاع بواسطتها أن يحقق التقاء مع ما يمليه الانجيل وما كانت تدعو اليه نهضة الحركة الاسبانية فى عصره : وهو ان سيرة الناس لابد ان ترتكز على الروح الحازمة على شرط أن نعودها حب الغير .

هذه الملاحظات التي ابديناها قد تكون ذات فعالية فى ايضاح طبيعة اليأس الهامليتي الذي بقي غامضا الى الآن . فمن البديهي أن أمير الدانمارك كان يتمزق لعدم قدرته على القيام بشيء ، ويأسه هذا كان سبب العقم الذي استبد بفكره وأملى عليه عدالة ضيقة ، فى الوقت الذي كان فيه الشباب الدانماركي متحمسا ينتظر منه اعمالا بناءة . وهكذا فان مشكلة اليأس والقلق تبرز ضمنيا فى جميع الملاهي الشكسبيرية . ولما كان اليائسون يرون خلو الحياة من كل معنى الهمهم شكسبير الى محو هذه النظرة عن طريق العمل الفاضل كما فعلت ذلك « فيولا » فى مسرحية « ليلة الملوك » .

وثمة شيء آخر وهو أن شكسبير يحاول دائما ان يعرض أبطاله وقد وصلوا الى اقصى ما يصل اليه الانسان بما لديهم من استعدادات ومواهب . على أن هذا السمو فى مسرحياته وكذا فى التراجيديا الاغريقية ينتهي دوما بمصرع اليم لان الانسان لا يتأتى له ان ينتعش دائما بمصير خارق ، وهذا المصرع وسط حياة منفعلة يحدو بالبطل الى استعراض سعادته الاولى

الجهاز الطاحونة :

# صفحة من حياة الفونس دوديه

للدكتور : جمال الدين الرمادي

بين احضان المروج الخضر حيث الخضرة النضرة تمتد امتداد البصر وتنحني قامات الزرع وهامات اشجار الخزامى في يد النسيم الحنون وحيث السمس الدافئة الجميلة وحيث ينتشر الغبار فيملأ الاجواء في بعض الاحيان خرج الفونس دوديه الكاتب الفرنسي الى الوجود

وقد اخرجت الكاتبة المعاصرة مسز فيرادويه كتابا عن هذا الكاتب العبقري درست فيه طفولته ونشأته وزواجه وانتاجه الادبي منذ ايام معدودات فحق لهذا الكتاب ان يكون كتاب الموسم

نشأ الفونس في احضان الريف وخرج الى الوجود عام 1840 وكان قد مضى على زواج ابيه صانع الحرير الصغير عشر سنوات ويزعم بعض الرواة ان الفونس خرج الى الحياة وابواه في ضنك شديد ولكن الفونس يقول عن نفسه في كتابه «الكائن الصغير» ان ابويه لم يكونا في ضيق وعسر في هاتيك الايام وكان الفونس يحب امه حبا جما وكانت امه تحب الكتب والاطلاع الى ابعد حد فكان يجلس اليها الفونس بين الحين والحين يقص عليها روائع القصص واجمل الحكايات فبنت في الطفل الصغير حب الادب والقراءة وكان يصحبها الى الكنيسة فغرست في نفسه حب الدين والتقوى واحب اجراس الكنيسة وهي تقرع الاذان برنينها في الفضاء ..

وظل الفتى يتعلم في مدارس ليوم ثم تاقت نفسه الى الحياة في باريس واستهوته اضواؤها وبهره صيتها وحلم بالشهرة بين ارجائها ، وهتف باخوته ( هيا فلنذهب الى باريس .. )

وذات يوم ازمع مع اخيه ( ايرنست ) الرحيل الى باريس وفي الساعة الثالثة صباحا وصل الفونس الى المدينة الحالمة في حداثة الريفي الكبير وهيئته الرثة فلم يكن يملك الفونس في ذلك الوقت حذاء مدنيا رقيقا وكان قد انفق ما معه من النقود اللهم الا مبلغا ضئيلا يحتفظ به في جيب سترته

ودخل الفونس باريس وهو يتأبط ذراع اخيه ايرنست بينما كانت باريس تغط في نومها تحت سحب السماء الرمادية وعبر الجسر الذي يؤدي الى الضفة اليسرى حيث كان باعة الصحف واللبن يسعون في الارض ، وعرج الفونس على الحي اللاتيني حيث قطن في حجرة صغيرة هناك ينهل من اداب فرنسا الخالدة وكان الفونس يختلف بين الحين والحين الى مسرح الادويون حيث عرف الكاتب الفرنسي فلوبير ، ووطد صداقته مع كثير من الكتاب الفرنسيين

وتعلم الكاتب لاول مرة ان يلبس السترة طويلة الذيل وان يلج صالونات الطبقة الراقية وان يكتب في الصحف السيارة مثل جريدة ( سبكتاتور ) ، وفي مساء 14 يناير عام 1858 انتشرت الاخبار في ارجاء المدينة كالنار في الهشيم بان هنالك مؤامرة قد دبرت لقتل الامبراطور والامبراطورة اذ القى اربعة من الايطاليين قنابل على العربة الامبراطورية اثناء ذهابها الى اوربا ، وقبض على احد المؤتمرين ولا يزال البحث جاريا على الاخرين الذين تاهوا في زحمة المتفرجين .

وقد خرجت جريدة ( سبكتاتور ) على الناس بمقال شديد اللهجة تتهكم فيه على الامبراطور وتقول ان مثل هذه الحوادث لا تحدث الا في عهد الحكومات

ادبية يجب تذوقها لا اقل واكثر ، وانما هو مرآة لعواطفنا منسقة فى عبارات شعرية متينة تفرض وجودها كقاعدة ثالثة تكمل القاعدتين اللتين طالب بهما أرسطو فى ميدان التراجيديا وهما : الخشية والشفقة . وهذا المشهد يعد ثروة ثمينة بالنسبة لكل باحث حسب اختصاصه ، ففيه المعلومات التاريخية والسياسية ، والطبية ، والادبية التي كان لها اكبر الاثر فى أخيلة شعرائنا ونذكر منهم على الخصوص الشاعر « شوقي » الذي ألف مسرحياته بعد ان تشبع بالفن الروائي عند شكسبير ، ثم اعجب به كانسان خالد وأنشد فى ذكره قائلا :

ما انجبت مثل شكسبير حاضرة
ولا نمت من كريم الطير غناء
نالت به وحده انكلترا شرفا
ما لم تنل بالنجوم الكثر جوزاء
لم تكشف الشعر لولاه ولا بليت
لها سرائر لا تحصى واهواء
شعر من النسق الأعلى يؤيده
من جانب الله الهام وايحاء
من كل بيت كآي الله تسكنه
حقيقة من خيال الشعر غراء
وكل معنى كعيسى فى محاسنه
جاءت به من بنات الشعر عذراء
او قصة ككتاب الدهر جامعة
كلاهما فيه اضحاك وابكاء
مهما تمثل ترى الدنيا ممثلة
أو تتل فهي من الانجيل أجزاء

واخيرا يمكن القول ان شكسبير لن يشيخ ابدا، وسيبقى محط عناية الجميع الى ان ينجلى سره ويأتي عهد جديد يدعو الى نشر ابعاده الايديولوجية ويرسخ مفاهيمها بين عامة الناس .

**مكناس — حسن المنيعي**

تسوقه من نصر الى نصر – فصمم على الزواج منهـا – ولعل اصدق ما كتبه عن الزواج . ما كتبه في ( زوجات الفنانين ) – ان الزواج بالنسبة الي مرفا ذو مياه هادئة وليس بمرفاً تربط فيه نفسك الى الابد ولكنك تستعد منه الى الاقلاع مرة ثانية

وفي مستهل عام 1867 زفت جوليا الرت الى الفونس دوديه ورحل الفونس مع عروسه الى اقليم البروفانس حيث رايا طواحين الهواء وجلسا سويا بين المروج ثم عادا الى باريس

ولكن الحب بين العروسين اصيب بصدمة قويـة اذ تغيرت اخلاق الفونس في هذه الفترة وانفق كثيرا من ماله في العبـث واللهـو في المقاهـي والملاهـي والمنتديات . وكان يرجع الى عروسه في الهزيع الاخير من الليل مخمورا . فاقد الوعـي يتطوح يمنة ويسـرة ممزق الثياب اشعث الشعر دامي الوجه وكانت زوجته تقف ازاء هذا كلـه قويـة الاعصاب ضابطـة النفس . وتستقبل ذلك كله بصدر رحـب حتى اقنعتـه بضرورة احترام حرمة البيت . وسكبت في نفسه لحن الحـب – وكانت مائدتـه دائما معدودة . وثوبه نظيفا . وطعامـه جاهزا . كما يقول في مذكراته

كان الفونس دوديه يعيش في طاحونة من طواحين الهواء وقد كتب رسائل من هناك استهلها بقوله ( اجل يا سيدي رسائلي من طاحونتي غير ان الذي يكتب هذه الرسائل ليس طحانا ولـو كان كذلـك لاثر بياض الدقيق على سـواد المداد – فلسـت طحانا وانما انا صحفي يسير صاحب طاحونه وقد نظن ان هذا شيء عظيم بالنسبة الى صحفي مثلي ولكن لتهدا بالا فما هـي الا طاحونـة عتيقـة مهجورة مفقـودة في اقليـم البروفانس وما اجمل المقام في طاحونتي وما حاجتي الى البشر وانا اكتفي بمنظر افول الشمس وراء اشجار الصنوبر واطياف النـور على الصخور وبصوت ريـح الشمال الرخية وهي تداعب هامات الافنان .

وكان الفونـس دوديـه يجلس في حمـى هـذه الطاحونة مع اصحابه يستمتع باجمل القصص واشجـى الاحاديث وكان صاحبه فرانس العجوز يلعـب على الارغن فيهز اوتار القلوب حتى اذا ما انتهى من تغريده قص عليه قصة السيد ( كورني ) – صاحب طاحونة الهواء الذي ظلمه القدر ودهمته الاحداث فجعلت اصحـاب طواحين الكهرباء يستبدون بالامر استبدادا ويذهـب اليهم جميع الاهالي لطحن الدقيق افواجـا – ولكـن السيد كورني انى الا تجعل الشماتة تسـري في قلـوب الناس من اجلـه فاحضر افواجـا من الحمير وجعلهـا تدخل الطاحونة متعاقبة وهي تحمل اكياس القمــح وجوالات الدقيق حتى يخدع الناس ويوهمهم انهم لا يزالون يلجؤون الى طاحونة الهواء – ولم يلبث ان كشف امره وفشا سره فوضع راسه بين يديه وانكفا يبكـي في لوعة تفتت الاكباد وتقطع نياط القلوب

وهكذا عاش الفونس دوديه فترة طويلة من عمره في صحن هذه الطاحونة يكتب رسائله ومؤلفاته فلفتت مؤلفاته انظار فرنسا بوجه خاص وانظار اوربا بوجه عام – وقد صور الفونس في بعض قصصه الصراع القوي الجبار الذي نشأ بين اصحاب طواحين الهوء واصحاب طواحين الكهرباء – واصيب الشاعر في اواخر حياتـه بمرض الروماتزم الذي عاقه عن الحركة والسير ... واخذ يزحف الى عينيه ولم يلبث ان ادركه في قلله .. وهنا حم القضاء ورفرفت الموت فوق راسه باجنحتــه السوداء

وذات صباح استيقظ الناس في فرنسا بنبـــا موته يملأ كل مكان والعبرات تلتمع في العيون . والكا بة تلوح على الوجه والحسرة تتصاعد من الصـــــدور

القاهرة : **الدكتور جمال الدين الرمادي**

الظالمة فاغلقت الجريدة وضاع مورد كبير من موارد الشهرة والمال للكاتب الفرنسي الفونس دوديه . ولكنه اخذ يكتب في صحف اخرى ويحضر اجتماعات الطبقة الراقية فاسر الرجال والنساء بجماله الرقيق وصوته المتلىء العميق ووجهه الاسمر الذي لفحته شمس الجنوب .

وعاش الفونس في ( بوهيميا ) فترة طويلة من الزمن ولكن حياة ( بوهيميا ) الصاخبة اللاعبة وكؤوس الخمر واقداح النبيذ لم تؤثر فيه لطيبة نفسه على حد تعبير اخيه ( ايرنست ) واخذ الفونس يضرب في ميدان الصحافة والشعر حتى بزغ نجمه وعلا اسمه ثم عمل في قصر ( البوريون ) وعند ما بلغ اعتاب قصر ( البوريون ) كتب اخوه ارنست يقول : ان الفونس ذو طبيعة حالمة وفراح رقيق اكثر مني وهو شاعر ساحر ، والطبيعة تفعل فيه سحرها حتى اليوم الذي يستوفي فيه انفاسه . وهو وسيم جذاب وعبقري فما ذا ينقصه ليكفل له النجاح ؟ غير ان روحه الحالمة تسيطر عليه . وهذه هي خصلة العباقرة ان العبقرية حمل ثقيل وهناك ازهار تحتاج الى مناخ خاص ان الفونس من هاته الازاهير

لم تكن والدة الفونس ولم يكن اخوه يحبذان هذا العمل له ويريان انه غير مخلوق لهذا النوع من الاعمال وصدقت نبوءتهما بعد ذلك اذ طلب الفونس بعد فترة وجيزة من الدوق (دي مورنيه) اجازة للراحة والسياحة فترك قلب باريس في نوفمبر عام 1861 في ليلة ممطرة وودع اصدقاءه قبل سفره واخذ يقول : - انني نبت قد تجمد نصفه غير ان الشمس الدافئة في الجنوب سوف تحييني وفي تلك البقاع كان نفر من اصدقائه وذوي قرباه ينتظرون الكاتب الساحر الا انه لم يمكث في القريةطويلا وازمع الرحيلالى بلاد المغرب وكورسيكا حيث متع بصره وغذى قريحته بمشاهداته وتأملاته في تلك البــــلاد

وفي مستهل عام 1864 رجع الفونس دوديه الى باريس حيث اخرج بعض قصصه ومسرحياته ، ومن اروع القصص التي دبجتها يراعته ، قصة (سافو) Sapho ( والخالــد ) L'immortel ( جـــاك ) Jack ( ونومارومستان ) Numa Roumestan ( والترى ) Le Nabab ( والملوك في المنفى ) Les rois en Exil وغيرها في القصص والمسرحيات

وفي هذه الفترة خفق قلب الفونس دوديه للحب ومس الهوى قلبه بعصاه السحرية ، واذا بهذا الكاتب الساحر يهيم شوقا ويفيض عشقا ، ففي اثناء عرض احدى مسرحياته على المسرح الفرنسي كان الفونس يتمنطق بحزام ذهبي فوق حلته الانيقة ، وكانت غادة حسناء تجلس في احدى المقاصير مع ابيها وامها وتدعى ( جوليا الرت ) ، كانت جميلة كزهرة الربيع مشرقة كفلق الصبح ، ناضرة كزهر الربيع تتدفق بالحياة والنشاط وترنو الى المسرح بعينيها التي جمعت اشتات الفنون ، ففيها ضلال لعقل وهدى لجنون وقد سالت الفتاة احد عمال المسرح عن ذلك الشخص الذي يشد وسطه بحزام ذهبي ، فاجابها بانه الفونس دوديه الكاتب الذائع الصيت - فخرجت جوليا عقب الحفل وفي قلبها صورة الفونس وفي عينيها الخيال من مسرحيته التي هزت افئدة الحاضرين - وبعد شهور قليلة ذهبت جوليا مع والديها الى بيت ( دوديه ) في قرية ( اترى ) وكانت جوليا ترتدي ثوبا ابيض كنور الصبح وتتغنى بابيات عذبه من الشعر تلقيها امام الفونس في صوت حلو طروب - وما جن المساء حتى اختلى الفونس باخيه ( ارنست ) واخبره بانه صريع الهوى واسير الغرام وانه قد احب ( مدموازيل ) جوليا الرت ويطمع في ان يتخذها عروسه

كانت جوليا فتاة صبية صغيرة تحب الشعر والكتب وتمتليء بالتواضع والسحر والانوثة - وكان الفونس يكره النساء المتحذلقات ذوات المواهب ، ولكنه اليوم اصبح امام فتاة من طراز جديد وبيت في بيت من العلم وتقاليد القرن التاسع عشر ، وكانت الى جانب حبها للعلم تجيد الحياكة وتؤثر قضاء الاصائل في الشتاء في حدائق ( التويلري )

وكانت جوليا من الشمال - وكان الفونس من الجنوب فجذب ذلك الاختلاف نفس الفونس ووجدها مكملة له ووجد فيها الهدوء والاتزان - والفضيلة التي يمكن ان تسيطر على نفسه وان تطرد هزائمه وان

كبير هو ابن المقفع ، فهو قد دعا الى الفكرة في كتابه رسالة الصحابة ، وهو قد دعا اليها في ظرف تاريخي لم تكن الاراء بعد قد تعددت وتشعبت بشكل يبعث على الدهشة وبشكل ادى في النهاية الى اغلاق باب الاجتهاد وكنا نود لو تتوج هذا العصر الذهبي الذي شهد ميلاد الحركات الفقهية الكبرى وتدوين الحديث وابتكار علم مصطلح الحديث وعلم الكلام وعرف حرية الفكر وولادة حركة فلسفية قوية ، وتكوين الحضارة العربية بتدوين القانون وتقنينه . ولكن المحاولة لم تنجح ولو انها نجحت لا يتعدى المسلمون عن كثير من الخلافات المذهبية ولوجدوا انفسهم امام قانون موحد ، يشملهم جميعا ويوحدهم. ولما تفرقوا كثيرا ولما تباينت وجهات نظرهم ولما اغلق في الاخير باب الاجتهاد الذي كان من اسباب اغلاقه تعدد الاراء وتشعبها والاكثار من الفروض الخيالية واتخاذ الحلول لها ولما حارب المسلمون بعضهم باسم الخلاف الديني والخصام المذهبي ولا ثر قانوننا على غيرنا اكثر من التاثير المعترف له به الان لانه يسهل نقله ولكنا سباقين في هذا المدونات الحديثة ذلك لانه لا ينكر مدى قوة التاثير الذي احدثته مدونة نابليون في القانون المدني فتاثيرها كان له مفعول السحر في فرنسا وخارج فرنسا ، وفي فرنسا ادت الى توحيد القانون السائد ولم يبق التراب الفرنسي مقسما من حيث القانون الذي يسوده في الشمال والجنوب وفي خارج فرنسا فانه كان لها مفعول قوي حيث رامت كثير من الدول ان تقلد فرنسا في عملها ، وقد دعا ( تيبو ) في المانيا الى ان تقلد فرنسا وتفعل مثلما فعلت . ورغم المعارضة الشديدة التي ابداها ( سافيني ) للتقنين فانه لم يستطع القضاء عليه ، وانما اخر الفكرة زمنا ما . ولكن كثير هي الدول التي قلدت فرنسا في عملها وكثير هي الدول التي تاثرت كثيرا بالمدونة الفرنسية ، وقد سهل التاثير لانه سهل الرجوع ولا يجادل اليوم في قيمة التقنين فجميع الدول تقنن دون ان تجد من يعارض ، ولو اننا قننا لظلت الوحدة قائمة بين اجواء العالم الاسلامي ولظلت قائمة بعد زوال الوحدة السياسية ، وبعد تفرق المسلمين شذر مذر ولكن للاسف الشديد فان هذا الحكم لم يتحقق في الشرق العربي ولم يتحقق كذلك في بلادنا رغم المحاولات التي قام بها احد خلفاء دولة الموحدين عند ما قال لاحد الفقهاء لما اخذ هذا الاخير يبين له ما اشكل عليه من الاراء المتعددة في المشكل الواحد ، فاجابه الخليفه ليس الا هذا . واشار الى الكتاب والسنة او هذا واشار الى السيف ولكن لم يكتب للمغرب ان يدون ولهذا فان الفقهاء كانت لهم سلطة تقديرية واسعة النطاق في بلادنا . وظل الامر كذلك حتى دخلت الحماية ارضنا . فرنسية في الجنوب . اسبانية في الشمال . دولية في منطقة طنجة فاذا بالمنطقة الجنوبية من بلادنا تعرف مدونة العقود والالتزامات الصادرة في 12 غشت 1913 وهي مدونة مصطبغة بالروح العصرية ومتاثرة بمدونة نابليون . والمدونة التونسية والشريعة الاسلامية ولكنها مع ذلك غير كافية ولا وافية فهي لا تشمل كل ما يتعلق بالقانون المدني اذ ظلت هناك مؤسسات قانونية مهمة لا يشملها هذه المدونة كما انه في نفس التاريخ صدرت مدونة المسطرة المدونة او قانون المسطرة المدنية . وكان ذلك 12 غشت 1913 وكما صدر في نفس التاريخ ما يخص الشهر العقاري كما صدر في نفس التاريخ القانون التجاري ، وفي 2 جوان 1915 صدر القانون العقاري . وفي سنة 1956 صدر القانون العسكري وفي سنة 1957 صدرت مدونة الاحوال الشخصية التي يشمل نفوذها المسلمين سواء اكانوا مغاربة ام غير مغاربة. وفي سنة 1959 صدر ظهير المسطرة الجنائية ، وفي سنة 1963 صدر القانون الجنائي الذي الغى القانون الجنائي لـ 24 اكتوبر 1963

والجدير بالذكر انه ليست كل فروع القانون قد عرفت التدوين . فالقانون الاداري لا يزال لم يعرف التقنين وهذا ليس عيبا اذ ان القانون الاداري يعد قانون القضاء الاداري وهو لم يستقر بعد وهذا يوجد عندنا وعند غيرنا

ثم انه لا ينبغي ان يفهم من التقنين ان كل الاحكام يجب تقنينها بل ينبغي الاقتصار على المبادىء العامة التي قلما ياتيها تغيير ولا تبديل وذلك حتى لا يصاب القانون بالجمود وعدم المسايرة للتطور تاركا امر الجزئيات والتفاصيل للقاضي يتناولها عند ما يريد فض نزاعات الناس وخصوماتهم ، وكذلك الفقه ليعطي الشروح والتعديلات كما انه لا ينبغي الاتيان بتعاريف للمصطلحات التي يوردها التقنين .

# التقنين في المغرب

للأستاذ عبد النبي ميكو

من المعروف ان التقنين هو تجميع القواعد القانونية التي تهم موسسة معينة من موسسات القانون . والتقنين يلعب دورا مهما في الحياة الحديثة حيث انه يسهل على القاضي التعرف على القاعدة القانونية التي يمكن ان تطبق على حالة معينة . كما انه يودي الى توحيد القانون في جميع تراب الدولة والى ان توثر الدولة التي قننت على غيرها من الدول الاجنبية . ولا يهمني ان اتحدث عن التقنين او التدوين باستفاضة وانما يهمني ان اتحدث عن التقنين في المغرب وعن الدور الذي لعبه توحيد القضاء في ميدان التقنين

لم يكتب التاريخ للمغرب ان يعرف التقنين في ماضيه . فالمغرب عرف الشريعة الاسلامية منذ دخول الفاتحين الاولين اليه . وقد اصبح يتمذهب بمذهب الامام مالك

وقد تبنى المغاربة هذا المذهب لان جل رحلاتهم كانت تنتهي الى الحجاز حيث موطن مالك ومبعث مذهبه ولان طبيعة المغاربة تتفق والبساطة والوضوح الذي يتسم به مذهب الامام مالك . وكان مذهب هذا الامام الجليل هو المذهب النافذ في الحياة المدنية والتجارية والجنائية . وكان هو الشريعة العامة التي تحكم حياة المغاربة المسلمين وغير المسلمين باستثناء شوون الاسرة التي تركت ليحكمها دين الشخص وذلك لان الاحوال الشخصية الصق ما تكون بدين الشخص ، ولها اتصال وثيق بمعتقدة . وقام ذلك على اساس التسامح الديني وعرف في جميع البلاد الاسلامية هذا النظام وان كانت فئة المسيحيين لم يكن لها وجود بالمغرب . ومذهب الامام مالك هو نفسه كان متعدد الاراء متشعب النظريات في المشكل الواحد اذ تعدد تلامذة الفقيه الكبير وانصاره فاذا كان الشرق قد عرف تعدد الاراء وتشعبها نظرا لتعدد المذاهب وتشعبها وتعدد فقهاء كل مذهب وتلامذته .منها السني والشيعي .والسنيون مذاهب والشيعيون كذلك . وللاسف الشديد فان الفقهاء كانوا يتناولون الجزئيات والتفاصيل دون ان يتوصلوا الى استنباط مبادىء عامة ونظريات شاملة واصول قارة تدون ويسيرون عليها وتكون مرجعا للقاضي والفقيه وطالب العلم . وكل ما وصلوا اليه من اصول الفقه لا يتعلق بمبادىء القانون ونظرياته العامة . وانما يتعلق بادوات ووسائل الاجتهاد . والنتيجة هي انهم لم يعرفوا تدوين الاحكام العامة الخاصة بفرع معين من فروع القانون او موسسة من موسساته . ثم ان المغرب هو نفسه عرف تعدد الاراء وتشعبها . والمغرب هو نفسه لم يعرف التقنين او جمع الاحكام العامة التي تهم فرعا معينا من فروع القانون في مدونة خاصة . فالمحاولة التي حاولها ابو جعفر المنصور في الشرق العربي مع الامام مالك وحاولها بعده هارون الرشيد لم تنجح بحيث امتنع من ان ياذن بالسماح بان يصبح كتابه الموطأ عاما وشاملا بالنسبة لجميع انحاء العالم الاسلامي وان تصبح مدونة قانونية تضفي عليها الدولة الصبغة الرسمية تلزم القضاء وتنير سبيل الفقهاء يشرحونها ويحللونها ويعلقون عليها وقد امتنع بدعوى ان صحابة الرسول (ص) تفرقوا في الامصار وما يحمله هذا ، لا يحمله ذاك وهذه الفكرة التي اراد ان يطبقها ابو جعفر المنصور اولا وهارون الرشيد بعده . ذلك هي فكرة كانت وليدة مفكر اسلامي

من الأدب الشيعي

# دراسة تحليلية لبائية الكميت كنموذج للشعر الشيعي الجدلي

للأستاذ : ابن دفعة محمد

— 1 —

تختلف مسارب الادب الشيعي ، وتتنوع مضامينه واساليبه . تبعا لنقطة الانطلاق عبر التجربة ، شعرا كانت ام نثرا . فالمبدع في هذا الميدان متاثر . بالاضافة الى مشاربه وامكاناته الشخصية ، وبالاضافة الى « المجال » الذي يكتنفه ويصدر عنه بتجاربه . بالمذهب الذي ينتمي اليه من بين المذاهب الشيعية المختلفة . بل والمتنافسة احيانا

فمن الشعر الشيعي شكوى . ودمع . والم . وبكاء قتلـــى

ومن الشعر الشيعي عطف ورثاء.ومشاركة وجدانية

ومن الشعر الشيعي ترويج للكرامات .والخرافات والاساطيـــر

ومن الشعر الشيعي اخيرا ، وليس اخرا ، شعر عاقل . جاد . لا يغرق في الخيال . ولا يومن بالاساطير والخرافات الميتولوجية ، التي تسربت الى كثير من المذاهب الشيعية التي وصفت وقتها بالتطرف واللاواقعية

ولعل ( الكميـت ) اول شاعـر يمكن ان يعطـى كنموذج للشاعر الذي نافح عن المذهب الشيعي بشعر عاقل معقول متشبث بالمنطق بالواقع

وقصيدته : ( طربت وما شوقا الى البيض اطرب ) من اجود القصائد في هذا الباب ، فهي من اقيم واقـوم الادب الشيعـي ، كما ان الشاعـر يعتبـر من احـرص الشعراء على اتخاذ المذهب الواقعي الجدلي ، طريقا ثابتا للمنافحة عن مذهبه ، بحكم انـه كان من اتبـاع الزيدية ، وهو اشد المذاهب الشيعية اعتدالا ، والتصاقا بالواقع . فمن هو ( الكميت ) ؟ وما هي القيم الفنيـة والوجدانية لقصيدته ، او لشعره . كله في نمـوذج من خير نماذجه ؟

— 2 —

( الكميت ) شاعر من فحول العصر الاموي . كاد الرواة ونقاد الشعر يجمعون على انه كان واسع الثقافة عالما بغريب اللغة ، راوية للشعر القديـم ، مشهـورا بعلمه بايام العرب وانسابها . حتى قال بعضهـم : ( من صحح ( الكميت ) نسبه صح . ومن طعن فيه وهـن ) هذا بالاضافة الى قدرة نادرة على الجدل العقلي

وليس كثيرا على ( الكميت ) ، الانسان المتوقد الذكـاء . ان يكـون كما وصف الرواة سيما وقـد نشا بالكوفة . وفي عصر كانت فيه هذه المدينة احد مركزين للاشعاع الفكري في العالم الاسلامي ( 60 / 126 ه ) .

الا ان نشـأة ( الكميـت ) بالكوفـة ، واشتغالـه بالتدريس بها لم تجعل منه عالما واسع الثقافة قادرا على الجدل فقط . بل جعلت منه ايضا شيعيا صادق التشيع كرس اهم اعماله الشعرية للدفاع عن ال البيت معلنـا سخطه على الامويين الذين اعتبرهم مغتصبين للخلافة من غير حق ، منتهجا في ذلك سبيلا جدليا يعتمد على الحجة البينـــة

نشأة الشاعر بالكوفة اذاء وهي بالاضافة الى كونها مركزا ثقافيا هاما بالنسبـة للامـة الاسلامية في عصـر

ويلاحظ ان المدونات القانونية التي صدرت عند فرض الحماية على المغرب لم يستفد منها المغاربة اذ انه قصد بها تنظيم العلاقات ذات العنصر الاجنبي سواء من حيث الجوهر او من حيث الشكل فهي قد انشئت لتطبق في المحاكم الفرنسية في الجنوب وهي التي حلت محل المحاكم القنصلية في الجنوب ومثل هذا كان معروفا في المنطقة الشمالية ، فقد انشأت الحماية الاسبانية بها المحاكم الاسبانية ولكن ابقى على المحاكم القنصلية ومثل هذا حدث في المنطقة الدولية حيث انشئت المحاكم الدولية بالاضافة الى هذا فانه بجانب المحاكم الشرعية التي كانت محاكم ذات الولاية العامة تفصل في سائر القضايا سواء اكانت مدنية ام تجارية ام جنائية انشئت المحاكم المخزنية التي اصبح اختصاصها يتسع بقدر ما يضيق اختصاص المحاكم الشرعية ، واذا كانت المحاكم القنصلية قد زالت بعد الاستقلال والمحاكم الفرنسية في الجنوب اصبحت تسمى بالمحاكم العصرية ، وفي الشمال فان المحاكم الاسبانية اندمجت في العادية والمحاكم المخزنية في الجنوب اصبحت تسمى بالعادية والمهم انه بالنسبة للمحاكم العادية لم تكن تعرف تدوينا للقوانين التي تسير عليها سواء بالنسبة للجوهر او بالنسبة للشكل ، ويمكن ان نقول في كثير من الحسرة والالم على انها كانت محاكم دون قانون اذانها تطبق الشريعة الاسلامية والعرف ومباديء العدالة والقانون الطبيعي وليس معنى هذا اني اتنكر لهذه المصادر ولا اعتبرها مصادر بل معناه ان تعدد الاراء وتشعبها في المشكل الواحد كان يؤدي الى الفوضى والاضطراب وعدم استقرار المعاملات وثباتها فيما بين الناس ، وكان يؤدي الى تمكين القاضي من سلطة تقديرية واسعة النطاق يمكن ان يستغلها في بعض الظروف لصالح احد الخصوم وهذا الوضع موروث عن الحماية التي قصدت الاساءة الينا والنيل من قضائنا وتشريعنا وقصدت ازدراءنا واحتقارنا فلم تخضع ابناءها للقانون الذي يخضع له المغاربه وبعد تطويره وتدوينه وظلت المدونات التي وضعت ايام الحمايه غير ساريه المفعول امام المحاكم العاديه بل ظل استعمالها قاصرا على المحاكم العصرية اكثر من هذا فان المجلس الاعلى الذي انشيء بـ 27 شتنبر 1957 لم يحقق الوحدة ولم يلعب دورا مهما في تقنين احكام القضاء ، اذ انه ظل مقسما الى غرف اربع. غرفتان للقضاء العصري ، وغرفة ثالثة للقضاء الاداري. وغرفة رابعة للقضاء العادي ، وهذه الغرفة لم تكن في اجتهادها ترغب في تبني المدونات العصرية . ولهذا كان الاجتهاد القضائي الذي يكون نواة العمل للمشرع وللمقنين لم يكن موحدا . وظل الامر كذلك حتى صدر ظهير 26 يناير 65 الذي قضى بالمغربة والتوحيد والتعريب والذي اعطى السيد معالي وزير العدل فترة انتقالية تنتهي بنهاية 1965 لتحقيق المباديء الثلاث وهكذا في اول يناير 1966 تم التعريب والمغربة والتوحيد. والمهم انه بعد هذا التاريخ اصبحت المدونات التي وضعت لتطبق امام المحاكم الفرنسية في الجنوب والتي اصبحت عصرية فيما بعد تشمل نفوذها المغرب كله الشمال والجنوب ومنطقة طنجة واصبح يخضع لها المغاربة حتى في علاقاتهم فيما بينهم وبين بعضهم البعض وزالت المحاكم العصرية من الوجود فهكذا اصبحت هذه المدونة تسود ولم يبق الا تحويرها وتعديلها لتصبح منسجمة مع الواقع المغربي لانها وضعت لتطبق على غير المواطنين المغاربة وهذا التعديل ضرورة لازمة، وعلى كل فقد قضينا على سيادة قوانين متعددة تخص المشكل الواحد تقسم ابناء الوطن وتقطع اوصاله وتعمل على عدم التدوين وهكذا نكون قد حققنا امنية عزيزة علينا واملا غاليا في الحياة وفكرة سامية كثيرا ما راودت المصلحين وداعبت نفوسهم وتاقوا الى تحقيقها ورأوا في بلوغها بلوغ اقصى امانيهم

**الرباط : عبد النبي ميكو**

النبي ، الذين ان رضي في حياته فانما بهم يرضى ، وان غضب فانما لهم يغضب

ويصف الشاعر تطلعه اليهم في المقطع الثاني بانه ينبع من نوازعه ، ومن لبه ، من احسائه المضرمه بعواطفه الصادقة نحوهم ، وعقله المومن بقضيتهم ، ولعل الشاعر يريد ان يشير من طرف خفي ، وبطريق غير مباشرة الى اتحاد القلب والعقل في حبهم ، اذ كان كثير من الشعراء يعطفون عليهم شفقة مما لاقوه في كربلاء ، اما ان يومنوا بقضيتهم مجردة عن العاطفة فامر نادر ، اما ( الكميت ) فيرمي بذلك الى انه مومن بقضيتهم قلبا وفكرا

وبعد ان يوكد الشاعر لال البيت انه سوف يتجنب كل امر يكرهونه ، ما استطاع الى ذلك سبيلا ، يشير الى ما يلاقي في حبهم ، وفي الدفاع عن قضيتهم ، من مكروه، فبعض الناس يشيرون اليه بالايدي داعين عليه بالخيبة والفشل ، بينما المشيرون اشد خيبة وفشلا ، وبعض القوم يكفره ، وبعضهم يصفونه بانه مذنب مسيء ، غير ان كل هذا ليس بضائره ، فليس يضيره تكفير هولاء لانه عالم بحقيقته ، واحقية ايمانه ، وليس يهمه من وصفه بالعيب من اولئك لانهم عنده اشد عيبا وافظع ، ثم ان هناك من يدعوه بالترابي في هواه ورايه ، في ميله النفسي واقتناعه العقلي ، وهو مقر لترابيته ، ليس ينفيها ؟ ويداريها فحبه لال البيت شيمة متاصلة في نفسه، لن يحيد عنها ولو اجتمع القوم كلهم عليه ، ولو توعدوه فهو يحتمل احقاد الاقارب ويتغاضى عنهم ، ولكن الاباعد متى عادوه عاداهم ، وكال لهم من جنس عملهم فهو لا يستكن لهم ، ولا يخفي عنهم ولاءه لبني هاشم لانه يعلم صوابه في هذا الولاء

بعد هذا ينتقل الشاعر الى لب الموضوع ، ينتقل من وصف نفسه وشانه مع اعدائه الى المنافحة عن المذهب والغريب في هذا الانتقال انه انتقال مزدوج ، فهو انتقال من اسلوب عاطفي ، عند ما كان يعبر عن عاطفة شخصية ، الى اسلوب المحاجة ( العقلية ــ النقلية ) ان صح التعبير ، عند ما اصبح يعبر عن وجهة النظر الشيعية

وقد استهل الشاعر هذا المقطع بفكرة قوية جدا ، لا شك في انها رفعت من معنوية الشيعة بمقدار ما اقضت مضاجع الامويين ، وذلك بانه جعل الامويين لا تجوز امورهم الا بخاتم النبي ، وخاتم النبي من حق الهاشميين ولكن بني امية اغتصبوه اغتصابا لم ير الشاعر مثله ، ولم « ير » في هذا المقام عبارة كثيفة تحتمل ان يكون معناها لم ير في حياته ، وتحتمل ان يراد بها ان الشاعر لم يعلم في اي زمان سالف

ثم يشير الشاعر في نفس المقطع الى قضية كان الشيعة قاطبة يومنون بها ، لا فرق في ذلك بين غلاتهم ومعتدليهم ، وهي مسالة الوصاية بالولاية لعلي ، بعد النبي طبعا ، ويستدل الشاعر باي من القرءان الكريم اشار اليها بذكر سورها ، مثل ( وات ذا القربى حقه ) و ( قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى ) فقريش متمثلة في الامويين ، لا تتصرف في الامر الا بحق ال البيت، ولا تجوز امورها في الامة الا بخاتمهم

ثم خلص الشاعر الى نقد الامويين واظهار ظلمهم، والتدليل على الاعيبهم وحيلهم السياسية ، فهم يتوارثون الامر غصبا وجورا ، وهم ما ان ينجحوا في بيعة مزيفة ، الناس كارهون لها ، الا واستعدوا لبيعة اخرى ، وهم يتلاحقون على الامر ولا هم لهم الا ان يحتكروا خيرات الامة دون ان يفكروا في مطالبها ، انهم ساسة ظالمون متعسفون اشبه بحيوانات ضارية تتربص الفرص لاغتيال فريستها ، انهم قادة ظالمون قساة ، جائرون ، مخاتلون يشبهون الضباع والذئاب في طبائعهم

ثم يشير الشاعر الى ادعاء الامويين انهم ورثوا الخلافة عن ابائهم ، وليس ذلك بحق ، فاباوهم قد اغتصبوا الخلافة ظلما وغدرا ، وتوريثهم اياها لابنائهم لن يكون الا تماديا في الظلم والغدر والاغتصاب ، انهم سفهاء اذ يرون ان لهم في الامر فضلا وحقا ، وحق الهاشميين اوضح واوفى

ثم يدلل على ان الامويين يناقضون انفسهم حيث يقولون : انها لم تورث

وهنا يشتد عنصر الجدل العقلي الذي يمتاز به الشاعر حتى يبلغ مداه ، فهي اي الخلافة ، لو لم تورث لكان فيها نصيب لاحقر القبائل العربية واقلها عصبيه ومجدا ، وراح الشاعر يعدد كثيرا من صغريات القبائل العربية التي لم تكن لها سابقة في الجاهلية ولا في

الامويين . عش امين للشيعة . نشأة الشاعر بهذه المدينة اذا جعلت منه عالما كبيرا يكاد يستوعب كل مناحي النشاط الفكري المعروفة لأيامه ، كما جعلته يعتدل في تشيعه فيعتنق اسلم المذاهب من الشوائب الاسطورية الدخيلة . كالرجعة والتناسخ وعصمة الامام او تاليهه

— 3 —

والقصيدة التي نحن بصددها تمثل الذروة في ادب ( الكميت ) الشيعي : ان كان في قولنا : انها ذروة الشعر الشيعي اطلاقا . بعض المبالغة . فهي اطول هاشمياته ، اذ تكتسح بشرحها جزءا هاما من صفحات الكتاب . وابياتها تبلغ نيفا واربعين ومائة بيت . وقد برزت فيها كل السمات التي ترون على شعر ( الكميت ) الشيعي . فالجدل العقلي يلعب فيها الدور الرئيسي . والاعتماد على التعبير المباشر الذي لا يتكيء على الضبابية الموحية ، التي يقصد اليها الشعراء الذين يؤمنون بجمالية الكلمة في بناء القصيدة . ( فالكميت ) يعمد الى ان تكون معانيه واضحة محددة . فقصيدته لذلك اشبه بخطبة سياسية في حملة انتخابية . او باختصار ان قصيدته بناء منطقي ينطلق من مقدمات وينتهي الى نتائج لا يملك المرء معه الا ان يقبلها ، فهو يدلل على احقية ال البيت في الخلافة . ويدلل على اغتصاب الامويين لها . يدلل على كل ذلك باي القرءان تارة . وبقرائن عقلية منطقية تارة اخرى

كما ظهرت على القصيدة سمة اخرى من السمات التي تميز شعر ( الكميت ) الشيعي . وهي توليد المعنى وتمطيطه . وتصفيته وهي ظاهرة ستنمو فيما بعد عند شاعرين عباسيين . احدهما شيعي ايضا هو مهيار الديلمي، وثانيهما هو ابن الرومي

وتجدر الاشارة ايضا الى ميل فطري اصيل كان يدعو ( الكميت ) الى استعمال الغريب ، وهي ميزة عامة لشعره ، ولكنها واضحة جدا في هذه القصيدة ، وانا اعتبر ان ميل (الكميت) الى الاكثار من استعمال الغريب من الكلام امر طبيعي لأسباب ، منها : ( ان ( الكميت ) كان راوية كبيرا للشعر القديم ، وعالما قديرا بغريب اللغة ) ، فلا جرم ان يؤثر ذلك في اسلوب الرجل ، بحيث معدى له من ان تسيطر ملكته اللغوية الخصبة على طريقته في التعبير

ومن هذه الاسباب ايضا ان ( الكميت ) عاش في فترة تعصب فيها العلماء والادباء والنحاة ، والرواة ايضا . الى الادب القديم . فكان الواحد منهم لا يحتج الا بالشعر الذي جارى الادب القديم في اسلوبه والفاظه وصيغه . فلعل الشاعر كان : ( يستعمل لادخال الغريب في شعره ) لكي يحتج به . او لكي يرضي علماء اللغة ، وهو منهم

ولعل هذا يجرنا الى ثورته على المقدمة في القصيدة القديمة . هذه الثورة التي نلاحظ انها لم تكن ثورة فنية مفلسفة كما ستصبح عند ابي نواس . بل هو يضرب عنها فقط لكي يتفرغ الى موضوعه بكل طاقاته وامكانياته هذا الموضوع الذي يرى انه من الاهمية بحيث لا يسعه ان يذكر شيئا بجانبه . ودليلنا على ان ثورته على المقدمة الجاهلية في القصيدة لم تكن صادرة عن وجهة نظر فنية . هي انه حتى في هاشمياته . وفي هذه البائية بالذات . ظل يترسم الخطوات الجاهلية في العبارة . وفي التشبيه والاستعارة . وفي الصورة الشعرية . وفي استعمال اللفظ الغريب القوي الذي يملأ الفم والسمع عند الانشاد

— 4 —

وقبل ان ننصرف الى مناقشة قصيدة ( الكميت ) مستقرئين مضامينها النفسية والجمالية يجمل بنا ان نلم بالافكار الرئيسية التي تنضوي تحتها

يستهل ( الكميت ) قصيدته بالاعراض عن الملاذ والزهد في طيبات الارض . بما في ذلك المرأة فهو لا يتوقه امل مخضب . ولا يشعر باي ميل الى التغني بمفاتن انثى مهما بلغت درجة جمالها ، هذا بالرغم من ان التغني بالمراة كاد يكون تقليعة العصر الذي عاش فيه ( الكميت ) .

كما ان الشاعر لا يشعر بما كان العرب ينشغلون به من زجر الطير وعيافته . طيرة او تفاؤلا . بل كل همه كان ان يقصد الى بيت اهل الفضل والعلم والعقل والشرف وخير بني الانسان ، هؤلاء القوم البيض الوجوه ، من اثر النعمة والشرف الرفيع العريق الذين يتقرب بحبهم الى الله فيما نابه في الارض ، وما كتب عليه من اثام وذنوب . هؤلاء القوم هم بنو هاشم ، آل

عنها مجاهرا ؟ وعاقبة هذه المجاهرة عليه ليست هينة ؟ بل كيف ينتحل الشاعر التشيع وقد اجتمع ضده الاقارب والاباعد لائمين وعائبين ومكفرين ؟ وهو صامد يتغاضى عن اقاربه وينافح اعاديه ، وينصب لهم بقدر ما نصبوا

عاطفة ( الكميت ) اذا صادقة واقعيا ، وقد عبر عنها تعبيرا واضحا مبلغا في قصيدته فكانت صادقة فنيا ، ونحن لا نحتاج الى الشواهد في خارج هذه القصيدة لندلل على صدق هذه العاطفة ، وان فعلنا ، لان صدق العاطفة يعلن عن نفسه في غضون التجربة الشعرية نفسها ، ويزيد صدقه الفني فيمس في ظاهرة اخرى هي اخلاصه لمذهبه العقلي الجدلي المعتمد على المناظرة والمقارعة بالحجة والبرهان العميقين ، ايكون الرجل مدخول العقيدة ، ثم يحاول ان يعبر عن اصالتها بابعد الحجج وامتنها ؟ متكلفا في سبيل ذلك كل جهد ؟

— 7 —

يفاجئنا الشاعر في مطلع قصيدته بالاضراب صفحا عن الاستهلال التقليدي ، من نسيب ، وبكاء على اطلال الحبيبة ، ووصف للراحلة ، والاهوال التي لقيها في رحلته ، فهو يعمد راسا الى موضوعه الاساسي ، بعد ان يعلن عن اضرابه عن هذه المقدمة التي كانت لا تزال تتمتع باتم الاحترام ، من لدن المبدعين ، والمتذوقين ، على السواء ، واعتقد ان ابا نواس قد تاثر في هذا ، رغم اننا نعرف اختلاف الدافع عند كل منهما ، فالدافع عند ( الكميت ) شعور باطني باولوية واهمية ، بل وقداسة موضوعه ، فلا داعي عنده الى تلك ( الشكليات ) التي ليس لها قيمة في دعم الموضوع ، بالاضافة الى انها ليست من طبيعته ، اما الدافع عند ابي نواس فيصبح ثورة فنية شعوبية في ان واحد، بحيث اجتمعت لديه فكرة عدم جدوى هذه المقدمة المكررة ، ولا قيمتها من الناحية الفنية ، وفكرة ان العرب بهذه المقدمة الدخيلة التي يقحمونها في كل محاولة شعرية ، يدلون على تفاهة ثقافتهم ، وتشويش تفكيرهم ، واختلال منطقهم ، وتحولت الثورة بذلك الى ظاهرة شعوبية اعتنقها ابو نواس وفلسفها في وقت كادت القصيدة العربية فيه ( تتخذ شكلها النهائي )

ثم ان ( الكميت ) لا يتيمن ولا يتشاءم بزجر الطير وعيافتها ، لا يتطير ولا يتفاءل بسانح ولا بارح

وهذه ظاهرة اخرى كانت شائعة في العرب الى زمن طويل جدا بعد عصر ( الكميت ) ، كان كثير من كبار المفكرين يومنون بالزجر والعيافة طيرة وتفاؤلا ، حتى ان الطيرة تحولت عند ابن الرومي مثلا، الى نوع من العصاب عز عليه التخلص منه .

انني اعتبر اعراض (الكميت) عن المقدمة التقليدية، واضرابه عن الزجر والعيافة ، اعتبر ذلك عنصرا جماليا بحتا ، فهو لا يعتقد بعدم جدوى هذه المقدمة كما لا يومن بخلو ظاهرة الزجر والعيافة من كل قيمة ، بل انه ما عمد الى الاضراب عنهما الا للتدليل بطريق غير مباشرة على ان موضوعه من الاهمية بحيث لا يقبل ان يدخل اليه بمقدمات مهما كانت نوعية هذه المقدمات

ثم ان اشارة الشاعر الى ما كان يلقاه من غير الشيعة من عداوة ومكروه ، لم يكن في الحقيقة شكوى وجدانية ، او تعبيرا عن حالة شخصية فردية فقط ، بل كان على نحو ما ، تعبيرا عن ملابسات العصر ، فكاني به ينطلق من الجزئي المحدود الى الكلي العام ، رغم ان هذا مفهوم لم تشتد الدعوة اليه الا موخرا، ان وصف ( الكميت ) لما يلاقيه يعبر في نفس الوقت عما يلاقيه هو بالذات ، ويعبر في غضون ذلك عن مقتضيات العصر وتطاحن الاحزاب السياسية فيه ، فهولاء يكفرونه ، وهو قد كف عن تكفيرهم لكي لا يكون مثلهم ، الخوارج ، وهولاء يعيبونه ويصفونه بالاساءة وارتكاب الذنب ، الاموية ، وفئة اخرى يدعونه بالترابي غمزا له ، المرجئة فهو بهذا يلخص حالة العصر وتطاحن احزابه السياسية من الناحية النظرية حول مشكلة الحكم، ويظهر طبعا ان وجهة النظر التي ينافح عنها هي اصح واسلم النظريات

وانا اعتقد شبه جازم ان الشاعر لا يقصد الى جمالية الكلمة في ابداع الشعر ، بقدر ما يقصد الى ان يجعلها تحمل وتبلغ المعنى المحدد الذي يريد تبليغه ، فليس في قصيدة ( الكميت ) تلاعب بلاغي مقصود لذاته فهو لا يعمد الى المحسنات اللغوية ، او الى التصنع الذي كان عصره يزرع بذوره في تضاعيف القصيدة العربية ، كما انك لا تحس ، وانت تتذوق القصيدة ، ان الشاعر يرزح تحت اللحظة الذاهلة المذهلة التي تخدر عقلية المبدع ، وتنقله الى اجواء ضبابية مبهمة ،

الاسلام ، حتى ان ذكر هذه القبائل اكتسح خمسة ابيات من الشعر

ثم انها ، اي الخلافة لو لم تورث لكان الانصار اولى الناس بها ، فهم الذين اووا الرسول ونصروه .وهم الذين شهدوا بدرا ، واعتز الاسلام بهم .

— 5 —

ولعل اكبر ميزة تلازم اسلوب ( الكميت ) في شعره الشيعي هي انه يتوخى غزارة الحجة ، ويسبك في لفظ متين ، مع حذاقة في الاشارة التي تغمز في الامويين من طرف خفي ، بالاضافة الى استعمال مفرط احيانا للغريب من الكلم ، مع تمطيط وتمديد للمعنى الواحد ، في تدفق استطرادي قد يظهر لاول وهلة عيبا او غير ذي قيمة في الاثر ، ولكن يوجد له ما يبرره بعد امعان النظر فكثير من استطراداته مقصودة لغرض في نفس يعقوب ، وسنشير الى ذلك عند المناقشة العامة للاثر في الفقرة الاخيرة

كما ان ميزة التعبير المباشرة ، الذي قد يشبه في غالب الاحيان خطابية وتقرير الخطبة السياسية الهادفة ، قد ظهرت بارزة في هذه القصيدة العظيمة ، وكما ان طبيعة مذهب ( الكميت ) في تعبيره بالحجة والبرهان المشتقة من القرءان ومن علم الكلام ، ومن المنطق ، قد وجهت الشاعر الى ان يقولب افكاره ومعانيه في قوالب من التعبير توصل المعنى محددا واضحا ، بلا ضبابية وبلا ايحاء ، ( فالكميت ) يعبر مباشرة وبقصد عما يريد قوله ، بدقة وتحديد نادرين ، وهذا لا ينفي ان توحي بعض اجزاء القصيدة ببعض الافكار والمعاني الجانبية التي اراد الشاعر ان يعمي فيها ، الا ان ضبابية الشعر ، واعتماده على عنصر الايحاء ، قل اثرهما في ادب الكميت عامة ، وفي هذه القصيدة بالذات وهذه ظاهرة تفرضها طبيعة المذهب الذي اخذ الشاعر به نفسه ، وهو مذهب مهاجمة العدو بالحجة ، ونصرة ال البيت بالحجة ، ولا شيء غير الحجة ، الحجة التي منبعها العقل ، والعقل لا يومن بغير الوضوح ، وان ( الكميت ) كتب لنا خطبا قوية ( ممنطقة ) الا انها موزونة مقفاة

— 6 —

• ورغم اختلاف كثير من رجال الادب حول مدى صدق ( الكميت ) في تشيعه ، الا ان اثاره الهاشمية ، وبائيته هذه بصفة اخص ، يمتاز بالصدقين الفني والواقعي معا ، فبالرغم من ان ( الكميت ) مدح الامويين تقية فاجاد ، وهجا اليمنية متعصبا للمضرية فاجاد ايضا ، فليس في قصيدته ما يجعلنا نشك في صحة تشيعه ، فانت لا تكاد تبدا بتذوق قصيدته حتى تاخذك عاطفة متاججة الى عقل متروٍ في المنافحة عن الهاشمية وقضيتهم ، هذا بالاضافة الى ان الشاعر رد على ممدوحيه من الشيعيين الهاشميين اموالهم التي اجازوه بها ، مكتفيا ببعض ( البستهم التي تلي ابدانهم ، تبركا ) فاكثر الكتب الادبية تنقل لنا انه رد مرة جائزة علي بن الحسين ، وكانت اربعمائة دينار ، ومرة رد جائزة جعفر الصادق وكانت الف دينار ، ( فالكميت ) لا يمدح ال البيت من اجل الدنيا ( والا لقصد الى من هي بيديه ) ولكنه ( احبهم للاخرة )

فعاطفة الشاعر اذا صادقة اصيلة يقوم عليها اعتقاد بثوابها في الدار الدائمة :

الى النفر البيض الذين بحبهم
الى الله فيما نابني اتقرب
بني هاشم ، رهط النبي ، فانني
بهم ، ولهم ، ارضى مرارا واغضب

فاية عاطفة اصدق من ان يومن الشاعر بان حبهم انما هو اتمام لايمانه بالله ؟ وتقرب اليه ؟ واية عاطفة اصدق من ان يجعل غضبه لا يكون الا لهم ، ورضاه لا يكون الا بهم ، وما حياة الكائن البشري الا رضى وغضب ثم لاحظ هذه ( فانني ) التي يوكد بها غضبه ورضاه ، والتي اعتبر ان البيت لم يبتديء الا بها

عاطفة ( الكميت ) اذا صادقة اصيلة نحو الهاشميين رغم ان كثيرا من المشتغلين بالادب قد اتهموه بانه ينتحلها محتجين في ذلك باجادته في مدح الامويين ، هذه الاجادة التي لم تكن كثيرة ولا عسيرة على رجل ذي شخصية قوية في مناحي شتى من مناحي النشاط الفكري (فهو خطيب بني سعد ، وفقيه الشيعة ، وحافظ للقران، وكاتب حسن الخط ، ونسابة ، وجدلي وهو اول من ناظر في التشيع مجاهرا بذلك ) .

كيف يكون الشاعر منتحلا لنزعة هو اول من نافح

وناهيك بكلمة ( كارهين ) في البيت ، فهي حشو من حيث الصيغة العربية ، ولكن البيت يكاد يخلو من كل قيمة بدونها ، فهي اهم عنصر في البيت ، ولا يستغنى عنها حتى ولو بمرادف لها

ويتمادى الشاعر في استقصاء الصورة في البيت الثاني مضيفا اليها عنصرا جديدا هو حرص الامويين على مصلحتهم الخاصة دون الاهتمام بامر الامة وبمطالبها وحاجاتها . فركوب الدابة من دون ان يسموها ، واهتمامهم فقط بامترائها وحلبها دون ان يبالوا بما يضيمها ويريحها فيه ما فيه من حلولية الرمز وتناسقه وجماليته

وبعد ان يفند الشاعر ادعاء الامويين بانهم ورثوا الامر عن ابائهم ، وبعد دحض هذه الدعوى بالاشارة الى احقية الهاشمية في الامر ، ينتقل الى الاحتجاج لال البيت واظهار تناقض الامويين اذ ما ان افحمنهم الحجة بان الامر ان كان وراثة فالهاشميون احق به ، حتى عدوا ينادون : انها لم تورث ولو انها ورثت لاشتركت فيها جميع القبائل العربية . ولكان فيها نصيب لاحقر هذه القبائل واصغرها

ثم مضى يسرد هذه القبائل العديدة حتى ان احد الابيات الخمسة التي ذكر فيها القبائل لم ترد فيه اية كلمة ذات مدلول قائم بنفسه . بل كان سردا صرفا لاسماء القبائل :

وعك ولخم والسكون وحمير
وكندة والحيان بكر وتغلب

فالبيت . باستثناء كلمة « الحيان » وواو العطف ، تعداد لاسماء القبائل فقط

وقد يظهر لاول وهلة ان هذا من ( الكميت ) عمل ليس تحته طائل . اذ كان يكفي ان يمثل ببعض هذه القبائل ففي ذلك غناء عن الباقي في هذا المجال

الا اننا اذا امعنا النظر ، نخلص الى ان (الكميت) يعرف ما يقول ، فهذه القبائل بالاضافة الى انها ليست بذات سابقة في الاسلام ولا في الجاهلية وليس لها شرف عريق وبيوتات ذات ثقل في الجزيرة ، وبالاضافة الى ان للكثير منها معنى لغويا خسيسا

فالعك مثلا معناه اشتداد الحر مع انحباس الريح
ولخمه « فعل ماض » معناه لطمة او قطعه

ورجل لخمة « بضم اللام او فتحها » معناه ثقيل الروح لئيم

وكند « بسكون النون » مصدر لفعل كند ، ومعناه الكفران بالنعمة والكندة معناها القطعة من الجبل

اقول بالاضافة الى كل هذا : ان اغلب القبائل التي ذكرها هي قبائل يمنية . وقد كان الشاعر متعصبا على اليمنية . فلعله اراد هجاءها من طرف خفي بالصيغة التي صاغها والتي يستشف منها ان الشاعر يستبعد ان يكون لمثل هذه القبائل الحقيرة شان في امر الخلافة ، لانه جعل لها نصيبا فيها ما لم يورث ، ونحن نعلم ان الشاعر مومن بان الامر موروث . ولكن الارث مغتصب مهضوم، اذا فليس لهذه القبائل حظ فيه . وهذا منتهى اللباقة في الهجاء

ولعل مما يؤيد هذا الراي بالاضافة الى ما تقدم ان الشاعر اختار قبائل عربية كانت الدائرة عليها في كثير من ايام العرب الشهيرة

فتغلب اندحرت في يوم ( براخة ) مع حلفائها من اياد . وفي يوم ( زرود الاخر ) وفي يوم ( ملزق ) مع حليفتها بكر . وقبائل اخرى

وكندة انهزمت في يوم ( شعب جبلة ) مع حليفتيها اسد وذبيان . وايضا في يوم ( النعيبة ) او ( الكلاب الثاني ) مع حلفائها من قبائل مذحج وهمدان

ومن همدان قبيلتا بكيل وارحب

وعبد القيس انهزمت في يوم ( عينين ) الخ

ذكر ( الكميت ) اذا لكل هذه القبائل لم يكن اعتباطا . بل كان لان هذه القبائل اما كانت لها مدلولات لغوية خسيسة . واما لانها كانت غير ذات ثقل في الكيان العربي . واما لانها اندحرت في ايام مشهورة من ايام العرب . ولا تكف العرب تعيرها بهذا الاندحار ، واما لانها ، وهذا اهم قبائل يمنية ، وذكرها في هذا المقام هجاء لها . ونحن نعلم ولع ( الكميت ) بهجائها لانها كانت مناصرة للحكم الاموي

تتكاثف فيها خوالج النفس وتتصارع تياراتها ـ انت لا تجد شيا من هذا ، بل تجدك امام انسان واع متعقـل ينطق بكلام واضح مفكر ، وهو في تمام اليقظة والانتباه العقلـــي

الا ان شعر ( الكميت ) الهاشمي ، وان استطعنا ان نفي عن اكثره بعض العناصر الجمالية البحتة . كالضبابية الموحية ، ورشاقة الكلمة ، وحلاوة الجرس والغرف من معين المحسنات اللغوية ، ان استطعنا ان ننفي عنه بعض هذا الجمال ، فنحن لا نملك الا ان نقر له بجلاله . فشعر ( الكميت ) اذا من الادب الرفيع ، القصيدة عنده بناء فكري عاقل متعقل ، ينافح عن الحق ، والمنافحة عن الحق جمال وخير وجلال ، ان الكلمة في قصيدة ( الكميت ) رمز صريح جاد ، يقولب المعنى ويأسره ، ويبلغه بايسر جهد ، وعنـدي ان ( الكميت ) لا يختلف في تذوقه اثنان كبير اختلاف ، مهما تباينت حساسيتهما الادبية ، انظر اليه في هذا البيت :

بخاتمكم غصبـا تجـوز امورهـــم
فلـم ار غصبـا مثلـــه يتغصـــب

كيف يختلف اثنان في فهمه ؟ اليس من الوضوح بمثابة الحديث اليومـي ؟ اليس مضمونـه يصـل الى المتذوق بدون تلكوً ؟ منذ القراءة الاولى ، واضحـا محدودا ، بين الغرض ؟

ثم انظر اليه في البيت الذي يليه :

وجدنا لكـم في اي حاميم ايـــه
تاولهـا منـا تقـــي ومعــــرب

فصدر البيت اتمام للفكرة التـي يحملها البيـت السابق ، وتوضيح لها اما عجزه ففيـه اشارة خفيـة الى تفنيد اعداء الشيعة لقضية ورود النص بالعهـد لعلـي ، ورد على هوءلاء الاعـداء بان الذي تاول هـذه الايـة الكريمة لم يكن الا من تقاة المومنين واكبرهم علما ، قد يخفى هذا من ليس له المام بقضية الوصاية والخلاف حولها ، ولكن سبب هذا ليس تقصيرا من ( الكميت ) الذي يملك قدرة جد عجيبة على اداء المعاني التـــي يريدها ، وبدون اخلال او تقصير

ثم البيتان اللذان يليانه :

وفـي غيرهـا ايـا وايـا كثيـــرة
لكم نصب فيها لذي الشك منصب
بحقكم امسـت قريـش تقودنـــا
وبالفذ منها والرديفيـن نركـــب

فهذ تمطيط للمعنى وزيادة في الايضاح والبرهنة، وهي ميزة ( للكميت ) سبقت الاشارة اليها

والبيتان بعد واضحان تمام الوضوح ، رغم التعبير في عجز البيت الثاني ، بصورة شعرية متمثلة ، هـذه الصورة البدوية التي انتزعت من الواقع المعاشي اليومي، فاصبحت تعبر عن مبايعة الامويين بولاية العهد لاثنين بعد ان نجحوا في البيعة بها لواحد من ولدهم ، فرمز الشاعر الى الامة براحلة وعليها الفذ ، ثم الرديفان ، كرمز لولاة العهد ، ويمكن العنصر الجمالي في حلوليه وتقابل رموز الصورة الشعرية مع السيء المرموز اليه ، بحيث تحولت الصورة البدوية التافهة ، المبتذلة ، الى عمل ادبي له نكهته الفنية وجماليته ، وهذا امر نادر في شعر ( الكميت ) وفي هذه القصيدة بالذات ثم انظر الى هذه الصورة الجميلة وكأن الشاعر احس بقيمتها فمضى يمططها في الابيات التي تلي :

اذا اتضعونـــا كارهيـن لبيعـــــة
اناخوا لاخرى والا سنة تجـــذب
ردافى علينـا ، لـم يسيموا رعيـة
وهمهـم ان يمتروهـا فيحلبـــوا
لينتجوهـا فتنـــة بعــد فتنـــة
فيفتصلـوا افلاءهـا ثـم يربـــوا

ان الابيات الثلاثة تظاهر بعضها ، وتتكامل مـع الصورة الشعرية التي بداها الشاعر في عجز البيت الذي قبلها ، ثم مضى يمططها ويولدها ، ويستصفي معينها ،على عادته فاتضاع البعير ايضا ، واناخته ، وجذب زمامه كي يحمل او يركب ، كلها حوادث يومية مألوفة في حياة العرب ، فهي تقع تحت العين في كل ان ومكان ، فهي بذلك تافهة مبتذلة ، ولكنها عنـد ما انتزعـت من الحياة اليومية المبتذلة وحولت الى صورة شعرية ترمز الى احتيال الامويين لبيعتهم الى اكراه الامة على هذه البيعة بشتى الوسائل ، ترغيبا وترهيبا عند ما حولت الى هذا فقدت تفاهتها وابتذالها ، وامست لوحة فنية جميلة.

# المناهج التعليمية عند ابن خلدون

للأستاذ محمد الأمين الدرقاوي

(3)

راينا في المقال الاول كيف تحدث ابن خلدون عن الغاية من التعليم . وكيف انه قسم هاته الغاية قسمين . غاية قريبة يسعى اليها المتعلم باديء ذي بدء . وغاية بعيدة هي اسمى ما يطلبه الانسان . وراينا كذلك ان وسائل التعليم تاخذ نوعين من الاتجاه في هذا اللون من الصناعات البشرية او منهجين يختلفان ما بين مرغوب فيه ومرغوب عنه . فالنوع الاول امور ينبغي ان يتجنبها المعلم كطرق موصلة للعلم . وعرضناها على النحو التالي : 1) كثرة التاليف 2) كثرة الاختصار 3) التحذير من البداية بالمسائل المقفلة 4) عدم الاقتصار على كتاب واحد 5) تطويل الجلسات 6) صناعة المصنف 7) الشدة على المتعلمين

وراينا في المقال الثاني المناهج والطرق التي ينصح ابن خلدون باتباعها في صناعة التعليم . وعرضناها على النحو التالي : 1) التدريج 2) الاقتصار على علم واحد في التعليم 3) استعمال الفكر الطبيعي 4) التوسع او الاختصار حينما تلح حاجة المتعلم على واحد منهما، او على كليهما . 5) السيطرة وتربية روح النقد والملاحظة في المتعلم ومحاولة النعور بيئته 6) الرحلة في طلب العلم . 7) الاستعداد الروحي من طرف المتعلم بالطهارة من جهة وبالتوجه الى الباري – جلت عظمته – بالدعاء في الفتح من جهة اخرى

وفي هذا المقال نتابع عرض المناهج التعليمية عند ابن خلدون . ودابنا في هذا المقال وفيما سبقه تجنب الاطناب والتحليل الذي يذهب براي ابن خلدون ذهاب الغريق وسط امواج البحر ومستجيبين لبعض ملاحظات الاستاذ ادريس الكتاني التي لا تخلو في مجملها من سداد في الراي . ومحللين او معلقين بعد ذلك على راي ابن خلدون نقدا ، و موازنة او تعليقا

**طريقة المناظرة والمحاورة :**

ومما يضاف الى المناهج التعليمية عند ابن خلدون طريقة المناظرة والمحاورة كما يقول : ( وايسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة فهو الذي يقرب شانها ويحصل مرامها ) فانت ترى ان ابن خلدون الذي يرى ان اسمى ما يسعى اليه المتعلم هو حصول الملكه وهي عنده – كما سنرى جسمانية – اشتقها هو او اشتقها من سبقه الى استعمالها من فعل ملك الشيء اذا حصل له وصار في ملكه . كما يبدو من جوانب الكلم في حديثه عنها . وهو لذلك يرى ان فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة يقرب شان هاته الملكة ويحصل ما يرمي اليه الانسان منها بالمحاورة – وهي الاخذ والعطاء ومراجعة المخاطب للمتكلم ، او بالمناظرة وهي عرض امور من طرف المخاطب بما يخالفها او يوافقها في كلام المتكلم

فطريقة المناقشة كما يعرضها ابن خلدون من اجدى الوسائل عنده في التعليم ، ولذلك ياخذ ابن خلدون على المغاربة – في فترة من الزمن – عدم اخذهم بمذهب المناقشة او المحاورة والمناظرة في التعليم لهذا يقول : ( فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من اعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون ، ولا يفاوضون ، وعنايتهم بالحفظ اكثر من

اما ذكر الانصار فتتخذ وجهته مجرى اخر . ان الاشارة الى يد الانصار البيضاء في الاسلام . وبلائهم في الدفاع عن النبي وعن الدين ضد كفار قريش . وذكر غزوة بدر بالذات . انما هو تعريض بالامويين انفسهم، فهم قادة الحرب ضد النبي والاسلام في هذه الغزوة

كما ان الاشـارة الى وقعـة حنين ايضا غمـز في الامويين . فهذه الغزوة وقعت لخمسة عشر يوما بعد فتح مكة . واسرة الامويين لم تسلم الا بعد هذا الفتح الذي تم بدون قتـال

فكأني ( بالكميت ) يرمي الى ان الامويين . بعد ان ذهبت ريحهم . وغلبوا على امرهم . وتفرق عنهـم الانصار والحلفاء . ولم يستطيعوا رد النبي والمومنين عن مكة . دانوا له على دخل . وكفوا عن حربه حفظا لانفسهم . واسلموا مضطرين . فكيف يكون الامر لهـم في الاسلام ؟وهم هم ؟

فاذا كانت لم تورث . فهو'لاء الانصار المومنون اختيارا . وبصدق احق بها من سواهم . لانهم اووا النبي بعد ان طرده الكفار الامويون . والمومنين معه . وهم الذين نصروه . ووطدوا له . واعتز الدين بجهادهم . فهم احق بالخلافة اذا كانت لم تورث ؟

ولكنها ورثت . وورثتها احياء يرزقون . غير ان ارثهم . اغتصب منهم ظلما . اغتصبه هو'لاء الامويـون الذين ليست لهم سابقة في نصرة الدين . بل كانوا حربا عليه . ولم يسلموا الا مكرهين . وتحت حد السيف

والخلاصة ان ( الكميت ) نافح عن مذهب الشيعة . ونشر مبادئهم في شعر واضح جليل قوي الحجة دامغها . صادق العاطفة مخلصها . واستغل في ذلك جميع مو'هلاته وامكاناته الفطرية منها والمكتسبة . فانت في قصيدتـه تجد علمه بالانساب وبايام العرب . وتجد فقهه وحفظه للقرءان . وتجد تمكنه من اللغة تمكنا ضافيا . وتجـد براعته في البرهنة والاحتجاج . كل ذلك وانت تحس ان الشاعر يتنفس بيسر واطمئنان . هذا بالرغم من اتهام بعضهم اياه في هذه العقيدة الشيعية مدللين باجادته في الهجاء . هجاء اليمنية . او باجادتـه في مدح الامويين وانا اعتبر هجاءه لليمنية اتماما لتشيعه . فاليمنيـة هـي نصير الامويين على المعارضة من شيعة وغير شيعة . اما مدحه لهم فلم يكن الا تقية وجنة يدرا بها شرهم الذي كاد يلحق به . بـل وقد لحق بـه رغم هذه التقيـة . واجادته في هذا المدح ليس حجة في وجود دخل في تشيعه فهو في شعره الشيعي جاد مجادل لا يهتم بالشكل، وبمحسنات اللغة . بل همـه التبليغ القوي الواضـح . اما في قصائد المدح في الامويين ففيها كثير من حيـل الشعراء على المعنى وعلى اللفظ . وصدق ( الفرزدق ) اذ قال حين سئل عن شعـر ( الكميت ) الشيعـي : انـه وجد اجرا وجبسا فبنى ) اشارة منه الى ان الشاعر وجد الموضوع مهيئا فانتج

ولست ادري اقصد ( الفرزدق ) الى التقليل او الى الاعلاء من شانه . ولكن الامر الذي اومن بـه . هو ان ( الكميت ) وجد الموضوع مهيئا فعلا . ولكنه اجاد في تحويل هذه المادة الخام الى بناء يكمن جماله في انه تسميك قوي شامخ

**فـــاس : ابن دفعـــة محمد**

مصادر البحث :

1) هاشميات ( الكميت ) 2) الشعر والشعراء لابن قتيبة 3) طبقات الشعراء لابن المعتز 4) العمدة لابن رشيق 5) خزانة الادب للبغدادي 6) المو'تلف والمختلف للامدي 7) التطور والتجديد للدكتور شوقي ضيف 8) العصر الاسلامي للدكتور شوقي ضيف 9) ادب السياسة للحوفي 10) تاريخ الشعر السياسي احمد الشايب الخ

في المعاد ، وكل هذه امور تستدعي منه ان يحصل ما ليس بحاصل عنده ( ثم لاجل هذا الفكر وما جبل عليه الانسان بل الحيوان من تحصيل ما عنده من الادراكات) فانت ترى ان ابن خلدون يريد بالفكر الحركة التي تنشأ عنها العلوم ، ويريد بها العقل ذاته او الفكر كمستودع للعلم ، اذن فادراك العلم مجهود يسعى اليه الفكر بوسائل خاصة تنتهي به الى ادراك ما لم يكن عنده حاصل :

غير ان هذا الادراك يسير في مراحل :

1 ) الادراك وهو دون المعرفة ودون العلم . فالادراك مجرد وصول من قولك ادركت الامر اذا وصلته وادركت المرئيات اذا انتهى اليها بصرك ولذا اذا كان ادرك الانسان بهذا المعنى امرا من الامور فلا يعني انه قد صار علما او معرفة ، لان المعرفة والعلم مراحل تلي مرتبة الادراك فانت عند ما تدرك امرا ما تكون قد شاهدته ببصرك فقط ، ولا يعني ذلك في قليل او كثير انك تعرفه او تعلمه . فالادراك مجرد رؤيا بصرية لا تخالط ذهن الانسان حتى تصبح معرفة تمتزج به ، او علما حاصلا يتعرف فيه ويستخدمه

وبعد الادراك تاتي مرحلة ثانية هي فوق الادراك ودون العلم بمعناه الكامل وتلك هي المعرفة ، ان المعرفة كما قلنا مرحلة فوق الادراك ، ودون العلم فانت بهذا المعنى ترى الشيءفتدركه ثم تزداد عليه تعرفا فاذا انت عرفته واتقنت معرفته وعرفت اصوله ، وعرفت خفاياه من غير ان تحصل لك في تلك المعرفة دربة تمتزج بحواسك فانت قد عرفتها معرفة دون درجة العلم

اذن فالمعرفة علم بدون تحصيل او علم لم تمتلك فيه الحواس ما عرفت امتلاكا يجوز لها التصرف فيما علمت

فاذا تجاوز الانسان مرحلة مجرد الادراك الى المعرفة وبعد المعرفة استوفى على غاية ابعد من المعرفة بان عرف الاشياء وخبرها ثم حصلها كما يحصل الانسان امرا من الامور يمتلكه ويتصرف فيه تصرف الحاذق المستبطن لخفاياه والعارف باصوله وعلله والمتصرف فيه تصرف الانسان المالك الذي امتزجت عنده المعرفة بالحواس ، واصبحت جزءا من تركيبه الجسماني يدعوها فتجيب ، ويستخدمها فتطيع ، كما تستخدم الالات، فقد اصبح له ذلك ادراكا ثم صار معرفة ثم صار علما .

اذن فالعلم بمعناه البسيط ادراك ما ليس بحاصل ، وبمعناه الكامل ادراك اولا ، ثم معرفة ثانيا ، ثم تحصيل وامتلاك لزمام الامور واستخدامه في طواعية ويسر ثالثا، وهذا التمييز على نحو ما وصفنا هو الذي عناه ابن خلدون بقوله ( فيرجع الى من سبقه بعلم او زاد عليه بمعرفة او ادراك) . رايت اذن ان العلم يبدا اول ما يبدا بالادراك ثم يتطور الى معرفة وتتطور المعرفة الى علم فاذا مر بهاته المراحل ، الادراك والمعرفة والعلم اصبح ملكة . اذن فالعلم في تطوره ينتهي الى مرحلة رابعة بعد المراحل الثلاث عندها يصبح العلم ملكة .

## فما هي الملكة اذن ؟

ان الاصل الاشتقاقي لهاته الكلمة يعطي انها من فعل ملك الشيء اذا صار في ملكه والمعروف انهم ارادوا بهذا المعنى ان يعبروا عن العلاقة بين الملكة في العلوم ، والملك في المحسوسات . فكما ان مالك الشيء يتصرف فيه كيف يريد . فكذلك صاحب الملكة يتصرف في العلم التي حصلت له فيها ملكة ، كما يتصرف صاحب الملك في ملكه ، الا ان الامتلاك الوارد في الملكة والمتصل بالعلم يعني ان المتعلم قد بلغ في التعلم درجة اصبح معها متمكنا من معرفة الفن معرفة الملم باصوله وفروعه وقواعده ، معرفة تجعل من المتيسر له ان يستخدم هاته المعارف استخداما لا يقل عن استخدام المالك لمتلكاته يصرف اصول الفن وقواعده ويعرف اسبابه وعلله حتى تبلغ به هاته المعرفة درجة يمكن ان يناقش ويميز كل العلوم او بعبارة اقرب الى المراد ان تحصل له في هذا الفن درجة المجتهد الذي يبلغ من التحصيل درجة ، ومن القدرة على الخلق او الابتكار او الاختراع درجة ( وذلك ان الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه انما هو بحصول ملكة في الاحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من اصوله ) ، ان الانسان الذي لم تحصل له هاته الملكة على هذا النحو فهو عارف او مدرك ، وليس بعالم ، وقد حرص ابن خلدون على التنبيه على الفرق بين الملكة وغيرها فجعل يشيرها من حين لاخر ، حتى يكون المتعلم قد ميزها ، وعرف حقيقتها ولذلك رايناه يلح من جهة

الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم ) اذن فالمناقشة عند ابن خلدون من اهم الطرق الموصلة للعلم في مناهج التعليم . وقد عبر عنها بالمحاورة والمناظرة وبينا الفرق بين المحاورة والمناظرة وقد ابانت عوامل الزمن عن مدى فعالية هاته الوسيلة في ميدان التعلم بل انها من اهم الوسائل التي بها يتم التمييز بين التلاميذ ومعرفة قدرتهم على الادراك وعدمه .

**التعليم صناعة :**

ان ابن خلدون الذي يفرق بين العلم كحقيقة جوهرية وبين المصطلحات كامور عرضية غايتها ان تهيء الانسان لادراك هذا العلم هو الامر الجوهري الذي يسعى المعلم لايصاله . والمتعلم لبلوغه – يرى ان الوسيلة لهذا التبليغ والبلوغ انما هي مجرد صناعة لا اقل ولا اكثر ، وكون التعليم صناعة قد تختلف الطرق فيه كاختلاف الصناع في طرق صناعتهم . فطرق التعليم اذن ليست من العلم في شيء وانما هي امور خارجة عن ذات العلم وحقيقته كما يتميز العرض عن الجوهر . ولهذا جاز ان يكون لكل معلم طريقه الخاص به يختلف جودة او رداءة باختلاف المعلم مهارة وحذقا او بعدا عن هاته المهارة والحذق في مثل هاته الصناعة البشرية ( ويدل ايضا على ان تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه . فلكل امام من الائمة المشاهير ، اصطلاح في التعليم يختص به شان الصنائع كلها . فدل على ان ذلك الاصطلاح ليس من العلم والا لكان واحدا عند جميعهم) فانت ترى ان ابن خلدون يرى ان طرق التعليم انما هي مجرد اصطلاحات يرتئيها اصحابها والا لو كانت علما لكانت واحدة عند جميع المعلمين لا تختلف بين معلم واخر كما لا يختلفون في ذات العلم، يختلف العلماء في طرق التعليم في عصر ما عن علماء العصر الذي سبقهم . ويختلف العلماء من ابناء العصر الواحد في هاته المناهج ولذلك لا يفتا يمعن في توضيح مهمة المناهج التي هي مجرد اساليب ( الا ترى الى علم الكلام كيف يخالف في تعليمه اصطلاح المتقدمين والمتاخرين وكذا صول الفقه وكذا العربية وكذا كل علم يتوجه الى مطالعته تجد الاصطلاحات في تعليمه متخالفة فدل على انها صناعات في التعليم والعلم واحد في نفسه )

**حاجة الصناعة الى صانع ماهر :**

واذا كان التعليم صناعة فلا بد لهاته الصناعة من صانع ماهر ، والصانع الماهر في ميدان التعليم هو المعلم الماهر في كل زمان ومكان ولهذا يقول : ( وكان السند في التعليم في كل علم او صناعة الى مشاهير المعلمين فيها معتبرا عند كل افق او جيل ) .

العلم ملكة او حفظ ، ان التعليم عند ابن خلدون يرمي دائما وابدا الى غاية واحدة هي حصول الملكة وليست مجرد استظهارها ، ولحصول هاته الملكة وسائل راينا منها المناقشة التي اطلق عليها ابن خلدون المحاورة والمناظرة . واذا خلا التعليم من هاته الوسيلة الفعالة التي بها يستطيع المعلم ان يميز بين من استوفى من المتعلمين حاجته في العلم وبين من لم يصل الى المطلوب فوقف عند مجرد الحفظ ، ولذلك كان ضروريا ان يعطي ابن خلدون لذلك امثلة وان تكون هاته الامثلة طرق اهل المغرب على ذلك العهد من قصور في ادراك المراد من صناعة التعليم والوقوف عند الاستظهار ، لا يناقش منهم المتعلم قضية ولا يتكلم في مسالة من المسائل العلمية ( فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من اعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون، ولا يفاوضون . وعنايتهم بالحفظ اكثر من الحاجة . فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم، ثم بعد تحصيل من يرى منهم انه قد حصل تجد ملكته قاصرة في علمه ان فاوض او ناظر او علم وما اتاهم القصور الا من قبل التعليم . وانقطاع سنده والا فحفظهم ابلغ من حفظ سواهم لشدة عنايتهم به وظنهم انه المقصود من الملكة العلمية وليس كذلك )

**ماذا تعني كلمة علم – ؟ :**

ان ابسط تفسير للعلم يقدمه لنا ابن خلدون هو ان يحصل الفكر على شيء لم يكن حاصلا عنده ، ولذلك كان الفكر عنده منشأ العلوم التي تقابل ما كان مجهولا لان هاته الامور التي تحصل للفكر هي غير طبيعية له ولا هي لازمة له او تولد معه ، وانما يحصل عليها شيئا فشيئا والفكر حركة حاصلة للانسان الا انها دائمة ، وتخالج الامور في اسرع ما يمكن ، والانسان بطبعه يستخدم دائما هاته الاداة في كل الامور ، فالفكر دائم الحركة يفكر في كل شيء يفكر في الحياة بصورة هامة ، ويفكر

من أعلام الأدب الأسباني المعاصر

# روبن داريو 1867 - 1916

للأستاذ حسن الوراكلي

## (4)

حاولنا ، فيما تقدم من حديث ، ان نرسم ملامح من حياة هذا الشاعر المجدد الفذ، متوخين فى ذلك شيئا غير ضئيل من الايجاز ، ومتعمدين حظا غير يسير من الاختصار .

ونحن نود، بعد ذلك جميعه ، ان نعرف المكانة التي يتبواها هذا الشاعر فى سجل الادب الاسباني الحديث، واين يمكن التماس محاولاته التجديدية ، هل كانت تعنى بالشكل دون المحتوى أم بهما معا ؛ ونود أيضا ان نلم — عابرين — بلمحات من اعماق الفن الروبني وابعاده ، لننتهي الى طرح هذا السؤال : الى اي حد يمكن اعتبار روبن اسبانيا علما بأنه نيكاركوي المولد والنشأة ؟

لقد كان روبن داريو شاعرا عظيما ، وكاتبا عملاقا ، تمكن بغناء موهبته وشفافية حساسيته ان يشيد للغنائية الاسبانية شواهق وقمما ، ظفرت، وستظل تظفر الى ما شاء الله ، باعجاب محبي الكلمة المعذوبة وعشاق اللفظة المكوكبة .

واذا اردت ان تعرف المكانة التي تبواها هذا الرجل فى سجل الادب الاسباني الحديث ، فعليك — قبلا — ان تعرف مكانة الشاعر الفحل كونكورة فى هذا الادب ؛ ذلك لانهما يشتركان فى اكثر من ميزة مما يجعل مكانتهما متشابهة ان لم نقل واحدة ، فكلاهما جدد وابدع فى هذا الادب ، وكلاهما سعى ، مجددا ومخلصا ، الى الارتفاع بشكل الشعر ومضمونه الى آفاق يعز التحليق فى أبهائها ، ونحن واجدون شبه اتفاق بين النقاد فى أنه « ليس هناك اسم أبهى والمع بعد كونكورة من اسم داريو » (1) ، وان كنا لانعدم اليوم فئة من القراء لاتزال تعجب بآثار كونكورة وتتلمس فى اعماله الرائعة عمق الفن وجمال المضمون، فانه مما يجب ان نجزم به هو ان ازدهار الشعر بخاصة والنثر الفني بعامة فى اسبانيا اليوم انما يرجع الفضل فى ذلك لمجهودات روبن التجديدية ، وليس من سبيل الى انكار اثر المدرسة الروبينية فى اعداد اعمال جون مغير خوان رامون خمينث من جهة واعمال جيل 1927 أو جيل الاحفاد كما يسميه أونامنو (2) .

ولقد تهيأت لروبن جملة مؤثرات وحوافز، تضافرت كلها لتخلق منه رائدا ثائرا لحركة التجديد، ولعلنا نذكر ما ألمحنا اليه — فيما سلف من قول — من ان مخايل الذكاء وعلائم النبوغ وبوادر الموهبة الفنية المعطاء قد بدت عليه وهو لما يزال يخطر فى أبراد طفولته المبكرة ؛ تعلم القراءة وهو ابن ثلاث سنوات ، وانه ليذكر جيدا كيف ان جده لابيه هو الذي دفع به لقراءة الكلاسيكيين الاسبان على صغر سنه ، يقول : « الجد الاسباني ذو اللحية البيضاء قدم لي مجموعة صور وقال لي : — هذا هو العظيم ضون مكيل ذي سرفانتس ، هذا هو لوبي دي فيكا ؛ هذا كارتيلاسو ؛ هذا كينطانا . انا سألته

(1 انظر : E. Correo Calderon y Fernando Lazaro : Antologia literaria, T. II, p. 193.

(2 انظر : G. Torrente Ballester : Panorama de la literatura espanola contemporanea, ediciones Guadarrama - Madrid

اخرى على توسعة جوانب هذا التعريف حتى تكون الملكة ابين ويكون معناه اوضح عند المتعلم ( وهذه الملكة هي في غير الفهم والوعي لانا نجد فهم المسالة الواحدة من الفن الواحد ووعيها مشتركا بين من شدا في ذلك الفن وبين من هو مبتديء فيه وبين العامي الذي لم يعرف علما وبين العالم النحرير والملكة انما هي للعالم او الشادي في الفنون دون من سواهما فدل على ان هذه الملكة غير الفهم والوعي ) .

فالملكة بهذا المعنى خاصة يمتلكها المتعلمون تميزهم عن غيرهم من الذين لا يتوفرون على معرفة او علم ، لان الوعي امر قد يشترك فيه عامة الناس ، وكذلك الفهم . وانما يتفاضل الناس المتعلم منهم ، وغير المتعلم بالملكة للمتعلمين منهم خاصة

وعلى هذا فالملكة قائمة على مجهود خاص ، وهذا المجهود الخاص هو الذي يجعل منها امرا جسمانيا ، لان التصرف والامتلاك بهذا المعنى من خواص الامور الجسمانية ، وهذا المعنى ايضا راينا ابن خلدون يؤكده ويثبت صحته ويفسر لما ذا كان كذلك ( والملكات كلها جسمانية سواء في البدن او الدماغ من الفكر وغيره كالحساب ) .

وملخص القول ان الملكة ادراك ومعرفة وعلم ثم دربة ومهارة في هذا الادراك ، وهذه المعرفة وهذا العلم وهاته المهارة او هاته الدرجة التي لخصنا معنى الملكة فيها تزداد بازدياد حسن الملكات وتنقص بنقصانها ، فالملكات كما راينا دربة ومهارة ، ولا تكون الدربة والمهارة الا عن علم ومعرفة وادراك حتى تكتسب النفس فضائل والعقل ذكاء ، والفكر اضاءة . وهاته الامور التي تحصل كلها للانسان سواء في عقله او فكره نتيجة لحصول الملكة لخصها ابن خلدون بقوله : ( وحسن الملكات في التعليم والصنائع ، وسائر الاحوال العادية يزيد الانسان ذكاء في عقله واضاءة في فكره بكثرة الملكات الحاصلة للنفس ، اذ قدمنا ان النفس انما تنشا بالادراكات وما يرجع اليها من الملكات فيزدادون بذلك كيسا لما يرجع الى النفس من الآثار العلمية فيظنه العامي تفاوتا في الحقيقة الانسانية وليس كذلك ) .

ان الملكة مهارة في معناها وتربية للنفس في فائدتها وكلما كثرت الملكات كلما ازداد الانسان مهارة وازدادت نفسه بذلك نشوء وارتقاء )

**الرباط ـ محمد الامين الدرقاوي**

الخـــريـــف Poema del otono » وغير هذه مـــن اعماله الشعرية .

على انه لايمكن معرفة الفن الروبني ، اعماقــه وابعاده ، الا عن سبيلين اثنتين ؛ اما أولاهمـــا فهـــي دراسة تحليلية للاثار الشعرية والنثرية التي كتبهـــا في فترات متفرقة من حياته ، وذلك ما لايمكن أن تنهض بـــه طبيعة هذه الاحاديث ؛ وثانيتهما تتحقق بقـــراءة متبصرة واعية لفقرات من المقدمات التي صدر بهـــا مختلف كتبه ودواوينه ؛ من ذلك قوله ، متحدثا عـــن العروض والموسيقى ، « والقضية العروضية ؟ والنغم؟ كما ان لكل كلمة روحا فان في كل شعر بالاضافة الـــى التناسق الشفهي نغما فكريا . ان الموسيقى ، احيانـــا كثيرة ، لاتتبع الا من الفكرة (1) » ، وعندما نتصفـــح مقدمة ديوانه « أغاني الحياة والامل » ننفض ايدينـــا منها وقد علمنا أن روبن يكرم ويقدس أرستقراطيـــة الفكر ، ويحترم ويجل نبل الفن ؛ وفي المقدمة نفسهـــا يتحدث الشاعر عابرا ، عن حركة التجديد التي يتزعمها فيقول بأن حركة التحرر التي بداها وهو في امريكـــا ما لبثت أن تفشت وانتشرت في اسبانيا ، وسواء في هذه او في تلك فان النصر لهذه الحركـــة التجديدية منال لاشك ، واذا انصتنا اليه في مقدمة ديوانه « الاغنية التائهة » وجدناه يقول : « انا كنت قلت : كن صادقـــا معناه ان تكون قويا . ان النشاط البشري لايشـــق طريقه بواسطة العلم والمعارف الحالية ، ولكنه يشـــق طريقه بانتصاره على الزمان والمكان . انـــا كنت قلت: هو الفن الذي انتصر على الزمان والمكان . لقد وقفت متدبرا قضية الوجود ، وتلمست الوصول الى أعلـــى درجات التخيل والتصور ، ولقد عكست ما في نفسي، واردت التغلغل في نفوس الاخرين وسبـــر غور النفس العالميـــة الرحبة » .

**تطـــوان — حسن الوراكلي**

(1) انظـــر ديوانـــه : Prosas profanas

عن الشهير كارتيان ، عن طرسا ، عن لاسانطا ، عن الشجاع كونكورة ، وعن افواهم جميعا ضون فرانتيكو دي كيدو وفيكاس» (1) .. وحينما بلغ الثالثة عشرة من عمره جعل يكتب اشعارا كثيرة للمناسبات : اعراس ومآتم ، واذ بدأت الصحف تنشرها سماه الناس « الشاعر الطفل » ... يضاف الى ذلك ما اتاحه له وظيفه في المكتبة من فرصة القراءة والاطلاع على الاثار الروائع للكلاسيكيين والرومنطيقيين من فرنسيين واسبان ، وما امدته به سياحته وتحركاته على الخريطة منذ مطلع الصبا من كبير فائدة وجليل جدوى ، فلقد أقام في كل من مدريد وباريس ، يتصل بكبار ادبائهما ويصاحب أعاظم شعرائهما ، ويشارك في الحياة الادبية والفكرية بهما ... كل ذلك يعكس بعضا من المؤثرات والحوافز التي دعت روبن الى الثورة والتجديد والابداع وخلق مدرسة ادبية جلبت اليها اتباعا واشياعا .

لقد اقدم روبن بجراة وحماس يجدد الشعر الاسباني من زاويتين : زاوية المعجم Léxico وزاوية العروض Métrico ؛ فاليه يرجع فضل تجديد المعجم الشعري بكثير من الاصوات التي استعملها وكانت مهجورة ، وبكثير من المفردات الجديدة ، وفي هذا الصدد يبدو عمله الشديد الشبه بعمل كونكورة ، اما في زاوية العروض فان روبن احيى اوزانا قديمة ، وادرج اوزانا اخرى جديدة ورفع عقيرته بأن لا قيود ولا تحجر في البنية الموسيقية للقصيدة ، معلنا بذلك عن مبدأ الحرية اللافوضوية في عروض الشعر ؛ ومن ثم نجد عنده — كما يقول جان كامب — « غني في الاساس والشكل وأوزانا مجهولة »

وروبن في كل ذلك ، اي في تجديده للمعجم والعروض الشعريين ، يبدو متأثرا بصورة قاطعة ليست تقبل جدالا او نقاشا ، بكونكورة ، كما يبدو مستجديا أو مستنجدا بكتاب آخرين كثوفانتس ولوبي دي فيكاوكيبو وكارسيان ، وباليارنسيين والرمزيين الفرنسيين من امثال فرلين وماليارني .

وكل هذا التأثير طبع كتابات روبن بطابع خاص وفريد ، جعلها — في راي جان كاتسو — تفتح النوافذ ، وتسجل الانفصال عن النزعة الاكاديمية ، وتتيح للشعر الكاستيلي أن يستعيد وعيه بنفسه وبتقاليده ومستقبله ، وأن يفتح لنفسه طرقات جديدة » .

واذا كانت كلمة النقاد متفقة على ان اثري روبن: « أزرق Azul » 1888 — « ونثر غير مقدس Prosas profanas » 1896 ، يسجلان بدء الحركة التجديدية الحديثة ويعكسانها ، وان ديوانه اغاني الحياة والامل Cantos de vida y esperanza — 1905 — حقق الانتصار الرائع اللامنتهي للثورة الروبينية التي عاشت ، قوية ، نابضة ، في شكل الشعر ، معجما وعروضا ، حتى بعد أن مضى شطر كبير من هذا القرن العشريني اللاهث المحموم ،، اذا كانت كلمة النقاد متفقة على ذلك فان نظرتهم تختلف وتتباين فيما يتصل بتقويم عطاءات هذه الثورة الروبينية ، ولست احب أن استعرض أوجه اختلاف نظرتهم وتباينها حتى لايطول بنا المقام ؛ وبحسبي ان اورد كلمة للشاعر خوان رامون خمينث ، هي — عندي — خير ما توصف به عطاءات ثورة التجديد عند روبن ؛ يقول خمينث واصفا هذه الثورة وعطاءاتها : « انها أعظم حركة للتحمس والحرية انطلاقا الى الجمال » .

ليس من شك في أن شاعرنا كان يجري في شرايينه وعروقه مزيج من دم ، فيه الهندي الامريكي ، وفيه الاسباني ، وفيه الفرنسي — فقط من الناحية الجمالية (2) ، ولقد قيض له أن يحيا في مجتمعات ويعيش في بيئات ، اختلفت مشارب أهلها وتباينت تقاليد قومها ؛ وبرغم ما كان يتميز به روبن ، من روح طفولية ، كالحة ، كئيبة ، شديدة الاعتقاد بالخرافات ، عميقة الايمان بأوهام العالم الاسطوري ؛ برغم ذلك فان روحه لم تكف عن العطاء الجميل ، وكان تاريخها سجلا رائعا — منذ أقبل على الدنيا حتى اللحظة التي ودعها فيها — لاقدس عاطفة وأجملها : الحب ... وانس والينا وهورطينسيا وزوجاته ورفيقة أيامه الاخيرة فرنيسكا سانتس ؛ كل اولئك كن ملهماته ومفجرات للسحر الحلال فيما كتب من شعر وانشأ من نثر .. وانما اود ان انتهي من كل ذلك الى الزعم بأن دم روبن المختلف — سواء من الناحية السلالية أو الجمالية — وعيشه في بيئات مختلفة ، وتعلقه بأكثر من امراة كاد يصبح معه ممثلا لنوع من « الضونخوائية » ؛ كل هذا بث في اعمال روبن طعوما مختلفة ، متنوعة ، نتذوقها ونحن نقرأ له في « أزرق » و « نثر غير مقدس » و « أغاني الحياة والامل » و « الاغنية التائهة » El canto errante و « قصيدة

---

1) انظر : V, Mateo Velasco : Literatura espanola contemporanea, ediciones S.M., Madrid.

2) انظر : Gerardo Diego : Poesia espanola contemporanea - Antologia - Edicion Taurus

والخواطر التي تلاشت وراء السنتنا ، ولو اعارنا الشاعر لسانه الذرب ، وأداته الفنية ، لكانت لنا جولات في دنيا الشعر ، واذا لم يكن ذلك في الامكان ، فالشاعر يتولى مهمة التعبير والكشف ، بما اوتي من كفاية وقدرة ، وكأنما يحمل الشاعر هموم الكون كله، ومشاعر الانسانية كلها ، عندما يكلف بالكلمة كلفه الشديد ، فيزرع الصفحات تلو الصفحات ، حروفا مشرقة ، اختصرت فيها عوالم سماوات ..

وكلما طالت عشرتنا للشعراء الافذاذ ، نلتمس عندهم شفاءنا مما نجد من كبت ، تجاه انفسنا ، في حالات اشراقها وتفتحها ، لا تزيدنا تلك العشرة الا حيرة على حيرة ، فاذا بشؤوننا الروحية ، وشكوكنا الفكرية ، وتطلعاتنا الى المجهول ، لا تزداد الا تعقيدا وغموضا ، اذ كلما انفسح المجال امام الرؤية الفنية . كلما كثرت الشكوك والوساوس ، فكأنما القى بنا في بحر خضم ، لا نهدأ فيه ولا نستقر، وانما هي غمرات تعقبها غمرات .. واذا كان الشعر سؤالا حائرا على حد تعبير سليمان العيسي ، فهذا السؤال سيظل منتصبا امام خالقي الشعر وقارئيه ، متحديا المواهب والتطلعات الفكرية ، تندفع من اجل الاجابة عنه ، ولكنها لا تصل الى ذلك الجواب المريح ، ولو هي وصلت اليه ، واستراحت وزايلها كل قلق وحيرة ، لانطفات شعلة الفن ، واقفرت دنيا الشعراء ، واغلقت ابواب السماء ، وانقطع الوحي الشعري ، ذلك ان من عجائب قصة الخلق الفني عند الانسان ، انه بقدر ما تكثر شكوكه ، وهواجسه ، وتطلعاته ، وتحرقه للحقيقة الخالدة ، وتلهفه للكمال الانساني والفني ، بقدر ما تتفجر في نفسه ينابيع الشعر ، وتسيل الكلمات من بين اصابعه تفيض اشراقا وحرارة ، ونحن قراء الشعر ، نريد ان نقراه ونقراه كثيرا ، ليخصب نفوسنا ، وينمي تطلعاتنا ، ويشعرنا بمكانتنا من هذا الكون ، ومكان الكون منا ، ليبعثنا على التساؤل والقلق والحيرة ، ويستحثنا على التأمل في مصيرنا ، وفيم خلقنا ، ولماذا نعيش ، وما الغاية من وجودنا ؟؟ ونحن مقدما واثقون اننا لن نصل ابدا الى الاقتناع ، لان الفكر البشري عندما يصل الى هذه المسألة الهامة ، ذات الخطورة الكبرى ، يظهر عجزه المطلق ، بالقياس الى ابتكاراته وفتوحاته في النواحي العلمية الكثيرة . بيد ان التطلع والالحاح في السؤال ، هو في حد ذاته اخراج للنفس من حالة الركود الى حالة الحركة والاشراق والشوق الى المجهول واللانهائي . وليس شيئا قليلا ان تكون للانسان مواقف ازاء نفسه ، وازاء العالم الذي يعيش فيه ، يريد ان يفهم وان يستكشف ، وان يتفوق على ضعفه البشري . وهل كانت الفلسفات الا لهذه الغاية ، غاية نقل الانسان من راحته الفكرية ، وقناعته الروحية ، لحمله على التفكير في نفسه ، وتبين الصلة التي تربطه بهذا الكون ؟

والعلم ليس من اختصاصه ان يؤدي لنا هذه الخدمة ، لان له مهمة تتنافى مع رغباتنا في هذا الصدد ، وهي — اي مهمة العلم — دراسة الواقع ، لاستخلاص خصائصه ومميزاته ، والخروج من ذلك بقوانين وقواعد عامة ، يمكن تطبيقها بصفة دائمة ، الى ان تظهر نتائج علمية تحمل على اعادة النظر فيها . فالعلم لا يتجاوز هذه المنطقة، فليس من طبيعته النزوع الى الثورة على الواقع، او اكتشاف قيم جديدة للحياة، وانما ذلك يدخل في مهمة الشعر والفلسفة ، هذين اللذين كثيرا ما يلتقيان ويتزاوجان ، وتبقى للشعر ميزة يمتاز بها على الفلسفة ، وهي انه يستطيع ان يقدم للقارىء التأملات والتطلعات الفكرية القلقة ، في اطار يقبله ويتعشقه ، وهو اطار الفن ، اما الفلسفة فهي على كثير من الجفاف والصلابة وعدم المرونة ، والبعد عن التلقائية ، مع ميلها الى التجريد غالبا ، واستعمالها للالفاظ بطريقة تحد من ايحائها وانطلاقتها وخلقها للجو ، الامر الذي ابعد الفلسفة عن كثير من الناس ، وقام حافزا بينهم وبينها فنظروا اليها نظرة كلها تهيب وخوف ، على حين ان الشعر ظريف العشرة ، حلو المحاضرة ، لطيف الحيلة ، يقدم انغامه وسحره وروعته ، بين يدي ما قد يتضمنه من فلسفات وتطلعات فكرية ، ولهذا السبب لقيت الفلسفة الهندية المصبوغة بصبغة الشعر ، ما لم تلقه الفلسفة الصينية المتجردة عن الطابع الشعري من الذيوع والانتشار ، فوحدة الوجود ونظرية تناسخ الارواح ، وغيرها من قضايا الفلسفة الهندية ، كان لها رواج عظيم في الشرق والغرب ، على حين ان معضلات الفلسفة الصينية لا يعرفها الا الراسخون في العلم .

ولكن ما كل شعر يستطيع ان يبعث فينا الشك والقلق والحيرة ، وكثير من الشعر العربي لا يدفع الى شيء من هذا ، ولكن عندما نقرأ لشعراء اليوم ، كصلاح عبد الصبور ، وبدر شاكر السياب ، وسليمان العيسى ، نجد عندهم شيئا من هذا الذي نبحث عنه ، فهؤلاء قد احسوا اولا بالثقل الفكري والحضاري

# لماذا نقرأ الشعر؟

للاستاذ : عبد العلي الوزاني

(2)

اقترح على القارىء ، ان يقرأ معي هذه الكلمات من ديوان « ازهار الضياع » لسليمان العيسى ، بعنوان « مصير اغنية »

غرقت في الصمت
ضاعت في المدى ،
في حنايا الغيب ..
لا اعلم اين !
ولدت كالضوء ..
ثم انطفات ..
رعشة حالمة .. او رعشتين
ربما ذابت شعاعا لينا
منهكا .. واختبات في مقلتين
ربما فرت على اجنحة
من رؤى ..
وانسكبت في غيمتين ..
انني المحها .. اغنيتين
جدولا ينساب
مغلول اليدين
جدولا صلى له الفجر ندى
وسقاه عبقر .. ارجوعتين
سوف اطوي سرها في خاطري
اي لحن يتحدى شفتين
اروع الشعر
سؤال حائر
ابدا ..
مختبىء
في مقلتين ..

• الشاعر في هذه الكلمات ، يحدثنا عن الاغنية التي لم يستطع ان يكتبها ، لانها اومضت في خياله وميض البرق ، ثم اختفت في ضمير الغيب ، غيبه البعيد الاغوار ، ولكل شاعر كبير غيبه الخاص ، شأن كل نفس كبيرة ، كثيرة الدروب ، شاسعة الافاق ، والشاعر يشعر بحيرة كبيرة ، اذ يحس الاغنية جدولا ينساب في نفسه ، ولكنه عاجز عن التقاطها في كلمات ، ربما لانها شديدة الغموض ، ربما لانها غريبة رعناء طائشة ، لا تريد ان تخضع لقيود اللفظ ، ربما لسبب آخر ، واخيرا يقنع الشاعر بان يكتمها في قلبه ، ضاما عليها شفتيه ، وهنا يتبين لنا عمق اللحظة التي عاشها الشاعر ، عندما اهتدى الى ان حيرته نفسها ، هي من صميم الشعر ، فالشعر ان هو الا سؤال حائر مختبىء دائما في مقلتين ، وهذه الحيرة تفتح امامنا كثيرا من ءافاق التخيل والاوهام الشعرية ، فهي اغنى واقوى ثراء من اي يقين او جزم بشىء ولو ان الشاعر ضبط تلك الاغنية ، والقى عليها شباكه وقدمها الينا ، لما وصلت الى ان تضعنا في هذا الجو الشعري الحائر ، الذي نقلنا اليه سليمان العيسي ، عندما القى الينا بكلماته تلك الحائرة ..

واذا كان الشاعر يشكو من ان اغنية لم يستطع ان يكتبها ، وهو الانسان الممتاز في تصوره للاشياء وقدرته على التعبير عنها ، هو الذي يقوم بعملية الخلق فيضيف الى الحياة اشياء جميلة من ابتكاره ، فكيف بنا نحن ولسنا شعراء ، ولا نملك من مقاليد الكلمة الشاعرة ما يملك ؟ وبالرغم من ان الشاعر انسابت الاغنية من بين اصابعه كشعاع يتبدد ، فانه احتال عليها ، واقتبس منها كلماته الرائعة تلك ، فكان في كتمانه لها ، اقوى منه فيما لو افصح عنها ، واذا كانت الاغنية قد افلتت منه ، فهو بكياسته الفنية ، قد قدم لنا نفحات من شذاها العطر ، اما نحن الذين لسنا شعراء ، فما اكثر الاغنيات التي ماتت على شفاهنا .

وجهة التاريخ يمكن ان تتبدل ، فيكفر الانسان بسيطرة الالة ، ويعود الى الشعر مرتميا تحت قدميه يستجديه شفاء ما في نفسه من عذاب وصراع ، وما فيها من عقد نفسية جاءت نتيجة لاوضاع العصر المادية ، وهنا يلتقي سليمان العيسى مع بعض المؤرخين المعاصرين ، الذين يتنبأون للحضارة الغربية بالسقوط والانهيار ، كشبنلجر صاحب كتاب «تدهور حضارة الغرب» الذي نقل اخيرا الى اللغة العربية ولو سقطت القيم المادية التي تقوم عليها هذه الحضارة ، لعاد الانسان الى قواعده ، من دين وشعر ومثل عليا وقيم روحية ، هذه التي تطارد اليوم باسم العلم . ونحن قراء الشعر وهواته ، نلتقي مع سليمان العيسى ، في فكرة صراع الشعر من اجل البقاء ، لانه الواحة التي تتفيأ ظلالها ، كلما عافت نفوسنا دنيا الصراع المادي ، الذي لا يتورع الناس ان يستعملوا فيه اقذر الاسلحة ، وان يبيعوا الدين والمروءة والضمير ، حتى يتغلب فيهم الحيوان على الانسان . ولا اعرف عصرا اشتدت فيه حاجة الناس الى الشعر ، كهذا العصر الذي نعيش فيه . فقبل اليوم ، لم تشكل الالية خطرا على كيان الانسان الروحي ، بالقوة التي تشكله بها اليوم ، كانت النزعة الدينية تكيف حياة الناس ، وتؤثر في معاملاتهم ونظرتهم الى الاشياء ، فكان الدين حارسا للقيم مهذبا لفعل الفريزة ، فاحتلت الروحيات مكانة ممتازة في جل البيئات والمجتمعات ، بالرغم من بعض الفترات التي تستباح فيها القيم ، وتهان المثل ، وكان الشعر مرخي العنان ، يبسط سلطانه وينشر ظلاله واثقا من نفسه ، مطمئنا الى نفوذه ، حتى لنجده عند بعض الشعوب القديمة يصبغ بصبغته العلوم الفلسفية والهندسية والرياضية ، ففي كتاب «قصة الحضارة» لديورانت ، نجد هذا النص الذي يوضح الجبر في صورته الشعرية عند الهنود : « هناك خلية من النحل ، استقر خمسها على زهرة كادامبا ، وهبط ثلثها على زهرة سلندرة ، وطار ثلاثة امثال الفرق بين هذين العددين الى زهر الكوتاجا ، وظلت نحلة واحدة — وهي كل ما تبقى حائمة في الهواء ، فانبئيني ايتها المراة الفاتنة عدد النحل كله .. لقد اشتريت لك يا حبيبتي هذه الياقوتات الثمان ، والزمردات العشر ، واللؤلؤات المائة ، التي ترينها في قرطك ، واشتريتها باثمان متساوية ، وكان مجموع اثمان الانواع الثلاثة من الاحجار الكريمة ، اقل من نصف المائة بثلاثة ، فانبئيني ثمن كل منها ايتها المراة المجدودة » .

اما عصرنا هذا فقد تبدل فيه كل شيء حيث ضعف الوازع الديني ، وكادت الروحيات ان تختفي تحت وطأة الماديات ، وحلت مثل وقيم مادية جديدة محل المثل والقيم القديمة ، وتطاولت ايدي كثيرة ، تريد انزال الشعر عن عرشه الذي تربع عليه قرونا طويلة ، ولهذا نعيد ما قلناه آنفا من ان حاجة الناس الى الشعر اليوم ، اقوى منها في اي وقت مضى ، ليكون الملاذ الروحي الذي تعتصم به النفوس التواقة الى السمو ، اذا عافت التكالب المادي . وهنا تبدو لنا مهمة الشعر شاقة وعسيرة ، يحتاج الى صراع من اجل الاحتفاظ بوجوده شفافا فياضا ، ناشرا افضاله وبركاته على الناس . فلم يسبق للشعر ان عاش وسط ظروف عصيبة كالتي يعيش فيها اليوم ، فانتشار ادب الساندويتش ، وشيوع الادب الخفيف الذي تزخر به الصحافة ، ودخول اسطوانات الفناء الى كل بيت ، وغزو التلفزة لجميع الاوساط ، وكون المقاهي والسينمات ودور اللهو ، تربض في كل منعطف ، وعلى راس كل شارع ، واسترجال المراة ونزولها الفاضح الى سوق الحياة ، تأخذ وتعطي ، وتحتك بالشؤون اليومية حتى تفوح رائحة عرضها ، ورميها بالحياء والخفر جانبا ، واستجابتها السريعة بزجاجة الكوكاكولا ، وتذكرة السينما ، والمقعد المريح في السيارة ، مما جعلها تتجرد عن هالتها السحرية ، التي طالما فتنت الشعراء وكانت لهم مصدر الهام ، أضف الى ذلك الصيحات المنكرة التي تنكر على الشعر حقه في الوجود ، كل ذلك وغيره يجعل الشعر يتنفس اليوم في جو ثقيل مفعم بالجراثيم القاتلة . ولكن بقدر ما يحارب الشعر ويقاوم ، بقدر ما تشتد الحاجة اليه ، هو في ذلك مثل الدين ، فالدين تشتد الحاجة اليه ، كلما اشتد الجشع والحرص ، والشعر تشتد الحاجة اليه ، كلما طغت المادة ، وطغى سلطانها على الناس ، وما اشق مهمة الدين بين قوم كافرين ، وما اشق مهمة الشعر بين قوم ماديين !!

ولهذا كله كان عصرنا في امس الحاجة الى طاقات شعرية ضخمة ، وعبقريات شعرية فائقة ، تتفق والمهمة الخطيرة التي ينتظر من الشعر ان ينهض بها ، وظهور تلك الطاقات وهذه العبقريات ، يرتبط بمناهج دراسية ، او اساليب تربوية ، بقدر ما يتوقف على قوة الطباع ، ورجولة الكفاءات ، وهذا امر

لهذا العصر ، وثانيا بان القارىء العربي اليوم ، يختلف عن القارىء العربي بالامس القريب او البعيد ، فهو قبل اليوم كان يكتفي من الشعر بالعبارة الجزلة، والاسلوب الخطابي ، والكلمات ذات الرنين، وهو اليوم قد اخذ يرتفع الى مستوى العصر الذي يعيش فيه ، وشرع يمتص الفلسفات والمذاهب الفكرية الحديثة، ولذلك فهولم تعد تستبد به الموسيقى ويشغله النغم عن كل شيء ، بل بدا يضغط على شعراء اليوم ، كاتبا وناقدا وهاويا ، ان يقدموا اليه شيئا يرضي تطلعه الفكري ، وينسجم مع ما اتصل به من نظريات النقد الحديثة .

وكل من الشاعر العربي المعاصر ، والقارىء العربي المعاصر ، يحس بانه مأزوم ، نتيجة لوضعه الحضاري الراهن ، فهو يشعر بتمزق عميق ، بين مفاهيمه التي تسير واحدث تطورات الفكر العالمي ، وبين واقعه المتأخر ، وبين تقاليد قومه ومقدساتهم، وبين تحديات عصره ، التي تنتصب امامه كعلامات استفهام كبيرة ، بين مثاليته الفكرية وواقعه المؤلم ، هذا علاوة على ازمات العصر الفكرية والنفسية ، التي يشارك فيها معاصريه فى العالم كله تقريبا .

ونحن هنا فى المغرب ، شعراء وكتابا ونقادا وقراء ، كنا منذ وقت ليس بالبعيد ، نعيش خارج منطقة هذا الصراع ، هادئين وادعين ناعمي البال ، لا شيء يقلق راحتنا ، نسأل الله المزيد من السلامة والعافية ، ولكن اليوم ، يحس كل واحد منا — نتيجة يقظتنا الاخيرة — انه مس بتيار كهربائي هزه هزا عنيفا ، ويظهر انا بدانا ناخذ نصيبنا من ثقل المسؤولية التي يحسها وينهض بها المثقفون العرب ، فى الشرق العربي ، هذه الحقبة من السنين ، ولكن الحق يقتضينا ان نعترف باننا ما زلنا على هامش الازمة ، ولم نتوغل منها فى الصميم بعد ، نظرا الى ما يصدر عنا من انتاج ادبي وشعري ، كما ان الحق يقتضينا ان نعترف اننا كقراء ، احسن منا كمنتجين ، وهذا شيء طبيعي ، فغالبا ما يسبق القارىء الممتاز ، المنتج الممتاز ، اي ان رجال الفكر والفن يبداون اولا كقراء واعين ، على حين انهم كمنتجين ، يظلون دون مستوى قراءتهم ، الى ان يتمرسوا بالميدان ، فيحدث التقارب والانسجام فى المستوى بين القراءة والكتابة . لهذا فقارىء الشعر عندنا فى المغرب ، لا يجد ضالته المنشودة فيما ينشر عندنا من شعر مغربي ، بل يجدها فيما يرد علينا من الاداب الشرقية ، فاكثر شعرنا ما زال امينا مخلصا للطرق القديمة ، يتنفس فى المناخ القديم ، ويستمد نغماته من قيثارة الشعر العربي القديمة . وحتى المحاولات المجددة التي نجدها عند بعض شعرائنا، ما زالت تضطرب وتتهافت، لانها فى بداية الطريق . وعسى ان نستفيد من تجاريب الشعراء العرب به البلاد العربية ، فهؤلاء عانوا تبعات الريادة وتكاليفها ، حيث استطاعوا ان يبدلوا من نسيج الشعر العربي ، ويغيروا من تقاليده القديمة ، بالقدر الذي يتطلبه العصر ، بالرغم مما صحب ذلك من مزالق واخطاء ، لابد منها فى كل تطور من هذا النوع ، وبفضلهم اصبح الشعر العربي الحديث ، يتوفر على محاولات في المستوى الفكري والفني لعالم اليوم او فى مستوى قريب منه . وبما ان التجربة نجحت هناك او فى طريقها الى النجاح ، فما على شعرائنا المغاربة الا ان ينطلقوا منها ، مستفيدين من حسناتها وسيئاتها ، محتفظين باصالتهم الفردية والاجتماعية، بوصفهم افرادا ممتازين وبوصفهم ابناء بيئة معينة ، فبذلك سيتمكن القارىء المغربي من ان يجد نفسه فى شعرهم ، ويلمس عندهم ما يجعله لا يذهب بعيدا عن المغرب ، عندما يتساءل لماذا يقرأ الشعر ؟

واقرا معي اذا شئت ابياتا اخرى لسليمان العيسى ، مأخوذة من ديوانه « ازهار الضياع » بعنوان : « يا شعر »

فى زحمة الفولاذ ماذا عسى
تقول للدنيا .. وما تحمل ؟
اصداؤك الحلوة هل لملمت
اذيالها .. واختنق البلبل ؟
كواسر النار تجوب السما
فيا هزار النبع .. ما تفعل ؟
صارع .. فلن نسلم هذا الثرى
يطويه منهوم ومستعجل
قد يركع التاريخ يوما على
بابك يستجدي .. فما تبخل
فى الارض قلب لم يزل نابضا
ولم يزل فى صدرها جدول .

فى هذه الابيات تبدو تخوفات الشاعر من مستقبل الشعر ، نظرا لسيطرة الالة وضجيجها الذي تفنى فيه اصداء الشعر الحلوة ، ولكنه يدعوه الى الصراع من اجل البقاء ، معللا النفس ، بان

الطيب المتنبي وغيره من الشعراء ، اما اليوم ، فقد تضافرت علوم الجمال والنفس والاجتماع والنقد الادبي والادب المقارن ، لتكون سلاحا قويا في يد ناقد الشعر ، ويا له من سلاح يقع الادباء والشعراء تحت رحمته . .

ذلك الوضع هو الذي ولد في نفسية قارىء اليوم ذلك الملل ، والعزوف عن الرتابة . والسؤال الوارد على لسانه دائما هو : هل من جديد ؟ يواجه به من يقرأ لهم ، وعلى ضوئه ينظر في اعمالهم ، ويضعهم في منازلهم بالنسبة اليه . وكان الله في عونهم ليكونوا عند حسن ظنه بهم ، فتكاليف الخلق والابتكار باهظة ، يعرفها كل من عانى عمليات الانتاج الفني . فالشاعر لا يمكن ان يسير بالسرعة التي يريدها افراد اليوم ، شأن العلم الذي بطبيعته يتغير بسرعة ، الشعر مرتبط باذواق بطيئة التغير ، وطبائع لها اصول ثابتة ، وهنا تكمن الصعوبة التي يجدها الشعراء ، فهم بين طبائعهم الاصيلة ، وبين متطلبات عصرهم ، بين ذاتيتهم والحاح ما يكتنفهم من ظروف خارجية ، ما ان يحدث اليوم حادث كبير ، حتى يتساءل القراء غدا : ماذا قيل فيه من شعر ؟ وماذا كتب عنه من نثر ؟ وما قيمة هذا الشعر وهذا النثر ؟ سباق مع الاحداث لا يقف ابدا ، وصراع من الشاعر ليكون جديرا بعصره ، وفي مستواه ، والشاعر في هذا غير مظلوم ، فهو يعيش في عصر وضع بين يديه من منجزات الحضارة وثمراتها المتراكمة ، ما لم يحظ به اي شاعر قبله ، وهيأ له من اسباب الاتصال بجمهوره وتخليد آثاره ، ما لم ينله سابقوه في اي عصر من العصور ، واعد له من وسائل التربية الفنية ما يسمح لاضعف المواهب والملكات بالظهور والتألق ، والعصر قدم له الكتاب والاستاذ ، والمعهد ، والكلية ، والصحيفة ، والتربية الجميلة ، ووضع رهن اشارته المذاهب والفلسفات ، تسعى اليه وهو في بيته . ووصله بنتائج قرائح الماضين ، مطبوعا انيقا ، وهيأ له من وسائل السفر في الجو والبر والبحر ما يمكنه من رؤية الدنيا كلها ، ومشاهدة سائر الشعوب والمجتمعات ، وآيات الطبيعة على تنوعها بين قارة واخرى ، هذا علاوة على ان كل ورقة من انتاجه يدفع بها الى القارىء يأخذ عليها مقابلا ماديا ، ومن ثم كان من حق القارىء ان يقترح وينقد، لكونه ادى ثمن ما يقرأ .

وليس على الشاعر ان يستجيب لاي رغبة خارجية من طرف قرائه ، ما لم تكن منسجمة مع المشاعر التي يعتمل بها كيانه ، والا عد شاعرا متملقا ، ينشد الحظوة عند الناس ، لا عن طريق الاخلاص لاصالته الشخصية ، وانما عن طريق النفاق والتملق والزيف . وليس على الشاعر ان يعمل بكل توجيه ياتيه من بعض نقاد الشعر وقرائه ، فقد يكون هذا التوجيه خاطئا بعيدا عن مثالية الفن ورسالته الخالدة ، بل ربما اقتضت اصالة الشاعر ونظرته الى الشعر كفن رفيع ، ان يثور على الاوضاع الادبية السائدة ، ويدعو الى تغييرها والقضاء عليها ليحل محلها وضع ادبي جديد ، وربما تحمل الشاعر في سبيل ذلك ما قد يشن عليه من حرب كلامية ، تقتضيه مزيدا من الشجاعة الادبية ليصمد امامها وحينئذ قد يستطيع ان يبدل من نظرة الناس الى الشعر ، وقد تحققت هذه الظاهرة بالفعل في تاريخ الادب العربي الحديث ، عندما ظهر العقاد كشاعر وناقد ومفكر ، يرى في الشعر رايا غير الذي كانت بيئته الادبية تراه . فالشعر عندها كان ديباجة مشرقة ، وجزالة لفظية ، وتشبيهات واستعارات رائعة ، ولذلك اتخذت مثلها الاعلى من شعر شوقي ، لانه يمثل هذه الشيات خير تمثيل واروعه ، فجاء العقاد صحبة زميليه المازني وعبد الرحمان شكري ، ليشنها حربا عوانا على الذوق الفني السائد ، وعلى شوقي متزعم هذا الذوق والمعبر الامين عنه ، ووقفت البيئة الادبية كلها تقريبا في جانب شوقي ، ووقف العقاد ومعه زميلاه في الجانب المقابل ، وكانت معركة من اعنف معارك النقد الادبي الحديث ، انتهت بانتصار العقاد وفكرته الجبارة المتفتحة ، الامر الذي غير من الذوق العام لا في مصر وحدها ، بل وفي اقطار كثيرة من العالم العربي ، وانبثقت عن ذلك نظرة جديدة الى الشعر ، واعاد الناس النظر في مقاييسهم النقدية القديمة ، ونتيجة لذلك ، اصبح الشاعر العربي يطالب اليوم ، بغير ما كان يطالب به قديما .

وتجربة الاستاذ العقاد كانت فريدة من نوعها ، في تاريخ الشعر العربي، اثبتت ان ليس من حق القراء وحدهم ان يعرفوا لماذا يقراون الشعر ، بل ان من حق الشاعر هو الاخر ، ان يصوغ فكرتهم عن الغرض من قراءة الشعر ، اذا كان صاحب راي في الموضوع ، ووجد من نفسه الجراة على ان يدعوالى رايه صامدا متحملا كل انواع التضحية ، متسلحا

موكول الى عمل الطبيعة ، هذه التي قد تفاجىء الناس بأمور لم تدخل في حسبانهم .

ونحن اذ نلتمس من الشعر ان يسمو بنا على الصراع المادي البغيض ، لا نريد طبعا الانفصال عن عالم الناس ، وعالم الكفاح وتنازع البقاء ، لنتيه في مجاهل خيالية منقطعة الصلة بارض البشر . ولا خير في الشعر اذا كان سيجرنا الى هذا المصير ، اذ لا مكان اليوم تحت الشمس للخياليين التائهين ، وحتى لو اراد هؤلاء ان يختاروا هذا الاتجاه ، فالاحداث ستضطرهم الى العودة الى الواقع ، لمواجهة ما يتمخض عنه ، خصوصا وان شرارة الاحداث اليوم ، تنتقل بسرعة البرق ، الى شرق الدنيا وغربها ، فنحن لا نريد ذلك اذن من الشعر ، وانما نريد فقط ، ان تكون لنا انسانيتنا داخل عالم مادي مغال في ماديته، نسابق الزمن ، ونسير في موكب العلم والاختراع ، باذلين في ذلك اقصى ما نملك من جهود وقوة ، ولكن في الوقت نفسه ، نريد ان تكون لنا لحظات نتصرف فيها لانفسنا ، وللنفس شؤون وشجون.. ولا تناقض مطلقا بين الاتجاهين ، كما قد يتبادر الى الذهن . والدارس لتاريخ الادب العربي يجد ان شعراء العرب كانوا الا قليلا منهم عمليين ، لهم مشاكلهم المنبثقة عن طبيعة وجودهم ، وعن صراعهم مع ظروفهم الخاصة ، ولم يصرفهم ذلك عن قول الشعر في اغراض روحية صرفة ، فعنترة بن شداد كان لسانه يتفجر شعرا حماسيا او غزليا ، وسيفه الدامي في رقاب اعدائه ، وزهير بن ابي سلمى كان يقول الشعر ، ويهتم بالشؤون السياسية والاجتماعية لقبيلته ، بل انه استخدم الشعر لهذا الغرض ، والمتنبي كان يصارع من اجل السيادة والسلطة ، ويقارع الخصوم والمناوئين ، دون ان يمنعه ذلك من ان يقول هذا الشعر العاطفي وما يشاكله :

ليالـي بعد الظاعنين شكول
طوال وليل العاشقين طويل
يبن لي البدر الذي لا اريده
ويخفين بدرا ما اليه سبيل

والمعتمد بن عباد يخوض المعارك ضد ملوك الطوائف تارة ، وضد الاسبان تارة اخرى ، ثم يعود الى قصره لينظم ارق الشعر واعذبه ، وهكذا قل بالنسبة لغيرهم من امثال ابي فراس واسامة ابن منقد ، وحتى ابي العلاء ، الذي ربما يعتبره البعض سلبيا في عزلته ، قد انصرف نهائيا عن معترك الحياة والحقيقة خلاف ذلك ، فالرجل كان في محبسه يشتغل بالتعليم ، ويوافيه طلبته الى بيته في اوقات خاصة ، ليتلقوا عنه علم العربية وآدابها ، وناهيك بالامة اليونانية القديمة ، التي جمعت بين تعشق البطولة وكمال الجسم البشري ، وبين الكلف بالشعر ، الى ابعد حد مستطاع .

نريد من الشعر ان يعالج قضايا عصرنا ومشاكله، لا ان يتهرب منها او يتغافل عنها ، يعالجها بطريقته الخاصة ، وبما له من رؤى وشفوف وفن ، بحيث يتاتى لنا نحن قراء الشعر ، الجمع بين ان نعيش احداث عصرنا وقضاياه ، وبين ان ننظر الى داخل نفوسنا ، لنتبين صداها والاثار التي خلفتها في اعماقنا ، وان نتجاوز ذلك فنسبق الزمن ، لنتصور مصيرنا الانساني ، على ضوء ما نعيشه اليوم ، وبذلك نلتمس في الشعر ضربا من النبوة ، ولو في زمن كافر بالرسالات والنبوات ..

والناس في كل عصر ، يطلبون من شعرائهم ما يتفق وذوقهم العام ، المستمد من احوالهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، ولكن ما اسهل ان يقترح الناس على الشعراء ، وما اشق ما يعانيه هؤلاء من اجل ارضاء انفسهم اولا ، والاستجابة لمتطلبات عصورهم وبيئاتهم ثانيا ، وكم يكلفهم ذلك من جهود مضنية ، خصوصا وان قارىء اليوم ، لما يتوفر عليه من ثقافة عامة ، ودقيقة في اكثر الاحيان ، لا يكاد يقتنع بشيء ، وقد تكونت عنده حاسة دقيقة هي حاسة «الملل» من جراء التأثر بطابع العصر ، العصر المتبدل المتغير ، لا اقول بين يوم وءاخر ، بل بين ساعة واخرى ، فالاحداث تتوالى سراعا ، ومصاير الناس ما تلبث قلبا حولا لا تكاد تستقر ، وهذا ينطبق سواء على شؤون العلم والاختراع ، او على شؤون السياسة والاجتماع والاقتصاد ، الامر الذي القى في روع القارىء المعاصر الميل الشديد الى التجديد ، والكره الشديد للاجترار والتقليد ، وويل للشاعر الذي يدور حول نفسه دائما، ولا يرضي في القارىء ميله ذاك . فمن هذه الناحية نستطيع القول بان شعراء الانسانية قبل اليوم ، كانوا اسعد حظا من الشعراء المعاصرين ، اذ كانت البيئات الادبية لا تتشدد في معاملتهم تشددها اليوم، الا ما كان من قبيل الحملات التهريجية المغرضة ، البعيدة عن الروح الفني ، كالتي شنت على ابي

الى أين يسير التطور الحضاري في عالمنا الراهن ؟

# المدنية الحديثة والحضارات التقليدية

للاستاذ المهدي البرجالي

**تفرض المدنية الحديثة ، تحولات جد راديكالية ، على مستوى حياة المجتمع الانساني في الميادين المختلفة التي تمتد عليها هذه الحياة ، ما مظاهر هذا التحول الحضاري الراديكالي الذي يعرفه العالم اليوم ؟ واين التراث المادي والمعنوي ، المنحدر من الحضارات التقليدية من كل هذا ؟ كيف تتبلور الاحوال الناشئة عن هذا التطور الحضاري ، في شتى القطاعات الحضارية الرئيسية الموجودة بالعالم ؟ هل هناك سبيل امام المدنيات التقليدية لتؤكد ذاتيتها امام الزحف الحضاري الحديث .**

عن تسير الحضارات العتيقة ، التي لا تزال لها معالم قائمة للان في الحياة الاجتماعية والثقافية والمعمارية لبعض المجتمعات الافريقية والاسيوية — هل تسير هذه الحضارات حقا ، نحو طريق الانصهار الكلي في المدنية الحديثة على اعتبار ان هذه المدنية هي وريثة المدنيات السالفة جميعا ؟ وهل يتجه العالم — بنتيجة ذلك — الى نوع من التشابه الحضاري والوحدة الحضارية ، تطبع حياة كل شعوبه واجناسه ، بطابع حضاري متماثل او ادنى الى ان يكون متماثلا في خطوطه العامة ؟ وهل ينتهي الامر — اذا جرى هذا المجرى — الى ان تفقد المدنيات التقليدية شخصيتها المميزة ، وفاعليتها الحية ، التي تقوم عليها اخلاق كثير من الاقوام وتقاليدهم وطريقتهم في التفكير والعيش ، ولا يبقى منها — في المحط الاخير — الا اصداء تاريخية تتحدث عنها الكتب ، وتظهر لها آثار ضئيلة جدا في حياة الناس ؟

**الموضوع مهم جدا ، ويشغل — بالاخص خلال السنوات الاخيرة — اذهان عدد من المفكرين وذوي الرأي العلمي في اوربا وخارجها ، وبطبيعة الحال ، فان من تعنيهم مثل هذه القضايا من رجال الفكر في الاقطار النامية ، لابد ان تكون عنايتهم بالموضوع كبيرة جدا ، نظرا لما له من ارتباط بصيرورة شعوبهم الحضارية والتاريخية ، فضلا عما يثيره من مسائل مهمة ، تتعلق — في جملتها — بطبيعة التكييف الحضاري لعالم المستقبل . ويشتد الحاح هذا** الموضوع على الاذهان ، بقدر ما يتجه العالم — **كما** نرى — نحو تحول شامل ذي **جذور عميقة جدا ،** هو هذا التحول الذي نلحظ مظاهره **السطحية يوميا ،** ولكننا لا نستطيع النفوذ الى قراره **ولمس ابعد** نتائجه ، الا بعد انقضاء اجيال واجيال ، **ان التحول** هذا لا يزال يعمل على تشكيل **صورة جديدة** للحياة الانسانية على مستوى العالم كله ، **وفي شتى** الميادين التي تمتد عليها حياة الانسان **الامر الذي** يمكن من القول — بكل ثقة — ان **الفترة التي تعيشها** الانسانية في الوقت الحاضر — **يمكن ان تصنف مع مجمل** التحولات الكبرى التي جازتها هذه **الانسانية ، غداة** ان عرفت النار والحديد والزراعة ، **ثم بعد ان اهتدت** الى طريقة ما للكتابة ، **ثم عندما نشأت الحضارات** المختلفة ، وتفاعلت **مع بعضها البعض ، الى حين** ظهور الحضارة العالمية الحديثة .

**وطبيعي جدا ان يفتح التحول العالمي الذي نعيشه الان ، بابا للتساؤل عن مصير كثير من الاشياء ، ويخلق بهذا الشأن قضايا فكرية كبرى ، من جملتها هذه القضية ، التي تفرض نفسها اليوم بالحاح ، والمتعلقة بمصير القيم الحضارية التقليدية ، امام الزحف الحضاري الحديث ، سواء في الميدان المادي او المعنوي ، وما في حكمه ، فهذا الزحف يظهر من قوة اندفاعيته وشموليته ، انه يمكن ان ينتهي في الاخير الى رسم صورة عالم مقبل ، متجانس في مظهره الحضاري ماديا ومعنويا ، بعد ان**

بالثقافة الواسعة . وانطلاقا من تجربة العقاد اصبح للشعراء العرب المعاصرين راي في قضايا الادب والشعر ، فصلاح عبد الصبور ، ونازك الملائكة، وملك عبد العزيز ، لهم عشرات الفصول ، التي تتضمن آراء ونظريات حول الشعر ، ويكفي ان نشير الى كتاب « قضايا الشعر المعاصر » لنازك الملائكة ، والى مقالات صلاح عبد الصبور وملك عبد العزيز ، في مجلة « الاداب » وفي « المجلة » وهذا اتجاه جديد في تاريخ الشعر العربي ، فلم نعهد من الشعراء العرب الاقدمين ، انهم كانوا اصحاب نظريات في الشعر ، يبسطونها نثرا ، ويدبجون الفصول للدفاع عنها ، وحتى ان وجدنا لبعضهم رايا في هذا الصدد ، فهو يبسط بلغة الشعر نفسها ، على غرار ما فعل ابو نواس ، في دعوته الفاشلة الى تعويض المقدمة الغزلية ، بمقدمة في وصف الخمر ، ونستثني من هؤلاء المعري ، الذي لا نعدم ان نجد له آراء في الشعر ، منبثة في بعض كتبه النثرية ، كرسالة الغفران ، وكذا ابن المعتز في كتابه المشهور « البديع » على الا نفهم من ذلك ان كلا من ابي العلاء وابن المعتز ، كان له حول الشعر ما يسمى بـ « النظرية » فانما هي خواطر وسوانح منتشرة يعوزها النظام والتقعيد .

**فاس ـ عبد العلي الوزاني**

وسقوطها ، واستمرارها او ضمورها ، وهو الذي يعطي لحضارة ما نكهتها الاساسية ويؤثر في تلوينها ، وتشكيل الصورة التي تبدو بها في التاريخ الغابر ، او في واقع الحياة الاتية وهو ايضا ، الذي يقاوم عوامل البلى والاندثار ، ويحتفظ بقيمته في كثير من الحالات ، ولو بعد انحلال المدنيات وانقراض المجتمع الذي خلفها ، خذ مثلا الحضارات القديمة في البحر الابيض المتوسط ، ففاسفة اليونان لا تزال تحتفظ بكل اشراقها العقلي ، ولو ان الفكر الانساني ، تطور هذا التطور البعيد ، الذي بلغه الان ، والومضات الفكرية التي هدت العرب الى حقائق مهمة في الرياضيات وغيرها ، لا تزال لها قيمتها الثابتة المجدية ، رغم ان النهضة العربية التي لمعت فيها هذه الومضات ، قد امحلت ، ونضبت منذ قرون ، وقد نبذنا بالفعل كثيرا من المفاهيم التي كانت لليونان عن الديمقراطية والتنظيم الاجتماعي ، والتربية الفردية ، الا ان كثيرا من المدركات الاخرى في مضمار الادب وغيره ، ما برحنا نعيرها الكثير من اهتماماتنا العقلية ، بل لا تزال متداخلة بفاعلية في صميم مفاهيمنا الحاضرة لانها تمثل قيما فكرية ثابتة ، وتعكس صورا ومعان يجد فيها الكثيرون تجاوبا مع روح العصر ، ومع الاذواق والمشارب التي تسود حياتهم في هذا العصر — ونعود الى قضية الحضارة في العصر الحديث لنجد ان عددا من المظاهر المادية للحضارات التقليدية في الشرق الاقصى والشرق الاوسط وافريقيا قد اخذت — كما تقدم — تتضاءل باطراد امام زحف المدنية الحديثة ، وتفسح المجال لانتشار طراز حياة مادية في العالم اقل تنوعا واكثر دلالة على وجود اتجاه ما نحو نوع من الوحدة في طراز الحياة العامة عند الناس في كافة نواحي العالم ولكن اذا حصرنا السؤال في موضوع الكيان المعنوي للحضارات ، فهل نجد ان المعاني الثقافية والخلقية في الحضارات التقليدية ، تسير هي الاخرى نحو الذوبان في الخضم الفكري المعاصر « وهو الوجه المعنوي للمدنية الحديثة » على نفس الوتيرة التي يقع بها ذوبان المظاهر المادية التقليدية ؟ للمرء ان يلحظ بعض القرائن التي تلوح هنا وهناك ، دالة على وجود ذوبان تدريجي بهذا المعنى ، وجدير بالتنبيه اننا نستعمل تعبير «الذوبان» هنا تجوزا ، لان القيم المعنوية في الحضارات التقليدية، لا تتعرض الان لذوبان حقيقي يوذن بانقراضها بالمرة ، ولكنها معرضة لتيارات شديدة التأثير ، تفرض احيانا مراجعة هذه القيم ، ووضعها موضع المشكوك في قيمته ، كما تفرض كذلك ، شعورا بالحاجة الى تحوير هذه القيم، وتأولها بما يتفق مع اعتبارات الحياة العالمية الجديدة ، وتكييفها — على هذا الاساس تكييفا يمسها مسا راديكاليا متعمقا سواء من حيث الجوهر ، او من حيث القوالب التي يتشكل بها هذا الجوهر ، ان الثقافات القومية في افريقيا وآسيا بما تشمله من معارف متوارثة ، وطرق في الفهم والتبليغ ، ومقاييس في النظرة الى الاشياء ، والحكم عليها ، بما تضمه هذه الثقافات من تراث ، وما تؤثر به في تلوين العقلية الاجتماعية ، والاخلاق العامة عند الجماعات المحلية وما تبلوره من صور واشكال فنية ، وغيرها ، تتميز بها امة عن غيرها ، كل ذلك ، نجده يتعرض بشكل متزايد الى ضغط المؤثرات الفكرية الحديثة ، في شتى الميادين ، ورغم ما يكون هناك من ردود الفعل الشديدة التي تبديها روح المحافظة في المجتمعات التقليدية ، فان تيار التغيير والتحوير ، كثيرا ما يكون اشد واقوى ، وكثيرا ما يؤدي هذا الصراع القائم بين روح المحافظة وتيار التغيير ، الى فسح المجال امام عناصر فكرية جديدة ، تتسرب الى المجتمعات التقليدية ، وتخلق في محيطها ، احوالا عقلية جد متقلبة ، فارضة في نفس الوقت على هذه المجتمعات ، اختيارات ذات صبغة درامية احيانا في شتى مجالات الحياة الثقافية والاجتماعية والعاطفية وغيرها ، ان هذا الاحتكاك اليومي الشديد بين عناصر الثقافة التقليدية في الشرق وافريقيا ، وبين الروافد الفكرية المتدفقة من الشمال والغرب ، هذا الاحتكاك نراه يشكل اليوم اكبر فصول الملحمة التي تخوضها الاقطار ذات الحضارات التقليدية ، من اجل التلاؤم مع الوضع الحضاري الحديث في العالم ، بينما يشدها الحنين الى الماضي ، وشعورها بقيمتها الذاتية ، وخوفها من الاضمحلال التدريجي ، والذوبان ، يشدها ذلك الى قيمتها الثقافية التقليدية تستمسك بها على نحو متبصر احيانا ، وقد تطغى عليها روح الاستمساك الجامد ، فيفسد عليها ذلك فرصة الملاءمة بين التراث وتيار التجديد الكاسح ، ان للاوضاع الناشئة عن حالة الصراع هذا في الشرق وافريقيا ، وعموم العالم الثالث ، صورا متشعبة جد التشعب ، ولكن يمكن عند الاستقراء ان نرجع بها الى صور ثلاث تلخص ما هو حاصل بهذا الشأن في معظم اقطار العالم النامي الذي يضم اغلبية الاقطار ذات الحضارات التقليدية ، والثقافات القديمة ، فهناك «اولا» الاقطار

يتحلل ويذوب الكثير من مظاهر الحضارات السابقة ، التي تضفي على عالمنا الحاضر ملامح تنوع وتناقض ، محبب للكثيرين ، فهناك طراز واحد من اللباس والسكن ، والتأثيث ، والتزيين والاحتفال وغير ذلك يجتاح اكثرية العالم ، وهو في الطريق الى ان يصبح الطراز الاعم الغالب ، في شتى المجتمعات المتحضرة او التي هي سائرة نحو التحضر ، سواء في ذلك العالم القديم او الجديد ، او الجزر المتناثرة في المحيط الهندي والهادىء وغيرهما ، اما تخطيط المدن ، وانشاء المجموعات السكنية، وشق الشوارع ، واضاءتها فيزداد اكثر فأكثر ، تأثرا بالنموذج الامريكي ، الذي تجد اليوم مظهره صارخا في عدد من بلدان الشرق الاقصى ، وامريكا اللاتينية والشرقين الادنى والاوسط ، كما تجده كذلك في اية ولاية من الولايات الامريكية الخمسين ، بحيث ان استبدال المظاهر المعمارية الكلاسيكية ، بالذوق الامريكي الحديث ، يسير بسرعة قياسية ، يعللها ازدياد الميل الى التغيير والتجديد ، الذي يجتاح العالم قاطبة ، وتستوي في التأثر به كل من المجتمعات التي لها صلة سابقة بتيار التطور ، او المجتمعات الاخرى ، التي كانت الى عهد غير بعيد ، شديدة المحافظة والانطواء ولنأخذ كمثال على ذلك ، جزر المحيط الهادىء ، فسواء في جزيرة « جلبير » او جزر « كوك » او جزر « ساموا » او في جزر « فيجي » او في كاليدونيا الجديدة ، او في « غينيا الجديدة » او في « تاهيتي » او في جزر « طونكان » او في جزيرة «نووي» او في غير هذه الجزر ، فان البذلة الاوربية قد زحزحت كليا او جزئيا ، الازياء التقليدية المحلية « الجبة المصنوعة من التبن مثلا » وتبنى المساكن في هذه المناطق من الاوراق المضفورة ، والخشب والمرجان ، وما اشبه ذلك ، غير ان طراز البناء الاوربي قد بدا يغزو هذه الانحاء بصورة محدودة جدا الان ، ولكن زيادة اتصال الاهالي بالحضارة الحديثة ، من شأنه ان يشيع هذا الطراز من السكن على نطاق واسع .

ولا يفهم من هذا ان حياة شعوب الارض كلها ، قد اصبحت متلونة باللون الاوربي — الامريكي على نحو شامل ومطلق ، وان المظاهر الحضارية التقليدية في العالم القديم ، قد اندثرت من حياة الناس ، او كادت فلم تعد الا ذكريات واطلالا ، اننا نستطيع ان نلحظ ان طريقة الحياة في اليابان ، وفي الهند ، وفي الشرق الادنى ، وغير هذه المناطق ، لا تزال متأثرة في كثير من جوانبها ، بأصول حضارية عريقة كالحضارة الصينية والحضارة الهندية والحضارة العربية وغيرها . وان طرازا من العيش والتعامل ، والاستمتاع ، والتصرف والتعمير ، وكثير غير ذلك ، وهو طراز مستوحى من الاصول الحضارية التقليدية ، لا يزال قائما ، فعالا ، له تأثير ملموس في حياة قطاعات كثيرة من المجتمعات الشرقية التقليدية ، بل وتظهر على هذا الطراز ، صلابة قوية في الحفاظ على وجوده ، وتأكيد استمراره امام جميع اغراءات التجديد والتغيير ، التي تهب ريحها على بقاع العالم كافة . بيد اننا — اذ ننظر في هذا الامر — امر الحضارة التقليدية في عصرنا الراهن — فاننا ننظر اليه من زاوية متعمقة جدا ، ننظر اليه من حيث المصير الحضاري للانسانية ، لا من جهة الواقع الحضاري القائم في هذا العصر ، فهل يتجه العالم نحو حالة يتكيف فيها مصيره الحضاري بحسب الروح والعقلية والاساليب التي تقوم عليها المدنية الحديثة ؟ وهل يظهر اتجاه من هذا النوع للمتأمل كانه حتمية منطقية لا مرد لها ؟

* * *

ذكرنا في الفقرة السابقة ، ان مظهر الاتجاه نحو وحدة حضارية انسانية يتجلى ، فيما نراه يجتاح العالم من وحدة طراز في اللباس والسكن ، والتعمير ، والاتجار ، واسلوب الحياة العامة ، في كثير من الميادين ، غير ان هذا يتعلق بالمظهر المادي للحضارة فقط ، ولكل حضارة جانبان : جانب مادي وجانب معنوي او فكري ، والجانبان اساسيان في كل بناء حضاري مهما كانت صبغته وطبيعته ، والجانبان يكملان بعضهما بعضا ، ويتداخلان فيما بينهما تداخلا دقيقا ، يضفي على اي عهد من العهود الحضارية صفته الرئيسية الغالبة ويطبعه بالطابع الذي يميزه عن غيره ، والجانب المادي من الحضارة يتمثل فيما يقوم في نطاقها من منشئات مادية مختلفة وما يهتدي اليه الناس في ظلها ، من ضروب الصناعة والزراعة والتجهيز وغيره ، اما الجانب الآخر ، الجانب المعنوي ، فيتجلى في طبيعة الاخلاق العامة ، التي تسود اي مجتمع من المجتمعات وانواع السلوك والتعامل ، التي يلتزم بها الافراد والجماعة ، في حظيرة هذا المجتمع ، ونوعية القيم والمثل التي توجه افكارهم وعقلياتهم ، وتحدد مشاربهم في السياسة والاجتماع والثقافة والنظرة الى الحياة ، وممارستها بوجه عام ، وهذا الجانب ، الجانب المعنوي هو — بلا مراء — ذو شأن كبير في قيام الحضارات

على نفسها ضمن الاغراض الحياتية البسيطة — وقيام اللغات الغربية كالانجليزية مثلا ، كمفتاح لاطلال الافريقي على آفاق الحياة الحضارية المعاصرة.

ويحتفظ الافارقة ببعض مظاهر التراث المادي التقليدي ، كالازياء المحلية مثلا ، ولكن الزي الحديث يتخذ سبيله الى الانتشار ، مثل ما هو عليه الامر فى اغلبية انحاء العالم . وهناك وسائل تقليدية متبعة فى التعليم والاحتفالات وفى التنظيم الاجتماعي وتنظيم الحكم فى النطاق القبلي وغير ذلك وتسود التعليم فى كثير من المناطق اساليب تقليدية مستقاة فى عدة احيان من التراث الاسلامي ، وفى هذا النطاق تهب رياح تجديدية ، آتية من الشمال الافريقي والشرق العربي ، وتحدث تأثيرات بطيئة جدا ، نظرا لقوة التقاليد الفكرية الموجودة بهذا الشأن ، وتمازجها بالمؤثرات الروحية المختلفة ، ومن هذه المؤثرات الطقوس السحرية فى بعض المجتمعات والدراويشوية وما اشبهها فى مجتمعات اخرى وهكذا ، والحاصل ان الشخصية الحضارية التقليدية لافريقيا السوداء — وان تكن موجودة ومتجلية فى عدة مظاهر اجتماعية وثقافية وغيرها ، ضمن مزيج تظهر فيه المؤثرات الاسلامية ، الى جانب المؤثرات الموغلة فى القدم — فان كل هذا لم يمنع التأثير الحضاري الحديث من ان يجد سهولة اكثر فى تكييف جوانب معينة من الحياة الحضارية الافريقية الحديثة، لكن المثقفين بدأوايشعرون بهذه الحالة ويعملون على تحليل اسبابها واستشفاف آفاق المستقبل من خلالها .

3» وفى المناطق الاخرى من العالم النامي ، منطقة الشمال الافريقي ، والشرقين الادنى والاوسط ، والشرق الاقصى ، وجنوب شرق آسيا ، فان الصراع بين المقومات الحضارية التقليدية وتيار التحول الحديث — هذا الصراع يتخذ صورة اعمق اثرا ، واوسع نطاقا وذلك «أ» لان المقومات الحضارية التقليدية فى جميع هذه المناطق قد احتفظت بقدر كبير من خصائصها ، وفاعليتها ، وشمولها كثيرا من آفاق الحياة العقلية والمادية «ب» لان الحضارات التقليدية بآسيا والعالم العربي ، ترتبط ارتباطا شديدا بقيم ثقافية ولغوية وعقائدية مهمة ، تسهم لحد الان فى تشكيل عقلية اغلب السكان ، وتؤثر فى تلوين حياتهم بلون تقليدي اصيل «ج» لان عددا من شعوب الشرق والعالم العربي ، قد مرت — خلال تاريخها الطويل — بفترات احتكاك كثيرة بالحضارات الاخرى الواردة عليها من خارج بيئاتها الخاصة ، وجربت طويلا كيف تستفيد من هذا الاحتكاك دون ان تتعرض للذوبان الحضاري ، بل ان مدنياتها هي مزيج من هذه الاحتكاكات ، مضافا اليها ما لهذه الشعوب من عبقريات ذاتية اعربت عن وجودها مدى التاريخ

هذه الاعتبارات وكثير غيرها ، تفسر ماهية الصراع الموجود فى هذه المنطقة الواسعة من الاوقيانوسية الى نهاية الشاطىء المتوسطي الجنوبي صراع بين القيم والموروثات الحضارية التقليدية من جهة ، والتيار الحضاري الحديث من جهة اخرى ويتجلى ذلك فى ردود الفعل الثقافية التي تقوم بها شعوب كثيرة فى هذه المنطقة ، ضد امكانية الذوبان الثقافي غير المتبصر فى خضم القيم الثقافية الاتية من الغرب وما اليه ، ان شعوب الشرق والضفة الجنوبية للمتوسط ، تسير فى تدعيم نهضاتها الفكرية باستيحاء من التيارات الفكرية المتجددة الاتية من الشمال ، لكن يلاحظ كذلك ، ان هناك فى العالم العربي ، وفى الصين ، وفى الهند ، وغيرها ، نزوعا قويا الى الاخذ أيضا بما فى التراث ، والعمل على تكوين مزيج ثقافي عصري ، يتحقق منه تأكيد اصالة الشخصية الشرقية ، من خلال هذا التراث ويتعاطف مع تيارات الفكر المتجددة الاتية من عالم الكسونيين واللاتينيين والسلافيين وغيرهم ، كما لابد ان يوخذ بعين الاعتبار كذلك الاهتمام الشديد بالقيم اللغوية المحلية ، ومحاولة بعث اللغات المنطوية على نفسها ، وتنمية مقدرتها التعبيرية ، واعدادها لمسايرة العصر ، وتشكيل الصورة القومية الموحدة من خلال الوحدة اللغوية ، كما تسعى اليه الهند فى جهودها من اجل اقرار الهندوستانية كلغة قومية ، وفى نفس الوقت تتزايد النزعات الهادفة الى احياء الفنون وانماط التعبير الكلاسيكية المحلية ، وتنمية الرصيد المحرز عليه الان عن طريق الاكتشاف « اكتشاف ما هو مغمور من التراث » والاشتقاق « الاشتقاق من النماذج الاصلية وبناء اشكال متطورة على اساسها» والتوليد «توليد اشكال جديدة، ولكن باستيحاء من روح التراث الاصيل » ، لكن يلاحظ من جهة اخرى وجود شعور قوي بالنقائص التي يتسم بها التراث ، هناك نزعات ترمي الى تلقين الكتابات الشرقية « اي استبدال الحروف الشرقية بالحروف اللاتينية » وذلك سواء فى الصين او فى اقطار جنوب شرقي اسيا ، او غيرها ، هناك صراع

حديثة النشوء ، كمجتمعات امريكا الجنوبية والوسطى واستراليا وكندا ونيوزيلاندة ، وهي تتكون اصلا من عناصر المهاجرين الاوربيين الاولين والسكان الاصليين وعناصر اجتماعية اخرى واردة فيما بعد من اسيا وافريقيا ، حيث يوجد متشكلا من ذلك مجتمعات ، اما تسودها العناصر البيضاء المهاجرة كما هو الشأن فى اقطار الكومنولث الاقيانوسية كالاتحاد الاسترالي المتكون من سبعة مستعمرات قديمة ، وك « نيوزيلاندا » الواقعة الى الجنوب الشرقي من استراليا والمتكونة من جزيرتين كبيرتين ، واما تختلف عن ذلك بصور متباينة ، كما هو الحال فى دول امريكا الجنوبية .

وفى جميع الحالات الماثلة فى هذا الصراع بين المحافظة والتجديد ، لا يتخذ نفس الصورة التي يتخذها هذا الامر فى الاقطار ذات الحضارات التقليدية فالصراع فى مثل هذه المناطق ، يقال عنه انه صراع بين المدنية والبدائية ، وان العمليات التي جرت هناك ، هي عمليات تمدين لا عمليات تحول حضاري فحسب ، وعلى الرغم مما يمكن ان يقال حول هذه النظرية ، فان الذي لا مراء فيه ، ان المدنية الحديثة ، قد وجدت السبيل امامها ، سهلا لطبع الحياة فى هذه المناطق ، بطابعها المادي والمعنوي على نسب متفاوتة فى ذلك ، ففي الاقطار التي يسودها الرجل الابيض فى الدرجة الاولى ، كاستراليا مثلا يكاد يكون الطابع الاوربي ، السمة البارزة فى الحياة المادية والمعنوية هناك ، اما الجماعات البدائية التي لا تزال متبقية ، فان تأثيرها الحضاري لا يكاد يذكر ، وفى اقطار امريكا الجنوبية والوسطى ، حيث التمازج العنصري بين الملونين والبيض يتخذ نسبة واسعة النطاق ، فان المشكلة الناتجة عن هذا التمازج هي ذات طابع اجتماعي واقتصادي اكثر مما هي ذات طابع حضاري بالمفهوم الشامل للكلمة ، والقضية هناك هي قضية الاندماج الاجتماعي بين العناصر المختلفة بما فيها عناصر الخلاسيين ، اما التحول الحضاري فيقع داخل نطاق الاوربية قبل كل شيء ، حيث تتضاءل بعض مظاهر العمران الاسباني التقليدية امام الاسلوب الامريكي الحديث « فينزويلا مثلا » اما الهنود الحمر « وهم ممن لم يكونوا معتادين البناء بالحجر « كهنود فينيزويلا مثلا » فجماعات كثيرة منهم تعيش حالة ريب وحذر من المدنية الحديثة فى السكن وغيره .

2 — واذا انتقلنا الى افريقيا جنوب الصحراء ، فاننا نجد بهذا الشأن حالة من نوع آخر ، فالمجتمعات القاطنة بهذه‌المنطقة — ولو ان حياتها الثقافية والمعمارية وغيرها ، لا تعكس وجود تراث حضاري يمكن مقارنته بغيره فى الحضارات التقليدية ، غير ان الانسانية السوداء التي لم تتمازج بالعناصر البيضاء — الواردة عليها — التمازج الذي وقع فى المجتمعات الامريكية اللاتينية وغيرها ، فقد بقيت محتفظة بخصائصها السلالية واخلاقها ومزاجها ، وتقاليدها الاجتماعية والعقائدية والفنية وغيرها ، ان افريقيا — اذا كان لها ماض حضاري قديم ، كما تحاول اثباته اليوم كثير من المصادر التاريخية والعلمية ، فان الجوانب المادية لهذا الماضي ، لم تثبت بصورة كافية امام عوامل البلى والانقراض ، كما تثبت الحضارات التقليدية الاخرى فى العالم ، لكن هناك — كما تقدم — التراث المعنوي الذي ورثه الافريقيون عن اسلافهم ، والذي يعطي لقسمات الشخصية الافريقية بروزا ملحوظا ، وهذا التراث المعنوي ، ليس ذا قيمة شمولية ، كما فى حالات حضارية اخرى بالعالم ، انه اذا كان يتمثل فى جملة من التقاليد الاجتماعية والفنية وما اشبهها فالملحوظ — من جهة اخرى — ان الثقافة الافريقية السوداء ، لا يظهر انها تحوي علوما وقيما ادبية تليدة ، على النحو الفني الخصب ، الذي تتسم به الثقافات التقليدية الاخرى فى العالم ، وليست هناك امكانيات لغوية كافية تصلح للتعبير عن تراث علمي وثقافي عال اذا كان موجودا .

وفى جو حضاري من هذا القبيل — باعتبار ان هناك فيما حضارية موجودة — فاننا نلحظ ان هناك فى المنطقة آثار صراع مستمر بين المحافظة وروح التغيير ، وان كان هذا الصراع لا يظهر حادا فى عدة احيان وقد ادى — فى عدة حالات — الى ان تيار التغيير قد تمكن من هضم بعض المقومات الحضارية التقليدية ومن الامثلة البارزة على ذلك : عجز اللغات الافريقية عن مسايرة التطور الحديث «*» وانكماشها

---

* هناك اهتمام بين بعض اوساط الثقافة والفكر بافريقيا السوداء يتصل بموضوع الثقافة الافريقية وصلتها بالاوضاع اللغوية فى القارة ، كما ان هناك اهتماما فى بعض الاقطار الافريقية الاسلامية كمالي وغينيا باللغة العربية وامكانية فسح مجال لها فى دنيا الثقافة بالنسبة للاجيال الصاعدة .

بروح الحضارة الحديثة – فى حاجة الى مراجعة كثير من اقتناعاتها ومسلماتها ، وما تأخذ به من اساليب التفكير والعيش والتعامل والتوسع فى مختلف آفاق الحياة «3» ان المجتمعات ذات الحضارة التقليدية تواجه – فى خضم هذه – تحديا فكريا على اعلى مستوى ، يدعوها لان تعطي هي مما لديها ، او تقبل التعرض لتيار الصهر الثقافي الحديث ، الذي هو بصدد ان يبوتق الفكر الانساني على نحو شامل .

اما بالنسبة لحالة الصراع بين الجوانب المادية للحضارة ، تقليدية وحديثة ، فان الامر يختلف عما سبق بعض الشيء، فهذا الصراع ليس متشعبا تشعب الصراع بين القيم الحضارية المعنوية كما تقدم ، والمثال الذي يسير نحوه هذا الصراع الحضاري المادي ليس بالضرورة نفس المآل الذي يسير نحوه الصراع الحضاري المعنوي ، ويظهر ذلك فى اختلاف احوال رد الفعل الذي قامت به المجتمعات الشرقية والعربية ، ازاء التيارات التجديدية الواردة عليها من العالم الغربي فبينما تجد ان اغلبية هذه المجتمعات تتمسك شديد لتمسك ، بروح حضاراتها المعنوية الموروثة ، بما تقوم عليه من لغات وثقافات قومية وغيرها ، ولا تقبل من تيارات التغيير بهذا الشأن ما من شأنه ان يدعو الى الاستبدال : استبدال اللغات المحلية بغيرها ، او التراث الثقافي بغيره ، وانما تقبل التغيير اذا كان يعني التجديد الثقافي ، الذي لا يمس جوهر التراث والتطعيم الثقافي ، الذي ينمي امكانياتها الفكرية والحضارية دون ان يقطع صلتها بشخصيتها الثقافية الخاصة ، بينما نجد ردود الفعل عند اكثرية شعوب الشرق والعالم العربي . ازاء تيار التغيير الحضاري المعنوي على هذا النحو او ما يقرب منه، نجد – من جانب آخر – ان المجتمعات الشرقية والعربية ، تبدي رد فعل اقل ازاء تيارات التغيير الحضارية المادية الاتية اليها من الغرب فسواء فى ميدان الصناعة او الزراعة او التجارة ، او العمارة، او الادارة ، او غيرها ، فان الاساليب الحضارية الحديثة ، قد تمكنت من شق طريقها الى قلب الحياة الشرقية والعربية ، لا لتقوم بتجديد الاساليب التقليدية المتبعة بهذا الشأن عند العرب والشرقيين وادخال تحسين عليها ، بل لتحل تماما محل الاساليب الشرقية التقليدية وتسير هكذا نحو طبع الحياة المادية الشرقية ، بالطابع الحضاري الحديث فى مختلف المرافق ، ولا يعني هذا اختفاء الاساليب التقليدية من الحياة المادية العامة فى الشرق ، بل ان هذه الاساليب لا يزال لها وجود ذو فاعلية فى شتى الميادين ، غير انها لم تعد تقنع احدا ، بان لها صلاحية مطلقة للاستجابة لحاجيات التقنية المعقدة ، التي تتطلبها الحياة الاقتصادية والاجتماعية الحديثة ، ولهذا فعلى الرغم من استمرار العمل بالوسائل والطرق التقليدية فى الشرق والعالم العربي ، فان هذه الطرق والاساليب قد انزوت فى ركن ضيق او قطاع ضيق ، هو ما يدعى بالقطاع التقليدي ، الذي لم يعد عليه كبير اعتماد فى التخطيط الاقتصادي والاجتماعي للدول النامية فى الشرق والعالم العربي ، ولذا فان غالبية هذه الدول ، تجد لديها قطاعين متوازيين فى كثير من ميادين الحياة : صناعية وزراعية وتجارية وغيرها ، اولاهما : القطاع التقليدي الذي لا يزال يعتمد على الاساليب القديمة ، المأخوذة فى كثير من الحالات ، من منهج الحضارات التقليدية بهذه المناطق ، ثم القطاع الحديث الذي يستمد وجوده من روح التقنية الحديثة فى جميع ميادين الانماء والتجهيز والاستهلاك على مختلف المستويات . وتهتم بعض الدول ممن يعنيها الامر ، بايجاد نوع من الانسجام والتضافر بين القطاعين ، ضمن خططها العامة ، للنهوض الاقتصادي والاجتماعي الشامل ، بيد ان وجود القطاعين منفصلين فى الاصل ، على النحو الذي نراه فى اكثرية الاقطار النامية بآسيا وافريقيا العربية ، يعكس فى حد ذاته، ما انتهت اليه ردود الفعل الشرقية والعربية تجاه تيارات التغيير الحضاري ، الواردة من الغرب فهناك بهذا الشأن – كما قدمنا – حالتان قائمتان بينهما كثير من الفروق فى المقدمة والنتيجة ، حالة محافظة نسبية ، يبديها العرب والشرقيون ازاء تيارات التغيير الحضاري المعنوي ، بما يتداخل فى محيطها من عناصر الثقافة ، والقيم الفكرية والخلقية ، وحالة المرونة التي تبدو على هذه الشعوب تجاه تيارات التغيير المادي ، وما يتميز به موقف العرب والشرقيين من طواعية ملحوظة ، لاستبدال الاساليب الحضارية القديمة بهذا الشأن بالاساليب التقنية الحديثة ، والصورة التي تبدو من خلالها اليابان كقطر تقني تعمره المركبات الصناعية الهائلة وتظلله ناطحات السحاب ، هذا من جهة ، وكقطر يكتب بالحروف اليابانية التقليدية ، ويفكر بلغة شرقية منعزلة ، ويخضع لاساليب سلوك اجتماعي

بين اشكال التعبير القديمة والمستحدثة سواء في مجال التعبير اللغوي ، او الفني او غيره ، وثمت نزعات واسعة ، تستهدف مراجعة القيم الفكرية والاخلاقية والجمالية عند الشعوب الشرقية ، وتمت كثير مثل هذا ، من تيارات التغيير والتطوير ، التي تندفع بلا هوادة ، آتية من الغرب الاوربي والامريكي، ومن الشرق الاوربي كذلك . لتدور في محيط الحياة الفكرية التقليدية في الشرق والعالم العربي ، وتثير حالة من الصراع مع القيم الفكرية التقليدية في هذه المنطقة ، صراع واسع المدى ، بعيد القرار، لانه يتعلق بالمصير الحضاري المعنوي لمجموعة هائلة من الشعوب ، بقدر ما تتميز بكثرة عددها وضخامة كتلتها بقدر ما تتسم باعراقها البعيد في الحضارة ، واصالتها في هذا الميدان اصالة لها جذور تاريخية ومظهر حاضر .

اما في المجالات الاخرى مجالات الحياةالحضارية في اطارها المادي ، فان الصراع بين القيم الحضارية التقليدية والحديثة – وان كان موجودا – فانه لا يتسم بمايتسم بهالصراعالقائم على صورمختلفة – بين القيم الثقافية والخلقية ، فقد عاشت شعوب الشرق وشمال افريقيا دهرا طويلا على اساليب ووسائل معينة ، في زراعتها وصناعاتها ، ومختلف مرافق الانتاج والاستهلاك الاقتصادي عندها ، وانطبع الفن المعماري لديها بطابع خاص ، تنعكس من خلاله عقليتها الاجتماعية ، ونظرتها الى الصلات بين افراد المجتمع ، وذوقها في الراحة والاستمتاع ، ووسائل التوقي من عوامل الطبيعة ، كالحر والبرد والعواصف وغيرها ، وتيمزت طرق تهييء الطعام . وغير ذلك عندها بميزات اصيلة ، تتجلى منها تذوقات هذه الشعوب وفكرتها عن جانب الالتذاذ بالطعام ، وجانب الاستفادة الصحية منه ، وما الى ذلك ، كثير من مثل هذه الاشياء في ميادين الحياة المختلفة ، عاشت عليه الشعوب العربية، والهنديةوالصينية والبولينيزنية وغيرها ، امدا بعيدا ، وتميزت به حضارتها الاصيلة عبر التاريخ ، غير ان تيار التغيير العام ، الذي يجتاح عالمنا الراهن تحت تأثير المدنية الحديثة ، قد اصاب فيما اصاب عددا من هذه المواضعات الاقتصادية والعمرانية والذوقية ، التي قامت عليها الحضارات الشرقية والعربية وتناولها تناولا عنيفا في الكثير من الاحيان ، بحيث ان اي جانب مهم من جوانب الحياة الزراعية والصناعية وغيرها عند شعوب الشرق وشمال افريقيا ، لم يبق بعيدا عن التيار ، وبمعزل عن حمى التغيير التي تكتسح الحياة المادية في العالم على نطاق غير محدود ، غير ان هناك وجها للاحظة الفارق الدقيق الموجود بين الحالتين ، حالة الصراع بين القيم الحضارية المعنوية التقليدية والقيم الحضارية المعنوية الحديثة فيما بينها وحالة الصراع بين القيم المتعلقة بتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية على الاسلوب التقليدي، والاسلوب الحديث فيما بينهما كذلك ، فالصراع بين القيم المعنوية يكتسي صورة صراع حقيقي بكل الملابسات التي تتعلق بهذه الكلمة اي ما يدل عليه الصراع من اخذ ورد ومطاولة ومصاولة ، وامتداد وانحسار ، وكما ان الصراع لا ينتهي دائما بغالب ومغلوب ، فيلس هنا في مجال الصراع بين القيم الحضارية المعنوية مجال لوجود حتمية غالب ومغلوب ، في نهاية المطاف ، ذلك ان التجديد « طابع القيم الحضارية الحديثة» اذا كان عامل اغراء قوي يكتسح المظاهر القديمة بسهولة فان الاصالة «طابع القيم المعنوية التقليدية » هي ايضا طاقة قوية ذات قابلية للاستمرار طويلا ولها من ينابيعها الذاتية ما يزودها بالقدرة على البقاء واثبات الوجود رغم العوامل المعاكسة ، هذا الصراع بين اغراءات التجديد الحديث وقوة الاصالة التقليدية، هو صراع حتمي كان قائما دائما في مراحل التاريخ حيث يوجد التحول الحضاري كظاهرة مستمرة ، لا تنقطع ابدا ، غير ان الميدان الذي يقع فيه هذا النوع من الصراع التاريخي هو على درجة بالغة من التعقيد ، نظرا لتعقد الحياة الفكرية العالمية ، وتراكم القضايا الاخلاقية والثقافية والروحية وغيرها ، مما يضمه منطق العصر الحديث ويفرضه على الانسان فرضا، وعلى نحو درامي فيبعضالاحيان، ويظهر منحالة الصراع هذه «1» ان هناك رابطا قويا بين المحافظة الحضارية في نطاقها المعنوي عند الشعوب ذات الحضارات التقليدية في الشرق والعالم العربي ، وبين المحافظة القومية عند هذه الشعوب ، ولذا تجد ان الحركات القومية في الاقطار العربية وغيرها من اقطار الشرق ، يصاحبها عادة حركة احياء للتراث الثقافي القومي ، وسعي الى بعث القيم الحضارية المعنوية التي يعبر عنها هذا التراث وحرص على تربية النشء بحسب مقاييس من هذا القبيل ، مستمدة من روح التراث ومقوماته «2» ان المجتمعات التي لها تراث حضاري معنوي تتشبث به ، تجد نفسها ، وهي تعيش الجو العالمي المشبع

بعيد ، الا ان هذا التعايش سيكون اكثر امكانا ، اذا كان بين ثقافات حية ، تفي لاصولها الراسخة ، وتساهم بنصيبها في مبادرات الخلق الفني والادبي والفلسفي والروحي ، وبكل ما يرتبط بذلك من مفاهيم وقيم وحقائق ، ان اية ثقافة من هذا المستوى هي القادرة وحدها على تحمل الالتقاء مع الثقافات الاخرى بل واعطاء معنى ايجابي لهذا الالتقاء . والذي يبدو واضحا ان عالما اسلاميا هو في حال حركة متطورة سيكون له — مثلا — مع الحضارة الاوربية والثقافة الاوروبية هذا النوع من التقارب الذي يوجد بين جميع الخلاقين .

ان المهمة قد حددها « هيدجر » حينما قال : يجب ان نرتحل الى داخل اصولنا نفسها » اي يجب ان نرجع الى اصولنا الثقافية الاولى من قومية ودينية ، لنكون محاورين اكفاء في المناقشات الكبرى بين الثقافات ، وهكذا يمكن للمرء ان يحقق هذه العلاقة الدرامية التي يتأكد فيها داخل اصله ويعير انتباهه كذلك لخيال الاخرين ، حسب مفاهيم مدنياتهم الخاصة ، فالحقيقة الانسانية ليست الا في هذه المحاكات ، حيث تتواجه الحضارات اكثر فأكثر بكل ما فيها من عناصر الحيوية والخلق ، وحيث تطور كل مدنية تصوراتها ومفهوماتها عن العالم عن طريق التواجه مع المدنيات الاخرى ، وهذه المحاكمات قد بدأت او تكاد ، وربما تصبح المهمة الكبرى للانسان الحديث ، ولا احد يستطيع ان يحدد تطور مدنيتنا هذه ، اذا امكنها ان تتلاقى حقيقة عن طريق آخر ، غير طريق الفتح والاستيلاء ، غير انه من الملاحظ ان هذا الالتقاء لم يقع لحد الان في مستوى حوار حقيقي ، لكننا نحس مع ذلك اننا على عتبة هذا الحوار .. الحوار بين مختلف المدنيات والثقافات الاصلية ، التي لابد ان تتعايش فيما بينها تعايشا ايجابيا خلاقا .. »

الراي الذي سقناه يعكس نظرة متبصرة ، الى القضية الحضارية التي تشغل عددا من المثقفين المعاصرين ، لكن الراي هذا — وهو راي اوربي — يبدو انه وليد نظرة الى الموضوع من خلال الرغبة في التطور الامثل للحضارة الحديثة ، التي تسودها التقنية والعقلانية الغربية في المقام الاول ، ولا يظهر ان المثقفين في الشرق يولون ظهورهم لاغراءات حوار حضاري عالمي من هذا القبيل ، غير ان الحوار يجب ان يكون — كما قيل — بين اكفاء ، والكفاءة هنا لا تعني بالضرورة الكفاءة التقنية ، لان التقنية — على اي حال — لا تستطيع ان تفرض الحلول للمشاكل الحضارية الانسانية كلها . ولا يبدو انها تمكننا بسهولة ، من ايجاد صيغة نهائية لعلاقات انسانية قارة وواضحة في الامد البعيد، وعلى جميع المستويات ، ان النزاع الفكري والثقافي يكمن اليوم وراء كثير ، ان لم يكن ، كافة النزاعات السياسية وغيرها التي ترج العالم رجا ، وهذا النزاع يجب ان لا يتخذ صورة تطاحن او تناحر ، بل المتعين ان يكون عبارة عن تواجه وتحاور ، فيكون ذلك ظاهرة ايجابية في حياة الفكر والحضارة ، عوض ان يكون بادرة سلبية لا تدل الا على عدم التلاؤم الفكري — الحضاري بين مختلف القارات ، وليس المثل الاعلى في ذلك اتاحة البيئة الصالحة لتعايش المدنيات فحسب، اذا كانت نتيجة التعايش هذا عبارة عن مهادنة بين طرفين لا تفرض التزامات ايجابية بينهما ، وانما الهدف الذي يبتغى هو ان يؤدي الحوار في الامد البعيد الى التقارب البناء بين مختلف القيم الفكرية في العالم ، واتجاه الانسانية على اساس ذلك الى اقامة بناء فكري حضاري تتفاعل فيه العقليات الحضارية المختلفة على نحو يضمن اسهام العبقرية الانسانية المتكاملة في تشييد عالم افضل .

**سلا — المهدي البرجالي**

تطبعها روح التؤدة الشرقية والعقلية الشرقية النموذجية في كثير من الميادين : هاتان الصورتان عن اليابان تعطيان فكرة عن موقف العرب والشرقيين في الصميم من تيارات التغيير والتجديد التي تهب مع رياح الحضارة الحديثة — فكرة — وان كانت لا تعكس — بدقة — الواقع الموجود في جميع المجتمعات الشرقية ، ولكنها تعطي عن هذا الواقع فكرة تقريبية ، وتنبىء بما يجب ان تنتهي اليه الامور من هذا القبيل في اي بلد يجد نفسه موزعا بين اختيارات حضارية حديثةلا غنى عنها ، وبين تراث حضاري قائم تتبلور من خلاله شخصيته وموقعه في التاريخ ومركزه الحاضر بين البلدان التي لها تراث يعتد به في موازين الحضارات الانسانية .

هذه الجوانب المعنوية من الحضارات التقليدية على اية قاعدة يجب ان ترتكز في تمسكها هكذا بالبقاء، ورفضها الانصهار المطلق في الحضارة العالمية الحديثة؟ هل يكفي ان تتشبث الاقطار ذات الحضارات التقليدية بروح محافظة ، شديدة الاعتزاز بتراثها الثقافي ، وقيمها الفكرية والخلقية ، لكي تستطيع الصمود في وجه التيارات الحديثة ، والابقاء على شخصيتها الحضارية المعنوية قائمة غير منقوصة ؟

في امكان المرء ان يستطلع احوال عدد من البلدان المحافظة على هذا النمط في آسيا وغيرها ليرى أن مثل هذه المحافظة السلبية ، لا تضمن استمرار المناعة المنشودة ، ضد امكانية الذوبان في التيار الحضاري الاجنبي ، ولا تقدم حلولا للقضايا الفكرية والحياتية ، التي يحدثها تصادم التيارات الحضارية بالعالم ، ان البلدان التي تأخذ بمبدأ الانطواء الحضاري المطلق ، واقفال النوافذ الفكرية بينها وبين العالم ، لابد ان تجد نفسها عند نهاية المطاف في غربة حضارية لا يمكن ان تكون مخصبة ، اذا نظرنا اليها من خلال المقاييس والمفهومات التي نقيس بها تطور الشعوب ونهضتها اليوم ، وهذه الغربة — اذا استحكمت — فانها تجعل البلد الواقع فيها ضعيف الحصانة من الخارج ، وان كان يتمتع ببعض التماسك الفكري والعاطفي في الداخل ، ولهذا فان البلدان من هذا القبيل التي آثرت سبيل عزلة حضارية شديدة من نوع ما ذكرنا — تتعرض في بعض الاحيان للتأثر بالغزو الثقافي الاجنبي اكثر من غيرها ، وذلك لضعف امكانياتها الحضارية الناجمة عن عزلتها التقليدية ، وخصوصا ضيق الافق الفكري الذي يسببه لها الانعزال ونكران الواقع الفكري الخارجي ، فيحصل لها — عند المفاجأة — انبهار محتمل قد ينسيها شخصيتها الثقافية الى حد ما .

على ان العزلة الحضارية — اذا لم تكن حلا صالحا في الموضوع الذي نعالجه — فان الاستعداد للتأثر غير المتبصر بالتيارات الحضارية في العالم ، هو بطبيعة الحال حل غير مناسب ايضا ، والعنصر الثقافي « اساس الحضارة المعنوية » هو محور الاهتمام في هذا المضمار ، ان الثقافات القومية في عالمنا المعاصر ليس لها ان تنعزل عن بعضها ، والاخلاق التي تكفيها هذه الثقافات لا معنى لان تبقى اخلاقا محلية غير قابلة للتأثر بغيرها ، والتأثير فيه ، فمعركة الحضارات في العالم الحديث هي من اعظم الملاحم التي تعيشها الانسانية الان ، وهذه المعركة تفرض من الاتصالات الثقافية والفكرية بين الناس في كافة نواحي العالم ما يتناسب مع سعة الابعاد التي تمتد عليها هذه المعركة، وهذا الاتصال هو ما يدعوه البعض بالتعايش الثقافي الذي يجب ان يكون ايضا تعايشا ايجابيا مثل ما هنالك من نزوع للتعايش السياسي الايجابي.

ويقول « بول ريكور » حول هذه المسألة : «.. ان العامل الاساسي في تباعد الثقافات وتباينها هو اعتبار صفة الاجنبية التي تميز بعضها عن بعض وهذه الاجنبية هي في الواقع صفة اعتبارية لا غير ، فالرجل هو اجنبي بالنسبة لانسان آخر ، هذه حقيقة بدهية ، ولكنه مشابه له ايضا ، فاذا ما حل المرء ببلد اجنبي ، فهو يحس فعلا ، بالجو الاجنبي الذي يحيط به ، الا انه مع ذلك لابد ان يكتشف ايضا ، بأنه لم يفارق النوع الانساني بكل مميزاته وخصائصه ، وهذا الشعور يبقى في القلب غامضا ، ولكن يجب الارتفاع به الى مستوى الرهان ، ومستوى التأكيد الارادي لشخصية الانسان ، وهذا الرهان المعقول هو الذي حدا ببعض علماء العصريات — وقد عثر على جملة من العلامات الغامضة — حذا به الى القول بان هذه العلامات اذا كانت للانسان ، فلابد ان تترجم وتفهم ، واذا كانت الترجمة ممكنة دائما بالنسبة للكلمات والحروف والعلامات ، فلابد ان تكون ممكنة كذلك بالنسبة للقيم والصور الاساسية والشعارات التي تشكل الاسس الثقافية لاي شعب من الشعوب . واذا كان التجاوب بين الناس ضروريا الى هذا الحد ، فان التعايش بين الثقافات التي تعكس واقع فكره ، ووجدانه وحياته ، هو ممكن كذلك الى حد

# عصفورتي

للشاعر
عبد الكريم الطبال

عصفورتي اتحلمين ان تزوقي الظلال في جدار عشنا
أن ترسمي في كل ركن صورة لنجمتين فى سماء ليلنا
ان تصدحي بمولد الحب الذي طال جنينا عندنا فى سرنا
فينشر العطر حديث حبنا بين الرفاق فى دروب حقلنا
في كل عش خبر عن عشقنا . فى كل غصن همسة عن حبنا
فالنهر فى أسماره يحكي بنا قصة حب لم تمر من قبلنا
والياسمين فى جلال شيبه يضحك مثل طفلنا فى عيدنا
والدوح فى غربته يشهد فى أحلامه أسطورة فى دربنا
والظل يفرش الطريق لؤلؤا لصاحب العرش الذي من صلبنا
والفجر فى دكانه يصوغ تاجا عبقريا رائعا كحبنا
لطفلنا لواحة العينين . للشلال فى اعماقنا ودمنا
عصفورتي ان الخريف لن يعود ان صدحت فى جديب عمرنا

*

فاللحن وابل يموج فى التراب ليرف دوحة في قفرنا
لها الظلال والضياء والصلاة . ليطل طائرا في افقنا
له الاشواق والتهليل والاسرار . ليتيه باقة فى دوحنا
تبشر الفراش باللقاء والزهور بالاعراس في أعيادنا
فلتحلمي يامولد الالوان يا فجر الظلال يا أسرار حرفنا
فالحلم يا عصفورتي شراعنا الى الحقيقة التي فى شطنا

**شفشاون — عبد الكريم الطبال**

# انني الرائد أبني عالما

للشاعر: علال الهاشمي الفيلالي

اسبلي هدبك ، او فانفجري    غضبا ، اني غدا مرتحل
اوصدي بابك دوني انني    خانق اقسمت لا امتثل
في دمي ثورة حقد عرم    وبعمقي الجرح لا يندمل
امنعي كل نسيم عاطر    واحبسي الفجر فلا ينتقل
هددي عمري ، وسلي خنجرا    لست شيئا هينا يبتذل
ان صوتي لم اعد اخفته    انظريني كاللظى تشتعل

*

زحزحي ليلك عن جفني الذي    بسنا الفجر غدا يكتحل
لا تقولي بعد : من ايقظني ؟    لا تظني انني لا انفعل !!
بيميني مشعل سار على    هديه السامي جدودي الاول
وصحا الكون على اذانه    انه حق ، ووحي منزل
وانا كيف ساحيا يائسا    عالمي ليل ، وبابي مقفل
بيدي حطمت سجني ، وغدا    سيرى الركب السريع المعجل
انني الرائد ابني عالما    فيه ايمان ، وفيه مثل

علال بن الهاشمي الفيلالي

ثم انتقل لفاس فاتم دراسته على اشياخ استفاد بالقراءة عليهم اعظم استفادة ، كما قال . وان لم يسمهم لنا !

ثم اصبح مدرسا بفاس ، ومن خاصة مقام امير المسلمين المجاهد الانجد ابي يعقوب ابن امير المسلمين المجاهد ابي يوسف بن عبد الحق ، وفي فاس ساله بعض الطلبة عن حكم اعطاء الاجرة على السماع «يعني الغناء » فاجابه بان الغناء الجائز يجوز اعطاء الاجرة عليه ، والغناء الممنوع يحرم اعطاء الأجرة عليه .

ولكن ناسا انكروا جوابه هذا ، فمنهم من اقر بان من الغناء ما هو جائز ولكنه انكر جواز اعطاء الاجرة على هذا القسم الجائز ، ومنهم من انكر ان يكون من الغناء ما هو جائز ، واخرون انكروا النعر رأسا .

وحاولوا ان يوءلبوا عليه بعض اشياخه ، وان يصدوا بعض طلبته عن الاستمرار في الحضور عنده في مجلس درسه

فالف في الرد عليهم هذا الكتاب الحافل الذي سماه بكتاب « الامتاع والانتفاع في مسالة سماع السماع» لاستيناره بالكفاية والغناء ، في احكام الغناء . والرد على من نغص المسلمين بتحريم ما ابيح لهم في مظان المسرة والهناء ، او في حال اجتماع ارباب التهمم بالسماع ، ليتبعوا احسنه احسن الاتباع ، واولى الاعتناء ( كـذا ! )

وطرزه باسم مخدومه امير المسلمين ابي يعقوب ابن ابي يوسف بن عبد الحق ، ورفعه لخزانة محله الشريف .

### وصف الكتاب :

ويقع الكتاب في مائة وعشرين ورقة ، ضاعت منه الورقة الاولى ، ووضعت بدلها ورقة حديثة كتب فيها اسم الكتاب بدون تسمية المؤلف ، وفوق الاسم : تملك هذا الكتاب عبد الله ووليه ابو فارس بن امير المؤمنين ابن امير المومنين بن امير المومنين الشرفاء الحسنيين خار الله له ــ وهو زيدان بن المنصور السعدي ، كما لا يخفى وكان من جملة كتبه بالاسكوريال ثم نقل لمكتبة مدريد الوطنية ، والكتاب بخط مغربي جميل . لا يخلو من تصحيف وبياض ، موءرخ في النصف لشهر شعبان المكرم عام احد وسبعمائة على يد العبد الفقير الى رحمة ربه محمد بن ابراهيم الشلاجي ، بالجيم حسب قراءتي او بالفاء حسب قراءة عباس بن ابراهيم ، ولا عبرة بقراءة القصيري : الشلالجي لان اللام لا وجود لها ــ ولا تعرف لهذا الكتاب نسخة اخرى في مكان اخر لحد الان ، وقد صورناه على الشريط للخزانة العامة بالرباط .

### فهرس الكتاب :

وفي الكتاب ثلاثة ابواب :

1 ــ الاول في حقيقة الغناء ، وشرح الاته ، وفيه فصلان

2 ــ الثاني في حكم الغناء ، وفيه فصلان :

أ ــ الاول في حكم الغناء مجردا عن العوارض اللاحقة به .

2 ــ والثاني في حكم الغناء مع ما يقارن عمله ، من عارض في المسمع او عارض في المستمع .

ب ــ والثاني في حكم الغناء مع ما يقارن عمله ، كله على اختلاف انواعه وصفاته .

### من محتويات الكتاب :

يعتبر الفصل الثاني من الباب الاول من افيد واهم فصول الكتاب ، فقد ذكر فيه اثنين وثلاثين الة موسيقية، مما حضر من حفظه مما يدور على السنة علماء الشريعة ويتردد ذكرهم في كتبهم ــ دون ما لم يقف عليه فيها ، كالقانون وغيره من الالات ــ وهي : الدف . الغربال . المصافق . الكبر . الاصف . المزهر . العود . الرباب. الكران . الصنج . الكيثار . المعزف . العزف . المزمار. الناي . القصابة . البوق . الطبل . الكوس . الكوبة . العيد . الطنبور . البربط . القضيب . الشاهين . السفاقس . الشيزان . الكنارات . العرطبة . الشبابة . والصفارة .

ويقع هذا الفصل في ستة اوراق ونصف ، وقد لخصه عباس بن ابراهيم في « الاعلام بمن حل مراكش

# جولة في المخطوطات العربية باسبانيا

للأستاذ : محمد ابراهيم الكتاني

(2)

واما المدرسة العربية الاسبانية بمدريد ، فقد وضع المستعربان « ريبيرا » و « اسين » لمخطوطاتها العربية او التي بالخاميادو « العجمية » فهرسا بالعربية والاسبانية طبع بمدريد سنة 1912 م . ومن جملة مخطوطاتها :

23 — السفر السابع من « الاستذكار » لابن عبد البر ، وفيه : الجهاد ، والضحايا ، والذبائح ، والصيد، والعقيقة ، والفرائض وقد تلاشت اوراقه الاخيرة . وقد طلبنا تصويره للخزانة العامة

24 — ومنها «المقصد المحمود في تلخيص العقود» لابي الحسن علي بن ابي القاسم بخط مغربي وعليه طرر ، نسخة متلاشية .

25 — ومنها السفر الثاني من «الوثائق المجموعة» لابن فتوح الفهري ، نسخة كتبت سنة 534 .

26 — ومنها نسخة مغربية من كتاب « تبصرة المبتدىء وتذكرة المنتهي » في النحو لابي محمد الصيمري . اصاب اطراف اوراقها الاولى تلف .

27 — ومنها نسخة سقيمة من مختصر العين .

28 — ونسخة من السفر الثاني منه بتاريخ 435هـ.

ومنها مجموع في النحو فيه كتب « بالخاميادو » ، واخرى بالعربية والترجمة ومما به :

29 — شرح ابي اسحاق ابن غالب الانصاري على الاجرومية ، وبين السطور ترجمته الى الخاميادو .

30 — وكذلك كتاب « الشجرة » وهو المسمى بالتقريب في علم النحو للزجاج ، وبين السطور ترجمته الى الخاميادو كذلك .

31 — ومنها قطعة من تفسير ابن ابي زمنين بلغة الخاميادو ، كتبت فيه الايات باللغة العربية والترجمة بالحروف العربية ، نسخة جيدة

32 — ومنها مختصر الطليطلي بالخاميادو ايضا . واما المكتبة الوطنية بمدريد ، فمن اغرب واهم ما فيها:

33 — كتاب « الامتاع والانتفاع في معرفة احكام السماع » لمؤلف مغربي ظل مجهولا لحد الان ، نشا بسبتة في كنف اميرها ابي القاسم بن ابي العباس اللخمي ثم العزفي — توفى عام 677 هـ الذي اختصه بتنبيهه وتعليمه واعانه على طلب العلم

ومما اخذ عنه صحيحا البخاري ومسلم وسنن النسائي ، كما حدثه بالبخاري والنسائي ، شيخه الفقيه العالم العامل الاستاذ المقرىء النحوي اللغوي الفرضي ابو الحسين عبيد الله بن احمد ابن ابي الربيع القرشي فسح الله مدته ، قلت توفى سنة 688 هـ .

واخذ البخاري ومسلما ايضا عن الشيخ الفقيه العالم العامل المحدث الحاج المدرس صفي الدين ابي يعقوب يوسف بن موسى الغماري ثم المشجاني ، سماعا عليه لبعضه واجازة لسائره — قلت : كان حيا سنة 684 هـ

وروى صحيح مسلم ايضا عن سراج الدين ابي بكر عبد الله بن احمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن عبد العزيز بن فارس التميمي السعدي، قلت: توفى سنة 684هـ

بعض كبار اهل بلنسية انه قال : اخذت ( النسخة ) التي فيها الاحاديث الواردة في ذم الغناء والمنع من بيـــع المغنيات ، وما ذكره فيها ابو محمد رحمه الله ، وقصدت بها الى الفقيه الامام ابا عمر بن عبد البر رضي الله عنه ووقفته عليها ، ورغبت ان يتاملها ، فاقامت النسخة عنده اياما ، ثم نهضت اليه فقلت له : ما صنعت في النسخة ؟ فقال لي : التفتها ( كذا ) فلم اجد ما ازيد فيها ولا مـا انقص منها

### شخصية المؤلف في الكتـــاب :

والمؤلف كاتب مترسل مقتدر مبـــدع ، علامـــة ، واسع الاطلاع في اللغـــة والادب والحديـــث والفقـــه ومذاهبه ، والنحو والبلاغة ، وهو يعقـــب غالبا على ما ينقله من نصوص الائمة ، ويحاجج ويجادل ويقبـــل ويرد ويؤيد ويفند

### من هو مؤلف الكتـــاب ؟ ومتى الف ؟

اما مؤلف الكتاب فقد كتب المستعرب القصيري في اول صفحة من المخطوط باللاتينية انه الشلاحـي ( الناسخ ) وقال انه اسباني ! كما توهم انه مهدي ليوسف ابن تاشفين ولكن المستعرب الاسباني ف كيان روبليس F. Guillén Robles في فهرسته لمخطوطات المكتبـــة الوطنية بمدريد تنبه لغلط القصيري في الامرين الاول والثالـــث ولكنـــه لـــم يعرف شيئا عن مؤلف الكتـــاب ( ص 249 ــ 250 )

Catologo de los Manuscritos Arabes existentes en la Biblioteca Nacional de Madrid - Madrid, 1889

كما تعرض له المستعرب الفرنسي هارتويج ديرانبورغ Hartuig Derenbourg فـــي ملاحظتـــه النقديـــة على المخطوطات العربيـــة بمدريـــد .

Notes critiques sur les Manuscrits Arabes de la Bibliothèque Nationale de Madrid - Paris, 1904

فقال : « انا نجهل مؤلفه » الا اننا نفترض ان كاتبه الشلاحي هو المؤلف فيكون بخط الموءلف ( ص 247 ) ونسبه عبد الحميد العلوجي في ( رائد الموسيقى العربية ) ص 139 الذي نشرته وزارة الثقافة والارشاد العراقيـــة بمناسبة انعقاد المؤتمر الدولي للموسيقى العربيـــة ( 1384 هـ 1964 م ) الى الشلاحي محمد بن ابراهيم الذي كان حيا سنة 701 هـ .

وقال : ان روبسون J. Robson ترجم الى الانجليزية فصلا منه ونشره في بحثه AmagrebiTract on Linstening to Music المنشور في مجلة islamic cultur (1850), p.p. 113-131.

وكذلك نسبه للشلاحي «هنري جورج،فارمر» في(مصادر الموسيقى العربية ) ( ص 93 ) ترجمة الدكتور حسين نصار ( الادارة الثقافية للجامعة العربية ) ، وقال عـن نسخة مدريد انها النسخة الوحيدة . كما قال انه اهـم كتاب عن مشكلة سماع الموسيقى وصـل الينا ، وانـــه يحتوي على اقتباســات كبيـــرة من كل عالـم بالموضوع تقريبا ، ثم احال لمعرفة تفاصيل اخرى عنه على كتاب ( دراسات في الالات الموسيقية الشرقية ) لفارمر نفسه . ( 2 لندن 1939 ص 31 ــ 35 ) .

كما نسبه فارمر ايضا للسلاحي في ( تاريخ الموسيقى العربية ) الـــذي ترجمـــه ايضا الدكتور حسيـــن نصار باشراف ادارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليـم بمصر ونشر ضمن سلسلة الف كتاب .

وقد بقيت ــ منذ وقفت عليه ــ ابحث مدة طويلةعن مؤلف الكتاب واسال من اتوقع عنده خبرا عنه . الى ان عثرت في ( برنامج ) القاسم بن يوسف التجيبي السبتي ــ وكنت قد صورته من الاسكوريال ــ على ذكر لهـذا الكتاب الذي قال انه قرا على مؤلفه نحو نصفه ، وانه انفرد عنه بذلك ! وحلاه بالعلامـــة وسماه ابا عبد الله ابن الدراج .

ثم ذكر لي الزميل الاستـــاذ المنونـــي انه وقف ــ بعد ما اطلعته على ما كتبته عنه ــ على ذكرهفي مراجع ( تخريج الدلالات السمعية ) لعلي الخزاعي .

وقد رجعت اليه فوجدته سماه محمد بن احمد بن محمد السبتي المعروف بالدراج ، كما سمـــى الكتاب « الكفاية والغناء في احكام الغناء » ( الخزانة العامة د 1828 ) . وهكذا يعود الكتاب الى مؤلفه الحقيقي بعد ان ظل مجهول النسب عدة قرون !

وقد ترجم الصلاح الصفدي في ( الوافي بالوفيات) لمحمد بن احمد بن عمـــر ابـــي عبد الله بن الـــدراج التلمساني الانصاري ، فحلاه بالامام ، وقال : انه نشأ بسبتة فكفله العـــز في صاحبها ، وكـــان احسن اقرانـــه فـــي زمانـــه

واغمات من الاعلام ، ج 2 ص 201 ـ 202 ، وان كان قد وقع له فيما لخصه تصحيف كثير .

وفي الكتاب لمحات تاريخية لا تخلو من فائدة ، مثل ما رواه من حضور ملأ من فقهاء فاس حرسها الله وصلحائها وليمة والسماع يصنع بالغربال والشبابة على عادة بلادنا في ذلك ، وكان من جملة الحاضرين الشيخ الفقيه الاجل القاضي الافضل العالم ابو الحسين المزدغي رحمه الله ورضي عنه .

ـ قلت : توفي سنة 655 هـ ، راجع ترجمته في « نيل الابتهاج ص 223 طبع فاس » وفي « جذوة الاقتباس ص 138 » وفي « سلوة الانفاس ج 2 ص 38 »

ومثل سؤال بعضهم لجملة من الفقهاء والصالحين بالمدينة المذكورة ، والسماع يصنع على العادة : ايتساهل في هذا عندكم ؟ مع انكم المتميزون بمعرفة الفقه في المغرب ! ـ فاطبقوا كلهم على ان ذلك امر لم يزالوا خلفا عن سلف يبيحونه ، ويحضرون فيه ، ولا ينكره احد من علمائهم !

ومثل قوله : لعل اكثر ما يتغنى به الان ليس على طريق اهل الموسيقى وصنعة ارباب الغناء ، ومعظمه اما مدح المصطفى ، واما مشوقات الى البيت والحطيم ، والركن ومقام ابراهيم ، وتقبيل الحجر ، واما استثارة لمشاهدة تلك الاثار الشريفة ، والمشاهد المنيرة ، المنيفة ، ونيل الامل والسول ، من بلوغ مدينة الرسول ، لزيارة روضته ، والصلاة في مسجده ، واما زهديات تزهد في الدنيا ومتاعها ، وترغب في الاخرة ، واما وعظيات تذكر العبد بذنبه ، وتستدعيه الى الانابة الى ربه ، وان تخلل ذلك شتى من الغزل المباح ، ومما يلحق بالمقصود الاول ، ما كان من النسيب المؤول ، والخمريات التي هي على ما خامر العقل من شراب المحبة يتاول !

الا كل عقل لا تخامره الخمر
فمعناه من معنى اشاراتهم قفر . . .

## مصادر الكتاب :

وهو ينقل عن البخاري ، ومسلم ، والوطأ ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ابي خيثمة ، وعياض ، وابن عبد البر ، وابن الجوزي ، وابن جرير الطبري في « تهذيب الاثار » ، والسرقسطي في « الدلائل » ، والمازري ، والباجي ، والخطابي ، وابن المرابط ، في شرح البخاري » ، وابن بطال في « المقنع » في اصول الاحكام ، وابن المنذر في كتاب « الاجماع والاختلاف » ، وابي نصر بن الصباغ الشافعي في « الشامل » ، وابن حزم في « المحلى » ، وفي « مراتب الاجماع » وفي « الجزء الذي صنعه في الغناء الملهى »، وابن زرقون في « الانوار » ، وعن الحافظ ابي الحسن علي بن محمد بن ابراهيم بن الضحاك الفزاري ـ وهو من تلامذة ابن العربي المعافري ـ في « بواهد ذوي البصائر والاستبصار » قال : ومن خطه نقلت ـ وعبد الحق الازدي ، وابن رشد الجد ، وابن رشد الحفيد ، والغزالي ، وابن الصلاح في « علوم الحديث » ، وطاهر المقدسي ، والطرطوشي في « الرد على المتصوفة » ، والقشيري ، واورد له « رسالة في السماع » بكاملها ، وابي الحسن ابن القطان الفاسي في كتاب « احكام النظر » ، وابن عطية ، والمزني في « المختصر » ، وابي العباس العزفي في « الدر المنظم » والمدونة ، والعتبية، وكتاب ابن يونس ، وابي بكر الابهري في « شرح مختصر ابن عبد الحكم » ، والقاضي عبد الوهاب في « المعونة » وابن عبد الحكم في كتاب « ادب القضاة والحكام » ، وابن شاس ، وابي اسحاق التونسي ، وابن فتحون في « وثائقه » المسماة « بالتمهيد » ، وابن سهل في « الاحكام » والسهروردي في « عوارف المعارف » ، والجوهري في « الصحاح » ، وابن خروف ، وخليفة ابن خياط ، وابن رشيق .

وهي قائمة تدل على مبلغ اطلاع المؤلف من جهة ، وعلى ما كان يوجد بفاس من مؤلفات في القرن السابع الهجري انقطع خبر بعضها منذ زمان بعيد .

وقد نقل المؤلف عن ابن حزم ثمانية وعشرين مرة، قال في احداها : وقال حافظ المغرب ابو محمد ابن حزم في « مراتب الاجماع » له ، الذي هو اصح الاجماعات عند اهل العلم ، وقال عنه مرة اخرى : على انه الفحل الذي سلم له الحافظ في حفظه .

وذكر عن الفقيه ابي بكر عبد الباقي بن محمد بن بريل الحجاري رضي الله عنه ، انه قال : لقد اخبرني

فيهم بالاضلال ، وتصويبها السنتها اليهم بالطعن والتخطئة فيما نقموا عليهم من تحليل الحلال .

وجاهدتهم فيه من اسلحة ما اشتملت عليه الفاظه ومعانيه بكل فاصل فاصل ، وقلت لهم : ما فللتم من فلان باًفوق ناصل ! هلا تركتم في هذا الميدان ركضا ، واخذتم بالمثل السائر : ( النبع يقرع بعضه بعضا ) .

وجاء في آخره : عصمنا الله من الضلالة ، وجعلنا ممن استضاء بانوار الرسالة وخلص نياتنا في كل عمل لوجهه الكريم ، حتى لا يحملنا حب السمعة والرياء على ادعاء تحليل بغير دليل او تحريم .

ولولا خشية طموس نور الحق والصواب ، لما اخذت في الرد على الخصم الالد في هذه المسالة المفروضة التي وقع فيها السوًال والجواب ، ولطويته على بلاله . ولم اسمعه النداء لهذه المفروضة من بلاله ، اذ ليس داًبي حضور اللهو واللعب ، كما اني لست ايضا ممن ينكر ما لم ينكره الشرع ولم يعب .

لكن ذلك احوجني الى ان رمت الاعتناء بهذا المرام ، وقمت بوظيفة الكلام عليه ( على طريقة ) (1) اولى الاتصاف بصفة الانصاف احسن قيام ، ووفيت بما شرطته وعقدته في ذلك وربطته على الكمال والتمام .

فان كنت قد قرطست بسهم الاصابة فيه ، فبحمد الله الذي يوفق العبد ويهديه ، ثم يمن المقام العلي اليعقوبي امده الله بمداد الانجاد الذي يظهر به الاسلام ويعليه ، وان كنت قد اخطاًت طريق الحق المبين ، فيجب ان يرشدني اليه من علمه من المسلمين ويقيد ( في ) (1) ، ذلك ما انتفع به انا وغيري على مر السنين .

فاني لم اتكلم في ذلك حتى اعتقدت وجوب الكلام فيه على كي لا يحرم ما هو عندي ليس بالحرام ، لا سيما في امر ادعى تحريمه بالاجماع ، من يعتقد كثير من الجهلة الرعاع انه حقيق بالاقتداء به والائتمام ، ولم يستدل له الا بما فهمه على ما اجمع العلماء فيه على غير فهمه . ورموا بسهم الاصابة ما اخطاه صائب سهمه ، ولم يقتصر في ذلك على ما اخطاً فيه وجه الدليل ، حتى تعرض بالطعن على كل من صنعه ، او حضره فابصره او سمعه من عالم جليل

وتبعه على ذلك شرذمة تقل ، مما لا يعقل ! تفرقوا فرقا ، وركبوا من الشذوذ الممقوت طرقا ! وخالطهم في ( كذا ولعل الصواب : من ) الوسواس ، وفنون الجنون المصدع للناس ، ما لا ينفع فيه الرقا ! .

سبحان الله ، ما اسرعهم باجابة ، لكل معنى قليل النجابة ! وما اصدق المثل فيهم : حمقاء عيابة !

وفي العدد المقبل نوالي – بحول الله – الحديث عن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد .

**الرباط – محمد ابراهيم الكتاني**

1 ) كلمتان زدناهما ليستقيم الكلام .

ولاه يعقوب المريني قضاء سلا ، توفي سنة ثلاث وتسعين وستمائة ( ج 2 / 141 رقم 9 ع . )

واما زمن تأليف الكتاب ، فقد كان بفاس فيما بين 685 التي هي سنة تملك يوسف بن يعقوب وسنة 688 هـ التي هي سنة وفاة ابن ابي الربيع الذي دعا له المؤلف ان يفسح الله في مدته ، فدل على انه كان عند تاليف الكتاب ما يزال بقيد الحياة ، ولكن يعكر على ذلك ما اشار اليه من تجديد ابي يعقوب لرسم الجهاد ، فانه لم يذهب الى الاندلس الا سنة 90 ولم يرجع منها لفاس الا سنة 92

**نموذج من انشاء الامام القاضي ابن الدراج :**

وفيما يلي نموذج من انشاء مؤلفنا يعطي صورة عن النثر المغربي في القرن السابع الهجري : « اما بعد ، فان الله تعالى لما ملأ البسيطة امنا ويمنا، وكسا الارض رواءا باهرا وحسنا، وارسل رسل رياح الافراح ، بوسائل رسائل الروح للأرواح ، فتلقتها مصافحة باليمنى ، وارى من السير الحسان ، التي للمقام العلى المجد السلطاني المؤمل اليعقوبي ، رافع راية الاحسان ، ما يجزيه عليه بالحسنى ، وادر من سحائب المواهب لاحياء ما صوح من نبات اللبانات فاصبح كالامس الذاهب مزناء وجدد في دولته السعيدة الحميدة من رسم الجهاد ، والقيام بنصر دين رب العباد ، ما اورث الكفرة ذلا وحزنا ، وحوز المسلمين عزا تأكد الحمد له عليه . فالحمد لله على ما نلناه من الخير الذي له وحزنا .

اطرد السرور اطرادا ، وعاض الدهر مواسم واعيادا ، وامتدت اماد الآمال ، وامتلأت الايدي بالمال ونشط الناس لاتخاذ الاهل وكسب الولد ، وقالوا : هذا وقت الغنيمة للنعم العميمة في كل صقع وبلد ، فكثرت لذلك الولائم والاعراس ، واستجمت النفوس فيها بشيء من اللهو الذي ليس به في الشريعة باس ، ولم يزل الحال مطردا لقياس ، كما جرت به عادة من سلف وخلف من الناس

الى ان ظهر قبلنا ناس يدعون انهم يقرأون القرءان ويتقفرون ( كذا ) ولعل صوابها يتفقهون ) العلم ، ويستدعون بمذموم تعمقهم المنهى عنه الجرب لحماة الشريعة ويدعون السلم ، حتى اوقعهم ذلك في انكار ما سألني عنه بعض الطلبة من اولى الجد والاجتهاد ، الجارين على سبيل الخير ، ومنهج الرشاد، من اعطاء الأجرة على السماع فأجبت فيه بالاجازة فيما اجيز منه والمنع فيما حكم فيه بالامتناع ، لما اوضحه العلماء من ذلك ابلغ الايضاح ، بقولهم : كل ما ابيح شرعا فالاجر عليه مباح .

فبعضهم اقر بان منه ما حكم فيه بحله ، واصر على تحريم الأجرة على مثله ، بدعوى الاجماع ، وبعضهم زاد على ذلك القول بعموم تحريم السماع ، وفرقة ثالثة منهم غلب عليها جمود البلادة ، وهي تعتقد ان ذلك من اعظم ما خصها الله به من الزيادة ! انكرت النعر رأسا ، وجحدت من حكمته ما لاح من افق الشريعة شمسا ، طمعا ان يخفضوا من رتب من رفعه الله بعلم الادب مكانا عليا ، ورغبة في ان يدخلوا في زمرة الذين قيل لسعيد بن المسيب عنهم : انهم يكرهون الشعر. فقال: نسكوا نسكا اعجميا !

ما اولاهم بالاضراب عن ذلك والامساك ، فان الشذوذ عن نهج الحق ومذهبه لا يصحح لمرتكبه ان يكون من النساك . يا له من مقصد في غاية الغثاثة ، لا يليق الا بهذه الفرقة الثالثة وانها شر الثلاثة !

الى ان قال : فوجب علي ان ابين الصواب فيما صدر لي من المقال ، واعمل خطا الرد على خطهم الظاهر بالنص في النص المتظاهر والارقال ، واكشف عن عوراء سوء فهمهم الذي لا يغفر ذنب اصرارهم عليه ولا يقال ، لما اخذ الله سبحانه من الميثاق في العلم ان يبين للناس ولا يكتم ، وجعل من الاجر الجزيل لمن جرى على سنن السنن بواضح الدليل الذي يقتدي بنور هدايته ويوتم .

فالفت هذا المجموع قصدا لافادة القاريء والسامع، واظهارا للحق بحسام دليله القاطع وانتصارا لمن تقدم من الاشياخ الجلة ، العلماء العاملين اعلام الملة ، في ترك رد ما اذن الشرع فيه من ذلك وانكاره وحضوره على مرور الازمنة واحضاره، واخذهم بالرخصة الواردة في هذا المعنى الذي عذبت موارده ، فان الله يحب ان توتى رخصه كما يحب ان تجتنب شدائده

وغيرة من اطلاق هذه الشرذمة الناجمة ألسنتها

معاركه واخبثها واشدها ضراوة ، الجانب الثقافي من المعركة ، فكان حفاظه الشديد على تراث المغرب الثمين من المخطوطات النادرة ، يحول بينها وبين سلطات الحماية بكل قواه وفطنته ، يداور هؤلاء البهم وراءهم القوة الغاشمة وفى خدمتهم العلم الذكي ، اذ ما حاولوا ان يمدوا اليها ايديهم ليستولوا عليها ، او يسرقوا نفائسها ، او يشوهوا محتواها ، صاح بهم : هذه اوقاف المسلمين ، هم وحدهم يملكونها ، ولهم وحدهم حق التصرف فيها ، وحرص المغربي على دينه لا يعرف الحدود ، وتمسكه بنصوصه لا يعرف الهوادة ، وعمل كهذا يذهب بحلمه، ويجعل من المغرب اتونا ثائرا » ، وبهذا المنطق ابقى للمغرب اثمن واعظم ما يعتز به بلد متحضر وهم ان يقول شيئا ازيد ، ثم احجم ، ولم اطلبه مزيدا ..

وبأسرع مما يتوقع اي مناضل احتل المغرب بزعامة محمد الخامس — واقتفى الحسن الثاني سياسة ابيه من بعده — مكانه فى القافلة العربية ، مسهما فى حل قضاياها والذود عنها ، وتهاوت الحواجز التي اقامها الاستعماريين شرقي العالم الاسلامي وغربيه حاجزا وراء آخر ، وكان سعيد العريان اول من جاء المغرب من رجال الفكر العربي ، ولم يجئه موظفا ينهض بعمل اداري محدد ، وانما جاءه زائرا حاجا ، يرضي حاجة نفسه ، جاءه مستطلعا دارسا ، واستاذا محاضرا ، وفى كل مرة هبط الرباط تلقاه محمد الخامس ، وخرج من عنده اشد ايمانا بالمغرب وغده ، ودوره فى نشر راية الاسلام فيما جاوره من افريقيه .

واذا كانت اسبانيا فى الطريق الى المغرب كان يتخلف بمدريد فى كل مرة قصد فيها الرباط او عاد منها ، يتأمل امس العرب هنا بعد ان شاهد حاضرهم هناك ، ويتفضل مشكورا فيسأل عني ، يسأل عني في المعهد الاسلامي ، وكان هناك من يضيق برجل عظيم يسأل عن تلميذ دارس فما سأله مرة الا واجابه : هو خارج مدريد !

ومضت سنون ، وفى صيف 1961 كان سعيد العريان قافلا من الرباط ، بعد رحلة علمية للمركز الدائم التعريب ، ومعه بعض من صحبه ، وسأل كالعادة واجيب بما اجيب به فى كل مرة ، وسمع السؤال والجواب صديق لي دارس ، فهرول الي ينقل كذب المدير ، وقلت له : لا عليك ، فالكذب اهون نقائصه ، وماذا تقول فى رجل يصلي بنا العيد ثلاث ركعات فاذا ليم على ذلك لم يستغفر الله ، ولم يخجل من جهله ، وانما راح يكابر ويجادل ويقول على مذهب بشار — ان صح ان يسمى ذلك مذهبا — من يطلب الاثنين يرضى بالثلاثة .

وذهبت الى سعيد العريان فى نزله ، وكان لقاء وود ، واشمئزاز من صغائر الكبار ، وتخلص من الموظفين الرسميين كما يحلو له ان يناديهم ، ومضينا نذرع « مجريط » القديمة ، يقف عند كل ركن، وامام كل منحنى ، اشرح له الحاضر ، ويسمع لي ثم يستروح الماضي يحاول ان يصل بين ما درس وما يرى . وصحبته الى طليطلة ، وصلى فى مسجد الشمس ، ودمعت عينه فى المسجد الجامع وقد حول الى كنيسة ، ونهلت من وافر علمه وهو يرد دوارس الحضارة الاندلسية الى اصولها الاسلامية ، وكان يملك الذاكرة القوية ، تمده بالشاهد والحديث والتاريخ كانما يقرأ فى كتاب !

يومها عدنا الى الحديث عن محمد الخامس ، وكنت وهو لا ثالث لنا غير الله ، فكشف لي عن بعض اسراره ، وارجىء نشر اغلبها الى حينه ، قال لي : ان صلتي به — يرحمه الله — قديمة — ، اقدم مما يتصور اي انسان ، وازعم انني واحد من قلة كان يعرفهم فى الشرق العربي اذ ذاك ، وعجبت له ، فانا اعلم ان اولى رحلاته الى المغرب كانت عام 1958 ، وان رحلة محمد الخامس الى مصر كانت بعد ذلك التاريخ ، ومضى فى حديثه : ذات ليلة من عام 1947 طرق بيتي زائر لا اعرفه ، مغربي فى طريقه الى الحج ، قال انه يحمل الي رسالة هامة من سلطان المغرب ، وسرية فى الوقت نفسه ، ولكي تؤدى رسالتها كاملة ينبغي الا يعلم بها احد ، وكان فحوى الرسالة ان سلطات الاستعمار فى المغرب بدات ازاءموجة التحرر تحاول التمكين لنفسها وتقوي من قبضتها ، تخمد انفاس الفكر ، وتبث الوهن فى نفوس الجماهير ، عاملة بكل قواها على فصل المغرب عن ماضيه ، فلا يكون له امس يحتذيه ، فهي تقاوم العربية ، وتمنع دخول المطبوعات المشرقية ايا كانت ، كتابا او صحيفة او مجلة ، وان السلطان يرغب فى ان يعطي ادباء المشرق الوطنيين ، بعض عنايتهم لتراث المغرب فينشرونه محققا ، وحبذا لو اشركوا معهم فى العمل بعضا من شباب المغرب وادبائه ، فيكون ذلك مبررا لادخال الكتاب ، وكان على راس ما اوصى به نشر كتاب « المعجب فى تلخيص اخبار المغرب » لعبد الواحد

# محمد الخامس وتراث المغرب الثقافي

للدكتور
الطاهر
أحمد
مكي
مدرس تاريخ الادب
الاندلسي في
جامعة القاهرة

ذات يوم من شتاء عام 1957 لقيت المرحوم محمد سعيد العريان فى نقابة المعلمين بالجزيرة ، لقيته صدفة لاول مرة على غير موعد ، فكأننا اصدقاء منذ قرات مقاله الاول ، وكنت يومها اتهيأ لرحلة دراسية الى اسبانيا ، ادرس ادبها هناك ايام ان كانت امة مسلمة ، تتحدث العربية وتدين بالوحدانية ، تشهد « ان لا اله الا الله ، محمد رسول الله » وعرف رحلتي وتبين غايتي منها ، فأمدني بمعارفه وتجاربه ، ووضع امكانياته الادارية فى خدمتي ، وكان يشغل يومها على الصعيد الرسمي منصب مدير الشؤون العامة فى وزارة التربية والتعليم ، والامين العام لنقابة المعلمين ، وعلى الصعيد الواقعي كان الرجل الثاني فى الوزارة والمستشار الامين للوزير .

ناقشني فى قضايا الاندلس طويلا ، ادبا وتاريخا ومنهجا ، ماضيا وحاضرا ومستقبلا ، وكان رحمه الله من اعلم الناس بالتاريخ الاسلامي ، يشغل به قراءة ودرسا ومشاكل معاصرة من بخارى فى روسيا حتى المغرب تتكسر على شواطئه امواج الاطلنطي الهادرة ، ومن اواسط اوربا حيث يعيش مسلمون يتخطفهم العدو من كل جانب ، الى شواطىء افريقيا الغربية حيث يجاور المسلمين اقوام ينتظرون كلمة الله تخرجهم من الظلمات الى النور . لكن حديثه عن الغرب الاسلامي ، اندلسه ومغربه ، كان طافحا بالحب له ، واجلال اهله ، والامل فى غد عظيم ترتفع فيه راية الاسلام ، ويلعب المغاربة من جديد دورهم العظيم فى دفع حضارته ولغته جنوبا وغربا ، نفس الدور الذي اضطلع به المرابطون من قبل ، والموحدون من بعدهم ، ورجال الصوفية على امتداد تاريخ الاسلام الطويل .

**كان ذلك والمغرب حديث عهد بالاستقلال ، والدور الذي اضطلع به محمد الخامس — رحمه الله — يملا وجدان كل عربي ومسلم بالزهو ، فلم يحدث على امتداد التاريخ الوسيع — الا فى تاريخنا الاسلامي — ان اجتمعت فى فرد واحد صفات الملك والقائد والبطل والمحارب والزعيم والمحرر والمناضل والاب كما اجتمعت فيه .** وايمانا من سعيد العريان بدور المغرب العربي ، وكان من اعرف مواطني بأهله وتاريخه ، وان لم يكن قد وطىء ارضه بعد ، رغب الي فى ان اعبر المضيق ، وان ازور المغرب اجول دياره ، واهبط مدنه ، واختلف الى مجالس اهله ، واتردد على مساجده ، واتعرف الى السلف الصالح من علمائه ، واسر الي : « ستجد فيهم اخاء ودودا وكرما حاتميا ، وستنعم بينهم بطيب المقام وحسن اللقاء » وليزيل وحشتي اعطاني اسماء لبعض من صحبه هناك ، اذكر منهم الاستاذ عبد الحي العراقي مدير دار الكتاب العربي فى الدار البيضاء . ولم يقدر لي ان اذهب الى المغرب الا فى اواخر سني دراستي بمدريد ، وبعد ان ربطتني بعدد من شباب المغرب ، ممن لقيت فى اسبانيا ، روابط وطيدة من صداقات كريمة ، فذهبت الى المغرب ، ورايت فيه ومن اهله ، فوق ما تصورت ، وما رسم لي الاستاذ الجليل .

كان سعيد العريان معجبا بمحمد الخامس فوق اعجاب الناس به ، معجبا باسلامه الورع ، وثقافته المضيئة ، واطلاعه الواسع ، وحرصه على ان يسترد المغرب ماضيه الشامخ فى شتى مجالات الحياة باسرع ما يستطيع . يومها — فى نادي المعلمين بالجزيرة — افاض فيما يعرف عنه ، قال لي : « ان محمدا الخامس لم ينس ،وهو يواجه الاستعمار فى اعنف

# مؤرخ مكناس ابن زيدان

للأستاذ محمد المنوني

تحـل يوم 16 نوفمبر من السنة الجارية ذكـرى مـرور عشرين سنـة على وفـاة مـؤرخ مكنـاس المرحـوم مـولاي عبد الرحمان ابن زيـدان .

ومجلة « دعوة الحق » لا تدع مثل هذه المناسبة تمر دون ان تهتبلها لاحيـاء ذكرى عالم جليل ، ومؤرخ فد طبقت شهرته الآفاق ، لما كـان ينعم به من مكانـة علمية نادرة وشهرة ذائعة لم تقف عنـد المغرب فحسب ، بل كان لها الصـدى البعيـد خارج الديـار المغربيـة .

ولقد التمسنـا بهذه المناسبة من فضيلـة الاستـاذ المـؤرخ الثبـت محمد المنوني ان يقدم لنا ترجمة تقديرية للفقيـد لقراء « دعـوة الحق » . فنزجي الى فضيلته اصدق الشكر واوفـاه .

**معلومـات اولـى**

غطت شهرة المترجم باسم « الكبير » على اسمه الاول : عبد الرحمان ابن محمد بن عبد الرحمن بن علي العلوي الاسماعلي ، وكان السيد علي ثالث ءاباء المترجم هو القادم من تافيلالت الى مكناس . وهو ابن محمـد ابن عبد الملك بن زيدان بن السلطان المولى اسماعيل. وقد دخل هذا الوافد الى العاصمة الاسماعلية اواخر دولة السلطان محمد بن عبد الله الذي قلده نقابـة الاشراف العلويين بمكناس وزرهون . وهي الخطـة التي تسلسلت فى اعقابه حتى المترجم .

وفى مكناس كان مولده فى القصر الملكي المعروف بـ « قصر المحنشة » فى ربيع الثاني عام 1295 هـ

**دراستـه بمكنـاس وفـاس**

وفى مدينة مكناس نشأ المترجم حيث قرأ القرءان الكريم وبعض المباديء الاولى على والده وعمه السيد عبد القادر . كما تلقى بها الكثير من الدروس العلمية كمـا سيفصـل

اولا بالضريـح الاسماعيلـي على استاذي هذا المركـز :

1 ـ محمد بن عبد الهادي الفيلالي ثم المكناسي .
2 ـ الطيب بن العناية بنونة المتوفى عام 1325 هـ

**ثانيا ـ على علماء مكناس وهم :**

3 ـ محمد القصري العبدري المتوفى عام 1324هـ
4 ـ الحاج المعطي بن محمد بن عبد الهادي ابـن عبود المتوفى عام 1330 هـ
5 ـ الوزير السابق الحاج المختار بن باشا فاس السيد عبد الله ابن احماد السوسي المتوفـى عام 1335 هـ واجازه .
6 ـ القاضي التهامي بن عبد القادر السوسـي المدعو الحداد المتوفى عام 1336 هـ واجازه .

المراكشي ، وكانت شركة النشر المغربية قد اخرجته بتحقيق الاستاذ محمد الفاسي ، ونشر في فاس عام 1938 ، ونفذ الكتاب سريعا ، واستحال اعادة طبعه مرة اخرى ، ومن غير ان يحس احد قمت بتحقيقه ونشره ، واشركت معي صديقي وزميلي المغربي الاستاذ محمد العربي العلمي .

كان اختيارا موفقا من ملك وطني مثقف ، فان « المغرب » زاخر بامجاد المغرب ، ونضال اهله ، وحسبك من تعريف به ما اورده سعيد العريان نفسه ، في مقدمة له ، وهو يدفع به الى القارىء العربي في المشرق مطبوعا محققا للمرة الاولى :

« انه كتاب فريد بين كتب التاريخ في موضوعه وموضوعه الاصيل ــ فيما ارى ــ هو تاريخ دولة الموحدين ، فهو يصف تاريخها وصف عيان ومشاهدة على نحو لم يشارك مؤلفه فيه احد ممن دونوا تاريخ تلك الدولة ، وان القارىء الخبير بألوان التعبير ليتبين روح الصدق في كل ما يرويه المؤلف في كتابه من خبر وما يصف من حادثة وما يرى من راي ايضا ، برغم صواب ذلك الراي او خطئه . وبعض الخطأ في الراي نوع من صدق الراي ! » .

« فهو اذن مرجع اصيل من مراجع التاريخ عن دولة الموحدين لا يمكن ان يستغني عنه باحث في تاريخ تلك الحقبة من تاريخ المغرب ، وهو الى ذلك موجز من روايات شتى عن تاريخ المغرب قبل دولة الموحدين قد ضاعت مصادره فصار بذلك اصلا من اصول تاريخ المغرب قبل دولة الموحدين ، وهو الى هذا وذاك كتاب اديب مغربي لم يكن تدوين التاريخ فنه الاصيل ، ولكنه طلب اليه ــ في غربته ــ ان يصف تاريخ بلاده في كتاب ، فزاوج بين الادب والتاريخ في ذلك الكتاب ! »

ذلك جانب من نواحي العظمة في حياة محمد الخامس ، جانب الملك الحريص على ثقافة شعبه وتراث امته ، لا يغفل عنه حتى وهو في اقسى فترات النضال واشدها . واذا جاز لي على بعد ، ان اقترح من القاهرة شيئا ، فاني اتقدم الى الجامعة التي تحمل اسم محمد الخامس ، ان تقوم على مشروع لاحياء ذخائر التراث المغربي ، يحمل اسم ذلك الملك العظيم ، تحية وتقديرا !

**القاهرة ــ دكتور الطاهر احمد مكي**

---

## سرعة بديهة

خطب قتيبة بن مسلم على منبر خراسان عندما قدمها واليا ، فسقطت العصا من يده ، فتطير من ذلك ، فقام بعض الاعراب ، فمسحها ، وناوله اياها ، وقال : ايها الامير ، ليس الامر كما ظن العدو ، وساء الصديق ، ولكنه كما قال الشاعر :

فألقت عصاها ، واستقر بها النوى  كما قر عينا بالاياب المسافر

فسر الامير ، وامر له بجائزة ..



**المرحوم مولاي عبد الرحمن بن زيدان وهو يظهر في الصورة معتكفا ـ كدابه ـ على قراءة الكتب والتأليف**

كذلك قام برحلة الى فرنسة استغرقت 55 يوما زار فيها مئاثر فرنسة ومكاتبها ودور المخطوطات بها.

**معلوماته ومكانته :**

وبعد هذا نذكر ان المترجم صرف اكثر اتجاهه للتاريخ ، فاعتكف على دراسة تاريخ مسقط راسه « مكناس » وتاريخ الدولة العلوية . مضيفا لذلك اشتغاله ببعض العلوم الاخرى وقرض الشعر .

وفي خصوص التاريخ لانرى بدا من ان نسجل هنا باكبار واعظام ما كان للمترجم من الاهتمام الكامل بهذه المادة التي انقطع لها وقضى حياته في خدمتها ، فلا تراه الا باحثا او مؤلفا او مذاكرا في موضوع تاريخي ، ذلك دابه في اكثر احواله : ليلا ونهارا سفرا واقامة ، لا يلهيه عن عمله دنيا ولا جاه ، ولا يانف في سبيله من المفاوضة مع اي كان ، شأن الباحث المخلص، والمؤلف المنصف ، وقد داب على خطته هذه الى ان لقي ربه تاركا وراءه مكانة علمية وشهرة ذائعة . وتآليف مهمة تتجاوز العشرين ، وخزانة ضخمة .

ولقد عرضت على المترجم المناصب المهمة الدارة فتجافى عنها ، ولم يرض منها الا وظيفة مدير عربي للمدرسة الحربية بمكناس ، هذه الوظيفة التي لاتشغله عن اداء رسالته التاريخية . كما تولى نقابة الاشراف العلويين بمكناس وزرهون ، فاقامها على اتم ما عرف عن هذه الخطة .

وجنى المترجم من اخلاصه وتفانيه في اتجاهه التاريخي شهرة فائقة ، ومكانة سامية ، فحاز بين الاوساط التاريخية لقب مؤرخ مكناس والعائلة المالكة .

وقد شارك في عدة مؤتمرات علمية ، ومنها المؤتمر الذي انعقد بمعهد الدروس العليا بالرباط عام 1343 ـ 1925 ، حيث القى فيه مسامرة في مباديء

7 ــ القاضي محمد بن عبد السلام الطاهري المتوفى عام 1339 هـ وله منه اجازة .
8 ــ محمد بن الحسين العرائشي المتوفى عام 1351 هـ .
9 ــ القاضي محمد بن احمد بن المكي السوسي المتوفى عام 1369 هـ .
10 ــ ابو علي الحسن بن اليزيد العلوي المتوفى عام 1371 هـ

**ثالثا ــ فى فاس على علمائها وهم :**

11 ــ محمد ــ فتحا ــ بن عبد السلام كنون دعي كنيون المتوفى عام 1328 هـ
12 ــ محمد بن عبد السلام الهواري المتوفى عام 1328 هـ
13 ــ محمد ــ فتحا ــ بن قاسم القادري المتوفى عام 1331 هـ واجازه
14 ــ عبد السلام بن محمد اللجائي المتوفى عام 1332 هـ
15 ــ العباس بن احمد التازي المتوفى عام 1337 هـ
16 ــ ابو عيسى المهدي بن محمد العمراني الوزاني المتوفى عام 1342 هـ
17 ــ ابو العباس احمد بن محمد ابن الخياط الزكاري المتوفى عام 1343 هـ وله منه اجازة
18 ــ الفاطمي بن محمد بن حمادي الشرادي المتوفى عام 1344 هـ وله منه اجازة
19 ــ محمد بن جعفر الكتاني المتوفى عام 1345 هـ ، واجازه
20 ــ ابو العباس احمد بن المامون البلغيثي المتوفى عام 1348 هـ
21 ــ الحاج عبد الكريم بن العربي بنيس المتوفى عام 1350 هـ واجازه
22 ــ شيخ المجلس العلمي بفاس ابو العباس احمد بن الجيلاني الامغاري المتوفى عام 1352 هـ
23 ــ ابو العباس احمد بن الحاج العياشي سكيرج المتوفى عام 1363 هـ
24 ــ شيخ المجلس العلمي بفاس مولاي عبد الله ابن ادريس العلوي الفضيلي المتوفى عام 1363 هـ .

وقد انهى دراسته بفاس اواخر العهد العزيزي عام 1325 هـ .

**رحلاته فى الشرق العربي وشمال افريقية وفرنسة**

ولتوسيع دائرة معلوماته قام برحلتين للحج والسياحة العلمية فى بلاد الشرق العربي وشمال افريقية :

الاولى عام 1331 هـ / 1913 م . وقد زار فيها مصر وحضر دروس الشيخ سليم البشري وروى عن مفتي مصر الشيخ محمد بخيت المطيعي والشيخ محمد ابن ابراهيم الحميدي السمالوطي المصري . والشيخ عبد المجيد الشرنوبي .

وفى مكة المكرمة اخذ عن الشيخ عبد الحميد سلامة الدسوقي الاصل المكي الهجرة والاستيطان، والشيخ عبد الستار الصديقي الهندي ثم المكي .

كما اخذ فى المدينة المنورة عن الشهاب احمد بن اسماعيل البرزنجي ، والشيخ محمد حمدان الونيسي القسنطيني ثم المدني ، والشيخ محمد الهاشمي المدعو الفا هاشم السوداني .

وروى فى فى دمشق عن محمد بدر الدين بن يوسف الحسيني المشهور بالمغربي شيخ دار الحديث بدمشق ، والشيخ محمد امين افندي السفرجلاني، وعبد الباقي بن علي الانصاري .

وفى بيروت عن الشيخ يوسف النباهي .

وفى عودته من هذه الرحلة مر على تونس فاتصل بشيخ الاسلام بتونس محمد بن يوسف مفتي الحنفية. وكذا بالمفتي المالكي بالقيروان محمد الجودي . وقد تبادل الرواية مع الزائر المغربي ، واتصل ايضا بقاضي القيروان المالكي محمد العلاني وروى عنه .

وفى الجزائر اتصل فى العاصمة بالشيخ عبد القادر المجاوي .

ثم فى عام 1357 هـ / 1938 م قام برحلة ثانية للشرق ساح فيها من الحجاز وبلاد الكنانة وسورية ، وكان محل اكبار من الخاص والعام ، وممن اتصل به فى هذه الوجهة ملك الحجاز الراحل عبد العزيز ءال سعود ، وملك مصر السابق ، ورئيس جمهورية سورية ، ومن الاعلام عدد كبير : منهم الشيخ راغب الطباخ مؤرخ حلب ، والشيخ عبدروس العلوي الحضرمي ثم المكي محدث الحجاز . والعلامة المحدث الشيخ عمر عمدان المحرسي التونسي ثم المدني . هذا الى عدد كبير من اقطاب الادب والسياسة .

وعاداتهم ، وهذا المطلب يقع ـ ايضا ـ ضمن القسم المخطوط .

وقع الفراغ من جمعه فى فاتح عام 1345 هـ ومن تنقيحه وتهذيبه فى 8 ربيع النبوي عام 1349 هـ.

يخرج فى نحو ثمانية اجزاء ، طبع منها خمسة اجزاء بالمطبعة الوطنية بالرباط :

الاول عام 1347 هـ / 1929 م ، فى 470 ص .

الثاني : عام 1348 هـ / 1930 م ، فى 549 ص .

الثالث : عام 1349 هـ / 1931 م ، فى 599 ص.

الرابع عام 1350 هـ / 1932 م ، فى 523 ص .

الخامس : عام 1352 هـ / 1933 م ، فى 563 ص، عدى المقدمات والفهارس بالنسبة لسائر الاجزاء .

ويقف هذا القسم المطبوع اثناء حرف القاف على ترتيب الهجاء المغربي حيث يبقى فى القسم المخطوط بقية حرف القاف ، مع حروف السين المهملة ، والشين المعجمة ، والهاء ، والواو ، ولام الالف ، والياء ، ثم المطلب الرابع الختامي .

وقد ذيل كل جزء من الاجزاء الخمسة المطبوعة بفهارس متعددة :

الاولى : للتراجم ، والثانية للاعلام التاريخية ، والثالثة : للاعلام الجغرافية ، والرابعة : للاعلام الجنسية ، والخامسة : للوثائق لتاريخية ـ وهذه فى خصوص الجزاين الاول والثاني ـ والسادسة للكتب ، والسابعة : للصور ، وهذا زيادة على جداول الخطا والصواب .

وكان الذي اشرف على تصحيحه ووضع فهارسه هو العلامة الجليل الثبت المتمكن سيدي عبد الكريم ابن الحسني الحسني ، الذي صدر الجزء الاول بمقدمة عن تواريخ المغرب ، وقد اثارت هذه المقدمة اعجاب امير البيان ، المرحوم شكيب ارسلان ، فاثبت قطعة مهمة منها فى كلمة كتبها عن « اتحاف اعلام الناس » ، ونشرها فى « كوكب الشرق » ، عدد الاربعاء 13 قعدة عام 1349 هـ .

اما منهج المترجم فى هذا الكتاب ، فانه يضيف الى تقليده لاسلوب كتاب التراجم والحوادث ، بضعة تجديدات ترجع الى ثلاث ميزات :

الاولى : اثبات نصوص الوثائق التاريخية من ظهائر وما اليها ، وبهذا احفظ من الضياع الشيء الكثير من الظهائر والرسائل والرسوم العدلية والنقوش الاثرية .

الثانية : انه يوضح بالكثير من الصور الفوتوغرافية للوثائق المهمة وبعض الاعلام والاثار الواردة بالكتاب .

الثالثة : الاستعانة بالترجمة من المصادر الاجنبية .

2 ـ وثاني مؤلفات المترجم المطبوعة هو « الدر الفاخرة بمئاثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة » طبع بالرباط عام 1356 ـ 1937 فى 226 ص عدى التقاريظ والفهارس ، ويوجد بهذا الكتاب معلومات جديدة عن الجغرافي المغربي اشهبون احد الاعضاء الاولين للبعثات المغربية ، وقد رسم به لوحات عديدة تمثل تخطيطات اشهبون فى الجغرافية والفلك . كما اثبت فيه معلومات مهمة عن بداية تأسيس نظام القرويين ايام السلطان المرحوم المولى يوسف ثم عن تاسيسه اوائل العهد المحمدي الزاهر . وبه ايضا معلومات عن بعض حوادث مكناس فى العهد المحمدي .

3 ـ «العلائق السياسية للدولة العلوية » نشر فى ملحق لمجلة المغرب العدد 16 شوال 1352 يناير 1934 فى 25 ص .

اما بقية مؤلفات المترجم فى التاريخ فلا يزال اكثرها لم ينشر بعد حتى تتسنى دراستها وفيما يلي اسماؤها :

4 ـ « المناهج السوية فى مآثر ملوك الدولة العلوية » فى مجلدين ضخمين ، الفه ليدرس فى القسم العالي بجامعة القرويين ، استجابة لرغبة المجلس الاعلى للتعليم الاسلامي ، الذي عين لجنة من مؤرخي المغرب لتأليف كتب تاريخية تدرس فى مختلف اقسام جامعة القرويين ، والعهد بهذا المؤلف ان المترجم قدمه للقصر الملكي ليطبع .

5 ـ النهضة العلمية على عهد الدولة العلوية فى مجلد ، القي اصله تباعا بمحطة الاذاعة العربية بالرباط

6 ـ العز والصوله فى نظام الدولة ، شرح فيه باسهاب انظمة الدولة العلوية استنادا للوثائق المثبوتة فى هذا الكتاب ، يقع فى مجلد كبير ، وكمكافاة لمؤلفه

التاريخ ، ثم المؤتمر الثامن للمعهد المذكور المنعقد بفاس يوم الخميس 20 من ذي القعدة عام 1351 ـ 1933 ، وفى هذا المؤتمر الاخير القى مسامرة رتبها على فصلين احدهما فى نظام الدولة داخل القصر وخارجه ، والثاني فى الآثار العلمية والفنية للملوك العلويين بفاس . وشارك فى مؤتمر الثقافة العربية بتونس .

كما احرز على جائزة المغرب للادب العربي مكافأة له على تاريخه « الاتحاف » الذي صدرت منه خمسة اجزاء اذ ذاك ، وذلك بتاريخ الخميس 9 شوال عام 1355 ـ 24 دجنبر سنة 1936 .

وللتنويه بهذا التاليف ايضا اقيم على شرف المترجم حفلة تكريم نظمتها نخبة من شباب المغرب المتعلم بالبيضاء تخليدا لعمله المجيد بابرازه لمؤلفه « الاتحاف » المطبوع منه اذ ذاك ثلاثة اجزاء ، وكان ذلك الاحتفال يوم 12 من ذي القعدة عام 1349 ـ 12 ابريل سنة 1931

وبعد « الاتحاف » ينال مؤلف ءاخر للمترجم تنويها ملكيا وذلك هو « الدرر الفاخرة ، بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة » الذي تكرم جلالة سلطان المغرب الراحل سيدي محمد الخامس رحمه الله تعالى فطبعه على النفقة الملكية الخاصة .

وان مكانة المترجم العلمية لم تقف عند المغرب، وانما كان لها مقامها المرموق خارج المغرب ايضا ، ومن يريد الدليل على هذا فما عليه الا ان يتصفح « السجل الذهبي » للمكتبة الزيدانية فانه يجده طافحا باسماء العظماء والعلماء مسلمين وغيرهم من الجهات القاصية والدانية فى المغرب والشرق من الذين زاروا المكتبة الزيدانية وصاحبها

ومن يريد دليلا ثانيا على ذلك فليتذكر ما له من مكاتبات واتصالات مع ملوك الاسلام امثال جلالة ملك المغرب المعظم سيدي محمد الخامس وجلالة والده المنعم ، والمولى عبد الحفيظ وملك الحجاز المرحوم عبد العزيز ءال سعود ، وملك مصر المغفور له فؤاد الاول ، وسمو باي المملكة التونسية

هذا الى ما كان له من مراسلات علمية مع اعلام الشرق والغرب امثال احمد تيمور باشا المؤرخ البحاثة المصري الشهير ، والشيخ الامام طنطاوي جرهري صاحب التفسير العظيم ، والاستاذ الجليل محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق، والشيخ راغب الطباخ مؤرخ حلب وعضو المجمع العلمي العربي ، وامير البيان شكيب ارسلان ، والاستاذ مارسي مدير مدرسة اللغات الشرقية بباريس، وسوى هؤلاء وسواهم كثير .

## المكتبة الزيدانية :

اما خزانة المترجم فهي ـ لحد الآن ـ لاتزال قائمة ناطقة بضخامتها وكبر همة مؤسسها ، ولا اذهب بعيدا اذا قلت انها ـ فيما يرجع للتاريخ العلوي وتاريخ مكناس ـ الاولى من نوعها ، لما اشتملت عليه من الغرائب والنفائس فى هذه المواضيع ، ففيها ما لا يوجد فى غيرها من مراجع التاريخ العلوي ، وفيها مجموعات كثيرة ونادرة من ظهائر مختلف الملوك العلويين ، وفيها الكثير الطيب من مؤلفات اعلام مكناس ، هذا زيادة على مخطوطاتها العديدة فى الادب ومختلف العلوم الاخرى ، وعلى ما بها من مصاحف وكتب حديثة فائقة التنميق ، ومؤلفات كثيرة مكتوبة بخطوط مؤلفيها .

دع عنك المجموعات العظيمة من الكتب المطبوعة بالعربية وغير العربية مثل تاريخ دوكاستري وغيره .

ومما يزيد فى رونق هذه المكتبة اعتناء مؤسسها بتسفير دفاترها بحيث يقل ان ترى فيها كتابا لايكسوه سفر جميل .

## مؤلفاته :

للمترجم موضوعات عديدة فى التاريخ وغيره، وهذا ما وقفت عليه منها :

1 ـ « اتحاف اعلام الناس ، بجمال اخبار حاضرة مكناس » ، وهو مرتب على مقدمة واربعة مطالب :

المقدمة : فى مباديء فن التاريخ ، ج 1 ص 7 ـ 20

المطلب الاول : فى اختطاط مدينة مكناس واطوارها التاريخية ، ج 1 ص 20 ـ 231 .

المطلب الثاني : فى نعوتها والامداح التي قيلت فيها ، ج 1 ص 231 ـ 261 .

المطلب الثالث : فى تراجم رجالها الذين اضاف لهم رجال مدينة زرهون ، وقد بلغ عدد التراجم في خصوص القسم المطبوع 553 ترجمة ، وباقيها لايزال ضمن القسم المخطوط .

المطلب الرابع : فى حوادث خاصة وقعت بها وفي الحرف والصنائع القائمة بها : 75 ـ واخلاق اهلها

25 ـ « ارشاد المستفيد لما للائمة من التفصيل في طبقات اهل التقليد » فرغ من تأليفه عام 1334 هـ.

26 ـ كفاية المحتاج في مدح صاحب اللواء والتاج اسم قصيدة همزية في المديح النبوي طبعت بتونس بذيل مولد النور اللائح المتقدم الذكر ، كما طبعت بالمطبعة الحجرية الفاسية ، وقد شرحها صديق المؤلف العلامة الاديب السيد الفالي بن المكي السنتيسي بشرح سماه « هدية المنهاج في شرح كفاية المحتاج » في سفرين محفوظين بالمكتبة الزيدانية .

27 ـ بغية المستهام ، قصيدة في المديح النبوي على قافية الميم عارض بها قصيدة البردة للبوصيري ، وشرحها صديق المؤلف العلامة الجليل القاضي محمد بن احمد العلوي الاسماعيلي ، بشرح سماه نيل المرام لبغية المستهام ، في سفرين محفوظين بالمكتبة الزيدانية .

## وفاته :

واخيرا نذكر ان وفاته كانت ظهر يوم السبت 21 من ذي الحجة متم عام 1365 الموافق 16 نوفمبر 1946 ، وشيعت جنازته في محفل عظيم مشى فيه اهل مكناس ورجال الوزارة المغربية على رأسهم صاحب السمو الملكي ولي العهد اذ ذاك جلالة الحسن الثاني ، الى أن اقبر بمرقده الاخير داخل الضريح الاسماعيلي في الركن يمين الداخل ، وكان المصاب بموته عظيما والخطب جسيما روح الله تعالى روحه في اعالي الجنان .

## تذييل :

هذا : وسنذيل هذه الترجمة بفقرات من كلمة القاها الاستاذ الكبير السيد الحاج احمد بناني في تأبين المترجم ، وهي منشورة في جريدة العلم :

تفقه المولى عبد الرحمن منذ حداثة سنه ، فلم يكتف بان يكون فقيها كسائر الفقهاء .. بل اتجه منذ بدايته اتجاها خاصا ، فرحل ونقب ، وجمع وبحث، ونسخ ونشر ، فكان منه مؤرخا ممتازا ، رفع المنار لبلدته ، وشيد بذكر عائلته الشريفة ، واعلا من شأن وطنه ، فأضاف بذلك مجد العلم الى مجد الشرف ، وما احسن العلم والشرف اذا اجتمعا ، الا ان لكل نعمة حسودا ، فقد قال الناس عنه انه جماع لا مؤرخ ، وان يد الغير في مؤلفاته اكثر من يده .

اما قولهم انه جماع فجهل وتضليل وحسد ، ان هؤلاء الحساد يوهمون ان في استطاعة المؤرخ المغربي ان يخرج لهم من يومه تاريخا مغربيا على الاسلوب الجديد المتبع عند الامم الناهضة ، وما دروا ان هذا النوع الجديد من التاريخ لا يتيسر ، ولا يقدر اي مؤرخ بلغ ما بلغ من التبحر والتفوق ان يؤلفه الا اذا توفرت لديه معلومات واسعة متنوعة ، واين للمؤرخ المغربي ذلك ؟ ان مواد التاريخ المغربي لا تزال مدفونة في الخزائن الخاصة ، وفي دور المحفوظات الاوربية ، كما انها مبعثرة في الكنانيش والرسائل الخاصة وغير ذلك ، وهذا ما تفطن له المولى عبد الرحمن ، فقام بتنقيبه القيم ، فجمع من النفائس والذخائر ما لم يتيسر جمعه لاحد قبله ، ولذا فلسنا مبالغين اذا قلنا ان كتابه سيبقى معلمة مغربية ، يرجع اليها كل عالم ، وكل اديب ، وكل باحث في تاريخ المغرب ورجاله ، لا يعادل كتب الفقيد في نفاستها وقيمتها الا اصول تاريخ المغرب لدى كاستر .

وان عملا واسعا متشعبا مثل عمل فقيدنا لا يتيسر لاي مخلوق ان يقوم به وحده ، اذ لابد فيه من ناسخ ومتصفح ومقابل ومترجم وما الى ذلك ، وهل تظن ان اولائك الفطاحل من العلماء الاوربيين الطائري الصيت اصحاب المعلمات وهذا النوع من التاليف ، لا يستعينون بكاتب بل بكتاب وكاتبات ؟

ولعمري ما الذي منع هؤلاء المؤرخين ، بل هؤلاء العظماء المجهولين ، الذين يدعون ان لهم نصيبا وافرا في مؤلفات مؤرخينا من العمل لانفسهم ؟ اين مؤلفاتهم ، اين ابحاثهم ، اين تواريخهم التي تؤيد ما يزعمونه ؟ انهم

يقولون اقوالا ولا يعلمونها
فان قيل هاتوا حققوا لم يحققوا

**الرباط ـ محمد المنوني**

قررت ادارة المعارف سابقا طبعه على نفقتها ، ولحد الان لم يقع نشر الكتاب ، ثم نشر منه الجزآن الاول والثاني في المطبعة الملكية بالرباط ، بتحقيق الاستاذ عبد الوهاب بنمنصور .

7 — العقود الزبرجدية اسم تأليف مطول وضعه في تاريخ رحلة جلالة السلطان سيدي محمد الخامس في بعض انحاء المغرب عام 1360 = 1941 ، وتوسيع فيه في تاريخ سجلماسة ، يخرج في مجلد كبير .

8 — العلائق السياسية بين الدولة العلوية والدول الاجنبية ، يقع في نحو ثلاثة اسفار ، ونشرت بعض خلاصاته بمجلة المغرب التي كانت تصدر بالرباط .

9 — المنزع اللطيف في التلميح لمفاخر مولاي اسماعيل بن الشريف ، في مجلد منه نسخة في الخزانة العامة ج 595 .

10 — جني الازهار ونور الابصار في روض الدواوين المعطار ، تناول فيه قصة جيش عبيد البخاري الذي اسسه السلطان مولاي اسماعيل .

11 — المؤلفون على عهد الدولة العلوية ، يخرج في مجلد .

12 — مسامرة في مبادىء التاريخ وهي التي القاها بمعهد الدروس العليا بالرباط عام 1343 = 1925 .

13 — محاضرة الاكياس بملخص تاريخ مكناس القاها بمكناس عام 1340 = 1922 ، ونشرت في جريدة السعادة .

14 — مولاي اسماعيل والاميرة دوكانتي ، عنوان محاضرة القيت بمحطة الاذاعة العربية بالرباط عام 1355 = 1936 ، ثم نشرت بجريدة السعادة عدد 4381 السنة 33 السبت 9 رجب 1355 = 26 شتنبر 1936 ، فند فيها خطبة السلطان مولاي اسماعيل لبنت ملك فرنسا لعهده لويز الرابع عشر .

15 — رحلة للحجاز ومصر والشام عام 1357 — 1358 ، وهناك احاديث عنها للمترجم في ستة اعداد من جريدة السعادة عام 1357 = 1938

16 — فهرسة شيوخه وهي صغيرة مسامرة في حياة الوزير الحميدي القاها بالمؤتمر العلمي بتونس . ذلك ما علمته الان من موضوعات المترجم في التاريخ ، اما مؤلفاته في موضوعات اخرى فهي :

17 — النور اللائح بمولود الرسول الخاتم الفاتح طبع بتونس عام 1330 = 1912 مذيلا بقصيدتين للمترجم والجميع يقع في 56ص عدى التقاريظ .

18 — قراضة العقيان في تحقيق استمرار افراد من الكهانة لاخر الزمان ، طبع بالمطبعة الجمالية بمصر عام 1332 = 1914 في 24 ص عدى التقاريظ

19 — اليمن الوافر الوفي في امتداح الجناب اليوسفي جمع فيه امداح ادباء المغرب المرفوعة للسلطان المغفور له مولاي يوسف — شعر — طبع بفاس عام 1342 = 1924 بمطبعة المكينة المخزنية في جزايين الاول في 296 ص والثاني في 236ص .

20 — محاضرة في الاخلاق ، القاها بنادي المسامرة لقدماء التلاميذ بفاس ومكناس طبعت بفاس بالمطبعة الجديدة عام 1351 = 1933 في 46 ص عدى التقاريظ .

21 — تبيين وجوه الاختلال في مستند اعلان العدلية بثبوت رؤية الهلال ، رد فيه على ما جاء في اعلان وزير العدلية عن عيد الفطر عام 1363 = 1944 ، طبع بالمطبعة المهدية بتطوان عام 1365 = 1946 في 141 ص عدى التقاريظ .

ومما لم يطبع من هذا القسم .

22 — «تغيير الاسعار على من عاب الاشعار» اورد فيه على حروف المعجم ما وقف عليه مما قيل من الاشعار في مدح الرسول صلوات الله تعالى عليه وآله وسلم من زمن النبوة الى عصر المؤلف ، وختم كل حرف بما له من شعر في المديح النبوي على ذلك الحرف يقع في عدة مجلدات ، وهو مرتب على اربع حدائق

23 — ديوان شعري حوى الكثير من المديح النبوي .

24 — « اوضح المجاز لمن استجاز واجاز » تناول فيه موضوع الاجازة والمجيز والمستجاز وشروط ذلك، فرغ منه عام 1350هـ في نحو ثلاثة كراريس .

الامر هين مفروغ منه ما دامت هناك مخطوطات متعددة معروفة اليوم لهذا الكتاب، وكانهم لا يدركون ما في هذه المخطوطات من اضطراب وبياض وبتر ... وقد سبق لاصحاب المطبعة الحجرية بفاس ان بدأوا يشتغلون «بالمنتقى» وطبعوا منه فعلا نحو اربعة كراريس ثم توقفوا عن العمل. ولا ندري ما اذا كان ذلك ناتجا عن صعوبات اعترضتهم من نوع ما اشرنا اليه. كما ان محمد بن عثمان الرئيس السابق لكلية ابن يوسف كان يعتزم نشر هذا الكتاب. ونسخة مراكش التي سنتحدث عنها كانت في ملكه ـ قبل ان تصير الى خزانة الكلاوي ـ وقد كتبها كتابة واضحة اعدادا للنشر، وهيأ الغلاف بالشكل الذي راى ان يخرج عليه، مثبتا في اسفله ان حقوق الطبع والترجمة محفوظة له بصفته الناشر. ولعل من حسن الحظ ان لم ير النور هذا المشروع الذي لم يعد اعدادا مناسبا وكان احد الزملاء في قسم الدراسات العليا بكلية الاداب بالرباط اخذ يعد « المنتقى المقصور » للنشر كرسالة للديبلوم ثم لم يتمكن من الاستمرار في عمله. ان ذلك يعني اني اعارض في نشر هذا الكتاب او احاول التنقيص من اهميته او تثبيط الهمم، بل بالعكس ارجو صادقا ان يتيسر نشره وسائر ما تزخر به خزائننا العلمية من تراث خالد. لكن ارى من الضروري قبل كل شيء ان يصرف مجهود جدي في التنقيب عن نسخ اخرى منه في بعض خزائن الخاصة او المكتبات العامة بالخارج، وتبذل العناية اللازمة للمقابلة والتصحيح والتلفيق. والرجوع الى المطاف في الكتب المعاصرة او القريبة من عهد المؤلف للاستعانة بما فيها من اشارات او اعتراضات او نقول، لمحاولة اخراج نسخة كاملة او قريبة من الكمال. فيكفي ما بين ايدينا من مطبوعات تاريخية وغيرها، سواء على الحجر او الحروف، يشوهها التحريف والخطأ والنقص، مما يجعل الاستفادة منها ضئيلة او متعذرة، ان لم تكن مدعاة لتشويش الافكار وقلب الحقائق.

## تصميم الكتاب :

رتب ابن القاضي كتاب « المنتقى المقصور » على مقدمة، وستة وعشرين بابا (4)، وخاتمة. تكلم في المقدمة على نسب المنصور وحسبه واخبار والده ووالدته بالخصوص، وعلى حقيقة الخلافة والعلاقات بين الملك والرعية (5). وتحدث في الباب الاول عن حسن خلق المنصور ورجاحة عقله وكمال خلقه، وفي الثاني عن محافظته على التكاليف الشرعية، وفي الثالث عن عدله وقيامه بالشريعة، وفي الرابع عن تعظيمه المولد النبوي. وفي الخامس عن رعايته لاهل العلم، وفي السادس عن حسن ظنه بالله، وفي السابع عن نظره في امور رعيته، وفي الثامن عن حلمه وكرمه، وفي التاسع عن صبره ومقابلته الاساءة بالاحسان، وفي العاشر عن شدة حيائه، وفي الحادي عشر عن بره بوالدته، وفي الثاني عشر عن مراعاته لاهل ود والده. وفي الثالث عشر عن ايثاره لاهل العلم. وفي الرابع عشر عن العلوم التي يفضلها. وفي الخامس عشر عن تنزه مجالسه عن الغيبة والنميمة. وفي السادس عشر عن اقالته العثرات. وفي السابع عشر عن قبوله المعذرة وعفوه عند المقدرة. وفي الثامن عشر عن قبوله للشفاعات. وفي الثاني والعشرين عن شعره... وفي الرابع والعشرين عمن لقي المؤلف في سفره من المشايخ والاخوان. وفي الخامس والعشرين عن اهتمام المنصور بتمهيد الطرق. وفي السادس والعشرين عن عظيم سلطته وعلو همته.

اما الخاتمة فقد خصها بذكر «نكت غريبة، وطرف بديعة عجيبة».

## اختلاف النسخ :

كنت اثناء كتابتي ترجمة ابن القاضي في « الزاوية الدلائية » وقفت على ثلاث مخطوطات مبتورة من كتاب « المنتقى المقصور »، اثنتان في قسم الوثائق من الخزانة العامة بالرباط. احداهما مصورة عن مخطوطة المكتبة الزيدانية بمكناس ـ وهي احسنها واوفاها ـ والثانية

---

4 ) لم يحدث ابن القاضي في خطبة الكتاب عدد الابواب، وانما رجحنا ذلك اعتمادا على الارقام الاخيرة الواردة في المخطوطة المصورة عن الخزانة الزيدانية بمكناس.

5 ) نرى ان هذا محتوى المقدمة في ثلاث مخطوطات. وان المخطوطة الرابعة لا تشتمل مقدمتها الا على نسب الخليفة، ويبقى ذكر بعض ما يتعلق بالخلافة الى الخاتمة.

# المنتقى المقصور على مآثر خلافة المنصور

للأستاذ محمد حجي

الف احمد بن القاضي كتاب « المنتقى المقصور » في اواخر القرن الهجري العاشر ( السادس عشر ) بعد ان خلصه المنصور الذهبي من الاسر باذلا في فدائه 20 000 اوقية من الذهب ( ما ينيف عن مائة كيلو ذهب ) وكان القراصنة الاسبان قد اسروا ابن القاضي في جماعة من الحجاج بعد ان ابتعدوا قليلا عن الشواطيء المغربية في البحر الابيض المتوسط . وظل هذا المؤرخ في محنته عند المسيحيين احد عشر شهرا (1) عانى خلالها شدة عظيمة وبلاء كثيرا وقد صور لنا ما كان يعامل به النصارى اسراهم المسلمين من التجويع والاعراء والضرب والتكليف بما لا يطاق ، مدفوعين بالتعصب الديني الاعمى ، وبالرغبة في الحصول على الفداء والثراء (2) فالكتاب اذن عبارة عن رد التحية والاعتراف بالجميل لعاهل كريم وهو لذلك طافح بالمدح والتقديس للمنصور ، يصوره وكأنه ملك من الملائكة الاطهار ، او نبي من الانبياء المعصومين . غير ان القاريء الحاذق يستطيع ان يقرأ الكتاب بحذر واناة متصيدا ما به من الفوائد التاريخية والاجتماعية والادبية ، معرضا عما لا يعنيه من عبارات طنانة ومبالغات مكشوفة اذ لا تخفى اهمية هذا التأليف باعتباره معاصرا للدولة السعدية ، يتحدث صاحبه عن حوادث عاشها ، واشياء شهدها او سمع اصداءها عن قرب ثم ان اسم الكتاب يذكرنا بتاليف آخر في نفس الموضوع ظهر قبله ببضع سنوات ، وهو : « الممدود والمقصور ، من سنا ابي العباس المنصور » للكاتب المبدع محمد بن عيسى التاملي الذي اصابه غضب الخليفة فاختفى في غياهب السجن والقبر ، واختفى معه الى الابد كتابه القيم وكأن ابن القاضي ابى الا ان يعوض مخدومه عن ذلك « بالمنتقى المقصور » .

اما اسلوب الكتاب فسلس منطلق لا تكلف فيه ولا سجع الا ما دعت الحاجة اليه عند الوصف او الدعاء . وقد ركز المؤلف كل كلامه حول المنصور عدا الباب الرابع والعشرين ، فقد سمح فيه لنفسه بالتحدث عمن لقي في اسفاره من المشايخ والعلماء ، والخاتمة التي ملأها بافاداته وانشاداته على انه في الابواب الاخرى لم يلتزم الموضوعات التي توحي بها عناوينها التزاما . فكثيرا ما يستطرد وينساق مع الاشباه والنظائر عن قصد واشار الى ذلك في خطبة الكتاب بقوله : « واذكر اثناء ذلك كله بعض قصائد ومقطعات انشدتها ، وفوائد وحكايات استفدتها ، وملحا ونوادر استحسنتها ، ونكتا غريبة انتقيتها ، وطرفا عجيبة تلقيتها ، يصغي اليها المنتهي والبادي ، والعاكف في ربع الادب والنادي ، ليكون ذلك كالمعين على مطالعة الكتاب ، لان النظر في فن واحد قد ترغب عنه النفوس ، بخلاف ما اذا نمق بغيره فقد يسلي العبوس (3) » .

**محاولات نشـــــر الكتـــاب :**

بدا الحديث في الايام الاخيرة يروج حول ضرورة طبع « المنتقى المقصور » وكم كانت دهشتي عظيمة حينما علمت من بعض المهتمين بهذا الشان انهم يظنـون ان

1 ) اسر ابن القاضي في 24 شعبان 994 / 1586 ، واطلق سراحه في رجب 995 / 1587 .

2 ) انظر « المنتقى المقصور » ، مخطوطة مراكش بالخزانة العامة بالرباط ، ص 58 وما بعدها ، والزاوية الدلائية . ص 88 .

3 ) « المنتقى المقصور » ، مخطوطة مراكش . ص : 3

من ابن القاضي في « المنتقى المقصور » ، والفشتالي في الجزء المعثور عليه من مناهل الصفا ، بنفس الاتجاه والتصميم والطريقة تقريبا ، واطلاع المؤلفين معا على نفس المعلومات والاحداث بحكم المعاصرة والاتصال بالبلاط ، فان محتوى كتاب كل منهما ينفرد باشياء لا توجد في الاخر . لذلك تلفي في « المنتقى » ــ مثلا ــ مزيدا من الدقة في وصف بعض الجوانب من الحفلات والهبات . والمجالس الخاصة والعامة ، واخبار بعض رجال الدولة ومهامهم وتصرفاتهم والعلاقة بين الحكام والمحكومين مما يجعل هذا الكتاب لا يمكن ان يسد غيره مسده . وهكذا تجد في مقدمة « المنتقى » نص وثيقة الوقف المشتمل على عقارات كثيرة وقفتها ام المنصور عودة بنت احمد الوزكيتي على المسجد الذي اسسته بباب دكالة من مراكش . وفيها انها وقفت «جميع السبعين حانوتا غير نصف حانوت الواجب لها ذلك في نصفها من القيسارية المشتركة بينها وبين مساكين المارستان المخترعة لها وسط سوق الحضرة المراكشية ، دون البقعة المتصلة بها . وجميع الارحى الجديدة المخترعة لها على وادي تسلطنت القريب من ارحى اولاد الامين محمد بن قاسم القسطالي واولاد التاجر عبد الله الجاربي المشتمل بيتها على اربع مدارات مع جميع داره المبنية له ، وجميع العين الكبرى التي تملكتها من ورثة احمد بن ربوح الكائنة بالمخالص خارج باب تاغروت مع جميع ارضها وجناتها ومائها ما عدا الحظ الواجب لاولاد الصالح السيد ابي عمر القسطلي فيها بجميع منافع ذلك كله ومرافقه وحقوقه الداخلة فيه والخارجة عنه . يصرف خراجها ومستفادها في مصالح الجامع المذكور من مرتب ائمته وفقهائه ومؤذنيه وقرائه والقيمين بسائر وظائفه وسدنته . . »(7).

وتجد في الباب الربع وصف مهرجان ليلة المولد النبوي بحضرة الخليفة ، وما يقرأ فيها على التوالي من اي القران الكريم ، وكلام ابن عباد ، وقصائد المدح ومقطعات الشعر الملحنة بالانغام، ثم قيام الشعراء لانشاد قصائدهم بين يدي المنصور حسب مراتبهم ، ومد سفرات الاطعمة والحلويات . ويفيدنا ابن القاضي ــ تاريخيا ــ ان عادة احياء ليلة المولد بالقراءة والانشاد كانت قد انقطعت من المغرب منذ عهد المرينيين الى ان احياها المنصور . وعند ما يتحدث عن اجازة المنصور الشعراء في اخر الحفل يحدد المبالغ التي كانوا يعطونها ، وهي تتراوح ما بين 300 و 5 000 اوقية (اي من كيلو ونصف الى خمسة وعشرين كيلو ذهبا ) .

وعند ما يتحدث ابن القاضي عن اهتمام المنصور بالعدل وانصاف الرعية يقدم لنا تفصيلات هامة عن مجالسه العادية للنظر في المظالم ، فيذكر انه كان «اذا صلى الجمعة تارة يجلس بمقصورة المسجد ، وتارة عند ضريح والده ، وتارة بقبته الخمسينية التي شادها في البديع للشكاية فتعرض عليه في تلك المواضع حكاية القضايا . وترفع اليه الشكايا ، فيقضي فيها بعدله . . وربما يعرض عليه شيء منها في ايام الديوان : السبت والاثنين ، والاربعاء . بل لا بد ان يعرض عليه منها في كل يوم . ويعين في كل سنة من يتفقد احوال رعيته ، ومن ينهي امرها لحضرته . ويأخذ العهد من خواصه وجلاسه على مثل هذه الامور الا يخفوا عنه شيا جل او قل ، كبر او صغر . وقد يتولى بعض هذا بنفسه فيركب ويشق حضرة مراكش ليفحص في ركوبه عن احوال رعيته ويتوصل كل الى شكايته . ولقد شاهدت ذلك منه مرارا . ويامر بالنداء في البلدان برفع الظلامات اليه ويحرص على ذلك . . » ثم يقدم اسماء بعض العلماء والكتاب والوزراء الذين كانوا محل ثقة الخليفة ليتولوا عنه النظر في شؤون المظالم ، مثل المفتي عبد الواحد الحسني . وقاضي الجماعة قاسم الشاطبي ، والفقيه علي ابن سليمان التاملي ، والكاتب عبد العزيز الفشتالي والشاعر ابي عبد الله بن عمر ، والقائد ابراهيم السفياني .

وبعد ، فهذه نظرة خاطفة على كتاب « المنتقى المقصور » احد المصادر الاساسية لتاريخ بلادنا في فترة « ذهبية » لامعة ، نرجو ان يكرس الباحثون جهودهم لاكمال ما به من نقص واصلاح ما به من تحريف واختلاف لاخراجه للناس في حلة زاهية مشرقة

**الرباط ــ محمد حجي**

---

7) انظر النص الكامل لوثيقة الوقف في « المنتقى المقصور » مخطوطة مراكش . ص. 13 ــ 17 .

تحمل رقم 764 وهي عتيقة . اما الثالثة ففي خزانة القصر الملكي بالرباط (6) ثم وقفت بعد ذلك على مخطوطة رابعة في جملة الكتب التي حجزت من خزانة الكلاوي بمراكش ، وهي وان كانت واضحة الخط ، فانها لا تقل عن اخواتها تحريفا وبياضا وحذفا ... وقد تبين من مقابلة هذه النسخ وتلفيق ما فيها ان هناك اربعة ابواب مفقودة ، واختلافا كثيرا متنوعا في كلمات العناوين وترتيب الابواب ومحتوى المقدمة والخاتمة ، وزيادة او نقصان بعض الصفحات او السطور في عدة مواضع ، وتقديما وتاخيرا ، بل حتى خطبة الكتاب ليست موحدة في جميع النسخ . والغريب انها تختلف عند ذكر برنامج الكتاب لتطبق ذلك الاختلاف في مواضعه وهكذا نص في خطبة ثلاث مخطوطات على ان المقدمة تشتمل على نسب المنصور وحقيقة الخلافة وحقوق الملك والرعية ، وفي الخاتمة نكت غريبة وهذا ما تجده فعلا في مقدمة هذه النسخ وخاتمتها . بينما قصرت خطبة المخطوطة الرابعة المقدمة على نسب المنصور تاركة مسالة الخلافة وما معها الى الخاتمة ، وذلك ما تجده ايضا في اول الكتاب واخره ! فمن غير ذلك يا ترى ؟ اهو المؤلف بعد ان اعاد النظر في الترتيب والتهذيب ؟ ام هو تصرف — الى هذا الحد — من بعض النساخ او المختصرين ؟ اننا لم نر احدا ممن ترجم لابن القاضي اشار الى انه اختصر او زاد في « المنتقى » ، او ان احدا غيره قام بذلك . ومهما يكن من امر ،فالمسالة ما تزال بحاجة الى مزيد من البحث والاستقصاء والتامل . وساورد هنا مجمل ما في المخطوطات الاربع من اتفاق واختلاف، دون ان اتعرض للجزئيات المتعلقة باختلاف الكلمات والعبارات والفقر داخل النص مما لا محل له هنا :

اولا : تتفق مخطوطات الرباط الثلاث في محتوى المقدمة والخاتمة ، فتجعل في المقدمة زيادة على نسب المنصور وحسبه خمسة فصول الاول في الخلافة وحقيقتها وآراء الفقهاء المختلفة فيها ، والثاني في فضل الامامة . والثالث في وجوب طاعة الامام . والرابع في اداب الرعية مع الملك . والخامس فيما يجب على الملك للرعية . وتترك للخاتمة ذكر بعض النكت والطرف . في حين تجعل مخطوطة مراكش المقدمة مقتصرة على نسب الخليفة ، ولا تاتي من الفصول الخمسة الا بفصلين في الخاتمة .

ثانيا : تتفق المخطوطات الاربع في الابواب الخمسة الاولى ترتيبا ومحتوى الا ما كان من اضافة كلمات او تعبير سجعات في بعض العناوين .

ثالثا : تتفق مخطوطات الرباط الثلاث في الابواب التسعة التالية ، غير ان المخطوطة المصورة منها تمتاز بزيادة نحو ثلاث صفحات اخر الباب السابع ، بقيت بيضاء في الاخرى . وينقص مخطوطة مراكش البابان السادس والثاني عشر .

رابعا : الابواب الخامس عشر ، والسادس عشر . والسابع عشر توجد في كل من المخطوطة المصورة ومخطوطة القصر الملكي . غير ان هذه الاخيرة تسمي الاول من هذه الابواب : الرابع عشر — مكرر — وترقم التاليين له بالخامس عشر والسادس عشر . وهذا تحريف واضح من الناسخ في ترتيب الابواب . وينقص مخطوطة مراكش الباب السادس عشر ، وفيها الباب السابع تحت رقم 18

اما المخطوطة رقم 764 فتقف في الباب الخامس عشر ، وليس فيها بعده الا الخاتمة

خامسا : تختص المخطوطة المصورة بالباب الثامن عشر ، وبعده بياض يعقبه الباب الثاني والعشرون . ويفتقد الثالث والعشرون ثم تتناسق الابواب الباقية من الرابع والعشرين حتى السادس والعشرين . اما مخطوطتا القصر الملكي ومراكش فليس فيهما من هذه الابواب الا الاخيران . وهما تحت رقمي 17 و 18 في مخطوطتي القصر ، ورقمي 19 و 20 في مخطوطة مراكش .

يتلخص منها ان المخطوطة المصورة تمتاز عن الاخريات بزيادة ثلاثة ابواب ، لا توجد في غيرها . وهي الثامن عشر ، والثاني والعشرون والرابع والعشرون . ومع ذلك يظل الكتاب مبتورا تنقصه اربعة ابواب : التاسع عشر ، والعشرون ، والواحد والعشرون . والثالث والعشرون .

**نماذج من محتويات الكتاب :**

بالرغم من كون حياة المنصور الذهبي تناولها كل

---

6 ) انظر كتاب « الزاوية الدلائية » . ص : 90 . هامش رقم 60 .

عام 609 ، عني ابو العباس بولده الصغير ، ورباه تربية دينية ، واحاطه بسياج من الفضيلة والأخلاق ، ويقال انه سماه « اسدا » تفاؤلا ان يكون من اسود الله ، يكافح عن دينه ، ويذب عن حوزته .

وبهذا الاسم كان معروفا في اول امره ، ثم سمى نفسه عبد الرحيم ، قال : لما فتح الله علي عاينت كرامة الله علي ، ورايت وصف الرحمة ، وشاهدت الطاف المولى ـ سميت نفسي عبد الرحيم ، طمعا فيما عاينت ) وكانت له اخت اختير لها من الاسماء ( شعثة ) ولعل ذلك لحديث : ( رب اشعث اغبر لو اقسم على الله لابره )

كل ذلك يدلنا على ان اسرة الطفل كانت تعيش على جانب كبير من الخشونة والنسك والتعبد ، وقرية ترغة هذه مشهورة بعلمائها الكثيرين ، ففي شاطئها يرقد العدد العديد من العباد الزاهدين ، والاولياء العارفين كالشيخ الاكبر عبد الرحمان الزيات ، شيخ ابن مشيش ، والعارف الاشهر ابي العباس الغزال وسواهما .

ادخل ابو العباس ولده الكتاب ـ ولم يرزق ولدا ذكرا سواه ـ فحفظ القران الكريم ، وشدا بعض العلوم والفنون ، وهكذا تهيا للناشىء الصغير بيئة صالحة تعده لمكان مرموق في العلم والصلاح ، وكانت تطغى عليه منذ نشاته ـ نفحة صوفية ، تجعله يبتعد عن الصبيان ، ولا يلهو مع اللاهين ، وكان لسان حاله يقول :

« قد رشحوك لامر لو فطنت له
فاربا بنفسك ان ترعى مع الهمل »

وكان ابو العباس حريصا على ان يرسل ولده الناشىء الى بيت اخواله بسبتة ، لاتمام دراسته ، وانهاء تعليمه العالي ، الذي كان يتجلى في الاجازات العلمية ، التي يحرز عليها الطلاب المتفوقون ، من اساتذتهم النابهين ، الا ان المنية عاجلت الشيخ الوالد قبل ان تتحقق منه هذه الامنية ، والصبي بعد حدث ، لم يتجاوز سنه السادسة عشرة ، ولكن الفتى عرف طريقه ، فتسلل بين شعاب الجبل ، والتحق بمدينة سبتة ، ونزل ببيت اخواله بني حمزة ، ولم يكن غريبا عن هذا البلد ، فقد تردد اليه غير مرة صحفة والديه ، ولم تزل احاديث والده الشيخ عالقة بذهنه ، وكانت تهز نفسه ، وتدفعه الى الاخذ والتلقي عن المشايخ الشهيرين

وكانت سبتة انذاك مدينة علم وفكر وادب ، تضج اعلاما كبارا في كل فن ، امثال القاضي عياض في التفسير وعلوم الحديث ، حتى لقد قال القائل :

« مشارق انوار تبدت بسبتة
ومن عجب كون المشارق في الغرب»

وكابي عبد الله بن هشام اللخمي في العربية وعلوم اللغة ، ومن اليهما من الشيوخ العديدين الذين كانت تطفح بهم مدارس سبتة وكان للشيخ ابي عبد الله بن عيسى ـ صدى بعيد في الاوساط الثقافية بالمغرب والاندلس ، وكان امام عصره في سائر العلوم ، انتهت اليه الرياسة في الفقه ، تخرج عليه فقهاء سبتة ، وكان لتلاميذه الحظوة الكبرى لدى الدولة ، ما منهم احد الاقدم للقضاء والشورى ، ولم يكن في قطر من الاقطار ـ بعد يحيى الليثي ـ من حمل عنه الناس اكثر منه

وكانت تاتيه الاسئلة من القاضي بن حمدين بقرطبة ، والقاضي بن شريل باشبيلية ، والقاضي بن ملجوم بفاس ، وكان حلالا للمشكلات . ومن حسن حظ الفتى عبد الرحيم ان يرى الى جانبه في اكثر حلقات الدروس طبقة واعية من طلبة سبتة ، يزاحمونه بمناكب قوية ، فينافسهم وينافسونه من امثال ابي العباس السبتي ، وابن الصبر الفهري ، وابي علي الصواف ، وابي عبد الله بن حماد الصنهاجي وسواهم

ولم يكن التلميذ القروي من التلاميذ العادين ، بل كان على سمت حسن ، وذكاء عجيب ، مما لفت اليه انظار اشياخه ، وحببه الى اساتذته ، وقد ظهر نبوغه مبكرا ، فحفظ اكثر العلوم والفنون ، ولم يكد ينتهي العقد الثاني من عمره ( 20 ) حتى كان اماما مقدما في سائر العلوم ، وخصوصا منها علوم الحديث والتفسير ، فقد رزق فيهما فهما عجيبا ، وسرا غريبا ، قال ابن باديس في سينيته :

« وللمغربي عبد الرحيم مواهب
من الفهم للقرءان جلت عن الحدس
وفاضت من السر المصون بحوزه
. . . . . . . . . . . . . . »

جلس للتدريس بجوامع سبتة ، وكانت تختلف الى حلقاته المشايخ والرؤوس

# الشيخ عبد الرّحيم المغربي 592/521

للأستاذ : سعيد اعراب

بهذا اللقب كان يعرف في الشرق ، وعرف في بلده بالاسد ، واشتهر اخيرا بالغنائي ، وهو شخصية مغمورة في تاريخ المغرب ، لا تكاد تذكره كتب التراجم والسير ، شخصية غريبة في سلوكها ، نادرة في سيرتها واخلاقها ، فذة في علومها ومعارفها .. انها الرحمة المهداة الى بلاد الصعيد ـ كما يقول الحافظ ابن المنذري ، ذلك هو الشيخ ابو محمد عبد الرحيم ابن احمد بن حجون بن محمد بن حمزة بن جعفر بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن الحسين بن علي بن جعفر الصادق ، بن محمد الفاخر بن علي بن زين العابدين بن الحسين السبط ، يتصل نسبه بالشرفاء الحسينيين ، والصقليون بفاس من ابناء عمومتهم ، انتقلوا من سبتة على عهد المرينيين ، ويعرف فريق منهم ببني حمزة ، اصلهم من دمشق ، استوطنوا سبتة قديما ، ومنهم بنو حجون الذين رحلوا الى البادية ، وسكنوا ترغة احدى قرى غمارة ، على بعد نحو 60 كيلو متر من تطوان ، ويعرفون الى الان باولاد حكون ، والجاري على الالسن احكان . ومما ينسب لبعض هؤلاء الحسينيين :

عتبت على الدنيا وقلت الى متى
اكابد حزنا همه ليس ينجلي

اكل شريف من علي نجاره
حرام عليه اليسر غير محلل

فقالت نعم يا ابن الحسين فانني
غضبت عليكم حين طلقني علي

وفي قرية ترغة هذه ولد السيد عبد الرحيم سنة 521، ولذا يقال في نسبته الترغي السبتي ، وربما قيل الغماري

هذا نبعه الابوي الزكي ، الذي انجب الشيخ عبد الرحيم.اما نبعه من حيث خؤولته فامه سكينة بنت احمد بن حمزة الحراني ، ينتهي نسبها الى جعفر الصادق بن محمد الباقر ، حفيد الحسين السبط ، فبنو حمزة وبنو حجون ، يلتقيان في اقرب جد اليهما ، فهما ـ معا ـ شرفاء حسينيون ـ كما اسلفنا ـ وكلاهما كان بيت علم وفضل ودين ، فابو العباس والد المترجم كان عالما فاضلا ، وفقيها نبيها ، بل كان من كبار علماء المغرب ، الا ان البادية اضاعته ، واضاعت علمه ، ولا بد انه درس على شيوخ سبتة وغيرها من مدن المغرب والاندلس، لكن المصادر التي بين ايدينا لا تحدثنا في هذا الصدد بشيء ، وكل ما نعرف انه كان امام مسجد ترغة ، والشان ان يكون خطيبها ، والامام الذي يرجع اليه اهل البلد في شؤونهم الدينية والدنيوية .

وكانت غمارة في هذا العصر تابعة لسبتة ، وتعتبر احدى عمالاتها ، ولذا نجد اكثر اهلها يرحلون الى سبتة لاتمام دراستهم ، واخذهم عن علمائها ومشايخها ، وقلما يتجهون الى سواها ، وقد استوطنها جملة وافرة منهم وظهر فيهم علماء فطاحل ، وفقهاء نابهون ، ويكفي ان نعرف ان الشيخ ابا عمرو اسحاق بن ابراهيم الغماري كان قاضي سبتة لهذا العهد ، تنقل قاضيا في عدة جهات من المغرب والاندلس ، كفاس وجيان وسواهما ، وكان حافظ المذهب ، يستظهر المدونة ، فقد في وقعة العقاب

احاديثه واخذوا عنه في كل العلوم ، وتتلمذ عليه الكثير من المريدين ، وهنا لمع اسم الشيخ المغربي ، والتصق به هذا اللقب ، ولهج الناس به في كل محفل وناد

ويحدثنا في هذا الصدد احـد الذين عاصـروه ، وشاهدوا من انوار معرفته ، وهو ابو الوفاء المدنـي ، فيذكر في كتابه ( الاصفياء ) صورا من مجالس الشيـخ المغربي ، ويتحـدث ـ كشاهد عيـان ـ عن كراماتـه ومناقبه ، ويعرض علينا كثيرا من احزابـه واوراده ، وهي مجموعة من ايات قرانية تستغرق نحو نصفها ، ثم تتلوها ادعية وصلوات على الرسول الاعظم ، الذي كان لا يحلو للشيخ عبد الرحيم الجلوس الا بجانبه ولا يكاد يفارقه ، ولا يزال يلهج بذكره ، اناء الليل واطراف النهار ، ويذكر الكتـاب ان مما كان يدعـو به الشيـخ المغربي بين ركعتي الفجر وصلاة الغداة وبين الشفع وركعة الوتر ـ هذا الدعاء : ( اللهم ارزقني علم الحياة وحيـاة العلـم . وامنحني نعيم الحيـاة وحياة النعيم ، واغمرني بفضل من النور ونور من الفضل ، واعطنـي قوةالابدان وابدان القوة،واسالك نعمة الشفا وشفاءالنعمة، واسالك طول العمر والانعام ، واحسن الي يا عظيـم الاحســـان ) .

وهناك في رحاب المسجد النبوي ، التقى بالشيخ المغربي عالم قوص ، السيد مجـد الديـن القشيري ، فرغب اليه في ان يذهب معه الى بلده ، وقد اعجـب بغزارة علمه ، ونور معرفته واسرار حكمته .

وبعد سنة كاملة من هذا اللقاء ، التحق الشيخ عبد الرحيم المغربي بقوص سنة ( 551 ) وهناك اسس مدرسته الكبرى ، التي جمعت بين العلم والعمل ، وكانت خير مثال للتصوف السني كما قيل .

ذلك ما نريد ان نتحدث عنه بشيء من التفصيل في العدد المقبل بحول الله

**تطـوان ـ سعيـد اعـراب**

وعلى الجملة فقد اخذ محل الصدارة بين شيوخ عصره ـ على حداثة سنه ، فكان اماما وواعظا ، وخطيبا ومدرسا بالجامع الاعظم بسبتة ، وكان لا يرتقي الى كرسي هذا الجامع ـ الا الشيوخ المحنكون ، ثم مال الى التصوف ، وملك عليه شغاف قلبه ، وكان يقضي جل وقته في محاريب الله ، قال السيد عبد الرحيم ـ وهو يتحدث عن نفسه ـ : فتح الله علي ، وانا ابن عشرين سنة او دونها ، وكنت رايت في المنام كاني صعدت منارا عاليا الى اعلاها ، فاستوفيت منها ، فنزلت فوجدت في اسفلها عين ماء ، قال والرؤيا صفة حال .

ثم التاريخ لا يذكر بعد ذلك شيئا عن شبابه وشيوخه، ومقدار العلوم التي حصلها ، ولا بد انه زار الاندلس، واخذ عن اعلام علمائها ، وقلما نجد من شيوخ سبتة من لم يرحل الى الاندلس ويكترع من مناهلها ، وكانت سبتة في هذا الوقت بالذات مهبط صوفية الاندلس ، وملتقى الحركات الفكرية . والنزعات الفلسفية ، ومن اقطاب التصوف لهذا العهد ـ ابو زيد القرطبي ، وابو الربيع المالقي ، وابو العباس بن العريف الطنجي ، وابو مدين القطياني ، وابو اسحاق ابراهيم بن طريف، وكان ابو يعزى يمثل مدرسة قائمة بذاتها في جنوب المغرب .

وقد اتصل السيد عبد الرحيم بجملة وافرة من شيوخ التصوف فاخذ عن ابي النجاة سالم الجبيلي دفين بجاية واقام في خدمته مدة ، وكان شيخا زاهدا ، متخليا عن الدنيا ، منقطعا الى الله . ثم اتصل بابي محمد عبد الرزاق الجزولي ، وجدد له العهد ، ولعل ذلك بعد وفاة شيخه ابي سالم

وقال في الطالع السعيد : انه من اصحاب ابي يعزى، ولم يذكره ابو القاسم الصومعي في جملة اصحابه ، والتاريخ لا يبعد لقياه به ولقي الشيخ ابا مدين واخذ عنه قال سمعته يقول : (اوقفني ربي عز وجل بين يديه، وقال يا شعيب ما ذا عن يمينك ؟ فقال يارب عطاؤك ، قال وما ذا عن شمالك ؟ قال يارب قضاؤك قال يا شعيب: قد ضاعفت لك هذا ، وغفرت لك هذا ) وكانت بادية شمال المغرب ، تعج بالكثير من العباد المتبتلين ، والاولياء العارفين ، وكانت تمتد على هذا الشاطيء من سبته الى حدود تلمسان سلسلة من الربط كمعاهد للعلم والتعبد والجهاد ، تخرج منها كثير من الابطال الصناديد وكانوا شجى في حلق العدو ، ثم حدثت احداث ، كدرت صفو الحياة على هؤلاء واولئك ، وامتحن البعض منهم في نحلته ومذهبه ، وكان الشيخ عبد الرحيم من المشهورين بعقيدتهم السلفية ، ومن المتمسكين بمذهب مالك

كان المغرب يعيش في هذه الفترة ـ حياة الفوضى والاضطراب ، وقد بلغ الصراع اشده بين المرابطين والموحدين، وكانت سبتة هدفا لغارات وهجومات عنيفة، عاشت معها في شبه عزلة مستقلة عن بقية اجزاء المغرب ، تحت زعامة القاضي عياض ، ثم كانت مثار فتن وحروب داخلية . قضت مضاجع العقلاء من ابنائها ، فرحل الكثير من علمائها ومشايخها ، ونفى منها عياض فيدومها الاكبر ، وفي هذه الاثناء عرضت غمارة لحملة تاديبية ، اراق فيها الموحدون دماء كثيرة . ثم كانت المجزرة البشرية الكبرى . التي ذهبت ضحيتها ثمانمائة رجل من رؤساء غمارة

كل هذه عوامل دفعت الشيخ عبد الرحيم الى الخروج من سبتة . ثم من المغرب نهائيا ، وقد غادر سبتة 542 وجاء لتوديعه الكثير من تلامذه ومريديه . وكان خروجه برسم اداء الحج . والمحتمل ان سفره كان عن طريق الجزائر ، وقد نزل الاسكندرية ، ومنها واصل طريقه الى مكة المكرمة تحدوه الاشواق المتاججة الى البيت المعمور ، وتدفعه العاطفة الثائرة الى المنبر والروضة والحبيب، وفي احدى الليالي العاطرة الانفاس هبط السيد عبد الرحيم الى مكة ، البلد المبارك الذي طوف به الانبياء . ونزل الى ساحته الملائكة ، فوجد المكان الذي سكن اليه قلبه ، وهدأ روعه ، وانثالت عليه علوم ومعارف . وغمرته نفحات لم يكن ليجدها فيما سواه

ثم قصد المدينة المنورة ، حيث الحبيب ، وجاور بالروضة الشريفة ما شاء الله ، وهكذا جعل يتنقل ما بين الحرمين الشريفين ، مدة سبع سنين او تزيد ، وكان هذا البلد الامين ، مجمع العلماء والمحدثين ، واهل الفتيا والبيان ، فنزل السيد عبد الرحيم بينهم كالقمر بين النجوم ، فالتفوا حوله وجلسوا اليه واستمعوا الى

وفى الصفحة 18 يذكر ان اللغة الاصلية لجـزر كنرياس ، هي البربرية ، وبذلك تكون الجزر قد انفصلت عن المغرب وهي آهلة بسكانها ، او ان المغاربـة البربر ، كانوا هم المستعمرين لها .

وفى الصفحة 34 يذكر ان رجال القائد الرومانـي « بليزريوس » يذكر انهم لما اتوا الشمال الافريقـي ، وجدوا اهله يتكلمون اللغة البونية ( الفنيقية المتاخرة ) وبذلك تكون هذه اللغة الشرقية قد تمكنت من القوم ولم تزحزحها او تنافسها اللاتينية .

وفى الصفحة 35 يذكر ان بوكوس الاول ، ملـك موريطانيا ، كان قد أعان صهره ، زوج بنته ، جوكورثا ، فى حربه للرومان لكنه لما انتهى الى موقفه اليائس ، سلمه الى أعدائه الرومان ، صنيع ما فعل فيما بعد الفي سنة ، المولى عبد الرحمن الذي أعان الامير عبد القادر الجزائري فى حربه للفرنسيين ثم اسلمه اليهم ، لما انتهى الى موقفه اليائس .

ونحن لا نوافق المؤلف فى هذه المقارنة التي يصدق عليها انها « قياس مع وجود الفارق » ... ويكفي أن نقرأ كتاب ابن الامير المذكور ( تحفة الزائر ) لنرى به أوجه الخلاف ماثلة تمام المثول ، بل ان المؤلف نفسه أشـار الى شيء من ملابسات القضية فى نفس الكتاب وبالصفحة 125 — 126 .

وفى الصفحة 39 يذكر ان المسيحية عرفت بالمغرب قبل اعتناق قسطنطين لها ، وهذا يؤيده التاريخ الـذي يذكر ان المضطهدين من قبل الرومان ، كانوا يفرون الى اخوانهم بالمغرب ، حيث يامنون على انفسهم وعقيدتهم .

وفى الصفحة 40 يذكر ان جستنيان ، لما استرد الشمال الافريقي ، لم يحتل من المغرب الا مدينة سبتة حيث بنى بها الحصون ، كما بنى بها كنيسة العذراء ، فى منتصف القرن السادس ، وهذا يطلعنا على مدى ما كان قد انتهى اليه النفوذ الروماني من ضعف فى المغرب ، وعلى هذا الضعف الذي ورثه القوط فيما ، كان الفتح العربي للمغرب .

وفى الصفحة 50 يسجل ان السنكال ما هـم الا صنهاجة ، بل الكلمة نفسها ما هي الا صنهاجي ، مع تحريف بسيط .

وفى الصفحة 51 يذكر ان المرابطين كانوا ، مثل الامويين بقرطبة ، قد اشتاقوا الى نخيل بلادهم ، فجلبوه اليهم وعملوا على غرسه بوطنهم الجديد ، فكانـت العاصمة المرابطية مراكش ، يغرس بها النخيـل فى كثرة متراصة ، وهي ملاحظة طريفة ولها خطرها .

وفى الصفحة 58 يذكر ان احراق الكتب معهـود بالاندلس ، عند المسلمين والمسيحيين على السواء ، وبذلك تكون قضية احراق كتاب الاحياء ، قضية اندلسية تحمس لها فقهاء الاندلس وعلى رأسهم قاضي قرطبة ، ابن حمدين ، وحملوا المرابطين عليها ، فتحملوا وزرها دونهم .

وفى الصفحة 59 يذكر ان الملوك المسيحييـن ، كانوا يقلدون العملة المرابطية ، واتى بصور لهذه العملة المقلدة ، حتى بكتابتها العربية ، وهي للفونس الثامن .

وفى الصفحة 75 يذكر ان تاشفين المرابطي ، لما تردى به فرسه ، كان فارا من سبتة ، والمعلوم لنا انه تردى به قرب وهران ، ولا ندري المصدر الذي اعتمد عليه المؤلف فى هذا .

وفى الصفحة 80 يذكر ان الموحدين نشطـوا فى استعمال الاسبان والبرتغال فى جيشهم ، وكان ذلك منهم على عهد مبكر ، حيث انهم استعملوا نفس النصـارى الذين كانوا تحت قيادة الروبرتير ، الذي قتل وهو قائد بالجيش المرابطي .

وفى الصفحة 83 يذكر ان ابا يوسف يعقوب بـن عبد الحق المريني ، اتجه بنفسه سنة 1274 ( 673 ) الى برشلونة ليتحالف مع الملك الارغوني ، وان هـذا أصحبه فى عودته خمس مائة فارس من المسيحيين .

ونحن لا نعلم ان هذا الملك كان بالاندلس فى ذلك التاريخ ، بل ان أول جواز له الى الاندلس كان فى السنة التالية 674 ، وفى هذا الجواز ما ذكر لهذا الملك توجه الى برشلونة ، ولا فى اي جواز آخر من جوازاته التـي تكررت فيما بعد ، نعم : اننا نعلم ان الامير ابا زيان ، ابنه كان قد جهزه والده واجازه الى الاندلس ، حيـث جاهد به وانتهى الى شريش فى السنة التي ذكر المؤلف ، فلعل أبا زيان هذا هو الذي توجه ( سرا ) الى برشلونة، فخلطت الرواية المسيحية التي اعتمد عليها المؤلف .

وفى الصفحة 84 يذكر ان الانجليز كانوا مهتميـن بقيام الدولة المرينية ، وان كتابهم لذلك العصر كتبـوا عنهم ، كما يذكر فيها ان عاهلهم يعقوب المذكور كتب الى ملك فرنسا فى التحالف معه ، لقمع الثورة التي ثارها سنة 1282 ( 681 ) ابن ملك قشتالة الفونس الثامن ، وقد طلب هذا مساعدة يعقوب فى قمع ثورة ابنه عليه .



# المغرب MOROCCO

لنبيل بربر NIVIL BORBOUR

للأستاذ محمد بن تاويت

صدر هذا الكتاب عن دار النشر المعروفة باسم Thames and Hudson (1) وقد عرفت هذه الدار بالمؤلف فقالت على الغلاف « نبل بربر معروف جدا ككاتب ومذيع حول بلاد افريقيا الشمالية والشرق الاوسط ، وكدارس للعربية ، ومساعد سابق لرئيس قسم الشرقيات ، بدار الاذاعة البريطانية B.B.C. ، وكصحفي اهتم بشؤون العالم العربي ، زهاء اربعين سنة ، وان كتابه المسمى Nisi Dominus, A. Survey of the Palestine المنشور سنة 1946 . لمشهود له بكونه مؤلفا عظيم الاهمية فى بابه ، كما انه مراسل للصحيفة The Economist فى بريطانيا العظمى ، والصحيفة Politique étrangère فى باريز ، والصحيفة Politica Internacional فى مدريد ، والصحيفة The Middle East Journal فى واشنطن » (2)

وقد ذكر لي المؤلف انه عاش بالمغرب عشرين سنة ، ولد له فيها ابن ، وقضى منها ثلاث سنوات مقيما بعقبة الفيران بفاس كما أنه عاش بالمشرق عشرين سنة اخرى ، ولد له فيها ابن آخر ، وكانت مصر والعراق ، مسرحا لنشاطه خلال سنوات الحرب العظمى الاولى .

وبهذا فانه يعرف المغرب ، كالمشرق ، معرفة جيدة ، بحيث انه لا يبدي اي عجب أو تعجب لما يتحدث اليه عن هذه البلاد بما يقتضي ذلك من غيره ، واذكر أني قلت له ذات يوم ، وكنت ضيفا على مائدته بنادي « أكسفورد كمبرج » اللندني ، فى حديث لي معه : اني درست بالقرويين .. فما زاد على أن علق هذا بقوله : انك اذن علامة .. !! فعلمني هذا التعليق ( الانجليزي ) أن الرجل محيط بدقائقنا ، مطلع جد الاطلاع على أحوالنا ..

واجتمعنا ثلاث مرات بتطوان ، وسافرنا معا الى الرباط ، كما اجتمعنا مرارا باسبانيا ، فما استطعت فى هذه المرار ، أن أزوده بشيء جديد عن المغرب .

وبالجملة ، فان المؤلف من الكتاب الخبيرين بالمغرب وشؤونه ورجاله ، متثبت فيما يكتب ، معتمد فيه الى أقصى حد وكتابه هذا الذي صدر سنة 1965 ، هو حلقة أخيرة من سلسلة كتاباته عن المغرب ، وقد استرعت قراءتنا له هذه الجزئيات التي سجلناها منه ، وهي كما يلي :

فى الصفحة 14 يذكر أن الاقطار الواقعة جنوبي المغرب ، يمثل أهلها المغاربة اكثر مما يمثلون غيرهم

1) ذكرت هذه الدار ، على ثني الصحيفة المذكورة من الغلاف ، أنها اصدرت وستصدر ، الى جانب كتاب المغرب ، الكتب الآتية : يوغسلافيا ، اندونيسيا ، الهند ، البرازيل ، الفلبين ، الصين ، جزر الهند الغربية ، غانة ، استراليا ، افريقيا الوسطى ، زيلندا الجديدة .
وبهذا نرى أنها لم تذكر الكتب المذكورة ، على أنها سلسلة صدرت بالفعل كلها ، كما أنها لم تجعل مؤلفي هذه الكتب من المستشرقين كلهم ، أو بعبارة أن الاسماء التي ذكرتها لهؤلاء المؤلفين ، ليس أصحابها جميعا من رجال الاستشراق ، بل اغلبهم لايعد من الاستشراق فى شيء ، واخيرا فانها اكتفت بذكر هذه الكتب ولم تزد « الخ » .

2) فالمؤلف ليس « بروفيسور » كما نعته بعضهم خطأ أو غلطا .

كتاب المن بالامامة

# السفر الثاني لعبد الملك ابن صاحب الصلاة

للأستاذ محمد بن تاويت

وهـذا مرجع آخر من مراجع تاريخنا المغربي، او مصدر كذلك من مصادره، ظهر للوجـود العام، بعدما كنا نسمع عنه ونتوق لرؤيته، نعـم : لقد ظهـر هذا السفر في أحسن ما يكون الظهور، وتجلى في جلوة انيقة بديعة، بفضل ما اظهره به وجـلاه، صديقنـا الاستاذ عبد الهادي التازي، الذي انفق فيه السنين دائبا في عمله، باحثا في دراسته، فكان بحق باكـورة من بواكير الاعمال المتقنة العلمية التي نرجو لها التقدم والازدهار، بين دارسينا وبحاثتنـا .

وان كلية آدابنا، وقد منحته بهذه الدراسـة الممتعة، درجة امتياز في دبلومه العالي، لمحقة في هـذا التقدير، وواضعة للاشياء في نصابها، مـن العـدل والاحسان، فان عمل صديقنا التازي ليس بهين، وان ما اضفاه على ذلك من حواش وتعليقات، ليزيد في عمله وزنا راجحا، كان بـه من المفلحين الفائزيـن .

يعد كتابنا مصدرا هاما في تاريخنا – كما قلنا – وكنت من قبل بخمس عشرة سنة، قلت لصديقـي المنوني : « اني لاجد اختلافا بينا في اسلوب ابن عذارى خصوصا في جزئه الثالث، الذي بدأ بالموحدين وانتهى ببداية المرينيين، فهـذه النهاية او النهايات لتختلف اختلافا صارخا في اسلوبها عن باقي الكتـاب » . واذا بابن صاحب الصلاة، يدلي بأسلوبه – حتى في المواطن التي لم يعلن عنه – ومن الدلالات على ذلك، ما أتى به الاستاذ التازي، مقارنا بين نصوص الكتاب، وبيـن ما ورد منه في عدة مدونات، منها مدونة ابن عذارى . . فابن القطان في نظمه، وابن الابار في حلتـه وتكملته، وابن عبد الملك في ذيله وتكملته، والجزنائي في زهـرة آسه، وابن ابي زرع في انيسـه، وابـن الخطيب في احاطته، والمقري في نفحـه، وصاحب الحلل الموشية، جميعهم نقلوا عن الكتاب الا يكن بالنص – كما فعـل ابن عذارى – فبالاحالة عليه، والاعتماد على ما ذكـر في تاريخ الموحديـن .

ومن المؤسف ان الكتاب، لايعرف منه حتى الآن الا هذا الجزء، من اجزائه الثلاثة، والا نسخة واحدة من هذا الجزء بالذات، ولا شك ان الاستاذ التازي لاقى عناء شديدا في تخريجها، ولولا رجوعه الى تلك النقول عنه، والى تلك الايماءات المقتضبة اليه، لما كان عملـه هذا يتم بتلك الصورة التي وصفنا آنفا . .

ومع هذا المجهود الشاق، فان السفر ما تـزال فيه فجوات، يحس الاستاذ التازي – كمـا نحس – بضرورة سدها، ولكـن كيف ومتـى ؟ ذلك موكول بالصدف، نعـم : الصدف التي لا يحسب حسابهـا، ولكنها تفاجيء مفاجآتها السارة، بظهور كنوزها بعـد الخفـاء .

ومن الملاحظات القيمة، التي لاحظها المحقـق، ما ورد في التعليق (7) من الصفحة 453 . وهي ان ابن صاحب الصلاة ( لم يعبأ بشعر الجراوي )، وهـذه ملاحظة على ايجازها، تشير الى التعصب الذي كـان في ابن صاحب الصلاة، فهو لم يعبأ بالجراوي وحـده من ادباء المغرب، بل لم يعبأ بأحد منهم، واقتصر على ادباء وشعراء الاندلس، فذكر ما قالوه من شعـر في مناسبات شتى، ويبدون ان يبخسهم في شيء، ولـم يذكر لابن حبوس الفاسي الا بيتا واحـدا من قصيد وصفه غيره بأنـه حسن .

وعلى كل حال، فالمهم من هذا السفر انه يفيدنا افادة تفصيلية عن تلك الحوادث التي اتصلت بفتـرة من فترات العهد الموحدي اي منذ سنة 554 الى سنة 569 . وكانت في الواقع فترة حافلة ومهمة في توطيـد دعائم هذه الدولة العظيمة . يتخلل ذلك كله، وقفات منه خاصة، كالتي وقفها عند التعريف ببعض الرجال،

وفى الصفحة 85 يذكر أن يعقوب لما بنى المدينة البيضاء ( فاس الجديد ) وجعل حارة اليهود بازاء تلك المدينة ، اراد بذلك ان يكون ( الملاح ) تحت حمايته المباشرة .

وفى الصفحة 97 يذكر أن هجومات الاسبان على السواحل المغربية ، بدأت قبول سقوط غرناطة بنحو مائتي سنة ، الا انهم كانوا يردون عنها خائبين منهزمين وفى سنة 1400 تمكنوا من النزول قرب تطوان ، حيث تمكنوا منها وقتلوا نصف سكانها واسروا نصفهم الباقي.

وهذه الكارثة اشار اليها صاحب الاستقصا ، نقلا عن معاصره المؤرخ الراهب منويل ، لكنه ذكر أن اهلها جلوا عنها قبل احتلالها ، وذكر هذا كذلك صاحب تاريخ تطوان ، الاستاذ داود ، الا انه نقل عن غيره أن الاسبان اسروا معظم اهل المدينة او من بقي بها ، ولم نر لغير المؤلف من نص على تلك المذبحة التي اتت على نصف سكان تطوان ، ولا بد انه اعتمد فى ذلك على وثائق لم نطلع عليها .

وفى الصفحة 103 ذكر ان مولاي عبد الله السعدي ، كان يطلب معونة فرنسا ، ويحاول أن يحصل منها على فرق عسكرية يجلبها .

وفى الصفحة 107 ينقل عن الادريسي أن السكر كان معروفا بالسوس من قديم ، وعلى الاقل فى أواسط القرن الثاني عشر .

وفى الصفحة 108 وما بعدها ، يذكر ان المنصور السعدي كان جادا فى غزو اسبانيا ، وانه طلب من الزابيث أن ترسل اليه مائة سفينة يعبر عليها جيشه الى جنوب اسبانيا على أن يؤدي عن ذلك 150.000 دوقة بمجرد ما تصل هذه السفن الى الموانىء المغربية ، لكن هذا لم يوافق عليه ، ثم لما رأى نفسه عاجزا عن مد سلطانه نحو الشمال حيث اسبانيا ونحو الشرق حيث الاتراك ، اتجه نحو الجنوب ، فكان فتح السودان المعروف .

وفى الصفحة 110 ذكر انه لما احتل الانجليز « والدوتش » مدينة قادس رأى هؤلاء الاخيرون أن يسلموا المدينة للمنصور وحصل الاتفاق على هذا ، وعلى أن يرسل الى المنصور سفير فى طلب المراكب والرجال والمؤن ، لكن الفكرة الغيت فى اليوم التالي .

وفى الصفحة 111 ذكر أن الزابيث كانت تنتظر من المنصور معاونته فى فتح أميركا وأخذها من يد الاسبان، لكن المنصور كان راغبا فى فتح اسبانيا نفسها ، ومما تجدر ملاحظته أن الوثائق التي نشرنا بعضها نصت على طلب الزابيث من المنصور مشاركتها فى فتح الهند ، بدل اميركا ، وهو ما كان معروفا آنذاك غلطا من القوم ، حيث اعتقد الفاتحون الاول انهم فتحوا الهند ، وما زال هؤلاء الاسبان يسمون سكان اميركا الاصليين ، هنودا.

وفى الصفحة 116 ذكر ان الخضر غيلان كان العدو اللدود لانجلترا ، على حين كان العياشي يوصف للملك جمس بأنه الصديق والولي الاعظم ، وهذا الوصف ما وجدناه عند جون هرسون ، فى رسائله وتقاريره العديدة التي ترجمناها ، فى العددين التاسع والعاشر من « تطوان » .

وفى الصفحة 118 ذكر أن المورسكوس المهاجرين الى المغرب، طلبوا من فليب الرابع أن يسمح لهم بالعودة الى اسبانيا والمعلوم لنا أن رجال هذا الملك ، كانوا يتصلون بهؤلاء سرا ، ويستدرجونهم للعودة الى اسبانيا ، وهذا ما ذكره هرسون فى وثائقه السالفة الذكر .

وفى الصفحة 119 ذكر ان ملوك أوربا كانوا حريصين على اتخاذ الاسرى المغاربة ، عاملين فى أساطيلهم ، ولهذا لما طلب من لويس الرابع عشر أن يجري الافتداء بين الفرنسيين والمغاربة ابى ذلك ، حرصا منه على هؤلاء الذين كانوا أقدر من غيرهم على القيام بالاعمال الشاقة .

وفى الصفحة 122 يذكر أن المولى محمد بن عبد الله ومن اتى بعده ، كانوا ميالين للتجديد الوهابي عاملين على تثبيته .

وفى الصفحة 124 ذكر أن يوسف «بونبرط» عرض على المولى سليمان أن يرجع الى المغرب مليلية وسبتة مقابل أن يعترف له بكونه ملكا على اسبانيا ، فأبى المولى سليمان ، ولا ندري لهذا الاباء وجها ، الا أن تكون الدبلوماسية الدخيلة عملت فيه ، أو يكون الخوف من شبح المستقبل الداهم أملى عليه ذلك ، وعلى كل حال ، فهي غلطة منه رحمه الله .

وفى الصفحة 125 يذكر أن انجلترا ، تظاهرت للمولى عبد الرحمن بكونها حامية لسيادة المغرب ، بينما كانت هي نفسها تعمل على أن تنال امتيازات خاصة بها فى المغرب .

وفى الصفحة 202 لاحظ أن المغرب الآن يلائم بين التقاليد القديمة والحياة العصرية .

وهكذا فالكتاب مفيد لنا فى بعض معلوماته ، كما هو مفيد لغيرنا فى التعرف على البلاد والاطلاع على ماضيها وحاضرها .

تطوان : **محمد بن تاويت**

يدع من بحاجة الا قضاها
والصواب من حاجة
صفحة 288
فكان الاقطار عنكم تحيى
بنسيم الرياض بعد الفطار
والصواب « القطار » جمع قطر .
صفحة 289
وعفا على البعاد فانا
قد اخذنا للبعد منه بثار
هكذا اورد الشطر الاول وفيه اخلال بالوزن والمعنى .
صفحة 325
بلجت بكن حجج الكتاب المنزل
ونصرتم نصر النبي المرسل
والصواب « بكم » .
صفحة 328
هنئت مولانا أبا يعقوب بما
خولت من فتح أغر محجل
والصواب « ما » بدل بما .
صفحة 330
وجرى ملك السعادة بالتي
جثمت على كسرى وفلت قيصرا
والصواب وجرى لها ملك .
سلطان وضاح الجبين متوج
وتقى نقي الجنب اشعت اغبرا
والصواب ـ كما يبدو ـ بتقي ، وفى سلطان منع ما يصرف .
لامام عدل بالعبادة ناشيء
لم يصب قد عقدت يداه المئزرا
والصواب « مذ » بدل قد ، وهو تعبير مطروق في الكناية .
فاجل الظلام بنور غرته التي
فضحت أشعتها الصباح الانورا
والصواب ـ كما يبدو ـ يجلو .
صفحة 331
تلفي لها اثرا بكل تنوفة
وترى لها في كل افق عتبرا
والصواب « عثيرا » .
صفحة 335
هبني نبت نبتي أوطاني لبعدكم
افي جواركم ينبوني الوطن
والصواب « بي » بدل نبتي .

صفحة 336
وخاصمنا بأسنة العوالي
فكان الفلح وانقطع الخصام
والصواب « الفلج » بدل **الفلح .**
صفحة 361
وكيف يفوتكم هارب
والله مطلوبكم **يطلب**
والصواب « ولله » ( **بفتح اللام ) بدل والله .**
صفحة 362
تود الكواكب لو انها
من بعض جندكم **موكب**
والصواب « جنودكم » .
الست الذي بمقاماته
يبأى على المشرق **المغرب**
والصواب « تبأى » .
صفحة 364
وللامام ابي يعقوب **مشبههم**
ومن تقيلهم في **القول والعمل**
ضبطت « مشبههم » بالتشديد **والصواب عدمه.**
صفحة 365
ومن لهم راحة سحاء مذ خلقت
لم يحفل الناس يالوكافة **الهطل**
والصواب « بالوكافة » .
صفحة 385
ولولا الذي نرجوه من بركاتكم
اقامت عللل دين **المأثما**
والصواب « المآتما » .
صفحة 426
وبالفوغاء مفترين في جبل
بناعق شأنه في **الناس تضليل**
والصواب « ويا لفوغاء » .
صفحة 459
ما السعد الا مايشال وفوده
وذر السعود **قد غدث جدامها**
والصواب « غدت »
الى جانب تعبيرات راقت الاستاذ **من الشرق** فاستعملها ، وان كانت العربية **لا ترضى عنها ، مثل:** ( لكنها هي الاخرى ) 28 و (كما وليس ) **127 تـ 3.** **وهذه من توافه الملاحظات لكننا يجدر بنا ان نقف حتى** عند التوافه ، خصوصا ان كان خطرها **مما يستفحل،** وبلواها **مما تعم .**

**تطوان ــ محمد بن تاويت**

او بعض المعاهد ، كوقفته باشبيلية عند بناء جامعها الاعظم ، او وقفته عند بناء رباط الفتح ، مما لانكاد نظفر بتفاصيله عند غيره .

واخيرا فانه مما يسرنا من هذه الطبعة ، انها قليلة التصحيف والتحريف ، الا فى اماكن من نصوصها الادبية ، والشعر منها بالخصوص ، كما نجد ذلك فى الصفحات الآتية :

صفحة 121 ( بالهامش )
يطالع الأسد اختط البناء بها
لكنك الاسد الداي الاظافير
والصواب بطالع
صفحة 132
تتسنى لاهل الحق نيل مرادهم
وطاب لهم فيما يرومونه الورد
وصوبه تسنى
صفحة 158
تعوو عليه ذكاء وهي قد نهبت
فتسجد اناة من سنى المقل
ضبط ذكاء بالفتح ، وصوابه ذكاء بالضم علما للشمس
صفحة 164
اتتك تشكر ما اوليت من نعم
( تعم ) وانما أرج النوار للسحب
ولا محل لتعم التي اختل بها التوازن
صفحة 160
اذا ام ارضا للنزول تنوعت
منابتها مسكا لمن هو ناشق
وصوابه تضوعت
صفحة 166
له سيمة ترتاح للبذل والندى
وكف لتفليق الجماجم وامق
وصوابه شيمة .
صفحة 210
يفنى ويفنى راضيا او ساطيا
ويفي ببذل مواهب ونوائب
وصوابه يقني .
صفحة 241
ترك المهاد ليسرج اجرد سابح
وصفا عليه سرده الموضون
وصوابه لسرج .
صفحة 242
خذن التقي وسليل أنوار الهدى
أدته عن خير الظهور بطون
وصوابه خدن .
صفحة 243
ولكنها عين اليقين بأنها
قد اوقدت بك للهدى مصباحها
والواب اسقاط الواو .
صفحة 248
وسايل به تخبرك عن عزماته
سوائل من ماء الحديد رواكد
ضبط تخبرك بالتشديد والصواب عدمه .
صفحة 253
خذوا بحظكم يا اهل اندلس
منها فما لفاو بها من بعدها رشد
والصواب – كما يبدو – فليس لفاو بعدها رشد ، او اسقاط « منها » فيستقيم الوزن .
صفحة 256
ودونكم من قوافي في مدحكم حبرا
تبلى الليالي وهن الفضة الجرد
والصواب اسقاط « في » والجدد بدل الجرد.
صفحة 257
همام اذا هم نال مراده
ولو انه امسى على قمة النسر
والصواب اذا ما هم .
صفحة 260
وضحت بأنوار الهدى قسماته
وبانت الهدى القويم سماته
والصواب وابانت .
صفحة 261
كثرت فضائله فكاثرت الحصى
عدا وقد فلت سنواته
والصواب – كما يبدو – وقد قلت به سنواته.
يلهيه روض والقنا دوحاته
والبيض زهر والدماء شقرانه
والصواب قصر الدماء .
صفحة 262
سيف بكفك مصلت تسطو به
ماضي الشبا لا تتقي نشواته
ضبط مصلت بالتشديد ، والصواب عدمه .
صفحة 268
عسى الجود يحظيه بصهوة صافس
يشق على ذى السبق شق غباره
والصواب صافن ، بدل صافس .
صفحة 284
سيقضي حاجها الرب الذي لم

ولكني اشهد ان « انور الجندي » قد جمع بين الخلتين فهو موسوعي الى حد الاستجابة الى كل مقتضياتها ، فهو يحيط بشتى عناصر موضوعه وهو يحتفل بكل مقوماته ، ويذكر من استحق ان يوصف بانه اديب او كاتب او صاحب فكرة وقلم ، مع الامانة فى عرض خلاصة انتاج اي كاتب او اديب ، حتى لقد يتصور القارىء انه متعاطف مع كل من يترجم له . ولكنا نراه فى نفس الوقت ملتزما كأدق ما يكون الالتزام لفكره وعقيدته فلا ينظر للامور الا من خلال التزامه ، حتى ليضيق به الانسان احيانا فيتصوره متزمتا مبالغا فى تزمته .

ولم يكن باستطاعة « انور الجندي » ان يجمع بين هاتين الصفتين الا للتوازن العجيب بين قوة عقله وقوة وجدانه فى ذات الوقت فهو فى عمله كاتب موسوعي يطلق لعقله العنان فيرى زوايا الحقيقة المتعددة التي يمكن النظر اليها من خلالها ، ومن هنا فهو يستوعب وجهة نظر اي مفكر ويحتفي بثمرة فكره وجده ، ايا كانت هذه الثمرات والافكار ، وهو فى نفس الوقت قوي الايمان بعقيدته عظيم الاعتزاز بما يسميه « قيم الفكر العربي الاسلامي ومقوماته » ومن هنا يحس الانسان بعاطفته القوية العاصفة التي تنطلق دون ان تلوي على شيء ، تتصدى لكل ما يعتبره تحيفا او تنقصا من التاريخ العربي الاسلامي او التراث العربي الاسلامي .

والحق ان ليس هناك ما يعكس شخصية الانسان مثل كتاباته وانتاجه بصفة عامة ، ذلك ان انتاج اي انسان سواء كان ماديا او معنويا هو جزء من الانسان ذاته ، وهو اظهر ما يكون فى دنيا الفنون والفكر .

ولقد سعدت فى السنوات الاخيرة بمعرفة « انور الجندي » شخصيا فوجدت فيه هذا الازدواج الفكري والعاطفي ، فهو يخالط الناس جميعا بروح سمحة ونفس صافية ، يعقد الصداقات ويصل خيوط المودة بينه وبين العديد من الكتاب والمفكرين والادباء على اختلاف مناهجهم ومشاربهم ومعتقداتهم ، وهو يكتب عنهم من حين لاخر عارضا افكارهم في موضوعية لا تتأثر برايه الخاص وعقيدته ، كما فعل فى مقاله عن طه حسين فى عدد مجلة الهلال الذي صدر تكريما لطه حسين ، ولكن ذلك لا يحول بينه وبين تقويم اتجاهات طه حسين الادبية والفكرية وصلتها بحركة التغريب التي تصدت لغزو الفكر العربي الاسلامي .

**معالم الفكر العربي والثقافة العربية المعاصرة :**

ولعل الكتابين الاخيرين اللذين اصدرهما « انور الجندي» اخيرا وهما « معالم الفكر العربي المعاصر» و « الثقافة العربية المعاصرة » واخرجهما فى مجلد واحد كبير يناهز الخمسمائة صفحة من القطع الكبير هو خير تجسيد لطابع « انور الجندي » فى انتاجه ومؤلفاته العديدة ففي هذين الكتابين نرى « انور الجندي » ملتزما اشد الالتزام بما يسميه « الفكر العربي الاسلامي » وكل ما يتصل به عن قرب او بعد ، حتى ليحاكم كل محاولة للتطور او التجديد التي لا يمكن ان تظهر فى كل عصر من العصور الحية فى ضوء هذه الحملة الخفية حينا والعلنية فى اكثر الاحيان « لتغريب » الفكر العربي الاسلامي ، فنشر الكتب الادبية القديمة كالاغاني والف ليلة وليلة ورباعيات الخيام ، والتحدث عن الادب الشعبي والفن الشعبي ومايسمى «الفولكلور» وما يتصل بمظاهر لهذه الحرب المسمومة التي يشنها دعاة الشعوبية والتبشير والتغريب فى مواجهة الفكر العربي الاسلامي .

وهذا هو « انور الجندي » الملتزم ، انور الجندي المعتز بالفكر العربي الاسلامي .

والى جوار هذا الخط الواضح من الالتزام بفكرة الكاتب وعقيدته كما يمليها عليه ضميره ، يقابلك فى الكتابين « انور الجندي الاخر » و « انور الجندي الموسوعي » ، « انور الجندي » صاحب الفكر المفتوح .

وهذا الفكر المفتوح يشغل عند « انور الجندي » جبهة عريضة جدا تبدا من الحضارة الغربية فى مجموعها ، حتى اشد الكتاب امعانا فى محاربة كل ما يلتزم به « انور الجندي » من امثال الاستاذ سلامة موسى او الدكتور طه حسين .

فهو يقرر فى غير تحرج او تردد ، انه ليس خصما للحضارة الغربية ولا هو خصم للفكر الغربي .

« فالحضارة الغربية مدنية انسانية عالمية شاركنا فى بنائها وكان لنا دورنا فى تكوينها ، وهي حق مشاع لكل الامم والشعوب ، ولسنا خصوما

# معالم الفكر العربي المعاصر

## للأستاذ : أنور الجندي

## عرض ودراسة

بقلم الأستاذ : أحمد حسن المحامي

**صدر كتاب ((معالم الادب العربي المعاصر)) للاستاذ الكبير انور الجندي فى مجلدين ويضم معه كتاب (( الثقافة العربيــــة المعاصرة )) فى 500 صفحة من القطـــع الكبير وقد تفضل الاستاذ الكبير احمــد حسن المحامي بعرض هذا الكتاب الجديد وخص بدراسته مجلة (( دعـــوة الحق ))**

تدور هذه الايام مناقشات ومجادلات حول مـــا يسمونه « الالتزام » فى الادب والفن والفكر بصفـــة عامة ، وتتشعب القضيــة وتتفرع ، فحتى الذيـــن يقولون بالالتزام ، لا يلبثون ان يتفرقوا حول المقصود بالالتزام واي المناهج هي التي يتعيـــن على الكاتب او الاديب الالتزام بـــه ، فالبعض يرون رايـــا والاخرون يرون رايـــا مخالفا وهكذا ، ولعل من خيـــر ما سمعته فى هذا الباب ، القـــول بالتـــزام الكاتـــب او الاديـــب والفنان نحو ضميره ومعتقـــده ، فالاديب اي اديب او الفنان والمفكر لا يستحق هذا الوصف الا اذا كان لـــه هدف فى الحيـــاة ومنهج تنبثق عنه كل مناشطـــه وتصرفاته واقوالـــه ، فضـــلا عن انتاجه ومظاهـــر ابداعه بحيث يصبح هذا المنهاج وهذا الهدف هـــو مفتـــاح شخصيته وهو التفسيـــر لكل اعمالـــه وتصرفاتـــه .

على هذا الاساس وفى هذه الحدود ، يمكـــن ان يوصف « انور الجندي » بحق انه كاتب ملتزم ، يلتزم بفكرة معينة ، ولا يرضى ضميره الا عن منهج محـــدد ، ومن هنـــا تجيء كل مؤلفاته وتجيء كل احكامه مقيسة بهذا المقيـــاس موزونـــة بهذا الوزن .

ولقد يعجب بعض الذين يتتبعـــون انتاج انـــور الجندي الوفير ان يوصف بالالتزام وقد يؤثـــرون وصفه بالموسوعية ، فهو موسوعي فى كل ما يكتب يضم الشتـــات ويجمع المعارف وينسق الحقائق ، بـــل لقد كان اول عربـــي «فيما نعرف» فى العصر الحديث ، من يضع موسوعة للادب فى المائة عام التي تبدأ من عام 1840 حتـــى 1940 ، حيث استعرض مئـــات مـــن اعلام الادب والفكر والصحافة ، رجالا ونساء ، شعراء وكتابا ، فتحدث عن آثارهـــم ، وسجـــل افكارهـــم ، ولخص معاركهم ، على ما فى هذه الافكار والاراء مـــن تعارض وتناقض فى اكثر الاحيان فذلك هو ما تقتضيه امانـــة العلاج الموسوعـــي .

ومن هنا يبدا العجب ان يجمع انـــور الجنـــدي بين هاتين الصفتين صفة الالتزام ، وصفة الكاتـــب الموسوعي فالالتزام تمسك بما يعتقده الكاتب وشجب لما عداه من آراء وافكـــار واشخاص لا تدين بما يلتـــزم به الكاتب ، والموسوعية تستلزم نقيـــض ذلـــك ، اذ يتعيـــن على الكاتب الموسوعي ان يكـــون موضوعيـــا ، بعيـــدا عن التحيز بعرض الاراء كلها فى تجرد ويقف من اصحابها وقائليها موقف الحيـــاد المطلق .

ويطول بنا المدى لو حاولنا تلخيص اي من هذه الفصول ، وما جرى فى مختلف المعارك من مد وجزر وانتصارات واخفاق .

## الثقافة العربية المعاصرة :

اما الجزء الثاني من الكتاب والذي يعتبره « انور الجندي » كتابا مستقلا على الرغم من صدوره فى مجلد واحد مع الكتاب الاول ، فهو بمثابة المذكرة التفسيرية للكتاب الاول ، فحيث لخص الكتاب الاول وادمج وحلل فقد سرد الكتاب الثاني وفصل وسجل فى غير تعليق بطريقة « انور الجندي » الموسوعية ، فهو يثبت خمسا وسبعين معركة فكرية دارت على صفحات الصحف ، دون ان يقيم الدعوى على ان من اطراف هذه المعارك، فضلا عن ان يحكم عليه ويدينه ، بل لقد يحدث ان ينقل عن احد الكتاب ما يستشهد به فى دعوته للتغريب ، ثم ينقل عنه هو نفسه اقوالا ضد بعض تيارات التغريب كما هو انسان بالنسبة لسلامة موسى «ص 192» وهكذا يحس الانسان كما ذكرنا من قبل انه لا يحمل لاي من هؤلاء الكتاب الذي يكتب عن معاركهم والذي يلقي الضوء على انتاجهم باعتباره جزء من حملة الشعوبية والتبشير والتغريب التي سلطت على الفكر العربي الاسلامي وثقافته ، ضغنا او حقدا ، وهو لا يغض من زقاق فحولتهم اوعملهم اذا كان هذا هو استحقاقهم وقدرتهم .

ولا يمكن الا ان يحس القارىء العادي بالمتعة وهو يطالع تفصيل هذه المعارك الادبية والفكرية الخمسة وسبعين والتي شملت تقريبا اكثر الموضوعات التي يمكن ان يدور حولها الجدل فى كل زمان ومكان والتي ستظل تدور ، فالكتابة باللغة العربية او العامية ، والدين والعلم ، واقليمية الادب ، وتحرير المراة ، وحدود النقل والترجمة والاقتباس ، وتصل اللغة عن الدين ، والغيبيات والاساطير .. والحملة على الاطلاق ، والامية والشعوبية وهكذا .

وبالنسبة لي باعتباري واحدا من الشيوخ المخضرمين ، فقد اعادت مطالعة هذه المعارك ، كسابقتها فى كتب الاستاذ انور الجندي ، الشباب الي ، ولقد كان لنا مشاركة فى بعض هذه المعارك، وكان بعضها يدور حولنا دون ان يثير اهتمامنا ، فقد كان لنا ساعتئذ ما يصرفنا عن متابعتها ، اما الان وبعد ان ولى الشباب ومضى ، فكل من هذه المعارك تثير اهتمامنا، وتشغل تفكيرنا ، وهو ما يجعلني اسمح لنفسي ان اخرج عن قاعدتي فى عدم الدخول مع مناقشة الاراء الاستاذ انور الجندي ، لاسجل واقعا احسه من نفسي وجربته بتجربتي .

فالاستاذ انور الجندي ، يصور المعارك الخمسة وسبعين والتي هي جزء من فيض اكبر على انها نموذج لحملة التغريب التي سلطت على المجتمع العربي الاسلامي لتوهينه واضعافه ، واحمد الله انني قد عرفت نفسي وانا اؤمن بالاسلام وبوطني وعروبتي ومع ذلك فقد وجدت نفسي منساقا فى فترة من فترات شبابي المبكر الى الدعوة الى الفرعوية ، والتعلق بالمسرح الاوربي ، واخيرا الاغراق فى حب مصر والدعوة الى الوطنية المتطرفة ، ولم يكن ذلك ينبع بحال من الاحوال الا من الرغبة فى العمل من اجل بعث المجد المصري والعربي والاسلامي .

وعندي انه لا يمكن لاي مفكر او اديب او فنان ، ان لا يتاثر فى وقت من الاوقات وفى مرحلة من المراحل بالتيارات المختلفة التي تهب على مجتمعه من شتى نواحي العالم ، ولكنه لا يلبث مع الزمن والتجارب ان ينتهي الى النضج ، وما يكاد يكون نوعا من المحافظة على القديم بعد الافراط فى التعلق بكل ما هو جديد وافكر ان يكون فى ادباء العصر من يستحق صفة الاديب الحق لجهلهم الادب العربي القديم ، وانكر كل حديث فى الكتابة بالعامية . والدكتور طه حسين الذي انتهى الى هذه النهاية ، هو طه حسين صاحب اكبر منصب من هذه المعارك وحملات التعريب التي اثبتها الاستاذ انور الجندي فى كتابه ، حيث لم يسلم من معول الدكتور طه حسين اي قدس من مقدسات المجتمع العربي الاسلامي سواء بالنسبة لتراثه او تاريخه او دينه .

واعود بعد هذا الاستطراد الى معارك الاستاذ انور الجندي كما اختارها وسجلها واشهد من جديد انني كنت اطالعها بشغف ولهفة كما لو كانت رواية بوليسية ، والحق ان الجدل والحوار سيبقى هو اعلى اللذات العقلية على الاطلاق ، ويرى الانسان فى هذه المعارك التي بعثها الاستاذ الجندي من مرقدها ، الى اي مدى يصل الجموح والتطرف فى الافكار عند

للفكر الغربي اصلا ، الا حين يحاول هذا الفكر ان يسيطر علينا لحساب النفوذ الاجنبي ، يحمل عصارات من الابداع والعبقرية فى مجالات الفلسفة والفن والادب والتاريخ تتجه نحو ترقية الانسانية.

ولست احسب ان اعظم المشيدين بالحضارة الغربية يمكن ان يصفها بأعلى من هذا الوصف .

وهو عندما يدعو فى الحاح ومثابرة وتحمس للفكر العربي الاسلامي والتراث العربي الاسلامي ، وكل مقومات الحياة العربية الاسلامية فهو لا يدعو الى :

« فكر جامد ولا متخلف ولا متوقف عند الماضي ولا دافع الى الارتداد او الرفض لمنطق الحياة والتطور ، بل هو متبلور حي قادر على الحركة مواجه النهضات والثقافات ، قادر على الانتفاع بكل جديد يأخذ منها ويعطي لا يبعدها بالتعصب ولا يصد نفسه عنها بالعقد » .

واشهد مرة اخرى ، انه لا يمكن ان يعبر عما يجب ان يكون عليه موقف المجتمع العربي الاسلامي فى مواجهة التيارات العالمية ، بأروع من هذا التعبير وادقه واشمله . ونتعرض بعد ذلك لمحتويات الكتابين :

**الكتاب الاول :**

فاما اول الكتابين وهو « الفكر العربي المعاصر» فان الانسان ليحس منذ الوهلة الاولى عندما يشرع فى مطالعته ، انه قد حوى عصارة فكر الكاتب ، وثمرة اطلاعه وانه قد اريد به ان يكون بحثا عميقا اكاديميا . وابادر فأقول انني استفدت شخصيا من هذا الكتاب اعظم استفادة ، وعندي انه حتم على كل كاتب او اديب او مفكر فى مجتمعنا الحديث ان يقرأ ولا يمكنه ان يستغنى عن مطالعة هذا الكتاب ، الذي لخص وبلور التيارات والاعاصير الفكرية التي تعرض لها المجتمع العربي الاسلامي ، مذ علت موجة الحضارة الغربية وقوي سلطانها ونفوذها العسكري والسياسي والاقتصادي والفكري .

وليس الغزو العسكري والتسلط السياسي الذي وقع فيه المجتمع العربي الاسلامي ضحية العالم الغربي ، الا جزء من مخطط اكبر ، اريد به افتاء المقومات الروحية والفكرية للمجتمع العربي الاسلامي ، فقد سلطت على فكره وتراثه وثقافته ودينه ولغته ، عناصر التشكيك والتهوين والتنقيص ، فاللغة العربية يجب ان تزول وتموت ، والدين الاسلامي قد استنفذ اغراضه ، والثقافة العربية الاسلامية يجب ان تتلاشى وتزول لتحل محلها الثقافة الغربية .

والثقافة الغربية تقوم فى جوهرها واساسها على الوثنية الاغريقية التي تدعو الى الاستغراق فى المادة ، بعد ان اضيف اليها النظرة الرومانية التي تعتبر جميع البشر ما خلا « روما » عبيدا ، زائدا المسيحية التي جردت من روحها الشرقية واغرقت فى الوثنية والاغريقية .

بحيث يمكن القول ان الثقافة الغربية والفكر الغربي يقوم على ثلاث اسس : 1» الغاء فكرة الالوهية والدين . 2» مادية الحياة . 3» حيوانية الانسان باطلاق غرائزه.

وقد سرت هذه الاسس الثلاث الى سائر النظريات الغربية ابتداء من نظرة « كارل ماركس » لمادية التاريخ ، او عدمية الوجودية كما يمثلها « سارتر » ومادية السلوك والتربية « جيمس وديوي » ونظرية الجنس « فرويد » .

ذلك فى الوقت الذي يقوم فيه الفكر العربي الاسلامي على اساس يخالف ذلك كل المخالفة ، حيث يمثل الايمان بالله والمثل العليا والروحانيات جوهر النشاط الانساني و « انور الجندي » حريص كل الحرص على ان يعزل المجتمع العربي الاسلامي عن بيئة الشرق الذي يقول عنه ان جوهر حياته هو الروحانيات المطلقة ، بينما يمثل الفكر العربي الاسلامي « الوسط » بين الاغراق فى الروحية والمادية . ولست الان فى صدد مناقشة هذه التحديدات الصارمة ، بين فكر يوصف بأنه شرقي، وآخر بأنه غربي ، وقالت بأنه عربي اسلامي ، فلذلك محله فى مناسبة اخرى ، اما الان فنحن بصدد عرض كتاب الاستاذ الجندي ، والذي يمضي فى تتبع محاولات التغريب فى شتى ميادين الفكر والثقافة العربية الاسلامية سواء فى حقل الدين او اللغة او التراث والتاريخ والاداب والقومية .

# الإسلام والمسلمون في المانيا بين الأمس واليوم

للشيخ فؤاد طبارة

**بقلم : الشيخ طه الولي – عدد الصفحات – 208 – من القطع الكبير ،**
**نشره : دار الفتح للطباعة والنشر في بيروت، طبع على مطابع دار لبنان ببيروت**

الشيخ طه الولي من اعلام مدينة بيروت وعلمائها. وهو احد القلائل الذين يجمعون بين الثقافتين الدينية والمدنية ، اذ هو حائز على اجازة في الدراسات الاسلامية من كلية اصول الدين بالازهر الشريف في مصر ، وعلى ليسانس في القانون من معهد الحقوق بجامعة القديس يوسف اليسوعية في بيروت وقد منحته جامعة فينا مؤخرا ، ديبلوم علم المكتبات ، ثم انه أمين سر جمعية المكتبات اللبنانية التابعة لمنظمة ( فياب ) التي تنتظم جميع المكتبات العامة في العالم .

ان الشيخ طه الولي لا يقصر ابحاثه وتحقيقاته على اللون الديني الاسلامي وحسب ، بل هو كثيرا ما يعالج بكتاباته الموضوعات التاريخية ، لاسيما ما يتصل منها بالمسلمين والعرب . وهو اليوم بسبيل اعداد موسوعة ضخمة عن تاريخ مدينة بيروت ، عاصمة الجمهورية اللبنانية ، تنطوي على كل ما يتصل بهذه المدينة العريقة منذ تأسيسها لاول مرة ، حتى أيامنا الحاضرة . وتدل المقالات التي نشرت من هذه الموسوعة أن الشيخ الولي يبذل مجهودا كبيرا في اعداد هذا التاريخ لكي يكون كتابه مصدرا أساسيا يعتمده كل من يرغب في الاطلاع على المراحل التي مرت بها هذه المدينة قديما وحديثا في مختلف اطوارها وظروفها من عمرانية أو انسانية .

ولعلنا بغنى عن الاشارة الى المكانة العلمية المرموقة التي يتمتع بها الشيخ طه الولي في العالم العربي فضلا عن لبنان وها نحن اولاء في كلمتنا التالية نقدمه في اطار جذاب من الدراسات الاسلامية الممتعة التي سجلها في كتابه تحت عنوان : « الاسلام والمسلمون في المانيا ، بين الامس واليوم » ، ونحن على يقين من ان القراء سيجدون فيه العالم المحقق الذي تقرأ بحوثه الاسلامية والتاريخية بكثير من الشوق والعناية والاطمئنان ، نظرا لما يمتاز به من مبالغة في الحرص على قيمة كل كلمة يخطها بيمينه .

## الكتاب :

صدر الكتاب « الاسلام والمسلمون في المانيا بين الامس واليوم » في الشهر الماضي عن دار الفتح للطباعة والنشر في بيروت .

وهو يقع في مائتين وثمان صفحات من القطع الكبير موزعة على خمسة أبواب ، وفي كل باب عدة فصول . وهو كما يدل عليه التعريف الذي أتبع بعنوانه « عرض سريع لتطور الاستشراق في المانيا مع صورة عامة للنشاط الاسلامي الراهن فيها » .

وتدل المقدمة على ان المؤلف ، الشيخ طه الولي، وضع كتابه على اثر زيارة قام بها الى المانيا الغربية ، بدعوة من منظمة التبادل الجامعي في بون ، اتاحت له فرصة الاتصال الشخصي والمباشر بعدد كبير من العاملين في حقل الاستشراق الاسلامي من العلماء الالمان ، والتعرف الى مختلف الهيئات والمؤسسات الثقافية التي أخذت نفسها بالتوفر على الدراسات والابحاث الشرقية ، في تلك البلاد التي استطاعت أن

بعض الناس ، مما يجعلهم هم انفسهم اكثر الناس اشفاقا مما قالوا او كتبوا عندما يمتد بهم العمر ، كما انساق هو بالنسبة للدكتور طه حسين على ما اشرنا.

**المجتمع العربي والاسلامي :**

وقد خرجت من مطالعة هذا المجلد الاخير للاستاذ انور الجندي ، كما خرجت من مطالعة كتب مماثلة له من قبل ، بالشعور بالرضا والتفاؤل بالنسبة لما يصفه الاستاذ انور الجندي بالمجتمع العربي الاسلامي ، فما اكثر ما سلطت عليه الحملات العسكرية والفكرية والصليبية ، وما اكثر ما تصدر المتصدرون انه فقد كيانه وشخصيته وذاتيته ، ولكن هذه الحملات قد تكسرت كلها على صخرة هذا الجزء من العالم ، وخرج دائما قويا نابضا بالحياة كما هو نسأله هذه الايام بعد ان خلع عنه نير الاستعمار العسكري والسياسي ، وهو بصدد التحرر منه الان اقتصاديا وفكريا ، كما تدل على ذلك عشرات الظواهر والادلة .

**تحية للكتاب والمؤلف :**

وبعد فانني احيي الكتاب والمؤلف ، احيي الكتاب « رغم اختلافي مع الكثير من احكامه » باعتباره مظهرا لصلابة هذه الامة وعزمها على التمسك بشخصيتها وعروبتها الاسلامية ، والتصدي لكل محاولة لحرفها عن مناهجها الاصيلة .

واحيي المؤلف ، النموذج الكامل للكاتب العربي المسلم ، الذي يرى مع تفتح فكره وعقله ، واستعداده لتقبل كل تطور سليم ، ومسايرته لمتطلبات العصر والاوان ، قد ازداد ايمانه على ايمان واعتقادا فوق اعتقاد ، ان الاسلام هو « جوهر الفكر العربي والثقافة العربية » .. وانه الدين العام الخالد الذي يمكن للعالم تحت كل مبادئه الاساسية ان ينعم بالسلام والعدل والحق والاخوة البشرية .

**القاهرة ــ احمد حسين المحامي**

المساجد والجوامع التي توجد حاليا في الحواضر الالمانية ( الغربية ) الرئيسية، وهي المساجد والجوامع التي بنيت في تلك البلاد في ازمنة مختلفة من قبل مؤسسات اسلامية عديدة ، بعضها ينتمي الى اهل السنة والجماعة وبعضها الى مذهب الشيعة الامامية ، وبعضها الاخر على المذهب القادياني بفريقيه ( لا هور والربوة ) . وعبر الفصل الخاص بتعداد هذه المساجد والجوامع نجد صاحب الكتاب ينتهز الفرصة ليعطي القارىء بعض الايضاحات التي لابد منها عن حياة المسلمين الذين يقيمون اليوم في المانيا والظروف العامة التي تحيط بهم في نشاطهم وعبادتهم مشيدا بالروح الايجابية الكريمة التي يلقونها لدى الاوساط الالمانية ، من رسمية واهلية ، هذه الروح التي كان لها الفضل في « عودة صوت المؤذن ليطرق من جديد ، اسماع الاوروبيين من فوق المآذن التي شقت سبيلها الى ساحات المدن الالمانية العديدة ... » .

وفي ختام الكتاب ، فصل خاص بتاريخ العلاقات الديبلوماسية ، التي قامت ، على نحو أو على آخر ، بين المسلمين والالمان عبر اللقاء المثير الذي تم بين الراهب « جان » سفير « أوتون » الكبير امبراطور المانيا في القرن العاشر للميلاد وبين الخليفة الاندلسي عبد الرحمن الناصر ، ولم ينس المؤلف أن ينتهز هذه المناسبة لينفي جدية القصة التي ترويها المصادر الاجنبية الحديثة ، عن تبادل الهدايا بين الخليفة العباسي هارون الرشيد وبين مؤسس الامبراطورية الجرمانية المقدسة شارلمان لاسباب بينها في كتابه . ثم ينتهي الشيخ طه الولي من كتابه ، بفصل آخر جعل عنوانه « المانيا وقضية الاسلام الاولى فلسطين » قال فيه :

« وايا ما كانت المبررات التي تتذرع بها بعض الجهات في المانيا اليوم للتخفيف من اثر استجابتها للسياسة المغرضة بقبول العدوان المفروض على حق العرب بفلسطين كأمر واقع ، فان المسلمين في كل قطر من اقطارهم ، لا فارق بين حاكم ولا محكوم ، ليسوا على استعداد للاقتناع بجدية هذه المبررات ، والتسامح باستمرار استجابة الالمان لما فرض عليهم ، على حساب العدالة الانسانية ، التي لقيت مصرعها الفظيع على يد الشهوات الاستعمارية القاسية في فلسطين وقبولها كأمر واقع ... »

اما بعد ،

ان كتاب « الاسلام والمسلمون في المانيا بين الامس واليوم » يعتبر في الواقع ، محاولة جدية ، لتقديم دراسة علمية رصينة ، مدعومة بالمراجع الموثوقة الى المكتبة الاسلامية ، حتى يتاح للقارىء العربي الوقوف على ما يبتغيه من الابحاث التي تلقي ضوءا على تاريخ الاستشراق الالماني فيما يتصل بالقرآن الكريم وما انبثق عنه في مختلف العصور من العلوم والفنون في الشرق أو في الغرب وما اثاره من فضول في الدوائر الاوروبية بصورة خاصة ، كانت تتراوح بين سلبية التعصب حينا وايجابية التفهم حينا آخر تبعا للمناخ الفكري الذي كانت تعيشه هذه الدوائر .

ولعلنا لا نجور بالقول ولا نجنح الى المبالغة ، اذا اكدنا ، في هذه العجالة العابرة عن الكتاب الذي بين ايدينا ، بأن الدقة العلمية التي امتاز بها الشيخ طه الولي في معالجته المركزة لموضوعه المهم، جديرة بأن تلفت اليه الانظار كواحد من ابرز علماء الاسلاميات في لبنان .

بيروت — **الشيخ فؤاد طبارة**

تخرج بالعلوم العربية والاسلامية من ظلمة العواطف الدينية المتعصبة ، الى نور التحقيقات الموضوعية المتفتحة ، بما هيأ للباحثين فيها ، ظروفا ملائمة لرعاية اتجاه متميز للاقتراب من حقيقة الاسلام مما يمكن معه ، أن يصدق عليه وصف الروح الاكاديمية الصحيحة .

وتجدر الملاحظة ان الشيخ طه الولي ، وهو من العلماء البارزين فى لبنان ، حاول ، فى الواقع ، أن يجعل من كتابه ، أحد المصادر الحديثة فى تتبع الجهود التي بذلها المستشرقون الالمان فى السابق ، وما يزال خلفاؤهم المعاصرون على سننتهم ، فى محاولة الاحاطة بموضوع القرآن الكريم ، وفهم نصوصه اللغوية واغراضه التشريعية ، والتعليق على ما أثاره هذا الكتاب الديني العريق فى أوساط المؤمنين به ، من علوم وآداب وفنون ومذاهب عقائدية واتجاهات سياسية وفكرية .

وقد كان حديث المؤلف عن موقف الكنيسة — قديما — من القرآن الكريم ، سببا لان يتضمن كتابه فصلا خاصا عن تاريخ هذا الكتاب المقدس فى البلاد الاوروبية من ترجمة وطباعة ونشر ، بحيث يمكن القول، بأن هذا الفصل بذاته يعتبر الاحصاء الاول من نوعه فى اللغة العربية ، ذلك بانه يعطي القارىء فكرة علمية دقيقة عن دخول القرآن الكريم الى المؤسسات الدينية والعلمية فى الدوائر الاجنبية عن طريق ترجمته الى العديد من لغات الغرب والشرق ، ابتداء من القرن الحادي عشر للميلاد حتى ايامنا الحاضرة فى مطلع النصف الثاني من القرن العشرين . وقد احسن المؤلف العلامة صنعا بما عرض خلال هذا الفصل المهم من العكوس الشمسية التي تصور بعض النصوص الاصلية للترجمات التي أوردها فى اللغات التي أشار اليها ، الامر الذي يعطي القارىء بعض النماذج الواقعة لهذه الترجمات .

وقد اراد الشيخ طه أن لا يمر فىموضوع الترجمات الاجنبية للقرآن الكريم ، دون أن يبدي شكه فى قدرة المترجمين على بلوغ ما تطاولوا اليه من رغبة فى الدقة واصابة الهدف ، فقال : « ولسنا هنا فى مجال تحليل هذه الترجمات ومناقشتها فى قربها أو بعدها عن الغرض الذي تسامت اليه ! وانما نحن نحاول اعطاء القارىء صورة تاريخية عن هذا الموضوع الخطير والاشخاص الذين ندبوا انفسهم له . وليس من شك فى أن الترجمة الحرفية للقرآن الكريم ستبقى الغاية المنشودة ، كما انها ستبقى كذلك الغاية التي لن تدرك لان ترجمة الوحي الالهي الذي نزل به الروح الامين على قلب سيد المرسلين ، ليست بالامر الهين وفى ذلك يقول المستشرق الالماني « فيشر » :

« لا يداخل الذين تعمقوا باسرار العربية شك ، فى انه لا توجد بين ترجمات القرآن ، سواء أكانت كاملة أم قاصرة على بعض آيات منه ، ترجمة تفي بالمطالب اللغوية الدقيقة ! ... »

واذا تجاوزنا الاحصاءات التاريخية الدقيقة التي وضعها الشيخ الولي عن اللغات التي نقل اليها القرآن الكريم مع ذكر عدد المرات التي ترجم اليها فى كل لغة ، اذا تجاوزنا ذلك فاننا نجد انفسنا حيال بحوث ممتعة ، تتناول عناية المستشرقين الالمان بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسنته الشريفة ، كما تتناول كذلك ، الفرق الاسلامية ، فى الاستشراق الالماني الى أن ينتهي به الكلام الى المراحل المتعددة التي مرت بها الدراسات الاسلامية فى المانيا منذ انشاء الكرسي الخاص بالدراسات الشرقية فى مدينة « هايد لبرغ » الذي دشنه الامير « يوهان فاسيمير » ، أحد النبلاء الالمان سنة 1609 م مرورا بمعهد الدراسات الشرقية الذي أسسه بسمارك فى برلين ، أواخر القرن التاسع عشر للميلاد ، الى هذه الايام التي أصبحت فيها « بون » العاصمة المؤقتة لالمانيا الاتحادية مقرا لهذه الدراسات تحت اشراف المستشرق المعاصر ، «البروفسور أوتوشببس» وقد أحسن المؤلفصنعا بما تضمنه كتابه القيم من صورتمثل أشخاص المسنشرقين الذين ورد ذكرهم فى غضون الكلام .

وانه لمما يزيد فى رونق الكتاب وقيمته العلمية ، أن المؤلف حرص على أن يحيط بموضوعه من كافة أطرافه ، فافرد فى هذا الكتاب عدة فصول تتضمن عرضا احصائيا للمطبوعات الدورية التي تعنى بالدراسات الاسلامية ، مما يصدره الالمان أنفسهم أو يصدر عن غيرهم باللغة الالمانية فى داخل المانيا أو خارجها ، وانه ليصح القول بان هذه المطبوعات هي فى الواقع المرآة التي تعكس بوضوح ، الجهود الصادقة التي تجعل من اللغة الالمانية أحد المفاتيح الرئيسية لدراسة الاسلام والمسلمين ، ليس فى أوروبا وحسب ، بل وفى سائر أنحاء العالم ، بما فى ذلك الاقطار الاسلامية نفسها ! ..

واستكمالا لموضوع الكتاب ، نجد الشيخ طه الولي ، يقدم للقارىء العربي ، دليلا مصورا عن

وغلق ارباب المتاجر الصغرى والكبرى ابواب متاجرهم ودكاكينهم استثارا بما تبقى عندهم لاغراضهم الشخصية وحاجات عائلاتهم تاركين السكان والنازحين في حال من الاحتياج والخصاص ، تبعث على الالم الشديد ، ولا عجب ان اصبحت بعض هذه المتاجر وهي محطمة الابواب منهوبة

واين عامل المدينة ( ابو القاسم عبد الملك ) ومساعدوه من قاض ومحتسب وصاحب شرطة ورجال العسة ؟ انهم مشغولون بانفسهم وضمان منافع لعائلاتهم وذويهم ( وابو القاسم عبد الملك ) على الخصوص مشغول بمفاوضة الاسبان على الكيفية التي يتم بها تسليم مدينة غرناطة (1) ، فلو تجرأ وظهر امام الغرناطيين والنازحين اليهم لمزق تمزيقا ، لذلك هو لا يغادر جانب الامير بقصر الحمراء الا ليذهب تحت الحراسة القوية لمتابعة المفاوضة مع مندوبي امير الاسبانيين ، والاستزادة من الضمانات على الوعود التي قطعها الاسبان على انفسهم تجاه الامير ابي عبد الله واهله وحاشيته ولقد كانت هذه الوعود سخية بدرجة لم يكن احد يتوقعها ، واغتناما للفرصة كان امير غرناطة يستزيد فيزاد ، كما كان ( ابو القاسم ) يفاوض من اجل نفسه ومن اجل معارفه فيحصل فورا على ما يريد ، ويمنح حضورا اكياسا عامرة بالقطع الذهبية !

وغار المقربون من ( ابي القاسم ) الذي اصبح في ايام معدودة من اكبر الناس ثراء ، ومن اوسعهم املاكا فراحوا يذيعون اسراره بين الجماهير الغاضبة الحانقة، التيلو وجدت السبيل لنسفت قصر الحمراء على رؤوس من فيه وزاد في الام النفوس مشاهد الالاف من الجرحى الذين ينقلون في كل ساعة من ساعات النهار والليل من ارباض المدينة تقطر جروحهم دماء قانية وتفيض صدورهم بالاهات والتوجعات ، بحيث لا يجدون الراحة ولا يخلدون الى الصمت ، الا اذا فاضت ارواحهم الى ربها ، وهذا ما يزيد في اتعاب حفارى القبور !

ان الانسان في احرج ساعات حياته كثيرا ما ينبع في صدره قليل من الامل يخفف عنه ما به ، ولكن هؤلاء قد جف في صدورهم كل احساس بان هناك خيرا يكون قد بقي على وجه هذه الارض ، فالمتلكات معرضة للزوال كيفما كانت قيمتها ، والبنات والبنون قد يؤخذون خدما ممهانين ، واعراض النساء قد تستباح تحت سمع وبصر الاباء والازواج ، والجوع والوسخ والضرب والاهانات والنفي والتشريد لا غالب الا انت يا الله ! بقي رجاء عظيم وحيد معلق على بطل عربي شاب !

وهكذا ، بينما الجموع الغفيرة اليائسة الهائجة تعاني من الام نفوسها ، اذ بالشاب العربي فارس غرناطة الشهير ( موسى بن ابي غسان ) (2) مقبل ، راكبا جوادا اصهب اللون ، متهدل العرف، يحسب الناظر ان حوافره تحس حرارة الجمر فوق الارض ، فهي لذلك لا تكاد تلامسها ! اما الفارس نفسه فقد كان مثالا للشباب العربي البهي الطلعة ، الذي يملأ العين ويقوي الحماس في القلوب ويدفعها دفعا الى الجهاد والفداء عن طواعية ورضى ، هذا دون ان يتكلم ! فاذا تكلم فكلامه الفصل تقتنع به العقول ، وتطمئن النفوس ، وتتقوى العزائم بمجرد ما اقبل الفارس ( موسى بن ابي غسان ) تعلقت به الابصار وحفت به الجموع تساله الخبر دون كلام وكان رده :

( ان انتظروا اني متوجه الى هناك ) ولم يتعد الجواب الاشارة براحة اليد والسبابة !

ومضى الجواد يصعد عقبة البيازين في خفة ورشاقة ، تياها على الدواب العجفاء التي كان يمر بها بحسن طلعة راكبه وجمال هندامه وعلامات الحزم والعزم المطلة من عينيه

ورغم الظروف الخطيرة القاسية التي يعيشها البطل، ورغم العبء الثقيل الذي ينتظره وهو ذاهب الى قصر الحمراء ، ليوصي رجالا هناك بالاقدام والاستماتة وهم

---

1 ) ابتدئت مفاوضات تسليم غرناطة في شهر اكتوبر سنة 1491 اي منذ 475 سنة من عامنا هذا 1966 م

2 ) الاسماء الموضوعة بين هلالين هي اسماء تاريخية

قصة العدد

# آخر الفرسان

للاستاذ محمد بن احمد اشماعو

غرناطة عاصمة الحضارة الاسلامية الاندلسية ، وموطن العلوم والفنون في حال من اسوأ الاحوال !

لقد احاط بها الاعداء من كل جهة ، وشددوا عليها الخناق ، فشاع فيها الرعب والهول والفوضى ، واصبح الناس – اذا اصبحوا – يتوقعون مع المساء الشرور والمصائب ، واذا امسوا ينتظرون مع الفجر حلول الازمات والاهوال . ولكأن الطبيعة بدورها كانت تشارك القوم آلامهم وضيقهم ويأسهم ، لقد وافى الخريف برياح عاصفة ، فاحتجبت الشمس وراء حجب من الغمام الكثيف وتسربل الكون برداء رمادي كئيب ، ومالت الاشجار مترنحة من شدة هجمات الريح المتوالية ، ونفضت عنها اوراقها كما تنفض الطيور الهرمة ريشها يأسا من الحياة .

وانقلبت شوارع غرناطة التي كانت مسرحا للحركة والنشاط ، ومجالا لرجالات العلم والادب والفن ، ومنطلقا لفضليات السيدات ومصونات العذارى وريقي الشباب . انقلبت الى ماو للنازحين من اطراف المدينة والقرى المجاورة الذين فروا من وجه العدو المهاجم ، بما استطاعوا ان يحملوه من مال ومتاع ، مسلمين في اجود الاراضي ، واخصب المراعي ، وانضر الاشجار ، وصاروا هكذا نازحين مبعثرين في الطرقات ، راكنين الى الجدران ، ومستترين في منعطفات الازقة وقعور الدروب ، صيانة لاعراض ربات البيوت وفلذات الاكباد الغاليات .

لكم هو مؤلم منظر العائلات البئيسة وقد تحلق افرادها حول كانون ، ينفخون في ناره ، فيتصاعد الدخان كثيفا خانقا ، لقد قطع الجوع امعاءهم ، وذبل نضارة وجوههم ، فبعد ما اكلوا من المجفف والمقدد والمملح لم يعد – بعد هذا – مناص من نصب القدور في عرض الطرقات وتحمل تلطخات الفحم والرماد وبقايا الاخشاب المحروقة التي شوهت – يا للحسرة – وجوها واطرافا وبزات طالما تطيبت بالمسك والورد والريحان .

رغم هذا لم تفارق هؤلاء الناس عادتهم في لبس النظيف من الثياب ، ولذلك راحت ربات الحجاب يحركن الاذرع المكشوفة وسط جفان عامرة ، استعرنها من المحسنات واستعرن معها شيئا من الصابون وعقاقير غسل الثياب .

وبين الحين والحين كانت تسمع زفرات واصداء انين ، اذ لا يخلو ان يكون في هذه الزوايا المهملة سيدة على وشك الوضع ، او شيخ هرم معذب يعاني الام الاحتضار ، او جريح حمل معه جرحه الدامي من ساحات المعركة التي لم ير فيها للأسف ولو بصيصا من علامات النصر .

حتى اهل غرناطة انفسهم لم يعودوا كما كانوا في حيويتهم ، وابتهاجهم برخاء العيش وجمال الحياة ، لقد اوقفوا حركات حياتهم الاجتماعية كلها ، وعافوا مجالس لهوهم ومرحهم ، لانهم فقدوا الامل نهائيا في اي انتصار ، ولم يعودوا يتوقعون ان مخرجا سيفتح في وجوههم للنجاة من هذه الضائقة الخانقة . وهكذا توقف ارباب الصناعات جميعها عن صناعاتهم ونفض البناؤون والنجارون والحدادون والمزخرفون والبستانيون ايديهم من حركات البناء والتشييد والعمران

الارتجاج وهذا التعطل ، وتلك الصفرة وذاك الذبول ... ولكن عين الفارس ( موسى ) النافذة ، العامرة بالشك والريبة المزوجين بالسخرية ، ايقظت في الامير عزة الامراء ونخوتهم ، فانحلت عقدة اللسان وتدفق البيان :

ـ ابنائي اخواني :

والله ان خروج الروح لأهون على الانسان من ان يلقاكم في ساعة ياس وخذلان ، لقد عملنا ما في مستطاعنا ، ودافعنا عن ديارنا وقلاعنا ، ولكن ارادة الله القاهر الجبار شاءت ان تسلط علينا اعدى اعدائنا ، لقد شددوا علينا الحصار فاختلط علينا ظلام الليل ونور النهار ، وقلت الارزاق وتوقفت الصناعات ، وبلغ الياس بالناس منتهاه ، فلا حول ولا قوة الا بالله . ان بعض المستشارين المخلصين ، العارفين بقوة الاعداء الظالمين، وباحوال رعايانا الامنين ارتأوا ان نفاوض عدو الله (فيرناندو ) على شروط شريفة ، تضمن لكل فرد من رعيتنا الهناء والعيشة اللطيفة ، وتصون للناس ممتلكاتهم وتسمح لهم بالتعبد حسب تعاليم دياناتنا السمحاء واظن انا سنصل الى حل مع العنيد الجبار وسكت الحاضرون عن قصد ، ثم هموا عن قصد ايضا بالانصراف وهنا قام ( موسى ) ثابتا شامخا حاد النظرات ، ليقذفهم بقول كأنه الجمرات :

سيدي الامير :

هذا اليوم له ما بعده ، فقد يكون هذا آخر لقاء لابناء الاسلام المجيد في هذا المجلس الكريم ، فتصبح الارض غير الارض ، والناس غير الناس وتمحي الديانة الاسلامية واللغة العربية ، وتنقرض الخلافة التي دامت بهذه الديار طيلة ثمانية قرون .. وسيساق الرجال والابناء عبيدا ، اما النساء والبنات فلا يعلم الا الله كيف يكون مصيرهن ؟ ولا اراه الا مصيرا مهولا

ايها الامير :

« لا تخدعوا انفسكم ، ولا تظنوا ان النصارى سيوفون بعهدهم . ولا تركنوا الى شهامة ملكهم ، ان الموت اقل ما نخشى . فامامنا نهب مدننا وتدميرها ، وتدنيس مساجدنا . وتخريب بيوتنا ، وهتك نسائنا وبناتنا ، وامامنا التعصب الوحشي ، والسياط والأغلال ، وامامنا السجون والانطاع والمحارق ... هذا ما سوف نعانيه من مصائب وعسف ، وهذا ما سوف تراه تلك النفوس التي تخشى الان الموت الشريف ، اما انا فو الله لن اراه . »

وتيقن الحاضرون من صدق هذه الكلمات ، كلمات البطل ( موسى ) وتأكدوا ان كل ما ذكره البطل واقع لا شك فيه ، اذ كل المدن الاندلسية الساقطة في ايدي الاسبان الواحدة بعد الاخرى ذاق اهلها المساكين المصائب والاهوال ، وما سلموا من الهوان الا يوم غادروا مكرهين ديارهم وضياعهم الى حيث لا رجوع .. ان كلام ( موسى ) هو الواقع المر ولكن ولكن ولكن

ولكن القوم الحاضرين كانوا قد فقدوا نخوتهم وغيرتهم الوطنية وعزتهم الدينية الى الابد ، باعوا كل ذلك وقبضوا الثمن ، كل حسب مساومته ووقاحته في تحديد الثمن ، حتى الامير تصور ان الوعود العظيمة والبسيطة والظاهرة والخفية كانت كافية لضمان عيش رغيد له ولأهله وللبنين والاحفاد ، فعلام التحدي ومجابهة الاقدار والاستماع الى راي شاب حار الدم ، هائج العواطف ، لم يعرف حقيقة الحياة ومشاكلها حتى يمكنه ان يقدر الظروف حق قدرها ، ويدرك انه ليس في الامكان ابدع مما كان !

تفحص الشاب البطل الوجوه واحدا واحدا ، وتعمق اسرار العيون فاذا به يجد ان ذلك الشعاع الخفي المعهود في نظرات القادة والزعماء واولياء الامور قد انطفأ ، وان الجباه العالية الشامخة المعتزة اذلها الخذلان والهلع والطمع فاخذت تنخفض وتتهدل مستكينة نحو الارض . فمن يستحق ان يجاذبه الحديث بين هؤلاء ؟ سلام على قصر الحمراء وفي ذمة الله ما صنع الفنانون ، وابدع الشعراء والعلماء والحكماء وسقيا لليالي الانس والطرب وروائع الموشحات المنشدات ، ورحمة الله لبستانيين عرفاء زرعوا اجود البذور فنبتت اعلى الاشجار واطيب الاثمار ، وازكى الازهار ، واجروا المياه الصافية ، واستغردوا الطيور الشادية ... وكادت عاطفته تغلب عليه ولولا انه كان اقوى من هذه العواطف ، ولذلك خطا سائرا نحو الابواب دون ان يودع احدا ، انما هو متيقن من ان

في حالة من الخور والعجز ، وليحضهم على الصمود دفاعا عن كرامة المواطنين وصيانة لسلامتهم مع انهم باعوا مقدما تلك الكرامات كلها بثمن بخس . رغم هذا ، احس البطل موسى ـ وهو يصعد ربوة البيازين ـ بخلجات رفيعة في حنايا صدره ، ان الحي حي سلمى ابنة الفاضل السيد جعفر العفاني وسلمى هذه ، هي وحدها التي تربط بين البطل واغراض الدنيا ، ان روحه التي وهبها فداء للاسلام والاندلس ، تفلت منه احيانا وتروح محلقة وراء طيف سلمى العفانية ، الخلابة بحديثها وثبات قلبها وغزير علمها وادبها ، والتي تستحوذ على القلوب في اي مجلس حلت ، يا لله منها ! ان على الرجل ان يكون وافر المزايا ليستطيع ان يفوز ببعض اهتمامها ، وهذا بالضبط ما سلب عقل موسى فيها ! وملك اعجابه اكثر من ذلك انها استغلت مناسبة جمع حافل والحت على الرجال في ان يدفعوا بنسائهم وفتياتهم الى التدرب عن حمل الاسلحة واستعمالها عوضا عن المضي في مداعبة الاوتار والتسلي بقرض الاشعار ، ولكن انصراف القوم عن اقتراحها كان موجعا باعثا على الحسرة والاسف .

ولما حاذى البطل الفارس المنزل السعيد الذي طالما احسن استقباله وضيافته وجد ان الداخلين للمنزل والخارجين هم من غير اهله ، انهم عبارة عن خليط من النازحين القرويين الذين لم يدركوا روعة البناية التي قطنوها ففضلوا الجلوس على الاعتاب مفترشين الارض من غير تأنق ولا حذق .

وكتم الراكب لوعته مما راى ، وتناسى احاسيسه نحو هذا المشهد المؤلم ، وجد قاصدا قصر الحمراء ، ويا لعجبه الشديد وهو يرى الحراس في شاغل عن مهمتهم الدقيقة بحزم امتعتهم ، واخفاء المسروقات التي استطاعوا اختلاسها ثم انهم لم يبادروا كما جرت العادة بالوقوف تحية للقادم وافساح المجال له ، بل انهم لم يكلفوا انفسهم حتى برفع ابصارهم اليه ، يا لضيعة النفوس الصغيرة ، ولكن هذه النفوس الصغيرة تستمد قوتها من النفوس الكبيرة ، واين النفوس الكبيرة في هذه الايام العصيبة .

وتعاظم ما بنفس البطل ( موسى ) وهو يرى ردهات القصر وممراته تتكدس فيها الاحمال والصناديق الضخمة والمتوسطة والاكياس والبراميل ، وما زال عتاة الحمالين يحملون من داخل القصور الى الابهاء المزيد من المتاع والمقتنيات ، ولو استطاعوا ـ ولن يستطيعوا ـ لهيأوا هذه الحجرات ذات النقوش المدهشة والزخارف الرائعة والفسيفساء البديعة ، وهيأوا هذه الابهاء والاروقة ذات الاسطوانات الرشيقة والاقواس المقرنصة والسقوف الخشبية المنقوشة ، وهيأوا هذه الساحات العظيمة المرخمة . وهذه النافورات التي تعلوها قباب جذابة وتصل بينها مجاري مياه صافية رائقة . لو استطاعوا لهيأوا كل ذلك للرحيل ، ولكن لقوة الانسان كما لأطماعه حدودا !

ويا ليت الزائر البطل وجد ـ كالعادة ـ من يستقبله ويستاذن عليه الامير ، فكل اثنين او ثلاثة من حاشية الامير انصرفوا الى زاوية من الزوايا يضعون تخطيطات الهزيمة ، ويعبرون عما في انفسهم من غضب نحو اولئك الذين اغتنموا الفرصة فعظموا ثرواتهم بين عشية وضحاها . لكن الرجل القوي يفرض نفسه ولو كان مقامه بسيطا على اناس ضعفاء ولو كان مقامهم عاليا

على هذا ، دعا ( الامير ابو عبد الله ) الحاضرين لعقد اجتماع على الفور بمشاركة الزائر ( موسى بن ابي غسان ) وفعلا توارد القوم على مجلس الامير واحدا بعد اخر ، لكأن الامر لم يعد يلزمهم باحترام مقام الامير واعضاء مجلسه ما يستحق من التوقير والتعظيم ، لقد تواردوا فرادى ، وجلس كل واحد حيث يشاء وعلى الكيفية التي تروق له ، بل ان منهم من كان مستعجلا من امره ، ولولا بقية من حياء ، لقالوا لاميرهم : كفى ثرثرة واجتماعات ، لقد انتهى الامر معك ! وبدا الامير انحل وجها مما كان ، وتبعثر شعره كثيفا منفوشا تتقزز

منه النفس ، كما علت لباسه الثمين طبقة من الغبار والوسخ والدهن . اما اطرافه فكانت في حالة من التوتر ، بحيث كانت انامله تشد حينا على اطراف الثياب وحينا تتلمس اعضاء الجسد تلمسا شديدا لكأن بها الاما مبرحة ، وتمايل الجسد وترنح في جلسته بشكل لا يقر له معه قرار .

وبذل الامير جهدا ليخرج اللفظ من شفتيه معبرا واضحا ، غير ان الفكر المعطل المشتت لم يسعف بشيء ، ولو رحمه الحاضرون وانجدوه ، لاكتفوا منه بهذا

ـ بل هو ممكن وهو ما سيكون ! ان وثيقة الاستسلام وقعت او هي في طريق التوقيع ، نعم . ولكم ان تغضبوا وتهيجوا فهذا هو الواقع ، ولقد اخذ الاعداء ضمانات قوية من بينها ابناء الامير نفسه ، فهل بعد هذا من ذل ! اصارحكم انه لن تطيب لي عيشة بعد اليوم .

ولما ذا لا تذهب معنا الى ارض العدوة الاخرى .

ـ لا استطيع ان افعل ، كنت اذهب لو كانت هناك اخبار فوز وانتصار على الاعداء ، اما والموقف لا يتعدى مواقف للاستجداء والهجرة الذليلة فلن اذهب والله لطالما ازعجنا هؤلاء الناس واتعبناهم وحملناهم فوق ما يطيقون ، وسوف نحملهم المزيد من ذلك فاولى بالرجال هنا ان يدافعوا عن بلادهم او يموتوا دونها

وهاج القوم عند هذه الكلمات وانطلقوا يتشاورون في الكيفية التي يواجهون بها الموقف ، واغتنمها الفارس فرصة فتوجه الى بيته وتدجج بالسلاح ، وتسربل بالحديد هو وجواده ، وخرج يجوس خلال ارباض المدينة ، ولم يشعر الا وجماعة من الجنود النصارى تقترب منه ، تحاول تطويقه ، وباداوه بالسؤال عن شخصه ، فكان جوابه ان انقض بسلاحه واخذ يفتك بهم واحدا بعد واحد ، لكأن كل واحد ينتظر دوره ليقتل على يديه ! غير ان الجواد اصيب فسقط وعندئذ ترجل الفارس العظيم واخذ يحارب الفرسان وهو راجل ، وبمجرد ما شعر بالضربةالجارحة،التي سيؤخذ بعدها الى الاسر والعذاب المهين ، بادر ورمى بنفسه المثقلة بالدرع الحديدي الى اعماق نهر ( شنيل ) ليرقد هناك رقدته الابدية

**محمد بن احمد اشماعو**

خطواته هذه هي اخر خطوات في هذا القصر المنيف !

وانحدر الفارس قاصدا حي البيازين العامر بالحماس واليقظة الشعبية ، كان يهمز جواده ليسرع به في النزول ، انه يود الالتقاء بانصاره والعارفين به من سكان غرناطة لينقل اليهم الخبر الفظيع ، خبر الاستسلام الشنيع ! ولكن الجواد كان يطلب السلامة في هذا المنزلق ، ولا يريده منزلقا الا في ساحة المعركة حيث يطيب السقوط ويحلو طعم الموت المرير ! وهنا برز صديقا الفارس الحميمان ( نعيم بن رضوان ) و ( محمد بن زائدة ) وشدا على ركاب الجواد معلقين بصرهما بالرجل الذي ذهب ليطلع على سر الموقف فاصبح عارفا به ، ولم يفتهما ان يريا علامات الكدر العميق مرتسمة على وجه زميلهما الفارس المقدام ، ولم يتردد هو في ان يخبرهما بان المصيبة الكبرى حلت ، وان حكام البلاد قد سلموا المعقل الاخير للاسلام بهذه الديار ، ولم يتمهلوا حتى الان عن اعلان ذلك الا لانهم ما زالوا يطمعون في المزيد من الغنائم والارباح التي ما تزال ـ للعجب ـ حتى اليوم في ملكهم وفي حوزتهم! يا للهوان والمذلة ايها الاخوان . لقد رايتهم احرص من اي وقت على تسليم البلاد للعدو ، ولهذا فللعدو ان ينام مرتاحا اذ له بينهم انصار متفانون ، واخص بالذكر اللئيم الفاجر الجبان ( ابا القاسم عبد الملك ) وصفيه الدنيء ( يوسف بن كماشة ) ، لو كان من شاني الاغتيال والسفك لعجلت بارواحهما الى النار ، ولو كانت فيهما بقية من الشجاعة لدعوتهما الى المبارزة هما معا ، ولكنهما لم يخلقا الا لمواقف الذل والمهانة فلينعما بها الى حين

كان الجواد ينزل حذرا كما صعد حذرا ، مما مكن الفارس وزميليه ان يتبادلوا الحديث بتوسع ، فلما كانوا على ابواب قصر الفاضل السيد جعفر العفاني التفت ( نعيم ) الى البطل ( موسى ) ينعشه بالخبر الاتي :

ـ لقد غادر السيد العفاني قصره صحبة اولاده الشبان وبناته الشابات كلهم ، متسلحين بالسلاح الكامل وتوجهوا الى احدى ساحات المعركة معولين على الاستشهاد في سبيل الله والوطن ، وقد هزت حركتهم النادرة همم العديد من الرجال فاقتدوا بهم .

ولمن تركوا القصر ؟

ـ تركوه للخدم وللعجزة من افراد العائلة ، يستقبلون فيه وفود النازحين يأوونهم اسكانا واطعاما وشرابا ، الى ان تتجلى الحالة . . !

وهنا وجد فارس غرناطة الحل لمشكلته ، لقد قضى الفترة القصيرة بين مغادرة سكان قصر الحمراء والالتقاء بالزملاء في عاصفة من الحيرة الشديدة ، وها هو الان يجد القدوة في اسرة رجل نبيل رفض الذل والمهانة له ولاهله ، فاقتحم على الموت بابه ، قبل ان يقتحم بابه الموت وعلى صورة من الخزي والعار . اذا فلتكن النهاية في ميدان الشرف .

وتراكمت الجموع على ( البطل موسى ) تستفسره عن تطورات الحالة ، فلم يسعه الا ان يعتلي احد السطوح ليخاطبها :

ـ ايها الناس ، ليس لدي ما اقوله لكم سوى ان اخبركم ان بلادكم بيعت للاعداء وبثمن زهيد يمكنكم ان تقولوا هذا لاهلكم وعشيرتكم واقربائكم ان رؤساءكم لم يعودوا قادرين على حمايتكم ، لقد فاوضوا العدو وقبضوا الثمن وليس بينكم وبين الخروج النهائي من هذه الاراضي الا اياما معدودة ، ومن رضي البقاء منكم فهو يعرف مصيره المحتوم ، مصير القرطبيين والبلنسيين والمرسيين والجيانيين والاشبيليين والاخرون من بعدهم . .

اني ادعو ذوي الاستطاعة من الشبان والكهول الى الكفاح والجهاد ، اما غير القادرين فلهم في ارض العدوة الاخرى اخوة مسلمون مومنون اباة ، طالما ناصرونا واستماتوا في الدفاع عنا ، وارهقوا الدماء الغزيرة من اجلنا ، ان كل شبر من هذه الارض ينهد بذلك ، وما اظنهم يتخلون عنكم في خاتمة الماساة هذه

ان ارضكم هذه ستكون بعد شهرين او اقل من ذلك ملكا لغيركم ، ولا يستبعد ابدا ان يكون من بين اهلها عبيدا واماء للنصارى ، وفتيانا من بينهم وفتيات للتسلية والمجون والعبث

صاح بعضهم : هذا لا يمكن !

فاجابهم :

ليعـــوض ما فاتـــه مـــن فوز ، لكن نظـــرة صاحبه الغضبـــى اخرسته ، فتراجع، وشبه حشرجة تجول فى صـــدره ، وارتفع بـــه صوت الحاج :

ــ لا. لا. لن تكون كلب صيد . الف لا . ولا كلبي انا بالذات ، عليك اللعنة ، اتسمع ؟ اولـــى بـــك ان تزاحم القطط على الموائد ، والدتك المرحومة ، كانـــت لا تتهب شوكا ولا ماء ، ولا نـــارا ، واختك ميرة .. «التفت صوبها فحركت ذيلها استجابة».. او لتتوزعك الفيران .. اما الصيد فلا .. انا اعرف منك بالكلاب. كلب الصيد الاصيل لا يبصر ارضا ، ولا يحس بها ، الطريدة ، الهدف عينه ، اما الكسالـــى امثالـــك ، واللصوص ، فيتلمسون مواقع اقدامهم ، على الدوام ، ابتعـــد عنـــي ..

تراجع مسعود عن صاحبه بمسافة ، بينمـــا اقبلت ميرة تتحكك به والعصا القصيرة لا تزال بيـــن انيابها فشرع الحاج يداعبها ، واساريره تفيض رضى عنهـــا : عشت يا بنيـــة ، عشت .

لم يكن لاعتزاز الحاج بكلابه وعصاه حد ، ولطالما شـــارك اصحاب البنادق فى عمليات الصيـــد ، ايـــام الاحـــاد ، وغالبا ما كان حظه يفـــوق حظوظهـــم ، وحدثنفسه مرارا ، بان القدر اذا ما رمى اليه ببندقية يوما ، فسيتخذ خشبها وقودا ، ويصنع من جعبتهـــا شبابة ــ بندقيـــة ؟ المعركة ذاتها غير متكافئة ، بيـــن الطريدة وصاحب البندقية ، واين المهارة » ان لـــم تكن فى الصيد الطبيعي بالعصا والكلاب ؟ الكـــلاب تتربص وتطارد ، والطريدة تراوغ وتحتال ، والصياد الاصيـــل يسدد العصـــا فى اللحظـــة المناسبة .

كان منطقه هذا ، قويا فى نفسه سيما حيـــن يتذكر ان كل طلقة تكلف نصف درهم ، بينمـــا الكلاب ، لا تكلف شيئا ، فيتمتم مرة اخـــرى بازدراء: بندقيـــة ؟ هه . واكد لنفسه انه ان قدر عليـــه يوما ان يغير نظريته ويمتلك بندقية ، فذلك سيكون لا محالة ، لامرين اثنيـــن : انـــه بذلك يصبح مهيبـــا فى القرية ، وانه يستطيع ان يمارس الصيد بمشروعيـــة الصيد المشروع ، آه . يستوقفك حارس الصيد او الشرطـــة ، فتفتش فى جيوبـــك ذات اليميـــن ، وذات الشمال ، عن الرخصة ، كأنـــك اضعتهـــا او انـــك لا تملكها ؟ وعيـــن العدو ترقب حركاتك ، وشهيته تتفتح للقبض عليك ، حتى اذا اطمأن الى وقوعك ، واتسعت ابتسامته الخبيثة وانت تتصنع الحرج .. آه ها هي ذي اخيـــرا .. وتخرجها مقواة بيضاء ، فى اعلاهـــا الصورة والطابع ، اوه نعم الصـــورة والطابع ، ويخيب امل العدو ، فيردها اليـــك وقد غابـــت ابتسامتـــه : « احترس للمرة القادمة » دون ان تحفل بالرد عليه ..

وتراجع الحاج قليلا عن ان يعتبر البندقية شرا، او ان يتوعدها بالشر : ولم افعل بها ذلك ؟ كفانـــي الا اصيد بها ، وما لبث ان استدرك انـــه قد يستعمل البندقية اذا ما مارس الصيد فى بقعـــة محروسة امـــا فيما عدا ذلك ، فله كلابه وعصاه ، وطريقته ، طريقته حقا ، ذات يوم ، والارنب الصغير يقفز بخفة بيـــن الصخور ، ومعه صيادان بالبنادق ، والرصاص .. لكن العصا القصيرة وحدها صدمت جمجمته .

وحضرته صورة سرب الحمام الطائـــر ، الـــذي اسقطت منه البندقية ، خمسا ، بطلقة واحـــــدة ، وقطيع الارانب الذي نقص ثلاثا : آه . رائـــع حقا ، خمسا دفعة واحـــدة ، هذا هو الصيد .. وثلاثـــا ايضا . حقـــا ، صيد رائع .. واعترف الحاج بأنـــه لو امتلك بندقية ، ما احتاج الى صحبة كلب فاشل ، والتفت الى مسعـــود ، فتوقف هذا ، وبصره يتابـــع فى بلادة حركة صاحبه ، الذي سدد اليه العصا كمـــا يفعل ببندقية ، بيم ، بيم ، بيم ، وارتفع صوت ميـــرة، على مسافة من صاحبها ، ونظرها مركز على الارض ، فأسرع نحوها مسعـــود بينما حدث الحاج نفســـــه وهو متجه اليهما : لو وجدت ، قنفذا ، لاتخذته مركزا تدور حوله .. ولانطلق نباحها متقطعـــا ، ام اثـــر ليس الا . سنـــرى .

ووجدها امام حفرة صغيرة كحفنـــة اليـــد ، ورويشـــات دقيقة .. حجلة ، ادرك ذلك بسرعة ، ولكن مبيتها لن يكون هنا ، خدعة ليس الا ، تـــلاف، اما مبيتها الحقيقي .. ودار حواليـــه قبل ان يصدر الامر ، الـــى كلبيه المنتظرين : لـــن يكـــون بعيـــدا ، لنفتش كل فى اتجاه عن مبيتها ، وتفرق الثلاثـــــة يتفحصون ، ومضت مدة قبل ان يرتفع نباح مسعود، امام فوهة صغيرة ، فى ربوة ناتئة ، اسرعا نحوه : مـــن النادر ان تتخذ الحجلة غارا كهذا ، وانحنى الحـــاج يتفحص التراب ، ثم استقام وهو يتســـاءل فى سره : تـــرى الا يزال الارنب فى الداخل ام هجر ؟ ربت علـــى راس مسعود ، فهز ذيله ، واقبل على الجحر يعمـــل فيه مخالبه ، بينما اخذت ميرة مكانها ، على قمة الربوة، تروح وتغدو فى قلق وتربـــص ، وتقهقر الحـــاج الـــى الخلف ، محاولا ان يخترق ظلمـــات الجحر بنظـــره

قصة

# صيد...

للأستاذ ربيع مبارك

اقعت «ميرة» على مؤخرتها متحفزة ، وانتصبت اذنا «مسعود» في حذر ، وطفق الكلبان معا يراقبان حركات صاحبهما ، بينما انحنى هو يفتش يمنة ويسرة ، عن شيء معين ، حتى اذا وجد طوبة صالحة ، الممها بيسراه قليلا ، ثم نظر الى كلبيه يتفحص وضعهما ، ولاحظ ان مسعودا يتقدم صاحبته بنحو خطوتين فنهره :

— الى الوراء ، مسعود . اهكذا يكون الصياد الاصيل .

وكانما تذكر شيئا بهذه المناسبة ، فتمهل وانحنى الى الكلب ، وامسك باذنه الطويلة يتوعده ، كما يتوعد طفلا :

— اسمع ايها الكسول . كأختك يجب ان تكون . ام تريد ان تصبح كسائر كلاب المزابل . والدتك المرحومة ، لا يشبهها في ضراوتها وامانتها الا «ميرة» . اما انت فكسول ولص . ماهر . نعم ، ولكن لص ، وهذا ما لا اقبله . وارتفعت حماسته ، وشده يقوى على اذن الكلب الذي بدأ يئن انينا خافتا :

— .. لم تكن كلابي لصوصا قط ، اتسمع ؟ هه . انا لم انس حجلة اليوم السابق ، وسأؤدبك اذا عدت الى مثل ذلك ، لكن اذا حاولت ان تكون كلبا حقيقيا لي ، جديرا برفقتي ، كميرة ، فانت تعرف .. هزت ميرة مؤخرتها ، محركة ذيلها الى الجهتين ، وهي تسمع حديث الاطراء ، بينما حنى مسعود راسه ، ذلة ، ويد صاحبه لا تزال تقرص اذنه بحدة ، نظر الحاج نظرة رضى ، الى ميرة ، وهو يترك اذن مسعود الذي عاد يصلح من وضعه بمحاذاتها .

تمشى الحاج بقامته القصيرة خطوات ، امام الكلبين ، ثم حرر ذراعه اليسرى من كم جلابته ، بان اخرجها من فتحة الراس ، تاركا جزء الجلابة الايسر ، يتدلى بكمه تحت ابطه ، وظهرت كتفه السمراء ، وعنقه القصير تحت عمامة صغيرة ، عادت يسراه تلملم الطوبة ، بينما تمسك يمناه بعصا قصيرة معقودة الراس ، ونظر الى كلبيه نظرة اخيرة ، قبل بدء العملية ، ثم هلل وكبر ، وتتابعت منه صيحات لا معنى لها ، ورجلاه تنفصلان على الارض في قفزات حماسية .. كلما زادت صيحاته وقفزاته ، بدأ التوتر واضحا على حركات الكلبين ، ثم طوح بالطوبة الى الفضاء ، اعلى ما يستطيع ، وقبل ان ترتد الطوبة منحرفة نحو الارض ، انطلقت العصا وراءها في عزم ، حتى اذا اصابتها ، رمى الحاج بعمامته طربا ، وتتابعت قفزاته وصيحاته من جديد ، بينما انطلق الكلبان ، كل الى جهة ، لالتقاط الفتات المتناثر ، قبل ان يقع .

وعادت ميرة ، في لمح البصر ، وفي فيها الطويل ، طينة صغيرة ، بينما تعالى نباح مسعود ، امام سدرة منبسطة على الارض في شبه دائرة واسعة ، تسلم الحاج الطينة من ميرة ، واشار اليها ان تلتقط عصاه، بينما توجه هو ، صوب مسعو دالنابح ، امام السدرة .

يبدو ان حظ مسعود لم يكن طيبا ، فالطوبة التي اختار ان يلتقمها ، اتجهت متساقطة ، صوب مركز السدرة الشائكة ، وما كاد يتردد في القفز وسط الاشواك ، ليكون لها بالمرصاد ، حتى استوت هناك، فطفق ينبح في حركات جنونية ، وعيناه تقطعان المسافة بين صاحبه وموضع الطوبة ، وازداد نباحه كانما

# نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

## تشييد مجموعة من المساجد في مراكز مهمة من الصحراء

في يوم 13 اكتوبر 1966 وصل الكاتب العام لقسم الشؤون الاسلامية بوزارة الاوقاف الاستاذ الحاج عبد الرحمن الدكالي الى اقليم ورزازات نيابة عن معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الحاج احمد بركاش بقصد تشييد عدة مساجد بهذا الاقليم ...

ولقد كان سعادة الكاتب العام مصحوبا في هذه الرحلة بالكاتب العام لعمالة الاقليم ، وقائد اكدز نائبا عن رئيس الدائرة ، وبعض الافراد المرافقين له حيث قصد الكل مركز « تاكنيت » ، بعد زيارة سريعة لمقر الدائرة حيث اقيم احتفال على شرف الكاتب العام . وحول الساعة الثالثة ونصف قصد الموكب الذي يتألف من جمهور غفير من عموم المواطنين مسجد « تاكنيت » الذي اديت فيه صلاة العصر .

وقد حضر الحفل الديني الرائع المشهود فضيلة القاضي والممثلون المحليون وعلية القوم ووجاؤها واعيانها .

وبعد الانتهاء من صلاة العصر القى فضيلة الاستاذ الحاج عبد الرحمان الدكالي درسا قيما ضمنه توجيهات وارشادات ترك السنة السكان تلهج بالثناء والعطر ، والدعاء للاسلام والمسلمين ، وحامي حمى الملة والدين امير المومنين مولانا الحسن الثاني نصره الله ، ولولي عهده سيدي محمد .

ورجع الموكب بعد توديع الحاضرين الى زاكورة التي وصلها مع الغروب ، وقصد على التو واللحظة فضيلة الكاتب العام للوزارة مسجدها العظيم

وقد وجد في استقباله بباب المسجد المثلين المحليين والوجهاء والاعيان ، وكان المسجد غاصا بجمهور من المواطنين لايقدر ، حيث اكتظت رحابه بالمقرئين والمومنين ، فام بهم صلاة المغرب وبعد قراءة الحزب بأصوات خاشعة ، وقلوب مقشرة ، وعيون دامعة ، تصدر فضيلة الكاتب العام فالقى درسا وعظيا في الدين والاخلاق ، ومزايا الاسلام في التآزر والتناصر والمؤاخاة والنصح لله ولرسوله وللائمة المسلمين وعامتهم الى غير ذلك من التوجيهات التي عهدناها من فضيلة الاستاذ مما كان له اطيب الاثر في النفوس ، وقد اختتم هذا الحفل الديني الرائع في تضرع وابتهال الى الله العلي القدير ان يحفظ لهذا البلد الامين ملكه الساهر على دينه ومقدساته وأمنه وسعادته ، ويقر عينيه بصلاح ولي عهده ، ويتغمد بواسع رحمته المغفور له مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه ، وان يتولى امور المسلمين والاسلام بتدبيره وحكمته .

## في زاوية تمكروت

وفي صبيحة يوم الجمعة 14 اكتوبر قصد الكاتب العام لقسم الشؤون الاسلامية الاستاذ الحاج عبد الرحمان الدكالي هو وصحبه زاوية تمكروت التي حل بها ، وقد وجد سعادته الشرفاء الناصريون والممثلون المحليون والوجهاء والاعيان في استقباله .

والقى سيادته كلمة توجيهية في الحاضرين عبر فيها عن سروره وابتهاجه لوجوده في هذا الحفل السعيد ، وقد بلغهم تحيات جلالة الملك ورضاه ، وعنايته بالاماكن المقدسة الدينية كما حثهم على الالتفاف حول العرش العلوي المجيد .

## زيارة المكتبة

كما قام الكاتب العام بزيارة المكتبة الناصرية ، فطاف باركانها واطلع على قائمة الكتب التي تضمها هذه المكتبة التاريخية الفريدة واثنى على قيمها الحازم الذي يرعى تلك الدخائر والاعلاق ، ويصونها ويرعاها ويحفظها من الضياع والبلى .

الحاد ، وصيحاته الغامضة تتصل ، فيتضاعف نشاط الكلب ، واتسعت الفوهة بمقدار كاف فحشر مسعود انفه ، ثم عاد اشد حماسا في الحفر ، واسرعت قوائمه في جذب التراب ، واتسعت الفوهة اكثر ، فارسل احدى اماميتيه الى داخل الجحر ، فأخرجت كمشة تراب دقيق ، تفحصها الحاج ولاحظ ان بها شعيرات دقيقة بيضاء وبعرا حديثا ، فتأكد من وجود الارنب داخل الجحر ، انما .. سيكون من الصعب اخراجه ، واذا كان الجحر عميقا ، فينكمش في اقصى ركن ، واصبحت حركة ميرة على الربوة ، جريا مستمرا ، وادخل مسعود كامل راسه ، وما لبث ان قفز خطوات الى الوراء ، بعيدا عن الفوهة ، ونباحه يشتد وصاح به الحاج :

— ها . ها . نفخ في وجهك ، ايها الرعديد ، تخاف مخلبه ، جرب مرة اخرى ايها الكسول ، افتح عينيك جيدا ، وخذه من خاصرته ..

وبدا وكأن الكلب يعاني صراعا داخليا ، فردد نظره بين الفوهة وصاحبه ، ثم اقبل على العمل من جديد ، وصوت صاحبه ما ينفك يعلو فوقه ، دفع مسعود بقائمتين متمهلا ، فراسه ، ثم غاب عنقه ، وبدا من مؤخرته ، خارج الجحر انه يعارك بشدة في الداخل ، وحدث الحاج نفسه مرة اخرى ، بان الجحر ان كان فسيحا ، فلن يفلح مسعود ولا غيره في اخراج الارنب او الارانب ، وظل يراقب مؤخرة الكلب ، وقائمتيه الخلفيتين اللتين تزدادان انفراجا ، وانفرازا في التراب بقدر ما ينحشر من جسد مسعود في الداخل ، ودام ذلك دقائق ، وحدث الحاج نفسه بان لا طائل يرجى من المعركة ، فالجحر ميسرة للنموس لا للكلاب ، وتأكد من ان اللعين قد تحصن في الداخل، حين تقاربت خلفيتا مسعود ، ثم خرج وفمه مطبق عليها . سوداء تلوت حول عنقه ، وفوها ينفتح وينغلق على رجله ، وقبل ان يفيق الحاج من دهشته ، قفزت ميرة ، واطبقت على عنق الحية بقوة فشطرتها ، وتحرر مسعود مبتعدا ، بينما سقطت الكتلة الضخمة تتخبط على الارض .

اسرع الحاج الى مسعود ، الذي كانت اماميته لا تكاد تلامس الارض ، فبطحه على جنبه ، واضعا احدى ساقيه على عنق الكلب ، والاخرى على بطنه ، وبدون تردد اخرج سكينه وغرز راسه في الجرح ، يوسعه ثم اخذ يمتصه بقوة ، وبين الفينة والاخرى يرمي حوله ، جرعة سائل داكن ، وبدت ميرة كالتمثال جامدة ، تراقب العملية بعينين باردتين ، بينما تشتد عضلات مسعود على التراب ، ثم تراخى الكلب وتواهى انينه ، وصاحبه لا يفتر عن المص . قطع الحاج شريطا من عمامته ، وعصب الجرح برفق ، ثم مسح فمه بطرف العمامة ، واعاد ذلك مرارا ، وهو يبصق ، ثم التفت حواليه ، فردت اليه الصخور ، والاشجار الشائكة المترامية على حد الافق ، نظرة خائبة ، وحين وقع بصره على ميرة قال بمرارة ونظره اليها : سيشتد به العطش ، فتململت في مكانها متحفزة، اما هو فانصرف الى نفسه يؤنبها ، على التهاون في حمل الماء ، ان من عادته ان يستهين بكل زاد ، ويعتز بصبره وصبر كلابه ، ثم قال بحدة وهو يقوم ، ويرفع الكلب المستكين ، وقد خارت قواه : سأحمل معي ماء منذ اليوم ، وتبعته ميرة في خطوات خفيفة .

احس باشعة الشمس تلهبه في تقدمها نحو كبد السماء ، فاطبق فم الكلب بيديه ، وهو يوجه اليه الخطاب ، احتفظ بلعابك ، انت احوج اليه من اي وقت ايها الوفي ، قبل ان نقطع مسافة نصف يوم في الوعر ، وفكر بانه ربما كان قاسيا على كلبه في وقت ما ، لكنه ارتاح عندما تذكر ان نيته كانت طيبة فردد وهو يرنو الى مسعود : صالحك كنت اقصد ، ايها الوفي . يجب ان يكون المرء احيانا ، قاسيا على كلابه واولاده من اجل تربيتهم . بيد انك لم تكن تجرني قط الى القسوة عليك ، كنت اصيلا في مهنتك ، كوالدتك وكميرة ايضا ، حقا انت تتردد ، وهذه ميزتك ، على سائر ما عرفت من كلاب ، كلب الصيد يجب ان يتردد احيانا ، ما فائدة الارتماء بين الاشواك ؟ ليتك ترددت اليوم . بلى ترددت . نعم ولكنك تشجعت عندما امرتك ، ليتك ترددت الى الابد .. خفت قسوتي ؟ لكني لم اكن لاقسو ، نعم ، ربما وبختك ، الكلب الاصيل يأبى التوبيخ ، لن اوبخ كلبا منذ اليوم .

كان يتكلم بحدة ، وهو يجد السير ، والصور تتداعى في خاطره : اتذكر يوم الحجلة ؟ كنت في غاية الامانة ، بالرغم من قسوتي عليك ، كنا قد قضينا يوما وليلة على الطوى ، افليس من حقك ان تتبلغ بها ، اؤكد لك انك كنت شريفا في تصرفك ، ولولا اني اخاف ان تألف اكل الصيد ، ما قسوت عليك ، شأن سائر الصيادين .. حسنا ، منذ اليوم سأحمل معي مؤونة يومين كاملين لك لابي ، وهذا ما لم افعله قط ، نعم ، ولن انسى الماء ، الصياد الاصيل يجب الا ينسى شيئا .

واحس بكتلة الكلب تثقل بين ذراعيه ، فتمهل ورنا الى الكلب قليلا ، ثم وضعه برفق على الارض بينما ابتعدت ميرة منه وظلت تراقب حركاته .

**الرباط ـ مبارك ربيع**

الملة والدين جلالة الحسن الثاني نصره الله ، واعز امره ولولي عهده سيدي محمد اصلحه الله ولكافة افراد الاسرة العلوية الكريمة .

## المنجزات الفلاحية

نظرا لوجود عدة اراضي في جميع المملكة المغربية تحت تصرف وزارة عموم الاوقاف والتي يرجع تحبيسها الى الماضي ، حينما كان المسلمون يتنازلون عن بعض اراضيهم لفائدة المساجد والمدارس والمستشفيات والجمعيات الخيرية .

وبما ان القيام باستصلاح الاراضي الحبسية يعتبر من الواجبات الملقاة على عاتق الاوقاف لكونها وزارة تنتمي الى جهاز الدولة ، فتسدي دوما خدمات لاجل الصالح العام ، وبما انها تتحمل نفقات تتعلق ببناء واصلاح المساجد واداء رواتب الموظفين الدينيين القائمين عليها ، يتعين عليها ايجاد مداخيل كفيلة بسد هذه الحاجيات .

لاجل ذلك كله وقع الاهتمام باستصلاح هذه الاراضي ، كما اجريت دراسات في الموضوع قد اسفرت عن النتائج الاتية :

بما ان كل استثمار ارض يرتكز على معرفة هده الارض بالضبط ، فكان اول عمل تعين القيام به هو الاحصاء ، اي معرفة جميع اسماء الاراضي الحبسية ومساحاتها وحدودها وحالتها الفلاحية الخ .. الشيء الذي كان مجهولا فيما مضى .

وفي شهر ماي من سنة 1926 قررت وزارة الاوقاف بالتعاون مع وزارات المالية والفلاحة والداخلية القيام باحصاء عام لجميع الاراضي الحبسية ، فنظمت لهذه الغاية سلسلة من الدروس التوجيهية شارك فيها نخبة من موظفي النظارات قصد تزويدهم بجميع المعلومات الضرورية في هذا الميدان .

وقد اسفرت العملية الانفة الذكر والتي انتهت في آخر شهر شتنبر 1963 عن النتائج الاتية :

المساحة الكلية لجميع الاراضي الحبسية : 90 000 هكتار من ضمنها الاراضي المحتلة من طرف الجماعات والتي تكرى بثمن رمزي لايتعدى في غالب الاحيان 100 فرنك لكل هكتار اما مساحة هذه الاراضي فتقدر بـ 17 232 هكتار ، في حين ان مجموع القطع يقدر بـ 200 000 قطعة ، والشيء الذي تجدر الاشارة اليه هو ان 60 000 هكتار من الاراضي الحبسية لا تتعدى مساحة كل واحدة منها ربع هكتار كما انها توجد مبعثرة ومبعدة عن بعضها ، وهكذا يصير من العسير استغلالها حسب الطرق الحديثة المعمول بها ، اذ لا يمكن الاستفادة منها الا اذا تطورت عقلية الفلاحين المغاربة القاطنين فيها على وجه الكراء فتتكون لديهم الرغبة الاكيدة في استعمال الاسمدة وتنويع المزروعات ، وشراء الالات الفلاحية الخفيفة .

### التحفيظ :

حفاظا على هذه الثروة ، وبمجرد الانتهاء من عملية الاحصاء فكرت الوزارة في عملية التحفيظ ، فاجرت عدة محاولات لدى وزارة الفلاحة في موضوع اعفاء الاراضي الحبسية من اداء واجب التسجيل بالمحافظة ، هذه المحاولات التي اسفرت عن نتائج سارة حيث صدر ظهير شريف في هذا المضمار ، تعفى الاوقاف بمقتضاه من جميع الواجبات .

### الاستغلال :

ان العادة الجاري بها العمل منذ قديم ، والتي ما زالت في حيز التنفيذ الى حد الان تتضمن اكراء الاراضي الحبسية عن طريق السمسرة العلنية الحرة مع الزام كل مكتر بتطبيق الشروط المنصوص عليها في دفتر الالتزامات ، الذي يضاف الى كل عقد ابرم في الموضوع ، وان تاكد للوزارة اجراء تلك السمسرة ان ارضا او اراضي حبسية لم تصل اثناء المزايدة المعنية بالامر الى واجب كرائها الحقيقي فانها تامر بايقاف البت فيها حتى تنظر في شأن استغلالها بطرق اخرى غير طريقة السمسرة .

### الاستثمار :

نظرا لتجزئة الاراضي الحبسية وابتعاد بعضها عن بعض ووجود الكثير منها في الشركة مع الغير اصبح استثمارها شيئا عسيرا ، فبرر التدابير الاتية المتنوعة التي اتخذتها الوزارة في الموضوع .

### الطرق الاربعة التي تنهجها وزارة عموم الاوقاف لتحسين دخل اراضيها

**اولا — اصلاح الاشجار القديمة** باجراء عملية التجفين والتقليم والتسميد والسقي ، فكثير

## فى الجامع الكبير

ثم توجه سعادة الكاتب العام مع صحبه المرافقين له الى الجامع الكبير لاداء صلاة الجمعة ، وبعد الفراغ من الفريضة القى فضيلته درسا قيما فى التفسير، احيى فى النفوس الولهى راقد الحياة ، وايقظ الارواح الغافية ، وبعث روح الايمان بالله وبرسوله والاحتماء بتقوى الله من امر بمعروف ونهي عن منكر ، وعلى السمع والطاعة لاولياء الامر ، والالتفاف حول القائد الاعظم صاحب الجلالة نصره الله .

## فى مركز اكدز ...

وفى طريق عودته من ورزازات عرج على مركز « اكدز » فدشن به مسجدا ، كما القى درسا توجيهيا ....

## تدشين مسجد الكرادسة

كما انتدب معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الحاج احمد بركاش الاستاذ السيد محمد الطنجي رئيس قسم الوعظ والارشاد بالوزارة لتدشين مسجد الكرادسة بقبيلة شراكة .

ففي يوم الجمعة 21 اكتوبر الماضي كان موعدا لحفل ديني كبير اقيم بمناسبة تدشين هذا المسجد ، وقد حضر حفلة التدشين عدة وفود من مدينة فاس والناحية ، وموظفو نظارات الاحباس

وهكذا تشكل الوفد الفاسي المشارك فى الحفل واتجه صوب قبيلة شراكة حيث وصل اليها حوالي الساعة الثانية عشرة زوالا .

وانضم هذا الموكب ، الى موكب آخر شارك بدوره افراد القبيلة فرحتهم بهذا الحفل الديني الرائع .

وكان يتألف من السادة رئيس محكمة قرية ابا محمد الموحدة ، وفضيلة قاضي التوثيق ، وبعض ممثلي السلطة المحلية ، واعضاء الجماعة القروية ، واعيان القبيلة ووجهائها ، وعلى الاثر التحق الجميع بالمسجد لاداء فريضة الجمعة التي تولى القاء خطبتيها الفقيه السيد محمد الطنجي .

وقد ركز موضوع الخطبة حول موضوع الحديث الشريف «من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة»

كما بين من جهة أخرى الدور الهام الذي قام به المسجد اثناء ظهور الدعوة الاسلامية حيث كان



جمهور المومنين بقبيلة شراكة الذين حضروا الاحتفال الديني المشهود بمسجد الكرادسة . وقد توسطهم ممثل الوزارة الاستاذ محمد الطنجي .



صورة تمثل المنطقة التي بني بها مسجد الكرادسة بقبيلة شراكة . وقد غادر المومنون رحاب المسجد بعد اداء الصلاة ...

المومنون يتدارسون مع النبي صلى الله عليه وسلم ويتشاورون معه فى كل ما يعرض لهم من امورهم الدنيوية ، وما ينفعهم فى امورهم الاخروية .

وعقب انتهاء الصلاة ، ارتجل الاستاذ محمد الطنجي كلمة وجيزة استهلها بالدعاء لمولانا صاحب الجلالة واعطى توجيهات دينية للحاضرين كما شكر القبيلة على عنايتها بالدين ، واهتمامها بكل ما يتعلق باحوال المسلمين . وفى نهاية الحفل تليت سورة « انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » باصوات خاشعة ترحما على روح فقيد العروبة والاسلام جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه .

كما توجه المومنون الى الله العلي القدير بالدعاء الصالح لمولانا امير المومنين وحامي حمى

والجدير بالملاحظة ان عدد القطع التي أجـرت للفلاحيـن علـى اساس المغارسـة بالثلث يقـدر بـ 1598 قطعة صغيـرة كما تقدر المساحـة المخصصـة لتشجير هذه الاراضي بـ 2390 هكتـارا فى حين ان المساحة المغروسة من طرف ادارة الميـاه والغابـات تقدر بـ 2000هـ اما مساحة الاراضـي المغروسـة مباشرة فتقدر بـ 2182ر05هـ .

فبناء على الارقام المسجلة فى الاضلاع المشـار اليها آنفـا يتبين ان عدد الاشجار من انـواع الزيتون واللوز والكلبتوس والبرتقـال والمشمش والداليـة والخروب المغروسة منـذ 1957 الى سنـة 1966 يقدر بـ 245 529 2 شجـرة وان المسـاحـة المعـدة لهذا الغرس تقدر بـ 6572ر05هـ .

## التجهيز بالوسائل الميكانيكيـة الحديثـة

لقد بذلت وزارة عموم الاوقاف جهودا جبـارة فى ميدان تجهيز مزارعها بالوسائل الميكانيكية الحديثة كالجرارات والمحركات والمضخات والجيبات .. كمـا شيدت بناءات ضخمة لايواء هذه الادوات وكذلـك العملـة المكلفيـن باستعمالهـا .

## الفوائد التي تجنيهـا البلاد مـن عملية التشجيـر

اولا ـ رفع انتاج زيت الزيتون الذي يعتبر قليـلا فى بلادنا بنسـبة لدول اخرى اروبية كاسبانيا وافريقيا كتونس وامريكـة كالولايات المتحـدة .

ثانيـا ـ رفع انتـاج مـادة الخشب بتعميـم غـرس اشجار الكلبتوس والصنوبر فى الاراضـي القليلة الانتاج الفلاحـي والمنحدرة .

ثالثا ـ رفع انتاج الفواكـه فى الاراضي السقوية

رابعـا ـ رفع مستوى الفلاحين وتركيزهـم فى البادية وذلك بمنحهم نصيبا من الاراضي الحبسية التـي قاموا باستصلاحها بواسطـة الفرس فى نطـاق مشـروع « المغارسـة » .

من غابات الزيتون القديمة بفاس ومراكش وتارودانت ومكناس وصفرو وزرهون وبني ملال والصويرة وتازة مثلا ارتفع دخلها بنسبة تتراوح بين خمسمائة فى المائة وثمانمائة بعد ما وجهت اليها الوزارة كامل العناية حيث قامت على قدم وساق باصلاحها اصلاحا جذريا .

وتجري العمليات الانفة الذكر كل سنة بواسطة النواب والخبراء الفلاحين والعملة الاختصاصيين وكذلك المساقين الذين يتعاملون مع الاحباس فى هذا الميدان بمقابل نقدي يساوي نسبة مائوية من النتائج الفلاحية تتراوح ما بين السدس والثمن او نصف الثمن .

وتطبق نفس الاشغال الفلاحية على الاراضي الحديثة العهد بالفرس .

**ثانيا : حرث الارض الكائنة بين الاشجار** مرتين فى السنة لاجل التهوئة وازالة النباتات المضرة والاعشاب الطفيلية والاحجار .

**ثالثا : حفظ الاراضي المنحدرة المعرضة للاتلاف** تحت تأثير الامطار الغزيرة والمياه الفوضوية بواسطة الاشجار الغبوية .

**رابعا : غرس اشجار الزيتون والفواكه** فى الاراضي القليلة الانتاج .

## تشتمل وسائل التشجير فى وزارة عموم الاوقاف على ثلاثة اساليب

**اولا : تبرم عقود مع الفلاحين** الراغبين فى تشجير الاراضي الحبسية على اساس نصيب من الارض والاشجار يقدر بالثلث يمنح لهم عند نجاحهم فى المهمة الملقاة على عاتقهم .

واذا اقتضى الحال ان يبقى المغارس مالكا فى الشياع مع الاوقاف فقد يمنح له زيادة عن نسبة الثلث سدس الغلة كمقابل للاشغال الفلاحية التي يقوم بها فى صالح الاوقاف .

**ثانيا : تبرم عقود مع ادارة المياه والغابات** تتكفل بمقتضاها هذه الاخيرة بتشجير الاراضي الحبسية واستيفاء ما قدمته من نفقات من نتائج بيع الغلال عند نضجها .

**ثالثا : الغرس المباشر** تقوم وزارة عموم الاوقاف فى كثير من الاحيان بتشجير **اراضيها مباشرة** تحت اشراف الناظر والنائب المحلي وبمعونة خبراء فلاحيين اختصاصيين تابعين للنظارة .

وهكذا انشأت مزارع نموذجية فى جميع النواحي التي تتوفر على اراضي حبسية شاسعة وقابلة للتشجير فشيدت عليها بناءات وجهزت باجود الالات الفلاحية الضرورية فى هذا المضمار .

ولاجل تموين جميع منجزات الفرس من النقلات قد انشأت مطارح فى كل من زرهون وقد تشتمل على 000 100 نقلة ومراكش وتشتمل على 000 120 نقلة من الزيتون وفاس وتشتمل على 000 60 نقلة وصفرو 000 50 فصار مجموع النقلات الى حد الان يقدر بـ 000 330 نقلة

### نتائج التشجير منذ 1957

| السنوات | المساحة | عدد الاشجار |
|---|---|---|
| 1957 | 247ر44 | 24.722 |
| 1958 | 622ر60 | 218.500 |
| 1959 | 516ر91 | 288.316 |
| 1960 | 444ر50 | 247.417 |
| 1961 | 584ر66 | 448.256 |
| 1962 | 1 094ر02 | 529.016 |
| 1963 | 705ر51 | 265.303 |
| 1964 | 963ر89 | 164.130 |
| 1965 | 943ر00 | 276.194 |
| 1966 | 449ر52 | 67.391 |
| | 6 572ر05 هـ | 2.529.245 |

اما المساحات بنسبة الانواع وعدد الاشجار فتقدر كما يأتي :

| الانواع | الاعداد | المساحة |
|---|---|---|
| الزيتون | 461.333 | 3 952ر65 |
| اللوز | 24.277 | 160ر00 |
| البرتقال | 17.226 | 120ر00 |
| المشمش | 10.949 | 79ر50 |
| الفواكه الاخرى | 47.037 | 329ر00 |
| الكليبتوس | 1.968.423 | 1 930ر90 |
| الجملة : | 2.529.245 | 6 572ر05هـ |

وقد نـال درجة بميزة « امتياز » بالاجمـاع، وبهذه المناسبة احرز على دكتورة الدولة .

تهانينا للدكتور عبد السلام الهراس .

* عقدت فى الرباط ما بين 11 و14 اكتوبر الماضي مناظرة لدراسة قضايا التخطيط العائلي ، تحت رعاية وزارة الصحة .

* سيصدر قريبا عن دار «العلم» كتاب للمرحوم مصطفى الصباغ ، مشتملا على منتخبات من آثاره الادبية التي كان ينشرها فى جريدة « العلم » رحم الله الفقيد ، آملين لهذا الكتاب رواجا ، وبعد صدى .

* صدرت فى تونس مجلة بعنوان « قصص » وتصدر كل ثلاثة شهور .

* قررت وزارة الاعلام والثقافة الليبية شراء الف نسخة من كل مؤلف ليبي يتولى طبع ونشر كتابه على نفقته الخاصة ،وستقسم الكمية بين المؤلف والناشر فى حالة قيام ناشر ليبي بنشر الكتاب .

* اهدى المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية فى الجمهورية العربية المتحدة الى اندونيسيا 1 000 نسخة من القرآن الكريم . ،وقد قدم السيد توفيق عويضة الامين العام للمجلس هذه الهدية للسيد احمد شيخ رئيس البرلمان الاندونيسي الذي يحضر فى القاهرة المؤتمر الثالث لعلماء الاسلام .

* اقيم معرض للكتاب فى بون شاركت فيه الجامعة العربية ممثلة للدول العربية جميعها بمجوعة من الكتب كما شاركت فيه بعض دور النشر العربية من بيروت . وشاركت 51 دولة اخرى مثلتها 1681 دار نشر . ضم المعرض 100 الف كتاب فى العلم

* مذكرات الشاعرة السيدة نازك الملائكة اخذت طريقها الى النشر فى الملحق الادبي الذي تصدره جريدة الاهرام ، علما بان تلك المذكرات تطبع على شكل كتاب فى الوقت نفسه فى القاهرة . وتضمنت تلك المذكرات خواطر وآراء الشاعرة فى الكثير من القضايا الادبية والفكرية .

* « الامثال العامية فى البلاد العربية » سيطبعها المجمع اللغوي بالقاهرة فى كتاب من اعداد محمد البقلي .

* ستترجم روايتا نجيب محفوظ « بداية ونهاية » «زقاق المدق» الى الانجليزية بناء على قرار لجنة الترجمة فى مجلس الفنون بالقاهرة .

* صدر بالقاهرة الحكم فى القضية الادبية التي اثارت ضجة عالية واستمرت خمس سنوات . انها قضية ديوان ابراهيم ناجي الذي اصدرته وزارة الثقافة وظهرت فيه 17 قصيدة ليست من شعر ناجي وانما هي من شعر الدكتور كمال نشأت .

* لجنة نشر المخطوطات العربية التي تكونت برئاسة الدكتور محمد مرسي احمد مدير جامعة عين شمس بالعربية المتحدة وعضوية الدكتور احمد عزت عبد الكريم وكيل الجامعة ستشترك مع قسم اللغات الشرقية بجامعة موسكو فى دراسة المخطوطات العربية . ستقوم اللجنة باعادة طبع المخطوطات بعد تحقيقها .

* تقوم وزارة الاوقاف فى العربية المتحدة باعداد معجم لموضوعات القرآن الكريم واطلس جغرافي يشتمل على خرائط للاماكن التي ورد ذكرها فى القرآن الكريم وعمل دائرة معارف قرآنية مزودة بالفهارس استكمالا للمكتبة القرآنية التي وضعها الاولون من تفسير للقرآن الكريم وشرح معانيه .

وقد قررت الجماعة العامة لحفظ القرآن الكريم اعداد مشروع بوضع فهرست موضوعي للقرآن الكريم يرتب الآيات حسب الموضوعات التي تتناولها بدون تقيد بالسور .

* كتاب « تاريخ الادب العربي » للمستشرق الالماني كارل بروكلمان «ت 1956» شرعت الجامعة العربية فى اكمال ترجمته الى العربية ، التي صدر منها ثلاثة اجزاء ثم توقفت لوفاة المترجم عبد الحليم النجار . وقد عهدت الجامعة الى احمد الساداتي ان يقوم بترجمة بقية الكتاب تنشره دار المعارف .

* صدر فى كتاب الهلال « دراسات فى الحب » تاليف يوسف الشاروني .

* الجائزة الاولى فى مسابقة الشعر التي ينظمها مجلس الفنون بالقاهرة بين الشباب فاز بها محمد غريب سكرتير لجنة المسرح فى مجلس الفنون .

* يعكف الاستاذ مصطفى علي على اعداد بحوثه الاخيرة عن شاعر العراق الرصافي ، ومن الجدير بالذكر ان الاستاذ مصطفى علي كان قد اصدر كتابه الاول عن الرصافي منذ سنوات .

# أنباء ثقافية

* شارك الاستاذ السيد عبد الله كنون فى الدورة الثالثة للمؤتمر الاسلامي الذي عقد اخيرا فى القاهرة . وقد نوهت الصحافة المصرية بالموضوع القيم الذي القاه الاستاذ كنون فى هذا المؤتمر بعنوان « الحديث النبوي وقيمته العلمية والدينية »

* يصدر قريبا المجلد الخامس من موسوعة « تاريخ تطوان » للمؤرخ المعروف الاستاذ البحاثة السيد محمد داود ، وتشتمل هذه الموسوعة على عشرة اجزاء ، كما انهى الاستاذ المذكور كتابا يقع فى ثلاث مجلدات عن الامثال المغربية ومقارنتها مع الامثال العربية ، وينوي الاستاذ داود تقديمها للطبع ، كما ان له مخطوطا بعنوان « على راس الاربعين» سيقدمه للطبع كذلك .

* كان للندوة التي عقدها التليفزيون المغربي اخيرا مع الدكتور رمزي ، رئيس قسم الجراحة لستشفيات مراكش فى موضوع « التخطيط العائلي » اثرها الكبير فى نفوس النظارة ، لما انطوت عليه اجابات الدكتور من تركيز ، واطلاع واسع شامل فى هذا الموضوع ، وذلك بلغة عربية سليمة . نهنىء الدكتور علي هذا النجاح الذي احرز عليه .

* عاد الاستاذ السيد عبد العزيز بن عبد الله ، رئيس المكتب الدائم لتنسيق التعريب ، التابع للجامعة العربية بالرباط من رحلته الثقافية التي قام بها الى بعض عواصم الدول الاسيوية .

* ستنظم المكتبة العامة بتطوان معرضا للصحافة المغربية فى ماضيها وحاضرها .

* فى مدرج كلية الاداب بالرباط دشن افتتاح الموسم الدراسي الجامعي بحضور اساتذة الكليات والطلبة الجامعيين ونخبة من المثقفين وبعض رجال السلك الديبلوماسي تكلم فيه الاستاذ محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس ، الذي استعرض نشاطات الجامعة واقسامها . خلال السنة المنصرمة ، كما القى الاستاذ محمد عزيز الحبابي ، عميد كلية الاداب ، درسا افتتاحيا بهذه المناسبة.

* بمناسبة الذكرى العشرينية لليونسكو ، اقام مركز التنسيق بين اللجان الوطنية العربية لليونسكو بالرباط فى الفترة 7 و14 اكتوبر من هذه السنة معرضا للصور الثابتة عن مجهودات هذه المنظمة فى العالم العربي والافريقي .

* من منشورات دار الكشاف للنشر والطباعة فى بيروت صدر « الفجر الكاذب » وهو مجموعة قصص مغربية تأليف الاديب المغربي الاستاذ احمد عبد السلام البقالي .

* صدر عن المركز الجامعي للبحث العلمي ، العدد الثامن من مجلة «البحث العلمي» شارك فيه الاساتذة : الناصر الفاسي ، الدكتور محمد المشاط ، الدكتور ابن الماحي الوزاني ، عبد المالك جسوس .

* صدرت مؤخرا فى لبنان الطبعة الثالثة من كتاب « شلال الاسود » للسيد محمد الصباغ . طبعته الاولى صدرت فى تطوان ، والثانية في تونس .

* « مدخل لدراسة الفلسفة » عنوان كتاب صدر حديثا بالمغرب لمؤلفيه مصطفى القباج ، ومحمد عباس نور الدين .

* صدر للاستاذ الكبير علال الفاسي كتاب جديد بعنوان « دفاع عن الشريعة » .

* يقوم الاستاذان سعيد اعراب وعبد السلام الهراس بتحقيق مخطوطة « درر السمط ، فى اخبار السبط » لابن الابار .

* قدم صديقنا الاستاذ السيد عبد السلام الهراس دراسة وتحقيق لديوان ابن « الابار » عن اصل مخطوط نادر بكلية الاداب بمدريد كرسالة لدكتورة الدولة .

والقصائد باقلام نخبة من الكتاب في اخراج انيق .

* منعت 13 مجلة لبنانية من دخول العراق « لنشرها مواضيع وصورا تنافي الاداب العامة » وهي : الهلال ، النور العربي ، اسبوع بيروت ، الحسناء ، دنيا الكواكب ، الراي العام ، الليالي ، العالم العربي للفن ، السينما ، الوعد ، كوكتيل ، والعروسة .

* صدرت ببغداد الكتب التالية : « رماد الفجيعة » ديوان شعر لسامي مهدي « تراثنا الفلسفي حاجته الى النقد والتمحيص » للفقيد الشيخ محمد رضا الشبيبي . ومن مطبوعات المجمع العلمي العراقي « دور العلاج والرعاية في الاسلام » لسعيد الديوجي مدير متحف الموصل «معجم المطبوعات النجفية منذ دخول الطباعة الى النجف حتى الان لمحمد هادي اميني تضمنت الاشارة الى اكثر من 1800 مطبوع « ظلال الغاب » ديوان شعر لعبد الصاحب ياسين « كيف تستخدم المكتبة» ترجمة بتصرف السيد اياد جعفر مرزة امين المكتبة الوثائقية بوزارة التربية ببغداد .

* يطبع الان في احدى مطابع لبنان ديوان الشاعر العراقي الحاج عبد الحسين الازري ، ومن المتوقع صدوره خلال فترة قريبة .

* عن دار الاداب في بيروت يصدر قريبا « اصول الدافع الجنسي » لكولن ولسن ترجمة يوسف شرورو . و «الارض يا سلمى » مجموعة قصص يمنية تاليف محمد عبد الولي .

* عن دار المكتبة العصرية في بيروت يصدر قريبا « انتفاضة قلب وقصص اخرى » للقاصة العراقية سهيلة داود سلمان و « طريق المجتمع » للباحث العراقي الدكتور عبد الجليل الطاهر . «الامبراطورية البيزنطية» للباحث العراقي الدكتور عبد القادر احمد اليوسف « في نقد القصص العراقي» للاديب الباحث العراقي الدكتور علي جواد الطاهر.

* من منشورات « دوار الاداب » في بيروت سيصدر ديوان شعر جديد بعنوان « النار والطين» للشاعر راضي صدوق .

* يصدر قريبا الديوان الرابع للشاعر فدوى طوقان وسيحمل عنوان « امام الباب المغلق » .

* « صلاح لبكي شاعر الجمال » عنوان الكراس الذي اصدره رياض فاخوري ، وهو محاضرة كان قد القاها في مدينة النهضة ببيت شباب بلبنان . ويضم الكراس عدا المحاضرة قصيدة بعنوان « فلسطين » .

* عن منشورات عويدات في بيروت يصدر قريبا « تاريخ السينما في العالم » لجورج سادول ترجمة الدكتور ابراهيم الكيلاني مع مقدمة من المؤلف للطبعة العربية « تاريخ الرواية الحديثة » لالبيريس ترجمة الاديب السوري جورج سالم . المجلد الرابع من موسوعة « تاريخ الحضارات العام » .

* الدكتور جورج طعمة صدر له عن دار الثقافة في بيروت الطبعة الثانية من كتابه « تكوين العقل الحديث» والكتاب في جزاين صدرت طبعته الاولى منذ سبع سنوات . والدكتور جورج طعمة الذي كان وزيرا للاقتصاد السوري له ايضا كتاب آراء جيفرسون الحية » و « فلسفة لايف ينز » .

* « سنابل القمح » مجموعة تضم عشر قصص لاميل يوسف عواد صدرت في بيروت . ومما يذكر ان المستشرق الفرنسي ميشيل باربو ترجم الكثير من قصص اميل يوسف عواد الى الفرنسية وربما صدرت له في باريس في الموسم المقبل مجموعة من قصص المترجمة .

* الشاعر روبير غانم تصدر له خلال الشهر الجاري في بيروت مجموعته الشعرية الاولى وعنوانها « سنوات الحزن ) .

* الشاعرة اللبنانية نللي جدعون ، فازت بجائزة ادغارتو عن ديوانها الشعري باللغة الفرنسية « على وقع الهنيهة » وقد منحتها هذه الجائزة مؤسسة الشعر الفرنسية في باريس ، وكانت نللي قد اهدت هذه المؤسسة نسخة من ديوانها

* صدر حديثا عن دار المكتبة المصرية ببيروت « انف وثلاث وعيون » قصة طويلة لاحسان عبد القدوس . والمجلد الاول من « المثنوي » للشاعر الصوفي جلال الدين الرومي ترجمه عن الفارسية الدكتور عبد السلام الكفافي عميد كلية الاداب في جامعة بيروت العربية . وسيصدر الكتاب كاملا في ست مجلدات .

* يصدر قريبا عن دار الاداب ببيروت « مذكرات بن بلا ) كما املاها روبير ميرل .

※ صدر الى الاسواق مؤخرا كتاب « تاريخ علماء سامراء» » من تأليف الشيخ يونس ابراهيم السامرائي ويقع الكتاب في 116 صفحة من القطع المتوسط تضمنت حياة عدد كبير من رجال الدين والعلماء في مدينة سامراء .

※ «الفعل زمانه وابنيته » كتاب جديد اصدره الدكتور ابراهيم السامرائي رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب ببغداد وقد ساعدت جامعة بغداد على نشره .

※ صدر كتاب « الوحدة والتنوع في الحضارة الاسلامية » تأليف جي.تي. كروتباوم وترجمة الدكتور صدقي جمدي .

※ مخطوطات الموسيقى العربية في العالم ــ القسم الاول « مخطوطات ايران » عنوان الكتاب الجديد الذي اصدره الاستاذ زكرياء يوسف .

※ سيصدر قريبا الجزء الثالث من « موسوعة العتبات المقدسة » والتي يشارك في اعدادها عدد من المختصين في العراق . ويشرف على اصدار هذه الموسوعة الاستاذ جعفر الخليلي .

※ صدر مؤخرا ديوان شعر شعبي بعنوان « فراكين الهوى » للشاعر الشعبي ابي ضاري .

※ صدر مؤخرا كتاب « القصص في العصر الاسلامي » تأليف الاستاذ عبد الهادي الفؤادي .

※ صدرت الطبعة الثانية من كتاب « خطوط الطول والعرض وحساب الوقت » من تأليف الاستاذ عبد الرزاق الشماع .

※ اصدر قسم الفلسفة بجامعة بغداد العدد الاول من مجلته «الفكر الجديد » باشراف جعفر آل ياسين

※ تقرر افتتاح جامعة الكويت في هذا الموسم وستضم في اول عهدها ثلاث كليات هي : الاداب ، العلوم ، التربية . بالاضافة الى كلية البنات التي ستدرس فيها هذه الفروع وتضم الجامعة الان 43 استاذا متخصصا .

※ صدرت ببغداد الكتب التالية « الجزء الثاني من ديوان عبد القادر رشيد الناصري » جمعه وقدم له هلال ناجي ، وعبد الله الجبوري ، « العملة الاسلامية في العهد الاتابكي » لمحمد الاتابكي ومحمد باقر الحسني . « اللهب المقفى » ديوان الشاعر حافظ جميل . « مدارس بغداد في العصر العباسي» لعماد عبد السلام رؤوف « عثمان الموصلي الموسيقار الشاعر المتصوف » للدكتور عادل البكري « من شعرائي المنسيين » لعبد الله الجبوري « رجال السيد بحر العلوم ، بالفوائد الرجالية » تحقيق محمد صادق بحر العلوم وحسين بحر العلوم « البصرة العظمى لسليمان فيضي » «شعراء من الناصرية» ويتضمن شعر ثلاثة شعراء من عناية الحسيناوي وفاضل السيد مهدي ، وعبد الخالق العطار ، « المتشابه من القرآن » لمحمد علي حسن الحلي .

※ انتهى في بغداد عبد الله جمال الدين من تحقيق كتاب « سيرة الامام المستنصر » للمؤرخ ابن الساعي البغدادي والنسخة التي حققها موجودة في خزانة الاستاذ مكرمين في استنبول .

※ انتهى عزيز جاسم الحجية من وضع كتاب بعنوان « بغداديات » تضمنت فصوله تسجيل لمظاهر الحياة الشعبية في بغداد منذ الطفولة حتى الممات .

※ مخطوطة « نخبة الشارب ومجالة الراكب » لنظام الدين الاصفهاني انجز تحقيقها الدكتور كمال الشيبي وهي اقدم ديوان شعري في الرباعيات ويحتوي على 500 رباعية مع تعليق المترجم عليها. وسيصدر قريبا في بغداد .

※ من الكتب الجليلة التي صدرت مؤخرا كتاب « لمحات من تاريخ الطب القديم » تاليف الدكتورة آمنة صبري مراد مديرة مستشفى الحريري ببغداد الذي نشرته مكتبة النصر الحديثة بالقاهرة وقدمه الدكتور محمد طلعت استاذ الفسيولوجيا بكلية الطب في جامعة القاهرة .

※ قامت مكتبة المثنى مؤخرا باعادة طبع كتاب « رسائل ابي العلاء المعري » بالافست عن النسخة المطبوعة في المطبعة المدرسية في مدينة اكسفورد سنة 1798 قام بتحقيقه ونشره المستشرق الانكليزي مرغليوث .

※ صدر عن دار البصري ببغداد كتاب «العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران » تأليف شاكر صابر الضابط .

※ صدر عن الجمعية الاسلامية للخدمات الثقافية في الكاظمية بالعراق ، مجلة شهرية فكرية جامعة باسم «البلاغ» وهي حافلة بالابحاث والموضوعات

وجائزة كالينجا هذه سنوية قيمتها 1000 جنيه استرليني تقدمهااليونسكو بناءعلى منحة افردها بيجويا ناند باتنيك احد رجال الصناعة الهندية واحد المشتركين فى ادارة مؤسسة كالينجا نسبة الى الامبراطورية التي اسسها « اسوكا » فى الهند منذ اثنين وعشرين قرنا .

* انتهت الان اعمال المؤتمر التاسع والعشرين للتعليم العام الذي عقدته اليونسكو بالاشتراك مع المكتب الدولي للتعليم فى جنيف . وشهد هذا المؤتمر مندوبون عن 90 دولة بلغ عددهم 360 مندوبا وكان من بينهم18 وزيرا للتعليمالى جانب عدد كبير من رجال التدريس والتربية وعلم النفس .

وتضمن جدول اعمال المؤتمر نقطتين رئيسيتين هما : تنظيم شؤون الابحاث التربوية وايفاد الاساتذة الى الخارج .

* ظهر مؤخرا الكتاب الاول فى السلسلة التي تصدرها اليونسكو بعنوان « مقدمة للاداب الشرقية اما الكتاب نفسه فعنوانه « مقدمة للاداب العربي » كتبه الاستاذ جاستون فيت عضو المعهد .

والكتاب موجه الى الجمهور العام ، ومكتوب على نحو مبسط شامل ، وهو يتالف من احد عشر فصلا تقدم الى الجمهور العام ، مراحل الادب العربي منذ بدايته الى ايامنا هذه فتناول الادب الجاهلي ، او العباسي ثم تفكك دولة الخلفاء ، وعهد استيلاء المغول على بغداد ، ثم العصور الحديثة « من القرن الثالث عشر الى القرن الثامن عشر » ثم النهضة العربية « التاسع عشر وبداية القرن العشرين » وفترة بين الحربين تم الاتجاهات والمدارس الحديثة

* تم التعاقد بينمنشوراتعويدات ببيروتوعبد اللطيف شرارة على ترجمة مذكرات الجنرال ديغول الى اللغة العربية . ومما يذكر ان صاحب الدار قد تلقى شخصيا موافقة المؤلف والناشر على ترجمة هذا الكتاب واصدره على ان ترسل اصول الترجمة العربية الى الجنرال ديغول قبل الطبع للاطلاع عليها .

* صدر فى موسكو كتاب بعنوان « الفكر الفلسفي والاجتماعي الحديث فى بلاد الشرق » كتبته مجموعة من المستشرقين السوفييت .

* جاء من لاهور ان فريقا من الفنانين الباكستانيين سيشرعون قريبا بكتابة القرآن بخيوط من الذهب الخالص . وسيعدون 3 نسخ فقط تكلف الواحدة منها 1900 دولار وستوضع فى عاصمة باكستان الجديدة والاخريان ستحفظان فى كل من مكة المكرمة ، والمدينة المنورة .

* بيرل باك الكاتبة الامريكية حاملة جائزة نوبل ومؤلفة رواية « الارض الطيبة » عن الصين ، صدر لها كتابها رقم سبعين عنوانه « من اجل سماوات ارحب » .

* اصدرت جامعة هارفرد كتابا عنوانه « دراسات عربية اسلامية » ، وذلك بمناسبة بلوغ المستشرق الانكليزي الشهير « هاملون كب » السبعين من عمره .

* ظهر فى الولايات المتحدة كتاب عنوانه : « نمرود وبقاياها » وهو بمجلدين للمؤلف الشهير « مالاون » لقد ظل « الاستاذ مالاون » ينقب فى نمرود مع اكثر من بعثة بين عام 1949 و 1963 وقضى سبعة اعوام فى تحضير كتابه هذا الذي يعتبر من اروع ما نعرف عن هذه المدينة التي شهدت اوج مجدها ايام ثلاثة من اعظم ملوك اشور ناصر بال الثاني وابنه شلما نصر الثالث واسر حدون ، وعانت بعد هذا كثيرا من الامزات والمحن حتى فتحها البابليون والميديون وقضوا على الامبراطورية الاشورية عام 612 ق.م. ان الكتاب يضم 594 صورة ومخططا وخارطة .

* فى مدينة نيويورك عقد المؤتمر الرابع والثلاثون لنادي القلم الدولي ، وهو اكبر اجتماع حدث فى حياة تلك المنظمة الثقافية منذ ان تم تكوينها فى اكتوبر عام 1921 فى لندن . حضره اكثر من 600 من الادباء والكتاب اكثر من نصفهم كانوا يمثلون بلدان اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، ومن بين الشخصيات الادبية الكبيرة التي ظهرت فى هذا الاجتماع وساهمت فى اعماله الكاتب المسرحي الامريكي آرثر ميللر رئيس المنظمة ، والكاتب روجيه كابوا رئيس القسم الادبي فى منظمةاليونسكو ، وسلوني عميد كتاب الرواية فى ايطاليا ، وبابلونيرودا الشاعر الشيلي .

* تقوم جامعة الاريزونا بالولايات المتحدة ، باعداد قائمة علميةتحصر كلالابحاث الجغرافيةالجارية والتي تم اجراؤها فى مجال البيئات الصحراوية ستوفر هذه القائمة كل المعلومات عن صحارى الدنيا جميعها باستثناء الصحارى الباردة ، فتورد

* صدر في منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت كتاب بولس سلامة « خبز وملح » : وهو الكتاب الحادي عشر من مؤلفات الشاعر بولس سلامة .

* « خان الطريق » رواية جديدة لخضر نبوة صدرت في بيروت .

* « الحقد الاسود » للاديب العراقي الدكتور شاكر خصباك صدر في بيروت .

* الهيئة المشرفة على طبع معجم المنجد للاب لويس معلوف اليسوعي قد رفعت كلمة « الخليج » منه وذلك رفعا للنزاع بين العرب وايران .

* اصدرت مكتبة دار الحياة بيروت كتابا عن الزهاوي ، يضم اغلب مقالاته التي سبق ان نشرها في مجلة «الهلال» ومجلة «المقتطف» الى غير ذلك من المقالات التي كتبت تأبينا للشاعر الزهاوي . وقد قام بجمع تلك المواد الاستاذ عبد الحميد الرشودي .

* صدر عن دار الثقافة في بيروت ديوان الشاعر « ديك الجن الحمصي » وقد قام بجمعه وتحقيقه الدكتور احمد مطلوب والاستاذ عبد الله الجبوري ويقع الديوان في «206» صفحات من القطع الكبير .

* اقامت وزارة الثقافة والارشاد في المركز الثقافي العربي بدمشق ندوة قومية موضوعها « الامير عبد القادر ونضال الشعب العربي في الجزائر » اشترك فيها الدكتور نور الدين حاطوم رئيس قسم التاريخ بجامعة دمشق وعلي بن محمد من الجزائر ، والشاعر السوري صالح درويش .

* احتفلت الجامعة الاردنية في عمان لاول مرة في تاريخها القصير بتخريج الدفعة الاولى من طلاب كلية الاداب فيها . وقد اقيم لهذه الغاية حفل كبير تحت الرعاية الملكية ووزعت فيه الشهادات على المتخرجين والجوائز للمتفوقين .

* رابطة العالم الاسلامي في مكة المكرمة ستصدر جريدة اسبوعية باسم « اخبار العالم الاسلامي » لتستطيع ان تمد نشاطها الاسلامي في سرعة نقل اخبار العالم الاسلامي وخدمة التضامن الاسلامي على نطاق واسع .

* ثلاث مجلات جديدة منح امتيازها في السعودية هي « العرب » للشيخ حمد الجاسر و « القبس » لمحمد حسين زيدان و « كلمة الحق » لاحمد عبد الغفور عطار .

* كتاب « ثورة 1952 وسقوط السيطرة البريطانية في مصر » للكاتب السوفياتي كورد جيلا شفيلي » آخر ما كتب عن الثورة المصرية باللغة الروسية يقوم بترجمته الان في القاهرة رضوان ابراهيم .

* الشاعر السعودي عبد السلام هاشم حافظ يصدر له قريبا ديوان شعر جديد بعنوان « ترانيم الصباح » وكتاب عنوانه « الامام ابن تيمية » الذي فاز بجائزة وزارة المعارف السعودية في الماضي . كما اعد للطبع كتابا عنوانه « كيف تكون انسانا مثاليا » .

* اعلن وزير الاعلام السعودي الشيخ جميل الحجيلان اعتزام وزارة الاعلام اصدار كتب اعلامية جديدة عن نهضة المملكة في جميع المجلات .

* قررت ادارة الافتاء في السعودية ارسال دعاة للتبشير بالاسلام في الهند وافريقيا .

* الهند ستصدر كتابا من 300 مجلد يضم كل ما قاله او كتبه غاندي ويصدر بمناسبة مرور 100 سنة على ميلاده .

* افتتح في جامعة كاتان في صقلية معهد دولي لدراسة البراكين وابحاثها بمقتضى اتفاق وقع بين اليونسكو والمجلس الايطالي للابحاث الذي يشترك بنصيب مماثل في تكاليف هذا المعهد وفي نفقات تجهيزه بالمعدات العلمية الحديثة .

وسيفتح المعهد ابوابه امام الباحثين من مختلف البلاد كما انه سيعمل على تخريج الباحثين من الشباب .

* اعلن في اليونسكو انه وقع الاختيار على الاستاذ يوجين رابينوفيتش رئيس تحرير مجلة « العلماء الذريين » لنيل جائزة كالينجا الرابعة عشرة . تقديرا لجهوده في تبسيط العلوم .

الحقائق عن مختلف المواضيع العلمية فيها سواء من حيث التربة والحياة النباتية والحيوانية والمناخ والطقس والتقسيمات الجغرافية وكل ذلك . وتقرر اصدار هذا المصنف العلمي في نهاية هذه السنة

* طالب مواطن انكليزي مؤخرا بان يفتح قبر شكسبير للتوصل الى معرفة شكل ملامحه ، وفيما اذا كان مديد القامة ام قصيرا عريض الجبهة ام ضيقها . ومن الجدير بالذكر انه لا يوجد في الوقت الحاضر اية صورة لشكسبير يمكن الاعتماد عليها باعتبارها رسمت عن وجهه الحقيقي ، واهم الصور الموجودة تخطيط محفور ظهر في المجلد الاول الذي ضم اعماله والذي طبع بعد وفاته بسبعة اعوام .

* اعلن المتحف البريطاني عن انجازه لمرجع يعد اضخم مرجع في العالم ويتألف من 263 مجلدا لمجموعة الكتب في المتحف . وقد بيعت جميع النسخ من هذا الدليل وعددها 750 نسخة لحوالي 40 بلدا بينها الصين ، والاتحاد السوفياتي ، والولايات المتحدة . واستغرق وضع هذا الدليل الذي يتضمن شرحا عن اربعة ملايين كتاب ويتألف كل مجلد منه 500 صفحه .

* اصدرت دار اوكسفورد للنشر في بريطانيا كتاب « لورنس ــ وجهة نظر عربية » تأليف الكاتب الاردني سليمان موسى ، وكان هذا الكتاب قد نشر اصلا عام 1962 في الاردن بعنوان « لورنس والعرب » ثم عمل مؤلفه على ترجمته الى اللغة الانكليزية وقد اثار الكتاب عند صدوره نقاشا في الصحف البريطانية والامريكية واستحوذ على اهتمام النقاد الذين كان من بينهم المستر انتوني ناتنج الوزير البريطاني السابق . وسبب الاهتمام ان هذا الكتاب هو اول كتاب من نوعه بقلم مؤلف عربي يعالج الموضوع من زاوية جديدة تختلف عن الكتب الكثيرة التي وضعها مؤلفون غربيون. وقد اعتمد المؤلف على مصادر عربية لم يتطرق المؤلفون الاجانب اليها ، كما اعتمد على رجال بارزين احياء شاركوا في الثورة العربية الكبرى وعرفوا لورنس امثال نسيب البكري ، وفائز الغصين ، وعوني عبد الهادي ، والامير سعيد الجزائري ، والامير زيد بن الحسين . ولم تمر ثلاثة اسابيع على صدور الكتاب في لندن حتى ابلغت دار النشر المؤلف أنها قررت اصدار طبعة ثانية منه في الولايات المتحدة . ومن المقرر ان تصدر الطبعة الثانية .

# دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الثاني – السنة العاشرة – شعبان 1386 – ديسمبر 1966

## في هذا العدد :

صفحة

1 ابدأهم بما نريد . . . . . . . . دعوة الحق

دراسات اسلاميه :

4 الحديث ، وقيمه العلميه والدينيه . . . . . . للاستاذ عبد الله كنون
14 نحو تاريخ هجري موحد . . . . . . . الاستاذ عبد الهادي التازي
26 في مجتمعنا الاسلامي . . . . . . . . للاستاذ عبد القادر زمامة
28 المسلمون في خطر الفراغ . . . . . . . للاستاذ عبد السلام الهراس
30 من تاريخ المسلمين في بلاد الانجليز . . . . الاستاذ رياض عبد الواحد الدروسي
34 ليس القرآن بلغة قريش فحسب . . . . . . . للاستاذ الراجي التهامي الهاشمي
38 نقد مقال العوائق النفسانيه للتخطيط . . . . . للدكتور تقي الدين الهلالي

ابحاث ودراسات :

42 نظرة في منجد الآداب والعلوم . . . . . . . للاستاذ عجاج نويهض
44 نظرة في منجد الآداب والعلوم . . . . . . . للاستاذ عبد الله كنون
46 هذه اللغة المفترى عليها . . . . . . . . للاستاذ احمد زياد
48 في ميدان التربية المقارنة . . . . . . . . الاستاذ محمد الحمداوي
60 العلامة الامام « رشيد رضا » . . . . . . . للاستاذ انور الجندي
64 لماذا نقرأ الشعر ؟ . . . . . . . . . للاستاذ عبد العلي الوزاني
71 خواطر عن فلسفة الابداع في الرسم التجريدي . . للاستاذ محمد السرغيني
74 المؤتمر التاسع والعشرون للتربية والتعليم . . . للاستاذ عبد اللطيف خالص
78 الانسان والمجتمع . . . . . . . . . . للاستاذ عبد اللطيف بالمختار
81 نظرات في معضلة الترجمة بقلم كلود ايلسون – تعريب – . . . . . . . . الاستاذ عبد الرحمن بنعبد الله
83 من اعلام الادب الاسباني المعاصر . . . . . . للاستاذ حسن الوراكلي
85 نظرة في كتاب معجم الادباء : بعد طبع مصدر من مصادره . . . . . . . . للاستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

ديوان المجلة :

90 من وحي رمضان : هلال السلام . . . . . . . للشاعر علال بن الهاشمي الفيلالي
91 مدينة المباهج . . . . . . . . . . للشاعر المدني الحمراوي

دراسات مغربية :

93 جولة في المخطوطات العربيه باسبانيا . . . . . للاستاذ محمد ابراهيم الكتاني
99 وثائق تاريخيه اندلسية . . . . . . . . للدكتور محمد كمال شبانة
104 وثيقة عن المهاجرين التلمسانيين بفاس نشر وتقديم . . . . . . . . الاستاذ محمد المنوني
107 على هامش قصة الفتح . . . . . . . . . للاستاذ عبد القادر الصحراوي
114 ابو الفضل يوسف ابن النحوي المغربي . . . . للاستاذ عبد الله الجراري
117 الشيخ عبد الرحيم المغربي ( 592/521 ) . . . للاستاذ سعيد اعراب
121 المغرب بين الامتيازات الاجنبية والتسامح الديني . للاستاذ عبد النبي ميكو

قصة العدد :

126 في ليلة عيدهم . . . . . . . . . . للاستاذ محمد اشماعو

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الاسلامية
بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

## كلمة العدد

# أبداً هم بما تريد ...

يظلنا شهر رمضان المعظم ، فنستقبله بالرضى والبشر ، والغبطة والشكر، اذ يتلقى المسلم المومن في مدرسته دروسا في التعاون والتآزر ، والتواصل والتعاطف ، والتكاتف والتزوار ، ويجد من نفسه وازعا يحمله على أن يحبو اخوانه المعوزين الذين برحت بهم الفاقة ، ما يسدون به الرمق ، ويبعث في نفوسهم المحبة والرحمة والاخاء ...

والصوم ، كما هو معلوم ، فريضة تسمو بالروح الى عالم اللطف والصفاء ، غايته تطهير النفوس من أوضار المادة وأدران الذنوب ، وهدفه بث الطمانينة والامن والايمان في القلوب ، وتاكيد اسباب المحبة والمودة بين افراد المجتمع ..

ولكم يحلو للمسلم المومن في هذا الشهر الكريم الذي يعم فيه الرخاء الطلق ، والانس الشامل ، ان يخلو الى نفسه في عبادات خاشعة لاشباع أشواقه ، والتملي بأحاديث دينية توثق ما وهى بين القلب والدين .

... ولئن كان الحديث عن رمضان المعظم وأثره في النفوس ذا سعة ، فسنقتصر في هذا المجال المحدود على ظاهرة غريبة ، تبدو واضحة وتعطي صورة للمفارقات العجيبة التي نحياها في عصرنا الحاضر ..

كان الجيل الذي عاش في العقود الاخيرة ينعم بعقيدة دينية راسخة ، تنعكس آثارها في سلوكه واخلاصه ، فيحس معها بحرارة الايمان ، وبرد اليقين ، رغم قلة وسائل العلوم التي تساعد على تنمية الروح ، وتفتح النفس لتسمو الى معارج الكمال ، في حين أن جيلنا الصاعد ، وشبابنا الناهض ، تضعف لديه هذه الحماسة الدينية حيث تكاد تفنى في دنيا المادة الجافة الضحلة التي تحول دون اشباع الروح من غذائها ومقوماتها ، رغم توافر وسائل العلوم ، ووفرة الكتب ، وكثرة المرشدين والوعاظ ، سواء عن طريق المسجد ، او الاذاعة والتلفزيون ...

كان الجيل الماضي مثال الصدق في عقيدته ، والطهارة في روحه ، ملتزما سلوكا يدنيه الى صفات الكمال ، ويتجلى ذلك في اقباله على العبادة وأنواع الطاعات وتدارس القرآن ..

اما جيلنا الناشىء ، فبالرغم من انه يرتوي من منابع المعرفة والعلوم ، ويقبل عليها اقبال الهيم ، وتتطلع نفسه التواقة الى المزيد منها لتنعم في رحابها الفسيحة ، وآفاقها المشرقة ، فلم تهذب تلك العلوم روحه ، ولم تنعكس

العدد الثاني
السنة العاشرة
شعبان : 1386
ديسمبر : 1966
درهم واحد

# دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

## مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

## بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » – قسم التحرير – وزارة عموم الأوقاف
الرباط – المغرب . الهاتف 10 – 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي [illegible]
[illegible] .

السنة عشرة أعداد . لا يقبل الاشتراك إلا عن سنة كاملة

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 – 485 – الرباط

**Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55**
**à Rabat**

أو تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » – قسم التوزيع – وزارة عموم الأوقاف –
الرباط – المغرب .

---

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

---

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الإعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالإعلان يكتب إلى :

« **دعوة الحق** » – قسم التوزيع – وزارة عموم الأوقاف – الرباط
تليفون 10·308 – 03·327 – الرباط

وعبثا يحاول الاب ان يغرس فى ابنائه الفضيلة ، وهو عابث بهذه الفضيلة ، حائد عن جادة الصواب ، يعرض وينأى بجانبه عن فروض الله .. اذ كيف يهذب ابناءه ، وينشئهم تنشئة دينية صرفا ، وهو خلو من كل هذا .. ففاقد الشيء لا يعطيه كما قيل ..

والمعلم فى المدرسة هو القدوة المثالية لتلاميذه ، على نهجه ينهجون ، منه يأخذون اخلاقهم عامدين أو غير عامدين ، ويقلدونه مغتبطين مسرورين ، «فالولد من معلمه ، كالظل للعود » كما قال أبو حامد الغزالي .

ويخطىء المعلم اذا اعتقد أن شيئا من سلوكه وافعاله يدق ويخفى عن افهام طلابه ، اذ

مهما تكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس ، تعلم

وكاثر للقدوة الصالحة ، والاسوة الحسنة ، نسوق هذا المثال الفذ ، الذي تركه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،لما انتهى عليه السلام من وضع شروط الحديبية وقبل كل الشروط ، داخل المسلمين منها أمر عظيم .. فقد امر عليه السلام اصحابه أن يحلقوا رؤوسهم ، وينحروا الهدي ، فيتحللوا من عمرتهم، فاحتمل المسلمون من ذلك هما عظيما حتى انهم لم يبادروا بالامتثال .

فدخل عليه السلام على أم المؤمنين ، أم سلمة ، وقال لها : « هلك المسلمون !! أمرتهم فلم يمتثلوا ، فقالت : «يا رسول الله ، اعذرهم ، فقد حملت نفسك أمرا عظيما فى الصلح ، ورجع المسلمون من غير فتح ، فهم لذلك مكروبون !! ولكن اخرج يا رسول الله ، وابدأهم بما تريد ، فاذا رأوك فعلت اتبعوك ..

واقام محمد مضطربا مما رأى من شأن من حوله ، ثم صلى واطمأن ، ثم قام الى هديه فنحره ، ثم جلس ، فحلق رأسه ايذانا بالعمرة ، وقد امتلأت نفسه بالسكينة والرضا ، فلما رأى الناس صنيعه ، ورأوا سكينته تواثبوا ينحرون ويحلقون ، وان منهم من حلق ، ومنهم من قصر . قال محمد : « يرحم الله المحلقين » ، فتنادى الناس فى قلق : « والمقصرين يا رسول الله ؟ » قال : « والمقصرين » . قال بعضهم : « فلم ظاهرت يا رسول الله الترحم للمحلقين دون المقصرين » فكان جوابه : « انهم لم يشكوا » .

فأنت ترى أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يمتثلوا لامر النبي عليه السلام ، حتى ظن انهم هلكوا ، ولكن ام سلمة ، وهي الخريتة بنفوس القوم ، تعلم من آثار الاسوة الحسنة فى النفوس ، وفعلها فى القلوب ، ما دعاها الى اللجوء الى هذه الطريقة الفذة فى التربية والتلقين ، والامتثال الحسن .

ولقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة .

دعوة الحق

آثارهـا فى سلوكه ، ولم تعط الدليـل العملي علـى أن دراسته انتجت ثمارها ، وآتت اكلهـا ...

لمـاذا لم تتهذب هذه النفوس رغم وفـرة وسائل العلوم ، هذه العلوم التـي يشيـر الى اثرهـا ومفعولها الشيخ الرئيـس بقولـه :

| | |
|---|---|
| هـذب النفـس بالعلـوم لترقـى | وتـرى الكـل ، وهي للكل بيـت |
| انمـا النفـس كالزجاجة والعلـ | ـم سـراج ، وحكمة اللـه زيت |
| فـاذا اشرقـت فـانـك حـي ، | واذا أظلمـت فـانـك ميـت |

ما السر فى هذه المفارقـات الغريبة التـي تعطي صورة عن هذا الجمـوح الارعـن ، واللامبـالاة العميـاء ؟

بل ، لمـاذا يشب شبابنـا « كقـرن الماعـز ، ينبت علـى استـواء ، ولا يثبت الا علـى التـواء ؟ ! » .

هل عتت موجـة العلم ، وضعفت امامهـا موجـة الديـن ، وفنيت فى خضم الموجـات الاخـرى ؟!

قد يكون هذا صحيحا بالنسبـة لغيـر المسلميـن ...

فلقد اكتسح العلم المادي أروبا اثر حركات تاريخية ، ورجات عنيفة ، قـام بها العلماء ، الذيـن وضعـوا لانفسهـم مناهج علميـة ، أساسها ملاحظـة الظواهـر ، وتحرروا فى مناهجهم من كل شـيء ، الا الملاحظة الحسية ، والتجربة والبرهـان ، فلـم يعبـأوا بأقـوال الحكمـاء ، ولـم يهتمـوا بما ورد فى الكتب الدينيـة ، ولم يسلمـوا الا بما يقع تحـت حواسهم ، وجـرب فى المخبـر عـن طريق هذه الحواس ، وعرفوا ما لا يحصى من سنـن الكون ، ونواميس الطبيعة ، كانـوا يقفون أمام عتبتها حيارى مشدوهين واجمين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، مما زاد فى احترامهم للعلم ، واعجابهم به ، وتقديرهم له ، وعطفهم عليه ..

ربما كـان هذا السبب صحيحا بالنسبة الى اروبا ، وقد يرجع الجواب عـن سؤالنـا السابق الى جملة اسبـاب ، ابرزها انعدام التربية الدينيـة ، والثقافـة الروحيـة ، والقدوة الحسنـة .

فالقدووة الصالحة ، والسلوك الحميـد ، هـو الدرس العملي ، والخطبـة البليغـة التي ينفعل لها شعور الانسان ، اذ الانسان قـد ركب فى طبعه انه يتأثـر بكـل مـا يـرى ، ويقلد من هـو اكبـر منـه فضـلا وعلمـا ...

فالابوان فى المنزل هما المربيـان الحقيقيـان لاطفالهما ، لا بقولهما فحسب ، اذ الفعـل هو الاول ، والابعـد اثـرا ..

وانك اذ مـا أنت آمـر          به ، تلف من اياه تأمـر آتيـا

فعلى ما يكون عليـه الابوان من اخلاق سمحـة ، ونفوس مطمئنـة ، وسلوك صحيح ، واعتصام بحبل الديـن متيـن ، والتـزام جانب الصـدق والاستقامة ، وحسـن الاحدوثـة ، ينشـا الاطفـال ..

وينشـا ناشيء الفتيـان فينـا          على مـا كان عوده ابـوه

واذا كانت الام طاهرة الذيل ، نقية الاخلاق ، نظيفة السلوك ، كان بناتهـا يحتذيـن حذوهـا ويسـرن على نهجهـا ..

يقتصر دعوته على مسائل الدين فقط ، ولم يكن يعلم المسلمين أمور العبادات فحسب ، بل كان يعلمهم آداب السلوك واحكام المعاملة ، من البيع ، والشراء ، والصرف ، والحوالة ، والسلف ، والرهن ، وما الى ذلك ، ويلقنهم اساليب الحرب ، وطرق الحكم ، ويرشدهم الى السياسات المختلفة فى علاقاتهم مع الدول الموالية والمعادية ، ويتولى قسم الاموال بينهم ، وتوزيع الاراضي المغلة عليهم ، ويعقد المجالس الاستشارية كلما حز به امر ليقبح لهم الاستبداد ، ويقفهم على اسباب حياة الامم وهلاكها ليعرفوا كيف يحافظون على كيانهم اذا صار الامر اليهم من بعده ، وهكذا لم يدع شاذة ولا فاذة مما به قوام الحياة ، ونظام الدنيا الا علمهم اياه. ألم يقل الكفار لسلمان رضي الله عنه: « لقد علمكم نبيكم كل شيء » (1) بل انه فى تنزلاته معهم كان يخاطبهم بدقائق المعارف ويجيب على أسئلتهم الطبية والطبيعية بما لم ينقضه العلم حتى الآن، ويصحح لهم أغلاط الاخباريين من أهل الكتاب واغلاط عرفائهم فى تفسير الظواهر الجوية ونحوها حتى لقد دعا ذلك اليهود ان يسألوه عن حقيقة الروح « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي ، وما اوتيتم من العلم الا قليلا » (2) .

ان مجرد استعراض سريع على هذا النمط ، لسيرته عليه السلام كاف ليعرف من لم يكن يعرف ان علم الحديث هو جماع المعارف الاسلامية سواء الدينية منها والدنيوية . واذا كان هذا فى عهده صلى الله عليه وسلم فما ظنك بهذا العلم وقد تناولته القرائح الخصبة والافكار الناضجة ، وكتب العلماء فيه من الابحاث القيمة والدراسات الرائعة ما لا يعرف قدره الا من وقف عليه .

واذا كان الحديث عن ذلك يطول ، فلنكتف بالكلام على أصل هذا العلم والطريقة التي دون بها والجهود التي بذلها العلماء لتمييز صحيحه من سقيمه ، واذا ما يراد بعلم الحديث رواية ودراية، وهو وحده دليل ناهض على عبقرية الفكر الاسلامي الذي يغفل الباحثون عن تتبع آثاره فى هذه الميادين .

**اما اصل علم الحديث فهو اقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله ونومه ويقظته وحركاته وسكوته وقيامه وجوده واجتهاده وعبادته وسيرته وسراياه ومغازيه ومزاحه وجده وخطبه وأكله وشربه ومشيه وسكوته وملاطفة أهله وتاديبه فرسه وكتبه الى المسلمين والمشركين وعهوده ومواثيقه والحاظه وانفاسه وصفاته ، مما رواه عنه من الصحابة أربعة آلاف رجل وامرأة** ، كما يقول الحاكم النيسابوري فى كتابه المدخل الى الحديث (3) صحبوه نيفا وعشرين سنة بمكة قبل الهجرة ثم بالمدينة بعد الهجرة ، سوى ما حفظوا عنه من أحكام الشريعة وما سألوه عن العبادات والحلال والحرام وتحاكموا اليه فيه . وقد تادى ذلك من الصحابة الى التابعين فمن بعدهم الى عصر التدوين .

وكان عمر بن عبد العزيز أول من امر بتدوين الحديث خوف ضياعه (4) ، واكد هذا الامر ابو جعفر المنصور فانتدب لذلك ابن شهاب الزهري ، وكان سابق الحلبة ، الا أن عمله انما كان تدوينا مجردا من غير تبويب ولا ترتيب . وأما الجمع مرتبا على الابواب ، فوقع فى نصف القرن الثاني ، وكان ممن قام بذلك ابن جريج بمكة ، ومالك وابن اسحاق بالمدينة ، وهشيم بواسط ، ومعمر باليمن ، وابن المبارك بخراسان ، والربيع بن صبيح ، وسعيد بن ابي عروبة ، وحماد بن سلمة بالبصرة ، وسفيان الثوري بالكوفة ، والاوزاعي بالشام ، وجرير ابن عبد الحميد بالري (5) .

وكان الذي الف مالك هو كتابه الموطأ . ولعله الكتاب الوحيد الذي وصلنا بالرواية الصحيحة من تآليف هذا العصر . ولذلك نتخذه نموذجا للطريقة التي دون بها علم الحديث فى أول الامر .

والموطأ وان لم يكن فى الواقع كتاب حديث مجرد، لانه يحتوي على كثير من الفقه والاستنباط واقوال السلف ومذاهب الصحابة . الا انه فيما اشتمل عليه من الحديث يعطينا فكرة صادقة عن الجهد الذي بذله الامام مالك فى تحري الاحاديث الصحيحة ، وعدم

---

1) سنن ابي داود ج ل ص 3 ومسند احمد ج 5 ص 437 .
2) سورة الاسراء الآية 85 .
3) المدخل الى علم الحديث للحاكم النيسابوري ص 12 من طبعة لندن .
4) صحيح البخاري ج ل ص 24 .
5) تدريب الراوي للسيوطي ص 24

# الحديث وقيمته العلمية والدينية

للأستاذ عبدالله كنون

**شارك فضيلة الاستاذ الكبير سيدي عبد الله كنون الامين العام لرابطة علماء المغرب ، وعضو مجمع البحوث الاسلامية فى المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية المنعقد بالقاهرة من 30 شتنبر الى 27 اكتوبر 1966 .**

**وقد القى فضيلة الاستاذ بحثا قيما هاما حول « الحديث ، وقيمته العلمية والدينية » لقي استحسانا وتنويها فى جميع المحافل .**

**ولاهمية البحث ، ومكانة صاحبه فى الشرق والغرب ، فقد ترجم هذا الموضوع الهام الى اللغتين الانجليزية والفرنسية ، بقصد تعميم انتشاره فى الاقطار الناطقة باحدى هاتين اللغتين ، كما القي بهما فى المجمع .**

**وفور أوبة الاستاذ الكبير سيدي عبد الله كنون من الديار الشرقية اتصلنا بسيادته ليمد مجلتنا بهذا الحديث القيم .**

**فتفضل سيادته بارساله مشكورا .**

**لعل علم** الحديث رواية ودراية هو مما تتمثل فيه **العبقرية** الاسلامية اكثر من غيره من العلوم حتى **الفلسفة** وعلم الطبيعة والرياضيات . وقد يبدو هذا **الراي** غريبا فى بادىء النظر ، ولكن لا غرابة وهذه **العلوم قد قيل** ان المسلمين لم يبتكروا فيها شيئا ، وانما **نقلوها** نقلا مجردا عن الامم السالفة ، بخلاف علم **الحديث** ، فانه من وضع المسلمين وابتكارهم ، ولا **يستطيع** احد ان يقول غير ذلك ولا أن يشكك فيه .

**وليس هذا فقط** ، فان الدارس لهذا العلم المتعمق **فيه** ، قد يطلع منه على آفاق رحيبة من الابحاث **المنهجية** ، والدراسات الموضوعية ، فى علم الاخلاق ، **والاجتماع** ، والقانون ، والسياسة ، والاقتصاد ، فلا **يكون عنده** ادنى ريب فى ان الحضارة الاسلامية ، **مبناها على** هذا العلم ، وانها ان استفادت من معارف **يونان** وفارس والهند شيئا فانها فى عناصرها النفسية ، **انما ترجع** الى كتاب الله والسنة المبينة له .

وقد جرى الناس على أن ينظروا لعلم الحديث نظرة دينية بحتا ، فهم لذلك يسقطونه من الحساب اذا ذكروا العوامل التي أدت الى نهضة العالم الاسلامي ، تلك النهضه التي آتت اكلها الشهي منذ الجيل الاول الذي تلا ظهور الاسلام وما زالت تنمو وتعظم حتى بلغت فى القرن الخامس الهجري الى ما لم تبلغه فى أمة اخرى قبل ذلك . ولكنهم مخطئون فى هذا النظر : ولو شاءوا ان يعرفوا الحقيقة من غير ان يكلفوا أنفسهم عناء البحث فى هذا الموضوع ، لاقتصروا على التفكير فى ان الرسول صلوات الله عليه وسلامه ، لبث فى قومه بعد الرسالة ثلاثا وعشرين سنة يتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، وقومه هم العرب الذين يعرف الناس انهم ليسوا بشعب غبي ولا بدائي ، وهم فى الوقت نفسه كانوا مكتنفين بشعوب حية وبقوم من يهود ونصارى لا يفتأون يعارضون دعوته ويوردون عليها مختلف الايرادات ، **فهو لم**

نفسا ، واما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل الا تحريم الطلاق (10) .

ولا تغفل عما في هذه الخصيصة من ميزة للدين الاسلامي لا يشاركه فيها غيره من الاديان ، وهي ثبوته بالنص القاطع والرواية الصحيحة ، فلا جرم أن يقول عبد الله بن المبارك « الاسناد من الدين ، ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء » (11) وقوله هذا دليل على أن القوم كانوا في تمييزهم للحديث الصحيح من السقيم يستبرئون لدينهم كما كانوا يتحرون المنهج العلمي الصحيح .

ويروى عن عبد الله بن المبارك ايضا انه كان يقول : « بيننا وبين القوم القوائم » (12) أي الاسناد . وهذا يبين طريقتهم العملية في نقد الرجال ، فانهم جعلوا قوائم بأسماء الرواة ورتبوها بحسب القوة والضعف ترتيبا يكون هو الحكم في قبول الحديث او رده . فاذا لم يعرف حال الراوي ترك الحديث وكذا ان سقط من سنده احد الرواة وان كان في السند ثقات فقد جاء في مقدمة الصحيح لمسلم بن الحجاج : « وقال محمد ( يعني ابن عبد الله بن قهزاد ) سمعت أبا اسحاق بن ابراهيم بن عيسى الطالقاني قال قلت لعبد الله بن المبارك يا أبا عبد الرحمن الحديث الذي جاء«انمن البر بعدالبرأن تصلي لابويك معصلاتك وتصوم لهما مع صومك » فقال عبد الله يا ابا اسحاق عمن هذا ؟ قال قلت له هذا من حديث شهاب بن خراش فقال ثقة عمن ؟ قال قلت عن الحجاج بن دينار قال ثقة . عمن ؟ قلت قال رسول الله (ص) قال يا أبا اسحق ان بين الحجاج بن دينار وبين النبي (ص) مفاوز تنقطع فيها أعناق المطي ، ولكن ليس في الصدقة اختلاف » (13) .

ويحسن بنا ان نورد نبذة في هذا الشأن من مقدمة الامام مسلم صاحب ثاني كتاب في الصحيح ، وهي على اقتضابها تقفنا على لطف مسلك القوم في هذه السبل الوعرة ، قال رحمه الله :

ثم انا مبتدئون في تخريج ما سألت وتأليفه على شريطة سوف اذكرها لك ، وهو انا نعمد الى جملة ما اسند في الاخبار عن رسول الله (ص) فنقسمها على ثلاثة أقسام ، وثلاث طبقات من الناس على غير تكرار ...

فأما القسم الاول فانا نتوخى أن نقدم الاخبار التي هي اسلم من العيوب من غيرها وانقى من أن يكون ناقلها اهل استقامة في الحديث واتقان لما نقلوا ، لم يوجد في روايتهم اختلاف شديد ولا تخليط فاحش ، كما قد عثر فيه على كثير من المحدثين وبان ذلك في حديثهم . فاذا نحن تقصينا اخبار هذا الصنف من الناس ، اتبعناها اخبارا يقع في أسانيدها بعض من ليس بالموصوف بالحفظ والاتقان كالصنف المقدم قبلهم . على انهم وان كانوا فيما وصفنا دونهم ، فان اسم الستر والصدق وتعاطي العلم شملهم كعطاء ابن السائب ويزيد بن ابي زياد وليث بن ابي سليم واضرابهم من حمال الآثار ونقال الاخبار . فهم وان كانوا بما وصفنا من العلم والستر عند أهل العلم معروفين ، فغيرهم من أقرانهم ممن عندهم ما ذكرنا من الاتقان والاستقامة في الرواية يفضلونهم في الحال والمرتبة لان هذا عند اهل العلم درجة رفيعة وخصلة سنية .

الا ترى انك اذا وازنت هؤلاء الثلاثة الذين سميناهم عطاء ويزيد وليثا بمنصور بن المعتمر وسليمان الاعمش واسماعيل بن ابي خالد في اتقان الحديث والاستقامة فيه ، وجدتهم مباينين لهم لا يدانونهم — لا شك — عند اهل العلم بالحديث في ذلك للذي استفاض عندهم من صحة حفظ منصور والاعمش واسماعيل واتقانهم لحديثهم ، وانهم لم يعرفوا مثل ذلك من عطاء ويزيد وليث . وفي مثل مجرى هؤلاء الثلاثة اذا وازنت بين الاقران كابن عون وايوب السختياني مع عوف بن ابي جميلة واشعث الحمراني وهما صاحبا الحسن وابن سيرين كما أن ابن عون وأيوب صاحباهما الا ان البون بينهما وبين هذين بعيد في كمال الفضل وصحة النقل ، وان كان عوف واشعث غير مدفوعين عن صدق وأمانة عند أهل العلم ، ولكن الحال ما وصفنا من المنزلة عند اهل العلم ، وانما مثلنا هؤلاء في التسمية ليكون تمثيلهم سمة يصدر عن فهمها من غبى عليه طريق أهل العلم ترتيب أهله فيه .

---

10) حاشية الطرفة لابن عبد السلام كنون ( ملزمة 11 ص 6 طبع فاس ) .
11) صحيح مسلم باب في أن الاسناد من الدين ج ل ص 8
12) المصدر نفسه
13) المصدر نفسه

الرواية الا عن الاعلام الاثبات الثقات، فقد قيل انه لما الفه اولا كان يشتمل على نحو عشرة آلاف حديث ، ولم يزل ينتقي منه ويختار حتى لم يبق منه الا نحو ألف حديث . وهذه النسبة وهي واحد من عشرة أو اقل عشرة من مائة هي التي عمل عليها تقريبا جل المؤلفين فى الحديث بعد ذلك لاسيما ائمة الصحيح بل انها لتنزل عند بعضهم الى اقل من ذلك بكثير مع العلم بأنها نسبة الى ما ثبت عندهم من الاحاديث ووقع لهم فيه اشتباه ما ، لا انها نسبة الى محفوظهم فان هذا كثير يكاد لا يسلم به اهل هذا العصر الذين ضعفت او انعدمت فيهم بالمرة ملكة الحفظ ، ناهيك بما قيل عن الامام احمد بن حنبل من انه كان يحفظ مليون حديث (6) .

ورتب الامام مالك كتابه الموطأ على الابواب والمسائل ، فهو يخرج الحديث الشاهد فى أول الباب أو فى اثنائه ، ثم يخلل الباب بالاثار والاقوال الثابتة عن الصحابة وائمة السلف فى الموضوع ويأتي بباب اسمه الجامع يروي فيه متفرقات من الباب لا تصلح أن تفرد بترجمة ، وقد ختم الكتاب كذلك بباب واسع سماه الجامع وضمنه احاديث فى السنن والاخلاق وآداب السلوك ونحو ذلك ، قيل وهو أول من ابتكر هذا الصنيع فى التأليف اي جمع المسائل المتفرقة فى باب اسمه الجامع . وعلى ما نرى فان طريقة الامام مالك فى تأليفه للموطأ برغم قدم الزمن هي من أحسن الطرق التي الفت عليها كتب السنة فيما بعد واتبعها معظم المحدثين الى المائة الثالثة .

وفى المائة الثالثة نشطت حركة جمع الحديث نشاطا كبيرا وتناولت مختلف وجوه العمل لتأليفه وتبويبه وتخليصه من الزيف والعلة ، فألف البخاري جامعه الذي هو أول كتاب الف فى الصحيح وكذا مسلم صاحب ثاني الصحيحين ، والف بقية أصحاب الكتب الستة كتبهم وهي التي تلقاها المسلمون بالقبول ، ويقول السيوطي ان الحديث اذا أخرجه أحد هؤلاء المؤلفين الستة فليروه الانسان مطمئنا اليه (7) .

وكان التأليف فى هذا العصر على أوضاع مختلفة منها ما بقي محافظا على وضعه الاول الذي كان اكثر العمل عليه عند بدء التأليف وهو جمع احاديث كل راو على حدة وان اختلفت موضوعاتها ، وهذا ما يسمى بالمسند وهو النهج الذي اتبعه الامام احمد ابن حنبل فى كتابه العظيم المسمى بمسند أحمد ، ومنها ما ألف على الابواب والمسائل ، وهي طريقة مالك فى الموطأ ، ومنه ما يكون عاما شاملا لاحاديث العبادات والعادات والاحكام والحكم والتواريخ والرقائق وغير ذلك وهو المسمى بالجامع ومنه الجامع الصحيح للامام البخاري وغيره . ومنه ما يقتصر على السنن والاحكام كسنن أبي داود . ومنه ما يخص موضوعا بعينه أو مسألة واحدة فقط كشعب الايمان للبيهقي والقراءة فى الصلاة للبخاري الى غير ذلك .

واستمر هذا النشاط وخلص الى القرون التالية فاتخذ اشكالا وانواعا من العناية بالحديث سواء من حيث الرواية والجمع أو من حيث الشرح والفهم والتفريع والاستنباط وفى هذا الامر يقال حدث عن البحر ولا حرج .

وعلى كل حال فقد صحب عملية الجمع والتدوين عملية الانتقاء والاختيار ، والجهود التي بذلها العلماء فى هذا الصدد لا يوجد لها نظير عند غير المسلمين ، ومن ثم قيل ان الاسناد من خصائص هذه الامة (8) اي تتبع رواة الحديث واحدا فواحدا والبحث عن حالهم من الحفظ والضبط والعدالة الى النبي (ص) ، قال ابن حزم نقل الثقة حتى يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم ومع الاتصال شيء خصص به المسلمون دون جميع الملل ، أما مع الارسال والاعضال (9) فيوجد فى اليهود لكن لا يقربون به من موسى عليه السلام قربنا من نبينا بل يقفون حيث يكون بينهم وبينه أكثر من ثلاثين

---

6) وفيات الاعيان لابن خلكان ج ل ص 17 وفى خصائص المسند للحافظ المديني \ كتب ابي عشرة آلاف الف حديث ولم يكتب سوادا فى بياض الا قد حفظه . ( الخصائص ص 10 طبعه الخانجي ) ومعلوم ان المراد ما يشمل طرق الحديث ورواياته والآثار عن الصحابة وما الى ذلك .
7) تدريب الراوي ص 55 .
8) شرح الطرفة لابن عبد القادر الفاسي ، الملزمة 11 ص 5 طبع فاس بهامش حاشية ابن عبد السلام كنون .
9) اي عدم الاتصال وسقوط عدد من الرواة فى السند ، والمرسل فى اصطلاح الحديث الذي يرويه التابعي مرفوعا الى النبي (ص) من غير ذكر الصحابي والمعضل الذي سقط من سنده اثنين فصاعدا من الرواة

الحديث واستمداده من طرق نقدهم فيما وضعه من قواعد لعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ . ان الامثلة التي أعطاها مسلم بن الحجاج لمعرفة المنكر من الحديث هي بعينها المقاييس التي طبقها ابن خلدون لتمييز الزائف من الصحيح من أخبار المؤرخين . وهكذا نرى أن علم الحديث يبسط جناحه على الثقافة الاسلامية لا بمتنه وروايته فقط بل وباصطلاحه وما يسمى عند علمائه بعلم الحديث دراية أيضا .

ومن المعلوم ان هذا لم يكن هو القصد الاول من الحديث وتدوينه ونقده فانه انما جاء عرضا وكان فتحا من فتوحات هذا العلم المبارك الذي استوعب ضروب النشاط الفكري عند المسلمين ، وحفزهم من أول يوم الى اقتحام سبل المعرفة وطلب العلم ولو بالصين (18) فوجدت تلك النهضة العلمية الكبرى التي عمت البلاد الاسلامية من شرقها الى مغربها والتي لم تنفصل فى أساسها قط عن مدارك القرآن الكريم والحديث الشريف ، وهو ما يفسر لنا حرص اعلام الفكر الاسلامي على الاخذ بحظهم من هذا العلم وتمسكهم عبر التاريخ بالمشاركة فيه حتى ولو كانوا من الفلاسفة والاطباء والفلكيين أمثال ابن سينا وابن رشد ونصير الدين الطوسي وعبد اللطيف البغدادي وغيرهم ، بل لقد قيل بتلازم علم الحديث وعلم النبات لانهما معا مما يدرك بالرحلة ولا يبلغ احد فيهما شأوا الا بالتنقل فى البلاد .

نعم لم يكن هذا هو القصد الاول من حركة تدوين الحديث ، وانما كان هذا القصد هو جمع الحديث خوف ضياعه ، فقد جاء فيما كتب به عمر ابن عبد العزيز الى أبي بكر بن حزم فى الموضوع أنه قال له : « انظر ما كان من حديث رسول الله (ص) فاكتبه فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء » (19) .

والواقع انها كانت حركة انقاذ للعلم الاسلامي الذي لم يكن عند القوم غيره . وكانوا انما يعتمدون فيه على الحفظ والاستظهار ، فلما أسرع الموت الى رجاله ونقلته ، خاف الخليفة العادل من جراء ذلك على هذا العلم ما خافه الخليفة الاول على القرآن من الضياع لما استحر القتل فى الصحابة وأمر بجمع المصحف . فكذلك أمر عمر بن عبد العزيز بكتابة الحديث وهو بعد القرآن منتهى علم المسلمين اذ ذاك ، فجدوا فى الامر واجتهدوا وقاموا بما لم تقم به امة فى العمل على حفظ كلام نبيها واخباره واحواله ، ودونوا ذلك واقتبسوا منه الحكم والاحكام والمعارف والاسرار ، ولم ينظروا اليه قط تلك النظرة الضيقة التي تحصره فى حيز الفكر الديني بل اعتبروه تراثا علميا طائلا درسوه وتعمقوا فيه مدة قرن من الزمن حتى اذا اتسعت أمامهم آفاق المعرفة ونقلت اليهم علوم الاوائل من فلسفة وطبيعة ورياضيات لم يزدهم ذلك الا توسعا وتفريعا لاصوله وتأسيسا لقواعده ، فانهم لم يقولوا فى يوم من الايام بالفصل بين العلم والدين ولا رجحوا كفة المادة على الروح لان الدين هو الاسلام ، والاسلام والعلم لا يختلفان ، ولان المادة كانت دائما وسيلتهم الى السمو بالروح ، والوسائل عندهم تعطي حكم المقاصد ، فلذلك كانوا فى المزاوجة بين المعارف الالهية والعلوم الكونية كالطائر بين جناحين لا يميل مع أحدهما الا كان مهددا بالوقوع .

وهكذا كان عملهم فى تدوين الحديث مبادرة علمية بالمعنى العام الذي يشمل علوم الحياة بأجمعها مما وصل اليه اجتهادهم ووعته عقولهم ولا يختص دينا ولا علما كما قلنا ، حتى بدأ عهد الترجمة ونشأت تلك النهضة العلمية الكبرى التي كان علم الحديث من روادها الداعين اليها والمشجعين عليها ، فتميزت العلوم حينئذ وسار كل فى طريقه من غير تقاطع ولا تدابر ، ولا تبجح جهة ، فان ما معها هو العلم دون سواه ، بل ان الاعتراف المتبادل وروح التعاون بين الفكر الفلسفي والديني كانا هما التقليد المتبع الذي أدى الى وجود فلسفة اسلامية متميزة عن الفلسفة العامة ، هي الرشدية التي اثبتت لاول مرة فى تاريخ الفكر الانساني عدم تعارض العلم والدين على ما نجده عند صاحبها ابي الوليد بن رشد فى كتابه **« فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال»** وغيره من كتبه الفلسفية والرشدية هي التي تولدت عنها الميمونية نسبة الى موسى بن ميمون الحكيم الاسرائيلي ثم تأدت من بعد الى توماس الاكويني ، وهو من اكبر فلاسفة القرون الوسطى ورجال الدين فى الغرب فوجد فيها أعظم سند لدعم الايمان المسيحي عن طريق العلم ، ولا يفهم من هذا أن الحياة الدينية المحض وما يتعلق بها من الحديث ، لم تحظ

---

18) يروى فى هذا المعنى حديث اطلبوا العلم ولو بالصين وهو على اشتهاره لا أصل له .
19) صحيح البخاري ج ل ص 24 .

فلا يقصر بالرجل العالي القدر عن درجته ولا يرفع متضع القدر في العلم فوق مرتبته . وقد ذكر عن عائشة رضي الله عنها انها قالت أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ننزل الناس منازلهم ، مع ما نطق به القرآن من قول الله تعالى ( وفوق كل ذي علم عليم ) (14) .

فعلى ما ذكرنا من الوجوه نؤلف ما سالت من الاخبار عن رسول الله (ص) ، فاما ما كان منها عن قوم هم عند اهل الحديث متهمون أو عند الاكثر منهم فلسنا نتشاغل بتخريج حديثهم كعبد الله بن مسور وابي جعفر المدائني وعمر بن خالد وعبد القدوس الشامي ومحمد بن سعيد المصلوب وغياث ابن ابراهيم وسليمان بن عمرو وابي داود النخعي واشباههم ممن اتهم بوضع الاحاديث وتوليد الاخبار ، وكذلك من الغالب على حديثه المنكر او الغلط ، امسكنا ايضا عن حديثهم .

وعلامة المنكر في حديث المحدث اذا ما عرضت روايته للحديث على رواية غيره من اهل الحفظ والرضا ، خالفت روايته روايتهم ولم تكد توافقها . فاذا كان الاغلب من حديثه كذلك . كان مهجور الحديث غير مقبوله ولا مستعمله .

والذي نعرف من مذهبهم في قبول ما يتفرد به المحدث من الحديث ان يكون قد شارك الثقات من اهل العلم والحفظ في بعض ما رووا وامعن في ذلك على الموافقة لهم . فاذا وجد كذلك ثم زاد بعد ذلك شيئا ليس عند أصحابه قبلت زيادته .

فأما من تراه يعمد لمثل الزهري في جلالته وكثرة أصحابه الحفاظ المتقنين لحديثه وحديث غيره . أو لمثل هشام بن عروة وحديثهما عند أهل العلم مبسوط مشترك قد نقل أصحابهما عنهما حديثهما على الاتفاق منهم في أكثره . فيروي عنهما أو عن أحدهما العدد من الحديث مما لا يعرفه أحد من اصحابهما وليس ممن قد شاركهم في الصحيح مما عندهم ، فغير جائز قبول هذا الضرب من الناس والله أعلم » (15) .

فهذا منهج علمي مضبوط لا يقل في دقته وتحقيقه عن مناهج علماء النقد المحدثين ان لم يفقها ، وليس هو مما استوحى من مصدر اجنبي ولا مما استورد من بلاد الخارج وانما هو حصيلة الفكر العربي السليم ونتيجة الاجتهاد الاسلامي الخالص . ولم يملك المستشرق جوينبول Guynball كاتب مادة الحديث في دائرة المعارف الاسلامية نفسه من ان يظهر الاعجاب بالجهد الذي بذله المسلمون في التحري لصحة احاديث نبيهم ، على ما له من اغلاط كثيرة في هذه المادة . اذ يقول : « لا يعد الحديث صحيحا في نظر المسلمين الا اذا تتابعت سلسلة الاسناد من غير انقطاع ، وكانت تتألف من افراد يوثق بروايتهم . وتحقيق الاسناد جعل علماء المسلمين يقتلون الامر بحثا ، ولم يكتفوا بتحقيق أسماء الرجال واحوالهم لمعرفة الوقت الذي عاشوا فيه واحوال معاشهم ، ومكان وجودهم . ومن منهم كان على معرفة شخصية بالآخر ، بل فحصوا ايضا عن قيمة المحدث صدقا وكذبا وعن مقدار تحريه للدقة والامانة في نقل المتون ليحكموا أي الرواة كان ثقة في روايته الخ..» (16)

ونوه الاستاذ . « ادم متز » في كتابه الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري بالدور العظيم الذي قام به علماء الحديث في تدوين السنة النبوية وخدمتها فقال : « وقد اعتنى نقاد الحديث منذ أول الامر بمعرفة رجال الحديث وضبط اسمائهم والحكم عليهم بأنهم ثقات أو ضعفاء ، ثم نظروا في الاساس الذي ينبني عليه هذا الحكم أعني الصفات التي يجب توفرها في المحدث الثقة وهو ما يعرف بالجرح والتعديل .. وقد أدت بهم حاجتهم الى السند المتصل ان يتجاوزوا البحث في حياة الرواة والحكم عليهم الى عمل تاريخ كامل لهم . وهكذا وجدت تواريخ القرن الثالث الهجري مثل تاريخ البخاري وطبقات ابن سعد » الخ .. (17)

وقد اثر هذاالمنهج بدقته وضبطه على العقلية العربية فظهر مفعوله في علوم اخرى كاللغة والادب والتاريخ . وابن قتيبة الذي يعد من أوائل نقاد الادب والشعر خاصة بما كتبه في مقدمة كتابه « الشعر والشعراء» لم يكن الا متأثرا بمعارفه الحديثية والاخبارية ومنهج النقد عند المحدثين الذين هو منهم واليهم . بل اني لا اشك في استفادة ابن خلدون من منهج اهل

14) سورة يوسف، الاية 76 .
15) صحيح مسلم ج ل ص 3 — 4 .
16) دائرة المعارف الاسلامية الترجمة العربية المجلد7 ص 335 .
17) الحضارة الاسلامية لادم متز الترجمة العربية لمحمد عبد الهادي ابو ريدة ج 4 ص 319 .

حميد الساعدي وغيرهم كيفية صلاته عليه السلام (32) وعلمنا منها ما هو واجب وما ليس بواجب .

« وهكذا الزكاة اشار القرآن الى وجوبها بقوله : « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » (33) ولكن من أين علم القدر والواجب ؟ علم من السنة . قال عليه السلام فيما سقت العيون او كان عشريا (34) العشر ، وما سقى بالنضح نصف العشر » (35) وقال « وفى الركاز الخمس » (36) وبينت السنة قدر النصاب قال عليه السلام : « وليس فيما دون خمس اوسق من التمر صدقة ، وليس فيما دون خمس اواق من الورق صدقة ، وليس فيما دون خمس ذود فى الاول صدقة (37) » .

« وهكذا الصوم أوجب الله علينا فى القرآن صوم شهر رمضان ، وبينت السنة ان المراد الشهر القمري الذي يكون ثلاثين ويكون تسعا وعشرين ، وامرنا أن نصوم لرؤية الهلال ونفطر لرؤيته ، وأن من أفطر عامدا لغير عذر تجب عليه الكفارة الى غير ذلك .

« وهكذا الحج أوجب الله فى القرآن الحج على من استطاع ، وبين اركانه فأشار الى الاحرام بقوله تعالى « ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله » الى آخر الاية (38) والى وقوف عرفة « فاذا افضتم من عرفات » (39) وبين السعي والطواف بقوله « ان الصفا والمروة من شعائر الله (40) » وبقوله : « وطهر بيتي للطائفين والقائمين (41) » وبينت السنة كيفية الاحرام وممنوعاته وحدود عرفة ووقت الوقوف فيه وكيفية السعي والطواف وعدد الاشواط الى غير ذلك . وقد أجمله عليه السلام بقوله : « خذوا عني مناسككم » (42) وبينت الاحاديث النبوية التي رواها الصحابة الذين عاينوا حجة تفاصيل ذلك كابن عباس وابن عمر وغيرهما (43) . » (44) .

فهذه بعض الاحكام مما يتعلق بالقواعد الخمس فقط ، انما استفيدت من السنة وان ذكرت اصولها فى القرآن ، ولكن ذلك لا يغني عن التفاصيل التي اشرنا اليها ومثلها ما يتعلق بأبواب المعاملات وهو كثير جدا فلا جرم أن السنة قولية كانت أو فعلية عليها مدار التشريع بعد القرآن ، وهي اما مبينة له كما راينا وذلك هو الغالب ، واما مستقلة بالتشريع كما فى زكاة الفطر وصلاة الوتر من احكام العبادات وكما فى الحكم بالشاهد واليمين وميراث الجدة من احكام المعاملات وقد قال الله عز وجل فيما هو من هذا القبيل « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا» (45) .

وبهذا نعرف قيمة الحديث بالنسبة الى الدين كما عرفناها بالنسبة الى العلم فالعجب ممن يثير الشبهات حول حجيته او رجاله وسنده وقد رأينا فيما يرجع الى السند كيف أن عمل المحدثين فى التحري له والتثبت منه واخضاعه للنقد العلمي التحليلي كان مثار الاعجاب حتى من الاجانب عن الاسلام ، واتخذه علماء آخرون من غير المحدثين كالمؤرخين والادباء ميزانا لنقد الاخبار وحياة المجتمع فما بعد هذه الدقة فى وزن الحديث وتمييزه غاية تدرك .

---

32) احاديث ابي هريرة ومن ذكر معه فى وصف الصلاة تجدها متفرقة فى أبواب الصلاة من صحيح البخاري ومسلم وفى ابي داود والجماعة
33) المعارج 24 — 25 ..
34) بفتحتين اي ما يشرب بعروقه لانه عشر على الماء .
35) البخاري ج ل ص 190 .
36) البخاري ج ل ص 192 والركاز دفن الجاهلي
37) البخاري ج 4 ص 190 .
38) البقرة 196 .
39) البقرة 198 .
40) البقرة 158 .
41) الحج 27 .
42) مسلم ج ث ص 571 .
43) حديثهما مقطع فى البخاري فى ابواب الحج واطول حديث واوعبه فى وصف حجه (ص) هو حديث جابر وتنظر رواياته فى مسلم .
44) الفكر السامي فى تاريخ الفقه الاسلامي لمحمد الحجوي ج ل ص 30 — 31 .
45) سورة الحشر الآية 7 .

بعنايــة خاصة من سلف الامة فى حركــة التدويـن ، ولم تكن حافزا لهم على ما قاموا به فى هذا الشأن من عمل جبار، كلا ، فاننا عنينا بابراز الناحية العلمية، وما كان لها من السيطرة على المسلمين فى تلـك الحركة ، لانها كثيرا مـا تخفى على الباحثين أو لا يعيرونهـا الاهتمام اللازم ، والا فان الحديث المتعلق بالواجبـات والسـنن والشعائر الدينية على العموم كان من أول ما اعتنى المسلمون بحفظه وروايته ، سواء فى ذلـك الصحابة والتابعون فمن بعدهم ، بل ان من الصحابـة من تعاطى كتابته كعبد الله بن عمرو بن العاص وذلك باذن من النبي (ص) فسبق عهد التدوين بزهاء قـرن كامل . وفى هذا العهد أيضا كان الباعث الديني مـن أعظم ما حمل ائمة الحديث وحفاظه على جمعه وكتابته، الا ترى ان منهم من خص بعض كتبه بالمسائل والقضايا الدينية ، وقد المعنا الى ذلك فيما سبق ، ككتـاب القراءة فى الصلاة للبخاري وكتاب شعب الايمـان للبيهقي وكتاب السنن لابي داود وان كان هذا جامعـا بيـن احكام العبادات والمعاملات .

ولم يكن ليسع المسلمين غير ذلك ، وهم يقرأون فى الكتاب العزيز ، « وانزلنا اليك الذكر لتبين للنـاس ما نزل اليهم » (20) . ويسمعونه (ص) يقول « الا اني اوتيت القرآن ومثله معه » (21) ، فالقرآن وان كـان كتاب عقيدة وشريعة معا ، وذلك مما امتاز به علـى الكتب السماويـة الاخـرى ، الا ان كثيرا من الاحكام لم تفصل فيه تفصيلا ، حيث أن مهمته الاولى كانت وما تـزال هـي ان يحبب الايمـان الى الناس ويزينه فى قلوبهم ويكره الكفر والفسوق والعصيان ، ومـا زاد على ذلك فانما هو مما يثبت به الذين آمنوا ويشق لهم الطريق الى المعرفة بالله وعبادته على نحو ما كـان الرسول (ص) يفعل كما ترشد اليـه الآيـة الكريمة : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » (22) لهذا شعر الصحابة منذ فجر الاسلام ومن أتـى بعدهم من المؤمنيـن بالحاجة الى السنة التي تبيـن لهم ما اجمل فى القرآن ومـا لم يذكـر فيـه تفصيـلا من احكام العبادات والمعاملات « انظر الى الايمـان جاء فى القرآن ، الامر به والزام كل واحد أن يملأ منـه قلبه ثم بينته السنة بقوله (ص) الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخـر وبالقدر خيـره وشـره » (23) كذلك الاسلام والاحسان وانظر الـى الصلاة عماد الدين . أوجبها القـرآن مـن غير بيان ، وبينت السنة عدد الصلوات والركعات وكيفيتهـا وشروطها واصلاح ما يقع فبه الخلل منها ، ووضحت أوقاتها وكيف العمل فى فوائتها ، وما ذكـر فى القرآن الا ما هو اجمال من ذلك كقوله تعالـى : « اذا قمتـم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق » الايـة (24) ففي القرآن بيان وشرط وهو الطهـارة المائية ثم الترابيـة . واشـار الى شرط ستر العورة بقوله : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » (25) والـى شرط استقبال القبلة بقوله : « فول وجهك شطـر المسجد الحرام . وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » (26) ولكن هناك تفاصيل بينتها السنة . ثم اشـار القرآن الى أوقاتها بقوله تعالـى : « فسبحان اللـه حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السمـوات والارض وعشيا وحين تظهرون » (27) ولكن السنـة بينت الاوقات بالبيان الشافي بحديث بريدة وحديث ابن عمرو (28) فى الصحيح وغيرهما . واشار القرآن الـى كيفيتها بقوله : « اركعوا واسجدوا » (29) وقولـه « وقوموا لله قانتيـن » (30) ولكن السنة هي التـي استوفت فقال (ص) «صلوا كما رايتموني أصلي» (31) وروىانا أبوهريرة ووائل بنحجرومالك بنالحويرثوأبو

---

20) سورة النحل الآيـة 44 .
21) سنن ابـي داود ج ث ص 261 ومسنـد احمد ج 4 ص 131 .
22) سورة آل عمـران الآيـة 31 .
23) البخاري ج ل ص 12
24) المائـدة 6
25) الاعـراف 31
26) البقـرة 144
27) الـروم 17 ، 18
28) ينظر حديث بريدة وابن عمرو بروايتهما المختلفـة فى مسلم ج ل ص 231
29) الحـج 76
30) البقـرة 238
31) البخـاري ج ل ص 85

وظهرت الخنزوانة بينهم ، سموا ءايين (48) العجم أدبا وقدموه على السنة التي هي ثمرة النبوة (49) » وهي كلمة يغفر الله بها لابي حيان ويجزل مثوبته والله ولي التوفيق .

## مراجع البحث


1 — القرآن الكريم .
2 — تفسير القرطبي .
3 — تفسير ابن كثير .
4 — صحيح البخاري .
5 — صحيح مسلم .
6 — سنن أبي داود .
7 — موطأ الامام مالك .
8 — مسند الامام أحمد .
9 — خصائص المسند للحافظ المديني .
10 — المدخل الى علم الحديث للحاكم النيسابوري
11 — اختصار علوم الحديث لابن كثير .
12 — الفية الاصطلاح بشرحها للعراقي .
13 — تدريب الراوي للسيوطي .
14 — شرح الطرفة في الاصطلاح لابن عبد القادر الفاسي .
15 — حاشية شرح الطرفة لابن عبد السلام كنون .
16 — علل الحديث لابن ابي حاتم .
17 — تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة .
18 — الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي للحجوي .
19 — تاريخ التشريع الاسلامي للخضري .
20 — جمع الجوامع لابن السبكي .
21 — دائرة المعارف الاسلامية — الترجمة العربية .
22 — الحضارة الاسلامية لآدم متز ترجمة ابو ريده .


**طنجة : عبد الله كنون**

---

48) أي قانون .

49) الامتاع والمؤانسة ج 2 ص 76 .

**الحق ... للحق ...**

قال الامام الشافعي رحمه الله :

ما ناظرت احدا الا وتمنيت الا يخطىء ، وأحببت ان يوفق ويسند ويعان ويكون عليه رعاية من الله ، وما كلمت احدا قط وانا ابالي ان يبين الله الحق على لساني او على لسانه .

وأما حجة الحديث فلسنا بقائلين فيها شيئا مما يقوله بعض المتنطعين من أنها ظنية الثبوت وخبر آحاد ، فان المنكرين اليوم ليسوا من ذلك بسبيل وانما هم من تحكمت فيهم الاهواء وقالوا بالتقليد من غير علم ولا هدى ، فنسألهم عما ذكرناه من الاحكام التي لم تستفد الا من السنة وهي مما لا نزاع فيه بين المسلمين كعدد ركعات الصلاة والصلوات الواجبة والمندوبة والنصاب فى الزكاة والقدر المخرج منه وما الى ذلك ، أهي من الدين أم لا ؟ فاذا قالوا هي من الدين قطعا فقد أثبتوا حجية الحديث فيها لانها لم تشرع الا عن طريقه ويلزمهمأن يقولوا بحجيتهفى غيرها. وان قالوا انها ليست من الدين فلاشك أنهم يتكلمون عن دين آخر غير دين الاسلام . وليس الحديث حجة الا عند المسلمين الذين يصلون ويصومون على ما ثبت عندهم من قول الرسول (ص) وفعله ذلك ، وهو السنة ، وهي الحديث المروى بطريق التواتر أو خبر الآحاد صحيحا أو حسنا .

ولعلنا وقد بينا قيمة الحديث العلمية والدينية ورفعنا من شأن رجاله بما هو معقول ومقبول وليس من قبيل المناقب ولا الكرامات يصح لنا أن ننبه على الاحاديث الموضوعة والضعيفة جدا ونحذر منها ، فان اكثرها مما يجني على سمعة الاسلام ويزيف حقيقته ، وهي فى الواقع التي تجعل بعض من لا علم له من ضعفاء الايمان يتشككون فى الاحاديث كلها ويردونها ولا يقبلون الاحتجاج بها ، وهو خطأ واضح لان وجود الزيف فى بعض النقود لا يبطل النقود كلها ، وقد وقع الانتحال فى النصوص الادبية من شعر ونثر ولم يجعل ذلك أحدا يرفض الادب كله ويقول انه منتحل لا يصح نسبته الى اهله .

وقد الف العلماء فى الحديث الموضوع كتبا قيمة تبينه بأعيانه فضلا عما وضعوه من القواعد لمعرفة الوضع فى الحديث ومن تلك الكتب موضوعات ابن الجوزي واللآلىء المصنوعة للسيوطي والدرر المنتثرة له وتمييز الطيب من الخبيث لابن الربيع وموضوعات على القارى المعروف بابن سلطان والغماز على اللماز للسيد السمهوديوماذكره المجد الفيرزباديفىآخر كتابه «**سفر السعادة**» ونظمه الشمس المقدسي فى ارجوزة طويلة مفيدة ، والفوائد المجموعة للشوكاني، واسنى المطالب لمحمد الحوت ، وهذه الكتب كلها أو جلها مطبوعة بمتناول الجميع . على أن ثم احاديث لم تنزل لدرجة الوضع وانما دخل سندها أو متنها علة قد لا تقدح فى صحتها ، ولكن معرفة ذلك مما يخفى الا على جهابذة النقاد . وقد الف العلماء فى هذه العلل أيضا تآليف مفيدة جدا ، ومما هو مطبوع منها كتاب «**علل الحديث**» لابن أبي حاتم أورد فيه زهاء ثلاثة آلاف حديث معلول مبينا وجه علته بما لا مزيد عليه فى الاتقان .

وهناك نوع من الحديث الذي يبدو لاول وهلة كانه متناقض مع ما هو معروف من النصوص القرآنية أو الحديثية الاخرى ، فيسارع المرء الى انكاره وهو المسمى بمختلف الحديث وهذا النوع قد يقع الناس منه فى مزالق شنيعة ولذلك لا ينبغي الاستعجال بالحكم عليه الا بعد الدراسة المستأنية والاحاطة بالموضوع من جميع جوانبه . ومن أحسن الكتب الموضوعة فيه وأجمعها كتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة وهو مطبوع يحسن الرجوع اليه للتفقه فى الحديث وحصول الطمانينة له .

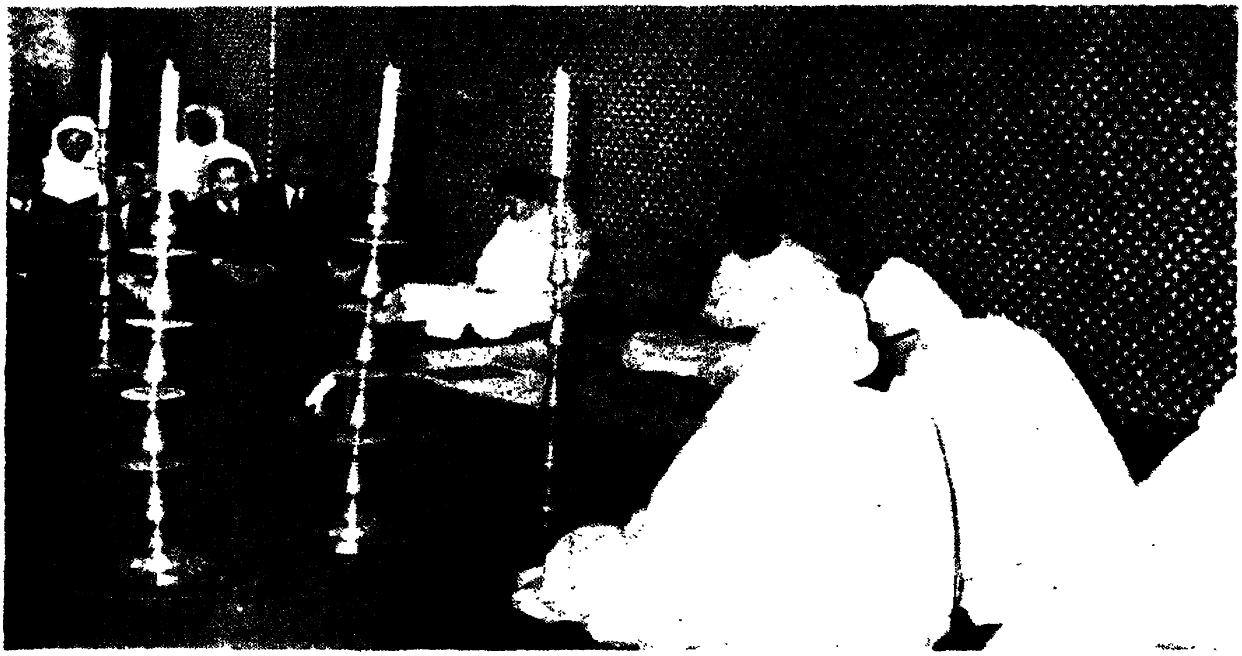
وبعد ، فان أصدق الحديث كتاب الله عز وجل ، وأفضل الهدي . هدي محمد صلى الله عليه وسلم (46) .

« وما شرب الايمان الا فؤاد من
باخبار خير الخلق قد ملأالاذنا» (47)

وما احسن ما قال أبو حيان التوحيدي فى الامتاع والمؤانسة ، وقد ذكر أن الخلافة ما آلت الى بني هاشم حتى استحالت أعجمية كسروية : « هذا الربيع، وهو حاجب المنصور يضرب من شمت الخليفة عند العطسة ، فيشكى ذلك الى أبي جعفر المنصور فيقول : اصاب الرجل السنة وأخطأ الادب ! وهذا هو الجهل ، كانه لا يعلم ان السنة أشرف من الادب بل الادب كله فى السنة ، وهي الجامعة للادب النبوي والامر الالهي. ولكن لما غلبت عليهم العزة ودخلت النعرة فى آفاقهم

---

46) البخاري ، كتاب الادب ، باب الهوى الصالح ج 4 ص 48 .
47) اشده فى اقرب المسالك على موطأ مالك .



لتوحيد التاريخ العربي بين المغرب والمشرق كانت في القرن السادس على عهد المرابطين ، ويكفي أن نسمع عن البروج والمراصد التي شيدها الموحدون والمرينيون والسعديون .. ويكفي أن نعرف أن جدكم المنعم المولى اسماعيل كان أول من سن رصد الاهلة بطرق محكمة منتظمة ، وقد عزز هذه البادرة بنوه الاكرمون وكان في صدرهم السلطان المولى الحسن الاول الذي أثر عنه حرصه على التقاء العلم والفقه معا فكان يعهد الى قضاة المغرب برصد الرؤية ولكنه كان أيضا يستشير باستمرار نتائج الميقاتيين والفلكيين ..

لقد كانوا ملاذا للعلم والعلماء فحافظوا بذلك على تمكين الروح الاسلامية واستمرارها ، وغذوا من معرفة الخاصة ، وعملوا على تفقيه العامة ، وهكذا ربطوا بينهم وبين أمتهم ميثاقا لا تنفصم عراه ، وعهدا لا تبلى أواصره ، وظل النصح بذلك متبادلا بين المؤمنين وأميرهم وبين الرعية وراعيها ..

مـــــــــولاي :

وكما جعل اولئك من بلاد المغرب مدرسة عرفت بفتاويها التي تهادتها ارجاء العالم الاسلامي أردتم أعزكم الله أن تفتحوا بابا جديدا للمناظرة بمجلسكم العلمي الموقر حول ما اذا كانت الوسيلة العلمية لا تتنافى وتعاليم الاسلام ؟ وهل سنقتصر في نوازلنا اللاحقة على الاستشهاد بفتاوي كانت لها ظروف سابقة ؟ وقد أتى ذلك منكم في ظروف نحن أحوج ما نكون فيها الى وضع هذا السؤال بالذات : ظروف حيرت العالمين بله الغافلين ، ظروف تغيرت مقاييسها والتبست على الناس جادتها ..

مـــــــــولاي :

لقد كان والدكم المنعم يتحدث بان ثروة البلاد الروحية لا تقل عن ثروتها المادية ، ولذلك فقد كان ـــ نور الله ضريحه ـــ يحرص على أن يسير جنبا الى جنب يقوي من تلك وينمي من هذه لانه كان يعرف أن الثروة بدون ايمان نقمة ،

دروس حسنية رمضانية

# التمسك بالرؤية والتوسل لها بالعلم ...
# مقاييس الأمس في حاجة إلى تطور ..
# تعميم الرؤية في نصوص الفقهاء ونتائج الحساب ...

للأستاذ عبد الهادي التازي

الـى مجلس أميـر المؤمنيـن جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله ...

مــــــــو لا ي :

أرى من واجبي بادىء ذي بدء أن أحيي فيكم غيرتكم من أجل الحفاظ على تـراث عرف به المغـرب منذ فجر تاريخه ، فلقـد كان لكم أيدكم الله فضل البرور بعهود أولئك الذين تقدموا : يحيى الاول من الادارسة ، وعلي بن تاشفين من المرابطين ، والمنصور من دولة الموحديـن ، وابي الحسن من بني مرين ، واحمد الذهبي مـن السعديين .. ثم أولئك الملوك الذين تربعـوا على العرش من أجدادكم المنعمين .. لقد اتخذوها سنـة أن يحتفوا بطلائع الشهور الثلاثة رجب وشعبان ورمضان ، فيستدعوا أعيان العلماء من سائر الجهات ويؤمنوا لهم السفـر والمقام ليجتمعوا عند الظهر والاصيـل على مدارسة كتاب الله وحديث رسـول اللـه .. سنهـا الرشيد وتوارثها الملوك كابرا عن كابر .. لم ينـل منهـم حر مصيف ، ولا كرب خريف ، ولم تثنهم بهجة حضر ، ولا هجعة سفر .. وقـد أضفى على هذه السنـة حبركم المقدس مولانا الحسن بما فتحه من باب المناقشات ، وما أسداه من كريم الصلات .. ومـا زالت مجالسنـا تتأرج بذكـر صفوة الملـوك المغفور له محمـد الخامس رضي الله عنه .. فلقد كان اتخذ منها مجالس مزدوجـة الهدف : فتـح عيون الاجانب على مغرب له في ماضيه ثقة لا تضعـف ولـه في تقاليده رصيد لا ينضب ، له الى ذلك الماضي وذلك الرصيـد دائما حنين ، ثم كانت تلك المجالس اكاديمية تبارى فيها أقطاب العلماء وسمعت من عمق التفكيـر وبليغ التعبيـر ما يشهد بـه هذا التعلق الشديد منكـم بأهداب الشريعة وآدابها والتعمـق المكيـن منكم في أسرارهـا وخفاياهـــا ...

مــــــــو لا ي :

واذا ذكر مـن حسنات البـلاد ويمن طالعها أن ينعـم الله عليها بأئمة منها لا يضيعـون أمر الهلال ، فاننا سنشعر باعتزاز ما عليه مـن مزيـد ونحـن نستعرض تاريخ بلادنـا ، فقد كان من عنايـة ملوكنـا بامر الاهلة بالذات أنهم ما فتئوا يشيدون البروج والمراصد عبر البـلاد ، ويكفي أن نعرف أن أول محاولة

بتوحيدوجهات النظر.. هناك شيءمنخلال تلك الوسائل أثار انتباه العاهل المغربي ، ذلك ان المكاتيب البغدادية كانت تحمل تاريخا يختلف عن التاريخ الذي يورج في الديار المغربية ، وقد ( عمل ذلك فى قلب الخليفة) على حد تعبير الوثائق التاريخية ، فقد كان الامير الشاب — فيما يلوح — يستشكل ظهور الهلال ببغداد وعدم ظهوره هنا .. ولم يقف الامر عند حد التساؤل ولكنه تجاوزه الى تكليف وزيرهوكاتب ديوانه ابي القاسم ابن الجد (ت 525) باستشارة الفقهاء وأهل العلم حول هذا الاختلاف فى اوائل الشهور وهل له مبرر علمي معقول ؟ وقام هذا بما عهد به اليه ، فذاكر عددا من فقهاء المغرب لكنه لم يجد جوابا شافيا يستطيع أن يرفعه الى علم الامير حتى تناهت اليه الاخبار ذات يوم وهو بمراكش سنة عشر وخمسمائة بتوالي الغارات على شرق الاندلس فجاز اليها جوازه الثالث اواخر المحرم سنة 511 .. وقد اراد ابو القاسم ابن الجد فى هذه الاثناء أن يسمع الامير عليا بن يوسف ملخص ما سمعه هو من العلماء فدعا الى جمع ضم أعيانهم وأعلامهم كان ممن حضره باشبيلية أحد رجال الكمال والارتسام بمعرفة العلومعلى تفاريعها وانواعها: مالك بن وهيب (ت525) .. وقد كان الامير يصغي لابي القاسم ابن الجد وهو يطرح السؤال امام هؤلاء الفقهاء الذين كان فيهم جمع من اشبيلية وجمع من قرطبة ، قال لهم : ( نجد تاريخ بغداد يسبق تاريخنا بيوم وبومين ؟ ) **كانت هذه أول مناظرة جماعية ..**

* * *

## أهمية السؤال :

يرتكز تاريخنا نحن على القمر فمعه نسير ، وبه نهتدي ، وعن طريقه نعلم عدد السنين والحساب ، ومن هناك كان الاهتمام بأمر الاهلة ليس ثانويا ولكنه بالغ الاهمية ، ليس فقط لان الاهلة تحدد شهور صومنا وافطارنا ، ولكن ايضا لان جل التشريعات الاسلامية تتوقف على ذلك ، خذ لك مثلا ميقات صلاة العيدين ، وصدقة الفطر ، ومعرفة سن الشاة واسنان الابل والبقر فى الزكاة ، والحج ، ووقوف عرفة ، والاضحية ، والعقيقة ، والاجال ، والسلم ، والمساقاة ، والاجارة ، واللقطة ، والايلاء ، والكفارة بالصوم ، والعدة ، والاستبراء ، والرضاع ، وكسوة الزوجة ، الى غير ذلك (1) ، من المعاملات والعبادات على السواء .. وليس هذا بدعا **فنحن مرتبطون فعلا فى عباداتنا وفي معاملاتنا بشيء اسمه الوقت ولن يكون هذا الوقت غير تاريخ يحدد الهلال بدايته ونهايته ، فكل معرفة بمداخل الشهور تعني ضبط الامور والبعد بها عن التردد والاضطراب وهكذا فليس الاشتغال بهذه المسألة من باب الترفيه والتلهي ولكنها دلالة على الرغبة فى اعطاء الاشياء مقاديرها الحقيقية ...**

## علاقة هذه المناقشة بالتاريخ ..

ولاجل الحديث عن ذلك ينبغي أن نلاحظ من الان وحسب ما يتوفر لدينا من دلائل انها أي تلك المناقشة ظلت متاثرة بالتاريخ ولهذا فلا مناص من دراستها مقترنة بالتاريخ مرتبطة به .. أريد أن اقول ان الحديث عن هذه القضية تطور نصا ومضمونا عبر السنين فالتدليل على الهلال فى القرن الاول من لدن بعض الفقهاء كان يختلف عنه فى القرن الثاني عندما ظهر ابو جعفر المنصور الذي كان يعنى بالفقه والفلك معا .. والحديث عنه فى هذا القرن اختلف عنه فى القرن الثالث أيام المامون بن هرون الرشيد الذي قرب اليه المعدلين والفقهاء وجمع بين المحدثين والفلاسفة، وهكذا ايضا عند القرن الثامن يوم نادى تقي الدين السبكي بالالتفات الى الحساب كعنصر يمكن ان يطعن في الشهادة المريبة .. وهكذا دواليك حتى القرن الثالث عشر .. وتاريخ المدن التي كانت مركزا للعلماء الذين تناولوا المناقشة فى الموضوع ، ووضع العلماء أنفسهم من حيث حياتهم الاجتماعية : خلودهم للسكون فى عقر بيوتهم ، تحركهم هنا وهناك .. ومن حيث الوظائف التي زاولوها ودرجة احتكاكهم بأفراد مجتمعهم ومشاكل أمتهم .. كل هذا له دخل فى الموضوع .. وليست الاهلة الا مثالا عابرا فان كثيرا من القضايا اذا لم تعالج من زاوية التاريخ ايضا تظل عرضة للمناقشة الدائرة .. أو ليس الفقه الا تعبيرا عن المحيط الاجتماعي وتصويرا للافاق التي نشاهدها ؟ وموضوعنا بالذات سجل التاريخ عنه أول مناظرة منذ أيام سيدنا عبد الله بن عمر وسيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهم .. وفى أيام القاضي ابن سريج (ت306) بل ان المناظرة اتسعت وأمست تتناول مسالة التقويم الهجري كله بين جناحي العالم الاسلامي ..

---

1) السبكي : الفتاوي ، الاول نشر القاهرة 1356ص 217 .

**والاسلام مع القوة نعمة .. وقد نشأتم فى « مدرسة محمد الخامس » فلا غـــرو أن نراكم لخير الدين والدنيـــا عامليـــن ، ولا عجب أن تعطوا المثل على أنكـــم على ذلك النهج سائرون ، وفى طريقه جادون ...**

**واستجابة مني لقولة منكم صادقة : « اذا كان من الديـــن أن ينصح أميـــر المؤمنين فمن الدين كذلك أن يطلب أمير المؤمنين النصيحة من العلماء » . وعمـــلا بما يفرضه علي الواجب رأيت أن أسهم ببعض الحديث أو مـــا يشبـــه أنه حديث، فان كنت قد أدركت بعض الصواب فلي من أجره ما أصبت ، وان كانت الطريـــق قد ضلت عنـــي فلي منحســـن نيتـــي ما يغفر لـــي بادرتي .**

**من أصـــداء الدعـــوة الملكية فى الخارج ...**

اذكر كاثر لتدخل الملوك والرؤساء فى مثل هـــذه النوازل امام رجال السلك الديبلوماســـي للبلـــدان الاسلاميـــة ، اذكـــر ان النـــاس فى المشرق عنـــوا بالموضوع اكثر من اي وقت مضى .. وقد تجاوب علماء ايران مع دعوة جلالة الملك الحسن الثانـــي ورددت المجلات هناك رأي فضيلة آية اللـــه القمـــره أي : ( انه لمن دواعي السرور أن يفكر ملوك العالم الاسلامي وعلماؤه فى توحيـــد بـــدء أول شهـــر رمضان بيـــن المسلميـــن ..) وقال آية الله نـــوري : ( ان اقتـــراح جلالة الملك الحسن الثاني هو مسألة فلكية ولهذا يجب أن يجتمع الفلكيون فى العالم الاسلامي لكـــي يتبادلوا الاراء وعندئذ يمكن تطبيقها فى البلاد الاسلاميـــة ..)

وعلقت بعض الافتتاحيات فى لبنان على الموضوع قائلة : ( لقد حان الوقت لكي يتوسع الاجتهاد الدينـــي ليجاري الزمن .. ان الصيام مفروض على أساس شهر قمري كامل وكل ما يضبط هذا الشهر يكون اقرب الى غاية الدين ونصوصه .. ليس معقولا أن يقـــال اليوم : الغيوم تحجب القمر .. ليس معقولا ايها السادة العلماء والا كان علمكم فى غير زمانه ان القمر يسبح فى فلكـــه بانتظام وعما قريب يصل اليه الانسان ) .

لكن أهم من هذا ان قاضي بغداد الشيخ عـــلاء الدين فى بلاغه للناس ليلة العيد تحدث باسلوب سمعته لاول مرة ، لقد قال : ( حيث ان هلال شوال قد ثبتت رؤيتـــه فى أكثرية البلاد الاسلامية واستنادا الـــى راي جمهور الفقهاء الذي لا يعتبر اختلاف المطالع وأن الهلال اذا رؤي فى بلد لزم سائر البلدان قررنا — يقول قاضي بغداد — اعتبار اليوم الاول من شوال لعام 1385 يوم السبت غـــدا ...)

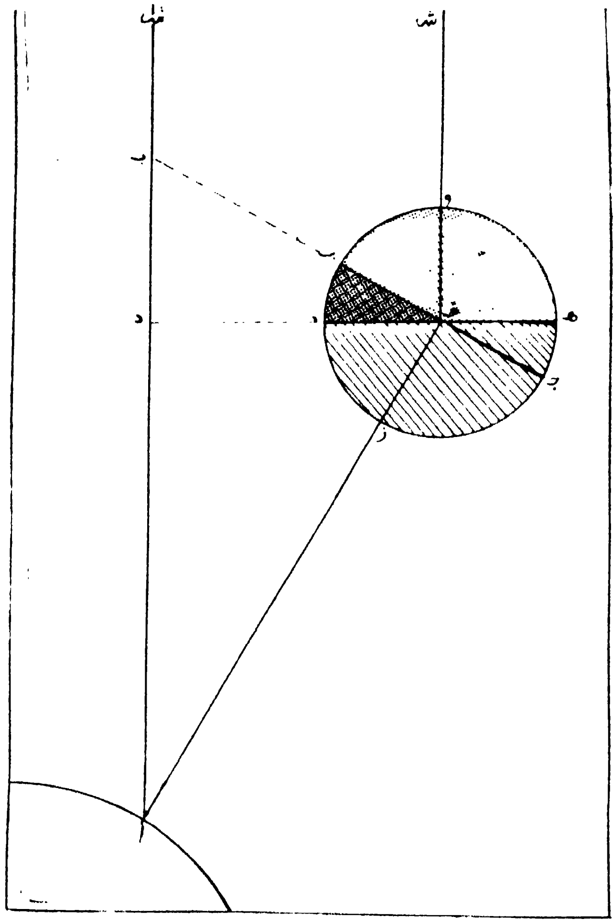
ذكرت كل هذا لابرز الاهمية التي أصبح العالـــم الاسلامي يوليها لهذه القضية التي لا تعني فقط مسألة افطار أو امســـاك فى يوم معيـــن ولكنهـــا تعنـــي **الرغبة فى ضبط حيـــاة ، فى ضبط تاريخ يجمع ملاييـــن المسلميـــن .**

**أول محاولة من ملوك المغرب فى القرن السادس**

اذا كانت قضية هلال رمضان قد شغلت النـــاس غداة تشريع الصيام فان مسألـــة الاهلـــة جميعهـــا وليس هلال رمضان على الخصوص قد وضعت فـــي المغرب منذ فجر القرن السادس الهجري وفى مستوى الامراء والعلمـــاء .

لقد كان السلطان العظيم يوسف بن تاشفيـــن وجه سنـــة 485 بعثة ديبلوماسية الى بلاط بغـــداد لاستمزاج الراي مع المستظهر بالله حول تطارح بعض الزعماء فى الاندلس على الاجنبي يبتغون حلفه ضد ابناء جلدتهم .. وكانت تتألف مـــن سفير هو الامام عبـــد الله ابن العربي وكاتب هو نجلـــه القاضي ابو بكر .. نجحت السفارة وعاد الكاتب من المشرق يحمل معـــه تأييد لموقف المغرب كان عبارة عـــن أربـــع رسائل : احداها من المستظهر نفسه الى يوسف بن تاشفين ، وثانيهما من وزيره ابن جهير الى السفير عبد الله ، وثالثها من الامام الغزالي ، والرابعة من العلامـــة الطرطوشي ... ومنذ هذا التاريخ انتظمت المكاتبات بين زعيمي العالم الاسلامي علـــى ذلك العهد : ذلـــك فى بغداد وهذا فى مراكش .. ولمـــا توفـــي يوسف سلـــك ولده الامير علي طريقة ابيه فى أموره كلها .. فظل يراسل المستظهر واستمر هذا يكاتبه ، وكانت الظروف آنذاك تتطلب مثل هذه المشاورات فان الغزو الصليبي الذي كان يتهدد المشرق والمغرب على السواء كان جديـــرا

المدار وظهر الهلال والا فلا .. ويتعلق الامر بانفصال القمر وابتعاده عن المركز الذي يكون فيه متوسطا بين الارض والشمس الى حيث يمكن ملاحظة جزء منه من طرف النظارة .



لنفرض ان ملاحظا وقف فى مكان (أ) الذي يشير للارض ، فان (أش) تعني اتجاه الشمس ، و(ف) يعني القمر ، و (قش) تعني الخط الذي يجمع مركز دائرة القمر بالشمس ، ونظرا لبعد المسافة بين الارض والشمس نسبيا فان من المفروض أن يكون (أش) و (قش) متوازيين . النصف المضيء من القمر هو (دوهـ) المتصل بالخط القائم : (قش) لكن الجانب المضيء فعلا من النصف هو فقط القوس (بقد) الذي يتخذ شكل هلال مقداره يعادل (شرقأ) . فالزاوية (شرأق) — وهي **قوس الظهور — ينبغي — حسب رصد البتاني — ان لا تقل هذه القوس عن 12 درجة و11 دقيقة حتى تمكن** رؤية الهلال الامر الذي لا يتحقق الا اذا مرت 24 ساعة تقريبا على اجتماع النيرين وانفصالهما .

هذا الشرط الاساسي ويأتي بعده هذا حد آخر لرؤية الهلال فى نظره ذلك ان يمكث الهلال بعد غروب الشمس على الاقل مقدار ثمانية واربعين دقيقة .

وبعد البتاني البيروني (ت400) الذي تمسك **باثنتى عشرة درجة** كحد تقريبي للاهلال .. ثم ورد نصير الطوسي (ت672) الذي اشترط للرؤية أن يكون **البعد** اكثر من **عشر درجات** .. أما الشهاب الريشي فقد ركز على حدين : المكث ، والنور : فان كان مكث الهلال يصل 48 دقيقة ، وبلغ حجم نوره 40 دقيقة (أو ثلثي اصبع كما يعبر الشهاب) اقول ان توفر هذان الحدان رؤي الهلال ، والا امتنعت رؤيته .. فان تحقق احدهما فقط كانت الرؤية عسيرة .. ولمن تبع هؤلاء من امثال ابن البنا (ت721) وابن الشاطر (ت 777) آراء **مماثلة**.

وللوصول الى حدود الرؤية جميعها : **قوس الظهور**، المكث ، النور لابد من التعديل والحساب لما بعد غروب الشمس بنحو نصف ساعة ليوم 29 من الشهر .. ويمر الحاسب بمراحل دقيقة جدا ولكنها تؤدي فى الاخير الى ضبط وضعية الهلال عند مغيب الشمس ..

## الحالات الثلاث

ولاجل ان نعرف الى اي حد ينبغي أن نستفيد من العلم لابد أن نتناول حالات ثلاث ممكنة على ضوء ما سبق :

الحالة الاولى أن يثبت العلم ان اجتماع النيرين احدهما بالاخر **تم بعد غروب يوم 29** من الشهر

الحالة الثانية أن يثبت العلم اجتماعهما وافتراقهما تم **قبل الغروب** ولكن بمدة غير **كافية قطعا** لظهوره .

الحالة الثالثة أن يثبت العلم أن اجتماعهما تم **قبل** الغروب **بمدة تكفي قطعا** لظهوره .

**الحالة الاولى** : ان يثبت عند العلم أن اجتماع القمرين وافتراقهما تم **بعد غروب** الشمس ، فاليوم الموالي يعتبر عند اهل الهيأة بداية الشهر على ما اسلفناه وبالامثلة وضحناه ، بينما هو عند رجال الفقه ليس الا تتمة للشهر المنصرم .. وهنا موقفنا واضح : الفقه لا يقر نظرية اهل الحساب .. وينبغي أن نذكر هنا أن كل اجماع يروى عن الفقهاء فى موضوع عدم اعتبار **قول المنجمين** محمول عند المحققين من العلماء

وفى ابرز ما يضفي الضوء على هذه المناقشــــة معرفة كل من وجهة النظر العلميــة ووجهة النظــر الفقهية حول تحديد الشهر مبدأ ونهاية ، وما يترتــب على كلا النظريتين ، وذلــك حتى نفتح عيوننا علـى الافاق التي ينبغي علينا أن نصلها عندما نعتمد رأيـــا ما من الاراء ..

ففيما يتعلق بالحساب فان الشهر عند رجـــال الهيأة محسوب ابتداء من اللحظة التي يتم فيهـــا انفصال القمر عن الدائرة الشعاعية ويستمــر الى ان يجتمع معها مرة ثانية وينفصل وهلم .. فهذا الاجتمـــاع وهذا الافتراق يتم كما قلنا كل 29 يوما وكذا كسورا . أما فيما ينوب الفقه فان تعاليمه واضحة فى أن مبـــدأ الشهر يعتبر بكل وضوح من الوقت الذي يرى فـــيه الهلال عند الغروب وان نهايته تتحقق عندما نرى الهلال مرة ثانيــة عند غروب اليـــوم التاســـع والعشريــن او عند ما يكمل العدد ثلاثين فى حالة تعذر رؤيته ، فهو متأرجح بين تسعة وعشرين يوما وبين ثلاثين بصــرف النظــر عــن الكســور .

## ماذا يترتب على التعريفيــــن ؟ :

ويترتب على اختلاف النظريتين أمور لا ينبغـــي ان نغض الطرف عنها .. لقد علمنا أن الشهـــر عنـد رجال الهيأة يبتدىء دائما قبل الفترة التي يبدأ فيهـــا عند رجال الفقه ، ونتيجة لذلك فهو ينتهي قبل ، وهكذا فعندما نشاهد هلال شهر ما من الشهور علـــــى الافق ، فمعنى ذلك علميا أن الشهر ابتدا قبل هذا الوقت لان اجتماع النيرين يتم فعلاقبلذلك الوقت. وعليه فانما نعده حسب رؤيتنا اول الشهرقد يكونفى نظر العلم ثاني الشهر ، وعلى هذا ايضا فان اليوم الذي نكمل بــــه الثلاثين قد يكونفى نظر العلم هو اولايام الشهر الجديد.. وينبغي التنبيه الى أن العلــم لا يفرق بين أن يتـــم ذلك الاجتماع والافتراق ليلا او نهارا فلو فرضنــا انــه حصل قبيل الفجر فان اليوم الاول مـــن الشهر يكــون بعيد الفجر مباشرة ، ولو انه حصل اللقاء والفـــراق اثناء النهار فان الشهر يبتدىء فى الدقيقة المواليـــة لهذه الاثنـــاء .. نرى أن مداخل الشهور علميا تتقدم مداخلها شرعيــا وانها فى الاعتبار الاول تتقيد برؤية بينما هي هي فى الاعتبار الثاني خاضعـــة لها ..



واعتقد انه لا مناص من استشارة أزيد لاراء سائر علماء الفلك تحقيقا للغرض من تحليلاتنـــا القابلـــة للنصوص الشرعية .. ان تلك الاستشارة ستعيننا على تفهم تعاليم الاسلام فى اطمئنـــان .

يتجلى من استعراضنـــا للوسائل التي يعتمدها العلماء لمعرفة أوائل الشهور أن هناك طرقـــا تتبع هنا وهنـــاك ..

وبعد أن نشيـــر لما كنـــا المعنـــا اليه من أن الشهر فى النظرية العلمية البحتة يبتدىء منذ اللحظـــة التي يتم فيها اجتماع النيرين وانــــه يستمـــر الـــى أن يجتمعا مرة اخـــرى نذكر ان هناك طريقة دأب عليهـــا الذين يميلون للاخذ بالطريق الاسهل لمعرفة مداخـــل الشهور وهي طريقة الجداول المتداولة أو طريـــــق (حساب العلامة) كمـــا يسميها أهل الفن . والاعتمـــاد على هذه الطريقة ايضا ينافي الاخذ بالنصوص الخاصة بالرؤية هذا الى انها تفترض أن يكون رمضان مـــــن ثلاثيـــن يوما باستمرار ، الامر الذي لا يتفق مـــع النص بالاضافة الى انــــه لا يطابق واقع الرؤيـــة اذ أن هذه الجداول تقضي احيانا بتقـــدم مدخل الشهر علـــى الوقت الحقيقي ، واحيانا بتأخـــره ..

لكـــن الطـــريقـــة المثلـــى التـــي تعتبـــر أكثـــر دقـــــة ، واكثـــر مطـــابقـــة هـــي طريقة (حساب الرؤية) ، ومن خصائص هذه الطريقة أنها تتعقب حركة الهلال بعد انفصاله عن الشمـــس وذلك لتضبط الميعاد الذي يمكن فيه ظهوره فى الافــــق مع غـــروب اليوم المقصود .. وبدراستها يتضح انهـــا طريقة حكيمة ورشيدة ، فليست كالاولى تكتفي باجتماع النيرين ، وليست كالثانيـــة تعتمد فقط على **التلفيـــق بين الجداول** ولكنها **تؤمن بالرؤية كمبدأ وتتوســـل لتسهيلها للنـــاس** .. ولهذه الطريقة مناهج متعـــددة يسلكها الفلكيون، كلحسب اجتهاده وحسباستعداده، وفى المحققين من يجمع بين عدد من الطرق امعانـــا فى التأكد وزيادة فى التثبت ..

لقد عالج المنجمون الاقدمون من المسلميـــــن الحديث عن **حدود الرؤية** .. وكان أهم حد عنوا بـــــه هو ما يسمى عندهم **قوس الظهور** ، ونعتقد أن أبـــرز من بسط الموضوع من علماء المسلمين هو محمد بـــن جابر البتاني (ت317) سلطان المنجمين والموقتين الذي ترجمت مؤلفاته الى اللاتينية فى العصر الوسيط .. لقد كان يـــرى أن قوس الظهور هو الاصل الذي عليــــه

قال القاضي : (ثبت عندي) فمعناه انه استوفى كل تلك الاحوال ...

لقد فضلت ان اقتبس جل ما أورده الامام السبكي هنا لاعبر بالقلم العريض كما يقولون عن الاهتمام الذي اخذ الائمة **يولونه للحساب** وعن الحذر البالغ الذي يقابل به المحققون اقوال الناس عندما لا تتطابق ومنطق العلم والرقم .

والحقيقة أن نظرية الامام السبكي هذه كانت منه في عصره بمثابة **(ثورة)** .. وقد حركت كثيرا من الناس بين مؤيد ومندد ، وقد قرانا فتاوي حول الموضوع هنا في المغرب ايضا كانت تتبادل بين فقهاء **يشحنونها حججا** وبراهين وفقهاء آخرين يفرغون تلك الحجج ويفجرونها ...

**الحالة الثالثة :** اما الحالة الثالثة — وهذا محور نقاشنا — فهي أن يثبت العلم أن اجتماع القمرين وافتراقهما **تم قبل** غروب الشمس بمدة **تكفي** لرؤية الهلال .. وهنا سننتظر ان كانت أحوال الجو تساعد فالعمل على ما وصل اليه رصد الناس . لكنه اذا ما تعذرت الرؤية لسبب من الاسباب : سحاب متلبد ، بخار متصاعد ، هنا نرى الفقهاء فريقين : **الاول :** يقول باكمال الشهر .. والثاني يقول بتحكيم الحساب ، ولكي نكون على بصيرة تامة نتقدم بالحديثين الاساسيين الواردين في الموضوع :

الحديث الاول : عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي (ص) قال : ( لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه ، فان غم عليكم فاقدروا له ) .

الحديث الثاني : عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي (ص) قال : (لا تصوموا حتى تروا « الهلال » ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاكملوا العدد ثلاثين ) .

**الفريق الاول : المكملون :**

على رأي هؤلاء يكون معنى الجملة الاولى في الحديثين الشريفين : (لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه) ان الصوم معلق **بالرؤية** فمتى حصلت كان ومتى لم تحصل لم يكن ) هي وسيلته الوحيدة ولا بديل لها ، ولاشك اننا ندرك من منطوق هذه الجملة ذاتها ودون الالتجاء الى ما بعدها ، معنى ظليا ثانيا وهو اننا اذا لم نره لعارض ما من العوارض فعلينا ان ننتظر بالصوم اليوم الموالي ، أي أننا نكمل ثلاثين يوما . وهذا المعنى المفهوم شاء المشرع عليه الصلوات — امعانا في البيان — أن ينص عليه بجملة ثانية فقال على رواية ابن عمر : (فان غم عليكم فاقدروا له) وقال على رواية ابن عباس (فان غم عليكم فاكملوا العدد ثلاثين) فمعنى الجملة في الرواية الاولى انه اذا حال بينكم وبين الهلال غيم أو شبهه فاقدروا له ، دون تحديد نوع التقدير ، ومعناها في الرواية الثانية التصريح الفصيح بأن لا معنى لقوله : (اقدروا له ) الا اكمال العدد ثلاثين .. وبهذا يكون حديث ابن عباس مفسرا للقصد من حديث ابن عمر اي أن ذلك الاجمال في الحديث السابق كشف عنه الحديث اللاحق ، ولاشك أن علماء الحديث لا ينشدون احسن من تفسير وارد بوارد آخر من جنسه وفصيلته .. وقد حرص بعض الذين ساندوا هذا الرأي على الاستدلال بمثل ما ورد في كلام الشيخ ابن الصلاح (ت643) في معرض تعليق له (1) من (أن معرفة الحساب **أمر دقيق يختص** بمعرفته آحاد الناس..) وبمثل ما ورد في كلام الامام النووي (ت677) من (ان سبب عدم البناء على حساب المنجمين يرجع لكون الحساب **حدسا وتخمينا** ليس الا (2)..) وكذا بمثل ما ورد في تفسير الامام القسطلاني (ت923) ( اننا لم نكلف في تعريف مواقيت صومنا ولا عباداتنا بما نحتاج فيه الى معرفة الحساب وانما ربطت عباداتنا باعلام واضحة ، **وامور ظاهرة** يستوي في معرفتها **الحساب وغير الحساب** (3) ) وأخيرا بمثل ما نقله الامام الزرقاني (ت 1099) : (ولا يصح أن المراد بقوله « فاقدروا له » حساب المنجمين لان الناس لو كلفوا ذلك **لشق عليهم لان الحساب لا** يعرفه الا افراد والشرع انما يكلف الناس بما يعرفه جماهيرهم ...) (4) .

---

1) الزرقاني على صحيح الموطا ثاني ص 85—86 .
2) المصدر السابق 86
3) القسطلاني شرح البخاري ثالث ص 291 .
4) الزرقاني ص 86 .

على هذه الصورة (1) ، والملحظ واضح وهو ان الامر يتعلق برؤية ممكنة للهلال ، وطالما ان هذه الرؤية مستحيلة فالشهر عندنا ايضا غير موجود ، وقد ربط المشرع عليه الصلوات صومنا باعلام واضحة وامور ظاهرة لائحة يستوي في معرفتها جماهير الناس.. ولذلك فلم يقم وزنا لنظرية اهل الحساب هذه بان الاجتماع كاف لوجوده في نفس الامر بل اعتبر الوجود في نفس الامر مشروط بشيء ثان هو امكان الرؤية ، ومن ثمة كان الشهر عندنا هو ما بين **ظهور** الهلالين لا افتراق النيرين ... ومن ثمة ايضا كان الشهر عندنا احيانا من تسعة وعشرين واحيانا من ثلاثين على ما تقدم -

**الحالة الثانية** : ان يثبت عند العلم ان اجتماع النيرين وافتراقهما تم **قبل غروب** الشمس ولكن **بمدة** غير كافية لظهور الهلال **قطعا** معها للناس .. هنا جانبان في الموضوع ، الجانب المرفوض والجانب المستغل ، فالجانب الاول اننا ما نزال على راينا من ان امكان **الرؤية** شرط لازم ولذلك فلا وجود عندنا للشهر لكن الجانب المقبول هو اننا نعتمد نتائج العلم هذه لنتحفظ بها ازاء شهادة قد ترد علينا رواية انها رأت الهلال ، ترون اننا اخذنا من العلم ما يتوافق ومبدأ الاسلام ، ولكنا رفضنا منه الجانب الذي لا يراه الفقه .. وليس من ضير في ان نستعين بالحساب من هذه الناحية .. وسنسمح لانفسنا بالاسترسال في الحديث عن هذه الحالة :

لقد عقد الامام تقي الدين السبكي فصلا خاصا لهذه المسألة في فتاويه : ( من شهد برؤية الهلال واقتضى الحساب تكذيبه ) والامام السبكي معروف بسعة اطلاعه وبديع صياغته ، وهو الى هذا عالم ضليع ومحدث مدقق واصولي بارع ورحالة مستفيد ورياضي متقن ، انعكست اضواء ثقافته على مؤلفاته وقد تقلب في وظائف سامية مكنته من الاحتكاك بقضايا الناس حيث كان قاضي القضاة بدمشق لمدة طويلة وحيث اضيفت اليه الخطابة بالجامع الاموي وتولى التدريس بدار الحديث ، **وكان يتتبع سير الاهلة شهرا طيلة عشرين عيدا ..**

ان الاسلوب الذي عالج به هذه الصورة بالذات والذي يكتسي حلة من الالحاح زائدة ينم بحق عن مدى الاهتمام الذي يوليه للحساب حينما لا يصطدم بمبدأ ولا يهدد قاعدة .. ان الحساب حينما يدل بدلالات قطعية موثوق بها على ان الهلال لا يمكن أن يرى ، ففي هذه الحالة لا يمكن افتراض رؤيتنا له حسا لانه مستحيل ، ولهذا فلو اخبرنا مخبر بأنه رآه فالذي يتجه عندنا — يقول السبكي — حمل الخبر على الغلط او الكذب لان دلالة الحساب قطعية والشهادةظنية، والظن لا يعارض القطع فضلا عن أن يقدم عليه .. وشرط البينة أن يكون ما شهدت به ممكنا .. فاذا علم ان اشارات الحساب تقطع بعدم امكان رؤيته استحال القبول شرعا لان مضمون المشهود به مستحيل ، والشرع لا يقر بالمستحيلات ، ولم يرد نص في الاسلام بأي الشاهدين تقبل شهادتهما سواء كان المشهود به صحيحا أو باطلا .. وهكذا فلا يترتب وجوب الصوم على مجرد الخبر او الشهادة . فالواجب علينا أن نتبين في قبول الخبر حتى نعلم حقيقته أولا .. ولاشك أن بعض من شهد الهلال قد تكون شهادته بدافع من غرض أو طمع .. والحقيقة ان هناك أكثر من سبب يدعو بعض الناس الى تقديم شهادة من هذا النوع .. وسنسمع مرة ثانية لقاضي القضاة الامام السبكي ليحدثنا عن تجاريبه الخاصة ، قال رحمه الله : (أن بعض من يشهد الهلال قد لا يراه ويشتبه عليه أو يرى ما يظنه هلالا وهو ليس بهلال أو تريه عيونه ما لم يره أو يؤدي الشهادة بعد ايام وتلتبس عليه الليلة التي رأى فيها الهلال ، أو يكون جهله عظيما يحمله على أن يعتقد ان في حمله الناس على الصيام اجرا له ومثابا عندالله! أو يكون ممن يقصد اثبات عدالته فيتخذ ذلك وسيلته لتزكيته وقبوله عند الحكام .. قال الامام السبكي : ( **وكل هذه الانواع قد رأيناها وسمعناها** ) فيجب على الحاكم اذا عرف من نفسه أو بخبر من يثق به أن الحساب يدل على عدم امكان الرؤية ان لا يقبل تلك الشهادة ولا يثبت الهلال بها ولا يحكم بمقتضاها ويستصحب الاهل في بقاء الشهر فانه — اي الاستصحاب — دليل شرعي حتى يثبت خلافه فان تجويز الغلط أو الكذب على الشاهدين أولى من تجويز انخرام سير منازل الشمس والقمر .. وحق القاضي — يقول السبكي — أن يتيقظ لذلك وأن لا يتسرع الى قبول الشاهدين حتى يتبين حال ما شهدا به امكانا وعدمه ، وهل بصرهما يقتضي ذلك أم لا؟ وهل هما مما يشتبه فيهما أم لا ؟ ولو كان كل ما يشهد به شاهد، أن يثبت عند القاضيلاصبح القضاء في متناول كل الناس لكن لابد من نظر لاجله جعل القاضي ، فاذا

1) ابن رشد : البداية أول 196 — القرافي الفرق102 — السبكي ص 217—218 .

يقتصر على أول رمضان مثلا ، ولكنا فقط بصدد ان نعرف السر فى اختيار الرجل لنفسه هذا المذهب بالذات .. اليس لانه كان لا يرى أن تصرفنا سحابة عابرة عن الاخذ بجانب الحذر ؟

## بين المكملين والحاسبيين :

والان وبعد أن حاولنا تقديم وجهة نظر كل فريق : الذين يرون تكميل العدد ثلاثين ، والذين يحكمون الحساب ، والذين يميزون بين حال وحال والذين يحتاطون .. بعد أن حاولنا ذلك نحن مقتنعون سلفا من اننا سنسمع — كما سمع الناس من ذي قبل — عن آراء تناصر هذا الفريق أو ذاك .. وقد تتجاوز تلك المناصرة حدود المناقشة الموضوعية للتعريض بالناس والنيل منهم .. سنسمع عن ناس يرددون تعقيب ابن سيرين (ت110) على قول مطرف : ( كان أفضل له — اي لابن المطرف — لو لم يقله ) وسيقول آخرون عن ابن قتيبة انه ( ليس ممن يعرج عليه فى مثل هذا ) ، وسوف لا نعدم من يذكر بما علق به ابن العربي (ت638) على رأي ابن سريج من انه (بعيد عن النبلاء) أو سيروي آخرون أن المعروف عن الامام الشافعي هو غير ما نقله عنه ابن خويز منداد ، وان ما نقل عن الامام السبكي فيه مبالغة ، وفى الناس من سيقصر الاهتداء فى الاية الشريفة (وبالنجم هم يهتدون) على الاهتداء بها فى البر والبحر .. ومن جهة أخرى فلابد ان تجد من يعقب على هؤلاء المعقبين بأن مطرف وابن قتيبة وابن سريج والسبكي وامثالهم ممن كانوا تيجان علم وعمل فى زمانهم ما كان لهم أبدا أن يتجاوزوا الحدود فى اجتهادهم لولا ما رأوه مما يقتضي ذلك .. ولابد بعد هذا من ان تجد من يرمي الذين قصروا الاية (وبالنجم هم يهتدون) على ما قصروها عليه ، يرميهم بالتحكم وبالتكلف ، وأخيرا ستسمع من بعض الذين يعتمدون الحساب عند تعذر الرؤية تركيزهم على أن بعض الذين زهدوا فى الحساب كانوا يستصعبونه — او استطاع (المكملون) وهم يشرحون وجهة نظرهم أن يحموا انفسهم من الاعتراف بان الدوافع لتأويلاتهم كانت تتلخص فى عسر الحساب ودقته ؟

نعم كل ما قيل ويقال وسيقال امر مرتقب فى موضوع كهذا . لكن املنا الآن أن نخرج من طور الترديد الى طور التجديد .. الى الالتفات الى الواقع الذي تعيشه الاسرة الاسلامية اليوم .

## الرؤية بين الحاسة والوسيلة العلمية

لقد اناط الرسول عليه الصلوات هذه العادة بداية ونهاية برؤية الهلال ، و (الرؤية) حدث كسائر الاحداث قد تتم عن طريق البصر المجرد كما انها قد تتم بواسطة .. فعندما ارى وعلى عيني نظارتان اقول : انني رأيت ، وعندما ارى بعيني مباشرة اقول انني رأيت ، كلاهما رؤية ، واعتقد ان فى اطلاق الرؤية من قبل المشرع اشعارا منه بأن الغرض هو حصولها بأي طريق كان وانه لا مانع عنده فى التوسل لهذه الرؤية بطريق ما .. ومعنى هذا ان الشارع قصد فقط الى التأكد والتحقق والتثبت .. وهذا فعلا هو الشأن فى كل تشريع يبينه الاسلام على **تزكية الحواس** ، خذ لك مثلا : ذكروا أن فيما يعرف به المتناولون للخمر ان تشم افواههم .. ترى لو استعنا بالالة التي تعتمد عليها ادارات الامن اليوم فى اكتشاف السكارى ، هذه الالة التي يكفي أن يتنفس عليها المتهم لتعرف بدقة درجة سكره ونسبة الكحول فيما تناوله من مشروب .. ترى ماذا يقول فقهاؤنا هنا ؟ هل سيظلون مفضلين الاعتماد على انوف البوليس أم انهم سيبتهجون لهذه الواسطة التي لا تخطىء .. خذ لك مثلا آخر يتعلق بالحاسة أيضا : نعرف أنه كان على المحتسب أن يستعين بخبراء لمعرفة البضاعات المغشوشة ، ولذلك فقد كان يختار « مستذوقين » يعتمدهم لمعرفة المحتالين ، فبماذا يتقبل الفقهاء الالات والمعايير التي تعطي فى سرعة ودقة نتائج خلط السمن بالبطاطة أو الحليب بالماء مثلا ؟ .. وخذ لك مثلا بعد هذا لو استطعنا استعمال الاجهزة الالكترونية فى حساباتنا فماذا عسانا نقول فى الاستعانة بها للوصول الى الفروض التي شرع الله فى الميراث من نصف وربع وسدس وثمن ؟ هل سنصر على الاكتفاء بأدمغتنا التي اثخنتها الاشغال وارهقتها الاعمال ؟ .

**الواقع أن ربط الاحكام بالحواس يعني** الوصول الى غرض من شأن تلك الحواس ان تؤدي اليه ، ولهذا فلو وصلنا الى ذلك الهدف بطريق ما فلا ضير .. ومن هنا فضل الفقهاء اذا كان الامر يتعلق بحاسة أن يقع الاختيار على الفرد الاكمل فى تلك الحاسة امعانا فى مناشدة التأكد والتحقق والتثبت ... بمعنى اننا نفضل بالتأكيد قوى البصر فى مراقبة الهلال على متوسطه .. أريد ان أؤكد أن الاستعانة بالنظارات يعتبر فى نظرنا مثل الاستعانة بالاماكن العالية التي داب اسلافنا على قصدها فى

## الفريـــق الثانـــي : الحاسبـــون

وبعد هذا ننتقل الى وجهة نظر الفريق الثانـــي.. يرى أن لقول الرسول : فان غم عليكم فاقدروا له ) معنى غير معنى اكمال الثلاثين . ومعناه في نظرهـــم: اعتمدوا على ما يعطيـــه التقديـــر اي الحســـاب ، فلو أنـــه اي الحســـاب دل علـــى أن الرؤيـــة ممكنـــة كـــان علـــى المسلميـــن أن يصومـــوا ولـــو انه أي التقديـــر والحساب دل علـــى العكس لكـــان العكس هو المطلوب ، نـــرى أن الامـــر يتعلق عنـــد هؤلاء **بامكان** رؤية الهلال وليس الى **الرؤية** ذاتهـــا ، وكما اعتمدنا الحساب في مواقيت صلواتنـــا وفي اشياء اخرى ينبغي أن نعتمده في الهلال او ليس سيـــر القمـــر والشمـــس مضبوطـــا بحسبـــان ؟ أو ليست المنـــازل تسيـــر حسب تقديـــر ؟ عرفنـــا الفريق الاول يعتبر أن هذا الشق الثاني في الحديث الشريف : « فان غـــم عليكم ...» زيد فقط لتأكيد ما فهم سلفا من الشق الاول، لكن هذا الفريق يعتبره انشاء لحكم جديدفي قضية جديدة: الاستعانة بالعلم عند عجز الحاسة ، قال مطرف بن الشخيـــر البصري (ت 87) وهو من كبـــار التابعيـــن معنى « فاقدروا لـــه » الرجوع الى الحساب ، وقال الحنابلة معناه « قدروه تحت السحاب » وفسره الامام ابن قتيبة الدينوري(ت276)بالرجوع الى الحسابأيضا.. وقد ذهبت طائفة من الشيعة الى اعتماد اهل التسيير عند التعذر .. وقال القاضي ابن سريج البغـــدادي (ت 306) ان معناه قدروه بحسب المنازل ، ونقـــل الباجي (ت374) عن الداودي مثل هذا القول ونقـــل بعضهم عن الامام الشافعي تشجيعه على الالتجـــاء الى الحساب عند التعذر (1) ، وقد افاد الامام السبكي ايضا (ت755) أن الشريعة لا تـــرد علـــى من قـــال بجواز الصوم بالحساب وانها لا تبطـــل مقتضيـــات الحساب ، ولكنها تخالف فقط النظريـــة البحتة لعلـــم الهياة في تحديد الشهر بانه المدة ما بين **افتراق** النيرين لحين **اجتماعهما** مرة ثالثة .. ويصوب العلامة الزركشي (ت794) أن المنجم اذا عمل بحسابه فانه قد رفع التبعة عن نفسه وأجزاه ذلك عن فرضه . علـــى ان هنـــاك طائفة عززت الاعتماد على الحساب بمـــا يفهم مـــن الايـــة الشريفة : « وبالنجم هم يهتدون » فـــان فيها تدليلا على الالتفات الى اشارات النجوم وحسابها اذا مـــا لـــزم الامـــر .

1) الزرقاني ، الموطـــا ص 85 .

## القاضي ابن سريج : لكل حديث مورد خاص :

واذا كان هذا راي هذا الفريق فان عالم بغـــداد القاضي ابن سريج (ت306) لم يتـــردد في ان يذكـــر أن هناك موردين مختلفيـــن للحديثيـــن الشريفيـــن : حديث « فاقدروا له » وحديث « فاكملوا العـــدد ثلاثيـــن » وبيان ذلك أن الاول كان خطابا لمن خصـــه الله بهذا العلم بينما الحديث الثاني خطابا للعامة أي أن هنـــاك فرقا بين ملاحظة السيـــر العادي للاهلـــة الذي يدركه عامة الناس وبين معرفة السيـــر الحقيقي المبني على الحساب الدقيق الذي يستأثر به خاصـــة الناس ، فلكل مقام مقـــال ، والامـــر يختلف بحسب استعداد الناس وقابليتهم ، اذا كانوا لا يتوفرون على وسائل تمكنهم من استشفاف مـــا تحت الحســـاب بوسيلة علميـــة ما ، فان الله اذن لهم في تكميل العدد ثلاثين .. وهذا سلوك مـــن ابـــن سريج لا يهمـــل الحساب وهو في الوقت ذاتـــه يعمل بروايـــة حديث ابـــن عبـــاس ..

### ولماذا صـــام ابن عمـــر يـــوم الشك ؟

على أن هنـــاك ملاحظـــة أخرى ينبغـــي ان لا نغفلها تلك أن الصحابي الجليل سيدنـــا عبد اللـــه ابن عمر يرى أن على المسلمين أن يصبحوا صياما اذا حال السحاب دون رؤيـــة الهلال عشية اليوم التاسع والعشرين .. وهذا اليوم هو الذي يعرف في كتب الفقه بيـــوم الشك .. ترى ماذا كـــان باعث سيدنـــا ابـــن عمر على صوم هذا اليوم ؟ وماذا كان موقفه مـــن رواية « فاكملوا العدد ثلاثين » .. لقـــد روي عنه أنـــه كـــان يرى أن معنى « فاقدروا له » اصبحوا صائمين ، ونعتقد أن هذا الفهم من سيدنا عبد الله بن عمر كـــان أول حركـــة او اول اجتهـــاد في هذا الموضوع مـــن صحابي جليل ، اجتهاد لم يقتصر على ترديد تفسير او تأويل ولكنه تعداه الى سلوك طريـــق تنم عـــن انه لا يطمئن كل الاطمئنان الى ما فهم من الحديث من اكمال العدد ثلاثيـــن .. وتنم عنه انه ـــ ولو لم ينقل عنه راي صريح حول الاعتماد على تقديـــر الحســـاب ـــ يفضـــل جانب الاحتياط ... وهذا من الاثار العملية التي يمكـــن ان يستأنس بها من يميل الى عدم الاخذ باكمال العـــدد ثلاثيـــن اخذا مطلقـــا ..

ولسنا بصدد الحديث عن تضعيف ملحظ عبـــد الله بـــن عمـــر .. ولا كذلـــك بصدد الحديث عن انه

للممكن والمناسب ، وكان فى ذلك اشارة — فيما نعتقد — للاعتماد على اية وسيلة أخرى ممكنة ومناسبة .. ان الاعتماد فى صدر الاسلام كان على تطوع الجمهور فلما كسل هذا الجمهور وانشغلت العامة اعتمد على قبول الاثنين .. وسأترك لكم الرجوع الى امهات الكتب لتقفوا على كثير من النوازل التي عالجها العلماء بروح رياضية مرنة .. تساهلت فى الوسيلة ولكنها حافظت على الهدف ، وحفظت النص ولكنها تمسكت بالروح ، ولم يكن هذا فقط فى العهود المتأخرة ولكن منذ فجر الاسلام .. عمر ابن الخطاب تصرف .. عثمان بن عفان تصرف .. ولم يكن هؤلاء واولئك يقصدون الا الابقاء على جدة النص وروعته ، وبالتالي الى افهام المسلمين أن الاحكام تخضع دائما للاحوال .. وتعجبني قولة للشهاب القرافي لقد قال بالحرف الواحد : ( **ولا تجمد على المسطور فى الكتب طول عمرك .. فان الجمود فى المنقولات ابدا ضلال فى الدين وجهل بمقاصد علماء المسلمين والسلف الماضين** ) .

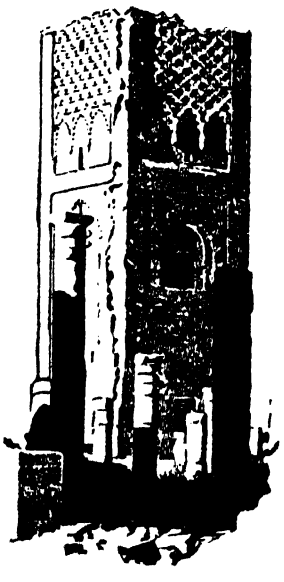
وهكذا فان الاستعانة بالعلم ، بالحساب ، بالمراصد على رؤية الهلال امر لا يجافي الاسلام بل ان الاسلام يرحب بكل وسيلة من شانها أن تسهل على الناس الاخذ بتعاليم دينهم ومن شأنها أن تنحي عنهم الاضطراب والشكوك ...

### وسائلنا بين الامس واليوم

وسائلنا بالامس منذ عهد البتاني ظلت تسدي الينا معروفا لا ينسى على مر الايام بيد أن تقديراتنا الفنية القديمة تعتبر فى نظر الفلكيين المحدثين كريمة سخية : لابد ان تمر 24 ساعة على اجتماع النيرين .. لابد أن يمكث الهلال فى الافق 48 دقيقة ، لابد أن يبلغ حجم نوره ثلثي أصبع .. مقاييس كانت فى القديم لتمكين عامة الناس من ملاحظة الهلال ، ولكنها مع الوسائل المتطورة والمتجددة باستمرار امست مبالغا فيها .. فلو استطاع العلم أن يثبت رؤيته بالرغم من أنه لم يمر على انفصاله 24 ساعة كاملة .. ولو استطاع أن يثبت رؤيته بالرغم من أن مكثه فى الافق لم يبلغ 48 دقيقة .. وبالرغم من أن حجم نوره لم يصل الى ثلثي اصبع .. لو استطاع العلم أن يتأكد من رؤيته مع غروب الشمس مباشرة .. لو ثبت ذلك فأي مس يكون هناك بمبدأ الرؤية .. ان العلم يستطيع أن يحدد مواعيد ظهور الهلال بالساعة والدقيقة والثانية لمآت السنين ولمختلف المناطق فى العالم .. ان الوسائل الاولى ستظل مصدر اعزازنا وتقديرنا ولكنا لا نريد أن نتنكر لوسائل العصر الحديث ، لقد جاهد اجدادنا بالقوس والنبل ولكننا لا نعتمد اليوم على تلك الوسائل .. وحج اجدادنا بيت الله على مطايا النوق ونسعى اليه نحن على متن الطائرات .. وصلينا — الامس معتمدين على ظلال القوائم واليوم نصلي معتمدين على الالات .. فأي ضير فى ادخال تعديل على مقاديرنا بالامس ومقارنتها مع مقاييس اليوم ؟

الحديث بقية

**الرباط : عبد الهادي التازي**



مثل هذه المناسبات ، ومثل البروج التي شيدها جدودنا في جل العواصم لرصد الاهلة .. كل ذلك لتقريب البعيد وتوضيح المبهم وتجلية الخفي **لتكون عبادة الناس في الارض وفقا لما دلت عليه اشارات السماء** .. ومن أجل كل هذا فلو تمكنا عن طريق المرصد ان نضبط الهلال لكان من حقنا أن نصوم لرؤيته ، وعندما نقول المرصد نقصد الى المرصد في سائر مراحل تطوراته عبر التاريخ الى الان والى ما يجد بعد الان .. فمن المرحلة التي كان المرصد فيها يقتصر على برج عال ، الى المرحلة التي تزودت فيه المراصد بالتلسكوب الى المرحلة الحالية التي تميزت بالدقة في أنواع الالات التي تخترق السحب الملبدة لتكشف عما وراءها ، لقد ذكرت قول الحنابلة في تفسير الحديث الشريف (فاقدروا له) لقد قالوا : ان معناه « قدروه تحت السحاب » وها نحن قد توفرنا اليوم على ما يرفع درجة علمنا من **« تقديره »** تحت السحاب الى **«التأكد»** من حقيقته تحت السحاب.. لقد توفرنا على العلم .. توفرنا على الوسيلة وحتى لو قلنا : ان النص منوط بالرؤية المجردة فان واقع الامر آنذاك كان لا يمكن معه أكثر من ذلك ، كما أن واقع الامر بالنسبة للصلاة — كان لا يمكن بغير ظلال القوائم .. ومعلوم انه يجوز التصرف في الاحكام اذا كانت قد بنيت على واقع .. ان الائمة الذين اجتهدوا في الوصول الى معاني تلك الاثار الشريفة كانوا متأثرين بكل تأكيد — بما يقع عليه حسهم — بامكانيات مستفتيهم .. ولاشك أن حسنا اليوم يقع على اشياء غير التي كان يقع عليها بالامس فهل لا يتأثر الحكم نتيجة لذلك ؟ وهل سنرضى برفض نتائج العلم وهي انما تخدم لنا الغرض الذي من أجله نسعى ؟

**تبعية الاحكام للاحوال ....**

نعم بالاضافة الى الاطلاق في الرؤية وعدم التفريق بين أن تتم بالبصر المجرد أو بالبصر المقوى بالاضافة الى ذلك فان هناك ملحظا لابد أن لا يغفله الذين يهتمون بهذا الامر أو بما يشابهه كذلك من من أمور .. ذلك أن ظروف الناس تتبدل من يوم لاخر .. ولابد أن الاحكام من حيث انها تعنيهم أن لا تقف ، ولابد لها أن تتكيف سيما اذا كانت لا تمس قاعدة اساسية في الدين .. والمتتبع لكلام المحدثين والفقهاء سيلمس الكثير من الجزئيات التي كان لها بالامس حكم وأصبح لها اليوم حكم غير الاول .. **ان ما اتفق عليه الجمهور منذ قرن لا يلزم أن يكون هو ما يتفق عليه الجمهور في يومنا هذا .. وما كان مشهورا آنفا هل من الضروري أن لا تفارقه الشهرة الى الابد ؟ وعلى هذا القياس فان ما كان من رأي الاقلية سابقا لا يلزم أن يبقى رأي الاقلية لاحقا .. اذ من الجائز أن تكون الدوافع التي قللت من الاصوات آنذاك تلاشت وآل الامر الى وجود تلك الدوافع مع الجانب المقابل** .. هذه مقدمات اردت أن أوضح بها المقام بعض الشيء .

لقد اذن على عهد الرسول للمراة ان تحضر المساجد كما يحضرها الرجال ، وكان ذلك بصريح الحديث الشريف : « لا تمنعوا اماء الله مساجد الله لكنه لم يمر زمن غير طويل حتى لاحظت أم المؤمنين عائشة أن بعض الطوائش اتخذن من حضور المساجد ذريعة لارضاء استطلاعهن فقالت عائشة الصديقية : « لو ادرك رسول الله (ص) ما أحدث النساء لمنعهن المساجد .. الحديث » ، لم تكن عائشة تقصد اطلاقا الى تعطيل رخصة سابقة ولكنها (رض) تمحصت النص وتمعنته ووصلت الى أن الظروف اليوم **غيرها** بالامس فلا جرم أن تمتد « الغيرية » للاحكام أيضا ... وهذا النوع من التصرف هو ما سميناه الاسترشاد بروح النصوص (1) وهو ما يعبر عنه ايضا بحاسة الفقيه ، وهذا بالضبط قصد العلماء بقولهم : « تحدث للناس فتاوي بقدر ما أحدثوا » فلنكن على بال اذن مما حدث أو أحدث لنتصرف على ضوئه فيما نفتي به للناس لا عليهم فقط ، ولكن لهم أيضا بمعنى انه قد يكون ما احدثوه مما يستوجب مخالفة وهناك تكون المعاقبة وقد يكون ما احدثوه مما يستوجب موافقة وهنا تكون المكافأة .

ومثل واحد في موضوع الاستفادة من عمق النصوص قد لا يكفي .. ولذلك فلنقرأ أمثلة أخرى من تغير الاحكام حسب الاحوال ، لقد كان اثبات الهلال في صدر الاسلام موكولا الى الجماعة المستفيضة اي أننا لا ننادي برمضان الا عند ما يراه « جمع عظيم » من الناس .. لكن الفقهاء بعد أن لاحظوا قعود الناس عن التماس رؤية الهلال وفتور همتهم لم يكن امامهم الا ان يكتفوا برؤية اثنين بعد أن كان الاثنان في السابق مظنة الغلط أو الشبهة لقد ادرك فقهاؤنا — وهو ما نريد لهم اليوم ان يدركوه — ان تكليف الكل قد يضيع الكل ، فقبلوا رقما ممكنا ومناسبا مناشدة

(1) دعوة الحق مايه 1959 .

5

والمجتمع الاسلامي ليس وليد المصادفة ولا صنيعة العفوية والحتمية ..! ولكنه وليد العقيدة التي تطهر النفس وتذكي العقل وتربي الخلق وتوقف الفريزة عند حدها .. وتعطي كل مطمح من مطامح الانسان معناه الذاتي وسيره الطبيعي وطريقه المستقيم .. والمجتمع الاسلامي ليس طائفيا . ولا عنصريا . ولا جامدا ولا خاملا ولا متعصبا ولا جاهلا . فهو يسعى في خليته الاولى – البيت – لتتم فيه الوحدة الاولى بانسجام وطهارة وألفة . وتضحية ووفاء .. ويسعى في خليته الثانية ،وهي – القرية والمدينة – لتتم فيهما معاني النظام والالفة والتعاضد وحسن المعاملة . ووقوف الجميع في صف الفضيلة لحمايتها . وفي وجه الرذيلة لحسمها ..

6

واذا كنا نومن اننا مجتمع اسلامي ، ونومن ان رسالتنا الاجتماعية لا تتم الا اذا انعكست اخلاقنا وتقاليدنا على صفحة هذا المجتمع فان كل عقدنا النفسية والاجتماعية يجب ان نجعل لها حدا ..! ولاسيما وان كل تضييع لخلق من اخلاقنا . وكل اهمال لواجب من واجباتنا هما في الحقيقة خسارة لا تعوض .. وسقطة لا نهوض منها ..

ولعل تجربة اجيال مضت .. كافية لاقناع كل من كان في شك من امره .. أن الاسلام الصحيح لايجافي النهوض الصحيح .. ولكنه على العكس يدعو اليه ..

7

وفي اقتناعنا بهذه الحقائق نكون **قد عرفنا السر** في موسم الذبول الذي نعانيه في الم **ومرارة كلما شاهدنا** دليلا جديدا على تنكر الفرد او **المجتمع لخلق من** اخلاقنا او لعقيدة من عقائدنا ..

ولابد ان نزيح الستار عن **اغلوطة اجتماعية** كثيرا ما تحول بيننا وبين **الفهم الصحيح والسير** المستقيم ..

وهذه الاغلوطة هي ان كثيرين **يحسبون ان الدفاع** عن الفضيلة والعقيدةهو – شأن – **الجامدين والمتزمتين** او هو – واجب – على طائفة **من الناس دون** الاخرين ..!

لعدة اسباب فيها الحق **والباطل والصواب** والخطا ..

مع ان الفضيلة ليست **فضيلة هؤلاء وحدهم..!** والعقيدة ليست عقيدة هؤلاء وحدهم **..! فالقضية** قضية روح وكيان وهما **روح الجميع وكيان** الجميع ..

8

ولا ياس .. فلعل موسم **الذبول في الاخلاق** والعقائد يعقبه موسم التفتح **والازدهار ذلك لان** مجابهة الحقائق اليومية كافية **لايقاظ النائم ،** وايمان الجاحد وثوبة المذنب ، **وهداية الحيران ..** وافاقة السكران .

**فاس – عبد القادر زمامة**

**اذا شئتم ... واذا شئت ...**

قال رجل للخليفة الاموي عبد الملك بن مروان :

– اريد ان أسر اليك شيئا .

فقال عبد الملك لجلسائه : **اذا شئتم .**

وكان الخلفاء يقولون ذلك لجلسائهم اذا طلبوا اليهم الانصراف، فنهضوا ، فاراد الرجل الكلام ، فقال له عبد الملك :

– قف لاتمدحني ، فانا أعلم بنفسي منك . ولا تكذبني فانه لا راي لكذوب ، ولا تغتب عندي احدا .

فقال الرجل : – يا امير المؤمنين ، افتأذن لي في الانصراف ؟

قال له : **اذا شئت ..**

# في مجتمعنا الاسلامي :

# زهراتٌ تذوي ..

للاستاذ عبدالقادر زمامة

1

موسم الذبول في دنيا الزهرات يشوه المناظر ، ويحيل المعالم ، ويعصف بمعاني الجمال في المروج والخمائل ... ويعطي الحدائق والجنات معاني الغربة والوحشة والتجهم .. بعد ان كانت تطفح بمعاني الانس والالفة والبشر .. !

وموسم الذبول في دنيا الاخلاق والعقائد والتقاليد يشوه هو الاخر معالم الحق . ومعاني الخير . وسبل الفضيلة . ومظاهر الانس والايناس ...

فالاخلاق والعقائد الذابلة كالزهرات الذابلة كلتاهما توحي بمعاني الانقباض والتجهم والنفور ..

فحياة الزهرة في هواء طلق ونور وماء . وحياة الاخلاق والعقائد في قلوب تومن . وعقول تفكر . وضمائر تعي . ومعروف يبذل . ومنكر يحسم . وحياة سليمة تتضح فيها المفاهيم . ولا يلتبس فيها الحق بالباطل . والضلال بالرشاد . والصلاح بالفساد

2

ولو كانت الحياة التي نعتز بها ساعة من الزمان فقط ... لتمنينا ان تكون ساعة نلبس فيها رداء الانسانية الحقيقي ونعطي بحركاتنا درسا في الانسانية لمن ياتي بعدنا ... ليلا يجد هو الاخر زهراتنا في موسم الذبول .. ! واخلاقنا في موسم الذبول ..! والعقائد والمباديء في موسم الذبول .. !

ولو كنا نستطيع ان نقرأ صحائف الغد في دنيا المستقبل ونعرف ماذا تخبيء الايام لهذه المخلوقات البريئة التي تكون فلذات الاكباد . وثمار الفؤاد من مواسم للذبول المتعددة التي تنتظرها في خلقها . وعقيدتها . وتقاليدها الاسلامية . لصعقنا من الهول والذهول .. ! ولجزعنا من خلق تطوى صفحته . وايمان تذوى زهرته ! وانسانية يتقلص ظلها ... وخبر يدخل في خبر ليس . وكان ..

3

فالانسان مجتمع .. والمجتمع اخلاق وعقائد . والحياة ميدان صراع وسباق وتجربة . والزمان ظرف ملون لحركات الانسان وتصرفاته واطواره ... فاذا اصبح الانسان « وحدة » جشعة . نهمة . تحطم كل قيد يقيدها ويربطها بمعاني النبل والخير والفضيلة ... واصبح المجتمع في نظره زهرات ذابلة يخطو فوقها كما يخطو الثور فوق الهشيم .. فأي معنى لقولنا : الانسان مجتمع .. ! وأيّ معنى اذن لقولنا : المجتمع اخلاق وعقائد .. !

ولعل القولين معا يكونان ايضا من الزهرات الذابلة .

4

واذا عن لنا ان نسأل نفوسنا في استحياء وهمس ماذا ينتظر مجتمع ضيع اخلاقه وزيف عقائده في سبيل ان ينال اخلاقا اخرى . وعقائد اخرى ..؟ مهما كانت قيمتها ..! ومهما كان لها من النفع — في زعمه — ومهما كان لها من — عوض — !

ان الجواب لن يكون الا اشفاقا ورثاء ان لم يكن سخرية واستهزاء ..! لسبب بسيط جدا وهو ان الاخلاق روح المجتمعات .. والعقائد كيانها .. وما عهدنا ارواحا يتبادلها الناس .. ولا كيانا يتقاذفونه ..!

والبناء . ولكن الكارثة ليست فى استعراض مآسينا الماضية او الحاضرة واسبابها بل الكارثة العظمى اننا اليوم نزيد فى فرص الفراغ العقائدي وتعميق الهوة بين أجيالنا وفكرة الاسلام وذلك على مختلف المستويات وبشتى الوسائل .

وان هذا الجانب الهدام ليكتسب انصارا جددا فى تكاثر متفاحش حسب قاعدة المتواليات الهندسية. وان البيت المسلم الذي كان سندنا فى التكوين والتوجيه والمقاومة قد استسلم فأصبح بيتا آخر لا يملك من الثقافة الاسلامية ما يؤهله للقيام برسالته وبعضه اصبح أجنبي الفكر والقلب ، وانه لمن المفزع حقا ان نشاهد بعض الذين يتبنون الفكرة الاسلامية رياء او صدقا قد انساقت أسرهم مع ما يسمى بالتيار .

فما الدواء يا اخي شكري ؟

الدواء يعرفه كل مسلم غيور على أمته وتراثه وحضارته ، ولكن المشكلة فيمن سيتولى تقديم هذا الدواء والتبشير به ؟ ولذلك يجب :

1 ــ أولا ، أن تتبنى هذه الفئات المسلمة التي تظهر دائما اقتناعها بالاسلام الفكرة الاسلامية وتعتبرها قضيتها الاولى التي تستحق التضحية والولاء والاخلاص ، وتهبها بعض ما تهب لدنياها ومصالحها الشخصية من تعب ونشاط ، وتسارع الى تنظيم نفسها على مستوى اقليمي ، ثم على مستوى عالمي على اساس تخطيط علمي يتفق وعقلية القرن العشرين ، وهكذا تضطلع بنشر الفكرة الاسلامية داخل بلادها وخارجها بكافة الوسائل التي تحقق لها أهدافها وعليها أن تكون صريحة فى مواقفها متجنبة ما أمكن السرعة والانشغال بأهداف ثانوية تافهة ، متجردة عن المطامع والاغراض وذلك وحده الذي يبرهن على ان هذه الفئات والافراد قد اقتنعت بالاسلام وآمنت برسالته . اما ان نكتفي بالاقوال والوقوف على هامش الحياة او الاعتماد على قدرة الزمن لاظهار هذا الدين او نصرته على يد من يعمل على تهديمه او من يتخذه تجارة ، فان الامر ، اذن ، لايتعدى نوعا من العبث والسلبية فى وقت لايستجيب الا للمجدين والمناضلين .

2 ــ ثانيا ، ان يعمل المسئولون فى البلاد الاسلامية على اعادة النظر فى مناهج التربية والتثقيف وتصفيتها من كل عنصر غريب عن الفكرة الاسلامية ومن كل ما من شانه ان يعوقنا عن تكوين الفرد المؤمن واعني بالمؤمن الانسان المتحضر الذي يضطلع بالرسالة الانسانية الخالدة . وعلى الطبقة الواعية من المسلمين مناشدة المسئولين فى كل مناسبة ليحققوا للمسلمين مناهج تربوية وتثقيفية مستمدة من تعاليم القرآن والسنة ليتاح لنا ملء هذا الفراغ العقائدي المخيف ونقذ هذه الاجيال الصاعدة من خطر الحيرة والعقوق والعبودية .

3 ــ ثالثا ، أن يعاد للمسجد رسالته ليقوم بتزويد الآباء والامهات بكل ما يساعدهم على تربية ابنائهم وبثهم تراث الاسلام واحاطتهم بكل ما يعصمهم من الزيغ والضعف لان الاسرة المؤمنة هي الكفيلة وحدها بمد المجتمع بالعناصر البشرية الصالحة والمصلحة ، وبانقاذ الامة من خطر التبعية الثقافية.

والمهم من كل ما سبق ان تبادر العناصر المؤمنة لجمع شملها وتوحيد نشاطها فقد آن الاوان لنبذ التجارب الفاشلة التي مر بها العالم الاسلامي منذ أن أسلس قيادته لغيره وتشييد عالم اسلامي على أساس تجربة الاسلام النافعة التي اتفق العقلاء من جميع الاجناس على انها هي السبيل الوحيد لانقاذ العالم الاسلامي من تدهوره وانحطاطه ، ولتكن هذه العناصر على يقين من ان الشعوب الاسلامية ستهبها كل ثقتها باذلة كل طاقاتها لان هذه الشعوب مقتنعة اكثر من اي وقت مضى من أن الخلاص لايكون الا بالاسلام .

وعندما تبرز القيادة المحمدية فى الميدان ستتلاشى الطلائع المزيفة « وان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » .

**تطوان ــ عبد السلام الهراس**

# المسلمون في خطر الفراغ

**للأستاذ عبد السلام الهراس**

قرات مقال الدكتور شكري فيصل « المسلمون امام خطر التقاطع » الذي اشعرنا فيه بما يتهدد المسلمين من اخطار التقاطع التي لا سبيل الى اتقائها الا بالتواصل ، وذلك يحتاج الى مجهودات جبارة وشعور بالمسؤولية من كل فرد مسلم .

غير ان التقاطع فى الحقيقة ليس الا عرضا من اعراض السرطان المرعب الذي يعانيه المسلمون ويعيث فى كيانهم وينشر بعنف وسرعة انواعا من الاعراض الاجتماعية والخلقية والعقلية التي تفتت وحدة المسلمين وتبدد كل أمل فى التوصل الى سبيل النهوض بهم . وهذا السرطان هو الفراغ من العقيدة .

وقد تكون هذا المرض شيئا فشيئا خلال أجيال واحقاب ومنذ أن زحزحت القيادة الثقافية الاسلامية عن مكانها ، واصبح توجيه الاجيال ومصادر نقل التراث الحضاري الاسلامي اليها غير خالص من شوائب الزيف والتحريف ، والشهوة ، فادى ذلك الى اختلال خطير فى العلاقات بين المسلمين والاسلام ، وبالتالي الى تدهور فى الابداع ، واخماد فى الفعالية ، وجمود فى الفكر ، وقصور فى الاهداف ، وشلل فى الفضائل والقيم ؛ وتحول الاسلام عند من يستغله او يجهله الى وسائل نفعية او تقاليد رجعية كما وقع للاديان الاخرى ، ولذلك كان عمل المصلحين عبر التاريخ الاسلامي هو الثورة العنيفة على المستغلين والجامدين ومحاولة تصفية العقيدة والمفاهيم الاسلامية مما علق بهما من طفيليات وما خالطهما من عناصر غريبة قتالة ، ولقى المصلحون ما لقوا من عنت وقسوة ممن لهم المصلحة فى أن يكون الاسلام فى « اطار » خاص ومتمشيا حسب هواهم ! !

وكان من سوء حظ المسلمين ان اضطروا للاتصال بالحضارات الغربية وهم على حالة يرثى لها من تضعضع فى العقيدة واختلال فى الفكرة مما جعل الاستعمار يهتبلها فرصة لتصفية البقية الباقية من هذه العقيدة التي تهدد صفو سيطرته واستعباده ومصالحه ، فعمل على تطعيم الاجيال الصاعدة بأفكار مشلولة وسامة فى نفس الوقت ، وتهيئها للفراغ الكلي ليستطيع ان يبثها ما هياه لها من تعاليم « خاصة » تتيح له ، دائما ، السيطرة وتضمن لهم — اي المسلمين — الاضطراب والتيه فى حياتهم . وهكذا احتوشتنا مؤامرة الاستعمار الثقافية وأحاطت بنا من كل جانب فاندفع أطفالنا وشبابنا يتزودون منها فى نهم جاهل ، واخلاص بليد دون ان يكون لهم من استقلال فى الفكر ما يجعلهم يستخلصون النافع لهم ويلفظون الضار لهم . وسرعان ما انبثقت فى بلاد المسلمين ايديولوجيات فجة ونظريات ضحلة وتكونت على اساس ذلك منظمات اضافت لامراض العالم الاسلامي امراضا جديدة ومعقدة تعسر معالجتها ، وها نحن اليوم نحصد ذلك التراث السيء الذي زرعناه فى مجتمعنا بأنفسنا وساهم الاستعمار فى ازدهاره بنصيب وافر .

فهذا التقاطع أو التمزق الذي يعيشه العالم الاسلامي يا أخي شكري ان دل على شيء فانما يدل على اننا لانعيش بفكرة الاسلام التي تدعو الى الوحدة والتضامن والوئام . وانما نسير ببقايا عقيدة مشلولة، مضافة اليها أوشاب من تعاليم أمدتنا بها مدارس التبشير لتصنع من كل واحد منا الفرد المضطرب الحائر التي دلت الاحداث والتجارب على انه غير اهل لقيادة سليمة تضمن للمسلمين الاستقرار

لتكون مراكز للقاء المسلمين وهي غير مؤثثة او مفروشة كأي مسجد كما وليس فيها من وسائل الراحة ما يتلاءم والمحيط الذي نعيش فيه ، وان الجالية الاسلامية عاجزة عن تحسينها لقصر ذات اليد . فعليه يقع الواجب هنا على الدول الاسلامية مجتمعة فى امداد هذه البيوت وتحسينها والانفاق عليها لتكون صورة من صور الاسلام فى الغرب .

### د — ارسال الوفود والموظفين الاكفاء :

ان من اهم الامور الحساسة هو وجود الموجه الصالح ذو الكفاءة العلمية بشؤون الاسلام وشؤون الحياة فى العالم الغربي . وأعني بذلك رجال ذوو اطلاع واسع عاشوا او خبروا الحياة فى الغرب بالاضافة الى منزلتهم العلمية الاسلامية ، فالرجل الفقيه بالقرآن والحديث الذي لا يجيد اللغة الانكليزية ولا يعرف كيف يعيش فى بلد اجنبي لا ينفع مطلقا وقد يكون مصدر نقمة على الاسلام والمسلمين . ولنا ان نعتبر اليوم بالمبشرين الذين ترسلهم المنظمات المسيحية الى بلادنا . فأولا وقبل كل شيء عليه ان يعرف عن الاسلام ما استطاع ثم أن يتعلم لغة القوم التي سيبعث لهم ويمر فى دور دراسة قد تطول سنة او سنتين فى الجامعات البريطانية او مدارس خاصة قبل أن يرسلوه . فهل عملنا لهذا حسابنا !؟

هذا بالاضافة الى الوفود التي تمر ببريطانيا لغرض الزيارة أو الاستشفاء او بالمهام السياسية كالمؤتمرات وغيرها يكون لها أثر فعال فى نفوس المسلمين هنا . لو قام مثل هؤلاء الوافدين بزيارة لمحلات تجمع الجالية الاسلامية والتعرف على أحوالهم والاطلاع على شؤونهم فهذا هو الذي يبث فيهم الامل والصمود للكفاح . والا فانهم يعتبرون انفسهم نسيا منسيا وتنقطع الصلة بينهم وبين أوطانهم .

### 2) علاقة الجالية الاسلامية بعضها ببعض :

وقبل أن نحدد هذه العلاقة علينا أن نتبين عن كثب لنرى امكانياتها المعنوية أو بالاحرى لنرى اسلاميتها . فالمسلمون فى هذه البلاد يمكن تصنيفهم ثلاثة مجاميع كما هو الحال تقريبا فى معظم البلاد الاسلامية نفسها . **فقسم اتخذ القومية شعارا** واخذ يدافع ويركز جهوده للدعاية والعمل لقوميته سواء كانت عربية أوافريقية اوباكستانية، والقسم الثاني هوما اسميه **بالشباب الضائع** الذي اغرته الحضارة الغربية وساعد على ذلك عدم وجود الوازع والموجه الاسلامي لهم وهؤلاء هم الاغلبية الساحقة من طلاب البعوث الذين سيتولون قيادة الامة فى القريب . أما القسم الثالث فهو الشباب المسلم الذي صمد فى وسط المعركة المادية الملحدة التي لا نهاية لها .

ونظرا لانعدام العلاقة بين المسلمين هنا والعالم الاسلامي نرى أن الشقة بعدت بين هذه المجاميع الثلاث مما ادى الى تشتيت الجهود وضياع الشباب الطاهر وسط صراع بين التقاليد والعادات وبين بهرج الحضارة الغربية الزائفة .

فالخطوة الاولى للتغلب على المصاعب التي تواجه الحركة الاسلامية هي توحيد الجهود وضم الكلمة وتحديد الهدف والغاية ثم اعداد المسلم كمواطن صالح يقدر موقفه ويعرف حقيقته ليكون خيرصورة لامته وبلده . وكانا يعلم أن الاسلام ما انتشر فى اغلب بقاع العالم كأندونيسيا مثلا الا لمعاملة اولئك المهاجرين الطيبة وحسن اخلاقهم واعطائهم الصورة الحقيقية لايمانهم واسلامهم مما دفع اهل تلك البلاد لتبني دينهم والتخلق باخلاقهم .

فعلى المسلمين فى بريطانيا أن يحددوا علاقة بعضهم ببعض على ضوء الاسلام وأن يتخلقوا افرادا وجماعات بنظام القرآن والله سبحانه وتعالى كفيل بتحقيق امالهم ونصرهم .

والنقاط التالية تحدد المخطط العام لهذه العلاقة :

### أ — الاجتماعات العامة والخاصة :

على المسؤولين من ابناء الجالية الاسلامية تنظيم الاجتماعات العامة والخاصة وانتهاز الاحتفالات الدينية والعطل الرسمية لاحياء النفوس وتجميع القوى . وعلى افراد الجالية المشاركة فى هذه الاجتماعات وحضورها باستمرار ودعوة الاصدقاء اليها فهي الحلقة الاولى التي تلتقي على صعيدها الجالية الاسلامية والتعرف بعضهم على بعض . أما الاجتماعات الخاصة فيجب أن يكون منها فى الدراسة اكثر منها فى موضوعات خطابية عامة وذلك لمعرفة احوال البلاد التي تعيش فيها الجالية ودراسة كيفية وتحسين احوالها وعلاقتها بالمجتمع الذي تعيش فيه .

من تاريخ المسلمين في بلاد الانجليز

# الجالية الإسلامية بين الهدم والبناء

لندن : رياض عبدالواحد الدروبي

من الممكن للجالية الاسلامية في بريطانيا أن تقوم بدور كبير في توطيد مركز الاسلام والعالم الاسلامي في اوربا ، وتحسين العلاقات بين تلك البلدان والدول الاسلامية بالاضافة الى اقامتهم مركز دعاية بناءة لحقيقة الاسلام والعالم الاسلامي سياسيا واقتصاديا ودينيا . وهذا يعتمد على نقاط ثلاث ، يمكن بواسطتها تحقيق هذه الامنية التي طالما راودت المسلمين ، وخاصة اولئك الذين هاجروا من ديارهم واستوطنوا الجزر البريطانية .

## 1) العلاقة بين المسلمين في بريطانيا والعالم الاسلامي

في الحقيقة يصعب على المسلمين هنا القيام بأي عمل سواء بالنسبة للعالم الاسلامي أو بالنسبة للجالية الاسلامية في بريطانيا بدون تلك العلاقة القوية التي تربط المسلمين بالدول الاسلامية . وحيث ان الظروف القاسية التي تمر بالعالم الاسلامي اليوم تنعكس صورتها في الجالية الاسلامية هنا لا يمكن القيام بأي عمل ايجابي بصورة منفردة منعزلة عن تلك البلاد الاسلامية . والكل يعلم ان المنظمات المعادية للاسلام لها امكانياتها الغير المحدودة والتي تسندها الدول المعادية حتى في عقر دارنا . ولتحديد هذه العلاقة وكيف يجب أن تكون نضع النقاط التالية :

### أ ـ التأييد المادي والمعنوي :

لابد للخطوة الاولى هنا أن تأتي من الجالية الاسلامية وذلك بتنظيم نفسها وتوحيد جهودها وعلى الدول الاسلامية وحكوماتها أن تشجع هذه الجالية وتمدها بما تحتاجه من توجيهات ومطبوعات وأموال في بناء مركزها الاجتماعي على المستوى الذي تتطلبه الحياة اليوم في بريطانيا . ان اغلب ابناء الجالية الاسلامية هم من الطبقة العاملة التي لا تستطيع التوفير من معاشها اليومي فكيف بنا أن نطلب منها أن تسابق التنظيمات الصهيونية وغيرها والتي تقف حجر عثرة في سبيل أي تنظيم اسلامي .

### ب ـ أبعاد الجمعيات والمنظمات الاسلامية عن النشاط السياسي :

مما لاشك فيه ان الخلافات السياسية بين الدول الاسلامية وخاصة العربية منها يجب أن لا ينعكس أثرها على الجالية الاسلامية في بريطانيا ، حيث ان هذه الخلافات لا يمكن حلها من هنا ولا تجدي نفعا للاسلام ولا للمسلمين في هذا البلد غير الامين وانما تزيد الطين بلة لتشوه سمعة الاسلام وأهله . وعلى الجالية ان توحد جهودها وتكون مثلا حيا للوحدة الاسلامية الكبرى . وان اعطاء مثل هذه الصورة الواضحة هو خير دعاية للدول الاسلامية كافة .

### ج ـ بناء المساجد والمراكز الاسلامية :

وحيث ان المال هنا هو الركن الاساسي ويمكن ضم هذه الفقرة مع القسم الاول من الفقرة (أ) الا اننا نرى الاهمية الكبرى لهذا الموضوع . فاهمية المسجد في الاسلام معروفة وان الدور الذي لعبه في التاريخ واضح ، ومما لا خلاف فيه ان المسجد في الاسلام يمكن أن يلعب ذلك الدور نفسه فيما لو عرفنا حقه وقمنا على خدمته وبنائه . فالجالية الاسلامية اليوم ليس لها مركز اسلامي (*) او مسجد جامع يليق بعظمة الاسلام ومركز المسلمين ، وان الذي لدينا اليوم ليس هو الا بيوت صغيرة تبرع بها أصحابها

(*) سنعود للحديث عن المركز الثقافي الاسلامي وجامع لندن في حديث آخر .

الجالية الاسلاميـــة بالخير ، والحذر من الاجتماعـــات الغوغائية والابتعـــاد عنها ومحاولة تمثيل المسلميـــن في المؤتمرات ســـواء الثقافيـــة منهـــا او الرسميـــة ، والاشتراك في المناظرات والمحاضرات التي تجري عن الاسلام في الجامعـــات والنوادي .

وخلاصة القـــول في الوقت الـــذي يهمل العالم الاسلامي امور الجالية الاسلامية في بريطانيا والتـــي هي مركـــز الاشعاع في الغرب كلـــه لما لها من موقع جغرافي وسياسي فان العواقب ستتون علـــى عكس الثمار المرجوة التي كانت في بقاع العالم الاسلامـــي الاخرى يوم اصطبغت البقاع هنالك بالاسلام فستكون العاقبة هنا ان ينحرف المسلمون وخاصة والكثير منهم اولئك الذين تزوجوا من نساء الانكليز الذين بقـــوا على اديانهم ، وان اطفالهم لعدم وجود المدارس الاسلاميـــة يتعلمون ويتثقفون بثقافـــة اهل البلاد .

وفي نهاية القرن الحاضـــر سوف لا يكون هنـــاك اثر للاسلام أو المسلمين الا اذا تداركت ذلك جهـــود الافراد والجماعات من الجالية الاسلامية من هنـــا والعالم الاسلامي من هناك ، والله وكيل بعباده .

**ريـــاض عبد الواحـــد الدروبي**

**المركز الثقافـــي الاسلامـــي — لنـــدن**

### كلنا يبغي الحياة لنفسه

أرى كلنـــا يبغـــي الحيـــاة لنفســـه
حريصا عليهـــا مستهاما بهـــا صبـــا
فحب الجبان النفس ، أورده التقـــى
وحب الشجاع النفس اورده الحربـــا

### ب ــ الزيارات العائلية وزيارة المستشفيات :

وهذا من المبادىء الاسلامية الاولية فكيف بنا في بلد اجنبي وكلنا غرباء فالزيارات الخاصة وزيارة الجار والاصدقاء وتفقد الاخوة أمر ضروري بالرغم من كثرة المشاغل وصعوبة الحياة . فالعائلات المسلمة وخاصة المسلمة حديثا ان تختلط بصورة أوسع مما في الاجتماعات العامة والخاصة ليكثر تعرفها بالاسلام وتعاونها على حمل عبئه وليفهم بعضهم البعض فتقوى الاخوة ويثمر العمل . أما زيارة المرضى في المستشفيات فانها عمل جليل ، وخاصة وان اغلب المرضى يأتون خصيصا للعلاج واغلبهم لا يفهم الانكليزية وهم بكثرة بحيث لا تجد مستشفى الا وفيها بعض المسلمين ، فيجب والحالة هذه تنظيم هذه الامور بحيث لا يبقى مريض الا وهناك من يزوره ويخفف من مرضه وغربته واشعاره بأنه بين اهله واخوانه .

### ج ــ التجارة والمعاملات المالية :

على افراد الجالية الاسلامية والمسؤولين فيها ادراك حقيقة واضحة وهي تشجيع اصحاب الاعمال والتجار المسلمين اذا أردنا بناء أركان الجالية الاسلامية المتصدعة ، وان يقاطعوا مقاطعة تامة المنتجات الاسرائيلية والشركات التي تتبنى محاربة الاسلام سرا وعلنا خصوصا دور النشر والطباعة . كما وان تكوين الجمعيات التعاونية وخاصة في تجارة المستهلكات من الاغذية وغيرها مما يسهل للمسلم الحصول على الطعام الحلال بالاضافة الى اشعاره بكونه لبنة في بناء الجالية في الوقت الذي هو فيه الان كالريشة في مهب الريح . كما ويمكن للتجار المسلمين في البلاد الاسلامية الاعتماد على افراد الجالية الاسلامية ذوو الخبرة في الاسواق التجارية وتكوين علاقات تجارية فيما بينهم تستفيد منها الجالية من طرف والبلاد الاسلامية من طرف آخر .

### 3) علاقة المسلمين بأهل البلاد الانكليز :

ونعني بذلك علاقة المسلمين مع سكنة هذه البلاد من المستوطنين الاجانب والجاليات الصغيرة الاخرى بالاضافة الى اهل البلاد الاصليين . وهذه العلاقة يمكن ان تكون على الاساس الآتي :

### ا ــ علاقة العمل :

وقد تكون هذه العلاقة في الجامعة او في المصنع او في المكتب او في اية فرصة تتاح للفرد للاختلاط مع اهل البلاد ، حيث على المسلم ان يظهر بمظهر لائق كمسلم فيؤدي واجبه على احسن حال ويكون منتظما في عمله وعلى الطالب ان يحسن دراسته ليكون الواحد منهم سفيرا لعقيدته ومصحفا ناطقا بين اصحابه . وان كانت هناك علاقات تجارية وتعهدات مالية على المسلم ان يعمل بما امر به القرآن وان يكون مثالا يقتدى به وبذلك سيحسن الناس معاملته وثقته ويتخلقون بأخلاقه .

### ب ــ علاقة حسن الجوار :

فقد يكون الجار في هذه البلاد ملحدا أو نصرانيا أو يهوديا ، وقد يكون انكليزيا او مهاجرا، وهذا لا يغير في الحقيقة شيئا ، فحسن معاملة الجار من لب تعاليم الاسلام ، وليس هذا فقط وانما على المسلم ان يعتني بأمور بيته ونظافته ويقيم علاقات طيبة مع جاره ، وقيام مثل هذه الصلات يؤدي خدمة للجالية الاسلامية كبيرة .

فعلاقة المسلمين بأهل البلاد يجب أن ترتكز على شيء واحد مهم هو التمسك بالاسلام وعدم التضحية بجزء من تعاليم الاسلام مهما كانت الاسباب والظروف ، واعلم انك ان استمسكت بعاداتك وتقاليدك الاسلامية فسيحترمك الانكليز ويرفعون منزلتك واحترامك وهم يقدرون ذلك احسن تقدير. وان المسلم الذي يتخلى ويتساهل بجزء من تعاليم اسلامه فسينظرون اليه كرجل فيه مركب نقص يحاول اخفاءه ، وان الرجل الذي يحاول أن يتخلق بعاداتهم وتقاليدهم الغربية فلن يكون واحدا منهم مهما طأطأ رأسه وانهم سيحتقرونه . وابعادا لكل الشبهات كن مسلما كما يجب ان تكون وبذلك توفر على نفسك متاعب كثيرة وتكسب احترام الناس بعد احترام الله .

### ج ــ الاجتماعات العامة والاحتفالات الرسمية :

واعني بذلك المشاركة في الاجتماعات العامة التي ينظمها اهل البلاد والاحتفالات الرسمية التي تقام فيها ، فعلى المسلمين الاشتراك في كل اجتماع أو احتفال يظهر فيه اسم الاسلام عاليا ويعود على

ما اكتسبت . ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا » الاية . ومن القراء من يقرأ لفظة اصرا الموجودة في هذه الاية آصارا ومن بينهم ابي بن كعب (3) ويفسر جار الله هذه اللفظة بقوله (4) : « العبء الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله »

كما وردت مرة اخرى في سورة الاعراف الاية 157 التي يقول فيها سبحانه وتعالى : « الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم » الاية

ولها هنا ايضا المعنى الذي بيناه انفا ولقد قرئت آصارهم على الجمع

2 — كلمة « كفل » الموجودة في الاية 85 من سورة النساء التي جاء فيها : « من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها . ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها ، وكان الله على كل شيء مقيتا » ومعناها بهذه اللغة النصيب وقد وردت عدة مرات في القرءان الكريم

3 — مفردة : « اواه » الكائنة في سورة هود الاية 75 والتي جاء فيها : « ان ابراهيم لحليم اواه منيب » كما جاءت في سورة التوبة الاية 114 حيث قال سبحانه : « وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه . فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ، ان ابراهيم لاواه حليم » وجدير بالذكر ان نلاحظ ان هذه المفردة لم تستعمل في كتاب الله الا مع ابراهيم الخليل ، صلوات الله وسلامه عليه ، ودائما بمناسبة طلب المغفرة من الله لابيه ، ومقرونة في كلتا الايتين بلفظة حليم ومعناها في اللغة النبطية « الذي يكثر من الدعاء » وكان ابراهيم الخليل «لفرط ترحمه ورقته ، وحلمه ، يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر له ، مع شكاسته له ، وقوله « لأرجمنك » (5)

4 — كلمة : « هيت لك » في سورة يوسف الاية 23 التي يقول فيها الحق سبحانه : « وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك . قال معاذ الله ، انه ربي احسن مثواي ، انه لا يفلح الظالمون » ومعناها باللغة النبطية تهيأت لك

يجعل الزمخشري اصلها هاء يهيء (6) اما الجوهري فيدمجها تحت مادة هيت ويحتج لذلك ببيتين من الشعر قيلا في علي بن ابي طالب : (7) :

ابلغ امير المؤمنين اخا العراق اذا اتيتا
ان العراق واهله سلم اليك فهيت هيتا

ولا بد من ابداء كلمة حول اوجه قراءات هذه الكلمة

يقول الزمخشري (8) : « قريء هيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء » وهو كلام مجمل جدا لا بد من تفصيل الكلام فيه ، والتعليق عليه ان اقتضى الحال

اما قراءة هيت لك بالفتح . فهو الذي بمعنى تهيأت لك . او هلم لك : وهو الذي يعنينا هنا ، وهي القراءة الصحيحة في نظري المتواضع ولا ادري لما ذا لم يقع عليها الاجماع !

اما قراءة هيت بالكسر ، فهو اسم بلد على الفرات وانا رغم هذا ، لا استبعد ان يكون هذا الوجه صحيحا ، وان كسرتها عارضة ، اتوا بها لمجانسة الياء الساكنة بعدها . وهي قراءة مستحسنة ، مطابقة للنطق العربي

---

3 ) صفحة 123 . Materials for the history of the text of the Qur'ân
4 ) الكشاف صفحة 172 الجزء الاول .
5 ) الكشاف صفحة 174 الجزء الثاني
6 ) الكشاف الجزء الثاني صفحة 248
7 ) الصحاح الجزء الاول صفحة 271
8 ) الكشاف نفسه الصفحة اعلاه

# لم يكن القرآن بلغة قريش فحسب ...

للأستاذ الراجي التهامي الهاشمي

- 8 -

**القبيلة السادسة : النبط :**

يقول منجد الطلاب ، في التعريف بهذه القبيلة :
« قوم من العرب قطنوا قديما جنوبي فلسطين كانت قاعدتهم صلع وبصرى وصلخد والحجر ، وهي حصونهم ومستودع اموالهم واسلحتهم كانوا من البحار يدخلون الى مصر والشام وبلاد الفرات وروما . كان بينهم شعراء واطباء عبدوا الاصنام منها اللات . خرجت من سلالتهم قبائل الحويطات المقيمة في حسمة شمالي الحجاز »(1)
ولقد شاركت هذه القبيلة بالفاظها في الذكر الحكيم بـ 11 لفظة عدا ما لم انتبه اليه ولقد وزعت هذه الالفاظ في كتاب الله العزيز على الشكل الاتي :

1 ـ لفظة : « اصري » الموجودة في سورة ال عمران الاية 81 ومعناها بهذه اللغة عهدي . والعهد الذي يضر به الحر الابي ، المومن لا بد ان يحترمه ولذا فهو رباط معنوي يشده شدا وثيقا الى التزاماته لا يستطيع الخلاص منه ، بل لا يملك الا احترامه ـ لهذا قيل : اصري من اصره يأصره : حبسه : والحبس ، رباط واي رباط ! .

والصلة التي تجمع القريب بقريبه . وصاحب معروف بالضعفاء . والفقراء . والمحتاجين : أصرة . قال الاصمعي :

« الاصرة ما عطفك على رجل من رحم او قرابة او صهر او معروف ، والجمع الاواصر »

يظهر لنا من خلال هذا ان اللفظة النبطية «اصري» انتشرت انتشارا واسعا في اللغة العربية الفصيحة . واتسع معناها في وقت مبكر جدا ، لا يمكنني تحديده بالضبط .

ولقد قرئت « اصري » في هذه الاية بالضم وهي القراءة التي يؤولها الزمخشري بقوله : (2) « ويجوز ان يكون المضموم لغة في اصر كبير وعبر وان يكون جمع اصار »

ولقد وردت هذه اللفظة في مكانين اخرين من القرءان الكريم في سورة البقرة في الاية 286 التي جاء فيها : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها

---

1 ) لقد اغفل العلامة خير الدين الزركلي الاشارة الى هذا العلم في كتابه الاعلام ، وكان من حقه ان ينبته في الجزء الثامن من مؤلفه او في الجزء العاشر الذي حوى المستدرك ، ولقد بعث في الطبعة التي بين يدي عن هذا العلم في الجزئين المذكورين فلم اعثر عليهما ، ولعل بعض الفضلاء من الذين عثروا عليه في هذه الطبعة او في الطبعات الاخرى ان يرشدوني اليه مشكورين
2 ) الكشاف الجزء الاول صفحة 199 .

الحسن باللغة النبطية . وعذرنا في هذا الاستطراد الذي قد يستثقله بعض القراء ، انه مقدمة لا بد منها للوصول الى النتيجة النهائية التي توخيناها

وفي هذه اللفظة قراءتان اثنتان غير قراءة الاعمش وهي سيناء بكسر السين ، وفتحها .

7 — مفردة « عبدت » الاية 22 من سورة الشعراء التي يقول الله فيها : « وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل » ومعناها في هذه الاية قتلت باللغة النبطية .

8 — كلمة : « ولات » في الاية 3 من سورة ص « كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص » لم اثبت هذه المفردة هنا على اعتقاد انها نبطية ، وانما لأرد على من يجعلها في زمرة هذه اللغة . والحق يقال ان اغلبية المفسرين الذين يهتمون بلغات القرءان ان لم اقل كلهم ادمجوها ضمن هذه اللغة ، وهو وهم خاطيء ، اذ المفردة المذكورة ارامية لا جدال فيها وهي « Lo ît » ܠܐ ܐܝܬ التي بمعنى لا يكون وسنتعرض لها بالشرح حين الحديث عن الالفاظ الارامية في القرءان الكريم

---

17) دعوة الحق العدد الثامن السنة التاسعة صفحة 14

9 — كلمة : « مقاليد » في الاية 60 من سورة الزمر ، وفي الاية 12 من سورة الشورى . ان كثيرا من المفسدين يرون ان هذه المفردة توافق لغة الانباط . ولقد سبق ان اشرت اليها ، واطلت الحديث فيها ، حين الكلام عن لغة حمير وبينت انذاك اصلها الحقيقي (17) وسأعود اليها ان شاء الله بمناسبة ذكر الالفاظ الاغريقية في القرءان الكريم

10 — لفظة : «اليم» الاية 40 من سورة الذاريات: « فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم » يجعل المهتمون بلغات القرءان من المفسرين هذه اللفظة ضمن اللغة النبطية . وليس ذلك بصحيح اذ المفردة آرامية وهي تدل على البحر عندهم ، كما تدل الان في اللغة العربية وينطقون بها Yamc ܝܡܐ وسنتعرض لها ان شاء الله حين الحديث عن اللغة الارامية في القرءان

11 — كلمة : « وزر » الموجودة في الاية 11 من سورة القيامة التي يقول فيها سبحانه : « كلا لا وزر » ومعناها باللغة النبطية لا حيلة ولا ملجأ .

**اكادير — الراجي التهامي الهاشمي**

### اول عجز القوم

| | |
|---|---|
| اذا مـا اراد الله ذل قبيلـة | رماها بتشتيت الهوى والتخاذل |
| واول عجز القوم عما ينوبهم | تقاعدهم عنه ، وطول التواكل |
| واول خبث الماء خبث ترابه | واول لؤم القوم لؤم الحلائل |

عبيد بن ايوب العنبري

الذي يسعى دائما للجناس اللفظي ، ويفر من كل نطق وحشو غريب حتى ولو ادى به الأمر الى مخالفة القاعدة اللغوية او النحوية .

وتدل في هذه الحال على ما تدل عليه «هيت لك» بالفتح . وان وافقت في النطق اسم بلد الفرات وجدير ان نشير الى ان هذه القراءة الاخيرة ، هي القراءة السائدة عندنا في المغرب .

ولم ينفرد الزمخشري وحده بالاشارة الى هذه القراءات ، بل ذكرها جل المفسرين ، ومن بينهم الامامان محمد بن احمد المحلي وعبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي في تفسيرهما حيث قالا (9) : « وفي قراءة بكسر الهاء (10) واخرى بضم التاء »

ونحن نعرف ان هناك قراءات اخرى لم يشر اليها لا الزمخشري ولا صاحبا الجلالين وهذه القراءات هي :

« ها انا لك » عوض هيت لك وهي قراءة ابي بن كعب ( 11 ) ويعلق عليها Jeffery فيقول :
So read by 'Ali and Mu'âdh al Qâri

اما ابن مسعود فيقرأها بفتح الهاء كما يقراها هيئت بضم الهاء وكسر الياء بعدها همزة ساكنة ، وتاء مضمومة (12) ويقرأ علي رضي الله عنه « هيت لك »، ها انا لك ، كما يقراها بكسر الهاء وضم التاء (13)

اما ابن عباس فيقراها هيئت بضم الهاء بعدها ياء مكسورة مشددة وهمزة ساكنة وتاء مفتوحة كما يقراها هيئت بهاء بعدها همزة ساكنة وتاء مضمومة ويقراها بهاء مفتوحة بعدها ياء ساكنة وتاء مكسورة واخيرا يقراها بهاء مفتوحة بعدها ياء مشدودة مكسورة بكسرة طويلة بعدها تاء مفتوحة (14)

وان دلت هذه القراءات المختلفة على شيء فانما تدل على ان هذه المفردة دخيلة على لغة قريش ، غير مألوفة لديها والا لكان وجه قراءتها واحد لا تعدد فيـــه .

5 ــ كلمة : « وراءهم » الكائنة في سورة الكهف الاية 79 التي جاء فيها : « اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا » . وتوجد هذه الكلمة بهذا المعنى ايضا في سورة الانسان الاية 37 وفي سورة ابراهيم الايتين 16 و 17 ، ومعنى هذه اللفظة باللغة النبطية الأمام وبما ان عادتها ان تدل على الخلف ، قالوا فيها انها من كلمات الاضداد اما حكمها في قواعد اللغة ، فحكم بعد ، وقبل قال الأخفش : « يقال لقيته من وراء فترفعه على الغاية اذا كان غير مضاف ، تجعله اسما وهو غير متمكن كقولك من قبل ومن بعد »

6 ــ لفظة : « سيناء » الموجودة في سورة المومنون الاية 20 التي يقول الحق سبحانه فيها : « وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين »

ومعلوم ان كلمة سيناء اسم لجبل اختلف المفسرون في موقعه ، فمنهم من يقول انه جبل بفلسطين ومنهم من يقول انه بين مصر وايلة وأيلة هذه ميناء صغير على راس خليج العقبة ( 15 ) ويعرف عند الارامين بـ :
Ayluno ܐܝܠܘܢ ( ايلون ) ويعرفه العبريون بـ :
Aylât אילה ( ايلات )

ولم تثبت نحن هذه الكلمة ضمن الالفاظ النبطية الموجودة في القرءان الا لان احد القراء الافاضل وهو الثقة العدل الاعمش يقرأها سينا (16) وسينا معناها

9 ) تفسير القرءان العظيم الجزء الاول صفحة 203 طبعة القاهرة غير مؤرخة .
10) وقد اشار الى الفتح حين شكلا النص القرآني .
11) Arthur Jeffry - Materials السابق الذكر صفحة 138
12) نفس المصدر اعلاه صفحة 48
13) نفس المصدر اعلاه صفحة 187
14) المصدر السابق صفحة 200
15) القاموس الاسلامي تاليف احمد عطية الله . المجلد الاول طبعة القاهرة صفحة 228
16) الكشاف الجزء الثالث صفحة 45

انه طلب معقول ، كان وجهه احد الكتاب المعروفين ( هذه عناصر الخلية ، هاتوا لنا خلية واحدة )

هل تستطيع اجهزتكم ان تكون لنا ( نواة تمر ) لها صفات النواة وخصائصها خشبة صغيرة متى غرست في الارض انفجرت عن جذير وسويق وامتدت ضاربة في الهواء تحمل الرطب الجني والتمر الشهي .

هل تستطيع اجهزتكم ان تكون ( نواة ) مرة كنواة المشمش مثلا او بذرة البرتقال حتى اذا غرست في الارض وسقيت بالماء وصارت شجرة وارفة اتت بالثمار الحلوة والفاكهة الشهية . ؟

كيف يعقل – يا هؤلاء – ان يكون تركيب الخلية اصل حياتها ، والحياة هي التي تغذيها وتنميها وتحول المواد الجامدة فيها الى مواد حية ؟

ان الحياة هي التي تحفظ على الخلية وجودها ، وتجمع عناصرها ، وتمسكها من التحلل والافتراق ، فان فارقتها الحياة ذهب وجودها واختفى تكوينها ، وافترقت عناصرها ، وتحللت موادها ، ان الحياة هي التي تمنعها من التفرق ، وتعصمها من التحلل ، وبدونها تفرق شملها ، وتمزقت اوصالها . كيف يعقل اذن ان يكون تركيب الخلية اصل حياتها ، مع ان الحياة هي التي حفظت على الخلية تركيبها ، ولولاها لتعفنت وضربتها الرياح وذهبت سدى . ولتحللت عناصرها وتمزقت اوصالها .

ان الحياة هي التي تجعل من المواد الميتة ، ومن العناصر المتحللة مواد حية تضع كل مادة بمحلها ، وتجمع بين هذا وذاك بنسب ثابتة ، وتحفظ تماسك هذه المواد على الوضعية التي انتجتها

ان الكائن الحي ذا الخلية الواحدة مثلا من حيث هو مخلوق بسيط : من يحفظ مواده من ان تعبث به الرياح ؟ من يمسك عناصره حتى لا تحطمه الطبيعة بحملاتها الشديدة ؟ انها الحياة .

ترى ، ما ذا سيحدث لو فارقتها الحياة ؟ ان هذه المواد المتماسكة التي يزعم الزاعمون ان تماسكها وتركيبها هو اصل الحياة ستفقد تماسكها ، وتتحلل تراكيبها بعد خروج الحياة منها .

لقد عجزت الطوائف عن بيان السبب لحياة الجراثم ، حياة نباتية او حيوانية ، خصوصا بعد ما تبين لهم ، ان الحياة فاعل في بسائط الجراثيم ، موجب لالتئامها ، حافظ لكيانها ، وان قوتها الغاذية هي التي تجعل غير الحي من الاجزاء حيا بالتغذية ، فاذا ضعفت الحياة ضعف تماسك البسائط وتجاذبها ، ثم صارت الى الانحلال .

ثم نقل المؤلف المذكور كلام العلامة ( كريسي موريسن ) في حقيقة الحياة ، وقد ترجمت هذا الفصل برمته ونشرته في سلسلة مقالات ( دواء الشاكين وقامع المشككين ) في الجزء العاشر من السنة الثالثة من هذه المجلة فليراجعه من اراده

ثم قال المؤلف المذكور ، وقال ج . ارثر فندلاي: فما السبب في ان الشجرة المزهرة تحتفظ بشكلها واوراقها . على حين تتناثر شجرة اخرى من تلك التي نسميها ( ميتة ) وتتساقط اجزاؤها عند لمسها وتتفتت في الترى ؟ لا بد ان يكون هنالك ثمة شيء ، وهو ما سميناه (حياة) هو الذي يوجد في الكائن الحي وينعشه ويختفي من الكائن الميت . ولهذا الشيء قدرة على اكتساب المادة الشكل واللون . فاذا ما اختفى ذهب باختفائه الشكل واللون ، ويتوى الشيء الذي كان حيا فيما مضى الى الارض مكونا جزءا منها

من ثم يتضح ان هناك شيئا لا يمكن ان نراه ولا ان نلمسه ، ولكنه مع ذلك حقيقي وقادر ، وله خاصية تشكيل الصور من الارض غير الحية . اقول : انه لا بد ان يكون قادرا ، لانه يقوى على رفع المادة رغم قوة الجاذبية ، ويستطيع الاحتفاظ بها في وضع معتدل . فاذا ترك المادة عادت لقوة الجاذبية سيطرتها ، وتأثرت المادة بقوى الطبيعة كلها . فالانسان او الحيوان او النبات يمكنه ان يقف معتدلا عند ما تسري فيه هذه القوة ، فاذا ما وقف سريانها هوى هؤلاء جميعا الى الارض ، فالحياة اذن قوة منظمة تقاوم في المادة ميلها الى الاختلال وعدم الانتظام .

الحياة قوة منظمة مفكرة تسري في المادة فتنظمها، وبدونها تكون المادة مختلة النظام . فهي اذن لا يمكن ان تكون جزءا من المادة الا اذا كان صانع الخزفة جزءا

# نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط

للدكتور تقي الدين الهلالي

## - 16 -

### ختام السلسلة

قراء مقالات هذه السلسلة ، وهم كثير في المغرب وفي الخارج يعلمون الباعث على كتابتهما ، وهو ان احد دسائس الاستعمار الروحي الخبيث الذي هو شر الف مرة من الاستعمار المادي ، بل هو سل الشعوب وسرطانها نشر مقالا سب فيه الله جل جلاله وفي سبه سبحانه وتعالى سب لجميع المؤمنين من المسلمين واليهود والنصارى والبوذيين والهنادك وكل من يؤمن بما وراء المادة ، فندبتني لجنة ادارة مجلة دعوة الحق لرجم هذا الشيطان المارد واسكات هذا الغراب الناعب بشهب ثواقب من براهين العقل والنقل ، واقوال الفلاسفة والعلماء المتقدمين والمتأخرين ، وشهادات سفراء الدول الديمقراطية التي تكفل الحرية التامة لكل فرد من شعوبها في اعتقاده ، وابداء رايه في حدود القانون امنا من كل طائلة عقاب او حرمان كما يقع في غير الدول الديمقراطية التي يحكم الشعب فيها نفسه بنفسه بواسطة مجلس نواب منتخب انتخابا حرا

اما الشعوب التي لا ترى دولها هذا المسلك ، سواء اكانت مؤمنة بالله ام كافرة ، فاني لم اتوجه الى سفاراتها ولم التمس منها احصاء لعدد المومنين بالله من شعوبها ، لان حرية الاعتقاد وابداء الراي محظور على افراد شعوبها . ولا يمكن التوصل الى معرفة آراء تلك الشعوب الا اذا كانوا احرارا في ابداء آرائهم وليس مقصودي بهذا الكلام مدح احد الفريقين ولا ذم الاخر ، وانما ذكرت هذا اعتذارا للقراء عن عدم تعميم الزيارة لجميع السفارات والتماس الاحصاء منها على اني تركت زيارة سفارات توفرت فيها الشروط كالسفارة الفلاندية مثلا اكتفاء بما ذكر ، وفيه مقنع لكل منصف

والان اختم هذه السلسلة بفقرات لم استطع اغفالها لقوتها ووضوحها واعجابي بها ولو ذهبت انقل كل ما وجدته في هذه القضية لاستمرت الكتابة سنين ، ولكني اردت الاقتصار على هذا القدر ، فقد قرت به عيون المومنين وسخنت عيون الكافرين والمنافقين ، وخصوصا المردود عليه ذو الرين الملقب بالحبشي

قال الاستاذ فاضل صالح السامرائي في كتابه ( نداء الروح ) نقلا عن كتاب الرد على الدهريين للفيلسوف الاسلامي العظيم جمال الدين الافغاني

### أصل الحياة

يقول بعض الطبعيين : ان تركيب الخلايا هذا التركيب الكيماوي المعروف ، وبهذه النسب الثابتة من العناصر المختلفة هو الذي منحها الحياة ومن عليها بالاحساس ،ووهبها هذه الصفات .

وابسط ما يرد عليهم ، انه قد اظهر لكم المختبر جميع اجزاء الخلية ، وعرفتم جميع عناصرها واوزانها ونسبها وتركيبها ، فلم اذن لم تفلحوا في انشاء خلية واحدة تنبض بالحياة وتتغذى وتنمو وتشعر وتتكاثر وتحتاط في الدفاع عن نفسها احتياطا يعجز العقول وياخذ بالالباب شأن ( ذوات الخلية الواحدة ؟ )

فالنواة تكون ميتة فيفلقها الله ، اي يشقها ويخرج منها شجرة تتدفق بالحياة . والحبة تكون ميتـة فيفلقها الله تعالى فتخرج شطأها ويستغلظ ويستوي على سوقـه ويخرج منه حبا متراكبا رزقا للانسان والحيوان يحفظ عليه حياته الى اجل مسمى ، ذلكم الله فانى تصرفون .

2 ـ قوله : لانه يقوى على رفع المادة رغـم قوة الجاذبية الخ . بيان ذلك ان الله اودع في هذه الارض التي نعيـش عليها قوة ، يسميها علمـاء هذا العصـر ، الجاذبية ، وبهذه القوة تتماسك اجزاء الارض ويثبـت عليها كل ما هو متصل بها من بحـار وجبال واحجـار وحيوان وهواء محيط بها فلا يقوم شيء منها ويرتفع الا اذا كانت فيه قوة تقاوم تلك الجاذبية . فالنواة قبل ان تغرس تبقى في مكانها لا يرتفع منها شيء ، اذ ليس فيها قوة تقاوم الجاذبية ، فاذا غرسـت اشربها الله الحيـاة وفلقها فارتفعت منها نبتة مقاومة للجاذبية حتى تبلغ ما قدر لها من الارتفاع ، ولا تزال كذلك حتى تفقد الحياة فتفقد القوة التي كانت تقاوم بها الجاذبية ، ويؤول بها الامر الى ان تهوى على الارض ثم تصير ترابا ميتا .

مثال اخر هو او ضح ، اذا اراد الانسان ان يثـب الى فوق ، فانه يجمع قواه فيثب في الهواء مقدار متر او نحوه . والجاذبية تعاكسه وتقهره وتجبره على الرجوع الى الارض فلا يلبث ان يعود اليها مقهورا . واذا رمى الانسان بحجر الى اعلى يرتفع الحجر مقاوما الجاذبية على قدر القوة الدافعة ، ثم تجبـره الجاذبيـة على ان يعود الى الارض . وهـذه القوة الجاذبيـة لا تـدرك بالحس ، وانما يدرك اثرهـا ، ومركزهـا في جـوف الارض ، وهي حجة على اشباه البهائم الذين يزعمون انهم لا يومنون الا بما تدركه الحواس الخمس .

3 ـ قوله : الا اذا كان صانع الخزفـة جزءا من الصلصال الخ . يعني ان المادة التي يتألف منها اجسام الحيوان والنبات لا تستطيع ان تهب الحياة لهذه الاجسام الا اذا كان صانع القلة من الطين جزءا من ذلك الطين الذي يصنع منه القلل وغيرها من الاواني .

4 ـ قوله : لكل كائن حي شخصية . يعني ان الله يهب لكل حيوان وكل نوع من انـواع النبات صـورة خاصة وحياة خاصة ، فعمـل الحيـاة في البعوضـة ليس كعملها في الفيل، وقس على ذلك جميع انواع الحيوان، وبذلك يكون التباين والاختلاف بينها ، وهكـذا يقال في النبات ، فالحياة التي وهبها الله لنوع من الاشجار تؤثر فيه شكلا ونوعـا وثمرا ولونـا غير الحياة التـي وهبها الله للنوع الاخر .

يقول محمد تقي الدين الهلالـي : بهـذا المقال اختم هذه السلسلة ، وقد بلغ عدد مقالاتها ست عشرة اذا ضمت الى السلسلة الموسومة بـ ( دواء الشاكين وقامع المشككين ) التـي بلـغ عـدد مقالاتها اربعـا وعشرين وتضمنت كتاب العالم ( كريسي موريسن ) الموسوم بـ ( ليس الانسان مهملا ) يكون مجموع المقالات اربعين اشتملت على براهين قاطعة وانوار ساطعة يؤيدها العقل ويكملها النقل . يثبت الله بها المومنين ويشفي صدورهم ويطهر نفوسهم ، وتطمئن اليها نفوس المنصفين وتكبت بها نفوس المنافقين والجاحدين .

فلو جمعت في كتاب واحد ، ويسر الله من ينفق على طبعه لكان حصنا حصينا لطلبـة العلـم الصادقين ، وسلاحا فتاكا في ايدي المناضلين ، وسيفا صارما في نحور اعداء الاسلام والمسلمين . والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان الا على الظالمين .

انتهـــــى

**الدكتور تقي الدين الهلالـــي**

من السلصال الذي يصوغه اواني ، وعدا هـذا للحياة شخصيـــــة

لكل كائن حي شخصية ، لان كل كائن حي يختلف عن غيره من الكائنات الحية . وبهذا التدليل يكون لهذه الحياة قوى تقصر عنها القوى المادية ، فهي اقـوى من المادة ، وهي تستطيع تنظيم المادة . اهـ

## ايضاح وشرح لحجة جمال الدين الافغاني

انما احتج به هذا العالـم المفكـر المسلـم على الطبيعين الجاحدين واضح لا يحتاج الى شرح بالنسبة الى ذوي الكفاءة العلمية من القراء . ولكنـي حريص على تعميم الفائدة وابلاغ ذلك الى اذهان سائر القراء، فلذلك ازيده توضيحا فأقول : زعم عباد الطبيعة الجاهلة العمياء الصماء ان الحياة في الانسان والحيوان والنبات انما نشأت لتركب كل من هـذه الانـواع من عناصـر مختلفة باجزاء متناسبة . فمتى تألف جسـم الانسان او الحيوان او النبات من تلك العناصر بتلك النسب والاجزاء جاءت الحياة من تلقاء نفسها ، فتحداهم العلماء المثبتون لوجود الخالق المبدع لجميع ما في العالـم والحافـظ عليه وجوده والمدبر لشؤونه بقولهم : ها انتم اليـوم تملكون مختبرات كيميائية تحلل كل مركب حتى ترده الى عناصره الاولية وتعلمون علم اليقين اجزاء المركبات ونسبها وحقائق البسائط غير المركبة ، فهلا جمعتـــم اجزاء نوع من النبات او الحيوان ، فضـلا عن الانسان وركبتم ذلك ؟ فتجيئكم الحياة وتستقر فيه وتعرضونـه على خصومكم المومنين بالله وبعالم الغيب فتفحمونهم بحجة يحسونها ، وانتم تزعمون انكم لا تومنون الا بما يحس كالبهائم ، فكيف تريدون من خصومكم ان يومنوا بخيال باطل لفقته عقولكـم السخيفة ، وانتـم تـردون الحجج القاطعة والبراهين الساطعة ، وقد تستطيعون ان تقنعوا بذلك الصبيان ومن في معناهم من كبار الاجسام المضروبين بسوط الاستعمار الروحي الذين يتلقون كل هذيان تفوهون به بالتصديق . اما اهل العقـول النيرة والابصار الثاقبة فلا تجوز عليهم ترهاتكم ، ولا تتمشى عليهم تلفيقاتكـــم

ثم قال العلماء المومنون : بل الامـر بالعكـس ، فان الحياة هي التي تحفظ الاجسام مستمتعة بخصائصها ، ومتى فقدت منها الحياة تلاشت . ونحن ناخذ نواة تمر جامدة جمود الاحجار لا حياة فيها ولا اثر للحياة ، ولا حركة ولا نمو ، فنغرسها في ارض طيبة ونسقيها بالماء فتنشق ويخرج منها جذر يمد عروقـه في الارض الى اسفل ، ونبتة تمتد الى اعلى في شكل وريقة ضعيفة ، ولا تزال تنمو حتى تصير جذعا ، له خشب وكـرب وليف وسعف وخوص وشوك وقلب ، ثم تثمر ، فنجني منها رطبا يانعا وتمرا لذيذا ، وتعيش ما شاء الله في زيادة ونمو حتى تصير نخلة باسقة صاعدة في السماء ، فان لم يطرأ عليها مرض مميت تطول حياتها حتـى يدركها ضعـف الهرم كالانسان والحيوان فتقطـع وينتفـع بخشبها في البناء وغيره ، وان اصابها مـرض كمرض ( بيـوض ) المنتشر في نخيل تفيلالت يذبل قلبها ثم ييبس ويتلوه سعفها فتموت وتتفتت ويسري الفساد في جذعها فلا ينتفع به في بناء ولا غيره . فقد رأينا ان الحياة هي التي تحفظ وجود الجسم وتماسكه وازدهاره ، وفقدانها يؤدي الى تلاشيه حتى يصير ترابا كما كان

ومثل هذا يقال في كل نبات وكل حيوان ، فالحياة هي سر الوجود ، سواء اكانت بسيطة كما في الخليـــة الواحدة او الاميبة التي هي اصغر حيوان ، ام كانت في المركبات التي تتالف من ملايين الخلايا ، فالحياة هي التي تحفـظ وجودهـا وتضامنهـا واتحادهـا واتصافها بخصائصها من حركة ونمو واعمال . وهذه الحياة هبة من الخالق جل وعلا لا حيلة لاحد في ايجادها ابتداء ، ولا في ردها بعد فقدانها . قال تعالى في سورة الحـج ( 73 ـ 74 ) « يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، ان الذين تدعـون من دون الله لن يخلقـوا ذبابـا ولـو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره ، ان الله لقوي عزيز »

ومن اين جاءت الحياة لتلك النواة الجامدة حتى نشأت منها تلك النخلة العظيمة ثـم لما قبضـت الحياة تلاشت النخلة ولم يبق لها وجود . وهكذا يقال في كل نواة ، وفي بذرة من بذور المزروعات قال تعالى في سورة الانعام 95 : « ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ، ذلكم الله ، فانى توفكون » .

فقامت مسالة دقيقة في اذهان احرار العرب والمسلمين على غير اتفاق في القيام بحملة نقد او القيام بنقد منسق مطرد يشمل الكتاب الادبي كله وفحوى تلك المسألة ، ان المنجد فيه من خلل وقصور ما يجب التنبه عليه انقادا للاذهان الناشئة من الاعتماد عليه واني لست اقصد الان الدخول في اي باب من ابواب النقد وانما غايتي التي احب الجهر بها على مسمع القاريء هي ان خير وسيلة في حماية تلك الاذهان من شطط المنجد ومهاويه هو وضع منجد على غراره من الناحية الطباعية الفنية والناحية الفنية الطباعية كلمة واسعة شاملة ينبغي توضيحها في الصدد الذي نحن فيه :

فان سبب انتشار المنجد في البلاد العربية الاسلامية هو حسناته البارزة من حيث جمال التنسيق وحسن الترتيب ومراعاة نقاوة الحرف وحجمه وشكله وحسن تقسيم الاعمدة في الصفحات ، فقسم اللغة تشتمل كل صفحة منه على ثلاثة اعمدة واختير له من الورق ما يتم اتقان الاخراج وجعل حجمه مقبولا في طوله وعرضه وسمكه وثقله جلية يسيرة واضحة متقنة الترتيب وقسم الادب تشتمل كل صفحة منه على عمودين فقط باعتباره معجما ، ولما وضع قسم الادب واضيف الى الاول في مجلد واحد اصبح المراجع يستقي منه المادتين بيسر وسهولـــة

فالنقطة الاساسية الاولى التي دفعت بالكتاب الى الرواج هذه المحسنات الفنية المحضة ، ولما كان المطالع في هذا العصر يهوى كما يهوى المطالع في كل عصر ما هو ايسر تناولا فغدا « المسلم » اذا وقع على خلل في المنجد واشمأز منه فان اشمئزازه هذا لا يصرفه عن استعمال هذا المعجم ذلك لان المحسنات الفنية غلبت على الشعور الاخر

وعلى كل حال فان شركة تجارية او معهدا علميا او احدى الحكومات العربية بوسع اي كان من هؤلاء ان يتولى القيام بمشروع وضع معجم عربي صحيح جامع لمثل هذه المحسنات ، والمسألة بعد كل حساب خاضعة لاعتبار اقتصادي تجاري ، فمثل هذا المشروع في العالم العربي جدير به ان يرسو على قواعد اقتصادية كما يرسو اي مسروع اقتصادي آخر . واما متابعة نقد المنجد فامر ضروري على كل حال اذ قد يجمع هذا كله في كتاب واحد . والمسألة جد خطيرة ، الا فلينتبه الى هذا من يريد من حملة التبعات والمسؤوليات في التربية والثقافة في العالم العربي اني لا الوم الاب لويس معلوف ولا الاب توتل اليسوعيين ، فالتاليف عندهما وعند علماء اليسوعية تحمل في العربية لونا خاصا ازاء الاسلام هذه قضية معروفة في مؤلفات القوم وجرجي زيدان المشهور ليس بيسوعي ، غير ان مصادر استقائه في وضع التاريخ الاسلامي كانت مصادر غريبة متلونة فاقتبس منها على غير هدى في مواضع ، واعتقادا انها صحيحة في مواضع ، ولكن لما قام العلامة النحرير شبلي النعماني في الهند وكشف العورات والزلات بانت معايب كتب زيدان للعالم

نحن اذا شئنا سلامة ادبنا ولغتنا فعلينا ان نتولى وضع معاجمنا على غرار فني كما سبق الكلام

**عجـــاج نويهض**
**مترجم حاضـــر العالم الاسلامـــي**

# نظرة في منجد الآداب والعلوم

للأستاذ: عجاج نويهض
مترجم حاضر العالم الاسلامي

... واما مجلة « دعوة الحق » فهي مجلى النشاط الفكري في المغرب وجميل جدا هذا النشاط ، لا استطيع ان احكم على مستوى هذه المجلة من بضعة اعداد ثم مجلى الحكم لا ينبغي ان يتناول الا ما يستطيع الواحد منا ابداء رأيه فيه ولقد لفتت نظري الامور التالية في هذا العدد :

اولا ـ الاستاذ عبد الله كنون في مقاله الخامس هنا يتابع نقد « منجد الاداب والعلوم » والاسم على التمام هو « المنجد في الادب والعلوم » ـ معجم لاعلام الشرق والغرب وضعه « فردينان توتل » اليسوعي وهو المعجم المشهور بقسميه ، فالاول هو « المنجد في اللغة » تأليف لويس معلوف ، والثاني « المنجد في الادب والعلوم » وهو موضوع الملاحظة التي ابديها بايجاز واذا احببت نشرها فلا تعلو على يدك يد ولا ادري هل هذه الحلقة هي الاخيرة من حلقات الناقد البصير الجهبذ الاستاذ كنون ام تليها حلقات ، وهو يقول في اخر الحلقة التي في هذا العدد من دعوة الحق بطريق الحاشية او الذيل ، ما هو مفيد نقله بالحرف لدقة الموضوع كما سيجيء « تنبه الكتات العرب اخيرا الى مهزلهة منجد الاداب والعلوم فتناولته اقلامهم بالنقد في مجلة « المعرفة » التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد في دمشق ، وكذا في مجلة المجمع العلمي ، والغريب ان هذه الانتقادات قلما تلاقى فيما تتناوله من الكتاب مما يؤكد ما قلناه في مقدمة هذا النقد من ان اخطاء المنجد اكثر من ان يتصدى لتصحيحها كاتب واحد » .

في ايامنا هذه يصعب على الذي مثلي ان يطلع على ما ينشر في الصحف والمجلات من ابحاث مهمة كنقد المنجد اذ الاطلاع الشامل متعذر والموضوع جد خطير وانا لم اطلع على ما نشرته مجلة « المعرفة » ولا مجلة « المجمع العلمي » وانما بمجرد المصادفة اطلعت اليوم على هذه الحلقة من نقد الاستاذ كنون وهي اصابة وحصافة ، واحسب ان الحلقات الخمس السابقة هي على هذا الغرار

وما اريد قوله هو هذا ، ان القسم الاول من هذا المعجم اي المختص باللغة ظهر سنة 1908 في بيروت سنة اعلان الدستور العثماني او قبل جلاء الاتراك عن البلاد العربية بعشر سنين ولقى رواجا واسعا في البلاد العربية وواضعه الاب لويس معلوف اليسوعي . وفي مدة ما بين الحربين بدأ الاب فردينان توتل اليسوعي يضع معجم الادب والعلوم ، وهذا المعجم الى الان قد طبع وعدل عدة مرات بقسميه وهو كما يعلم القارىء يضم القسمين معا في مجلد واحد ، لا يزيد سمكه على 8 س م وطوله 21 س م

ومنذ صدر القسم الاول اي قسم اللغة واحرار ادباء العرب يلاحظون طريقة المنجد في ايراد ما يختار ايراده الكلمات او المصطلحات الاسلامية ايرادا مخلا من عدة وجوه حتى يكاد الملاحظ ان يحسب ذلك عمدا لكن لما صدر القسم الاخر اي قسم الادب والعلوم برزت العيوب اي بروز ، فصارت العورات في كل صفحة تقريبا من صفحات المعجم بادية للعيان

طنجـــة يبلـــغ تعدادهـــم زهـــاء 200 000 وليـــس 46 000 فقـــط

**حـــرف الظـــاء :**

342) في ص 328 ، ع نى بعنـوان الظـرائـف واللطائف ، قال : كتاب جمعـه ابن عبد ربه من كتـب الامام الثعالبي في ايام الملك المامون خوارز مشاه . . . والمعروف ان الذي جمع بين هذا الكتـاب من تاليف ابي منصور الثعالبي وكتابه اليواقيت في بعض المواقيت هو ابو نصر احمد بن عبد الرزاق المقدسي ، فهو اولا كتاب من تاليف الثعالبي وليس من جمع احد ، والجمع الحاصل بينه وبين كتابه اليواقيت من عمل ابي نصـر المقدسي ، وابن عبد ربه الذي ذكره المنجد لا نعرف من هو . وقوله في ايام الملك خوارز مشاه يوهم انه ظرف للجمع الحاصل من ابن عبد ربه ، وليس كذلك فهـو ظرف لتاليف الثعالبي كتابه الظرائف واللطائف هذا . ثم ان كتاب ابي نصر مطبوع بمصر سنة 1307 فالعـرب بالباب كما يقولون .

343) في الصفحة والعمـود نفسيهمـا تعريـف بمدينة ظفار اليمنية ضبط فيه هذا الاسم بضم الظاء وهو بفتحها وبناء ءاخره على الكسر بوزن قطام وحذام .

344 وفيهما ايضا بعنوان ظفر الاماني في مختصـر الجرجاني قال : « كتاب في مصطلح الحديث الفه السيد الشريـف الجرجانـي الخ . وهـذا يوهـم ان كتـاب الجرجاني هو ظفر الأماني مع انه ليس كذلك ، وقـد سقطت من اسمه كلمة افسد سقوطها المعنى وصوابه ظفر الاماني في شرح مختصر الجرجاني ، وهو للشيخ محمد عبد الحي اللكنهوي الهندي ، شرح به رسالـة السيـد الشريف في اصول الحديث .

**طنجة ـــ عبد الله كنـــون**

**ـــ العقـــول ممـــالـــك ـــ**

الحواس مهالك ، والاوهام مسالك ، والعقول ممالك . فمن خلص نفسه من المهالك قوي على المسالك ، ومن قـوي على المسالك اشرف على الممالك ، شرفا اوصله الى المالك

**ابو سليمان المنطقي.**

# نظرة في منجد الآداب والعلوم

للأستاذ عبد الله كنون

- 13 -

## حـــرف الطـــاء :

333) في ص 315 ، ع نى ذكر كتاب لسان الدين ابن الخطيب المعنون ( بالتاج المحلى ) في مساجلة القدح المعلى فسماه الطاق المملى بسكون الميم الثانية وضبط القدح بفتح القاف والمعلى جعلها بسكون العين ، فيالغرابة هذا الاسم !

334) في العمود نفسه ذكر مدينة طالقان فضبطها بكسر اللام وهي بفتحها كما سبق ان نبهنا على ذلك في ترجمة الصاحب بن عباد

335) في ص 316 ، ع في تعريف بمدينة الطائف ذكر ان فيها العنب العذب ، وما رأينا قبل من وصف العنب بالعذوبة ، وانما العذوبة مما يوصف به الماء وهي لا تبلغ ان تعبر عن حلاوة العنب ، وننبه على مثل هذا التعبير لوروده في معجم يقع في يد الشباب فربما اعتمدوه في ذلك فشذوا عن الصواب

336) في ص 318 ، ع ل تحت عنوان طبقات الحفاظ قال : الفه جلال الدين السيوطي ، لخصه شمس الدين الذهبي الخ والامر بالعكس فان ابتداء تاليف طبقات الحفاظ هو للحافظ شمس الدين الذهبي، والذيل عليه للجلال السيوطي ، ضرورة ان الاول من اهل القرن الثامن والثاني من اهل التاسع وادرك العاشر على ان للطبقات ذيلين ءاخرين اغفلهما المنجد وهما ذيل الحافظ الدمشقي وذيل ابن فهد المكي

337) في ص 319 ، ع نى تعريف بعبد الكريم ابن ضرغام الطرائفي جعله ابن درغام بالدال المفتوحة خطأ وهو بالضاد مكسورة ، وقال له : ابكار في مدح النبي المختار وهي ابكار الافكار . فلعل ذلك من سقط الطبـــع

338) في ص 320 ، ع ل ذكر رأس الطرف الاغر فسماه طرف الغور ، وسبق ان سماه طرف الغر ونبهنا على خطأه في ذلك

339) وفي المكان نفسه ترجمة للطرماح بن حكيم الشاعر الخارجي المعروف ، ضبط فيها اسمه بضم الطاء وسكون الراء وهو بكسر الطاء والراء معا وتشديد الميم المفتوحه وقال فيها : « جاء ذكره بين الذين قدموا خضوعهم للنبي (630) » ولم يدرك الطرماح عهد النبي (ص) فانه توفى سنه 125 كما في الاعلام للزركلي ، ولا يعرف هذا الاسم في الصحابة

340 في ص 321 ، ع نى ترجمة لابي الطمحان القيني الشاعر ضبط فيها اسمه بسكون الميم وهو بفتح الطاء والميم معا ، وبالحاء المهملة

341 في هذا العمود تعريف بمدينة طنجة قال فيه انها منطقة دولية في افريقيا الشمالية . يحيط بها شرقا وجنوبا المغرب الاسباني . (46000) وهذا كلام كان يصح ان يكتب قبل عشر سنوات زيادة على انه تنقصه الدقة فقد زالت صفة الدولية عن طنجة منذ استقلال المغرب وطنجة مدينة في المغرب من بلاد افريقيا الشمالية ولا يصح الاطلاق انها مدينة في افريقيا الشمالية وليس هناك مغرب اسباني وانما كان هناك منطقة تحت الحماية الاسبانية من المغرب ثم ان سكان

واذا كان الصهاينة قد استطاعوا بالاضافة الى اغتصاب وطن اناس آخرين وحولوه الى وطن لهم — اعطاء اللغة العبرية مكانتها فى شؤونهم العامة وجعلوا منها لغة رسمية بالقول وبالعمل كذلك ، فكيف لايمكن للغة العربية ان تحتل نفس المكانة فى تفكير العرب وشؤونهم العامة .

ونحن لا نتجنى على اللغة العبرية حينما نقول، انها لغة تعتبر فى عداد اللغات الستة ، ومع ذلك فالصهاينة تطاولوا — فيما تطاولوا فيه — لفرضها حيث جعلوا منها لغة شغل ومعاملات وتدريس .

ان الخلط المقصود والمتعمد فى بعض الاحيان فيما بين ثقافة قومية وثقافة عامة ، هو اصل هذا الشكل المصطنع ، فاللغة القومية أساس التثقيف ، بينما اللغات الاخرى تشكل حالة من الاكتمال لذلك التثقيف ، خصوصا اذا كانت هذه اللغة مثل العربية ، اسهمت بحظ وافر فى خلق الحضارات وتعزيز جانبها والمحافظة عليها حينا طويلا من الدهر .

والتجارب الجارية فى المعاهد والمؤسسات فى الكثير من البلاد العربية تشهد على أن اللغة العربية قادرة على استيفاء حاجيات العصر كله ، وذلك عن طريق ما تتوفر عليه من عناصر النحت والتصريف بل ان العرب القدماء قد ادخلوا الى اللغة العربية مفردات كثيرة بواسطة النحت والتصريف ، وتوجد فى الخزانات العربية كتب تتحدث باسهاب عن الكلمات الدخيلة التي دعت الحاجة الى ادخالها الى اللغة العربية فى مختلف العلوم والفنون ، ونشير الى كتاب واحد منها فقط هو « شفاء العليل فيما فى العربية من الدخيل » .

فلا داعي اذن للف ولا الى الدوران ، واذا كانت اللغة العربية ستصبح لغة دولية فى اشغال منظمة اليونسكو فانه من الحق ان تصبح لغة قومية شاملة تتدرج كغيرها من اللغات فى مراحل التطور الحضري الذي تستطيع اللغة العربية ان تنحت لكل مصطلح من مصطلحاته ما يظهر من جديد .

بقي ان يومن بعض الناطقين بالعربية او المنتسبين اليها بهذه الحقيقة .

اذ تلك هي الازمة الحقيقية التي تعانيها اللغة العربية ولا شيء غيرها .

وانا لست فى حاجة بعد هذا كله الى ان اكرر قول الشاعر حافظ ابراهيم : وسعت كتاب الله لفظا وغاية ، لان اللغة العربية بالاضافة الى ما اورده حافظ فى قصيدته « البكائية » على اللغة العربية — اصبحت الى جانب ذلك تسع المصطلحات الالكترونية وشؤون الذرة .

وعلى الذين يشكون فى ذلك ان يتحملوا مشقة مطالعة عدد واحد او عددين من مجلة « العلوم » التي تصدر عن دار العلم للملايين ببيروت .

فانهم سيجدون فى مقالاتها ما يسكت السنة الخراصين الذين يهرفون بما لا يعرفون ، ويقفون عند ويل للمصلين ، ويسلكون سبيل من جهل شيئا عاداه .

فقرار منظمة اليونسكو باستخدام اللغة العربية انما هو تصليح لوضع فاسد لا اكثر ولا اقل، واذا كان هنالك ابناء عاقون للغة العربية فهنالك ابناؤها البررة وهم كثيرون ولله الحمد .

على ان العقوق يمكن ان يتحول الى برور ، وذلك حينما تعرف اسرار الرضى عند العاقين الذين ياتي عقوقهم فى اكثر الاحيان عن غير قصد مقصود .

**الرباط : احمد زياد**

# هذه اللغة المفترى عليها

للأستاذ أحمد زياد

وافقت اللجنة الادارية للمؤتمر العام لمنظمة اليونسكو على استخدام اللغة العربية كلغة عامة فى اليونسكو .

وهو خبر ليس من الحق ان يمر من غير تعليق، وهذا التعليق يمكن تركيزه على ثلاث نقط

اولاها : ان اللغة العربية لغة حضارة عريقة ، وكانت فى يوم من الايام هي لغة الطب والهندسة والعلوم الطبيعية ، ومعالم الحضارة التي ما تزال ناطقة وشاهدة وقائمة تعتبر معالم انبثقت عن وظيفة اللغة العربية ، فالهندسة المعمارية ، والنظريات الطبية والفلكية والجيولوجية التي ما يزال البعض منها جاريا به العمل حتى الآن قد اجريت عملياتها وفكت الغازها وانكشفت اسرارها بواسطة اللغة العربية ، هذه اللغة التي وسعت حكمة اليونان وحضارة الفرس ونافست حضارة الرومان ، فهي بذلك ليست لغة مجهولة النسب ولا لقيطة يبحث لها عن الحسب والنسب ، وانما هي اصيلة وعريقة ولها سند متصل معروف البداية والنهاية .

ثانيهما : ان الشعوب العربية والشعوب التي ما تزال اللغة العربية تكون جزءا من معتقداتها والدول العربية التي تمثلها فى المنظمات الدولية تشغل مساحة من ارض المعمور تمتد عبر الشرق الاوسط والادنى وآسيا وافريقيا وذلك بالاضافة الى الجاليات العربية الموزعة على اقطار مختلفة فى اوروبا وامريكا وبعملية حسابية بسيطة يمكن استخراج مئات الملايين ممن يتكلمون العربية او انها تكون جزءا من معتقدهم الديني .

اما النقطة الثالثة فهي تدعونا الى وضع هذا السؤال : ماذا يوخذ عن اللغة العربية حتى تتهم بالقصور فى اداء ماتضطلع به لغات اخرى ، سواء في المنظمات الدولية او خارجها .

ان اللغة العربية لغة عريقة فى الحضارة وهي تتميز عن بقية اللغات بأنها كانت تتوفر من اول يوم على عمليات من النحت والاشتقاق والتصريف يمكنها من مسايرة التطور الحضري حذوك النعل بالنعل كما يقول المثل العربي .

الا ان الجهل بما يتوفر عليه من هذه الامكانيات اذا كان يسوغ ويجوز فى حق غير اهلها فانه لايسوغ ولا يجوز فى حق اهلها والناطقين بها وحتى المنتمين اليها .

فآفة اللغة العربية المزمن هو مركب من نقص ادخله الاستعمار مع ما ادخله من مركبات النقص الاخرى الى البلاد العربية واستمر فى توسيع جنباته حتى جعله يمتد الى اللغة العربية حيثما كانت فاعترى هذه اللغة من مركب النقص هذا بعض الفتور الذي كاد ان ينقلب الى مشكل فى مسايرة الركب الحضاري وذلك بالرغم عن توفر الوسائل والامكانيات

واضغاث الاحلام هذه يجب ابرازها عن طريق فرض سلطة اللغة العربية ، وهذا الفرض يتأتى بوسيلة واحدة ، هي التحرر من كل استعمار فكري الذي يكون شطرا متمما للاستعمار المادي .

فالسيادة كل لا يتجزا ، وكما انها تبرز فى جلاء الجيوش وتصفية القواعد الاجنبية ، فانها تبرز اكثر بل وينبغي ان تبرز اكثر فى اجلاء آلات التفكير الاجنبي من الادمغة ، وذلك لان آلات التفكير لايمكن الا ان تكون مصنوعة فى معامل وطنية ، ثم يأتي دور تلقيح ما تنتجه هذه الآلات بانواع الثقافات الاخرى .

كلية الجزويت ، ورهبان ربوا فى مدارس المعلمين العليا العلمانية ، وعندما سئل مدير الكلية الجزويتية: كيف استطاع أن يكون صديقا لتلميذه القديم بول بنكور؟ Paul Bongour الذي صار اشتراكيا وعلمانيا اجاب الاخ الجزويتي « انه واحد من المشهورين العظماء المعادين لرجال الدين الذين تخرجوا من مؤسستنا » .

## 2) نظامان تربويان يتصارعان

ان دراستنا للتربية الفرنسية تلزمنا ان نجعل نصب اعيننا دائما انه يوجد فى فرنسا نظامان تربويان ، أحدهما مراقب من قبل الحكومة ومستقل عن الكنيسة ، والآخر مراقب من قبل الكنيسة ومستقل عن الحكومة ، على ان كلا النظامين كانت تجمعه مع خصمه الجذور العميقة التي كونت تركيبه المتشابه ، وبكلمة واحدة ان كليهما فرنسي . ان الكفاح المرير الذي دام اكثر من قرن قد وجد حله الحقيقي فى القوانين العلمانية التي صدرت سنة 1882م وسنة 1904 ، والتي بها اصبح نظام التعليم العمومي غير خاضع للسيطرة الدينية، كما صار نظام التعليم الكاثوليكي حرا مستقلا وغير خاضع لمراقبة الحكومة ، ولقد حاولت الحكومة تحطيم مراقبة الكنيسة للمدارس الحرة بمنعها من الاحتفاظ بسلطاتها الدينية غير ان محاولتها لم تأت بالنتيجة المرجوة . فلقد اعيد فتح المدارس الكاثوليكية من قبل الافراد وجماعة الاباء ، ولكنها استمرت فى الواقع تحت المراقبة الدقيقة للكنيسة ، كما ان الكنيسة التي لم ترض بالخضوع لقوانين تجزئة المراقبة على التعليم . والتي شهرت بنظام التعليم العمومي كنظام ملحد وغير اخلاقي ، لم تستطع هي كذلك ان ترجح كفة الميزان لمصلحتها ، فلقد اصبح نظام التعليم الحكومي نظاما وطنيا واتجه أربعة أخماس تلاميذ السن الاجباري للتعليم الى المدارس اللادينية ، وحتى فى ميدان التعليم الثانوي فان المؤسسات الكاثوليكية تراجعت الى الوراء بعد انضمام التعليم الثانوي الحر ، الليسيات والكليات الى النظام الحكومي سنة 1936 . ولقد جعل اصلاح مجموع هيكل نظام التعليم العمومي تبعا لفكرة المدرسة الموحدة (Ecole unique) الذي كان قد شرع فيه قبل الحرب زيادة مراقبة الحكومة وانتشار التعليم اللاديني أمرا لا مفر منه . غير ان الحرب وهزيمة فرنسا سنة 1940 غيرت الحالة بصفة جوهرية فى مصلحة النظام الكاثوليكي ، فلقد اصبح الماريشال بيتان بعد الهدنة هو الدكتاتور الفعلي تحت حماية الالمان . ان الماريشال بيتان كان قد تحيز بصراحة الى الحزب الكاثوليكي سنة 1934 وادان بقوة نظام التعليم العمومي اللاديني وتأسف على تصنيع فرنسا وعلى انتشار المذاهب الشيوعية والاشتراكية تبعا لهذا التصنيع ، واراد للبلاد ان ترجع الى الطرق التقليدية القديمة للحياة فاتفق مذهبه هذا مع الانظمة الهتليرية لاروبا الجديدة فعضد الالمان سياسته بالتدابير البوليسية والعسكرية . لقد حاول « بيتان » ان يعكس سير التاريخ الفرنسي وان يضع مجموع النظام التعليمي تحت مراقبة الكنيسة فأدخل النظام الديني كمادة اجبارية فى جميع المدارس العمومية ، ورسم المعلمين المسيحيين (School Chaplains) وادى اجورهم من الميزانية العامة كما تسلمت المدارس الكاثوليكية الحرة اعانة من حكومته ، وهكذا تحققت الثنائية التاريخية (Historical dualism) فى مصلحة الكنيسة (1) ، وبما ان ذلك كان تعديا صريحا على الدستور الفرنسي فقد اثار معارضة قوية من قبل المعلمين والآباء ، ولكن بالرغم عن ذلك فان النفوذ الكاثوليكي على التعليم العمومي اصبح حقيقة معتبرة من قبل الحكومة الجديدة .

## 3) تسوية مؤقتة

لقد كانت حركة المقاومة عبارة عن تكاثف كل الفرنسيين المحبين لبلادهم شملت الاشتراكيين والكاثوليكيين والشيوعيين ، وشكلت الاحزاب الثلاثة بعد التحرير حكومة ائتلافية الغت مشكلة التعليم الديني ، واعطت منحا للمدارس الكاثوليكية من أجل المحافظة على وحدة المقاومة التي كانت مهمة جدا اثناء الفترة الاولى لاعادة البناء ، وبطبيعة الحال فقد كان الكاثوليكيون يريدون الاحتفاظ بالفوائد التي اكتسبوها فى عهد بيتان ، على حين أن العلمانيين طلبوا العودة الى القوانين اللادينية للجمهورية الثالثة ، وبالرغم من أن الحكومة اعلنت بصفة رسمية العودة الى نظام التعليم العمومي اللاديني

1) ارتفعت النسبة المائوية للتلاميذ فى المدارس الابتدائية الكاثوليكية من 16ر5 فى سنة 1939 — 1940 ، الى 19ر7 فى سنة 1941 — 1942 ، ثم تزايدت بعد فى الارتفاع .

# تطور نظام التعليم في فرنسا

للدكتور نيكولا هانس NICHOLAS - HANS
ترجمة عن الانجليزية الأستاذ محمد الحمداوي

عندما زرت لندن صيف 1960 اهتممت بحكم مهنتي التربية ان اتتبع بصفة خاصة ما كتبه الاقوام حول نظم التربية والتعليم في بلادهم وفي بلاد الغير ، وهذا الشيء مما كتبه بعض رجال التربية الانجليز عن تطور نظام التعليم في فرنسا وهو الدكتور نيكولا هانس (Nicholas Hans) (1) الذي كان استاذ التربية المقارنة في جامعة لندن ، واذا كانت الغاية من الاطلاع على انظمة التعليم في بلاد الغير هي — كما ينقل هانس نفسه عن جوليان دوباري « امداد المناهج الوطنية بالتكيفات والتغييرات التي تتطلبها الظروف والاحوال المحلية » فان الغاية التي توخيتها من ترجمة هذا العرض التاريخي لنظام التعليم في فرنسا هي أن يعرف المواطن المغربي المهتم بشؤون التربية والتعليم الى حد تاثر تطور نظام التعليم في المغرب بتطور نظام التعليم في فرنسا . وكيف تصارعت المذاهب والآراء وتشابهت المشاكل والحلول في الميدان التربوي هنا وهناك من جراء السيطرة التي دامت لفرنسا على هذه البلاد زمنا ليس بالقصير ، وانا لنرجو أن يكون الاعلان الاخير عن نهاية تعريب التعليم الابتدائي في السنة الدراسية الحالية وبداية تعريب التعليم الثانوي في السنة الدراسية المقبلة خاتمة عهد التارجح بين التعريب والتغرب وبداية عهد الاستقرار والمغربة التامة في سياستنا التعليمية .

**المترجم**

## 1) دينيون وعلمانيون

في القرن الثامن عشر كانت فرنسا منقسمة ثقافيا الى قسمين اثنين ، القسم الكاثوليكي التقليدي والقسم العلماني الثوري ، وقد تقوى هذا الانشقاق الثقافي في القرن التاسع عشر بتصنيع البلاد وبالتطور الحضري لعموم السكان ، فلقد استمر سكان النواحي الفلاحية شديدي الاعتقاد في التقاليد الكاثوليكية كما كانوا أكثر محافظة في التربية والنظم السياسية ، على حين أن المراكز الصناعية والتعدينية قبلت تقاليد الثورة الفرنسية المتطرفة في معاداة رجال الدين ، وقد دفعت هذه المعاداة في النهاية صفوف الاحزاب الاشتراكية والشيوعية الى أن تقف صفا واحدا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا في القرن العشرين ومع ذلك فقد كانت تجمع كلا من الخصمين خلال جميع فترات عراكهما التاريخي خصائصهما الفرنسية فالكل كان شاعرا بكل فخر بثراته المشترك ووطنيته المشتركة ، فسواء منهما الجزويتي والجانسينستي (Jansenist) (2) والبروتستاني أو اليعقوبي في الماضي أو الكاثوليكي أو الشيوعي في الحاضر، جميعهم كانوا مثقفين فرنسيين اشتركوا في تقاليد ديكارت وبوسييه وفولتير وكندورسيه وفي مجد الملكية العظيمة، وعهد نابليون ، ذلك أن نفس عظمة الراي ، ونفس المنهج التطبيقي المنطقي ، ونفس الحب الحماسي لفرنسا ، هذه جميعها صنعت الاتجاهين اللذين كانا يتعارضان في اغلب الاحيان الى حد المرارة وهما مع ذلك توامان لنفس الام، لقد ربي ديكارت في كلية السهم الجزويتية (Collège de la Flèche) وموليير وفولتير وكاميل دي مولان وروبسبير هؤلاء جميعهم كانوا خريجي كلية لويس العظيم الجزويتية ، وبأمثال هؤلاء ثبت أن الانتقال من مذهب الى آخر كان ممكنا ، ذلك أن كلا المذهبين كان فرنسيا ، وعندنا في الوقت الحاضر امثلة من الزعماء الاشتراكيين الذين ربوا في

---

1) من كتابه Comparative éducation

2) الذي يعتنق مذهب الجانسنسم الديني الذي ابتدعه الراهب كورنيليس جنسن (1638 — 1585) في بلجيكا **المترجم**

متطرفين كجميع الفرنسيين ، ولكنهم أصروا على الاصلاح الاداري على أساس اقليمي بادخال اللهجات المحلية كأداة للتعليم فى المدارس الابتدائية ، ولكن الوزير (دومونزي) (Domonzie) رفض فى سنة 1926 بصفة قطعية ملتمس النواب البروفنسيين للترخيص باستعمال اللهجات ، وأصر على اعتبار اللغة الفرنسية كأساس لوحدة الثقافة الفرنسية، وبهذا الرفض اصبح التفكير فى اي ترخيص لهذا المطلب مسألة غير ذات بال ، غير ان ادخال العادات والاناشيد المحلية ، والاغاني الشعبية ، الى مناهج التعليم ، قد رخص فيه بعد ، بل قد ازداد الاهتمام بهذه المحليات ، واصبحت اكثر شيوعا تبعا لتجديد مناهج التعليم وتطورها . وقد سمح قبل الحرب الاخيرة باختلاف اقليمي واضح فى منطقة الالزاس — لورين التي انضمت الى فرنسا فى سنة 1918 . فقد كانت اللغة الالمانية مستعملة فى السنتين الاوليتين من التعليم الابتدائي ، وكانت المدارس المحلية سواء منها الكاثوليكية والبروتيستانية تتسلم اعانة من الميزانية العامة ، وقد حاول المسيو « بلوم » عند ما كان وزيرا للتعليم أن يقوي قوانين لادينية التعليم فى مقاطعة الالزاس ، غير أن محاولته هذه التقت بمعارضة قوية كانت قد تركت من قبل ، وعندما اندمجت الالزاس لورين فى الريخ الالماني اثناء الحرب استؤصلت بدون شفقة جميع آثار الثقافة والتقاليد الفرنسية . على ان تحرير المقاطعتين بعد قد انتج رد فعل قوي ضد كل ما هو الماني ، وقد اراد الالزاسيون انفسهم أن تكون شروط الصلح بالنسبة اليهم متساوية لشروط الصلح مع فرنسا . وقد أضاعت مسألة لادينية التعليم بصيرورتها مسألة وطنية أهميتها المحلية ، ومما لا شك فيه ان الحل المقبل سيبحث على اساس وطني لكل مجموع فرنسا، كما أن تأثير البحث السيكولوجي وادخال المناهج التعليمية المركزة حول مصلحة الطفل قد خففت من شدة المركزية كذلك ، ففي الحالة الحاضرة يتمتع المعلمون والمفتشون بحرية الابداع والتنوع المحلي اكثر من ذي قبل ، على أن تقاليد المراقبة المركزة والتوجيه لا تزال جد قوية ، الى حد ان الوزارة لا تزال حتى الان هي التي تقرر فى أي المدارس ينبغي ان يكون مسموحا بالخروج عن وحدة النظام العام .

## 6) ميزانية التعليم بين المركزية والمحلية

وفيما يتعلق بميزانية التعليم فان النظام الفرنسي لا يشكل تلك المركزية الدقيقة التي يشكلها النظام الاداري . ففي ميدان التعليم الثانوي والفني والتعليم العالي الحكومة هي المسؤولة عن اغلب النفقات التعليمية، وليس هناك الا جزء يسير من المخصصات المالية التي يوتى بها من مصادر محلية او خاصة أو من رسوم املاك ، وعلى العكس من ذلك فى المدارس الابتدائية والتكميلية ، السلطات المحلية هي التي تساهم بمقدار ثلاثين فى المائة او اكثر ، فالمقاطعات والبلديات هي المسؤولة عن الانفاق من اجل تأسيس بنايات المدارس او شراء الاماكن ، وتدفئة الفصول وانارتها ، كما انها تؤدي زيادة على ذلك واجبات اسكان المعلمين ، وتعد كذلك الاجهزة المدرسية وادوات التعليم ، ثم ان اي تغيير او اية مصلحة اضافية تضاف من قبل اقليم خاص يجب أن تؤدى مصارفها من الضرائب المحلية . ففي باريس مثلا جميع الخدمات الممتازة من اي نوع كانت ، تؤدى من قبل البلدية . كما أن المقاطعات ملزمة بأن تحتفظ ببنايات المدارس فى حالتها العادية ، وأن تؤدى الاجور الاضافية لمفتشي مدارسها الابتدائية، وتجهز مساكن مديري مدارس المعلمين ، ومفتشي الاكاديميات ، وتمنح الاعانات من اجل التعليم المهني ، والحكومة هي التي تؤدي اجور المعلمين من جميع الدرجات . وجميع موظفي التعليم يعتبرون موظفين مدنيين . وبالرغم من أن النظام المالي الفرنسي يضمن مستوى ادنى قارا لجميع السلطات المحلية ، فان ذلك لايمنع من بعض الاختلافات فى التجهيز والتنظيم، فكل المقاطعات والبلديات الغنية عندها بطبيعة الحال خدماتها الممتازة ، ومع ذلك فان هذا الاختلاف محدود بالنسبة للمدارس الابتدائية والمصالح الاضافية ، والتعليم الثانوي عنده نفس التجهيز ونفس الاحوال فى كل جزء من مجموع فرنسا .

## 7) مداخيل المدارس الكاثوليكية الحرة

ومعلوم أن هذه النصوص المالية لم تكن تشمل المدارس الكاثوليكية ، فقد كانت المدارس الابتدائية الكاثوليكية مجانية لان القانون يمنع من طلب رسوم مدرسية فيها ، ولكن الآباء الكاثوليكيين كانوا فى الواقع يتبرعون من اجل الانفاق عليها بمجهودات حرة ، أما المدارس الكاثوليكية الثانوية فقد كانت تطلب اداء رسوم المدرسة ونفقات الاكل والنوم ، وعند ما صارت المدارس الحكومية الثانوية مجانية بعد سنة 1936 ، صارت المدارس الكاثوليكية المكان الخاص بالطبقات الغنية ، ولقد حاول « بتان» باعادة

فان تدابير نظام فيشي ظلت مستمرة فى التطبيق ، فالمدارس الكاثوليكية استمرت تتسلم الاعانات المعينة لها من قبل « بتان » كما استمر المعلمون المسيحيون يقومون بالتعليم الديني فى المدارس العمومية على انه بالرغم من السماح لهؤلاء المعلمين بالتعليم فى المدارس العمومية ، فان اجورهم كانت معلقة ، والتعليم الديني كان يعطى خارج الساعات المدرسية ايام كل خميس ، كما كان التطبيق العام كذلك تحت القانون اللاديني ، وقد كانت هذه الحالة كما كان يعترف بها الجميع تسوية موقتة ، فالاحزاب الفرنسية كانت جد مختلفة حول الطريقة التي ينبغي أن يحدد بها النظام الثنائي القديم ، فالاشتراكيون وعلى الخصوص الشيوعيون يفضلون الاستئثار الحكومي بمنع وجود مدارس ملية تحت مراقبة الكنيسة فى حين أن الكاثوليكيين يريدون ادماج المدارس الكاثوليكية الحرة فى مجموع نظام التعليم الحكومي العام ، مع الاعتراف بالتعليم الديني وبتاثير الكنيسة ، والذي يظهر أن اي حل من هذين الحلين الجوهريين لا يمكن تحقيقه فى الحالة الحاضرة ، وان الرجوع الى الثنائية القديمة للمنهاج الكاثوليكي والمنهاج اللاديني هو التسوية الممكنة بدون الزج بفرنسا فى حرب مدنية علنية .

ومع بقاء هذه المشكلة الرئيسية للتعليم الفرنسي بدون حل فان فرنسا رجعت الى نظامها القديم فى الادارة المركزة واعادت الاصلاحات التي عاقتها الحرب.

## 4) نظام التعليم فى فرنسا مثال للتركيز الاداري

ان نظام التعليم العمومي فى فرنسا يمكن ان يؤخذ من الناحية الادارية كمثل كلاسيكي للتركيز ترجع اصوله التاريخية الى قوانين سنة 1802 و1808 التي انشأ بها نابوليون ( جامعة فرنسا ) (الملكية فى وقته ) . لقد سار نابليون وبوعي تام على طريقة التنظيم المركز للمجتمع المسيحي ، وهو فى هذا الشأن يقول : ( اني اريد أن انشىء جماعة ، لا جماعة المسيحيين الذين كانت لهم سيادتهم فى روما ، ولكن المسيحيين الذين ليس لهم مطمح ما عدا ان يكونوا نافعين ، وليست لهم مصلحة سوى ان يسعدوا عموم الناس ، ان قصدي من تأسيس الجمعية التربوية هو ان يكون افرادها قادرين على ادارة الراي الاخلاقي والسياسي ) . ومن اجل هذا الغرض الغيت الجامعات القديمة باستقلالها التقليدي واحتضنت الجامعة الملكية الوحيدة مجموع النظام المدرسي الذي انشىء تحت المراقبة المركزة لمدير الجامعة المعين من قبل نابليون . لقد قسمت البلاد كلها الى اكاديميات تحت ادارة واحدة راجعة الى المكتب المركزي فى باريز ، ولم يغير الاصلاح التابع لهذا التنظيم سوى التوزيع الاقليمي للاكاديميات ، كما انه الغي منصب المدير العام الذي حل محله وزير التعليم العمومي او وزير التربية الوطنية فى التسمية الجديدة ، أما معالم وروح التنظيم النابوليوني فقد استمرت حية خلال جميع الثورات والثورات المعاكسة الفرنسية ، وبحسب هذا النظام النابوليوني فقد كان يقف على راس كل اكاديمية عميدها المعين من قبل رئيس الجمهورية ، والمسؤول مباشرة امام الوزير وقد كان العميد يتمتع بسلطات مطلقة داخل اكاديميته ، ويسير جميع الجهاز التعليمي من مدرسة الاطفال الى الجامعة ، وتتضمن ادارته الاشراف على المدارس الحرة ، وتحت مراقبته يوجد مفتشو الاكاديمية ، واحد لكل مقاطعة . وبالنسبة للمدارس الابتدائية ، كل قسم من اقسام المقاطعة عنده مفتش ابتدائي تابع لمفتش الاكاديمية ، وبالنسبة للمدارس الاولية يوجد خلفاء مفتشين خاصون ويكونون عادة نساء . ومن أجل الاشراف العام على التعليم من قبل المركز كان هناك مفتشو التربية الوطنية الخاصون معينين لهذا الغرض ، يشرفون على مجموع البلاد فى موضوعاتهم الخاصة ، وبهذا النظام كانت هناك وحدة ادارية تامة فى الانظمة المدرسية وفى مناهج التعليم ، اما السلطات المحلية فلم يكن لديها اي اشتراك فى الادارة. وبصفة استثنائية كان لبلدية باريز نوع من التأثير فى ميدان التعليم المهني وبتخصيصها لمبالغ اضافية من مداخلها للتعليم ، كان نظام الدراسات التكميلية فى باريس احسن نظام بالنسبة لمجموع البلاد .

## 5) اللغة الفرنسية اساس وحدة الثقافة الفرنسية

وفى القرن العشرين تخففت شدة الادارة المركزة الى حد مابالحركة الاقليمية، وبنتائج البحث السيكلوجي العصري . ففي العشر الاواخر من القرن التاسع عشر احيت الاقاليم التاريخية الفرنسية القديمة باختلافاتها اللغوية اهتمامها بلغتها المحلية وعاداتها الاقليمية . ولم تكن هذه الحركة حركة سياسية ذات نزعات انفصالية ، فقد كان البروطونيون والكورسكيون والباسكيون والبرفانسيون مواطنين

كما ان انتشار التصنيع فى فرنسا واحداث مناهج جديدة فى الانتاج الصناعي والفلاحي قد استلزما من جهة اخرى تدريب عدد كبير من الفنيين الذين فشل النظام القديم فى اعدادهم ، وهكذا ابتدات وزارة التعليم الفرنسية فى سنة 1936 تقوم بتجربة فى خمسين مدينة فرنسية تشتمل على ما يقرب من مائتي فصل . حيث قبل جميع الاطفال من سن الثانية عشرة الذين نجحوا من امتحان شهادة الدروس الابتدائية فى الدخول الى ما سمي بالفصول التوجيهية (Orientation classes) حيث قسم المنهج الى ثلاثة فروع ذات اصل مشترك ، زيادة على فرع تدرس فيه اللغة اللاتينية وحدها بدون اضافة لغة عصرية اليها ، وآخر تدرس فيه لغة عصرية بدون لاتينية ، والثالث لا تدرس فيه اية لغة اجنبية بالمرة وانما فيه ترجيح للناحية الفنية التطبيقية ، فبعد فترة قصيرة يقضيها التلاميذ تحت الملاحظة ينقلون الى واحد من الفروع لمدة سنة ثم ينقلون بعد الى فرع آخر اذا اقتضت الضرورة ذلك ووافق الاباء ، اذا لم يكن الانتقال اجباريا ، وانما كان يشار على الاباء بما يوافق مصلحة ابنائهم ، وقد كانت نتائج هذه التجربة ناجحة جدا ، غير ان الحرب وحكومة فيشي قد اوقفتاها اثناء وجودهما ، ومع ذلك فقد بقيت التهييئات للاصلاح مستمرة فى كل من الجزائر بعد تحريرها من قبل الحكومة الفرنسية الحرة فى فرنسا من قبل اعضاء المقاومة ، وقد كان الفريقان يعملان معا على خطوط متشابهة .

## 9) لجنة الدراسات وتنظيماتها الجديدة

وعندما تحرت فرنسا فى شهر غشت 1944 اتحد الفريقان فى ( لجنة الدراسات ) (Commission d'études) تحت رئاسة السيد (بول لانجوفان) (M, Paul Langevin) وقد كان كل من السيد هنري بييرو (Henri Piéron) والسيد هنري فالون (Henri Wallon) خليفتي الرئيس فى هذه اللجنة ، وكل من هؤلاء الثلاثة كانوا اساتذة مشهورين فى الكوليج دوفرانس (Collège de France) ، كان السيد لانجوفان انسانيا بارزا ، وكان كل من السيد هنري بييرو وهنري فالون مشهورين فى علم النفس ، كما كانوا جميعهم من الناحية السياسية ينتسبون الى اليسار ، وكان السيد لانجوفان عضوا فى الحزب الشيوعي ، هذا وقد تأسست داخل وزراء التربية الفرنسية مؤسسة وطنية للابحاث العلمية ، واعيد تنظيم المجلس الاعلى للتعليم العمومي لضمان تمثيل جميع هيئات المعلمين من اتحادات وجماعات مهنية ، وقد شرع فى هذه التنظيمات الجديدة بأقصى ما يمكن من السرعة ، وفى سنة 1946 حضر مشروع للاصلاح غير بصفة جوهرية التقليد الفرنسي القديم للتدريب الذهني من أجل الثقافة العامة ، فلقد اعترف المصلحون بخطر التعلق بالشكليات والتقسيم الاجتماعي الذي ادى الى شيخوخة مبكرة للروح الفرنسية ، والى انقسام الطبقات الاجتماعية ، وكما قال السيد جان بابيت (Jean Bayet) المدير العام للتعليم الوطني فى شتنبر 1945 فان هذا النظام الشكلي قد اظهر : « علامات الشيخوخة وخمول الروح بين الاطفال ، وهذا شيء خطير جدا على فرنسا ، اذ انه يكون سببا فى خلق صفات متفاوتة وقدرات مختلفة ، وانقسام ترهبي ، وفي النهاية فرار من الحياة ، اننا من جهة قد انتهينا الى النظام الشكلي الجامد فى المدارس العليا ، والى نقص فى التعليم الفني من جهة اخرى وذلك هو السبب — لا اعتبارات سياسية — الذي من اجله أنا متضايق من حكوماتنا التي جعلت الشعب يعتقد أن الصناعات الميكانكية لا فائدة لها ، وتركت الاباء الفرنسيين يعتقدون ان الباكالوريا هي المثل الاعلى ، وانه من الممكن ان نحيى خارج الحياة الواقعية بدون تطبيق الروح على المادة » . ولقد أشار هذا النقد الى خطتين اثنتين للبداية فى المشروع الجديد اولا ، تغيير المناهج ، وذلك بانشاء تعليم مركز على مصلحة الطفل ، ومؤسس على اعتبار الافراد الاحياء بحيث توضع فيه المناهج مطابقة لنتائج الابحاث السيكولوجية ، وثانيا ادخال الاعمال اليدوية ، والموضوعات الفنية كتغيير مقابل للمنهج الاكاديمي المبني على تعليم اللغات الكلاسيكية . واذا اعتبرنا الظروف الفرنسية فاننا نرى أن هذا التغيير ينتهي الى ثورة حقيقية فى التعليم ، كما انه قد تقرر من قبل الزعماء الفرنسيين انفسهم، وقد دخل هذا الاصلاح فى حيز التطبيق بانشاء مائة وتسعين (190) فصلا جديدا للسنة الاولى من التعليم الثانوي فى تسعين من المدن والمقاطعات الفرنسية فى سنة 1945 ، وقد اشتغلت هذه الفصول الجديدة التي دعيت (السوادس الجديدة) (Les sixièmes nouvelles) طيلة السنة كلها على خطوط جديدة ، وقد نجحت نجاحا باهرا الى حد أن المعارضة الاولية لكثير من المعلمين والاباء وصلت الى حد الحماس العام ،

اداء الرسوم المدرسية فى ليسيات الحكومة وكلياتها ، ومنح الاعانات للمدارس الكاثوليكية ، ان يسوي الاحوال فى كل من المجموعتين ، وان يوقف انتقال التلاميذ من المدارس الكاثوليكية ذات التكاليف الباهظة الى المدارس الحكومية المجانية ، غير ان التعليم الثانوي الحكومي اعيدت له مجانيته بعد تحرير فرنسا ، وبدات التفرقة الاجتماعية بين كل من نوعي التعليم الحكومي والتعليم الكاثوليكي تتطور اكثر فاكثر بعامل التطور الحتمي للنفقات والرسوم المدرسية فى المدارس الكاثوليكية .

## 8) فى طريق الاصلاح

ان نظام التعليم الفرنسي يسير فى تجربة اصلاح جوهري ، وعلينا أن نصف فترة ما قبل الحرب وان نصف التنظيم الجديد لكي نفهم صعوبات الانتقال ومشاكله فى الفترة الحاضرة (1) ، وعلينا فى هذا الوصف أن نحصر انفسنا فى نظام التعليم العمومي ، ذلك لان نظام التعليم الكاثوليكي يطابق فى مجموعه نظام التعليم العمومي ، ومن ثم فان الدخول فى معلومات تفصيلية لا فائدة منه واذا قطعنا النظر عن فترة التعطل التي صاحبت الحكومة فى عهد « فيشي » فاننا نرى أن نظام التعليم القديم كان يقترب تدريجيا من نظام المدرسة الموحدة منذ سنة 1928 . اما فى الوقت الحاضر (1) فان نظام التعليم الحكومي سائر فى طريق الاصلاح ضمن اساليب جديدة . لقد كان النظام القديم يشكل طريقتين مختلفتين بالنسبة لطبقتين اجتماعيتين من السكان الفرنسيين ، أولاهما: طبقة الاغلبية من اصحاب الحرف الصناعية والفلاحية بما فى ذلك الشغالون اليدويون والتجار والموظفون الصغار . وقد كان نظام المدرسة المجانية الذي يشمل مدارس الامهات والمدرسة الابتدائية ، والمدرسة الابتدائية العليا ، والاقسام التكميلية هو السبيل الوحيد للتعليم الذي يهيىء مباشرة الى نشاط مهني فى الفلاحة والصناعة والتجارة ، وثانية الطبقتين طبقة اصحاب الامتيازات الاقتصادية ، وقد كان نظام التعليم مقابل اداء رسوم مدرسية هو النظام الذي يفتح لاصحاب هذه الطبقة باب الاختيار الواسع . وكان هذا النظام يطبق فى رياض الاطفال (Kindergartens) وفى الاقسام التهييئية المرتبطة بليسيات الحكومة ، وكليات البلديات . وبليسيات وكليات خاصة ، وبمؤسسات الدراسات العليا المشتملة على الجامعة وعلى ما يسمى بالمدارس العليا. ولقد كان الانتقال من الطورالابتدائي الى الطور الثانوي بقطع النظر عما يلحق به من الصعوبات المالية جد صعب حتى من الوجهة التنظيمية ، ذلك أن التقليد الكلاسيكي والنظام الشكلي كانا يتحكمان فى نظام التعليم بالليسيات والكليات حتى سنة 1925 حيث قد ادخل شىء من التجديد ، فحتى الحرب الاخيرة تقريبا كان اختيار التلاميذ الى التعليم الثانوي يقرر بناءعلىالقدرة علىاداء الرسومالمدرسية واثناءالسنوات الاخيرة فقط حيث حذفت الرسوم المدرسية . واغلقت الاقسام التهييئية اصبح تلاميذ الليسيات يختارون بناء على استعداداتهم الدراسية ، لقد كانت التقاليد المرعية الفرنسية تقضي أن يكون الغرض من التعليم الثانوي هو أن يهيىء الطلبة لمستوى الثقافة العامة التي تميز المثقفين الفرنسيين عن غيرهم ، غير أن الوصول الى الوضوح المنطقي للفكرة والاسلوب كان يتطلب ضحايا بشرية ، فحوالي الثلث من تلاميذ التعليم هو الذي كان يصادفه النجاح فى الامتحان النهائي لشهادة البكالوريا ، بقطع النظر عن اولئك الذين كانوا يسقطون فى الطريق . لقد كان التعليم الثانوي الفرنسي مركزا حول مبدا النخبة المثقفة التي كانت بصفة متناقضة تختار على اساس القدرة المالية ، وقد تحسنت الحالة بعض الشىء بعد سنة 1930 ولكن التلاميذ مع ذلك بقوا ضحايا للمبدا ، فلقد ظلت اغلبية طلبة التعليم الثانوي معرضة للضياع (Wastage) او على حد التعبير الفرنسي (2) (Déclassées) فلاهم استطاعوا أن يصلوا الى النخبة المثقفة ، ولا هم أعدوا للمهن التجارية والصناعية ، وقد كانت نفس هذه المناهج للانتخاب الثقافي تتابع فى الجامعات والمدارس العليا، وكانت النتيجة ان تكونت اقلية ممتازة من المتخرجين الناجحين الى جانب عدد كبير من الضائعين (Déclassées) ان الابحاث السيكولوجية اثناء السنوات الاخيرة قبل الحرب ، جعلت من الواضح جدا حتى بالنسبة للانصار المتشبثين بالتقاليد القديمة ، ان اصلاحا جوهريا للتعليم الثانوي اصبح ضروريا ولازما،

---

1) يعني فترة ما بعد نهاية الحرب الثانية وتحرير فرنسا « المترجم »
2) كلمة المانية معناها رياض الاطفال اطلقها فروبل سنة 1840 على مؤسسته التي انشأها سنة 1837 فى مدينة « بلانكبرك » فى المانيا لتربية الاطفال من سن الرابعة الى سن السادسة (المترجم)

التعليم العمومي ، وبالاعتبار التاريخي فقد كان يوجد نوعان من مؤسسات ما قبل المدرسة في فرنسا .

1) نوع مدارس الامومة الخاص ، وقد كان هذا النوع عبارة عن مؤسسات مستقلة تحت مراقبة مفتشين خاصين .

2) نوع مدارس الاطفال (Classes enfantines) وقد كان هذا النوع عبارة عن ( رياض الاطفال ) (Kindergartens) مرتبطة بالمدارس الابتدائية، او بالفصول التهييئية الثانوية أو الكليات ، وفي الوقت الذي حذفت فيه الفصول التهييئية من التعليم الثانوي حذفت معها مدارس الاطفال المرتبطة بها . وحتى ما قبل الحرب ومدارس الاطفال التابعة للمدارس الابتدائية لا يقع عليها ذلك الاقبال الذي يقع على مدارس الامهات الخاصة التي يقصدها في الوقت الحاضر ما يقرب من 60٪ من الاطفال الفرنسيين من سن الثالثة الى سن السادسة ، ومن ثم فقد اقترح مشروع الاصلاح أن توضع لها مادتها الكاملة في قوانين التعليم الفرنسي ، وان ترفع السن الى سبع سنوات بحيث تصبح مشمولة داخل تشريع التعليم الاجباري ، وقد استطاعت مدارس الامهات في فرنسا من حيث مناهجها وتجهيزها أن تنافس احسن المؤسسات العصرية في بلاد اخرى.

## 12) المدارس الابتدائية

لقد كانت المدارس الابتدائية القديمة تخدم غرضين مختلفين تمام الاختلاف ، فبالنسبة الى الاغلبية العظمى من تلاميذها كانت الملجأ الوحيد لاعدادهم لحياة الرشد والمواطنة ، وقد كان ضروريا أن تشتمل على حد ادنى للتعليم العام والتدريب المدني (Civic training) كما عملت على ان يحرز التلاميذ على قسط من التعليم السليم عند نهاية الرابعة عشرة من اعمارهم . وبالاصلاحات التي وقعت اثناء فترة الحرب أصبحت المدرسة الابتدائية خطوة تمهيدية للتعليم الثانوي ، غير أن أقلية قليلة من التلاميذ هي التي كان يساعدها الحظ في الانتقال الى مرحلة التعليم الثانوي ، لقد كان من اللازم ان تهيأ هذه الاقلية لامتحان استحقاق الانتقال الى التعليم الثانوي في سن الثانية عشرة على حين ان الاغلبية من التلاميذ كان عليها أن تستمر سنتين اخريين في قسم اعلى ، وقد كان من الصعب أن يجتمع العرضان في نفس الفترة الدراسية ، كذلك كانت المدرسة الابتدائية منهوكة من انعدام الوحدة في المناهج ، وقصور برامج التعليم التي لم تستطع ان تؤدي العرضين في وقت واحد كذلك ، ويفرض الاصلاح الجديد ان تلغى ثنائية الغرضين هذه ، وان تجعل المدرسة مرحلة تدريب عامة لوسائل المعرفة من أجل جميع الاطفال ، كما يقضي أن ينتقل جميع الاطفال من سن الحادية عشرة فما فوق الى الطور الاول للملاحظة ، ولقد كانت المدارس الابتدائية العليا والاقسام التكميلية حتى قبل الحرب تجتمع في نفس البناية مع الثانويات ، وقد اصبح الكل في واقع الامر اجزاء للتعليم الثانوي غير ان هذه الاجزاء المختلفة سائرة الان في طريق الاختفاء والاندماج في الطور الاول من المرحلة الثانوية .

## 13) الليسيات والثانويات

اما الليسيات والثانويات فستستمر كأقسام نظرية للطور الثاني من التعليم الثانوي ، غير أن تركيبها الداخلي سيتبدل وستصبح موادها الاربعة الاولية هي الطور التوجيهي العام ، وستضم جميع الاطفال بقطع النظر عن قدراتهم ومراكزهم الاجتماعية وستفقد موادها الثلاث العليا صفتها الاكاديمية بصفة دقيقة ، وستتكون من أربعة اقسام هي : الكلاسيكي ، العصري ، التقني ، الفني ، والاثنان الاخيران لم يضافا الا اخيرا ، والليسيات ربما كانت اعظم المؤسسات الفرنسية ، وتاريخها يرجع الى التشريع النابوليوني عندما الغى الامبراطور المدارس المركزية الجمهورية بصبغتها الفنية ، واحدث المدارس الثانوية الكلاسيكية تحت اسم الليسيات ، ومن يومئذ احتفظت هذه ، وبكل تشبث ، بصبغتها الاصلية بالرغم من جميع التقلبات السياسية في القرن التاسع عشر ، والليسيات هي المؤسسات الوطنية التي تؤدى جميع نفقاتها من خزينة الدولة ، اما المدارس الثانوية التي اسست من قبل المجالس البلدية ، فانها لا تتمتع بنفس المركز الذي تتمتع به الليسيات ، والمجالس البلدية هي التي تتولى الانفاق عليها مع اعانة من الحكومة ، والاساتذة الذين يتولون التدريس في الليسيات اكثر دربة واهلية ، من أولئك الذين يتولون التدريس في المدارس الثانوية ، فهم في الليسيات اما حاملو شهادات التبريز أو شهادات عالية عيرها ، على حين أنهم في المدارس الثانوية ليسوا الا من حاملي شهادة الليسانس أو من الشباب المتدربين ذوي الشهادات الاقل اهمية ، وقد ينقل

وفي شتنبر سنة 1946 ارتقت المائة والتسعون فصلا الاساسية على اعتبار انها اصبحت (الخوامس الجديدة) (Les cinquièmes nouvelles) على حين قد انشئت من جديد مائتان وستون (260) فصلا من فصول السنة السادسة ، ومع هذا فقد التقى هذا الاصلاح بمعارضة قوية لكثير من مديري المدارس الثانوية ومن الكاثوليكيين ، وبعد وصول هذا الاصلاح الى نهايته في سنة 1951 . حيث اصبحت فصوله الجديدة ثمانمائة (800) فصل أوقف من قبل الوزارة ، ولم يسمح بالاستمرار في التجربة الا خمس ليسيات (Lycées Pilot)

على انه بالرغم من ايقاف هذا الاصلاح العام فان تجربة (الفصول الجديدة) اثرت في جميع مدارس التعليم الثانوي ، وغيرت مناهجها ذات الطراز العتيق ، وفي الوقت نفسه فان رفع المدارس الابتدائية العليا القديمة الى ثانويات عصرية حذفت منها اللاتينية قد غيرت مجموع هيكل التعليم الثانوي الفرنسي ، ولقد كان اصلاح مرحلة التعليم الثانوي هو الجزء الاهم من المشروع الذي تناول مجموع نظام التعليم من مدرسة الاطفال الى الجامعات والمدارس العليا . ان السنوات الاولى من حياة الطفل تمضي عادة في البيت ولكن بانتشار استخدام النساء في المهن الصناعية انشىء عدد كبير من المثاوي (Crèches) في مراكز صناعية كجزء من نظام التعليم الوطني .

## 10) الامتحانات

اما الامتحانات كما هي عليه في الوقت الحاضر فقد تضمن مشروع الاصلاح الغاءها،ولكنها مع ذلكظلت تستعمل اثناء فترة الانتقال مع شيء من التعديل . لقد كانت الشهادة الابتدائية القديمة منقسمة الى قسمين ، الاول يجري على التلاميذ الذين تبلغ سنهم الحادية عشرة للسماح لهم بالانتقال الى المرحلة الثانوية ، والثاني يجرى على التلاميذ الذين تبلغ سنهم الرابعة عشرة ، وهم الذين لم ينجحوا في امتحان الدخول الى المرحلة الثانوية ، وقد اقتضى مشروع الاصلاح ان ينقل جميع التلاميذ الذين تبلغ سنهم الحادية عشرة الى مرحلة التعليم الثانوي ، وان تصبح الشهادة الابتدائية القديمة لا معنى لها . اما التلاميذ الذين تبلغ سنهم الخامسة عشرة فما فوق ، ولا يستمرون في متابعة تعليمهم في المدارس الثانوية فيتقدمون لامتحان الشهادة الثانوية الاولية ، الذي هو الامتحان القديم للمدارس الابتدائية العليا ، وعندما ينهي التلاميذ دراستهم في احدى الليسيات أو المدارس الثانوية فانهم يتقدمون الى ذلك الامتحان المرعب من اجل الحصول على شهادة الباكالوريا ، فبعد انتهاء السنوات الست من التعليم الثانوي يتقدمون الى امتحان شهادة الباكالوريا الاولى الذي يخول لهم الالتحاق بالقسم النهائي (Terminal class) الذي هو اما قسم الفلسفة أو قسم الرياضيات ، ثم يتقدمون الى امتحان الباكالوريا الثانية ، ويكون ذلك عادة فيما بين 18—19 سنة من اعمار الطلبة، ويخول لهم النجاح في هذا الامتحان الدخول الى الجامعات ، أما اذا ارادوا الدخول الى المدارس العليا، فان عليهم أن يمروا بامتحان اضافي في شكل مباراة يحتاج الى تكوين خاص ، وفي سنة 1946 أحدثت البكالوريا التقنية التي تقدم اليها نحو من 2200 مرشحا ، وقد قضت هذه الشهادة على الدراسات الكلاسيكية التي كانت تعتبر في القرون القديمة الطريق الوحيد للتعليم العالي ، ويقتضي مشروع الاصلاح تعويض شهادة الباكالوريا بشهادة ( دبلوم دراسات المرحلة الثانوية) لجميع الفروع النظرية ( تقنية ، كلاسيكية ، عصرية ، فنية ) ، وتخول هذه الشهادة الانتقال الى المرحلة الاولى من التعليم العالي ، وبتطبيق هذا المقترح ينتهي الى الابد ذلك البرنامج الثقافي القاسي المعروف في فرنسا ب«البكلرة» (Bachotage) والذي اضاع كثيرا من حياة الشباب الذي ينتظر منه القيام بالانقاذ العام للاجيال المقبلة ، .

## 11) مؤسسات ما قبل المدرسة

اما المؤسسات الفرنسية لما قبل المدرسة (Pre-school) فان عندها تاريخا طويلا ، وهي الجزء الذي ناله التجديد اكثر من غيره في الجهاز التعليمي الفرنسي ، وقد شرع فيها في الثلاثين الاولى من القرن التاسع عشر تحت اسم (قاعات ايواء الاطفال) (Salles d'Asile) ولقد اخذت الحكومة تقدم لها الاعانات في سنة 1837 فأصبحت تنتشر في البلاد بسرعة . ففي سنة 1836 لم يكن موجودا من هذه المدارس الا 24 قاعة ، وفي سنة 1837 ارتفع عددها الى 262 ثم الى 5830 في سنة 1883 ، وقد وصل عدد تلاميذها الى 679.085 وقد اعطي لها اسم (مدارس الامهات) (Ecoles maternelles) سنة 1881 ، وأصبحت من يومئذ جزءا داخلا في جهاز

## 15) التعليم الجامعي

ان جامعات القرون الوسطى الفرنسية بحياتها الطويلة واستقلالها الاكاديمي قد الغتها الثورة الفرنسية ، واسس نابليون جامعة واحدة لمجموع القطر الفرنسي هي الجامعة الملكية ، مع مراقبة مركزية مضبوطة . واسست في باريز وغيره من المدن الاقليمية الكبرى كليات مختلفة كمؤسسات عليا خاصة ، واثناء قرن كامل لم يبق هناك اي وجود للجامعات القديمة سواء بمعنى جماعات الاساتذة والطلاب ، او بمعنى جميع فروع التعليم الاكاديمي ، وفي سنة 1896 فقط اتحدت الكليات المختلفة من جديد داخل جامعة واحدة مع استقلال ذاتي محدد ، وهكذا اعيدت وحدة استقلال البحث العلمي ، غير ان عمداء الجامعات وهم في نفس الوقت عمداء الاكاديميات لا يزالون مع ذلك يعينون من قبل وزير التعليم ولا ينتخبون من قبل الاساتذة ، والاساتذة انفسهم يعينون كذلك من قبل الوزير بطلب من الكليات وجميع الجامعات الفرنسية لها كلياتها التقليدية الاربع : كلية الادب ، وكلية العلوم ، وكلية الحقوق ، وكلية الطب ، وجامعة ستراسبورك (Strasbourg) بصفة خاصة لها كلية اللاهوت .

## 16) المدارس العليا

وجميع الفروع التطبيقية والتقنية تعطى في مؤسسات خاصة تعرف بالمدارس العليا ، التي تكون عادة تحت رقابة وزارتها المختصة . فوزارة البحرية مثلا تراقب مدرسة المهندسين البحريين ، ومدرسة الفلاحة ، ومدرسة التجارة البحرية . ووزارة الدفاع تراقب مدرسة البوليتيكنيك ، ووزارة المستعمرات تراقب مدرسة تكوين الفنيين الاستعماريين ، وتراقب وزارة التربية الوطنية مدرسة واحدة من بين هذه المجموعات المدرسية ، هي المدرسة العليا لتكوين المعلمين ، وامتحانات الدخول الى هذه المؤسسات تكون في شكل مباريات على مستوى عال ، وتحتاج عادة الى سنة اضافية تهيئية من بعد البكالوريا ، والمدارس العليا هذه فريدة من نوعها في العالم من حيث ارتفاع مستويات النخبة المختارة من طلابها واساتذتها ، وهي تزود فرنسا بالنخبة الممتازة من رجال الادارة اللامعين والقادة المثقفين الماهرين ، ومن اجل هذا ، يكون دور مدارس المعلمين العليا ذات اهمية خاصة . وبالرغم من تسمية هذه المدارس بمدارس المعلمين فانها ليست مدرسة للدراسات البداغوجية العليا ، بل انها مربى للثقافة العامة والروح الفرنسية التي يفخر بهما رجال فرنسا ، فعندما زرت فرنسا في سنة 1947 زرت مكتبة هذه المدرسة الشهيرة فرايت فيها آلاف المجلدات لمؤلفين يونانيين ولاتين ، آلاف المجلدات في الادب والتاريخ ، والرياضيات والعلوم ولاحظت فقط مجلدا واحدا في التربية ، ومن غريب الاتفاق أنه كان باللغة الانجليزية ومهدى من مدرسة ثانوية انجليزية ، ومع ذلك فان المتخرجين من هذه المدرسة يكونون النخبة الممتازة لمهنة التعليم ، ويزودون البلاد بعدد كثير من القادة الوطنيين في جميع فروع الفكر والعمل . ان الشخذ الثقافي القاسي ، وفترة التهييء الطويل اللذين يستلزمهما الدخول الى الجامعة كلاهما قد اديا الى انتخاب اجتماعي من العائلات المثقفة الغنية ، فمن بين 100.466 طالبا في جويي سنة 1948، ٪18 كانوا ابناء وبنات لاعضاء من المهن التعليمية ، و٪16 من العائلات التجارية والصناعية ، و٪72 من ابناء المستخدمين المدنيين ، و٪10 من ابناء الكتاب في الدور التجارية والقائمين بالبيع ، و٪15 فقط من ابناء العمال الصناعيين و٪5 من ابناء الفلاحين . ومن بين البلاد الاربعة ، فرنسا ، وانكلترا ، وامريكا ، وروسيا ، فرنسا هي البلد الاقل ديموقراطية في طلبتها ، والزعماء الفرنسيون شاعرون بهذه الحقيقة ، ومشروع الاصلاح الجديد لا يحاول فقط أن يصلح هيكل التعليم العالي ولكنه يحاول كذلك ان يجعله مفيدا لدوائر أوسع من السكان، واصلاح التعليم الثانوي والبكالوريا سوف يزود الجامعات بمجموعة من الطلاب منحدرة من طبقات اجتماعية محرومة حتى الان من التعليم العالي .

## 17) النظام الجديد والتعليم العالي

ان النظام الجديد يقسم التعليم العالي الى ثلاثة مراحل : المرحلة الاولى (من سنة 18 الى 20) مرحلة الدراسات التمهيدية التي تهيء للمهن التي يحتاج فيها الى تدريب خاص ، وهي تشمل مدارس المعلمين والمدارس التقنية التي يتخرج من كل منها معلمون وتقنيون من الدرجات المتوسطة . المرحلة الثانية من سن (20 الى 22) وهي تتكون من الكليات التي تهيئ لشهادة الليسانس في الفنون والعلوم والطب والقانون والعلوم التقنية . المرحلة الثالثة وهي مرحلة المدارس التطبيقية العليا التي تهيء لشهادة التبريز وللقيام بالبحوث العلمية ، وهكذا نرى ان المدارس العليا ستشكل المرحلة الثالثة للتعليم العالي،

احسن المعلمين الى الليسيات بعد انهاء فترات تدريبية فى المدارس الثانوية ، وعلى عكس الليسيات التي لها مركزها الثابت وبرنامجها القار ، فان المدارس الثانوية توجد بينها اختلافات محلية وتظهر فيها بعض الصور والسحنات الغريبة التي تخلومنها الليسيات ، ومنذ سنة 1881 تجددت تسمية مدارس البنات واخذت تتكيف شيئا فشيئا على أساليب الليسيات وازداد عددها باستمرار ، ولكن لا يوجد حتى الان من هذه الانواع من مدارس البنات الا 200 مدرسة الى جانب 360 مدرسة من مدارس البنين ، وفى المدن الصغرى التي لا تملك مدارس خاصة بالبنات تقبل البنات فى مدارس البنين ، ولكنفرنسا عادة لا تفضل المدارس المختلطة ، وقد أخذت الفروق التاريخية بين الثانوبات والليسيات تختفي شيئا فشيئا منذ ان حذفت الرسوم المدرسية والغيت الفصول التهييئية ، وسوف تختفي هذه الفروق نهائيا بتطبيق المنهج الجديد ، فسيغير التقسيم المحدد للتعليم الثانوي الى السلك الاول ذي السنوات الاربع ، والسلك الثاني ذي السنوات الثلاث النظام القديم للثانويات والليسيات تغييرا جوهريا وبما أن السلك الاول سيصير عاما واجباريا برفع السن الى خمس عشرة سنة (الحدود الحالية لسن التعليم الاجباري هي من ست سنوات الى اربع عشرة سنة) فان آلاف الفصول الجديدة ستفتح بدون أن يكون لها سلك ثان ، ومن ثم فسيحتفظ بالتنظيم القديم للثانويات والليسيات فى مواده الثلاث العليا فقط ، وحتى هنا فان احداث فصول جديدة وموضوعات مختارة سوف يغير الجو التقليدي . ان الليسيات والثانويات باعتبارها منشئات فرنسية للتجربة التربوية من نوع خاص قد اتمت ظيفتها التاريخية ، وأصبح عليها أن تنمحي فى مدارس ثانوية أكثر ملاءمة للديمقراطية العصرية وللحاجة المتزايدة للتدريب الفني .

## 14) التعليم التقني

ان التعليم التقني والمهني هو احدث فرع فى نظام التعليم الفرنسي ، فقد ادخلت المدارس المركزية المؤسسة فى سنة 1794 تحت تأثير (Condorcet) كوندورسيالرسم والموضوعاتالعلميةمعميل الىالتقنية، وعملت عملا تمهيديا أثناء عشر سنوات ولكن فى سنة 1804 اغلقها نابليون واسس الليسيات التقليدية عوضا عنها ، وبذلك أضاعت فرنسا حظها فى قيادة أروبا فى التعليم التقني فى المرحلة الثانوية ، لقد كانت لدى فرنسا بعض مؤسسات من الدرجة الاولى ، ولكن التعليم التقني لتكوين فنيين من الطبقة الوسطى كالقادة العماليين ورجال الادارة ، كان غير كاف بالنسبة للحاجات العصرية . وحتى ما قبل الحرب العالمية الاولى بقليل كانت فرنسا تملك فقط ست (6) مدارس للفنون والصناعات ، وست (6) مدارس مهنية متوسطة وستا وثمانين (86) مدرسة مهنية أولية ، يتعلم فيها ما يقرب من 15.000 من البنين والبنات ، وفى سنة 1919 فقط الغي قانون استير (Astier) الذي اعطى للتعليم التقني صفته الرسمية حين ذاك ، وفى بضع سنوات اصبحت فرنسا مغمورة بالمدارس التقنية المهنية ، سواء منها التي تشتغل طول النهار او تشتغل بعض جزء من النهار على الطريقة الالمانية : (Brufshulen) ، واثناء السنوات الاخيرة قبل الحرب أخذ التعليم التقني بعد المرحلة الابتدائية مكانته بجانب التعليم الاكاديمي فى الليسيات والثانويات ، وفى عدة مدن كانت الدروس المهنية والاكاديمية منظمة على خطوط متشابهة فى نفس البنايات المدرسية ، وطبقا للنظام الجديد فان هذا الجمع بين التعليم التقني والاكاديمي سيكون الصبغة العامة لنظام التعليم الثانوي الفرنسي . وفى السلك الاول الثانوي من السنة الحادية عشرة الى نهاية الفترة الدراسية الاجبارية فى الخامسة عشرة ستكون الاشغال اليدوية والتدريب المهني الاول بنوع أعم المساعدين للتلميذ على ايجاد مهنته أو اختيار فرع من فروع المنهج النظري . وفى السلك الثاني النهائي من السنة الخامسة عشرة الى الثامنة عشرة اما أن يدخل الشاب الذي ناهز البلوغ الى فرع تجريبي من اجل التدريب على الفلاحة او الصناعة أو التجارة ، أو الى الفرع النظري الذي يجمع قسما تقنيا جنبا الى جنب مع قسم كلاسيكي عصري أو فني ، وبعد نهاية السنة الثامنة عشرة يدخل المتخرجون فى الاقسام النظرية الى المؤسسات العليا ، المدارس التقنية الخاصة أو المعاهد التقنية العليا ، وهكذا فى داخل جيل غيرت فرنسا بصفة جوهرية موقفها تجاه التعليم التقني من اهمال سابق الى اعتراف تام لمساواته للتعليم التقليدي الثانوي ، وقد وضع انشاء شهادة البكالوريا التقنية فى سنة 1946 طابعا قانونيا نهائيا على هذا التغيير ، ولقد تأثر التعليم العالي هو ايضا بمشروع لجنة لانجوفان .

تحت اشراف وزارة الشؤون الخارجية ، وانشئت مراكز التكوين الوطني والتدريب العسكري الاولي ، ولكن محاولة « فيشي » التي عرقلت حركات الشباب باءت بالفشل ، فلم ينخرط فى سلك هذه المنظمات الا حوالي ٪7 من الشباب الفرنسي ، وقد كانت المنظمات الحكومية تحت مراقبة الجماعات الفاشيستية والكاثوليكية ، وعلى العكس من ذلك تطورت حركة الشباب فى عهد التحرير بسرعة كبيرة ، وروعيت من قبل الكاثوليكيين والاشتراكيين والشيوعيين فى وقت واحد .

**21) فرنسا متمسكة بقيم ميراثها التاريخي .**

ان فرنسا تتطلع الى المستقبل بثقة تامة ، وتعمل على تأسيس قواعد تربوية مبنية على اساس تكافؤ الفرص ، وعلى العكس مما يجري به العمل فى ميدان التربية فى امريكا وروسيا نرى أن الفرنسيين يرغبون فى التمسك بالصفات العليا لتربيتهم المبنية على التقاليد الانسانية فلا الانتفاعية الامريكية (Pragmatism) ولا الماركسية الروسية كان لها الحظ فى أن تزعزع اركان قواعد الثقافة العامة لكل من جماعة الكاثوليكيين والعلمانيين على السواء، وبهذا الاعتبار يمكن ان تقارن فرنسا وبريطانيا فى ادخال اصلاحات جوهرية دون رفض لقيم الميراث التاريخي ..

**البيضاء ــ محمد الحمداوي**

### أوادم ... يحملون عقول البقر

اختلف اثنان فى غباوة الجماهير ، وسذاجة عقولهم ، وسرعة تأثرهم ، وتصديقهم لما يقال ، فاراد احدهما ان يبرهن لصاحبه على صحة هذا المذهب مستشهدا بالبيت المعروف :

لا يخدعنك اللحى ولا الصور    تسعة اعشار من ترى بقر ..

وحمل « بنديرا » وذهب مع صاحبه الى ساحة عمومية ، فدق على بنديره عدة نقرات حتى تجمع الناس حوله ، ثم تحدث اليهم عن الاخرة وعن الموت وعن العمل الصالح والجنة وروى لهم ما زعم انه حديث نبوي ، فقال : روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان من اخرج لسانه ولمس به ارنبة انفه دخل الجنة .. »

فلما سمعه الناس اخذ كل منهم يجرب تطبيق هذه الوسيلة التي ظن او ايقن انها تدخله الجنة : والتفت الرجل الى صاحبه وقال له : انظر اليهم كيف يتشبهون بالبقر ويخرجون السنتهم ليدخلوا الجنة ، هل صدقتني بان هؤلاء أوادم يحملون عقول البقر .

وستقبل فقط الطلبة الذين يحرزون على شهادة الليسانس ، وان شهادة التبريز التي كانت الى حد الآن امتحانا حكوميا خاصا من اجل خريجي الجامعات ستدخل فى الطور الجامعي كمرحلة ثالثة ، وسيحرز حريجو المرحلة الثالثة على دبلوم المدارس العليا ، والديبلوم الخاص للدراسات العليا او للبحث . وبهذه المناسبة يكون من المهم ان نلاحظ ان فرنسا كانت من زمن بعيد تملك مؤسسة قديمة للبحث العلمي هي (Collège de France) التي تحتل مركزا خاصا ، وهي مؤسسة حكومية تراقبها وتنفق عليها وزارة التعليم .

## 18) اساتذة التعليم العالي

وجميع الاساتذة فيها يعينون من قبل الوزير ، ويكونون من اصحاب الدرجات العالية التي تمثل جميع الخصائص الاكاديمية ، ولكن بالرغم من ان امر تعيين الاساتذة موكول الى الوزير فان كل استاذ حر تماما فى ان يقوم بأي مشروع للبحث وفى اي موضوع يختاره ، وهو ليس مجبورا على ان يدفع محاضراته او يعلن نتائج بحثه . غير انه فى واقع الامر يقوم بكلا الامرين والمحاضرات العمومية التي يقوم بها مختلف الاساتذة تكون عادة من مستوى عال يحمل جميع افراد النخبة المثقفة البارزية على الانصات اليها ، ولا توجد هناك امتحانات ولا شهادات ترتبط بهذه المحاضرات بل انها حرة عمومية ، وكرامة الاساتذة وسمعتهم الطيبة ، واعمالهم الممتازة ، هي جد عالية الى حد ان الحكومة عند ما تريد نصيحة من نوع خاص تلتفت الى الكوليج دي فرانس ، وبالرغم من انها تقع جنبا الى جنب مع السوربون ، ولها معها علائق ودية ، فانها مستقلة تماما عن جامعة باريز ، ان هذا الجمع بين المراقبة المركزة وبين الحرية المطلقة ليس له اي نظير فى بلاد اخرى .

## 19) تكوين المعلمين

ولقد كان النظام القديم لتكوين المعلمين فى فرنسا ينقسم الى قسمين ليس بينهما اي صفة من صفات الجمع ، وكان هذا التقسيم الصارم ينعكس على حالة التعليم الابتدائي والثانوي القديمين ، فمعلمو المدارس الابتدائية كانوا يكونون فى مدارس المعلمين التي كانت عادة تقبل التلاميذ من المدارس الابتدائية العليا بعد ان يكونوا قد احرزوا على شهادة الثانوية الاولية ويكونون قد بلغوا سن السادسة عشرة تقريبا ، وبعد امضاء ثلاث سنين فى التكوين النظري والعملي يحرزون على الشهادة الثانوية العليا ، التي تؤهلهم للاحراز على وظيفة مؤقتة كمعلمين فى المدارس الابتدائية ، وبعد قضاء فترة من التدريب يعينون فى وظائف دائمة ، اما معلمو المدارس الثانوية فانهم يكونون تكوينا يختلف تمام الاختلاف ، ولمدة اكثر بالنسبة الى معلمي المدارس الابتدائية ، فهم ملزمون بأن يكونوا من حاملي شهادة البكالوريا ، وان يدرسوا من اجل الاحراز على شهادة الليسانس فى الجامعات ، والذي يحرز على شهادة ليسانس المعلمين من احدى الجامعات يستطيع أن يعين استاذا فى احدى المدارس الثانوية لتدريس المادة التي تخصص فيها ، اما استاذية الليسيات فانها تستلزم دراسة ابعد ، وجدارة زائدة بالاحراز على شهادة التبريز التي كانت امتحانا حكوميا فى شكل مباراة صعبة تقابل الشهادة الجامعية التي هي الليسانس ، ولم يكن يسمح من قبل الحكومة بالاحراز على شهادة التبريز الا لعدد محدود بناء على الاماكن الشاغرة فى الليسيات والادارات . وقد كانت مجموعتا معلمي الابتدائي والثانوي تشكلان طبقتين تتباينان فى كلتا الناحيتين الاجتماعية والثقافية بحيث كان من المستحيل أن يكون بينهما اي تبادل للفائدة . وباحداث المدرسة الموحدة اصبح من الضروري الاحراز على مهنة تعليمية موحدة مؤسسة على تقاليد مشتركة وتكوين مشترك ، ومن اجل هذا العرض اقترحت لجنة لانجوفان ان تلحق مدارس المعلمين بالجامعات كجزء من الطور الاول مع ادخال بعض المواد التي يشملها برنامج البكالوريا ، اما معلمو المدارس الثانوية فينبغي ان يلحقوا بالطور الثاني للاحراز على شهادة الليسانس ، وتلحق النخبة المختارة منهم بالطور الثالث للاحراز على شهادة التبريز ، وبهذه الطريقة يتمكن جميع المعلمين من الاحراز على تعلم جامعي ، ويكون نقلهم من مجموعة الى اخرى سهلا .

## 20) التربية الشعبية

وعندما تحررت فرنسا انشىء فى وزارة التربية الوطنية قسم للتربية الشعبية والاعتناء بالشباب ، وكانت مهمة هذا القسم تأسيس مراكز ثقافية فى جميع المدن الكبرى لتعميم الثقافة بين جميع البالغين ، وانشاء مؤسسات ومراكز ثقافية تكون تحت تصرف حركات الشباب ، وفى عهد حكومة « فيشي » اصبحت كل مؤسسات الشبيبة والرياضة

اقامها فيصل بعد اعلان الهدنة للحرب العالمية الاولى. فلما سقطت هذه الحكومة واستولى الفرنسيون على سوريا ، عاد الشيخ رشيد رضا الى مصر واعاد اصدار المنار الذي كان قد توقف ثمة ، حيث بدات مرحلة جديدة من حياة الشيخ رشيد وحياة المنار . اما هذه المرحلة فتتمثل فى تعليق الامال بالدعوة الوهابية وحكومة مكة وخلفاء الشريف حسين فى الجزيرة العربية ، وقد امتدت هذه المرحلة الى نهاية حياة صاحب المنار .

وقد كان الشيخ رشيد يجمع بين العمل فى ميدان الفكر الاسلامي والقضايا السياسية فى العالم الاسلامي فهو يفسر القرآن ويكمله مراحل بعد وفاة الشيخ محمد عبده ويسير على منهجه وان خالفه فى بعض آرائه ، فهو وان كان امتدادا له فى النظرة العامة غير انه كان له طابعه الاستقلالي الواضح ، ذلك ان الشيخ رشيد رضا لم يكن من خريجي الازهر اصلا ، ولا مصري الجنس ، فهو ليس مشغولا باصلاح الازهر، ولا بالقضية المصرية الوطنية ، ثم هو واضح الاهتمام بالحكومات العربية ، وقضايا العالم الاسلامي ، وهو فى مجال الدراسات الاسلامية له طابعه الذي يختلف عن طابع الشيخ محمد عبده ، فهو اعمق منه فى مجالات قضايا الفقه والتشريع ، ومراجعات المذاهب والاقضية ودقائق المسائل والفتاوي والعلل ، فهو فقيه متبحر ، قرأ اختلافات الائمة والفقهاء ومساجلاتهم ووجوه النظر المختلفة بين المذاهب الاربعة وغيرها من المذاهب ومن هنا جاءت نظرته اعمق من نظرة الشيخ عبده الذي كان يعالج القضايا الكلية ويلجأ الى المنطق والنظرة الفلسفية الشاملة باعتباره مصلحا اسلاميا يواجه قضية اساسية : هي « قدرة الاسلام على مواجهة العصر والحضارة دون التخلف عنها » اما السيد رشيد فقد تحول عن هذه النظرية الكلية ثمة ، واغرم بدقائق المسائل ومراجعة التفصيلات .

ومن هنا بدا الشيخ عبده اوسع افقا ، بينما بدا الشيخ رشيد اعمق نظرة ويرجع هذا الى الطابع النفسي والفكري لكل منهما ، غير ان دعوة الشيخ محمد عبده الى تجديد الاسلام وفتح باب الاجتهاد قد وجدت صدى بعيد المدى فى مختلف اقطار العالم الاسلامي ، فى كل قطر من يحمل لواءها ويرفع شعاراتها ، غير ان الذي اعطى هذه الحرية اتساعها وعمقها واستمرارها ، انما كان هو الشيخ رشيد ومجلة المنار التي تعتبر مدرسة هذه الدعوة وبؤرتها ، وقد امتدت بعد وفاة الشيخ عبده بثلاثين عاما كاملة . ومن هنا كان للشيخ رشيد تلك المكانة المرموقة والتقدير الاوفى .

وليس لهذا فقط تألق اسم الشيخ رشيد رضا ، وانما كان هو فى جوهر شخصيته ، وطابع فكره ، عالما ممتازا ، موسوعيا ، فقد احاط بالتراث الاسلامي احاطة ضخمة ، وعميقة ، مستوعبة ، واستطاع ان يهضم هذا التراث وتمثيله ، وكانت له همة ضخمة ، وعزيمة حية ، وجلد لا حد له على العمل، وصبر لا حد له فى احتمال المتاعب من اجل استمرار مجلته ، فهو يستدين ، ويواجه الصدمات والعقبات ، فلا يزال يواجهها بصمود عجيب ، حتى لا يتوقف ، وهو صاحب اسلوب بليغ سمح ، له طابعه ودلالاته ، وله قدرة قوية على الافاضة والتوسع وتقليب الراي ، وتعدد الجوانب ، وعمق النظرة ، فكانت كتاباته مستفيضة ، ولم يكن يقف نشاطه الى حد اصدار مجلة المنار ، بل لقد خلفت الصحف اليومية بكتاباته فى مختلف المناسبات والقضايا والمواقف ، فهو حي دائما ، متحرك دائما ، يخطب ويحاضر ، ويناقش خصومه ، ويقترع المساجلات ويدخل المناظرات ، وله باع واسع فى الجدل والمصاولة ، وقدرة على كسب الرأ ي العام الى صفه ، وله سمت انيق رقيق ، ومواقف ، ومجاملات تخلق له جو الصداقة ، حتى كانت الصحف التي تختلف معه فى الراي ، تكتب عنه وتجامله ، وتذكره ، وكان هو الى طابعه الاسلامي العربي ، لا يتوقع فى الافاق الضيقة ، بل يكتب فى الاهرام ، وتهتم به صحف دار الهلال ، ويشارك فى احتفالات المقتطف ، وقد كان للصحافة السورية فى مصر تقدير متبادل مهما اختلفت وجهات نظرها .

ومن هنا عاش رشيد رضا مرموق المكانة فى عالم الدراسات الاسلامية ، والقضايا العربية والاسلامية ، وكانت دار المنار حافلة بالمطبوعات ، والاعلام ، الذين يقدمون من كل مكان .

ولقد ارخ السيد رشيد لنفسه ورسم مطالع حياته فقال انه فطر على حب الاصلاح، وانه كان سريع الفهم قوي الحفظ للمعاني والمعقولات . وقد طلب العلم فى اول حياته بمطالعة كتب الادب وكتب النصوص ، وكان احبها اليه « احياء علوم الدين » للامام الغزالي .

يقول : « فهو الذي طالعته وكنت اكثر مراجعة وقراءة بعض ابوابه عودا على بدء ، ثم صرت اقراه للناس ، فكان له اكبر التأثير فى ديني واخلاقي وعلمي،

رجل احبه المغرب واهتدى بمناره

# العلامة الامام رشيد رضا 1865/1935

بقلم الاستاذ أنور الجندي

يمثل السيد رشيد رضا نموذجا لمجموعة من الموسوعيين فى مجال الصحافة والفكر العربي المعاصر ، هؤلاء الذين اتاحت لهم فسحة العمر انشاء صحف شهرية عاشت السنوات الطوال وحوت عصارة العصر كله . واصبحت من بعد ذلك مرجعا اساسيا لكل باحث لا يستغنى عنها ، فالمنار الذي انشأه الشيخ رشيد رضا عام 1899 قد عاش الى وفاته «37 سنة» وشأنه فى هذا شأن الهلال الذي اصدره جرجي زيدان ، والمقتطف الذي انشأه الدكتور صروف ، والعرفان التي اصدرها احمد عارف الزين، والمشرق الذي حرره الاب لويس شيخو ، فهذه اعمال فردية ضخمة عاشت طويلا واصبحت مراجع هامة للباحثين تمثل قطاعا ولونا وطابعا فى حياة الفكر العربي المعاصر .

اما « المنار » فقد اصدره الشيخ رشيد فى ظل الاستاذ الشيخ محمد عبده لسانا للاصلاح الاسلامي الذي كان يدعو اليه وعلامة على ذلك الطريق من العمل لتجديد الاسلام وفتح باب الاجتهاد والربط بين الدراسات الاسلامية وبين معالجة قضايا العالم الاسلامي السياسية .

ذلك ان الشيخ رشيد كان قد قدم من الشام فالتصق بالشيخ عبده وتتلمذ عليه واصدرالمنار فى مجال خدمة الدعوة التي يحمل لواءها المفتي ، والتي كان لها طابع بعد الثورة العرابية والاحتلال البريطاني لمصر، وكان الامام قد بدا برنامجا جديدا للتجديد الاسلامي تتصل فى مجال تطوير اللغة العربية والدفاع عن الاسلام وتفسير القرآن تفسيرا عصريا يربط بين الاسلام وبين الحضارة .

وفى خلال السنوات الست « 1899–1905 » التي عاشها رشيد رضا فى ظل الامام ، استطاع ان يرسم صورة واضحة لمفاهيم الفكر العربي الاسلامي فى خطواته نحو اليقظة والتجديد . وكان الشيخ رشيد فى هذه الفترة ملتزما بمنهج الشيخ محمد عبده ، مواليا له ، معتنقا آراءه ، ومرتبطا بأوليائه وخصومه على السواء ، ومن هنا كان موقف الشيخ رشيد والمنار ، هو موقف الترفق بالاحتلال البريطاني ، ومس القضايا التي ترتبط به مسا خفيفا ، وكانت كذلك خصومته لمصطفى كامل والحزب الوطني ، وخصومته ايضا للخديوي ، وكان هذا التيار هو بؤرة المفاهيم التي حملها لطفي السيد فى « الجريدة » وحزب الامة من بعد .

غير ان هذه المرحلة تنتهي فى حياة الشيخ رشيد رضا بوفاة الشيخ محمد عبده لتبدا مرحلة جديدة مع تطور الاحداث يبدو منها طابع القومية العربية مرتبطا بالاسلام فى ظل الحركة التي انبعثت فى الشام للتحرر من النفوذ العثماني . ومن هنا وجدت المنار طريقها الى المشاركة فى هذا القطاع والتبريز فيه ، حتى ليمكن ان يكون هو المرحلة الثانية لتطوره الفكري ، فما ان صدر الدستور العثماني سنة 1908 وسقط السلطان عبد الحميد سنة 1919 حتى بدا الشيخ رشيد رضا وله موقف عثماني عربي مصري ، هو موقف الدعاة الى اللامركزية واصحاب فكرة المؤتمر العربي الاول سنة 1913 الذي عقد فى باريس .

وقد انتهى هذا الموقف بموالاة الثورة العربية التي اعلنها العرب بقيادة الشريف حسين ثم كان عضوا فى الحكومة العربية السورية الاولى التي

وقد اتخذ الشيخ رشيد رضا من مجلة المنار سجلا لاحداث عصره ووقائع حياته ، وهي حياة خصبة عريضة ، تعرف فيها باعلام الفكر والحكم والسياسة في العالم العربي الاسلامي كله وخدم قضايا الحرية في المغرب والجزائر وسوريا والهند، وقد اتاحت له رحلاته خبرة وتجربة ، فقد رحل خمس رحلات الى اوربا والاستانة والحجاز «مرتين» والهند وكتب عن هذه الرحلات صفحات تدخل في باب دراسة الادب وفن الرحلات ، فقد سجل انطباعاته وآراءه ومشاهداته بتوسع ويمكن ان يقال ان تراثه يتمثل في ثلاث قطاعات :

1 — « مؤلفاته ، وفي مقدمتها « تفسير المنار » و « الوحي المحمدي » و « نداء للجنس اللطيف » ، و « تاريخ الاستاذ الامام » ، وله مؤلفات عن الوحدة الاسلامية والخلافة والسنة والشيعة ، ومناسك الحج وحقيقة الربا .

وله منظومة شعرية طويلة اطلق عليها « المقصورة الرشيدية » .

2 — مجلدات جريدة المنار : وهي 33 مجلدا « 1899 — 1935 » وتضم اكثر من 160 الف صفحة.

3 — رسالة الى اصفيائه واصدقائه في مختلف انحاء العالم العربي ، وقد استطاع الاستاذ احمد الشرباصي ان يقدم منها مجموعة كبيرة في دراسته عن « رشيد رضا » ولديه مجموعة اخرى ستنظمها دراسته الضخمة عنه .

* * *

ويصور الامير شكيب ارسلان مقدرة رشيد رضا وصبره على كتابة الرسائل فيقول : « لم اكن ارى في عصرنا هذا اصبر على الكتابة واجلد على الشغل واسيل قلما واسرع خاطرا من الشيخ رشيد فلو وزعنا ما كتبه بقلمه وبخط بنانه في حياته على خمسين كاتبا لاصاب كل منهم قسطا يجدر ان يجعله في صف المؤلفين العاملين ، وهو لا يضيع دقيقة واحدة من وقته ، وانه يتلقى اكثر من الفي مكتوب على دور السنة فيجيب عليها كلها ، ويكتب زيادة عليها مائتين الى مائتين وخمسين مقال في دور السنة وينشر من التأليف بضعة آلاف من الصفحات المطبوعة تأليفا ، فلست اذا لاغبط احدا من الخلق على شأو بعيد في الجد ولا محصول غزير من ثمرات الاقلام ، ولا ادعي مجاراة السيد رشيد في هذا الشأو ، فقد كان يكتب جميع ما يكتبه بخط انامله ، ومما ادهشني ان كتابه الاخير الذي كان قبل وفاته بايام قلائل ، وكان يشكو الي فيه المرض، وهو ايضا بخطه » .

**القاهرة — انور الجندي**

**على قدر الهوى ....**

وكل الناس مجنون ، ولكن
على قدر الهوى اختلف الجنون

وعملي ، ثم صرت اتأثر به تأثير صالح نافع في اكره ، ضار في اقله وقد عالجت الضار منه بعد العلم به ، فما كان فيه من خطأ علمي فقد رجعت عنه بالتدريج بعد اشتغالي بعلم الحديث .

وقد نظم الشعر واشتهر به في مطالع حياته ، وكانت له سليقة في اللغة وتعلم على الشيخ حسين الجسر ، عالم الشام اذ ذاك ، والذي كان له المام واسع بالعلوم العصرية .

ويرى للامام الغزالي فضل عليه « فانه كان قد علق بنفسي من كلامه في شرح عجائب القلب ما ضرب به من المثل للفرق بين العلم الذي يصل الى القلب او النفس من طريق الحواس ، والعلم الذي يتفجر منه بتطهيره من الصفات المذمومة والافكار الرديئة حتى يكون كالمرآة الصقيلة . بان مثل الاول كالماء الذي يجري من السواقي المحفورة الى حفرة او بئر يجتمع فيه مع ما يحمله في طريقه من الفتاء والوحل ، ومثل الثاني كماء الينبوع الذي يتفجر من الصخر » .

وقد اشار الشيخ رشيد الى انه طلب العلم ليكون معلما ومرشدا ، وانه من اجل ذلك لم يقصد به مالا أو شهرة ، وانه قصد الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما يعتقد انه الحق ، وقد اهتدى الى غايته بعد الغزالي بالعروة الوثقى واساتذته هم : حسين الجسر ، جمال الدين الافغاني ، محمد عبده .

ثم عزم على لقاء جمال الدين الافغاني « لتكميل نفسه بالحكمة والجهاد في خدمة الملة » الذي توفي عام 1893 قبل ان يلقاه فاستقر فعزم على الهجرة الى مصر ، والاتصال بالشيخ محمد عبده ، لما فيها من حرية العمل واللسان والقلم .

وقد حقق امله فوصل الى مصر عام 1898 والتقى بالامام في القاهرة بعد وصوله فكان ذلك فاتحة حياته الفكرية في انطلاقها الى الافاق التي كان يتطلع اليها وكان في سن الثالثة والثلاثين ، اذ ذاك .

وفي ضحوة اليوم التالي « لوصوله الى القاهرة » ذهب لزيارة الشيخ محمد عبده في داره بالناصرية واستشارته في انشاء الصحيفة التي كان يرغب في تحريرها وذكر عدة اسماء لها فاختار لها الاستاذ الامام اسم «المنار» .

يقول : فكتبت فاتحة العدد الاول بقلم الرصاص في جامع الاسماعيلي «مارس1898» وعرضتها عليه فارتضى ما كتبته الا كلمة واحدة وهي تعريف الامة بحقوق الامام والامام بحقوق الامة فقال ما معناه ان المسلمين اليوم لا امام لهم الا القرآن ، واقترحت عليه تفسير القرآن ، ينفخ فيه من روحه ، فاعتذر . وظل يوالي دعوته ، حتى اقتنع وبدا دروس التفسير في « 10 المحرم 1317» وانتهى منه في منتصف «المحرم 1323» عند تفسير « وكان الله بكل شيء محيطا » الاية 36 من سورة النساء ، وكان قرا زهاء خمسة اجزاء في ست سنين ثم توفي الامام، فشرع رشيد رضا في محرم 1318 يكمل التفسير وفي رأي بعض الباحثين انه فاق استاذه .

ويرى الشيخ محمد احمد شاكر : ان الشيخ محمد عبده كان حكيما عظيما ، وروحا وثابا ولكنه لم يكن مطلعا على السنة النبوية اطلاعا كافيا ، ولا يكون المفسر للقرآن مفسرا حقا الا بالتوسع في دراسة الحديث النبوي ، والتشبع منه » وقد اتم الشيخ رشيد تفسير « 12 جزءا » من اجزاء القرآن ونشر بعض آيات من اول الجزء الثالث عشر ، ويرى بعض الباحثين : «1» « انه التفسير الاوحد الذي بين للناس اوجه الاهتداء بهدي القرآن... وان الشيخ رشيد اوتي من الاطلاع على السنة ومعرفة عللها ، وتمييز الصحيح من الضعيف ما يجعله حجة ونفسه في هذا المقام ، وما ارشده الى فهم القرآن حق فهمه ، في الرد على الشبهات ، واقوال الماديين ومسائل العمران والايات الكونية » ويرى الاستاذ محمد مصطفى المراغي : ان رشيد رضا كان محيطا بعلوم القرآن وقد رزقه الله عقلا راجحا في فهمه ، ومعرفة اسراره وحكمه ، واسع الاطلاع على السنة واقضية الصحابة ، وآراء العلماء ، عارفا بأحوال المجتمع ، والادوار التي مر بها التاريخ الاسلامي ، وكان شديد الاحاطة بما في العصر الذي يعيش فيه ، خبيرا بأحوال المسلمين في الاقطار الاسلامية ، ملما بما في العالم من بحوث جديدة ، وبما يحدث من المعارك بين العلماء واهل الاديان . وبذلك كان اكبر المدافعين عن قواعد الاسلام ، واشدهم غيرة عليها ، ولم يكن له مبدأ جديد في الاسلام حتى يصح ان يقال انه له مذهبا ينسب اليه ، بل كان مبدؤه جميع علماء السلف ، وهو التحاكم الى الله ورسوله » .

1» مجلة المقتطف : اكتوبر 1935 احمد محمد شاكر .

جميع الكائنات الاخرى تدور في فلكه . وتجري في ركابه

ونحن نتعشق نفوسنا منعكسة على اعمال الشعراء ، مهما كانت نقائصها وعيوبها ، بالقياس الى مزاياها وحسناتها وكيف يمكننا ان نفعل غير ذلك . اذ لا نملك قوة الانفصال عنها شبرا واحدا لننظر اليها بشيء من الموضوعية ؟ قد نعرف ان لنفوسنا نواحي ضعف ، وقد لا تروقنا بعض حالاتها . ونود لو استطعنا التخلص منها ، ولكن العجب كل العجب . اننا تاخذنا النشوة عند ما نعثر على ضعفنا نفسه في كلمات شاعر . بعامل المشاركة الوجدانية التي لا تترك الانسان يشعر بانه وحيد في بأسائه . وبعامل الصياغة الفنية التي تستمد من الضعف قوة . فنستق منه هذا الجمال الفني الذي يجعلنا ننظر الى نقائصنا نظرة فيها قليل او كثير من الشاعرية اهي احدى حيل الطبيعة ، تعوض الانسان عما فاته من وسائل القوة ؟ ام هي احدى حالات زوال الفوارق بين القوة والضعف في حياة الانسان النفسية ؟ لست ادري ، ولا المنجم يدري ولكن الذي نستطيع ان نحققه ونطمئن اليه ، هو انه لا يمتعنا شيء كما يمتعنا ان نجد نفوسنا حسناتها وسيئاتها . فيما نقرأ من الوان الادب والشعر .

ولكن لما ذا هذا التعشق للنفس . في آيات الفنون؟ لعله راجع الى غريزة اثبات الذات . الكامنة في نفس الانسان . يتجلى ذلك منذ طفولتنا الاولى . ويتدرج معنا في مراحل العمر المختلفة ، تزيده التجربة والخبرة بالحياة متانة ورسوخا واحتيالا وتفننا في التماس الوسائل الكفيلة باثبات الشخصية

بيد اننا عند ما نقرأ الشعر . لا نجد نفوسنا وحدها وانما نجد ايضا نفوسا اخرى تتفق معنا في اشياء ، وتختلف عنا في اشياء اخرى . ومع ذلك نحرص اشد الحرص – متى كنا قارئين جادين – على معرفة هذا الذي نختلف فيه ، كما عرفنا ما اتفقنا فيه ، وذلك لنزداد ادراكا لنفوسنا . عند مقارنتها بغيرها ، ولنتبين المنازع الكامنة في عقلنا الباطن ، اذ يكشف النقاب عنها ما يواجهنا في نصوص الشعر من الطبائع والملامح النفسية غير المألوفة لدينا . ودائما يؤدي اصطدام الطبائع المتنافرة والتحامها الى استثارة رواسبها البعيدة لتقذف بما فيها من اسرار كامنة . تنتظر الفرص المواتية لظهورها على مسرح الحياة النفسية في وضوح .

فانت مثلا قد تكون عفيفا تقيا ورعا فتقرأ شعر عمر ابن ابي ربيعة الفاجر ، فتلفي نفسك ازاء نفس اباحية فاجرة . ولكنك قد تكتشف اخيرا ان هذه الاباحية لها اصول في اعماقك ، تتجاهلها تحت تأثير التربية والراي العام والجو الاجتماعي وارث السنين من النصائح والوصايا والمواعظ وقس على ذلك . افلا يكون الشعر – على هذا الاساس – يزيدنا معرفة بنفوسنا ، وتتوفر لنا فرص ذلك ، كلما اقبلنا على الشعر نقرأه في نصوصه المتنوعة ، الممثلة لشتى الاتجاهات والميول؟ ولكن اية معرفة هذه ؟ وما وسائلها وطرائقها ؟ في الحقيقة هناك اختلاف كبير بين قراء الشعر في هذه القضية . فهناك القارئ الهاوي ، الذي لا يقف عند نصوص الشعر ليدرسها بأدوات الباحث المدقق ، وانما هو ياخذها كيفما اتفق ، ويترك نفسه تحت سلطانها السحري ، يتلقى ما يصدر عنها من مشاعر واحساسات وحسبه هذا الانتشاء اللذيذ الذي يحصل له حينئذ ، وهو في هذه الحالة لا يصرف نفسه في نصوص الشعر معرفة تحمل ادوات المعرفة ووسائلها ، فان هي الا معرفة استبطان ذاتي ، تجري في غموض وابهام وهناك من يقرأ الشعر حاملا ادوات المعرفة الدقيقة ، فكل شيء عنده بأصول ومقاييس ، واكثر قراء الشعر من القبيل الاول ، وذلك لان وسائل البحث الجاد عسيرة وثقيلة التكاليف ، ولان جل قراء الشعر ما زالوا يعتقدون ان قراءته انما هي مسألة متعة روحية خالصة لا تصحبها مصاعب الدرس الشاقة ، ولان الشعر نفسه يذهب رواؤه وجماله الفني ، عند ما تقطع اوصاله استجابة لطرق البحث الدقيقة ولكن سواء قرأنا الشعر على النهج الاول والثاني ، فدائما نجد عنده شيئا من انفسنا ، فنعرفه معرفة دراسة وبحث ، او معرفة تلقي واستجابة

واهمية الشعر لا تقف عند هذا الحد من معرفة النفس ، وانما تمتد الى طبيعة اتصالها بمظاهر البيئة الطبيعية والاجتماعية . فهذه المظاهر التي تحيط بنا وتتصل بحياتنا وتؤثر فينا تاثيرات مختلفة ، قد نقضي في صحبتها سنين عديدة من حياتنا ونحن في غفلة عن اسلوب تأثرنا بها ، واستجابتنا لمعطياتها ، وعن ابعادها

# لماذا نقرأ الشعر؟

للاستاذ : عبد العلي الوزاني

- 3 -

ان من خطل الرأي الادعاء بامكان الاحاطة بجميع البواعث التي تجعل الناس يتعشقون الشعر ، ذلك ان الاستجابة الخاصة بكل قارىء ، لها دخل كبير فيما يعنيه الشعر بالنسبة اليه ، فللشعر من المرونة والطواعية ما يجعله انعكاسا لمجموعة كبيرة من الناس ، في الوقت الذي يجيء فيه انعكاسا لانسان معين ، هو قائل الشعر فالعمل الشعري الواحد يبكي قوما ويسر اخرين ، مع اختلاف دواعي البكاء والسرور وملابساتهما النفسية لذلك فمهما بذلنا من جهد قصد محاولة البحث عن بواعثنا كعشاق للشعر ، لا نستطيع ان ندعي الاحاطة بها اذ دائما تبقى هناك بواعث اخرى ، لا تقوى تجربتنا المحدودة على استيعابها جملة وتفصيلا ولكن هل يكون معنى ذلك اني اتحدث عن وجهة نظر خاصة لا علاقة لها بوجهات النظر الاخرى في هذا الموضوع ؟ اذن كان يجدر بي الا اتجاوز ( الأنا ) الى ( النحن ) في سياق هذا الحديث

والواقع ان البواعث الادبية الاصيلة مائة في المائة لا توجد بالمرة ، وذلك لما تقتضيه الاجهزة النفسية الاساسية للانسان ، وما تستدعيه المعاصرة ، والتأثر بظروف مشتركة من تشابه الناس في العواطف والاحساسات ، وعلى هذا فانا اذ اتحدث عن بواعث قراءة الشعر ، فانما اندفع من حدود مشاعر واحساسات ، يشاركني اياها مجموعة من الناس ، بقطع النظر عما يكون من تفاوت بين استجابتي واستجاباتهم ، لا ينفي ما بيننا من بواعث مشتركة ، تصدر عنها احكام مشتركة .

واينا يجادل في ان من بواعث تعشق الشعر ، هيامنا بانفسنا وافتتاننا بهواجسها وشكوكها ووساوسها ؟ وما ذا نبغي من وراء قراءتنا لقصيدة الشاعر سوى البحث عن ملامح نفوسنا في كلماته واصدائه ، اذا عثرنا عليها لم تسعنا الدنيا فرحا وحبورا ، واذا لم نتبينها عدنا من القصيدة بخيبة مريرة ، قد يزول اثرها اذا نحن عاودنا قراءتها في ظروف نفسية اخرى ؟ والشعر نفسه انانية مهذبة ، والشاعر نفسه كائن اناني ، يهيم بنفسه ، ما يلبث يجس نبضها ، ويتغنى خواطرها وانطباعاتها عن هذا العالم ونحن قراء الشعر لا نقل انانية عن الشاعر ، نتغنى انفسنا على لسانه ، ونبحث عن اسرارنا بين سطوره وخلال كلماته ومن ثم يكون اقرب الشعراء الينا ذلك الذي نقرأ كلامه او نسمعه ، فنخاله صادرا عنا تتمثل فيه ذاتيتنا وملابساتنا النفسية ، فاذا نحن الفينا انفسنا ازاء شاعر غريب عنا في تصوراته وجوه العاطفي ، فقد نزور عنه اذا لم يكن عندنا نصيب كبير من الروية وسعة الصدر ، والصبر على نزوات نفوس الاخرين

وهذا التفاني من الانسان خالقا للشعر وقارئا له . في البحث عن نفسه والتغني بمشاعرها ، هو في الحقيقة سر هذا الكلف الشديد بالفن الشعري وكذا بقية الفنون الجميلة وهو يعتبر دليلا على القوة وعلى الضعف بالنسبة الى الانسان في وقت واحد . فهو دليل ضعف ، لان الانسان يقف من نفسه موقف الخادم ، يتلقف كل ما يصدر عنها من هاجس او خاطر او احساس ، ويذهب يصنع منه آيات الفن والجمال ، وهو دليل قوة ، لانه وسيلة الانسان لتأكيد وجوده في هذا العالم ، وفرضه شخصيته على كل ما يحيطه من مظاهر الحياة والطبيعة فانت اذ تتملى آيات الفنون الجميلة ، تجد الانسان عملاقا يمتد طولا وعرضا في آفاق الايام والسنين ، جاعلا

اخرى ، ذلك ان نفس الانسان لا ترتاح لحظة واحدة في صراعها مع ظروفها والحياة ، همومها يتولد بعضها من بعض ، ويستدعي بعضها بعضا ، ويجلو منها شيء ليحل محله شيء جديد ، وهكذا نستطيع ان نفهم كيف يمكن ان يسلينا الشعر من جهة ، ليثقل كاهلنا بحمل جديد قد نعاني منه زمنا . وقد قلت انه لا خير في الشعر اذا هو لم يحملنا هموما جديدة ، وعلى ان اقيم الدليل على هذا الزعم ، والمسألة في منتهى البساطة . فالشعر الصحيح تطلع الى المجهول ، وكشف عن اسرار الاشياء الجميلة ، وتشوف الى المستقبل الغامض ، واستبطان لاعماق الانسان وتعبير عن ازمات الروح والضمير ، ودعوة الى تعشق الكمال ، ونفور من البشاعة في شكلها المادي ، او في وجودها المعنوي . وفي اشعار قاريء الشعر بعض هذا لا بهذا كله ، مدعاة الى اخراجه من جو الراحة النفسية ، ورمية بين ملتقى رياح اربع . لا خير في العمل الشعري الذي تنتهي منه لتستسلم للنوم ، او تحملق في الفضاء كالابله ، ما دام الشعر تفجيرا للطاقة الانسانية ، واثارة للمعاني القوية

قد يتصدى معترض للرد على هذا الكلام فيقول : ان الحياة في سيرها العادي كفيلة بان تغرق الانسان في بحر من الهموم التي لا تنتهي ، فما حاجته الى الشعر يلتمس فيه هموما ان هي الا انعكاس لهموم الحياة اليومية ؟ وهي مغالطة لا تثبت امام البحث حقيقة ان هموم الشعر من هموم الحياة ، ولكن الفرق بينها وهي ضمن الواقع ، وبينها وهي في نصوص الشعر ، هو الفرق بين الطبيعة باعتبارها شجرة او جبلا او بحرا ، وبينها وهي مصورة في نصوص الشعر الجيد ، العمل الشعري اذ يتناول الشيء في النفس او الطبيعة ، يعطينا نموذجه المثالي ويستفيد من خصائصه ومميزاته لابرازها في ادق نواحيها ، هذا بالاضافة الى ما تضفيه عليها روح الشاعر من طابع خاص ، يجليها في شكل طريف ومن هموم الحياة ما يعيشه الناس فعلا ، ولكنهم لا يفطنون اليه ، ولا يشكل ( ازمة ) بالنسبة اليهم ، تحملهم على النظر في شؤونهم نظرة الناقد ، حتى يجيء الشعر فيمكنهم من ذلك .

وبين سلوتنا عن هموم ، وامتلائنا بهموم قصة طويلة من التوجس وكذب الظنون ، وخداع الاماني ، ووساوس الاحلام ، وانتظار المفاجآت . وما الى ذلك من الحالات النفسية التي تتبدل باندفاعنا وراء الكلمات الشاعرة ، نجس نبضها ، ونحياها ملء كياننا كله

والهموم الشعرية ليست ـ كما قد يتبادر الى الذهن ـ نوعا من الترف الذهني والنفسي ، بحيث تعتبر تظرفا فنيا وعرضا من اعراض الذهنية الخاملة وسلبية الارادة ، وانما هي تعبير عن النزوع الى الحرية والانعتاق من طغيان المادة ، وجبروت الآلة ، وارتفاع بمستوى المشاغل الفكرية والروحية الى مستواها الرفيع هي رفض الانسان لحيوانيته ، وامتداد لافقه الانساني

ومن حسنات الطبيعة انها لم تعمم هذه الهموم على جميع البشر ، وانما اوقفتها على طائفة محدودة من الناس ، ولو عممتها لكنا نعيش في عالم مجنون . لا يعرف شيئا من الاستقرار والتوازن . ولا يكون فيه مجال للحقائق الصغيرة البسيطة ، التي تشغل حيزا كبيرا من حياة الناس ، وبوجودها تنتظم الحياة في سيرها العادي بل لو عممتها لما كان لها هذا السحر ، وهذا الرونق الذي تبدو عليه ، في عالم يتسع لصغار الاشياء وتوافه الامور ، مما يساعد هذه الهموم على الاستبداد بطائفة من الناس ، ملت ما جريات الحياة العادية ، فحنت الى جو الايحاء والاشراق الروحي ، جو الشعر والشعراء تعادلية الحياة بين المتناقضات والمفارقات ، بين المادة والروح ، والجوهر والصورة ، والحرية والعبودية الخ هي السر في استمرار الحياة بشكلها المعهود ، لذلك ما احس احدنا بهموم شعرية فرضت سلطانها عليه ، منتجا للشعر او قارئا له ، الا وشعر بشيء من الغربة في العالم المحيط به ، اذ بقدر ما تنف تأملاته وخواطره وتطلعاته الروحية الى الكامل والسامي والامثل ، بقدر ما تظهر بشاعة الحقائق الصغيرة التي يجري الناس من ورائها لاهثين متزاحمين بالمناكب ، في كل زاوية ودرب ومنعطف . وهو حينئذ اما ان يعترف بمنطق الحياة ويحاول التوفيق بين نفسه والجو الاجتماعي المحيط به ، واما ان يستسلم لنوع من البوهيمية اللامبالية ، التي تحمل اليه فيما تحمل : الملل والقنوط والسخط على كل قيد او نظام ، وهو فشل وقع فيه الكثيرون من منتجي الشعر وعشاقه على السواء

ومفارقتها وما يكمن فيها من اسرار الجمال ، الى ان يجيء الشاعر المبدع ، ليرفع الحجب عن هذا كله ، ويجعلنا نشعر بالصداقة لما حولنا ، نأتنس به ، ونستوحي منه ، ونستمد عناصر تكويننا الفني ، وقد يستطيع ان يجعلنا ننظر الى تلك المظاهر ، وكأننا نراها للمرة الاولى ، وهكذا يمكننا الشعر من تجديد اتصالنا بالحياة والاشياء .

نعم ، ان للعلم فضلا كبيرا في الكشف عن صلة الانسان بالعالم المحيط به ، ولكن طريقة العلم لدقتها تستطيع ان تقنع العقل وتملأ الذهن ، ولا تستطيع ان ان تؤثر في المشاعر وتملا القلب ، ونحن نود ان نجد نفوسنا وتتمثلها تمثلا شاعريا في موقفها من الاشياء ، وتاثير الاشياء فيها ، علاوة على توفرنا على دراستها بطرق العلم وقواعده الدقيقة ان العلم لا يستطيع ان يهبنا من نتائجه في هذا المجال الا ما حققه ووضع له قواعد صارمة تثبت امام التجربة والجدل والبحث ، ولكن الشعر قادر على ان يهبنا نتائج ابعد من ذلك ، لكونه يعبر عن عوالم وافاق انسانية بعيدة المدى ، عميقة الاغوار ، ما زال العلم لم يخضعها بعد لسلطانه ، وقادر على ان يتنبأ ويشوق الى المجهول ، ويحملنا على ان ننظر من خلال قلوب كبيرة واخيلة جبارة الى ما فوق المحسوس وما هو ابعد من مجال العقل والادراك فالشعر مكتشف كبير ، ورائد لا يجارى ، وجريء في اقتحام الطرق التي لا يعلم احد الى اين تؤدي ، ولاية غاية تنتهي ، حتى ليكون احيانا ، وعلى يد كبار الشعراء نبوءة في عصر كافر بالنبوءات كعصرنا هذا . ودائما كان الشعر يتقدم العلم في التعبير عن الطاقة الانسانية ، ومدى قدرتها على الابداع وكثير من الحقائق العلمية المفروغ منها اليوم ، كانت في زمن ما احلاما تداعب اخيلة الشعراء ، واطيافا جميلة تهز وجدانهم الشعر تساؤل وحيرة وشوق الى شيء ما ، وتجاوز للمشهود الى ما وراء المشهود ، ونداء حار يهز اعماق القلوب ، ودعوة للتفوق على الذات ، على حين ان العلم لشدة كلفه بالاصول والقواعد ، يضحي بالهدف البعيد الذي تعوز وسائل الوصول اليه ، في سبيل الهدف القريب الذي تيسرت وسائله ، هو لا يحلم ، ولا يجري مبهور الانفاس ، ولا يتخطى الدروب والافاق ، من اجل شعاع يلمع في افق بعيد . وانما هو الرزانة والاناة وهدوء الحركة ، على حين ان الشعر هو النقيض من ذلك ، هو طفل كلف باقتحام المخاطر ، مفتون بالتجربة يقتحمها مهما كانت العواقب . فلا غرو بعد هذا اذا كنا نجد في الشعر ما لا نجده في العلم من ارضاء الاشواق الروحية ، وتفوق على الذات ، وحنين الى الابدية

ونحن عشاق الشعر لا نكتفي بان نجد نفوسنا في نصوصه الممتازة ، بل نتجاوز ذلك لنجد فيه علاجا لبعض ما ينتابنا من الام واحزان في هذه الحياة المليئة بالورود والاشواك ، وكم كانت الام الانسان سببا في ازوراره عن الحياة وكفره بها وتمنيه الانعتاق من نيرها الثقيل .وهنا يتقدم الشعر الينا بترياق للسموم السارية في نفوسنا . وبلسما للجراح الدامية في اكبادنا وقلوبنا . فقصص الابطال الاشقياء ، وما سي المعذبين المحرومين . والام الحائرين الضالين ، كما يرويها الشعر . من شأنها ان تؤنس كل معذب وشقي وحائر ، وتخفف عنه من هول المصاب . اذ بواسطتها ينفث صدره ما يمزقه من الم مبرح ، ورب كلمة شعرية ردت الروح الى الميت . والامل الى اليائس ، والثقة الى الضال . والهداية الى الحائر وليس الشعر الباسم وحده هو الذي يفيدنا في التغلب على همومنا البشرية ، فحتى الشعر العابس قد يستطيع ذلك ، طالما كان في تكاشف البؤساء والاشقياء وسيلة لاعادة الابتسام الى وجوههم المكفهرة . وتخفيف لعبئهم الثقيل ومن اكبر وسائل سعادة الانسان ان يسكن الى من يشاكلونه في الطبع والمزاج ، ويقاسمونه مصيره سنة النفس الانسانية ، حيث تجد في اسباب سعادتها اسباب شقائها ، والعكس بالعكس ، فكم نتألم ونحن في اوج فرحنا ، وكم نتلذذ ونحن في اسوء حالاتنا . وما الضحك نفسه الا حيلة من الطبيعة للتخفيف من مضاعفات الاحساس بالالم عند الانسان، ومن ثم كان هذا الاختلاط بين عوامل البكاء وعوامل الضحك، حتى ليصعب التفريق بينهما احيانا كثيرة .

وكما ان الشعر يخفف عنا بعض همومنا ، فربما خلق لنا هموما جديدة ، بل لا خير في الشعر اذا هو لم يخلق لنا هذه الهموم الجديدة ، وقد يعتبر هذا من غريب المفارقات ، ولكن متى كان الانسان خاليا من الهموم ؟ فهو لا يكاد يودع هموما حتى تستبد به هموم

فلما دا نجد عمر بن ابي ربيعة تبع نساء . يضفي عليهن من شعره حللا قشيبة يتباهين بها بين رحاب الاداب العربي ؟ فهو ما ان يشبع احداهن وصفا وغزلا ، حتى تلوح له اخرى تسكره باللفظ واللحظ ، فيحيطها بهالة وضاءة من عذب الشعر وجمال الفن ، ثم ترنو اليه اخرى فيترك صاحبته ويهرع اليها ، يحوم حولها ولسانه ينفث روائع القصيد . فهذا الجري من امرأة الى اخرى ، ان هو الا برهان على ان عمر تتجدد اماله ، وتمتنع عن التحقيق الكامل ، فتكون هبة ذلك هذا الحر من الكلام الذي اتحفنا به وقل مثل هذا بالنسبة لبقية الشعراء الذين يلوح لنا انهم لم يعرفوا شيئا من الصراع ، فانت لا بد واجد عندهم وفي خلال اعمالهم الفنية دليلا على انبثاق شعرهم من الشعور بان هناك امالا لم تتحقق ، وليست الامال المعلقة مقصورة على الاغراض الدنيوية ، بل هي قد تكون امالا فنية صرفا ، هي امال منتج الفن في الوصول الى الكمال ، والتربع على القمة

وعدم تحقق بعض الامال كما يكون دافعا الى قول الشعر لاستغراقها وتحقيقها عن طريق الحكم الشعري ، فهو كذلك بالنسبة الى قاريء الشعر ، يلتمس فيه اشباع نفسه الطموح ، وتحقيق اماله الضائعة ، فعاشق الشعر هو شاعر اخرس . وقد لا تقل تجربته عمقا واصالة عن تجربة الشاعر وهو يقرأ اعماله ولا ابالغ اذا قلت انها قد تفوقها ، متى كان القاريء اقوى حيوية واستجابة من الشاعر المبتكر

ومن بواعث قراءة الشعر ، هذا الغموض الذي نحسه في كثير من نواحي الحياة وآفاقها . فكم من معاني تجول في خواطرنا ، او مشاعر تهتز لها قلوبنا ، او اصداء كونية تاخذ اسماعنا من هنا او هناك ، ولكننا لا ندرك كنهها ، ولا نتبين طبيعتها ، ومن ثم ينبعث فينا شيء من الفضول الفكري ، والشوق العاطفي ، لاماطة الكلام عن هذا الذي غمض علينا ، فنجد اشياء نستطيع اخضاعها للعقل الفاحص ولكن قد تصادفنا اشياء وشؤون اخرى تأبى هذا الخضوع ، اذ هي بطبيعتها غامضة حرة لا تريد ان تنزل النقاب عن وجهها ، فنحتال عليها بلغة الشعر الساحرة ، نهمس لها بها ، ونضع لها الفخاخ بكلماتها ، وكلما اشتدت غموضا كلما اقبلنا عليها متلطفين ، نحوم حولها كما يحوم الطائر الصادي حول الماء العذب النمير الغموض هو احدى حيل الطبيعه لتفجير الطاقة الشعرية في الانسان اذ معه يوجد الشوق ، واللهفة ، والفضول ، والتطلع ، والتساؤل ، والشعور بالتحدي ولا شيء اعدى للشعر من الوضوح الكامل ، الذي لا يترك افقا غامضا ، ولا زاوية غارقة في الظلال ، ولا سرا يكمن وراء ستار ، ولا خاطرا يحيط به جو الابهام ، او معاني تتردد في الصدر ، ولا تتضح للذهن والا فبأي شيء نعلل كلف الشعراء بالطرافة وارتياد الافق البكر ، واصطياد الخواطر والمعاني الغريبة التي لم تبتذل بشدة الشيوع ؟ ولما ذا نجد قاريء الشعر الممتاز ، يعرض عن الشعراء المجترين ، وينصرف الى الشعراء المبدعين ؟ قد يقول قائل : ما بال شعراء العرب في الجاهلية اجادوا في فن القول ، مع انهم كانوا يعيشون في بيئة كل ما فيها واضح ، من الرمال الى الصخور ، الى الحيوان ، الى السماء المكشوفة والفضاء الواسع الذي لا يعترضه حاجز ؟ ولكن هل الغموض لا يشمل الا البيئة الخارجية وحدها ؟ واين تركنا نفس الشاعر في طبيعة اتصالها بالدنيا من حولها ؟ اذ ليس من المفروض ان تكون واضحة في كل انطباعاتها عن البيئة الواضحة ، ذلك ان النفس الانسانية معمل للتجارب النفسية ، تتلقى مؤثرات الحياة الخارجية واصداءها ، فتولد منها عالما من المشاعر والخواطر التي منها الواضح ، ومنها الغامض وما اعتذاريات النابغة الذبياني الا صدى لاحساس الشاعر بالغموض الطاريء على علاقته بالنعمان ، وعدم وثوقه بان مكانته عند الملك لم تتغير ولنستمع الى امرء القيس يقول هذين البيتين :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه
وايقن انا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عينك انما
نحاول ملكا او نموت فنعذرا

فها هنا نجد صاحب الشاعر يشعر بغموض المصير الذي ينتظرهما وهما في طريقهما الى قيصر الروم . والشاعر نفسه يشعر بهذا الغموض ، ولا يعلم عقبه المغامرة التي يقوم بها ، ولكنه يغالب مصاعب الموقف ، ويثبت صاحبه ويعيد اليه الثقة بالنفس وقس على ذلك

والشعراء الذين عاشوا في صلح مع الحياة ، اقل بكثير من الشعراء الذين عاشوا في صراع معها . اذ كلما كان الشاعر اقوى شعورا بذاتيته ، كلما ازداد خلافه مع العالم المحيط به ، ولو وكل الامر الى جل الشعراء ، لقلبوا الدنيا رأسا على عقب ، وغيروا كثيرا من انظمة الحياة ، بل لفعل ذلك كل واحد على شاكلته الخاصة ، واذن لكان هناك عوالم مختلفة لا عالم واحد ، تتعدد بتعدد منازع الشعراء وامزجتهم

واذا كان الشعراء عاجزين عن تغيير نظام الحياة ، فهم يغيرون ويبدلون منها في دنياهم الخاصة ، يخلقون انواع الفراديس ، وانواع الجحيم ، ويبدعون في تجسيم المثل والقيم التي يومنون بها ، ويبحثون عنها في الواقع المشهود فلا يجدونها ، ويتفننون في رسم الحياة المثالية كما يتصورونها وتهفو نحوها قلوبهم ونحن قراء الشعر تصيبنا عدوى هذا الذي يشغلهم ، فنحلم احلامهم ونعيش همومهم ونشاركهم عملية الخلق والابداع ، ونقاسمهم عاقبة المصير ، دون ان نعتبره مصيرا فرديا يهم الشاعر وحده ، ولا مصيرا انتهى امره ودخل في ذمة التاريخ ، وانما نعتبره مصيرا يتجدد وينتظر وتتسع الحياة لعودته مرات ومرات ، كلما وجدت اسبابه ومبرراته . فمشاغل الشعراء وهمومهم ، ان هي الا مشاغل وهموم انسانية عامة ، بمعنى ان الشعراء يحملون ثقل الهموم الكونية كلها ، وينطلقون مجنونين بالكلمة ، لان هناك عددا كبيرا من الناس ، لا يحسنون استعمالها فيما يجدون من شؤون القلب والعاطفة ، فكأن الطبيعة اذ تحرم هؤلاء الناس الموهبة القادرة على استعمال الكلمة استعمالا شعريا ، تلقي العبء كله على الشاعر الذي يظهر بينهم

لقد انتهينا الآن الى نقطة من هذا الحديث ، ظهر لنا الشعر خلالها ضروريا ضرورة الماء والشمس والهواء ، ولا غنى لنا عنه ما دمنا نتنفس ونضطرب في هذه الحياة ولكن ما زالت هناك بواعث اخرى كثيرة تدفعنا الى تعشق الشعر ، ومنها قصور الانسان عن تحقيق جميع آماله ومتمنياته في هذه الحياة وانها لعجيبة هذه الطبيعة التي خلق الانسان عليها . اذ ركبت فيها عناصر الضعف الى جانب عناصر القوة ، الامر الذي خلق في الانسان صراعا حادا بين نواحيه القوية ونواحيه الضعيفة لا يهدأ الا برحيله الى العالم الاخر ، فهو يجاهد ويجاهد، فلا يحقق من امانيه الا الشيء اليسير ، بالقياس الى الاماني التي يعجز عن تحقيقها ، ولذلك فهي تبقى حلما يلازمه في مختلف حالاته ، وتتولد عنه ضروب من الاثار النفسية المختلفة ، تؤثر على اقواله وافعاله ، ملتمسة وسيلة للتعبير عن نفسها ، فاذا كان صاحبها ذا نزوع فني ، اتخذت من الفن مجالا لظهورها ، ومن هنا كان الشعر ـ سواء من ناحية منتجه او قارئه ـ تعويضا عما يصيب الانسان الفنان من خيبة في آماله العذاب . واعتقد ان لو رزق الانسان قدرة فائقة على ان يقول للشيء : كن فيكون ، لما وجد من نفسه وازعا يدفعه الى قول الشعر او قراءته ، ذلك ان الشعر تعبير عن الجانب المثالي في الانسان ، هذا الجانب الذي لم يستطع الانسان تحويله الى حقيقة واقعة ، بالرغم من جهود المصلحين والفلاسفة وكبار الشعراء والادباء ، فدائما يصطدم عالم الواقع بعالم المثال ، واخيرا ينهزم الثاني امام الاول ، ليعيش بين الحروف ، وفي تضاعيف الكلمات الشعرية الجميلة . فتحقيق جميع الاماني معناه الشعور بالاكتفاء ، وانتفاء لذة الاشواق ، ومتعة الانتظار ، ومعناه ايضا خمول النفس ، وانحلال القوى المبدعة ، وانعدام عنصر الصراع بين الانسان وظروفه ، وبينه وبين نفسه ، هذا الصراع الخالق المبدع ، الذي تتولد عنه كثير من العقد النفسية ، ملهمة العباقرة والفنانين هل كان للعقاد ان يملأ الدنيا بروائعه واياته . لولا هذه العقدة التي الحت عليه كثيرا ، وهي انه لا يحمل شهادات عليا ، تضع له مكانة بين ابناء جيله فجاهد بقلمه ليفرض شخصيته ، لا عن طريق الالقاب العلمية ، وانما عن طريق البيان والابداع ؟ وهل كان في مقدور المتنبي ان يملأ الدنيا ويشغل الناس ، لولا صراعه مع الظروف المعاكسة التي احاطت به ؟ وهل كان في وسع ابن الرومي وابي حيان التوحيدي ان يبدعا لولا خيبتهما المريرة القاسية ؟ قد يعترض معترض . فيقول: واين تركت عمر بن ابي ربيعة الشاعر المحظوظ، وامرء القيس ربيب العز ، وشوقي شاعر القصور ، واضرابهم من الشعراء الذين نالوا من متاع الدنيا قسطا وافرا ؟ ولكن هل خلت حياة هؤلاء من نوع من الصراع ؟ ومن يستطيع ان يثبت لنا ان آمال هؤلاء قد تحققت جميعها ، بحيث لم تترك لهم مجالا للتمني ؟ والا

# خواطر عن فلسفة الإبداع في الرسم

للأستاذ محمد السرغيني

1 — ان القوة الابداعية تمتنع على كل تسمية . فهي عند اي تحليل مهما كان ، ليست غير سحر لا يوصف . ولكنه ليس شيئا لا يقبل . ولا يقوى على تحريكنا من العمق . اننا محملون بهذه القوة الى آخر ذرة من صلبنا . فنحن لا نقدر على تفهم حقيقتها ، ولكننا نستطيع ان نقترب من ينبوعها بطرق مختلفة . وعلى كل حال . يجب علينا أن نسبر غورها ، ونجلوها عمليا . كما تتجلى هي فينا .

ومن المحتمل ان تكون هذه القوة مادة ، أو شكل مادة لا تلتقطها نفس الحواس ، كما تلتقط الانواع الاخرى المألوفة . ان هذه المادة . ينبغي أن تعرف بمادة معروفة . وان تعمل وهي غير مجسمة فى نفسها . ولكي تتوحد فى مادة اخرى ، يجب أن تتجسد وان تتحول الى شكل والى واقع .

2 — ان التكوين كحركة شكلية . يكون جوهر العمل الفني . وفى البداية يكون السبب ادماج الطاقة . هو النطفة .

العمل الفني كانتاج شكلي بمعنى مادي : مؤنث بالاصالة . والعمل الفني كحتمية نطفية شكلية : مذكر بالاصالة . ( ان رسومي تنبع من عالم المذكر ) .

وفى هذا الصدد ، يجب تحديد مجال الوسائل التشكيلية بالمعنى الفكري ، والالحاح على الاقتصاد الاكبر فى استخدامها . ان النظام العقلي يتأكد فيها اكثر مما يتأكد فى وفرة الوسائل . فيجب تجنب الاستعمال الكلي للمعطيات المادية ، ( كالخشب والمعدن والزجاج ) لمصلحة المعطيات الفكرية ( كالخط والنبرة واللون . وغيرها من الاشياء اللاملموسة) .

ومن المؤكد ان الوسائل الفكرية ليست خالية من اية مادة ، والا فاننا لا نستطيع « الكتابة » . فعندما نكتب كلمة : خمر بالحبر ، فان الحبر هذا ، لا يلعب الدور الرئيسي ، ولكنه يسمح بتأكيد دائم لفكرة الخمر . وهكذا يهدف الحبر الى أن يؤمن لنا الخمر بصورة دائمة ، وعليه ، ( فالكتابة والرسم ) حقيقيان فى عمقهما .

ان انتاج الشكل بالمعنى التناسلي ، متخفف بصورة قوية ، اذا قورن بحتمية (فكرة) الشكل .

فآخر نتيجة لنوعي التشكيل ( من العلة الفاعلة والعلة المادية ) هما الشكل . فمن بداية الطريق الى الوصول الى الهدف ، ومن بداية ما ينجز الى وقت انجازه ، ومن الحياة ( فى شكلها الساذج ) الى التقنين ، فان الشكل بالمعنى الحي ( حسب مفهوم جستالت ) شكل مع وظائف تحتية : وبتعبير آخر ، فهو وظيفة الوظائف .

ففي البداية ، تكون الملكية المذكرة لوثبة الطاقة وبعد ذلك ، يكون النمو الجسدي للبيضة ، أو يكون برقا لامعا ثم سحابة ماطرة . ولا يكون العقل شيئا مضمونا الا فى البداية .

3 — ومن وجهة النظر الخلقية Cosmique فان الحركة بطبيعة الحال معطية مطلقة مسبقا ، ولا تطلب وهي قوة لا نهائية اية وثبة طاقوية خاصة . ان جمود الاشياء فى محيط الارض ليس الا كتلة مادية للمعطي الحركي الاساسي . وانه لمن الخداع أن توخذ هذه الثبوتية كقاعدة .

الشيء الواضح اذا رأيته او سمعته او استحضرته لذهنك ، يمكنك ادراكه بكل وضوح ودقة . ومن ثم تراه شيئا مفروغا منه ، لا يستدعي فضولا فكريا ولا لهفة عاطفية ، ويمكن لمجموعة من الناس ان تراه او تسمعه او تستحضره معك ، ثم تنصرف عنه لانها ادركت كل شيء فيه ، ولكن الشيء الغامض يبعث شيئا من الحيرة ، ويجعل الناس يذهبون مذاهب مختلفة في تمثله وفهمه والاستجابة له ، فتكثر الظنون ، وتتنوع الفروض والتخمينات ، وهذا هو المجال الحيوي بالنسبة للشعر ، اذ يصدر عن هذا الغموض ، الذي يحرك مواهب الشعراء . وبتعدد الشعراء تتعدد اساليبهم في استيعاب الشيء الغامض ، الذي يساعده غموضه على الايحاء والالهام ، وفتح ابواب الظنون الشعرية ، لتجد مرتعها الخصب . ومن ثم لا وجود في الشعر للمعنى او الخاطر المقطوع به او المفروغ منه ابدا ، وانما كل معاني الشعراء وخواطرهم نسبية موقتة ، تتبدل بتبدل الظروف المؤثرة ، والنفوس المتاثرة . وقارئ الشعر هو ايضا يخوض تجارب الشعراء ، ويتعرض لما يعرض لهم من احوال متباينة ، والاعيب الظنون .

ونحن عند ما نقبل على الشعر نقرأه ، نريد ان نستشعر المغازي الكامنة في مظاهر الحياة من حولنا ، والتي طالما وقفنا ازاءها حائرين ، نحس نحوها بشيء من الحب او شيء من البغض ، نتأملها محملقين ، ثم نرتد عنها لا نحمل لها الاصلي مبهما ، فاذا بالشاعر المبدع ياخذ بيدنا الى قدس اقداسها وبعيد اعماقها ، دون ان يفسد علينا متعة الاستمتاع بتلك الغلالة الشفافة التي تكتسيها معاني الاشياء ، لتكون بعيدة كالقريبة . قريبة كالبعيدة ، فابغض الشعراء الينا ذلك الذي يتناول مظاهر الحياة بالاسلوب المباشر الذي لا يدع للقارئ فرصة استعمال الذكاء ، لملء الفجوات ، وقراءة ما بين السطور .

ونحن نقرأ الشعر لنكون اغنياء بالفاظنا ، تنبعث عنها الوان من الاشعاع الروحي ، وتتكشف عن صور من الحياة ، وتكون بالنسبة الينا كائنات حية ، لها كل خصائص الكائن الحي ، من الحركة والنمو والتطور ، ومن ثم لا تبقى عندنا مجرد اداة لتبادل الرأي والدلالة على المعاني ، وانما تستحيل الى عالم فني قائم بذاته ، يوحي ويلهم ، ويروق بكيانه الذاتي الجميل . فعند ما تجري الكلمة على السنتنا او تطرق اسماعنا ، او تتمثل لخاطرنا ، تغمرنا بظلالها والوانها ومفاتنها ، تحمل الينا ذكريات من الماضي ، واطيافا من المستقبل ، وتنشق عن كنوز من ذخائر النفوس الشاعرة . ولا شيء اقدر من الشعر نقرأه ليهب الفاظنا هذه الثروة وهذا الغنى الفني ، اذ فيه تعيش كلمات اللغة ، تتنفس وتضطرب ، وتتعاطف ، وتهمس ، وتبتسم وتعبس ، وكلما انتقلت من شاعر الى اخر ، تضخمت حمولتها من المشاعر وتدفقت بواعث الحياة فيها . وعند ما ياخذها القارئ في نصوصها الجميلة المتنوعة ، تفيض عليه بكل هاتيك المآتي ، التي هي تركة ماضي حافل بالامجاد ولم تتخايل مدلولات الالفاظ وظلالها ومعطياتها كما تخايلت للشاعر المبدع ، الذي يسلمها الينا طريفة مشعة ، وكأنها بنت ساعتها

ونحن نريد ان نكون اغنياء بالفاظنا لنوسع على انفسنا من دروب الحياة وآفاقها ، ولنستعيض عن قصر اعمارنا في هذه الحياة ، بامتداد حيزنا المعنوي الى ما لا نهاية ، ولتتجمع بين ايدينا جهود الانسانية في نضالها الطويل المضني من اجل السمو بروح الانسان ، ولتنقل الينا الكلمات اصداء الكون ، من حيث لا نحتمل الازاوية صغيرة من هذا الكون . ففي الكلمات الشعرية شيء من خرير الماء ، وهدير البحر ، وحرارة الصحراء، واريج الزهر، واشعة الضوء ، وصليل السيوف ، وهمسات المحبين ، وانين المعذبين ، وما الى ذلك من اصوات الحياة المختلفة فاذا نحن استعملنا كلمات اللغة في اخص شؤوننا ، فاضت علينا بكل ذلك ، تني بما تحمله في طبيعتها من عناصر انسانية كثيرة . ومن ثم تصبح مستودعا لاسرارنا ، نحملها خفقات قلوبنا ، ومناجاة انفسنا ، وسوانح احلامنا ، دون ان تشكو ورما او ضيقا ، لانها تستمد سعتها من مدى ما ترمز اليه من انواع الدلالة عندنا ، وهو مدى واسع سعة نفوسنا المترامية الا فاق .

**فاس — عبد العلي الوزاني**

وهكذا يصير العمل الفنـــي مقسما الى قسمين : ما ورائيتـــه ، وهو نفسه .

فلنتصور اذن شكل « طبيعة ميتة » اقل مـــن تصورنا للتشكيل . ولناخذ الطريق بقوة ، ولنتعلق بدون انقطاع في الانبثاق الفكري الاولي .

هذا هو الطريق المنتج ، فالجوهر ، والصيرورة ، هما الطريـــق الذي يبقى فوق الكائـــن .

ان الخلق يحيا كتكوين تحت المساحة المنظورة ، تحت غلاف العمل الفني ، ومن هنا ما تراه الطبيعـــة العقلية في الماضي . ولكنها حين تتوســـع ، لا ترى في المستقبل الا الطبيعة الخلاقة . واخيـــرا ، فان كـــل شيء الى هلاك ، اما ما يبقى من الماضي ، من الحياة، فهو العقل . والعقلي في الفن ، هو اقوى ما فيه مـــن فنية . ان ضرورة وجود المطلق في الفن ، هي نفسهـــا التي توجد في كل اتجاهات العمل الفني (1) .

**بـــول كلـــي**

**ترجمها بتصرف : محمـــد السرغينـــي**

---

1 هذا فصل ترجمته من كتاب : « نظرية الفن المعاصر » لبول كلي نفسه Paul Klee
ولد بول كلي الالماني Mûnchen Buchrie قريبا من بيرن سنة 1869 ومات في Murafto قريبا من Locano بالسكتة القلبية ، سنة 1940 . كان مهتما بالموسيقى كأبيه ، وكان يعزف علـــى الكمان ، وبعد حصوله على الباكالوريا تحول الى اكاديميـــة ميونيخ لدراسة الرسم ، حيث بقي فيهـــا من 1898 الى 1901 . وبعد سفره الى ايطاليا سنة 1902 تخصص في النقش . وكانت اول اقامة له بباريس ســـنة 1905 وانتقل بعدها الـــى ميونيخ سنة 1911 حيث التقى بكاندينسكي وشارك في معارض Blane Reiter . ووقع تحت تأثير التكعيبية حينما كان في باريس سنة 1912 . وفي 1914 سافر الى تونس ، فكان ذلك نقطة تحول في اسلوبه ، ولقد كان القيروان أهم ما أثار انتباهه. وعين استاذا في Bauhaus في مدينة ويمير ، 1921 وبقي فيها الى أن نقلت الى مدينة ديسو سنة 1926 . في هذا الوقت كان موزعا بين انصـــار التجريد الخالص والسورياليـــة . وفي 1931 عيـــن استاذا في اكاديمية دوسلدورف . وحينما اندلعت شرارات النازية ، التجأ الـــى بيرن ، وشـــارك في معرض ميونيخ المسمى L'art dégénéré سنة 1937 . ومات في 29 يونيو 1940 . ونقش على قبره ما كان قد كتبه في مذكـــرتـــه :
ليس هناك في العالم ، ما يشدنـــي
لاني كما اقيم بين الاموات
كذلك ، اقيم بين الذين لما يولدوا بعد .
قريبا من قلب الابـــداع الذي لا يبلـــى
ومع ذلك ، فانـــا منـــه بعيـــد .
Bauhaus مؤسسة للتعليم المعماري والفنو ن التطبيقيـــة ، اسست في ويمير على يد كوربيوس ســـنة 1919 وانتقلت الى ديسو الى سنة 1932. وعند قيام النازية التجأ اغلب اساتذتها الى اميريكـــا حيث اسس واحد منهم : موهولي ناجي بوهوس في شيكاغو New Bauhaus التي تحولت الى: Institut of Design

المراجع :
Théorie de l'art moderne, Paul Klee
La peinture contemporaine, Robert Genaille
Grand Larousse

فالعمل الفني أول شيء تكوين ، اما تاريخه ، فيمكن ان يبدو بسرعة كشرارة سحرية نابعة من حيث لا نعرف . انه يلهب العقل ويحرك اليد ، وينتقل كحركة الى المادة ، فيكتمل عملا فنيا . فكلمتا الاثارة والتحريض لا تدلان علىكل شيء في هذا الصدد ، فكرة التحريض تدل على ما قبل تاريخ عملية الخلق ، وعلى تناقضات ما قبل تاريخ الكون المتوالد المتبخر ، وعلى اتصال البداية بالماقبلية الزمنية ، « بالوراء» .

ان امكانات العاطفة من اجل تجاوز أية بداية ، متضمنة هي الاخرى في فكرة اللانهائي ، تلك التي تمددها الى « الامام » وان تصور اللانهائي لا يتعلق فقط بالبداية ، ولكنه يشد هذه الى النهاية ، ويذهب بنا الى فكرة الدور والتخطي . والى الدورية مع الحركة كقاعدة تبعد مسألة البداية .

وحينما نوخذ انفسنا بالحركة العادية ، فاننا نشعر في اعماقنا باستيقاظ وضعية خلاقة . فنحن معبأون ونعبىء بدورنا .

ان الخطوات الرئيسية لمجموع المسيرة الخلاقة تكون كما يلي : الحركة المسبقة فينا ، الحركة تعمل ، وتنشط ، وتتجه نحو العمل الفني ، وفي النهاية يكون تمام الانتقال الى الآخرين ، الى المشاهدين ، اى انتقال الحركة المودعة في العمل الفني .

ان ما قبل الخلق خلق واعادة خلق . وحينما نترك عملا فنيا بسيطا وبدائيا يتطور شيئا فشيئا بهذا الشكل ، فان في امكاننا ان نلاحظ شيئين هامين :

اولا . ظاهرة التشكيل في ازدواجية علاقته بالفورة الاولية . وبالوضعية الحياتية . وثانيا ، التشكيل كبسط للاستحثاث السحري في مطابقته للهدف المقصود .

ان هذه الظاهرة، كانت مدركة في النشاط الحركي في بدايتها المغرقة في الاولية ، وذلك . عندما بدأ الشكل في التكوين بصورة (بنيات) صغيرة جدا . وهذه العلاقة الاساسية التي تبتدىء من التشكيل وتنتهي الى الشكل . اذا لوحظت على مستوى بنيوي Structural « خليوي Cellulaire « نسيجي » Tissulaire » فانها تحتفظ بكل مدلولها في اطار ما بعديتها ، وبتدقيق فهي تعرف كقاعدة .

ان هذا المدلول يمكن أن يبدو هكذا : ان السير نحو الشكل الذي مراحله يجب أن تمليها بعض ضرورات داخلية أو خارجية ، يفضل الهدف النهائي ، اي يفضل انهاء المسافة . فهو يجدد خواص العمل الفني المنتهي . اما التشكيل فهو يحدد الشكل ويطبعه بطابعه .

الشكل ليس اصلا نتيجة يتوصل اليها ، انه خلاصة كاملة ، بل يجب تصوره كتكوين ، أو كحركة . فكينونته هي الصيرورة . اما الشكل كمظهر ، فهو ليس الا ظهورا خداعا ، أو شبحيا خطيرا . انه جميل كحركة ، أو كفعل ، جميل كحدث ، ولكنه قبيح اذا كان جمودا مغلقا أو توقفا انتهائيا ، أو يكتسب كما لو كان واجبا يؤدى . ان الشكل نهاية وموت ، والتشكيل حياة .

كل هذا يدرك عند نمو اي عمل فني كثير البدائية . فالنمو البعدي لهذا العضو ، يسمح لنا ان ندخل في تصور آخر :

ان المسيرة الخلاقة التي تلتزم السير في طريق واسع جدا ، تجعلنا ننبه أنفسنا الى أنها انتقال موحد الشكل وغير موافق: فكيف ننشرحبسير مغلق اذا كانت الطريق هي الجوهر الوحيد للعمل الفني !

وجب اذن ان يتعقد هذا الطريق ويتفرع بشكل مثير ، أن يصعد وينزل ، ويحدث فجوات ، أن يتدفق او يمتزج ، أن يتمدد أو يتقلص ، أن يخف أو يثقل .

ان الامر يتعلق باهتمامنا بها ، حيث نضعها بين مختلف اقسام هذه المسيرة ، حتى تشكل انسجاما ، وبمعنى آخر ، يمكن أن يعانق امتدادها كما لو كان عضوا فرديا . ولكن انسجام العمل الفني يسهل تعريف الانتاج ، وتطور تنفيذه ( العمل الفني لا ينفصل عن تاريخه ) يتكون من نسب أولية ، تربط بين الاجزاء نفسها وبين المجموع . ان كل تنفيذ للعمل الفني هو علاقة للخاص بالعام (1) .

---

(1) وباعتبار الحسابية Calculabilité التي تظهر في العلاقة بين مختلف الاجزاء فيما بينها ، فان الاعمال الفنية المعمارية ليست بالنسبة الى المبتدىء اكثر سرعة من اللوحات أو « الطبيعة » . واذا فهمت الخاصة العددية اللازمة للفكرة العضوية ، فان دراسة الطبيعة يمكن أن تتم بسهولة كبيرة وفهم جيد . نعم ، ان خصوبتها تتحقق كثيرا وبعطاء كبير ، حسب تعقيدها اللامنتهي .

اننا نبدأ بحياد عن اتجاهها ، لاننا لا نرى الا تفرعها الوحيد ، من غير أن نتوصل الى الغصون والجذوع . واذا أدركناه ، فاننا نكتشف فيها تكرار الناموس العام ، وذلك الى آخر ورقة صغيرة فيها . ان الفائدة التي نحصل عليها ، لا علاقة لها بالتشكيل الحسابي . (اليوميات 1903) «بول كلي»

هذه المؤتمرات والاجتماعات المهرجان العالمي للتربية الذي ينظم فى مطلع كل صيف بمركز المكتب الدولي للتربية فى مدينة جنيف والذي يحضره رجال التعليم والتربية من مختلف انحاء العالم وتدرس اثناءه قضايا تربوية صميمة فى جو من الصراحة والتفهم وبنوع من الخبرة والحنكة قلما يتحققان فى مؤتمرات عالمية اخرى والذي يعتمد فى مناقشاته على التجارب العديدة التي عرفتها بعض الشعوب .

وكما جرت العادة منذ ما يزيد على ربع قرن ، انعقد فى مطلع الصيف الماضي المؤتمر الدولي التاسع والعشرون للتعليم العمومي بمشاركة مندوبين يمثلون تسعين دولة وكان جدول اعمال هذه الدوة يحتوي على ثلاث نقط اساسية هي :

1) تنظيم البحث التربوي .

2) رجال التعليم فى الخارج .

3) الحركة التربوية فى العالم خلال السنة الدراسية 1965 — 1966 .

وقد مثل بلادنا فى هذه الدورة ، نظرا لاهمية المواضيع المدرجة فى جدول اعمالها ، وفد تركب من السادة :

الناصر الفاسي — عبد القادر العراقي — جمال الدين الكراوي — وكاتب هذه السطور .

والحقيقة ان هذا المؤتمر التربوي كان فرصة سمحت لبلادنا بالوقوف على ما يجري فى العالم من تجارب تربوية جليلة وما توصلت اليه دول كثيرة من حلول وطرق لمواجهة عدد من الصعوبات التي تقترب ، فى كثير من الوجوه ، مما يعترضنا من مشاكل عويصة فى ميدان نشر التعليم وتطور اساليبه وتحسين مناهجه والاستفادة من الطرق التربوية الحديثة وتحوير بعض البرامج .

واذا كان المغرب قد استفاد من التجارب التي عرفتها بعض الدول والطرق التي اختارتها بعض الشعوب من مختلف أرجاء العالم فان المغرب قد اغتنم هذه الفرصة كذلك ليقدم للمشاركين فى هذا المهرجان الدولي عرضا ضافيا عن المنجزات التربوية التي حققها خلال السنة الدراسية 1965 — 1966 فقد قام الوفد المغربي بتوزيع تقرير مطبوع يحتوي على نشاط بلادنا التعليمي تعززه احصاءات دقيقة عن عدد الاطفال الذين تم قبولهم بالمدارس العمومية وعدد المعلمات والمعلمين والاساتذة الجدد وعدد البنايات المدرسية الحديثة ومبلغ الاعتمادات التي تخصصها الدولة للتعليم وشؤون التربية والآفاق التي يمكن أن يتطور فى اطارها التعليم الوطني فى بلادنا .

وقد اعجبت الوفود المشاركة فى المهرجان التربوي بهذا التقرير المغربي وأولته المزيد من العناية والاهتمام يدل على ذلك الاسئلة التي وجهها بعض رجال التعليم والتربية ، كتابة ، وشفاهيا الى الوفد المغربي كممثلي الجزائر الشقيقة وفرنسا والكامبودج ومدغشقر وكوبا، وقد تكفل الوفد المغربي بالجواب عن هذه الاسئلة التي حصرها فى ثلاث نقط هي :

1) تنظيم وزارة التربية الوطنية بصفة عامة ووظيفة أجهزة التنسيق الادارية .

2) توجيه الطلبة والعلاقات بين التخطيط التربوي والتكوين المهني .

3) تكوين الاطارات الفلاحية .

ويمكن تلخيص الاجوبة التي كانت ردا على جواب المندوب الفرنسي حول تنظيم الوزارة من الوجهة الادارية ووجود لجنة للتنسيق بين مصالح التعليم العالي وادارة النشاط الجامعي بأنه لا توجد لجنة يعهد اليها بالتنسيق بين الادارتين المذكورتين وان دور التنسيق يرجع الى الكتابة العامة بوزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة والشبيبة والرياضة هذه الكتابة العامة التي تخضع لها جميع أجهزة التنسيق التي تعمل داخل الوزارة .

وبعد أن شرح الوفد المغربي العلاقات بين مختلف الادارات التي تسهر على سير التعليم فى بلادنا انتقل الى الحديث عن النقطة الثانية المتعلقة بالتوجيه المدرسي والتي اثارها مندوب الجزائر الشقيقة والعلاقات بين التخطيط التربوي التكوين المهني التي استفسر الوفد المغربي فى موضوعها مندوبا مدغشقر والكامبودج فتكلم عن مختلف مراحل التوجيه التي يجدها المتعلم المغربي فى طريقه المدرسية منذ دخوله الى السنة الاولى من التعليم الثانوي الى دخوله الى الطور الثاني من هذا التعليم والتي تنتهي بمرحلة ثالثة عندما يلج الطالب أبواب التعليم العالي .

# [redacted] للتربية والتعليم

للأستاذ : عبد اللطيف خالص

كان للتطور العظيم الذي طرأ على العلاقات الدولية منذ اواخر القرن الماضي اطيب الاثر فى نفوس ابناء هذا العالم واجمل العواقب على الانسانية فى هذا القرن العشرين ويتجلى هذا الاثر الطيب كما تتجلى هذه العواقب الجميلة فى تقوية الاتصالات بين بني الانسان وفى تعزيز الروابط بين سكان المعمور الذين اصبحوا يتصلون ويتعارفون رغم بعد الديار وتباين الاقطار واختلاف القارات ، وقد نتج عن تعدد هذه الاتصالات وتحقيق هذا التعارف والترابط تعاون متين بين جميع ابناء البشر وتبادل المساعدات فى مختلف ميادين الحياة سواء كان الامر يتعلق بالاقتصاد والاجتماع أو كان الشان يتصل بالسياسة او الثقافة .

وقد تعدى هذا التعارف طور الاتصالات الثنائية الى طور الاجتماعات العالمية حتى ان الاتفاق الذي تعقده دولتان لم يعد الا جزءا ثنائيا من معاهدة دولية او تنفيذا لتوصية وافق عليها مؤتمر من المؤتمرات الدولية او طبقا للملتمس صادقت عليه ، فى المرحلة الاولى احدى المنظمات العالمية .

ويتمثل هذا الاحتكاك بين الامم والالتحام بين الدول فى المناظرات الدولية التي تعقد فى هذه البلاد او تلك وفى المنظمات الدولية العديدة التي تدخل فى اطار هيئة الامم المتحدة او فى المجالس والمنظمات المتفرعة عنها كما يتمثل هذا التواطؤ بين الشعوب فى الاجتماعات الاقليمية التي تنظمها مجموعة من الدول فى احدى القارات أو داخل اقليم من الاقاليم الجغرافية أو السياسية المعلومة .

وهكذا اصبح عالم القرن الرابع عشر الهجري يزخر بعدد من المؤتمرات الدولية التي لا تحصى ويتدفق بالاجتماعات العالمية التي لا تستقصى حتى صار من العزيز على بعض الدول المساهمة فى كل هذه المهرجانات الامية نظرا لوفرتها .

واذا افتخرت السياسة الدولية بمهرجاناتها المتعددة التي يتجلى نموذجها الاعلى فى الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة التي تنعقد دوراتها فى مطلع فصل كل خريف وتاهت الثقافة والفنون والمعارف بمؤتمراتها الزاخرة التي تأخذ قوتها الاولى من المنظمة العالمية للتربية والعلم والثقافة ( اليونيسكو ) التي تعقد جلساتها العادية فى شهري نونبر ودجنبر من كل سنة واعتزت الشؤون الاقتصادية والمالية باجتماعاتها التي لا حصر لها ولا عد والتي ينفخ فيها الروح صندوق النقد الدولي فان للتربية والتعليم فى الندوات الخاصة بدراسة قضاياهما منبع فخار لا ينضب ومعين اعتزاز لا يغيض الشيء الذي يدل على ان التربية والتعليم اصبحا محل اهتمام مختلف الامم والشعوب . وكيف لا يكون الامر كذلك وقد اضحت مشاكل التربية جزءا من النمو الاجتماعي والتطور الاقتصادي فى مختلف الاقطار المتقدمة منها والنامية ؟ وكيف لا يكون الامر كذلك ومصير العالم وقف على ازدهار الفكر البشري وتطور العقل الانساني الذي لا يمكن ان يتحقق الا بواسطة تعليم يتمشى وروح العصر والا عن طريق تربية تعد الانسان لمواجهة الحياة فى المستقبل بكل تطوراتها وتقلباتها ومغامراتها واكتشافاتها العلمية ؟ وكيف لا يكون الامر كذلك وقد غدت التربية والتعليم فى هذا القرن عبارة عن استثمار راسمال بشري يوازي مختلف انواع الاستثمارات الاخرى ان لم يفقها ويتجاوز اطارها ؟

اجل ، ان للتربية والتعليم مهرجاناتهما الدورية وندواتهما السنوية ومناظراتهما الموسمية ، ولعل اروع

نتيجة الشيء الذي يجعلنا لا نشعر الا قليلا بالتطورات الحسنة التي تطرأ ، بكيفية حثيثة على حياتنا اليومية ان محاربة التخلف الاجتماعي لا تتم بالمشاريع الاقتصادية وحدها مهما عظمت هذه المشاريع ولكنها تتطلب تجنيد المواطنين داخل حركة اجتماعية تعمل على بث الوعي الوطني فى النفوس وتغرس فى نفوس المواطنين بذور اصلاح اجتماعي يشمل مختلف الميادين الخلقية والتربوية والجنسية وفى مقدمتها الشعور بتكاثر النسل وفساد التربية ومحاربة اللا مبالاة وغزو العقول الآفنة والقضاء على التفكير الرجعي الذي يتشبث بالعادات الاجتماعية التي عفى عليهاالزمان وقضا عليها تطور بني الانسان .

لقد كان المؤتمر العالمي التاسع والعشرون للتعليم العمومي فرصة وقف العالم كله اثناءها على مجهودات بلادنا فى ميدان التربية والتعليم والتكوين المهني كما كان هذا المهرجان الدولي الذي استغرق عشرة أيام مناسبة كريمة مكنت المغرب من معرفة التجارب الحديثة التي تقوم بها كثير من الاقطار فى الميدان التربوي . وقد كان هذا المؤتمر بعد هذا وذاك ملتقى لمناقشات عديدة مفيدة حول قضايا تربوية مهمة كالبحث التربوي ورجال التعليم فى الخارج ، فما هو هذا البحث التربوي ؟ وما هي النتائج التي توصل اليها المؤتمر فى هذا المضمار ؟ وكيف تعرض المؤتمر لقضية رجال التعليم وحاجة اقطار كثيرة اليهم ؟ وهل اعتبر المؤتمر مصالح هؤلاء الجنود المجهولين أو مصالح الدول التي تبعث بهم أو مصالح الدول التي تستقبلهم وتنتفع بخدماتهم الجليلة ؟

تلك اهم الاسئلة التي يمكن ان تخطر ببال كل من حاول الاطلاع على ما حققه هذا المؤتمر ، وقد ارجأت الكلام عنها الى حلقات مقبلة نظرا لصبغتها الفنية من جهة ونظرا لكوني خصصت هذه الحصة للكلام عن المؤتمر بصفة عامة وعن بعض المشاعر والارتسامات المتعلقة به بصفة خاصة .

الرباط : **عبد اللطيف أحمد خالص**

## فلسفة في البخل

روى ( الجاحظ ) فى ( كتاب البخلاء ) ،ان بعضهم قعد فى بيته وامر مملوكه قائلا :

— احضر الطعام ، واغلق الباب !

فقال له المملوك ( وكان عارفا بأخلاق سيده وشدة بخله ) :

— لا يا سيدي ان ترتيب العمل على هذا الوجه يؤدي الى ما نكره من دخول زائر او طارق مفاجىء وبين يديك الطعام .. فالوجه الصحيح انني اغلق الباب أولا لنأمن تلك المفاجئات ثم نأتي بالطعام بعد ذلك فتأكله هنيئا مريئا ..

فلما سمع الرجل تلك الكلمات من خادمه عرف فيها راس الحكمة وعين السداد، فابتسم له وقال :

— لله درك ايها الغلام .. اذهب فأنت حر لوجه الله واعتقه جزاء فلسفته فى البخل !

وتعتبر هذه المرحلة اهم المراحل فى توجيه الطلبة لانها تتعلق بحاجيات المغرب الى الاطارات العليا وافتقاره الى الاختصاصيين فى مختلف ضروب المعرفة النظرية والعملية ، ولعل هذا ما جعل التوجيه فى هذه المرحلة يكتسي اهمية كبيرة حيث تشرف عليه لجنة تتركب من ممثلين عن وزارة التربية الوطنية وسائر الوزارات الاخرى ، وتلعب نيابة كتابة الدولة فى تكوين الاطارات دورا خطيرا فى هذا التوجيه اذ يعتمد عليها فى احصاء حاجيات البلاد الى مختلف الاطارات والفنيين .

والحقيقة ان اهمية العلاقات بين التخطيط التربوي والتكوين المهني تتجلى بوضوح فى هذه المرحلة اذ كيف يعقل وضع تخطيط للتعليم دون الوقوف على حاجيات مختلف القطاعات الرسمية والحرة التي يتوقف على حسن سيرها وقيمة انتاجها نهوض بلادنا وخروجها من وهدة التخلف الاقتصادي والانحطاط الاجتماعي وعروجها الى مدارج الرقي الانساني والازدهار العمراني والواقع أن التفكير فى انشاء نيابة كتابة الدولة فى التكوين المهني لم يتحقق الا للوصول لهذه الغاية السامية التي تتلخص فى تحديد حاجيات البلاد واحصاء الوظائف الفنية والتقنية التي يتوقف عليها نموها وازدهارها حتى يتمكن المسؤولون عن التعليم من تكييف التعليم حسب هذه الحاجيات ومسايرته لما تفتقر اليه البلاد لان التطور العلمي الذي يعرفه العالم فى هذه الايام يفرض على التعليم والتربية الاستجابة لهدف عملي والخضوع لغاية تطبيقية ومسايرة الازدهار الاجتماعي والتطور الاقتصادي فى اية أمة من الامم . وهكذا يتعين على كل أمة تسعى لتحقيق اكتفائها الذاتي من حيث الاطارات وتوازنها الاقتصادي والاجتماعي وذاتيتها الثقافية والمهنية أن تعمل على تكوين الاطارات التي تفتقر اليها قطاعاتها الاقتصادية والفلاحية والسياحية والتربوية وغيرها حتى تضمن لها توجيها وطنيا سليما ينأى بها عن التأثر السياسي والتوجيهات الاجنبية التي يمكن ان توحي بها افكار المساعدين الاجانب فالامة المستقلة ، حقا ، هي التي توجه اقتصادها كما تشاء وتعطي لتعليمها الاتجاه الذي ترضاه وتنفخ فى مشاريعها الاقتصادية والاجتماعية الروح التي تريد أن تسري فى اعماقها وتتغلغل فى احشائها . ولن تستطيع اية امة مهما طال باعها واستد ساعد ابنائها وتوفرت على امكانيات مادية وبشرية زاخرة ان تحترز من الغزو الفكرى الاجنبي وتتحرر من التوجيه اللا وطني الا اذا كان القابضون على زمام حياتها الاقتصادية والاجتماعية والتربوية لا ينتمون لشعوب غريبة عنها فى الوجه واليد واللسان .

وقد شعر المغرب بهذه الحقيقة الصارخة منذ الاستقلال فأخذ يعمل على استرجاع هذه القطاعات ، الواحد تلو الآخر ، من الايادي الاجنبية . فقد شرع ، بادىء ذي بدء ، فى تحرير ترابه الوطني من الاحتلال الاجنبي ثم واصل عمله بجلاء القوات الاجنبية عنه واسترداد القواعد العسكرية ثم اخذيستولي شيئا فشيئا على القطاعات الحيوية من تعليم وقضاء وطب واقتصاد وسياحة وفلاحة . وبما ان غالبية انتاجنا الوطني من الفلاحة فقد اتجه المغرب اليوم الى تحرير هذا القطاع والقيام باصلاح زراعي يرد للمواطنين اراضيهم ويعطي لبعض الفلاحين الفقراء قطعا ارضية يستثمرونها لصالحهم . اولا ، ولصالح الوطن وبقية المواطنين ثانيا ولكن اصلاحا عاما من هذا النوع لا يمكنه ان يعطى النتائج المرجوة الا اذا كانت الايدي الوطنية التي تخلف الايادي الاجنبية عليمة بالطرق الفلاحية الحديثة خبيرة بالشؤون المتعلقة بهذا القطاع الحيوي الهام . ولعل هذا ما يفسر الاهتمام الذي توليه الحكومة المغربية الى التعليم الفلاحي الذي يوجه اليه بعض التلاميذ عند نهاية الطور الاول من التعليم الثانوي والذي يحتوى على أربع ثانويات كبيرة تضم ما يقرب من الفى تلميذ وتتخرج منها اطارات متوسطة يمكن ان يعهد اليها بمساعدة الفلاحين الذين يشملهم الاصلاح الزراعى واذا كان الطور الثاني من التعليم الثانوى يعرف هذه الثانويات الاربع التي يمنح المتخرج منها شهادة التقني الفلاحي فان المغرب يتوفر كذلك على مدرسة وطنية فلاحية كبرى يندرج فى سلك التعليم بها الطلبة الحاصلون على شهادة البكالوريا فى الرياضيات او فى العلوم التجريبية حيث يحصلون فى نهاية الدراسة بها ، على شهادة مهندس فلاحي تمكنهم من العمل على توجيه النشاط الفلاحي فى بلادنا ودفع عجلة هذا الاصلاح الزراعى الى الامام وجعله يحصل فى نهاية الامر على النتائج المثمرة المنشودة ويحقق الامال الكبيرة المعقودة عليه وهي تحرير الفلاحين ورفع مستواهم والزيادة فى الانتاج الوطني .

لقد حقق المغرب مشاريع عظيمة فى ميدان تطوره الاقتصادي ونموه الاجتماعي ، وقد كان فى امكان هذه المشاريع أن تظهر نتائجها على مجموع المواطنين ولكن تخلفنا المؤلم فى هذا الميدان وفى غيره والتوسع الديمغرافي المهول يقفان حجر عثرة فى طريق كل نمو ويغطيان الوجه الحقيقي لكل مشروع وكل

الحيوانات وتربية المواشي بشكل ابتدائي ، ثم انتقل من الادوات الحجرية الى الادوات المعدنية ، الفأس الحديدية ، المحراث المجهز بسكة مصنوعة من حديد ... الخ .

ثم انتقل الانسان بعد ذلك الى غرس النباتات الى الزراعة ... وهنا عمل على اجراء تحسين جديد فى الادوات المعدنية لاجل صنع مختلف المواد ، وظهور الكور ذي المنفاخ ، وصناعة الاواني الفخارية وبالتالي تطور الحرف ، وانفصالها عن الزراعة فيما بعد . وتطور الحرف المستقلة اولا ثم المانيفاكتوره ثانيا ..

ثم انتقل الانسان بعد ذلك من ادوات الانتاج الحرفي الآلة ، وتحويل الانتاج وظهور الصناعة الميكانيكية الكبرى ...

هذه ــ اللوحة ــ السريعة والعابرة حرصت على ان انقل اهم ما فيها حتى ابرز للقارىء ان من أهم صفات المجتمع التطور الدائم ، الذي لا يقف عند أي مرحلة ابدا ...

وما دام الانسان يتوق الى تحقيق هذا التطور فان المجتمعات فى كل مكان ستبقى تشهد تغييرات جذرية وشاملة ...

ان المجتمع الذي يستقر عند حال واحد مجتمع ميت ... ...

والمجتمع الذي يطمح الى التبديل والتغيير أو بصفة عامة يطمح الى التطور . هذا المجتمع يحقق حياته ، لا تهمنا نوعية هذه الحياة ولكن يكفي أن تكون من بين عناصرها الاستمرار والخلود. والمجتمع المستقر او الميت لا يمكن ان تشم منه سوى رائحة الموت، وهذه الاخيرة لا تتوفر على عناصر يمكن أن تضيفها اليها ...

ولذلك لا يأخذنا العجب عندما نرى بعض المجتمعات اليوم لا تستقر على تطور واحد معين ولكنها تعمل على اضافة تطورات اخرى جديدة ... انها ترغب فى أن تجدد حياتها وكيانها ، انها تسير على منهج طبيعي خطته سنة الكون ابتداء من المشاعية الابتدائية ...

❋

واذا كان الانسان قد فكر ابتداء من ظهوره على هذه البسيطة فى وسائل للانتاج تعينه على تحقيق مطالبه ورغباته ومطامعه ايضا ، فان هذه الوسائل الانتاجية وحدها لا تكفي .. لان الانسان اذا اتفقنا عليه مسبقا وفى اول هذا الكلام انه يكون عضوا من أسرة ، والاسرة فى مجموعها تكون افرادا من جماعة، والجماعة هي الخلية التي يتكون منها المجتمع أدركنا ان كل انسان يدخل فى محاورات بيع وشراء وتبادل مع الآخرين فى هذا الانتاج ...

انا اكتب مثلا ليقرا لي الناس ...

انت تصنع حذاء ليلبسه الآخر ...

هو فتح عيادة طبية لاعرض نفسي عليه اذا ما اشتكيت من مرض ! وهكذا .. عمليات ومصالح متبادلة ، كل فى دائرة اختصاصه ... والمجتمع الحي هو الذي يفتح لابنائه جميع هذه الاختصاصات ...

والمجتمع الحي ايضا هو الذي ينتفع بكل هذه ــ الاختصاصات ــ أو العمليات ايضا ...

واذا كان الانسان فيما سبق من الازمان يكتفي بمعاملات محدودة على مستوى الافراد ثم على مستوى القبيلة من بعد ، فان هذه المعاملات قد اتسع نطاقها اليوم واصبحت بالاضافة الى كونها تتم على مستوى الافراد فانها تتم ايضا على مستوى الامم ، بعد أن تدخلت الدولة فى توجيه مجتمعاتها .

وبعد أن كان التطور الطبيعي لسنة الحياة سببا من اسباب هذا التدخل الحتمي ... فازدياد سكان مجتمع ما ، معنى ذلك ازدياد مشاكل واتعاب ومطالب ومتمنيات هذا المجتمع ...

ولذلك ... كان لابد من تدخل ..
او بلغة تعبير أحسن كان لابد من توجيه ...
لابد من نظام ...

❋

لا اريد هنا أن اتحدث عن تطورات المجتمع السابقة ابتداء من المشاعية الابتدائية الى نظام الرق ... وهنا اقف وقفة لاقول ان فى ذلك الوقت اصبح نظام الرق اساس كل انتاج وعلم الاجتماع يقول أن عدد العبيد فى ذلك الوقت فاق عدد السكان الاحرار اضعافاعدة ...

وهنا لا بأس أيضا من ذكر بعض الارقام .

فى اثينا كان يوجد بها 365 الف عبد مقابل 90 الف حر ... وفى كاريثيا 460 الف عبد مقابل 46 الف من الاحرار ، او بعبارة ثانية اغنياء وفقراء ، مستثمرون ومستثمرون ــ لفظان يلتقيان فى الكتابة ولا يلتقيان فى

# الإنسان والمجتمع

بقلم: عبد اللطيف بالمختار

انا وانت والآخر يكون كل واحد منا فردا من المجتمع ...

المجتمع هو مجموعة من الناس ، مجموعة من الاسر ، بعاداتها وتقاليدها ، بأفكارها ومطالبها ، بمعاملاتها الصغيرة والكبيرة ، بتبادل المصالح على جميع مستوياتها ... ...

المجتمع هو مجموعة من الناس تأخذ وتعطي ، أحيانا تأخذ اكثر مما تعطي ، واحيانا تعطي اكثر مما تأخذ ، وفى كلتا الحالتين فان ذلك لا يتعدى اطار المجتمع الذي خط لنفسه قوانين وعادات ومصالح ...

فالسفسطائيون من فلاسفة الاغريق كانوا يقولون بأن المجتمع شيء ليس من صنع الطبيعة ، ولكنه من اصطناع الانسان ... ...

الانسان هو الذي يعطي للمجتمع ، وهو الذي يأخذ منه .

والفيلسوف الانجليزي هوبز كان يرى ان المجتمع يتضمن عقدا غير مكتوب بين افراد المجتمع ، فأنا وانت والآخر لابد لنا من معاملات ، ومعاملاتنا هذه — وكيفما كانت — لا تتم الا مع الآخرين .. ان بيني وبينك وبين الآخرين عقدا غير مكتوب ... يسمى المجتمع .

أما الفيلسوف الفرنسي أوجست كونت فكان يرى ومعه الفيلسوف الانجليزي اسبنسر والفيلسوف الالماني هيجل ، ان المجتمع كجسم الانسان والافراد خلاياه ، وراح فلاسفة آخرون يبحثون عن مخ واعصاب ...

ولن ندخل هنا فى تفاصيل جزئية لا يتسع المقام لسردها ، ولكن يكفي اننا عرفنا أن الانسان يكون فردا من المجتمع وانه خلية من خلايا جسم لا يفنى ابدا ، ولكنه ينمو باستمرار ويتطور ...

واذا كان علم الاجتماع قد اصبح علما قائما بذاته فان من مواده الاولى دراسة التطورات المجتمعية التي حصلت ابتداء من ظهور الانسان ...

وهذه التطورات تقترن فى غالب الاحوال بوسائل الانتاج التي كان يطمح الى تحقيقها الانسان حتى يطور اسلوب حياته ومعيشته ، وحتى يحقق الرغبات والمطامح التي تتوق اليها نفسه ، وحاول جاهدا ان يصل اليها ...

*

ونظرة على الاسلوب الحياتي الذي كان يعيشه الانسان من قبل ، وعلى الوسائل التي كان يعمل بها هذا الانسان ، نرى الفرق الواضح والشاسع الذي افاد منه المجتمع والانسان معا ...

ولا بأس أن انقل هنا لوحة تبين الخطوط الكبرى لتطور القوى المنتجة ، وتبرز فى آن واحد الخبرات، الكبيرة التي حصل عليها الانسان منذ أقدم الازمان ... ...

والشيء الملاحظ ونحن نستعرض خطوط هذه — اللوحة — ان الانسان يفضل ان يرتقي بمداركه الى اعلى ، وهو عندما يفعل فلان ذلك ناتج عن رغبة طبيعية يعمل على نهجها وتحقيقها لنفسه وللمجتمع ... ...

تقول اللوحة :

« انتقل الانسان من الادوات الحجرية الغليظة الى القوس والسهام ، وبالتالي من الصيد الى استخدام

# نظرات في معضلة الترجمة

بقلم كلود ايسلسون
تعريب الأستاذ عبد الرحمان بنعبد الله

**... فى السطور التالية حلقة ثانية تضيف جديدا الى ما تضمنته الحلقة الاولى وتلقي بعض الضوء على معضلة الترجمة من الوجهة الفنية والدياليكتيكية ، كما تقترح من الحلول ما تمس اليه الحاجة فى الظروف الحاضرة ، حفاظا على سمعة الترجمة وروح الانتاج المنقول ...**

**المعرب**

تشمل حركة النقل الى الفرنسية ، فى كل سنة الفي كتاب أجنبي معظمها آثار ادبية . وقد شملت القصة فيها الى عهد قريب حيزا كبيرا ، قبل أن ينصرف القراء عن هذا اللون من الادب الى غيره من الآداب الواقعية ، مما يسميه الناطقون باللغة الانجليزية ادب الواقع او الادب الذي يبتعد عن الخيال. وغدت اللغة الفرنسية غنية بما ينقل اليها كل يوم من آثار العبقريات الاجنبية حتى انك لا تكاد تجد كاتبا من نوابغ المفكرين الاجانب لم تترجم كتاباته الى هذه اللغة بيد اننا نلاحظ بمزيد الاستغراب والاسف ، أن عمل الترجمة والنقل ، بما يعتوره من مصاعب وعراقيل على الصعيد الفني والادبي ، يستوجب حلولا جدية ناجعة لم يفكر احد فى البحث عنها لاسباب نود أن نعرض لها بالتحليل فى السطور اللاحقة .

لا جدال فى أن مهنة الناقل كمهنة الكاتب ، وأن ترجمة المقال أو الكتاب تفرض على الناقل كتابة النص من جديد بصورة يسهم فيها مع الكاتب فى خلق الانتاج ، وفى نظرنا أن احاطة الناقل باللغة التي ينقل اليها أمر حيوي قد يفوق فى اهميته احاطة الناقل باللغة التي ينقل منها ، ومن سمات الترجمة الصحيحة سلامة النص من العجمة والركاكة ، فهناك من « المترجمات » ما يكتبه النقلة بلغات دخيلة لا تمت الى الاصالة بأدنى صلة ، وليست هي باللغة الفرنسية أو الانجليزية أو العربية أو غيرها من اللغات « المحترمة » . وقد المعنا فى مقال سابق الى أن الترجمة التي تكتب بأسلوب شبيه بأساليب الافلام المترجمة كالمعزوفة التي تؤدى بطريقة يمجها الذوق ، كلتاهما تقتل الانتاج . ذلك أن النقل يتضمن جانبا من التحويل والتهذيب والتطويع يقتضي المام الناقل بصناعة القلم .

ليس الوفاء لمبادىء الترجمة الحق أن يتقيد الناقل بكلمات النص كاملة غير منقوصة . فكثير من أمهات الكتب غدت ، بعد ترجمتها ، غفلا من أي مدلول ، لانها نقلت الى لغة أخرى بصورة حرفية .. ونحن اذ نسلم بأن لكل لغة معطيات وتعابير خاصة ، نرى أن من الاخلال البين بأسلوب اللغة اللجوء الى الترجمة الحرفية، فليس الغرض الرئيسي من الترجمة نقل الكلمات والعبارات بقدر ما هو تحويل للافكار ، بكل مفاهيمها، الى لغة ثانية أما الكلمات فلا تعدو أن تكون « وسيلة » من وسائل التعبير والافصاح . وأمثل الطرائق فى نظرنا أن يسائل الناقل نفسه عن الكيفية التي كان يصوغ بها الكاتب أفكاره لو تصدى لانتاجه باللغة المنقول اليها . ونحن لا نعرف أن هناك كاتبا واحدا أنكر على ناقله تحويرا نسبيا موقوتا يفرضه الحفاظ على روح الانتاج .

المعنى — اناس لهم كل الحقوق ، واناس ليس لهم اي حق ...

والتاريخ يحكي لنا ان سبارتاكوس (Spartacus) قام متمردا ضد هذا الاستثمار من سنة 73 الى سنة 81 قبل الميلاد ، وكان مصيره الفشل ... ...

وبعد نظام الرق او استثمار العبيد شهد المجتمع بصفة عامة نظام الاقطاع فى الشرق والغرب وقد كان قائما على استنزاف خيرات الفلاحين واضطهادهم .

وتشهد المجتمعات اليوم نظما بين راسمالية واشتراكية ... ولن ادخل فى هذه العجالة فى الحديث عن كل واحد منهما لانه حديث متشعب ويحتاج الى حديث وربما الى احاديث مستقلة ...

وهنا لا اخفي شيئا وهو أن كثيرا من المجتمعات اعتنقت المبادىء الاشتراكية فعن بعض طريقها تأمل فى تحقيق تطور كبير وشامل ...

والمجتمعات المتخلفة اليوم كانت سباقة فى نهج واتباع هذه المبادىء ..

ولن ادخل هنا ايضا فى اسباب نجاحها او فشلها لانه ليس هنا مقام ذلك ..

❋

وكل واحد يكتب عن المجتمع لا ينسى ابدا القرن الثامن عشر ...

ففي هذه الفترة اصبحت فرنسا مهد الفكر ، وتبادل الآراء وخصوصا منها السياسية .

وادرك الانسان ان حياته يجب ان تأخذ طريقا جديدا او اتجاها واضحا ، فكان ذلك بداية لزوال النظام الاقطاعي و — بالتدريج — فى أوروبا .

وبعبارة اخرى فقد تبلورت مقاصد وافكار الانسان فى ذلك الوقت وحقق المجتمع خطوة كبرى فى ميدان التقدم واستعادة الحقوق ...

❋

ان امام كل مجتمع اليوم عدة مشاكل

انا هنا لا استثني المجتمعات لان كل واحد منها يتوفر على مشاكل من نوع خاص ... ولكن فى امكاننا ان نقول أن كل المجتمعات تسير فى حلقة التسابق .

واذا كانت المجتمعات المتخلفة تشتكي وفى النصف الثاني من القرن العشرين من الجوع كما يحدث اليوم فى الهند ، وبعض الدول الاخرى التي يكثر فيها النسل فان مجتمعات اخرى تشتكي من التخمة !!!

ولن يهدا بال المجتمعات التي تشتكي من التخمة الا بعد ان تعرف كيف تصرف خيراتها الزائدة وتعوضها بأخرى تنفعها ...

عمليات متبادلة بدات على اصغر نطاق فى المجتمعات البدائية ، واتسع نطاقها حتى وصل الى ما نشهده عليه الان ..

ان من طبيعة اي مجتمع انه يتطور ... ...

الرباط — **عبد اللطيف مختار**

**بقي بين الدور ... والابواب !!**

اسخطت اخواني ، واخفق مطمعي
فبقيت بين الدور والابواب !

**ابن الرومي**

## من أعلام الأدب الأسباني المعاصر

# روبن داريو 1867-1916

للأستاذ: حسن الوراكلي

-5-

السؤال المثار ، اللحظة ، هو : الى أي حد يمكن اعتبار روبن داريو اسبانيا علما بانه نيكاراكوي المولد والنشأة ؟

ونحن نرى أن الالتفات الى هذا السؤال ومحاولة معالجة الجواب عنه وبسط القول فيه يعطي لفن هذه الشخصية شيئا غير قليل من المميزات والخصائص التي تفردها عن غيرها .

ذهب النقاد مذاهب شتى عند دراستهم وتحليلهم لعطاءات روبن ، شعرا ونثرا ــ وكل نقاد من امثال باركاس فيلا وكولد برك وغيرهما معروفون بأحكامهم النقدية الدقيقة ، فهم ليسوا يخدعون المنشيء ولا المتذوق على حد سواء ــ فلقد زعم بعضهم بانه كان يقتات من موائد الشعراء الفرنسيين على اختلاف مدارسهم من رمزية ورومنطيقية وبارنسية ، وذهب بعضهم الآخر الى انه ــ اي روبن ــ كان فيما كتب ، يملأ سلاله بثمار اينعت فى تربة اغريقية او رومانية ، ولا يكتم خبرا ردو دييكو دهشته فى مقدمة كتابه « الشعر الاسباني المعاصر » اذ يذكر روبن داريو ، هذا النيكاراكوي الذي أشرق من هناك ، من أمريكا ، قويا ، ورائعا كالشمس ، ليجدد وليبدع وليكون رائدا لاجيال شعرية فى تاريخ الادب الاسباني الحديث ، أما كاتب المقدمة التمهيدية التي صدر بها كتاب داريو « ازرق » فانه يبدي دهشته مما ذهب اليه النقاد من أن روبن متفرنس أو يوناني لم يستطع أن يتخلص من أمريكيته المترسبة فى ذرات نفسه ولم يقولوا قط بانه كان بالدرجة الاولى شاعرا اسبانيا .. ومن ثم يستطرد ليوضح «تأسيس» روبن وليزعم بانه كان اسبانيا، بوحيه والهامه بعملية التعبير واسلوب استعراض الخيال الشعري .. باعتزازه بالتقاليد والموروثات الاجتماعية الاسبانية .. بكرمه البياني وعطائه البلاغي وجوده الفني ، وكل هذا يضفي على اعماله من الروح الاسبانية الخالصة ما لا يترك منفذا للطعن فى « تأسينه » لحما ودما .

والحق ان هنالك اكثر من دليل يقدم على صحة وجهة نظر القائلين بتأسين روبن من خلال اعماله الادبية ، ولقد سلفت الاشارة الى ان ما كتبه روبن قبل ظهور « ازرق » ليس فى معظمه الا اجترارا لما فاضت به قرائح شعراء اسبانيا فى النصف الثاني من القرن التاسع عشر بصفة خاصة ، وعلى ضوء هذه الحقيقة يكون من السهل على كل مشتغل بالشعر الاسباني المعاصر بعد قراءته لآثار روبن قبل صدور « ازرق » خاصة ، أن يعلن عن اسم المقلد ــ بفتح اللام ــ صاحب المائدة « الشهية » التي كان روبن يختلف اليها بين الفينة والاخرى ، وليس من ريب فى ان كاميو امور وبيكير ونونييث دي ارثي وغيرهم كانوا اصحاب موائد « شهية » « يأخذ » منها روبن ، على ان الذي يجب أن نعيد ذكره هنا هو ان روبن ما لبث ، بعد أن نضج وتعملق ، ان اصبح ، هو بدوره ، مقلدا ــ بفتح اللام ــ اي انه اصبح صاحب مائدة « شهية » تغري الكثيرين بالاقبال عليها . . .

وفى ديوانه « اغاني الحياة والامل » الذي اذاعه فى الناس وقد بلغ الثامنة والثلاثين من عمره ، فهو لم يعد « الشاعر الطفل » الذي خفق قلبه بعنف لصيحات الاعجاب . بل غدا الشاعر الناضج الذي اشرف به موكب الايام على خريف الحياة ، يعصف به الحنين الى ربيعها الذاهب الذي لن يعود ، فيهتف :

ايها الشباب ، ايها الكنز الالهي
ها انت ذا ذاهب كي لا تعود
عندما اريد ان ابكي ، لا ابكي
واحيانا ، ابكي دون ان اريد . . . الخ .

فى هذا الديوان يرن وترجدبد فى قيثارته : السلالة؛ فهو « اذا كان من قبل قد صرح بانه « Cosmopolita » ــ اي انسان يعتبر العالم كله وطنا له ــ فانه الان يعترف باعراقه الاسبانية، ففي قصيدته «الى روزفلت»

رب قائل : ان هذه بديهيات لا يختلف فيها اثنان . على ان الذي يحز في النفس ايمان جمهرة الناشرين بأن دور الناقل ثانوي ، لا يفوق في اهميته دور الناسخ او آلة الاستنساخ بدعوى ان الكتب التي نقلت بصورة مرتجلة قد لاقت رواجا كبيرا واعيد طبعها مرات عديدة . ولعل اغرب ما في الامر ان يعرض الناشرون هذه المسودات على بعض المصححين لاعادة النظر فيها وتصويب اخطائها .. وتحسين اسلوبها ! وبديهي ان الناشرين يستهدفون الكسب المادي قبل غيره ، فلو كانوا يتوخون اليسر فيما يقصدون لراجعوا مواقفهم وعهدوا بمهمة النقل الى من هم اقدر عليها من النقلة. وفي اعتقادنا انه عمل لن يكلفهم اكثر مما ينفقون على انصاف المترجمين .

صحيح ان النقلة المقتدرين قليلون ... وقد يزول العجب اذا علمنا ان الناقل الذي ينفق شهرين او ثلاثة اشهر في ترجمة نص يقع في ثلاثمائة صفحة ، قد لا يكسب من عمله هذا اكثر مما تمنحه مجلات الاعلام السنوية لصاحب خبر مثير ينشر في هذا الصنف من المجلات ، هذا بالاضافة الى أن المترجم الادبي لا يتأتى له ان ينقل اكثر من ثلاثة كتب في السنة ، الا اذا صرف كل اوقاته في هذا الضرب من النشاط ، وهو شيء مرهق عديم الربح ، والجدير بالذكر أن الاجر الذي يتقاضاه الناقل عن ترجمة امريكية او انجليزية لكتاب فرنسي يساوي اربعة اضعاف ما يدفع للناقل الذي يتولى ترجمة كتاب امريكي او انجليزي الى الفرنسية ، أما في اليابان فيتقاضى النقلة اجورا مماثلة لاجور المؤلفين قد تبلغ 10 ٪ من ثمن بيع الكتاب ، وفي الاتحاد السوفياتي يخصص للناقل مبلغ يساوي معدل الاجر الشهري للعامل العادي مضروبا في عشرين ...

أما في بلادنا بصرف النظر عن المكاسب التي حققتها الجمعيات المختصة منذ سنين ، فان المترجم لا يتقاضى اكثر من 3.000 الى 3.500 فرنك عن ترجمة كتاب يقع في ثلاثمائة صفحة !

ونتيجة لذلك . فان المترجمين — بالمعنى الصحيح قليلون ، في الوقت الذي اصبحت فيه الحاجة ماسة الى نقلة مقتدرين ، لترجمة مئات الآثار الاجنبية التي تنزل الى الاسواق في بلادنا كل سنة . ونحن نلحظ بمزيد الاسف أن الذين يلمون — ولو المامة خاطفة — بلغة اجنبية الى جانب ما يتقنونه ، وهو ضئيل ، في اللغة المنقول اليها — يتصدون لنقل الآثار الاجنبية دون اعتبار لمبادىء هذا الفن وقواعده . وكم من قارىء يقتني عشرة كتب مترجمة فلا يكاد يفهم منها اكثر من اربعة أو خمسة. ولعل الامر ليس كذلك الا لان الكتب العشرة قد تناولتها ابدي « المصححين » قبل نشرها بالتحوير والتصويب !..

على أن الذي يحز في النفس حقا أن عددا من المع الآثار تتعرض لكثير من المسخ والتشويه عند نقلها من لغة الى اخرى ، وتلك جناية لا تغتفر في حق الادب والادباء.

في مقال لي بعنوان « لاجواز للشعراء » تساءلت عن الحدود التي تقف عندها الترجمة في الشعر واشرت الى ان بعض القصائد تستعصي على كبار النقلة حتى ليصح أن نقول : ان جهودهم تكاد تنحصر في تطويع القصيدة المترجمة الى اللغة المنقولة اليها .. ولعله سؤال اثار نقعا كبيرا ولا زالت للمعركة التي قامت حوله اصداء في اواسط النقلة والنقاد وعامة القراء .

والواقع ان الشعر ، كما يقول « بول فاليري » باقة من الكلمات وليس مجموعة من الافكار ، ودلالة الشعر وثيقة الصلة بأسلوبه ، والشيء الذي يدل عليه او يوحي به رهين بالطريقة التي سلكها الشاعر في صياغته ، وغني عن القول هنا ان الذي ينقل الشعر بصورة حرفية كالذي يؤدي بالبيان — مثلا — معزوفة موسيقية اعدت للكمان . ومثار الاستغراب في ذلك . الضجة التي قامت حول السؤال المطروح رغم توفر الادلة على وجود الشعر الذي لا يقبل النقل الا على اساس التحوير والتطويع ، وانا اتحدى اكثر النقلة لباقة واقتدارا في بريطانيا او المانيا او ايطاليا او روسيا او الصين أن يأتوا بترجمة مرضية لاحدى قصائد فرلين او بودلير او ابولينير . .

هل نستخلص مما سبق ان من الشعر ما يجب العدول عن ترجمته ؟ اقول نعم ، ان كان في ذلك ما يصونه من الاسفاف والوضاعة .. وانا اربأ بنتاج كبار الشعراء ان تتناوله معاول الهدم والتحطيم ، بدعوى اشراك الجمهور وعامة القراء في تذوق الآثار الادبية ، أو غير ذلك من المزاعم التي لا تقوم على سند صحيح .

في اعتقادنا أن النقد يجب أن يكون اكثر صرامة في تقييم الآثار المنقولة وأن من واجبات الجمهور ان ينبذ المترجمات الرديئة ويندد بالارتجال الذي تتسم به ، فقد يكون في ذلك ما يحفز الناشرين بدورهم ، الى توخي الجدية والرصانة فيما ينشرون ، وقد يكون في ذلك ايضا — ولعله أمر بديهي — ما يعلو بأجور النقلة عن الحضيض الذي وصلت اليه .

كلود ايلسون ( عن « كتاب باريس » )

تعريب : **عبد الرحمان بنعبد الله**

---

1) المصحح : Reviseur بالفرنسية و Rewriter بالانجليزية

# نظرة في كتاب معجم الأدباء بعد طبع مصدر من مصادره

للأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

- 3 -

13) لقد ترجم الحموي لمؤرخ اندلسي سماه احمد ابن محمد التاريخي الرعيني وقال عنه ناقلا ذلك عن الحميدي : « انه عالم بالاخبار الف فى مآثر المغرب كتبا جمة منها كتاب ضخم ذكر فيه مسالك الاندلس ومراسيها وامهات مدنها واجنادها الستة وخواص كل لد منها » .

ولما رجعت الى كتاب الجذوة وجدت ان الترجمة هاته انما هي لاحمد بن محمد التاريخي دون زيادة الرعيني .

اما الرعيني فهو شخص آخر خصه الحميدي بترجمة مستقلة وهو من رجال الفقه والحديث وقال عنه: « حدث عن عبيد الله بن يحيى عن ابيه عن مالك » .

فالحموي اذن مزج بين شخصين وجعل لهما ترجمة واحدة ظنا منه ان احدهما ليس الا الآخر .

ووقع لمصحح المعجم خطأ شبيه بهذا او اشد ذلك انه اشار فى حاشية الكتاب الى مصادر اخرى اعتبرها ترجمت لهذا العالم الاديب مع ان التراجم التي اتى بها ليست للرعيني الذي ذكره الحميدي وانما لاحمد ابن محمد التاريخي او لاحمد بن محمد الرعيني الذي كان يعيش فى القرن الثامن الهجري .

فمما قاله المصحح فى حاشية الكتاب : « وترجم له فى بغية الوعاة صفحة 157 بما يأتي « احمد بن محمد بن احمد الرعيني يعرف بنسبه . ابو جعفر قال فى تاريخ غرناطة كان من اهل الفضل والظرف عارفا بالعربية مشاركا فى الفقه متدربا فى الاحكام قرا على ابي الحسن الفيجاطي وابن الفخار وولي قضاء ارجبة ولد سنة احدى وسبعمائة ومات سنة اربع واربعين وسبعمائة » .

واني لاعجب كيف اطمأن المصحح الى هذا النص مع وجود الفرق الزمني الشاسع بين الرعيني المذكور فى الجذوة والرعيني المذكور فى البغية .

انها لغفلة لا تخفى على القراء الذين يدركونها ببداهتهم ويصلون اليها دون ادنى تعب او امعان نظر (1).

14) لقد اصبحت الدراسات الادبية عنصرا اساسيا فى الاطلاع على احوال التاريخ العام للامة العربية الاسلامية بحيث يعسر على المهتمين بتاريخ المجتمع العربي فى حقبة من الحقب ان ينفصلوا عن الآثار الادبية الخالدة التي كانت صورة ناطقة لما يقع من احداث وما يجري من وقائع لان الادب كان متصلا تمام الاتصال بالبيئة الثقافية والسياسية والطبيعية فلا يمكن الانفصال مطلقا عن الجانب الادبي اذا اردنا استيعاب الجوانب الاخرى .

لذا كان الاهتمام بالدراسات الادبية عنصرا فعالا فى تتبع الحضارة العربية والانتقال معها حسب الاعصر سواء من الناحية العمرانية او الناحية الاخلاقية او الناحية الفنية .

ومن المعلوم ان الثقافة العربية كادت تكون وحدة بين جميع الاصقاع الاسلامية رغم وجود التنافس بين مختلف الطبقات والاقاليم لذا نجد تشابها بينا فى شكل

---

1) ينظر فى هذا التصويت معجم الادباء الجزء الرابع صفحة 234 وكتاب الجذوة صفحة 96 وكتاب بغية الوعاة صفحة 157 ولا بأس ان انبه القراء بأن النص الموجود فى حاشية المعجم المأخوذ من البغية قد حرف كثيرا عن اصله لذلك اعتمدت على الاصل فيما سجلت .

يعني المثل الاسبانية ، وفي قصيدته « البط » يغنـــي مصير اسبانيا وامريكا الاسبانية » (1) .

وانا لنستطيع ان نذكر الى جانب ذلك قصائد اخرى له ، جميلة ، رائعة ، تصور تعلق روبن باسبانيا وتعكس اعتزازه بها ، فمنها ، على سبيل المثـــال لا الحصر ، «تحية الى المتفائل» Salutacion al optimista و (اسباني) و (الى اسبانيا) و (سونيت الى سرفانتس) El soneto a Cervantes و (الى كويا) (2) و « اشياء السيد (3) Cosas del Cid وهذه القصائد ، وغيرها مما لم نذكر ، بما يترقـــرق في ثناياها من حب روبن لاسبانيـــا وتعلقه بأمجادهـــا وافتخاره بها ، لعلها بكل ما تضمنته ، تأتي من الشاعر شهـــادة ، خيـــر شهـــادة ، على « تأسينه » ، ولست احسب الا ان الذين لا يقرون بذلك ليسوا بباقين على رايهم بعد امعان منهم طويل في تلك القصائد التي تنبض بما كان في حنايا روبن نحو اسبانيا من حب صـــادق وعاطفة مشبوبة .

❋

اثرى روبن داريو المكتبة الاسبانية بدواوينـــه واعماله النثرية ، وفيما يلي ثبت بأسمائها :

1 ــ التنبيهـــات الاولـــى ( رســـائـــل وقصائـــد ) Primeras notas (epistolas y poemas) مانكوا 1885
2 ــ آلام ــ Abrojos ــ سنتياكو 1887 .
3 ــ املينا Emelina ــ بالاشتراك مـــع ادواردو بيير ــ فاليريو 1887 .
4 ــ الـــورود الاندينيـــة Las rosas andinas فاليريو 1888
5 ــ ازرق Azul ــ فاليريو 1888
6 ــ نثـــر غيـــر مقـــدس وقصائـــد اخـــرى Prosas profanas y otros poemas بونيس ايريس 1896
7 ــ الغرباء ــ Los raros بونيس ايريس 1896 .
8 ــ كاسطلار Castelar ــ مدريد 1899 .
9 ــ اسبانيا المعاصرة ــ Espana contemporanea باريس 1901 .
10 ــ حجات ــ Peregrinaciones ــ باريس 1901
11 ــ القافلة تمر La caravana pasa ــ باريس 1903
12 ــ أراض مشمسة Tierras solares ــ مدريد 1904
13 ــ اغاني الحياة والامل Cantos de vida y esperanza
14 ــ البط « وقصائد اخرى » Los cisnes « y otros poemas » ــ مدريد 1905 .
15 ــ قصيدة الى ميطري Oda a Mitre باريس 1906
16 ــ آراء ــ Opiniones ــ مدريد 1909 .
17 ــ الاغنية التائهة El canto errante مدريد 1907
18 ــ الباريسية Parisiana ــ مدريد 1908 .
19 ــ السفر الى نيكاراكوا El viaje a Nicaragua مدريد 1909 .
20 ــ قصيـــدة الخـــريـــف ــ Poema del otono مدريد 1910 .
21 ــ آداب Letras ــ باريس 1911
22 ــ الكل للطيران Todo al vuelo ــ مدريد 1912
23 ــ اغنية للارجنتين Canto a la Argentina مدريد 1914 .
24 ــ حيـــاة روبـــن داريـــو ( مكتوبـــة بقلمـــه ) La vida de Ruben Dario ــ برشلونة 1915 .
25 ــ رؤوس Cabezas ــ بونيس ايريس 1916 .
26 ــ اغنيـــة ملحميـــة لامجـــاد الشيلـــي Canto épico a las glorias del Chile ــ سنتياكو 1918

يضاف الى هذا الثبت ما نهض بنشـــره بعـــض الاساتذة والمشتغلين بالادب من اعمال روبن التي لـــم يسبق لها ان نشرت ومن ذلك :

1 ــ روبن داريو في الساحل الفني Ruben Dario en Costa Rica وهو عبارة عن اقاصيص واشعار ورسائل ومقالات بقلم روبن ، نشرها الاستاذ طودرو بيكادو ــ 1919
2 ــ اشعار غريبة Poesias raras نشرهـــا الدكتور رخينو ابوطوعي ــ هافانا 1920
3 ــ شجرة الملك دافيـــد El arbol del rey David وهو عبارة عن نثر ثمين ونادر ، جمعه ونشره الدكتور رخينو 1921 .
4 ــ صفحات منسيـــة Paginas olvidadas نشره الاستاذ صمويل كلوسبرج ــ بوينس ايريـــس 1920
5 ــ اعمال شباب روبن داريو Obras de juventud de Ruben Dario نشرها الاستاذ ارمدو دو نسو ــ سنتياكو 1927

تطوان ــ **حسن الوراكلي**

---

1) انظر V. Mateo Velasco : Literatura espanola contemporanea
2) رسام اسباني عاش بين سنتي 1828 ــ 1846 .
3) المقصود به القمبيطور المشهور رودريكو ديات اي بيبـــار

من اخطاء النساخ لذلك يرجح عندنا انه أبو العباس وليس بأبي القاسم .

وفى هذه الحقبة التي عاش فيها هذا المقرىء نجد ازدهارا علميا كبيرا فى البلاد التونسية وتجاوبا مطلقا بين مختلف الثقافات والاقاليم بحيث لا يشعر القارىء لهذه الفترة من تاريخ الفكر الاسلامي بغربة الموطن العلمي بين شتى أصقاع البلاد الاسلامية .

وكانت العناية موجهة من قبل بعض العلماء الاسلاميين لكتاب الله العزيز يدرسونه حسب ميولهم واختصاصاتهم فمن دراسات بلاغية الى دراسات احكام الى الربط بأسباب النزول الى رسم الكتاب الى مختلف الروايات واسبابها الى ظواهر الاعجاز اللفظي والمعنوي الى العلاقة بين الكتاب والسنةالى الدراسات الفقهية والاصولية والاستنباطية الى غير ذلك من الابحاث الدينية المتعلقة بكتاب الله .

وكان اغلب المسلمين يتقيدون بكتابة القرآن على الرسم الذي كان معهودا أيام النبي وأيام عثمان حينجمع المصحف ونسخ منه نسخا أرسلها الى مختلف الاقاليم لذلك كان يهتم بعض حفاظه بنشر الرسم بين القراء ويعينونهم عليه بشتى الوسائل من ذلك مثلا الاشعار بالكلمات التي تكتب على شكل خاص أو صورة معينة وكانوا يستخدمون الشعر التعليمي المعروف بالنظم فى تسجيل قواعد الرسم على عادتهم فى استعمال النظم فى تقريب مختلف العلوم وتيسير معرفتها للطلبة الراغبين فى المعرفة فكانت هذه المنظومات تنشر بين القراء ويعمد مؤلفوها الى اختيار أحسن المناهج لتقريب مضمونها .

وحيث ان اهتمام القراء كان يوجه الى كتابة القرآن حسب القواعد الرسمية المعهودة وبما أن بعض المبتدئين فى الدراسة قد يعسر عليهم التمييز بين مخارج الحروف وقد يلتبس عليهم الامر فلا يميزون بين كتابة الظاء المعجمة المشالة وبين كتابة الضاد فقد نظم مترجمنا أبياتا حدد فيها ظاءات القرآن فقال :

**ظنت عظيمة ظلمنا من حظها**
**فظللت أوقظها لكاظم غيظها**
**وظعنت أنظر فى الظلام وظله**
**ظمآن انتظر الظهور لوعظها**
**ظهري وظفري ثم عظمي فى لظي**
**لأظاهرن لحظها ولحفظها**
**لفظي شواظ او كشمس ظهيرة**
**ظفر لدى غلظ القلوب وفظها**

ومن المعلوم أن المنظومات التي تهدف الى تعليم بعض القواعد او الاشعار ببعض الصور غالبا ما تنعدم فيها الروح الادبية الا اذا كان الامر يتعلق بتحسين تعبير من نفوس صقلها الادب قبل العلم فأحسنت الربط بينهما كما نلاحظ ذلك فى تحفة ابن عاصم مثلا .

ولم يقتصر علماء القراءات وحدهم بالاهتمام بالرسم بل اهتم علماء اللغة ايضا بالرسم العربي وكانوا يبينون الاصول التي ينبني عليها الرسم باعتبار ان الرسم القرآني خاص بالمصحف حتى صاروا يقولون : خطان لا يقاس عليهما خط المصحف وخط العروضيين .

ومن الطريف هنا ان نشير الى ان مشكلة الظاء فى الرسم العربي واشتباهها بالضاد دفعت بعض المؤلفين الى تحديد الكلمات المشتملة عليها وجعلها فى ترتيب ابجدي غير معهود فى المعاجم العربية بحيث يعتبر هذا العمل الذي قام به مرتب هذه الكلمات ثورة فى تنظيم الكلمات العربية داخل المعاجم لو سار عليها العرب فى ترتيب معاجمهم منذ تأسيسها لسهل على كل القارئين البحث عن الكلمة دون الرجوع الى اصلها وانما يكتفون بصورتها اللفظية .

والفضل فى هذه الطريقة يرجع الى القلقشندي فى كتابه صبح الاعشى (1) حين قال :

« الفصل الخامس من الباب الثاني من المقالة الاولى فيما يكتب بالظاء مع بيان ما يقع الاشتباه فيه مما يكتب بالضاد » ثم بعد ذلك رتب الكلمات على هذا الشكل فقال :

**حرف الالف فيه اظله** الشيء اذا غشيه ، اما اضله من الضلال اذا ضل دابته اذا ندت فبالضاد .

**حرف الباء فيه بهظه الامر** اذا اتعبه وفيه البظر.

**حرف التاء المثناة فوق فيه التقريظ** وهو المدح والتلمظ وهو تحريك الشفتين بعد الاكل لابتلاع ما حصل بين الاسنان

**حرف الجيم فيه الجواظ** وهو الجافي المتكبر او الاكول . والجحوظ وهو نتو العين وندورها ومنه أبو عثمان الجاحظ وجحظة البرمكي ..

---

1) صبح الاعشى الجزء الثالث صفحة 222

بعض الكتب المؤلفة وفى موضوعاتها فلا يقع الفرق الا فى الاختيار لطائفة دون أخرى .

وقد وقع ذلك بالفعل فى بلاد الاندلس حينما احسوا باستقلالهم الذاتي وارادوا أن يظهروا وجودهم الادبـي واستغناءهم عن بعض الكتب الشرقية أو معارضتهم لتلك الكتب ليضيفوا الى الخزانة العربية دراسـات جديـدة .

ومن بين الموضوعات التي اهتم بها الاندلسيون موضوع الحب فدرسوه من الناحية النفسية والخلقية والادبية والمجونية وانتشر الشعر الغزلي على اختلاف حيثياته بين الادباء وكانت بعض الكتب الشرقية تقـرأ بينهم ككتاب الزهرة لابي بكر بن داود الاصبهاني الظاهري نقلده **احمد بن محمد بن فرج الجياني** بكتاب آخر سماه الحدائق ولم يختر فيه لغير الاندلسيين وأحسن الاختيار.

وقد ذكر الحموي فى كتابه ترجمة ابن فرج هذا وكناه بأبي عمرو (1) مع أن المعروف فى كنيته أبو عمر بالصيغة المعدولة الموافقة لما فى كتاب الحميدي وكتاب الصلة لابن بشكوال .

وهو شاعر رقيق العاطفة اهتم بالشعر الغزلي العفيف وكان شعره حديث المجالس لا يذكي شهوة ولا يؤجج فسقا بل تطمئن اليه النفس المؤمنة التواقة الى الخير فهو يعبر عن عاطفة الحب من جهة ويصور خلق العفة من جهة اخرى ولا ادري لماذا اهمل الحموي ذكر شعره ولم يختر من الحميدي شيئا .

فمـن شعـره قولـه : (2)

**وطائعة الوصال عـدوت عنـها**
**وما الشيطان فيـها بالمطـاع**
**بدت فى الليـل سافـرة فباتـت**
**دياجي الليل سافـرة القنـاع**
**ومـا مـن لحظـة الا وفيـها**
**الـى فتن القلوب لها دواعـي**
**فملكت النهى جمحات شوقـي**
**لاجري فى العفاف على طباعـي**
**وبت بها مبيت السقـب يظمـا**
**فيمنعه الكمام مـن الرضـاع**
**كذاك الروض ما فيـه لمثلـي**
**سوى نظر وشم مـن متـاع**
**ولست من السوائم مهمـلات**
**فاتخذ الرياض مـن المراعـي**

ادخل ابن فرج هذا السجن أيام الحكم المستنصر وظل فيه الى ان توفي الحكم سنة 366 هـ فأعطى الامر باطلاق سراحه فلما بلغه الخبر فزع لذلك فرحا فمات .

ومن طريف ما يقرأ ان ابن فرج هذا رغم انه ادخل السجن لم يمنع الطلبة من الاستفادة منه فكان يسمح لهم بالدخول اليه ليستفيدوا من علومه ويقرؤوا عليه اللغة وغيرهـا (3) .

15) ذكر الحموي ترجمة لاحد المعتنين بالقراآت وهو احمد بن محمد بن عمار بن مهدي بن ابراهيـم المهدوي وكناه **بأبي القاسم المقرىء** (4) ونقل ترجمته عن الحميدي فقال : « أصله من المهدية ودخل الاندلس فى حدود الثلاثين واربعمائة أو نحوها وكان عالمـا بالقراءات والادب متقدما » ولكن كنيته بأبي القاسم لم توجد فى الاصل وانما يكنى **بابي العباس** .

ولقد أشار الاستاذ ابن تاويت فى تصحيحه لكتاب الجذوة (5) الى ملاحظة تفيد المهتمين بدراسة الاعـلام حيث ذكر أن حاشية الاصل جعلت احمد بن محمد هذا احمد بن عمار التميمي ولكنه لم يذكر غير ذلك .

وانا اظن ان محمدا ابا المترجم له كان يلقب بعمار او سقط من نسخ الجذوة وهذا ما يتلاءم مع الترجمة التي ذكرها السيوطي فى كتاب بغية الوعاء لاحمد بـن عمار التميمي حيث لقبه بأبي العباس المهدوي المقرىء النحوي المفسر وقال : « انه كان مقدما فى القـراءات والعربية وان أصله من المهدية ودخل الاندلس وصنف كتبا مفيدة منها التفسير ومات فى الاربعين وأربعمائة »(6)

فأحمد بن عمار هذا هو احمد بن محمد المهـدوي الذي ترجم له الحموي ولكن الخلاف فى الكنية قد يكون

1) معجم الادباء الجزء الرابع صفحة 236 .
2) ذكر الثعالبي قسطا من شعره فى كتاب يتيمة الدهر الجزء الثاني صفحة 14
3) الصلة لابن بشكوال الجزء الاول صفحة 11
4) معجم الادباء الجزء الخامس صفحة 39 .
5) كتاب الجذوة صفحة 106 .
6) بغية الوعاة صفحة 152 .

**كانه نقر من فضـــة وضعـــت**
**فيها من الذهب الابريز اكــواس**
**على الزمرد قامت عند منبتهـــا**
**فى كل نوارة مفتوحــة كـــاس**

فاستعمال الذهب والفضة والزمرد وهو الزبرجد مشترك بين الشاعرين فى وصف البهار .

لم اتعرض لبيتي ابن برد لاتحدث عنهما من الجانب الوصفي وانما جاء ذلك عرضا فقط وانما لابين للقراء ان البيت الاول ورد فى كتاب الجذوة على هذا الشكل(1)

**تامل فقد شق البهار مغلســا**
**كماميه عن نواره المخضل الندي**

ولم يكتف المصحح بزيادة الميم بل وضع السكون على الخاء والفتحة على الضاد وهذا ما لا يتناسق مع النغمة الشعرية والوزن العروضي للقالب الذي اختاره الشاعر .

فالبيتان من بحر الطويل ذي الضرب المقبوض مع العروض المقبوضة طبعا فهو من النوع الثاني علـــى الشكل الآتي :

**مفعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن**
**فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلــن**

ولا يقع تغيير فى الضرب اذا اخذ اتجاها معينا فى مطلع القصيدة كما هو المعروف فى علم العـــروض والقوافي بخلاف الزحافات داخل الحشو فقد تحدث وقد لا تحدث .

والاشارة الى هذا التحريف فى وضع البيت لا تخفى على المهتمين بدراسة الكتاب ولكننا رغم ذلك نجد ان الواجب يدفعنا الى التنبيه عليه للمحافظة على السياق الادبي فى الشعر العربي الاصيل .

كما نرى أن الاشارة الى بيتين آخريــن داخــل ترجمة ابن برد قد ورد شكلهما مختلفا بين الكتابيـــن فالشاعر يقول : (2)

**قلبي وقلبك لا محالة واحـــد**
**شهدت بذلك بيننـا الالحـــاظ**
**فتعال فلنغظ الحسود بوصلنـــا**
**ان الحسود بمثل ذاك يغـــاظ**

ان كلمة فلنغظ شكلت فى كتاب الحموي بفتـــح النون من غاظه الثلاثي وفى كتاب الجذوة بضم النون من اغاظ الرباعـــي .

ونحن نرى ان الاستاذ ابن تاويت كان من الواجب ان لا يشكل هذا الحرف وذلك لامرين :

الامر الاول — انه يوجد من علماء اللغة من ينفي وجود اغاظ الرباعي ولا يثبت الا الثلاثي ومن هـؤلاء الجوهري فى كتاب الصحاح (3) فقد جاء فى التعريف بهذه المادة قوله : « الغيظ : غضب كامن للعاجـــز . وغاظه من باب باع فهو مغيظ ولا يقال اغاظه .

الامر الثاني — يرجع الى ان طائفة من علماء اللغة اجازت الصيغتين معا فقد جاء فى كتاب المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعي (4) : « الغيظ : الغضب المحيط بالكبد وهو اشد الحنق وفى التنزيل **« قل موتوا بغيظكم »** وهو مصدر من غاظه الامر من باب سار . قال ابن الاعرابي كما حكاه الازهري **غاظه يغيظه واغاظه** بالالف واسم المفعول من الثلاثي مغيظ قال :

**ما كان ضرك لو مننت وربمـــا**
**من الفتى وهو المغيظ المحنـــق**

فاذا كان ما حكاه الازهري عن ابن الاعرابـــي صحيحا فان الصيغتين معا صالحتان فليس هناك اذن اي معنى لهذا الشكل الذي يوهم اعتماد هذه الصيغة او صحتها دون سواها مع انها الصيغة المختلف فيها وعليه فلان نترك الحرف مهملا ونترك للقارىء الحريـــة فى النطق به كما شاء خير من أن نقيده بوجه خاص قد يكون مرجوحا .

ولعل القراء ايضا يستحسنون هذه الحريـة لانها اقـرب الـى الصـواب .

**فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ**

---

الجذوة صفحـــة 107 .
2) نفس المصدر صفحة 108 اما فى كتاب المعجم فقد وردا فى صفحة 43 من الجزء الخامس .
3) مختار الصحاح لابي بكر الرازي الطبعةالمنسقة بمجهود محمود خاطر المرتبة على حروف المعجم صفحة 512 .
4) هذا معجم لغوي متداول من تاليف احمد بن محمد ابن علي المقري الفيومي المتوفى سنة 770 هجريـــة

ثم استمر في تعداد الكلمات حسب مخرجها لا حسب اصلها فنحن اذن نلاحظ ان هذا الترتيب الذي سار عليه القلقشندي ترتيب يهتم بصورة الكلمة وهو عمل قيم في كتابة المعاجم لاشك ان المعجم العربي الحديث سينهجه تسهيلا لنشر اللغة العربية بين القراء وتقريبا لمدلول الكلمة بين التلاميذ الذين يعسر عليهم البحث في المعاجم اللغوية قبل الاطلاع على قواعد اللغة العربية واصول اشتقاقها .

وان هذه الملاحظات التي قدمناها سواء فيما يتعلق عند علماء القراءات بكتابة الرسم القرآني أو عند علماء اللغة بكتابة الفاظها لمما يدل على العناية الكبرى التي كان يوليها اجدادنا للدراسات الدينية واللغوية والتي شارك فيها المترجم له بظاءاته القرآنية ففتح لنا باب الحديث عن تسجيل هاته الخواطر .

16) ذكر الحموي من بين التراجم التي اختارها لادباء الاندلس ترجمة الاديب الشهير احمد بن محمد بن احمد بن برد الاصغر (1) . وقد نشأ هذا الاديب في حقبة أدبية كان الاندلسيون يحاولون فيها تكوين شخصيتهم وابراز مميزاتهم الادبية . ولقد اشتهر بمفاخرته الشهيرة بين السيف والقلم محاولا بذلك ابراز الفضل لذوي اللسان والسنان معا حتى لا ينسى بعض الحاكمين فضل الادباء ويقتصروا على ذوي التغلب من القواد والجنود .

والدعوة الى المفاضلة في هاته الحقبة التي كانت تحياها الاندلس سببها ما نشأ من الفتن ضد الحكومة المركزية وما اثارته الفتنة البربرية التي تحدثنا عنها في مقال سابق من اضطرابات ادت الى قيام بعض التمردات في اقاليم مختلفة كان ذووها يعتمدون على السيف في تركيز نفوذهم فخشي هذا الاديب أن تضعف دولة الادب وتزول هيبة الكتاب والشعراء فحاول ابراز فضل القلم دون أن ينكر فضل القوة في تثبيت المجد وابرز في المفاخرة المحاسن والمساوىء لكل من الطرفين ولكنه في الاخير حاول التوفيق بينهما .

ولما نقل ترجمة ابن برد ذكر أن الحميدي قال(2): « وهو مولى احمد بن عبد الملك بن عمر ابن محمد بن شهيد . ابو حفص الكاتب مليح الشعر بليغ الكتابة من اهل بيت ادب ورياسة » .

واستمر في نقله عن الحميدي دون أن يقطع الاتصال وذكر من المنقول قوله : « وله كتب في علم القرآن منها كتاب التحصيل في تفسير القرآن وكتاب التفصيل في تفسيره ايضا وله غير ذلك وكان جده احمد ابن برد وزيرا في الايام العامرية مات سنة ثمان عشرة واربعمائة أعني الوزير » .

مع ان هاته الفقرة الاخيرة لا توجد في كتاب الجذوة المطبوع فهي اما ساقطة من النسخة التي وجدت واعتمد عليها الناشرون في طبع الكتاب واما نسبة ذلك الى الحميدي وهم من الحموي جره اليه قلمه فلم يشر الى نهاية النص المأخوذ عن الحميدي واضاف اليه ما اخذه عن غيره .

وليس معنى ما اشير اليه التشكيك فيما نسبه الحموي الى ابن برد من تفسير للقرآن واهتمام بمعانيه وانما الاشارة فقط الى ان نسبة هذا الخبر الى كتاب الحميدي مشكوك فيها نظرا لعدم وجوده في النسخة المطبوعة من الجذوة .

17) قال الحموي عند حديثه عن ابن برد هذا ومن شعره :

**تأمل فقد شق البهار (3) مغلسا**
**كماميه عن نواره الخضل الندي**

**مداهن تبر في انامل فضة**
**على أذرع مخروطة من زبرجد**

فالشاعر في وصف البهار اعتمد على تصوير الالوان والمزج بينها واستعمل من المشبهات بها ما يزينه للنفس ويقربه اليها فقد جمع بين الوان النبات الطبيعي وبين الوان المعادن التي يميل الانسان الى اكتسابها ويرغب في الحصول عليها وتتصل بمظاهر الترف والنعيم اكثر مما تتصل بمظاهر البؤس والحرمان وبهذه الوسيلة حاول الشاعر ان يرتشي قراءه ليستلذوا بشعره ويؤمنوا باعجابه بالبهار فهو في هذين البيتين شبيه بما قاله اسماعيل بن بدر في وصف البهار (4) .

**اهدي اليك من النوار احسنه**
**قد ضل في وصفه من قبلي الناس**

---

1) قال الحميدي وقد رايته بالمرية بعد الاربعين واربعمائة غير مرة زائرا لابي محمد علي بن احمد .
2) معجم الادباء الجزء الخامس صفحة 41 .
3) البهار هو الزهر المعروف عند الشرقيين بالنرجس اما الاندلسيون فكانوا يستعملون الاسمين معا .
4) البديع في وصف الربيع لابي الوليد اسماعيل بن عامر الحميري من مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية صفحة 97 .

# مدينة المباهج

للشاعر المدني الحمراوي

مراكش الحمراء فيك مسرتي ... ولديك احلام المنى تتحقق
فاذا حللتك فالحياة بهيجة ... واذا نزحت فمهجتي تتحرق
ما انت الا بهجة الدنيا التي ... يسبي القلوب بهاؤها المتألق
فاذا ذكرت فبالمحاسن والعلى ... يثني عليك مغرب ومشرق
الحسن فيك تكاملت آياته ... والفضل فيك مخيم ومحلق
والمجد فيك تسلسلت أزمانه ... يلقي عليك فخاره ويطوق
وجنانك الفيحاء فيها فتنة ... للناظرين ومتعة تتألق
يحيي قلوب المدنفين نسيمها ... ويهب بالمسك الذكي ويعبق
والطير فيها بالحياة مرحب ... يشدو بسحر جمالها ويشوق
والماء فى جنباتها متسلسل ... طورا يلين وتارة يتدفق
والجو صاف والسماء صقيلة ... زرقاء تختلس القلوب وتسرق
والدوح دانية الغصون كأنها ... تحنو على المتنزهين وتشفق
والنخل غيد قد شغفن صبابة ... ونحولهن لحالهن مصدق

* * *

فى كل ناحية مروج تختفي ... فيها زهور كالعيون تحدق
وشقائق النعمان فيها راية ... حمراء فى تلك المرابع تخفق
شغف الفراش بلثمها فكأنها ... تمتص منه دماءه اذ يعلق
لم أنس قط ولست يوما ناسيا ... متعا بمنتزه «المنارة» تعشق
ومآثر القصر البديع وما حوى ... «أكدال» من جنات حسن تونق
وحدائق « الباب الجديد » ومنظرا ... عند الغروب يكاد سحره ينطق

# ديوان المجلة

### من وحي رمضان

# هلال السلام

**للشاعر علال بن الهاشمي الفيلالي**

يا هلال السماء ما انت الا / دعوة الكون للسلام المؤمل
فيك يسمو الانسان نحو حياة / من حنان يحيي الشعور المعطل
قل لنا يا هلال ، واحمل الينا / قبسا من ضياء افضل مرسل
منقذ الكون ، دينه خير دين / هو احلى ما في الحياة واجمل !
هو ايمان ثائر ، هو نصر / هو في قبضة المجاهد مشعل
قل لنا يا هلال : كيف توارى / عن عيون الانسان وحي منزل ؟ !
لا اعتداء ، لا عنصر ، لا امتهان ! / ما لهذا الانسان لا يتأمل ؟
قل لنا : اين يجمع الناس حب ؟ / اي شيء يهدي الوجود المضلل
فلسفات توهي العقيدة فينا / وتحيل الانسان الة معمل
نحن من مادة وروح ، ولسنا / كذئاب عطشى من الدم تنهل
نحن ظل الاله في الارض ، نعلي / قيما في الانسان ، والحب اول !

* * *

يا اله الوجود عفوك ، انا / في طريق الاشواك ، والليل مسبل
لا تكلنا الى مصير عقول / عندها كل عالم الروح مهمل
قد فرضت الصيام ، وهو نداء / للمساواة في وجود مكبل

* * *

يا هلالا مقوسا ، انت رمز / لحياة من افضل نحو افضل !
كنت تاتي ، والمسلمون قيام / بين هاد ، وناسك يتبتل
امة وحدت ، وللحق تدعو / مبدا مفرد ، ووحدة مأمل
لا تغب ، فالاباة في كل ارض / ثورة لا تلين او تتحول
اقسموها يمين حر ابي / ان يعيدوا مجد الجدود المؤثل

**الرباط — علال بن الهاشمي الفيلالي**

# جولة في المخطوطات العربية باسبانيا

للأستاذ محمد ابراهيم الكتاني

(3)

... ومن جملة مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد :

34 – ديوان احمد الدغوغي

شاعر الزاوية الدلائية . مبتور الاول الموجود منه 37 ورقة وقد عرفت ناظمها من قوله في قصيدة :

دغوغي آباء . دلائي سادة ❋ موال كرام ماجدين عظام

35 – ومعه رسائل من الدلائيين الى : اهل سوس . والى الشراقة . وشريف سجلماسة . ومحمد الفرافي كبير قبيلة الطالب ابن زيتون .

وقد صورنا شريطا من هذا المجموع للخزانة العامة .

36 – ومنها الجزء الثاني من كتاب « انوار اولى الالباب . باختصار الاستيعاب » تأليف عمر بن علي .

بخطوط مختلفة ، مبتورة من اوله ذكر في اواخره ان جميع ما فيه 3431 من الصحابة وانه افرد لذكر الشهداء والاموات رسالة وجيزة سماها بـ « رسالة الشهداء المشهود عليهم » .

والمؤلف هو ابو علي عمر بن علي بن يوسف ابن الزهراء العثماني الورياغلي ثم الفاسي مؤلف كتاب « الممهد الكبير » في واحد وخمسين مجلدا وغيره وهو من اهل القرن الثامن للهجرة . ويوجد انوار اولي الالباب في الخزانة العامة بالرباط د2324.

ومن جملة مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد مجموع من جملة ما به :

37 – رسالة كتبت من وهران عن اذن الفقيه المدرس المفتي الخطيب عبد الرحمن ابن محمد بن يوسف الصنهاجي عرف بابن مقلاس مؤرخة بثاني عشر جمادى الاخيرة 794 :

الى كل من يقف عليه من الفقهاء والعلماء وجماعات المسلمين من بلاد الثغر وغيرها ، من المسلمين القاطنين بأرض الكفرة . المستظلين تحت ظلالهم المنجوسين في معتقداتهم واعمالهم .

حمله على كتابتها ما اخبر به الطالب المهاجر لله ورسوله محمد بن سلامة ابن جميل ، من احوال المسلمين الذين هم في بلاد النصرانية .

وهي تتضمن فضائل الهجرة ومعناها والجواب عن بعض البدع التي سأل السائل عنها .

وتقع في ستة اوراق . وبآخرها شهادة احمد ابن عمرو العباس بن محمد بن منذر .

وهذه النسخة بخط محمد بن محمد بن علي المرابطي بتاريخ 799 .

ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد مجموع في مجلد ضخم به :

38 – شرح محمد بن احمد بن جابر الهواري المري الاندلسي – امتع الله ببقائه – بخط موسى ابن علي القرشي المعروف بالجمجمي الشيناني الارغوني، مؤرخ نصفه الاول بثالث عشر ذي الحجة 906 ونصفه الثاني بخامس عشر صفر 907 بجامع بطرنة عمره الله بالاسلام ! اي بعد عشر سنوات من استسلام غرناطة .

والشمس فوق « جليز » تلفظ روحها — وتودع البلد البهيج وترمق
والعطر قد غمر الانوف من الربى — ومن السهول فكل أنف ينشق

* * *

مراكش الحمراء صوني عهدنا — اني بعهدك فى النوى اتعلق
اتذكر الزمن القديم ويمنه — فاغوص فى لجج الحنين واغرق
ويعيد منظره خيال فأكتوي — بلهيب اشواقي اليه واحرق
لله أيام عرفنا صفوها — كانت بألوان المسرة تشرق
والقلب من غبر الهوى متفرغ — والعقل من نزواتنا لا يقلق
والدهر عنا غافل واللهو لا — ينفك يتبع جمعنا او يسبق
وبكل منتزه لنا متبوأ — ونهارنا بأصيله متروق
فنجول فى روض السرور ونرتقي — جو القريض مع الخيال نحلق
والورد يسكرنا شذا انفاسه — وعيوننا لروائه تتعشق
وبلابل البستان غنى جوقها — لحن الجلال وصار فيه يرقق
رفع المناقير اللطاف الى السما — بصلاته متخشعا يتملق
تلك الصلاة شعارها متخلد — وجلالها سر غريب مغلق
والدوح يصغي والمهابة ارعشت — اغصانه حتى غدت تتفرق
وكأنما تلك الورود تلونت — من رهبة ولخوفها تتشقق
والارض تبكي بالسواقي خشية — واهابها بخشوعها يتمزق
سبحن من جعل الطبيعة مصحفا — عن مجده وجلاله يستنطق
آياته فى سرها مطوية — تبدو لكل مفكر يتحقق

* * *

وطني اراك لكل حسن منبعا — ولكل سحر انت لحن شيق
عرف الانام بك الجمال فأقبلوا — كالنحل يجذبه العبير فيلحق
انت ابتسامات الحياة ، وثغرها — بالنور يسطع ، بالمنى يترقرق
يا فاتن الدنيا ومخدع شمسها — يا مغربا هو للحضارة مشرق
يا مطلع الاقمار والاحرار يا — أرضا بأمجاد البطولة تبرق
اني بمجدك قد نسجت قصائدي — وبحسنك الفتان شعري يورق
انت الذي الهمت منى شاعرا — غنى بمجدك والحياة تصفق
تاريخك المعطار نبع مشاعري — وجمال أرضك فى قريضي رونق

**الرباط : المدني الحمراوي**

وفيه تسعة فصول :

الفصل الاول فى قدمية هذه المياه وكيف مارس الاولون علاجها ؟

الفصل الثاني فى مكان ينبوع هذه المياه – وهي بجانب نهر واديلا – وهذا هو المكان الذي يدعى سلام بير قرب المدينة المدعوة قديما قونتبريسة .

الفصل الثالث فى الاصول والمعادن التي تخرج فى هذه المياه .

الشرح الثاني فى كيفية استعمال مياه سلام بير فى كل وجع الخ» ويقع فى 161 ص .

47 – ومن المخطوطات النادرة المهمة بالمكتبة الوطنية بمدريد كتاب « المفتاح فى اختلاف القراءة السبعة المسمون بالمشهورين » املاء الحافظ ابي القاسم عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب المقرىء القرطبي صاحب الوجيز وغيره . المتوفى سنة 461 كتب فى نصف رجب 534 فى حضرة غرناطة حماها الله .

لا ذكر له فى كشف الظنون ولا عند بروكلمان ، وذكره ابن الجزري فى « غاية النهاية » والبغدادي فى هداية العارفين » وفى ايضاح المكنون » وقال فى ثانيهما انه فى القراءات العشرة ! وقال كحالة فى «معجم المؤلفين» انه فى علمي الخواص والحروف! .

وهو مذكور فى فهرس المخطوطات العربية بمكتبة مدريد الوطنية لكايان روبلس F. Guillen Robles المطبوع سنة1889م، ص23، وعند هارتويغ ديرانبورغ فى ملاحظاته على المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية بمدريد المطبوعة بباريس سنة 1904 ص 14 .

48 – ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد كتاب العلل ويسمى كتاب سر الخليقة لبلينوس ليوناني الذي سماه الجامع للاشياء . فيه ست مقالات : «1» فى اثبات التوحيد «2» فى الاثار العلوية «3» فى علل المعادن «4» فى النبات «5» فى الحيوان «6» فى خلق الانسان .

ترجمه التلميذ هارون . قال : ولم ادع حرفا مما كان بلنياس « كذا » وضع فى كتابه الا حروفا لم اعرف معانيها فتركتها على ما كانت عليه « ثم ذكرها » .

كتب سنة 485 وبآخره رسالة ملك الروم الى الحكم امير المومنين يذكر له فيها فضل هذا الكتاب .

49 – ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد كتاب فيه « موسيقى ابي نصر الفارابي رحمة الله عليه . فيه اثنا عشر مقالة . وهو بخط الوزير ابي الحسن ابن ابي كامل نزيل قرطبة حرسها الله ورحمه . صاحبا للحكيم ابي بكر ابن الصائغ المعروف بابن باجه السرقسطي الفيلسوف رحمه الله .. وقرأ عليه .. المنطق وانتسخ من عنده كثيرا من اخبار ابي نصر وتآليفه .

يقع فى مجلد . وقد صورناه للخزانة العامة .

50 – ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد كتاب «الجوامع» لابي الوليد ابن رشد لخص فيه آراء ارسطو فى مؤلفاته : السماع الطبيعي ، السماء والعالم ، الكون والفساد الآثار العلوية .

وكان فراغه من تلخيصها يوم الاثنين 16 ربيع الاول 554

ثم الاقاويل الكلية فى علم النفس . ثم ما بعد الطبيعة .

قال : وسنفرغ لبيان ما يلحقها من الشناعة فى المقالة التي تلي هذه ان شاء الله . ويقع في 145 ورقة .

51 – ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد مجلد ضخم مجموع من اقاويل الاوائل فى طباع الاغذية وقواها ..

تأليف رجل راغب فى الحكمة يقال له اسحاق ابن سليمان الاسرائيلي ، كتب على ظهره انه بخط ابن وافد .

52 – ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد كتاب الخصال لابن زرب رحمه الله على مذهب مالك ابن انس رحمة الله عليه . رواية ابي الوليد يونس ابن عبد اله بن محمد بن مغيث الخطيب بجامع قرطبة ، عن ابي بكر محمد بن يبقى بن زرب القاضي رحمة الله عليه يقع فى 85 ورقة . فى رق الغزال بخط جميل .

53 – ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد السفر الاول من منتخب الاحكام لابي عبد الله محمد ابن عبد الله بن ابي زمنين الالبيري رضي الله عنه .

39 — ويليه تقييد من كلام ابي الحسن علي ابن عبد الكريم على الدرر اللوامع « خاص بالبسملة والتصلية » قيده عنه عبد القوي بن احمد بن عمران المجاصي .

قال الناسخ : والدرر اللوامع لابي الحسن علي ابن محمد بن علي بن محمد بن الحسن المرابطي الشهير بابن بري — منسوب الى ارباط « كذا » اعني الاحواز يعني حوز تازة — وهو تسولي من فخذ يقال له بني اللنت ، وكانت قراءته على شيخه بتازة ، وتوفي بمدينة فاس — حرسها الله تعالى ، دعاه السلطان اليها حين دعاه ابو الحسن في خلافته فكان يقرأ عليه في الدار البيضاء .

قلت وقد تحرفت على الكاتب الربضي الى الرابطي كما تحرفت عند ابراهيم المازغني التونسي في شرحه « النجوم الطوالع » الى الرياضي وعند بعض آخر الى الرباطي ! كما ان خارج مدينة تازة ضريح منسوب لابن بري هذا وعليه قبة ! .

40 — ويليه شرح ابي عبد الله محمد ابن مروان عبد الملك بن ابي الحسن علي بن عبد الملك القيسي المنثوري على « الدرر اللوامع » قال وقد تفقهت في الرجز قديما على شيخنا امام الاقراء ومعلم الاداء ابي عبد الله محمد بن محمد بن علي الكناني القيجاطي .

ورويته من طرق ثلاثة ، اعلاها ، ما حدثني به الشيخ المسن المقريء الصالح ابوالحجاج يوسف بن علي ابن عبد الواحد السروري المكناسي قراءة من حفظي عليه في اواخر شعبان 774 عن ناظمه سماعا عليه بجامع القرويين من مدينة فاس في اواخر المحرم 723

ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد .

41 — كتاب « التقريب والتبيين في شرح التلقين » مبني على التصحيح ، من تأليف الفقيه الجليل النبيل ابي بكر بن العربي رحمه الله تعالى كان الفراغ منه يوم الاحد الحادي عشر من يونيه ، موافقا مع العشرة الوسطى من هلال ربيع الاخر من عام 920 من هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

على يد كاتبه موسى الجمجمي ، نفعه الله به وجبر مكسوره ومكسور الكتاب وملحونه ، لكوني ناسخه على نسخة ملحونة ما قدرت على جبرها واصلاحها لكثرة الحانها ! ومفسودها ! : فالله وحده يليق ! جبرها واصلاحها ، فهو المجبر ! والمصلح لا الاه الا هو .

ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد .

42 — كتاب في المقابلة بين الشهور القمرية والشمسية اسمه « هذا مناخ مبارك بحول الله لمعرفة الشهور الهلالية ومعرفة الناقص منها من الكامل »

وهو يبتدىء بجداول في ورقتين ثم تفسيرها بقلم محمد بن فتح الصفان . بذكر اول كل شهر عربي وكل شهر عجمي . والسنين والوقوف بعرفة . ويبتدىء من سنة 958 وينتهي 1060 ويقع في 53 ورقة .

43 — ومنها وثيقة باللغة العربية تقع في خمسة اوراق وتتضمن تسمية الثياب والاملاك التي احضرتها معها عروس مسيحية عند زواجها بمدينة طليطلة في 7 يوليه 1323 للصفر .

44 — ومنها شرح عبد الواحد بن ابي بكر بن يونس الصنهاجي الشنتوفي المخبوفي المسمى بكتاب « التنبيهات والفوائد » على التلقين للقاضي عبد الوهاب . وهو مجلد خاص بالصلاة وفي آخره كمل الكتاب المبارك ! عام 913 . وهو مجلد خاص بالصلاة وفي آخره : كمل الكتاب المبارك عام 913.

45 — ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد كتاب التصريف لابي القاسم الزهراوي ، في مجلدين ضخمين مختلفي الارقام ، وفي اوراق الاخير منهما اضطراب وهما مما انتسخ بطليطلة لخزانة الوزير ابي الحجاج يوسف بن اسحاق بن نحميش على يد كاتبه يوسف بن محمد الطنيوجي اللوشي ، استنقذه الله برحماه ! لا رب سواه . كما اولهما في شهر مايه ، وثانيهما في شهر غشت 1265 للصفر .

46 — ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد، مخطوط حديث لبولس الكاهن الماروني الانطاكي الحلبي وماريانو المادريدي مؤرخ بسنة 1711 .

اعتمدا فيه على مخطوط قديم لعمر بن عبد الله الطليطلي الفه سنة 446هـ بامر ابي عامر بن مزوج ذي الوزارتين عن منافع «امياه» — يعنيان مياه — تير ماليس « اعني بير السلام او سلام بير » بعد ما نفعت المؤلف من علاج الفالج وحصل على صحته المفقودة ، ثم بشفاء الوزير من الداء الملوكي، عند اغتساله منها بعد ما استمر مرضه سبع سنوات .

سهل واصلاح حنين بن اسحاق ، مجلد ضخم فى 150 ورقة .

65 — ومنها عشرة اوراق من تفسير ديسقوريدس لابن جلجل ، يذكر الكلمة المفردة ثم يفسرها بالعربي .

ومنها مجموع ، من جملة ما به :

66 — كتاب البدع ، لابن بكر الطرطوشي .
67 — وكتابه فى « النهي عن السماع والغناء »
68 — وكتاب « بر الوالدين » لعله له ايضا.
69 — ونسخة سقيمة من غنية عياض مبتورة الاول .

70 — ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد نسخة جيدة من الثلث الثاني من الاكتفاء للامام الكلاعي الشهيد رحمه الله ولم يسم مؤلفه فى الكتاب، فخبط كثير من المفهرسين الاوربيين فى شأنه مثل بروكلمان « ج1 ص 345» وديرانبورغ «ص 23» فتوهموه جزءا من الاكتفا لابن الكردبوس التوزري .

71 — ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد كتاب الجمل للزجاج بخط سلامة بتاريخ 982 بمدينة شوبري « كتابة طالب » .

ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد مجموع من جملة ما به :

72 — لامية فى مصطلح الحديث ، من نظم محمد عبد الهادي بن عبد الله بن علي ابن طاهر بن الحسن الحسني ، تقع فى 6 اوراق .

73 — وجوهرة التوحيد للقاني ، بخط محمد ابن قريش وبعدها اجازتها له بخط استاذه محمد ابن يحيى بن عبد الهادي الجزائري المنشأ التطواني الدار بتاريخ آخر ذي القعدة 1059 وذكر اسانيده فى علم الكلام ، وقال انه قراه ببلده وفى رحلته لبلاد الروم .

راجع ترجمته فى الجزء الاول من تاريخ تطوان ص 345 .

74 — ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد نسخة مغربية حديثة من « الهارونية » فى الطب . لمسيح بن حكيم الدمشقي الفها لهرون الرشيد ، وتاريخ نسخها يوم الاربعاء الخامس من ربيع النبوي 1214 هـ.

75 — ومعها ستة اوراق : اربعة فى الاول ، وورقتان فى الاخير تشتمل على تقاييد مغربية مهمة مثل :

ما اشتراه الرئيس العربي الجزيري لمراكب سيدنا الجهادية من جبل طارق فى 8 ذي الحجة متم 1204

وما وجه من ذلك للعرائش صحبة الرايس حمان فى 12 ذي الحجة 1204 .

والاقامة التي قدم بها الرايس الفلامنك اواخر شعبان 1204 .

وكيفية تفريق كسوة البحرية والطبجية التي ورد بها الرايس قدور شايب عينه من الكتان .

وبيان تفرقة صلة سيدنا المنصور بالله على جيش طنجة وعدده 1794 . ونحو ذلك .

76 — ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد الجمل للزجاج .

ومن مخطوطات المكتبة الوطنية مجموع ، من جملة ما به :

77 — مقصورة المكودي ، مقابلة على نسخة بخط ناظمها .

78 — وشرح زروق على نونية الششتري بخط احمد بن احمد بن علي الاغصاوي . كتبه من نسخة بخط المؤلف .

ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد :

79 — رحلة الغساني الى اسبانيا ، من دون تسمية المؤلف .

80 — وكتاب « الصلة » لابن بشكوال بخط حديث .

81 — والجزء الثاني من كتاب التكملة بخط حديث .

82 — ورحلة ابن بطوطة ، كتبت بمدريد عام 1848 عن نسخة بخط احمد ابن عبد الرحمن المفيلي مؤرخة بعام 1139 .

83 — والسفر الثاني من تاريخ الدول الاسلامية بالمغرب لابن خلدون مبتور الاخر ، عليه تملك احمد الترجمان بتاريخ 1240 .

بخط احمد بن عبد الملك بن جهور بن فحلون الانصاري في غرة جمادى الاولى من سنة 526 .

ومنها مجموع من جملة ما به :

54 — شرح كتاب الشهاب . تأليف الفقيه المحدث ابي القاسم بن ابراهيم الوراق .

55 — وكتاب الورع رواية عبد الملك ابن حبيب «22 ورقة» .

ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد ، مجموع في حجم صغير للجيب بخط مغربي جميل ممتاز . فيه ثمانون ورقة اوله :

56 — رسالة لابي بكر بن العربي المعافري في طرق حديث « ليس من ام برام صيام في ام سفر » وفي رواته واسانيد ابن العربي فيها ، 20 ورقة . تنقصها الورقة الاولى .

57 — وتليها رسالة له ايضا في اسانيد حديث عقبة بن عامر : ما منكم احد يتوضأ فيسبغ الوضوء الخ» « 4 اوراق » .

58 — وتليها رسالة له ايضا في احاديث المصافحة «6 اوراق» وقد نقل ابن رشيد في رحلته عن ابي الربيع الكلاعي بيان ما وقع لابن العربي من الوهم في هذه الاحاديث على قلتها !

59 — ويليها « مجلس الروضة » املاء ابي الفوارس طراد بن محمد الزينبي «3 ورقات » .

60 — ويليه كتاب « قدوة الغازي » تأليف ابي عبد الله محمد بن ابي زمنين . رواية المقريء الحافظ ابي عمرو عثمان بن سعيد عنه .

وفيه ثلاثة وعشرون بابا في : الترغيب في الغزو وفضائل اهله ، وفي النية في الغزو ، وما ينبغي للغازي ان يلتزمه من محاسن الاخلاق . وفيما اعطى الغازي بمسألة او بغير مسألة . وفي ارتباط الخيل والغزو عليها ، في الانفاق في سبيل الله — وما يومر به الغزاة وما ينهون عنه . وفي رمي العدو بالنار والمجانيق وقطع الماء والمير عنهم . وفي الغلول ، وفي فضيلة الحارس في سبيل الله وما يستحب من التكبير . وما يستحب من القول عند الخروج وعند النزول وعند دخول القرى ،والنهي عن القتال على شيء يجعله الامام وما جاء في الفرار من الزحف والانحياز الى الفئة وحمل الواحد على الجماعة وما يجوز فيما اصيب من طعام العدو وما لا يجوز . وما يجوز من ركوب دواب الغنيمة والانتفاع بثيابهم وسلاحهم وما لا يجوز . وما يجوز حمله من ارض العدو ولا يدخل في المقاسم ، وما يجوز للغزاة اكله من ثمر القرى الخالية وما لا يجوز . وما يكره من الوحدة في السفر وما يستحب من هيئة السير . وما جاء في غزو الرجل بغير اذن ابويه والعبد بغير اذن سيده وجهاده في الدين ، وما جاء في الجهاد مع ولاة السوء ، وفي فضل الشهداء وثوابهم وفي فضيلة الرباط .

قال : فعسى ان يتعلم ذلك ويقتدى به من لم يتقدم له عناية بطلب عمله ممن يؤثر الغزو في سبيل الله بنية حسنة وطريقة قويمة .

وكل ما ذكرته في هذا الكتاب من الآثار والمسائل فجميع ذلك من روايتي ، واستخرجته من كتبي .

وهو يعقب بتفسير المفردات الغريبة الواردة في الآثار ويكثر النقل عن عبد الملك بن حبيب في المسائل الفقهية ، ويقع في 34 ورقة .

وهذه الرسالة اللطيفة تكون حلقة في سلسلة الجهود المتواصلة التي قام بها فقهاؤنا الامجاد رضي الله عنهم في مختلف العصور في سبيل بث روح الكفاح والتوعية بما للمكافح وما عليه .

61 — ويليه جزء من فوائد ابي الحسن محمد ابن علي بن صخر الازدي رواية ابي طاهر السلفي ، عن علي بن الحسن السلمي كتابة من مكة «3 اوراق»

62 — ويليه جزء فيه منتقى من فوائد ابي القاسم سعيد بن محمد بن الحسن الاشقري المروردي المعروف بالادريسي رواية الحافظ ابي طاهر السلفي الاصبهاني عن الشيخ ابي محمد هبة الله بن احمد بن محمد ابن الاكفاني الامني عنه ، بحكم كتابته اليه من صور .

وهي احاديث واشعار وملح مروية باسانيدها ، في سبعة اوراق .

63 — ويليه تخميس لمنفرجة ابن النحوي ، مبتور الاول ، ونقول في خواص المنفرجة وتخميسها « 4 اوراق » .

64 — ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد المقالات السبع من كتاب دياسقوريدوس وهو هيولي الطب ، في الحشائش والسموم . ترجمة اصطفن بن

وثائق تاريخية أندلسية حول

# العلاقات السياسية بين غرناطه وفاس في منتصف القرن الرابع الميلادي

بقلم الدكتور محمد كمال شبانة
أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

كنا قد نشرنا على صفحات مجلتنا الغراء « دعوة الحق » بالعدد التاسع والعاشر ( ربيع الاول والثاني 1386 هـ – يوليو – غشت 1966 م ) وثيقة عقد زواج نصري ، جرت رسومه في قصر الحمراء بغرناطة ، بين كل من السلطان أبى الحجاج يوسف الاول بن اسماعيل بن الاحمر ، بصفته وليا ووكيلا عن أخته ، وبين القائد الرئيس ابى الحسن علي بن ابى جعفر بن نصر ، وكانت تلك الوثيقة أول ما خط قلم ذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب ، في كتابه « كناسة الدكان ، بعد انتقال السكان » والذي أشرنا في العدد المذكور من المجلة الى محتويات هذه المخطوطة ، وهي – بعد عقد الزواج هذا – مجموعة من الرسائل السياسية التي صدرت عن البلاط الغرناطي في عهد يوسف الاول هذا ، الى البلاط المريني في فاس ، على عصر السلطان ابى عنان فارس بن السلطان أبى الحسن علي بن عثمان بن عبد الحق المريني • وهذه الرسائل – كما ذكرنا – تمثل في مجموعها العلاقات السياسية التي كانت تسود المملكتين ابان القرن الرابع عشر الميلادي ، وهي ذات مظاهر تتسم بالصفاء والمودة ، وتوالي النجدات والمساعدات الحربية والمادية من المغرب نحو الاندلس ، جريا على سنة ملوك العدوة منذ عرف الاسلام شبه الجزيرة الايبيرية (اسبانيا)• ولا عجب فقد كانت القيادة الاولى للفتح العربي معقودة اللواء للقائد البربري طارق بن زياد ، كما كانت الاندلس يوما امتدادا للتراب المغربي وذلك زمن كل من المرابطين ثم الموحدين •••

هذا ، ونقدم اليوم الرسالة الاولى من هذه المجموعة ، تلك التي يغتبط فيها سلطان غرناطة يوسف الاول ، ويشكر معاصره سلطان المغرب أبا عنان فارس على هدية – صحبة رسالة خاصة – كان قد بعث بها هذا الاخير في مناسبة فتحه لمملكة تلمسان ، واستيلائه عليها من بني عبد الواد (*) «629 هـ – 1232 م » وينوه أبو الحجاج في الرسالة هذه بالمعونات المغربية التي تتدفق نحو مسلمي الاندلس • وقد وردت الرسالة – موضوع التحقيق مؤرخة كما سيرى القارىء •

أما الاسلوب فيها فطابعه الاطناب كعادة ابن الخطيب في التحرير ، كما يميل فيها الى السجع ذي الفقرات القصار حينا والطوال أحيانا • ولن تتعجل الباحث الكريم ، فها هي الرسالة – التي تحقق وتنشر لاول مرة – نقدمها اليه ليلمس بنفسه الجوانب التي يهمه الوقوف عليها أدبية كانت أم تاريخية ••

---

(*) مؤسس هذه الاسرة في تلمسان هو جابر بن يوسف بن محمد بن زجدان ، من بني عبد الواد • كان مقيما مع عشيرته على مقربة منها ، وأساء اليهم واليها الحسن بن حيان الكومي ، فاعتقل رؤساءهم ، وشفع بهم ابراهيم بن اسماعيل الصنهاجي ( شيخ مترجلة لمتونة ) ، فرد الوالي شفاعته ، فجمع ابراهيم قومه وقتل الوالي ، واطلق بني عبد الواد وخلع طاعة الموحدين ، ثم بدا له الخوف من ان يقوى عليه بنو عبد الواد فدعاهم الى وليمة في البلدة ( تلمسان ) فعرفوا ان نيته الغدر بهم ، فقبضوا عليه ودخل جابر ( صاحب الترجمة ) المدينة ، فضبط أمورها عام 627 هـ ، وجعل الدعاء للموحدين ، وعظم سلطانه ، وبايعته حواضر القطر الا مدينة ( ندرومة ) ، فقصدها وحاصرها ، فرماه يوسف الغفاري بسهم من سورها فقتله • أنظر في هذا ( بغية الرواد ) ص 105 – 107 ، والاعلام ، خير الدين الزركلي ج 2 ط 2 القاهرة سنة 1954 م •

84 — وتفسير غريب القرآن لابي بكر محمد ابن عزيز السجستاني كتب عام 765 فى ورق شاطبي جيد .

85 — تاريخ الحكماء للقفطي بخط حديث .

86 — القرطاس لابي محمد بن عبد الحليم الغرناطي ابي عبد الله بن ابي زرع الفاسي ، بخط احمد بن علي بن محمد الفلوس بتاريخ 1214 .

87 — المعجم فى اصحاب الصدفي لابن الابار ، نسخة حديثة بخط احد الاوربيين بآخرها فهرس بالعربية والاسبانية .

88 — بغية الملتمس للضبي بخط بعض الاوربيين مع فهرس .

89 — تاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطية القرطبي نسخه من نسخة باريس بشكوال داغينغوس « 33 ورقة » .

90 — نسخة اخرى من تاريخ الحكماء للقفطي بخط احد الاوربيين .

91 — كتاب الفلاحة لابن العوام بخط بعض الاوربيين فى جزاين ص 1936 .

92 — الحلة السيراء لابن الابار بخط بعض الاوربيين ، بآخرها فهرس .

93 — المستعيني فى الطب . نسخة قديمة فى 139 ورقة .

94 — جزء اخير من الاحاطة بخط سقيم لبعض الاروبيين .

95 — اخبار الحكماء للقفطي ، بخط الكاهن بولس بن الياس الهدان الماروني نزيل مدريد سنة 1763 .

96 — ابن خلصون فى الطب .

97 — درر السمط ، مبتور الاول . نسخة سقيمة .

98 — كتاب افهام الانجال . احكام الاجال ، مما صنفه محمد بن عبد الكريم بن محمد بن يخلف المغيلي التلمساني .

وهو تعليق على بيوع الاجال من مختصر ابن الحاجب فى حجم صغير مبتور الآخر .

99 — ومنها شرح برام علي مختصر خليل .

100 — ومنها تاريخ الحكماء للقفطي بخط حديث .

وفى المقال المقبل نواصل الحديث عن بقية المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية بمدريد بحول الله .

**محمد ابراهيم الكتاني**

**اذنان ... وفم واحد**

قال ابو الدرداء :

انصف اذنيك من فيك ، فانما جعل لك اذنان اثنتان ، وفم واحد ، لتسمع ضعف ما تتكلم .

مرصوص ، الاميـــر عبد الله يوسف (6) ، بن اميـــر المسلمين ابى الوليد اسماعيل ، بن فرج ، بن نصـــر . سلام كريم ، طيب بـر عميم ، يخص مقامكم الاعلـى، ورحمة الله تعالى وبركاته .

اما بعد حمد الله الذي جعل الشكر مفترضـا، والف بين القلوب بعواطف فضله الموهوب فلم يبـق فيها مرضا ، وخلص جواهر الاعتقاد من شبه الانتقاد فلم يترك عرضا ، وسدد الاعمال الودية ، والاقـوال الاعتقادية الى مرامي التوفيق فأصابت سهامها غرضا، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسولـه الذي سل من الحق حساما منتضى ، وندب الى التماس الخلال التي تحسد والاخلاق التي ترتضى ، وبين من المآخذ والمسالك ما كان مسلما أو معترضا ، والرضا عن آلـه واصحابه الذين اقتضوا من آدابـه الكريمـة اسنى منتضى ، وباعوا نفوسهم ( 9 : ب ) النفيسة من الله فى نصر دينه ففازوا بدار الخلد عوضا ، والدعاء لمقامكـم الاعلى بالنصر الذي لايبقى فى فـؤاد الدين مضضا ، والعزم الذي يحرض النفوس على جهـاد عدو الدين حتى يعود حرضا ، ــ فانا كتبناه لكم ــ كتب الله لكم من العز افسحه جنابا ، ومن السعد اسبغه أثوابا ، وملأ صحائف صفاحكم الماضية فخرا وثوابا ، وجعل الصنع الالهي لنداء دعوتكم جوابا ، واسعد الاسلام بايالتكـم التي استأنفت شبابا ، ووصلت بأسبـاب التمهيـد اسبابا ــ من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، والتشيـع فى سلطانكم العلي سبيل لايلتبس ، والاعتقاد فى رفيـع جلالكم (7) نور يقتبس منه المقتبس .

والى هذا ــ ايد الله امركم ورفع قدركم ــ فقد تقرر جبلة مطبوعة ، وسنة مطبوعة (8) ــ أن المهـاداة تفرس المحبة وتنبتها ، وتؤكو المودة وتثبتها ، وتصرح الاضغان وتزعها ، وتسل السخائم وتنزعها ، فكيـف اذا وردت على ضمائر أصفى فى ذات الله مـن نطـف الغمام ، واصون من درر الازهار فى أصداف الكمـام ، وقلوب متعاقدة على مرضاة الله والاسلام ؟ فيالها من مودات تزكو حينئذ ثمارهـا ! ! واعتقادات تسطـع انوارها ! ! واننا ورد علينا كتابكم الكريم على حـال اشتياق لوارده ، وظمأ الى موارده ، حائزا فى ميـدان البلاغة مزية التقديم ، واصلا سبب البـر الحـديث بالقديم ، ( 10 : أ ) الى الفاظ مصقولة الاديم ، ومعان حلت من البيان محل الكأس من كف النديم ، مصحبا بالهـدية الجهادية ، والمقاصد الودادية ، والمواعـد السنية ، والعزائم المتكفلة بنيل الامنية . فوقفنـا من ذلك كله على أنواع بـر فى أصنافها مختارة ، وضروب

---

6) هو السلطـان يوسف بن اسماعيل بن فـرج بن اسماعيل بن محمد بن محمد بن احمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجـي الانصاري ، يكنـى « ابـا الحجاج » ، ويعرف بـ : « أمير المسلمين » ، كمـا عـرف بـ : « الغالب بالله » ، ودعـاه المؤرخـون والمستشرقون « الملك العالم » ، و « الشـاعر الفنان ». ولد بحمراء غرناطة فى 28 ربيع الثاني عـام 728 هـ الموافق 28 يونيه عام 1318 م ، من ام نصرانية ، كان والده قد استولدها فأنجبت يوسف هذا بعد ولاية ابيه الحكم بنحو خمس سنوات ، ولما توفى الوالد في رجب عام 725 هـ (يونيه 1325م) كفلت الابن جدته ام ابيه ، وكان لها دور وفعالية فى تكوين ابى الحجـاج تربويا وثقافيا وسياسيا ، فقد عاصرته طفلا يحبو ، ثم فتى يافعا ، ثم سلطانا كبيرا ، حتى توفيت فى كفالته عام 749 هـ (1348م) . اعتلـى يوسف الاول عـرش غرناطة اثر مقتل اخيه محمد الرابع ، فى يوم الاربعاء 13 ذي الحجة عام 733 هـ (25 اغسطس عام 1333م)،وكان السلطان الجديد لم يبلغ بعد سن الرشد ، فقد كانت سنه اذ ذاك خمسة عشر عاما وثمانية اشهر . بيد ان المواهب التي اختص بها ، وما أهلته له التقاليد الملوكية جعلته يضطلع بأعباء المملكة ، ويتمرس شئونها فى ظل ادارة حاجب اخيه ابى النعيم رضوان ، حيث وقع الاجماع على اختياره للوزارة ، أوائل المحـرم 733 هـ (منتصف سبتمبر عام 1333 م) ، فرضي بـه الكـل ، وفرحت العامـة والخاصة للخطـة .... توفى السلطان قتيلا بيد مخبول اثناء سنـة عيـد الفطر عام 755 هـ (19 اكتوبر 1354 م) ، ولم يتجاوز عمره وقتئذ ثمانية وثلاثين عاما ، بعد ان حكم مملكـة غرناطة 21 عاما ، حفلت بأحداث جد جسام ، هـي في تاريخ الاندلس فترة حقيقة بالبحث والدرس والتحليل راجـع : ابن خلـدون فى ( العبر ) ج 4 ص 170 ، والمقـري فى ( ازهار الرياض ) ج 1 ص 167 ، وابن الخطيب فى كل من ( الاحاطـة ) ج 1 ص 148 ، ج 2 ص 59 ، 60 و ( اللمحة البدرية ) ص 89 ، 99 .

7) فى نسخ الريحانـة : ( فى ربيـع جلالتكـم ) .

8) لعلهـا ( متبوعـة ) .

## الـوثيقـــــة

( 8 : 1 ) ـ ومن ذلك كتاب (1) عن السلطـان امير المسلمين بالاندلس ابى الحجـاج بن نصر ، الى السلطان بالمغرب وما اليه ، امير المسلمين الملك الكبير الشهير ابى عنان فارس (2) ، بن امير المسلمين ابـى الحسن علي ، بن عثمان ، بن عبد الحق . مراجعا عـن هدية بين يدي حركته الى تلمسان ، فى شهر المحـرم من عام اثنين وخمسين وسبعمائة (3) ، تشتمل علـى خيل عتاق ومهندات ومهاميز (محكمة) (4) ، كل ذلك من خالص الذهب ، وذهب عين . قدس الله ارواحهما، وشكـر من المسلمين سعيهما :

« المقام الذي شأنه هبات تبث ، وعزمات تحث، وهمم يبث اليها الاسلام همومه ، فيذهب البث ، مقام محل اخينا الذي قضايا مجده منتشرة فى الجهـات، ضرورية بحسب الوصف والذات ، عرقية فى الازمات، مشروطة فى المواقف العزمات ، يزهى بوجوديها الزمن الحاضر وباستقبالها الزمن الآت ، ويطرز بهـا فخـر الدين اوراق آياته البينـــات . السلطـــان ( 8 : ب ) الجليل ، الرفيع ، الاسنى ، الانجد ، الاسعد ، الاوحد، الاسمـى ، الاعـز ، الامنـع ، الاصعـــد ، الاشهـر، المجاهـد ، الامضـى ، المؤيـد ، المعـان ، المنصـــور، الاعلـى ، الاظهـر ، الاعـدل ، الافضـل ، الاحفـــل، الاصيـل ، الاطول ، الباسل ، الهمام ، المعظم ، الموقر، المبجل ، المؤمل ، المبرور ، امير المسلمين ابو عنان ، بن محل ابينا الذي نعظمه ونجله ، ونوجب له الحق الذي هو اهله ، السلطان الجليل ، الرفيع ، الماجد ، الطاهر، العادل ، الباسل ، الاوحد ، الاشهر ، الاخطر ، الكامل، المجاهد الامضى ، الاسعد ، الاكمل ، الارضى ، الهمام، الاروع ، الباسل ، الحافل ، المعظم ، المقدس ، صاحب الجهاد المبرور ، والسعي المشكور ، امير المسلمين ابى الحسن ، بن السلطان الجليل ، الرفيـــع ، الشهير ، الخطير ، الكبير ، الاوحد ، الاحفل ، الاسمى ، الاسعد، الارضى ، الطاهر ، الجواد ، الاعلى ، المجاهد ، الفاضل، الكامل ، المؤيد ، المعان ، صاحب المكـــارم الشهيـرة ، والمـآثـر التي هي اوضحمن شمس الظهيرة ، اميـر المسلمين ابى سعيد ، بن السلطان الجليل ، الشهير ، الاسمى ، الخطير ، الاصيل ، الكبيـــر ، الحافـــل ، الفاضل ، الكامل ، الاسعد ، الامجد ، الاعلى ، الاظهـر، الاظهر ، الاسمى ، المجاهد ، المؤيد ، المعان ، الامضى ، صاحب (الجهـــاد) (5) الامضى ، والسعي الارضى ، امير المسلمين ابى يوسف يعقوب ، بن عبد الحـــق . ابقاه الله وحيد العلمـا على تعدد فضله واشتراكه ، فذلكة حسابة اولي الاحساب من خلائـــف ( 9 : 1 ) الاسلام واملاكه ، ولا زال بدر هدى صهوة الطرف من افلاكه ، وبحر ندى ينسب جيد الوجود الى عنصـره العميم الجود درر اسلاكه ، فمتى حاول قصدا جنـح منه النجح الى ملاكه ، ومهما كاد ضدا كانت النجـوم الشوابك من شباكه ، حتى يرمى سعـده عن قـوس الافق ويظفر بسماكه . معظم مقامه الذي هو بالتعظيم مخصوص ، وموجب حمده الذي محكمه فى كتاب البر منصوص ، وموقر ملكه الذي ثناؤه على اساس الاصالة

---

1) من الريحانة ، تبعا لما ذكر فى الكناسة امام هـذه الرسالـة .

2) بويع بتلمسان فى حياة ابيه فى 30 ربيـــع الاول749 هـ (1348) ، ثم حدث ان تنازل الاب لابنـه عـن العرش ، حيث جدد السلطان ابو الحجاج يوسف الاول العلاقات السياسية معه ، جـريا على عـادة غرناطة تجاه المغرب . ولد السلطان ابو عنـان فارس فى 12 ربيع الاول 729 هـ ، ومات خنقا على يد وزيره الحسن بن عمر الفودي فى 28 ذي الحجة عام 759 هـ ، وله ثلاثون عاما ، ودفن بشالة الرباط، ولا زال شاهد قبره حتى الآن . استمرت فترة حكمه تسعة اعوام وتسعة اشهـر ، وفى عهـده ملك ـ ضمن المغرب ـ مدينة تلمسان بعد قتله لملكها يومئذ عثمان بن عبد الرحمن العبد الوادي ، كما ملك مدينة تونس . راجع « روضة النسرين فى ملوك بني مرين » تحقيـق ونشر : ط . باريس ـ 1 - Ghaouti Bouali. 2 - Georges Marcais

3) الموافـق 28 فبرايـر ـ 28 مـارس 1351 م .

4) هذه الكلمـة زيـادة بنسخ الريحانـة .

5) زيـادة فى الريحانـة .

ويتمم نعمته عليكم (13) ، ويجزل عــوارف المواهب لديكم بفضله .

وقد حضر بين يدينا خديمكم فلان ، فالقينــا اليه من شكر مقامكم ما لزم ووجب ، وجلونا منه بعض ما تستر بالعجز عن ادراكــه واحتجب ، فلمجدكــم الفضل فى الاصفاء لمـا يلقيه ، والقبول على مامن ذلك يؤديه ، والله سبحانـــه يصل سعدكـم ، ويحـرس مجدكـــم « والسلام الكريم يخص مقامكم الاعلـى ، ورحمـة الله وبركاتـــه » .

**حققـــــه**

**فى القاهرة : د . محمد كمال شبانة**

---

13) من هنا جاءت نهاية الرسالة فى نسخ «الريحانة» هكـــذا :
« ويجزل عوارف المواهب لديكم بمنه وفضله . واعلموا ــ وصل الله لكم سعادة متصلة الاسبـــاب ، ووقاية سابغة الاثواب ، والاذيال ضافية الاثواب ــ انه حضر بين يدينا خديمكم الشيخ الاجل الاعز الموقر ابو فلان ، كتب الله سلامته ، وولى كـرامته ، فالقينا اليه من شكر مقامكم الكريـــم ما لـــزم ووجب ، وجلونا منه بعض ما تستر بالعجز عن ادراكه واحتجب ، فلمجدكـم ــ ابقاكم الله ــ الفضل فى الاصفاء لما يلقيه ، والقبول على مامن ذلك يـؤديـــه ، والله سبحانه وتعالى يصل لكم عوارف الابد، ويحملكم من مرضاته على ما يضاعف لديه مواهب نعمائه ، ويحقق الظنون فيكم من الدفاع عن دينـــه وجهاد اعدائه ، والقيام بسنن الجلة من خلفائه ، وهو ــ جل وعلا ــ يحفظكم فى كل الاحوال ، ويسدد عصمة الوارفة الظلال ، والسلام الكريـم يخص مقامكم الاعلى ، واخوتكم الفضلـــى ، ورحمـــة الله تعالـى وبركاتــــه . وكتبه فى كذا من التاريخ . عرفنـا الله خيـــره » .

فضل تختال من الاحتفاء فى اكمل شارة ، وتشير الى ما وراءها من العزم الجهادي اكرم اشارة . من كل طرف ذكي الجنان ، طموح فى العنان ، مسرج بالهلال ملتحف بالعنان ، منقاد لوحي الطرف واشارة البنان، مهتد فى ظلام النقع بذبال السنان . كأنما زاحم النجم بتليله ، فألجم بثرياه وقلد بأكليله ، وكأن الصباح غمر وجهه بمسيله ، والنسيم اللدن مسح عطفه بمنديله، ونهر المجرة ابقى الليل فى تحجيله ، فلو رآه القس لمثله فى ظهر انجيله . متبختر فى مشيه ، مختال فى عصبه ووشيه ، يلاعب ظله نشاطا وترفيها ، ويطرف عن مقلة ملئت تيها ، واودع سحر هاروت فيها . وكل صارم صقيل الحد ، كامن الفضل فى الخلد ، تميمة من تمائم المجد . ما شئت من ماء فى الجلد مسكوب ، وضرام فى الغمد مشبوب ، ورومي الى الهند منسوب. كلف بالعلا ، وازدان بأبهى الحلى ، وهام ببيض الطلا، حتى بان نحوله بالهوى ، ورق جثمانه ، وتضاءل بين الاجفان انسانه . من اللاتي عودتها الايالة الفارسية(9) ( 10 : ب ) خوض الغمار ، وجردتها من مخيطها للحج بين يدي مقامها والاعتمار ، وعلمتها بنثار الجماجم رمي الجمار ، وكل محكمة المقدار محلاة ببحت النضار، منظومة الخرز نظم الفقار . ابدعتها ارباب الحروب فى اشكال المحاريب ، وابرزتها فى المرأى الانيق والشكل الغريب . تهمز بها حروف الجياد عند سكونها ، وتثار عقبان الصفوف من ركونها . فيالها من هدية ازوى فيها العيان بالسمع ! وتثنية قامت عندنا مقام الجمع! وذكرتنا بازدواجها الحكمة فى ازدواج الجوارح كالعين والسمع ، وعرفتنا بتثنية اشكالها ، وانفراد الكتاب المغرب عن جلالها بركة الوتر والشفع ، فأغرين لسان الشكر بخلال مهديها ، واقبلنا وجوه الود وفادة مؤديها .

وقلنا : لاينكر العذب من منبعه ، ولا النور من مطلعه ، ولا الفضل اذا صدر من موضعه ، وهذه البلاد ــ ايدكم الله ــ أسماع اعدائها مصيخة الى مثل هذه الانباء ، وقلوبها من اتصال اليد ( بذلك العلا ) (10) ، محملة بأثقل الاعباء . فاذا عرفت اعتناءكم بأمرها ، وعملكم على نصرها ، واهتمامكم بشأنها ، ومواعيدكم المتكفلة باتصال امانيها ، قصر شأو عدوانها ، وتضاءل نار طغيانها ، ووازنت الاحوال بميزانها . ونحن ان ذهبنا الى تقرير ما عندنا من التشيع الذي آياته محكمة ، ومقدماته مسلمة ، فلا يعترض منها رسم ( 11 : أ ) ، ولا ينازع فيها ــ والحمد لله ــ خصم ، لم يتسع نطاق النطق لاداء معلومها ، ولا وفى المكتوب ببعض مكتومها . فحسبنا ان نكل ذلك الى من يعلم ما خفي من السرائر ، ويبلو مخبآت الضمائر .

وعرفتمونا بعزمكم على الحركة الشرقية التي قد حتم زندها فأورى ، وأبريتم ظرفها ، وانكم تمهدون الى الجهاد فى سبيل الله سبيلا ، وترفعون الشواغب جملة وتفصيلا . وتكون نيتكم الصادقة تقصد هذا المرمى ، وتخطب هذا الفرض الاسمى . خصكم الله بالاثرة الاثيرة ، ونصركم فى المواطن الكثيرة (11) ، فانكم تعاملون من لايضيع عمل عامل (12) ، ولا يخيب امل آمل ، والله تعالى يقدم الخيرة بين يديكم ،

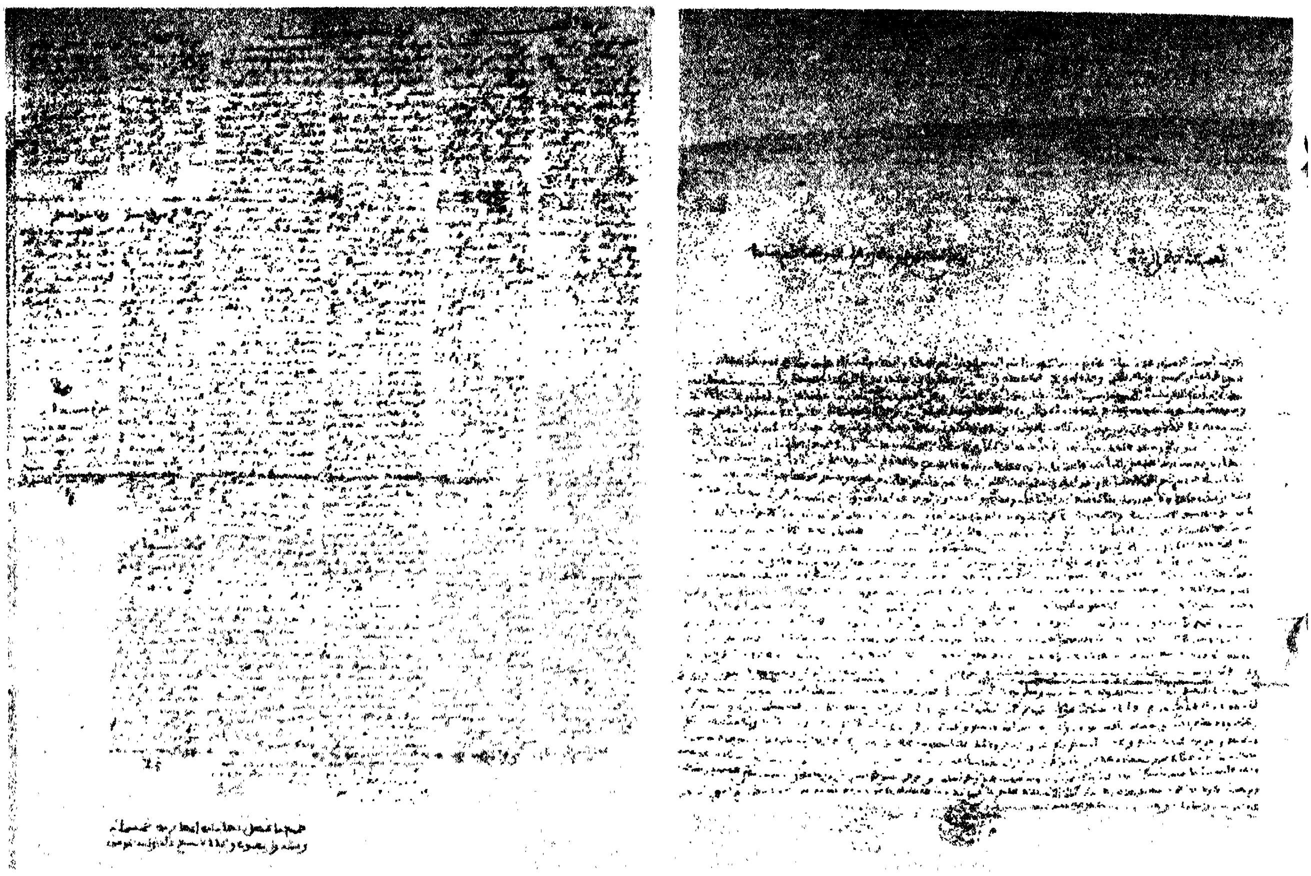
---

9) نسبة الى « فارس » ابى عنان السلطان ، وربما ورى بدولة فارس المعروفة قديما فى الشرق .

10) زيادة وجدناها بنسخ الريحانة .

11) اقتباسا من قوله تعالى :
« لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ، ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الارض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين » سورة التوبة : 24 .

12) اقتباسا من قوله تعالى :
« فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى ، بعضكم من بعض ، فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا فى سبيلي ، وقاتلوا وقتلوا ، لاكفرن عنهم سيئاتهم ، ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله ، والله عنده حسن الثواب » سورة آل عمران : 194 .



صورة وثيقة المهاجرين التلمسانيين بفاس

« بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما .

الحمد لله رافع منار الاسلام على كل ملة ، خافض درجة الكفر ومن انتمى اليه ببراهين قواطع الادلة ، والصلاة والسلام على من سن الهجرة وفضل المهاجرين، سيدنا محمد خاتم النبيئين وامام المتقين ، وعلى آله واصحابه الذين هاجروا لنصرته فصاروا ائمة يقتدى بهم فى كل وقت وحين .

وبعد : فلما قدم لهذه الحاضرة الادريسية ، المحفوفة السنية ، بعض النصارى من ايالة الفرانسيس وصار يلتمس دخول المهاجرين بها من الجزائر وتلمسان وعمالتهما فى حمايته ، ونفوذ حكمه فيهم بمقتضى سيرته ، فزع من ذلك اهل المروءة والعقلاء ، والعلماء ، وذو الراي والدين والفضلاء ، واحتجوا على انفسهم واخوانهم بنصوص الشريعة المطهرة ، انه لا يسوغ لمومن رفض بيعة الاسلام والدخول فى ولاية الكفرة ، فيعد من الناكثين او المارقين ، بعد ان كان فى سواد المهاجرين .

وكيف يسوغ الخروج عن هذه الدولة الفائزة على من عداها بمكارم الاخلاق ، المتحلية بصفات الكمال فى جميع الآفاق ، التي زادها الله شرفا وجاها ، ورفع منصبها على سائر المناصب واعلاها على من عالاها ، ومدها بالنصر والعدل فزكت وقد افلح من زكاها ، واختار منها اقوم قوم ملأوا بالثناء على سيرتهم الحميدة مسامع واقواها ، وتمسكوا للديانة من اسباب تقواها باقواها ، ونزهوا انفسهم عن نقائص كالليل اذا يغشاها ، فظفروا بمناقب فاخرة فاذا هي لطالبها كالنهار اذا جلاها ، وقد هجروا اليها وتركوا من عداها، فأووا برايهم السديد، الى ركن شديد ، وزهدوا فى اموالهم واهاليهم فى سبيل الله ، وقطعوا النظر عما الفوه بارضهم من نفاذ الامر وعظيم الجاه، فأبدلهم الله خيرا مما الفوه، وما امروا – قط – من جانب هذه الدولة الفخيمة – ادام

# وثيقة عن المهاجرين التلمسانيين بفاس

نشر وتقديم:
الأستاذ محمد المنوني

## مقـــــدمـــــة :

عندما احتلت فرنسة بلاد الجزائر ، نزح عنها كثير من العائلات مهاجرين لبلاد المغرب ، واستوطن اكثرهم مدينة فاس ، وفى أوائل «اللسان المعرب» (1) تحدث عن بعض بيوت هؤلاء المهاجرين بفاس : من اشراف وعرب وزناتة ، واقتصر على أهل الرئاسة منهم ، فذكر بعض بيوتات تلمسان ، ومعسكر ونواحيها ، ومستغانم ، ثم ذكر العرب الحشم وبني عامر .

وقد كون هؤلاء ـ مع الاسر المهاجرة من قبل ـ وحدة فى مدينة فاس ، التي صاروا يعرفون فيها باهل تلمسان على طريق التغليب ، وصار لاشرافهم نقيب خاص ، ومن نافلة القول الحديث عن الخدمات التي قام بها عدد من هؤلاء المهاجرين بالمغرب ، فى ميادين التاليف والتدريس والادارة .

وكما يستفاد من الوثيقة المعنية بالامر ، فانه فى اوائل عام 1312 هـ / 1894 م حاولت فرنسة جعل هؤلاء المهاجرين من رعيتها ، وبسط حمايتها عليهم ، فرفض معظمهم هذه المحاولة ، واعلنوا انهم مغاربة ، وحرروا فى هذا الصدد الوثيقة (2) التي نقدمها .

وهي مؤرخة فى مهل ربيع النبوي ، عام 1312 هـ 1894 م ، ومذيلة بشكلي عدلين من نفس المهاجرين ، وهما : محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي ، ومحمد ابن محمد النسب ، وفيها يشهد بمضمنها ـ زيادة على العدلين ـ 546 مهاجرا رقمت اسماء جميعهم يمنة هذه الوثيقة حسب العناوين التالية :

- شرفاء تلمسان .
- عوام المهاجرين من تلمسان .
- شرفاء المهاجرين من بني عامر .
- عوامهم .
- من شرفاء غريس وام عسكر .
- من عوامهم .
- شرفاء مستغانم .
- عوام مستغانم .

والوثيقة محررة بلهجة وطنية اسلاميـــة ، فى اسلوب يغلب عليه السجع ، ومكتوبة فى 28 سطرا ، عدا أسماء المهاجرين المرقومة يمنة الوثيقة ، وخطها مدموج لا باس به ، يميل للمغربي ، وهو ـ فيما يبدو ـ خط نفس العدل الاول : محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي ، العالم المعروف ، المتوفى عام 1324 هـ / 1906 ـ 1907 م (3)

وستقدم هذه الوثيقة مجردة عن لائحة الاسمـاء التي توجد فى صورتها الفوتوغرافية المذيل بها هـذا المقال وهذا نص الوثيقة :

1) عند القسم الاول : واسمه الكامل: « اللسان المعرب عن تهافت المعمرين حول المغرب » ، تأليـف المـؤرخ الجليل محمد بن امحمد السليماني الحسني ، يوجد الجزء الاول منه بالمكتبة الملكية بالرباط ، رقم 297

2) هـذه الوثيقـــة يوجد اصلها فى حوزة الاستاذ ، السيد عبد الوهاب بنمنصور ، وعن هـذا الاصـل اخـذت الصـورة المـذيـل بهـا هـذا المقـال .

3) له ترجمة فى « رياض الجنة » للمؤرخ الشهير عبد الحفيظ الفاسي الفهري ، ج 2 ص 6 ـ 8 .

# على هامش قصة الفتح

للأستاذ عبد القادر الصحراوي

**دكـــان القشـــاش**

كان لسان الدين بن الخطيب يقول عن قصة فتح العرب للاندلس :

« مملول قصاص واوراق . وعظم امتشاش . والة معلقة في دكان قشاش »

وكان لسان الدين يعني بذلك ، ان هذه القصة قد اصبحت مملولة من كثرة ما تداولها الكتاب والقصاصون والمؤرخون . وانها اصبحت من كثرة ما تهالكوا عليها واستهلكوها . كالعظم الذي لم يعد يكسوه لحم ، فهو يمتص لاستخراج ما عسى ان يكون بداخله من الدهن، بل انها اصبحت كالالة القديمة في دكان قشاش ، يبيع الخردوات والاشياء البالية المستعملة

هذا ما قاله لسان الدين بن الخطيب عن قصة فتح المسلمين للاندلس . ومع ذلك فان الذي روى عنه هذه الكلمة . وهو المقري ، في كتابه « نفح الطيب » لم يمنعه ذلك من ان يطيل القول في نفس القصة الى حد الاملال الحقيقي . وذلك عند ما حرص على ان ياتي في موسوعته الاندلسية . بكل ما قاله في موضوع الفتح جميع المؤرخين السابقين عليه ، حتى ولو كان ما قاله بعضهم لا يختلف عما قاله الاخر الا في الصياغة ، وقد لا يكون هنالك اختلاف حتى في الصياغة نفسها

* * *

وجاء بعد لسان الدين بن الخطيب ، وبعد صاحبه المقري ، اناس كثيرون ، استهوتهم نفس القصة ، فجربوا فيها حظوظهم المختلفة .

كتبها بعضهم تاريخا بالاسلوب التقليدي المعروف، اسلوب الاستطراد واستعراض الروايات ،

وكتبها بعضهم تاريخا بالاسلوب المنهجي الجامعي، الجاد الصارم ،

وكتبها بعضهم مسرحيات تقوم على الحوار ، وتخضع لكل مقتضيات الفن المسرحي ،

وكتبها بعضهم الاخر قصصا للقراءة والتسلية ، يلعب الغرام فيها الدور الاساسي ،

ولم يمنع اي واحد منهم من الاقدام على التجربة، ان القصة نفسها قديمة بالية ، وانها مملول قصاص واوراق . وعظم امتشاش ، وآلة معلقة في دكان قشاش ، كما كان يقول عنها لسان الدين بن الخطيب

* * *

فهل يضيق هذا الموضوع القديم البالي ببضع صفحات اخرى تكتب على « هامشه » وتضم الى مئات والاف الصفحات التي كتبت فيه !

لا اظن ذلك . خصوصا اذا كان بامكاننا ان ننهج في هذا « التهميش » اسلوبا خاصا ، لا هو بالاسلوب التقليدي الذي لم يعد يستهوي جمهرة القراء. ولا الاسلوب المنهجي الجاد الصارم الذي لا يطيقه الا المتخصصون ومن في حكمهم ، ولا هو بالاسلوب الذي يعتمد على الخيال الى حد قد تتعرض معه الحقيقة التاريخية للضياع . وانما هو اسلوب يهتم بالاحاطة ببعض جوانب الموضوع ، وتنسيقها تنسيقا منطقيا ما امكن ، مع التبسط

الله نصرها ــ بأمر تكلفوه ، ووجدوا فى الارض مراغما كثيرا وسعة ، حسبما وعدهم مولاهم مع نعيم الجنة ، ومن مات منهم فقد وقع اجره على الله ، ولا زالوا على ذلك حامدين ، منتظرين مصداق قوله تعالى : لقد تاب الله على النبيءوالمهاجرين ، ممتثلين قوله صلى الله عليه وسلم : من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه ، وقوله تعالى : ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا ، مجتنبين وعيد قوله تعالى : ومن يتولهم منكم فانه منهم، وقوله تعالى : لاتجد قوما يومنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، الى غير ذلك مما يصح ان يكون دليلا .

وحيث صغا لقوله بعض الافراد ممن لا اعتناء له بأمر الدين ، وممن لا خبرة له بنصوص العلماء العاملين ، وكان مولعا بحب العاجلة ، مصغي « كذا » للاقوال الفاجرة ، أراد الاعيان والاشراف واهل الفضل من خلاصة المهاجرين ، ان يمتازوا عنهم بما اختصوا به وسنوه لذريتهم الى يوم الدين ، فأقبلوا أفواجا يتسارعون ، وبكلمة الحق يتشافهون ، واشهدوا على انفسهم انهم برآء ممن دخل فى حماية العدو براءة تامة، وقطعوا عنه الوصال والوفاق ، لما رأوه من مخالفتهم وعدم استقامتهم فضلا عن ان يوافقوا علىرايهم الفاسد بالاتفاق ، وانهم منذ قدموا لهذه الحضرة بقصد الهجرة قطعوا التشوف عن وطنهم وعمن استولى عليه ، وهاجروا ديارهم واموالهم وقرابتهم كما امر الله ابتغاء لمرضاته ، واتباعا لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يبق لهم تعلق بالعدو المتولى على الوطن ، وتقلدوا بيعة ملوك الدولة العلوية فى عنقهم كما يجب عليهم ، لقوله صلى الله عليه وسلم : من مات وليست فى رقبته بيعة ، لاحد مات ميتة جاهلية ، وقد بايعوا مولانا عبد العزيز كما بايعوا ءاباءه قبل من لدن هجرتهم ايام السلطان مولانا عبد الرحمن ، اسكنه الله فسيح الجنان ، الى وقته ، ودخلوا فيما دخل فيه المسلمون وصاروا رعية من جملة رعيته ، وقد عمهم فضله واحسانه كما فعل بهم ءاباؤه الكرام رحم الله جميعهم ، واقتفى اثرهم ــ نصره الله ــ فى الامر بتوقيرهم واحترامهم والاحسان اليهم وصلتهم ، وزجر من اعتدى عليهم ، وعدم تكليفهم بأمر يشق عليهم ولا التفات لبعض ما يصدر من بعض ولاتهم لتدارك الامراء بما يرضيهم من ذلك ، خلد خلد «كذا» الله ملكهم واعلا فى سماء السعادة مجدهم ، وادام عزهم ونصرهم، انه على ما يشاء قدير ، وبالاجابة جدير .

فكان ممن حضر لدى شاهديه ــ شاهدا على نفسه ، ومعترفا ومستلزما بمضمن ما سطر اعلاه ــ اشخاص الاسماء المرقومة بمنته ، الذي اولهم النقيب وآخرهم السيد محمد الشرقاوي وولده محمد ، المشتملين على خمسمائة وستة واربعيناسما ، وما عداهم لا يسعهم هذا ، وهم بحال كمال الاشهاد عليهم، عارفين قدره ، شهد عليهم بما فيه ، وعرفهم معرفة عين واسم ، فى مهل ربيع النبوي الانور ، عام اثنى عشر وثلاثمائة والف .

وبه يشهد على نفسه ايضا : عبيد ربه محمد بن محمد بنمصطفى المشرفي لطف الله به ، بشكله ودعائه، وعبد ربه محمد بن محمد المشرفي وفقه الله » .

الرباط ــ **محمد المنوني**

## موسى بن نصير

كان عهد الخليفة السابق الذكر ، عبد الملك بن مروان ، من ازهى عصور الدولة الاسلامية ، واحفلها بالنشاط والتوسع في الفتوحات ، والاتصال بعوالم اخرى جديدة .

وكان الفضل في ذلك يرجع الى عوامل متعددة ، من اهمها توفره على عدد من الحكام الحازمين ، والقادة العسكريين الكبار

ولسنا بحاجة ان نذكر هنا من هؤلاء الا واحدا ، هو موسى بن نصير ، الذي ولى امر افريقية والمغرب على عهد عبد الملك بن مروان

وكلمة افريقيا والمغرب ، كانت تعني في ذلك الوقت ما يشمل الان ليبيا وتونس والجزائر والمغرب، اي الشمال الافريقي كله ، باستثناء مصر ، او ما يعرف الان بالمغرب العربي ، او المغرب الكبير

ولي موسى بن نصير امر المغرب ، تابعا في ولايته في بداية الامر للوالي على مصر من قبل الخليفة ، فقد كان الوالي على مصر هو الذي يرجع اليه تعيين ولاة في افريقيا والمغرب

ولكن موسى ما لبث ان استقل بولايته ، وان اصبح غير تابع فيها الا للخليفة نفسه ، مباشرة ، في دمشق .

* * *

قد لا يعنينا الدخول في تفاصيل الاعمال العسكرية التي قام بها موسى بن نصير في المغرب ، وانما يكفي ان نقول على وجه الاجمال ، انها كانت تتويجا لكل الاعمال التي قام بها الفاتحون والقادة العسكريون المسلمون الذين سبقوه الى هذه البلاد .

فقد قضى موسى على كل مقاومة او وقوف في وجه الفتح الاسلامي ، سواء كانت هذه المقاومة من طرف السكان ، او من طرف الدولة البيزنطية التي لم تدخر جهدا في الدفاع عن مستعمراتها على طول الضفة الجنوبية للبحر الابيض المتوسط .

ان الشمال الافريقي قد اصبح على يد موسى بن نصير ، جزء لا يتجزأ من الامبراطورية الاسلامية

كما اصبح على يده ايضا ـ وبصفة نهائية دائمة ـ يمثل الجناح الغربي للامة العربية ، بعد ان اصبح مرتبطا معها برابطة اللغة العربية ، التي ما لبث ان اتخذها لغته ، يمارس بها شعائر دينه ، ويتخاطب بها ويتدارسها ، ويسهم في ازدهارها واثرائها على مر العصور .

* * *

وتحدثنا المصادر التاريخية القديمة ، ان موسى ابن نصير قد وصل بالجيوش الاسلامية في زحفه في المغرب ، الى درعة وتافيلالت ، وانه ـ كما يقول صاحب الوفيات ـ سار حتى انتهى الى السوس الادنى . لا يدافعه احد ، وانه ـ على حد تعبير نفس المصدر ـ لم يبق في البلاد من ينازعه من البربر ولا من العرب

## طنجة وسبتة

وتحدثنا المصادر التاريخية ايضا ان موسى بن نصير افتتح طنجة ، ولم يكن الجيش الاسلامي قد وصل اليها من قبل ، وانه ولى عليها ضابطا من جيشه كان قد رافقه في كل حملته العسكرية في الشمال الافريقي ، وابان فيها عن مهارة ومقدرة عظيمتين ، ذلك الضابط الذي لن يغيب عنا اسمه بعد الان ، هو طارق بن زياد

* * *

ثم تزيد نفس المصادر انه لم يستعص على المسلمين في حملتهم هذه ، الا مدينة واحدة ، تقع في اقصى شمال المغرب ، غير بعيد عن طنجة ، التي اصبحت عاصمة المسلمين في هذا القطر .

هذه المدينة التي استعصى فتحها على موسى بن نصير ، هي مدينة سبتة

كانت سبتة تابعة في حكمها اذ ذاك للدولة القوطية في اسبانيا

وكان يحكمها حاكم قوطي اسباني يدعى « الكونت جوليان » سيلعب دورا في سير الاحداث التي تتناولها هنا بالعرض

في عرضها عرضا امينا ، وتسليط اكثر ما يمكن من الاضواء على بعض المواقف والادوار التي ساهمت في تكييف قصة الفتح ، وعلى الدوافع الحقيقية للشخصيات التي لعب هذه الادوار ، عند اتخاذها هذه المواقف بالذات

* * *

## أوربا المسلمة

ان فتح المسلمين لاسبانيا ـ ولا نقول للاندلس الا من باب التجوز ومسايرة التعبير الشائع ـ يستمد اهميته من كونه كان اول اتصال للعرب والمسلمين كدولة ، بقارة اخرى كانت جديدة عليهم حتى ذلك الحين ، هي القارة الاوربية بعد ان كانوا قد توغلوا في اسيا وفتحوا الشمال الافريقي كله

ولربما كانت اهمية هذا الفتح ستكون اكبر من ذلك بكثير جدا لو قدر له ان يسير الى نهايته التي كانت قد رسمت له ، ولولا ان ارادة الخليفة نفسه ، واوامره الصارمة المشددة ، وقفت في طريقه وهو يجتاز مدينة ( ليون ) الفرنسية ، ليشمل فرنسا كلها ، وليتجاوزها الى المانيا وايطاليا وغيرها من البلاد الاوربية

وقد كان الخليفة في اتخاذه لهذا الموقف ،مدفوعا بدوافع ، بعضها عام ، وبعضها شخصي ، كما سنشرح ذلك من بعد

واذن لكان العرب والمسلمون قد اصبحوا هم المتحكمين في مصير اوربا منذ ذلك الوقت المبكر من التاريخ ، ولكانوا قد ساروا بتاريخ الدنيا كله في وجهة اخرى غير التي سار فيها حتى اليوم

وليس هذا مجرد كلام يلقى على عواهنه ، وانما هي النصوص والاحداث التاريخية الواقعة ، وتفسير المؤرخين لها من قدامى ومحدثين ، من مسلمين وغير مسلمين على السواء

* * *

## الوليد بن عبد الملك

لم يكن قد مضى على الهجرة النبوية الا ست وثمانون سنة ، عندما توفى بدمشق « سنة 705 م » الخليفة الاموي الكبير عبد الملك بن مروان

وقد ترك عبد الملك ولاية العهد من بعده لاثنين من ابنائه ، يتوليان الخلافة بعده على التوالي :

الوليد اولا

ثم سليمان بعد وفاة اخيه الوليد

وهو اسلوب في ولاية العهد قد يبدو غريبا بعض السيء ، ومع ذلك فقد وقع اللجوء اليه في احوال كثيرة في دولة الخلافة الاسلامية ، وكان يراد به منع تنافس الاخوة على كرسي الخلافة ، اذ ان كل واحد منهم سيليها بدوره ، عند ما يصله الدور

لكن هذا الاسلوب كان في الواقع ، مدعاة الى عكس ذلك في كثير من الاحيان

فالابن الاول الذي يلي الخلافة بعد ابيه ، ربما سولت له نفسه ـ بعد ان يتمكن ـ ان يحول ولاية العهد عن اخيه او اخوته الى ابنائه ، متوسلا لذلك بوسيلة او باخرى

وبالمقابل ، فان الابن الثاني مثلا ، في ترتيب ولاية العهد ، ربما يستبطيء موت اخيه ، لينال هو ايضا حقه في الخلافة ، او ربما يشعر بما يدبره اخوه في السر او في العلانية لتحويل ولاية العهد عنه ، فلا يجد امامه الا ان يدخل في مؤامرة ضده ، او يعلنها عليه حربا صريحة واضحة

* * *

مهما يكن ، فقد توفى عبد الملك بن مروان

واصبح الخليفة من بعده هو الوليد بن عبد الملك

واصبح على سليمان ان ينتظر وفاة اخيه ـ ربما بفارغ الصبر ـ ليقتعد بدوره كرسي الخلافة

وانما احتجنا الى شرح هذه النقطة بالذات ، لانها كانت ذات تأثير في سير عمليات الفتح الاسلامي في اوربا ، اذ كانت من العوامل التي حالت دونه ودون الاستمرار الى غايته ، كما كانت ذات تأثير فعال في المصير المحزن الذي ال اليه الرجل الذي كان على رأس الحملة الاسلامية في هذا الفتح ، وهو موسى بن نصير

* * *

وفيما عدا ذلك فقد كان موسى يتمتع بمواهب فذة، كان رجلا سياسيا ، وكان قائدا عسكريا كبيرا ، وكان فصيحا لسنا لا تخطئه الحجة الكلامية .

واهلته هذه المواهب كلها لان يتقلب في مناصب سياسية وعسكرية مختلفة ، قبل ان يصبح واليا على افريقية والمغرب من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان .

لقد قاد قبل ذلك الحملات العسكرية برا وبحرا ، واسندت اليه مهمات سياسية مختلفة ، فقام بها خير قيام .

لكن التهمة توجهت اليه وهو يؤدي احدى هذه المهمات السياسية ، وكانت تهمة ثقيلة ، هي تهمة سرقة اموال الدولة والتلاعب فيها ، فالقي عليه القبض وتعرض للمهانة والتعذيب والاحتقار .

بل انها كانت محنة ، لم يفلت منها بجلده ، الا بالوساطات ، والا بتدخل بعض الشخصيات الكبيرة في الدولة ، فقد بلغ من سخط الخليفة عليه ــ الوليد بن عبد الملك نفسه ــ انه كان يريد ان يقتله

نعم ، كان يريد ان يقتله كما روى ذلك ابن عبد الحكم في كتابه « فتوح مصر والمغرب » وهو اقدم وثيقة تاريخية اسلامية وصلت الينا

* * *

وجدت بعد ذلك احداث اخرى ، جعلت الخليفة ينسى غضبه على موسى بن نصير ، وينسى انه كان يريد ان يقتله عقابا له على التلاعب باموال المسلمين .

وهكذا لم نلبث ان وجدنا موسى بن نصير واليا من قبل نفس الخليفة على الشمال الافريقي ، يتمم به عمليات الفتح الاسلامي ، ويصل الى درعة وتافيلالت والسوس الادنى ، ويقضي على كل مقاومة للفتح ، وينصب طارق بن زياد واليا تابعا له على مدينة طنجة ، قبل ان يعود هو الى القيروان ، قاعدة ولايته الكبرى التي تمتد من حدود مصر الغربية الى البحر المحيط

## طارق بن زياد

طارق بن زياد الضابط العسكري الخطير ، والذي اقترن اسمه على مدى الاحقاب التالية بقصة الفتح الاسلامي للاندلس والذي قدر للجيش الاسلامي ان يصل الى اوربا تحت قيادته ، والذي اعطى اسمه للمضيق فاصبح يعرف حتى اليوم بمضيق جبل طارق ، هذا الرجل ، ظلمه التاريخ ظلما كبيرا ، كما ظلم كثيرا غيره من الرجال ،

ظلمه التاريخ عند ما لم يهتم بان يدون من حياته الا ما اتصل بعمليات فتح الاندلس ، من اجتياز البوغاز واحراق السفن ، والدخول في معارك مع القوط وما يلابس ذلك مما قد ياتي تفصيل القول فيه .

* * *

اما من هو طارق نفسه ؟ وما ذا كان قبل الفتح ؟ وما ذا كان مصيره بعد الفتح ؟ فان المصادر التاريخية على تعددها وتنوعها تسكت عن ذلك سكوتا مطلقا

وعند ما تتكلم هذه المصادر ، او تحاول ان تتكلم عن شيء مما يتصل بطارق وبشخصيته ، فانها لا تروي الا ما يزيد في كثافة الغموض المحيط به ، اذ تذكره مرة على انه من اصل عربي ، ومرة على انه من اصل بربري من السكان الاصليين للشمال الافريقي ، ويذهب بعضهم الى ابعد من هذا وذاك ، فيذكر انه من اصل فارسي ، ومن همذان بالذات ! !

* * *

وقد لا يعنينا كثيرا ان نعرف نسب طارق واصله ، ولكننا عند ما نصحبه في عمليات الفتح الاسلامي في اسبانيا ، سنجده يلقي في جنوده خطبة تعتبر الى الان من غرر البيان العربي ، وفي الذروة من خطب الميدان التي حفظتها لنا كتب الادب والتاريخ العربية ، وسنجد الشك الذي يحوم عند المؤرخين حول اصله ونسبه ، يتجاوز ذلك الى الشك في صدور هذه الخطبة البليغة عنه ، لانها في بلاغتها المتناهية ، لا يمكن ان تصدر الا عن عربي اصيل ، ذي موهبة ادبية رائعة ، او عن مستعرب عريق في الاستعراب ، مع العلم بان البربر كانوا حتى ذلك الوقت حديثي عهد بالاسلام وباللغة العربية

ودون ان نحاول الدخول في استعراض روايات مختلف المؤرخين عن نسب طارق ، نقول : انهم يكادون مع ذلك يجمعون على انه من اصل بربري من

لقد حارب المسلمون ( الكونت جوليان ) كثيرا ، وحاصروه طويلا ، فصمد لهم واستمات في صموده الى حد بعيد ، ولم يجدوا بدا في النهاية من فك الحصار عنه ومصالحته على شروط معلومة

وبقيت سبتة على ما كانت عليه ، يحكمها (الكونت جوليان ) باسم الملك القوطي في طليطلة ، بعد ان تحددت العلاقة السياسية بينه وبين المسلمين الفاتحين على اساس معاهدة صلح مشروط .

## ثلاثة رجال

يمكن تلخيص الوضعية السياسية في هذا الظرف التاريخي ، وفي الحيز الجغرافي الذي يعنينا الان فيما يلي :

اولا : موسى بن نصير ، وال على الشمال الافريقي كله ، ما عدا مصر ، غير تابع في ولايته الا للخليفة نفسه في دمشق ، عبد الملك بن مروان

وقد اتخذ موسى عاصمة لولايته الكبيرة ، مدينة القيروان ، بتونس .

ثانيا : يمثل الدولة الاسلامية في غرب هذه الولاية الكبيرة ، طارق بن زياد ، بعد ان عقد له هذه الولاية موسى بن نصير ، وتركه في العاصمة الجديدة ، مدينة طنجة ، وعاد هو الى القيروان

ثالثا : غير بعيد من طنجة، تقع مدينة سبتة ، محتفظة بوضعيتها السابقة ، كقاعدة للدولة الاسبانية القوطية ، على الضفة الجنوبية للبوغاز ، يحكمها الحاكم القوطي الاسباني « الكونت جوليان »

* * *

فماذا يهمنا ان نعرف ، او ماذا نستطيع ان نعرف عن هذه الشخصيات الثلاثة : موسى وطارق وجوليان قبل محاولتنا ان نعبر مع الاحداث التاريخية ، ذلك المضيق الصغير الذي يفصل بين قارتين ، والذي لم يكن حتى ذلك الوقت يدعى مضيق جبل طارق ؟

## موسى .. مرة اخرى

اما موسى بن نصير ، فينتمي اصلا الى قرية من قرى الحجاز بالجزيرة العربية

ثم انه من عائلة لها سابقة في العمل السياسي .

فوالده نصير كان رئيسا لشرطة الخليفة معاوية بن ابي سفيان ، عند ما كان هذا الاخير لا يزال يخوض حروبه الشهيرة ضد علي بن ابي طالب .

ويبدو ان نصيرا لم يكن موظفا عاديا ، تصدر اليه الاوامر فينفذها دون مناقشة ، بل كان له رأيه الخاص وشخصيته المستقلة

وكان معاوية بن ابي سفيان بما عرف عنه من مرونة كبيرة ، ومن مهارة في اصطناع الرجال ، يقدر لنصير رأيه الخاص ، ويقره على موقفه المستقل من بعض القضايا الخطيرة

ولا ادل على ذلك من ان نصيرا كان يرفض الخروج مع معاوية في حروبه ضد علي ، محتجا بما يفهم منه انه يراها حربا غير مشروعة ، ومن ان معاوية كان يتفهم موقف رئيس شرطته ، ويغض له عنه . بالرغم من كونه كان ينظر الى هذه الحروب ونتائجها على انها قضية حياة او موت بالنسبة اليه

وبطبيعة الحال ، فان معاوية ، الرجل الذي كانت دوافعه في الدرجة الاولى سياسية ، ما كان ليتفهم موقف رئيس شرطته بهذا الشكل ، لولا ان هذا الاخير كان يتمتع بمواهب فذة ، كان معاوية يجد نفسه في حاجة ماسة الى استغلالها

* * *

في هذا المحيط السياسي نشأ موسى بن نصير .

ولكنه فيما يبدو نشأ على خلاف اخلاق والده ، وصفاته المعنوية .

فقد كان والده – كما رأينا من المثال السابق – يحكم في تصرفاته الاعتبارات الدينية والاخلاقية

اما موسى فنشأ رجل دولة ، سياسيا محضا ، يتسلح للميدان الذي يعمل فيه بصفات واخلاق الرجل السياسي الذي يعتمد في تصرفاته على حساب الربح والخسارة ، وهو حساب قد يصدق في بعض الاحيان ، وقد يخيب احيانا اخرى كما هو معلوم

لم يستطع مضيفها ، الملك رودريك ، ان يقاوم اغراءه فوقع اسيرا في شراك حبها ، ولم يستطع بعد ذلك ان يفلت من هذه الشراك ، الى ان كان ما كان ، مما سياتي ذكره في ابانه

هذه هي « فلوراندا » بنت الكونت جوليان ، وهذه هي بداية قصتها مع الملك رودريك ، وسنرى من بعد ان هذه القصة وتطوراتها ، كان لها تأثير قريب او بعيد في سير الاحداث المتعلقة بالفتح الاسلامي في الاندلس

* * *

ويجب الا ننسى الى جانب كل ذلك ، ان «الكونت جوليان » والد « فلوراندا » لم يكن مجرد حاكم بسيط او عادي في مستعمرة ، فقد كان على صلة قوية جدا بسير الاحداث في بلاده ، اسبانيا ، وكان الناقمون على الملك رودريك في طليطلة وعلى سياسته ، ينظرون اليه ـ الى الكونت جوليان ـ على انه واحد منهم ، بل يعلقون عليه كثيرا من الامال ، ويرون انه لبعده عن متناول يد الملك من جهة ، ولسهولة اتصاله له بالقوى الخارجية من جهة اخرى ، يملك من امكانيات العمل اكثر مما يملكون هم .

ولعلهم كانوا يرون ايضا ان الكونت يستطيع عند الحاجة ان يجد العون من العرب الذين صالحوه بعد الحرب الضروس التي كانت بينه وبينهم ، والتي لم يستطيعوا فيها ان يحققوا نصرا ضده ، فاثروا ان يصالحوه وان يتخذوا منه حليفا او ما يشبه الحليف

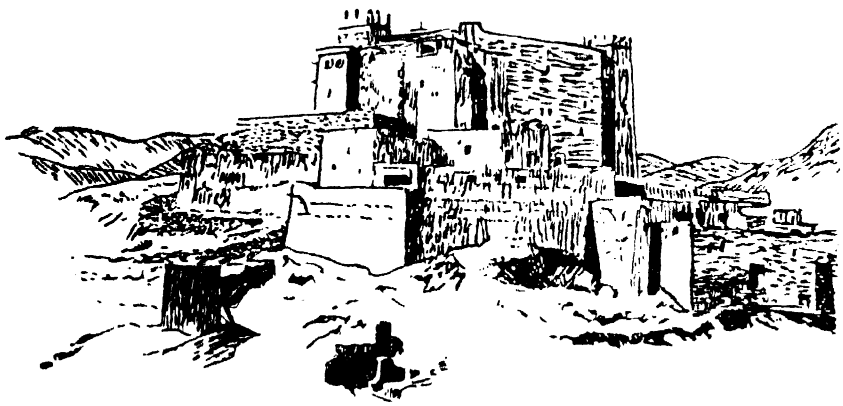
* * *

كذلك باختصار كان الوضع السياسي في الضفة الجنوبية للبحر الابيض المتوسط ، وللمضيق بصورة خاصة ، قبل زحف العرب الى الضفة الشمالية .

فكيف كان الوضع في اسبانيا في هذا الوقت بالذات اواخر القرن الاول للهجرة ، واوائل القرن الثامن للميلاد ؟

يتبع

**الرباط ـ عبد القادر الصحراوي**



شمال افريقية . وانه مستعرب بالميلاد ، كما يدل على ذلك اسمه واسم ابيه واسم جده !

فهو طارق بن زياد بن عبد الله

اما بعد جده عبد الله ، فان الاسماء الواردة في بقية نسبه كما سجله صاحب البيان المعرب ، اسماء غير عربية ، من قبيل « ولغو » و « رفحوم » وما الى ذلك ، مما لا نستطيع ان نجزم ما اذا كان نسبا حقيقيا ، ام مجرد اختراع من اختراعات الرواة والنسابين

* * *

وما ذا بعد ذلك عن الرجل ؟

لا شيء على الاطلاق ، الا بضعة ابيات ركيكة من الشعر يرويها له المقري في ( نفح الطيب ) ، كما ينقل تعقيب بعض الادباء المؤرخين على هذه الابيات ، وهو قوله : « وهذه الابيات مما يكتب لمراعاة قائلها ومكانته ، لا لعلو طبقتها »

ان معرفتنا بطارق قبل الفتح ، لا نستطيع ان تتعدى انه كان ضابطا في جيش موسى بن نصير ، وانه اصبح واليا على ولاية طنجة . ولكننا نستطيع في ظل اخباره منذ بداية الفتح ان نستنتج اشياء اخرى

نستطيع ان نستنتج انه كان ضابطا ممتازا وانه كان على حظ وافر من الذكاء والمقدرة ، وانه كان اهلا لان تسند اليه اعظم المهمات ، وان يهتم به الخليفة نفسه ، وان يقف الى جانبه في النزاع الذي سينشب من بعد ، بينه وبين رئيسه موسى بن نصير

بل ان هذه الصفات نفسها هي التي جعلت موسى ، من غير شك يعقد له على ولاية طنجة

وقد سار طارق في ولايته بمنتهى الحكمة والتوفيق ، ودخل بعد ذلك في مفاوضات سياسية كبيرة ، مهدت السبيل امام المسلمين لفتح الاندلس . وكان في هذه المفاوضات رجلا سياسيا حذرا ، كما كان في الميدان الحربي قائدا عسكريا جريئا

ولعله قد كان لجمعه بين الاصل البربري وبين التمكن في الاستعراب ، كما رأينا من قبل يد في تنصيبه حاكما باسم الدولة العربية الاسلامية على ولاية طنجة ، وتسليمه قيادة جيش كان يتكون في معظمه ، ان لم نقل من مجموعه ، من البربر ، السكان الاصليين للشمال الافريقي

ويجب الا ننسى في هذا المجال ، ان اول اتصال للشمال الافريقي بالاسلام واللغة العربية ، يسبق الفترة التاريخية التي نتحدث عنها بنحو خمسين سنة ، وهي مدة كافية لان يكون اوائل السكان الذين استجابوا لطلائع الفتح الاسلامي في المغرب ، قد تعربوا بالقدر الكافي ولعل من هؤلاء زيادا ابا طارق ، وجده عبد الله السالف الذكر

### الكونت جوليان وابنته (فلوراندا)

واما الكونت جوليان حاكم سبتة ، القوطي ، الاسباني ، فان الذي يهمنا الآن ان نعرفه من شأنه — زيادة على ما سبق — انما هو شيء واحد :

هذا الشيء هو ان الكونت كانت له بنت جميلة تدعى « فلوراندا »

« وفلوراندا » لم تكن تعيش مع ابيها في قصره بسبتة ، تحت رعايته الخاصة ورعاية والدتها ، وانما كانت تعيش بعيدا عنهما معا ، في طليطلة ، في قصر الملك « رودريك »

* * *

كانت العادة جارية بان يرسل الامراء والاشراف والحكام الكبار ، اولادهم وبناتهم ، عند ما يبلغون سن الشباب او يقاربونه ، الى القصر الملكي في طليطلة ليتأدبوا بالاداب الملوكية ، وليكمل بهم الاطار اللازم في القصر كوصفاء ووصيفات شرف ، ولينالوا في النهاية شرف ان يكون الملك نفسه ، هو الذي اختار لهم الازواج ، وهو الذي تولى بنفسه مباركة زواج من يتزوج منهم

* * *

هكذا كانت « فلوراندا » بنت الكونت جوليان حاكم سبتة ، تعيش في القصر الملكي في طليطلة ، وصيفة شرف

الا ان الذي يبدو انها كانت وصيفة شرف من نوع ممتاز ، اي انها كانت جميلة جمالا غير عادي ، جمالا

ولا يغيب عن الاشياء ـ وهو ان لا يميز بين مرافقه وملاذه وبين اضدادها في مرافقة الحق . فان غلبة وجود الحق تسقطه عن التمييز بين ما يؤلمه ويلذه

في هذه اللحظة تعجب الضيف من قوله كالمنكر له وعن كثب تناول الابن السراج وادناه من عيني ابى الفضل وهو في صلاته فلم يحس به لحضوره مع الحق ، وغيبته عن الخلق ، عريقا في تأملات محرابه .

ومر به شخص وهو يمشي في طرق فاس فقال له : اين الطريق الى سوق البقر ؟ فقال له : هو الذي تمشي فيه وانشد :

ان كنت ادري من اين آتي
واين من حيرة امر

فانت يا مركبي حبس
ويا غلامي فانت حر

فابو الفضل كما نرى يصارح السائل بان السوق المسئول عنها هي هذه يعني ما هما سائران فيه الان ، فالمجموع فيها من بني الانسان لا يدرون من اين اتوا واين يمرون ويذهبون ، لما علاهم من ذهول وركبهم من حيرة ، لحد جعل الشيخ ابا الفضل يصورها بصورة بقر ـ خطوب وهموم تفقد الانسان انسانيته فيصبح مسلوب التمييز فقيد العقل ، يستطيع رائيه وضعه مكان العجماوات من الحيوانات

« يغمى على المرء في ايام محنته
حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن »

هذا يفكر في مصيره ، وذاك في ذريته واسرته ، والاخر في الوسط الموبوء ، ورابع في المجتمع وامراضه وكيف الوصول الى العلاج الناجع ؟ اشياء من شأنها ان تقلب الحقائق ، وتجعل الانسان غير الانسان

يقول ابن الزيات التادلي في كتابه التشوف : حدثني يحيى بن عبد الرحمن ، قال : انشدني ابو العلاء ادريس بن محمد الكتامي عرف بابن الرمامة قال : انشدني ابو الفضل :

اصبحت فيمن له دين بلا ادب
ومن له ادب عار من الدين

اصبحت فيهم فقيد الشكل منفردا
كبيت حسان في ديوان سحنون (1)

يشير الى البيت الدي لحسان في كتاب الجهاد من المدونة ونصه :

فهان على سراة بني لؤي
حريق بالبويرة مستطير

فها نحن نرى الصوفي ابا الفضل يرثي لنفسه ، ويشفق من الحالة التي يعيشها ابناء شعبه ، لدرجة ان المتدين القائم بشعائره عار عن الادب بعيد عن الفضيلة في سلوكه وسيرته بل حسبه الاتيان بما وجب عليه اداؤه من طقوس دينية شخصية لا اقل ولا اكثر ـ ناس او متناس ما يجب ان يتحلى به من محامد ومكارم ، تجعله مرموقا بين ابناء الوسط الذي يعيشه ، منظورا اليه بعين التجلة والاكبار ـ وعلى العكس نراه يتأفف ويتالم من طبقات توفرت على سلوك طيب ، وخلق حميد بيد انها في تبرم وابتعاد عن القيام بما فرض عليها من واجبات ، وما طولبت به في دائرة التعبد والنسك من اعمال وتوجيهات لله بل حسبها التظاهر بمظهر اللين والطيبوبة في التعامل مع البشر ، وليت كلا من الفريقين شرب من الكأسين فتعبد وتأدب ـ وعاش مترجمنا ابو الفضل ومن على شاكلته من رجال التصوف الصادق مستريح البال مطمئن القلب سعيدا برؤية ابناء امته سعداء ظاهرا وباطنا

انه ابو الفضل الذي يقال : اعوذ بالله من دعوة ابن النحوي اذ كان مجاب الدعوة ـ جاء عن الولي ابى الحسن علي ابن حرزهم ـ ان ابا الفضل كان يلبس البياض ـ فدخل عليه شاب من طلبة العلم فبادر يسلم عليه ، فاراق المداد على ثوب ابى الفضل من محبرة ، فخجل من ذلك ، فقال له ابو الفضل ـ رفعا للخجل

1 ) سحنون عبد السلام بن سعيد التنوخي مصنف المدونة التي عبر عنها ابو الفضل : « بديوان سحنون » وعليها اعتماد اهل القيروان تـ : 240 ـ 854 .

# أبو الفضل يوسف ابن النحوي المغربي

للأستاذ عبد الله الجراري

ابو الفضل من قلعة بني حماد اصله من توزر ـ دخل سجلماسة وفاسا ـ ثم عاد الى القلعة ، وبها توفي سنة 513 هـ 1119 م عن ثمانين سنة اخذ صحيح البخاري عن اللخمي ـ وقد سأله ما اتى بك ؟ ـ قال ابو الفضل: لنصر تبصرتك . فقال له : تريد ان تحملني في كفك للغرب . يقصد ان علمه كله فيها ـ كما اخذ عن غيره كالمازري وابي زكرياء الشقراطيسي

كان من العلماء العاملين وعلى سنن الصالحين مجاب الدعوة حاضرا مع الله في غالب امره ، له اعتقاد تام باحياء ابي حامد الغزالي فعند ما افتى الفقهاء بحرقها في صحن مراكش ، ووصل كتاب سلطان لمتون بذلك ، وتحليف الناس بمغلظ اليمين ان ليس عندهم الاحياء ـ انتصر وكتب للسلطان ، وافتى بعدم لزوم تلك الايمان ، فعند ما وصل كتاب رئيس الدولة بالتحريج والتحريم ـ ذهب ابن حرزهم الى ابي الفضل يستفتيه في تلك الايمان ، فافتى بانها لا تلزم .

وتلكم ظاهرة نبيلة تبرهن في جلاء على قوة ايمان الرجل ، وثبات عقيدته ، ورسوخ يقينه في الله غير مكترث للصولة والسلطة التي لا تجرى على موجب للحدود والمبادىء .

وان جرى نوعها بالشرق ، وصدع بها عدة علماء ـ كالنووى ، والعز بن عبد السلام ـ فمترجمنا ابو الفضل المغربي له فضيلة السبق في الميدان ـ فضيلة قل من يتوفر عليها من علماء الشعوب ومثقفيها . وقد نسخ ابو الفضل الاحياء ثلاثين جزءا وكان كل يوم من رمضان يقرأ جزء قائلا : وددت اني لم انظر في عمري سواه (1)

وما جرأة فقهاء الدولة الذين كانت لهم الصولة في الحكومة المرابطية الا نتيجة قصور وتزمت وجمود في اطار ضيق عن الفهم لمدلولات التشريع الصحيح ، ووقوف عند اقوال فقهاء لم تتسع صدورهم لادراك تعاليم الاسلام ومراميها المنشرحة

كان الغالب على ابن النحوي العالم الصوفي الصادق ـ الحضور والتعلق بالحضرة الالهية ، ويقال انه بات عنده ضيف ، فدخل في بيت يصلي فيه ، فكثر اللغط ، وارتفعت الاصوات في الدار ، فقال الضيف لابنه : اما تشغلون خاطر الشيخ بهذا في صلاته ؟ فقال له ابنه : انه اذا دخل في الصلاة لم يشعر بذلك .

والغيبة هذه لدى الصوفية هي غير السكر في اصطلاحهم الفني ـ حيث يغيب الشخص عن تمييز الاشياء،

---

1 ) وهذا الاندفاع الغريب نحو كتاب الاحياء البالغ درجة انه لا ينظر حياته سواه ـ والسوى بالطبع قد يتناول اصول الاحياء وينابيعها من كتاب وسنة ، لكن الظن بابى الفضل لا يتحمل هذا ، رغم ما توحى به العبارة او الشغف بمضامين الاحياء جعله يبالغ ولا من حرج على مبالغ

# الشيخ عبد الرحيم المغربي 521/592

## للأستاذ: سعيد اعراب

**(2)**

وقد رحل الى الشرق فى هذا العصر ، كثير من شيوخ المغرب ، نذكر منهم : ابا محمد صالح بن حرزهم ، وابا القاسم بن العجوز ، وابا جبل الفاسي ، وابا عثمان بن الحداد ، وعبد الجليل بن ويخلان ، وابا القاسم المعافري ، والشريف الادريسي ، وابا الحسن الصواف ، وابا الصبر الفهري وابا الحسن المراكشي دفين بادس .

واستوطن بلاد الصعيد عدد منهم ، كأبي محمد عبد الرزاق الجزولي ، وابي العباس بن الحطيئة ، وابي عبد الله القرشي ، وابي العباس التميمي ، وهو اندلسي الاصل ، توفي بقوص سنة «551» .

وفى هذه السنة بالذات ، نزل السيد عبد الرحيم بلاد الصعيد ، وهي الارض الخصبة بالروح الدينية ، والمركز الاساسي للتصوف الاسلامي ، وقد استقبله عالم قوص الشيخ مجد الدين القشيري ، وقدمه للجمهور كعالم ديني كبير ، وشيخ مرب مصلح ، هدفه خدمة الاسلام ، وهداية الناس الى ما فيه صلاحهم وسعادتهم ، وهي مهمة بعث من اجلها الرسل ، وجاهد فى سبيلها المصلحون . وقد اختار الشيخ المغربي بلدنا ـ بأعلى الصعيد ـ مقاما له ، وسامت اليه مفاتيح المدرسة التي كان يؤمها القاصي والداني ، ويلجأ اليها الفقير والعاني ، وانتظر الناس خروج الشيخ ، وجلسوا حلقات حول الكرسي الذي اعد له ، ولشد ما كانت دهشتهم عندما رأوه يحزم امتعته ويخرج الى السوق ، فيجلس للبيع والشراء ، وظل يتاجر فى الحبوب ، ثم فى الاقمشة مدة . وكأنه اراد ان يعطي لتلاميذه درسا عمليا ، تتجلى فيه روح العمل ، والاعتماد على النفس ، ومحاربة الكسل والبطالة ، وقد ثار الشيخ المغربي على عادة كانت مألوفة بين الناس ، وهو ان الشيوخ ينقطعون في زواياهم ، والتلاميذ هم الذين يكفونهم مؤونة العيش ، يجمعون من هنا وهناك ، ويلقون بين ايديهم ، قيل يا رسول الله : ان فلانا يصوم النهار ويقوم الليل ، قال ومن يكفله ؟ قالوا نحن، قال كلكم خير منه . وربما جرت ذيلها ـ هذه الآية على اولئك المتواكلين : « يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله»

والتجارة من افضل وجوه الكسب ـ والتكسب لا ينافي التوكل ـ وقد تاجر ابوبكر وعمروعبد الرحمن ابن عوف ، وهم خيرة الصحابة ، وصفوة هذه الامة، روي عن سفيان الثوري انه كانت له بضاعة يقلبها ، ويقول : لولا هذه لتمنده بي بنو العباس . اي لامتهنوه .

ثم اختار السيد عبد الرحيم مكانا ، بنى فيه رباطا لحماية البلاد ، والذب عن حوزة الاسلام ، وكان يدرب فيه تلاميذه على البطولة ، والفتوة والخشونة، « المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف » وليس الصوفي هو ذلك النحيف الضعيف المتهالك ! وقد قال عمر لرجل اظهر امامه غاية الضعف والمسكنة ـ : مالك يا هذا تتماوت علينا ؟ اماتك الله !

ولعل الشيخ المغربي اراد ان يحيي بهذا العمل حياة الربط التي عاشها فى بلاد المغرب ، ورآها لاتقل اهمية عن المدارس والمساجد فى التربية والتهذيب ، وهي اشبه ما تكون بمراكز التجنيد ، يتلقى فيها المتدربون دروسا علمية وعملية ، تعدهم الامة ليكونوا عمدتها ، وقوتها التي لا تغلب .

عنه : كنت اقول : اي لون اصبغ به هذا الثــوب ؟ فالان اصبغه حبريا (1) فجرده وبعثه الى الصباغ .

وحدث ابو الحسن قال : اوصاني ابى ان اقبل يد ابى الفضل بن النحوي متى لقيته ، ولو لقيته في اليوم مائة مرة ، فبعثني يوما اليه ليدعـو لي ، فأتيتـه وقـت غروب الشمس فوجدته يتوضأ ـ فلما فرغ من وضوئه نظرت الى الاناء كانه لم ينقص منه شيء فلما غربت الشمس ـ اذن واقام وصلى وصليت معه ، فلما اراد ان يكبر نظرت الى ثوبه الذي على كتفه يتحرك حركـة شديدة يسمع صوته من شدة الخوف ثم قرأ قراءة مبينة يسردها حرفا حرفا (2) ، فلما سلم دعا لي فانصرفت الى ابي فحدثته وقلت له : رأيته صلى عند غروب الشمس قبل الوقت الذي يصلي به اهل البلد ، فاهوى الي بيده ولطمني وقال لي : اتتكلم في ولي من اولياء الله تعالى، وهل وقت المغرب الا ذلك الوقت الذي صلى فيه ابـو الفضل ، وانما الناس ابتدعـوا في التاخيـر عن ذلـك الوقت ، ثم امرني ابي ان احكي له فعل ابى الفضل من اوله الى اخره ففعلت ، فقال لامي وكانت حاضرة : هذا صبي نرجو من الله تعالى ان ينفعنا به ، فانه وجد بركة ابي الفضل وقد رأيته حين دخل علي ، وعليه نـور . فعلمت ان الله قد اجاب فيه دعوة ابى الفضل .

وحدث ابن ابى القاسم عن ابي علي سالم قال : لما دخل ابو الفضل سجلماسة ـ امر ان ينزل في دار قريبة من الحمام بعيدة من المسجد ، فانكروا عليه ذلك غير منعمين النظر فيما يرمي اليه ، وسالوه عن ذلك فقال : خطاي الى الحمام في حق بدني ، فاريد ان تكون قليلة، وخطاي الى المسجد فيها الاجر فاريد ان تكون كثيرة ( سنكتب ما قدموا واثارهم ) كما جاء في القران ـ وفسر بالخطا الى المسجد ، ومن اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار ، وسبيل الله اوسع من ان يحصر ، ومن الماثور عنه ـ انه لما عاد الى القلعة ـ اخذ نفسه بالتقشف ، وهجر اللين من الثياب ، ولبس الخشن من الصوف ، وكانت جبته الى ركبتيه . (3)

فمر يوما بابي محمد بن عصمة ، وكان فقيه المدينة ومفتيها ، فلم يسلم عليه ابو الفضل ـ وربما كان غائب الفكر ، مشغول البال في الذكر والتعلق حسب مشربه ـ فعظم ذلك على ابن عصمة ، فلما رجع ابو الفضل ناداه ابن عصمة محقرا له : يا يوسف ـ فلباه ابـو الفضـل ، واتاه ، فقال له : يا توزري صفرت وجهـك ، ورققـت ساقيك ، وصرت تمر فلا تسلم .

فاعتذر له ابو الفضل ، فلم يقبل عذره . واغلظ له القول فقال له ابو الفضل : غفر الله لك . وحسبه قدوة في هذه بالرسول الاعظـم وكم لهذا العالـم الناسك من كرامات وايات تسفر في عمقها عن مسلـم ذاق حـلاوة الايمان ، وصفت مشاربه ، واصبح من الذين لا يرون في الوجود سوى الخالق جلت قدرته

يقول القاضـي ابو عبد الله بن علي بن حمـاد : كان ابو الفضل بلادنا كالغزالي في العراق علما وعملا، ويقول فيه القاضي عياض ـ : كان من اهل العلم والفضل شديد الخوف من الله ـ غالب حاله الحضور معه تعالى ـ لا يقبل من احد شيئا ، انما يتعش مما ياتيه من توزر

**الربـــاط ـــ عبد الله الجراري**

---

1 ) حبريـا ـ يقصـد اسـود اللـون شأن المـداد .

2 ) كأنه يشير الى قراءة الرسول عليه السلام التـي كانت لو شـاء العاد لعدها حرفا حرفا ولا غرابـة ان يسير ابو الفضل على سننها .

3 ) والرجل في هذا الحال متمسك بسنة سيد المرسلين محمد عليه السلام الذي يقول : ازرة المومن الى نصف الساق ولا حرج او قال لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين الحديث :
« تقصيرك الثوب حقا اتقى وانقى وابقـى »

ولا عمل ، ولا اخلاق ، وكان يقول : العطف على الناس فيما ينتقص من دينهم واخلاقهم جريمة ، والنصح لهم هو الاحسان الكامل .

وكان السيد عبد الرحيم المغربي ــ الى كونه عالما عاملا ، فقيها متبحرا فى علوم الشريعة ، وكان على مذهب مالك ، وكان كتاب « المعونة » ــ للقاضي عبد الوهاب ــ هو الكتاب المفضل لديه فى الفقه المالكي ، وكان ينصح تلاميذه بالرجوع اليه .

ومن انجب تلاميذه ــ ابو الحسن بن الصياغ ، وربما كان اول تلميذ بها ، بعث به السيد القشيري ، وهو ابن عشر سنين ، واقام فى خدمة الشيخ المغربي مدة ، ونال حظا وافرا من علمه ومعرفته ، وكان وارث مقامه وسره ، حتى قال بعض الشيوخ : ولو لم يكن من اصحابه الا الامام الشيخ ابن الصباغ ــ لكفاه عن سائر الامم ، ولان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » وهناك عدد عديد ممن تخرجوا على يد السيد عبد الرحيم ، وكانوا اعلاما يهتدى بهم ، كأبي الحجاج الاقصري ، وولده نجم الدين ، ويحيى ابن موسى القناني ، وعلم الدين المنفلوطي ، وابي يحيى بن شافع ، ومفرج بن عبد الله الدماميني ، ورفاعة الجذامي ، فى آخرين .

قال الحافظ ابن المنذري : وهو « اي السيد عبد الرحيم » شيخ من مشايخ المسلمين ، وامام العارفين ، وكانت اقامته ببلاد الصعيد رحمة بأهله، اغترفوا من بحر علمه وفضله ، وتمتعوا ببركاته واشرقت انوار قلوبهم لما دخلوا في خلواته » . وكان الشيوخ وكبار العلماء يرحلون الى زيارته ، والتبرك به . ومن الذين زاروه فى اخريات حياته ــ الشيخ ابو علي الحسن بن العربي الحسين بن الامام ابي الفضل الهمذاني ، وهو من كبار علماء مصر .

توفي السيد عبد الرحيم المغربي ــ صبيحة يوم الجمعة تاسع صفر عام اثنين وتسعين وخمسمائة هجرية «592» وخلف وراءه ثروة من العلم والمال ، وجيلا من التلاميذ والمريدين ، حملوا لواء المعرفة ، احقابا من السنين ، ولا نعرف من آثاره ــ الا ما يرويه عنه تلاميذه من مقالات فى التوحيد ، وحكم فى التصوف ، قال فى الطالع السعيد:

وللشيخ عبد الرحيم تصانيف فى التوحيد ، ورسائل فى علم القوم ، وهي عبارة تدلنا على ان الشيخ خلف مؤلفات ورسائل ، وربما ضاعت فيما ضاع من جراء سيل عرم اصاب قنا ، وجرف كثيرا من دورها ، وذهب بآثارها وذخائرها . وقد جمع تلميذه يحيى بن يحيى المعروف بابن الحلاوي ــ منتخبا من كلامه . ولعل خلاصة هذه الكتب وتلك الرسائل ــ هو ما ضمنه ابو الوفاء المدني فى كتابه « الاصفياء » وقد ذكر بعض الباحثين انه من استقى من الذين كتبوا عن الشيخ الغربي ، قال وتوجد منه نسخة بمكتبة المدينة المنورة . وقد اورد هذا الكتاب جملة من الاحزاب كان الشيخ يجعلها وردا له ولتلاميذه كالحزب الكبير ، وحزب الحقيقة، وحزب السكون ، وحزب تفريج الكروب ، وحزب التوحيد ، وحزب النور ، وحزب التكوين ، وحزب الوحدانية والتوسل لرب العزة ومناجاته . . وكل هذه الاحزاب تبتدىء بالاستعادة والبسملة ، وآيات قرآنية ، تستغرق نحو نصفها ، ثم ادعية وصلوات على الرسول ــ كما اشرنا الى ذلك سابقا . والذي يجب ان نسجله هنا ــ هو ان الشيخ ابن عطاء الله ربما اقتبس كثيرا من حكم السيد عبد الرحيم المغربي ومناجاته . . وانك لتكاد تجد بعض الحكم بالنص كقول ابن عطاء الله مثلا : ان اردت ان تعرف قدرك عنده فانظر فيما ذا يقيمك » فهو نفس قول السيد عبد الرحيم : « اذا اردت ان تعرف مقامك، فانظر فيما اقامك » ــ مع تغيير بسيط ، ولا نستطيع ان نقول الكلمة النهائية فى الموضوع حتى نطلع على اصول حكم الشيخ المغربي ، والايام كفيلة بذلك .

ومن كلامه فى التوحيد ــ ادركت جميع صفات الله الا صفة السمع . وكان يقول : المتكلمون كلهم يدندنون حول عرش الحق ، ولا يصلون اليه .

ومن حكمه : الحياة ان يحيا القلب بنور الكشف، فيدرك سر الحق الذي برزت به الاكوان فى اختلاف اطوارها . ويقول : الهيبة فى القلب لعظمة الله تعالى ، هو طمس ابصار البصائر عن مشاهدته لمن سواه حسا ، فلا يرى الا بانوار الجلال ، ولا يسمع الا بسواطع الجمال .

ويقول : الرضا سكون القلب تحت مجاري الاقدار . . »

وقد انجب السيد عبد الرحيم ــ الكثير من الاولاد ، فكان منهم العلماء العاملون ، والشيوخ المربون، كالسيد الحسن ، وكان من الصوفية الفقهاء ، والعلماء الفضلاء ، وكان مالكي المذهب كوالده ، روى عنه المنذري بعض شعره ، قال وتبرك بدعائه توفي بقنا سنة 655 ــ وقد قارب الثمانين .

وكانت هذه الربط كرد فعل للحروب الصليبية التي اكتوى المسلمون بنارها ، وعانوا منها الويلات في الشرق والغرب !.

وكان لرجال التصوف دور خطير في هذه الثكنات لحماية الاسلام ، وكانوا الدرع الحصين لهذه الامة ، سئل شقيق البلخي – وهو في صف القتال – كيف تجد نفسك ؟ قال والله اني لارى نفسي مثل ما كنت ليلة زفافي !

تفرغ الشيخ المغربي للمدرسة التي وكل اليه امرها ، فجعل اساسها الكتاب والسنة ، ومن اهدافها تكوين المومن الصالح ، ومن بنود منهجها :

1 – ان يكون المريد متزوجا ، ليمنع نفسه من النزوات الشيطانية وربما كان الاغلب على الصوفية ان ينفروا من الزواج ، وقد استشاروا رجل الامام الشعبي في الزواج فقال : ان صبرت على الباه فاتق الله ولا تتزوج ، وان لم تصبر فاتق الله وتزوج . وقد تزوج الشيخ المغربي ، وولد له اولاد ، على ما سنذكره بعد . روى عن بشر الحافي انه قال في احمد بن حنبل : فضل علي بثلاث : يطلب الحلال لنفسه ولغيره ، وانا طالب الحلال لنفسي ، واتساعه للنكاح وضيقي عنه ..

2 – ويشترط لقبول المريد في هذه المدرسة – ان يكون له عمل يتعيش منه ، حتى لايكون عالة على غيره ، « اشد الناس عذابا يوم القيامة المكفي الفارغ » وأسلفنا ان الشيخ كان يخرج الى السوق للتجارة ، وكان له رصيد من المال درته عليه تجارته ومع ذلك فقد كان زاهدا ورعا ، عابدا متبتلا. قال الحافظ المنذري ، صاحب الترغيب والترهيب : كان السيد عبد الرحيم من الزهاد المذكورين ، والعباد المشهورين ، ظهرت بركاته على اصحابه ، وتخرج عليه جماعة من اعيان الصالحين ، لصالح انفاسه » .

وكان شيخنا وقورا ، كثير العبرة ، دائم الفكرة ، ياخذ اصحابه بالجد والحزم ، وكان يقول : لو ولد لي ولد ما تركته ليضحك .

وفي الحديث : لو تعلمون ما اعلم ، لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، انا اعلمكم بالله ، واخشاكم منه » .

وكان اذا ذكر اصحابه الدار الآخرة ، يقول : ما رأيت اقرب من الآخرة ، غمض بصرك ، وادخل الآخرة .

ومن اداب هذه المدرسة في الذكر – ان يكون بادب وخشوع ، بعيدا عن البهرجة ، وآلات اللهو والسماع ، لا شطح ولا تواجد ، ولا صعق ولا نعيق! وكان التلاميذ اذا جلسوا لذكر الله ، ومدارسة كتاب الله ، فكأنما على رؤوسهم الطير !

« والذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون »

وكان الشيخ المغربي يكره للمريدين اسم الدراويش ، ويرى انها تسمية اعجمية ، جاءت من الفرس ، والتصقت بالسالكين ورجال التصوف في الشرق العربي ، كما انتقلت معها كثير من عوائد الفرس ، ظنها بعض الجهلة من آداب التصوف الاسلامي . وربما كان الطرطوشي على حق حين كتب الى سلطان المغرب – رسالة يقول فيها : ان اهل المغرب ، هم المشار اليهم في الحديث الشريف : « لا يزال اهل المغرب ظاهرين على الحق » لما هم عليه من التمسك بالسنة والجماعة ، وطهارتهم من البدع والاحداث في الدين .

وكانت بدعة الاسم الاعظم ، هي الشغل الشاغل لكثير من المريدين ، فشدد الشيخ المغربي النكير عليهم في ذلك ، وكان يقول : اروني الاصفر، اريكم الاكبر ! يا هؤلاء ، اسماء الله كلها عظيمة . وكان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان لا الاه الا الله يقول هو : شهدنا بما شاهدنا ، وويل لمن كذب على الله تعالى .

وكما كانت هذه المدرسة تجمع بين العلم والعمل، فمن حرم المعرفة ، لا يجد للطاعة حلاوة ، ومن علم ولم يعمل فما وعى قلبه خيرا – كانت كذلك تجمع بين الكتاب والسنة ، والفقه والتصوف ، فبالكتاب والسنة يستضيىء المريد ، وبنورهما يرى الطريق ، وبالفقه يفقه امور دينه ودنياه ، وبالتصوف يعرف اداب الاسلام واخلاقه ، فالشيخ المغربي يصور لنا التصوف بأنه اخلاق ترتفع الى الادراك ، حتى يصير الادراك اخلاقا ، والاخلاق ادراكا ، ويقسم الاخلاق الى حسية ومعنوية ، ونفسية وكلامية ، ويرد التصوف الى الخلق النفسي ، فالتصوف – عنده – وان لم يكن ركنا من اركان الاسلام ، فهو ركن من اركان الاخلاق ، والدين الاسلامي علم وعمل واخلاق ، فمن ترك واحدة فقد ضل الطريق ، فالاخلاق عنده هي كل شيء ، وكان رغم حبه للعطف والاحسان ، يكره ان يكون عطوفا على امثال هؤلاء الناس ، ممن لا علم لهم

# المغرب بين الامتيازات الأجنبية والتشريع الديني وضرورة توحيد الأحوال الشخصيّة

للاستاذ عبد النبي ميسكو

.. ان المبدا الاساسي في المغرب هو انه يخضع لمبدا اقليمية القوانين ، وقد كان هذا منذ الماضي ، وذلك لان الشريعة الاسلامية وهي المهيمنة على المغرب ترى ان احكامها تنطبق على كل من وما يوجد فوق ترابها باستثناء ما يتعلق بالاحوال الشخصية ، فهذه تحكم وفق القانون الديني للشخص ، وعلى هذا فالشريعة الاسلامية كانت تطبق على جميع من وما يوجد في المغرب ، وترتب عن اقليمية القانون هذه اقليمية القضاء ، فلم يكن لنا الا قانون واحد ، بجانب قضاء واحد ، ولكن بعد ان عرفنا عصر الوهن والضعف ، وبعد ان طمع الاجانب فينا لم تبق ولاية شريعتنا عامة ولا ولاية قضائنا شاملة وهكذا عرفنا قوانين اجنبية وقضاء اجنبيا وكان وليد الامتيازات التي عرفها المغرب وقد بدات هذه الامتيازات في نهاية القرن الثامن عشر حيث عقد المغرب معاهدة مع اسبانيا سنة 1797 اعترف فيها بقاعدة ان المدعي يتبع المدعى عليه حيثما حل وارتحل ، وانه يتبعه الى محكمته ، وهذه القاعدة معارضة للشريعة الاسلامية التي تقضي بان المسلم يجب ان يتحاكم في البلاد الاسلامية ولا يمكنه ان يتحاكم في غيرها وذلك لان الاسلام لم يجعل لغير المسلم على المسلم سلطان ، ولم يكن يعترف بقوانين غيره ، ولم يجعل لقوانينه نفاذا في غير بلاده ، وهذا ناتج عن تقسيم العالم عند المسلمين الى عالم اسلام ، وعالم كفر وان هدف الاسلام عالمي وهو ان يشمل الانسانية كلها فتبلغ رسالته الى الكافة ويومن بها الجميع . ومثل هذا فعل المغرب مع انكلترا سنة 1836 واسبانيا سنة 1859 ، ومكنت هذه الدول من ان يحاكم مواطنوها الذين يوجدون فوق ترابها وفق قوانينها وكان هذا ماسا بسلطتنا التشريعية ووحدة التشريعات النافذة في بلادنا كما انه ادى الى المس بقضائنا فاصبح تعدد الجهات القضائية ظاهرة من ظواهر تعدد التشريعات الاجنبية التي تسود بلدنا وهكذا وجدت المحاكم القنصلية منها الفرنسية والاسبانية والامريكية والانجليزية ومكنت هذه المحاكم من كثير من الامتيازات خصوصا وان بعض المغاربة اصبحوا يحصلون على الحمايات الاجنبية فيخضعون لقوانينها ويحاكمون امام محاكمها التي توجد فوق ترابنا والتي كانت شذوذا وتطاولا على حق المغاربة المقدس في ان يحاكم ابناؤهم في بلادهم امام المحاكم الوطنية كما انه كان مرآة تعكس اولئك الذين انهار عندهم الوازع الوطني فدق ناقوس الخطر وعقد مؤتمر مدريد سنة 1880 ومؤتمر الجزيرة الخضراء 1906 فأكد المؤتمران معا سيادةالدولة المغربية وحقها المقدس في ممارسة استقلالها ولكن القدر كان يحمل في طياته حادثا مفاجئا لم يعرفه المغرب قط في تاريخه هو ابتلاع السيادة المغربية في 30 مارس 1912 وهكذا ازدادت قوة الاجانب في بلادنا فحل محل القضاء القنصلي في الجنوب القضاء الفرنسي باستثناء انكلترا فانها احتفظت لنفسها بامتيازاتها حتى سنة 1936 والولايات المتحدة حتى الاستقلال ، اما في الشمال فانه رغم ان اسبانيا انشأت محاكم سمتها بمحاكم اسبانية فان الدول ذات الامتيازات ظلت محافظة على امتيازاتها الى الاستقلال والجدير بالذكر ان المحاكم الفرنسية في الجنوب قامت على اساس من جنسية الخصوم واخضعت جميع الاجانب لنفوذها حتى ولو كان هناك عنصر مغربي ، وتناول اختصاصها مسائل اخرى ، وفي ضمنها العقارات متى كانت محفظة مهما كانت جنسية الخصوم لان العقار المحفظ كان عندها يكسب الجنسية الفرنسية وكانت قوانينها اجنبية ولغة المداولات والاحكام هي الفرنسية وقضاتها كانوا فرنسيين

ومنهم السيد محمد وبه كان يكنى الشيخ عبد الرحيم ، ولا نعرف شيئا عن حياته .

ومن حفائده — جعفر بن محمد بن عبدالرحيم، شيخ الدهر وتحفة العصر ، تقلب في عدة وظائف سامية في مصر والشام ، وكان مع ذلك يجلس للتدريس بالمشهد الحسيني ، ويقال انه كان يطمح للخلافة — لكماله نبلا وفضلا ، توفي بمصر سنة 696هـ .

ومنهم ابو العباس احمد بن ابراهيم بن الحسن ابن عبد الرحيم ، وكان من اهل الفضل والاصلاح ، من حفاظ العصر ، انتفع الناس به كثيرا ، توفي بقنا سنة «828»

والتحق به من اسرته بالمغرب — اخته شعشة مع ثلاثة من اولادها وهم جابر وعبد الشافي ورقية مات والدهم في وباء بالمغرب ، فشملهم بعطفه ، وضمهم الى رعايته ، تعلموا بمدرسته ، ونالوا نصيبهم من العلم والثقافة ، وكان عبد الشافي ضخم الجثة ، طويل القامة ، حتى لقد كان خاله يلقبه بيوشع ، توفي سنة 600 ودفن بشرق مقبرة قنا ، ويعتقد الناس — خطأ — انه النبي يوشع عليه السلام .

والمهم ان الشيخ المغربي لم تنقطع صلته بأسرته ، وبأبناء قومه بالمغرب الى ان لقي ربه .

ونورد في خاتمة هذا البحث كلمة الشيخ ابي العباس رضوان البغدادي نوه فيها بمدرسة السيد عبد الرحيم ، وبمقامه في العلم والتصوف ، ومما جاء فيها :

«.. وكان السيد عبد الرحيم مقيما على الكتاب والسنة ، غيورا على الدين ، يتعهد مريديه بالتقوى ، والعمل الصالح ، وكان يامرهم باخذ الاسباب المباحة التي لا تشغلهم عن الله تعالى ، وكان زاهدا عارفا ، عالما ربانيا ، جامعا بين العلمين : علم الشريعة وعلم الحقيقة ، وصل الى مقام المشاهدة بعد المجاهدة .. وخرق الله له العادات ، حتى صار هواه تبعا لما جاء به النبي «ص» .

وقبر الشيخ عبد الرحيم — مزارة مشهورة بقنا الصعيد ، يحتفل بمولده كل سنة ، من اول شعبان الى نصفه ، تخليدا لذكراه ، واكراما لجهاده ،

وبعد : فهذه سطور عن عالم مغربي ، درج من اسرة واغلة في البداوة ، وعاش حياة التقشف والخشونة ، ولكنه كان قمة سامقة في العلم والمعرفة، وطودا شامخا في التصوف والحكمة ، وهو رجل اهمله قومه ، فاضاعوا صفحة مجيدة من تاريخهم الفكري ، وبكل اسف لم يتبرع ولو واحد منهم بكلمة تشير الى اسمه او نسبه ، فضلا عن التعريف به او ذكر شيء من آثاره ، وقاتل الله الاهمال ، فكم ضاع بسببه من رجال!

والفضل كل الفضل لاخواننا المشارقة ، الذين عرفونا بكثير من رجالنا ، ولولاهم ما عرف الشاذلي ، بل ولا ذكر اسم ابن مشيش ، ولما عرفنا شيئا عن ابن خلدون والمقري واضرابهم من عباقرة المغرب ، وقد قيل : « من أرخ عالما فكأنما احيا امة » .

**تطوان — سعيد اعراب**

**اريها السها ، وتريني القمر**

شكونا اليهم خراب العراق
فحرم فينا شحوم البقر

فكان كما قيل في بعده
اريها السها ، وتريني القمر

هذا المشكل يقتضي منا ان نتعرض للاية الكريمة وهي قوله تعالى :

« فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا ، وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين » ومعنى الاية الشريفة ان الذميين والمستأمنين ان جاءوا الرسول متخاصمين فهو مخير بين ان يحكم بينهم او يتركهم وان تركهم فانه لن يتضرر من ذلك ، ولكن ان قبل الرسول ان يحكم بينهم فعليه ان يحكم بالقسط والعدل . ولكن بعد ذلك وردت الاية الكريمة « وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما اتاكم » ومعناه ان الله يأمر نبيه بان يحكم بين اهل الكتاب بما انزل الله في القرآن الكريم لانه كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ذلك ان القرآن رقيب وشهيد على الكتب المتقدمة . وعليه ان يحكم بين اهل الكتاب بما انزل الله دون ما انزله اليهم اذ ان شريعة الرسول ناسخة لشرائعهم ، كما ان القانون الجديد يغير القانون القديم ، فكذلك شريعة الرسول غيرت الشرائع التي تقدمتها ، وعليه فتكون هذه الاية ناسخة للاية التي تقدمتها ، وعليه فاحكام الاسلام تسري على غير المسلمين لا يفرق في ذلك بين الروابط الشخصية والروابط المالية اي فيما يتعلق بالاحوال الشخصية والاحوال العينية ، ولكن الراي الذي ذهب اليه كثير من الفقهاء هو ان احكام الاسلام تنطبق على غير المسلمين وتنطبق بصفة وجوبية لا مجال فيها للتخيير باستثناء ما يتعلق بالاحوال الشخصية او روابط الاسرة ، فهذه تركت لتحكم حسب دين الشخص وعقيدته التي يعتقدها، وهذا هو الذي ادى الى ان يكون القانون المدني عندنا اقل شمولا من القانون المدني عند الغربيين اذ عند هؤلاء يشمل الروابط العينية والروابط الشخصية وعندنا لا يشمل الا الروابط العينية ، وهذا ما ادى الى نشوء كثير من الامتيازات الدينية فتعددت القوانين التي تحكم منظمة الاسرة بقدر تعدد الديانات : الاسلام ، المسيحية ، اليهودية ، بل تجاوز الامر تعدد الديانات الى تعدد الطوائف ، فبقدر ما تتعدد الطوائف الدينية تتعدد القوانين وتختلف وادى ذلك الى تعدد الجهات القضائية ، فاحدثت جهات قضائية في كثير من بلاد الاسلام خاصة بالطوائف الدينية ، وحصلت تنازعات كثيرة فيما بين القوانين والمحاكم وتنازعها لا يشبه التنازع المعروف في ميدان القانون الدولي الخاص اذ انه تنازع بين قوانين دول اجنبية ومحاكم دول اجنبية ، وقواعده قواعد اسناد مهمتها بيان القانون المختص والمحاكم المختصة من بين القوانين الوطنية والاجنبية وكذا المحاكم ، اما التنازعات التي نتحدث عنها الان فهي تنازعات بين قوانين في اغلبها وطني ومحاكم وطنية كذلك في الغالب والجدير بالذكر ان هذا الوضع كان قائما على اساس التسامح الديني معتمدا في ذلك على ان روابط الاسرة الصق ما تكون بعقيدة الشخص ولذا ينبغي ان تحكم بدينه ومؤازرا بما يروى عن النبي ص من انه امن المسيحيين على انفسهم واموالهم وعقائدهم واوصى بذلك المسلمين وان الخلفاء الراشدين جددوا ذلك العهد فأصدر الخليفة عمر العهدة العمرية التي أمن بها رعايا الدولة العربية غير المسلمين ، وهي ليست الا ترداد لما ورد عن الرسول ثم لما دخل الاتراك العثمانيون القسطنطينية اعلن السلطان محمد الفاتح انه يؤمن الرعايا المسيحيين على عقائدهم واموالهم ، ولكن مبدأ تعدد قوانين الاحوال الشخصية ادى الى كثير من الفوضى والاضطراب اذ انها لم تتعدد بتعدد الديانات ولكنها تعددت لتعدد طوائف الديانات وتعددت الجهات القضائية في مصر حيث عرفت اربع عشرة طائفة دينية قبل صدور قانون 1955 وجميع الدول الاسلامية عرفت هذا الوضع بصورة قوية او ضعيفة حسب كثرة او قلة المذاهب فيها ومما كان يزيد الامر فوضى واضطرابا ان بعضها كانت تحكم وتسيطر عليه هيئات اجنبية وكانت لغته اجنبية ايضا ، ولهذا فان اصوات المصلحين ارتفعت في الشرق تطالب بضرورة توحيد الجهات القضائية ، وقد عبرت المذكرة الايضاحية المصرية رقم 462 سنة 1955 عن كثير من مظاهر الفوضى في نظام التعدد حيث قالت « وانه من الشذوذ بمكان ان يظل الوطنيون المنتمين الى الطوائف الملية غير الاسلامية محتفظين باستثناءات قضائية كانت في كثير من الحالات عنوانا على الفوضى وليس يتفق مع السيادة القومية في شيء ان تصدر احكام في الصق المسائل بذات الانسان من جهات قضائية غير مسؤولة ولا مختارة من جانب الحكومة او ان تكون تلك الجهات خاضعة لهيئات اجنبية تباشر اعمالها خارج حدود البلاد »

وكانوا يصدرون احكامهم باسم رئيس الجمهورية الفرنسية وجلالة الملك وهكذا لم يبق التطبيق كاملا لمبدأ اقليمية القانون ونتج عنه عدم اقليمية القضاء ولم يكن هذا الوضع المزري من الناحية القضائية والتشريعية الا وليد التمزيق السياسي ووضع الحدود المصطنعة ، وما اصبنا به اصيب به غيرنا ممن ابتلوا بالضعف وهيمنة الاجانب عليهم وذلك كمصر وسوريا والعراق وتركيا وهذه البلاد هي نفسها عرف بعضها التجزئة السياسية ولعل التاريخ يعيد نفسه فى هذا فاذا كانت انانية الرومان وارستقراطيتهم قد دفعتهم الى ان يقصروا تطبيق قوانينهم عليهم ولا يطبقونها على الاجانب ولهذا عرف الرومان القانون المدني وقانون الشعوب كان هذا الاخير خاصا بغير الرومانيين فان انانية الدول الاروبية هي التي ابت فى بلادنا ان تخضع لقوانينا وقضائنا فانشأت قوانين وقضاء جعلتهما امتدادا لقوانينها وقضائها وكان الاولى بها ان تترك لقضائنا الولاية العامة ولتشريعاتنا التطبيق الشمولي والخدمة التي كان ينبغي ان تقدم هي محاولة الاصلاح وادخال الاساليب الحديثة على قضائنا لا اضعافه وجعله استثنائيا ، ولكن بعد الاستقلال وعودة السيادة والقضاء على التجزئة الوطنية وازالة الحدود المصطنعة التي وضعت لتعبد ولكنها انمحت، ولهذا قضي على المحاكم القنصلية وادمج القضاء الاسباني فى القضاء العادي فى الشمال واصبح القضاء الفرنسي فى الجنوب يسمى بالقضاء العصري وهكذا حصلنا على وحدة التشريع من ناحية السيادة الخارجية حيث اصبحت الدولة المغربية هي وحدها المالكة لشؤون التشريع لا تشارك فى ذلك من لدن غيرها كما ان القضاء اصبح موحدا من حيث السيادة الخارجية حيث اصبح القضاة لا يستمدون سلطتهم الا من الحكومة المغربية ولا يصدرون احكامهم الا باسم جلالة الملك ، ولكن مع ذلك ظلت رواسب الماضي قائمة ، وظلت الثغرات موجودة ، فوحدة التشريع تقضي بان يسود المعاملات التي تكون من نوع واحد تشريع واحد ، ولا ينبغي ان تسودها عدة تشريعات ووحدة القضاء تقضي بان لا تعدد الجهات القضائية وتقوم على اساس جنسية الخصوم وقد ظل الامر كذلك الى ان صدر ظهير 26 يناير 1965 الذي قضى بمغربة القضاء وتوحيده ، وتعريبه ، وهكذا قضي على تعدد الجهات القضائية وما كان يتبعه من فوضى واضطراب ومحاولة كل جهة قضائية ابتلاع اختصاص الجهة القضائية الاخرى خصوصا عند غموض او انعدامها واثره على حقوق المواطنين حيث كان يؤدي ذلك الى صدور احكام متناقضة وبطء البت فى القضايا بصفة نهائية .

### الامتيازات الدينية

ان الشريعة الاسلامية تقوم على اساس مبدأ اقليمية القوانين ، فالشريعة الاسلامية بوصفها قانونا تنطبق على كل من وما يوجد فوق اقليم الدولة الاسلامية لا يفرق فى ذلك بين مسلم ومسيحي وعبري ، ذلك ان المسلمين تركوا غيرهم من اصحاب العقائد الاخرى هم وما يدينون ولم يلزموهم بالاسلام لانه لا اكراه فى الدين ، وقد اعطوهم الامان على انفسهم واموالهم وعقائدهم ، وكان ذلك وليد امان وبواسطة عقد الامان كان يقيم الذمي فى ارض المسلمين ويحتك بالمسلمين واحتكاكه بهم قد يؤدي به الى الايمان بالاسلام ويتحمل الذمي واجبات منها دفع الجزية وخضوعه لاحكام الشريعة الاسلامية مدة اقامته فى بلاد الاسلام ، وهذا الخضوع دليله قول الرسول « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » وكانت لهم حقوق وهي ان يحافظ لهم على عقائدهم ويسمح لهم باقامة شعائرهم كما ان لهم الحق فى اعتناق الاسلام وكذا فى انهاء عقد الامان ومغادرة دار الاسلام ، فيطبق عليهم آنذاك ما يطبق على الحربيين ، وكانت الاقامة فى دار الاسلام لا تكسب صاحبها الجنسية اذ ان هذه مرتبطة بالدين وبجانب الذمي يوجد المستأمن ذلك ان الحربي كان لا يسمح له بالاقامة فى دار الاسلام الا اذا حصل على الامان ومدة هذا الامان سنة فاذا تجاوزها اصبح المستأمن ذميا وهذا الامان كان يحمي صاحبه وماله ودينه فهو عرضة للقتل او يسلم .

والمهم عندنا من الصنفين هو من يقيم بصفة دائمة ومستمرة لا من يقيم فى بلاد الاسلام بصفة مؤقتة ، ولكن القضية التي تطرح وهي على جانب من الاهمية هي هل اهل الذمة يخضعون للقضاء الاسلامي ، والشريعة الاسلامية أم يخضعون لجهة قضائية خاصة بهم تطبق قوانين خاصة بها من حيث الشكل والجوهر وقد تتعدد الجهات القضائية الخاصة بالذميين فيما اذا تعددت دياناتهم وتنوعت طوائفهم وكانت قوانينهم تتأثر بالدين ، والجواب على

القضاة المسلمين ليفصلوا فى نزاعه ، ولهذا فهم لم يسامحوا قط بانشاء جهة قضائية اذ ان امرهم لا يعدو ان يكون مسموحا لهم بالتحكيم والتحكيم نظام معروف بامكان جميع الناس ان يلجأوا اليه اذ انه اذا كان قضاء الدولة يحتكر وحده فض نزاعات الناس وخصوماتهم لا يشارك فى ذلك من لدن قضاء اجنبي لان هذا يعد مساسا بالسيادة القضائية للدولة لكن ليس معنى ذلك ان القضاء فى الدولة يحتكر وحده فض النزاعات والخصومات بل يشارك فى ذلك من لدن نظام التحكيم ، وهكذا عرف اليهود قضاء خاصا بهم فى ميدان الاحوال الشخصية بالاضافة الى الجهات القضائية التي انشأتها واقامتها على اساس من جنسية الخصوم او جنس المجال ، ولهذا فانه بعد ان تم التوحيد وقضي على تعدد الجهات القضائية ولم تبق الا جهة القضاء العادي وادمجت المحاكم الشرعية والعبرية ابتداء فى محاكم السدد واستئنافا فى المحاكم الاقليمية ، فانه لم يبق الا ان نخطو الخطوة الاخيرة وهي توحيد القانون المطبق فى هذا الميدان وايجاد مدونة واحدة للاحوال الشخصية تنطبق على كافة المغاربة لا يفرق فى ذلك بين مسلم ومسيحي وعبري ، لانه لا معنى لان تظل التفرقة قائمة خصوصا وان المغرب اصبح يعرف مواطنين مسيحيين وهؤلاء تنطبق عليهم مدونة الاحوال الشخصية للمسلمين فى المغرب باستثناء مؤسسات معينة مؤسسة الرضاع والطلاق وتعدد الزوجات ، اذ هذه مستثناة ، ولكن ليس من المستبعد ان يطالبوا مستقبلا بان تكون لهم مدونة خاصة بهم للاحوال الشخصية بل مدونات نظرا لان طوائفهم هم انفسهم متعددة وهم اذ يطالبون فانهم يطالبون على اساس انما خول لليهود ينبغي ان يخول لهم ، وقد يستبعد هذا لان تيار الوحدة جارف ولان الاستثناء لا ينبغي القياس عليه ، ولكن من يدري والايام حبالى تلدن كل عجيب ، وان التوحيد فى هذا الميدان ليس فيه مس بحرية المعتقد اذ حرية المعتقد لا ينبغي ان تتطاول الى اقدس مؤسسة وهي مؤسسة الاسرة وجميع الضرورات تدعو الى توحيدها خصوصا وان متطلبات العدل والمساواة تدعو الى ذلك .

**ما هو القانون الواجب التطبيق فى حال التوحيد؟**

اني عندما ادعو الى توحيد قوانين الاحوال الشخصية وان تصبح جزءا لا يتجزأ من القانون المدني كما هو الوضع عند كثير من الشعوب الغربية فاني لا اقصد بذلك تبني قانونا فرنسيا وسويسريا فى مادة الاحوال الشخصية بل ان دعوتي اسلامية هدفها ان تشمل الاحوال الشخصية للمسلمين فى المغرب ما عداهم من المواطنين ، وعليه فاني ادعو الى امتداد الاسلام والى شموليته لسائر المغاربة ، ولهذا فاني لا اتفق مع من يريد منا ان نتبنى مدونة اجنبية عنا واطلب ان يكون التوحيد عاما وشاملا فلا تستثنى مؤسسة من المؤسسات كما وقع بالنسبة للمسيحيين عندنا عندما طبقت عليهم مدونة الاحوال الشخصية باستثناء ما يتعلق بالطلاق وتعدد الزوجات والرضاع والميراث اذ ان وجود مثل هذه الاستثناءات الكثيرة يخل بمبدأ التوحيد ثم ان الاستثناء قد يصبح طاغيا للغاية وعندما ادعو الى ان يكون التشريع الاسلامي هو المطبق وحده فليس فى ذلك اي تعصب ذلك ان الاسلام هو الدين الرسمي للدولة والاغلبية الساحقة تدين به زيادة على انه من المعروف ان الشريعة الاسلامية عرفت نهضة مهمة فى السنين المتأخرة وفتح باب الاجتهاد من جديد بعد أن اغلق قرونا طوالا حيث ساد سبات عميق وعاش الفقهاء على تراث من تقدمهم دون ان يعبأوا بتغير الظروف والتطورات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفت انذاك مما سهل تطاول الطائفية ومكنها من ان تفرض نفسها ولكن من اثر النهضة الفكرية الاسلامية والتطور العالمي واللقاء بالتيارات الاجنبية حديثا اذ عرف المسلمون مدونات للاحوا ل الشخصية ، وان عرفت امتنا بعد الاستقلال مدونة خاصة بالاحوال الشخصية كما انها الان تعرف تحويرا جوهريا وقد اصبحت هذه المدونة لها اهميتها لوضوحها وضبطها وسهولة الرجوع اليها وعدم تركها الباب مفتوحا امام تحكم القاضي بخلاف اليهود فى المغرب فانه لا توجد لهم تدوينات خاصة بالاحوال الشخصية وهم طوائف وامرهم مبني على اجتهادات وهي لم تعرف تطويرا فى الحقبة الاخيرة ومثل هذا يقال عن الطوائف غير الاسلامية فى الشرق .

والخلاصة ان الضرورة القومية الملحة تدعو الى توحيد قوانين الاحوال الشخصية فى المغرب وجعل الاسلام مصدرها وادماجها فى القانون المدني ، وان هذا المطمح الوطني لا يقل اهمية عن وحدة التراب ووحدة الثقافة وتأميم المرافق الحيوية فى البلاد وانها فكرة لابد من ان تتحقق رغم العقبات والعراقيل ، اذ ان التطور التاريخي يسير بالمغرب نحو مستقبل افضل .

**الرباط — عبد النبي ميكو**

وقال المسيو «ابيولا كاز» عن نظام تعدد قوانين الاحوال الشخصية : «ان ترك العدالة على هذا الحال الى الطوائف الصغرى تديره وتستقل به هو نقطة سوداء في النظام القضائي » ، ومن الذين تحدثوا عن الفوضى وراوا ضرورة الاصلاح الاستاذ احمد عبد الهادي وذلك في مقال نشره في مجلة القانون والاقتصاد تحت عنوان « المحاكم الشرعية وسلطانها على غير المسلمين » العدد الاول والثاني سنة 1935 فهو يقول : « ونظرة واحدة الى ما بدا من تسامح الحكومات الاسلامية المختلفة مع رعاياها من غير المسلمين يتضح منها بسهولة ان كل طائفة من الطوائف كانت تنتهز كل فرصة لتوسع من اختصاصها حتى ولو لم تكن من الطوائف التي ثبتت لها ولاية القضاء في البلاد » ، وقد بلغ من اثر هذه الفوضى ان المحاكم العامة للبلاد لم تتبين وجه الحق في هذه الطوائف وحارت فيمن له منها ولاية القضاء ومن ليست له ، وتضاربت الاحكام وآراء الشراح في الموضوع تضاربا زاد في تعقيده ، ومن الذين دعوا الى اصلاح مثل هذه الاوضاع في مصر الدكتور السنهوري في كثير مما نشره ، ولم ينس بعض رجال القانون في الشرق العرتي ان يسجلوا الاحداث التي عرفها جيرانهم وضرورة التأثر بها ، ولهذا فان الاستاذ فارس الخوري يعلن في كتابه « اصول المحاكمات الحقوقية » سنة 1936 ص50 : ان الاتراك الغوا المحاكم الشرعية والمذهبية، ونحن محتفظون بها وتخلصوا بذلك من جزئية القضاء وتوزيعه بين محاكم كثيرة ذات اختصاص متنوع يتيه فيه اصحاب المصالح ، ونحن نتمنى ان تنتبه الحكومة السورية الى خطورة توحيد القضاء وحصره بمرجع واحد ورفع هذه المحاكم الاستثنائية الكثيرة عن عواتق الناس .

هذا التشبت القضائي في بلادنا مخالف لقاعدة وحدة القضاء ، وقد كانت الفوارق الدينية والعلائق الاجنبية في الادوار الماضية سببا له ، ولهذا فان الاجماع يكاد ينعقد على ضرورة ادماج كافة الجهات القضائية في جهة قضائية واحدة يشمل نفوذها جميع المتقاضين لا يفرق فيما بينهم على اساس من دين او طائفة كما انه لا ينبغي الاكتفاء بهذا بل لابد من توحيد التشريع اذ ان توحيد القضاء لا يكفي بل يلزم ايضا توحيد التشريع النافذ ، وهذا معناه توحيد قوانين الاحوال الشخصية وتكوين مدونة واحدة يشمل نفوذها سائر المواطنين وتصبح جزءا لا يتجزأ من القانون المدني كما هو الشأن عند كثير من الامم الغربية اذ ان روابط الاسرة تتوج القانون المدني وقد ازداد دعاة التوحيد قوة عندما تم توحيد الجهات القضائية في بعض البلاد العربية واصبحوا يومنون على انه من اللازم ان تقع الخطوة الاخيرة وهي توحيد قوانين الاسرة وانه ينبغي ان تخضع المعاملات التي تكون من نوع واحد لقانون واحد وانه لا ينبغي ان تختلف القوانين باختلاف ديانات الاشخاص وطوائفهم.

والحقيقة على ان الضرورة القومية الملحة تدعو الى توحيد الجهة القضائية في مادة الاحوال الشخصية وتوحيد التشريعات المطبقة اذ لا يعقل بقاء التعدد الذي يخل بمبدا العدل ومبدا المساواة الذي يقضي بخضوع جميع المواطنين لقانون واحد فيما يخص المعاملات التي تكون من نوع واحد وان القضاء على الفوضى لهو اكبر مبرر لذلك وليس في ذلك اخلال بمبدا التسامح الديني واحترام العقائد فالعهدة النبوية التي تؤمن المسيحيين على اشخاصهم واموالهم وعقائدهم بالاضافة الى انه مشكوك فيها فانها امنت المسيحيين على انفسهم واموالهم وعقائدهم، لكن لا يفهم من ذلك انها خولتهم حق انشاء جهات قضائية خاصة بهم وخضوع هذه الجهات لقوانين شكلية وجوهرية خاصة بها ، ومثل هذا يقال عن العهدة العمرية ثم ان القرآن الكريم صريح « فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم » بالاضافة الى هذا فان الامام الشافعي ينسب اليه قولان اصحهما وجوب الحكم بين الذميين بما انزل الله الى رسوله محمد «ص» دون تفريق بين الروابط الشخصية والعينية ، ولهذا فمن اللازم ان يقع التوحيد ، وهو لايقل اهمية عن توحيد الثقافة واثرها في ابراز معالم شخصية الدولة .

ويلاحظ انما تحدثت عنه بالنسبة للامتيازات الدينية واثره السيىء في الشرق لا يتفق مع الوضع في بلادنا ،ولكن هذا لا يمنع من المطالبة بالتوحيد فنحن لم نعرف المسيحيين في بلادنا ، لذا وقانا الله شر الطائفية كما اننا في الاسلام لم نعرف تعدد المذاهب وما جرته من خصومات وويلات كما عرفه الشرق ، وانما عرفنا مذهب الامام مالك وعليه اقمنا حياتنا وعرفنا قلة قليلة من اليهود سومحت في ان تلجأ الى المحكمين من اهل دينها ليفصلوا فيما بينها فيما يتعلق بروابط الاسرة ، وعليه فكان اليهودي يتحاكم الى الحاخام فان لم يرضه ذلك رجع الى

هاتفيا ومراسلة ومسافهة . على ان يتلاقوا في البيضاء . وعلى ان تكون ليلة عيد الميلاد بها هذه السنة ( 1953 ) ليله خالدة لم يات الزمان ولا يمكنه ان ياتي بشبيهة لها مطلقا . فهي ليلة النصر . وليلة تأكيد النصر . وليلة شرب نخب النصر انه ليس هناك احسن من الدار البيضاء بشوارعها وساحاتها الكبرى . وفنادقها ومقاهيها الرفيعة الانيقة لاقامة حفلات ليلة الليالي فلا عجب ان تسابقت السيارات المرفهة واطلقت اقصى الجهود لسرعتها . تلهفا على رؤية معالم البيضاء الحبيبة

وعج شارع ( فرنسا ) بالوافدين والوافدات . وطاب للبعض منهم ان يقفوا امام المخازن العامرة بأفخم البضائع من اثواب وملابس جاهزة ومجوهرات واحذية واوانات وحلويات ومصبرات وخمور وكتب ولوحات ومقتنيات طريفة الشيء الذي جعل الوقفات امام الواجهات تطول . والنقاش يمتد . والرغبات تتضارب . والمفاضلة من الامور الصعبة . وان كان هذا كله ليس من الامور المعقدة . اذ المال وفير . والاذواق سليمة . والبائعون على جانب من اللباقة والحذق

ثم انه من عادة الفرنسي الا يهمل الوقوف امام المكتبات واكشاك الصحف ولو كان مستعجلا ، فهو وان كان يتوصل يوميا واسبوعيا وشهريا بصحفه ومجلاته من المغرب ومن الوطن الام فهو مع ذلك يريد ان يستعرض وان يقف على الجديد ، يدرسه ، ويكون لنفسه فكرةعنه ان هذا امر ضروري ولا مفر منه ولهذا فـ ( بابا موح ) بدوره مشغول اليد في هذا اليوم ايضا ، اذ الضغط على معروضاته شديد والاسئلة ملحة متتابعة ، ولكنه مع ذلك حاضر الذهن قوي اليقظة في تتبع اعمال الاختيار التي يقوم بها زبناؤه على طول الطاولة ، كما انه كان يتلقى الاستفسارات بانتباه ويجيب عنها ، ولكنه يعرف كيف يجيب ! فالمتلطف جوابه لطيف ، والمتعالي المتعجرف جوابه يكون بشيء من الابطاء وقلة اهتمام ، ومن مده بالثمن يدا بيد ناوله البقية يدا بيد كذلك مع كلمة شكر، والذي يرمي اليه بالنقود رميا ، يكتفي بالرد عليه فوق مجلة من المجلات المعروضة ، دون ان يكلف نفسه برفع بصره اليه وبذلك يلذ له ان يرى الهامات المتشامخة تنحني انحناء لتناول بقية النقود ، ولا يهمه ان يسمع همهمة او عبارة سخط

كان هذا حال « بابا موح » في الصباح من ذلك اليوم ، ولكنه فيما بعد الظهر فضل الاستكانة عند طرف الطاولة البعيد ، منكمشا في جلبابه الصوفي المتين لا يكاد يظهر منه الا حاجباه الكثيفان وعيناه الدقيقتان البراقتان ، المشحوتتان بفيض من الذكاء وقوة العزيمة . اما شفتاه الدقيقتان فقد كانت علياهما تختفي تحت شارب اسود متهدل ، وما تركه « بابا موح » متهدلا الا ليعمد الى العبث به في بعض الاحوال التي لا تكون نفسيته فيها على احسن حال !

وطاب « لبابا موح » خلال تتبعه لاعمال البيع التي يقوم بها مساعده ( حماد ) ان يتعرف على عقليات الزبناء الفرنسيين الواردين على كشكه ، فهذا القادم المتزن في خطواته . المتناسق في هندامه وشكله يسأل — في رقة — عن جريدة ( لوموند ) . وذاك المتعالي الشامخ الأنف . العريض الاكتاف ، الغليظ القفا يقصر طلبه على جرائد من مثل ( لورور ) و ( كومبا ) . والاخر الذي اتى متباطئا يتلفت حواليه ويصعد نظره في الاخرين يسال في شبه استخفاء عن جريدة ( لومانتي ) الشيوعية !

وتأبى همة « بابا موح » ان يكون كمثل الحمار يحمل اسفارا . لذلك فهو يحمل الى بيته كل صحف ومجلات اليوم الواردة من شركة التوزيع ، ويدفعها الى ربيبه ، الذي يطالعها بشغف وتمعن طرفا من الليل ، وفي الصباح يوافيه بملخصات وافية ، عما جاء في تلك الجرائد من اخبار عن المغرب التي يستمع اليها ( بابا موح ) بانتباه شديد ويناقشها مع ( صالح ) ربيبه ، ومتى كان هناك مقال قيم او صورة فريدة فان ( بابا موح ) يحتفظ بالنسخة في صندوق خاص للذكرى والتاريخ !

ووافى المساء معتدل الطقس ، عذب النسمات ، لا يمكن بحال ان يعد من امسيات فصل الشتاء التي اعتاد الناس ان يجدوا فيها الكثير من عصف الريح وتراكم السحب وشدة البرد ولربما نزول المطر مع البرد او تساقط الثلوج ما يجعل لهذه الليلة طابعها الخاص ، ويزيد في متع الدفء والاكل والشراب ومخاصرات الرقص ولكن الطقس في المغرب يكاد يكون ربيعا متصلا ! واشتد الازدحام وتزاحمت المناكب

## قصة العدد

# في ليلة عيدهم

للأستاذ: محمد اشماعو

جميع الطرقات المؤدية الى الدار البيضاء مكتظة تسابق فيها سيارات من مختلف الانواع والاشكال، ذات الوان زاهية براقة. تتكدس على سقوفها حقائب وزكائب من الجلد الفاخر، وعلب من القماش المتين حفظت فيها بعض آلات الطرب ... ان القادمين معولون على قضاء ليلة عيد الميلاد في ابتهاج وانشراح ومتع لم يسبق لها مثيل فيما مضى من السنوات

ولم يكن ينقص من قيمة هذه السيارات ان طبقات من الوحل تغطي اجزاءها السفلى وعجلاتها. فذلك في الواقع يزيد في قيمة اناقة الكراسي الداخلية الفخمة الوثيرة،وروعة التجهيزات العصرية التي توفر للراكبين جلسات مريحة، وتدفئة منعشة، وانغاما موسيقية ... بل توفر لهم حتى الجمرات لاشعال السجاير! اما الاوحال العالقة بالخارج فليست الا آثارا من اراضي الشاوية ودكالة المرتوية. التي تكشف امطار الخريف والشتاء عن خيراتها المخبوءة. فتخضر الاراضي الشاسعة، وتتفتح براعم الازهار الرائعة، ويصبح كل شبر من الارض مستعدا للعطاء السخي. تحت طقس غاية في الاعتدال والجمال!

لقد كان في امكان هؤلاء المسافرين ان يبقوا حيث يسكنون. ويقيموا الليلة الكبرى في ضيعاتهم. داخل بعض القصور الباذخة. ويحيوا ما شاءوا هناك من حفلات الرقص، ويشربوا ما طاب لهم من كؤوس الخمر المعتقه. في جو منعش. مشبع بعطر الازهار، وروائح الاشجار الغابوية. تلك الروائح التي تعطر الجو برائحة الصنوبر الفواح، خصوصا اذا ما نزل المطر وارتوت الارض ارتواء ... ولكن الشوق اشتد بهم جميعا الى مدينة الدار البيضاء، من حيث يرى الكهول والشيوخ جماعات من بني قومهم. فينتعش الفؤاد برؤيتهم وسماع احاديثهم واخبارهم واسرارهم كما يجددون النظر في شوارع وعمارات ونماذج من البناء تذكر بارض الوطن البعيد، ويطلقون الخيال اطلاقا في مجالات احياء (الوازيس، وفرانس فيل، وبولو، وليرمتاج، وآنفا) بل سيبادر بعضهم بمجرد الوصول ليقف على مساكن الشاطىء، ومقاهي الشاطىء، وصخور الشاطىء ... وهناك تسرح العيون وتتغذى الافئدة وتنشرح الصدور

والشبان والشابات من بين هؤلاء لا يهمهم الا ان يروا – مرة اخرى – دور السينما الفخفة والمقاهي العامرة، وعلب الليل الصاخبة ... ولن يفوت الزوجات الانيقات ان يقفن بانفسهن على آخر المبتكرات الواردة من باريس من ازياء للربيع والصيف المقبلين، وسيتزودن بما هن محتاجات اليه من عطر وادوات زينة ومناديل وملابس حريرية داخلية ... انهن بذلك ينفضن عن كواهلهن غبار البداوة، ويجددن العهد بحياة الحضارة والرفاهية ... من اجل هذا تواعد القوم،

اجلي انا المغربي الواعي الوحيد الموجـود في هـذه الساعة بهذا الشارع المنحوس المدنس ، ومن اجـل هوءلاء الحمالين الذين اضطرهم الى كسب الخبـز ان يحملوا هذه الاثقال من النعيم والخيرات صابرين على التعب والعرق الغزير المتصبب من جباههم .

« مساكين هوءلاء الحمالون ! لو كنت منهم لقمت باي عمل اخر مهما كان صعبا مجهدا ، ولا اقوم بخدمات مثل هذه . وفي مثل هذا اليوم الذي تعمد الاعداء فيه ان يظهر منهم اكثر مما يضمرون في الواقع ... كان على هوءلاء الاخـوان ان يتقاعسـوا عن خدمتهـم ولكنهـم ـ هداهم الله ـ اراهم يجهدون انفسهم اكثر من اللازم . ولكنه الخبز . وافواه الصغار ، المفتحة بالليل والنهار!»

« فكرة ! لو كان هناك مائة ( بابا موح ) مثلا ، ومع كل واحد منهم برميل من البنزين ، وعند ساعة معينة ، وامام مقهى من المقاهي توقد النار اذا لاحترقـت طائفة من هوءلاء الملاعين ، نصفهم ، ربعهـم ، عشـرة منهم المهم ان يعرفوا ان هناك مغاربة احرارا وان يعرفوا ان

أوه ما هذا ؟ لقد كدت اطير من مقعدي ؟ ما هذا؟ هل المدافع امست تطلق من الشوارع ؟ ما هذا ؟ ما ذا ؟ لقد اصفر لونك ياحماد واحسبك تكاد تموت من الهول والفـــزع !

قام بابا موح عن مقعده وتطلع ...

ان القوم بين قائم وقاعد ، وساقـط ومتـداع على الجدار . والنساء والفتيات الانيقات يولولن باكيـات ، والاسداء من الشبان والكهول غاضت الدماء من وجوههم، وراحوا يمضغون السجاير بدل ان يدخنوها . اما الشيوخ فقد حسبوه نفير الساعة ، ساعة الفناء الابـدي ، فقـدوا اتزانهم وتعقلهم .

واقبل ( ابراهيم ) بائع الصحف المتجول مهرولا يكاد يطير من الفرح :

ــ لقد انفجرت قنبلة خطيرة بالسوق المركزي، انفجرت داخل سلة وضعها احد الحمالين ومضى ، لقد سقط عدد من القتلى وعدد من الجرحى ان ( المارشي ) اصبح مجزرة ، وكل التجار هربوا وتركوا حوانيتهم . قم الى حال سبيلك لقد انتقمنا منهم في ليلة عيدهم ، واحزناهم كما احزنونا ، الله يهنيك يا بابا موح !

تضاربت المشاعر في نفس بابا موح ، لقـد كان يريد ان يكون هو السابق فسبق ... ولكن الضربة جاءت محكمة ، وادخلت ما يكفي من الفزع والرعب في قلوب الاعداء . وافسدت عليهم تنظيمات الأفراح ، سيبيتون في حداد . وكل هذا يكفي ! .

سرعان ما امتلأ الشارع بقوات الشرطة الهائجة ، وفرق من الجيش المدجج بالسـلاح ، وصاح صاحـب المقهى بخدمه صاخبا : ان عجلوا بجمع الكراسـي ان الشارع احتل عسكريا ..

كان على بابا موح ان ينصرف بدوره وان يتحمل مرارة الاسف ، وان يتذوق حلاوة المجد والعـزة في نفس الوقت !

الرباط : **محمد اشماعو**

واختلطت جموع المدنيين والعسكريين والشيوخ والكهول وحتى الشبان والنابات الذين يطيب لهم الانغمار في مثل هذا الازدحام من حيث يتعمدون الاصطدام الخفيف والاحتكاك اللطيف الذي تتبعه عادة نظرات عاتبة يرد عليها بغمزات عابثة وقد يكون ذلك مفتاح تعارف ممتع يمتد الى طلوع الفجر !

على كل حال ، ان تجار ( شارع فرنسا ) وتجار ( السوق المركزي ) على الخصوص اخذوا حيطتهم لهذا اليوم الزاهر ، فتزودوا له بوافر البضائع الممتازة ، التي ينفق سوقها عادة ليلة العيد ، بما في ذلك الفواكه والحلويات وانواع النبيد والزهور ، والكرات المطاطية الملونة والخيوط الفضية وازياء التنكر ومع ذلك نفذت البضائع بين ايدي تجار التفصيل ، مما اضطروا معه الى الاتصال هاتفيا مع تجار الجملة لموافتهم بالمزيد ، وسرعان ما اقبل الحمالون يحملون البضائع المطلوبة على اكتافهم العاتية

لم يفقد « بابا موح » اتزانه وسط هذا الخضم البشري الكبير ، فهو ما زال يتتبع بنظراته الدقيقة المتفحصة جموع المتهادين والمتهاديات وقد عمهم الاستبشار والاغتباط في انتظار نزول الظلام ، وحلول اوقات الهناء والسرور وبادر الكثيرون والكثيرات الى ارتداء ثياب السهرة الكاملة باقمصتها الناصعة والاربطة الحريرية الفاخرة ، كما سمع للاحذية ازيز خافت ، وفاحت عطور باريس الزكية المسكرة ، مما زاد حقا في مرح الشباب واستبشاره واشتداد شوقه ، وحار كل طير في اي عش سيكون مثواه ، لان الاعشاش كلها سخية دافئة ، مليئة بالمحبة والغرام والحنان !

في هذا الوقت بالذات هاجت الذكرى في نفس ( بابا موح ) ، فتجددت حسراته وهو يستمع الى همسات فوءاده الحزين :

« لقد الف هوءلاء القوم انزال النكبات بنا ، فمنذ سنة وضعوا ايديهم الظالمة على الوطنيين بمناسبة الاحتجاج على اغتيال زعيم نقابي تونسي ورموا بهم الى السجون والمعتقلات ، وفي ليلة عيدنا الكبير وضعوا ايديهم الملوثة على ملكنا واخذوه الى المنفى ترى ما ذا بقي في امكانهم ان يفعلوا ، انهم الان يسخرون من رجولتنا وشجاعتنا ، ويعتقدون ان ( الخراف بين ايديهم مكتوفة ) ، والا لما فرحوا الى هذا الحد المبالغ فيه ، انهم مبتهجون كما لم يبتهجوا من قبل ، ومعولون على تمضية ليلة من اعذب الليالي

ان بابا موح هذا لا يستطيع تكدير ليلتكم كلكم ، ولكنه يستطيع تكدير ليلة افراد منكم ، وسيفعل ! ستقول جرائدكم انه سفاك ارهابي متعصب لا يهم ، لا بد ان يكدركم كما كدرتم بني وطنه ليلة العيد »

والخطة بسيطة ، فبابا موح يخفي تحت طاولة الجرائد برميلا من البنزين الممتاز ، وفي وقت مناسب من الليل سيعمل على فتحه وصب ما فيه على طول الرصيف ، وسيكون ذلك في اقرب نقطة الى المقهى الفاجرة التي يوجد تحتها وكر من اوكار الفساد والرقص الداعر ، انه بمجرد ان يصب البنزين سيرمي بعود الثقاب ، وما ان يسري اللهيب العظيم حتى يبادر الى بابا موح الى دراجته النارية وينطلق الى مسكنه بسلام ، وياحبذا لو تاتي الاخبار في الغد لتقول ان المقهى والمرقص قد احترقا عن اخرهما وان عدد الضحايا يعد بالعشرات ، سيكون الصباح عند ئذ اسعد صباح ان خمسين لترا من البنزين الخالص لا بد وان توقد اللهيب الكافي !

واستمر « بابا موح » يفكر :

« ليلة عيدنا قضيناها في الظلام الدامس وفي حالة منع التجول ، وتحت سيطرة العساكر الاجلاف الذين كانوا يطوقون الدروب والشوارع ، والموت العاجل لمن فتح نافذة او زحزح بابا ، فمحتوى الرشاش المشحون سرعان ما يفرغ في صدره او راسه بدون رحمة

« يا عجبا انكم تعملون هذا كله ، وتاتون ما هو افظع منه من الجرائم ، ومع ذلك تكتبون في جرائدكم ومجلاتكم مئات الصفحات بالله ما ذا تكتبون ؟ ما اراكم تكتبون الا الكذب ! »

« لا فرانس ، لا فرانس ، ما اتعسها بكم ! لولا انني اعرف اناسا عقلاء منكم لأقسمت انكم كلكم لا خير فيكم يا عجبا لهوءلاء ! لكم يبالغون اليوم في ضحكهم وعبثهم واظهار سرورهم وغبطتهم ، ولربما من

المتهدمة من طرف الاحباس وبلدية المدينة فاعتذر الرئيس بان البلدية ليس لها امكانيات للبناء ، وامر معاليه بعرض احد الفنادق للبيع كتجربة لتهيء بقيتها للبيع اذا كان فيه فائدة كما راجت محادثة حول بناء مدرسة ومسجد سيدي يعقوب برشيدة وبناء مدرسة ومسجد سيدي احمد زروق بقبيلة البرانس فأمر معاليه بتقويم مسجد سيدي يعقوب ، ومسجد سيدي احمد زروق بعد ما سأل هل لهما احباس واجيب بان لهما احباسا مهمة ، ثم توجه معاليه صحبة الموكب للمسجد الاعظم للوقوف على الاصلاحات المنجزة به فطافوا به واخذوا نظرة عامة عليه واقترح معاليه



معالي الوزير يلقي كلمة التدشين

تنظيف وتزويق قوسي المحراب كما امر برفع الثريا الاثرية رفعا مناسبا ، ثم توجه الموكب للوقوف على عين مسجد حي المجزرة الذي شيده المحسن السيد الحاج محمد الامراني فصلى به العصر وامر بتبني الاحباس له ، ثم قصد الموكب مخرج المدينة حيث ودع معاليه سعادة العامل ورئيس المجلس البلدي والاقليمي ورؤساء دوائر تازة وتاهلة وجرسيف وعميد الشرطة والباشا وقائدان من العمالة والناظر ، ثم عاد سيادته الى الرباط .

ويسرنا ان ندرج الخطاب الذي القاه سيادة الوزير بمناسبة هذا التدشين :

بسم الله الرحمان الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

اخواني المومنين : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ،

فانه في اطار السياسة الرشيدة التي يسلكها مولانا صاحب الجلالة الملك المعظم امير المومنين الحسن الثاني نصره الله ، والتي تستهدف النهوض بشعبه الوفي الامين في جميع الميادين والمجالات، والاستجابة لجميع مطالبه وحاجياته ، وعلى راسها المطالب والحاجيات التي تتعلق بالميدان الديني الروحي؛ في اطار هذه السياسة الرشيدة اجدني بينكم اليوم، اخواني المومنين ، لتدشين هذا المسجد العظيم الذي اسس على تقوى من الله ورضوان ، نيابة عن جلالته حفظه الله وامد في عمره ، وامتثالا لاوامره السامية ، وتعليماته السديدة الموفقة ، بحسن عون الله وعظيم رعايته ، ان الله على كل شيء قدير .

ان السياسة التي خطها مولانا صاحب الجلالة ، في هذا الميدان ، لوزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية ، تقوم في احد خطوطها الرئيسية ، على التوسع في بناء المساجد ما امكن ، وبذل النفس والنفيس في ذلك ، في جميع نواحي المملكة ، في مدنها وقراها ، في سهلها وجبلها وصحرائها على السواء ، وبصورة خاصة في الاحياء العصرية من المدن والقرى والمراكز ، تلك الاحياء التي كانت على عهد الحماية تفتقر افتقارا كليا الى المساجد ، والتي لم يكن يتردد في اجوائها اطلاقا صوت المؤذن ، على حين كانت كلها تتوفر على الكنائس ، وتتردد في اجوائها رنات النواقيس ، وهي حالة مزرية كانت تحز في نفوس المومنين الصادقين ، وتملأ قلوبهم بالاسى والحسرة ،

# نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

## تدشين مسجد الحسن الثاني بمدينة تازة

في صباح يوم الجمعة ثاني دجنبر 1966 وصل **معالي وزير الاوقاف** والشؤون الاسلامية السيد الحاج **احمد بركاش الى مدينة تازة**، فوجد في استقباله عند **مدخل المدينة** سعادة العامل ورؤساء دوائر تازة وتاهلة وجرسيف وعميد الشرطة ورئيس المجلس البلدي **والاقليمي** وباشا المدينة وقائدين من العمالة وناظر **احباس اقليم تازة** وكثيرا من السكان، وبعد السلام **عليهم توجه الموكب** لمقر العمالة فاستقبله بها رئيس **الغرفة التجارية** ورئيس الصناعة التقليدية وبعض **اعيان المدينة**، ثم قصد معاليه صحبة العامل ورئيس **المجلس البلدي والاقليمي** مكتب العامل لراحة قصيرة **ثم قصد الموكب** مسجد الحسن الثاني حيث المنصة **المهياة من طرف** السلطة المحلية، فالقى رئيس المجلس **البلدي والاقليمي** كلمة رحب فيها بمعالي الوزير **واشاد باعتناء جلالة** الملك الحسن الثاني نصره الله **بالدين الاسلامي** الحنيف ونشره واهتمامه بتازة اهتماما جعله يشيد بها مسجدا ويأمر جلالته خديمه خديمه معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية باصلاح مسجدها الاعظم التاريخي، ثم القى معالي الوزير كلمة بين فيها الاعمال المنجزة بتازة من بناء مسجد بها واذن سيدنا المؤيد بالله بتسميته باسمه الشريف، واصلاح مسجدها الاعظم وبناء وترميم عدة مساجد بالاقليم، ثم ارتجل رئيس المجلس البلدي والاقليمي كلمة شكر فيها معالي الوزير وكلفه بتبليغ جلالة الملك ولاء واخلاص وتعلق سكان تازة واقليمها له، ثم توجه موكب معاليه لباب المسجد وقطع الشريط وفتح المسجد ودخل الموكب وجميع السكان اليه، وبعد صلاة تحية المسجد وقراءة شيء من القرآن صعد الخطيب المنبر والقى خطبة في موضوع تشييد المساجد ثم صليت الجمعة.

ثم قصد معاليه بعد ذلك دار سعادة العامل لتناول طعام الغذاء ودارت محادثة بينه وبين العامل والرئيس المذكور حول بناء دور ودكاكين بالفنادق الحبسية



رئيس المجلس البلدي والاقليمي يرحب بمعالي وزير الاوقاف بمناسبة حفلة تدشين مسجد « الحسن الثاني »

## تدشين مسجد السنة بمدينة الدار البيضاء

فى يوم الجمعة 1966/12/9 توجه معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الحاج احمد بركاش الى مدينة الدار البيضاء حيث تراس بامر من صاحب الجلالة حفلة تدشين المسجد العظيم الذي بناه السادة الحاج محمد الفالي السبتي ، والحاج عمر السبتي والحاج محمد بن العباس بناني من مالهم الخاص .

وقد اطلق على هذا المسجد الجامع ، مسجد السنة ، ويقع بنهج ثاني مارس فى حي لوكريت .

وقد اقيم هذا المسجد على ارض واسعة ، وبني بشكل هندسي جميل ، توفرت فيه كل وسائل الراحة والضياء . كما انشئت حوله بعض المرافق المحبسة على المسجد وتقدر مساحته بستة آلاف متر مربع ويسع ما يقرب من عشرة آلاف مؤمن ، ويتوفر على جناح خاص بالنساء .

وكان السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية مرفوقا بعامل المدينة الكولونيل السيد عبد السلام الصفريوي والسيد الحاج محمد بن جلون النائب الاول لرئيس المجلس البلدي ، وقاضي المدينة وناظر الاحباس وعدد من العلماء .

وقد غصت رحاب المسجد بآلاف المصلين الذين تواردوا من مختلف احياء مدينة البيضاء لاداء صلاة الجمعة .

وام المصلين فى حفلة التدشين الدينية الاستاذ السيد الزرهوني الذي القى خطابا هاما فيما تحدث فيه عن فريضة الصلاة ، واهمية القيام بتشييد المساجد التي تكون قبلة للمسلمين المؤمنين .

وبعد اداء صلاة الجمعة رفعت اكف الضراعة الى الله سبحانه وتعالى بالدعاء ليحفظ جلالة مولانا الملك المعظم الحسن الثاني ويطيل عمره ويحفظ ولي عهده المحبوب الامير سيدي محمد والاسرة الملكية .

كما تليت الدعوات الصالحة ترحما على روح محمد الخامس طيب الله ثراه .

وقد عبر السيد الحاج احمد بركاش بهذه المناسبة عن شكره للاريحية الاسلامية التي دفعت الاخوين الحاج محمد والحاج عمر السبتي والحاج محمد بالعباس بناني الى بناء هذا المسجد .

## « تدشين المسجد الادريسي بمدينة وجدة »

اوفد معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش يوم الجمعة 1966/12/9 الاستاذ السيد محمد الطنجي رئيس قسم الوعظ والارشاد بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية الى مدينة وجدة لافتتاح مسجد الادريسي محمد الواقع بساحة المدينة الجديدة نائبا عن سيادته .

وكان فى استقباله رجال السلطة المحلية ومدير العمالة ورئيس ديوانها وباشا المدينة . وتوجه الجميع الى مسجد الادريسي ، الذي كان غاصا بجمهور غفير من وجهاء المدينة .

وخطب جمهور المؤمنين فى المسجد الجامع الاستاذ السيد محمد الطنجي خطبة نالت استحسان الجميع حيث تعرض لاثر المسجد فى المجتمع الاسلامي ومكانته ، وما كان للدولة العلوية فيه .

كما تعرض الى كون دين الاسلام فيه كل العناصر والاصول التي يتوقف عليها المجتمع الصالح .

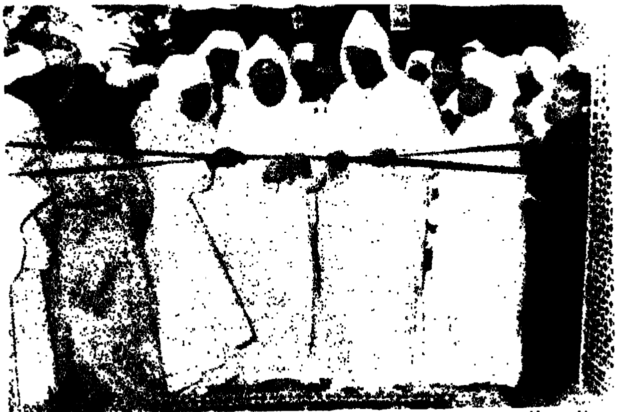
وقد نوه الاستاذ السيد الطنجي بالمحسن السيد الحاج محمد البركاني الذي شيد هذا المسجد من ماله الخاص ، واثنى على اريحيته وغيرته الدينية .

### ... مدينة السعيدية

وفى نفس اليوم تألفت هيأة رسمية توجهت الى مدينة السعيدية الساحلية التي قامت وزراة الاوقاف ببناء مسجد بها .

وبعد اداء صلاة المغرب القى مندوب الوزارة الاستاذ محمد الطنجي خطابا استغرق 45 دقيقة تناول فيه فضل الاسلام على المغرب منذ الفتح الاسلامي ودولة الادارسة والمرابطين والموحدين والمرينيين والوطاسيين والسعديين ثم العلويين كما تناولت موضوع العبادة وبالخصوص الصلاة .

وقد استحسن الحاضرون بمسجد السعيدية هذا ودعوا لمولانا امير المؤمنين بالنصر والتايد وطول العمر ، وان يحفظه فى ولي عهده سمو الامير سيدي محمد .



معالي الوزير بباب مسجدالحسن الثاني يقطع الشريط..

الى ان من الله تبارك وتعالى على بلادنا بحريتها واستقلالها بفضل كفاح الملك والشعب ، فقام الملك المرحوم مولانا محمد الخامس ، قدس الله روحه ، واسكنه جنات النعيم ، وجازاه عن الاسلام والمسلمين احسن الجزاء ، بتدارك هذا النقص الخطير ، ثم تبعه على اثره ، وسار قدما فى تنفيذ خطته وسياسته ، وارث سره ، وخلفه العظيم مولانا امير المومنين الحسن الثاني نصره الله ، واطال عمره فى الصالحات ، واقر عينه بسمو ولي عهده ، وحفظه فى سائر انجاله الكرام الميامين ، وصانهم الله من كل مكروه ، وحفظهم من كل سوء ، بمنه وكرمه ، اللهم آمين يارب العالمين .

وهكذا اخواني المومنين نقوم اليوم بتدشين هذا المسجد بالحي الجديد من مدينة تازة ، الذي جرت العادة بتسميته تازا السفلى ، وكلكم تعلمون ان هذا الحي كان فى امس الحاجة الى مسجد من هذا القبيل، شأنه فى ذلك شأن الاحياء الجديدة فى كل مدينة من مدن المغرب ومراكزه وقراه .

وقد جاء هذا المسجد ــ كما ترون ــ والحمد لله ، آية من آيات الروعة والفن والجمال ، سواء بهندسته ، أو بتجهيزه ، أو بالزخارف التي تحفل بها سقوفه وابوابه واعمدته ومنبره وما الى ذلك ، او سعة مساحته التي تبلغ 870 مترا مربعا ، دون حساب القاعة المخصصة لصلاة النساء ، ودون حساب المدرسة القرآنية التابعة له ، ودون حساب المرافق اللازمة ، المخصص بعضها للرجال على حدة ، وبعضها للنساء على حدة ، وبعضها لتلاميذ المدرسة القرآنية على حدة ايضا ، ودون حساب الساحة المخصصة للعب التلاميذ ولهوهم اثناء فترات الاستراحة .

ولست اراني بحاجة الى الافاضة فى القول فى شأن هذا المسجد ، فأنتم شهود عيان ، وليس من راى كمن سمع ، كما يقول المثل العربي القديم .

وجملة القول ، ان جولة ولو خاطفة فى رحاب هذا المسجد العظيم ، كافية لاعطاء فكرة عن المجهودات التي بذلت فيه ، وعن المقادير المالية التي استلزمها تشييده .

وليس ذلك بكثير على مدينتكم التاريخية الجميلة التي تحتل مكانا ساميا من قلب جلالة مولانا الملك المعظم امير المومنين الحسن الثاني نصره الله ، فبالامس القريب قامت وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية ، تنفيذا لتعليمات جلالته فى هذا الميدان، وامتثالا لتعليماته وخطته الرشيدة ، بحملة اصلاح واسعة فى المساجد القديمة بتازا العليا ، واخص بالذكر من ذلك المسجد الاعظم ، الذي جدد كله تقريبا، وادخلت عليه اصلاحات اساسية جذرية شملت سقوفه وجدرانه وارضيته وابوابه ومنارته ، وكل شيء فيه ، كما اعيدت زخرفته وتزليجه وتجبيصه ، وجدد رخامه ، وهكذا .. وهكذا ، مما لسنا الآن بصدد شرحه او تفصيل القول فيه .

وختاما ، فانه ليسرني عظيم السرور ان ازف اليكم ان مولانا صاحب الجلالة نصره الله ، قد وافق على اطلاق اسمه الكريم على هذا المسجد الذي نقوم اليوم بتدشينه ، فهو على بركة الله ، والى ان يرث الله الارض ومن عليها : مسجد الحسن الثاني نصره الله .

وبهذه المناسبة ، فانني ادعوكم معاشر المومنين ، ان ترفعوا معي اكف الضراعة الى الله العلي القدير ، داعينه سبحانه وتعالى ان يحفظ جلالة ملكنا المحبوب الهمام ، وان يعينه فيما هو بصدده من خدمة الدين الاسلامي الحنيف ، واعلاء شأنه ، ورفع منارته ، ومن النهوض بأمته الوفية وشعبه الامين فى جميع مجالات التقدم والرقي والنهوض ، وان يحقق آماله فى سمو ولي عهده الامير الجليل سيدي محمد ، وان يحفظ انجاله الكرام جميعا بما حفظ به الذكر الحكيم ، انه سميع مجيب الدعوات ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



مسجد الحسن الثاني الذي شيدته الورارة أخيرا ..

# أنباء ثقافية

* « العلاقات الديبلوماسية بين المغرب والولايات المتحدة » هو موضوع المحاضرة التي القاها الاستاذ عبد الهادي التازي ، سفير المغرب السابق في بغداد مؤخرا في كلية العلوم وقد حضر المحاضرة بعض السفراء ، ورجال السلك الديبلوماسي ، واساتذة الجامعة وبعض المثقفين

* انتخب بالاجماع للمرة الثانية الاستاذ محمد ابن تاويت رئيسا لقسم اللغة العربية واللغات الشرقية بكلية اداب فاس وذلك في الاجتماع الذي عقده الاساتذة في 9 ـ 11 ـ 1966

* صدر كتاب « جغرافية العالم الاقتصادية والاقليمية » وفق منهاج وزارة التربية ، بخرائط كاملة وباسلوب علمي واحصائيات حديثة : للاستاذ ناجي السعدي ليسانس في علم الاجتماع

* تقرر اعتبار الاجازة العالية للشريعة والقانون التي تمنحها جامعة الازهر مساوية لدرجة الليسانس في الحقوق من الجامعات

* وصل ثلاثة واربعون من العلماء المختصين في الاراضي النباتية الى المغرب ، وتدخل هذه الجولة في نطاق المؤتمر العالمي الذي تنظمه الموسسة الدولية لخبراء النباتات في روما بمساعدة عدد كبير من مختلف البلدان وقام العلماء في جولتهم الاستطلاعية بانحاء المغرب

* نشر بوليت جالان بيرنيه في العدد الاخير من مجلة « الهلال » القاهرية دراسة عن « شعر البربر في المغرب العربي » اهتم فيه بمراجعة بعض النصوص منذ سنة 1920 الى سنة 1955 وهي فترة الاستعمار الفرنسي في المغرب .

* بمناسبة الاحتفال بيوم شجرة الزيتون اصدرت وزارة الفلاحة ورقة بريدية عليها رسم غصن الزيتون

* احتفلت دار الثقافة الامريكية بالرباط في مساء يوم مساء يوم 17 اكتوبر الماضي بتوزيع الجوائز على الفائزين في مسابقة تكملة قصة « غرام في القرون الوسطى » للقاص الامريكي « مارك توين » وقد حضر الحفلة عدد كبير من المثقفين والكتاب وفاز بهذه الجائزة السادة : محمد الشوفاني ، محمد جلزيم ، اسماعيل البوعناني ، نزهة العلوي .

* نظمت سفارة المملكة المغربية بموسكو معرضا للصور والرسوم من مظاهر الحياة الاجتماعية والفنية بالمغرب زاره جمهور غفير من الادباء والفنانين ، والمعنيين بالفكر ، وذلك بمناسبة زيارة جلالة الملك للاتحاد السوفييتي

* صدر مؤخرا كتاب « مدخل لدراسة الفلسفة » من تاليف الاستاذين محمد مصطفى القباج ومحمد عباس نور الدين

وقد راجعه الدكتور البير نصري نادر ، والكتاب موجه لجمهور خاص ، وهو طلبة الباكالوريا .
نشره المركز الثقافي العربي ، ويتضمن احدث المناهج التربوية ، تحليلات ، نصوص ، صور بيانية .

* صدر الكتاب الاول « دروس في الفلسفة لطلاب البكالوريا المغربية » .

وقد الف هذا الكتاب جماعة من الاساتذة :

احمد السطاتي استاذ الفلسفة بمعهد المغرب الكبير بالرباط ، ومصطفى الازموري استاذ الفلسفة بمدارس البيضاء ، ومحمد عابد الجابري مدير ثانوية المقاطعة السادسة بالبيضاء

**«تدشين مسجـد بوغزالـة»**

توجه الاستاذ السيد محمد بنعمرو رئيس قسم التحرير بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية نيابة عن معالي الوزير السيد الحاج احمد بركاش الى قبيلة أولاد عيسى باقليم مدينة فاس لتدشين مسجدبوغزالة الذي بنته وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بهـذا الاقليم .

وكان فى استقبال مندوب معالي الوزير رجال السلطة المحلية وفى مقدمتهم رئيس المحكمة الاقليمية والقاضي الشرعي للمدينة والقائد الممتاز ، والقائد المحلي .

ولقد اظهر سكان هذا الاقليم بمناسبة تدشين هذا المسجد العظيم الرائع ابتهاجا عظيما ، وفرحـة كبرى تجلت مظاهرها فى الافراح التي كانت تبدو على الوجوه .

وام الاستاذ السيد ابن عمرو بالمصلين وخطب فيهم خطبة بليغة تركت صدى كبيـرا فى نفـوس المومنين حيث تناول بالشرح والتحليل قوله تبـارك وتعالى « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن الا وانتم مسلمون » .

وقد بين فى الخطبة الثانية اهمية المساجـد وعناية صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثانـي نصره الله بتشييدها ، لاسيما فى بعض القبائل مـن مملكته السعيدة التي تفتقر اليها او التي كانـت محرومة منها فى عهد الحماية البغيض .

وانتهت هذه الحفلة الدينية الكبرى التي خرجت فيها القبيلة عن بكرة ابيها فرحة مستبشرة مشيـدة بمآثر مولانا الامام امير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين جلالة الحسن الثاني ، داعية الى الله العلي القدير ان يحفظه ويقر عينه بولي عهده صاحب السمو الملكي الامير سيدي محمد .

**اجتماع لدراسة وتنظيم موسم الحج المقبل**

انعقد اجتماع تحت رآسة معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش يـوم الاثنين 7 – 11 – 1966 بمقر وزارة الاوقاف لدراسة القضايا المتعلقة بموسم الحج المقبل ، ووضع الترتيبات اللازمة لتيسير اداء هذه الفريضة الدينية .

وحضر هـذا الاجتماع ممثلـون عـن الوزارات الآتيـة : الداخلية ، الخارجية ، المالية ، الامانة العامة للحكومة ، الصحة ، الاشغال العمومية ، كمـا حضـر ممثل عن شركة الخطوط الملكية الجوية ، وممثـل عن شركة الملاحة البحرية المغربية .

وقد بين معالي الوزير ، فى بداية الجلسة ، الغاية من هذا الاجتماع ، والعناية الخاصة التي يوليها امير المومنين لشؤون الدين ، وفى طليعتها فريضة الحـج الى البقاع المقدسة ، واهتمامه حفظه الله براحة رعاياه الاوفياء ، وضمان سلامتهم فى الذهاب والاياب

ثم شكر سيادة الوزير ممثلي الوزارة الحاضرين على تلبيتهم الدعوة ، وطلب اليهم ان تمد وزاراتهم يد المساعدة لحجاجنا الميامين كـل واحـدة فى دائـرة اختصاصاتها استجابة لرغبة مولانا الامام نصره اللـه وايده الذي يولي عناية خاصة لهذا الركن العظيم مـن اركان الاسلام والذي يسهر حفظـه الله على ضمـان الراحة لمواطنيه فى حلهم وترحالهم واكـد معاليه على مندوب الشركة البحرية فى ان يولي المزيد من العناية للموظفين الدينيين الذين يرافقون الحجاج على ظهـر الباخرتين ويخصص لهم مكانا مشرفا فيهما .

**تنظيم حملـة الوعظ والارشاد ...**

بمناسبة شهر رمضان المعظم قامت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية باعداد برنامج لتنظيم حملة واسعة النطاق للوعظ والارشاد ، والتوعية الدينية بالمـدن والقرى والمداشر

وقـد عقـد معالي وزيـر الاوقـاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش فى هذا الصدد بمقروزارته اجتماعايوم الاثنين 5 – 11 – 1966 حضره زيادة على قاضي المدينة جماعة من علماء العاصمة حيث بلغ سيادته فى هذا الاجتماع مدى الاهتمام البالغ الذي يوليه صاحب الجلالة لهذه الدروس الدينية والآمـال التي يعلقها لتوعية المواطنين وتعريفهم بمزايا دينهـم الحنيـف .

وهكذا فقد قامت وزارة الاوقاف باعداد برنامج واسع فى هذا الصدد يمكن جميع المواطنين من التفقـه فى شؤون دينهـم والتعـرف على فضائله وتعاليمـه السامية سواء بواسطة الدروس التي سيلقيها مرشدون مختارون بالمساجـد او بواسطـة المحاضرات التـي ستنتدب الوزارة لالقائها بالتلفزة والراديو ثلـة مـن كبـار الاساتـذة .

**واخـرى بالعمـالات ...**

كما عقدت اجتماعات مماثلة بالعمالات لتنظيـم الدروس والمحاضرات الدينية تنظيما محكما حتـى تكون عامة وشاملة لجميع انحاء البلاد ، وبهذه المناسبة السعيدة ، تهيب وزارة الاوقاف والشؤون الاسلاميـة بكافة المواطنين الكرام ان يقبلـوا على هـذه الدروس اقبالا كاملا حتى تحصل الفائدة المرجوة منها ، وتتحقق الآمـال المعلقـة عليهـا .

هذا وقد اصدر المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو بيانه حول مبادىء التعاون الثقافي الدولي بمناسبة ذكرى مرور عشرين عاما على تاسيس هذه المنظمة الدولية

★ من المنتظر قريبا صدور رواية « دفنا الماضي » للاستاذ عبد الكريم غلاب . في بيروت

★ بتاريخ 28 اكتوبر الماضي حلت الذكرى المائوية لدخول المطبعة الحجرية الى المغرب وقد خصص التلفزيون المغربي برنامجا بهذه المناسبة تحدث فيه كل من الاستاذين محمد المنوني ومحمد بن عبد الله

★ عاد الاستاذ علال الفاسي من الرحلة التي قام بها الى مكة المكرمة . لحضور اجتماع اللجنة التنفيذية للرابطة الاسلامية

★ قام الاستاذ علال الفاسي اخيرا بزيارة لايران بدعوة من السيد عباس المسعودي صاحب الصحف التي تصدر عن دار اطلاعات

ويلقي الاستاذ سلسلة من المحاضرات في كلية طهران وغيرها من مختلف الجمعيات والمنظمات الايرانية

★ يقيم الان في المغرب في اطار التبادل الثقافي خمسة وعشرون طالبا من غينيا . التحقوا بكلية الطب بالرباط . وقد سبق لهؤلاء الطلبة ان امضوا سنة دراسية بكلية الطب بالجزائر

★ زار الوفد الاقتصادي المغربي برئاسة السيد المهدي بن بوشتة صوفيا في نطاق الجولة التي يقوم بها في عدد من دول اوربا الشرقية

★ اقام اتحاد كتاب المغرب العربي مأدبة غذاء كان ضيف الشرف في هذه الجلسة السيد حسين الجسر سفير لبنان بالمغرب . كما حضرها الاستاذ الشاعر عمر بهاء الدين الاميري وكان موضوع الحديث في القسم الاول من الاجتماع التعاون الثقافي بين كتاب لبنان وكتاب المغرب

وقد اعرب السيد السفير عن استعداده لبذل كل مجهود لتمتين اواصر التعاون الثقافي بين المثقفين المغاربة والمثقفين في لبنان

ثم تناقش الحاضرون في نشاط الاتحاد في الموسم الحالي ووضعوا الخطوط الاولى لمهرجانات ثقافية ادبية وفنية للشهر الحالي

★ وافقت اللجنة الادارية للمؤتمر العام لمنظمة اليونسكو استخدام اللغة العربية كلغة عاملة في اليونسكو

ووافقت اللجنة على مشروع قرار بهذا الشأن تبنته الدول العربية باغلبية 50 صوتا مقابل 11 صوتا وامتناع 10 دول عن التصويت واللغات الرسمية العاملة في الوقت الحاضر هي : الانكليزية ، والفرنسية والاسبانية والروسية

★ قدمت الفرقة البلدية للمسرح بتونس برئاسة ابن عياد مسرحية « فلامينو » للكاتب الفرنسي روبير ميرل واقتباس حسن الزمرلي ، وذلك بمسرح محمد الخامس بالرباط ، لاقت استحسانا كبيرا

★ وقعت في تونس اتفاقية مع المجر حول التعاون العلمي والتقني

★ افتتحت في اواخر شهر اكتوبر باثيوبيا الندوة العلمية الخاصة بقضايا الصحة في البلدان الافريقية نظمتها كلية الطب في جامعة هيلاسي لاسي بمساعدة الصندوق الوطني لدراسة شلل الاطفال والاراضي الاخرى ويشارك في هذه الندوة الاطباء والعاملون في الطب في عدد كبير من البلدان الافريقية واخصائيون من منظمة الصحة العالمية

★ اصدرت ادارة الشؤون الثقافية بالجزائر كتابا صغيرا من ثلاثين صفحة عن « سكة الامير عبد القادر الجزائري » حول السكة الاسلامية . ولا سيما منها عملة عبد القادر التي عثر على عدد منها كما يقدم الكتيب دراسة تاريخية عن العملة النحاسية في مختلف العصور الاسلامية ويستفيد البحث من 15 مرجعا هاما من اللغتين العربية والفرنسية

★ قرر سفراء الدول العربية المعتمدون في ستوكهولم مقاطعة الحفلات الرسمية التي ستقام لتسليم جائزة نوبل في الادب معبرين بذلك عن استنكارهم لقرار لجنة الاكاديمية السويدية للادب لمنحها جائزة نوبل للادب لهذه السنة لكاتبين « اسرائليين »

★ « المسرح الطليعي الفرنسي » الكتاب الذي وضعه الكاتب الفرنسي جون بروفوكو ، صدرت ترجمة

ويتضمن هذا الجزء الاول القسمين الهامين من مواد الفلسفة هما الميتافيزقا والاخلاق .

* صدر عن « دار العلم » كتاب « التعليم الواضح» للاستاذ الجيلاني المزوار مدير المدرسة الاسماعيلية بمدينة مكناس

وقد حلى هذا الكتاب وقدمه للقاريء الاستاذ الكبير سيدي عبد الله كنون

والمؤلف نحا في كتابه « التعليم الواضح » منحى جديدا يعتمد في تجلية الحقائق على لغة التصميم والتخطيط ، باسلوب يغري بقراءته ودراسته

وفي تحضير الدروس نجده لم يكتف بتعميم النماذج على مواد البرنامج ، وابى الا ان يكررها في المواد الرئيسية ليقدم لقارئه مجموعة قيمة من التحضيرات ، يتخللها ازيد من 20 لوحة ، تضم ما يقرب من 100 رسم

* توجهت الى بودابيست بعثة من الخبراء في الاحصاء التابعين لوزارة التنمية لتمثل المغرب في المناظر الدولية حول قضية المناهج الرياضية في الاستفتاءات الاحصائية . واستمرت اشغال هذه المناظرة حوالي ثلاثة عشر يوما . وافتتحت البعثة المغربية المناظرة بعرض حول التجارب الاحصائية في المغرب

* زار المغرب مؤخرا ، مدير كتائب السلام الامريكية السيد جاك هود فون ، ودام فيه ثلاثة ايام ، قام خلالها برحلة عبر المدن المغربية متفقدا فيها متطوعي كتائب السلام

* افتتحت جمعية « رواد القلم » الثقافية بالبيضاء موسمها الثقافي مؤخرا .

* مثل المغرب في الدورة الرابعة عشرة لمنظمة اليونسكو ، وزير التربية الوطنية الذي قدم الى المنظمة مساعدة مالية باسم حكومة صاحب الجلالة

* عقد بالرباط مؤتمر رابطة القضاة افتتحه جلالة الملك ، وذلك بتاريخ 9 نوفمبر الماضي

* قامت المصالح المختصة لمنظمة اليونسكو خلال العشر سنوات الماضية بتصوير عدة ملايين من الصفحات والوثائق النادرة لحمايتها من التلف بفعل العوامل المختلفة كالظروف المناخية والحرائق وغيرها وخلال سنة 1962 ، قامت بعثة مختصة بزيارة المغرب واستغرقت 19 شهرا صورت اثناءها اكثر من 500 صفحة

* « رحلة في حياة قصيرة » عنوان الكتاب الذي اصدرته جريدة « العلم » للفقيد الاستاذ السيد مصطفى الصباغ ، وهو عبارة عن مقالات في الادب ، والاجتماع ، والفن ، والوطنية ، التي كان ينشرها رحمه الله في الجريدة المذكورة تتمنى للكتاب الانتشار ، وبعد الصدى .

* صدر عن مطبوعات القصر الملكي كتاب للفقيد المرحوم العلامة السيد محمد المختار السوسي بعنوان : « ايليغ : قديما وحديثا » وقد اهتم بطبعه والتعليق عليه الاستاذ البحاثة السيد محمد بن عبد الله الروداني

* صدر العدد الثالث من مجلة « اقلام » منتملا على عدة ابحاث ودراسات وقصائد

* ستصدر « جمعية تاريخ المغرب » التابعة للمركز الجامعي للبحث العلمي ، كتابا يضم الابحاث التي قيلت في مناظرتها التي نظمت بمدرج كلية الاداب من 20 / 22 ماي من السنة المنفرطة

* قدم الاستاذ السيد عبد العزيز بن عبد الله الامين العام للمكتب الدائم للتعريب التابع للجامعة العربية مذكرة الى المجلس التنفيذي للمكتب عن رحلته الاخيرة التي قام بها الى جنوب شرقي اسيا . تحدث فيها عن المهمة التي قام بها ، قصد توسيع شبكة نفوذ اللغة العربية في ذلك الجزء من العالم ، والاطلاع على الاساليب الدراسية التي تتبع في الاقطار التي زارها في ميدان البحث اللغوي ، وانجاز المصطلحات الحديثة وقد استغرقت الرحلة زهاء شهر

* عقد المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو في دورته الاخيرة جلسة للمصادقة على ميثاق للتعاون الثقافي الدولي ولتوجيه نداء حار للسلام

وكان السيد محمد الفاسي عميد جامعة محمد الخامس بالرباط ورئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة اول من تناول الكلام .

* اصدر الشاعر المهجري زكي قنصل مسرحية تاريخية هي : « تحت سماء الاندلس » .

* يصدر عن دار الاداب كتاب « العسف » او « التعذيب الجديد في الجزائر » موّلفا الكتاب العفيف الاخضر . وبشير الحاج علي . وهما مناضلان جزائريان خاضا حرب التحرير مع بن بلا ورفاقه . وقد قدم للكتاب خميس زهوان . ومحمد حربي .

الجدير بالذكر ان كتابا اخر اسمه « مذكرات ابن بلا » وضعه روبير ميرل ونقله العفيف الاخضر الى العربية ايضا

* روبير غانم . يصدر مجموعته الشعرية « سنوات الحزن »

* « الشعراء الفرسان » الذي وضعه بطرس البستاني سيظهر قريبا

* في مكتبات بيروت كتاب « محمد رسول الله » الكتاب من تاليف اتين دينية وسليمان بن ابراهيم وقد نقله الى العربية الدكتور عبد الحليم محمود استاذ في الجامعة الامريكية

* الشاعر المغترب يوسف فاخوري صدرت له في بيروت مجموعة شعرية بعنوان : « نوى » وقد قدم لها الشاعر المهجري شكر الله الجر

* « حبات زمرد » كتاب جديد للشاعر المهجري شفيق معلوف المقيم في سان بولو بالبرازيل اصدرته وزارة الثقافة في دمشق ضمن منشوراتها . ويقع الكتاب في 108 صفحة من الحجم الكبير ويضم عدة موضوعات في الادب العربي الحديث

* اصدرت مجلة « البيدر » في بيروت عددا خاصا برشيد نخلة بمناسبة الاحتفال بنقل رفات الفقيد الشاعر الى الضريح الرسمي الذي اقامه له مجلس النواب اللبناني في الباروك بلد الشاعر . رشيد نخلة هو واضع كلمات النشيد اللبناني . وكان شاعرا فصيحا واميرا للزجل اللبناني

* صدر في بيروت لفقيد الادب والقصة كرم ملحم كرم كتاب بعنوان : « قطاف العناقيد » يتضمن مقالات ادبية واجتماعية وقصصا

* « اصول الدافع الجنسي » لكولن ولسن احد الكتب التي تعالج موضوع الجنس اكثر المواضيع اثارة في هذه الايام . الكتاب من ترجمة يوسف شرورو وسمير كتاب

* الجزء الثالث من كتاب « ابن الفوطي » الذي الفه الشيخ محمد رضا الشبيبي هو قيد الطبع الان في بغداد .

* يعكف مصطفى علي على اعداد بحوثه الاخيرة عن شاعر العراق الرصافي . وكان قد اصدر كتابا عن الرصافي منذ سنوات

* ستعيد مكتبة المثنى طبع كتاب « الزهرة » لابي داود الاصفهاني

* مديرية الاثار العامة ببغداد تقوم بجمع مجموعة من رسائل وقصائد غير معروفة للشاعر معروف الرصافي .

* انتهى الدكتور عبد الجبار الجومرد من اعداد كتاب ضخم عن تاريخ الموصل يقع في ثلاثة اجزاء وسيصدر الجزء الاول قريبا في بغداد .

* « مائة قصيدة من روائع الشعر الحديث » اختارها الشاعر سيلدن رودمان ونقلها الى العربية ناديا الياس وسليمان العيسى . صدر موّخرا في دمشق .

* « اللغة والاديب وعلاقتهما بالقومية » لموّرخ القومية العربية ساطع الحصري ( ابي خلدون ) صدر عن دار الطليعة . ينتقد الموّلف في هذا الكتاب النظرية الاقليمية في الادب العربي

* يصدر قريبا في بيروت كتاب « الفلسفة الهندية لعموم الديانات ودساتيرها » الكتاب من تاليف رئيس جمهورية الهند وترجمة ندره اليازجي

* الجدير بالذكر ان كتابا اخر اسمه « تاريخ الهند » سيصدر قريبا في بيروت من تاليف الدكتور احسان حقي . وهو اول كتاب من نوعه باللغة العربية

* راند ولف تشرشل بدأ ينشر سلسلة مذكرات عن مطلع حياة نسيبه ونستون تشرشل . ومما جاء في هذه المذكرات ان نستون الصغير كان يحب امه ولكن من

له بالعربية في القاهرة ، قام بها يوسف اسكندر في الكتاب دراسة مستفيضة عن الاربعة الكبار الذين يعتبرون روادا للمسرح التجريبي المعاصرين في فرنسا وهم : صمويل بيكيت ، يوجين يونسكو ، جان جينيه ارابال

* في القاهرة وافق المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب على ان يقوم بالتعاون مع جامعة الدول العربية واجهزة الدول الاخرى الوثيقة الصلة بالمسرح بالدعوة الى موءتمر عام يضم متخصصين من الدول العربية في شوءون المسرح « للعمل على افساح المجال للتقارب بين الدول العربية » وتمهيدا لعقد هذا الموءتمر تشكلت لجنة تحضيرية لبحث الموضوع واعداد دراسة وافية تعرض على اللجنة الدائمة للاعلام العربي في دور انعقادها القادم

* صدر موءخرا في القاهرة الجزء السابع من كتاب « تاريخ الطبري » من سلسلة ذخائر العرب الكتاب من تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ينتظر ان يصدر الجزء الثامن قريبا جدا

* اعلن في القاهرة انه تم التوقيع على اتفاق بين العربية المتحدة ، وفرنسا حول تعويضات مدارس البعثة التبشيرية التي احتجزت سنة 1956 – وستخصص التعويضات لانشاء مراكز ثقافية وخزانات ، ومدارس فرنسية ،تعمل تحت المراقبة المصرية

* نعت انباء القاهرة الشيخ الوقور الداعية الاسلامي الكبير السيد حسن الهضيبي المرشد العام السابق لجمعية الاخوان المسلمين . وقد توفي رحمه الله في السجن حيث كان معتقلا بالتهمة التي اسندت اليه بمحاولة تأسيس جمعية الاخوان المسلمين من جديد ، وكان قد حكم عليه في قضية سيد قطب بالسجن ثلاثة سنوات كما كان قد حكم عليه من قبل في سنة 1954 بالسجن عدة سنوات اخرى

* الدكتور طه حسين قدم استقالته من رئاسة مجمع اللغة في القاهرة لاسباب صحية ولم يبت في هذه الاستقالة

* تظهر دراسة تحليلية عن المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل بقلم حافظ محمود نقيب الصحافة العربيـــة

* امين نخلة صدر له كتاب « ليالي الرقمتين »

* الفيلسوف الالماني عما نوئيل كانت ( 1724 – 1804 ) صدرت له موءخرا في بيروت ترجمتان لكتابيه « نقد العقل المجرد » و « نقد العقل العملي » وقد قام بالترجمة احمد الشيباني

* « سبعون » كتاب الاديب ميخائيل نعيمة . الذي ضمنه مذكراته . تمت ترجمته موءخرا الى الروسية . وقد قامت بالترجمة الكاتبة الروسية زفتلانا باتسيفا . وبالمناسبة فان اديبنا الكبير يقوم حاليا بزيارة الاتحاد السوفييتي بدعوة رسمية

* « المعقول واللامعقول في الادب الحديث » لكولن ولسن . صدرت له موءخرا في بيروت ترجمة عربية قام بها زكي حسن صدر الكتاب عن دار الاداب

* للمرة الاولى في بيروت يصدر كتابان عن القضية الفلسطينية يسلطان ضوءا شاملا على هذه القضية ويمكن تدريسهما للطلاب في المدارس الابتدائية الكتابان هما « جغرافية فلسطين المصورة » و « الموجز في القضية الفلسطينية » الموءلف هو قسطنطين خمار وهو فلسطيني مقيم في لبنان . وقد صدر الكتابان عن المكتب التجاري في بيروت

صدرت موءخرا عن دار الكاتب العربي ترجمة لكتاب « كيف نفهم التاريخ » في الكتاب محاولة جديدة لفهم التاريخ على ضوء العصر الحديث

* يصدر قريبا عن دار الحياة كتاب « الكهولة والشيخوخة » من وضع الشيخ نسيب وهيب المخازن والكتاب هو الجزء الثالث من سلسلة « الموسوعة الجنسية» التي تصدرها الدار . وقد صدر منها حتى الان جزءان هما : « العلاقات الجنسية عبر التاريخ » و « الطفولة والمراهقــة »

* صدرت عن دار الطليعة في الاسبوع الماضي كتابان هما : « نصوص الفكر الاسلامي » و « الاشتراكية والتنمية » الكتاب الاول وضعه يوسف الابس وهو استاذ جامعي سوري الثاني من وضع رينيه دومون . وترجمة نزيه الحكيم

* يصدر للاستاذ الاديب محي الدين اسماعيل كتاب جديد بعنوان « من ملامح العصر » في بيروت

# دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

**العدد الخامس ــ السنة العاشرة ــ ذو الحجة 1386 ــ ابريل 1967**


## في هذا العدد

صفحة


| | | |
|---|---|---|
| 1 | تنمية الوعي الاسلامي | دعوة الحق |
| 3 | خطاب العرش | |
| 21 | الملك العبقري سيدي محمد بن عبد الله | للاستاذ عبد الله كنون |
| 28 | الثقافة والعلم في العصور الحديثة بالمغرب | للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله |
| 36 | معالم الاخلاق الاجتماعية في القرآن الكريم | للاستاذ محمد السوسي |
| 40 | تقويم اللسانيين | للدكتور تقي الدين الهلالي |
| 45 | المسيحية : مرونة او انهيار | للاستاذ احمد عبد السلام البقالي |
| 50 | عبقرية الاسلام في الغرب | للاستاذ حسن السائح |
| 53 | جولة في المخطوطات العربية باسبانيا | للاستاذ محمد ابراهيم الكتاني |
| 59 | لا توجد عقلانية خالصة | للعميد محمد عزيز الحبابي |
| 62 | لغة الشعر بين المنتج والمتلقي | للاستاذ عبد العلي الوزاني |
| 70 | عبد الله ابن جزي ، وكتابه : مطلع اليمن والاقبال ، في انتقاد كتاب الاحتفال | للاستاذ عبد القادر زمامة |
| 75 | نظرات ، ديوان ابي حيان الغرناطي | للاستاذ سعيد اعراب |
| 80 | من الاعلام المغمورين ابو عمرو بن العلاء | للاستاذ محمد عبد الملك الكتاني |
| 90 | وثائق تاريخية اندلسية | للدكتور محمد كمال شبانة |
| 97 | الادب العربي في مواجهة شبهات التمريب | للاستاذ انور الجندي |


ديوان المجلة :


| | | |
|---|---|---|
| 101 | حسن غدوت بكل ارض آية | للشاعر عبد الكريم التواتي |
| 105 | اما بهذا العرش عشنا سادة | للشاعر محمد عرفة الفاسي |
| 107 | ابن زيدون : مسرحية شعرية في اربعة فصول | للشاعر علال بن الهاشمي الفيلالي |
| 116 | هكذا قصة النبوغ !! | للشاعر عبد الواحد السلمي |
| 119 | شتاء !! | للشاعر عبد الكريم الطبال |
| 120 | لماذا اعيش ؟ | للشاعر حسين احمد حيدر |
| 122 | المغرب وفارس عبر التاريخ | للدكتور عبد اللطيف السعداني |
| 128 | نظرة في منجد الآداب والعلوم | للاستاذ عبد الله كنون |
| 130 | الوجادات | للاستاذ عبد القادر زمامة |
| 134 | نظرة حول الاحوال الثقافية باندونيسيا | للاستاذ المهدي البرجالي |


معرض الكتب :


| | | |
|---|---|---|
| 142 | دفنا الماضي | تقديم وتعليق الاستاذ عبد الهادي التازي |



تصدرها وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الاسلامية
بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

بعيد . كما ان اتعس ايام حياته كانت ايام المدرسة حين لم يبد والده اهتماما كبيرا بتقدمه ونجاحه . وهذا ما دفعه الى الاعتماد على نفسه ، وفي سن باكرة جدا

* « ما تبقى لكم » هي الرواية الجديدة من وضع غسان كنفاني صدرت في الاسبوع الماضي عن دار الطليعة

* تمكن اخيرا علماء الآثار الالمان من اكتشاف مقبرة جرمانية ببرليـن . تضم عـددا كبيـرا من قـدور الخزف ، ويعود تاريخ المقبرة الى حوالي 500 عام قبل الميـــــح

* مجموعة من المقالات والمحاضرات التي القاها الفيلسوف الانجليزي برتراند رسل في خلال ربع قرن سوف تصدرها دار نشر كبـرى في بريطانيـا بعنـوان : « اقصى درجات الحكمة »

* « الانتباه » رواية الكاتب الايطالـي الشهير « مورافيا » التي اعتبرها النقاد اهم رواياته على الاطلاق والتي اثارت حين عرضـت ضجـة كبرى في الاوسـاط الادبيـة العالميـة تصـدر قريبـا عن دار الادب مـن ترجمة جورج طرابيشي

* خصصت صحيفة « البرافدا » موءخـرا مقـالا حول الثورة الثقافية في الصين فقالت ان الثورة الثقافية في الصين مظهر غريب لا يكتفي باحراق واتلاف الكتب والآثار القيمة بصورة علنيـة ، بل يتسـم بطابع موءلـم للغـــايـــــة

* افتتحت في 13 اكتوبر الماضي ــ دار الاوبرا الملكية بمدريد بعد اعادة تشييدها ، وقد ظلت مغلقـة طيلة 40 عاما انشئت الدار القديمة بين عامين 1818 و 1850 واستقبلت عددا كبيرا من نوابغ المغنيين العالميين ، ولما ظهر تصدع في الدار . اغلق المسوءولون ابوابها، حتى اعيد بناوءها

* منعت السلطات الاسبانية تداول كتاب «القانون والمجتمع الديمقراطي » لموءلفه اليـاس دباس الـذي يشتغل استاذا بجامعة مدريد

* الفنان بابلو بيكاسو رفض مبلغـا من المـال قدره مائة الف دولار قدمتها له مدينة شيكاغو ، مقابـل تصميمه لتمثال تجريدي يبلغ ارتفاعه خمسين قدمـا . وسوف يقام التمثـال في وسط المدينة ، وامـام مبنـى حكومي بلغت تكاليفه خمسة وثمانين مليون دولار

* صـدر في باريس المجلـد الثالث من كتاب « اصول الادب العربي حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي » للمستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير . يحاول هذا الكتاب ان يلقي ضـوءا على الادب العربي القديـم

* تصدر رواية جديدة للكاتبة الفرنسية الكبيرة سيمون دي بوفوار بعنوان : « الصور الجميلة » والرواية تقوم اساسا على ثلاث بطلات . البنت ، والأم ، والجدة وموضوعها محاولة الانسان للتطهر من الزيف السياسي الذي يرين على مجتمـع بورجـوازي عـام 1966 فـي باريـــــس

* « هل نحن وحيدون في العالم ؟ » اسم الكتاب الذي اصدره الكاتب الفرنسي والترسوليفان ــ دار لافون ( باريس ) يجيب فيه عن السوءال الابدي ، هل الانسان هو ملك الكـون في هذا العالم الرحيـب ام ان هنـاك مخلوقات اخرى ؟

* قررت موءسـسة فرانكليـن بالاشتراك مـــع حكومات العربية المتحـدة ولبنـان وليبيـا والكويـت بترجمة دائرة المعارف البريطانية الى اللغة العربيـة وقد تشكلت لجنة من هـذه الدول للاشراف على هـذه الترجمة على ان تتم خلال خمس سنوات

* وجه الكاتبان الامريكيان دور بيرسوف وجاك اندرسون نقدا لاذعا لجاكلين كندي ، اتهماها فيه بانها تقفل الطرق في وجوه الكتاب الذين يحاولون الكتابة عن اغتيال الرئيس كيندي . واكد الكاتبان ان الموءلفات التي صدرت حتى الآن حول هذه القضية زادت الشـك والبلبلة ، ولكن الارملة نفسها تمشي في تشجيع هـذه البلبلة حين تحتفظ بمعلومات هامة ، ولا تدلـي بها الا لكاتبها المفضل وليم مانشستر

* نقلت زفتلانا الى الروسية كتاب نقولا قربان « نشيد الرخام » الذي سيصدر قريبا

* الكاتب الروسي شولوخوف ــ الحائـز على جائزة نوبل للاداب يحضر الاحتفـال القادم الـذي سيقام في برشلونة لمنح جائزة « بلانيتا » لاحسن رواية لهذا العام والجائزة المذكـورة من اهـم الجوائـز السنوية التي خصصتها احدى دور النشر الاسبانية . وقد قدمت لنيل الجائزة 294 روايـة من اسبانيـة وامريكـا الجنوبيـــــة

## كلمة العدد

# تنمية الوعي الاسلامي

اجمل صاحب الجلالة الملك المعظم مولانا الحسن الثاني حفظه الله فى خطاب العرش الاخير الدور الهام الذي تضطلع به وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية فى نطاق تنمية الوعي الاسلامي وما تقوم به من جليل الاعمال ونبيل الآمال حيث قال اعز الله امره :

« ونظرا لما اولانا اليه من شرف الامامة ، واناط بنا من واجب المحافظة على شعائر الدين الاسلامي الحنيف ، اصدرنا أوامرنا لوزارتنا فى عموم الاوقاف فى نطاق تنمية الوعي الاسلامي ، وتيسير اسباب السعادة لشعبنا بمواصلة حملات الوعظ والارشاد بجميع جهات المملكة ، وبناء المساجد بالمدن والقرى والاحياء المفتقرة اليها .

وقد شيد واحد وثلاثون مسجدا خلال سنة 1966 ، ووقع اصلاح مئات اخرى من المساجد ، وقمنا ببعث الثقافة الاسلامية بطبع طائفة من كتبها القيمة منها والنفيسة ، واعتنينا بالمدارس العتيقة بالبادية حتى عادت الى ازدهارها السابق ، وصار الطلاب يلقنون فيها القرآن الكريم بمختلف قراآته ، ومبادىء العلوم الدينية واللغوية »

اجل ، ذلكم هو المنطق الملكي الكريم الذي جعل من وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية جهازا حيا فعالا يسهر على القيم الروحية الاسلامية المتميزة بمقومات البقاء والعطاء والديمومة والاستمرار .

فوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ما فتئت تولي عنايتها لشرح نظريات الاسلام الخاصة به ، المتميزة عما عداها من النظريات ، وهي نظريات تنبع من صميم مبادىء الاسلام ، وتستمد عناصر وجودها من ينابيع الكتاب والسنة ، وواقع المسلمين ، واعرافهم وتقاليدهم التي تتوافق مع الطبيعة الاسلامية المجيدة ، ومعتقدات الدين المقدسة ، وتواكب المدنية الحديثة فى حدود الحق والفضيلة .

لقد ظلت الشعوب الاسلامية احقابا طويلة ، والاستعمار الصليبي يمزق اوصالها ، ويقطع — شلت يمينه — أواصرها ، ويفرق كلمتها ، ويتهم الاسلام

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

# دعوة الحق

العدد الخامس
السنة العاشرة
ذو الحجة 1386
ابريل 1967
ثمن العدد
درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

## بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فاكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

---

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :

مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

**Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat**

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :

مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

---

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

---

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .

في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط

تليفون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

# خطاب العرش

## نثبت في هذا العدد نص الخطاب الذي القاه جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله بساحة المشور السعيد بالرباط يوم الجمعة 20 ذي القعدة 1386 - الموافق 3 مارس سنة 1967 بمناسبة الذكرى السادسة لجلوسه على عرش اجداده المنعمين

شعبي العزيز :

تحل في هذا اليوم ، الذكرى السادسة لاعتلائنا عرش اجدادنا المقدسين ، ذكرى عزيزة علينا وعليك ، نؤكد بها كل سنة اواصر الود الخالص المكين ، ونجدد انطلاقا منها العهد الصادق المتين ، ونستحث من يومها الخطى لابراز المنجزات والاعمال ، وتحقيق الرغائب والآمال ، نقف عند عتبتها كل سنة نحاسب انفسنا من خلال ما حققناه وانجزناه ، هل كان في مستوى المطامح لنستخلص مهما كانت النتائج سارة ومشجعة ضرورة اغذاذ السير ومضاعفة الجهود ، اذ كلما توالت المنجزات فان طموحنا المتطلع الى المزيد ، وعزمنا الذي نستمد منه روح البناء والتجديد ، يدفعاننا الى العمل الدائب الذي لا يعرف التوقف او النكوص ، فما اوسع ما يجيش به صدرنا من مطامح نحرص على انجازها لفائدتك ، وفاء لشعارنا الذي تعهدنا به : اليوم افضل من الامس ، والغد افضل من اليوم .

لقد وقفنا في مثل هذا اليوم من السنة الماضية نستعرض معك ــ شعبي العزيز ــ منجزات العقد الاول من استقلالنا المستعاد ، وكان لزاما ونحن نتخطى ــ آنذاك ــ عتبة السنوات العشر الاولى ان نعد منجزاتها ونحصيها لننصف سالف الجهود ، ونوقد فيك جذوة العزم المنشود ، وخاطبناك باللغة التي الفتها منا : لغة الصدق والصراحة ، مبرزين الاعمال الايجابية ، غير غافلين عن نقط الضعف التي استاثرت دائما باهتمامنا ، فجددنا العهد على العمل وتسخير عزمنا وشبابنا لاسعادك ورفع مستواك ، وتحقيق كريم العيش لك ، وانا لنحمد الله على ان السنة المنصرمة لم تكن اقل من سابقاتها عزما وبناء وانجازا ، فمنا توالت الجهود في الخطة التي رسمناها ، ومنك تضافرت مظاهر التعلق ودلائل الولاء لشخصنا ، فاستمر بذلك العهد الموصول بين العرش وبينك عبر السنين والقرون ، من الراعي الاخلاص للبلد والعمل الجدي الموفور لاسعاده والحافظ على مقوماته ، ومن الرعية الولاء : ولاء غير مشروط والسير في السنن المرسوم ، رباط لحمته الوفاء المتبادل ، استطاع به المغرب عبر التاريخ تيسير الصعاب وتذليل المشاكل ، به استرجعنا السيادة المغصوبة ، واستعدنا الكرامة المسلوبة ، وبه نعيد بناء صرح الوطن لبنة فوق اخرى ، وبه نتسلح لدرء المخاطر وتوقي المكاره ، وبه نتزود لقطع ما ينتظرنا من مراحل واشواط .

بانه نظرية تجريدية وفلسفة خيالية غير قابلة للحياة العملية ، والتطور والتطبيق . حتى كاد الضعف والوهن ان يصيبها ، ويفقدها كثيرا من الصفات النبيلة ، والمعاني السامية .

كما حاول جل المستشرقين ان يحققوا اهدافهم الخسيسة ، وغاياتهم الدنيئة بكل الوسائل ، فالفوا الكتب الصريحة أو التي اسروا فيها حسوا فى ارتغاء ، والقوا المحاضرات التي كانت كثيرا ما تقابل بالاعراض والالغاء ، وبشروا بالمسيحية بين المسلمين ، وجمعوا الاموال لاستمالة بعض القلوب ، وانشاوا الجمعيات وعقدوا المؤتمرات ، واصدروا الصحف ، وما تركوا سبيلا للوصول الى اغراضهم الا سلكوه ، غايتهم ان يطفئوا نور الله بافواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

وجد الشباب المسلم نفسه اليوم حائرا امام التحديات الفكرية والغوغائية ، وتجاه المد الصليبي ، والجماعات التبشيرية ، لا يجد من ياخذ بضبعه ، وينتشله من هذه الدوامة العلمية الهائلة التي تعاصره ، وتريه ما يشبه الخوارق والمعجزات مما يسبب له اضطراب القيم ، واختلال المثل .

ان شبابنا اليوم فى حاجة الى قيادة حكيمة تقوده الى سبل الخير والفلاح ، وهداة مرشدين يهدونه سواء المحجة ، ويجنبونه مواطن الزلل والانحراف .

وان وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية لتعمل على أن تضع عن شبابنا المسلم تلك الاغلال والآصار التي يرزح تحت عبئها حتى ينطلق خفافا الى حياة روحية راضية مطمئنة يشرق معها نور الامل فى قلوبهم وتنمي فيهم مشاعر جياشة تترنم بها عواطفهم الاسلامية المومنة .

ان غايتنا من تنمية الوعي الاسلامي ، والتوجيه الديني ، اظهار جمال الشريعة الغراء التي تستوعب كل جديد ، وتحافظ على كل موروث صالح تليد ، وتحقق التوازن بين الدين والدنيا ، والعقيدة والسلوك ما يظهر اثره فى العالم الخارجي قوة روحية واعية تتصدى لكل تحد متعنت ، وتتحطم على صفاتها كل فكرة هدامة ، ودعوة ضالة ، وسلوك منحرف .

اننا نريد لشبابنا المسلم ان يتشبث بالقيم الروحية ، ويتمسك بالتربية الاسلامية ، ويعمل جاهدا على عدم التفريط فى جنب الله حتى لا يصاب بلوثات جامحة تتطاير من حضارة غربية واغلة .

ونحن لا نمنع شبابنا المسلم من ان يحقق اشواقه فى رحاب المعرفة ، فيغرف من فيض الثقافات الاجنبية ، ويكرع من حياضها ، ويطعم ثقافته من جديدها وطريفها حتى تهب على بيته ثقافات كل الامم بكل ما يمكن من الحرية ، على شريطة أن لا تقتلعه من اقدامه .

فلقد قام اسلافنا بدراسة العلوم والثقافات الاجنبية ومزجوا بها ثقافاتهم وعلومهم وزادوا عليها ، واكتشفوا جوانب مهمة ، ومعلومات واسعة ، خلفوها تراثا مجيدا فى ميدان الثقافة البشرية والعلوم الانسانية بوجه عام ، ولم تحصل لهم طفرة عن مبادىء الاسلام وعقيدته ، بل كانت معلوماتهم هالة حول كلمة الاسلام التي هي كالشجرة الطيبة اصلها ثابت ، وفرعها فى السماء ، توتي اكلها كل حين باذن ربها .

الذي دعوا للقيام به ، وان البلاد ستعرف جوا من التعاون بين السلطات لتدعيم الاستقرار ، الا ان التجربة اظهرت عكس ما كنا نتوقعه ونرجوه ، مما حملنا على اعلان حالة الاستثناء لانقاذ البلاد من التدهور الذي كان يتربص بها في جو الجدل العقيم الذي كان يعطل الجهود ، ويفوت الفرص .

## مراجعة الدستور

وانه لمن المؤكد ان الثغرات التي تجلت في الدستور وفي ممارسته اثناء تلك التجربة ساعدت على التردي في تلك الوضعية التي عاشها برلماننا الفتي ، بيد ان اعلان حالة الاستثناء لم يكن في نظرنا سوى تدبير مؤقت اتخذناه في اطار صلاحيتنا الدستورية ، وقد صح منا العزم تمهيدا لانهاء حالة الاستثناء ، ان تتم مراجعة الدستور قبل العودة الى الحياة البرلمانية العادية ، تلك الحياة التي نحرص على أن نوفر لها الجو الصالح السليم ، لذا قررنا تأسيس لجنة ملكية لهذا الفرض تقترح علينا التعديلات التي تشد تلك الثغرات ، ويتلافى بها بالتالي الاسباب التي قد تعود بالنظام البرلماني الى سالف عهده ، الا أن التعديل الذي نعتزم ادخاله على الدستور ، والذي سنستفتي شعبنا فيه سيظل بدون مفعول ما لم نتغير المفاهيم في اذهان من يتصبون لتطبيق بنود الدستور ، ويزاولون اختصاصات السلطات التي ينص عليها .

ولقد كنا نؤمل ان عهد حالة الاستثناء سيحمل الطبقة النيرة من النخبة التي تكون الاطارات الموجهة على العمل على تعديل مفاهيمها ، الا ان ما نسمعه ونقراه يدل على ان الحاجة ما تزال ماسة الى تقويم تلك المفاهيم .

## معركة الارقام

لقد واجه المغرب في الفترة الاولى من عهد الاستقلال سلسلة من الاختيارات كان عليه ان يحدد مواقفه منها وكان لاختلاف الآراء حولها ما يبرره ، الا اننا قد اجتزنا هذه المرحلة بما ارسيناه من مبادىء اساسية حظيت بالاجماع الوطني ، وبما حققناه في ميادين السيادة والحرية من مكتسبات وطنية لا يمكن اعادة النظر فيها ، فاتضحت بذلك خطة العمل وتحددت الاهداف والوسائل ، اما اليوم فالمعركة التي نواجهها معركة ارقام ومعركة احصائيات ومعادلات حسابية ، فاصبحت هذه المعركة موضوعية وتقنية لا يتصور فيها الخلاف .

ولذلك ركزنا جهودنا منذ أزيد من سنتين في معالجة الوضع الاقتصادي الذي اعددنا له سلسلة من التدابير ، ووضعنا للنهوض به جملة من المنجزات والمشاريع التي دخل بعضها في طور الانجاز واخذ بعضها يجتاز مرحلة الدرس ، بينما طائفة منها اكتمل درسها وتبذل المساعي للحصول على تمويلها .

## شعبي العزيز

لقد برهن المغرب قولا وفعلا على ان ايمانه بالعمل الدولي المشترك في نطاق منظمة الامم المتحدة ايمان لا تزيده الايام الا رسوخا ، ذلك لانه يرى في هذا العمل الدولي المتآلف انقاذا للحضارة من الدمار ، وانتشالا للشعوب المستضعفة مما تعانيه من تخلف اقتصادي واجتماعي ، وترسيخا لعقيدة الاسلام والامن والطمأنينة، وضمانا لتعايش سلمي بين الدول والشعوب على اختلاف مشاربها ومذاهبها .

وانطلاقا من هذا المبدا السامي الذي آمنا به ظل سلوكنا في ميدان السياسة الخارجية يتسم بطابع عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الاخرى مع احترام سيادتها واختياراتها ، والتعامل معها على مقتضى قواعد التعاون الدولي ، كما اعطينا لفكرة عدم الانحياز التي نلتزمها مدلولها الحي الذي يستهدف الحفاظ على حريتنا في التصرف والدفاع بمحض اختيارنا عن كل ما يلائم مصالحنا الوطنية ونرى فيه خيرا للمجموعة الدولية .

## الاتصال المباشر

وفي اطار تمتين علاقاتنا بمختلف الدول وتبادل وجهات النظر في القضايا الدولية والمصالح المشتركة ، وادراكا منا لما للاتصال المباشر من فعالية وجدوى اتسع خلال السنة المنصرمة نشاطنا الديبلوماسي فاستقبلنا في مملكتنا ضيوفا سامين ، وزرنا بنفسنا دولا صديقة ، واوفدنا بعوثا من قبلنا الى عدد من الاقطار ، كما حلت ببلدنا وفود سياسية واقتصادية وفنية .

وهكذا سررنا بزيارة فخامة السيد لوبكه رئيس جمهورية المانيا الفدرالية وجلالة محمد رضا بهلوي شاهنشاه ايران ، وفخامة السيد حماني الديوري رئيس جمهورية النجير ، وفخامة السيد سانكور رئيس جمهورية السينغال ، وجلالة الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية ، وجلالة الملك حسين عاهل المملكة

## رسالة جيلنا

واذا كان جيل التحرير الذي قاده والدنا ونحن بجانبه ، جيل المطالبة والنضال وجيل الصراع مع الغاصب لقلب الاوضاع والاحوال ، فان رسالة الجيل الذي اولانا الله قيادته يجب ان تستهدف هدفين : اولهما ، الحفاظ على الرصيد الموروث بدعم بناء الاستقلال وتحصينه . وثانيهما تحقيق المعاني النبيلة والاهداف البعيدة للاستقلال بضمان حرية الوطن والمواطنين ، وصيانة كرامة الامة جمعاء .

ان هذين الهدفين سيظلان محور كفاحنا ، وفلسفة حكمنا ، ذلك ان استقلالنا الذي كلفت استعادته العرش والشعب جسيم التضحيات ، هو مكتسبنا الوطني الاساسي ، فالمحافظة عليه وعلى ما واكبه واعقبه من مكتسبات وطنية هو واجبنا الاول الذي يستوي المواطنون في تحمل اعبائه ، وان ما دبر من مؤامرات على سيادة بلادنا في الخارج ، وما صاحب ذلك من تفريط في الداخل لهو من ابرز العوامل التي جعلت جيل والدنا المقدس يجد نفسه امام الوضعية الشاذة التي عاشها هذه البلاد طيلة خمسين سنة ، والتي لم يتم التخلص منها الا بغالي التضحيات وبالوحدة المرصوصة والوعي الشامل . ولقد كان ذلك الجيل بقيادة بطل التحرير في مستوى مسؤولياته ، فعلى الجيل الحاضر الذي استلم الامانة ، واخذ يقطف ثمار تلك الجهود ان يكون اهلا لتحمل الامانة الملقاة على عاتقه ، بشكر النعمة ، والتخلق باخلاق الصالحين الذين تعهد الله بان يورثهم الارض ما صلحوا وما استقاموا .

## المغرب تحرر من المركبات

ان المغرب قد تحرر من المركبات ، فحقق الجلاء وتبوأ مكانه بين الامم والشعوب ، وساهم بعبقريته ونتاج فكره في حظيرة المنظمات الاممية والجهوية ، ومد يد المساعدة للشعوب المكافحة لاسترجاع حريتها ، وها هو يزاول بصفة عامة رسالته التاريخية التي تميز بها فاحلته المقام المحمود ، والمكان المرموق .

والحفاظ على هذا المكتسب يقتضي منا صيانة كيان الاستقلال ودعم بنائه ومده كل يوم بمدد جديد ، يزيد في متانة الرصيد ، فسعينا متجه باستمرار لتأكيد الصبغة الذاتية لمغرب اليوم الواعي لمسؤولياته ، الحر في اختياراته ، المتشبع بطابعه واصالته ، والذي يمد مخلصا يده للتعاون الحر النزيه على صعيد العلاقات الثنائية لكل دولة تحترم استقلاله ونظامه ويتعاون مع جميع الانظمة في حظيرة المنظمات التي نحرص على التقيد بالتزاماتنا فيها طبقا لمواثيقها واهدافها .

ودعم استقلالنا على هذا الشكل ومزاولة سلطاته بهذا المعنى ينبغي ان يبقى خطة المغرب الخالدة .

## الاستقلال : تحقيق الكرامة البشرية

على ان هذا الاستقلال سيظل كلمة جوفاء ، فارغا من محتواه ، اذا لم يستهدف قبل كل شيء تحقيق الكرامة البشرية ، واسعاد المجموع ، ولذلك صرفنا منذ ان اولانا الله مقاليد الامور وقتنا وجهدنا لتحقيق هذا الهدف النبيل مؤمنين بان محاربة التخلف وضمان العيش الكريم هو الجهاد الاكبر ، فمهما يكن لمزاولة السيادة من مفعول في اعلاء شأن الفرد والجماعة ، وفي تقوية معنوية الشعب الذي لا يرضى الاستعباد ولا يقبل الهوان ، فانها مع ذلك لا تكفي لتحقيق السعادة المنشودة ، التي تتلخص طريق الوصول اليها في تعبئة الطاقات ، واستغلال جميع الامكانيات لتحقيق العيش الكريم الكفيل بتحصين الاستقلال ، وتوفير الضمانات اللازمة لدعمه وبقائه .

اننا قد ارسينا في ميدان التشريع والتطبيق قواعد الحرية في هذه البلاد ، ووفرنا للافراد والجماعات الظروف الكفيلة بممارسة اوجه النشاط ، وشجعنا التنافس الهادف السليم بين المنظمات السياسية والمهنية ، وفسحنا المجال لمزاولة الحريات ، ولم نقبل لها من حد الا القدر الذي يصونها عن العبث والفوضى ، ويحميها من الشطط والطغيان .

واذا كانت التشريعات التي ارسينا بها قواعد الحرية في بلادنا قد اخذت تطبق منذ انبثاق فجر الاستقلال فانها قد تأكدت وتحصنت بالدستور الذي هو اسمى القوانين الوضعية .

## سنستفتي شعبنا في التعديل

## الملكية الدستورية : نظام اخترناه

ان الملكية الدستورية هي النظام الذي اخترناه واعتبرناه اصلح انظمة الحكم ، لذلك بادرنا بوضع الدستور بمجرد تولينا مقاليد الامور ، وحرصنا على ان يزاول ممثلوا الامة المنتخبون سلطاتهم في اطار النظام البرلماني مؤملين ان هؤلاء سيتفهمون حقيقة الدور

الاسبقية ،ونمنحها الحظ الاوفر من الدرس والتمحيص والاستيعاب ، فصوبنا النظر الى مصادر ثروة البلاد ، وأمعنا التفكير في توسيع نطاق هذه المصادر وتيسير الاسباب الكفيلة بتحقيق الغاية المتوخاة في هذا المضمار.

وليست هذه الغاية الا توفير الرخاء لجميع المواطنين ، ونشر الازدهار بينهم في سائر الميادين ، لتكون حرياتهم وحقوقهم قائمة على اساس متين وصرح حصين .

وان من جملة الوسائل التي اعددناها لهذه الغاية انجاز الاصلاح الزراعي الذي سبق ان اعلنا عنه في توجيهاتنا ، فقد اصدرنا خلال سنة 1966 نصوصا قانونية تجسم هذا الاصلاح الزراعي الذي اردنا ان يكون مراعيا للواقع المغربي ولتقاليد البلاد .

وتتلخص هذه النصوص في تمليك الافراد المتوافرة فيهم شروط الاهلية والصلاحية ضيعات من اراضي الدولة واراضي المعمرين تمليكا يكفل لهم حق مزاولة استثمار الارض بمساعدة اعضاء اسرهم القاطنين معهم، ويجعل منهم اشخاصا مسؤولين يولون اكبر اهتمامهم لتقوية انتاجهم ، ويفرض عليهم الانخراط في تعاونيات يسهل معه استغلال القطع وتسويق المحصولات .

ولم يعزب عن بال الدولة ان طائفة من هؤلاء المستفيدين في حاجة الى المساندة والمساعدة ، فزيادة على ما تبذله الدولة لهم من ارشاد وتوجيه فقد يسرت لهم الحصول على قروض ليستطيعوا بفضلها مواجهة النفقات التي يقتضيها الاستغلال .

## نصوص تشريعية خاصة بالاصلاح الزراعي

وانه لمن الطبيعي ان لا تفقد الدولة كل سلطة بشأن هذه الضيعات بمجرد تمليكها ما دامت غايتها هي مضاعفة الانتاج ووفرة الموارد ، فقد نصت مقتضيات الاصلاح الزراعي على ان كل اخلال بالتزامات المستفيد من التوزيع ولا سيما الالتزام باستثمار واستغلال القطعة الارضية المبذولة له من شانه ان يعرضه الى سقوط حقه في الاستفادة . وفور اصدارنا للنصوص التشريعية الخاصة بالاصلاح الزراعي اخذنا في توزيع ضيعات باقليمي القنيطرة وبني ملال تبلغ مساحتها 5674 هكتارا ، منها 2552 هكتارا مسقية، وقد استفاد لحد الآن من هذا التوزيع عدد من الاسر يبلغ 701 اسرة ، وكان لهذا التوزيع الاثر الملموس في تشغيل اليد العاملة وارتفاع دخل المستفيدين منه بنسب تتراوح ما بين اربع وخمس ، وقد بلغت هذه النسبة سبعا في بعض الاحيان .

## تجربة بدات تظهر نتائجها

ولئن كان التوزيع الذي بوشر لحد الآن محدود المدى ، فانما كان مجرد تجربة اردنا من ورائها أن تسير الخطى في هذا الميدان متسمة بالحكمة والروية ، اذ ليس من المعقول ان يتصف عملنا في هذا المجال الحيوي بالمجازفة والمخاطرة ، ويمنى بالفشل والاخفاق ، على ان هذه التجربة قد اخذت تظهر نتائجها وتوتي ثمارها ، واننا لنأمل ان تفضي الى النتاج المنشود حتى يتسنى توسيع تطبيق الاصلاح الزراعي ، وتكثير عدد المستفيدين منه ، وبالتالي رفع مستوى العيش لأكثر عدد ممكن من الافراد والاسر ، وتحسين مستوى الدخل القومي بصفة عامة .

وليس منحنا حق الانتفاع باراضي المعمرين المسترجعة للعمالات والاقاليم الموجودة هذه الاراضي بترابها بمناف لما قررناه من تطبيق الاصلاح الزراعي على هذه الاراضي وعلى غيرها من اراضي الدولة والجماعات والجيش والاحباس، فلم نمنح الاقاليم ملكية الاراضي التي استرجعناها ، وانما خولناها حق استغلال هذه الاراضي بصفة مؤقتة ، لتنتفع بها في وجوه عيناها، وطبق مقتضيات حددناها ، ريثما تحين المناسبة لتوزيعها في نطاق الاصلاح الزراعي .

وغير خاف عليك ان مجموع هذه الاراضي الذي يبلغ 250 الف هكتار كان أمر تسييره واستغلاله موكولا الى جهاز اداري ، وقد برهنت التجربة على ان طريقة هذا الاستغلال لم تات بما كان منتظرا منها ، فارتأينا بعد امعان النظر ومواصلة الدرس ان نتخذ تدبيرا نتوقع من ورائه العائدة الحسنة والخير العميم . وهذا التدبير يشكل منهجا طريفا لاستغلال هذه الاراضي استغلالا يحقق اللامركزية التي طالما اشدنا بها ونوهنا بفوائدها، اذ ستتضافر جهود الهيئات المنتخبة وجهود رجال السلطة المحلية للمحافظة على هذه الثروة الوطنية الطائلة ، ولاستثمارها استثمارا تتاتى بفضله غزارة الانتاج ، وتتوافر بسببه موارد العمالات والاقاليم .

وقد قررنا ان يخصص ربع هذه الاراضي لتمويل برامج تجهيز العمالات او الاقاليم طبقا للاهداف المحددة في مخطط التنمية الوطنية ، واخذا بسياسة توظيف الاموال على الصعيد المحلي .

الاردنية الهاشمية ، واثناء هذه الزيارات جرت بيننا وبين ضيوفنا السامين مذاكرات ومشاورات فى جو من الود والصراحة والثقة ، وابرمت اثناء بعضها معاهدات واتفاقيات تقوي اواصر التعاون بين مملكتنا وبين دولهم الشقيقة والصديقة .

وقد لبينا من جهتنا بعض الدعوات التي تلقيناها لزيارة البلدان الصديقة ، فقمنا فى الخريف الماضي بزيارة رسمية لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية حيث استقبلنا من قادته وشعبه استقبالا وديا تاكدت به العلاقات التي تربطنا به ، هذه العلاقات التي تجسمت فى ابرام عدد من الاتفاقيات فى مجالات التعاون الاقتصادي والتقني والعلمي والتجاري والثقافي .

وفى الشهر الماضي قمنا بزيارة رسمية للولايات المتحدة الامريكية خصنا خلالها رئيسها وكبار المسؤولين فيها وكذلك الشعب الامريكي باستقبال ودي تأكدت به اواصر الصداقةالمكينةالتي تربط المغربوالولايات المتحدة منذ عدة اجيال . وامتازت هذه الرحلة بالمذكرات والمساعي الهادفة الى تنشيط التعاون الاقتصادي والتقني بين البلدين ، كما اسفرت عن عقد اتفاق فى ميدان التعاون الثقافي سيكون من نتائجه تأسيس جامعة جديدة بطنجة تفتح لبلدنا ولبلدان القارة الافريقية جمعاء آفاقا جديدة للمعرفة والتقدم .

## نشاطنا الديبلوماسي

وقد ابرمنا ايضا خلال السنة المنصرمة عددا من المعاهدات والاتفاقيات نتيجة اتصالات وزاريات متبادلة — على مستوى الوزراء والخبراء والموظفين السامين — بين مملكتنا والبلدان الصديقة .

وفى نطاق النشاط الديبلوماسي الذي نتوخى من ورائه توسيع آفاق بلادنا الاقتصادية والتجارية ، وفتح مجالات جديدة ومتنوعة امامها ، وجهنا وفدا اقتصاديا مهما الى اقطار اوربا الشرقية مستقصيا امكانيات انماء المبادلات التجارية معها ، وتزويد المغرب بمواد التجهيز التي تصنعها ، وقد ادت الاتصالات التي اجراها هذا الوفد الى نتائج ايجابية .

وتتميما للنشاط الذي بداناه فى سبيل التعاون الاقتصادي والتجاري والمالي مع الدول الغربية والشرقية زارت مملكتنا وفود عديدة تتألف من فنيين وخبراء ، ومن كبار رجال الاعمال جاءوا ليدرسوا مشاريعنا الصناعية والفلاحية قصد المساهمة فى انجازها بالتمويل او الخبرة الفنية .

## تعاون مكين مع جميع المنظمات العالمية الكبرى

وعلى الصعيد الدولي العام واصل المغرب سياسة التعاون المكين مع جميع المنظمات العالمية الكبرى والجهوية والهيآت واللجان المتفرعة عنها ، وحضر مؤتمراتها واجتماعاتها ووفى بجميع التزاماته وتعهداته نحوها ، وكانت مساهمتنا وتدخلاتنا ايجابية اثناء اجتماعات منظمة الوحدة الافريقية التي نومن بجدواها وفعاليتها فى تقارب الدول الافريقية وتوحيد صفها ، وكذا اثناء الاجتماعات المنعقدة فى ظل جامعة الدول العربية ، الا اننا نلاحظ ان المحيط العربي مع الاسف الشديد اسباب الخلاف والشقاق تتفاقم بين بعض دوله رغم ميثاق التضامن العربي الموقع من طرفها فى مؤتمر القمة العربي الثالث بالدار البيضاء ، وقد سعينا وما زلنا نسعى فى تبديد سحب الخلاف والتفرقة والبحث عن اسباب التقارب والتفاهم بين اشقائنا العرب ليتسنى للدول العربية فى اطار جامعتها ان تدرس المشاكل التي تهمها وتستوجب عنايتها ، وخاصة قضية فلسطين التي يفرض تحريرها تضافر القوى واجتماع الكلمة وخلوص النية والعمل .

شعبي العزيز

لم تكن جهودنا بعد استرجاع استقلالنا مقصورة على ما اسلفنا بيانه من سعي دائب وعمل متواصل لتثبيت وجود بلادنا فى الصعيد العالمي ، والقيام بالدور النافع المجدي فى المحافل الدولية والمنظمات الاممية ، بل تناولت تلك الجهود حياة البلاد الداخلية ، واتجه تفكيرنا الى كل ما من شانهان يجعل من هذه الحياةحياة زاخرة بحركة لا تنقطع ، مؤداها وغايتها تقويم الاوضاع وتحسين الاحوال .

## رخاء لجميع المواطنين

وانك لتذكر اننا اصدرنا فى ربيع سنة 1965 التوجيهات التي استعرضنا فيها عدة جوانب من حياة بلادنا ، واوضحنا فيها ما لاحظناه من نقص يستوجب التلافي وخلل يستلزم العلاج ، ولم يمض على صدور توجيهاتنا الا مدةوجيزة حتى اخذنا على عاتقنا اخراجها من حيز النظر والتقرير الى مجال التطبيق والتنفيذ . فكان لزاما علينا ان نوثر بعنايتنا الميادين التي اوليناها

يتجاوز سد هذه الحاجيات الى امدادنا بالمحاصيل التي نستطيع بتصديرها وتسويقها الحصول على ما يعوزنا من ادوات التجهيز او ما نرغب فيه من تكثير مواردنا من العملة الصعبة ، ولذا فقد اتجهت عنايتنا الى بناء السدود ، ليتاتى لنا توسيع نطاق السقي ، واستثمار انتاجنا للطاقة الكهربائية الضرورية لنمونا الاقتصادي ، اكبر مساحة ممكنة من اراضينا الزراعية ، وتقوية وكبح جماح الانهار ، وتذليل تدفق مياهها تذليلا يدرأ عنها اخطار الفيضانات وفقدان التربة .

## دراسة حوض سبو قصد استغلال مياهه

واول ما استرعى اهتمامنا ناحية الغرب الخصبة التي تصاب مرة بعد اخرى بفيضانات من جراء اكتساح نهر سبو وروافده لهذه الناحية التي كثيرا ما منيت بخسائر جسيمة ، وقد اسفر هذا الاهتمام عن القيام بدراسة لحوض سبو قصد استغلال مياهه لتجهيز الاراضي التي يتخللها هذا النهر ، وهكذا انشأ المشروع الذي يعرف بمشروع سبو ، ويكفي للدلالة على اهميته ان الامر يتعلق بمساحة تبلغ اربعة ملايين من الهكتارات وبعدد من السكان يبلغ ثلاثة ملايين نسمة ، وبفضل مياه سبو وروافده والاراضي الصالحة التي تخترقها هذه الانهار ، وخاصة اراضي اقليمي فاس ومكناس ، ستصبح هذه المنطقة في ظرف 25 عاما منطقة ثرية غنية نامية الى اقصى حدود النمو ، وستتوفر هذه المنطقة بعد الفراغ من انجاز المشروع على اثنى عشر سدا على انهار ورغة ، وبناون، وسبو ، وسيكون اهم هذه السدود سد مجارة ، وسد عربات وسد دار العرصة ، ومن شأن هذه السدود ان تمكن من سقي مساحة تبلغ 300.000 هكتار ، ، منها 250 الف هكتار من اراضي الغرب الصالحة لزراعة الحوامض وقصب السكر ونباتات الرعي والأرز والقطن والشمندر ، كما ستتيح احداث معامل لتمويل وتكييف المنتجات الفلاحية وتزويد هذه المعامل وجزء من تراب مملكتنا بالطاقة الكهربائية ، وسيكلف تحقيق هذه المنجزات تخصيص اعتمادات قدرها 300 مليار من الفرنكات تصرف على التوالي طيلة ثلاثين عاما .

ولما كان هذا المشروع العظيم من الاهمية حجما ومردودا بالمكانة التي ذكرناها ، فقد اتصلنا بالمنظمات الدولية التي تتبعت بواسطة البنك الدولي المرحلة الاخيرة من الدراسة ، واستقر الراي على ان يقترح في الايام المقبلة تمويل المرحلة الاولى من انجاز هذا المشروع وهذه المرحلة تخص جانبا من ناحية الغرب ، وسنبدأ بتشييد سد عربات على نهر يناون الذي يستغرق تشييده اربعة او خمسة اعوام ، يتسنى بعدها سقي 80 الف هكتار واستثمارها .

## عناية باقليم تافيلالت

ولم يقف اهتمامنا عند نهر سبو وروافده والمنطقة التي يمر بها هذا النهر ، بل وجهنا عنايتنا الى اقليم تافيلالت ، الذي لم يظفر طيلة مدة الحجر والحماية بما هو قمين به من رعاية والتفات ، والذي يصاب هو ايضا بخسائر جمة ، كلما امتد فيضان نهر زيز الى الاراضي المجاورة ، فصح عزمنا على بناء سد على هذا النهر ، وخاطبنا مشاعرك والاريحية التي جبلت عليها ، فكان لخطابنا في نفسك الاثر الحسن الذي توقعناه ، وقبلت راضيا مستبشرا ان تتحمل نفقات بنائه وانجازه، وقد عهدنا الى شركة امريكية ، تعد من اكبر شركات العالم ، بالقيام بالدراسات الضرورية فتم اختيار موقع السد ، ورسمت خصائصه وصفاته وسيشرع في اعمال البناء في نهاية السنة الحالية ان شاء الله ، على ان الاعمال التمهيدية لهذا البناء ، وتجهيز اراضي منطقة السد تباشر من الان بتعاون بين مختلف الوزارات .

## مساعدات من دول شقيقة وصديقة

وما كانت عنايتنا بالمنطقتين السالفتين لتنسينا مناطق اخرى من بلادنا جديرة بان تنال حظها من تفكيرنا وجهودنا المتلاحقة لتساهم بدورها في التنمية التي نريد ان تكون شائعة غير محدودة وشاملة غير مقصورة ، فكان حقا علينا ان نوجه نظرنا الى نواحي الجنوب من مملكتنا ، ونعمل على تجهيز اكثر عدد ممكن منها ، استبدالا للركود بالحركة المثمرة فيها ، وتنشيطا لها بتيسير وسائل الاستثمار ، والحاقا لها بأخواتها المحظوظة ، فعقدنا النية على بناء سد آيت عادل على نهر تاساوت ، ودشنا بنفسنا الاعمال الاولى لبنائه ، وستقوم بانجازه شركة المانية ، الا اننا سنقترض المبالغ المالية لتمويله من دولتين تربطنا بهما امتن روابط الصداقة والاخاء ، وهما الكويت وايران ، كما اتخذنا قرار اقامة سد بزاوية نورباز في اثناء زيارتنا الاخيرة لاقليم ورزازات ، وقد تكفلت هيأة روسية بالقيام بالدراسات اللازمة لاقامته ، وقبلت صديقتنا دولة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ان تقرضنا المبالغ الضرورية لتمويله ، هذا وقد اصدرنا

واملنا وطيد ان تفضي هذه المبادرة الى النتيجة المطلوبة ، ويكتب لها ما هي خليقة بـه من نجـاح ، لان استفادة العمالات والاقاليم من ريع الاراضي المبذولة لها سيفرض عليها ان تتحمل نصيبهـا الاوفر من تلـك الاعباء التي ترهق في هذا المضمار ميزانية الدولة .

واذا كنا قد شرعنا من النصـوص ما يقتضـي تمليك الاراضي في اطار نظام الاصلاح الزراعي ، وضمنا هذه النصـوص ما يدعـو اليه التبصـر من التحـري والاحتياط ، فاننا قد وضعنا حـق انتفـاع العمـالات والاقاليم في نطاق احكام قانونية تبين الدور الذي يجب ان تقوم به الدولة من حيث التخطيط ووضع البرامـج الفلاحية ومراقبة التسييـر ، كما تبيـن الالتزامـات المفروضة على هذه العمـالات والاقاليم فيما يرجـع للاستغلال والاستثمار وتدبير مختلف الشؤون .

وهكذا اقررنا هـذا النظام لاستغـلال الاراضـي المسترجعة كوسيلة اخرى من وسائل سعينا في تنميـة مصادر ثروتنا ونشر الرخاء وتوسيع رقعة الازدهار في انحـــاء مملكتنـــا .

## الجهاز الاداري وتنمية الفلاحة

وما كنا لنترك الجهاز الاداري المسؤول عن تنمية الفلاحة واستثمار خيرات بلادنا الزراعية على الحالـة التي كان عليها بعد ما اقمنا قواعد الاصلاح الزراعـي واسندنا الى العمالات والاقاليم حـق الانتفاع بجملـة صالحة من الاراضي التي اصبحت ملكا للدولة ،ذلك ان التدابير التي اتخذناها في هذين الميدانين اقتضت منا ان ننصرف لدراسة الاوضاع الادارية لوزارة الفلاحة ، لنرى ما يستوجب منها المحافظة والابقاء ، وما يستدعي التقويم والتعديل،فتبين لنا من هذه الدراسة ان مكتب الاستثمار الفلاحي الذي خلف المكتب الوطنـي للري ، ومكتب التجديد القروي ورث اختصاصات كانت من الجسامة والاتساع والشمول بحيـث انقلت كاهلـه ، وحالت بينه وبين اداء ما انيط به من مهام على الوجه الذي يبعث على الاطمئنان والارتياح ، فاستقر راينا على ان نعيد المياه الى مجاريها،وذلك باسناد بناء السدود الى وزارة الاشغال العمومية والمواصلات ، وقيـام وزارة الفلاحة والاصلاح الزراعي باستعمال الميـاه المدخرة المخزونة للسقي والاستثمار .

ولضمان الفعالية القصوى لاعمـال الاستثمار ، ولاعطاء الصبغة الاقليميـة للمؤسسـات العاملـة على التنمية الاقتصادية ، قررنا توزيع هذه الاعمال توزيعـا جهويا من شانه تفادى كل تأخيـر يمكن ان يطـرا على تنفيذ برامج التنمية الفلاحيـة ، بـدلا من تركيزها على الصعيد الوطني تحت مسؤولية مشرف واحـد ، كمـا قررنا الى جانب هذا ان نحقق تقاربا وتعاونا وانسجاما بين المستفيدين من الاعمال وبين المصالح المعهود اليهـا بتطبيق السياسةالفلاحية للحكومة على ضوء الاعتبارات الخاصة بكل اقليـــم .

## مكاتب جهوية للاستثمار

وهكذا انجزنا لحد الآن احداث سبعـة مكاتـب جهوية للاستثمار في المناطق التي تتوافر فيها امكانيات شتى بفضل السقي لتقوية الانتاج الفلاحي .

وقد راعينا ان يشارك في اعمال المجالس الادارية لهذه المكاتب وفي اعمال لجانها التقنية اعضاء حكومتنا ، وطائفة من موظفيها الاداريين منهم والتقنيين، وعدد من المنتخبين في الصعيد المحلي ، وحددنا بكيفية مدققة عدد دورات عمل المجالس الادارية واللجان التقنية . فقصدنا من هذا العمل المشترك ان تتآزر المساعي والجهود لما فيه خير الاقاليم ، كما قصدنا ان تكـون هذه المكاتـب الجهوية تشخيصا للامركزية التي نسعى لاقرارها كلما تبين لنا ان في اقرارها ضمانا للفوز والنجاح .

ولقد اصبحـت وزارتنا في الفلاحـة والاصـلاح الزراعي بعد تعديل اوضاعها تمارس اختصاصات مكتب الاستثمار عن طريق المكاتب الجهوية في المناطق المسقية، وبصفة مباشرة في الاجزاء الاخرى لمملكتنـا ، وكان من الضروري بعد هذا ان تتوفر مصالحها على جهاز اداري تنيط به مهمة السهـر على شـؤون المكاتـب الجهوية للاستثمار ، فاحدثنا بها مديرية لتكون اداة فعالة يمكن ان يعتمد عليها الوزير في ممارسة ما هو مطوق بـه من مسؤوليات في هذا المضمار .

واننا لنرجو من وراء هـذا الاصلاح ان يستفيـد الفلاح من برامج الاستثمار ومن اعمال المكاتب الجهوية، وان يكون مدعاة له لمضاعفة الجهود حتى يساهم بالحظ الاوفى في معركة التنمية التي نخوضها بعون الله واثقين بالنصر المبين .

ولن يكتب النجاح لسعينا المتصل قصد مضاعفـة الانتاج الفلاحي ، وتنميـة هـذا المصدر الحيـوي من مصادر ثروتنا الوطنية ، الا اذا اعددنا جميع الوسائل الكفيلة ببلوغ الغاية ، ووفرنا جميع حظوظ الاستثمار الذي لا يقتصر على سـد حاجياتنـا فحسـب ، وانما

تنصرف همتنا الى الفلاحة دون الصناعة ، ولم تستأثر الصناعة بتفكيرنا وحدبنا دون غيرها من وجوه العمل المثمر ، فالى جانب ما كنا نبذله من جهود متواصلة قصد استخراج اكثر الثمرات من بطون الارض ، كنا نوالي السعي لاحداث صناعات جديدة ، او لتقوية الصناعات المنتشرة ببلادنا، ولمضاعفة انتاجها ، واستعمال وتحويل موادنا الطبيعية وتشغيل اكثر عدد ممكن من اليد العاملة ، واستطعنا في هذا الميدان ان نوزع صناعاتنا على جهات مملكتنا التي كانت محرومة من التصنيع ، وان نتخذ التدابير الضرورية لتحسين احوال مؤسسات الدولة او المؤسسات التي تشترك فيها اموال الدولة والاموال الخاصة ، وذلك من الوجهات الفنية والمالية والتجارية ، فتناول اهتمامنا صناعات التغذية والنسيج وتركيب الآلات الفلاحية والسيارات والشاحنات واجهزة الراديو والتليفزيون ، وكذلك الصناعات المتممة لها ، وهكذا احدثنا معملين لصناعة السكر ، احدهما ببهت ، والآخر بتادلة ، وابرمنا عقدا لاحداث معمل ثالث بابن القصيري سنضع حجره الاساسي في الايام القادمة ، وسينتج كل سنة ابتداء من شهر مايو سنة 1968 : 000 50 طن من السكر الخام ، فعلاوة على ما نستفيده باحداث هذه المعامل من توسيع نطاق الاستثمار بزراعة الشمندر ، فاننا سنوفر للبلاد شيئا فشيئا بوسائلها الخاصة ما تدعو الحاجة اليه من السكر ، وسنسير كلما احدثنا معملا من هذا القبيل في طريق الاكتفاء والاستغناء عن الاستيراد ، وان من المفيد في هذا الباب ان نشير الى الاتفاق الذي حصل بيننا وبين شركة تكرير السكر بالدار البيضاء ، فقد ادمجنا بهذا الاتفاق في دائرة خطتنا الرامية الى صنع السكر ببلادنا معملا من اكبر المعامل لتكريره ، فاذا اضفنا الى هذا ان معملا لاستخلاص الزيت هو الان في طور الانجاز بالقنيطرة ، وان معملا آخر لتحويل الذرة انشيء بالدار البيضاء ، وان هذين المعملين يتطلبان توظيف مليارين و 800 مليون من الفرنكات امكنك شعبي العزيز ان تكون على بينة من مقدار استثمار الاموال الذي تستدعيه صناعتنا الفتية ، هذا فضلا عن الاستثمارات الاخرى التي تستوجبها صناعات النسيج وتركيب السيارات والشاحنات وغيرها من الآلات .

## اهداف في نطاق التخطيط الثلاثي

ويتضافر جهود الدولة والجهود الخاصة امكننا ان نبلغ في ميدان التصنيع طائفة من الاهداف التي ينص عليها مخططنا الثلاثي .

ولم يفتنا ان نعير بالغ الاهتمام لثروتنا المعدنية، لما بين هذه الثروة والتصنيع من صلة ماسة ، ولما بين استغلالها وتنشيط قطاعات ومرافق كالنقل والطاقة والموانيء من علاقة متينة ، فقد عنينا بالفوسفاط وبوسائل تحسين انتاجنا وبالمحافظة على المكانة المأثورة التي تحتلها بلادنا بين سائر الدول ذات الانتاج الغزير والتصدير الوفير ، ولقد شرعنا في استغلال منجم ابن جرير على الرغم من توفر بلادنا في المناطق المعروفة على الكميات الطائلة من الفوسفاط ، كما عنينا بمادة البوطاس فانصرفت الجهود الى التنقيب عن هذه المادة بحوض الخميسات قصد معرفة ما لدينا منها ودراسة تعدين المنجم واستغلاله ، وسيكون ولا شك لهذا الاستغلال اثره الفعال في نمو منطقة الخميسات وازدهارها، فضلاعما سيساعد عليه من صنع مجموعة الاسمدة التي تزداد رغبة الاسواق العالمية فيها يوما بعد يوم ، هذا وان العمل متواصل للتنقيب عن بقية المعادن واستغلالها سواء من طرف الدولة او من طرف القطاع الخاص — وجدير بالذكر في هذا المقام ان نشير الى اننا ابرمنا اتفاقا مع شركة اسوسطاندار الذائعة الصيت يقضي بالسماح لها بالبحث عن النفط في البحر قرب اقليمي اكدير وطرفاية ، وبالاضافة الى ما يقوم به معملا المحمدية وسيدي قاسم من تكرير للنفط والعمل على سد حاجيات البلاد بهذا الشأن ، فان صناعة الزفت ببلادنا ستبرز للوجود في مستقبل قريب بمساعدة هذين المعملين ، وان من شأن التنقيب عن المعادن واستغلالها وانشاء معمل لمركب الصلب باقليم الناضور ان يكون كل هذا عملا قويا في تنمية وتوسيع مرافق النشاط الصناعي .

وليس انطلاق النمو الاقتصادي كما نريد ان يكون الامر الميسور اذا كان التجهيز الاساسي للبلاد لا يستجيب لمتطلباته اما لانحصار شبكته في نطاق ضيق محدود ، واما لتلاشيه واندثاره بسبب القدم والبلى وقلة التعهد ولذلك فلم نكتف ببذل الجهود قصد صيانة تجهيز بلادنا والاحتفاظ به كأداة صالحة خليقة بمساندة الانطلاق المطلوب بل عملنا على تحسين هذا التجهيز وتوسيع شبكته فانتظم عملنا هذا الطرق والموانيء والملاحة الجوية والاسطول التجاري والطاقة الكهربائية والسكك الحديدية والمواصلات البريدية والسلكية واللاسلكية ، فأتممنا تشييد الطرق الثلاثية التي اوجبتها اقامة معملين لصنع السكر ببهت وتادلة والطريق الواصلة بين مدينتي وجدة وفكيك عبر بوعرفة وكذلك الطريق الممتدة بين كولمين وطانطان والعمل موصول

منذ مدة يسيرة امرنا باعداد الدراسات قصد بناء سد سيدي ادريس على النهر الاخضر ، وسدين آخرين احدهما بسوس والاخر بماسة ، وهكذا ستتوفر البلاد بعد سنوات معلومة على طائفة من السدود سيكون لها الدور الفعال بما تفدقه من مياه صالحة للسقي فى تبديل ملامح جملة من الاراضي وجعلها بعد الجدب والامحال مخصبة معطاء ، فكلما احدثنا سدا وادخرنا ماء اتسعت رقعة استثمار اراضينا ، وقوى دخلنا ، وتضاعفت مواردنا ، وامكننا بارتفاع الدخل وازدياد تلك الموارد ان تتوافر لدينا وسائل التجهيز النافعة وتمتد اسباب استغلال ثرواتنا ، واذا كانت احوال الطقس وتزايد عدد السكان وتصنيع البلاد ورغبتنا فى تنمية الاستثمار تفرض علينا ان نبث السدود فى سائر انحاء مملكتنا ، فان رغبتنا فى ربح الوقت شديدة ، وحرصنا اكيد على ان تباشر اعمال تجهيز الاراضي فى الوقت الذي تقام فيه السدود وتبنى ، وقد اصدرنا امرنا بان تسير اعمال التجهيز والبناء متوازية يواكب بعضها بعضا ، وعلى الرغم من هذه الرغبة وهذا الحرص فان انجاز ما اعددناه من مشاريع فى هذا الميدان لا يمكن ان يتم فى بضعة ايام او بضعة شهور ، ولا مناص لتحقيق هذه الاعمال من آجال تستغرق عددا من السنين .

## مقـــارنـــــة

ولتدرك شعبي العزيز مدى اهتمامنا بامر السدود وما نطيط بها من آمال ، فما عليك الا ان تقارن بين المساحات المسقية الان والمساحات التي سيمتد اليها السقي بعد بضعة اعوام ، وان تعلم ما لدينا من طاقة كهربائية وما سيكون لنا منها فى مستقبل الايام ، فالمساحات المسقية فى الوقت الحاضر لا تتجاوز 175 000 هكتار ، وما نتوفر عليه من طاقة كهربائية لا يتعدى مليارا و 300 مليون من الكيلواط ، فى حين ان السقي سيشمل بعون الله مليون هكتار من اراضينا الفلاحية ، وان الطاقة الكهربائية سيرتفع قدرها الى ثلاثة ملايير .

شعبي العزيز

لقد باشرنا باحداث مكتب التسويق والتصدير تجربة صدقت ما تفاءلنا به ونحن مقدمون عليها ، اذ اسفرت عن النتائج المنشودة والارباح المطلوبة ، واتجه سعينا طوال السنة السالفة الى تثبيت اقدام مكتب التسويق والتصدير ، والى جعل عمله داخل البلاد وخارجها اوسع مدى واكثر نفعا وجدوى ، ولم ننتظر ان يتسع نطاق انتاجنا لاجراء الاتصالات بالاسواق التقليدية وغيرها من الاسواق العالمية بغية ايجاد المنافذ لبضائعنا ومحصولاتنا .

ولنا اليقين بان انتاجنا وان تزايد وتضاعف لن يكون كلا على كاهلنا بل سنجد فيه منبعا من اغنى منابع ثروتنا ، وموردا من اوفر موارد بلادنا .

## الانعــاش الوطنــي

ولم تنحصر مساعينا وجهودنا فيما اسلفنا ذكره من تطبيق الاصلاح الزراعي ، ووضع نظام لاستغلال الاراضي المسترجعة ، واعادة النظر فى اوضاع وزارة الفلاحة والاصلاح الزراعي ، وفى تقرير بناء عدد من السدود ، بل عنينا بالانعاش الوطني ، فعملنا على ان تطرد الاشغال فى الميادين التي رسمناها له بصفة تزداد معها ساعات العمل، ويرتفع بها عدد العاملين فى الاوراش وتدرك الغايات التي من اجلها اسسنا هذه الطريقة ، وقد كانت النتائج سارة خلال سنة 1960 اذ استطعنا ان نرفع ايام العمل الى ما يناهز 20 مليون يوم ونشغل باستمرار 500 97 عامل فبنينا 500 كيلومتر من السواقي، و 93 صهريجا، و 17 حوضا ، و 10 خزانات صغيرة ، واستصلحنا 1100 هكتار من الاراضي ، وحمينا 000 15 هكتار من التربة ، وشيدنا 000 3 كيلو متر من طرق المواصلات و 5392 منزلا

ولم تقل عنايتنا بالمشروع الضخم الخاص بالنمو الاقتصادي للريف الغربي ، فكان له هو ايضا المكان المرموق من رعايتنا وعنايتنا ، الا ان انجاز هذا المشروع يتطلب نفقات لا يمكن ان تنهض بعبئها الدولة وحدها ، ولذلك فقد طلبنا مساعدة المؤسسات الدولية ليتأتى لنا من هذا العمل ما نريد ، ويطيب لنا ان ننوه هنا بما عرضته علينا بعض الدول الصديقة من مساهمة فى تحقيق هذا المشروع الذي سيفيد منه اقليم الشمال وسكان هذه الناحية اجزل الفوائد واسناها .

## بعــد الفلاحــة ... الصناعــة

وليست الفلاحة ووسائل تنمية الفلاحة على ما تكتسيه من اهمية بالغة فى هذه البلاد بكافية وحدها لخلق ذلك الازدهار الشامل الذي تتوق اليه مطامحنا وتتطلع اليه رغائبنا ، فقد كان وما يزال حرصنا شديدا على ان نهيىء لبلادنا جميع اسباب النمو ، ونمهد لها سائر سبل التقدم والرقي فى مختلف الميادين ، فلم

اوضاعها الاقتصادية وسيكون من بواعث مسرتنا وابتهاجنا ان تسلك مسالك هذه الشعوب وذلك باقبالك على الادخار والتوفير اقبالا يتسنى معه ان تاخذ بالحظ البالغ في المعركة التي نخوضها من اجل تقوية الانتاج وتنمية الاقتصاد ولذا فاننا نهيب بك شعبي العزيز ان تعتبر هذا الادخار وهذا التوفير واجبا وطنيا اكيدا لا تنحصر فائدة القيام به على الفرد وحده بل تعم سائر المواطنين .

وتقديرا منا لاهمية الادخار فقد اعدنا النظر في تنظيم صندوق التوفير وعملنا على تبسيط الاشتراك فيه تبسيطا يجعل الادخار في متناول افراد شعبنا على اختلاف مستوياتهم ، ويكفل رفع الحد الاعلى للتوفير الفردي ، وقد اصدرنا امرنا لوزيرنا في البريد بان يقوم في المستقبل القريب بتنظيم حملة للتوفير الوطني تستمر مدتها اسبوعا كاملا ستبرهن خلاله ولا شك عن وعيك وتبصرك وحرصك على ان تكون بلادك في طليعة البلاد التي ترنأ بنفسها عن التخلف وتأبى التواكل والتقصير .

## السياحة ...

وعلاوة على هذه الجهود المبذولة في الميادين الاقتصادية ، والعناية المصروفة لتنميتها اولينا وافر الاهتمام ايضا للسياحة التي حظيت بالاسبقية في المخطط الثلاثي لما يترتب عن وفادة السواح باعداد وفيرة على بلدنا من انتعاش كثير من الصناعات والمرافق وتشغيل لليد العاملة ، وتوفير للعملة الصعبة ، وازدياد تعرف الناس في الخارج على مظاهر شتى من حضارتنا وصنوف عديدة من عاداتنا وتقاليدنا .

وقد اسفر توجيهنا الفعال فيما يخص التنمية السياحية عن اعطاء تشجيعات في ميدان البناء ، فبرامجنا تستهدف من جهة تكثير وسائل الايواء ، وتستهدف من جهة اخرى النهوض بالمناطق المحرومة والاقاليم التي ينقصها التجهيز الكافي ، وقد ظهرت اعمالنا فيما شيد من الفنادق والمنشئات باقاليم ورزازات وقصر السوق وتطوان والحسيمة والناضور، وما عبدنا فيها من طرق ، وبنينا او وسعنا من مرافىء ومطارات .

وقد اوصينا ادارتنا بتشجيع الشركات الخاصة على الاسهام بحظوظ وفيرة في الميدان السياحي ، وتقوية تكوين المسيرين للمراكز السياحية في الشمال والجنوب على السواء ، ووجهنا عنايتنا الى تعزيز النقل البحري لتيسير قدوم السواح الى مملكتنا عبر مضيق جبل طارق ، فاسسنا شركتين بحريتين قوميتين ، وشرعت الخطوط الجوية الملكية في توسع علاقاتها مع الخارج توسيعا سينمو شيئا فشيئا حتى يمتد الى جهات عديدة من المعمور .

ولما كانت الجمعية العامة لمنظمة الامم المتحدة نادت بجعل السنة الحالية سنة دولية للسياحة ، قررنا اتخاذ جميع التدابير الكفيلة بتسهيل قدوم السواح الى بلدنا وتيسير الاقامة المريحة لهم في سائر الجهات، مع مضاعفة العناية بالتعريف ببلدنا في مختلف البلاد الاجنبية لترغيب سكانها في زيارة وطننا للوقوف على مآثره التاريخية ، ومعالم نهضته الجديدة ، الى جانب الاستمتاع بجمال طبيعته الفاتنة ، وحسن استقبال شعبه الكريم المضياف .

## زيارة متعددة للاطلاع على الاحوال

واذا كانت اجهزتنا من حكومية وادارية ، تتابع منها النشاط وتوالي المجهود تخطيطا وتدبيرا لخلق الازدهار المنشود ، وتيسير الانتعاش المأمول ، فان المؤسسات التمثيلية الاقليمية والمحلية لم تكن في معزل عما تتقلب فيه البلاد من اعمال عمرانية ونشاطات استصلاحية وتجهيزية مفيدة ، بل شاركت فيها برزانة وواقعية ، ولما لنا من ايمان بان الاتصال المباشر المستمر مع رعايانا هو خير وسيلة للاطلاع على احوالهم ومعرفة احتياجاتهم والاستماع الى رغباتهم ومطالبهم لم نفتأ نتجول في اطراف البلاد ، ونعرج على القاصي منها والدان ، وقد زرنا في السنة المنصرمة اقاليم قصر السوق وورزازات وبني ملال وعمالة الدار البيضاء، واقليمها ووقفنا في عين المكان على مشاكلها واتخذنا التدابير المتعينة لحلها ، واجرينا في كل مكان اتصالات مباشرة نعتبرها ابرز مظهر للتجاوب العميق. القائم بيننا وبين شعبنا الملتف حول عرشنا .

## تنمية المجتمع ...

واثر الخطاب الذي وجهناه بمناسبة الذكرى الاخيرة لميلادنا ظهرت جدوى العمل المنسق بين السلطات والسكان بصورة خاصة في مجال تنمية المجتمع ، فقد تم تحت اشراف وزارة الداخلية ، بناء ما يقارب سبعة آلاف مسكن في عمالات القنيطرة وقصر السوق ووجدة وتطوان وآسفي فتحقق بذلك في وقت قصير ضمان السكنى للمنكوبين بالكوارث الطبيعية ، كما تجلت فائدة ذلك التعاون في المجال الفلاحي باقليم بني ملال على وجه اخص ، حيث فتحت آلاف الاوراش ومدت مجاري الماء في الاطراف الصحراوية من مملكتنا

لاتمام تشييد الطريق التي ستربط بين اقليمي قصر السوق وورزازات ، وسنفرغ ان شاء الله من هذا العمل في نهاية السنة الحالية ، والى جانب هذا فان جهات من شمال مملكتنا سيتصل بعضها ببعض بما تقوم به مصالحنا المختصة من انجاز للمشاريع في هذا الميدان ولتقوية جهاز مواصلاتنا بصفة عامة فان هذه المصالح عاكفة الان على دراسة مشاريع اخرى نأمل ان تنتهي خلال السنة الحالية ليتأتى لنا انجاز هذه المشاريع وتحقيقها .

## تشييد ميناء جديد ، وتوسيع عدد آخر من الموانىء

ولقد امكننا ان نتم في العام الماضي تشييد ميناء المضيق وتوسيع ميناء الدار البيضاء وميناء طنجة وميناء آسفي وان نواصل الدراسات لاحداث ميناء الناضور في اقصر الآجال لما بين انشاء هذا الميناء وبين مركب الصلب الذي نعتزم اقامته من صلة وثيقة ، هذا بالاضافة الى ما سيترتب عن وجود هذا الميناء على شاطىء البحر المتوسط من امكانيات سنتوفر عليها عند ما نحقق استثمار الاراضي التي سوف يسقيها مشروع قليلة الذي تم انجازه وسيكون هذا الميناء منفذا لثروة اقليم المغرب الشرقي تلك الثروة التي لا تخفي عليك اهميتها والتي ستزداد يوما بعد يوم بالاستثمار والانماء.

## المنطقة الحرة التجارية بطنجة

ولم تنقطع عنايتنا بطنجة التي اسسنا فيها منطقة حرة تجارية فقد وصلنا هذه العناية بالاهتمام باحداث منطقة صناعية حرة بها ، وبعد الفراغ من الدراسات التي يقتضيها مثل هذا المشروع اصدرنا أوامرنا بابرازها الى الوجود ، وها هي الان في طور الانجاز والتحقيق ، على ان عنايتنا بمدينة طنجة لا تنحصر في هذا فقد أولينا جانب السياحة منها حظا من اهتمامنا فوجهنا مصالحنا المختصة التوجيه الكفيل بجعل هذا المفرنأ الجميل اكثر جاذبية واقوى استمالة للنفوس .

## المطـــارات ...

ولم تقف جهودنا في مضمار التجهيز عند هذا الحد اذ بالاضافة الى ما قمنا به من تمديد رصيف اقلاع الطائرات ونزولها بمطار سلا وتجديد أبنيته ومرافقه حتى صار مطارا دوليا فاننا سنشرع في الايام المقبلة في تحويل ما كان قاعدة بالنواصر الى مطار لا تفصل بينه وبين الدار البيضاء الا مسافة يسيرة يتوفر من حيث الامكانيات على ما تتوفر عليه عادة المطارات الكبرى ذات الصبغة الدولية والصيت الذائع .

## توسيع الشبكة السلكية واللاسلكية

ولنا اليقين شعبي العزيز بان الجهود التي صرفناها الى تيسير الاتصال البريدي وتوسيع الشبكة السلكية واللاسلكية ستفضي بنا الى تحقيق اهداف المخطط الثلاثي الرامية الى اقامة اجهزة لربط المواصلات البريدية وبعدد كبير من المناطق التي كانت تنتظر لحد الان اكتمال تجهيزها والى تسهيل الاتصال المباشر بين مدننا الكبرى من جهة ، وبين مملكتنا وباقي اقطار العالم من جهة اخرى ، وان الجهاز الضخم الذي تم انجازه بالدار البيضاء لخليق بان يعتبر بمثابة المحرك الحيوي لمجموع شبكة اتصال مدننا بعضها ببعض او اتصالنا بالخارج ، وبهذا سنكون قد ضمنا الاسس اللازمة لتمتين واحكام اسباب مواصلاتنا سواء كانت هذه المواصلات داخل البلاد او مع اقطار المعمور .

وقد تم خلال السنة المنصرمة توحيد الشبكة السلكية واللاسلكية بالغاء الامتياز الذي كان مخولا لشركة التلفون بطنجة ، كما تم ربط خطوط التلفراف والتليكس المباشر بين طنجة والعواصم الامريكية والاسيوية ، وقد تحقق منذ بضعة ايام الاتصال المباشر بأقطار المغرب العربي وامكننا ان نخاطب عن طريق الهاتف صديقنا الهمام فخامة رئيس الجمهورية التونسية ولن تمضي الامدة يسيرة حتى يمكننا الاتصال الاوتوماتيكي بمختلف العواصم الاوربية .

ولا يعزب عن اذهاننا ما لهذه المواصلات على اختلاف اشكالها وهذه التجهيزات على تعدد اصنافها من اثر فعال في تنشيط حركة السياحة ببلادنا وانبعاث اقتصادنا .

## التوفير والادخار

شعبي العزيز

انا بعد ما استعرضنا طائفة من المنجزات والمشاريع التي من شانها ان تحقق الانبعاث الاقتصادي نود ان نسترعي نظرك الى اهمية عامل من انجع العوامل في مجال التنمية والازدهار ذلك العامل هو التوفير والادخار الذي اتاح لبعض الشعوب المساهمة في تطوير

والمراجعة ان اظهرت التجربة نقصا فى بعض جوانبه ، او اقتضت سنة التطور اعادة النظر فى بعض احكامه .

وما زلنا نواصل السعي ونوالي الجهود لاقامة النظم الادارية على اسس محكمة بتوحيد الاجهزة المتماثلة وازالة العراقيل والصعوبات التي تعترض سير الادارة، وتقرير الوسائل الكفيلة باجتناب التبذير .

وقد وجهنا عنايتنا لتنظيم وزاراتنا وتحديد اختصاصاتها حتى تستطيع القيام بالمسؤوليات الملقاة عليها ، والاسهام فى المشاريع العامة فى دائرة ما انيط بها من مأموريات. وقد قطعنا اشواطا لا يستهان بها فى هذا المضمار ، اذ تم اعداد النصوص المنظمة لبعض الوزارات والعمل حثيث لانجاز ما بقى حتى يدخل هذا الاصلاح فى حيز التطبيق .

## خطواتنا الثابتة فى ميدان التشريع

وليس بخاف عليك شعبي العزيز اننا غداة استرجاع الاستقلال وجدنا انفسنا امام ميراث تشريعي ثقيل، فخلال اربعين سنة وضعت للبلاد احكام وقوانين لم يكن معظمها ملائما لمصلحة اهليها، كما لم تكن لتعقدها وتشعبها مما يعين على سير الادارة بسرعة . وكنا تجاهها بين امرين : اما ان نلغيها جملة فنقع امام فراغ تشريعي لا تخفى خطورته ولا تحمد مغبته ، واما ان نعمل على تعديلها واصلاحها وتجديدها بما يلائم الوضع الجديد للبلاد ، ويخدم مصلحة المواطنين وهو امر شاق عسير لا يتيسر عمله فى وقت قصير ، لهذا تنكب لجان من الفنيين التابعين لمختلف الوزارات على دراسة العراقيل التي تعوق سير الجهاز الاداري وطرق معالجتها ، وعلى النظر فى تبسيط الاجراءات الادارية وتحقيق اللامركزية داخل اجهزة الدولة وعن طريق اشراك الجماعات المنتخبة فى المسؤوليات العامة ، وستعرض علينا اللجان المذكورة عند ما تتم عملها عددا من الاختيارات فيما يخص الاصلاحات المقترحة ، وعلى ضوء الدراسات المنجزة ستتخذ التدابير الكفيلة باصلاح الاوضاع والاساليب الادارية فى نطاق التوجيهات التي رسمناها ، وطبقا للاهداف التي لم نفتأ نعمل لتحقيقها، حتى نجعل من ادارتنا اداة صالحة قادرة على القيام بمهامها خير قيام .

ومع ما يتطلبه تحقيق التنمية من اموال ، ويستلزم اتساع اجهزتنا الادارية من نفقات فلقد ظلت سياستنا المالية تسير فى نطاق توجيهاتنا مستهدفة المحافظة على ميزانية عمومية سليمة دون اللجوء الى فرض ضرائب جديدة ، وضمان الاستقرار لعملتنا بايجاد تعادل فى ميزان الاداءات ، وتوفير الشروط الضرورية للتوسع الاقتصادي بتقوية الانتاج عن طريق استثمارات عمومية وخصوصية فى القطاعات ذات الاسبقية .

## مواصلة تطبيق سياسة التقشف

وهكذا واصلنا سياسة التقشف التي شرع فيها منذ سنة 1964 فالغيت او خفضت جميع الاعتمادات غير اللازمة لسير الادارة ، ولم تقع زيادة ـ ان لم يقع نقص ـ فى الاعتمادات التي لا انتاج من ورائها وصرفت المبالغ المقتصدة الى القطاعات المنتجة .

وقد عزز القانون المالي لسنة 1967 النتائج المحصل عليها ، فلم ترتفع مصاريف التسيير فى الميزانية العامة الا ارتفاعا ضئيلا جدا لا يتجاوز 78 ، 1 فى المائة ولن تكلف تغطية هذا المبلغ على ضآلته المواطنين شيئا ، لاننا حريصون على اجتناب اي تدبير ضرائبي جديد .

شعبي العزيز

اذا كان هذا هو ما نستهدف من تحقيق تنمية شاملة ، ونتوخى من خلق نهضة واسعة تنتظم مجالات الفلاحة والصناعة وسائر مرافق الاقتصاد ـ قصد توفير الحياة الكريمة لافراد شعبنا بالمدن والقرى ، والجهات القاصية والدانية ، فان جهودا موازية تبذل بعناية فى ميادين اخرى تسهر بدون انقطاع على ان تلحق المواطنين فائدتها ، وتعود عليهم بالخير عائدتها .

## السعادة المنشودة

ومن البديهي ان السعادة المنشودة ، والكرامة المأمولة لا تتأتيان بمجرد سد الرمق،وكساء جسم واحراز مسكن ، ولكنهما تتمثلان ـ بالاضافة الى ما سلف ـ فى انبساط رواق العدل ، وانتشار الثقافة والتعليم ، وخلو الحياة مما يكدر صفوها من علل وادواء .

## فى ميدان العدل ...

واننا لنسجل بكامل الفخر والاعتزاز ـ فى ميدان العدل ـ مدى السرور الذي يغمرنا ونحن نلمس عن كثب نتائج المرحلة الحاسمة التي اجتازها قضاؤنا بعد ان تم توحيده وتعريبه ومغربته ، فلقد سهرت وزارتنا فى العدل على عمل المحاكم فى تلك المرحلة بعين يقظة ، فلم يتوقف سيرها ولم ينقص انتاجها رغم ما كلف ذلك من مجهودات يومية وتضحيات مالية ليست بالهينة .

وعلاوة على ذلك بذلت هذه الوزارة قصارى جهدها فى تطبيق تعلماتنا الرامية الى مراجعة التشريع

## اهتمام باجهــزة الاعــلام

وقد قررنا احداث اقاليم جديدة تقريبا للسكان من رجال الادارة ، وسيرا فى طريق اللامركزيـة التـي نعتقد انه يعين على خلق الازدهار المنشود ، ولم نفتـأ نعير وسائل الاعـلام الاهتمـام الجديـرة به ، توعيـة للمواطنين ، وتنويرا لاذهانهم واطلاعا لهم على المنجزات التي تحققها الدولة لفائدتهم ، وتعريفا بما تقطعه الامم المتقدمة من اشواط فى المجالات العلميـة والاقتصادية والاجتماعية ، وقد اعيد تنظيم الاذاعة والتلفزة المغربية على اسس جديدة ، وقطعت اشواط فى تنفيذ المخطط الخاص بالتلفزة فأمكن بالمحطات التي تم بناؤها وصولها الى اقليمي وجدة والناضور ، كما سيمكـن بالمحطـات التي تبنى الان نقلها عبر الاطلس الى اقليم سوس .

## هدفنا من انشاء وزارة التنمية

ومن البديهي ان هذا المجهود الجبار الذي يشمل ميادين عديدة ويتطلب امكانيات كثيرة لا يمكن ان يؤتي ثمارها المرجـوة الا اذا تناسقـت الخطى وتجانسـت الاعمال ، وهذا ما تضطلع به وزارة التنمية التي انطنـا بها تحريك وتنسيق جميع الاعمـال الهادفة الى خلـق ازدهار اقتصادي فى البلاد .

ولما كانت المخططات لا ترتجل نظرا لما يترتب عن تنفيذها من آثار عميقة بعيدة المدى فان لجانا مختصة من الفنيين المغاربة بما فيهم الاحصائيين التابعين لوزارة التنمية تجتمع باستمرار وتعمل على اعداد المشاريـع الجديدة التي سيتضمنها المخطط المقبل ، هذا المخطط الذي سيحتفظ بالاسبقيات التي اشتمل عليها المخطط الثلاثي مع اضافة الصناعة ، ولا سيما الصناعة التـي لها ارتباط بالانتاج الزراعي .

## التكويــن المهنــي

ان مخططات التنمية وما بيناه من برامج ومشاريع مرهون نجاحها بتوفير الاطارات ، ومضاعفة الجهود فى ميادين التكوين العلمي والتقني وهذا ما تعني به جميع الوزارات فى الوقت الراهن،وتقوم كتابةدولتنا فىالتكوين المهني بدور هام فى توجيه الطلبة الذين ينهون تعليمهم الثانوي توجيها يتلاءم واحتياجات البلاد ، مع مراعاة ما لهم من ميول واستعدادات لكن ما تخرجه الثانويات كل سنة من حاملي شهادة البكالوريا لا يفي بمتطلباتنا منهم ولا سيما المتخرجين من الشعبة العلمية الذين لا يـزال عددهم قليلا ، فقد احرز فى الصيـف الماضـي 1712 طالبا على شهادة البكالوريا بقسميها العربي والفرنسي ، لا تتعدى نسبة الذين كانوا يتابعون الدراسات العلمية منهم 35 فى المائة ، اما طلبة التعليم العالي بالمغرب البالغ عددهم 8.503 فان نسبة الذين يتابعون منهم دروسهم بالكليات والمعاهد ذات الصبغة العلمية لا تتعدى 21 فى المائة لكن هذه النسبة تبلغ 90 فى المائة بالنسبة للطلبة الممنوحين الذين يتابعون دراستهم العالية بالخـارج ، والذين يبلغ عددهم 1.894 طالبا ، وما لم تتكاثر اعداد الحاصلين على البكالوريـا العلميـة بالخصـوص فان احتياجات التنمية الى اطر وطنية كافية وافية ستبقى فى خصاص كبير ، وهو امر لا تخفى علينا خطورته ، لهذا قررنا ان لا تعطي الدولة منحا الا للطلبة الذين سيفيدون البلاد بخبرتهم فى الميادين العلمية والتقنية .

ونظرا لما للجهاز الاداري من اهمية بالغـة كاداة تعتمد عليها الدولة فى تنفيذ مخططاتها وتحقيق اهدافها فقد وجهنا عنايتنا لاصلاحه وتقويمـه ليضطلـع بالمهام المناطة به على احسن وجه ، وقد قررنا فى توجيهاتنـا الملكية المبادىء التي يجب ان تسيـر عليهـا الادارة ، ورسمنا مختلف الاصلاحات التي يتعين ادخالهـا على اجهزتها واساليبها ، حتى نضمن لها مزيد الفعاليـة فى دائرة تبسيط المسطرات المتبعة والتخفيف من مصاريف التسيير ، وقد انطنا بوزارتنا فى الشؤون الادارية السهر على تطبيق المبادىء التي رسمناها،والعمل مع الوزارات المختصة على انجاز الاصلاحات التـي ارتأينـا ضرورة القيام بها، وذلك زيادة على مراجعة النصوص التشريعية القديمة حتى تصبـح ملائمة للوضـع الجديد للبـلاد ، ومواكبة للتطور الحاصل فى جميع مرافقها .

## تنظيم مختلف اسلاك الموظفيــن

وقد كان من جملة ما قررناه من مبادىء فى توجيهاتنا الملكية ان يكون الموظفون سواء فيما يرجع الى الاجـور اذا كان مستواهم واحدا وعملهم متشابها ، وعلى ضوء هذ التوجيه سارت المصالح الحكومية المختصة فى اصلاح نظم مختلف اسلاك الموظفين ، وقد انجز هذا الاصلاح بعد دراسات عميقة لمختلف وجوهه وصدرت مجموعة من النصوص التطبيقية الخاصة بموظفي بعض الوزارات وستتلوها النصوص الباقية فى القريب العاجل ، ويتوج كل ذلك فيما بعد بتوحيد نظـام التعويضات فى اطـار الوظيفة العمومية مع مراعاة الاستحقـاق من جهـة ، وامكانيات الدولة المالية من جهة اخرى ، على ان هذا الاصلاح كما هو الشأن فى كل عمل انساني قابل للتنقيح

وتعاليمه المكان اللائق به في المدارس وقررنا ادماج المواد الاسلامية في البرامج والمناهج الجامعية واعطاءها الاعتبار اللازم في مواضيع الامتحانات .

كما افدنا شبابنا مما تهيئه لهم مؤسسات الشبيبة والرياضة من منشطات تربوية متنوعة تهدف الى ترويض اجسامهم ، وتمرين ملكاتهم العقلية والفكرية وتعرفهم بمحاسن بلادهم وجمال طبيعتها ، وتدربهم على تحمل المسؤوليات واداء الواجبات وانجاز المهام .

وقد ارتفع عدد الاطفال الذين استفادوا من العطل في المخيمات الصيفية من 25 الف طفل الى 41 الفا ينتمي جلهم الى القرى والاحياء الشعبية بالمدن .

## مجتمع ينعم بالصحة والعافية

ولما كانت مشاريع التنمية يتوقف انجازها على وجود مجتمع ينعم بالعافية وتخلو اوساطه وخلاياه من العلل ، فان العناية بالصحة وتيسير وسائل العلاج والسهر المتواصل على وقاية البلاد من الامراض والآفات التي تشل المجتمع وتجعله عاجزا ضعيفا لم تفتأ تشغل بالنا وتأخذ حظها المرموق من اهتمامنا ، ولقد ارتكز عمل وزارتنا في الصحة العمومية خلال السنة المنصرمة على تنمية تجهيزنا من المستشفيات والمستوصفات والمراكز الصحية كما نص عليه التصميم الثلاثي ، وعلى توسيع نشاط المرافق وتحسين مستواها وتكوين الاطباء المغاربة والمرضين وانشاء صناعة وطنية للادوية .

فلقد ارتفع عدد الاسرة بنسبة خمسة في المائة ، اذ اسسنا بأكادير وقلعة السراغنة ، وازمور ، والعرائش مستشفيات جديدة ، واضفنا طبقة جديدة الى مستشفى ابن باجة بتازة .

وفي الرباط ادخلنا احسن تجهيز عصري على مختبرات مستشفى « ابن سينا »والحقنا به اجنحة متعددة لنجعله متوفرا على جميع ما تستوجبه المراكز الطبية والجامعية في عالم اليوم كما باشرنا توسيع شبكة المراكز الصحية والمستوصفات ودور التوليد في المدن والقرى على السواء .

ونحن نستعين على بلوغ غايتنا التي هي تكثير الاطباء وتعميم العلاج بكلية الطب التي فتحت سنتها الجامعية الخامسة بالرباط ، واصبح لها مستوى مرموق يعود بالنفع العميم على طلبتها الذين يبلغ عددهم الان خمسمائة طالب ، ولما لنا من رغبة اكيدة في ان نرى كليتنا هذه تواصل سيرها بخطى ثابتة اصدرنا اخيرا عددا من النصوص التشريعية تتعلق بالاساتذة المعلمين بها ، وبحالة الخارجيين والداخليين والمتدربين بالمركز الصحي الجامعي بالرباط ، وبالمساعدين بالكليات .

ويباشر في نفس الوقت تكوين المرضين الكفاة ، والتقنيين المقتدرين لضمان العناية بالمرضى وتيسير اكبر الحظوظ لمعالجتهم وشفائهم .

وقد اصدرنا امرنا باتخاذ التدابير الكفيلة بتنمية صناعة صيدلية وطنية ، فأصبح قسم كبير من الادوية المستهلكة عندنا يصنع داخل مملكتنا ، وقررنا انشاء مختبر وطني لمراقبة الادوية المصنوعة من حيث جودتها وتكييفها وتكاليفها ، كما اننا عازمون على مراجعة الاسس التي تسير عليها الصيدلية المركزية لنضمن بكل ذلك من جهة جودة الادوية ، واعتدال اثمانها التي دخلت في قائمة المصروفات اليومية لكل بيت من جهة اخرى .

واذا كانت صحة عموم رعايانا تستأثر منا بكل تلك العناية فان ذلك لم يقلل من اهتمامنا الخاص بصحة العمال ومنحهم كل الضمانات بشأن العلل والآفات التي يتعرضون لها او تصيبهم من جراء مزاولتهم للشغل .

على ان اهتمامنا بالطبقة الشغيلة لا ينحصر في توفير احسن الشروط الصحية لعملها ، بل تعدى ذلك الى مواصلة السهر على ما لها من حقوق مكتسبة ، والسعي المستمر لرفع مستواها ، ومنذ فاتح يناير سنة 1966 ارتفعت المنح العائلية بمعدل النصف ، كما ادخل تعديل على المدة التي يتقاضى بعدها العامل تعويضات في حالة مرض او حادث ، الشيء الذي جعل المستفيدين من تلك التعويضات يتضاعف بشكل محسوس .

## توسيع نظام الضمان الجماعي الاجتماعي

وبصفة عامة فان الاهداف المتوسطة او البعيدة المدى للسياسة المتبعة في هذا المجال ترمي الى توسيع نظام الضمان الجماعي الاجتماعي حتى يشمل قطاعات جديدة من المستفيدين ، وان سياسة من هذا النوع ترتبط ارتباطا قويا بالتطور الاقتصادي للبلاد لا تتحقق الا بانسجام تام مع الظروف المسايرة لهذا التطور ، مع العلم بان تشريعاتنا الاجتماعية تعتبر من التشريعات الاكثر تقدما وعدالة في العالم .

والى جانب هذا تتابع الجهود لتشغيل اليد العاملة بالداخل او الخارج وتكوين اليد العاملة المتخصصة بفتح مراكز جديدة للتكوين المهني .

وتوحيده ، وطبعه بطابع مغربي ، فصدر مرسومنا الذي تحققت بمقتضاه الوحدة التشريعية للبلاد ، كما اصدرنا قانون الصوائر المالية فى الميادين المدنية والتجارية والادارية ، وقانونا آخر للمساعدة القضائية .

ولتقريب القضاء من المتقاضين ، والتقليل من التكاليف المالية المترتبة على الترافع امام المحاكم اصدرنا قانونا ينظم القضاء على اسس جديدة تحدث بمقتضاه محكمة استئنافية بمراكش يشمل نفوذها اقاليم مراكش واكادير وورزازات ، ومحاكم اقليمية اخرى بكل من الجديدة وسطات وورزازات ، وستقسم مدينة الدار البيضاء الى ثلاث دوائر قضائية بكل منها محكمة السدد يتبعها عدد من الملحقات .

وعالج هذا القانون كذلك نواحي اخرى كتفتيش المحاكم واعادة تنظيمها على ضوء التجربة التي مررنا بها منذ ان استقلت البلاد .

ورعيا لما نوليه من اهتمام لشؤون الدفاع فى الميدان القضائي اصدرنا قانونا جديدا لتنظيم مهنة المحاماة حرصنا اثناء وضعه على ان يتسم بكل المميزات والمقومات التي تساعد المحامين على القيام بمهمة

## قوانين اخرى جديدة

واننا لعازمون على ان نصدر بعون الله مجموعةمن قوانين اخرى ذات اهمية كبرى اعدتها وزارتنا فى العدل لتسهيل مهمة القضاة ومساعدتهم على البت فى القضايا التي تعرض عليهم ، ومن جملة هذه القوانين قانون المسطرة المدنية ، وقانون الاكرية ، وقانون الشكايات ، وقانون الوضعية المدنية للاجانب ، وقانون خاص بالتوثيق .

وفى نطاق تقوية الجهاز القضائي ودعم اطره وتسهيل التقاضي على المتقاضين احدثنا رغم الضائقة المالية فى ميزانية هذه السنة مائة منصب لتوظيف قضاة جدد .

## ... وفى ميدان التعليم

واننا لنرى ان خيرة عدة يعتمد بها رعايانا ليكونوا مواطنين صالحين يطيقون مجابهة مشاكل الحياة ، ويدركون ما عليهم من مسؤوليات وواجبات ، ويقدرون على تحقيق التنمية بعقول نيرة وسواعد قوية ، هي ان يكرعوا من حياض العلوم ومناهل الفنون ، ويستوعبوا الثقافات ويسايروا موكب التطور السائر باستمرار ، لهذا واصلنا صرف العناية الى ميدان التربية والتعليم وخصصنا له اعتمادات طائلة اصبحت تمثل 17 فى المائة من ميزانيتنا العامة ، وذلك ما جعل مدارسنا تضم بين حناياها هذه السنة ما ينيف على مليون وثلاثمائة الف تلميذ وطالب ، وهو عدد يفوق عشر مرات عدد التلاميذ والطلبة الذين كانوا بمدارسنا منذ عشر سنوات .

وقد قبل فى بداية الموسم الدراسي الحالي مئتان وخمسون الف تلميذ بالاقسام التحضيرية ، كما قبل فى مدارسنا الثانوية 65 الف طالب جديد ، اما التعليم العالي فقد التحق به 1753 من الحاصلين على شهادة البكالوريا .

## سياستنا التعليمية تقوم على :

## التعميم والمغربة والتعريب

وقد سرنا اشواطا فى تحقيق مبادىء التعميم والمغربة والتعريب التي تقوم عليها سياستنا التعليمية ، فأمكن بما اخرجتهالمدارس الاقليمية من معلمين مواجهة احتياجات التعليم الابتدائي اليهم ، كما تم تعريب برامج الاقسام المتوسطة ، وبذلك نستطيع القول بان تعليمنا الابتدائي حقق خلال السنوات العشر الاولى من الاستقلال ما كنا نتوخاه له من تعميم ومغربة اطر وتعريب برامج.

وليس بخاف عليك شعبي العزيز ما يضعه التعليم فى مختلف اطواره امامنا من مشاكل وصعاب : مشاكل البنايات ، ، ومشاكل الاساتيذ والمعلمين ، ومشاكل النفقات المتصاعدة ومشاكل التوجيه الذي سيطبع البلاد لعدة اجيال ، واذا كان من الممكن التغلب على بعض الصعاب عن طريق مساعدات مالية اجنبية فان صعابا اخرى كتكوين الاساتيذ ليس من الهين تذليلها فى امد قصير ، لذا فنحن ندرس جميع مشاكل التعليم بحكمة ، ونسعى للتغلب على صعابه باناة وروية ، مجتنبين فى معالجتها كل ارتجال لا يحمد جيلنا والاجيال المقبلة عقباه .

وان شعورنا باهمية دور الشباب،وايماننا بانه الدعامة الكبرى لمستقبل وطننا ليفرض علينا اعداد شبيبتنا اعدادا روحيا وجسمانيا بالاضافة الى اعدادها ثقافيا حتى تكون فى مستوى المسؤوليات التي تنتظرها فى المستقبل وتتبين معالم السبل المستقيمة فلا تضل فى متاهات الشك ودروب الحيرة . فلهذا احللنا تعليم الدين

سيدي يفني ، واننا لنأمل ان تبدى الدولة الاسبانية التي تربطنا بها صلة الصداقة والجوار من التفهم وحسن الاستعداد ما يضمن لتلك التوصيات المصير الايجابي والمآل المطلوب ، وكما فسح الاتفاق الذي ابرمناه مع الدولة الاسبانية بتاريخ 7 ابريل 1956 من اجل تسليم السلط التي كانت لها بالمنطقة الشمالية من مملكتنا — آفاقا للتعاون المثمر ، فان التوصيات الصادرة عن منظمة الامم المتحدة لخليقة بان تفسح مجالا لتعاون مثمر جديد .

## المغرب حريص على الوفاء بالتزاماته

وبالاضافة الى هذا فاننا اجرينا خلال زيارتنا لمقر منظمة الامم المتحدة مع الامين العام السيد طانت محادثات تناولت تطور العلاقات بين بلادنا والجمهورية الجزائرية ، واعربنا فى اثنائها عن وجهة نظرنا حول ما اصبحت الدوائر الدبلوماسية تسميه اليوم بمشكل التسابق نحو التسلح بافريقيا الشمالية ، وبالاخص بين المغرب والجزائر ، ان المغرب الذي كان ولا يزال حريصا على الوفاء بالتزاماته الدولية ، والذي اتخذ من ضرورة فض الخلافات بالوسائل السلمية وتجنب الالتجاء الى وسائل العنف لتأييد الحق مهما كانت مشروعيته — مبدأ الزم نفسه باحترامه ، والعمل بمقتضاه ليؤثر ان تنصرف جهوده الى ميادين التنمية الاقتصادية والرقي الاجتماعي وصيانة النفوس والاموال ، وتوجيه الكفايات الى المجالات التي تعود عليه بالخير ، وتدرأ عنه الشر ، حتى يعم الرخاء وينتشر الازدهار ، وتخطو البلاد الخطوات الشاسعة للحاق — بعد الخروج من التخلف — بركب الدول السائرة نحو المصير المشرق ، ان مشكلة العصر الحاضر التي يجب علينا ان نجعل منها مشكلة غير مستعصية الحل هي مشكلة اختلال التوازن بين الدول المتخلفة والنامية وبين غيرها من الدول الضاربة بسهم كبير فى مضمار التقدم الظاهر ، والرقي الباهر ، ان ركب الحضارة سائر لا يلتفت ، وراكض لا يقف ، فاذا صرفنا امكانياتنا فى وجوه لا تسمن ولا تغني من جوع ، واستعملنا مواهبنا وكفاياتنا ومقدراتنا فيما يؤول الى الدمار والخسران لم يتضاعف اختلال التوازن الملحوظ ، ولم تبعد الشقة بيننا وبين من نريد ادراك شأوه فحسب ، وانما سنعثر عثرة لا تقال ، ونتخلف تخلفا لا نهوض بعده .

## نحن مستعدون للنهوض باعبائها فى كل وقت وحين ..

ولئن كنا نتحمل شخصيا مسؤوليات وطنية ودستورية وتاريخية نحن مستعدون للنهوض باعبائها فى كل وقت وحين ، فان كل مسابقة من شأنها توفير العتاد الحربي ، وادخار الاسلحة لا يستهوينا ان نخوض غمارها ، ولا يروقنا ان نجازف ببلادنا فيها ، فنبتعد بهذه المجازفة عن الاهداف التي قطعنا على نفسنا ادراكها وبلوغها ، ولذا فاننا ما زلنا مقتنعين بضرورة اجتناب كل ما من شأنه ان يجعل الرغبة فى الحلول السلمية عديمة الجدوى ، وان يوتر الاعصاب ، ويسمم جو العلاقات ، ويقذف بنا فى مغامرات لن ينحصر مفعولها فى نطاق محدود ، كما اننا ما زلنا مقتنعين بامكانية حسم الخلاف بيننا وبين الجزائر بشأن الاراضي المغتصبة عن طريق التفاوض والمناقشة الصريحة ، واعتماد الحجة فى اثبات الحق لا عن طريق الانكار والاستعداد للمجابهة العنيفة ، وقد وجهنا فى هذا الصدد رسالة الى الامين العام لمنظمة الامم المتحدة ذكرناه فيها المحادثات التي راجت بينا وبينه ، وبسطنا فيها جميع هذه الاعتبارات ، واقترحنا عليه احداث لجنة تحت اشراف الامم المتحدة يعهد اليها بمهمة مزدوجة :

1 ) ان توصي كلا من الجزائر والمغرب بالتنازل عن الزيادة فى القوات المسلحة تلافيا لاخطار التسابق نحو التسلح بافريقيا الشمالية .

2 ) ان تقوم فى عين المكان وبجميع الوسائل الصالحة بمراقبة السلاح الذي يتوفر عليه المغرب والجزائر كما وكيفا ، وتحديد القدر الضروري لكل منهما للمحافظة على الامن الداخلي .

واناملنا وطيد ان يحظى اقتراحنا بالقبول ، ويتغلب جانب الاناة والتبصر والروية وتدبر العواقب ، ولا ريب عندنا ان شعبنا باجمعه لن يتردد برهة من الزمن اذا دعت الضرورة الى ذلك فى رد كل عدوان ، ودفع كل طغيان ، جريا على عادته فى الاباء والحفاظ .

شعبي العزيز

ان ماعرضناه عليك فيما سبق بتفصيل واسهاب لم يكن كل ما استحوذ على قلبنا واستبد باهتمامنا وعنايتنا ، فلم تنصرم ساعة من ساعات الزمن لم تكن فيها مراد تفكيرنا ، ومناط رعايتنا ، وشغلنا الشاغل ، ولم نقدم رجلا ولم نؤخر اخرى ولم نستعمل الراي والاقدام فيما يستوجب الحكمة والاقبال الا وأنت نصب عيننا حين تمسي وحين تصبح فى الغدو والآصال ، والحل والترحال ، نضع البرامج والخطط ونرسم الطريق ونمهد السبل وندبر الشؤون ونجري الاتصالات

### وزارة الاوقاف ... والمحافظة على شعائر الدين

ونظرا لما اولانا الله من شرف الامامة ، واناط بنا من واجب المحافظة على شعائر الدين الاسلامي الحنيف اصدرنا اوامر لوزارتنا فى عموم الاوقاف فى نطاق تنمية الوعي الاسلامي ، وتيسير اسباب العبادة لشعبنا بمواصلة حملات الوعظ والارشاد بجميع جهات المملكة ، وبناء المساجد بالمدن والقرى والاحياء المفتقرة اليها . وقد شيد 31 مسجدا خلال سنة 1966 ووقع اصلاح مئات اخرى من المساجد ، وقمنا ببعث الثقافة الاسلامية بطبع طائفة من كتبها القيمة منها والنفيسة ، واعتنينا بالمدارس العتيقة بالبادية حتى عادت الى ازدهارها السابق ، وصار الطلاب يلقنون فيها القرآن الكريم بمختلف قراءاته ، ومبادىء العلوم الدينية واللغوية .

### العناية بالقوات المسلحة الملكية

شعبي العزيز

ان اهم ما تعتز به الدول والشعوب جيش قوي يحمي ذمارها ، ويصون حوزتها ، ويحول دون اي اعتداء عليها .

ولقد واصلنا خلال السنة المنصرمة العناية بالقوات المسلحة الملكية ، وصرفنا الاهتمام الى تنمية اطرها ، وتجهيزها بالعتاد وسائر المعدات اللازمة لدفاعنا، وكان القيام على تحقيق الخدمة الوطنية الاجبارية فى طليعة المهام الكبرى التي اسندناها الى قواتنا المسلحة الملكية ، فنهضت بها على احسن صورة انعكست انعكاسا صادقا عند استعراض جيشنا فى السابع عشر من شهر نونبر المنصرم . وبالاضافة الى اعداد مجندينا اعدادا عسكريا تبذل العناية بتكوين من لا يحسن منهم تكوينا مهنيا ليصبحوا بعد تسريحهم من الجندية اعضاء نافعين فى مجتمعهم، قادرين على تلبية احتياجات التنمية. وان ترحيب الامة قاطبة بسن الخدمة العسكرية وحسن سلوك شبابنا المجندين لمن القرائن التي تدل على بلوغنا ما توخيناه من سن هذه الخدمة الوطنية .

شعبي العزيز

هذه منجزاتنا ومشاريعنا عرضناها عليك جريا على مألوف عادتنا فى مثل هذا اليوم الذي نحتفل فيه واياك بذكر جلوسنا على عرش اسلافنا المقدسين وهي مناسبة تحين كل سنة نزن فيها اعمالنا ونحاسب انفسنا لنرى ما نفذناه من خطط رسمناها واجتزناه من عقبات ذللناها وما نعتزم رسمه وتخطيطه وتحقيقه وانجازه ليكون الامس موصولا بالغد وحركتنا لتدعيم استقلالنا والنهوض ببلادنا دائبة متلاحقة لا يعتريها فتور ولا لغوب ولا يصيبها سأم ولا وهن ، ولئن كان مجموع ما تضمنته التوجيهات الملكية التي وضعناها لتكون رائدا لنا فيما نبدىء فيه ونعيد من شتى وجوه العمل لم يدخل كلهفى حيز التطبيق لتشعب بعض الابواب والفصول وضرورة صرف مدة من الزمن غير قصيرة للدرس والتمحيص اجتنابا لكل تدبير يمكن ان يعزى الى قلة التريث والاستيعاب فان الجهود متوالية غير متوانية فى سبيل استكمال الدرس واستيفاء التمحيص .

واذا كنا قد طرقنا فى هذا الخطاب عدة مواضيع لها مساس بماضينا وحاضرنا ومستقبلنا واتصال بجانب من المسؤوليات الملقاة على عاتقنا فان هناك مسائل غير هذه عالجناها بحكم مالنا من مسؤوليات اخرى وبوصفنا حاميا لحمي البلاد وضامنا لاستقلالها وحوزتها فى دائرة حدودها الحقة .

### اراضينا المغتصبة

وفى طليعة هذه المسائل ما صرفنا نحوه اهتمامنا من امر المناطق التي وقع اقتصاصها من اطراف البلاد واغتصابها فسعينا سواء فى منظمة الامم المتحدة او فى منظمة الوحدة الافريقية الى استرعاء نظر الراى العام الدولي لضرورة جعل حد للاستعمار فى سيدي يفني والساقية الحمراء ووادى الذهب ، مطالبين بتسليم سيدي يفني وتحرير المنطقتين السالفتين ، وكان لمساعينا وللجهود التي بذلتها هياة تحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب الصدى الحميد والاثر الملموس، فاصدرت منظمة الوحدة الافريقية خلال مؤتمر رؤساء الدول والحكومات المنعقدة بأديس ابابا فى شهر نونبر من السنة المنصرمة توصية تدعو فيها الى تحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب ، كما اصدرت منظمة الامم المتحدة فى دورتها الاخيرة توصية تقضي بتسليم الدولة الاسبانية للمغرب السلطة التي لها بسيدي يفني، وتؤكد فيها حق اخواننا المواطنين سكان الساقية الحمراء ووادي الذهب فى تقرير مصيرهم بواسطة استفتاء يستشار فيه المغرب ، وتشرف عليه منظمة الامم المتحدة .

ولاهمية هذه التوصية ، ولما تدعو اليه فقد وجهنا رسالة الى فخامة صديقنا الجنرال فرانكو رئيس الدولة الاسبانية بشأن تسليم السلط فيما يخص

# الملك العبقري
# سيدي محمد بن عبد الله

للأستاذ : عبد الله كنون

في تاريخ المغرب على اختلاف الدول التي تعاقبت عليه . ملوك لم يقتصروا على حكم البلاد وضبط اطرافها والدفاع عن حوزتها ونصب ميزان العدل بين الرعية وبسط الامن وتعميم الرخاء ، مما هو مهمة الملوك ومناط بيعتهم ، ولكنهم تميزوا فوق ذلك بأفكار عبقرية ومبادرات اصلاحية عظيمة الاثر في تطور المجتمع وحياة الامة .

ومن هؤلاء الملوك في الدولة العلوية الشريفة السلطان العظيم سيدي محمد بن عبد الله انه كان مفكرا حرا ومصلحا اجتماعيا ودينيا وداعيا من دعاة الوحدة الاسلامية ، فضلا عن كونه ملكا اضطلع بسياسة البلاد وقيادتها نحو التقدم والازدهار ، فكان النجاح حليفه في كل اعماله ومآتيه .

وهو السلطان محمد الثالث بن السلطان عبد الله بن السلطان اسماعيل بن الشريف بن علي العلوي الحسني ، فقد تولى قبله من اسرته من اسمه محمد : اثنان ، الاول محمد بن الشريف والثاني عمه محمد بن اسماعيل المعروف بابن عريبة .

## ولادته ونشاته

وكانت ولادته بمكناس عاصمة جده مولاي اسماعيل سنة 1134 فنشأ في حضن الصيانة والدين ، وربي تربية الملوك برعاية جدته السيدة خناثة بنت بكار واسرة ابيه ، وناهيك بها عقلا ونبلا وعلما وفضلا ، وقد صحبها في رحلتها الى الحج سنة 1143 وهو ابن عشر سنين ، وكانت رحلتها هذه حديث الركبان بما اضفى عليها ولدها السلطان مولاي عبد الله من العناية وهيأه لها من اسباب الراحة فمن اخبية عظيمة وامتعة رفيعة وهدايا واموال طائلة ، الى عبيد وحشم وحراس شداد فضلا عن ركب الحاج المغربي الذي سار في معيتها وكانت تقتبل رسميا من ولاة البلاد والاقاليم التي تمر بها وبلغ ما زودها به ولدها السلطان من المال الناض بقصد العطايا والهبات لاهل الحرمين الشريفين مائة الف دينار ، ومما لاشك فيه ان هذه الرحلة فتحت اعين الامير الشاب على اشياء كثيرة ما كان ليعرفها لولاها واثرت في نفسه تاثيرا بليغا ظهرت آثاره ايام ولايته وتقلده لمنصب الحكم بحيث جعلته يرى في البلاد الاسلامية وطنه الكبير الذي لن يكون المغرب الا جزءا منه ، يتقاسم واياه السعادة والشقاء والخير والشر ، وهذا الى الدروس العلمية التي كان يتلقاها عن اساتذة اكفاء رتبهم له والده منذ حداثته وما كان يخلو مجلسه من واحد منهم حتى بقي ذلك ديدنه وعادته في مصاحبة العلماء ومجالستهم طوال حياته .

## خلافته عن والده بمراكش

ولما صلب عوده واكتمل شبابه استخلفه والده على مدينة مراكش سنة 1159 وكان له من العمر حينئذ خمس وعشرون سنة ، فاظهر من حسن السياسة ، وكمال النجدة ، وجودة الراي والمعرفة بتدبير الامور ، ما هو جدير بمن نشأ نشأته وتربى تربيته ، وكان ما مر على مراكش من الاحداث والفتن قد خرب عمرانها ، وغير معالمها ، فجد واجتهد في تجديد مغانيها ، واحياء مآثرها ، وامتد نظره الى نواحيها فضبطها وساسها بحكمة وبصيرة مما جعل الانظار تتشوف اليه والآمال تتعلق به ، وهكذا اراد دعاة الفوضى والذين الفوا ان يصطادوا في الماء العكر من جيش العبيد والقبائل المشاغبة تمثيل الدور الذي طالما مثلوه مع غيره ببيعته واظهار النزوع اليه ، والخروج على والده ، فابى ذلك وامتنع عليهم ،

ونباشر المحادثات والمشاورات لا يقود مسعانا ويستحث خطانا الا ما يعود عليك بالعائدة الحسنة والنفع الموصول والخير المكفول ، فلم نفرغ لنفسنا في بعض الاحيان الا لنفرغ لك ، ولم نخل الى نفسنا الآونة بعد الاخرى الا لنخلو اليك ، ولم نرغب في الراحة والسكون تارة الا رغبة في مناجاتك ، ولم ننقطع الى التفكير تارة الا لمعرفة ما يرضيك ويسرك ويحزبك ويسوءك وما يحلو ويمر من امرك ، فكانت كل لحظة من هذه اللحظات ، وكل وقت من هذه الاوقات مصروفة اليك ، موقوفة عليك ، فيها من الاتصال الوثيق بك ، والانقطاع الكامل اليك ، ما عهدته منا منذ قلدنا الله زمام امرك ، وناط بنا رعاية شؤونك والسهر على مصالحك ، واشاع في قلبنا الرافة بك وبث في نفسنا الاشفاق عليك ، وجلب السعادة اليك كما عرفه آباؤك واجدادك من اسلافنا المنعمين الذين هداهم الله الى الصراط المستقيم ، ووفق خطاهم الى النهج القويم ، فتمكنت ما بينهم وبين شعب هذه البلاد آصرة جامعة ، ووشيجة واصلة ، واورثونا حدبهم وعطفهم وحنانهم واهتمامهم بكل جليل وصغير من امور الرعية ، فاستحكمت بيننا وبينك تلك الرابطة التي لا يزيدها توالي الايام وتعاقب الاعوام الا شدة ورصانة ، وتأصل ذلك الالتحام الذي لن يعدم على مر الاجيال قوة ومتانة .

شعبي العزيز

في هذه الساعة التي نحتفل فيها بذكرى جلوسنا على عرش اسلافنا الاكرمين ، وفي هذه الساعة التي تهيمن علينا فيها روح كريمة لعاهل كريم ، نتوجه الى الله سبحانه بقلوب خاشعة ، ونفوس مومنة طاهرة ، ان يغدق شآبيب رحمته ، ويضفي سابغ انعامه ومغفرته ، على بطل هذه الامة ومحررها ، وباعث نهضتها وسؤددها ، جلالة والدي ، وولي نعمتي ، ونافخ روح العزة في امتي الملك الهمام ، مولانا محمد الخامس ، نور الله ضريحه ، واناله مثوبته ورضوانه ، وجزاه باحسن ما يجازي به عباده المخلصين الصادقين ، واسكنه بجوار النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين .

اللهم انك تعلم انه كان لهذا الشعب ملجأ وملاذا وسندا وعمادا ، وانه اوفى بعهدك ، وادى الامانة اكمل اداء ، فكن له وليا ونصيرا يوم الجزاء اللهم اجعل الفردوس مثواه والجنة مأواه ، انك على ما تشاء قدير .

شعبي العزيز

اذا كانت رعايتنا لشؤونك تقتضينا اقصى مجهود ، وحدبنا عليك هو لدينا اعز مقصود ، فلا يفوتنا ونحن في معرض الذكرى ، والذكرى تنفع المومنين ، ان نستزيدك من الحرص على التشبث بالقيم الروحية ، والتمسك بالتربية الاسلامية ، والتعاون على البر والتقوى ، وعدم التفريط في جنب الله ، وتلك لعمري اسنى المطالب ، واعز الرغائب ، واغلى المكاسب ، وبها جعلنا الله خير امة اخرجت للناس .

والله نسأل ان يقينا شر انفسنا ، ويطهر قلوبنا ، ويسدد خطانا ، ويوفق الشعوب العربية والاسلامية في مشارق الارض ومغاربها الى طريق الهداية والصلاح ، ويجعلهم اخوة متحابين ، وعلى تبادل الخير متكاتفين ، ولدرا الشر متعاونين ، وان الله على نصرهم لقدير .

اللهم الهمني التوفيق والسداد ، واسلك بي مسالك الهدى والرشاد ، وكن لي معينا ونصيرا ، ومؤيدا وظهيرا ، وشد ازري ، واشرح لي صدري ، ويسر لي امري ، لاذكرك كثيرا واشكرك كثيرا ، انك كنت بي بصيرا .

وادم علي وعلى شعبي نعمة ما بيني وبينه من تماسك وانسجام ، وتعاطف ووئام ، وولاء ووفاء ، واخلاص وصفاء .

موارد البلاد حتى أصبح المغرب يرفل فى حلل الرفاهية والعيش الرغيد ، واول ما ظهر من حزمه فى ذلك انه عند شخوصه بفاس باثر مبايعته وقف على متخلف والداه من ناطق وصامت منقول وثابت وسلاح وخيل وغير ذلك فأحصاه وجعله الى نظر حاجبه ، وكان والده من شدة احتياطه على مال الدولة ونظرا لظروف الهرج التي كان يعيش فيها ، يحمل ما لديه من مال ناض على ظهور الدواب ويسير به معه اينما سار ، وكان الموكلون به كلما نزل الجيش وضربت الاخبية ، يرفعون ما معهم الى سرادق السلطان ، فيكون بيت مال الدولة فى حمايته وتحت الحراسة التي تحرس السلطان نفسه .

وقد تسلم سيدي محمد بن عبد الله هذا المصرف المتنقل من الوزعة الذين كان فى كفالتهم وكان به الف خرج فى كل واحد منها الفا دينار ذهب بالتثنية ، ومائة رطل من الذهب الخالص كقرص الشمع فى كل رحى وزن اربعة آلاف ريال ، الى ثلاثمائة الف ريال اخرى مسكوكة ، كل ذلك اداه اولئك الوزعة بمنتهى الامانة متأثرين بشخصية السلطان القوية وقد كان من المحتمل جدا ان يتقاعدوا عليه أو بمكر بقصد لو كان غيره هو المطالب به ، كما وقع فعلا فضاعت ثروات عظيمة فى فترة التنازع بين اولاد السلطان مولاي اسماعيل .

ثم انه تقدم بضبط مداخل الدولة ولما رأى انها ضئيلة لا تكفي لمتطلبات الحكم والنهوض بالبلاد احضر العلماء وشاورهم فى ذلك ، فأفتوا بجواز فرض بعض الضرائب على الرعية لتقوية الجيش ونشر العمران وكان ذلك من حسن تدبيره ، اذ لو اقدم على هذا الامر قبل أخذ موافقة العلماء لكثر القيل والقال ولزعم بعضهم ان ذلك من المنكر المحرم ، ولما استقام له عمل ، وبسبب ذلك نمت مداخل الدولة وتحسن الوضع المالي للحكومة واصبح بمقدورها مواجهة المطالب العديدة التي تقتضيها مشروعات التجهيز والتنظيم المقترحة من قبل السلطان .

ونظر فى التجارة الخارجية تصديرا وايرادا بعين المصلحة العامة كما فعل من قبل فى اسفي لما كان خليفة لوالده على مراكش ، فسرح الوسق من مراسي المغرب الى اقطار أروبا وشجع التجار الاجانب على التعامل مع المغرب واقامة وكالات لهم بمختلف المدن الداخلية والعواصم ، فازدهر هذا القطاع من اقتصاديات الوطن وادر على الحكومة والسكان خيرا كثيرا .

## علائقه مع الدول

ودعاه ذلك الى عقد معاهدات دولية لتنظيم العلاقات بين المغرب ومختلف البلاد وخصوصا الاروبية منها ، وقد ذكر النقيب مولاي عبد الرحمن ابن زيدان فى ترجمته من تاريخ مكناس تفاصيل مهمة عن علائقه السياسية مع كل من فرنسا والسويد والدانمارك والبرتغال واسبانيا ومالطا ونابولي فضلا عن الدولة العثمانية واورد نصوص بعض المعاهدات التي عقدها مع هذه الدول ، وهي تقوم اساسا على التبادل التجاري واستيراد المعاهدات الحربية والذخيرة والادوات التي يستعين بها على تنمية الاسطول المغربي وما الى فلك ، وكانت هذه المعاهدات فى بعض الاحيان تنص على الغاء بعض الامتيازات التي حصلت عليها احدى هذه الدول فى فترة الضعف كما نبه على ذلك المؤرخ الناصري فى الاستقصا بخصوص معاهدة الدانمارك وفى احيان اخرى قد تؤسس امتيازا جديدا كما فى المعاهدة الفرنسية انتقدها المؤرخ المذكور وان مال اخيرا الى اعتبار ذلك من مرونة الديبلوماسية المغربية .

واشتهر من سياسته الخارجية أنه كان أول من اعترف باستقلال الولايات المتحدة الامريكية ، وهذا نزوع منه الى مقاومة الاستعمار ومناصرة حرية الشعوب ، وبذلك استوجب ان تفكر هذه الدولة العظيمة فى اقامة نصب تذكاري له فى عاصمتها واشنطون ، وتدل رسالة الرئيس واشنطون التي اجاب بها السلطان على اثر الاعتراف المذكور أن المغرب كان يحظى بتقدير كبير فى الاوساط الدولية نظرا لقوته وتقدمه وسياسته السلمية الرشيدة .

ومن الغايات النبيلة التي كان يتوخاها فى سياسته الخارجية بعد اقرار السلام وتنمية الاقتصاد الوطني ، فكاك الاسرى الذين كانت كانت تعج بهم بعض دول البحر الابيض المتوسط نتيجة لنشاط حركة القرصان وخرق قانون حرية الملاحة فى حوض هذا البحر من لدن عصابات المغامرين الدوليين ، فقد بلغ عدد ما افتداه من الاسرى المغاربة والجزائريين والاتراك او تسبب فى فدائهم ما يناهز 50 000 اسير ، بعث فى ذلك السفارات المهمة الى اسبانيا مرارا والى مالطة، ونابولي وغيرها وانفق فيه الاموال الطائلة حتى لم يبق اسير بيد اجنبي فى هذه الدول ، ومما كتبه فى هذا الصدد الى ملك اسبانيا : « انه لا يسعنا فى ديننا اهمال الاسرى وتركهم فى يد الاسر ، ولا حجة فى التغافل عنهم لمن ولاه الامر ، وفيما نظر انه لا

وترضاهم وتوسط لهم مع والده حتى عادت المياه الى مجاريهـا ، وحسم الداء على يده ، وعد ذلك من تمام عقلـه واستقامتـه .

فلما توفي والده سنة 1171 كانت سمعته قد طبقت ارجاء المغرب فلم يتلكأ احد عن مبايعته ومن لم يطعه رغبة اطاعة رهبـة ، والحق أن الناس كانـوا قد سئموا حياة الهرج والفتن واعياهم الخوف واضطراب حبل الامن ، فمنذ وفاة السلطان مولاي اسماعيل والفوضى ضاربة اطنابها على المغرب ، بسبب تنازع ابنائه علـى الملك وانقسام الرعية على نفسها بداعي مناصرة هذا الامير أو ذاك ، حتـى انهـار صـرح تلك المملكة العظيمة التي شادها مولاي اسماعيـل بهمته وعزيمته في ظرف خمسين سنة أو تزيد مـن ولايته ، فما ان وجد المقتضي لجلوس سيدي محمد بن عبد الله على العرش حتى اجمعت كلمة أهل الحـل والعقد من العلماء والاشراف وكبار القوم علـى تقديمه لذلك والدخول في طاعتـه ، وقصـر النظـر عليـه ، وصرفـه عمن سـواه .

* * *

## مبايعتـه

وبويع اولا بمراكش ثم حمل اليه اهل فـاس بيعتهم، وما لبث أن شخص الىفاس فقطع المغرب من جنوبه الى شماله ، ثم عرج على الثغور متفقدا أحوالها، وراى ان التركـة التي آلت اليه ليس من السهـل الاستحواذ عليها ولا الاحتفاظ بها ، فالحمل اذن ثقيـل والمهمة من اصعب ما يكون ، ولكـن الرجـال ذوي العزائم لا تقف في وجههم العقبات ولا تثنيهم الصعـاب عن مرادهم ، فشمر عن ساعده ووطن نفسه علـى الاضطلاع بمسؤوليته مهما يكن الامر .

* * *

## الوضـع الذي وجـد عليـه البلاد

وكان يعوزه المال وكانت عدة مناطق في الجنوب والشمال والوسط تتمتع باستقلال ذاتي ، ولا تخضع للسلطة العليـا الا اسميـا ، وكان جيش العبيد الذي الفه جده السلطان اسماعيل وجعل منه قوة عتيـدة لحماية البلاد والدفاع عن وحدتها قد آل الى عصابات شريرة تتلاعب بمصير المملكة ومقرراتها ، وكذلـك كثيـر من القبائل الاطلسيـة ذات العصبية والمنعـة استحالت الى عناصر مشاغبة وجموع متمردة علـى الدولة ، وقل مثل ذلك في بقيـة الاجناس الذيـن تتكون منهم الحميات الدائمة للسلطة امثال الودايـا والعـرب وغيـرهم .

## مساعيـه لاقـرار الوحـدة الوطنيـة

فلم يزل يقلم اظفار اهل البغـي والفساد ، ويضرب على ايدي الخوارج والعابثيـن بامن البلاد ، حتى استقامت له قناتهم ولانت صفاتهم ، وكـان يزاوج بين الشدة واللين ، في عقاب المتمردين الا اذا كثر شرهم واستشرى داؤهم وظهر تعذيبهم علـى الرعية وتطاولهم على الضعفاء فانه حينئذ يضربهـم الضربة القاضية ولا تاخذه بهـم رافة ولا رحمة ، وهكذا وبعد مطاولة وامتحان شديدين استكـان جيش العبيد الى الخضوع والطاعة ولم تعد نفـس الودايـا تحدثهم بالعبث والطغيان ، وعاد الى حظيرة الوطن كل من مدينة سلا وتطوان وطنجة واقليـم سـوس التي كانت تستبد بها سلطات محلية وتحاول ان تجعلها تعيث خـارج الوحدة الوطنيـة .

ان الجهود التي بذلها السلطان سيدي محمد ابن عبد الله في اعادة الوحدة الوطنية الى نصابهـا وسيادة السلطة الشرعية على البلاد جهود كبيـرة وشاقة ، لم تخل من العنف والتضحيـات ، ولكنهـا كانت لازمة وضرورية للحفاظ على كرامة الوطـن وأمن السكان وسمعة الدولة في الداخل والخارج ، وكـل ما بذل فيها من نفوس ونفيس يرخص امام ما كانت تتعرض له البلاد من حروب داخلية ومصيـر مجهول، لاسيما والافراد والجماعات الذين كانوا يثيرون تلـك الفتن ويورثون نار هاتيك المحن فيذهبـون ضحيتها ما هم الا طائفة من المغامرين اهل الحرابـة الذين حكـم الشرع فيهم بما حكم ، فلو لم تستأصل شأفتهـم وتجتث جرثومتهم لما عرفت البلاد استقرارا ولا ذاق الشعب طعـم راحـة .

واقترنت عمليات اقرار السلم وتاديب العصـاة بمدة ولاية السلطان بانه ما كان يرقع خرقا حتى يجد نفسه أمام خرق آخر ، ونحن لم نذكرها على حسب الوقوع وتاريخ حدوثها لاننا في هـذه الترجمة انمـا نعني بالنتائج التي تبرز شخصية المترجم ، وامـا اليوميـات او الحوليات وتسلسل الحوادث فـان مكانها التاريخ العام وهي لا تهم القارىء بقدر مـا تهمه النتائج المذكـورة .

## تنظيـم الماليـة

وشخصية السلطان القوية وحسن تدبيره كان لهما الاثر الفعال في توفير المال اللازم للدولة وتنميـة

الاصلاحية فى حقل التعليم والعدل والشؤون الاجتماعية بعامـــة .

ان صيانة الملك لملكته وقمع الثواروتنمية المداخل الماليـــة ونشر العمران كل ذلك من طبيعة عملـــه السياسي وتدبير ملكه ، فالملك الذي لا يضطلع بهذه الامو يكون فاشلا ، بل لا يكون فيه من معنى الملــك شيء ، فاما اذا تجاوز ذلك الى التفكيـــر فى النهوض بالمجتمع ورفع مستوى شعبه المادي والمعنوي وضمان الحياة الكريمة له ، فان هذا يكون ملكـــا عبقريـــا تصلح به رعيته وتتقدم بلاده وتنال الانسانية علـــى يده خيـــرا كثيرا ، وقد كان محمد بن عبد الله العلوي من هذا الطـــراز من الملوك .

وتتوزع مخططاته الاصلاحية بين ثلاثة ميادين :

الاول — ميدان السياسة الاسلامية التي هـــي بحاجة دائما الى توحيد صف المسلمين وتحديد هدفهم ليلا يطمع فيهم عدوهم او يزيغوا عن طريق العمـــل لاعلاء كلمة الله ، وخاصة بعد ان انتشر عقد الخلافة الاسلامية واستقل كثيرا من الاقاليم فاصبح بعضها يناوىء بعضـــا .

وان العمل الذي قام به سيدى محمد بن عبـــد الله فى هذا السبيل والخطة الحكيمة التي سلكها لتوحيد الكلمة فى العالم الاسلامي على عهده لما يبعث علـــى الاعجاب ويجعلنا نجثـــو مطأطئـــي الرؤوس امـــام شخصيته الكبيرة التي ارتفعت بالتواضع واعتـــزت بنكران الذات من حيث يريد آخرون ان يرتفعـــوا بالكبرياء ويتعـــززوا بالانانيـــة فـــلا يزيدهم ذلك الا حقارة وذلا ، ولقد راينا كيف كان على صلة دائمة بدولة الخلافة العثمانية يتودد اليها ويصلها ويناصرهـــا ويعادي من عاداهـــا وكيف كـــان يخطب ود امـــراء المسلمين فى الشرق والغرب حتى صاهر أمير مكـــة على ابنته وكيف انه لم يسلس خط الحبل للخلافات التـــي كانت تنشأ بينه وبين ولاة الجزائر وحين كان يتعذر عليه الامر يلجأ الى الخليفة العثماني طالبا تدخله حتى ينتهي امر الخلاف بسلام .. واخيرا فقد رايـنـــا كيـــف خطب هو نفسه باسم الخليفـــة العثماني عبـــد الحميد الاول فكان ذلك بمثابة المبايعة له مع أنه لـــم تلجئه الى ذلك ضرورة ، اللهم الا رغبته فى وحدة بلاد الاسلام ، والقضاء على جميع اسباب الخلاف بيـــن ائمة المسلمين ، وهذا الفعل شبيه بما فعله يوســـف ابن تاشفين الذي بايع للخليفة العباسي مع استغنائه عنه وقوة سلطانه الذي لا يقاس به سلطان الخليفـــة الضعيف المضروب على يده . فهما حادثان فريدان فى تاريخ الاسلام ولو ان السياسة العليا للمسلمين سارت على هذا المنـــوال لكان واقع المسلمين اليـــوم غيـــر مـــا هـــو .

الثاني — ميدان العدل ، فلقد اهتم بمسالـــة الاحكام القضائية والقوانين الفقهية ، وكانت التفريعات والنظريات المذهبية قد طغت على اقـوال الفقهـــاء ومداركهم فى الفتوى والتشريع ، فتشعبت بذلـــك الدعاوي وضاعت الحقوق ، ومرج أمر القضـــاء والتوثيق ما بين الانسياق فى حبل الخلافات الفقهيـــة والاقوال الضعيفة وبين التلاعب بالمساطر والعقـــود ولم يكن الفقهاء ليدركوا خطر ذلك على اختلال ميزان العدل وتعطيل الشريعة الاسلامية التي جاءت بالحق والقسطاس لانهم يعتقدون أن عملهم هـــو فى صميـــم القواعد والنصوص ، فلم يكن من السلطان سيدي محمد ابن عبد الله الا أن يردهم الى الصواب ويصـــدر تعليماته بوجوب انتزاع الجادة والاخذ بلب الفقـــه وعدم الميل مع الشذوذ والمذاهب المرجوحة ومنـــع الفتوى من كتب المتأخرين التي لا سند لها الا تمحلات المتفقهة وابحاث المتنطعين ، ونص بالخصوص علـــى كتب الاجاهرة اعني الشيخ علـــي الاجهوري مـــن متأخري فقهاء مصر وتلامذته كالزرقاني والخرشي ، وكانت هذه الكتب تحظى بتقدير كبير من علمـــاء المغرب ، فمنع الرجوع اليها والاعتماد عليها الا فيمـــا وافق قول العلماء الاقدمين ، وهدد المخالف بالعقاب الصارم سواء كان مفتيا أو قاضيا ، وكذا شدد علـــى العدول والموثقين فى تحرير الشهادات والتحري فيها ما امكن ، وامر بعدم الاخذ بشهاداتهم فى كثير من المسائل التي تلوح عليها امارات البطلان ويحوم حولهـــا الشك الا ان تكون تلقيت بمحضر القاضي وموافقته ، لما كان يجهز على الشهود من الاستهتار بحقـــوق النـــاس والمقايضة عليها حتى قيل انه أمر بان يكتب فى سماط العدول بالخط العريض حيث يرى ذلك كـــل الناس ، هـــذا البيت :

لقـــد طلبـــت هنيـــا موجـــودا

ابهتـــا تريـــد أم فنـــــودا

وكل ذلك كان زجرا لهم وتقويما لاعوجاجهم واخذا للبريء بتهمة المجرم كي يستقيموا جميعا علـــى الطريقة ويؤدوا الشهـــادة على وجهها .

ولقد كان له فى هذا البـــاب اختيارات وانظـــار تقوم على الاحتياط لحقوق الناس واقامة ميزان العدل

يسعكم ذلك فى دينكم ايضا » وهـذه روح عاليـة وانسانية رفيعة كانـت تلقـى الدروس القوليـة والعملية فى الحريـة والحضارة لدول اوربـا آنذاك ، وما بالعهـد مـن قـدم .

## مـع الدولـة العثمانيـة

واذا كانت هذه هي علائقه السياسية مع مختلف الدول ، فان علاقته مع دولة الخلافة العثمانية تكتسي صبغة الود والصداقة والتأييد المستمر بحيث يسالم من سالمها ويحارب من حاربها حتى ليمكن عد البلدين بلدا واحدا والدولتين كذلك دولة واحدة فى التآزر والتعاضد، ولقد كان ولاة الجزائر كثيرا ما يثيرونه بتصرفاتهم غير الوديـة فلا يزيد على أن يشكوهم الى الخليفـة العثماني الذي كان يكبح من جماحهم ويأمرهم أن يعاملوا السلطان بما يعاملونه هو مـن التعظيـم والاحترام ، وكانت الرسل والسفارات لا تفتأ تتردد بينه وبيـن عاصمة الخلافة الاسلامية مصحوبة بالهدايـا والتحف والمساعدات المالية بالمبالغ الضخمـة وخصوصا فى اثناء حروب الدولة العلية ، وبالمثل كان خلفـاء استنبول يمدونه بالمعونة الفنية والماديـة فى مشاريعه الحربية وبناء اسطوله مما هو مبين فى التواريـخ العامة ورحلات سفرائه ، وبلغ من تضامنه مع دولة العثمانيين انه لم يقبل سفيـر روسيا فى بلاده ولـم يقم علاقات سياسية مع قياصرة موسكو اذ كانوا فى حرب دائمة مع الاتـراك .

والغاية فى هذا الباب انه كان ذات مرة فى جولة من جولاته بالملكة فأدركه عيد الاضحى فى الطريـق فصلى صلاة العيـد وخطب فى الناس بنفسه ودعـا للخليفة عبد الحميد الاول ، حيث كان الخطبـاء يدعون له بالنصر والتأييد ، فكان ذلك ايذانا بان الدولة واحدة وان التضامن الاسلامي حقيقة لا تقبل التشكيك.

وفى هذا الاطار تامت المصاهرة بينه وبيـن الشريـف سرور امير مكـة فى كريمته التي زوجهـا الى الشريف المذكور فى موكب عظيم بصحبة ولديـه الاميرين مولاي علي وشقيقهمولاي عبد السلامومرافقة ركب الحاج المغربي ، وارسل معهما هدايا لاميـر طرابلس وامير مصر والشام ولاهل الحرمين الشريفين من اشراف وعلماء ، وذوي الحيثيات المختلفة ، وكانت هذه المصاهرة حدثا تاريخيـا ومظاهرة كبـرى علـى صعيـد الجامعة الاسلامية ووحدة بلاد الخلافة .

## تقويـة الجيـش

وظهرت نتيجة العمل الجدي الذي لم يفتأ يقوم به لتقوية الجيش وتجهيزه بالمعدات الحربية اللازمـة واحياء الاسطول الحربي وتنميته فى الحملة التي شنها على مدينة الجديدة برا وبحـرا والحصار الذي ضربه عليها حتـى استسلمت وردها الى حظيرة الوطـن بالقوة ، بعد أن كان ميؤوسا منها ، وكانت بيـد البرتغال منذ عهد بعيد ولم يتأت لجده السلطان مولاي اسماعيل استرجاعها فى حملة ما استرجعه من المدن الاسلامية التي كان الاجانب قد احتلوها فى فتـرات الضعف التـي مرت على المغـرب .

## الاهتمـام بالعمـران

كمـا ظهرت نتيجـة اهتمامه بتنظيم المالية وتنمية موارد الدولة ، فى الاعمال العمرانية التي قام بها فى مختلف انحاء المغرب ، واعظمها بناء مدينـة الصويرة التـي جعلها ميناء لعاصمة مراكش علـى المحيطالاطلسي ، وقد تخير موقعهـا واختطها بحيث جاءت مرفأ طبيعيا للسفن سالما من الآفات فنشطت بها الحركة التجارية والمواصلات البحريـة حتـى عطلت ثغر اكادير ومرساه الذي كان الثوار يتداولونه ويسرحون منه وسق السلع افتياتا على الدولة ، وهذا الى ما عمرها بهمن البنايات العامةكالحصون والمساجد والاسواق ومختلف المرافق فلم تلبث ان صارت مـن مدن المغـرب الحافلة بالسكـان والـدور والقصور والبساتين والرياض وسائر المنشآت التي تتقرى بها القرى وتتحضـر الحواضـر .

واما عاصمة مراكش فمنذ كان بها خليفة عـن والده وهو يجدد معالمها ويحيي مآثرها وقد بنـى بها من المساجد والمدارس والمشاهـد والحمامـات والقصور والحصون والابراج الشيء الكثير ومثلهـا رباط الفتح عاصمة المغرب اليوم وسلا ومكناس وفاس وطنجة والعرائش وتازة والدار البيضـاء وغيرهـا . فشكلا له فيها مآثر ضافية من مساجد ومـدارس وابراج وقناطر وتحصينات دفاعية عظيمة لاسيما المدن الساحلية منها وتتبع ذلك يطول .

## اعمـال الاصـلاح

على أن عظمة السلطان سيدي محمد بن عبـد الله لا تظهر فى هذه الاعمال بقدر ما تظهر فى مبادراته

لقد نجح السلطان سيدي محمد بن عبد اللـه في كل ما قام به من منجزات واعمال لصالح الدين والوطن لانه كان ذا فكر عبقري وهمة عالية وكان في جميع اعماله يحدوه الاخلاص والنصح للرعية فأتم الله عليه نعمته بالتوفيق والتسديد ، والشيء الوحيد الذي لم يسر حسب رغبته هو مخالفة ولده مولاي اليزيد عن نهجه في السياسة والاصلاح ، ولذلك فانه لما توفي بعده لم يبق على ما بناه والده وتضعضع كيان الدولة من جديد بعد ما كان قد ارساه هذا السلطان المصلح على قواعد راسخة .

وتوفي سيدي محمد بن عبد الله في طريقه الى الشمال بقصد استصلاح حال ابنه اليزيد ، وكان عند خروجه من مراكش قد اصابه مرض خفيف ، فتحمل المشقة وجد في السير فغلبه المرض وتوفي بالقرب من رباط الفتح في 24 رجب 1204 فحمل الى الرباط ودفن بها في داخل قصره المعروف رحمه الله ، وقد كان لـه من العمر حين توفي سبعون سنة وقضى في الملك ثلاثة وثلاثين سنة .

ومما مدح به قول صاحب الشمقمقية :

مذ كان طفلا والسماح دابه
وغير مأخذ الثنا لم يعشق

نشا في حجر الخلافة ومذ
شب فتى بغيرها لم يعلق

فبايعته الناس طرا دفعة
لم يك فيها احد بالاسبق

واعطيت قوس العلا من قد برى
اعوادها رعاية للاليق

فصار فيء العدل في زمانه
منتشرا مثل انتشار الشرق

وشاد ركن الدين بالسيف وقد
حاز بتقواه رضى الموفق

وقد رقى في ملكه معارجا
لم يك غيره اليها يرتقي

**طنجة ــ عبد اللـه كنون**

بينهم ، ولاسيما فى الاحوال الشخصية كعقد الزواج بالفاتحة وعدم الحكم بالطلاق الا بعد التحري من وقوعه فعلا مما يهدف الى صيانة العلاقة الزوجية من التلاعب والمحافظة على بناء الاسرة من الانهيار ، وهذه التقنينات حرية أن تخص بالدراسة ، وتناولها هنا مما يضيق عنه المقام .

الثالث ــ ميدان التعليم ، وكلنا يعلم ما كانت عليه الحياة العلمية فى بلاد الاسلام عموما على عهد السلطان من الضعف والركود ، وما ذلك الا للارتكاس الذي أصاب طرق التعليم ومناهجه والجمود على المخلفات سواء كانت نافعة أم ضارة بحيث لا يفكر احد فى التطور الذي حصل فى العالم فى ميادين الصناعة والفنون ولا يحاول احد ان يأتي بجديد يلقى به القديم فيصل الحاضر بالماضي الذي كان يزخر بالعبقريات المنتجة والمبتكرة فى كل مجال . وفكر السلطان فى علاج هذا الوضع ، وعلاجه هو علاج القرويين التي كانت الجامعة الوحيدة فى بلاده والمركز المختص بتكوين العلماء والهيمنة على شؤون الفكر باختلاف مناحيه . وكانت الخطوة التي خطاها فى هذا الباب هي وضع منهاج جديد للدراسة فى القرويين وسائر المعاهد التابعة لها ، الزم به العلماء والمدرسين وتوعد على مخالفته ، فكان أول تنظيم رسمي للدراسة فى هذه الجامعة الاسلامية الكبرى وربما سبق كل تنظيم آخر من نوعه فى أية جامعة اسلامية أخرى .

ويتلخص هذا المنهاج فى الامر باحياء الدراسات الاصلية من الكتاب والسنة وعدم الاعتماد فى الدراسات الفقهية الا على كتب الاقدمين مثل المدونة لابن القاسم والبيان والتحصيل لابن رشد وغيرهما وترك دراسة المختصرات وكتب المتأخرين كمختصر الشيخ خليل الجندي المصري وشروحه للاجاهرة الذي نهى عن الاعتماد عليهم فى الاحكام والفتوى على ما سبق . وكان هذا المختصر قد استأثر باهتمام الاساتذة والطلبة على السواء وقصروا نظرهم عليه وعلى شروحه المذكورة حتى لم يبق لهم التفات الى كتب الامهات ، ولا الى كتب الحديث والتفسير الا نادرا جدا. وهذا فضلاعن انهم يستغرقون السنين الطوال فى دراسته ولا يتأتى للطالب ان يمر فيه كله ويختمه ولو مرة واحدة الا اذا نفق بين دروس عدد من العلماء التي يلقونها حوله ، وذلك من كثرة الابحاث اللفظية والمحاكات القليلة الجدوى ، فأمر من يريد أن يدرسه أن لا يستعمل الا شروحه المبسوطة المحررة كشرح الحطاب والمواق وان يختمه فى اقرب وقت ممكن ، وكذا امر بالحرص على ختم الكتب المقررة فى بقية العلوم من نحو ولغة وبلاغة وادب ، وعين كتبها المفضلة وحدد زمن قراءتها ، وفى علم الكلام نهى عن تدريس كتب الاشاعرة والاخذ بمذهبهم وحض على مذهب السلف وعقيدتهم ، وامر فى ذلك بالاقتصار على عقيدة ابن ابي زيد القيرواني الواردة فى رسالته المشهورة ، وهدد المخالف بالعقاب كما حظر الاشتغال بكتب الفلسفة والمنطق والتصوف ولم يجوز لاحد أن يتدارس هذه العلوم الا فى بيته .

ومن المهم معرفة أن السلطان محمد بن عبد الله كان له ميل شديد الى مذهب اهل الحديث والعمل بالسنة فقها واعتقادا وهو فى ذلك شبيه بيعقوب المنصور الموحدي الا انه لم يغل غلو يعقوب فيأمر بحرق كتب الفقه ، وسمى مسجده العظيم الذي بناه بالرباط **جامع السنة** وهو لا يزال يحمل هذا الاسم وكان له مجلس من اهل العلم يسردون له كتب الحديث ويخوضون فى معانيها ويؤلفون له ما يستخرجه منها على مقتضى اشارته ، فمن مؤلفاته كتاب الفتوحات الالهية فى احاديث خير البرية مجلد جمع فيه ما اتفق عليه الائمة ابو حنيفة والشافعي واحمد والبخاري ومسلم ومالك ، ثم ما اتفق عليه اكثرهم الى ان ينفردوا، ومنها كتاب الجامع الصحيح الاسانيد المستخرج من ستة مسانيد ، وهي المذكورة قبله رتبه على أبواب الفقه ، ومنها اختصار شرح الحطاب على مختصر خليل ، وهذه الكتب تدل على علو همته ، وعظيم شغفه بالحديث النبوي وتمسكه بالسنة ، وذلك هو ما يفسر لنا قلة احتفاله بالعلوم العقلية والتصوف حتى استبعدها عن منهاجه وامر أن لا تدرس فى القرويين والمعاهد العلمية الاخرى ، متأثرا بما عرف من عزوف علماء الحديث واهل الاثر عموما عن هذه العلوم وتحذيرهم من الاشتغال بها .

وعلى كل حال فالمنهاج وان لم يدخل علما جديدا فى الدراسات القروية بل استبعد بعض ما كان موجودا فيها ، فانه كان محاولة لتجديد اساليب التعليم واحياء التراث الاسلامي وطي مراحل التحصيل التي كانت تستنفذ الاعمار من غير كبير فائدة ، ويا ليته استمر العمل به وجدد من حين لاخر اذن لكان آتى اكله واعطى نتائجه ، ولكن العلماء كانوا غير مؤمنين به فلم يخلصوا فى تطبيقه وما ان توفى السلطان وخلفه من خلفه حتى اذن لهم بالرجوع الى ما كانوا عليه ، وكل يعمل على شاكلته .

صور الشخصيات العلمية والادبية التي برزت في كل من العصرين .

فأطاب العلم في الدولتين كانوا ينتجعون الشرق لاستتمام المعارف وتبادل الاجازات وكان هؤلاء العلماء يشعرون بالرغبة في الاتصال بعلماء الشرق كما كان المشارقة يتوقون الى مبادلة علمائنا وجوه النظر وقد عرف الشرق كيف يقدر المغرب في شخص افذاذه امثال ابن سليمان الروداني والمقري وابن الطيب الشرقي ويحيى الشاوي وغيرهم لان اساليب الشرق والغرب كانت تتكامل كما أن عناصرها الحيوية كلها يتمم بعضها بعضا في هيكل موحد رصين . ولعل ما لاحظه المقري وقبله ابن خلدون من فروق بين الشرق والمغرب في الاتجاهات الفكرية والمناهج العقلية قد ظل على ما كان عليه اذ بينما كان الشرق مطبوعا بالعمق في ملكه العلوم النظرية طفق المغرب يوغل في البحث اللفظي مع تحقيق ما احتوت عليه بواطن الابواب وتصحيح الروايات وبيان وجوه الاحتمالات والتنبيه على ما في الكلام من اضطراب الجواب واختلاف المقالات مع ما انضاف الى ذلك من تتبع الآثار ، وبينما غلب على على تآليف المشارقة الايجاز (عدا البعض كالغزالي والفخر الرازي) مع انحصار في الموضوع سواء في التصنيف ام التدريس اذا بالمغاربة من القيروان الى القرويين يوغلون في الاستطراد . واذا كانت صناعة التآليف قد انتهت في علماء المغرب على صناعة أهل المشرق في شخص ابن البناء المراكشي فقد عللوا ذلك (ببراءه نسبة من البداوة) غير أن الامر لم يبلغ الحد الذي زعمه ابن خلدون في المائة الثامنة من انقطاع ملكة التعليم (1) على طريق النظار لان التحقيق العلمي ظل طابع الكثير من علماء عهد الشرفاء هذا مع تحفظات منها نوع من التجمد في المنهج وايغال في استظهار النصوص حيث ادى الحال في بعض نواحي المغرب كسوس الى تطرف في الاستظهار تجاوز المتون الى معاجم اللغة ولكن هذا الاسلوب الذى كان يحجر الفكر احيانا عند من لا يستطيع أن ينسق بين واعيته وملكته التصورية قد ضخم على العكس عند البعض السليقة العربية ولا ادل على ذلك من وفرة اعداد الادباء والشعراء في سوس حيث لا يزال التحقيق اللغوى خاصة بارزة ولا يعزب عنا ان ابن القزاز البربري هو الذي صحت عليه اللغة بالاندلس بعد ابي علي البغدادي وان أهل شنقيط اقرب الى ملكة التعليم عنهم ولم يكن منهم من له عناية بالرحلة بل قصرت هممهم واقتصرت على طريق تحصيل القراءة ودروس التهذيب فقط ، نعم اخذوا شيئا من مبادىءالعربية من أهلالاندلس مثلابن ابي الربيع والشلوبين وغيرهما لوجود ملكة النحو في قطر الاندلس بسبب رحلة علمائهم الى تلقيه من اربابه بالمشرق كما ارتحل اعلامهم الى بغداد في تحصيل علم الفقه عن الابهري وكذا يحيى بن يحيى عن مالك وغير واحد وكذلك علوم الحديث كرحلة الامام ابى بكر بن العربي . (نشر المثاني ج 2 ص 97) .

وهذا يناقض ما ذكره علي بن ميمون الحسني في تاليف له استطرد فيه الكلام على فاس فقال : « ما رايت مثلها ومثل علمائها في حفظ ظاهر الشرع العزيز بالقول والفعل وغزر الحفظ لنصوص امامهم الامام مالك وحفظ سائر العلوم الظاهرة من الفقه والحديث والتفسير وحفظ نصوص كل علم مثل النحو والفرائض والحساب وعلم الوقت والتعديل والتوحيد والمنطق والبيان والطب وسائر العلوم العقلية كل ذلك لابد فيه عندهم من حفظ ذلك الفن .. ما رايت مثلها ومثل علمائها » في سائر مدن المغرب لا في مدينة تلمسان ولا بجاية ولا تونس ولا اقليم الشام بأسره ولا بلاد الحجاز فانى رايت ذلك كله بالمشاهدة ولا بمصر على ما تقرر عندي من العلم الحقيقي بمشاهدة اناس من أهلها » (سلوة الانفاس ج 1 ص 74) وقد تحدث عبد الواحد المراكشي في المعجب (ص 221) عن فاس فقال : « هي حاضرة المغرب في وقتنا هذا (أول القرن السابع الهجري) وموضع العلم منه اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة .. رحل من هذه وهذه من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة فرارا من الفتنة فنزل اكثرهم مدينة فاس فهي اليوم على غاية الحضارة ، واهلها في غاية الكيس ونهاية الظرف ولغتهم افصح اللغات في ذلك الاقليم وما زلت اسمع المشائخ يدعونها بغداد المغرب .. الى ان قال : « ولم يتخذ لمتونة والمصامدة مدينة مراكش وطنا ، ولا جعلوها دار مملكة لانها خير من مدينة فاس في شيء من الاشياء ، ولكن لقرب مراكش من جبال المصامدة وصحراء لمتونة » الفصحى من باقي عناصر الشعوب العربية بفضل تلك الروح الاستظهارية البسيطة .

1) قال ابن خلدون : « لم نشاهد في المائة الثامنة من سلك طريق النظار بفاس لاجل انقطاع » .

# الثقـ[redacted]فة
# والـ[redacted]م
# [redacted]

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله
أستاذ في جامعتي القرويين ومحمد الخامس
والأمين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب
في العالم العربي

لعل من التعسف ان نقسم عصور المغرب الادبية تبعا لعصوره السياسية كما فعل الكثير من كتاب العصر بخصوص الادب العربي لان هذا الاسلوب لا يخلو من الافتعال وارى ان اضمن وسيلة لدراسة عصر من العصور هى التمهيد له بنظرة عن الحالة الفكرية فى القرن الذى يسبقه ثم الاسترسال فى دراسة العصر الذي هو موضوع البحث اذ ينتج عن ذلك اصطدام الباحث آليا بالفروق البارزة التي تميز بين العصرين فيسهل حينذاك رسم الحدود .

ان تاريخ حركة الفكر بالمغرب مهمة شاقة نظرا لقلة المصادر وانتشار الوثائق — على ندرتها — بين طيات كتب قدلا يخطر ببال مؤرخ الثقافة المغربية انها مظان محتملة لما ينتجمه من معلومات . فقد تجد مستندات ادبية فى كتب الفقه والتصوف وقد تعثر على اروع القطع الشعرية فى كتب الفتاوى أو الحوليات السياسية وقد تظفر بدقائق تلقي ضوءا على خوافى التيارات الادبية بين ثنايا كتب التراجم التي تكاد تحتكر عالم التأليف فى جهازنا الثقافى .

وبالجملة فمصادر تاريخ الفكر فى عهد الشرفاء تذهب من الكتب الفقهية كالدر الثمين لميارة والمعيار للونشريسي ، الى كتب التاريخ كمصنفات ابن القاضى والفشتالي والافرانى الى الرحلات كمحاضرات اليوسي ورحلة العياشي الى كتب التراجم كالدرر المرصعة ومرآة المحاسن ونشر المثانى الى اراجيز كالاقنوم الى كتب ادبية صرف كالانيس المطرب للشريف العلمى .

واستقراء هذه المصادر كلها قد يرسم فى ذهن الباحث صورة لا نقول واضحة ولا تامة عن خصائص الحركة الثقافية ومميزات الناتج الفكرى وعن الروابط أو الفروق التي يمتاز بها هذا العصر عن ذاك وهذه الطائفة عن تلك وهذا الفريق من المحدثين والفقهاء عن ذلك الرعيل من الشعراء والمتأدبين والمؤرخين ، والمعلومات التى تكتمل تحت ضوئها صورة الجهاز الفكرى بالمغرب هى عبارة عن فسيفساء يستلزم التوفيق بين نوازعها ان لم نقل مناقضاتها شيئا غير قليل من الاصطبار والاناة اذ بقدر ما تختلف المصادر بقدر ما تتنافى الالوان والنزعات واساليب الحكم والتقدير .

وقبل أن ندخل صلب الموضوع نود ان نحلل الخصائص الكبرى المشتركة بين العصرين السعدي والعلوي فى الميدان الفري : ففي كليهما كان لفاس مركز الصدارة والاشعاع وفى كليهما اتحدت مناهج التدريس فى القرويين وغيرها من الجوامع كما اتحدت اساليب البحث وطرق التنصيف مع اختلاف طفيف فى الموضوع غير أن جامعة فاس ازدادت صدارة فى عصر العلويين بعد أن انهارت المراكز العلمية التي كانت تزاحمها كزاوية الدلائيين او تقلصت كزاوية الناصريين وقد كان كل منهما مقصد رواد المعرفة ومجمع العلماء والشعراء والمتأدبين ، ولكن هذا الانقلاب لم يمس المجموع بل كان مجرد انتقال من جهة الى جهة لان العناصر الثقافية التي كانت تمد زيان وتمغروت ظلت عاملا قويا فى توطيد الحركة الفكرية فى المغرب ولكن بقدر ما تضاءل اسهام الدلائيين خلال العهد العلوي بقدر ما تضخمت مشاركة الناصريين فى نشر الثقافة بالربوع السوسية خصوصا والجنوب عموما غير أن المدارس الفكرية ظلت هي أسلوبا وروحا وغاية .

ولعل أقرب الاساليب الى توضيح الفروق بين العصرين — ان كان هنالك كبير فروق — هي استعراض

الحلقة التي بداها فى المغرب بنو زهر وبنو افلاطون الفاسيون فى العهد الموحدي .

وقد امتاز العصر العلوي بظواهر منها دخول عائلات اسرائيلية فى الاسلام ونبوغ علماء افذاذ منهم لا سيما فى فاس ووفرة التآليف لاسيما منها تراجم الصوفية والروح الفقهية والحواشي والذيول والاراجيز ، وظهور انماط جديدة من التآليف كمحاضرات اليوسي وقانونه واقنوم عبد الرحمن الفاسي ورحلة العياشي وكلها تعد دوائر معارف لما كان يروج فى ذلك العصر على أن الانيس المطرب للشريف العلمي يعد ايضا فتحا جديدا فى ذلك العصر لصبغته الادبية الصرف وتخصيصه تراجم ضافية لاثنى عشر من ابرز ادباء العهد العلوي كالحلبى وابن زاكور ومسعود المريني والعربي الشرقي والمهدي الغزال وعمر الحراق والبوعصامي الموسيقار وغيرهم وسنتعرض لخصائصهم الادبية منظرين بينها وبين ما امتاز به بعض شعراء وكتاب الدول المغربية السالفة او الامصار العربية الاخرى .

ومن الظواهر التي امتاز بها العصر العلوي حرية النقد حتى ان محمدا الضعيف مؤرخ الرباط كتب صفحات نقدية شديدة اللهجة ضد العائلة العلوية كما كتب الحسين ابن السلطان محمد بن عبد الله مؤلفا ضد الدولة العلوية وحكومة والده .

وقد فسح المغرب صدره لعلماء الاسلام كأحمد بابا السوداني فى ايام المنصور السعدي كما تبنت فاس الامام الحلبي ايام المولى اسماعيل وقد تخصص الاول فى باب جديد هو تراجم الفقهاء بينما برز الثاني فى لون جديد من الشعر هو المديح النبوي على الطريق الصوفي بما فيه من التغني بالحقيقة المحمدية مما ادى الى منافرة بينه وبين اليوسي .

وهكذا فان الحركة الادبية فى العهد الاسماعيلي لم تكن كما يقول ليفي بروفنصال محصورة على وجه التقريب فى دائرة الكتاب المخزنيين ببلاط مكناس وان من الصعب التمييز بين الحالة الفكرية فى القرن العاشر وبينها فى القرن الحادي عشر بل الثاني عشر ، ولعل الادباء المخضرمين الذين عاشوا فى اعقاب السعديين واوائل العلويين صورة لوحدة الطابع من كافة النواحى اللهم الا تقلصا هنا وامتدادا هناك تبعا لمقتضيات التطور الحتمية .

واذا أردنا أن ندرك نوع المعارف التي كانت سائدة فى ذلك العصر والتي احتكرت نشاط رجال الفكر فما علينا الا أن نستعرض زمرة ممن شملهم العهدان امثال البوسعيدي والاغلالي والتمنارتي وميارة والمرغيثي واليوسي والعياشي وآل الفاسي والغساني والحلبي وابن زاكور والولالي واحمد بن ناصر وغيرهم فستتضح لنا خطوط ذلك الاطار الذي انحصر فيه النشاط الفكري .

فمن عالم يكدح فى خمول موزعا يومه بين التدريس والعبادة الى مصنف لا يعدو شرح النصوص الفقهية أو جمع تراجم الصوفية او وضع لوائح مطولة عن شيوخه واجازته الى فقيه انصرف للقضاء او الفتيا فاحتكره حديث النوازل والاقضية والخصام والشجار الا ان غالب الفقهاء يعزفون عن المناصب العمومية وينصرفون الى التعليم احتسابا وتطوعا .

ولكنك تجد ازاء هذا النزوع الفقهى والوجهة الصوفية اتجاهات من نوع جديد تضفي على المجتمع الفكري الوانا طريفة فانك تعثر فى هذه الفترة على دواوين شعرية وتحريرات تاريخية الى جانب كتابات فى الحساب والفلك والطب فهذا عبد الرحمن التمنارتي يتولى الفتيا والقضاء ويقرض الشعر العالي ويؤرخ لسوس العالمة فى فهرسته القيمة وهذا المرغيثي يدلي دلوه فى كثير من شعب المعرفة بعد أن اقام فى زاوية الدلاء محفل الاداب والعلوم فيكتب فى الرياضيات والهيئة ويجمع معلومات شيقة عن مجتمع عصره مازجا ذلك بفوائد مختلفة تتراوح بين التنزلات الروحانية والوصفات الطبية والشوارد الادبية وقد استقى الافراني مادة تاريخ المجتمع السعدي عن امثال هذه المصنفات ، وهنالك نوع آخر من التصانيف يتجلى فى (الدر الثمين) لميارة حيث نجد الى جانب الذيول الفقهية والتعاليق الصوفية طرائف عن الحركة الفكرية المعاصرة وبرحلة العياشي يظهر اسلوب جديد فى البحث يحاول ان يتجاوز النطاق المغربي المحدود الى ذلك الفضاء الواسع الذي يمتد الى الشرق الادنى حيث المناهج الدراسية تختلف نوعا ما عنها فى المغرب وحيث طرائق التصنيف ومواضيع التاليف تتسم بميزات من طراز جديد فنرى العياشي يحاول أن يدرس خصائص الشرق ليقارنها بالحالة المغربية مخللا ذلك بنظرات تاريخية وتلويحات صوفية واستطرادات ادبية فهو يحدثنا عن شراب البن فى الشرق مشيرا الى انعدامه اذ ذاك بالمغرب كما يصف لنا يوم المحمل بمصر ثم لا يلبث ان ينتقل الى الطرقية ومناكر المواسم معرجا على جزئيات كتطويل اللحية وحكمها وعدد العوالم البالغ ثمانية عشر الفا ثم يدرج

فلهذا وذاك كان من المفيد قصد تحقيق التكامل استمرار الاتصال بين علماء المغرب وعلماء المشرق وقد تطورت هذه الحركة أيام العلويين فشاهدنا كثيرا من علماء المغرب وادبائه يتجهون الى مصر والحجاز للاستجازة والاجازة كالعياشي واليوسي واحمد بنناصر واحمد القادري ومحمد (فتحا) الفاسي ومحمد بن الطيب العلمي المتوفى بالقاهرة واحمد بن الخياط الذي مكث طويلا في القاهرة ايضا واحمد الهلالي الذي ترك لنا وصفا شيقا لرحلته العلميــة هذه .

ولكن الآفاق اتسعت بعد ذلك برحلة كل من الزياني والوزير الغساني الى سواحل المتوسط الاروبية حيث كتب لنا الاول صفحات ناصعة عن الحياة الثقافية بالاستانة والثاني عن اسبانيا ، وكان هنالك رحالون آخرون كابن زاكور الذي خلف لنا حاشية على قلائد العقيان وشرحا في ثلاثة اجزاء على الحماسة زيادة على شروح ادبية اخرى .

وهذه الرحلات التي قام بها كل من الزياني والغساني كانت سفارات رسمية وهذا بدا لنا على أن الملوك العلويين كانوا يختارون لسفاراتهم السياسية الكتاب الادباء كما فعل المنصور السعدي اوائل المائة العاشرة حيث وجه الى الاستانة سفارة فيها محمد بن علي الفشتالي الشاعر المؤرخ وعلي التمغروتي صاحب النفحات المسكية في السفارة التركية وسفارة اخرى الى مراد الثالث فيها الكاتب ابو العباس احمد بن علي الهوزالي .

ولكن اذا كان هؤلاء العلماء قد استغلوا رحلتهم لتدوين ما التقطوه من فوائد ومعلومات فقد اغتنم ابن القاضي مؤرخ الدولة السعدية رحلته للقيام بعمل اوسع نطاقا هو تصنيف موسوعة عن علماء الاسلام شرقا وغربا .

وقد تبلورت في العهد العلوي بعض الخصائص الثقافية كالاكثار من التصنيف حيث بلغت تآليف ابي زيد الفاسي مائة وسبعين مصنفا شملت حتى الطب والفلك زيادة على التاريخ والتنجيم والكيمياء هذا بينما لم يحص للصومعي قبل ذلك سوى ستين مصنفا ولابن بابا اربعون .

اما الايغال في الحفظ فقد كان ميزة العصرين حيث كان محمد الرقاد بن احمد المدعو الفيوم بن عمر الكنتي يحفظ الف مجلد وقبله كان الجزولي — قبيل العصر السعدي — يحفظ — على ما ذكره احمد بابا في كفاية المحتاج — فرعي ابن الحاجب وقيل حتى المدونة وكان هنالك من يحفظ الحلية بمجلداتها العشرة وكان ابو زيد الفاسي يحفظ الصحيحين .

اما تشجيع العلم والعلماء من طرف الملوك فان مجهود المولى الرشيد لم يقل عن ايادي المنصور السعدي البيضاء ويكفي دليلا على عناية الرشيد رغم ما كان يشغله من مهام سياسية نظرا لحداثة دولته واضطراب البلاد — أنه كان يكلف نفسه عناء حضور دروس العلماء في القرويين كالشيخ اليوسي ويتحف رجال الادب بالهدايا بآلاف الدنانير وبالرغم عن حركة التحرير الواسعة التي قام بها المولى اسماعيل فان بناء المدارس ظل موصولا حتى بلغ منتهاه ايام حفيده المولى محمد بن عبد الله الذي نشر العلم واسس عشرات المعاهد في « المداشر » والقرى وتعاطي صناعة التأليف وطور مناهج التدريس والتصنيف .

فنحن نرى اذن أن القرنين العاشر والحادي عشر موسوما بسمات مشتركة على وجه العموم الا ان بعض المميزات قد تضعف هنا بينما تقوى هنالك وسنأتي بأمثلة حية نستقيها من حياة الكتاب والشعراء وقد ادى انبساط الامن في العهد الاسماعيلي الى استمرار الاتصال بين نقط المغرب المتنائية فأمست العواصم العلمية الحضرية مهبط العلماء من أقصى الجنوب وقد عرفت هذه الحواضر سوسيين افذاذا منهم التمنارتي الشاعر المؤرخ واحمد البوسعيدي والمرغيثي الشاعر الفلكي الطبيب وغيرهم . وكانت العائلة الفاسية احد العناصر التي تتولى الزعامة في العاصمة العلمية ولكنها اصبحت مزاحمة في العصر العلوي من طرف الدلائيين (الذين نبغ منهم خلال القرن الحادي عشر اثنان هما محمد المسناوي ومحمد ابن عبد الرحمان) والقادريين والسوديين وغيرهم وبينما كان الدلائيون والناصريون يتقاسمون آخر أيام السعديين النفوذ الثقافي في بادية اقصى الجنوب وبعض نواحي الاطلس أصبح هذا المركز الاخير ميدانا يكاد يحتكره الشرقاويون الذين لم يكن نشاطهم ثقافيا اكثر منه صوفيا كما كان الحال بالنسبة للزاويتين الدلائية والتمغروتية .

وقد عرف العصر العلوي اطباء من بينهم المرغيثي المذكور وابن زاكور الذي ذيل ارجوزة ابن سينا في الطب وعبد المجيد المنالي الشاعر الصوفي الطبيب وآل ادراق البرابرة الذين توارثوا مهنة الطب ابا عن جد وابرزهم عبد الوهاب وقد وصل هؤلاء

ديـــوان ) القائل فى حقيقة الشاعر : ( ان اسم الشاعر لا يطلق الا على من وقف فى حرم المعانـــي بكل المشاعر اما من سلك طريقة واحدة فآراؤه فاسدة وبناؤه علـــى غير قاعدة) ولعل هذا التعريف صورة لذلك العصـــر الذي كان شعراؤه يستوحون من خيالهم وعواطفهـــم المتأججة مثلما يستوحون من ارواحهم المضطلعة بأوار التقوى وفى ذلك الحوار الذي دار بين هؤلاء الشعراء وبين الشريف العلمي الوان شتى وضروب مختلفـــة للاداب والفنون التي كانت رائجة فى ذلـــك العصـــر .

وبعد ما يذكر العلمي شعراء معاصرين آخريـــن امثال احمد عمور نراه يعرج على كتاب العصر كالمهدي الغـــزال القائل فى وصف راقصـــة :

قامت بكـــأس الـــراح راقصـــة
بيـــن الغوانـــي رقصهـــا يطـــرب
كـــأنهـــا والكـــأس فى يـــدهـــا
بـــدر تبـــدى حـــولـــه كوكـــب

وفى وصف بستـــان :

انظر الى الـــروض وقـــد نشـــرت
عليـــه اوراق مـــن اليـــاسميـــن
يحكي بساطا ناعمـــا صيـــغ مـــن
زبـــرجـــد يعلـــوه در ثميـــن

ولكنه يقول ايضا متأثرا بنزعة العصـــر .

المـــوت لا شـــك آت
وكـــل آت قـــريـــب
فـــشـــب وشـــب قـــبـــل أن
يعتـــريـــك مـــنـــه وشـــوب

ومنهم الوزيـــر الكاتب عمر الحـــراق القائـــل فى ديوانه أنه يفاخر بمسقط راسه شفشاون :

ما شعب بوان ما مرج دمشق ومـــا
نيـــل بمصر وما العاصي لـــدا حلـــب
فى جنب شفشاون الغراء ان فخرت
بتينهـــا وبـــزيتـــون وبـــالعنـــب

ومنهم احمد دادوس ( صاحب التعـــاريـــض فى الضروب والاعاريض) الذي رثى وغزل وجد ما شـــاء وهزل) والاديب البوعصامي (بليغ مصره وامام الادباء فى مغربه وعصره رحل الى المشرق ، وطلـــع عليـــه كالبدر المشرق) القائـــل :

محى بدمـــع كالعقيـــق محاجـــري
شـــوقا لطيبة والعقيـــق وحاجـــري

ولهذا الشاعر باع طويل فى ترتيب النغمـــات الثمان التي عليها مدار الغناء والالحان ومنهـــم ايضـــا الشاعـــر عبد القادر بن شقرون القائل :

اسقياني كـــؤوس بنـــت الدوالـــي
ان عراني السقام فهـــي الدوا ، لي

الى ان قـــال :

كـــم ليـــال قطعتهـــا فى نعيـــم
حفـــظ اللـــه عهـــد تلـــك الليالـــي
بيـــن راح وشمعـــة ومغـــن
وظبـــاء تنصتهـــا بـــاحتيـــال

ولكنه ينفعل (لنزعـــة العصـــر) فيقـــول :

رب يســـر لعبـــدك الفتـــح واشرح
صدر من صدره من العلـــم خـــال

ومنهم الكاتب محمد بن سليمـــان ( شاعـــر مطبوع ... واديب همام) القائـــل :

عذيري مـــن هـــوى غصـــن رطيب
أرانـــي البدر مـــن فوق القضيب
مليـــح فاتـــر الالحـــاظ طفـــل
صبـــوت لحسنـــه بعـــد المشيـــب

ومنهم الحاج علي مندوصة كلامه (يغار منه امرؤ القيس ويحن اليه جميل بثينـــة وقيس القائل :

الى كم ءدتك النفس ترمـــي فؤادنـــا
بسهم نضي اللحظ أرياشه هـــدب

الى ان قـــال :

فدوتكـــم ربـــات قـــرط خـــريـــدة
مفونة هيفـــاء هـــام بهـــا الحب
مبرقعـــة لميـــاء غضـــة بضـــة
ســـوى أنهـــا عذراء ناهدة عرب

ومنهم محمد بن يعقوب ( صاحب الابيات السهلـــة العبارة اللطيفة الاشارة ) ومن تلك النمـــاذج تـــدرك ان شعراء العصر العلوي الاول مراتب فهم بين فحل (يتصرف فى فنون الكلام كثير الاغراب لا يعلم له مـــراد ولا يفهم من ابياتـــه الا الافـــراد ) .

وهناك شعراء وكتاب آخرون لـــم يذكرهـــم الشريف العلمـــي فى انيسه امثال عبـــد الواحـــد البوعناني مفتي فاس الذي هنأ المولى اسماعيل علـــى تحرير العرائش بقولـــه :

فوائد طريقة كاستيناس المصريات المترفات بشراء ريال من الازهار كل يوم ولا شك أن شيوع هذا النوع من التأليف فى الوسط المغربي يحدث اثره السريع .

وقد اغرق العلماء فى التصنيف حتى بلغت تآليف بعضهم المائة والسبعين وهذه الوفرة من ابرز ميزات العهد العلوي يضاف اليها التنوع حيث تجد الرجل الواحد يؤلف فى الطب والهيئة والفقه والتاريخ والتراجم والاداب ولكن اذا كانت بعض المصنفات صورة صادقة لذلك العصر كمحاضرات اليوسي فان الكثير يمتاز بموضوعية متطرفة لا تترك مجالا لانبثاق ذاتية المؤلف مما يفقدها الروح والمتعة فالمحاضرات تصور لك الحرية بكيفية تثير فى النفس حب التطلع وروح الانسياق مع المؤلف حتى ليخيل للقارىء انه يعيش فى ذلك العصر وهل هنالك لوحة تاريخية ابلغ من تلك الصور المتتالية التي يرسمها اليوسي فيشخص فيها الادباء فى مساجلاتهم والصوفية فى حضراتهم والملبسين فى دعاويهم والعوام فى خرافاتهم وتشبه الرحلة اليوسية رحلة احمد بن ناصر من حيث الافاضة فى الحديث عن الشرق .

ثم ينبثق القرن الثاني عشر فيتسع نطاق النشاط الفكري ويتضخم التنوع فيظهر امثال الزياني والوزير الغساني والشريف العلمي .

فالزياني مؤرخ دقيق الملاحظة يخطو بأسلوب البحث والتحقيق خطوات ويوسع موضوعه فيكشف عن الحياة فى جزء من القارة الاوربية وينطبع اسلوبه التاريخي بمنزع جديد لانه يحاول مزج وصف الاحداث بنظرات عن نظام الحكم والحالة الفكرية اما رحلة الغساني الى اسبانيا فانها وثيقة عرفت ادباء المغرب اذ ذاك بأساليب الحياة فى بلدان مسيحية ووصفت المجتمعات الاوربية وحياة البلاطات والطبقات الارستقراطية الاسبانية وتجد الشريف العلمي ينفرد ادباء وشعراء بتأليف خاص فيتجه بالتصنيف اتجاها فنيا يهدف الى النقد والتحليل والتنظير من خلال محاورات اجراها المؤلف مع اثنى عشر من معاصريه كالحلبي ، رغم ذلك موسوما بالطابع العام الذي كان يصطبغ به التصنيف فى القرن الثاني عشر وهو الانتشار وعدم التزام الموضوع وتدشبهه بعضهممن هذه الناحية بقلائد العقيان أو المنتقى المقصور . فنحن نجد الى جانب هذا البيت الذي هو من نظم المؤلف نفسه يخاطب به المولى اسماعيل :

امولاي امنت البلاد واهلها
فلله رب الناس ثم لك الشكر

قصيدة للحلبي مطلعها :

يا رب اني ضعيف هالني الوجل
ما حيلتي يوم هول العرض ما العمل

واخرى لابن زاكور ( وحيد البلاغة وفريد الصياغة) صدرها بقوله :

اتق الله ما استطعت فان
الله ربي مع الذين اتقوه

هذا مع ان للحلبي مقامات عارض بها الحريري ولابن زاكور (عنوان النفاسة فى شرح الحماسة) ثلاثة اسفار و (مقياس الفوائد فى شرح ما خفي من القلائد) والصنيع البديع وشرح المقصور والممدود وشرح لامية العرب والمعرب المبين وغير ذلك .

وهذه النزعة الصوفية نجدها عند معظم شعراء هذا العصر فالشاعر مسعود المريني (واعظ المدينة المرتدي بالوقار والسكينة) الذي له تآليف فى التصوف وقصائد عارض بها ابن الوفا وطاول ابن الفارض يقول فى مطلع قصيدته :

يا رب انك موجدي ومكوني
ومدبري ومصوري ومشكلي

وفى اخرى :

سهام الموت راشقة النبال
ونحن مع البطالة لا نبالي

ولكنه يقول أيضا :

طيف الخيال تعرضا
اخذ المقام واعرضا

واثار وجدا كان في
طي الاضالع اجهضا

ويقول فى رسالة التزم فيها السين محتديا ابن الخطيب :

سلام كنسمة مسك سرت
لانفاسكم بنسيم سحر

لساحتكم ساقه مستهام
سباه سنا حسنكم وسحر

ومن شعراء العصر ايضا محمد ابن العربي الشرقي ( شاعر الاوان الذي لم يشتمل على مثله

أما القرن الثالث عشر فانه لا يكاد يختلف في مجموعه عن سابقيه فقد امتدت الى اوائله حياة رجلين هما محمد التاودي ومحمد المنالي الزبادي اللذان مات كلاهما عام 1209 وكانا نموذجا جديدا العلماء يحرصون على انتاج الشرق للتبحر في علوم لم تكن منتشرة في المغرب واذا اردنا ان نأخذ صورة عن هذه العلوم التي كانت اساس الدراسات في الازهر فلنرجع الى سند الشيخ احمد بن عبد المنعم الدمنهوري المتوفى في عام 1196 حيث ذكر انه تلقى في الازهر (الحساب والميقات والجبر والمقابلة والمنحرفات واسباب الامراض وعلاماتها وعلم الاسطرلاب والزيج والهندسة والهيئة وعلم الارتماطيقي وعلم المزاول وعلم الاعمال الرصدية وعلم المواليد الثلاثة وهي الحيوان والنبات والمعادن وعلم استنباط المياه وعلاج البواسير وعلم الترشيح وعلاج لسع العقرب وتاريخ العرب والعجم) ويلاحظ ان العلوم الرياضية والكيماوية لم تكن تدرس وقد صرح شيخ الازهر لاحمد باشا كور عندما تولى حكم مصر عام 1161 ان الازهر لا يعرف الرياضيات وقد حارب الازهريون الجهود التي بذلها الافغاني عند دخوله الى مصر عام 1288هـ لانشر العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفة . ومع ذلك فقد كانت تروج في الشرق علوم متداولة بالمغرب الا عند القليل من الخواص فلذلك اتجه التاودي والزبادي الى الشرق حيث طال مكث الاول ولقي الشيخ مرتضى وهنالك آخرون مثل عبد القادر الكوهن الذي مات بالمدينة بعد أن ترك لنا وصفا لرحلته الاولى الى الشرق .

وممن نبغ في هذا القرن من رجال الفكر ابن عجيبة، الذي تحتوي فهرسته على معلومات حول الحالة الفكرية في تطوان وسليمان الحوات الذي جمع في البدور الضاوية اجازات الدلائيين ومراسلاتهم ومقتطفات من أشعارهم والشيخ حمدون ابن الحاج الذي ترك لنا ديوانا حافلا بمدائح المولى سليمان الذي حركت مآثره المشاعر حتى قال محمد بن ادريس الفاسي :

ليس الا ابا الربيع ربيع
خلقه الجود والهدى والوفاء

بسليمان قد سلمنا وسرنا
فالعلى منزل له والعلاء

كفه كفت الفساد وكفت
كل عاد فمالكم اكفاء

وبلغ صدى المفاخر السليمانية تونس الشقيقة فتحركت شاعرية فحلها الهمام ابراهيم الرياحي الذي نظم في ابي الربيع قصيدته الخريدة التي مطلعها :

ان عز من خير الانام مزار
فلنا بزورة نجله استبشار

ومنها :

هذا الذي رد الخلافة غضة
وسما به للمسلمين منار

وابرز ما امتازت به العقود الاخيرة لذلك القرن الماضي تقلص التصانيف الصوفية على اثر الحركة الوهابية التي اثارت أيام المولى سليمان موجة من التعاليق والمساجلات عقب وصول استفتاء من ابن سعود الى علماء فاس وقد تصدى المولى سليمان نفسه للتأليف في الموضوع حيث اصدر رسالة في بدع العوام من الطرقيين .

وكان من اهم وسائل نشر العرفان وتوطيد الحركة الفكرية بناء المدارس الوفيرة في اناى النواحي ويكفي أن المولى محمد بن عبد الله شيد ست مدارس في قصبة مراكش وحدها وقد كان للملوك العلويين تدخل مباشر في توجيه الحركة الفكرية فهذا المولى محمد ابن عبد الله الملك العالم يضع منهاجا جديدا للتدريس أساسه المطولات والموسعات من مصادر الفقه والاصول وعدم الخوض في جدليات علم الكلام والاقتصار في الاعتقادات على الكتاب والسنة . وهذا المولى سليمان يبذل الاموال الطائلة في تشجيع الطلبة على استظهار المتون كمختصر خليل وقد عرف قبلهما محمد العالم نجل المولى اسماعيل كيف ينهض الحركة الادبية في سوس حيث كان خليفة عن والده وكان هو نفسه ضليعة في شتى الفنون .

وقد اتصل حبل الادب على الطريقة التقليدية في النصف الاول لهذا القرن كما تواصلت حلقات التصنيف في نطاق محدود على غرار القرون السالفة مع ايغال في الاقتصار على الجمع والتنسيق بكيفية تجرد عالم التأليف من كل روح ولكن المغرب دخل منذ بضعة عقود عهد انبعاثه لا سيما في العصر المحمدي الذي ظهرت فيه على النسق الشرقي في الحديث انماط والوان جديدة يهدف بعضها الى الجمع بين طرافة الحديث ومتانة القديم .

**الرباط — عبد العزيز بنعبد الله**

الا ابشر فهذا الفتح نور
قد انتظمت بعزكم الامور

وقد وصف اشرئباب اعناق المدن المختلفة الى التحرر على يد السلطان فقال :

ووهران تنادي كل يوم
متى يأتي الامام متى يزور

وقال قبله :

اذا ما جاء سبتة فى عشى
تناديه اذا كان البكور

ومنهم عبد السلام بن حمدون جسوس القائل :

رفعت منازل سبتة اقوالها
تشكو اليكم بالذي قد هالها
مع بادس وبريجة فتعطفوا
وتنبهوا كي تسمعوا تسآلها
فلقد قضيتم للعرائش حاجة
مع طنجة فاقضوا الذي آمالها
وارفع لهذا المغرب رأسا انه
فى الضعف ما دام العدا انزالها

وقال عبد السلام القادري :

علا عرش دين الله كل العرائش
وهد بنصر الله قصر العرائش

تلك الوان خاصة من الشعر الوطني الذي يحاول ميه الشاعر التعبير عن آلام الشعب وآماله .

وعند ما قام المشاغب ابو حفص الوقاش يدعي الملك قائلا :

انا عمر الموصوف بالباس والندى
انا عمر المذكور فى ورد الجفر

اجابه ابن بجة الريفي بقصيدة منها :

فى صفحة الدهر قد خطت لنا عبر
منها ادعاء الحمار انه بشر

وهذا لعمري ابداع ، فى فن الاقذاع .

وفى هذا العصر كانت زاوية شرقاوة فى ناحية تادلا محفلا للادب والفنون وقد خلفت زاوية الدلاء فشملت بعطفها كثيرا من الادباء الذين وجدوا فى ربعها المقام الرحب كالافراني الذي بدأ حياته التصنيفية بشرح بديع لتوشيح ابن سهل الاندلسي وهو نموذج للنثر (الفني) فى ذلك العصر اما الزاوية الناصرية فقد احتفظت باشعاعها فى الجنوب وفى (الدرر المرصعة) لمحمد المكي الدرعي صور ناصعة لآثار هذه الزاوية فى العلم والادب والكتاب ينطوي على معلومات ادبية قيمة وقصائد رائعة منها مقطوعات كلها تفجع على اهل الدلاء كقول العربي الفاسي :

ادار بذات السدر فى الجانب الشرقي
سقاك الحيا، ما دام صوب الحيايسقى

اما درعة فقد قيل فيها بين ما قيل :

الم بدرعة واختر للنزول بها
زاوية الفضل مأوى المجد والكرم

وهناك مقطوعات منها للهاشمي الشكلنطى الرباطي :

يا حاديا اسرع بذات الزمام
وارع رعاك الله حق الذمام
فانني امسيت ذا قلق
من شدة الشوق وفرط الغرام

وقال :

ورشا من آل يافث
لحظة بالسحر نافث
يخطأ السين الى ثاء
الثاني والمثالث
قلت جدلي بوصال
قال دع عنك الوشاوث

وتذكرني هذه الابيات بالبيتين الذين ساقهما الجاحظ فى البيان والتبيين :

| | |
|---|---|
| والشيخ رأيته | بفعل ما لا ينبغي |
| قلت له انت بري | قال بلى انا بغي |

ويمكن القول بأن تلك النهضة الادبية الرائعة التي عمت بلاد سوس فى العهد العلوي حتى تفتحت القرائح عن ابدع ما انتجه الفكر المغربي — انما يرجع فضلها للحركة الناصرية التي نشرت العلوم والفنون الى تخوم الصحراء .

وهذه العجالة تضيق عن استعراض النماذج المختلفة للحياة العقلية فى العصر العلوي ولعل فى كتاب (نشر المثاني لاهل القرن الحادي عشر والثاني عشر) لمحمد القادري مادة وافية لمن اراد ان يقف على الوان الحركة الفكرية بالمغرب خلال قرنين .

على الانسان ويملك عليه احساسه ومشاعره مهما تظاهر بالتنكر له او الافلات من سيطرته ومن ثم فان التلاؤم بين الاخلاق الناشئة عن اوامر الدين وبين الناشئة عن الضمير ليس ممكنا فقط بل ان الدين هو اصل الضمير ، والعقيدة مركز اشعاعه ونقطة انطلاقه. ولا يعني هذا ان الانسان يفقد حريته امام تعاليم الدين فما دام الانسان مكلفا ومسؤولا عن اعماله فلا بد ان تتاح له حرية الاختيار ، والا فما كان هناك داع لابتلائه واختباره ، بل ان تغيير واقع حياة الانسان لا يتأتى الا بتغيير نفسه اولا ،فمن الشروط الاساسية لخلق ظروف ملائمة لحياة كريمة ان يغير الانسان ما به ، فالخير انما ياتي من تفاعل الانسان مع الحياة تفاعلا ايجابيا « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » وما دام الانسان يملك هذه السلطة على نفسه ويملك بواسطتها خلق التوافق بين ارادته وارادة الله فلا مجال للقول بان الاخلاق الدينية والاوامر الالهية من قبيل السلطة الخارجية عن ذات الانسان ، بل هي من صميم ذاتيته مهما حاولنا فلسفة الموقف وتعقيله .

لقد كان ضروريا ان نتعرض بصفة موجزة لنشأة الشعور الخلقي وعلاقة هذه النشأه بالدين .

قبل ان اتناول الاخلاق الاجتماعية في القرءان الكريم ، والواقع ان القرءان الكريم مليء بمواعظ اخلاقية وتوجيهات سامية تفيد الانسان في دينه ودنياه ، واذا كان كل تشريع ديني يمتزج فيه الخلقي بغير الخلقي والجزاء فيها اخروي صرف ، فان القرءان يمتاز بكونه لم يقتصر على العقاب الاخروي بل سن عقابا دنويا يلقاه كل من خالف التعاليم القرءانية فالقضية ليست متروكة فيما بين العبد وربه بل هي موضوعة فيما بين العبد وربه وفيما بين الاول ومجتمعه الذي له كامل الحق في الاقتصاص منه بواسطة التفويض الالهي للمجتمع المبني على العدل ومساواة الناس بعضهم لبعض « وامرهم شورى بينهم »

وقد سلك القرءان طرائق مختلفة واساليب متنوعة في ايصال التعاليم الاخلاقية الى الناس وتركيزها في نفوسهم ، مراعيا دائما ظروف الانسان النفسية واحواله الاجتماعية ، فتارة يسلك اسلوب القصة واخرى نهج الوعظ المباشر والتوجيه ، وطورا طريقة التعنيف والتقريع ، ومرة وسطا بين هذه وتلك حسب ما تمليه طبيعة الموقف والواقعة التي كانت سببا من اسباب نزول الوحي .

والدعوة الخلقية في القرءان ترتكز على اسس ثابتة لاتتغير واذا كان ليس بامكاننا ان نستقصيها الآن فانه يمكن ان نشير الى بعض منها :

1) **الدعوة الى الحياة** فدعوة القرءان دعوة الى الحياة بكل ما في كلمة الحياة الانسانية الفاضلة من معنى شريف نبيل « يا ايها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم »

2) **تحليل الطيب وتحريم الخبيث** « ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث »

3) **تكريم الانسان لذات الانسان** « ولقد كرمنا بني ءادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »

4) **القصد والاعتدال في كل شيء دينيا كان او دنيويا** « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط » « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا » « والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما »

5) **الحرية المقرونة بالمسؤولية** « بل الانسان على نفسه بصيرة » « اقرا كفى بنفسك » « ولا تزر وازرة وزر اخرى » .

الى غير ذلك من المباديء القيمة التي راعاها القرءان في دعوته الاخلاقية ، والشيء الذي يثير انتباه الانسان وهو يتتبع الآيات الاخلاقية في القرءان ، هو ان تناول القرءان للاخلاق ليس مبنيا على فلسفة تجريدية بل القرءان ينزع نزعة عملية فياخذ بيد الفرد ويقوده في رفق ولين الى ما هو احسن له واولى به وعلى هذه الطريقة حث الرسول عليه السلام : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن » . واذا عدنا الى الفلسفة وجدنا بحرا من الكلام في تحديد مفهوم الفضيلة ودائرتها ويستقر الراي في الاخير على انها وسط بين رذيلتي « الافراط والتفريط » فالشجاعة وسط بين التهور والجبن والكرم وسط بين الاسراف والامساك .. الخ والقرءان الكريم يقر نفس الشيء ولكن بطريقته الخاصة التي هي في متناول الخاصة والعامة « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط » « والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » « خذوا حذركم » الخ الآيات البينات التي تحدد معالم طريق العمل الانساني من غير افراط او تفريط ، واذا

# معالم الأخلاق الإجتماعية في القرآن الكريم

للأستاذ محمد السوسي

لقد اعتنى الناس منذ القديم بالاخلاق فتدارسوها محاولين ان يضعوا مقاييس للخير واخرى للشر ، فكان ان تفلسفوا ولم يتخلقوا ، وفرق بين الاثنين ، اذ الفلسفة عمل عقلي تأملي ، أما الاخلاق فهي السلوك ، هي الحياة الدائبة الحركة ، هي الاخذ والعطاء ، الاخلاق لاتعتمد المنطق الجاف كما لا تعنى بالنتائج والمقدمات ، بل هي عمل فطري واحساس عميق يجده الانسان فى نفسه فيدفعه الى الاعتقاد فى خيرية عمل معين وشرية آخر وفي كل ذلك لا يتأثر بما يقوله الفلاسفة او الفلسفة وربما كان العكس صحيحا اذ الفلسفة هي التي تتأثر بعمل الانسان فتجري وراءه لاهثة محاولة تغيير سلوكه وفلسفته، فاوجدت لنا بذلك مجموعة من النظريات والمقاييس هي ما سمي بالاخلاق المعيارية ، اي مجموعة القواعد الاخلاقية التي وضعتها الفلسفة نصب اعين الناس ليراعوها فى طريقهم نحو المثل الاعلى للانسان الكامل فلا يستطيعون ، اذ كان عليهم قبل ذلك ان يكونوا جميعا فلاسفة ، وهذا شيء تأباه طبيعة الحياة بل طبيعة الفلسفة نفسها فنحن لا نستطيع ان نوجد مجتمعا من الفلاسفة، ولهذا كان اثر الفلسفة على الاخلاق ضعيفا من الناحية العملية ، واهم شيء فى الاخلاق هو الجانب العملي ، الا اننا من جانب آخر نستطيع ان نوجد مجتمعا من المسلمين او المسيحيين او البوذيين مثلا، ومن هنا جاءت الميزة التي للدين على الاخلاق الفلسفية — ان صح التعبير — فالوازع الخلقي انما ينشأ ويقوى بالعقيدة الدينية ، وبدونها يبقى مجرد شيء نظري صرف لا يغير من واقع الامر شيئا ، فالقيمة الخلقية لا تاتي من الفلسفة وانما تنبع من ايمان الفرد بعقيدة — ما — وتمثله لهذه العقيدة فى سلوكه وعمله ، ولعل هذا هو السر الذي جعل الاخلاق تنجح فى المجتمعات المتدينة وتفشل فى المجتمعات التي ضعفت فيها قوة العقيدة الدينية واثرها فى النفوس .

طبعا هناك الضمير الذي وضعه البعض فى مركز العقيدة لتوجيه الاخلاق والتحكم فى السلوك، ولكن ما هو الضمير وما مصدره ؟ .

انه الملكة التي يدرك بها الانسان القواعد التي فرضت عليه او بعبارة اخرى هو مشرع فى باطن الانسان ، يطالب بالسيطرة المطلقة التي لا يحدها قيد ولا شرط ، على كافة المنابع التي تصدر عنها اعمال الانسان (2) ، وبشيء من التأمل يظهر ان الضمير كاد يرقى الى مستوى الالوهية فهو يتولى السيطرة المطلقة على كافة المنابع التي تصدر منها اعمال الانسان ، وهل تطالب التعاليم الدينية باكثر من ان تكون اعمال الانسان مسايرة لما تمليه من الاوامر وتفرضه من الواجبات ؟

لقد حاول بعض علماء الاخلاق ان ينزعوا من العقيدة الدينية اخص خصائصها وهي توجيه سلوك الانسان واعطائها للضمير ، وحتى اذا اعترفوا للعقيدة بالتدخل فى توجيه الاخلاق اعتبروا الوازع الذي تنشئه وازعا خارجيا واعتبروا وازع الضمير وازعا ذاتيا باطنيا وكأن العقيدة توجد خارج الانسان ! فما العقيدة الدينية الا ذلك الشعور الباطني الذي يسيطر

---

1) اصل المقال محاضرة القيت بالنادي الثقافي بفاس بدعوة من ندوة المعارف .
2) المجمل فى تاريخ علم الاخلاق لسدجويك ترجمة الاستاذان توفيق الطويل وعبد الحميد حمدي ص 76

ان يصدع بما يعتقد انه حق ولا يبالي بما يثار فى طريقه من الغبار لانه يبني وكل بناء لابد فيه من جهود وتضحيات .

ان الامة الاسلامية نالت شرف الافضلية على باقي الامم لقيامها بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر « كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله » واحتفاظها بهذا الشرف رهن باحتفاظها بدورها فى التوجيه والارشاد ودعوة الناس الى الخير العام الشامل . والقرءان الذي يقر مبدا النقد البناء والتوجيه السليم لكي تسير الحياة سيرها الطبيعي ، قد جعل التعاون كذلك من الواجبات التي على كل مسلم ان يلتزم بها بالتعاون يخلق الانسجام فى المجتمع ويحقق غايات الناس في تحصيل حاجياتهم . واذا كانت الفلسفات الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة قد جعلت من التعاون اساس انطلاقها لتحقيق الرخاء والعدل الاجتماعيين ، فان القرءان قد دعا المسلمين الى هذا قبل ذلك بمآت السنين ، وقد اتخذ المسلمون مبدا التعاون اساسا لبناء مجتمعهم الاول وعلى اساسه تم الاخاء بين المهاجرين والانصار فى المدينة المنورة .

والتعاون الذي يريده القرءان بين افراد المجتمعات الاسلامية ليس تعاونا مطلقا لان التعاون من هذا النوع كما يكون على الخير يكون على الشر ، ولكنه تعاون على البر والتقوى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » نهنا ازدواج بين الامر والنهي ، فالقرءان لا يقر مبدا التعاون على الاثم والعدوان ولكنه يقر فقط مبدا التعاون على البر والتقوى ، ولكن ما البر وما التقوى انهما مجموعة من القيم الاجتماعية والانسانية الرفيعة التي دعا اليها الاسلام وامر الناس باعتناقها ولنقرا هذا التحديد القرءاني للبر وهو يشكل وثيقة رائعة فى دعوة القرءان الخلقية والانسانية « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبئين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة واتي الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرون فى البأساء والضراء وحين الباس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون »

ومن الاخلاق الاجتماعية التي بثها القرءان الكريم فى نفوس المسلمين : « الايثار » وقد كان له الاثر البالغ فى نفوس المسلمين الاولين الذين حققوه فى اسمى معانيه وانبل مقاصده فاثنى عليهم جل جلاله بقوله : «ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » ولا شك ان الايثار عنوان التضحية ونكران الذات وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، والمجتمع الذي يسود الايثار بين افراده مجتمع لا بد ان ينال غاياته ويحقق اهدافه لان السخاء والبذل وتقديم الغير على النفس قيم ترفع اصحابها وتسمو بهم الى مستوى الشهادة ، والايثار يخلق الالفة بين افراد المجتمع وينشر الوية المحبة والصفاء بينهم ، وهو نقطة انطلاق الى الاحسان والعدل اللذين دعا اليهما القرءان وامر الناس بهما « ان الله يامر بالعدل والاحسان » فالمجتمع الذي يفقد العدالة ولا يحسن افراده مجتمع فاقد لعبرة وجوده .

ان القرءان الكريم قد حدد للانسان المسلم دوائر معينة لسلوكه الاجتماعي فالهمه كثيرا من القيم الخلقية والزمه باتباعها فى سيره فى الطريق وفي كيفية طرق باب منزله ومنزل غيره وحدد له نوعية اللباس وشروطه وما الى ذلك مما يعتبر عند من لم يدقق النظر ولم يتعمق حكمة الآداب القرءانية من المسائل الشخصية التي تخص الفرد وحده ، ولكنها فى الواقع جزئيات تتدخل فى تكوين الكل أي الانسان فى مظهره وفي مخبره ، وقد كان الانسان ولا يزال محط عناية الاخلاق القرءانية .

ان الاخلاق القرءانية هي اخلاق الفطرة اي اخلاق الانسان الكامل الذي لم يدنس ولم تشوه فطرته الشهوات والنزوات ولذا ينبغي التمسك بها . لقد قال احد كتاب الغرب : « ان الاحساسات الصادقة الشريفة والنيات الطاهرة الكريمة تظهر لي فضل القرءان ... الفضل الذي هو اول وآخر فضل وجد فى كتاب نتجت عنه جميع الفضائل على اختلافها . »

ولكن مع ذلك فان امة القرءان عن اخلاق القرءان غافلة .

وبعد ، فلقد حاولت فى هذه السطور ان استعرض بعض معالم الاخلاق الاجتماعية القرءانية حسب ما يسمح به الوقت ، وواضح انني اقصد بالاخلاق الاجتماعية ما يدخل فى نطاق الواجبات الاجتماعية وادب السلوك .

**فاس : محمد السوسي**

كان بعض الناس يرى ان مذهب التوسط الذي اخذ به بعض علماء الاخلاق المسلمين مقتبس من الفلسفة الاغريقية فان الذي يظهر ان استنباط هذا الاتجاه التوسطي من الآيات القرءانية والاحاديث النبوية ليس بالشيء الصعب ومن ثم فلا داعي لرده الى الفلسفة الاغريقية ولا الى غيرها من الفلسفات الانسانية .

ذلك هو الاسلوب الاخلاقي فى القرءان بايجاز فما هي طريقة الكتب المقدسة قبله ؟ وكيف عالجت هذه الموضوع الشائك والحيوي فى ذات الوقت بالنسبة للحياة الانسانية ؟

فى هذا الموضوع يقول الاستاذ مالك بن نبي مايلي:

« ان الاخلاق اللادينية ـ بقدر ما لهذا التعبير من معنى ـ تقيم اعمال الانسان على اساس المنافع الشخصية العاجلة التي صارت اساس المجتمع المدني ، على ان الاخلاق الدينية « التوحيدية » تحترم ايضا المنفعة الشخصية ولكنها تمتاز برعاية منافع الآخرين وهي بذلك تدفع الفرد الى ان ينشد دائما ثواب الله قبل ان يهدف الى فائدته .

من اجل هذا الثواب صاغت التوارة الميثاق الخلقي الاول للانسانية فى وصاياها العشر وساق الانجيل توجيهاته فى عظة المسيح على الجبل ولكن الامر فى كلا الكتابين امر مبدأ اخلاقي سلبي فهو يامر الناس بالكف عن فعل الشر فى حالة وبعدم مقاومة الشر فى اخرى .

اما القرءان فياتي بمبدأ ايجابي اساسي كيما يكمل منهج الاخلاق التوحيدية ذلك المبدأ هو مقاومة الشر فهو يخاطب معتنقيه بقوله : « كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله » ومن جهة اخرى يقر القرءان فكرة الجزاء ، اساس الاخلاق التوحيدية ، ويقول الاستاذ اندري لودز « ان القيمة الدينية للفرد لم تظهر فى الديانة اليهودية الا على عهد حزقيال ( النبي ) فحتى ذلك العهد كان الواجب ونتائجه الخلقية يقعان على عاتق الامة التي تتوقع جزاءها فى ذلك النصر الموقت » وقد كان الانجيل على عكس من ذلك ، فقد قصر الجزاء كله على يوم القيامة بحيث اصبحت الاخلاق من مسائل الآخرة واضحت برمتها من الهموم الشخصية حتى اذا جاء القرءان وجدناه يقيم بناءه الخلقي على اساس القيمة الخلقية وعلى العاقبة الدنيوية للجماعة » (1)

لقد نقلت هذا النص بكامله لانه يبين الميزة التي للاخلاق القرءانية على غيرها من اخلاق الكتب السماوية الاخرى فضلا عن الاخلاق اللادينية ان صح وجودها .

بعد هذا فالى من يتجه القرءان بأمره الخلقي ؟

الامر الخلقي فى القرءان يتجه الى الفرد باعتباره نواة للاسرة والى الاسرة باعتبارها نواة المجتمع والى المجتمع باعتباره نقطة انطلاق الى الانسانية التي استهدفها القرءان كفاية لرسالة الاسلام الخالدة « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » فالقرءان اذن لايعنى بالاخلاق الفردية الا بالقدر الذي يجعل من الفرد فردا صالحا مهيأ للاندماج فى الجماعة ، ولذا جعل القرءان مبدأ التضامن الاجتماعي محور دعوته ، فالقرءان ينظر الى المجتمع الاسلامي كوحدة متماسكة وكتلة مهما اختلفت فى العمل والتوجيه فانها مرتبطة فيما بينها برباط العقيدة التي تجعل اكرم الناس اتقاهم « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ولذلك فان المؤاخذة تتجه الى الجماعة بدل الفرد ، فالاخيار مسؤولون عن جرائم الاشرار « واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » ونتيجة لهذا كان واجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اساسا لبناء الاخلاق الاجتماعية القرءانية ، فليس يكفي لتبرئة المسلم الا يكون هو قد ارتكب ذنبا بل تبرئته قائمة على اساس ادائه لواجبي الامر والنهي ، واجب الامر بما هو معروف وواجب النهي عما هو منكر ، وينبغي ان يكون واضحا ان الله قد حدد المعروف والمنكر اذ الحلال بين والحرام بين ولا شك ان القيام بتأدية هذا الواجب من طرف الانسان المسلم يكون لديه حاسة قوية للنقد الخلقي والاجتماعي ، والذي ينقص المسلمين اليوم هو هذه الحاسة النقدية التي تجعلهم يميزون ما ياخذون وما يدعون من نتاج الحضارة الاوروبية المعاصرة ، ولا شك ان نقد سلوك معين يستوجب من الناقد ان يكون يقظا حذرا حتى لايقع فى فخ الفوضى وتختلط المفاهيم عليه ولا سيما فى هذا العصر الذي ضاعت فيه المقاييس وامتزجت القيم وتشابكت الرذائل بالفضائل فى عقول الناس فاصبح من العسير على الانسان ـ اذا لم يملك من الجراة ما يكفي ـ ان يصدع بكلمة الحق مخافة التشنيع عليه ووصمه بالجمود والتحيز . ومع ذلك فان على المسلم ان يعمل ليحقق خير الجماعة التي يعيش بين افرادها ومن ثم فان من الواجب عليه

1) الظاهرة القرءانية ص 191 وما بعدها .

الياء في العربية ( فرومان ) في هذه اللغة نسبة الى رومة. يقل للواحد ، والجمع بزيادة سين ساكنة فيه ، فاستعمله جهلة المترجمين بلفظه ، ولم يعلموا ان ترجمته الصحيحة في المفرد ( رومي ) وفي الجمع ( روم ) . قال الله تعالى : ( الم غلبت الروم في ادنى الارض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ) .

والعرب تطلق لفظ الروم على الاغريقيين والايطاليين ، ومن اليهم . قال ابن منظور في لسان العرب : والروم جيل معروف ، واحدهم رومي ، ينتمون الى عيصو بن اسحاق النبي عليه السلام . وروما‌ن بالضم ، اسم رجل .

قال الفارسي : روم ورومي ، من باب زنجي وزنج . قال ابن سيدة : ومثله عندي فارسي وفرس . قال : وليس بين الواحد والجمع الا الياء المشددة كما قالوا : تمرة وتمر ، ولم يكن بين الواحد والجمع الا الهاء . اه

فرومان في اللغة العربية لا يدل على جيل من الناس ، وانما هو علم يسمى به الرجال ، وروما‌ن ابو قبيلة

قال « الفيروزابادي » في القاموس : وروما‌ن بالضم ( موضع ) ورومان الرومي ، وابن نعجة صحابيان، وام رومان . ام عائشة الصديقية ، والروماني ( موضع ) باليمامة ، ورومية ( بلد ) بالمدائن خرب ، و ( بلد ) بالروم سوق الدجاج ، فيه فرسخ ، وسوق البر ثلاثة فراسخ ، وتقف المراكب فيه على دكاكين التجار في خليج معمول من النحاس ، ارتفاع سوره ثمانون ذراعا فى عرض عشرين ، فيما نقله ابن خرداذبه ، فان يك كاذبا فعليه كذبه . اه

وقد تبين بما ذكرناه ان لفظ ( رومان ) لا وجود له في العربية ، وانما يوجد للمفرد رومي وللجمع روم وقد توسع الكتاب في هذا الزمان فقالوا : يوناني ويونان ، فكأنهم قاسوه على رومي وروم ، وزنجي وزنج والذي في القاموس هو : واليونانيون جيل انقرضوا اه

وقول « الفيروزابادي » : انقرضوا ، له في ذلك عذر ، لان بلاد اليونانيين في زمانه كانت ولاية من ولايات الدولة العثمانية . ووجود الشعوب مرتبط باستقلال دولها ، وما بالعهد من قدم ففي الامس القريب ، كنت انا بنفسي ، كلما سألني سائل فى اوربا او فى آسيا،وحتى فى افريقية،كلما سألني سائل ، من اين انت اقول : من المغرب فيبادر بسؤال اخر ، انت من المغرب الاسباني او من المغرب الفرنسي ، او من طنجة الدوليه؟ فاقول : المغرب بلد واحد ، وهو للمغاربة ، فلا يريد ان يصدقني احد ، كأن المغرب خلقه الله ، يوم خلق السموات والارض مجزأ ثلاثة اجزاء ، مع ان تقسيمه نشأ منذ زمان قريب ، ولم يستمر الا ثلاثا واربعين سنة .

واغرب من ذلك اني لما اردت التجنس بالجنسية العراقية سنة 1934 قدمت طلبا الى الدوائر المختصة في البصرة فبقيت الاوراق تتنقل من دائرة الى دائرة مدة شهرين ثم بعثت الى بغداد العاصمة ، فسافرت لاتعقبها الى بغداد ، وبقيت شهرين استنجد واتشفع حتى وصلت الاوراق الى يد مدير وزارة الداخلية ، فاخذ جواز سفري يتأمله وانا واقف امامه ، والى جانبي الاستاذ كمال الدين الطائي من كبار علماء بغداد تفضل بمرافقتي ليعينني ويشفع لي ، فقال المدير : بفظاظة ، ما هي جنسيتك ؟ فقلت : مغربي فاستشاط غضبا وقال : ( جنسية هتشي ماكو ) يعني لا توجد جنسية هكذا ، قل : فرنسي فقلت : بل هي موجودة ، فانظر ما هو مكتوب على الجواز باللغة الفرنسية ( امبير شريفيان ) اي الدولة الشريفية ، فلم يقتنع بذلك ، فقلت له : هل كنت انت انكليزيا قبل سنتين ؟ اي قبل المعاهدة الاخيرة ، فقال لي : ( حنا كنا عثمانيين ، ومن بعد صرنا عراقيين ) ، فقلت له انا ونحن دولة مغربية منذ ما يزيد على الف سنة، منذ اسس الأمام ادريس بن عبد الله الدولة المغربية واستقلت عن الدولة العباسية ، فجذبني الاستاذ كمال الدين من ثيابي وقال لي : دع هذه القضية ، فسأتعقبها انا ، لانه راى ان القضية قد دخلت فى طور خطير بالجدال مع مدير الداخلية .

فكتب ذلك المدير على اوراقي الطلب مرفوض ، وبذلك احبط لي عمل اربعة اشهر ، ولكن الله سبحانه وتعالى رحم ضعفي وغربتي ، فسقطت تلك الوزارة ، وكانت احدى وزارات جميل المدفعي ، ولم تلبث في الحكم الا اثنى عشر يوما ، ولا توجد فيما اعلم وزارة عراقية تماثلها في قصر العمر .

# تقويم اللسانين

للدكتور تقي الدين الهلالي

## (2)

### 7 ـ قاتل ضد

هذه العبارة ، وما اشبهها من المصائب الاستعمارية اللغوية التي نكبت بها اللغة العربية . والأصل في ذلك ان قاتل في اللغة الانكليزية والالمانية من الافعال اللازمة التي لا يتعدى فعلها الى المفعول به الا بحرف، وهو في الانكليزية ( Against ) وفي كل من الالمانية والفرنسية لفظ يقابله يتعدى به الفعل الى مفعوله . والمترجم الجاهل الذي يضع مقابل كل كلمة من اللغة التي يترجمها كلمة تقابلها من اللغة التي ينقل اليها المعنى ، ولم يدر ان ( قاتل ) في اللغة العربية فعل متعد بنفسه لا يحتاج الى حرف . قال تعالى في سورة البقرة 190 (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ) .

وقد شاع ذلك التعبير الفاسد كقولهم مثلا : (امريكا تقاتل ضد فيتنام الشمالية ) واذا نظرنا في هذه الجملة بعين الناقد البصير الذي يدري ما يقول نجدها تدل على ضد ما يريده قائلها وتعكس مراده ، لان الضد هو العدو .

قال صاحب اللسان : الضد كل شيء ضاد شيئا ليغلبه . اهـ

وقال عكرمة في قوله تعالى في سورة مريم 81 ـ 82 : ( واتخذوا من دون الله ءالهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ) اي اعداء

فاذا قلنا : ان امريكا تقاتل ضد فيتنام الشمالية ، كان معناه : ان امريكا تقاتل عدو ( فيتنام الشمالية ) اي تقاتل نفسها ، وهذا مسخ للغة العربية يدمي قلب كل من يحبها ويغار عليها ، ويريد لها الانتعاش ، فالحياة فالازدهار ، وان يعاد لها مجدها فتساير ركب الحضارة الانسانية ، وتكتسي حلة التقدم في مجالات المدنية ، وتنال الحظ الاوفر اللائق بمكانتها من التعبير عن العلوم والاداب ، حتى يستغني الناطقون بها عن تكفف اللغات الاجنبية .

### 8 ـ جمع الرومي على الرمان

مما هو شائع على السنة الكتاب والخطباء والمعلمين والاساتذة التعبير بلفظ ( الرومان ) فاذا سألناهم عن مفرده ـ وقف حمار الشيخ في العقبة ـ ، او اجابوا بانه جمع رومي ، وهذا جواب غير صحيح .

والحقيقة ان هذا التعبير مأخوذ من اللغات الاوربية كالانجليزية مثلا . والالف والنون يقابلان

3 ـ قوله : ( روي ان فارس غزوا الروم ) من المعلوم ان البيضاوي ، مع علمه بالنحو والصرف واللغة والفقه الشافعي والاصول ، وعلم الكلام مزجي البضاعة في علم الحديث . ففي تفسيره احاديث موضوعة يذكرها في فضائل السور . وروى بصيغة الفعل المبني للنائب لا يستعملها اهل الحديث الا اذا كان المروي ضعيفا ، فلذلك اردت ان الم بتخريج هذا الحديث وبيان رتبته .

اما تخريجه فقد رواه الامام احمد والترمذي والنسائي ، وابن ابي حاتم ، وابن جرير بطرق تختلف الفاظها ، ويتفق معناها في الجملة ، ورواه كذلك سنيد ابن داوود في تفسيره . وروايته اقرب الى ما ذكره البيضاوي

واما رتبته فقد قال الترمذي في بعض طرقه : حسن غريب ، وفي بعضها حسن صحيح .

4 ـ قوله : ( اناحبك عليه ) اي اراهنك واخاطرك . والقلوص الشابة من النوق .

5 ـ قوله : ( ومات ابي بن خلف من جرح رسول الله (ص) قال ابن القيم رحمه الله في « زاد المعاد » ج 2 ص 93 : ادرك رسول الله(ص) ابي بن خلف ( يعني في غزوة احد ) على جواد له ، يقال له العود ، زعم عدو الله انه يقتل رسول الله (ص) ، فلما اقترب منه ، تناول رسول الله (ص) الحربة من الحارث بن الصمة فطعنه بها ، فجاءت في ترقوته ، فكر عدو الله منهزما . فقال له المشركون : والله ما بك من بأس ، فقال : والله لو كان ما بي بذي المجاز لماتوا اجمعون .

وكان يعلف فرسه بمكة ويقول : اقتل عليه محمدا ، فبلغ ذلك رسول الله (ص) فقال : بل انا اقتله ان شاء الله تعالى ، فلما طعنه ، تذكر عدو الله قوله : انا قاتله ، فأيقن بانه مقتول من ذلك الجرح ، فمات منه في طريقه بسرف مرجعه الى مكة . اه

5 ـ قوله : ( وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية ) الخ . الحديبية بصيغة التصغير وتخفيف الياء على الصحيح عند اهل اللغة . موضع يبعد عن مكة بنحو عشرة اميال . وقع فيه الصلح بين النبي (ص) وبين اهل مكة في ذي القعدة سنة ست للهجرة .

6 ـ قوله : ( واستدلت به الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب ) الخ . يعني ان الحنفية استدلوا بمراهنة ابي بكر الصديق مع ابي بن خلف ، وعلم النبي (ص) بذلك واقراره عليه ، وامره ابا بكر ان يتصدق بما ربحه من الابل ، استدلوا بذلك على جواز القمار وغيره من العقود المحرمة ، مع اعداء الاسلام في دار الحرب ، ومنع ذلك الشافعية ، واجابوا عن الاحتجاج بفعل ابي بكر ان ذلك كان قبل ان يحرم القمار ، وحينئذ لا حجة فيه على جواز القمار مع المحاربين ولا غيره من المحرمات كالربى ، فلا يجوز التعامل بالربا ، لا مع المسلمين ولا مع المسالمين ، ولا مع المحاربين ، وهذا هو الصحيح ، لان المراهنة على ما يظهر كانت في مكة قبل الهجرة . ويؤيد ذلك ما جاء في بعض روايات الحديث ان هزيمة الروم وقعت بعد المراهنة بسبع سنين .

ومن المعلوم ان اية تحريم القمار ، وهي قوله تعالى في سورة المائدة 90 : ( يا ايها الذين ءامنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلكم تفلحون ) نزلت بالمدينة . والخمر التي حرمت مع القمار في الاية كانت حلالا عند ما قدم النبي (ص) المدينة ، وكانت تشرب ويتجر فيها ، ثم حرمت بعد ذلك اولا في اوقات الصلاة بقوله تعالى في سورة النساء 43 : ( يا ايها الذين ءامنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ) ثم حرمت بتة باية المائدة .

7 ـ قوله : ( والاية من دلائل النبوة ) الخ . هذه معجزة باقية خالدة يستوي في ادراكها من كان في زمان النبي (ص) وشاهدها بنفسه ، ومن ياتي بعد ذلك الى يوم القيامة ، لان سورة الروم مكية ، وكان المسلمون عند نزولها في غاية القلة والضعف يسخر منهم اعداؤهم ولا يابه بهم احد

وقد اخبر الله سبحانه في اول هذه السورة ان الروم البيزنطيين هزمهم الفرس شر هزيمة ، وكان الروم اعظم دولة في الغرب ، والفرس اعظم دولة في الشرق الادنى على الاقل ، ولم تجر العادة ان دولة عظيمة تمنى بهزيمة منكرة تلم شعثها وتجمع شملها ، وتعيد الكرة في بضع سنين فتهجم على الدولة التي هزمتها وتكيل لها صاعا بصاع .

وجاءت بعدها وزارة علي جودة الايوبي فاعدت الطلب وحصلت على الجنسية في ثلاثة ايام بمساعدة النبيل الشهم عارف قفطان العاني ، وكان صديقا حميما لعلي جودة الايوبي .

وفي سنة 1341 هـ حججت الحجة الاولى ، ووقع خصام بيني وبين صاحب حانوت بمكة فعيرني ، وزعم اني فرنسي ، فقلت له : انت انكليزي ، فنحن في البلية سواء ، وكان في زمان الشريف حسين بن علي . اذن فلا غرابة في قول صاحب القاموس : ان اليونانيين انقرضوا. والذي يهمنا هنا هو انه لا يقال : يوناني ويونان ، وانما يقال : يوناني ويونانيون

ومن ذلك قولهم : الماني والمان . والصواب : جرماني وجرمانيون ، لان البلاد التي تسمى في هذا الزمان المانية ، كانت العرب تسميها ( جرمانية ) هكذا سماها ابن الفقيه البغدادي المتوفى في اواخر المائة الثالثة للهجرة في كتابه الذي سماه ( كتاب البلدان ) وذكر فيه جغرافية العالم . وقد ترجمته مع الاستاذ ( باول كالي ) باللغة الجرمانية ، ولفظ ( المانية ) فرنسي ، فاذا اردنا ان نتساهل ونترك اللفظ العربي ، ونستعير اللفظ الفرنسي وجب علينا ان نقول : ( الماني والمانيون ) ، والافضل لنا ان نستعمل اللفظ العربي ونحييه ونستغني به .

## استطــــــراد

كل من يقرأ مقالاتي يعلم ان الاستطراد محبب الي فيما اقرؤه وفيما اكتبه . لان الاستطراد كالطعام المؤلف من الوان متعددة . ولذلك رايت ان اذكر تفسير اول سورة الروم تتميما للفائدة وتلوينا للغذاء

قال البيضاوي في تفسيره : ( الم غلبت الروم في ادنى الارض ) ارض العرب منهم ، لانها الارض المعهودة عندهم ، او في ادنى ارضهم من العرب ، واللام بدل من الاضافة ( وهم من بعد غلبهم ) اي من اضافة المصدر الى المفعول وقرىء غلبهم ، وهو لغة كالجلب والجلب ( سيغلبون في بضع سنين ) .

روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم بأذرعات وبصرى ، وقيل بالجزيرة ، وهي ادنى ارض الروم من الفرس ، فغلبوا عليهم ، وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا : انتم والنصارى اهل كتاب ، ونحن وفارس اميون ، وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ، ولنظهرن عليكم ، فنزلت .

فقال لهم ابو بكر : لا يقرن الله اعينكم ، فو الله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين . فقال له ابي ابن خلف : كذبت ، اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه ، فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما ، وجعلا الاجل ثلاث سنين ، فاخبر ابو بكر رسول الله (ص) فقال : البضع ما بين الثلاث الى التسع ، فزايده في الخطر وماده في الاجل ، فجعلاه مائة قلوص الى تسع سنين . ومات ابي من جرح رسول الله (ص) بعد قفوله من احد .

وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية ، فاخذ ابو بكر الخطر من ورثة ابي ، وجاء به الى رسول الله (ص) فقال : تصدق به . واستدلت به الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب ، واجيب بأنه كان قبل تحريم القمار

والاية من دلائل النبوة ، لانها اخبار عن الغيب وقرىء غلبت بالفتح ، وسيغلبون بالضم ، ومعناه : ان الروم غلبوا على ريف الشام ، والمسلمون سيغلبونهم وفي السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون ، وفتحوا بعض بلادهم، وعلى هذا تكون اضافة الغلب الى الفاعل

## توضيحات لكلام البيضاوي

1 — قوله ( واللام بدل من الاضافة ) يعني ان اداة التعريف في ( الارض ) بدل من الضمير المضاف اليه والتقدير : غلبت الروم في اقرب ارضهم . وهي ارض العرب التي كانوا مستولين عليها ، لان اذرعات وبصرى هما من بلاد الشام ، وبلاد الشام ليست ملكا للروم ، وانما استولوا عليها بالتسلط والقهر ، هذا على القول بان المراد بالارض ( بصرى واذرعات ) واما على القول بانها الجزيرة ، فهي كذلك ليست للروم ، بل هي من بلاد العرب ، لانها واقعة بين دجلة والفرات

2 — قوله : ( من اضافة المصدر الى المفعول ) يعني ، وهم من بعد غلبت الفرس لهم سيغلبون الفرس في مدة لا تتجاوز البضع ، وهو ما بين ثلاث الى تسع .

# المسيحية مرونة أو انهيار؟

للأستاذ أحمد عبد السلام البقالي

نشطت فى الايام الاخيرة ارساليات التبشير بالمسيحية كوسيلة للنجاة والخلاص حتى بدا الرهبان يراسلون ايمة المساجد بالمغرب داعين لهم الــى الدخول فى المسيحية وطاعنين على دين الاسلام ورسالة خاتم النبيئيـن سيدنا محمد عليه السلام باعتباره ديـن تأخر عائق للانسانية عن التقـدم والرقي ، وكان من اللازم شـن حملة مـن طرف المسلمين لرد عـدوان الكاثوليكيين المتعصبين وفضح ما الصقوه بدين المسيح من الوثنية والتالية مما ضج منه حتى الرهبان الاحرار النفوس وقاموا بتبيين مهاترات الكنيسة واوضاعها حتى يعرف اتباعها كيف استغلت الرهبنة سلطة الكنيسة ضـد الحقيقة والانسانية والدين الحق ، وقد راينا من النافع لشبابنا ومجتمعنـا المغربي نقل بيان احد اساطين الكنيسة الكاثوليكية ببريطانيا الاب تشارلز ديفيـن بجريدة الابزرفر الاسبوعية اللندنية ثائرا على الكنيسة واوضاعها. نقله وترجمه لدعـوة الحق السيد احمد البقالي .

«لماذا تركت الكنيسة الكاثوليكية» عنـوان بيان صدر للاب « تشارلز ديفيس » بجريدة الاوبزرفـر الاسبوعية اللندنيـة .

والاب تشارلز ديفيس ، 43 سنة ، احد زعماء المذهب الكاثوليكي البارزين ببريطانيـا ، فهـو المستشار الشخصي للكردينال « هينان » نائب البابـا على الرعية الكاثوليكية البريطانية . وهو كذلك أحـد اعضاء لجنة الوحدة المسيحية ، التي عقدت اخيـرا مؤتمرها بقريـة « كزادة » الايطالية لبحث وسائـل الوحدة بين الانجلكان والكاثوليك .

قبيل عيد الميلاد اعلن تشارلز ديفيس عن عزمـه النهائي بترك الكنيسة الكاثوليكية .

وفى بيانه الشهيـر للابزرفر يشرح قمة التحول الذي ادى الى هذه النتيجة ، والاسباب وراء رفضـه لاعمال الفاتيكان الشائنة، وطرقه اللاانسانية المتحجرة. بدا ديفيس بيانـه هكذا :

« يوم الاحد ، وقبل عيد الميلاد بثلاثـة اسابيع ، تركت مكتبي وذهبت للكنيسة ، وقد عرفت أن نهاية نضالي الداخلي قد اقتربت .. لقد عزمت على تـرك الكنيسة الكاثوليكيـة .

« كنت اكتب بحثا لاهوتيا للاجتماع بين الانجلكان والكاثوليك بايطاليا يوم رابع يناير 1967 . ولم تردنـى قراءاتـى لاعداد البحث شيئـا لم اكـن اعرفـه . ولكنها ارغمتني على امتحان موقفي مـن البابويـة ، والكنيسة الكاثوليكية كمؤسسة . ووجدت أن فهمـي للمسيحية على حقيقتها وضعنى خـارج المذهـب الكاثوليكـي » .

« وادركت انني لم أومن بالمذهب المذكور منذ مرة، رغم أني لم أعترف بذلك لنفسي . كان فكـري مكبوتـا ومنحرفا فى السنوات الاخيرة ، وانـا احاول يائسا أن احافظ على اماتني لدرجة انني كنت اهرب مـن اعمق افكاري .

فلو قال قائل بعد هزيمة جرمانية ( المانيا ) : ان الدولة الجرمانية ستعيد الكرة على اعدائها وتهزمهم في بضع سنين ، ثم وقع الأمر طبق ما قال ذلك القائل لصدقه جميع الناس في كل ما يقول وءامنوا به ، فما ذا يقول المنكرون لعجزات القرءان من غلاة اعدائه الاجانب ، واذنابهم من الاغمار من سكان البلاد العربية والاسلامية فى هذه المعجزة الخالدة ؟ ؟ وكم وكم من امثالها فى القرءان لمن تدبر القرءان ، وسلمت عين بصيرته من غشاوة التعصب الممقوت والجهل والتهور والطيش .

8 ــ قوله : ( وقرىء غلبت بالفتح ، وسيغلبون بالضم ) الخ هذه قراءة ضعيفة خارجة عن السبع شاذة والمعنى على هذه القراءة : غلبت الروم فارس ، وسيغلبهم العرب المسلمون . وقد غزا المسلمون الروم قصاصا منهم في السنة التاسعة من نزوله . والقراءة الاولى هي المعتمدة

9 ــ قوله : ( وعلى هذا تكون اضافة الغلب الى الفاعل ) يعني على القراءة الشاذة ، يكون المصدر مضافا الى فاعله . والتقدير : من بعد ان غلب الروم الفرس سيغلبون ــ بضم الياء وفتح اللام ــ اي يغلبهم المسلمون . وهذا آخر المقال الثاني من تقويم اللسانين . وموعدنا الجزء التالي بحول الله وقوته

**مكناس : تقي الدين الهلالي**

وقول البابا أن سلطة الكنيسة التعليمية لم تكن فى حالة شك حول قضية تحديد النسل ، كان انكارا لحقيقة واضحة !

« تفادي الحق لا تبرره الرغبة فى انقاذ سلطة « المجمع المقدس » !

« واعلان البابا — دون اهلية — ان المنع القائم على تحديد النسل سيبقى الى اجل غير مسمى ، يظهر فيه عدم الاحساس البروقراطي للكنيسة بآلام الناس ..

« وينعدم تبرير بلادة الاحساس هذه اكثر اذا علمنا بالمآسي التي نتجت عن فشل الكنيسة الرسمية كرائد اخلاقي ، بسبب حفاظها على السلطة ، وضغطها على حرية التفكير والتعبير .

« ولكن ذلك كان فقط القشة التي قصمت ظهر الجمل! تجربتي مع الكنيسة قهرتني تدريجيا بعدم اهتمامها بالحقيقة والناس .

« قليل من علماء الكنيسة يدركون أن الرغبة فى الاخلاص للحقيقة يمكن أن تستهلك الفرد كنار محرقة

« انا لا اعتبر نفسي مفكرا غير عادي . ولكني ، كعالم لاهوتي ، عانيت الامرين ، من الكنيسة الكاثوليكية ، اذ لم اجد اهتماما بالحقيقة من اجل الحقيقة : الحفاظ على السلطة يأتي قبل كل شيء .

« وابحث عبثا ، فى المستوى الرسمي ، على سرور الاحساس بقيمة وقوة الحق كحق !

« ويجب أن اعترف أن اعمال السلطة البابوية أصبحت شائنة بالنسبة الي .. لم استطع حتى الآن هضم الطريقة التي تمت بها تدخلات البابا وأعمال المجلس المقدس الاخير .

« وبالنسبة للوثائق البابوية ، احيانا ، اعتقد أن هناك حاجة الى علم « فاتيكانولوجي » لاكتشاف اية عصابة نجحت فى جعل سياستها تختار من طرف السلطة العليا ، والمؤامرات والدروب والسراديب المنعرجة التي سلكوها لانجاح سياستهم والسياسات التي تصدر عن مثل هذه الوسائل غالبا ما تكون بعيدة عن الفكر الثيولوجي والكنيسة عموما .

« البابا محاط بنظام عتيق لا يوجد الا فى القصور القديمة ، حيث كانت تخضع الحقيقة للسياسة ، وتخنق الشكوك كل مناقشة حرة ، وتكسب البيانات المذهبية بالمؤامرات . وانا لم اكن قط مهتما بحياة القصور ، فحياتي مقصورة على الدين واللاهوت .

« ولا أريد أن يخرج القارىء بفكرة انني اثور على البابوية وحدها ، اذ عدم الاهتمام بالحق ، واخضاعه للسلطة ، والتضحية بكل مبدأ للابقاء على النظام القائم تشمل المؤسسة كلها .

« أنا اعرف أن قوة رد فعلي ضد هذا مصدره تكويني الشخصي . بداخلي دافع قوي للتفكير الخلاق اغلق عليه ، وخنق فوق الاحتمال بخضوعي لكنيسة متحجرة !

« وحاجتي الى المنطق والنظام فى تفكيري جعلت مطالب الكنيسة اللامعقولة علي ، اضخم مما احتمل .. وكافحت لامتثل بدون جدوى !

« وفى السنوات الاخيرة وجدت انه كان علي أن ازيل جبلا من الحطام الكنسي لاعثر على نباتات صغيرة جدا من التفكير الخلاق . والمجهود الذي بذلته لابقاء تفكيري داخل اطار الارثودوكسية المتحجرة الحالية ربما كان فوق طاقتي . واصبح بقائي بها مستحيلا بعدما فقدت سلطة الكنيسة احترامي بعهدها بالحقيقة .

« ليس لي رغبة فى أن انفرد بأفكاري فى برج المشاريع عاج .. اريد ان افكر داخل المجتمع، واشارك فى الجماعية ، واخضع أفكاري لفكرة الكنيسة . ولكن الكنيسة الرسمية لم تعد تمثل بالنسبة الي تفكيرا شاملا ، فقد اصبحت نظاما خاضعا مفروضا من طرف سلطة تعمل غالبا ضد التفكير التقدمي الاصيل حتى داخل الكنيسة نفسها .

« وبينما ملأ عدم اهتمام الكنيسة بالحق ، حياتي غما ، كعالم ديني ، كان طرف آخر من تجربتي عاملا باتا مساويا من عوامل هجري للكنيسة . الكنيسة كمؤسسة اصبحت تسحق وتؤذي الناس باستمرار . ومرة بعد اخرى أصبحت بالنسبة الي ، نظاما لا مراعاة ولا حرية ولا انسانية فيه .

« هناك اناس ممتازون داخل الكنيسة ، اناس يعطون مثلا عاليا ، وفى الغالب غالي الثمن ، للمسيحي الحقيقي . ولكني لا اجدهم مسيحيين جيدين بسبب الكنيسة كمؤسسة ، وهم انفسهم لا يبدو انهم يعتمدون على الكنيسة الرسمية فى قيمتهم الشخصية والجماعية التي يعتزون بها ولا يدعون لها ، بل غالبا ما يعملون ضد سلطة الكنيسة وكيانها الرسمي .

« وقد نتج رفضي الفكري للبابوية عن سنوات طويلة من الدراسة والتفكير . ومنذ مدة وانا شاعر فى اعماقي ان التبريرات المعروفة لم تعد مقنعة ، وان الاعتراضات عليها كانت تزعج عقلي الباطن ، وكلما درست الانجيل ، كلما اتضح لي خطأ المزاعم الكاثوليكية .

« فيما يتعلق بالمسيحية كمؤسسة ، ببساطة ، ليس هناك اساس انجيلي قوي كفاية لحمل مؤسسة بضخامة مزاعم الكنيسة الكاثوليكية »

ويمضي الاب ديفيس فى تحليل كيان الكنيسة والاسباب المسؤولة عن وجودها فى كيانها الحالي فيقول بأن « العوامل الاجتماعية لتطورها التاريخي اقرب لتفسيرها من اي اساس انجيلي » .

ومعنى هذا ان سلطة البابا الروحية ، وعصمته من الاخطاء ، وكلمته العليا فى شؤون المسيحيين جميعا ليس لها اساس الهي ، كما تدعي الكنيسة . وان طرقها الى تفسير كل هذه القوة بآيات من الانجيل طويلة منعرجة تنتهي من طرفيها بالغموض التام .

« وكجميع علماء اللاهوت — يقول ديفيس — بحثت عن اسباب نقص الاسس الانجيلية للكنيسة فى تطورها المذهبي ، علني اجد مبررا لقيامها ، ولكن هناك حدودا لمرونة هذه الطريقة وصحة تطبيقها . »

« وما لم يكن هناك ايمان اعمى بأولوية وعصمة البابا وتصديق مزاعمه التي لا تقوم على اساس قوي من الانجيل ، فان الكنيسة لا تصمد امام اي حجة »

وينتقل ديفيس الى عدد من القضايا التي يختلف فيها التقسيم اللاهوتي الحديث مع الشروح الموروثة مثل المبداين البابويين عن مريم « الحمل الطاهر » و « الادعاء » واللذين لم يجد ديفيس لهما تفسيرا مقنعا فى التطور المذهبي لجعلهما طرفا من الكشف المسيحي .

ويقول ان هناك صعوبات اخرى نتجت عن التفكير الجديد حول الخطيئة الاصلية ، والموت والبعث ، جعل من الصعب اعطاء المبداين معنى مقبولا . وفرض هذين النقطتين كطرف من العقيدة المسيحية جعل الطريقة البابوية غير ممكن الدفاع عنها لاهوتيا »

## الانشقاق

الكنيسة الغربية فى سيرها التاريخي سيقت الى بناء مؤسسة جامعة . وللاسف جعلت الكنيسة الكاثوليكية هذه المؤسسة بناء خالدا مطلقا . ولكن الكنيسة الان اصبحت ممزقة داخليا بحدة التوتر والانشقاق ، اذ ان عقيدتها الاساسية ، فى الحقيقة ، لا تصمد امام النقد الانجيلي واللاهوت الحديث .

« واذا كان احد يريد أن يشعر بما اقول فليقرأ الفصول الثلاثة الاولى من دستور هيأة الفاتيكان الثانية عن الكنيسة .

« الفصلان الاولان — رغم انني ينبغي ان أضع بعض التحفظ — يقدمان رؤيا انجيلية عن قيام الكنيسة وفى الثالث تنتقل الوثيقة الى عالم جديد بعيد عن «الانجيل» يسيطر عليه ضغط كبير على قوة البابا والرغبة الملحة فى المحافظة عليها . عالم مكون من وظائف تدين بوجودها ، فى اعتقادي ، للاقطاعية المتحجرة اكثر من رسالة الكتاب المقدس .

« كان يمكن ان انظر بعين العطف على هذا القلق الدائم على بقاء الكنيسة ، لو لم تكن هذه ضحت مرة بعد اخرى برسالتها لابقاء على وجودها كمؤسسة ذات امتيازات . والمثال القريب الناصع على هذا هو وجودها داخل المانيا النازية ، ومتى وقفت الكنيسة فى وجه سلطة قائمة كشاهد ، حتى على حساب بقائها كمؤسسة ؟!

« الكنيسة كمنظمة منطوية على نفسها ومهتمة بسلطتها وامتيازاتها اكثر من اهتمامها برسالة الانجيل.

« ورغم ذلك ، لا اعتقد انه كان ينبغي لي أن اواجه شكوكي الفكرية الخفية ، وانكاري لمزاعم الكاثوليكية لو لم تكن هناك عوامل اخرى .. وقد ازال القناع الذي كان يغطيها غثياني من اعمال الكنيسة الملموسة .

« وهناك اتكلم عن تجربة تراكمت لدي فى مدى سنوات عدة ، ووصلت قمتها بعدم امانة البابا فى قراره الاخير عن « حبة تحديد النسل » فى اكتوبر الفارط .

## التفادي

« الملاحظة الاتية ربما ستكون قاسية اذا اعتبرنا حيرة البابا الشخصية ، ولكنها ينبغي أن توضع بقوة : من يزعم انه زعيم الانسانية الاخلاقي لا ينبغي أن يكذب!

هنا ينتهي بيان الاب تشارلز ديفيس .

وقد رأيت ان انقله للقراء بحذافيره كيلا تضيع على القارىء ، الشحنة العاطفية التي صحبته . الثورة والغضب والانفعال الذي كتب به البيان جعله صادرا عن مخلوق حي واع بمشاكل الانسان المعاصر الذي وجد نفسه فى عصر القضاء داخل شبكة معقدة من المحرمات والقوانين التي لم تصدر عن سلطة الهيئة ، ولكن توالدت داخل قطيع من العزاب العجزة لا صلة لهم بالحياة وواقعها خارج اسوار الفاتكان .

ولتسهيل العودة الى النقاط البارزة الواردة فى بيان الاب ديفيس ، والتي سببت خروجه عن الكنيسة الكاثوليكية اورد هنا تلخيصا موجزا لها ، وهي :

1 — ليس ثمة اساس انجيلي قوي كفاية لحمل مزاعم المؤسسة الكاثوليكية الضخمة ، العوامل الاجتماعية فى تطورها التاريخي اقرب الى تفسير قيامها من الانجيل .

2 — بلادة احساس الكنيسة وجمودها عن التطورات الجديدة فى اللاهوت وشروحه العلمية الجديدة .

3 — كذب البابا حين انكر انقسام الكنيسة حول حبة تحديد النسل . المفروض ان البابا هو قائد العالم الاخلاقي ، ومعصوم من الخطأ .

4 — اللامبالاة بمآسي الناس الصادرة عن تحجر الكنيسة فى وجه العصر الحديث .

5 — الضغط على حرية التفكير والتعبير .

6 — عدم الاهتمام بالحقيقة لذاتها ، وخصوصا اذا تضاربت مع السلطة فان هذه تنتصر دائما .

7 — تدخلات البابا فى اعمال المجلس المقدس للتأثير على قرارته .

8 — المؤامرات وراء الوثائق البابوية والتجمعات الحزبية لانجاح سياسة ضد اخرى رغم معارضتها لروح الدين .

9 — احاطة البابا بنظام تصور عتيق يخضع فيه الحق للسياسة .

10 — النفاق والفساد يسود المؤسسة كلها .

11 — اخلاص ديفيس للحقيقة جعل الحياة مستحيلة فى مثل ذلك الجو .

12 — التفكير الخلاق مدفون تحت ركام الهوامش والحواشي والحطام الكنسي العتيق .

13 — فقدت السلطة احترامه .

14 — الزواج ليس عاملا مهما فى اعتزاله الكنيسة ، ولكنه مساعد على بدء حياة جديدة سعيدة .

*

وسأترك الى مقال آخر ، الحديث عن ما يحدث داخل المجتمع البروتستانتي فى الولايات المتحدة وابريطانيا للدين ، وكيف تفاعلت المسيحية فى ايجابها وسلبها مع التغيرات الثورية فى كل افق من آفاق القرن العشرين .

**لندن : احمد عبد السلام البقالي**

## النقــرس

يظهر لي ان خطأ فاحشا حدث للعلاقات الانسانية التي تربط الناس داخل الكنيسة كمؤسسة . وسـوف اذهب بعيدا لاصفه بأنه نقرس جماعي « Neurosis » ولابد أن يقوم احد ببحث فى باثولوجيا — علم الامراض — الكنيسة الحالية . الكنيسة الرسمية اليوم ممزقـة بالخوف ، وانعدام الامن ، والقلق الذي ادى الى فقدان التجمل والحب : والذي يحبط كل مجهود لتدارك الوضع هو التغلب الدائم للنظام على الفرد . النظام دائما يأتي اولا ، واسبقيـة اللاشخصي تخرب الشخصيـة الانسـانيـة .

« وحتـى الناس الطيبون الذين لهم سلطـة يصبحون ضحايا النظام فيكفون عن معاملة الاخريـن بطرق انسانية عادية . وكثيرون ، تحت عبء السلطة يبقـون غيـر ناضجيـن محبطين حزينين منسحبين أو منقرسيـن . وما اقوله قد يبدو تهمة بدون أسـاس ولكني اكتب على ثقـة أن الكثيرين فى الكنيسة الان يعرفـون مـا اشيـر اليه ، ويمكنهم اثباته بتجاربهم الشخصيـة .

وتجربتي قد ازالت ثقتي وايماني بأن الكنيـسة الرسمية هي مثال الوجود المسيحي فى العالم . كنيسة المسيح هي اساسا مظهر الرحمة ، وشاهد العلاقات الشخصيـة الطيبـة بين الناس ، هـى هديـة النجـاة .

« وجوهريا ، الكنيسة المسيحية ينبغي أن تكـون مثالا للعلاقات الانسانية والمجتمع الانساني . وحيـن ارى الكنيسة فى بنائها ونشاطها تعمل مخربا للعلاقات الانسانية الاصيلة ، لا أستطيع أن اقبلها كتجسيـم للرحمـة .

« ومن هنا اصبحـت ابحث عـن الكنيسـة فى التجمعات غير الرسمية للمسيحيين معا داخل وخارج الكنيسة كمؤسسة ، حيث اجد شاهدا مصدقـا بالمسيحيـة .

## الـــزواج

« ولا استطيع ان انهي هذا البيان دون أن اناقش عزمي على الزواج ، والدور الذي لعبه فى ازمتـي الشخصية . وكثيرون سيفهمون لماذا لم تغفر الكنيسة زواجي او تفهمه اذا لاحظوا ردود الفعل الاولـى .

« وواضح انه صعب علي وعلـى الاخريـن أن نكون موضوعيين تجاه هذا الشأن . ولـن أستطيع الا ان أسالهم ان يبذلوا نفس المجهود الذي ابذله ليصبحوا كذلـك .

« فماذا كان يحدث لي ، وانا امتحن فى ايماني لـو لم اجد احدا اعرف انه يمكنني أن اقتسم معه حياتـي فى حب شخصـي عميق . لاشك انني كنت سأصـاب فى سنوات قليلة ، بانهيار عصبي .

انني اشك فيما اذا كان يمكنني نفسيا أن اتـرك الكنيسة الكاثوليكية التي غلفتني طول حياتـي ، او افلت من قبضتها العاطفية القوية ، دون أن اتجه نحـو الحب والزواج لبدء حياة جديدة .

لن اتزوج مخلوقة مجردة ومثالا ، ولكن انسانة محببة للغاية، ستاتي بخصائصها العقلية والقلبية لتثري عشرتنـا المستقبلة .

وبالنظر الى الزواج من هذه الزاوية ، اعرف هذا : لو انني تركت الرهبنة لاتزوج ، وبقيت داخـل الكنيسة الكاثوليكية ، ما كان زواجي يكون ما أردت.اذ ما احتجت اليه واردته من صميم قلبي هو أن اتحـرر من النظام الكاثوليكي الذي كان سيخنقني ويعذبني .

والحمد لله الذي ارسل لي احدا وجدت خلاصي خلال حبه . والان ، وقد تحقق الخلاص اشعر اننـي تطهرت عقلا وروحـا ، واصبحت حرا اتمتـع بسرور وسلام لم اعرفهما من سنيـن . ولكـن سعادتي ، كأي سعادة ، تغص بالمعاناة . فانتقادي للكنيسـة كمؤسسة ، لا يمكن أن ينسيني اياها كاولئك الذيـن اعرفهم واحبهم . انني اجرح الكثيرين بما افعل الان ، هنالك الذين لا يفهمون ، ويشعرون فى حذر ، اننـي خنتهم ، وهناك آخرون أصبح موقفهم بقراري صعبا مؤلمـا .

وما كان بمستطاعي ان اتجنب جرحي لهم . ومهما فعلت مع الآخرين من خير فى الماضي ، كان موصولا بكفاحي من اجل الاستقامـة والاخلاص .

ولم استطع ان استمر فى مساعدتي للآخرين على حساب ان اعيش حياتي كذبة . كان لابد أن اتبع يقيني المخلص بالحقيقة . وآمل ن تكون الفرصة ما تـزال سانحة لعمل مع الآخرين ومن اجلهم ، مهما كان عـدم اتفاق البعض معي . لقد تصرفت عن عقيدة ما كان الا المسيح او الاله ليلهموني بالتصرف بمثلها ، اذا كنـت راغبا فى ان اجد نفسي وأكون صادقا معها ، وما كان ممكنا ان افعل ذلك لو بقيت كاثوليكيـا .

*

لهما غلق لمنافذ التأمل الداخلي وعدم معرفة الانسان لما حواليه عبر نفسه .

ولما فقد الانسان المسلم النماذج المثلى في مجتمعه تولدت فلسفة اسلامية قوية قهرت الفلسفة اليونانية والفلسفات المادية واستطاعت ان تعطي للاسلام قوة الحجة المنطقية ليدحض مزاعم خصومه المسيحيين والدهريين والوثنيين وما يزال الفكر الفلسفي الى يومنا هذا ينحني اجلالا للفارابي وابن سينا والغزالي وابن الطفيل وابن باجة وابن رشد وابن عربي .

اما العالم الاسلامي اليوم فهو يفقد النماذج والفلسفة معا ، ولولا ظهور بعض المفكرين المسلمين كمحمد اقبال والافغاني ومحمدعبده والشيخ ابوشعيب الدكالي لظل الاسلام يفتقد المدافعين والمناضلين .

ولا ننسى ان كتابنا المقدس « القرآن الكريم » الذي يتلى في كل مسجد ويردد على السنة المومنين بقي وحده القوة الخارقة التي تجمع المسلمين في مشارق الارض ومغاربها .

والواقع اننا كمسلمين نتفاءل ببزوغ فجر ذلك اليوم الذي يصبح الاسلام فيه دين البشرية جمعاء ، ومهما اختلفنا وضعفنا كمسلمين ، فان الافكار الاسلامية في تقدم لايعرف التراجع ، وقد ظل الفكر الانساني يسير دائما نحو تعاليم الاسلام ، ولعل ثورة «لوثير» و«كالفن» وانتقادات فولتير (كيركارد) وبرجيس وبعض القرارات التي اتخذها المجمع الماسكوني ، كلها رجوع عن الانحرافات المسيحية الى طبيعتها لتأخذ طريقها في تعاليم الاسلام آخر الاديان وجامعها ، اما التجارب المادية التي تنهجها كثير من الدول اليوم والتي سلخت نفسها عن الروحيات او المعنويات ، فقد اعلنت عن افلاسها ، سواء في المذاهب المادية التي ادت الى فلسفة العدم واليأس والعبث وما تقود اليه من انهيار لاساس المجتمع الاخلاقي والاجتماعي ، أو في المذاهب الشيوعية التي تناقض في كثير من مواقفها طبيعة الفرد والمجتمع فتعيش في تنافر دائم وخوف من الاصطدام تحت حراسة ويقظة مستمرة لمكاسبها. كل هذا يجعلناكمسلمين واثقين من قوة الاسلام وفعالية دعوته ، غير ان الاسلام اليوم يعاني ازمة لامفر من الاعتراف بها والعمل على الخروج منها ، وهذه الازمة تبدو في انعزالية ثقافته ، وحاجته الى فلسفة حديثة ، والملاءمة بين آرائه ونظرياته الاجتماعية والاقتصادية والتطور الحديث دون التضحية بها ودون التنكر لهذا التطور نفسه ..

فالثقافة الاسلامية منعزلة او منفصلة عن ثقافة عصرنا الذي نعيشه ، وقد سعى الاستعمار الى تفويت معظم هذه الثقافة كما فوتت الارض التى طغى على خيراتها، واذا كانت الارض استغلت لصالح الاستعمار ، فان الثقافة كانت هدفا لهجوم لا رحمة فيه ، ونشأ جيل جديد من المسلمين لايفهم حقيقة الاسلام او يفهم الاسلام من خلال نظرة مزيفة لحقائقه ، ويوهمنا المستشرقون في دراستهم للاسلام او فيتبنيهم لهذه الدراسات عنايتهم بالفكر الاسلامي .

ترى هل نستطيع تحطيم القيود الفكرية المفروضة علينا والخروج من الازمة بوسائل اكثر فعالية وجدوى، فالكتابة الجانبية عن الاسلام ، والوعظ والارشاد لن يساعد على الخروج من المأزق ، فالثقافة الاسلامية يجب ان تسيطر على التعليم بصفة عامة ، وليس معنى السيطرة الا صبغ الفكر بالثقافة الاسلامية ، فالدراسة العلمية والفنية والادبية ستظل منحرفة ما لم تكن مسترشدة بمبادىء السلام والمحبة والتآزر في محيط الفرد والجماعة والشعوب على السواء ، وما لم تكن تعتمد على اسس صوفية لاتنسى نصيبها من الدنيا ، ولا تنام تحت ظلال شجرة الافيون ، والاسلام ليس دين وعظ ، وانما هو دين الزام باتباع دعوته ، وليس دين ضمير فردي ، ولكنه دين فرد وجماعة وامة . ومبادؤه لا تعلم في المدارس وحدها ولكن في الاسرة والبيئة ايضا ...

ومن الغريب ان نرى الشباب المسلم يردد شعارات الوجودية وازمة الفراغ ودونه في الاسلام ميدان العمل المثمر . والمجتمع الاسلامي عليه ان يفهم بوعي حقيقة الدين بصفة عامة والاسلام بصفة خاصة، فالدين وحده قادر على تقرير مصير الانسان اما العلم فهو يهمل المصير الانساني ، كما ان الدين شمولي النظرة الى الحياة ، اما العلم فلا يستطيع الخروج من الجزئيات الى الشمول ، واذا كانت الفلسفة تستطيع ذلك فليس في وسعها ان ترضي مختلف الاستعدادات الفكرية البشرية ، بل لن تستطيع حتى الميتافزيا ان تسد هذا الفراغ لانها من عالم العقل ، ولا تسيره بقوة خارجة عنه تجمع بين الاحساس والفكر معا ... والاسلام هو الدين الوحيد الذي يعمل على ابراز شخصية الفرد والجماعة ، ويستحث الفضائل الداخلية لتبدو واضحة غير مقنعة ، ولذلك يبعد الاستعانة بالفن لاستفزاز الطبيعة البشرية حتى لاتبدو مصطنعة او مزيفة ، فلا يقر الموسيقى او التصوير في

# عبقرية الاسلام في الغرب

للأستاذ: الحسن السائح

## (4)

لقد استطاع الغرب ان يصبغ على الاسلام المفهوم الديني الذي يريده ، والذي استمده من التقاليد المسيحية ، وبذلك جعل كثيرا من المسلمين انفسهم يعتقدون ان الدين الاسلامي هو في افريقيا وفي آسيا بمثابة الدين المسيحي في اوروبا وفي امريكا ، يعني أن المجتمع يقوم على ثنائية يتقاسمها الدين والدنيا ورجال الدين ورجال الدنيا ، وروج كثير من المستشرقين والكتاب الشرقيين لهذه الفكرة فنادوا بفصل الدين عن الدولة وكان من نتائج ذلك سقوط الخلافة الاسلامية التي كان انحرافها عن الاستقامة الاسلامية من الاسباب التي دعت المسلمين الى التخلي عنها .

والمهم ان نهاية الخلافة كان انتصارا لفصل الدين عن الدولة ، ولو ان طبيعة الاسلام لا تقر هذا التجزؤ ، ولذلك فان الدول الاسلامية اصبحت تساس بحكام يجمعون بين السلطة الزمنية والسياسية ، وليس هنالك في الامكان حل قريب من طبيعة الاسلام اقرب من هذا ، غير ان معظم المسلمين في هذا الوضع لم يتفادوا البحث عن منفذ للوحدة الاسلامية بطريقة اخرى بعد سقوط الخلافة العثمانية ولذلك فهم ما يزالون يعانون ازمة عدم تنسيق التجديدات التي تفرضها طبيعة التطور على العالم الاسلامي ، والمسلم يشعر بانعزالية افكاره التجديدية الاسلامية في عدة قضايا كقضية توحيد الهلال والاقتصاد الاسلامي والقوانين الشرعية فيما يخص الاحوال الجنائية والمدنية ، ولاشك ان ركود التطور سيسلب عن الاسلام حيويته المتدفقة ، وتطوره الطبيعي وقدرته الفائقة على الملائمة بين الزمان والبيئة .

اضف الى ذلك ان عصرنا يتيح للجميع فرصة التعلم والاطلاع على مختلف المذاهب المعاصرة التي لها كتاب نشطون مشجعون ، يعرضون مذاهبهم في الانتاج التأليفي والمسرحي والقصصي والفني ويضعونه في مختلف الايدي مشروحا مبسطا ويعتمد على مفكرين اديولوجيين يقودون المذاهب الفكرية وسط خضم الصراع المذهبي ، فيطلع على هذا الانتاج الضافي شبابنا المسلم ثم يلتفت حواليه علّه يجد ما يفسر له الاسلام فلا يجد الا كتبا عتيقة او افكارا مرددة تنقصها الجدة وقوة العرض وفعالية التأثير .

ولا نشك ان المذاهب انما تتحرك وتنمو بالنماذج الحية أو بالفلسفات المتجددة ، فالاسلام عاش عظيما في عصوره الاولى بنماذج مثالية من الصحابة وتابعيهم ، ولم يكن في حاجة الى فلسفة ، فكان متمثلا في مجتمع حركي يخضع النواميس الكونية الى خالقها حيث ترد الناس الى الخضوع بشريعة الله وقوامة دينه الذي هو الاسلام ملتزمين الايمان المطلق بتعاليمه النبيلة المرتفعة فوق مصلحة الفرد والجنس واللون ، ويدركونه ببصيرتهم وعقليتهم كدين شمولي لكل النزعات والمنازع الانسانية مهما تعدد مظهرها في العلم والفن والعقيدة او العمل ، لا يحتقرون فردا او مجتمعا ولا يشعرون بتناقض بين ما يعرفون وما يؤمنون به وما يصنعونه لانهم كانوا يصدرون من نبع واحد هو تلك القوة القهارة المسيطرة على الوجود كله ، والتي تقيم حياة المسلم على الاعتدال : الاعتدال بين العقل والعاطفة والفكر والوجدان والفرد والمجتمع والاخلاق والقانون ، فليس هنالك استسلام مطبق لسلطة العقل مهما كانت مخطئة وجافة ، وليس هناك استسلام للعاطفة مهما كانت خرافية وصادرة عن هوى ، لان الاستسلام للعقل جمود وضحالة وقسوة ، والتنكر له شعوذة وتضليل وتحريف كما ان الاستسلام للعاطفة تنكر للعقل والعدل ، والتنكر

# جولة في المخطوطات العربية باسبانيا

للأستاذ : محمد ابراهيم الكتاني

## (5)

.... والذين لهم صلة بالمخطوطات يعرفون جيدا ان فائدتها لا تقتصر فقط على المؤلفات نفسها ، بل ان التقاييد التي كثيرا ما توجد في اوائلها واواخرها قد تشتمل على معلومات ربما فاقت قيمتها في بعض الاحيان قيمة المخطوط الاصلي . وقد استفاد صديقنا العلامة المرحوم السيد المختار السوسي في مكتبته السوسية الضخمة من هذه التقاييد شيئا كثيرا .

ونجد اثناء مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد اشياء كثيرة من هذا القبيل ، وقد تقدمت الاشارة الى بعض ذلك من مثل التقاييد التي مع الهارونية في الطب.

ومن ذلك هذه التقاييد التي وجدتها ضمن المجموع رقم 4956 :

( 188 ) الحافظ ابو محمد التادلي كتبت المدونة من حفظه لما امر الموحدون باحراقها .

— قلت : ترجمه في نيل الابتهاج ص 118 طبع فاس وسماه عبد الله بن محمد بن عيسى ، وذكر كتابة المدونة من حفظه وقال : كان يبث العلم سنة 623 . —

الفقيه ابو الحسن المتيوي عرض المدونة في يوم واحد .

وكان الشيخ الفقيه المتبحر في علم اللسان ابو الحسين عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن ابي الربيع القرشي العثماني يقرأ الفقه في شياخته على ابي الحسن المتيوي ، وكان المتيوي يقرأ عليه العربية ،لم تمنع كل واحد امامته وتصديره في التدريس اخذ العلم عن طبقته !

— قلت : لم اجد ترجمة لابي الحسن المتيوي فيما بين يدي من مراجع ، ثم عثرت عليها عند ابن تغري بردى في ( المنهل الصافي ) ( مخطوط ) وغلط الكاتب فكتب اسمه علي المتيوني ( كذا ) وقد جاء فيها :

الشيخ ابو الحسن المغربي السبتي المالكي الزاهد ، احد الائمة الاعلام كان يحفظ المدونة والتفريع لابن الجلاب ورسالة ابن ابي زيد والف شرحا للرسالة لم يكمل ، وصل الى باب الحدود .

وكان مع براعته في الفقه عجبا في الزهد والورع والدين ، كان يخرج الى الجمعة مغطى الوجه !

وقبره بظاهر سبتة يزار

ولم يكن في زمانه احفظ منه لمذهب مالك رضي الله عنه وانتفع به الطلبة وتفقه به جماعة .

توفي سنة سبعين وستمائة ، رحمه الله وعفا عنه .

وراجع عن ابي الربيع السبتي ( ت 688 ) بغية الوعاة 319 وكتب برامج العلماء في الاندلس لصديقنا الدكتور عبد العزيز الاهواني ، ومعه نص برنامج ابن ابي الربيع بقلم تلميذه ابن الشاط السبتي . —

الشيخ الحافظ الصالح المدرس ابو محمد يسكر احد شيوخ المدرسين ، استظهر كتاب المدونة دون الثلاثين سنة ، وهو في سن الفتوة ، ثم درس كتاب ابن يونس وعند حفظه قعد للاقراء فكان اكثر نقله منه .

توفي يوم السبت 12 ذي قعدة عام 598 ودفن بالقلة .

العبادة ليترك العاطفة تظهر في صورتها الطبيعية الناصعة ، فاستهلاك العواطف ونخسها تزييف لاستمرارها وحقيقتها معا ، والعبادة فى الاسلام سواء الصلاة او الصوم او الحج كلها تكشف عن حقيقة الاحساس الانساني وشموليته ، وكذلك قانونه الاجتماعي يعتبر خالدا لمسايرته للعقل والاحساس الطبيعي البشري دون استغواء للعاطفة او تمويه او تملق للمظاهر ، فالمراة فى وضعها الاجتماعي لاتتجاوز ما حدد لها فى ميدان الجماعة ، والرجل فى وضعه لايتجاوز حدوده صيانة لروح الجماعة الاسلامية قبل استرداء العواطف الفردية .

وماساة الحضارة الغربية تكمن فى عدم اخذها من طرف كل المعطيات البشرية وتركيز ثنائية العلم والدين ، وعدم وجود اسس اخلاقية وقيم ثابتة ، وتملق الافراد على حساب العمل الجماعي او العكس. اما الاسلام فقد استطاع ان يجمع بين الاطراف ويحقق الاعتدال الذي تستطيع الفلسفة الاسلامية ان تعتبره مصدر قوته العظيمة ، فقد كان آخر الاديان ليعطي للانسان قوة احتمال الامانة والعبء معتمدا على مانهج له الدين ، وعلى قوة عقله لمواجهة التطور الزمني والبيئي حتى لايظل منتظرا للمخلص كما فى الوثنية والمسيحية، ولن يضل الانسان المسلم ما دام بيده القرآن رائده الدائم فى خضم الحياة ، لانه ليس مجرد نصوص تتلى فقط ، ولكنه ايضا آيات مفعمة بالقوة والفعالية والدعوة الى التجربة واعمال الفكر فى معالجة قضايا الانسان ( والاعتدال ) بين النظرة الداخلية والخارجية للانسان كفرد وكمجتمع ، وبين عالم الحس والمرئي، وعالم الضمير والمكنون ، وبين حق الفرد وكفاحه وحق الجماعة واستمرارها ، وبين التأمل الداخلي والعمل الحركي ، وبين التصوف والفلسفة ، والايمان والتفكير ، وبين الاشتراكية والملكية ، والروحيةوالمادية واخيرا بين نعمة الدنيا ونعيم الآخرة وهو الاساس الذي تبنى عليه الفلسفة الاسلامية ، وليس من قبيل الصدفة ان يعنون الغزالي كتابه « ميزان الاعتدال » دون ان يكون ركز تفكيره على ذلك وهو من أعظم المفكرين المسلمين .

**الرباط ـ الحسن السائح**

ورضي الله عن الامير الامجد ، المجاهد المنجد ، الميمون الاسعد ، المظفر المؤمل ، المعتمد الارفع الانفع ، الافضل الاطول ، الذي لم يزل النصر بلوائه معقودا في كل حال ، والمامول بازمة ( السعد ) اليه مقودا انقياد الآمال ، وهنيئا للاسلام الذي قر عينا بما منحه الله تعالى ( واولاه ) وهذا اوضح من ان يحتاج الى استشهاد عليه واستدلال ، امير المسلمين ، والممهد لهم اليمن والتامين ، ابو يعقوب بن الامير الاجل الاعز، الارفع الاسمى ، الاوحد الاسعد ، المجاهد المنصور المظفر الميمون ، الموقر المكبر ، الافضل الاكمل ، المقدس المرحوم ، الذي عظم فضلا ودينا ، وخلد بعده للصالحات صبحا مبينا ، فاشتهر فى الفضل صيته وسارت به الامثال امير المسلمين ، وناصر دين رب العالمين ابي يوسف بن عبد الحق .

ورث السيادة كابرا عن كابر
كالرمح انبوبا على انبوب

واجزل شكر فضله الذي اكمل الله له به المحاسن احسن الاكمال ، ووصل بالمزيد ما خصه به من مزية الاكمال .

ثم قال :

اما بعد ، فان الله تعالى لما ملأ البسيطة امنا ويمنا ، وكسا الارض رواء باهرا وحسنا ، وارسل رسل رياح الافراح ، بوسائل رسائل الروح للارواح ، فتلقتها مصافحة باليمنى ، وارى من السير الحسان، التي للمقام العالي المجد السلطاني ، المؤمل اليعقوبي، رافع راية الاحسان ، ما يجزيه عليه بالحسنى ، وادر من سحائب المواهب لاحياء ما صوح من نبات اللبانات، فأصبح كالامس الذاهب مزنا ، وجدد فى دولته السعيدة الحميدة من رسم الجهاد ، والقيام بنصرة دين رب العباد ، ما أورث الكفرة ذلا وحزنا ، وحوز المسلمين عزا تاكد الحمد له عليه ، فالحمد لله على ما نلناه من الخير الذي له وحزنا .

أطرد السرور اطرادا ، وعاض الدهر مواسم واعيادا ، وامتدت اماد الآمال ، وامتلات الايدي بالمال ونشط الناس لاتخاذ الاهل وكسب الولد ، وقالوا : هذا وقت الغنيمة ، للنعم العميمة ، فى كل صقل ( كذا ، وواضح ان صوابها صقع ) وبلد ، فكثرت لذلك الولائم والاعراس ، واستجمت النفوس فيها بشيء من اللهو الذي ليس به فى الشريعة باس ، ولم يزل الامر على ذلك مستمر الحال مطرد القياس ، كما جرت به عادة من سلف وخلف من الناس .

الى ان ظهر قبلنا ناس يدعون انهم يقرأون القرآن ويتفقرون ( كذا ) العلم ، ويستدعون بمذموم تعمقهم ــ المنهى عنه ــ الحرب لحماة الشريعة ويدعون السلم ؟ حتى اوقعهم ذلك فى انكار ما سألني عنه بعض الطلبة من اولي الجد والاجتهاد ، الجارين على سبيل الخير ومنهج الرشاد ، من اعطاء الاجرة على السماع، فاجبت فيه بالاجازة فيما اجيز منه ، والمنع فيما حكم فيه بالامتناع ، لما اوضحه العلماء من ذلك ابلغ الايضاح، بقولهم :: كل ما ابيح شرعا فالاجر عليه مباح .

فبعضهم اقر بان منه ما حكم فيه بحله ، واصر على تحريم الاجرة على مثله : بدعوى الاجماع ! وبعضهم زاد على ذلك القول بعموم تحريم السماع ! وفرقة ثالثة منهم غلبعليها جمودالبلاده ! وهيعتقد (كذا) ان ذلك من اعظم ما خصها الله به من الزيادة ! ! انكرت الشعر راسا ! وجحدت من حكمته ما لاح من افق الشريعة شمسا ! طمعا ان يخفضوا من رتب من رفعه الله بعلم الادب مكانا عليا ! ورغبة فى ان يدخلوا فى زمرة الذين قيل لسعيد بن المسيب عنهم : انهم يكرهون الشعر ، فقال : نسكوا نسكا اعجميا ! !

ما اولاهم بالاضراب عن ذلك والامساك ، فان الشذوذ عن نهج الحق ومذهبه لا يصحح لمرتكبه ان يكون من النساك ! يا له من مقصد فى غاية الغثاثة ، لا يليق الا بهذه الفرقة الثالثة ــ وانها لشر الثلاثة ! ! ــ

اللهم عافنا ( مما ) امتحنوا به ــ جهلا بالسنة ! ــ اوقعهم فى الطعن على متبعها فى مجالس الخاصة و الـ ( 3) بأعظم من طعن الاسنة ، والتماس مساعدتهم على مباينتهم للحق ومباعد ( 4 ) ما لهم من المنة ، من **بعض اشياخي الذين استفدت بالقراءة عليهم أعظم استفادة** ، واستفزاز من استطاعوا منهم بضروب من الحيل صادرة عن حسادة فى سويداء قلوبهم مستكنة ، ليشنعوا بذلك ويموهوا وينهوا الى **قوم نفعهم الله بالحضور عندي فى مجلس الدرس ان ينتهوا ! !**

فوجب علي ان ابين الصواب فيما صدر لي من المقال ، واعمل خطا الرد على خطئهم الظاهر بالنص فى النص المتظاهر والارقال ، واكشف عن عوراء سوء فهمهم الذي لا يغفر ذنب اصرارهم عليه ولا يقال ، بما اخذ الله سبحانه من الميثاق فى العلم ، ان يبين للناس ولا يكتم ، وجعل من الاجر الجزيل لمن جرى على سنن السنن بواضح الدليل الذي يقتدى بنور هدايته ويؤتم .

ـ قلت : ترجمه احمد بابا فى نيـل الابتهـاج ص 394 ط فاس ، وقال : يسكر ابو محمد موسى ، وابن القاضي فى الجـذوة ص 653 والكتانـي فى ( سلـوة الانفاس ) وقالا : يسكر بن موسى ، ولم يذكر اي واحد منهم شيئا مما ورد فى تقييد المخطوط المذكور ؟ ـ

الشيخ الفقيه المصنف ابو عمران الزناتي المراكشي من اعلم اهل زمانه بالفقه والحديث وتجويـد القـرآن العظيم والعربية واللغة والادب والعروض ، صنف في كـل ذلك .

وله وضع على المدونة والرسالة ، وله على مقامات الحريري كتاب فى اربعة اسفار ، وله على مقصـوره ابن دريد سفـر بديـع .

ترك اقراء الطلبة فى ءاخر عمره واشتغل بالكلام للعوام ، واقتصر على مطالعة تصانيفه ، وباع سائـر كتبه وكان ينفق منها ويتصدق الى ان توفي عام اربعـة عشر وسبعمائة وقد نيف على التسعين سنـة .

وكان شاعرا مجيدا مكثرا ، فصيح القلم ، وكـانت بينه وبين ابي عبد الله بن البقال مراسلة .

ـ قلت : ترجمه فى نيل الابتهاج ص 374 طبع فاس، وقال عنه : موسى ابن ابي علي الزموري المولد والمنشأ، نزيل مراكش ولم يذكـر كثيرا مما جـاء فى التقييدة المذكورة ، وقال : توفي فى العشر الاول من المائة الثامنة، بل فى سنة اثنين منها ، صح من خط بعض اصحابنا ، وفي الطبعة الفاسية : فى السنة الثامنة منها . وليست هذه الطرة فى طبعة القاهرة بهامش الديبـاج المـذهب ( ص 342 ) .

وابو عبد الله بن البقال هومحمد بن محمد بـن علي ، ترجمه فى نيل الابتهاج ص 227 ، وفي سلـوة الانفـاس 2 / 158 . ـ

* * *

## مقدمة كتاب ( الامتاع والانتفاع ، فى مسالة السماع ) تاليف الامام ابي عبد الله ابن الدراج السبتي ثم الفاسي قاضـي سـلا

استجابة للرغبة الملحة التي عبر عنها ـ لي ولادارة مجلة ( دعوة الحق ) الغراء ـ بعض الاصدقاء الذيـن كنت حدثتهم عن مقدمة ( كتاب الامتاع والانتفـاع ) او اطلعتهم عليها ـ وعبرت لي عنها الادارة بدورها ـ اقوم اليوم بنشرها على صفحات مجلة ( دعـوة الحـق ) ؛ بعدما كنت قد اكتفيت بتلخيصها عند حديثي عن الكتاب فى المقال الذي نشر فى العدد الاول من السنة العاشرة ( رجب 86 هـ نوفمبر 66 م ص 88 ـ 89 ).

ونظرا لما اصاب النسخة الفريدة من الكتاب من محو كثير من كلماتها ، فاني تركت بياضـا فى مكـان الكلمات المحوة ووضعت فيها ارقاما للدلالة عليهـا، وجعلت بين هلالين ما ظهر لـي انـه المحو ، كما ان ضياع الورقة الاولى من المخطوط ـ كما قدمت ذكره ـ حملني على الغاء الاسطر الاربعة الاولى من الصفحـة الثانية لارتباطها بما قبلها ، ولكثـرة البياضات بهـا ( راجع الصورة ) ... نحمده على ان الهمنا لحمـده الذي به (يبتدأ كل امر ذي بال) . ونشكره على ما خولنا من معروف عوارفه السابغة (1) ل ونشهد ان لا الـه الا الله وحده لا شريك له ولا شبيه ولا مثال ، شهادة من مات وهو يشهد بها مستيقنا بها قلبه ، فكان ممـن حباه ربه بحسن العاقبة والمـآل .

ونشهد ان محمد ا عبده ورسوله الذي اخرجنـا به الى نور الهدى من ظلام الضلال ، المبعوث ليتمم مكارم الاخلاق ومحاسن الخلال ، ارسله بالسمحة الحنيفية ، ـ لا بالتبتل والرهبانيـ ـ اكـرم الارسال للأرسال .

وامر بامتثال ما جاء به قولا وفعالا ، فقال جـل وتعالى : « وما آتاكم الرسول فخـذوه ، ومـا نهاكـم عنـه فانتهوا » ، فلنقف مع الائتمار لـه والامتثـال ، فالذي السعيد من وفق لموافقـة سنتـه واتباعـه ؛ والشقي البعيد من اوبـق بمفارقة سنته بابتداعـه . نعوذ بالله من الاضلال ! صلى الله عليه وعلى ءالـــه وصحبه خير صحب وءال ، (2)

الجود من جواهر المآثر التي انتشرت عنهم فى الوجـود بما يربى لآلاء حسنه على حسن لآلئي كل لآل . صـلاة نامية متوالية على مر الايام والليال ، معطـرة الانفاس فلا تهب بأعطر منها انفاس الشمال ، سابغة اثـواب الثواب ( فيما ) خـط لنا مـن كتاب يوتي باليميـن لا بالشمال ، موجودا يمنها فى ( تلقي العبد ) بالقبول يـوم الورود على ربه المامول فضلـه والاقبـال ، وتبشيره بتسهيل حسابه حتى لا يعلق الاسى به على ما فـرط تفريطه وتقصيره فى حمل الامانة التي اشفقت منهـا السماوات والارض والجبال ، وفوزه بالعفو عما مضى ونيل الصفو من شراب كؤوس الرضـى فى الحـال والاستقبـال .

## فهارس المكتبة الوطنية بمدريد

هذا وقد وضع المستشرق روبلس F. Guillen Robles فهرسا للمخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية بمدريد، طبع بمدريد سنة 1889 م في 332 ص وقد كتبت فيه اسماء الكتب بالعربية ووصفها بالاسبانية ، وفي ءاخره اربع فهارس احدها بالعربية

Catalogo de los Manuscritos Arabes existentes en la Biblioteca Nacional de Madrid. Madrid, 1889

وقد رقمت فيه الكتب بارقام رومانية ، ولكن ادارة المكتبة الوطنية رات في وقت من الاوقات الغاء هذه الارقام الرومانية والاستعاضة عنها بالارقام العربية فجعلت لكل كتاب رقما عربيا ، وجعلت هذا الرقم في النسختين المحفوظتين في قاعة المطالعة بحيث يلزم القاريء ان يرجع الى احداهما ليعرف رقم الكتاب الذي يريد طلبه ، وبذلك يضيع له وقت ثمين ما احوجه اليه !

وقد كنت قرات الفهرس المطبوع قبل سفري وسجلت منه بعض الاسماء والارقام ، فلما وصلت لمدريد وجدت انه لابد لي من البحث من جديد عن ارقام المخطوطات التي اريد الوقوف عليها !

وقد وضع المستعرب الفرنسي هـ . ديرانبورغ ملاحظات نقدية بالفرنسية على المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية بمدريد وطبعت بباريس سنة 1904 في صفحات 52

Notes critiques sur les Manuscrits Arabes de la Bibliothèque Nationale de Madrid, par H. Derenbourg. Paris, 1904.

وقد تقدمت الاحالة على كل من الفهرستين

ويذكر بروكلمان في تاريخ الادب العربي فهرسا للكتب العربية التي استولى عليها الاسبانيون بتطوان وضعه د . او ، لافوينت وآلكانترا ، وطبع بمدريد سنة 1862 ولم اقف عليه وهو العاشر من مصادر روبلس في فهرسه المتقدم . وهو موضوع اغفله صديقنا الاستاذ داود فيما جمعه من معلومات ووثائق مهمة عن حرب تطوان في تاريخه الحفيل .

ومما لاشك فيه ان كثيرا من مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد هي من كتب تطوان ، الى جانب ما فيها من مخطوطات عرب الاندلس ومستعربيها ومستعجميها حسبما هو واضح من اوصاف المخطوطات التي تكلمنا عليها .

* * *

واما متحف بلنسية دي دون خوان بمدريد ففيه قليل من المخطوطات العربية التي ليس لها كبير قيمة .

ومنها (189) رسالة نظم الدر ، في فضائل اعمال البر مؤسسة على البر والتقوى ، وصافية سرائرها في العلانية والنجوى

في 141 ورقة ، لعل مؤلفها احمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن المستجاب ، وهي في فضائل الاصول الخمسة التي بني عليها الاسلام في حديث : « بني الاسلام على خمس »

وهي مؤرخة في ءاخرها بيوم الخميس 21 من شهر مايه من عام 894 اربعة وتسعين وثمانمائة ، على يد العبد الفقير ابو ( كذا ) عبد الله محمد اشبينيال ساكن من ( كذا ) مدينة تطيلة .

والمؤلف يستوهب جميل الدعاء لذي الوزارتين ابن الوزراء الجلة والفقهاء اعلام الشريعة والملة الذي احيا الله به هذا الامر العزيز بعد انقطاعه واندراسه وكان في قامته وعادته قاعدة من قواعد بنيانه واساسه. ويصفه في جملة ما يصفه به ـ بانه : له الايادي والفضائل التامة على كل من سكن الاندلس من خاصة وعامة منها ... فقد عصمها الله من الفتن كلها ، وسكنها وصرف عنها كل شر وامنها ، فكلمة الله فيها على يديه عالية باقية مربوطة ، وايام حياته بمديد سعوده محروسة مغبوطة ...

الى ان يقول : ولما رايت ان قد شرح الله صدره للحق وحده واعانه عليه ، علمت ان الله سبحانه قد اختاره للمسلمين بهذه الجزيرة الغريبة وحبه (كذا) اليهم وحبهم (كذا) اليه ، وجعله موافقا لما ذكر من صفاته وصفات من اشتمل بالحب والجد عليه ....

ويقول : وكفى بهذا البيان والتنبيه المشار اليه ظهوره في زمانه ، واجماع الامة على ماهو من الكمال والعقل عليه ....

ثم يقول : وفيه يقول المؤثر لجلاله ، المعترف بانعامه وافضاله ، ما هو موافق له وموصوف به : احمد ابن عبد الله بن عبد الرحمن ابن المستجاب :

طلعت نجومك بالسعود منيرة
وجرى الوفاق امامكم مرتاحا
والعز مضروب عليك رواقه
والنجم بين يديك مد جناحا

ومن مخطوطات متحف بلنسية دي دون خوان بمدريد :

(190) مجلد ضخم فيه حكايات وقصص وغرائب بخط مغربي ، ملون مجلول ، ليس له اسم ولا اسم

فالفت هذا المجموع قصدا لافادة القاريء والسامع ، واظهارا للحق بحسام دليله القاطع ، وانتصارا لمن تقدم من الاشياخ الجلة ، العلماء العاملين اعلام الملة ، فى ترك رد ما اذن الشرع فيه من ذلك وانكاره ، وحضوره على مرور الازمنة واحضاره ، واخذهم بالرخصة الواردة فى هذا المعنى الذي عذبت موارده ، فان الله يحب ان توتى رخصه كما يحب ان تجتنب شدائده .

وغيرة من اطلاق هذه الشرذمة الناجمة السنتها فيهم بالاضلال ، وتصويبها اسنتها اليهم بالطعن والتخطئة فيما نقموا عليهم من تحليل الحلال! وجاهدتهم فيه من اسلحة ما اشتملت عليه الفاظه ومعانيه بكل فاصل فاصل ! وقلت لهم : فافللتم من فلان بافوق ناصل ! هلا تركتم فى هذا الميدان ركضا ؟ واخذتم بالمثل السائر : النبع يقرع بعضه بعضا !

لاجالدنكم اعظم الجلاد ! واجادلنكم بما تضـ (5) واباتكم به للانقياد ، واجاهدنكم لاحظى بما وعد الله به من عظيم الاجر على الجهاد ! حتى ترضوا من الغنيمة بالاياب ! وتعلموا : ان ( جري المـ ) حـ (6) ذكيات غلاب .

ولولا فضل الله ورحمته فى اختصاص السيد الاسعد ، الارفع الاوحد ، المحدث الراوية الامجد ، المشاور العلم العالم ، الذي احيا الله به ما درس للمعالي من المعالم ، ونفله من نوافل الفضائل والاكرام ، ما قصر سهم كل مبالغ فى جده ، عن بلوغ حده ، فيما غنمه من مغانم المقاسم ، المقدس المرحوم ابي القاسم ، ابن الشيخ الفقيه العالم العامل ، الارفع الاروع ، القدوة الاسوة ، بقية المشائخ من حملة السنة ، المقدس ، المرحوم ابي العباس العرفي ، جاد غيث الرحمة ثراه ، واجزل من نزل الرضوان قراه ، وتلقته الملائكة ببشراه ، اياي بتنبيهه وتعليمه ، واعانته على طلب العلم الذي فاز من حظى بجنات نعيمه .

ثم انعامه سبحانه علي اذ اعتمدت عليه ناصرا وليا ، بأن جعلني من خاصة مولانا امير المسلمين — ايده الله — فرفعني مكانا عليا ، فبشراي بترفيعه وتكريمه ! واسدل من اياديه ما يعجز البلغاء — وان بالغوا — عن وصف سنيه وكو (7) يه ، فحصلت السعادة التامة لي بتوصيلي الى رتبة الاختصاص بمقام من اختصه الله بمزية استخلافه فى ارضه وتقديمه ، وتوسلي اليه بوسيلة العلم الذي من أوتي منه شيئا فقد حظى بجسيم الخير وعميمه .

ولذلك رايت ان يكون من شرف هذا التاليف ، تطريزه باسمه العلي المنيف ، ورفعه لخزانة محله الشريف .

فيا سعد كوكبه الصادقة دلائل (8) يله وتقويمه ، ما كنت ممن طمع فى تاليف هذا إلتاليف ( و ) تنظيمه ، وما اسرع الى اهلاله ، عند التياح هلاله ، بعمرته من تنعيمه ، و (8) عتاض من صبحته اداء سبحته على شرط تحلله منها بتشهده وتسليمه ، ( 9 ) محفوفة بجزيل الخير وجسيمه ، وعرفهم من عوارف احسانه ، ولطائف ( افتنانه ) (10) ايد في الجديد منه على قديمه .

فالحمد لله الذي يسر لي على يديه للاعانة على سلوك طريق العلم سببا ، واستعمله فى اكتساب اسباب الثواب — واعظم بها مكتسبا —

ومن اعظم ذلك الاعانة على تعلم العلم وتعليمه ولم اشرع فى ذلك الا بعد تقديم ما يجب من الاستخارة التي هي أقوى دواعي الخير واسبابه ، والاستنارة بأنوار المشورة التي من اخذ بها فقد اتى الخير من بابه والاستعانة فى جميع الامور بمن لاحول ولا قوة الا به .

وسميته بكتاب الامتاع والانتفاع ، فى مسألة سماع السماع ، لاستيثاره بالكفاية والغناء ، فى احكام احكام الغناء ، والرد على من نغص المسلمين بتحريم ما ابيح لهم فى مظان المسرة والهناء ، او في حال اجتماع ارباب التهم بالسماع ، ليتبعوا احسنه احسن الاتباع ، واولى الاعتناء .

وجعلت الكلام على ذلك فى ثلاثة ابواب :

**الاول** فى حقيقة الغناء وشرح آلاته

**الثاني** فى حكم (11) حكم الآلات المتخذة للتجريد على موازنة نغماته

**الثالث** فى حكم الاجرة على ذلك كله على اختلاف انواعه وصفاته .

وقد قسم الباب الاول الى فصلين :

**الاول** فى حقيقة الغناء .

الفصل **الثاني** فى شرح ءالاته .

وفي الباب الثاني فصلان ايضا :

**الاول** فى حكم الغناء مجردا عن العوارض اللاحقة له

الفصل الثاني فى حكم الغناء مع ما يقارن عمله — وقد اثبت اثناء هذا الفصل رسالة فى السماع ، لابي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري فى خمس ورقات — .

# لا توجد عقلانية خالصة

للعميد محمد عزيز الحبابي

كثيرا ما يقال بأن المسلم ، او العربي ، لا يستطيع ، ابدا ، ان يكون « ديكارتيا » بسبب ميله الشديد الى كل ما هو غامض ، وخرافي ومعاد للمنطق السليم .. غير انه يمكن للمسلم ان يشك فى « ديكارتية » الفكر الفرنسي ، والعقلانية الغربية عامة !

أعرف ملحدين وماديين متطرفين لا يجرؤون على اكل اللحم يوم الجمعة المقدس ، وعندما اعترضت على احدهم ، أجاب :

« نعم انني ، رغم الحادي ، لم اتغلب على الجانب الاسطوري من تفكيري . ان ذهنيتي مغلوبة على امرها ! .. »

لقد قطع ( شارل بيجي ) راجلا ، سنة 1912 ثمانين (كلم) ما بين (باريز) و (شارتر) ليطلب من مريم العذراء شفاء ابنه المهدد بالموت ! وهل توجد كنيسة فى اوربا لا تحرق فيها الشموع املا فى عودة جندي ، او شفاء مريض ؟ والتماثيل المقامة للعذراء فى الساحات العمومية لحماية القرية ؟ ومواسم الحج ، وتقديس البحر والصيد ؟..

تتجذر هذه اللاعقلانية فى سلوك مواطني (ديكارت) ، والامريكيين ، والسوفياتيين على السواء . فقد اخبرت وكالة (فرانس بريس) فى منتصف يونيو 1956 ، حسب مصادر روسية شبه — رسميه ، ان طائفة مسيحية ، تعيش بناحية موسكو ، لا تزال تمارس تقديم القرابين البشرية ، وان سيدة أقدمت على التضحية بحفدتها الصغار رغبة فى انقاذ روح ابيهم الملحد ! ..

هذه الامثلة ، التي هي قطرة من فيض ، تبين لنا قيمة مزاعم الغربيين الذين ينسبون لانفسهم عقلانية متكاملة ، وديكارتية خالصة . **ان لكل مجتمع بدائيته ،** كما أن لكل طبقة ، بما فيها طبقة المثقفين ، لاعقلانييها المتشبثين بالخرافات . فحفاظا على نفوذ الماضي يرفض مثلا ، بريطانيون مثقفون استعمال القياس المتري رغم مزاياه العملية .. واحتراما للتقاليد ، لن يتم اصلاح الاملاء الفرنسي . وكل هذا يتعارض مع الوضع والتميز اللذين يدعو اليهما ديكارت .

* * *

أي شيء نريد البرهنة عليه ، من خلال هذه الامثلة؟

نحاول ان نثبت ، بكل بساطة ، انه لا وجود لعقلية ممتازة واخرى منحطة ، بل هناك **فكر انساني واحد له ردود فعل واحدة أمام ظواهر الطبيعة** : انه يكافح ، فى كل المجالات ، ومنذ الازل ، سعيا وراء التسلح بمعارف ومهارات تتيح له أن يتغلب على مختلف العقبات التي يصادفها فى الحياة . وان تجربة هذا الكفاح قابلة للتنقل ، انها تزداد غنى من جيل لاخر ، على مر العصور ، ومنذ عهد موغل فى القدم ...

* * *

بما أن التاريخ ينطوي على احداث عرضية ، وعناصر مجهولة ، وظروف معقدة تساعد او تعارض بعض النشاطات الثقافية ، نلاحظ حدوث اختلاف بين مستويات البيئات : هنا مستوى مرتفع ، وهناك مستوى أكثر او اقل ارتفاعا . كما نلاحظ ان تاريخ مجتمع ما يتزحزح من مستوى لاخر . فالتقدم والحضارة نتيجة لجهود بذلتها الانسانية جمعاء ، لذلك يتحتم علينا ان نفخر بنوعنا البشري لا بأجناسنا . فكم شاهدنا ان محققي الاختراعات والاكتشافاتلا يستفيدون منها ، كما يشهد على ذلك مثال الطاقة الذرية : فالماء الثقيل اتى من(النرويج) ومرعبر(باريز) حيث وقعت الاختبارات

مؤلف : واوله : فصل : ذكر مناجاة موسى عليه السلام .

يقع في 233 ورقة ، وبأوله فهرس حديث بخط بعض الاروبيين (191) ، ومنها مجموع به قصائد كثير منها في احتلال تطوان ، وقد كان صديقنا الاستاذ محمد ابن تاويت التطواني قد تفضل فأهداني نسخة مصورة من هذه المخطوطة عندما نشرها في العدد الاول من مجلة تطوان الفراء .

هذه خلاصة حصيلة ما يقرب من شهر قضيته في مدريد ، حيث كنت ابدا عملي في المكتبة الوطنية في تمام الساعة الثامنة صباحا ولا اغادرها الا في تمام الساعة الثانية ونصف بعد الظهر — وقت العمل الصيفي في المكتبة — وقد كان بودي ان اقف على جميع المخطوطات العربية بالمكتبة في هذه المدة القصيرة ، وكان ذلك ممكنا لولا بعض المضايقات من المكلف باحضار المخطوطات للقراء رغم التوصيات الرسمية التي كنت مزودا بها ، محتجا بان كثرة القراء من جهة ، وكثرة طلباتي من جهة اخرى ، لا تجعل من السهل عليه تلبية جميع طلباتي وهكذا اضطرت لمغادرة مدريد قبل ان اقف على جميع ما في المكتبة الوطنية من مخطوطات ، اذ بقي لي حوالي 119 رقما لم اقف عليها ، فعسى ان تتيسر لي فرصة اخرى لاتمام ما بداته .

ومع هذا فقد كان ما حصلته نتيجة مهمة اذا ما قورنت ببعض المكتبات التي لا تسمح للقاريء بالوقوف على اكثر من ثلاث مخطوطات في اليوم الواحد، مثل مكتبة الفاتيكان ، مما لا يسعني معه الا تقديم شكري لما لقيته في المكتبة الوطنية من عناية خاصة . وكنت اخصص العشية للمكتبات الاخرى .

وقد نشرت في هذه الفصول اكثر ما سجلته مما رجوت ان ينتفع به بعض القراء ، ولم استبق منه بدون نشر الا ما رايت من المناسب الاستغناء عن نشره من بعض التفاصيل التي لا تهم كثيرا من القارئين . فعسى ان تسنح لنشرها فرصة اخرى .

وفي المقال المقبل بحول الله نشرع في الحديث عما وقعنا عليه من مخطوطات في مكتبة الاسكوريال طوال شهر كامل قضيناه هناك .

**الرباط : محمد ابراهيم الكتاني**

* * *

فلماذا كانت شعوب لا تتوفر على نفس العمر التاريخي، رغم تعاصرها ، فمن الطبيعي الا يكون افراد المجتمع الواحد متوفرين على نفس العمر العقلي ، ونفس المستوى الثقافي والحضاري .

* * *

ان لكل جماعة ، جنسية او جغرافية او دينية ، حيزا تاريخيا واضحا يتميز بملامح معينة تمايز بين هذه الجماعة وبقية الجماعات البشرية . بيد أن هذا التغاير يتجلى فى مظاهر البنيات الفوقية للثقافة وللمجتمع فحسب ، لا فى البنيات العمقية بدرجة تسمح بتصنيف اختلافات نوعية من شأنها أن تبرر الدعوة المسمومة لتعارض جنس مع جنس ، ولوجود عقلية سليمة واخرى مشوهة .

* * *

ان عجلة التاريخ لا تدور فى مكانها ، ولا تظل حبيسة ماض خالد . فالمقياس الصحيح للحكم على ماضي شعب ما ، هو قدرة هذا الماضي على تقبل مقاييس كونية وانسانية ، اي قدرته على تخطي الاطار القومي الخاص . ان زمن التاريخ هو التفتح على عالم زاخر بالنماذج والآمال . فالتطور الحضاري مرادف للمغامرات ، أما زمن التاريخ الجامد ، فزمن الموت ، اذ يظل متجمدا بكليته فى الماضي .

* * *

يجب أن نحقق قفزات ، لنتجاوز ، قبل كل شيء ، ذاتنا ، وأن نكون عارفين الهدف الذي نقصده ان بامكان الماضي أن يصبح بمثابة نقطة ايضاح تمدنا بالاضواء اللازمة ، لا ملجأ نأوي اليه لنستقر فى ارتخاء ، علينا ان نفعل مثل السباح الذي يتقهقر قليلا ليتحفز للانطلاق . فالزحف يتجه نحو المستقبل ، والمستقبل ، ليس ملكا لاحد . ان المستقبل ، ان الحضارة ، ان التاريخ ليس ملكا لاحد ، على الخصوص ، انه لكل الذين يعملون فى الحاضر لمطابقة مشاريعهم ونزوعاتهم الخاصة ، مع مطامح الانسانية ، بعيدين عن الحدود الجغرافية ، والاختلافات الجنسية والدينية والمجتمعية .

**الربـاط : محمد عزيز الحبابي**

الاولى ، ثم انتهى تحقيق التجربة فى الولايات المتحدة ، بفضل معادلات وتصميمات فرنسية والمانية .

* * *

لم تعد هناك عقلية ممتازة واخرى بدائية او غير منطقية . ان ( ليسيان ليفي برول Lévy Brull اضطر ، قبل وفاته ببضع سنوات ، الى تغيير المفهوم الذي عارض به ما بين التفكير العقلاني والعقلية البدائية . وقد كان يعرف العقلية البدائية بخاصتين :

1) قانون المشاركة La loi de participation والتناقض .

2) عدم الاهتمام بالعلل الثانوية ، وانعدام اية علية علمية ، (الايمان بالسحر) .

يغلب على ظننا ان ما قاله الاستاذ (جيب Gibb ) عن الفكر الاسلامي من انه «يفتقر الى الحتمية العلمية ، راي مقتبس من نظرية (ليفي برول) عن تركيب « العقلية البدائية » .

ان الخاصيتين اللتين وضعهما (ليفي برول) لا لا تقتصران على ما سماه بالعقلية البدائية ، بل توجدان ، واقعيا ، فى جميع اجتمعات ، وقد استنتج الاستاذ (بياجي Piaget ) وجودهما فى الحياة النفسانية للاطفال ، كما اعتمد عليهما الاستاذ (بلونديل) فى التطبيقات التي اجراها بمستوصفات السيولوجيا . واخيرا ، توفق الاستاذ ( شول) الى فهم وشرح الشعور بالروعة العاطفية و«الصور» ، فى اطار الفكر الذي سمي ، عن جهل ، بالفكر «البدائي»

لا جدال أن جميع الثقافات القديمة (مصر واليونان وبابل والهند ..) قد اسهمت بجهود كبيرة فى اعطاء التفكير الانساني طابع العقلانية ، الا ان هذه العقلانية قد اختلطت ، دائما ، بالسحر ولم تكن قط خالصة اذ كانت تشتمل على قانون المشاركة الذي اكتشفه (ليفي برول) فى القرن العشرين عند « البدائيين » ، فالطب القديم مثلا ، يحتوي ، اساسا ، على فرعين : الجراحة ، والملاج بواسطة صيغ سحرية .. فكان لزاما بذل مجهودات جبارة ، عبر العصور المختلفة ، قبل التوصل الى مبادىء الموضوعية واستخلاص القوانين . فعند الاغريق، كان الطب ، اول الامر ، اما مرادفا للسحر ، واما مرادفا للتأمل : فالاطباء ، باستثناء اتباع (هيبو قراط) ، عندما لا يستعملون اساليب الغيبيات والروحانية، ينقلبون الى وعاظ ودعاة للاخلاق ، يقول (افلاطون) : المعرفة للارواح مثل الادوية للجسد . ان الشعور بالروعة يغمر كل الاهتمامات بالفعالية ..

* * *

ان هذه الاستشهادات بحوادث تاريخية معاشة ، يؤكد ان اللاعقلانية والمعتقدات السحرية ليست وقفا على الشعوب المسماة بالمتأخرة أو المتوحشة ، بل هو الفكر الانساني ، فى عمومه ، الذي يحمل ظلالا من المتناقضات والخرافيات ، واللاعقلانية ، والاعتباط .

* * *

قد يوجه هذا الاعتراض : ان الامم التي لها ماض حافل هي ، بحكم منطق الاشياء والتاريخ ، أكثر عقلانية ، ومن ثمة يتحتم أن توكل لها قيادة الانسانية ، ويعطاها حق سن الاساليب ، والانماط لسير العالم.

بوسعنا أن نورد اربعة اعتراضات مضادة :

اولا — ان لجميع الشعوب تاريخا ، وحتى الشعوب المسماة متوحشة ، او بدائية ، او غير منطقية ، لها ايضا ماض ذو قيمة من بعض جوانبه .

ثانيا — كيف يمكن اختيار ما يجب أن يفرض على الشعوب ؟ ان الحضارة لا تقوم على مقياس واحد مطلق ، ولا على مبدأ واحد ومطلق ، بل هي نتاج تركيب حي لمبادىء شتى ، ومثل عليا متباينة من حيث المعايير والاهداف .

ثالثا — يمكننا ، بالنسبة لثقافة ما ، أن نصف الرقعة المنثرة فيها ، واشكالها ، ومختلف الاحداث المكونة لتنظيماتها المادية والعقلية والسياسية ، لكن :

أ) هذا الوصف لن يعطينا سوى خطوط موضحة ، لانه يهتم فقط بما هو متغير وعارض ، اذ كل ثقافة تحيى وتتغير ، وهذا التغير ملحوظ فى جميع المجالات : فرقعة ثقافة ما يمكن أن تتسع او تضيق ، لان « الامبراطوريات أيضا معرضة للاندثار » .

ب) اما ما يتصل بالزمان ، فيمكننا أن نتساءل : فى اية مرحلة من مراحل التطور ، او الانحطاط ، يجب اعتبار الثقافة القومية ، لمجتمع ما ، ثقافة نموذجية بالنسبة لمجتمعات اخرى ؟؟

رابعا — الاعتراض الاخير يتمثل فى السؤال : لاية أمة من بين الامم التي ترشح نفسها للاضطلاع برئاسة توجيه الشعوب ، يجب أن تعطى الاسبقية ؟ ذلك أن لكل الامم بدائييها ، مهما بلغت درجة حضارتها.

او تضحية من رائع التضحيات ، او رقة فى احاديثهم وسموا فى معاشرتهم . فكثيرا ما تكون هذه الامور تعويضا عن عدم القدرة على الانتاج الفني ، وتنفيسا عن الطاقة الشعرية التي لا تجد متنفسا لها فى مجالها الطبيعي ، مجال الفنون الجميلة . فالانسان فى هذا شبيه بالعاشق الذي لايحسن ان يعبر لفاتنته عن لواعج هواه ، فيحمل اليها نفائس الحرير ، وغوالي الجواهر ، او يضحي من اجلها تضحية كبرى ، ليعبر لها بلغة العمل ، عما عجز عن صياغته بلغة الكلمات . وما اخال المتصوفة المنقطعين لعبادة الله ، والزاهدين المعرضين عن زخرف الدنيا وزينتها ، والعابين المتهجدين القائمين الليل ، والرهبان المنكبين على صلواتهم المعتكفين فى صوامعهم فى الفيافي والقفار، ما اخالهم الا معبرين عن شعورهم العالي بجمال مبدع الكون وخالقه ، مفتونين بجلاله وعظمته .

فاذا استطاع الانسان ان يستخدم الكلمة في التعبير عن نظرته الشعرية ، فليس معنى ذلك ان نظرته هاته بقيت مجردة عن كل لون من الوان التعبير، منتظرة تمكن صاحبها من الاداة اللغوية ، فهي قبل ذلك بحثت عن طرق اخرى للاعلان عن نفسها ، ولكن معناه انها عثرت على احسن الادوات واقواها واشدها وضوحا عندما تساق الى الآخرين ، فتطالعهم فى لغة يحصل بها التفاهم والتجاوب بين الناس ، على حين انها اذ تبقى مجردة عن التعبير الفني قد تبقى مجهولة الا عند صاحبها ، بل حتى هذا لايتبينها فى وضوح ، ما دام غير قادر على ضبطها واستخلاصها مما يلابسها من عوامل الفوضى والاضطراب . فمن شأن النسق الشعري ان يعمد الى عواطفنا المشوشة المضطربة . فيهبها شيئا غير قليل من التناسق والنظام ، لتكون مقبولة من طرف الآخرين ، اذ يفهمونها ويتجاوبون معها . بل ان مجرد قبول صاحب النظرة الشعرية استعمال الكلمة ، يدل على انه مبدئيا قد استعد لاخضاع عواطفه المختلفة المتداخلة لما للكلمة من نظام يقتضيه منشأها وتطورها ، وما استقر لها من مفاهيم داخل الهيكل اللغوي العام وفى عرف الامة الناطقة بها. وباستعماله للكلمة على هذا النحو ، يكون قد اخذ بشيء مشاع بين جميع الناس ، فليس الشاعر هو الذي خلق كلماته والفاظه ، وانما وجدها كائنة مفروغا من ايجادها ، وقد استعملتها اجيال واجيال قبله ، وهذا الشيوع قد يتنافى مع ما قد يكون لنظراته الشعرية من امتياز وتفرد وخصوصية . فهو يريد لمفاهيمه وعواطفه ان تبقى ملكا له وحده ، على حين ان الكلمة تحاول ان تخرج بها من حدود هذه الملكية لتشيعها بين اكبر عدد من الناس ، لان الكلمة فى شيوعها ان هي الا احدى الظواهر الطبيعية والاجتماعية الاخرى الشائعة بين الناس . فلم يثبت ان وجدت الكلمة التي يحظر على احد استعمالها أساسا ، لانها تراث انساني عام . وهنا لايبقى امام الشاعر الا ان يقبل على لغته الشعرية تلك ، الشائعة بين الناس اساسا ، لياخذها بلمساته الفنية ، ويحتال عليها ضروبا من الاحتيال الفني ، كي يخفف من شيوعها ، ويهبها شيئا ليس متداولا . وقد ينجح فى ذلك نجاحا كبيرا ليكون له قاموسه الخاص ، وهذا شأو بعيد ، لم يكتب النجاح فيه الا لاقلية من عظماء شعراء الانسانية . انه لصعب جدا ان تجعل من الشيء العام المشاع شيئا خاصا . والشاعر الذي يترك الاداة اللغوية على شيوعها ، يكون فى الحقيقة غير مالك لعواطفه ومفاهيمه ونظراته ، لانه لم يعرف كيف يكتب وثيقة تملكها ، فضاعت منه كما تضيع الحقوق من اصحابها عندما يفقدون الحجة على تملكها . وما حجة الشاعر فى ملكيته ، الا استطاعته ان يكون له طابع خاص فى طريقة تناوله لنظراته الشعرية.

ولكن مهما بذل الشاعر من جهد ، لايستطيع ان ينفي عن اللغة كل صفة من صفات الشيوع ، فكل كلمة يلفظها او يكتبها يستعملها فى الوقت نفسه ملايين الاشخاص ، فى عدد كبير من المناسبات ، وفى اغراض متفاوتة سموا وانحطاطا . وهي ــ اي الكلمة ــ سبق لها ان حملت عواطف أجيال ماضية وادت عنها ما تريد ان تبثه الناس من شؤون العقل والوجدان ، وبذلك فهي قد اكتسبت شخصية مستقلة ، وتكون لها رصيد من المعاني والظلال . فاذا استعملها الشاعر لم تؤد ما حملها اياه من الخواطر والانفعالات فحسب ، ولكنها تؤدي ايضا ما استقر فى طبيعتها من ارثها النفيس . وعلى هذا فالشاعر اذ يترجم نظرته الشعرية الى كلمات ، لايستطيع ان يقصرها على اشيائه وحدها ، لانه لم يأخذ مادة ميتة فنفخ فيها روح الحياة ، وانما اخذ مادة كانت حية قبله ، وستبقى حية بعده ، تحمل رسالة الانسان الى الانسان . والقاريء الفذ هو الذي يستطيع ان يستخلص من الكلمات نظرة الشاعر الخاصة من العدد الكبير من الصور والظلال التي تزخر بها ، بحكم انها كائنات حية ، تأثرت بمعطيات الارواح والعقول فى ازمنة وامكنة مختلفة . ومن يدري ! ؟ فلعل فى ذلك خيرا للشاعر وللناس فلو انه استطاع ان ياخذ تلك الكلمات

# لغة الشعر بين المنتج والمتلقي

[redacted]

استقر الباحثون على ان الانسان عرف الرؤية الشعرية قبل أن يعرف ( الشعر ) ، عرفها منذ اخذ يتسامى على ضروراته اليومية ، فرفع رأسه ليتأمل مهرجان السماء في الليالي الساجية الصافية ، وقطف الزهور ليضعها اكليلا على مفرق حبيبته الغالية ، واخذ بروعة قطرة الندى حائرة علىورقة الورد ، وخفة الغزال واثبا بين احراش الغابات ، واشعة الشمس تتسلل من بين اغصان الشجر .

كانت كلماته يومئذ هي كل ما خلق الله في الطبيعة من حجر ونبت ، ونار ونور ، والوان وعطور ، وورود وزهور ، واغصان واوراق . قاموس طبيعي لا حد لثروته وسعته وجماله ، تعيش فيه مدلولات الكلمات لا الكلمات ، وتمرح فيه حقائق الحياة لا عناوين الحياة. فهو اذا احب عبر عن حبه لمن يهوى بالزهر واللون والعطر ، واذا كره عبر عن كرهه بتهشيم الرؤوس، ودق الاضلاع ، ورفس الاحشاء ، ادواته العضلات والاحجار والعصى . ومن ثم لم يكن من سبيل الى ان يخاتل وينافق ويداجي . لانه ابن الطبيعة البار ، هذه التي لاتعرف غير الصراحة لها مبدأ ، فهي تبتهج فتنعش الجو الحار برقائق النسمات ، وتزين وجه الارض برائق النبات ، وتمسح كآبة الكون بأغاريد البلابل ، ثم هي تغضب وتثور فتنفجر بركانا يرمي بالشرر ، وامطارا هاطلة تأتي على الاخضر واليابس، وزلازل تغير معالم الارض وتدك الجبال .

ويوم نظر الى الحياة نظرة الشعر تلك ، كان ميلاده كانسان ، اذ بدأ يتحرر من قيود الضرورة ، ليجعل من حياته فنا بمعنى من معاني الفن الكثيرة ، ليصغي الى وساوس النفس ، ويهفو الى مباهج الاحلام، وترتفع الحجب عن بصيرته لتتجلى الحياة لناظريه في ازيائها الزاهية الجميلة . واضيف عبء جديد الى اعباء الانسان الثقيلة ، وأي عبء اعظم واثقل من ان يحس الانسان بالفنان الكامن فيه ، ما يلبث يتلقى اصداء الحياة الآتية من كل ذرة في هذا الكون ، ليضخمها ويضع لها حكايات طويلة تكلفه كثيرا من متاعب القلب وقوارص الضمير ؟ وهو عبء ثمين ، قد لاتستطيع ان تنهض به جميع النفوس ، لاختلاف نسبها من قوة الاحساس الفني ، وتفاوت حظوظها من الصلابة والقدرة على الاحتمال ، والاستعداد لحمل المعاني العظيمة والقيم الخالدة .

ومن ثم كانت ( الرؤية الشعرية ) اما لمسة خفيفة يتركها الانسان على بعض الاشياء ، ليهبها شيئا من مسحة الجمال ، ويبعث اليها طائفا من الفن يرقق منها الحواشي ، وهذه رؤية الجمهرة الكبيرة من الناس لما يحيطها من مظاهر الحياة ، واما خلقا للقيم الجميلة، وابداعا لآيات الفن ، تضاهي فن الطبيعة وتتفوق عليه وتصل به الى مثله الاعلى ، وهذه رؤية الخاصة من البشر ، الذين اصطفاهم الله من بين خلقه ، لاداء رسالة الفن في هذه الحياة . أولئك تكون لهم نظرات شعرية في قليل من اوقات حياتهم التي تستهلكها مشاغلهم الدنيوية الكثيرة ، وهؤلاء تشغل النظرات الشعرية من حياتهم مكانا بارزا ، وتاخذ عليهم كل سبيل ، وتحيطهم بايحاءاتها من كل جانب ، حتى لتنقلب الحياة امام اعينهم قصيدة جميلة من ابداع فنان عظيم . وهؤلاء هم الذين تحققت عندهم النظرة الشعرية العميقة التي ينبع منها الشعر ، وتتفجر منها آيات الفن الرفيع ، وهي نظرة ليست خاصة بمن نسميهم شعراء ، فجميع أهل الفن لهم هذه النظرة ، لانها قبل كل شيء أسلوب في الشعور ، وطريقة في الاستجابة .

وهناك آلاف الاشخاص الذين حرموا نعمة الانتاج الفني ، فلا طاقة لهم بالمساهمة فيه ، ومع ذلك لهم نظراتهم الشعرية العميقة الفنية بالمعاني ، تكيف استجابتهم للفن ، وتصوغ احساسهم بالجمال . ولو تأملنا لوجدناهم يبثون نظراتهم الشعرية في كثير من اقوالهم وافعالهم ، فهم يترجمونها عملا من اعمال الخير،

فأبو القاسم الشابي – مثلا – عندما يقول مخاطبا من يحب :

عذبة انت كالطفولة كالاحلام
كاللحن كالصباح الجديد!

نشعر بحيرة كبيرة بين الصور العديدة التي تتداعى الى اخيلتنا عندما نسمع الشاعر يترنم بكلمة ( العذوبة ) أهي عذوبة الشكل الظاهر أم الباطن الخفي؟ عذوبة الماء النمير بعد الظمأ القاتل ؟ أم عذوبة النعمة السابغة والعيش الرخي ؟ عذوبة الالم الشعري الذي تنتعش به الارواح ؟ أم عذوبة اللذة التي تستغرق الحواس وتخدر الاعصاب ؟ عذوبة الشيء تتمناه ، ولا شيء لك منه الا التمني ولهفة الانتظار ؟ أم عذوبة الشيء تعايشه وتصل سببا منك بأسباب منه ، في مأمن من مكر الايام ؟ أم هي عذوبة من نوع آخر مما لايكاد يحصى من معطيات هذا اللفظ ، بين الفاظنا العديدة التي نستودعها اسرار نفوسنا قصد ايصالها الى الآخرين؟ ان الشابي اراد ان يصف لنا موقع هذه المراة الفاتنة من نفسه ، فلم يجد انسب لذلك من لفظ ( العذوبة ) ولكن هل استطاع هذا اللفظ ان يعطينا احساس الشابي نفسه بكل ملابساته ، وهو داخل نسقه الشعري ؟ طبعا لا ، والا فلماذا نجد الشاعر يتصيد بعض مظاهر الحياة يستعين بها على تحديد العذوبة التي يريدها ويحسها ، فأتانا بـ ( الطفولة ) و ( الاحلام ) و ( اللحن ) و ( الصباح الجديد ) وهل استطاعت هذه الاشياء ان تجعلنا نتصور هذه العذوبة كما انفعلت بها نفس الشاعر بعد تجريدها من الصور الانسانية الاخرى التي تلابسها؟ اني اشك في ذلك الى ابعد حدود الشك ، وهكذا يمكننا ان نقول بالنسبة الى كل من ( الطفولة ) و ( الاحلام ) و ( اللحن ) و ( الصباح الجديد ) بل حتى لو تتبعنا قصيدة الشاعر الى آخرها . وليس هذا صادقا بالنسبة لاوساط الشعراء وصغارهم فحسب ، ولكنه صادق ايضا حتى بالقياس الى كبارهم وعظمائهم ، فلم يسلم شاعر مهما علا شأنه من احابيل اللغة ومراوغاتها الكثيرة .

ونتيجة هذا ان كل ما انتجه الانسان من روائع الشعر ، لايمثل من النفس الانسانية الا ابسط جوانبها شأنا ، فكل شاعر عظيم او فنان كبير ، نفسه اغنى من فنه ، واحفل واثرى واوسع مجالا . فكل قصيدة قراتها لشاعر مبدع ، أو قطعة فنية شاهدتها او سمعتها لفنان كبير ، اعتبرها نقطة من بحر ، ونوارة من زهر ، على حد تعبير الاديب العربي . ولو كانت كلمات الشاعر تنمو نمو عواطفه ، وتتشعب تشعب انفعالاته ، وتسايرها في شتى مالها من انحناءات وانعطافات وتموجات ، لكان له من كل كلمة دولة ، ومن كل حرف صولة ، وبالتالي لما انتهى من ان يقول شيئا ، ولكن الشاعر المبدع لا يجد محيدا عن القناعة من اشيائه الروحية بنفس من انفاسها ، وقبس من نورها .

واللغة تقتطع جزءا من انفس الشعراء في حالة من حالاتهم النفسية المتنوعة المتطورة ، حتى ان الشاعر عندما ينتهي من عمله الشعري ربما يلفيه لايصور حالته النفسية فور انتهائه منه ، وانما يصور شعورا ولى ولم يترك الا اطيافا وذكريات . فينظر اليه حينئذ كما ينظر الانسان الى فلتة لسان في حالة من حالات الشرود . انها رواية لانشاهد منها دائما الا فصلا بين فصولها السابقة وفصولها اللاحقة .

اما عندما ينتقل الشاعر في ادوار العمر ، من الشباب الى الكهولة الى الشيخوخة ، فقد نقارن بين قصائده المنتمية الى عهود من حياته ، فنجد بينها من التفاوت الكبير ما يخيل الينا معه انها ليست لشاعر واحد . ورب شاعر ينظر الى شعره الماضي ضيقا به نادما عليه ، ولولا انه داع بين الناس ، واخذ مكانه في التاريخ الادبي ، لمحاه محوا . والامر ليس قاصرا على ما قد يكون فيه من ضعف الصياغة ، بل هو يتجاوز ذلك الى كونه ممثلا لحالة نفسية اصبح الشاعر يحسب انها غريبة عنه ، ومصورا لطور من اطوار حياته صار غير راض عنه .

فاللحظة في الشعر هي كل شيء ، قد تطول وقد تقصر ، وهي على كل حال منفصلة عما قبلها وما بعدها، ومعزولة عن عدد من الانفعالات التي تلابسها ، مع ماقد يبذله الشاعر من جهد لاستنفاذها . وهي – اي اللحظة – تمر بها النفس الشاعرة فتفرغ من محتوياتها لتمتلىء بمحتويات لحظة اخرى او لحظات قد تختلف عن الاولى وقد تشبهها في بعض ملامحها . اما في العمل الشعري فهي ثابتة تقراها في تضاعيفه وتعاود قراءتها مرات ومرات ، واللحظة هي هي ، بالرغم مما تتركه في القاريء او السامع من انفعالات تختلف باختلاف الاجواء النفسية التي يتلقى فيها العمل الشعري . وقد تمر عقود من السنين على العمل الشعري يقرا خلالها ملايين المرات ، دون ان تفارقه اللحظة التي يعبر عنها . فكم مر على سينية البحتري من سنين :

( صنت نفسي عما يدنس نفسي
وترفعت عن جدا كل جبس )

ومع ذلك فنحن عندما نقراها اليوم ، نستحضر الظروف النفسية للشاعر ، تلك التي اطلقت لسانه

القديمة فيمحو المعاني والصور الدالة عليها محوا ، ليصب فيها ما يريد هو من المعاني والخواطر ، لما كان هناك تجاوب بينه وبين قرائه ، ولكان غناؤه او حديثه مقصورا عليه ، يردده فيما بينه وبين نفسه ، وفي هذه الحالة قد لايحتاج الى لغة موصلة ، فعادة لا يتفاهم الناس الا في حدود الاشياء التي يشتركون فيها ، وترتبط بمداركهم ومفاهيمهم المتشابهة . ولعل الدفء الانساني الذي تحمله الكلمة يعتبر احد المقومات الاساسية لعمل الشاعر ، فهو اذ يلمسها لمساته السحرية ، تفيض وتشع وتتكشف عن ذخرها الانساني الجميل ، حتى لتقيمنا وتدفعنا وتخرجنا عن طورنا وحالتنا العادية ، متى تلقيناها في لحظة من لحظات صفائنا الروحي

وهذه الدلالة الواسعة للكلمات بين كيفية استعمالها عند الشاعر ، وبين استعمالاتها المختلفة عبر تاريخها الطويل الحافل ، هو الذي فتح ابواب الظنون والتأويلات الفنية على مصاريعها ، فترى نقاد الشعر – مثلا – ياخذون قصيدة لشاعر ما ، فما يلبثون يتأولون معاني كلماتها واشاراتها ورموزها ، حتى ليتأدى بهم ذلك احيانا كثيرة الى ان يحملوها اكثر مما اراد بها صاحبها . وكم شاعر سئل عما قاله النقاد في نقد شعره واستخراج مضامينه ، فنفى ان يكون لاكثر ما قيل من ذلك علاقة بعمله الشعري وبنواياه ومقاصده الحقيقية .

واذا كانت الكلمات بهذه المثابة ، كان معنى ذلك ان الاصالة الحقيقية بمعناها الكامل ، لايمكن ان تتحقق لاي شاعر ، لانه يصب عواطفه في مادة قديمة صارت هي بنفسها معبرة ، ولو لم تستعمل في سياق خاص . فنحن اذ نسمع – مثلا – كلمة ( وطن ) او ( جمال ) او ( حب ) تقفز الى اخيلتنا صور من الحياة ، والوان من العيش، وعدد من الارتسامات التي تعود بنا القهقرى الى ماض بعيد، وتنتقل بنا بين ذكريات كاد ان يعفى عليها مر السنين ، وتحرك في اعماقنا ما ركد من العواطف فاذا هي انتظمت في سياق شعري جميل ، لم تتنازل عن ماتيها المبدعة ، وانما تعطاها الفرصة كي تتكشف عنها، تماما كما يحدث لقارورة العطر ، عندما تزال سداداتها، فتملأ الجو بأريجها العاطر الاخاذ .

وقياسا على ذلك ، فالشاعر لاينقل الينا رؤيته الشعرية الا بقدر ما تستطيع الكلمة التعبير عنها . فقد يجد الكلمة اوسع مما يريد ، او اضيق مما يريد . قد يريدها باسمة ولكنها تطلق ضحكة في غفلة منه ، وقد يريدها هادئة فاذا هي تسرع قليلا فتفسد عليه شيئا من مقاصده . انها قيثارة شدت اوتارها ، وتكونت من مادة خاصة ، لترسل اصواتا من نوع خاص ، وما على الاصابع الموقعة عليها الا ان تتفنن في تكييف اصواتها ، اما ان تبدل من طبيعتها فذلك ضرب من المستحيل . وقد يتعاقب عليها مئات العازفين ، فيبدعون في استغلال اصواتها الطبيعية ، ليصنعوا منها فنونا من الالحان ، ولكن الاصوات لاتفقد شيئا من اصولها ، وهذا هو الاسر الذي يقع فيه الشاعر ، ولا يستطيع الفكاك منه . والامر ليس قاصرا على هذه الناحية ، فهناك المعاني التي تستعمل فيها الالفاظ ، هذه التي استقرت في اذهان الناس ، ونقشت على صفحات عقولهم وقلوبهم . فما اشد ضيق الشاعر بها ! وكم يبذل من جهود لاعطاء كلماته مدلولات خاصة ، ولكنه اخيرا قد يبوء بالفشل الجزئي ، فاذا بكلماته تبقى عالقة بها بعض معانيها السابقة التي ربما تفسد على الشاعر متعة مآتيه الروحية تنقل الى الناس بكل امانة وشفوف وصدق . ولعل هذا هو السر في كوننا نجد بعض الشعراء لايستودعون اللغة عواطفهم الا بعد ان يختزلوها اختزالا، ويجيلوا يد الحذف والبتر في حواشيها ، حتى لا يبقى منها الا كلمات مبهمة غامضة المعنى ، وهؤلاء هم الشعراء الرمزيون .

افلا تكون اللغة في استعمال الشاعر لها خدعة فنية كبرى ، وكذبا على النفس الشاعرة الملهمة ؟ هل استطاعت أن تكون هي نفس المشاعر التي حاولت التعبير عنها ؟ سيلح احد الناس ويلحف في السؤال : وهل نسيت الصدق الفني ؟ هل اهملت من حسابك القدرة الفائقة التي يتوفر عليها بعض الشعراء في استغلال الكلمة الى ابعد ما يسر لها من سمو واشراق وشفوف ؟ هل نسيت شكسبير والبحتري والمتنبي؟ ولكن مهلا ، فانا لست اجهل كل هذا ، وطالما قراته في الكتب ، وقلته للطلبة ، وتحمست له ودافعت عنه في محاورة الصديق ومناقشة التلميذ ، ولكن تبين لي ان ما كنت اسميه صدقا ، قد يكون نية طيبة عند الشاعر، ولكنه عندما يعمد الى اللغة يجد لها كيانا خاصا ، ومفاهيم ودلالات تتجدد دائما وتمتص كل ما يصل اليها من طريق الافراد والجماعات ، الامر الذي يجعلها لا تنقل الينا الاحساس نفسه الذي احسه الشاعر، بكل ملابساته ، وانما تعطينا بعض جوانبه ، وتمزج بينه وبين ما استقر فيها من ظلال انسانية عامة

وهذا يرجع بنا الى ما قلنا آنفا من ان مادة اللغة مستودع كبير لمآتي النفس الانسانية ، وانها قابلة للانفعال بسائر المؤثرات التي تحيط بها ، وانها تمتص كل ما استودعها اياه الافراد والجماعات . وبالرغم من ان القاريء قد يحاول التجرد من مقاييسه الخاصة، ليندمج مع الشاعر في جوه الخاص ، فهو غير قادر على ان يمحو شخصيته محوا ، ويلغي وجوده الغاء ، لان هذا فوق طاقته كانسان من لحم ودم واعصاب ، ولان ايحاء لغة الشعر نفسها ينبهه الى شخصيته ان هو حاول تجاهلها . والقاريء انسان له اهتماماته الفكرية ، وشؤونه الروحية ، التي قد يعاني منها كثيرا ، فاذا هو صادف متنفسا له في قصيدة الشاعر ، اطلق العنان لكل هاتيك الاهتمامات والشؤون لتكون لها جولات في العمل الشعري . لنفرض ــ مثلا ــ انه يحب ، ولا قدرة له على التعبير الشعري الجميل عن حبه ، ثم وقع على قصيدة لشاعر مبدع يتغنى فيها هواه ، فهاهنا نجده يتقمصها بكل ما قد يكون في حبه من قوة عنف ، حتى لربما تستحيل كلمات الشاعر انعكاسا لهذا القاريء ، اكثر مما هي انعكاس لصاحبها. فالشعر مشجب يعلق عليه كل قاريء ما عنده من هموم ومشاغل روحية . ومن حسن حظ القاريء ان لغة الشعر مطواع ذات مرونة وسرعة تكيف ، حسب جميع الامزجة والطبائع وانواع الاستعداد ، كل واحد يجد فيها ما يمكنه من ان يجور على مضامينها واشاراتها ، لتتفق مع منازعه العاطفية . وليست هي باللغة المحدودة المدلول الواضحة الغرض، كلغة العلم التي لا مجال فيها لشيء من هذا .

وقد قيل كلام كثير حول هذه الفضيلة التي تتمتع بها لغة الشعر هذه ، فضيلة المرونة والطواعية والتلقائية ، لانحب ان نعيده هنا ، ولكن احب أن اقف وقفة قصيرة عند هذه الفضيلة لاتبين هل تشوبها شائبة من نقص او عيب ، أو هي الخير كل الخير ، والعصمة من جميع العيوب والآفات .

والآن لنعد الى القضية من أساسها : ان قابلية لغة الشعر للتكيف حسب اذواق الناس المختلفة ، الميول والاستعدادات الفنية ، يعتبر مزية من مزاياها العديدة ، اذ انها بذلك تحقق نوعا من الثراء الفني والنفسي ، وتجعل من النص الشعري عالما من الصور والظلال والالوان . حسن هذا ، ولكن يجدر بنا ان نرى في مقابل ذلك انها تميع وتتداخل مفاهيمها ومضامينها، وتصبح معبرة عن جميع الناس ، في الوقت الذي تعبر فيه عن انسان معين ، وبهذا قد لاتكون معبرة عن اي واحد منهم .

وقد انخدع كثيرون من الشعراء بفضيلة مرونة اللغة ، فلم يدققوا في اختيار كلماتهم ، ووضعها في مواضع لا تصلح لها الا هي ، ولم يتجنبوا مزالق الميع اللفظي ، فتركوا الفاظهم على شيوعها واطلاقاتها العامة ، في حين ان المنطق يقضي بان يكون العكس هو الصحيح، فمرونة لغة الشعر تفرض كثيرا من الاحتياط في الاستعمال اللغوي ، حتى يستطيع الشاعر ان يحافظ للفته على طواعيتها وشفوفها ورقة حساسيتها ، ولكن في الوقت نفسه يجنبها مغبة التفسخ الى حد أن تميع وتفقد الجو الخاص ، جو الشاعر المنتج . فاذا كانت الفضيلة وسطا بين رذيلتين ، كما قرر ذلك الفيلسوف اليوناني القديم ، ففضيلة لغة الشعر في وقوفها بين الجمود وفقدان المائية ، وبين الميوعة التي تفقدها الظلال الخاصة ، هذه التي هي المبرر الوحيد او الاساسي على الاقل لوجود قصيدة الشاعر .

والدقة لاتطلب من العالم وحده ، بل هي تطلب حتى من الاديب والشاعر ، نقول هذا لان هناك عددا كبيرا من الناس ، درجوا على ان ينظروا الى الشعر نظرة بعيدة عن الجدية ، فهو عندهم عبارة عن احلام وعواطف واخيلة صيغت في قالب جميل كيفما اتفق، على حين انهم ينظرون الى العلم نظرة كلها اكبار، ويطالبون العالم بالدقة في استعمال الكلمات . ومن قال ان الشعر معفى من هذا ؟ اليس تعبيرا عن موقف من المواقف الروحية للانسان في علاقته بالعالم المحيط به ؟ اليس لكل موقف روحي طبيعته الخاصة ؟ اليست الميوعة اللغوية تخل بالكشف عن الموقف ؟ الم تضع علينا مئات اللحظات النفسية ، لان بعض الشعراء لم تكن لغتهم من الدقة بحيث تكون كفاء لها ولو بكيفية تقريبية ؟ ودونك دواوين الشعر ، افتحها لترى ان التلاعب بالالفاظ والاستهانة بما بينها من فروق دقيقة، اكبر مأساة مني بها الشعر على الاطلاق ، لانها اهدرت كرامة الفن ، واساءت الى رسالته الخالدة .

ولغة الشعر هي في الحقيقة ابداع للحياة الجميلة، والوجود الامثل الذي يود الشاعر أن يكونه ، انها تجاوز للواقع ، ورفض للرتابة واطراد اساليب العيش وانماط السلوك . كما انها حوار بين الشاعر وبين ذاته المثلى، واندماج في عالمه الخيالي الذي لايتسع له واقعه المحسوس المشهود ، لانه قائم على منطق الحياة وناموسها القاضي بالخضوع لشتى الاوضاع والعادات

بتمجيد الفرس والتغني بمآثرهم الخالدة . قد تكون القصيدة معبرة عن نزوة موقتة استبدت بالبحتري، ثم زايلته بعد قليل ، ولكن ما صوره في سينيته لا يمكن ان يزول مهما تعاقبت السنون . وهكذا تكون خطيرة هذه المحاولات الفنية التي يقوم بها الشعراء ، اذ يسجلون على نفوسهم ، ويسجل عليهم التاريخ الادبي مواقف من حياتهم الروحية تنتصب كالاعلام لتدل عليهم ، ويعتمدها الدارسون في تصوير شخصياتهم ، مع انها لا تمثل منهم الا شيئا يسيرا بالنسبة لآفاقهم الروحية الواسعة ، ولا تنبع الا من بعض لحظاتهم التي لايمهلهم مالها عليهم من سلطان ، فيندفعون الى صياغتها في كلمات ، ومتى كان الشاعر الكبير يخضع تجاربه لمنطق العقل ليختار منها ويصطفي ما ينسجم معه ؟ فهو انسان صاحب حماقات ، لو خيل له وهمه انه من سلالة الملائكة لا من سلالة البشر ، لراح يعبر عن ذلك شعرا، ومن يدري ! ؟ فلربما حملنا نحن الآخرين على تصديقه، فالقاريء قد يفتنه الشعر الرائع عن بعض شخصيته ومعاييره الخاصة ، ليصنع به ما يشاء .

واذن يكون تاريخ الشعر الانساني هو تاريخ هذه اللحظات النفسية التي جاء هبة من هباتها ، وكل ما فيه انما يحمل على هذه اللحظات ويقصر عليها ، ولا يصح اتخاذه اساسا تقاس عليه حياة الشعراء بجميع جوانبها، والا كان ذلك ظلما لهم ، وافتراء عليهم ، وما اشبه من يخالف هذه القاعدة التي اقرها النقد الادبي الحديث بذلك الذي يرى شخصا في حالة سكر فيتخذ اقواله وافعاله في حالته هذه ، كنموذج لجميع اقواله وافعاله في ظروفه العادية . واللحظة الشعرية هي لحظة سكر، واي سكر اقوى واشد فعالية من الثورة على مواضعات العقل والاستسلام للاحلام ، والهيام المطلق بمداعبات الآمال والاعيب الظنون ؟

وبناء على ذلك ، فهؤلاء الشعراء الذين نقرأ لهم ونؤخذ بروائعهم ، ليسوا هم اولئك الذين يضطربون فيما نضطرب فيه من شؤون الحياة اذا كانوا احياء ، ولا اولئك الذين مضوا وخاضوا فيما خاض فيه أهل زمانهم من شؤون العيش ، فهؤلاء جميعا لايصدر الشعر عنهم مباشرة . فليس المتنبي الذي اعرفه من خلال شعره هو ذلك الشخص الذي آوته حلب ، وطاردته مصر ، وانما هو انسان آخر اعرفه في هذه النصوص الشعرية الجميلة التي انتجها في لحظات خاصة ، تهيأ له فيها من بواعث التفتح والاشراق الروحي ما سما بالمتنبي الفنان ، على المتنبي الرجل ، وهذا الذي نقوله لايمنع من الاستعانة بحياة الشعراء في تفسير شعرهم كما لا احتاج ان اقول .

فحتى اقرب الناس الى الشاعر من اهله وذويه واصدقائه قد لايعرفون عنه كشاعر فوق ما يعرفه البعداء عنه ، لان الجميع يتساوى في الاعتماد على ما صدر عنه من اعمال فنية ، لتصور شخصيته الشعرية . أما نومه ويقظته وطعامه وشرابه ، وعاداته الخاصة واحاديثه العادية ، فهي في مجموعها لاتدل الا على شخصيته العادية المألوفة . وهذا هو السر في كوننا نرى الكثيرين يختلطون بشاعر أو اديب ، فيجدونه عاديا في علاقته بهم ، قد لايرتفع عن مستواهم ، فيما ياخذون به من شؤون الحياة المشتركة ، ثم فجأة يطلع عليهم برائعة من روائعه ، يستغربون صدورها عنه ، وقد يظلمونه فيظنون به الظنون ، ويرفعونه أو يخفضونه على حسب ما كونوا عنه من فكرة باعتباره شخصيا عاديا لا باعتباره فنانا . والمواطنة والمعاصرة والزمالة طالما كانت علة ظلم الشعراء والكتاب والفنانين ، فاذا ماتوا وجاء قوم آخرون لايعرفونهم الا بآثارهم ، يرتفعون في اعينهم ، وقد يصبحون من الخالدين . ويعجبني الاستاذ أحمد الشايب في كتابه ( أصول النقد الادبي ) اذ يعلل كون حسان بن ثابت كان جبانا في واقع حياته، شجاعا في شعره ، بكون الشعر وليد حالة من حالات التسامي ، بعدها يعود الشاعر الى حالته العادية ، أو بشيء من هذا القبيل .

لقد راينا الى الآن ما تستطيع اللغة ان تمثله منا ، اذا كنا شعراء ، وبقي ان نعرف ما تصير اليه لغتنا الشعرية بعد انتقالها الى القاريء أو السامع . فالشاعر اذ يلقي بعمله الشعري الى الظرف المتلقي ، يجعله عرضة للتأثر بعوامل ربما كانت أجنبية عنه ، هي ذوق القاريء او السامع وخياله واستعداده الخاص واسلوب استجابته لفن القول . قد يكون فرحا مستبشرا ، فيعني النص الشعري عنده غير ما يعنيه اذا كان متبرما بالحياة عزوفا عنها . وقد يكون خصب التجربة حاد الذكاء سريع الخاطر ، فيعني لديه غير ما يعنيه اذا افتقر الى هذه الامور . ولهذا فالنص الشعري الواحد يقرؤه قارئان ، فيهز احدهما هزا عنيفا ، بينما قد يتيح نوعا من الخدر اللذيذ المخدر للاعصاب بالنسبة للآخر، مع ان النص هو هو في الحالتين .

عددا كبيرا من الناس ، لان مائدتها ممدودة الاطـراف، طافحة الجوانب ، فيعيشون فيهـا فسادا ، ويحولـون افراحها الى مآتم ، ومآتمها الى افراح .

فلغة الشعر عندما تصل الى الطرف المتلقي لاتبقى على حالها الذي تسلمها عليه ، كمـا خرجت مـن فـم الشاعر أو أصابعه ، وانما هو يترجمها فورا الى لغتـه الخاصة بكيفية غريزية . وهي ترجمـة تعمـل فيهـا الحواس وسائر القوى العقلية ، ويرفدها العقل الباطن الذي تطفح بعض مخبآته ، عندما تأخذنا نشوه الشعر، وتشتمل علينا احلام اليقظة فى دنياه الجميلة المؤثرة . فالمسألة فيها تسلسل اذن : الشاعر يترجم احاسيسه الى لغة الشعر التي لاتكون هـي الاحاسيس نفسهـا، والمتلقي ياخذ لغة الشاعر ليترجمها هو الآخر الى لغته التي تتلاءم ومزاجه وتكوينه الفكري وطبيعته الفنية . والمتلقي هو الوسط الادبي كله ، بما فيـه مـن مشارب واتجاهات . وبهذا يمكننا ان نتصور المسافة التي توجد بين مادة الشعر كما تقدمها الحياة الى الشعراء ، وبينها عندما تنتقل هـذه النقلـة الواسعـة ، الى ان تصيـر استجابة لدى القاريء أو السامع . فرحلة مادة الشعر طويلة ، تمر خلالها بمعادن النفوس البشرية ، فتاخـذ من كل معدن شيئا من خصائصه .

واذكر بأن حديثي عن الطرف المتلقـي لا يشمـل الناقد المحترف ، وانما يشمل فقط القاريء الهاوي .

فاس : **عبد العلي الوزاني**

**— الـوادي الكريـم —**

وقانـا لفحــة الرمضــاء واد
سقاه مضاعـف الغيـث العميـم
نزلنـا دوحـه ، فحنـا علينـا
حنـو الوالـدات على الفطيـم
يصـد الشمـس أنـى قابلتـه
فيحجبهـا ، ويـاذن للنسيـم
يروع حصـاه حاليـة العـذارى
فتلمـس جانـب العقـد النظيـم

والقواعد ، فكل ما في لغة الشعر من اخيلة مجنحة، وصور فنية رائعة القسمات ، وتموج بالاطياف والاحلام، ان هو الا تعبير عن ضيق الشاعر بمحدودية الواقع الذي يعيش فيه ، وقنوطه من نظام الحياة الشامل. فهو اينما تحرك يجد ( القواعد ) فللعمل قواعد، وللاجتماع بالناس قواعد ، ولتبادل المنافع والمصالح قواعد . حتى اللعب وضعت له قواعد ، على حين ان الشاعر بمقتضى انه انسان ممتاز ، وله منظاره الخاص الذي ينظر به الى الحياة والاشياء ، يود الانطلاق والتحرر والخروج احيانا عن تقاليد الحياة ونواميسها ومنطقها الصارم ، ليعيش وجوده الخاص ، المنبثق من كيانه الروحي . فهو قد يضع للاشياء أسماء غير التي اصطلح عليها الناس ، وقد يجرد كلماتهم التي يلوكونها من بعض معانيها ليصب فيها معنى جديدا ، وقد يحب الناس شيئا فيفدونه بالغالي والنفيس ، على حين انه يكاد لايشعر بوجوده ، ويكرهون شيئا آخر فيزهدون فيه ، بينما يحتل عنده مكانة المقدسات ، وقس على ذلك . فهو حينئذ يجنح الى لغة الشعر الكريمة المعطاء، يبني بها عالمه الخاص ، ليعيش فيه على هواه . لاسلطان فوق سلطانه ، ويطلق العنان لحماقاته الجميلة التي هي اثمن من معقولات كثير من الناس . في هذا العالم يحقق المستحيل ، وأي مستحيل يستعصي على شاعر مبدع؟ فكلمة منه تطلع العرائس من اعماق البحر ، وتستنزل الارواح من أعلى عليين ، وتوزع الضوء على بقاع الكون بنسب اين منها نسب الواقع المحسوس ، وتصعد بأصغر الاشياء الى سماء العز ومشارف الخلود ، وتنزل بأشياء كبيرة عند الناس الى الدرك الاسفل ، حيث تكون النفايات . وليس لنا الحق في ان نناقش الشاعر في جدوى عمله هذا ، ولا ان نطالبه بالدليل على صحته، لانه لايعترف مقدما بالاسس التي نقيم عليها مناقشتنا بصفته شاعرا ، ولاننا نكون قد تدخلنا فيما لايعنينا. ولو ان الشاعر رضي بمنطقنا لما جشم نفسه مشقة الانتاج الشعري مطلقا . كل ما نملك حق التدخل فيه هو سؤالنا عن مدى توفيقه في التعبير عن نفسه .

وقد يتقارب عالم الشاعر وعالم الناس ، وقد يتباعدان تباعدا كبيرا يجعل الشاعر يشعر بأنه غريب عن الواقع الذي يعيش فيه ، ويأخذ بحظه منه بطريقة او بأخرى ، بحكم وجوده داخل هيئة اجتماعية ، تضغط عليه تحت تاثير ظروف عيشه المختلفة . ويزيد في شعوره بالغربة ان يكون مجهولا عند الجماعة التي يعيش فيها ، بحيث لاتعرفه ولا تصل اسبابها بأسبابه ، فيبقى فيها يعاني غصص الهموم ، ويقع فريسة الصراع بين مثاليته وواقعه . وقد تستطيع الجماعة ان تتجاوب معه وتاخذ عنه ، متخطية باب عالمه الخاص ، وحينئذ لايشعر بهذه الغربة ، وانما يشعر بانه يعيش وسط عائلة تكن له كل عطف ومحبة وتقدير ، فيجد العزاء عما يكابده من اجل الخلق والابتكار . وقد يود الشاعر ان يبقى عالمه مغلقا على جمهرة كبيرة من القراء ، فيعمد الى انتاجه الشعري يديره على معاني ومقاصد ملتوية، ويكثف صوره ويضغط أسلوبه ، حتى يتحول الى ضرب من الرمز والايماء ، الامر الذي لايجعله مفهوما الا عند الخاصة من القراء ، وهذا يعد تعاليا من الشاعر ، اذ يظن بشعره الابتذال والاسفاف ، اذا هو وصل الى الجمهور الاعظم ، وصار اغنية تتردد في المجامع والمنتديات .

والشاعر يبني عالمه بمادة حساسة مرهفة الحساسية ، تنفعل بحالة الطقس الادبي العام ، وترتفع درجة حرارتها او تنخفض ، تبعا لاختلاف حالات الزمان والمكان ، وتتأثر بأي لمسة تصادفها ، الامر الذي ربما ادى الى انهيار العالم الشعري ، بالنسبة الى القاريء الذي يفوته ادراك المنطق العاطفي للشاعر ، فيعبث ببنائه الفني ما شاء له العبث . فرب قاريء يغير على العمل الشعري فينقض بناءه ، ويشوه جماله ، لانه بعثر اجزاءه ، او قلب مفاهيمه راسا على عقب ، فأفقده بذلك روحه الاصيل . وكل هذا ناشيء عن كون لغة العمل الشعري ليست لها مناعة او حصانة ضد العوامل الخارجية ، وانما هي عرضة لان يؤثر فيها كل ما يحيط بها ، ما دامت قيمتها متصلة بنوع الاستجابة التي تصادفها عند الطرف المتلقي ، على حين ان لغة العلم تملك نوعا من الحصانة يأتيها من دقتها واعتمادها على العقل المجرد ، وهذا يتشابه الناس في احكامه ومقاييسه الى حد بعيد . ولست أقصد طبعا ان لغة العلم لها الحصانة التامة التي تقف في مواجهة جميع عوامل التشويه ، وانما اقصد فقط الى انها تعصمها موضوعيتها احيانا وتحد من التلاعب بها او الشطط في استيعابها، أما لغة الشعر فهي ذاتية ، وتثير في الآخرين مشاعر ذاتية تكيف مفهومها وتحدد طبيعتها ، والاستجابات الذاتية بلغت من التنوع حدا بعيدا يكاد يكون بعدد القراء ، على حين ان الحقائق الفكرية التي تصورها لغة العلم ، يلتقي عليها جل الناس .

واذن فعوالم الشعراء هشة مرنة تضيق حدودها وتتسع ، وترتفع سماواتها وتنخفض ، وقد تضيف

تلميذه عبقري غرناطة ووزيرها : لسان الدين ابن الخطيب .. فقد قال عنه : « كان جماعة للكتب ملوكي الخزانة » .

ونجد في التراجم الاخرى التي كتبها مؤرخون آخرون مادة خصبة تعطينا طابع شخصيته ونوع معارفه كما تعطينا شيئا من بنات أقلامه .. (4)

وكان لابي القاسم هذا ثلاثة ابناء هم :

1) محمد بن ابي القاسم وهو المكنى بابي عبد الله ..

2) احمد بن ابي القاسم وهو المكنى بابي بكر وبابي جعفر .

3) عبد الله بن ابي القاسم وهو المكنى بابي محمد ..

وقد طارت شهرة هؤلاء الابناء الاعلام في الاندلس لانهم ساروا على نهج والدهم . في سعة العلم ، ومتانة الخلق ، واستقامة السلوك ، وانفرد اولهم وهو ابو عبد الله محمد بن ابي القاسم بالهجرة الى المغرب الاقصى والحظوة عند السلطان ابي عنان المريني في مدينة فاس .. بعد محنة عاناها على يد السلطان ابي الحجاج يوسف ابن الاحمر .. وهو كاتب رحلة ابن بطوطة كما هو معلوم (5) .. وقد اتصل به ابو الوليد ابن الاحمر في مدينة فاس وترجم له في كتابه « نثير الجمان » كما اتصل به لسان الدين ابن الخطيب في نفس المدينة سنة 755 هـ واطلعه على ما كتبه من تاريخ غرناطة .. واعجب ابن الخطيب بما رآه عند ابي عبد الله ابن جزي من هذا التاريخ ... وسجل ذلك في الترجمة التي افردها له في الاحاطة .. واخترمت المنية ابا عبد الله بن جزي شابا لم يبلغ سن الاربعين سنة 757 هـ واقبر بفاس..! ومن اجل ذلك يذكره المؤرخون في اعلام هذه المدينة

اما اخوه الاول ابو بكر احمد بن ابي القاسم فقد تولى الكتابة في بلاط بني الاحمر ، كما تولى القضاء والخطابة ، وكان شاعرا فحلا مجيدا .. وله الف والده ابو القاسم ابن جزي كتابه اللطيف الممتع المسمى : « الانوار السنية » وقد قال في مقدمته :

« ولما يسر الله على ابني احمد المكنى ابا بكر ابلغ الله فيه الامل . وجعله من اهل العلم والعمل ، حفظ القرآن العظيم . احببت ان يقوم بحظ من حفظ حديث المصطفى الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم.. فجمعت له في هذا الكتاب جملة صالحة من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وقد تأخرت وفاة احمد هذا الى سنة 785 هـ ومن الجدير بالملاحظة ان ابن الخطيب يكنيه في كتابه « الكتيبة » بابي جعفر ... بينما يكنيه ابوه كما قدمنا بابي بكر ، وكذلك المقري في نفح الطيب ، وازهار الرياض (6) ..

واما الاخ الثاني فهو ابو محمد عبد الله بن ابي القاسم (7) فقد اشتهر بمعرفته اللغوية الواسعة وحذقه صناعة التدريس . ونظم الشعر . وتولى خطة القضاء بعدة جهات ... وقد ترجم له كل من الشيخ احمد بابا السوداني في « نيل الابتهاج » والمقري في نفح الطيب ، والترجمتان معا مأخوذتان مما كتبه لسان الدين ابن الخطيب عنه في الاحاطة والكتيبة الكامنة .. والغريب اننا لا نجد لعبد الله هذا تاريخا للميلاد ، ولا تاريخا للوفاة .. وانما نجد ابن الخطيب في الكتيبة الكامنة يختم ترجمته لعبد الله بقوله : « وهو الآن فتى .. بقيد الحياة .. يتولى ما ذكر .. » ومعلوم ان ابن الخطيب كان يكتب الكتيبة سنة 744 هـ على ما يرجح ناشرها .. وتوفي ابن الخطيب سنة 776 هـ .

ويشير ابن الخطيب بقوله : يتولى ما ذكر الى ما كتبه في الترجمة عن صاحبنا هذا ..

« وهو الان بمدرسة الحضرة . يعرب فيغرب فيباهى به على المشرق والمغرب » .

ويلفت نظرنا ما في الترجمتين اللتين سطرهما كل من الشيخ بابا السوداني .. وابي العباس المقري من نعت عبد الله ابن جزي بالمعمر .. كما يلفت نظرنا قائمة شيوخه التي نجد فيها اباه ابا القاسم ، وابا

---

4) انظر « الكتيبة الكامنة » لابن الخطيب ص 46 .. وازهار الرياض ج 3 ص 184 .. وفهرس الفهارس ج 1 ص 224 .. ونفح الطيب ج 3 ص 270 من الطبعة الازهرية . والديباج لابن فرحون ص 295 ، وانظر بهامشه نيل الابتهاج ص 238 .

5) انظر ترجمته في ازهار الرياض ج 3 ص 189 .. والاحاطة ج 2 ص 186 .. والكتيبة ص 223 . والنفح ج 3 ص 283 .

6) انظر الدرر الكامنة لابن حجر ج 1 ص 293 . وازهار الرياض ج 3 ص 184 .. ونفح الطيب ج 3 ص 273 . والاحاطة ج 1 ص 163 . والكتيبة ص 138 والمراقبة العليا للنباهي ص 177 .

7) نيل الابتهاج ص 154 . والنفح ج 3 ص 298 والكتيبة ص 96 .

عبد الله ابن جزي وكتابه

# مطلع اليمن والإقبال، في انتقاد كتاب الاحتفال

**عندما** القت الامصار الاسلامية بالاندلسية بعلمائها وادبائها الى غرناطة . بعد ان طاردهم زحف الغزاة . من الشرق ، والغرب ، والشمال ، اصبح بلاط بني الاحمر فيها حافلا بالوان من العلوم ، والفنون ، وضروب من المعارف . والثقافات . طيلة النصف الاخير من القرن السابع الهجري والقرنين : الثامن والتاسع ..

ونظرة واعية فى معاجم الاعلام ، تعطينا قائمة طويلة الذيل ، بفحول تألقت اسماؤهم، واتسعت آفاقهم الفكرية فى علوم : الاصول ، والفقه ، والتفسير ، والفلسفة ، واللغة ، والادب .

وكان المستوى الفكري لهؤلاء ذا ابعاد وانعكاسات نلمسها عند الوزراء ، والكتاب ، والقضاة ، والاساتذة ، والمؤلفين ، والشعراء ، كما نلمسها فى ظاهرة التسلسل الثقافي فى اسر ، وبيوتات غرناطة ، حملت خلفا عن سلف ، لواء النبوغ فى الادب ، والتضلع من العلم ، والتمسك بزمام الجاه ، والحظوة عند الملوك والامراء ..

ولنا فى بيت بني جزي مثال حي ، لاسرة مجيدة. اشتهرت بكرم محتدها العربي ، منذ الفتح الاسلامي ، لصلتها الوثيقة بالقائد حسام بن حزار الكلبي ... وانتسابها بعد ذلك الى ابن جزي القائم بجيان بعد انهيار دولة المرابطين (1) ...

واشتهرت هذه الاسرة بغرناطة بما انجبته من علماء وكتاب نالوا عند الخاصة والعامة مكانا مرموقا .. حتى خصت سيرتهم واسرتهم بالتآليف ..!

وعميد هذه الاسرة فى ايام بني الاحمر هو — ولا شك — الامام ابو القاسم محمد بن احمد بن جزي الكلبي العلم الشهير ، وكان يمثل فى عصره جلال العلم ، ومتانة الدين ، ونبل الخلق ، وسعة المعرفة ، وفصاحة المنطق ، وجودة التأليف .

وقد الف عدة كتب ما زالت ناطقة بفضله وعلمه وحسن ذوقه فى التصنيف ، والتبويب ، والشرح .. واشهرها تفسيره القيم المفيد المسمى : « التسهيل لعلوم التنزيل » (2) وكتاب « القوانين الفقهية » وكتاب « الانوار السنية فى الالفاظ السنية » (3) كما الف كتبا أخرى ذكرت فى ترجمته ..

واشتهر الى جانب جودة تأليفه بفصاحة منطقه حيث كان خطيب المسجد الاعظم بغرناطة .. ومدرسا قديرا جلس لافادة طلبة العلم ، وتخرج على يديه عدة نبغاء اشادوا بفضله وعلمه ..

واختتم حياته الحافلة بشهادة لقي بها ربه يوم معركة « طريف » سنة 741 هـ وقد اشاد المؤرخون بابي القاسم بن جزي حيا وميتا .. وفى مقدمتهم

---

1) انظر ازهار الرياض ج 3 ص 185 .
2) طبع مقتطف من مقدمته بعنوان « القاموس الوجيز للقرءان العزيز »بالمطبعة الجديدة بفاس سنة 1348 هـ .
3) طبع كتاب « القوانين » عدة مرات . اما كتاب« الانوار » فقد طبع بمطبعة السعادة بالقاهرة سنة 1347 هـ .

والدليل على ذلك ان لسان الدين ابن الخطيب يذكر ترجمة عبد الله ابن جزي فى الكتيبة الكامنة قطعا شعرية منها هذان البيتان فى التورية بالعدد :

ياناصبا علم الحساب حبالة
لقنص ظبي ساحر الالباب
ان كنت ترزق بالحساب وصاله
فالله يرزقنا بغير حساب

ونجد البيتين المذكورين مرويين فى كتاب مطلع اليمن والاقبال . يذكرهما المؤلف على انهما من نظمه الذي يمثل به للتلميح .. مع ذكر المناسبة التي قيلا فيها ..

والناحية اللغوية فى الكتاب تدل على ان مؤلفه جدير بسجعات ابن الخطيب ..

«ان ذكر النحو أزرى بحفاظ بصرته .. وسل على كافة الكوفيين صوارم نصرته .. او ذكر البيان انسى الخبر العيان » .

ومن مقدمة الكتاب ندرك ان عبد الله ابن جزي كان من خدام دولة بني الاحمر .. ومن المقربين الى ثامن ملوكهم محمد بن يوسف الملقب بالغني بالله .. الذي رفع لمقامه هذا الكتاب تنويها بمكانته فى الغزو والجهاد .!

ونحن نعلم ان الغني هو مخدوم ابن الخطيب وقد اشرنا سلفا الى المدة التي جلس فيها على عرش غرناطة فى فترتين تفصل بينهما ايام النفي فى المغرب التي استمرت ما يقرب من ثلاث سنوات ...

والكتاب الف فى الفترة الثانية بعد الفتك بابن الخطيب سنة 776 هـ ودليلنا على ذلك ان المؤلف ينوه بالغني بالله ويقول فى حقه :

« الم تر الى ملوك المغرب على ضخامة ملكهم .. واتساع اقطارهم ، وتكاثر جنودهم .. انما هم فى كنف ردايته وفى حمى ايالته . ومن انخلع عنه فبمقتضى حكم العزيز واشارته ، فهم لطاعته الواجبة مذعنون وبايادبه الكريمة معترفون .. »

وهذا بالضبط ما وقع قبيل مقتل ابن الخطيب وبعده ، من الاحداث السياسية التي جعلت ابن الاحمر يتدخل فى السياسة المرينية تدخلا سافرا مكشوفا ..!

وقد ذكر المؤلف عبد الله ابن جزي فى مقدمة كتابه هذا فذلكة تاريخية عن ملوك بني الاحمر واعمالهم وذكر الى جانب كل ملك منهم وزيره وكاتبه ، حتى اذا وصل الى الغني بالله سكت ! ولم يعرج لا على ابن الخطيب ولا على غيره ..! ليلا يثير الضغائن والدفائن.!

وفى خاتمة الكتاب نجد عبد الله ابن جزي يحل لنا طرفا من العقدة المتعلقة بمؤلف كتاب « حلية الفرسان وشعار الشجعان (9) » وهو علي بن عبد الرحمن ابن هذيل ، وهذا المؤلف لا نعلم له لحد الآن ترجمة مفصلة ... غير ان مؤلفنا هذا يعطينا عند هذه المعلومات التي ننقلها فى هذه السطور :

« واما ما يرجع الى دواء الخيل وعلاجها ، اخلاطها ومزاجها ، فذلك امر خارج عن مقصدنا نازح عن معتمدنا ... انما محل ذلك علم البيطرة وهو علم طب الخيل كما ان البيزرة علم طب البزاة .. وقد وقد وقفت فى البيطرة على تأليف نبيل رفعه للمقام العلي المحمدي النصري اسماه الله تعالى صنيعة احسانه الفقيه الاديب الحسيب ابو الحسن علي ابن هذيل .. وهو من اقبل من قرأ العلم علي واستفاد الادب بين يدي . من وجوه الحضرة واعيان البلدة » .

فابو الحسن ابن هذيل من تلاميذ ابن جزي ومن المقربين الى الغني بالله ابن الاحمر وله الف كتاب البيطرة .. ويقول مخرج كتاب حلية الفرسان ، ان هذا الكتاب يسمى : « الفوائد المسطرة فى علم البيطرة » وانه طبع بمدريد سنة 1935 م (10) ..!!

ولكن مخرج الكتاب يزيدنا معلومات عن الملك الذي الف له ابن هذيل كتابه حلية الفرسان فيصحح انه هو ابو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد وهو الملك الحادي عشر ... من ملوك بني الاحمر .!.!

وهذا لا يصح لان ابا الحسن ابن هذيل يصرح فى مقدمة كتابه انه الفه للغني بالله ... وهو الملك الثامن ... من ملوك بني الاحمر ..

---

9) طبع فى سلسلة ذخائر العرببدار المعارف بمصر رقم 6 وعني باخراجه محمد عبد الغني حسن .
10) انظر ص 17 .

البركات ابن الحاج ، والشريف السبتي ، وابا سعيد ابن لب ، والمقري ، وابن شبرين ، وابن الجياب وكلهم من اعلام ذلك العصر الذين تجاوزت شهرتهم الاندلس الى اقطار المغرب والمشرق ..

وقد حاولنا ان نعثر على معلومات اخرى عن عبد الله ابن جزي عند ابي الوليد ابن الاحمر فى نثر الجمان .. فوجدناه لم يعرج عليه ، فى حين ترجم لكل من اخويه : ابي عبد الله محمد وابي بكر احمد .. وكذلك القاضي ابو الحسن النباهي لم يعرج على صاحبنا هذا وانما ذكر اخاه ابا جعفر وابا بكر — ايضا — عرضا ..

اما ابن القاضي فى ( درة الحجال ) فقد ذكر خمسة من بني جزي ليس فيهم عبد الله ..!! مع شيء من التخليط والابهام ..!!

بعد هذه الجولات فى المعاجم نرجع الى مخطوطة :

## مطلع اليمن واقبال فى انتقاء كتاب « الاحتفال »

هذه مخطوطة طريفة الموضوع ، انيقة الاسلوب ، من تراث الفردوس المفقود ، الفت فى القرن الثامن الهجري ، بقلم علم من أعلام اللغة والبيان فى دولة بني الاحمر بغرناطة ..

والموضوع الذي تتناوله هذه المخطوطة ، هو موضوع الخيل وما اليها ، من اوصاف ، وشيات ، ومحاسن ، ومعايب ، وما قيل فيها من شعر عند الجاهليين والاسلاميين وبعض الاندلسيين ..

واهمية الموضوع عند مؤلفنا هذا وغيره من المؤلفين الشرقيين والاندلسيين ، ترجع الى ان الخيل كانت هي الوسيلة والاداة فى ميادين الغزو والجهاد والذب عن الحمى والدفاع عن الحوزة ..

وهذا الموضوع تتجاذبه: البيطرة ، واللغة ، والادب والفروسية ، والتاريخ ، ولهذا نجد فى مخطوطتنا هذه، وفى كتب اخرى مثل كتاب ابي الحسن علي بن عبد الرحمن ابن هذيل الاندلسي الغرناطي اشياء كثيرة من هذا القبيل هنا وهناك ... بالاضافة الى ما يسمى « بالخصائص » وهي مجموعة من العادات والتجارب فيها بعض الحقائق العلمية ، والخرافات الاسطورية المتوارثة جيلا عن جيل ...

ومخطوطتنا كما يبدو من اسمها ليست الا « انتقاد » من كتاب آخر هو الاصل الذي انتقى منه مؤلفنا كتابه : « مطلع اليمن والاقبال » وقد ذكر ذلك فى هذه السطور : « واقول اولا . ان مؤلف كتاب ( الاحتفال ) هو الفقيه الاديب اللغوي ابو عبد الله محمد ابن رضوان ابن ارقم من وجوه وادي آش واعيانها ، الفه وجمعه للمقام العلي الظاهر السني مقام السلطان الكبير الشهير ، عز الاسلام ، وفخر الليالي والايام امير المسلمين الغالب » .

والغالب بالله هذا هو مؤسس دولة بني الاحمر فى غرناطة وهو جد ملوكها ..

اما ابن ارقم مؤلف كتاب « الاحتفال » فقد ترجم له لسان الدين ابن الخطيب فى الاحاطة .. وقال عن كتابه هذا : « الف كتابا سماه : الاحتفال فى استفاد ما للخيل من الاحوال — وهو كتاب ضخم وقفت عليه» (8) ثم ذكر وفاته سنة 657 هـ .

ولم يقدم صاحب مخطوطتنا هذه على انتقاد كتاب الاحتفال الا بامر ورغبة من امير المسلمين ابي عبد الله محمد بن ابي الحجاج الغني بالله الذي تولى عرش غرناطة اولا من سنة 755 هـ الى سنة 760 هـ . وثانيا من سنة 763 الى سنة 793 هـ .. ويقول فى المقدمة :

« فرأى — ايده الله — برايه السديد ونظره الرشيد ان انتقى له من الكتاب ما يخف فى المطالعة ، ويحسن عند المذاكرة والمراجعة » .

ولكن من هو مؤلف كتابنا هذا ...؟

فالمخطوطة تنسبه لابن جزي .. وقد راينا فى عرضنا السابق اربعة أعلام كلهم مؤلف ، وكلهم اتصل ببني الاحمر وكلهم اشتهر بابن جزي : الاب والابناء الثلاثة .. فى عصرهم وبعد عصرهم ... والمصادر التي ترجمت لهم لم تعرج على اسم هذا الكتاب ولم تنسبه لاحد ..!

فلم يبق امامنا الا الرجوع الى قراءة المخطوطة نفسها علنا نجد فيها ما يلقي على مؤلفها بعض الاضواء تجلو الحقيقة .. وتفصح عن المراد ...

وبعد قراءة المخطوطة تبين لنا ان المؤلف هو عبد الله بن ابي القاسم ابن جزي . الذي نجهل تاريخ وفاته . كما نجهل تاريخ ميلاده كما قدمنا ..

---

8) الاحاطة ج 2 ص 100 من الطبعة الاولى

# نظرات في ديوان ابي حيان الغرناطي

للأستاذ سعيد أعراب

منذ مدة ، زرت مكتبة وزان ، الحافلة بالاعلاق والنفائس . هذه المكتبة التاريخية التي انفق في تأسيسها المولى عبد الله الشريف ، كل غال ونفيس ، والتي سلخ بين احضانها الشيخ الرهوني ، شطرا كبيرا من حياته ، فطلع على الناس بمؤلفات ، بعد العهد بمثلها في التحرير والتحقيق ، وارجاع النصوص الى اصولها

وكان الشاعر الرقيق ابو حامد المساري يتردد اليها ويكرع من مناهلها ، وله فيها قصائد رائعة :

قال يصف بعض ذخائرها :

رأت مقلتي ابهى الحلى والقلائد
ووسم نهود في غوان خرائد
وازهى رياض واختلاف صنوفه
وكل كمال في جميع المشاهد
ولا مثل قاموس ونسخة متنه
بوزان . . .

هذه المكتبة التي تعيش اليوم في غربة ووحشة ، وقد تراكم الغبار عليها ، وعملت الرطوبة فيها عملها ، وهي عبارة عن مستودع ، لا نوافذ ولا هواء ، ولا انارة ولا مناضد ، ولا رفوف منتظمة ولا مقاعد ، ولا ولا . . .

ومع ذلك فلا انسى ما غمرني به سدنة هذا البيت من لطف ، وما قدموه الي من عون ومساعدة ، مما كان يخفف علي كثيرا من العناء ، وكم شاركوني الاسى والحسرة ، على الحالة التي تعيشها مكتباتنا في المساجد والزوايا ! . . وارجو ان تتاح لي الفرصة للحديث عن الاصول والنوادر التي توجد مبعثرة بين زوايا هذه المكتبة : « وفي الزوايا خبايا » .

ومن هذه النوادر – ديوان ابي حيان الغرناطي ، وهي نسخة فريدة ، لا نعلم لها ثانية في مكتبات العالم . سجلت تحت عدد 492 ، وهي مكتوبة بخط شرقي واضح ، كثير التصحيف والتحريف ، تقع في 180 صفحة من القطع المتوسط .

ويضم هذا الديوان نحو الفين وستمائة وخمسة وثلاثين بيتا ، في موضوعات شتى ، ما بين وصف ومدح ، وفخر وهجو ، وغزل ورثاء ، واول ملاحظة نسجلها في مقدمة الحديث عن هذا الديوان – ان النسخة التي بين ايدينا الان لا تضم من شعر ابي حيان ، الا ما نظمه وهو في بلاد الشرق ، اذا استثنينا قصيدة او قصيدتين . واكثر هذا الشعر لا يرتفع الى درجة الجيد .

على ان جامع هذا الديوان – وهو بعض تلاميذ ابي حيان – قد فاته الكثير من الشعر الذي قاله ابو حيان وهو بالمشرق ، ومن ذلك موشحته التي عارض بها موشح ابن التلمساني ، على ما سنذكره بعد .

وابو حيان – كما نعلم – ولد بغرناطة (1) ، وبها نشأ وترعرع . سلخ شطرا من حياته في ربوع الاندلس – وهو في شبابه الغض – يتنقل بين بساتينها الفيحاء ، وجناتها الغناء ، وينعم بقصورها الشماء ، وكان لطبيعة الاندلس ، الزاخرة بمفاتن الحياة – اثر واضح في طبع ابنائها على حب الادب ، والتغني بأهازيج الشعر ، حتى انك لا تكاد تجد اديبا منهم لم يقل شعرا

---

1 ) كتبت بحثا عن حياة ابي حيان ، نشر بمجلة البحث العلمي ص 241 العدد الثالث السنة الاولى .

ولقد افادنا ابن جزي فى النص الذي نقلنا عنه آنفا معلومات لا باس بها فى الكشف عن شخصية ابن هذيل وعن الملك الذي الف له كتابه فى البيطرة . . .

وبذلك لا يبقى مجال للفروض التي افترضها الاستاذ محمد عبد الغني حسن الذي كتب مقدمة ( حلية الفرسان ) . اما بخصوص وصف هذه المخطوطة وما تشتمل عليه ابوابها وفصولها من اوصاف الخيل وشياتها ومحاسنها ومساوئها .. فهو ما نجمله فيما ياتي :

هذه المخطوطة اتحفني بالاطلاع عليها الاخ الباحث السيد حماد بوعياد .. وهي مكتوبة بخط مغربي جميل ملون مسطرتها 20 ومقياسها 300 — 220 وقع الفراغ من كتابتها فى الحادي عشر من ربيع الثاني سنة 1182 هـ .

وتشمل على ما يقرب من مائة صفحة وعشرين بابا مع مقدمة تاريخية ، وخاتمة ادبية تاريخية . . .

وقد شحن المؤلف ابواب الكتاب بشرح كل ما يتعلق باسماء الخيل وصفاتها وما قيل فى ذلك من شعر ونثر ولا يفتأ يناقش ائمة اللغة فى كل دقيقة وجليلة كما يناقش ابن ارقم مؤلف كتاب الاحتفال مما يدل على ان المؤلف لم يكن ملخصا ولا منتقيا فقط بل كان ايضا باحثا ضليعا . . .

ولعلنا سنتمكن من تقديم بعض الفصول من هذه المخطوطة مع دراسة نقدية فى مناسبة اخرى . . .

فاس : **عبد القادر زمامة .**

**ـــ خطر النميمة والكذب على المجتمع ـــ**

قال ابن حزم : « ما هلكت الدول ، ولا انتقضت الممالك ، ولا سفكت الدماء ظلما ، ولا هتكت الاستار ، بغير النمائم والكذب ، ولا اكدت البغضاء الا بهما ، ثم لا يحظى صاحبهما الا بالمقت والخزي والذل ! . »

**ابن الازرق : بدائع السلك**

اشياخه ، وقد استهلها بمدح النحو والخليل ، وسيبويه . يقول في مطلعها :

هو العلم لا كالعلم شيء تراوده
لقد فاز باغيه وانجح قاصده

اما شعره في الطور الثاني والثالث ـ فتبدو فيه الصنعة ، وقد هذبته الدربة ، وصقلته الحنكة والتجربة. واكثر شعر ابي حيان في الطور الثاني ـ الغزل ، وشاعرنا كان منذ صباه ميالاً الى اشعار الغزل ، تستبد بعواطفه ، وتملك عليه حواسه ومشاعره ! . كما يقول هو عن نفسه .

اذن فلا عجب ان يقول ابو حيان في الغزل ، او يكثر من شعر الغزل ، وربما شغل نحو النصف من ديوانه .

ومن اروع ما له في هذا الباب ، موشح عارض به ابن التلمساني ، وهذه صورته كما اوردها المقري في النفح (1) :

عاذلي في الاهيف الآنس
لو رءاه الان قد عذرا

رشأ قد زانه الحور
غصن من فوقه قمر
قمر من سجبه الشعر
ثغر من فيه ام درر

حال بين الدر واللعس
خمرة من ذاقها سكرا

رجة بالردف ام كسل
ريقة بالثغر ام عسل
وردة بالخد ام خجل
كحل بالعين ام كحل

يا لها من اعين نعس
جلبت للناظر السهرا

مذ نأى عن مقلتي سنن
ما اذيقا لذة الوسن

طال ما القاه من شجن
عجبا ضدان في بدن

بفؤادي جذوة القبس
وبعيني الماء منفجرا

قد اتاني الله بالفرج
اذ دنا مني ابو الفرج
قمر قد حل في المهج
كيف لا يخشى من الوهج

غيره لو صابه نفسي
ظنه من حره شررا

نصب العينين لي شركا
فانثني والقلب قد ملكا
قمر اضحى له فلكا

قال لي يوما وقد ضحكا :

اتجي من ارض اندلس
نحو مصر تعشق القمرا

* * *

وهذا القفل الاخير ( الخرجة ) ـ معرب بنفسه على انه مما قاله ابو حيان وهو بمصر .

ومعلوم ان ما جاء من الموشحات على اوزان العرب ، يعتبره ارباب الصنعة مرذولا . وموشح شاعرنا من بحر الرمل ، ولعل اختلاف قوافي قفله مما يشفع له . كما في قول ابن زهر :

ايها الساقي اليك المشتكى
قد دعوناك وان لم تسمع

وقول ابن بقي القرطبي :

عبث الشوق بقلبي فاشتكى
الم الوجد فلبت ادمعي

ومن هذا القبيل موشح ابن الخطيب المشهور :

جادك الغيث اذا الغيث همى
يا زمان الوصل بالاندلس

---

1 ) ج 3 ص 310 .

وابو حيان الى كونه عالما موسوعيا : نحويا لغويا مفسرا محدثا ، مقرئا مؤرخا ـ اديب مقتدر ، وشاعر مكثر . قال الشعر منذ الحداثة ، وشعره فيه الجيد وغير الجيد ، ولعل ذلك يرجع الى اختلاف الظروف والمناسبات ، التي عاشها ابو حيان ، وعالج فيها القريض فالشعر الذي قاله زمن الصبا وايام الفتوة ، غير الذي قاله ايام الكهولة والشيخوخة .

ولذلك نستطيع ان نجعل حياته حسب شعره ـ ثلاثة اطوار : احدها طور الصبا ، وينتهي سنة 677 هـ ـ وهي السنة التي غادر فيها الاندلس الى المشرق .

والثاني طور الشبيبة ، وينتهي في حدود سنة 691 هـ . وفي هذا الطور زار الحبشة ، وبعض اقطار العجم ، واكثر البلاد العربية ، وانتهى به المطاف الى القاهرة .

والثالث طور الكهولة والشيخوخة ، وينتهي بموته سنة (745 هـ) قضى هذا الطور ، او جله في مصر .

اما شعره في الطور الاول فأكثره قد ضاع ، ولعل من اوائل شعره قوله :

لأكل الشعير واقتناء المعارف
الذ من السلوى ولبس المطارف
واني لمستغن بعلم جمعته
وهيهات ما يغني تليد وطارف

ويجب ان لا ننسى ـ ونحن نتحدث عن ابي حيان في طور صباه ـ نبوغه المبكر ، الذي لفت نظر معاصريه، واضطر الشيوخ الى الاخذ عنه على صغر سنه ، وقد حاول بعض منافسيه النيل منه ، وكانهم استصغروا شانه ، فدخل معهم في حرب كلامية ، بساعد اقوى ، وسلاح احد ! قال يصور بعض جوانب هذه المعركة :

ما لليراعة لا ريعت بحادثة
استعجمت ولحبري الان قد جمسا
وللقوافي قفت مالي فلا ادب
يملى ولا نشب يريح مبتئسا
فصفحة الطرس من دري معطلة
ووسم جودى اذا قللت قد درسا
وقد ذوت زهرات الشعر وا اسفا
لما غدا ماء فكري غائرا يبسا
كأنني لم اعمر منتدى ادب
ولم اجل للصبا في حلبة فرسا

* * *

اعجب به من خطيب ماهر ندس
ان قست قسا به تخاله ودسا
بل العجاب مقامي بين ذي وحر
وحاسد بسوى الاعراض ما نبسا
قوم اذا غبت قالوا ما يليق بهم
وان حضرت تراهم خشعا نكسا
ما كان ضرهم لو انصفوا رجلا
ما قام وهنا على هجر ولا هجسا
اما دروا انني لو شئت افضحهم
بمفضحات وان ابصرتها خرسا
من كل شاذرة عذراء ناهدة
يكون اهداؤها لهم لها عرسا
وكل فاضحة للظهر قاصمة
ترد من كان جذلانا حليف اسى !

ومن اول شعره في الغزل قوله :

لا تعذلاه فما ذو الحب معذول
والعقل مختبل والقلب متبول
هزت له اسمرا من خوط قامتها
فما انثنى القلب الا وهو مقتول
جميلة فصل الحسن البديع لها
فكم لها جمل منه وتفصيل
فالنحر مرمرة والنشر عنبرة
والثغر جوهرة والريق معسول
والطرف ذو غنج والعرف ذو ارج
والخصر مختطف والمتن مجدول . . .

وشعره في هذا الطور واضح التقليد ، بادي التكلف ، تنقصه متانة اللفظ ، وصقالة الاسلوب ، على انه لا تخلو بعض قصائده من الجودة ، كما نجد ذلك في القصيدة التي مدح بها صاحب غرناطة وطائفة من

« مدح وذم وعين الشيء واحدة »

كما نجد ان شاعرنا مغرم بجمال الترك ، مأخوذ بمحاسنه ومفاتنه ، وليس في الدنيا حسن يضاهيه او يدانيه :

هو الحسن حسن الترك يسبي الورى لطفا
ويعطف سالي القلب نحو الهوى لطفا

* * *

كنت قدما عاشقا في عرب
وانا اليوم محب في اسن

* * *

وصورة حسن لو تبدت لراهب
لآنسته ما في هيكل ومصاحف

غريبة حسن بدعة في جمالها
لطيفة معنى منه كل اللطائف

وما كنت ادري ان للشمس ضرة
الى ان رأيت الشمس ذات السوالف .

واذا كان من عيب في حسان الترك ، فهو صغر اعينهن ولكن شاعرنا يرى ان ذلك مما يزيد في جمالهن ، ويرمز الى تمنعهن وبخلهن :

بروحي التي زارت بليل واقبلت
تجر على آثارها العصب والوشيا

هداها سناها نحو طاو ضلوعه
على سلوة ماتت ووجد بها حيا

تحلت بدر فوق لبات نحرها
فكان لذاك الدر لباتها حليا

من الترك ضاق العين منها لبخلها
وليست من العين التي تشبه الظبيا .

* * *

قد سباني من بني الترك رشا
جوهري الثغر مسكي النفس

قد حكى غصنا وبدرا ونقا
في ارتجاج وانبلاج وميس

ضيق العينين تركيهما
واسع الوجنة جزي المجس .

وقد نعجب اذ نراه تعاوده ذكريات هذ الحب ، وهو فى شيخوخته وهرمه، وقد شاب فؤده، ويبس عوده!

وبي من الترك ما لو كنت اذكره
لأصبح الدهر من ذكراه مختالا

كان هذا وريعان الشباب لنا
غض وطرف الصبا في حلبة جالا

* * *

يا صبوة قد اتتني آخر العمر
تذكر القلب ما قد كان في الصغر !

ونجد لابي حيان شعرا كثيرا في التغزل بالغلمان، وخصوصا ذوي الحرف منهم .

قال في نوتي :

كلفت بنوتي كأن قوامه
اذا ينثني خوط من الباب ناعم

مجاذفه في كل قلب مجاذب
وهزاته للعاشقين هزائم

وقال في نشابي :

فتنت بنشابي اختار شغله
بصنعته خوف العيون النواظر

نظرت اليه وهو ينحت اسهما
فخفت كأن قلبي له قلب طائر

وقد كنت لا اقوى لسهم لحاظه
فكيف لنشاب وسهم المحاجر .

والتغزل بالمذكر طريقة معروفة عند اهل الاندلس ، ولكن ليس الغرض منها الميل الى الغلمان، وانما هي معرض للنقل والتصوير ، واختراع المعاني والتعليل .. والا فابو حيان ، من الصيانة والدين بمكان، لا يرتقي اليه الشك والارتياب ! .

واما شعره في الطور الثالث ـ فهو لون آخر من الوان شعره ، وصفحة جديدة من حياته ، وباب مهم في ديوانه . نترك الحديث عنه الى عدد آخر بحول الله

تطوان : سعيد اعراب

كما يستحسن عندهم اللحن في الخرجة ، وليس هو شرطا كما زعم سنا الملك في كتابه « دار الطراز » .

وابو حيان الذي لا يعرف اللحن ، وكان ـ كما قيل ـ لا يلحن احدا ـ ربما اكتفى بكلمة غزلية خلابة، بينها وبين الصبابة قرابة ، مثل قول القائل :

ليـــل طويـــل ومـــا معيـــــن
يا قلب بعض الناس امـا تليـن ؟

وكما في قول شاعرنا :

اتجـي مـــن ارض اندلــــس
نحـو مصـر تعشـق القمـــرا

وقد قيل : من اراد ان يقول هكذا فليعرب ، والا فليغـــرب .

وابو حيان فنان مبدع في صناعة الموشحات ، وله في ذلك شعر كثير .

والغريب ان الديوان الذي بين ايدينا خال بالمرة من شعر الموشحات ولذا اوردنا هذا الموشح كنموذج لهذا اللون من شعره الرفيع .

وبنظرة عابرة عن ديوان ابـي حيـان ، نجـد ان شاعرنا فتن بحب السود ، وقد افتتن في وصف محاسنهن، وفضلهن على الغواني البيض، وله فلسفة غريبة في ذلك:

لنا غرام شديـد في هـوى الســود
نختارهن على بيض الطلا الغيـد
لون به اشرقت ابصارنـا وحكـى
في اللون والعرف نفح المسك والعود
لا شيء احسن مـن عـاج تركبـه
فى ابنـوس ولا اشفـى لمبـرود
لا تهـو بيضـاء واسـم الـى
سوداء حسناء لون الاعيـن الســود
في جيدهـا غيـد في قدهـا ميـد
في خدهـا صيـد من سادة صيـد
من ءال حام حمت قلبي بنار جـوى
من هجرها وابتلت عيني بتسهيـد !

* * *

علقتـه سبجـي اللـون فاحمـه
ما ابيض منه سوى ثغر حكى الدرزا
قد صاغه من سـواد العيـن خالقـه
فكـل عين اليـه تدمـن النظـرا
كأنمـا هـو مـرءاة تقابلـه
من الورى نفس قد اودعت صـورا
تلك التي لو غدت في الحسن مشرقة
لفاقت النيرين الشمس والقمـرا
تقسمـت لونـه الابصـار والهـة
في حسنـه فـاذا انسانهـا بصـرا
لولا سـواد بها منـه لمـا نظـرت
ولم يكن عاشق بالعين قـد سحـرا

* * *

جننت بهـا سـوداء لـون وناظـر
ويا طالما كان الجنـون بسـوداء
وشاهدت معنى الحسن فيها مجسـدا
فاعجب لمعنى صار جوهـر اشيـاء
اطاعنــة من قدهـا بمثقـف
اصابت وما اغنى الفتى بسر حصداء
لقد طعنت والقلب ساه ومـا درى
ابا لقد منها ام بعمدة سمـراء (1)

وقد يتناقض الشاعر مـع نفسه ، فيـذم السـواد ، ويهجو السود :

اذا مـال الفتـى للسـود يومـا
فـلا رأي لديـه ولا رشـاد
أتهـوى خنفسـاء كـأن زفتـا
كسا جلـدا لهـا وهـو السـواد
وما البيضـاء الا الشمـس لاحـت
تيـر العيـن منهـا والفـؤاد
سبيكـة فضـة حشيـت بـورد
يلـذ السهـد معهـا والرقـاد
وجنـة المومنـين بهـا ابيضـاض
ووجه الكافريـن بـه اسـوداد .

وذلك من تفننه وتلاعبه بالالفاظ ، واقتداره على توليد المعاني والصور ..

---

1 ) وهذه القصيدة لا وجود لها في الديوان . انظر النفـح ج 3 ص 325 .

ان ينظر الى الرجل من خلال عصره وبيئته ليرى الى اي حد استجاب الرجل لرسالة عظيمة كان يضطلع بها ذلك العصر ، وينهض بها لخير اللغة العربية وحفظ تراثها علماؤه ورجاله ، وكيف كان ابو عمرو بن العلاء رائدا عظيما من روادها .

### 3 — في الحياة السياسية

ولد ابو عمرو بن العلاء في الوقت الذي كان فيه الزبيريون يوسعون نفوذهم في العراق بعد استيلائهم على الحجاز اذا اخذنا بالرواية التي تجعل ولادته سنة 65 هجرية ، وكان الخليفة عبد الملك بن مروان ينفخ في دولة بني مروان روحا جديدة بعد أن كان بنيانها يتداعى تحت ضربات الثورات الداخلية وانقسام العرب على انفسهم . ولكن الخلافة الاموية استعادت كل قوتها بفضل الخليفة عبد الملك الذي ترك لابنائه الوليد وسليمان ويزيد وهشام دولة قوية موطدة الاركان .

كل هذه الاحداث بين الدولة وخصومها في الداخل اي بين العرب فيما بينهم على مسرح الحجاز والشام والعراق لم تؤثر في حياة الرجل بشكل مباشر ، لانه لم يكن رجل دولة او سياسة أو مغامرة ، وانما كانت تعكس على حياة بيئته المحلية أحداثا خاصة ولاسيما البصرة التي عاش فيها . ففي البصرة كانت الجماهير الكادحة من الاعاجم اي الفرس والنبط وغيرهم تؤلف قوة تقاوم السلطان العربي يقودها ابن الاشعث الى ان جاء الحجاج ابن يوسف سنة 75 هـ فأخضعهم لسلطان بني امية .

وفي مستهل القرن الثاني الهجري تبدأ الدعوة السرية الهاشمية ، فتصبح الكوفة في العراق وكرا لنشاط الدعوة . وبما أن بني تميم كانوا ظهيرا لبني أمية في البصرة ، وكانت البصرة تنافس الكوفة ، ورأت ظهور أمر العباسيين فان التميميين انقلبوا حزبا معارضا للعباسيين بعد أن كانوا قوة يخشى جانبها من طرف بني أمية . هذا الصراع بين بني أمية وبين بعض القبائل والاحزاب من جهة ، وبين دعوة العباسيين من جهة ثانية ، ثم قضاء هؤلاء على دولة المروانيين ، وقيام الخلافة العباسية في الكوفة ، ثم بناؤهم عاصمة بغداد وتحول الدولة اليها ، كل تلك الاحداث عاشها ابو عمرو بن العلا كأي فرد عربي أو تميمي من البصرة ، تلفحه بنارها بالرغم من كونه لم يكن من الذين يخوضون غمار السياسة ويجدون وراء سرابها . وقد ذكر الزبيدي ، ان الحجاج اخافه ، فكان يتستر ، وخرج في الغلس يريد التنقل من الموضع الذي كان فيه الى غيره (1) . ولاشك أنه كان يتجاوز العشرين من عمره. لانه روي عنه في هذه الحادثة بالذات انه سمع امراة عجوزا تقول مات الحجاج ، والحجاج مات سنة 95 هـ

### 4 — في الحياة الاجتماعية

نحصر الحديث عن الحياة الاجتماعية في النطاق الذي عاش فيه ابو عمرو بن العلاء لانه وحده يتصل بموضوعنا . وهذا النطاق هو الحجاز والعراق ، ولاسيما البصرة ، هذه المدينة التي قضى بها معظم حياته .

لقد شهد المجتمع الاسلامي في أواخر القرن الاول الهجري واوائل القرن الثاني تطورا عظيما تغيرت بسببه أوضاع الحياة العربية ، وازدادت تعقيدا ، واهم مظهر لهذا التطور انتقال المجتمع الاسلامي من طور اشبه بالبداوة الى طور اعلق بأسباب الحضارة، وفيه قامت الخلافة العباسية ، مازداد العنصر العربي التحاما بالعنصر الفارسي ، واغراقا في الحضارة . وفي البصرة كان يتجلى ذلك اكثر مما في اي مصر آخر . فكان فيها العرب وهم الذين يمثلون الطبقة الحاكمة المترفة . وكان فيها الانباط والفرس والزط الذين جاءوها من الهند والسند وفارس ، وكان هؤلاء يمثلون الجماهير الشعبية أو القطاع الوطني القديم (2) وكان هؤلاء وأولئك يعيشون حياة معقدة فيها من مظاهر الحياة القديمة ومظاهر الحياة الجديدة اشكال متداخلة شديدة التعقيد . ولم يستطع المسلمون الذين عمروها

---

1) طبقات النحاة واللغويين ص 28—29 — وانظر ايضا : الو فيات ج 3—137 .

2) نأخذ بالراي الذي يذهب الى أن البصرة كانت بلدا قديما تعاقبت عليه الغزوات والاسماء من (باصرا) الكلدانية الى (بيسي راه) الفارسية الى (البصرة) العربية ، وأن تمصيرها على يد عتبة ابن غزوان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب انما كان يعني تركيز السلطة الاسلامية بها باعتبارها مركزا هاما في ملتقى طرق العراق ، وصبغها بالصبغة العربية . ويقول لويس ماسينيون : « ان التمصير انتقال من حالة المعسكر الى التوزع في احياء حضرية » على أن اللغويين لم يتفقوا على مدلول فعل « مصر » وراي المقدسي أوجه ، لانه يعني تركيز سلطة الحكومة في المصر . انظر كتاب الجاحظ لشارل بيلا تعريب الدكتور كيلاني ص 24 — 25 .

# من الأعلام المغمورين

بن [illegible] 70 - 154 هـ

للأستاذ محمد [illegible] الكتاني

تناولت اقلام الكتاب من الباحثين والادباء ، فى عصرنا ، جل اعـــلام الفكر الاسلامي ورجال الحركات العلمية والادبية والاصلاحية ، ولا سيما اعلام الصدر الاول من عصور الاسلام ، اما بالدراسات الموسعة واما بالترجمة والتعريف ، بحيث اصبح ما يكتب عن بعضها احيانا حديثا معادا وكلاما مكررا ، بينما بعض اولئك الاعلام البارزين فى حياتنا العلمية مغمـــورا هملا لا تكاد تلتفت اليه اقلام هؤلاء الباحثيـــن .

وعلى راس هؤلاء الاعلام المغمورين الذين لا يعرف عنهم الناس اكثر من اسمائهم المدوية امام القراء والرواية واللغة والادب ابو عمرو بن العلاء . وفى البحث التالي ما يشبه ازاحـــة الستار عن هذه الشخصيـــة القويـــة والعبقريـــة المنسيـــة (1) .

## 1 ــ الرجـــل

كان أبو عمرو بن العلاء أحد القراء السبعـــة ورواة الادب واللغة . وكان استاذ جيل من العلمـــاء يعتبرون ائمة العصر العباسي الاول فى الادب واللغـــة والنحـــو ، وكان بمثابة بحيرة انتهت اليها روافـــد كثيرة ففاضت علـــى ما حولها خصبا وريعا . واجمل ما تحلى به الرجل أنه كان صاحب سنة وراوية ثقة ، وعلى الرغم مما قيل فى ذلك العصر ورجاله من الوان التجريح ، وما ساده من خلط وانتحال وتحريف ظـــل أبو عمرو أرجح وزنا وازكى ضميـــرا واشرق تاريخا فى اطـــار الروايـــة .

## 2 ــ عصـــره

عاش أبو عمرو بن العلاء فى الربع الاخيـــر من القرن الاول الهجري ، والنصف الاول من القرن الثاني ، وهي فترة من تاريخ العرب والاسلام ملأتها الاحـــداث والتقلبات من الناحية السياسية كما شهدت البواكير الاولى للاتصال بين العرب وغيرهم من الاعاجم ، هذه البواكير التي تمثلت فى نشأة كثير من العلوم وتطوركثير من المفاهيم ، وظهور عدد من التيارات الادبيـــة المختلفـــة .

ومن واجب الباحث فى حياة ابي عمرو وبيان ما له من فضل على الادب العربي بالنسبة لتلك الفتـــرة

---

1) لا نعلم أن أبا عمرو حظي من اقلام المترجميـــن والكتاب فى القديم والحديث بكتاب أو دراسة غيـــر ما كتبه أبو بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفـــى سنـــة 335هـ وهو كتاب « أخبار ابي عمرو بن العلاء » « كشف الظنـــون » .

وإذا نحن نظرنا الى البيئة العقلية في البصرة ، لانها البيئة المحلية لابيعمرو بن العلاء ، وحاولنا ان نلم بخصائص الحياة العقلية فيها على ضوء النشاط الفكري والثقافي الذي كانت تنهض به مختلف العناصر، وما كانت تعرفه من تيارات ثقافية لاحظنا بالاجمال ان النزعة العقلية التحررية مع ما يصاحبها من نقد وتمحيص ، وما تصطبغ به من نظرة واقعية ، كانت الطابع العام لكل نشاط فكري نشأ في البصرة ، والصفة البارزة التي يتميز بها كل عالم من علمائها ففي البصرة نشأ علم الكلام ، وهو تطور بالعقيدة وارتفاع بها عن مجرد الايمان السلبي الى الحجاج والجدل والمناظرة دفاعا عنها مع شيء من التفلسف ، وذلك ضد الدهرية والمجسمة والمشبهة . وفي البصرة ظهر العلماء الذين رسموا مناهج النقد والشك المنهجي والتمحيص العلمي ، ففيها ظهر اعلام كالنظام والجاحظ وابو عمرو بن العلاء .

وفي البصرة ظهرت النزعة الفردية يشجعها ذلك الصراع المادي والفكري والقومي بين مختلف الاقوام والعناصر والطبقات . فتعددت الفرق والمذاهب والآراء في كل ميدان. وفيها وقع رد الفعل لطغيان النزعة المادية اذ ظهر التيار المعاكسي للترف والبذخ ، وهو تيار الزهو والتصوف . فكان الحسن البصري سيد التابعين وكان المتقرئون والنساك والمتصوفون أمثال مالك بن دينار (1)

## 5 — نشأة أبي عمرو

شحت كتب الاخبار والطبقات كثيرا بأخبار ابي عمرو بن العلاء فلم تذكره الا في عبارات وجيزة واشارات عابرة. يصدق ذلك على كتب الادب القديمة، وربما اكتفى بعضها بذكر اسانيد تنتهي اليه احيانا ، أما الكتب التي عنيت به فلم تزد في الترجمة له على ذكر بعض اخباره اللغوية والتأكيد على سعة علمه ومعرفته ، كما فعل الزبيدي في «طبقات النحويين واللغويين » وابن خلكان في « وفيات الاعيان » فحياة الرجل مغمورة في حين كان لها ابعد الاثر في تاريخ الرواية ونشأة علوم اللغة العربية .

اما اسمه فهو زبان (2) بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله التميمي ، وقد اختلف في اسمه كما اختلف في نسبه ، فقيل انه من بني العنبر ، وقيل انه من بني حنيفة ، وقيل — وهذا اضعف الاقوال — انه فارسي . ولعل هذه الغمزة في نسبه شاعت في عهده حتى قال فيه الشاعر بشار بن برد :

ارفق بعمرو اذا حركت نسبته
فانه عربي من قوارير (3)

واختلف في اسمه ايضا ما ذكره ابن الجذري على أكثر من عشرين قولا ، لا ريب في أن بعضها يعود الى التصحيف . وأكثر الناس على أنه كما ذكرنا زبان ، واختلف في تاريخ ولادته فقيل سنة 55هـ وقيل 65هـ و قيل 68هـ وقيل 70هـ (4) . وكانت ولادته بمكة.

ويظهر ان تعاطي الدرس والتعلم منذ حداثته في في مكة ، فقد ذكر الزبيدي ان الاصمعي قال : قال ابو عمرو . أخذت في طلب العلم قبل أن اختتن (5) .

ونشأ في مكة يأخذ عن قرائها وعلمائها ، ولا نستطيع أن نستنتج ممن ترجموا له متى انتقل الى البصرة ، فقد يكون انتقل اليها مع ابيه قبل ان ينتهي القرن الاول أو فيأوائل القرن الثاني الا أن الذي لا شك فيه انه طلب العلم في حرص وطموح فطاف في مختلف الحواضر والامصار قبل أن يستقر في البصرة ، شأنه في ذلك شأن علماء عصره . نستدل على ذلك من كثرة الشيوخ الذين اخذ عنهم القراءة والعلم بالمشافهة والسماع . فقد ذكر ابن الجزري انه ليس في القراء السبعة من هو اكثرشيوخا منابي عمرو ابن العلاء(6) وهذا امر طبيعي بالنسبة لابي عمرو وغيره من طلاب العلم ممن كانوا يومئذ يلتمسون التزود من العلم ويترحلون اليه كل مطية مهما شط المكان . فقد ازدهرت اذ ذاك كثير من الامصار ، وعمرها عدد كبير من التابعين ، والعلماء ، وامتدت الآفاق امام طالب العلم، ورجل التجارة ، ورجل الرحلة . واذا اضفنا الى ذلك مسألةتفرق التابعين فيالامصار — كماسبقالقول—

---

1) الحياة الادبية في البصرة : للدكتور احمد كمالزكي . ص 95 — 105 .
2) زبان كشداد ، ويذكر الفيروزابادي أنه لقب لا اسم .
3) الاغاني : ج 3 ص 190 .
4) غاية النهاية في طبقات القراء ص 290 .
5) طبقات النحويين واللغويين ص 31 .
6) غاية النهاية في طبقات القراء ص 289 .

بما فى ذلك السلطة المحلية ازالة تلك الفروق بين السادة اصحاب الارض والاجراء العاملين فى ارضه ، كما لم يستطيعوا التخفيف من غلواء الفاتحين وغير الفاتحين فى الحرص على التوسع والكسب والترف على حساب الطبقة المستضعفة ، بالرغم مما بشر به الاسلام من مبادىء العدالة وحمل عليه الناس من تحقيق تلك العدالة . فأما العرب فقد دخلت قبائل منهم مدينة البصرة ولاسيما قبيلة تميم ، وجعلت خطط المدينة قبلية ، فسكنت كل قبيلة ناحية من نواحيها، وكانت هناك مبررات عديدة وشخصية طبعا دفعت العرب الى احتجان كثير من المصالح واقتطاع كثير من الاقطاعات ، والعيش فى بذخ ونعيم .

اما القطاع الوطني فكان يمثله النبط والفرس والهنود وغيرهم من الموالي ، وكان جلهم من الاكرة والفلاحين وصغار التجار . وقد لقي هؤلاء فى ظل الحكم الاموي كثيرا من مظاهر الاهانة ، وكما سبق القول . عرف هذا المجتمع المختلط النامي المتعدد الاجناس صراعا قويا رغم ما كان يقوم عليه الاسلام من مبادىء اقرار المساواة وتحقيق العدالة الاجتماعية، عرف ذلك الصراع مجتمع الحاكمين أي طبقة العرب من مضريين ويمنين ، وعرف مجتمع الموالي . وكان التميميون — وهم قبيلة أبي عمرو — يمثلون اصلب تلك العناصر عودا فى مدينة البصرة ، ولكنهم كانوا دائما فى صف الدولة لما وراء ذلك منحماية الارستقراطية العربية المتمثلة فى وضعهم منخصومها من الموالي واهل الذمة .

#### 4 — فى الحياة العقلية

اتصل العرب بغيرهم من الفرس والروم والبربر واليونان والهنود اتصالا عسكريا أولالامر، فأخضعوهم لدولة الاسلام اخضاعا عسكريا ، فكان اتصالهم بهم أول الامر اتصالا عسكريا وسياسيا ، وطبيعي أن يعقب هذا الاتصال تبادل التأثر والتأثير فى المجالات الاجتماعية والعقلية . فأما العرب فكانوا يحملون للمغلوبين رسالة دينية سامية ولغة قوية ، غير أن السلطان العسكري دائما كان يسبق الدعوة الدينية والاقتناع بها . كما كان التأثير الديني يسبق التعريب ، وانتشار اللغة العربية فى الاقطار المفتوحة انما تم ببطء متفاوت بين قطر وآخر . والمهم أن العراق أخذ يستعرب تدريجيا ، وكان الشعراء الاوائل من الموالي يمزجون فى شعرهم بين العربية الفصحى والفارسية ، بل كان هؤلاء الموالي ينطقون بالعربية على غير أصواتها ولحونها (1) .

وأمر صراع عرفته اللغة العربية الفصحى هو الذي عرفته مع الفارسية بسبب طغيان الحضارة الفارسية ولاسيما فى الكوفة والبصرة لمتاخمتها بلاد فارس ثم بغداد فيما بعد ذلك . هذا الصراع اللغوي بين العربية ولغات الامم المفتوحة وما أعقبه من ظهور اللحن ، وظهور الالفاظ المولدة ، وتحريف اصوات العربية ، وانحراف سلائق العرب اوحى شكل انذار قوي لنابهين من العلماء بضرورة حفظ اللغة وصونها تحت تأثير عوامل محتملة ابرزها العامل الديني ، وكون اللغة العربية هى لغة القرآن ، وأن المحافظة عليها وعلى ادائها صحيحة جزء من الحفاظ على كتاب الله .

تحت تأثير هذا الوازع الديني القوي والوازع القومي المتمثل في لغة الغالب ، وفى ظل صراع حضاري ولغوي لم تتكافأ فيه القيم والمقاييس والاراء يوجد ابو عمرو بن العلاء وغيره من العلماء ورواة الادب ليقوموا برسالة لغوية اقتضنهامر حلة التاريخ العربي التي كانوا يحيونها ، وهذا الصراع نفسه يدفع بالعرب فى سبيل تقضيها طبيعة الغالب من فرض للغته وحمايتها ، ويدفع بالمغلوبين فى سبيل تقتضيها طبيعة المغلوب من حيث كونه مولعا دائما بتقليد الغالب والاندماج معه ، فهؤلاء الموالي من الفرس يسعون للارتفاع الى مستوى العرب فتتملأ نفوسهم برغبة علمية قوية ، وينكبون على علوم اللغة العربية والدين الاسلامي فينبغ منهم عدد كبير من النحاة والشعراء واللغويين والادباء والفقهاء والمحدثين .

وأما الثقافة العامة فيقول عنها الاستاذ احمد أمين بعد أن يحدد طبيعة كل ثقافة اتصل بها العرب فى صدر الاسلام والاثر الذي كان فى خضم الحركة العلمية والادبية : « هذه الثقافات التي ذكرنا من فارسية وهندية ويونانية وعربية ويهودية ونصرانية التقت كلها فى العراق فى عصرنا الذي نؤرخ له ، ولكن كل ثقافة فى اول امرها كانت تشق لنفسها جدولا خاصا يمتاز بلونه وطعمه ، ثم لم تلبث الا قليلا حتى تلاقت وكونت نهرا عظيما تصب فيه جداول مختلفة الالوان والطعوم ... » (2) .

1) البيان والتبيين ج 2\18 — 19 .
2) ضحى الاسلام ج 1 \ 173 .

هي خدمة القرآن . وكانت ظروف العراق العقلية وما تضطرم به من منازعات مذهبية ومنافسات اقليمية وقبلية ، وصراع شعوبى تغذي الحركة الادبية العامة . وفى هذه الفترة الخاصة من تاريخ اللغة العربية وآدابها وجد أبو عمرو بن العلاء ليضطلع برسالة الجيل الذي وجد فيه ، وليكون استاذ الجيل الذي يأتي بعده ، وليكون أمينا بما عهد فيه من نزاهة العالم — على تبليغ رسالة علمية فى فترة شاعت فيها دواعى الانحراف عن الحق ، وتجاذبت نفوس الناس اهواء واهواء .

لقد افاد ابو عمرو رواية الادب من وجوه :

اولها — انه كان من اولئك الذين قاموا بجمع اللغة ورواية الادب تلقيا عن الجيل الشفوي واداء لهما بعد ذلك لجيل الكتابى ، ولقد كانت الكتابة قبل ابى عمرو شائعة معروفة ، ولكن صيرورتها وسيلة ميسورة لتدوين العلم لم تتم الا فى القرن الثانى. زد على ذلك ان لم يتلق علمه فى الاعم الاغلب ، وفيما يتصل باللغة والشعر خاصة الا من اعراب قد ادركوا الجاهلية (1) . قال الجاحظ والرواية عن الاصمعى : « وكانت كتبه التي كتب عن الاعراب الفصحاء قد ملأت بيتا له الى قريب من السقف (2) »

ثانيها — انه حاول أن يكون امينا فى نقله وروايته ، ومصححا لما تسرب اليه الخلل والتصحيف والكذب من الروايات الادبية واللغوية حتى عد من الثقات المعدلين ، فلقد عرف الشعر الجاهلي كثيرا من التزيد والانتحال منذ العصر الجاهلي نفسه كما يحدث فى كل بيئته ادبية حين يسطو بعض الناس على آثار بعضهم فيدعونها او يتزيدون فيها او ينسبون لواحد من الشعراء ما ليس له لغرض من الاغراض ، بل لقد عرف الحديث النبوي نفسه الوضع والانتحال فكيف بالشعر . والواقع أن دواعى الوضع والانتحال تكاثرت فى صدر الاسلام للاغراض التي اقتضتها السياسة والعصبيات . وتصدى لمقاومة هذه الحركة من الوضع فى كلا الاثرين علماء توفر لهم التبصر بادراك الصحيح والمنحول ، أما الحديث الشريف فكان الرائد فى هذا الباب ، والى العلماء المحدثين يرجع الفضل فى وضع مناهج النقد وتحديد شروط القبول والرد . واما علماء الرواية الادبية فقد تأثروا بتلك المناهج فى تصحيح الشعر وتمييز صحيحه من زائفه . وكان ابو عمرو بن العلاء ممن تصدى لمقاومة هذه الموجة من الوضع والانتحال فى نطاق رواية اللغة والادب ، فضلا عن قيامه بالجمع والتدوين للشعر والاخبار كما سبقت الاشارة الى ذلك . وذلك بما عرف فى طبعه من صدق وغيرة على الحق وما اعتاده فى بيئة البصرة المتحررة من نزعة علمية تقوم على الشك والنقد والتمحيص .

ولا بأس أن نورد بعض الامثلة تشهد بما ترى :

— ذكر الدكتور ناصر الدين الاسد (3) : ان ابا عمرو بن العلاء كان من الرواة الذين يصلحون الشعر فمن امثلة ذلك انه ذهب الى ان كثيرا مما جاء فى قصيدة ذي الاصبع العدواني يرثي قومه هو منحول ، وان القصيدة المنسوبة لامرىء القيس والتي مطلعها :

لا وابيك ابنة العامر ي لا يدعي القوم اني امر

هي لرجل من اولاد النمر بن قاسط ، وأولها عنده :

احار بن عمرو كأبي خمر ويعدو على المرء ما يأتمر

— كان أبو عمرو لا يأخذ بروايات الاعراب الذين يفدون الى الامصار ا والذين يذهب اليهم العلماء فى كبد البادية اخذا أعمى لا يميز بين صحيح وكاذب ، بل كان يقبل ما يقبل على شرطه ، اي بعد النظر والشك والاختبار بالبصر والتجربة . بل كان يستضعف بعض هؤلاء الرواة الكبار ويختبر فصاحتهم ، ويبعدهم عن الريب قبل ان يأخذ عنهم أو يدع (4) .

— قال الاصمعي : قرات على خلف شعر جرير ، فلما بلغت قوله :

فيالك يوما خيره قبل شره تغيب واشيه واقصرعاذله

---

1) البيان والتبيين ج 1 ص 320 .
2) نفس المرجع ج 1 ص 320 .
3) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية . ص 326.
4) كان الرواة عموما اذا وجدوا من الاعراب من يفهم اللحن وعلل الاعراب بهرجوه وطرحوا لغته ، فأبو عمرو بن العلاء استضعف فصاحة ابى خيرة العدوي الاعرابي اذ سأله كيف تقول حفرت الاران ؟ فقال : حفرت ارانا والصحيح ارين جمع ارة وهي الحفرة . اما الاران فخشب النعش .

فاستأثر كل مصر براس من رؤوس العلم علمنا مدى اشتداد الحاجة لدى طالب العلم أمثال أبى عمرو بن العلاء الى الضرب فى الارض سعيا وراء مشافهة الرجال .

وقد ذكر ابن الجزري من شيوخه ثمانية عشر رجلا من بينهم الحسن بن أبي الحسن البصري وسعيد بن جبير من التابعين ، وعكرمة مولى عبد الله بن عباس ، ونصر بن عاصم ، وعاصم بن أبي النجود احد القرا ءالسبعة وعبد الله بن كثير من القراء السبعة وعطاء بن رباح . وكان شيوخه من النحاة نصر بن عاصم الذي أخذ عن أبي الاسود الدؤلي وكذلك يحيى بن يعمر البصريان وهما من الطبقة الثانية من نحاة البصرة ، وكذلك عبد الله بن اسحاق الحضرمي البصري الذي قال عنه الزبيدي انه أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل . وكل شيوخه من الجيل الثاني من النحاة والقراء الذين اخذوا مباشرة عن الصحابة امثال علي بن أبي طالب وابي بن كعب وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وأبي موسى الاشعري وعبد الله بن عباس ، وانت تلاحظ كيف جمعت هذه النجوم فى عقد واحد يطوق جيد ذلك العصر وكيف تهيأ لابي عمرو أن يجمع اختصاصها واتساع آفاقها العلمية فى صدره الرحب . وكان الرجل بدوره صلة الوصل بين تلك الطبقة الممتازة وبين طبقة الجيل الخامس من كبار علماء اللغة العربية امثال الخليل والاصمعي وسيبويه ويونس بن حبيب وابي عبيدة .

## 6 — أبو عمرو ورواية الادب

واكبت العناية بالقرآن والحديث النبوي والسير والمغازي لدى العلماء عناية فائقة بالشعر الجاهلي لما فيه من شواهد وأمثال وتاريخ اجتماعي ونفسي للامة العربية ، وما يتصل بهذا الشعر من أخبار وأنساب لما فيها من ضوء لفهم ذلك الشعر . ولم يكن ذلك يعني عندالمهتمين بهذا الجانب الادبي من تراث العرب الجاهلي نزعة ادبية خالصة ، ولا نزعة علمية خالصة ، وانما هو الحرص على فهم الدين الجديد ، وفهم القرآن والحديث بالذات كان يستوجب عند هؤلاء فهم لغة العرب .

يقول الرافعي متحدثا عن رواة اللغة والادب من الطبقة الثانية : « وكانوا جميعا انما يطلبون رواية الادب لقيام به على تفسير ما يشتبه من غريب القرآن والحديث حتى لا تجد فيهم البتة من لا رواية له فى الحديث كثرت أو قلت ، والمحدثون يرون انه ليس براو عندهم من لميرو اللغة لان موضوع الحديث اقوال النبي وهو أفصح العرب . ورواة الادب هم الذين جعلوا غريب الحديث علما وخصوه بالتدوين كأبي عبيدة معمر بن المثنى والنضر بن شميل والاصمعي وقطرب الى عهد ابن قتيبة فى القرن الثالث الهجري (1) »

غير أن العناية باللغة والشعر الجاهلي واخبار العرب اصبحت عند كثير من العلماء الشغل الشاغل بحيث استأثرت بهم دون غيرهما من فنون العلم . ولاسيما بعد أن مست الحاجة فى القرن الثاني الهجري الى تتبع اللغات والسماع عن العرب للاحتجاج بلغتهم بعد أن قامت المناظرات بين العلماء الذين طفقوا يجردون اللغة ويؤلفون فيها الرسائل المعجمية ويستخرجون قواعدها ويقيسون الاشباه بالاشباه ويعللون الظواهر اللغوية ايذانا بوضع النحو (2)

نعم كانت العناية بالادب ورواية الشعر فرعا من الاهتمام باللغة وجمعها وتدوينها فى البداية ، ثم أصبحت العناية بهما موضوعا علميا يقصد لذاته .

ويرى المستشرق الفرنسي بلاشير أن اهتمام اللغويين والنحويين بالشعر الجاهلي انما نشأ صدفة فقد كان فهم القرآن والحديث يقتضي الاطلاع على أسرار اللغة ومفرداتها فلجأ المفسرون الاولون والقراء الى الامثلة الشعرية ، وهكذا ربط بين القرآن واللهجة الشعرية فى الدراسة ، وانتقلت الرغبة من مجرد اعتبار هذا الشعر وسيلة الى اعتباره موضوعا جديرا بالدراسة ، وسارت الرغبة المزدوجة عند القراء النحويين (يحيى بن يعمر) والرغبة الموضوعية فى الشعر الجاهلي عند آخرين فى خط واحد فاجتمعنا فى شخصية مقرىء لغوي راوية كأبي عمرو بن العلاء (3) .

ويعود بلاشير لتتبع نشأة حركة جمع الشعر فيرجع الى سيرة أبى عمرو بن العلاء مؤسس مدرسة البصرة . وبدون شك كانت الرغبة عن هذا العالم وامثاله من كبار القراء تعود الى نزعة دينية

1) تاريخ آداب العرب ج 1 ص 296 .
2) تاريخ آداب العرب ج 1 ص 340 .
3) تاريخ الادب العربي بلاشير .

فاذا عرفنا موضع بشار من النزعة الشعوبية والتطاول على العرب ، والاباحية المتطرفة لم يعسر علينا ربط ذلك بوضع هذا الخبر الذي يزكيه ويطعن على عالم عربي كبير ، هذا الخبر الذي وضعه أبو عبيدة فى هذه الصورة المحكمة « ليضرب عصفورين بحجر واحد » كما يقولون . فيسير فى الناس وينطلي على الباحثين والمؤرخين فيربكهم حينا ثم لا يجدون بدا من الاخذ به .

واذا لا يسعنا الا قبول راي الدكتور نجيب البهبيتي من ان هذا الخبر وضعه ابو عبيدة للرفع من شأن بشار بن برد والحط من شأن عالم عربي شأن كل الاخبار الموضوعة فى شأن بشار للرفع من قيمته (1) .

ثالثها — انه عني بالشعر الجاهلي من جميع وجوهه ، بتدوينه وتصحيحه ونقده ، والسماع عن الاعراب لفهم غريبه ، وانه كان معنيا بتقييده وتدوينه فضلا عن حفظه وروايته ولم تكن لتصرفه العوائق الطارئة او القائمة عن متابعة البحث عنه والسؤال عن فهمه فكان من اثر ذلك انه ملا قدر بيت له بالكتب والدفاتر التي دونها (2) . وكان من أثر ذلك انه لازم الشعراء . ونقل عنهم ما يحفظون ، وسألهم عن مقاصدهم . فقد ذكر صاحب الاغاني انه كان اذا لم يحج الى البيت الحرام استبضع اخاه معاذا بعض الحروف يسأل عنها أمير مكة يومئذ الحارث بن خالد الشاعر المشهور (3) .

وذكر الاصمعي انه جلس الى ابى عمرو بن العلاء عشر حجج ما سمعه يحتج ببيت اسلامي (4) وقال الاصمعي جئت أبا عمرو فقال لي من أين أقبلت يا اصمعي ؟ فقلت من المربد . قال : هات ما معك ، فقرأت عليه ما كتبت ، فمرت به ستة احرف لم يعرفها فخرج يعدو ، وقال : شمرت فى الغريب (5) ويحتفظ لنا كتاب الاغاني والعقد الفريد بكثير من الروايات والتحقيقات التي تنتهي بسندها الى ابي عمرو ، كلها يتصل بموضوع رواية الشعر الجاهلي وشرحه .

رابعها — انه من أوائل من عنوا بجمع اللغة واستنباط قواعدها وتوحيد فصيحها فى ذلك الخضم الهائل الذي كان يعرفه من اللهجات القبلية . وقد لاحظ ما كان يجري على الاطراد منها فسماه قياسا ، ولاحظ ما يشذ عنه . وربما كان قد وضع من ذلك شيئا لم يبلغنا الا على ايدي تلاميذه الذين أصلوا الاصول ، وفرعوا الفروع . « قال رجل لابي عمرو : اخبرني عما وضعت مما سميت عربيته ، ايدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال : لا ، فقلت : كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ فقال : احمل على الاكثر واسمي ما خالفني لغات » (6) ، وهذا سر ما نجده فى كتب الادب من روايات عن أبي عمرو تدور حول تصحيح مفهومات او الفاظ بعض ما يروى من الشعر .

قال يونس بن حبيب : لو كان احد ينبغي أن يؤخذ بقوله كله فى شيء واحد لكان ينبغي لقول ابى عمرو ان يؤخذ كله . وقال : وكان أبو عمرو يسلم للعرب ، ولا يطعن عليها . اي يعتبر كلامها حجة . وفى ابي عمرو يقول الفرزدق :

ما زلت أفتح ابوابا واغلقها
حتى اتيت ابا عمرو بن عمار (7)

ويكفي أن نذكر بعض الامثلة على مقدرة ابي عمرو فى فهم الشعر ، وتصحيح معانيه ، من ذلك ما رواه الاصمعي قال : سألت الخليل بن احمد النحوي عن قول الراجز :

حتى تحاجزن عن الذواد
تحاجز الري ولم تكادي

ثم قال : تكادي ولم يقل : تكد ؟ قال : فطحن يوما اجمع . وقال : وسألت ابا عمرو بن العلاء — وكأنما كان على طرف لسانه — فقال : ولم تكادي أيتها الابل .

---

1) تاريخ الشعر العربي ص 340 — 344 .
2) روي انه احرق كل ذلك عندما تنسك ، ولكن يظهر انه عاد فى أواخر حياته الى جمع الشعر الجاهلي
3) الاغانى ج 3 ص 312 .
4) البيان والتبيين ج 1 ص 320 .
5) الحياة الادبية فى البصرة .
6) ضحى الاسلام ج 2 ص 259.
7) طبقات النحويين واللغويين للزبيري ص 28 .

فقال خلف الاحمر : ويله ، وما ينفعه خير يؤول الى شر ؟ فقال الاصمعي له : هكذا قرأته على أبى عمرو ، فقال صدقت ، وكذا قاله جرير ، وكان قليل التنقيح مشرد الالفاظ ، وما كان ابو عمرو ليقرئك الا كما تسمع (1) .

نعم ، تصطدم فى هذه الاخبار المتساوقة التي تزكي الرجل بخبر ينقله ابن جنى فى الخصائص فى باب صدق النقلة وثقة الرواة والحملة يقول فيه : قال أبو عمرو بن العلاء — رحمه الله — ما زدت فى شعر العرب الا بيتا واحدا يعني ما يرويه للاعشي من قوله :

وانكرتني وما كان الذي نكرت
من الحوادث الا الشيب والصلعا

ويعقب ابن جنى بقوله : أفلا ترى الى هذا البدر الطالع الباهر والبحر الزاخر الذي هو أبو العلماء وكهفهم وبدء الرواة وسيفهم كيف تخلصه من تبعات هذا العلم وتحرجه وتراجعه فيه الى الله وتحوبه ، حتى انه لما زاد فيه — على سعته وانبثاقه وترامبه وانتشاره — بيتا واحدا ، وفقه الله للاعتراف به (2) .

ما سند هذا الخبر الذي يرويه ابن جنى ؟ تجد الجواب عن ذلك فى كتاب الاغاني ففيه يذكر أبو الاصفهاني بسند ينتهي الى ابي عبيدة قال : سمعت بشارا وقد أنشد هذا البيت فى شعر الاعشي فأنكره ، وقال : هذا بيت مصنوع ما يشبه كلام الاعشى ، فعجبت منذ لك فلما كان بعد هذا بعشر سنين كنت جالسا عند يونس فقال : حدثني أبو عمرو بن العلاء أنه صنع هذا البيت وادخله فى شعر الاعشي . فجعلت حينئذ ازداد عجبا من فطنة بشار وصحة قريحته وجودة نقده للشعر (3) .

هذا الخبر جملة وتفصيلا يتناقض مع ما يذكر به الرجل من ثقة ونزاهة ، وان كان ابن جني يرى فيه دليلا على تلك الثقة بحيث يورده فى مساق الاعتراف والتخرج من تبعات العلم . أما نحن فنرى أن من يجرؤ على وضع بيت من الشعر وينحله غيره ، أو قريبا من ذلك ثم يعترف بعد ذلك بوضعه وتزيده يجرؤ على أن يكتم لنفس السبب ما يكون قد وضع أو انتحل لغيره ، ثم لا يعترف اذا لم يكن فى الامر داع الى الافتضاح

ويستنتج بلاشير من هذا الخبر معطياته الاولى دون تمحيص فيقول (4) :

« ويحسن بنا ان نأخذ على أبي عمرو نفسه اعترافه بالوضع بالتزيد فى شعر العرب . واذا سلمنا بأن هذا العمل لم يحدث كما يقول ابو عمرو الا مرة واحدة فنحن نعتقد بأن هذا الرجل الذي تخرج فى أواخر حياته عن زيادة بيت واحد لم يظهر مثل هذا التخرج تجاه مخبريه من الاعراب ، فاذا كان ابو عمرو بن العلاء من الذين جمعوا الشعر والاخبار المتعلقة بهذا الشعر أصبح ما جمعه مدعاة للشك حتى ولو اتلف تلك المواد تورعا أو اعترافا بوضعها وقد بنى كثير من الباحثين نظرياتهم على اعتبار هذا الخبر من المسلمات . اما نحن فنشك فيه ، بل ينبغي أن نقول اننا نرفضه رفضا باتا قاطعاً . فللخبر فى صورته كما نراه يزكي بشارا ويؤكد صفات الفطنة وصحة القريحة وجودة النقد عنده ، فكأن شهادة للشاعر بشار من ناحية على قدر ما فيه من طعن على احد القراء السبعة العظام وعلماء العربية الكبار وقد مر بك بيت بشار الذي يطعن فيه على نسب ابى عمرو . والخبر ينتهي بسنده الى ابى عبيدة الشعوبي الذي يقول فيه المستشرق المجري جولدزيهير : « ان ابا عبيدة مولع بوضع الاخبار والاحاديث التي تظهر خلاف القبائل فيما بينها وتهاجيها وتشاتمها بقبيح الكلام ومقذع الهجاء » (5) ويقول عنه الدكتور محمد نبيه حجاب « وقد بلغ به الأمر أن استغل ثقة الناس فى عمله الغزير وعبث بحقائق التاريخ بما وضعه على العرب من اخبار وامثال وقصص فخرية كانت تسير فى البلاد طولا وعرضا ، وقلما يفطن الناس الى اختلاقها بل قلما يفطنون الى انها مكيدة مدبرة ونكاية مقصودة (6) .

1) مصادر الشعر الجاهلي ص 326 .
2) الخصائص ، ج 3 ص 310 .
3) الاغانى ج 3 ص 143 .
4) تاريخ الادب العربي بلاشير — تعريب الدكتورابراهيم كيلانى ص 111 .
5) الدراسات المحمدية — جولد زيهير ص 198 — وانظر ( مظاهر الشعوبية فى الادب العربي ) ص 551
6) مظاهر الشعوبية فى الادب العربي ، الدكتورمحمد نبيه حجاب ص 556 .

الوسائل الادبية نفسها وتصير موضوعا وغاية ، لان وضعها موضعها العلمي كفيل بتحقيق الغاية الدينية منها فيما بعد . على أن أبا عمرو بوصفه أحد القراء السبعة الكبار ربما الح عليه ايمانه أن يؤثر القرآن بجهده ، فيترك الشعر والادب الى حين . ولكن جانبا من نشاطه العقلي لم يكن ليفتر عن خدمة اللغة ورواية الادب . وبهذا نعلل ما حكاه الرواة من أنه كان اذا حل شهر رمضان لا يقرأ بيتا واحدا من الشعر . وانه عندما تقرأ أحرق ما كان قد كتبه من الكتب التي ملات بيتا الى السقف وانه عاد بعد ذلك يملي مما حفظه . ويذكر بروكلمان انه خلف شرحا لبعض الدواوين كما يذكر اليافعي أنه عاد بعد ذلك فكتب بعض ما كان قد احرقه (1) .

ومهما تكن تلك الازمة النفسية التي المت بالرجل، وجوهر الدافع الى اتلاف حصيلة جهوده العلمية فاننا لا نشك فى أنه كان ذا عقلية مولعة برغبة البحث فى اللغة والادب والشعر واخباره . ولم تكن عقلية رجل دين او فلسفة فى تلك البيئة التي كانت محمومة بعلم الكلام والجدل فى قضايا الاعتقاد .

قال ابو حاتم : حدثني الاصمعي قال : حدثني شعبة قال : كنت اختلف الى ابن ابي عقرب فأسأله أنا عن الفقه ويسأله أبو عمرو عن العربية ، فيقوم وأنا لا احفظ حرفا مما سأله عنه ولا يحفظ هو حرفا مما سألته عنه » (2) .

وقال أبو الحسن الباهلي : مر أبو عمرو بن العلاء بعمرو بن عبيد (شيخ المعتزلة) وهو يتكلم فى الوعد والوعيد ويثبته فقال ابو عمرو : ويلك يا عمرو، انك الكن الفهم ، الم تسمع قول القائل :

وانـي وان اوعدتـه أو وعدتـه
لمخلـف ايعـادي ومنجـز موعدي

انما اراد أن الله تبارك وتعالى قد وعد وأوعد ، وهو قادر على أن يعفو عمن أوعده وقادر أن ينجز لمن وعده .

وهذا الكلام من أبى عمرو بن العلاء يدل على سذاجة فى معارفه الكلامية — لو صح — وذلك بالنسبة لما يرمي اليه المتكلمون من وراء نظريتهم تلك . ولهذا قالوا : ان ابن عبيد قال لابي عمرو : يا أبا عمرو شغلك الاعراب عن معرفة الصواب (3) .

لقد كان الرجل راوية ادب ولغة فى عصر تقاسمه الكلام والدين والادب ، فشهد له بالامانة والرئاسة فى القراءة واللغة والادب . وكان معدلا فى روايته ، موثوقا به ، مضطلعا برسالة العلم كأحسن ما يكون مؤثرا للحق على راحة نفسه . وهو وان لم يترك آثارا مدونة تناسب قيمته العلمية.وتدل على دوره العظيم فيها ، الا انه ترك صدورا من العلماء تروى عنه وتفيض مما نالت من علمه الغزير . وكان أحد مؤسسي علم فقه اللغة وواضعي مدرسة البصرة النحوية .

وفى تعزية يونس بن حبيب لابنائه يوم مات سنة 154هـ قال : نعزيكم وانفسنا بمن لا نرى له شبيها آخر الزمان ، والله لو قسم علم ابى عمرو وزهده على مائة انسان لكانوا كلهم علماء زهاداً . وانها لتعزية ينبغي أن تظل شاهدة ببعض ما تحلت به تلك الشخصية من مزايا العلم والورع وحسبه بهما ذكرا فى التاريخ .

**فاس — محمد عبد الملك الكتاني**

---

1) مرآة الجنان لليافعي 1\325 وانظر تاريخ الادب العربي لبلاشير ص 111
2) طبقات النحويين واللغويين ص 30 .
3) نفس المرجع ص 34 .

خامسها — أنه كانت له آراء نقدية بالمعنى المألوف للنقد : ومن مظاهر النقد أن يحكم على قيمة الشعر والشاعر ، ويقيم المعاني وينظر فى الالفاظ . وهو عمل كان ضروريا لكل من يقوم بدور الرواية الادبية . وكان ابو عمرو بحكم الفترة التي عاش فيها مؤمنا بالقديم متصرفا له معنيا به مؤثرا له على كل ما يسمعه من يحدث ، ولو أن هذا المحدث كان امتدادا للقديم فى شكله ومضمونه الا ما ندر . وهو القائل : « لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت أن آمر فتياننا بروايته » يعني شعر جرير والفرزدق واشباههما (1) . ومن احكامه النقدية انه كان يشبه جريرا بالاعشى والفرزدق بزهير والاخطل بالنابغة (2) ومن آرائه فى مثل هذا الباب أنه لا بيت شعر أصدق من قول الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

فقيل له : وقول طرفة :

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالاخبار من لا تزود

فقال : من يأتيك بها ممن زودت أكثر . وليس بيت مما قالته الشعراء الا وفيه مطعن الا قول الحطيئة (3) .

سادسها — أن الرجل كان مدرسا للغة والادب فى مسجد البصرة خلال عقود من السنين .

فقد كانت البصرة تصطدم يومئذ حياة وثقافة ، وكانت أسواقها ومساجدها ودورها حافلة بالدروس والمناظرات وحلقات العلم والتدريس . وفى مسجد البصرةكان العلماءيتخذون حلقات للتدريس. وهماحرص الناس على اجتذاب الطلاب . بل كان هناك فيما نظن صراع بين علماء العربية . وكان من أروع هذه الحلقات حلقة ابى عمرو ابن العلاء فى اللغة والادب . ونستدل على قيمة هذه الحلقة يومذاك بأنه كان يختلف اليها عدد من العلماء الذين كانوا ائمة الجيل الذي خلف جيل ابى العلاء .

ويروى عن الخليل بن أحمد انه كان معجبا بحلقة ابى عمرو . كما روي عن الاخفش قوله : مر الحسن البصري بأبي عمرو وحلقته متوافرة والناس عكوف فقال : من هذا ؟ قالوا : ابو عمرو ، فقال : لا اله الا الله ، كادت العلماء ان تكون اربابا . كل عز لم يؤكد بعلم فالى ذل يؤول .

### 6 — شخصية ابي عمرو

لكي ندرك مكانة أبي عمرو فى الثقافة الاسلامية ، ودوره فى الحركة العلمية الاولى ينبغي أن نحدد مظاهر الحركة الادبية التي كان يتزعمها والمذهب الفكري أو الادبي الذي يوجهه . لقد كانت هناك حركة جمع وتدوين الشعر العربي القديم ، واحيائه . وكانت هناك حركة جمع اللغة والسماع عن اعراب البادية ووضع رسائل اللغة الجزئية ، ثم المعاجم الجامعة . وكانت هناك حركة الثقافة الدينية التي تدور حول تفسير القرآن ، وقراءاته والحديث النبوي وجمعه ووضع مسانيده ، واستنباط الاحكام الفقهية منه . وكان ابو عمرو ملتقى هذه التيارات من كل الحركات العلمية .

أما فى القرآن وما يتصل به فكان ابو عمرو احد القراء السبعة ، كان مقرىء الناس فى مسجد البصرة والحسن البصري حاضر . قال الاصمعي : قال لي ابو عمرو : لو تهيأ لي أن افرغ ما فى صدري لفعلت . لقد حفظت فى علم القرآن اشياء لو كتبت ما قدر الاعمش على حملها . ولولا ان ليس لي أن اقرأ الا بما قرىء لقرات كذا وكذا حروفا (4) .

وأما فى اللغة والادب والاخبار فقد كان الرجل امام عصره . قال الجاحظ : حدثني ابو عبيدة قال : كن ابو عمرو أعلم الناس بالغريب والعربية وبالقرآن وبأيام العرب وأيام الناس (5) . وفى الوفيات يذكر ابن خلكان انه كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر ، وهو فى النحو فى الطبقة الرابعة بعد علي بن ابي طالب (6) .

كان ابو عمرو لغويا وراوية ادب قبل كل شيء ، ولقد تحولت عنايته باللغة من مجرد عناية مؤقتة لفهم القرآن وشرح غريب الحديث ، والحفاظ على اصوات اللغة ومعرفة القراءات . فأصبحت عناية باللغة وشواهدها من الشعر ، ومعنى ذلك انه استطاع أن يكون فى مستوى الجيل العلمي الذي يحس بالدور العلمي الذي عليه أن يضطلع به فتتحول

---

1) البيان والتبيين للجاحظ ج 1 ص 320 .
2) تاريخ الشعر العربي للدكتور البهبيتي ص 187 .
3) الاغاني للاصفهاني ج 2 ص 173 .
4) غاية النهاية ، فى طبقات القراء لابن الجزري ص 290 .
5) البيان والتبيين للجاحظ ج 2 ص 321 .
6) الوفيات ج 3 ص 136 .

« المقام (4) الذي مقدمة سعده تسلم ولا تمنع ، وحجة مجده لا ترد ولا تدفع ، ونوافل فتوحه المؤيدة بملائكة الله وروحه توتر وتشفع ، والصنائع الالاهية في دولته الفارسية تثني وتجمع ، ويحمل منها ما يقاس على ما يسمع . مقام محل اخينا الذي تبسم النصر في ثغور نصوله ، واحتفل الفخر في تدوين محصوله ، وشهدت مخايلة الظاهرة بكرم اصوله ، وتألقت حدود المجد سالمة من النقد بين اجناسه وخواصه وفصوله السلطان الكذا ( ابو عنان فارس ) ابن السلطان الكذا ( ابى الحسن علي المريني ) ، ابقاه الله يورق اعواد المنابر كلما سقتهامن ابناء فتوحه الغيوث ، وتفرق اسود الشرى كلما زأرت من ابطال حماته الليوث ، وتأمن في ظل ايالته(5) العادلة وخلافته الفاضلة السهول من الارض والوعوث ، ويتعاضد بالمكسوب من فخره الموروث ، ويقضي الى استلام ركن يمينه ومشاهدة نور جبينه الركاب المحثوث . معظم مقامه الذي تعظيمه مفترض ، القائم بحق بره الذي لا يقدم عليه غرض ، فلان ( السلطان ابو الحجاج يوسف بن ابى الوليد اسماعيل بن نصر ابن الاحمر ) (6) سلام كريم . طيب برعميم ، كما حسر وجه الفجر عن نقابه ، وتقدمت طلائع نسيمه ، وشهب الصبح في اعقابه ، يخص مقامكم الاعلى ، ورحمة الله وبركاته .

( 12 : 1 ) اما بعد حمد الله العليم الفتاح ، مطلع غرر المسرات المستمرات اوضح من فلق الصباح ، وميسر الامال السنية وفق الامنية وحسب الاقتراح، مورث الارض كما وعد ائمة الهدى والصلاح ، المتكفل لهم بحسن العواقب وفوز القداح ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله نور الهدى الوضاح ، ذي القدر الرفيع والجاه المنيع والمجد الصراح ، المؤيد بالرعب المنصور بهبوب الرياح ، حتى اشرقت انوار دعوته السمحة فوق الربا والبطاح ، والرضا عن اله وصحبه ليوث الباس وغيوث السماح ، الذين راضوا صعاب النصر من بعد الجماح ، ورفعوا اسماء قبة الأسلام على عمد الرماح ، ولم يشغلهم ليل التبتل عن يوم الكفاح ، فكانوا لامته اهدى من القمر اللياح (7)، وعلى اعدائه اعدى من الحين المتاح ، والدعاء لسلطانكم الاعلى بالنصر الذي ترتسم آثاره ( في صحف الصفاح ) (8) ، وتسطر اخباره في صفحات الحسان الصحاح ، والعز الذي تبدي الخيل له سيماء الخيلاء والمراح ... فانا كتبناه اليكم ــ كتب الله لكم فتوحا منظومة العقود معقودة النظام ، وآلاء دائمة الاتصال متصلة الدوام ، وسعودا معلومة الوضوح واضحة الاعلام، ونصرا يرتاح به قد القناة ويبتسم له ثغر الحسام ، وصنائع تبهر حلاها ( 12 : ب ) على لبات المنن الجسام، ويروق مجتلاها في غرر النعم الوسام ــ من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، ولا زايد ــ بفضل الله جل وتعالى ، ثم بما عود من آلائه التي تترادف وتتوالى ــ الا الخير الذي انجزت وعوده ، والصنع الذي تألقت في افق الدين الحنيف سعوده ، والفتح الذي تفتح به زهره واورق عوده،جعلنا اللهممن استبشر في مقام الشكر قيامه وقعوده ، فكلما اعتلت قوى ادراكه جاءه الامداد من الله يعوده . ونحن من السرور بما يسنيه الله لكم ، بحيث لا تلبسون حلة صنع الا لبسنا مثالها ، ولا تنالون سبب نعمة الا حمدنا منالها ، ولا تجتلون غرة فتح الا استجلينا جمالها . نشرب من ذلك فضل شربكم ، ونرده عقب وردكم ، ونمت اليه بمثل متات مجدكم فكلما امتد لدولتكم العلية ظل عز انفسحت آمالنا وامتدت ، واشتدت لملككم عرا نصر قويت اعضادنا واشتدت .

والى هذا ــ ايدكم الله بنصره ، وحكم لملككم الرفيع باعلاء امره ــ فانكم جئتمونا بزهرة الفتح الاول

---

4 ) هذه الرسالة وردت في نسخ مخطوطة « الريحانة» للمؤلف ايضا .

5 ) ايالته : دولته

6 ) انظر « دعوة الحق » العدد الثاني عشر « وثائق تاريخية اندلسية » .

7 ) اللياح : المتلألىء ، من لاح الشيء يلوح : بدا ولاح النجم بمعنى تلألا ، وقيل في قوله تعالى « في لوح محفوظ » انه نور يلوح للملائكة فيظهر لهم ما يؤمرون به فياتمرون وقيل اللوح المحفوظ : ام الكتاب . كذا في اللسان والقاموس .

8 ) زيادة وجدناها في نسخ مخطوطة « الريحانة »

وثائق تاريخية اندلسية حول

# العلاقات السياسية بين غرناطه وفاس في منتصف القرن الرابع الميلادي

بقلم الدكتور محمد كمال شبانة
أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

- 3 -

نقدم اليوم الوثيقة الثالثة من وثائق مخطوطة ابن الخطيب « كناسة الدكان ، بعد انتقال السكان » ، التي كان قد جمع شتاتها في مدينة سلا بالمغرب ، ابان فترة نفيه الاولى ( 760 – 763 هـ / 1392 – 1395 م ) ، في رعاية السلطان ابى سالم المريني ، الذي اقطعه الاراضي ، ورتب له الرواتب ، فتوفرت له وسائل العيش الرغيد ، فعكف على التحبير والتاليف ، وكان من هذا كتابه « الكناسة » ، احد المصادر التاريخية الرئيسية ، في مجال الوقوف على كنه العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة بني الاحمر ، وبني مرين في فاس بالمغرب ( القرن الثامن الهجري / منتصف الرابع عشر الميلادي ) ، وحيث كان على الاندلس يومئذ السلطان يوسف الاول ابن الحمر ، وعلى المغرب السلطان ابو عنان فارس المريني .

والوثيقة التي نوردها هنا عبارة عن جواب بعث به ملك غرناطة يوسف الاول الى معاصره ابى عنان المريني ، بعد أن اعلمه هذا الاخير بما كان من امر فتح مدينة تلمسان ، واستيلائه عليها من « بني زيان » في غرب الجزائر ، في وسط ربيع الاول من عام 752 هـ ، حسبما ارخ ابن الخطيب نفسه ذلك في مقدمة الرسالة موضوع التحقيق .

وقد صور ابن الخطيب في هذه الرسالة مدى الفرحة التي عمت الاندلس بهذا الانتصار العظيم ، ومقدار الحزن الذي أصاب اعداء المسلمين لذلك ، ونوه باهمية هذا الفتح لدولة بني مرين ، التي نجحت – الى حد بعيد – في تحقيق وحدة المغرب العربي الكبير، بذلت في سبيل هذا الهدف جهودا حربية واجتماعية مضنية ، وقدمت تضحيات جمة استلزمتها حركات المناهضين للفكرة ، وخاصة في عصر كل من السلطان ابى الحسن ثم ابنه السلطان ابى عنان فارس .

هذا ، ولنترك الباحث والقاريء مع الوثيقة ، ليلمس بنفسه جوانب الموضوع من ثناياها ، ويتبين الاهداف الكبرى من هذا المشروع المريني الكبير ، نحو الوحدة المغربية الشاملة

## ( الوثيقة )

« ( 11 : أ ) ومن ذلك (1) جوابه للسلطان المذكور « ابى عنان » ، عن كتابه بالهزيمة التي افلج على بني زيان (2) ، بعد ان فرعنه الجيش ، ( 11 : ب ) واقدم بنفسه وحاشيته ، ففتح عليه ، وتملكه مدينة تلمسان وذلك في وسط ربيع الأول ( عام سبعمائة واثنين وخمسين ) (3)

1 ) اسم الاشارة يعود الى ما سطره ابن الخطيب من محتويات مخطوطته « الكناسة »

2 ) انظر « دعوة الحق » العدد الثاني عشر « وثائق تاريخية اندلسية » بقلم المحقق

3 ) ما بين القوسين ساقط من نسخ « الكناسة » ولكنه ثابت في نسخ « الريحانة » . والتاريخ المذكور يوافق ( اكتوبر 1350 م )

استطلاعه. هذا هو الصنع السنى ، والفتح الهنى ، والنصر المتنى ، والعز المتمني ، « نصر من الله وفتح (14 : ب) قريب (13) » ، وتكييف لملك المغرب غريب . هذا هو السعد الذي لم يجر في وهم ، هذا هو الذي اصاب قنيص النصر والفتح بسهم . فتح تلمسان ، وما ادراك ما تلمسان ؟؟ !! قاعدة الملك ، وواسطة السلك ، وقلادة النحر ، وحاضرة البر والبحر . اسندت الى الليل ظهراء، وافصحت بالفخر جهرا. واصبحت للغرب بابا، ولركاب الحج ركابا . ولسهام الآمال هدفا ، ولدور العلماء والصالحين صدفا . حسناء تسبي العقول ، بين التمنع والسفور ، والاطماع والنفور . شمخت بانف الحصانة والاباية ، وتبجحت بوفور العمارة ودرور الجباية . ولبست حلة الجناب الخصيب ، وفازت من الاعتدال واوصاف الكمال باوفى نصيب

فيالها من غادة كلما مرت عليها الايام استجد شبابها !! ، واينع جنابها ! وضفا من الحسن جلبابها ! حتى كان عين ام يحيى سقتها من عين الحياة ، فنورها الدهر باهر الايات ، ومحاسنها رائقة الغرر والشياب تخدع باللفظ الخلوب ، وتقلب على لظى الاشواق افلاذ القلوب . حركت الملوك الصيد وسكنت ، فما بذلت من قيادها ولا امكنت ضاق بعبد المؤمن (14) طوقها فبعد لاي ما مزقه ، ورجع منها الى السعيد سهمه الذي فوقه . ولم تزل احوال محبيها من بعد ذلك مختلفة ، وقلوبهم بهواها كلفة فمنهم من حياها على البعد ، وقنع من وصلها ( 15 : ا ) بالوعد ، واقتصر منها على الالمام ، واهداء السلام . ومنهم من جد به الجد وهي تسخر ، ولان لها القول منه وهي تنأى وتفخر . ولم يجد متقدما عنها ولا متأخرا حتى غلب الياس ، وخاب القياس . ومنهم من باع الكرى بالسهد ، ووجد مرارة الصبر احلى من الشهد ، وبذل لها في المجال نثار رؤوس الرجال ، وسجى عليها حتى بالاعمار والاجال ، وصاغ لها من الحفائر امثال الدمالج والحجال، ونازع الحرب حالى الغلاب والسجال . فالحياة يلوى ضلوعها الزفير ، والمجانيق يدمى انوفها السجود والتعفير . والجياد تشكو من باب جيادها الى غير راحم ، وتظمأ فتسقى من نجيع الملاحم . حتى اذعنت اذعان القهر ، ورضيت بما بذل لها من المهر وجاذب رداها من اردى اوداها ، واماط قناعها من غالب بالصبر امشاعها . ثم ضرب الدهر ضرباته ، واقام القدر برهانه . فراجعها من كان يهواها واثبت في الاكراه دعواها بعد ان حصلت لها بمقامكم علاقة كامنة بين الضلوع ، ورسى بجوانحها رشيش هوى يجل عن الولوع وتملكها به غرام ظاهر ومستكن ، ولسان حالها يتلو قوله :«الا من اكره وقلبه مطمئن (15)» ورب مغلوب سمح بالرغم قياده ، وان ملك ظاهره فلم يملك فؤاده فلما علمت الان من حبيبها الحقيق بقرب الدار ، وادنى ركابه منها مساعف ( 15 : ب ) المقدار ، همت وهامت وتطارحت وترامت ، وتهللت من بعد الاطراق ، وضحكت من انس اللقاء كما بكت من الم الفراق . امكنت من وصالها عفوا ، واوردت العذب من ظلالها صفوا ، والقت اليد طوعا . وخير النعم ما لم يقع عن كد ، واسنى المنح ما لم يجر في حساب ولا وعد فكأنها لقطة استحقها سيفكم من بعد التعريف ، ونقطة استدار عليها محيط ذلك الملك الشريف ، ونكرة ادخلت عليها اداة التعريف ، وقبلة عدلت من بعد التحريف،ولفظةردت الى الاصل الفصيح عند التصريف. وما كان البلد ــ الذي عدلت نصبة ملككم السعيد بمطالعه ، وافترت السعود على درجتي عاشره وطالعه ــ ليكذبكم وعده ، ولا يخلفكم سعده فما برحت بروق

---

13) اقتباسا من قوله تعالى : « واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ، وبشر الصابرين » سورة الصف آية : 13

14) هو « عبد المومن بن علي الكومي » اوصى له المهدي بن تومرت بالخلافة من بعده ، وكان هو رجل الدولة المنتظر ، فقد تمكن من استكمال دولة الموحدين ، حيث قضى على دولة المرابطين باستيلائه على مدينة مراكش العاصمة ( 541 هـ 1146 م ) ، وفتح المغربين الأقصى والاوسط . ولما غادر العاصمة ( مراكش ) قاصدا الاندلس للجهاد عاجلته المنية برباط سلا ، في ليلة الجمعة 8 جمادى الثانية 558 هـ

15) اقتباسا من قوله تعالى : « من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ، ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ، ولهم عذاب عظيم » سورة النحل اية 106

اظلال فصله ، واتحفنا ملككم ببواكر نصره قريبة العهد باقتطاف نصله ، وعرفتمونا بما كان من الظفور الـذي خفقت عليكم رايته ، والنصر الذي انزلت اليكم ايته . والفجر الذي ( 13 : ا ) دخرت لملككـم غايتـه ، وان عدوكم ـ لما ضاقت عليه المسالك ، وفغرت افواهها اليه المهالك ـ اقدم اقدام من استعجل الحمام ، ولم يمطل به الايام . واول انتهاز فرصة كانت وقاية الله من دونها ، واغتنام غرة كان مدد العـزم بعـض عيونهـا . واقبـل والمحلات تخيم بيوتها تخييم الحباب ، وتطفو قبابهـا البيض طفو الحباب . فناشب حاميتها الحرب ، واعمل الطعن والضرب . وسولت له الاطماع خطة ابتها قلوب ضمائرها قد خلصت ، وابطال من بعد الاقدام ما نكصت . واقدام ثبتت في موقف الهول واستقـرت ، وقبائـل من مرين عاهدت الله فوفت وبرت . وانكم ـ لما عقـدت الحرب حباها ، ورجعت الظنون الكاذبـة في عقباها ـ فديتم من دونكم من الخليقة بالنفس الحرية بالمجـد الخليقة ، واقتديتم بانصار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في يوم الحديقة . فانهم ـ رضي الله عنهم ـ لما ارتابوا باوشاجهم (9) ، وعولوا على اديانهم واحسابهم . تبوءوا من الصبر حصونا ، ونادى امراؤهم : اخلصونا فخاضت منهم كتيبة كانت الحملات لا تهزها ، والاهوال لا تستفزها حتى علت ايديها ، وحيعل بالنصر القريب مناديها (10)فما كان الا ان طلعت شمس غرتكم يحملها من الطرف العتيق فلك ، وخفف منصور علمكم يتبعـه ملك ويقدمه ملك ، ونهر ( 13 : ب ) موكبكم يهديه من الراي صبح ويحجبه من القتام (11) حلك وتراكمت من النقع جوز السحايب ، وماجت على الارض بحور الكتايب وضحكت النصول في اليوم العبوس ، ودارت بين الرجال للا جـال الكؤوس واخفـرت عزمـات المغافر ، وتجلت رماح الحرب بالحد السافر . واشتبهت الطرق ، ورمدت من الاسنة العيون الزرق . واجـرى الله مقامكم من النصر على عادته ، واثبت في درجة ذلك

الاجتماع سهم سعادته . فكذبت من مناويكم العزيمـة ، وصدقت عليه الهزيمة ، وادبر ادبار امسه ، ومضى وهمه تجاه نفسه . وانقلب مغلوبا مفلولا ، يرى البـرق سيفا مسلولا ، ويحسب الشعاب خيولا ، ويظن حمرة الشفـق دما مطلولا ، وخلف انصاره حصيدا وديـاره طلـولا . وانكم ثنيتم الاعنة وللنصر لواء بكل ثنيه ، وعلى كـل راية عناية ربانية والوجوه بادية السفور ، والخيـل دامية النحور . والسيوف موردة الخدود ، والرمـاح مختصرة القدود . ومحابر الكنائن خاوية من اقلامها ، وموارد السوابغ خالية بعد ازدحامها . الفتح قد فتح لكم بابه ، والنصر حولكم كتائبه وفي يدكم كتابه . فلم نكد نعطي السرور بهذا النبأ حقه من الابتهاج والارتياح ، والشكر لله على فوز القداح ، وتاتي الأفراح (14 : ا ) والاشادة به في النواح ، ونفرغ من مراجعة ذلك المجد الوضاح، حتى اتصل بث الصنع الذي غمر ما قبله ، وشرح مجمل السعد واوضح سبله ، من انكم ملكتم مدينة تلمسان فاستأثرتم بالسعد الهنى المعجل ، ودخلتموها في اليوم الاغر المحجل ، وحصلتم عليها من غير سلاح اعمل ، ولا حق اهمل ، ولا نفس بريء ريعت ، ولا حرمة للدين اضيعت . وان بناتها من المعاقل الشم الانوف ، والمصانع السافرة عن حواجب القسي المبتسمة عن ثغور السيوف. والمعاقل التي تعد اهلة المساء من الاسورة وجوازها من السقوف . رات رأي امها في تعجيل الطاعة ، وحملت الامر على الفوز بجهـد الاستطاعـة ، وبادرت التوبـة النصوح قبل قيام تلك الساعة . فانتظمهـا سلـك الامـر السعيد ، واتصل القريب منها بالبعيد ، واحتجت معتزلتها بانجاز الوعد واخـلاف الوعيـد ، وكان لسابقها حـق التكلم للاحقها حق المعيد

فاقمنا فريضة الشكر والحمد لوقتها ، وتلونا في بساط الاعتبار بالنعم « وما نريهم من آية الا وهي اكبر من اختها (12)» وقلنا هذا هو النبأ الذي ارتقبنا طلوع البشائر من ثنايا قلاعه ، واجزنا تلقي الركبان لرخصة

---

9 ) ج : وشيجة : الصلة والقربى .

10) اي قال : « حي على النصر » .

11) القتام : الغبار الاسود .

12) اقتباسا من قوله تعالى : « وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها ، واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون » سورة الزخرف ، اية : 38 .

ميدانها الجبان ، ولو استعنا بعبد الحميد (20) لم نجده فيها حميدا ، او نبهنا لها ابن العميد (21) لاضحى عميدا ولو اردنا لبيدا (22) لانقلب بليدا ، ولو اقمنا لها الصاحب (23) لقعد ، او كلفناها ابن هلال لراها

20) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد من اهل الشام وهو من موالى بني عامر . وهو اول من اطال الرسائل ونظم مبتدياتها وختامها ، كل حسب الغرض ، كما اختط مواطن الاطالة والتقصير في كتابة الرسائل . تخرج في البلاغة والكتابة على ختنه ابى العلاء سالم مولى هشام بن عبد الملك ، وكاتب دولته ، واحد بلغاء العالم والنقلة عن اللغة اليونانية . وكان في بداية حياته معلما للصبيان ، حتى فطن اليه مروان بن محمد حين ذهب الى ارمينية لاخماد فتنتها ، فلما نجح في ذلك سجد ومن معه الا عبد الحميد ، فاستفسره فقال له عبد الحميد : ولم اسجد ؟ اعلى انك كنت معنا فطرت عنا ؟ قال مروان : اذا تطير معي . فقال : الان طاب لي السجود ، وسجد . فاتخذه مروان كاتبا لدولته وبقي معه حتى قتلا في عام 132 هـ على يد السفاح العباسي . وبالاجمال فعبد الحميد الرائد الاول لكتاب الرسائل ، ذلك انه اول من مهد سبلها ، وميز فصولها . ويعتبر مبتدىء هذا الفن بحق ، وبفضله ارتقت هذه الصناعة التي كانت من مهن الموالي حتى صارت بعده سلما للكاتب الى مرتبة ليس فوقها الا الخلافة .

وكانت لبلاغة عبد الحميد عمل السحر حتى جذب النفوس واستمالها ، حتى ان ابا مسلم الخراساني حين هب بالدعوة العباسية ، فكتب اليه عبد الحميد كتابا على لسان الخليفة ، فرفض الخراساني قراءته واحرقه ، وكتب على جذاذة منه الى مروان :

محا السيف اسطار البلاغة وانتحى عليك ليوث الغاب من كل جانب

21) هو ابو الفضل محمد بن الحسين العميد كاتب الشرق ، وهو فارسي الاصل من اهل مدينة ( قم ) كان ابوه كاتبا مترسلا بليغا من كبار كتاب الدولة السامانية ، فنشأ محمد شغوفا بمعرفة العلوم ، وبرع في كافة العلوم ، وبوجه خاص في الادب والكتابة ، حتى اعتبروه قمة الكتابة ، وقالوا : ( بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد) . ثم رحل الى ال بويه ، وما زال حتى ولوه وزارة ركن الدولة بفارس سنة 328 هـ ، ومكث بها حتى مات سنة 360 هـ .

22) هو ابو عقيل لبيد بن ربيعة العامري . من بني عامر بن صعصعة ، احدى بطون هوازن من مضر . امه عبسية ، وهو شاعر مصقع ، وفارس معمر ، ورث عن ابيه الملقب بربيعة المعتز بن الجواد ، وعن قبيلته التي انجبت عمه عامر ابن مالك ملاعب الاسنة الشجاعة والفتك ولبيد شاعر مخضرم ، عاش في الجاهلية وادرك الاسلام فاسلم ، الا انهم زعموا زعما انه هجر الشعر في الاسلام .

وقد ورد في الصحيحين تفضيل الرسول صلى الله عليه وسلم لشعره ، اذ يروى عنه قال : ( ان اشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد :

الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

ويقال انه قد حسن اسلامه وتنسك وحفظ القرآن كله . وبعد الفتوح ذهب الى الكوفة ايام عمر ومكث بها الى ان مات سنة احدى واربعين من الهجرة في اوائل خلافة معاوية .

23) هو كافي الكفاة ابو القاسم اسماعيل بن عباد ، كاتب المشرق ، ووزير آل بويه وكاتبهم ، توفى عام 385 هـ لقب « الصاحب » لكثرة ما صاحب ابن العميد ، وعنه اخذ ادبه ، كما اخذه قبله عن احمد بن فارس . وقد قال عنه الثعالبي في اليتيمة : «ليست تحضرني عبارة ارضاها للافصاح عن علو محله في العلم والادب ، وجلاله في الجود والكرم ، وتفرده بالغايات في المحاسن ، وجمعه اشتات المفاخر » .

كانت وفاته سنة خمس وثمانين وثلثمائة بمدينة الري التي اغلقت ابوابها يوم وفاته . وله مؤلفات كثيرة منها « المحيط » في اللغة ، وكذا رسالته المسماة « الكشف عن مساوىء المتنبي » لان المتنبي ابى ان يمدحه ، مع انه وزير وابن وزير . كما مدح ابن العميد فحقد عليه ، والفها فيه . هذا ، ويعد الصاحب صنو ابن العميد ، غير انه ــ وان كان ابلغ من سلك طريقته ــ قد اولع بالسجع والجناس .

السعادة تبدو في خلال ما رمتموه ، والتوفيق يشد اواخي العزم الذي ابرمتموه . والحركة التي ازمعتم تتضافر عليها الاسباب المتبركات ، وتسح على غروسها الزكية سحائب البركات وتجد النفوس لها خفة وحركة الفتح اخف الحركات ، فالحمد لله الذي جعل القياس صادقا، والتوفيق مرافقا ، والنصر للنصل موافقا ، والحمد لله الذي البسكم حلتها السيراء لم يوهنها طول المجاذبة والمحاورة ، ولا اخلفتها ايدي المساوقة والمساورة ، وخولكم وصلها لم يقدح فيه (16 : ا ) ملل المحاورة . وليهن ـ مقامكم الذي اقال العثار ، وخلد الاثار ، واخذ الثار ـ ما منحه الله من العز الصادق البرق ، والفتح الذي وصل يد الغرب بالشرق . فقد جمع حسامكم الماضي المضرب ، من مدينتي تلمسان وفاس بين عقيلتي المغرب ، للاولى منها الاصالة والمجادة ، وللثانية العلاقة والودادة ، وكلاهما الحسنى والزيادة . فان فخرت هذه بنصبة الملك فخرت تلك بنصبة الولادة وبشرى لهذا القطر الغريب الذي يعد الى عزمات جهادكم يد الراغب ، ويرتقب ارتفاع الشواغل والشواغب ، بما استروحه من صرف الاستعداد الى اعدائه ، والاهطاع(16) الى ندائه ، والشروع في معالجة دائه . وان هنى بالاقطار من تملكها ، وادار على قطب السياسة فلكها ، وجب الهنى بالحق لقطر تمكنتموه ، وملك فبضتم عنان امره وامسكتموه . فقد جعل الله مقامكم كعبة الامال ، وجمع فيكم ما تفرق من اخلاق الكمال . بارك لكم في العطية من وهبها ، وراض (17) لكم متن المطية من ذللها واركبها

وانا لما استجلنا غرر هذه الفتوح الضاحكة المباسم، والصنائع التي البست الايام اثواب المواسم ، راينا غاية الشكر بعيدة عن ادراك البيان ، وان الايجاز فيها والاسهاب سيان . فلو طالبنا بهذه الوظيفة (16 : ب ) ابان (18) لما ابان ، او دعونا لها سحبان (19) لكان في

16) الاهطاع : الاسراع في خوف .

17) راض : ذلل .

18) هو ابان بن عبد الحميد اللاحقي من الشعراء السياسيين الموالي المنتصرين للفرس على العرب في مداراة . وكان عابثا محبا للمال . تردد بين البرامكة والخلفاء ـ ولا سيما الرشيد ـ بمدحهم ، وزاحم على ابوابهم ابا نواس ومروان بن ابي حفصة وسواهما . توفى سنة 300 هـ .
ويمتاز شعره بالسهولة وان لم يكن ممتاز الفن والرواء وله شعر تعليمي ينظم فيه الحكم والمسائل الدينية وسواها كنظمه كتاب « كليلة ودمنة » .

19) هو سحبان بن زفر بن اياد الوائلي،من قبيلةوائل فرع من ربيعة . خطيب مصقع ، ضربت به العرب المثل في البلاغة والبيان . ولد في الجاهلية ، ولما ان ظهر الاسلام اسلم، ثم انتسب الى معاوية خليفة المسلمين، وعليه اعتمد معاوية في الملمات والمفاخرات ، لقوة عارضته وسرعة خاطره . روي ان معاوية اراد مقاطعته وهو يخطب ، فاشار اليه سحبان : لا تقطع على كلامي، ومع ذلك يقول له معاوية بعد انتهاء كلامه انت اخطب العرب ويرد سحبان : والعجم والجن والانس !!!
وكان سحبان اذا خطب تصبب عرقا . مات في خلافة معاوية سنة 54 هـ .

# الادب العربي في مواجهة شبهات التغريب

للأستاذ أنور الجندي

من خلال نافذة الادب العربي حاول التغريب ان يلقي مزيدا من الشبهات ، والحق ان « الادب » قطاع خطير ، واسع الافاق منطلق غير مقيد . ومن هنا استطاعت الشعوبية والتغريب ان تجد فيه مجالا لكثير من الشبهات . ولقد كانت الف ليلة وليلة ، والرباعيات وكتاب الاغاني من ابرز هذه الجوانب .

والواقع ان تحديد دائرة الادب بالنسبة للفكر امر كان مصدر اهتمام كثير من الباحثين وذلك دفعا لما اطلق عليه ( فريد وجدي ) خطر التداخل بين دوائر النشاط العقلي المختلفة . وكف عدوان بعضها عن بعض . يقول العلامة فريد وجدي في هذا الصدد: «للادب امتياز خطير منحه اياه العرف البشري منذ نشأته ولا يزال يعترف له به الى اليوم ، وهو تركه حرا حيث شاء ويجري وراء الخيال في اية ناحية اراد ، فبينما نرى الناس واقفين بالمرصاد للفلاسفة والعلماء يحاسبونهم على الفتيل والقطمير فيما يقولون ويكتبون تراهم ازاء الادباء على اتم ما يكونون من التسامح فهم يسيغون منهم كل المتناقضات جدهم وهزلهم ، تصوفهم وتهتكهم ، اعتدالهم وغلوهم حتى الحادهم وكفرهم ، ولسنا نميل الى الحد من هذه الحرية فان هذا الضرب من الفن لا يمكنه ان يؤتي ثمراته الا في جو من الاطلاق المحض متحللا من جميع القيود الفلسفية والعلمية لان من عناصره الخيال والخيال ان حد بحد ضاقت عليه المناوح ، وفقد اخص مزاياه فارتج على الاديب ولم يعد قادرا على الانتاج .

غير ان التواضع على بذل هذه الحرية للادباء حشر الى زمرتهم كل ثرثارة مغمور ، وكل متكلف مغرور وكل اباحي وممرور ومنهور وعاهر ممن جعلوا الادب مسرحا لاخس الرعونات النفسية وداعيا الى احط الميول الشهوانية ولكن هذه الحرية نفسها كفيلة على مر الايام بتهذيب الادب وتنزيهه وايصاله الى كماله في مقتبل الزمان .

ولما كانت الثمرات الادبية لانها مظهر على ما يتطلبه سحر البيان وفق الخيال .

وحديث الحياة من الثمرات الشهية الخطرة التي يجب ان تتناول بحذر واي شيء من ثمرات الافكار غير الادب تجد نفسك مضطرا لان تقف حياله تنظر ما يسمح به منه لاهلك وولدك واي مؤلفات الخيال غير الادب تستطيع ان تخرج ثلاثة ارباعه بضاعة زائفة ظاهرها انيق وفي باطنها السم الذي لا يبقي ولا يذر ، دفع كاتبيه الى تصيد الرزق بالتملق لاخس شهوات النفس وتناسي التبعة الملقاة على عاتق كل لعوب بالقلم ، واذا كان كلام لا يجوز ان يقرأ الا بشيء من التحفظ ومراعاة جانب الخيال والتلاعب بالالفاظ فيه فهو الادب .

وفي راي وراي كل غيور ان الادب يجب ان يخضع لقانون الاخلاق القائم على حراسة الاجماع ، ولسنا ننسى ما جره تدخل الادباء في ما ليس من اختصاصهم في السنوات (1) العشر الاخيرة في المباحث الدينية فقد تناولوها على طريقة الماديين واثاروا فيها شكوكا لا محل لها منها ، ولو كانوا عنوا بدراستها دراسة علمية لما كان من اثر ذلك ان هاجوا الناس عليهم هياجا مشروعا ، ان الادب لو تجاوز دائرة اختصاصه كان اداة شر في ايدي محترفيه .

---

1 ) كتب هذا البحث عام 1932 .

من ابيه ابعد . انما هو عذر بليغ ، واغضاء يسوغ .
ومن المعلـوم ان اوداء ذلـك المقام الكريم ان اخذوا من مسرته بحظ استأثرنا بجملتها ، او تمسكو منها بمذهب قمنا بملتها ، وان هنئوه بصنـع قدمنا هنـاء انفسنا به ، او توسلوا بذمام حب سبقنا في حلبة احبابه . وان حديث نصره الى هذه البلاد الاندلسية عائد ، ومدد سعادته في اقطار هذا القطر متزايد . فكيف لا تتهلـل وجوه اهليها ، وتبدو الكآبة على العدو الذي يليهـا . وكيف لا ترتفع بالشكر ايديهـا ، ويقـوم على هضبـة الاستبشار مناديها ، بظهور من يكـف ايدي اعاديهـا ، ويتكفل بري صاديها . وان نبأ هذا الفتح في قلب العدو الكبير وعلى سمعه لأثقل من رضوى وثبير (24) . فمما لا يفتقر الى تمهيد وتقرير ، ان الجهاد لا يزال تجاه ذلك المقام الكريم ونصب عينه ، وان الظهور على اعداء دين الله دين لحسامه ، وهو لا ينام عن اقتضاء دينـه . فما هم النفوس الكريمة الا اكتساب المناقب الفاخرة ، ولا بعد تحصيل الدنيا الا الفوز بالاخـرة (17 : 1) ولا وراء تمهيد الامة المسلمة الا قتال الامة الكافرة

وانا وجهنا كتابنا ليخطب في هذا الهناء ، بمبلغ الجهد ووسع الفناء . واخترنا للوفادة به من ينوب عنـا في هذا الغرض ، ويقوم للوقت بواجب المفترض . وهم صدور ايالتنا ، ودرر لباب عمالتنا ، فلان وفلان (25) . وصل الله اعزازهم وكرامتهم ، ويمن ظعنهم واقامتهم . واوفدناهم على بابكم المقصود ، وشرعة ملككم المزدحمة بالوفود . وهم يلقون الى ودادكم في تقريـر ودادنا ، والتنبيه على مقدار اعتدادنا ــ ما تعلم ان قواعده لكـم غير مفتقرة للتقرير ، بما عندكـم من اشراق البصيـرة وشفوف الضمير . فتفضلوا بالقبول المعهود ، واوردهم من بركم اعذب الورود ، ومهدوا لهم جناب الاغضاء فيما قصروا فيه عن الغرض المقصود . والله تعالى يصل لكم اسباب السعود ، ويجعل عزمكم في الجهاد صادق البروق والرعود ، ويبقى منكم على الانام مثابة الجود وبحـر الوجـــود . والسلام .

**حققـــه**

**د. محمد كمـال شبانة**

---

24) رضوى ، جبل بالمدينة ، وثبير : جبل بين مكـة ومنى ، يمكن رؤيته من هذه الاخيرة ، وهو على يمين الداخـل مكـــة .

25) لم يفصح عن شخصية الرسولين ، كما لم تكشف بعد مصادر في هذه الفترة عن اسمهما . وهذه عادة لابن الخطيب في معظم رسائله . هنا ، حيث يكنـى بـ «فلان» او «كذا» ، كما سبق في اول الرسالة «السلطان الكـــذا . . » .

طريق دور النشر الموجهة من الاستعمار والنفوذ الغربي. ثم جرت ابحاث متعددة محاولة تصوير القصص الذي يضمه الف ليلة وليلة انه يصور حياة العرب والمسلمين بصفة عامة وان اقل مراجعة لمصادر الف ليلة وليلة تكشف ان قصصها ماخوذة من المراجع الايرانية ، وقد نقلت الى العربية للتسلية ، وقد تأثر الايرانيون فيها بأساليب الهنود القدماء وانها في الاغلب مجموعة اساطير هندية بدأت بحكايات « السباع الضواري » والمرجع الاول لها « هزار افسانه » بالفارسية ومعناه الف رواية ، وقيل ان الجيشهاري هو الذي ترجمها الى العربية ، وقد حكى المؤرخ الكبير المسعودي المتوفى 659 في كتابه « مروج الذهب » عن وجود كتاب قديم بالفارسية او بالبهولية يحكي عن ملك وعن بنت وزيره شهرزاد وخادمتها دين زاد، وكذلك اشار النديم مؤلف الفهرست المتوفى 905 عن كتاب الف ليلة وليلة مجملا، وقال انه كتاب الحماقة والسيئات كما اشار اليه المؤرخ القرطبي وقد كانت كل اشارات الكتاب والمؤرخين العرب والمسلمين اليه اشارات مقبحة وعلى انه مصدر ساقط في انظار البعثات وعلماء العرب على حد عبارة الدكتور « سنيتي كمارجترجي » (1) ومعنى هذا ان كتاب الف ليلة اصلا كان سابقا للاسلام وان مصدره اساطير هندية وفارسية ، وقد ظل العرب يتناقلونه بعد ترجمته كوسيلة من وسائل التسلية ويضيفوا اليه حكايات جديدة ، كما اضيفت اليه في العهود المختلفة وآخرها عهد دولة المماليك مسامرات اهل بغداد والقاهرة فهو مجموعة من اساطير فارسية وتركية وهندية ، ومن هنا يمكن تقدير الموقف حين يراد به ان يكون مرجعا من مراجع دراسة حياة المجتمع الاسلامي ، بل المرجع الوحيد الذي اعتمد عليه كثير من المستشرقين والباحثين في تلاميذهم في محاولة لرسم صورة غير حقيقية وقد اشار الدكتور سنيتي « كمارجترجي » ان الحكايات الاصلية الواردة في كتاب الف ليلة هي التي يكون في منزلتها اساسية هذه الحكايات كانت مستعارة من الهند بواسطة الفرس.

وعندنا انه مهما تكن صورة الحياة التي ترسمها الف ليلة فهي ليست الصورة التي يرسمها المجتمع الاسلامي والمرأة التي تصورها الف ليلة ليست قطعا المراة العربية او المسلمة ، فقد غير الاسلام نظرة المراة الى الحياة وواقعها تماما ، فلم تكن اداة جنس ، او مصدر غايات حسية الا في مفاهيم المجتمع الجاهلي او الوثني وحتى بعد ان اضطربت الحياة السياسية في العالم الاسلامي فقد ظل هناك فارق واضح وحاجز كبير بين ما كانوا يسمونه « الغانية » وبنت الاصل.

والواقع ان الادب العربي يحوي عددا من مثل كتاب الف ليلة كالاغاني وكتاب المحاضرات والمسامرات، وهذه كلها كتب لم تكتب اساسا للتاريخ وانما لجمع الاسمار وقصص الطرفاء والندماء.

ولذلك لا يمكن ان تصبح مصدرا تاريخيا بل مصدرا تاريخيا وحيدا كما يحاول الشعوبيون ودعاة التغريب ، ولا مانع من ان تعين الباحث على صورة قطاع من المجتمع هو قطاع المترفين واصحاب القصور وهم طائفة قليلة لا يمثلون المجتمع كله وقد اثيرت حول الرواة والقصاص شبهات كثيرة تتعلق باخلاقهم وضمائرهم وباضافتهم التي تتجاوز الحد.

واعتقد انه قد صار في اعتبار الباحثين منذ وقت بعيد ان كتب الادب التي يقصد بها عادة الى الفكاهة والسمر وكتب المحاضرات لا يجرؤ باحث او عالم على ان يعتبرها ميزانا يوزن به رجال التاريخ او تؤخذ منه تراجم العظماء ، او ترسم منه صورة الحياة الاجتماعية للامم.

واذا كان كتاب الاغاني يقصر حياة الطرف والمجون على طبقة معينة او مجموعة من الناس فانه اقل خطرا من الف ليلة التي تصور المجتمع كله على هذا النحو من الانحراف والتحلل وقد كان لالف ليلة اثر جد مرير مع رسم صورة مشوهة عن المجتمع العربي الاسلامي ، وقد اضاف المترجمون الغربيون الى بشاعة الصورة التي يحملها الكتاب اضافات زادته فسادا فقد اشار ( غالان ) المستشرق الفرنسي الذي ترجم الف ليلة لاول مرة عام 1704 بانه « فرنج » الكتاب ليلائم ذوق قرائه ، وانه ركز صورة على رفاهية الشرق وترفه ، ورسم صورة الشرق الحيواني.

---

1 ) ثقافة الهند ( يناير 1962 ).

فما للادباء وتحليل عاطفة الدين ، وكيف يرجى من اديب كل همه مصروف الى تحليل عاطفة الهوى ودرس ثارات الجوى وتصوير وقع الوعود الكاذبة وفضول العذال واللاحين وعدوان المنافسين والمعاكسين ان يتناول بالبحث اعلى عواطف النفس وهي عطفة الدين يمثل اسلوبه الذي مرن عليه واستولى على شعوره وهي تستدعي اسلوبا يجافي ذلك الاسلوب ولا يمت اليه بصلة من درس النفس في حالة عزوفها عن الشهوات وترفعها عن الغرائز رأيناهم يثيرون شكوكا لا تتجه الى الدين الذي بين ايديهم ويجرون في مباحثهم التاريخية والاجتماعية على غير الاسلوب العلمي من التحقيق والتمحيص ولو انهم تركوا هذه المباحث للاخصائيين فيها لكان خيرا لهم هو الذي يورطهم في بحوث لو وجدت نقادا اقوياء لالحقوا بمكانتهم الادبية ضررا بليغا ومن الامثلة الغربية على ذلك ان واحدا (1) من الادباء انتدب لالقاء محضرات عن الادب في العصر الاموي

فكان مما قاله «ان الخليفة الوليد بن يزيد انما قتل لانه كان يود ان يعيش على ما يقتضيه فن الحضارة فكان جزاؤه ان لقي حتفه ، فايراد التاريخ على هذا الوجه جناية على التاريخ وعلى حقائق الاجتماع ، ويشين الدين الذي ينتمي هذا الخليفة اليه ويسيء سمعة الشعب الذي ينزل هذا العقاب الوحشي برجل لا جناح عليه الا انه يريد ان يعيش عيشة حضرية ، فالذين لم يدرسوا تاريخ بني امية دراسة علمية يصدقون هذا الحديث ويستنكرون ما حدث له ويحكمون على شعبه بانه وحشي جاهل ، وعلى الدين الذي ياخذ به على انه خشن قاسي. والحقيقة ان الوليد كان متجردا للهو والبطالة شغوفا بالفسوق والاباحة مستخفا بالدين مجاهرا بالكفر ، فهل هذه السيرة المعوجة من اهمال الرعية والانقطاع للهو والقصف والفجور تعتبر من مقتضيات الحضارة ، وقد استطرد الى ذكر الامين بن هارون الرشيد فقرنه الى الوليد في انه ذهب هو ايضا شهيدا لا يشاره الحياة الحضرية ، والواقع ان الامين هذا كان على مثال الوليد من التجرد للهو والفجور وتعطيل مهام الخلافة ، فهل في حياة الحضارة ان يهمل الخليفة واجبات الحكومة وينغمس في حمأة الرذائل ، ويذهب في الاستخفاف بالامة هذا المذهب . ان التاريخ الاجتماعي لامة كالامة الاسلامية بلغت الى اوج العظمة الاجتماعية في جميع ضروب الحياة الفاضلة ، وحفظت تراث العلم من العلم والحكمة والمدنية قرونا متوالية حتى اصبحت معلمة العالم اجمع ، لا يصح ان يورد على اسلوب قصصي من هذا النوع ، فهذا الكلام ان لم يكن قد سبق به على هذا الوجه يقصد الاساءة لتاريخ المسلمين الاجتماعي فهو يدل على خلو من روح التحقيق العلمي ويقيم دليلا محسوسا على صحة ما تقول من ان الادب لا يجوز له ان يعدو طوره وان يتدخل فيما ليس من اختصصه من المباحث الاجتماعية والدينيه

* * *

وقد حاول كثير من الادباء الدفاع عن الاباحة في الادب بوصفها منهجا من مناهج الادب ، ومن هنا استطاعت الشعوبية والتغريب ان تتسلل باسم المذاهب العلمية لترويج الدعوة الى المفاهيم المتصلة بالجنس والمجون والاباحة،وظهرت الوان من القصص تكشف خفايا العورات، وتغض من شأن الخلق والفضيلة وتصفها بانها تورث الكبت ، ومن هنا وجد الادب الهدام طريقه تحت اسم مذاهب فنية او دراسات علمية ، ومن هنا اهتزت مقاييس الخير والشر ودعى الى وصفها بالفردية ، وبدأت نظرة الى اعادة النظر في الحوادث الخلقية والاجتماعية

وقد واجه هذه الشبهات كثير من الكتاب والباحثين من هؤلاء احمد خاكي الذي يقول ان للجماعة اصولا عامة يجب ان يكون الفن احدى دعائمها والفن بجميع نواحيه دعوة عامة للخلق ، وقد ثار تولستوي بآيات الفن التي تحدرت من ثقافة اوربا ، وكل فكرة فنية لا تستقيم مع الشعور الديني فهي عن تولستوى ليست فنا اصيلا

**الف ليلة وليلة ، الاغاني ، الرباعيات**

**ــ الف ليلة وليلة ــ**

رد المستشرقون كثيرا من الشبهات حول كتاب الف ليلة وليلة وحاولوا اعتباره مثلا لحياة العالم الاسلامي وقد ثبت ان بعض المرسلين الاجانب في بيروت هم الذين عادوا طبعه عام 1888 وحفلوا بنشره وتوالت نشره عن

1) يقصد الدكتور طه حسين

# ديوان المجلة

## بمناسبة ذكرى عيد العرش :

# حسن غدوت بكل ارض آية

[redacted]

ايام عيدك رونقت اياميا ... فشدوت اسعادا وصغت قوافيا

واتيت أسمع للزمان حديثها ... وابث اروع ما وعت اشعاريا

* * *

اسليل اكرم والد حفلت به ... مهج الورى ، لك اخلصت احنائيا

وتطلعت لك أعيني ، وترنمت ... بجلال عيدك مهجتي ولسانيا

* * *

فى عيد عرشك للحياة روائع ... الله اودع بعضها انشاديا

وبسر عيدك بشرت آياته ... فتلا الربيع بيانها متباهيا

فعلى الربى ازهاره ووروده ... وعلى الوجوه بدا بهاه امانيا

رقصت لمقدمة القلوب تهزها ... دنيا الربيع ، نسائما واغانيا

وكسا الرياض رواؤه ، فتناشدت ... طير الرياض بشائرا وتهانيا

ضحكت لها رسل النسيم نوازعا ... للحب ، تهديه النهير الساجيا

فمضى النهير يسر فى همساته ... للنيرين سروره المتناهيا

ووعى الخرير حديثه فأذابه ... نغما يهدهد شعبك المتفانيا

فاذا شغاف قلوب شعبك فرحة ... كبرى ، تبادلك الوداد الصافيا

واذا الحياة امام شعبك جنة ... أجريت فيها انهرا وسواقيا

هي انهر العطف المضمخ بالرضى ... تزجيه اخلاصا لشعبك وافيا

وبهاء عهدك ، يا لعهدك انه ... حب يفيض تعاهدا وتواصيا

* * *

حسن ، وباسمك فى المواقف كلها ... يدعوك شعبك مطمئنا راضيا

لك فى النفوس محبة ومهابة ... وهبت لشعبك قوة وتآخيا

وكان من نتيجة ذلك ان كتب كثيرون وفي مقدمتهم المستشرق ( لين ) كتابا عن المجتمع الاسلامي اعتمادا على الف ليلة ، واشار ريتشرد بيرتون ( الانجليزي ) في مقدمة ترجمته انها ترجمة تهدف الى « ان يتعرف اهل وطنه بما فيه الكفاية على طباع المسلمين وعاداتهم واخلاقهم ليكون لديهم الحنكة الضرورية ليحكموا المسلمين الواقعين ضمن امبراطوريتهم » (1) .

* * *

وقد تابعت تطور اعادة طبع الف ليلة منذ اوائل هذا القرن فوجدت ان الموسوعين في بيروت هم اول من اعاد طبعها وتابعهم في ذلك الهلال في مصر 1901 ومن عجب ان مجلة الهلال ( يونيو 1903 ) تذكر ان الف ليلة تمثل احوال العصور الاسلامية الوسطى وتمثل عادات اهلها على اختلاف طبقاتهم مع بيان اخلاقهم وادبهم في مجالسهم واحاديثهم . ولا شك ان جورجي زيدان كان جاريا في هذه الشبهة مع دعوة التغريب كما عرف عنه في مختلف كتاباته في ادب العرب ، والتمدن الاسلامي .

وقد اشار الدكتور صروف الى مدى اهتمام المرسلين به فقال ( يوليو 1888 ـ المقتطف ) هذا الكتاب اشهر من نار على علم ، ولذلك طبع في مطابع مصر والشام وراحت بضاعته ولم يدر في خلدنا ان الجزويت يزاحمون ابناء البلاد على طبعه واكتساب ارباحه وهم يدعون انهم انما اتوا البلاد لتنوير اهلها وتحسين احوالهم ، الم يكن الاولى بهم ان يطبعوا لهم كتابا في الطبيعيات او الكيمياء او الصناعة او الفلاحة او نحو ذلك من العلوم والفنون .

ولا يقف الدكتور صروف عند هذا الحد وهو يعلم انه ليس اكتساب الربح وحده هو هدف طبع هذا الكتاب ونشره ، بل يقول « ولولا اننا نحب ان يظن الناس خيرا لقلنا ان هذا الكتاب وامثاله من كتب الادب ما اعتنى اولئك الادباء بنشرها الا ليتزاحموا ابناء البلاد عليها ويسبقوهم الى الربح منها ويلهوا بها القراء من اهل الوطن عن طلب ما ينفعهم نفعا حقيقيا .

* * *

كما اولى المرسلون في بيروت اهتمامهم بالاغاني فقد عني الاب انطون صالحاني في ديسمبر 1909 باستخراج ما في روايات الاغاني وعلق عليها حواشي

* * *

## الرباعيـــات

اما رباعيات الخيام (2) فقد تردد انها مدخوله على عمر الخيام فلقد اعطيت هذه الرباعيت اهمية غير عادية، وحمل الانجليز لواءها ، فنشروا هذه الرباعيات وترجموها ، وتنافس الادباء في ترجمتها ولم يعرف في ترجمة الخيام انه شاعر ، بل عرف في تاريخه المدون بانه رجل رياضي عالمي ، برز في الفلك والرياضيات والجبر . ويبدو ان هذه الرباعيات المنسوبة اليه لم تظهر الا بعد ان انقضى اكثر من قرنين ، بدت قليلة ثم اخذ حجمها يتزايد مع الزمن على حد قول الدكتور محمد عبد الهادي ابو ريده . الذي قال : انه ليس لدينا ما يثبت نسبتها للخيام اثباتا يقينيا

وقال الدكتور ابو ريده انه نظرا لان المؤرخين المعاصرين لم يذكروا للخيام رباعيات فان من العلماء من يشك بحق في نسبة الرباعيات اليه ولا احد منهم اسد غلوا في حكمه من المستشرق الالماني ( هـ هـ شيدر ) في بحث القاه في مؤتمر المستشرقين بمدينة «بون» بالمانيا 1943 ويعتمد شيدر على راي المعاصرين في الخيام وحملتهم عن امر الرباعيات وعلى التراجم التي كتبت عنه في تتابعها التاريخي . ويستند فوق ذلك الى ما في مؤلفات الخيام العلمية المعروفةمن روح اليقين العلمي . فيرى ذلك معارضا كل المعارضة لما في الرباعيات و ينكر بذلك كل علاقة بين الرباعيات وبين الخيام ويعد الخيام من كبار المتمكنين في العالم الاسلامي ومن ممثلي العلم الحر . ويلاحظ ان الهجوم على الخيام بدا من دوائر الصوفية في اوائل القرن الثالث عشر الميلادي والسابع الهجري . وقال ان ما ذكر من وسم الخيام بالالحاد والزندقة ليست من ترجمة الخيام في شيء والى ان الخيام التاريخي ان يمحي اسمه من الشعر الفارسي

---

1 ) اقرأ فصلا عن الف ليلة في كتابنا ( الثقافة العربية المعاصرة في معركة التغريب والشعوبية )

2 ) اقرأ فصلا كاملا عنها في كتابنا ( الثقافة العربية المعاصـــرة )

وبكل طوع اسلست لـك امرهـا … اللـه سخرهـا ، عطـاء باقيـا
وحملت — اكرم حامل — اعباءهـا … وادرت — مقتدرا — مداها الطاميا
وبحنكة الدرب الخبيـر تسوسهـا … ولقد بلغت بهـا المقام الساميـا
ومضيت فى جلـد تقـود أمورهـا … لتقيـم مجـدا او تشيـد معاليـا

* * *

شهد المهيمـن والملائـك ، انمـا … أيام عيـدك ، لم يزلـن غواديـا
فهما لهـا الشعب الوفـي يريهـا … ولها يصفق مستهامـا شاديـا
وتطلعـت لروائهـا أحنـاؤه … فتراقصت جـذلا ودوت عاليـا
فـاذا الحناجـر بالدعـاء جهيـرة … تدعو ، وتهتف : دام عهدك باقيـا
هتفوا : تعيش ، وانت رمز وجودهم … ويعيش عرشك مشمخرا ساميـا
امنوا بعهـدك ان يـدوم رخاؤهـم … وراوا لعهـدك امنهـم متتاليـا
ورجوك ، حين كبا الزمان بأمرهـم … فأجبت صرختهم ، وكنـت فدائيـا
ورايـت نجدتهـم اجـل سعـادة … فـراوك أول ، والسعـادة ثانيـا

* * *

حسن ، سننت مبادئا يغرى بهـا … ورفعت للوطـن المفـدى ناديـا
ووضعت للبلـد الحبيب دعائمـا … تحذى ، ودستـورا له اسلاميـا
ودعوت شعبك للبنـاء ، فرامـه … حببا ، سواعـد تـارة وعواليـا
ومضى شبابـك يسرعون خطاهـم … لمصيرهم متآزرين — رواسيـا
وعلى الوفاء تعاقدوا ، يحدوهـم … ان يغمروا الوطـن الاثيـر أياديـا

* * *

وراى الظما فى راحتيك ، حياءهـم … فاستمطروك لهم ، وكنت الجاديا (1)
وعطفت ، ترجو من الهك رحمـة … الا ـه موليكهـا ، وحمدا داويـا
فشرعت — تنشد للبلاد رخاءها — … خطط السدود ، وخضتها متباريـا
وبثثتها طول البـلاد وعرضهـا … وسقيت اظمأهـا زلالا صافيـا
فعلى رمال البيد شيدت (زيزنـا) … واقمتـه سـدا غزيـرا طاميـا
فـاذا المفـاوز مـن جداه جداول … تروي الروابي والنخيل الصاديـا
واقمت « أوريكا » ففاض نعائمـا … وسقى الظماء ربـى وشايا شافيا
وعلى السهول « بعادل » فجرته … ثـرا دهاقـا صيبـا متراميـا
نهـل الجنوب غديقها فافاضـه … صببا تلقفه الشمـال عواديـا

---

1) معطي الجـدوى

ورجال شعبك صفوة سباقة     للمجد تهواه ، وتهوى الساعيا
وراوك تطمح للخلود مناضلا     وراوا نضالك نادرا ومثاليا
وراوا جموحك للعظائم لا يني     فمضوا اليها هادفين هواديا (1)
وهفوا اليك مؤيدين ولاءهم     ومبايعينك باذلين تراقيا
وبك اقتدوا ، وحماة عرشك فتنة     وهبوا لعرشك انفسا ونواصيا
وهم البناة لمجده ، فاخبرهم     تجد الاساود مهطعين صواريا
تخذوا الاباء شمائلا وتسربلـ     وا الاقدام والجلد القوي العاتيا
وكذاك شعبك ، ان شعبك جنة     ورقى لعرش لم يزل لك هاويا
فلو ان شعبك ، والعزائم الفه     رام السماء بك ارتقاها عاليا
ولكان ربك ايدا وقضاؤه     أزرا ، وروحك للعزائم هاديا
بك ادركوا ما املوا ، فاذا العلى     ملك لهم ، يرقون منها مراقيا
وبكل ميدان أتوه ، تربعوا     فيه الذرى ، وتسنموه أعاليا

* * *

حسن ، أبيت ، وفى اباك ارادة     الا تكون مدى الحياة عصاميا
فجرى القضاء بما تريد مؤمنا     وكما مقامك سؤددا وتعاليا
ورآك تطمح ما تني متطلعا     للمجد تبنيه ، فكان الهاديا
ومضيت ، والشعب الوفي مبارك     خطوات سعيك — راشدا متفانيا
تعلي مئاثر ما الاوائل اسسوا     وتضيف تالدهم طريفا باقيا
أبدا تروم من العلى آفاقها القصـ     ـوى ، وتنسج فى الحياة مثاليا
وبك المحامد قد سمت آطامها     وعليك تضفي بردها المتراميا
ولأنت أصدق من رأيت مواقفا     ولأنت انبل مقصدا ودواعيا
حسن الاوائل والاواخر مفرد     ظلموا زمانك اذ دعوه الثانيا
ابدا ، فما حلم الزمان بمثل ما     أوتيت توفيقا ورشدا الاهيا
ولقد حبيت من المناقب خيرها     واجلها وبلغت منها مراميا

* * *

يا ابن الرسول ، أبيت الا أن ترى     فى الصالحات لك المقام الراسيا
فحملت اعباء ينوء بثقلها     شم الجبال وقد خلقت عصاميا
اتت الخلافة تجتبيك ، وما لها     الا ك ، يحمل عبئها متماديا
واتتك ترفل فى سناء جلالها     وتعشقتك زعيمها والراعيا

---

1) من الهادي بمعنى الاول والمقدم

[redacted]

# إنا بهذا العرش عشنا سادة

للشاعر محمد عرفة الفاسي

يوم اغر على البلاد سعيد ... فيه علينا قد أطل العيد
يوم لعهد مشرق تزهو به ... ارجاء شعب مخلص وتميد
تتجاوب الاصداء فى جنباته ... سهل يرتل ما تردد بيد
اوما رايت البشر يغمر ارضنا ... في كل صقع فرحة ونشيد
اوما رايت الشعب يهتف كله ... عاش المليك يظله التأييد
دامت الى الملك الهمام المرتضى ... « حسن » الشمائل عزة وخلود
ورعى الالاه العرش و «الحسن» الذي ... حسنت به فيما نروم جهود
لله يوم باسم اكرم به ... يوما وحقك انه مشهود
لله عرش قد حبانا منة ... اكرم به عرشا حماه جدود
بنيت على تقوى دعائم صرحه ... انا له دوما حماة صيد
انا بهذا العرش نحيى امة ... علم الفخار بجيشنا معقود
انا بهذا العرش عشنا سادة ... لم يستطع اذلالنا صنديد
انا بهذا العرش اجلينا العدى ... وغدا لنا فى العالمين وجود
تهنيك مولانا « الشريف » مفاخر ... لكم يخلص فضلها ويعود
أسست للاسلام اعظم دولة ... شمل البلاد بفضلها التوحيد
خلفت للابناء أحسن منهج ... في الحكم يهدي للعلى ويشيد
العدل والاحسان صانا عزه ... والعلم رائد مجده ورشيد
لبيك يا سبط البتول فهذه ... آثار صنعك كلها تمجيد
خططتها فمشى على منوالها ... ابناؤك الشم الاباة الصيد
اني لاذكرهم واذكر انهم ... لم يثنهم عن نصرنا تهديد
ورثوا المفاخر كابرا عن كابر ... وكذا الاباة يزينهم تشييد
اني لاذكرهم واذكر اننا ... بالعرش نفخر دائما ونسود
لم تعرف الدنيا سوانا امة ... حفظت لها من معتدين حدود
لم تعرف الدنيا سوانا امة ... نزل الرخاء بارضها والجود
يا من سمت شرفا مناقبهم فلم ... يبلغ بوصف ما اتوه قصيد
ماذا اعد من المحاسن انها ... بحر وظل وارف ممدود

فـاذا بنـوه مـن نداك وسـيبـه شـهدوا الرخاء : حواضرا وبواديـا

* * *

واقمت فى كل الشطوط مواخـرا ومن الاجاج عصرت عذبـا راويـا

وبكل صقـع قـد اقمت معامـلا ومصانعا ، ومعاهـدا ، ونواديـا

* * *

وعلى مشارف ارضنا وخدودهـا اسدا اقمت على العـداة ضواريـا

تخذوا الاباة معاقـلا واستلأموا الا خلاص والحـق الصراح البـاديـا

* * *

حسن غدوت بكـل ارض آيـة تتلى ، فتلهـم سامعـا او شـاديـا

فعلى ضفاف القارتين (1) شـهـادة صدعت بها « نيورك » قولا ضـافيـا

وتحدثت موسكو بأصدق خبرهـا والشرق أيـد هديهـا والراويـا

ودعوت تأمـل ان يسود محبـة اضحت شعارك مهديـا أو هاديـا

وغدت لشعبك مبـدا لا ينثنـي يدعـو اليـه محافـلا واناسيـا

* * *

ابنـي العروبـة والعروبة فخـرة قد صاغها « حسن » هدى ومعانيا

الدين وحد بينكم ، فلـم الهـوى والضاد اكسبكـم وجـ ودا ذاتيـا

فدعوا التفرق والتنابـز بالكنـى والعروة الوتقى اجعلوها الهاديـا

* * *

وكذاك ناديت العروبـة مخلصـا ودعوت شعبك فاستجاب الداعيـا

* * *

فاذا أفضت يمدح عرشك واجتبـى قلبي سنـاءك واصطفاه جنانيـا

وشدوت نشوانا بعيـدك ناظمـا شـدوى فرائد تحتذى وقوافيـا

فلقد وجدت بمدح عرشك راحتـي ووجدت آفاقـا تجيـش دواعيـا

ووجدت عيدك فرحـة ونعائمـا اللـه اسبغهـا البـلاد تهانيـا

ورجوت ، يا ملكي — ومثلك يرتجى — للشعر عطفا طيبا سلطانيـا

* * *

فاليـك ارفـع مخلصا متواضعـا شعري ، يترجم ما يكـن جنانيـا

فرحا بعيدك ان تدوم عهـوده وبعيد عرشك ان يدوم وراثيـا

فتمل بالعيـد السعيـد مباركـا واسلم لشعبك مجتبـى متعاليـا

**فاس — عبد الكريم التواتي**

---

1) اعني أروبـا وامريكـا .

# ابن زيدون

## مسرحية شعرية في أربعة فصول

للشاعر علال بن الهاشمي الفيلالي

**نفحات من « الفردوس المفقود » تجمع بين التمثيل والشعر والغناء ...**
**وصور حية للنوادي الادبية .. حيث الحب والجمال والغزل والسمر ...**
**وجولة فى قصر « قرطبة » وشوارعها مع نشيد الجند ، وحانات الندمان .**

**الشخصيات :**

**ادوار رئيسية :**

احمد بن زيدون
ابن عبدوس « الشاعر »
ابو بكر « قاضي قرطبة »
ابن المكري « الوزير »
ابن جهور « عميد الجماعة »
ولادة بنت المستكفي
ابو الوليد ابن عميد الجماعة
عائشة المغربية « العجوز »
«ماري» أو مريم الاسبانية

**ادوار ثانوية :**

محمد بن عباس
عبد العزيز حسن
ابو عبد الاله المغربي
ابن الحناط « الشاعر الكفيف »
منية النفس « المغنية »
ابو خالد « البهلواني »
بعض الحراس

**الفصل الاول**
**( مشهد واحد )**

**المنظر :**

غرفة ذات تأثيث بسيط ، وذات نافذة جانبية تظهر مغلقة . ولها مدخلان : داخلي وخارجي . والغرفة كأنها خاصة بابن زيدون الذي يرى فى مكتبه وحيدا . الوقت صباح وابن زيدون ينشد بصوت عال يجمع بين لذع الاسى ، وثورة النفس .

**ابن زيدون :** اصبو الى مجد الحياة ، ومهجتي — ولهى ، ومالي فى الحياة نصير
بالامس ملت مع الصبابة والهوى — واليوم دمعي فى الجفون غزير
يا قلب .. هل تندى الظلال وريقة — وتميس فى الغصن الخضير زهور
أم ان نفسي فى الحياة صريعة — ما رف فيها من أساك سرور

«يسكت قليلا ، ثم يتابع وقد اتجه ببصره الى السماء»

اسمعي يا سماء خفق فؤادي — عاش طيرا بين الضلوع سجينا

يكفيكم يا آل بيت المصطفى — عرشا يدافع عن حمى ويذود
يكفيكم « حسن » البلاد المجتبى — من عرشه فوق العروش عتيد

* * *

يا شعب قد وفيت مثل العرش ما — لسن الزمان بحمده ترديد
هذا مليكك قد تحمل صابرا — ما المجد راع ذكره وشهيد
قد خاض معركة الكفاح يقوده — عزم يخر لباسه الجلمود
عاش المراحل كلها بعزيمة — تبني وتنجز ما ترى وتريد
قاد الشباب الى المدارس عالما — ان الجهالة ذلة وقيود
نادى الى نبذ التفرق والهوى — وسفاسف لجهودنا ستبيد
خطب المجامع شارحا سنن الهدى — وموضحا ما السير فيه يفيد
اكرم به بطلا عظيما انه — شبل ابن يوسف سره المحمود
اسعد به عهدا تفتح زهره — وبدت له بين الغصون ورود

* * *

مولاي يا ملك البلاد ومن له — فضل التحرر والبناء يعود
الله يشهد انك الحامي الحمى — ولانت نعم المصلح الصنديد
الله يشهد اننا بجهودكم — قد حالف استقلالنا التسديد
وتوطدت للشعب نهضته التي — تنمي وترفع شانه وتزيد
وغدت لرايك في الشعوب مكانة — والراي منك على الدوام سديد

* * *

مولاي ان صدح الهزار واطربت — نغماته واستعذب التغريد
فانا بمدحك لا ازال مغردا — لحنا يقدمه اليك قصيد
فاسلم وواصل ما بدات لكي نرى — نور التحرر بالجنوب يسود
ان الصحاري قطعة من أرضكم — لن نطمئن وصقعها مصفود
ولتحي دوما للعظائم انها — دوما ببابك رحلها موجود
ولولي عهدك راعيا ولاسرة — برياض علم تزدهي وتفيد
مولاي عشت مؤيدا ومتوجا — بشرى بيوم حل فيه العيد

**الرباط فى 3 مارس 1967**
**محمد عرفة الفاسي الفهري**

هو شعري الاخيـــر .. لا غرو .. لكن شئت الا يروى .. فهل نلت عذرك ؟

**ابن المكـــري :** نحن نهوى تريضك الحلو

**ابـــن زيـــدون :** شكـــرا بعـــد ان مـــزق النشيـــد سيدرك

**ابن عبدوس** (في تهكم)

قد سمعنا بأن « مريـــم » في النـــا دي تحب الغنـــاء ان كان شعـــرك
ارغمت « غاية المنى » أن تغنـــي لك شعرا كي ترفع اليوم ذكرك ؟

**ابن زيدون** «متأثـــرا» :

انا اسمو عـــن أن تشيد الغوانـــي بقريضي .. ويحي متـــى كنت غـــرا
انني يـــا حيـــاة شاعرك اليـــو م ، ففكي عـــن صيحة القلب إسرا
شاعر الحـــب والجمال .. وسيفـــي في الوغى كالمنـــون يبتـــر بتـــرا

**ابـــن عبدوس :** امطري يا سماء عفـــوك .. مهـــلا قـــد مزحنـــا .. وانت بالقلب ادرى

**ابو بكـــر :** « وقد حمل اليه الاثير صدى اصوات آتيـــة من الابعـــاد ، فيصيح وسط الجمع ) : اي شـــيء سمعته ؟

**ابـــن الحناط :** فأصيخـــــــوا في الطريق البعيد رجع نشيـــــد

**ابو بكـــر :** افتحوا للنسيـــم نافـــذة البيـــــــت ..

**ابـــن زيدون :** سمعت الصدى لصوت الجنود

ينصتون جميعا ، واذا بهـــم يسمعون هذا النشيد من فم الجنود الذين سيرونهم من الشبـــاك :

نحـــن ابنـــاء العـــرب (1)
نحـــن جند المجـــد ، ابطـــال الغلـــب
نعشق المجد ونعلـــي كـــل حـــر عـــاش يداب
كـــم بنينـــا مـــن حيـــاة حـــرة بعلوم وفنون وادب

*

بنى الاسلام مجدكمـــو تسامـــى ، ونلتم فوق ما املتمـــو مـــن رجـــاء
نحن في الكون اخـــوة جمعتنـــا وحـــدة الديـــــن في ظـــلال الاخـــاء
ومـــا نحـــن الا اخـــوة بيد المنـــى نشيـــد ركنـــا للعروبـــة ممتـــدا
قل للحياة : اذا شاء المعنى عرب ، ضموا الصوف ، وساروا نحوها صعدا
نفديك «اندلـــس» الجمال بأنفس حـــرى ، ونرجـــو للقلوب اتحادا
نحن جند البلاد نحمي حماهـــا ونـــرى فينـــا قـــوة وعتـــادا
نغني مـــن علاها لنـــا نشيدا وفي ساح الوغى نغني عداها
ما نرى العيشة الا عـــزة اي روح حرة ليست فداها
نعشق المجـــد ، ونعلي كل حـــر عـــاش يداب
نحـــن جنـــد المجـــد ابطـــال الغلب
نحـــن ابنـــاء العـــرب

**ابـــن عبدوس :** انهم راجعـــون من قنص الصيـــد ..

**ابـــن زيـــدون :** وهم لو يـــدرون اول صيـــــد

جهلوا نفسهم .. فساروا على الـــدر ب ، وعاشوا في الكون من غير قصد
اسمعوا .. انني سكبت دموعـــي واثار النشيد كامـــن وجـــدي
ويح نفسي .. هل شعب اندلس اليو م سعيد ، يرمي العدو كفـــرد
ام دعتـــه الاحقـــاد ان يتحـــدى بعضه البعض في يـــد المستبـــد

---

1) اجريت هذا النشيد على عدة بحور شعرية تبعـــا للحركة الصوتية اذ يسمع من البعيد .. قليلا .. قليـــلا .. الى أن يستوي ، ثم يضعف .. قليـــلا .. قليـــلا ..

نسي الفجر في الليالي الدواجي وقضى عمره الغضير حزينا
كم جرى زورقا الى الشط ، لكن غمر الياس شطه المأمونا

« ثم يطرق كمن يتأمل »

كيف اسلو ... ؟ وحب « مريم » في القلب ، اقاسيه صبوة وجنونا
حرت ما الحب ؟ ما الهوى ؟ اين مني من يريني سر الغرام المصونا

« في هذه الاثناء يكون صديقه «ابو بكر القاضي» اتى لزيارته ، فيسمع صوته الثائر ، فيدخل الغرفة شبه مفتون ، فيجده مكبوبا على وجهه ، فيرفع رأسه بيده قائلا :

**ابو بكر :** يا اخي ... ما بك ... اعتدل ...

**ابن زيدون :** لا تلمني قد سمعت الصدى للوعة صدري

**أبو بكر :** اي شيء تشكوه . ؟

**ابن زيدون :** لا شيء ...

**أبو بكر :** ما لي كنت اصغي الى صراخ أمر

**ابن زيدون :** كنت اتلو شعرا حزينا ..

**أبو بكر :** فحاذر كم تكون الردى قصيدة شعر
لا تطع قلبك الحزين من الشجو ، وحكم نهاك في كل أمر

فابتسم للحياة
طاهر كالصلاة
تائها كالظلال
عابدا للجمال

« يسمع وقع اقدام تقترب .. ويكون أصدقاؤه : ابن عبدوس ـ عبد الله بن المكري ـ ابن الحناط الشاعر الضرير ، قد حضروا كعادتهم لتبادل الرأي ومساجلة الاشعار ..»

**الجمع** (يدخل) السلام عليكم

**ابن زيدون :** وعليكم مثلها

« مشيرا الى المقاعد »

فتفضلوا ... زرتم صديقا اضرمت من حزنه في القلب نار عذاب

**الجمع :** نحن الفدا ...

**ابن عبدوس :** واي شيء تشتكي ؟

**ابن زيدون :** قلبي عليل .. يا رفيق شبابي

**ابن الحناط «الكفيف»** (لابن زيدون) :

مهلا .. اما يكفيك انك شاعر تعليه قرطبة على الادباء
لك في ربوع الانس شعر .. قد غدا سلوى الحزين ، وبهجة السعداء
لك في المجون قصائد .. قد اصبحت شرك الغواني .. أو لحون غناء
ابن زيدون

**ابن زيدون :** ما تقول .. ؟

**عبد الله بن المكري « الوزير »** اردنا منك شعرا .. انشدته في النادي

**ابن زيدون :** اي شعر ... واي ناد .. ؟

**ابن المكري :** رويدا هل تناسيت يوم كنت الشادي

**ابن عبدوس :** هل تنسيك فاتنة النظرة ( ماري ) تذكرت .. يا لغر فؤادي

**ابن زيدون :** كنت اتلو بحفل « مريم » من شعري .. مبينا عن لوعتي وسهادي

ان هـاج روحكم الجمال بسحره — قلتم ( هلال ) او (غزال احـــور)
الحـب لـم يفتـح امـام جفونكم — دنيا الخيـال .. كأنكم لم تبصـروا
لو صـفتم اللحـن الجديد مرتـــلا — يجلى لنا فكـر الوجـود ويظهـر
وسكبتمـوه فى الحيـاة كنغمــة — شعريـة تصبـي الفؤاد وتسحـر
لغدوتمو صوت البـلاد وفخرهـا — وهفا اليكـم ذا الوجـود الاكبـر
حسـن الطبيعـة ساحر بجداول — رقراقـة منهـا البلابـل تسكـر
وتمايل الزهر الزهي علـى الربـى — قد زانـه الغصن الرطيب الاخضر
هذي المناظـر .. لو اردتم وصفهـا — جئتـم بوصـف واحـد يتعثـر
بالامس .. رتـل شاعـر نغماتـه — فى وصـف راقصة . تميل .. وتطفر ..
فسمعتـه يتلـو صـلاة .. قالهـا — قلب ذرتـه فى التـراب الاعصـر
قد حاكها الشعراء .. حتـى اصبحت — ميتـا .. ولكـن اين منا المقبر .. ؟
ازياؤكم بليت ، واصبـح فكركـم — رهن القيود ، فشيدوا او دمروا ..»؟
والى هنا وصلت .. وكان بكمهـا — شعر لهـا ..

( ثم أحس كأن ابن زيدون يتأهب لسؤاله فقال :

لا شىء منـه انكـر
فتلتـه معجبـة بانغـم رنـة — فتنت قلوب الحاضريـن فاكبـروا

**الخـادم :** مولاى (عائشــة) اتت

**ابـن زيـدون :** اهلا بها

**عائشة المغربية :** السلام عليكـم

**الجميـع :** وعليـك السـلام »

**عائشة المغربية :** انتم هنـا

**ابن عبدوس :** (وقد استعد ان يجلسها) فتفضلـي

**عائشة :** (التى ركزت نظرها على ابن زيدون ، وهلي ترد علـى ابن عبدوس ، وسملس من الجلوس : لك اشكر

**ثـم تتقدم نحو ابن زيدون :**

ما لابـن زيـدون الهمام مفزعـا

**ابـن زيدون :** (وهو جالس وقد رفع رأسه اليها) : اني كما احيـا .. وهل اتغير .. ؟

**ابن عبدوس :** (وكأن موقف عائشة لم يرقه ، فأراد ان يفسـد عليهـا جـو المذاكرة مع ابن زيدون ، فتوجه اليه بالخطاب :

دعنا نتم حديثنـا

**الجمـع :** اتمم لنـا ما كـان

**ابـن عبدوس :** بعد سكوتكم

**عائشة :** (لابن عبدوس) بم تخبر .. ؟

**ابـن عبدوس :** انى لاخبرهـم بنـادي الامــس

**عائشــة :** اتمم مـا بـدات .. فانهم لم يحضـروا

(عائشة تجلس الآن ، بينما ابن عبدوس يتابع حديثه :

**ابن عبدوس :** لمـا انتهت .. سرنـا نتابع بحثنـا — فى وجهـة الادب الـذي نتخيـر
حتى سمعنا : ان «راقصة المنى»(1) — حضرت .. فحيت .. والجميع محيـر
ثـم انثنت مثـل الغزال ، وقبلت — « ولادة » وهفـا اليهـا الحضـر
وقفت .. فغنت فى التغزل قطعــة

**ابـن زيدون :** اتراك تذكرها ..

---

1) المنى متنزهات بقرطبة ، يطلق على كل منها « منيـة » .

ان هذا الاسلام اضحى غريبا — فى بلاد احيت به اي مجد
كيف صرنا طوائفا .. ؟ كيف صرنا — فى اختلاف بعد اتحاد وود
وولاة البلاد اودوا بحب — ضم كل القلوب في ظل سعد
كي يشيدوا لنفسهم سلطة المل — ـك على ريع قرية ليس يجدي
كيف يغدون فى سبيل هواهم — يئدون الامجاد افدح واد
يستعينون بالعدو .. اذا ما — طمعوا .. شاهرين سيف التعدي
لهف نفسي .. تالبوا مع عدو — كي يكونوا لجار اكبر ضد
ايها المسلمون فى كل جيل — وحدوا الرأي فى اقتراب وبعد
كي تكونوا على العدو جحيما — اشعلتها ارادة للمجد
يا ابن زيدون ان هذا قضاء — هل يطيق الوجود للحكم ردا .. ؟
كيف يهدي الاله قوما تعاموا — ثم زادوا عن دينه الحق صدا
ليس يكفينا أن نقول : قضاء ، — ثم نغفوا مثل النيام ونهدا
نحن فى ثورة الشباب ، وتلكم — امة المجد ، تنكر اليوم ودا
لو دعونا الى اتحاد متين — كي يعيد الوفاق للناس عهدا
ثم نبني على حياة اخاء — باذخ المجد عاليا مستجدا

**ابن الحناط :** على شرط ان تنسىالنفوس حقودها — وكل امين للجمع مطاع
الا .. ان شعبا فى السلاسل موثق — عليه ولاة قد غواهم طماع
لشعب كسير الروح .. لا يملك المنى — ولا فكره بين الشعوب مشاع

**ابن زيدون :** اذن « يا ابن الحناط » لم يبق عندنا — سوى ان نرى الاراء كيف تذاع
نجند منا كل فرد ، ونفتدي — جنودا .. هوانا فى الحياة صراع
ليرجع هذا الشعب وحدته التي — مضت بسناها فتنة ونزاع

**ابو بكر :** حين اصغيت للنشيد شجاني — ما اضعنا من وحدة واخاء
( يردد ما كانت الجنود تقوله ) :
« نحن فى الكون اخوة .. جمعتنا — وحدة الدين فى ظلال الولاء »
هكذا نجمع الصفوف ، ونعلي — راية الشعب فى غضارة ظل

**ابن عبدوس :** ( وكأنه اراد ان يحول موضوع الحديث ، لانه وابن المكري وزيران لا يليق بهما أن يخوضا فى مثل هذا الحديث .. )
كل تلك الاراء — يا صاح — فى النا — دي اثيرت ... فلم تكن غير قول

**ابن المكري :** ماذا جرى بالامس فى ناديكم
**ابن عبدوس :** اتراك لم تحضر ؟
**ابن المكري :** اجل يا صاح
**ابن عبدوس :** ما كان اروعه ..
**ابن المكري :** واي شيء زانه
**ابن عبدوس :** « ولادة » مثل الشذ الفواح
الشعر وحي عيونها .. واللحن نبـ — ـر كلامها كالبلبل الصداح
يسبيك سحر جمالها .. فكأنها — فى ذي الحياة عروسة الافراح
تتلو بصوت ناغم شعرا لها — يصبي كصرف الخمر فى الاقداح
حتى انتهت .. والجمع يسمع ذاهلا — نغماتها تنساب فى الارواح

**ابن زيدون :** هل تذكر الآن النشيد جميعه
**ابن عبدوس :** بل بعضه ..
**ابن زيدون :** نرجوك ما تستحضر
**ابن عبدوس :** قالت — تداعبنا .. وتذكر واصفا — لجمال راقصة سباه المنظر :
يا معشر الشعراء .. اصبح شعركم — لحنا يعاد ، ونغمة تتكرر

**ماري** (في ثورة) :
احق « للاسبان أن يحتقر
اتقذف مسلمة بينكم تدين بدين يؤاخي البشر
حرام عليكم ....

**ابن المكري** (في تشف) : ستدري العقاب

**ماري** ( وقد ارادت أن تتهكم عليه في اسلوب نسوي ماكر ) :
احبك .. لا .. مت اسى .. وانفجر

**ابن المكري** : وانك ماجنة تستباح .. يعافك حتى الذباب القذر

**ماري** : أتقذفني .. ؟

**ابن المكري** : سوف تدري العقاب

**ماري** : فعجل وعيدك .. لا تنتظر ..
اتخشى السماء نباح الكلاب ؟

**ابن المكري** : تسبينني .. سوف اقضي عليك ..
— يتقدم نحوها —
ساطعن قلبك ...

**ابن عبدوس** (وهو يمسكه) : فكر قليلا ...
وماذا ستفعل .. ؟ امسك يديك

**ابن المكري** : ساقتلها ..

**ماري** : اي شيء جنيت ؟ فلست احبك ... مهما يكن

**ابن زيدون** (لابن المكري) :
صديقي .. تراني سكت طويلا .. افي منزلي تستثار الفتن .. ؟
وما الحب الا نداء القلوب

**ماري** (تقترب من ابن زيدون) : حبيبي « ابن زيدون » لا غيره

**ابن زيدون** : — في تأثر — :
لاول يوم سمعت كلاما فأثر في مهجتي سحره
— يقبل على ماري —
حبيبي ... تقولينها بينهم تعالي .. فقلبي بدا سره

**ابو بكر القاضي** : وكأن موقف ابن زيدون لم يعجبه ايضا :
كفاك من الحب .. لا تغترر

**ابن المكري** : فيوم اليه .. ويوم لنا
دم « الروم » في عرقها ..

**ابن زيدون** (مدافعا عنها) : لا تزد

**ابن المكري** : اتينا لدارك .. فاهزا بنا
سأخرج من هاهنا .. لن أعود

**ابن عبدوس** : تصبر ... حرام مقامي هنا ..

**ابن المكري** :
— يخرج —

**ابن عبدوس** — وقد اراد ان يبرهن على صداقته لابن المكري — :
وداعا ايها الاخوان ... ( يقف )

**ابن الحناط** : اين تمضي ..

**ابو بكر** : اين تمضي ..

**ابن عبدوس** : (وقد تقدم قليلا) : قصد موعد

**هما معا** : كذلك نحن نمضي في اجتماع ..

**ابــن عبدوس :** اجل استحضــر

« تناسيت لقيانا على شاطىء النهر ونحن كعصفورين رفا على الزهــر
يظللنـــا روض نناغـــي زهــوره باحلام روحينا فتهتز مـــن سكــر
وتعزف حولنـــا الجداول نغمـــة فتغدو من التحنان ادمعها تجــري
شكا هجرك القلب الذي ذاب صبوة واسكر روحي ما بعينيك مـــن سحر

— ( يسكت متأمــلا ) —

**ابــن زيدون :** قد اعجبتني وجهـــة الادب التـــي تدعــو اليهـــا ...

**ابــن الحناط :** هل ترانا نقدر ..؟

**ابــن زيدون :** ماذا تقول .. ؟

**ابــن الحناط :** اقول : ان قلوبنـــا كجــداول تجــري .. ولا تتخيـــر

**عائشـــة :** مـــا اكثـــر الشعراء حيث خيالهم لـــون ... يقـــدم تـــارة ويؤخـــر

( هنا يسمع صوت مؤثر مرتل ، وتكون «ماري» الاسبانية او « مريم » — كما يحلو لابن زيدون ان يسميها — هي التي اتت من الباب الخارجي ، وقد ظنت بـــأن ابن زيدون وحده ، وارادت ان يكون مجيئهـــا مفاجأة :

**ماري :** (في بهو الباب الخارجي حيث لا تظهر :

اتينـــا الحبيـــب علـــى موعـــد وفى النفس شـــوق ، ووجد حنيـــن

( يسمع الجميع ، ولا يتحرك احد ، سوى ابن المكـــري الذي يتقدم نحو الصوت

**ابن المكـــري :** عرفتـــك «ماري»

**ماري** (تظهر) **:** انتـــم هنـــا نحييـــك يـــا قمـــر العـــاشقيـــن

**ابن المكري** (وهو الى جانبها) **:**

**مـــاري :** احيي الجميـــع ..

**الجميـــع :** نحييك « ماري »

**ماري** (تتقدم نحو ابن زيدون الـــذي تلاحـــظ انـــه لا يتحـــرك)

لماذا السكوت .. ؟ انت حزين .. ؟

لا تقـــض عمـــرك يائســـــا لا تقـــض عمـــرك فى النحيـــب
مـــا انـــت الا شـــاعـــــر يهـــدي السرور الـــى القلـــوب

ابن زيدون لا ينبس ، وتشعر كأنه تضايق من موقف ابن المكري الذي يلاحقها فتقول له لتبعـــده عنهـــا :

لمـــاذا تضـــايقنـــي ... هكـــذا اترغمنـــي ان احبـــك ...

**ابـــن المكري :** مهـــلا

فـــانك جـــاوزت حـــد الصـــواب

**ابو بكـــر :** نـــراك تلاحقهـــا ...

**ابـــن المكري :** لســـت نـــذلا

ومـــاري كراقصـــة ... لا تحـــب وفى الحـــان ايحـــاؤهـــا يتنـــزل
تغنـــي ... وترقـــص للمعجبيـــن فهـــذا يعانـــق .. هـــذا يقبـــل
علـــى انهـــا غير ذات عفاف وكـــل عليـــم باســـرارهـــــا

**ابن عبدوس** (فى تهكم) **:**

ولكنهـــا مـــن زمـــان بعيـــد تشـــع عليـــك بانـــوارهـــــا

**ابو بكر القاضي** (وقد استفحش هذا الحديث) **:**

اراقصـــة تفتـــن الادبـــاء وتشغلهـــم عـــن شـــؤون اخـــر

( ثـــم يلتفت اليهـــا )

ولـــو كنت مـــن دمنـــا العربـــي

**ابن زيدون** (بعد رد السلام) : مرحبا برسول سر القصر ...
**الرسول :** مولانا يريد لقاك
**ابن زيدون** (مستفهما) :
في قصره ....
**الرسول :** طبعا ...
**ابن زيدون :** اذن . ومتى ؟
**الرسول :** على حسب الكتاب . تفضلوا
( يتناوله ابن زيدون )
**عائشة :** بشراك
**الرسول :** اني مغادركم ...
**ابن زيدون :** وداعا
— يخرج الرسول —
**ابن زيدون لعائشة :** انت ماذا قلت .. ؟
**عائشة** (مشيرة الى الكتاب) : اقرأ ما اقول هناك
( يفتح ابن زيدون الكتاب ، ويقرأ بصوت عال )

« سلام يهيج الروح نفح عبيره ... اليك على مر الزمان يطيب
وبعد ، فانا في انتظارك .. فلتجيء ... سريعا .. وحاذر ان يطول مغيب »

**عائشة :** اجب دعوة السعد الذي حقق المنى ... ومن يعلم الشيء الذي سيجيب
**ابن زيدون** (كأنه ما زال متشككا)
**عائشة :** حنانك .. حاذر ان ترى متشائما ... اما لك من حظ الحياة نصيب ؟
**ابن زيدون :** على اي حال .. سوف اذهب مسرعا ... وداعا ...
**عائشة** (تقف) : وداعا ...
**ابن زيدون :**
**عائشة** (وهي تخرج) : فاللقاء قريب

ابن زيدون يبقى وحده ، وفجأة يظهر عليه اثر الانشراح ، فيقف وهو ينشد :

(1) لا تنتشي .. ان الحياة جميلة ... تندي بعطر ربيعها الفواح
وافتح فؤادك للحياة فانه ... للمجد ، لا لكوارث وجراح

* * *

لا تقض عمرك يائسا ... لا تقض عمرك في النحيب
ما انت الا شاعر ... يهدي السرور الى القلوب

— ستار —

**« انتهى الفصل الاول »**

---

1) من الاحسن ان يصاحب هذه الابيات عزف على الناي ، او نقرات موسيقية التي تستمر حتى اسدال الستار .

ابـــن زيدون : وداعـــا ..

ابن الحناط (وهو يمسك بذراع ابي بكـــر) « فالرصـافة » موعد الغد

(يخرجون ، ويبقى ابن زيدون وعائشة المغربية) .

عائشـــة : اتـــدري أي شـــىء أتـــى بـــي    اليـــك

ابـــن زيدون : بلـــى

عائشـــة : حنانك سوف تشهد

بالامس .. كنت لدى «ابن جهور» فاغتـــدى يثني عليك .. وانه بك معجب
ثـم ارتأى منـح الوزارة عاجـلا    لـــك ..

ابـــن زيدون : كيف .. لا .. ان الرجـــاء يخيب

ثق بالرجاء .. ولا تكن مستيئسـا    ان « العميـد » وعـوده لا تكذب
لكـن تأمـل فى الحيـاة مجانبـا    عبث المجون ، وكن هماما يـدأب
تسقيك « ماري » كأس خمرة حبها    وتصد قلبك دون مـــا هو يطلـب
ماذا ترين ..؟ وحبها ملـك الفـؤا    د ، ومهجتي مـــن وجدها تتلهـب
ها .. قد فنيت .. ولو تجمع عالمـي    ما اسطاع قتل الحب .. كيف التجنب

عائشـــة : اسمع حديثي ..

ابـــن زيدون : ها انــا

عائشـــة : كن عاقلا    كن شعلة النـور الذي لا يغـرب
هل تعلـم الســر الذي من اجلـه    جافاك شعب .. من ذهولك يعجب

ابـــن زيدون : ما شأن شعبي فى الغرام ، وانني    افديـه بالـروح التي تتعـذب

عائشـــة : لـم تدر انـك تصطفي ممقوتـة    للشعب .. ماجنـة .. ؟

ابـــن زيدون : هذا اغرب ..

عائشـــة : قول صدوق ، فابتعد من شرهــا    ان كنت حرا .. واختبر مـن تصحب
قد قلت أمس الى « العميد » بأنها    يئست .. وانك للجميـع محبـب

ابـــن زيدون : واحسرتاه ... على فؤادي غرنـي..    مات الغرام — وغاض ذاك المشرب

عائشـــة : ماذا ستفعل .. ؟

ابـــن زيدون : حار فكـري ذاهـلا

عائشـــة : اكتب اليهـا ..

ابـــن زيدون : أي شـىء اكتـب

عائشـــة : اكتب بانـك قـد سلوت غرامهـا    واهزا بعـزة مـن اليه تنسب

ابـــن زيدون : ساكتب مـا يحتـوي قلبهـا    ويذبحها مثـل ذبـح الخـروف ..
ساكتـب فى رقعـة رثـة    عليها مـن الخـز ثوب رهيـف
( سلوت هـواك تمام السلـو    بعـزم شديد ، وقلـب عـزوف
واحسب شخصك فى ناظـري    قروحا عليهـا ذبـاب يطـوف )

عائشـــة : علمت بانـك جـم الشعـور    عظيم الوفاء ، نبيل ، شريـف ..

ابـــن زيدون : ستدرين صـدق الـولاء الاكيـد    وعـزم الفـؤاد الابي الحصيف
اذا شتت البغض شمل بـلادي    فأي اتحـاد ... يضـم الصفـوف
واي وئـام يؤاخـي القلـوب    وكـل فريـق ضعيـف ضعيـف
سوى ان نحب البلاد ، ففي حبـــ    ـــها درء ذاك الوبـاء المخيـف

الخـادم : مــولاي ....

ابـن زيدون : ود اقتبالـك فـارس    ويقول من عند « المليك » اتـاك

ابـن زيدون : اتـركـه ..

الخـادم : سمعـا ...

( يدخل الرسـول )

اخرسته الاقدار والليل فى نـــ ـــزع حياة : والصبح جرد سيفا
ومع الفجر ليلة القدر رفت هدب جفن مل الحياة فأغفى

* * *

ايه يا طيف نعمة عاش فينا ثم ولى عنا كمن كان ضيفا
لم نمتع بقرب فوزك حتى قام ينعيك هاتف المستشفى
ايها الهاتف الجزوع تمهل اي نعمى ؟ ابنتي ستنجو وتشفى
وطوينا الطريق اسرع من ريـ ـح ؛ ومن وامض البرق رفا
كان يأسي من السلامة يمحو املي فى النجاة طيفا فطيفا
وشقيقي يصيح بي : كيف فى غمـ ـضة جفن تضيع نعمى وتخفى
لا : فداء ابنتي خلاصة جهدي وكفاحي لها اقدم زلفى ..
انها عدتي ؛ دعامة بيتي وشعاع في اسرتي : كيف يطفى؟
آه من حسرتي فكيف اصطباري ما عزائي والهم يعصف عصفا
ضاق صدري ؛ ومزق اليأس صبري ضاع امري : اخي ارى النبع جفا
كلما طاف بي خيال لنعمى جثم الهم فوق صدري واغفى:
قاوم اليأس يا اخي وتجلد وتفاءل واسأل الاهك لطفا
هكذا كان حالنا وهزيم الـ ـرعد فى الافق راح يقصف قصفا
ودخلنا ارض الاحبة لا كي نتسلى ونرشف الوصل رشفا
وقصدنا بيت النبوة نستفـ ـسره والفؤاد يرجف رجفا
فدهينا بالواقع المر ؛ والمـ ـوت مصاب بلاؤه ليس يخفى
وتجرعت كاسها مع صنوي كلنا يومها على الموت اشفى
وغدونا نطوف ذات يميـ ـن وشمال : اين الشهيدة تلفى

* * *

ثم كان اللقاء بعد لغوب في غروب ذقنا به الويل صرفا
وحملنا العروس فوق سرير المـ ـوت نمشي بها ونزحف زحفا
ونحث المسير في جوف ليل عابس : والسحاب يشتد وكفا
واجتمعنا اشلاءهم فلو تسـ ـألهم كيف ؟ ما رووا لك حرفا !
قد احطنا بنعشها وهو ملقى نتباكى عليه قلبا وطرفا
ودفنا الآمال بين بكاء ودعاء : والرزء جاد فوفى!
ونداء لوالد ؛ ورثاء لرفاق ؛ والام تصرخ لهفى!
واختفى السر بعدها : يا تراها قد ضممت التي من الصفو أصفى
ونثرنا الاكباد فوق رباها ثم عدنا : والقلب ينبض الفا !!

* * *

ايه يا دهر ؛ لم تعجلت ماشا ن فتاتي : وكيف تقصف قصفا
انها ما تزال في ريق العمـ ـر نجيلا غضا : اتقطف قطفا
انها كتلة الاماني لراج عندها راحة وقد مل طوفا
انها كتلة الرجاء لـــواه قد قضى عمره حنانا وعطفا
انها زهرة تفوح اريجا كيف يا دهر قصفها تم كيفا؟
لم تمتع من الحياة بشيء اوقفت عمرها على العلم وقفا

# هكذا قصة النبوغ...

للشاعر عبد الواحد السلمي

في السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة 1385 الموافق 19 يناير 1966 توفيت الى رحمة الله بالحي الجامعي بمدينة فاس الطالبة النجيبة الآنسة نعيمة احمد السلمي من سن لا تتجاوز 19 سنة . وكانت الطالبة المرحومة تتابع دراستها بكلية الآداب بمدينة فاس .

وقد كان لموتها المفاجيء رنة حزن وأسى عميقين في الجامعة وفي الحي الجامعي ، وفي أوساط الاساتذة والطلبة والطالبات على السواء ، نظرا لما كانت تتمتع به من اخلاق سامية وجدية متناهية

وقد اقام لها الطلبة والطالبات في الحي الجامعي حفلة تأبين في ذكرى الاربعين شاركهم فيها نخبة من رجال العلم والادب من مختلف المدن المغربية . وخصوصا من مدينة الدار البيضاء حيث مقام عائلة الفقيدة .

وبمناسبة مرور سنة على وفاة الآنسة نعيمة احمد السلمي انشد عمها الشاعر الاديب الاستاذ عبد الواحد السلمي القصيدة التالية في رثائها وفي الاشادة بما كانت عليه من خلق حميد ومن نهم في طلب العلم والمعرفة ، جعلاها قدوة حسنة ، ومضربا للامثال بين الطلبة والطالبات .

نام جفن ابنتي نعيمى فأغفى وطواها الردى شبابا ولطفا

وانطوت صفحة الكتاب كأنا ما قرأنا الكتاب حرفا فحرفا

وخبت شعلة فساد ظلام ضاع قصدي به أماما وخلفا

واختفت بسمة تحوم بثغر حالم بالمنى كبيت مقفى

وغزا نور طرفها شبح المـ ـوت ، وريعت له فأغمض حتفا

ارعشته الرؤى فتمتم همسا وعصا نطقه : فاطبق خوفا !

وأرى ذلك اللسان الذي ما فاه الا بالحمد لله صرفا

ما اشتكى الدهر ؛ ماسعى بين قوم ما وشى ، ما هجا ، ولا رام خسفا

# شتاء

للشاعر عبد الكريم الطبال

الريح تجلدني بالآف السياط انا الذي امشي على ارض الوحل
معصوبة عيناي . في قدمي ثلوج . في شرايبي واعصابي شلل
اسري كاشباح الظلام . اتيه كالانهار في اعماق الجبل
في زحمة الامطار . في بلل العقور بلا رداء . كالشريد . بلا امل
في ضجة الاشجار . في موت الظلال . كما الكهوف المغلقات من الازل
ارض تميد اذا مشيت . وكل آفاقي تموت اذا انتهيت الى مطل
وبلا انتظار ان يموت الريح . فالدم ينتهي كالنور في شمس الطفل
كالموجة العذراء تشنقها الرمال . فليس يجديها انتظار او ملل
وبلا رجاء ان يحور الماء في قدمي الى دفء . فما نار بطل
وبلا خيال ان اطلسم كل ذاتي . فالسياط هي الطلاسم للتحمل
وبلا رفيق غير اسراب النمال تجوس في سفحي الى رأس الطلل
تقتات اغراسي . وتنحت في صخوري نجم تواه أفل
لكن انا المنفي انتظر انطفائي . ان اعود الى متاهات الازل

**شفشاون ــ عبد الكريم الطبال**

ما رجت غيره ولا شربت من     كاس لذاتها سوى الطعم صرفا
ولقد كان حسبها من دناها     اين يكون التحصيل حظا والفا

* * *

تلك روح أراحها الله ضاقت     بحياة تفيض ظلما وخسفا
واذا الحر سام ذلا على العيـ     ـش وعسفا أزرى به واستخفا
ومضت تنذب الفضائل فيها     لا يرى فيه للتعاسة طيفا
هكذا قصة النبوغ الذي فا     رق : واللطف والصفاء المصفى
وكذا أسدل الستار وفاضت     روحها أنقى ما تكون واصفى
ومضت تنذب الفضائل فيها     من جميل الخصال ما عز وصفا

* * *

وانطوت صفحة الكتاب كأنا     ما قرأنا الكتاب حرفا فحرفا
وخبت شعلة فسادَ ظلام     ضاع قصدي به أماما وخلفا
واختفت بسمة تحوم بثغر     حالم بالمنى كئيب مقفى
ومع الفجر ليلة القدر رفت     هدب جفن مل الحياة فأغفى
ولها الله في الذي حرمته     وجزاء الالاه أغنى وأوفى

**البيضاء : عبد الواحد السلمي**

يغرد يا طيب انشودة — من النغم السائغ المبتكر
فقلت هنيا ساجوب المدى — قرير الفؤاد ، قرير النظر
وشيطان شعري ما خطبه — أطل وما باله قد ظهر
وآلهة الشعر : ما بالهن — تراقصن من حول خطوي زمر
وافرغت ....
هذي ( ترابيتي ) — تموت ( وجسميتي ) تنصهر
وانساني الفكر ...
لم يبق لي — تخلصن مني رخاء وفر
ولما افقت على طلقة — ترن على ...
بلبل ينحدر
تصدع فى الاذن لحن يموت — وفى ناظري منقر ينكسر
وللت نفسي فى خيبة — اردده ...
\ يا للؤم البشر \

* * *

الى أين ؟ يا ضائعا فى الحياة — له منه فى كل يوم خبر
الى أين ؟ ...
ماتت الوهيتي — وذاب على السمع لحن الوتر
وافرغت نفسي من واقع — مرير واسلمتها للقدر
ونكرت وجها كواه الاسى — ونكرت نفسا عراها الكدر
واغمضت عيني عما ارى — كأني اصبحت
أعمى البصر
لماذا اعيش ؟؟
بكت فى دمي قصتي — وناحت بانسكموا وحدتي

**سوريا — حسين احمد حيدر**

---

1) متخم من حجر : اي قاسي قلبه كالحجر لا يلين .

# لماذا أعيش؟

[redacted]

قال (( انطـوان تشيخوف )) على لسان ذلـك الطالب البائس الذي وقف فى بستان الكرز محدثـا صديقته الباكية سونيا بقوله : (( ابتسمي يا سونيـا ابتسمـي ، فهنـاك عالـم افضـل سياتي الينا .. عالم يضحك فيه الناس حقا . ويحبون حقا ويـرون السماء الزرقاء كما نحب ان نراهـا .

— لمـــاذا أعيـــش ؟؟ —

بكـت فى دمـــي قصتـــي ونـاحت بأنسكمـوا وحدتـــي

* * *

شـددت خطـاي الـى الرابيـه هنـالـك تحـت الشجـــر
هنالـك لا خنجـر فى الفـــؤاد ولا عـالـــم يحتضـــر
هنـالـك لا جائـع فى الطـــر يـق ولا متخم ، مـن حجـر (1)
هنالـــك لا زقـوة لا رضيـــع يئـن وفى قلبـه نـاب شـــر

* * *

والقيت ظهري الى السنديـــان وفى خاطري الـف حلـم عبـر
واطلـق — انشـاده بلبـل — يفتـت فى مسمعـي الصـور

لعالم به ، الفارس : الحاذق بما بارس » (1) كأنما يحاول أيضاحها بهذه المدلولات .

وبارسي هو المنسوب الى بارس واصطلاحا الزردشتي المقيم بالهند . كما يطلق على الفارسية الجديدة عند الاطلاق العام ، وعلى احدى اللغات الفارسية 1 — الفارسية القديمة . 2 — الفارسية الوسطى . 3 — الفارسية الجديدة . عند التقييد (2) اتخذت « فارس » صورتها النهائية فى اوائل القرن العاشر قبل الميلاد ، فأطلقت من طرف اليونان على ايران كلها « Persia » مراعاة لاسم هؤلاء القوم ومن ثم عرفت هذه البلاد فى اللغات الاوربية بـ « Pers » او « Persia » كما عرفت عند العرب بهذا الاسم .

فلم يطلق هذا الاسم على ايران قبيل الاسلام بزمن يسير ولا كان العرب هم من اطلقوا هذا الاطلاق حيث يفهم ذلك من الاشارة الى أن الفرس هم الذين اطلقوا على العرب . طائي ، اذ أن العرب كانوا يعرفون بهذا الاسم « طائي » عند السريان (3) .

2 — **ايران** : عريقة فى القدم بشكلها هذا، فقد كان يطلق على الايرانين فى العصر الاخميني « Airya » ومن ذلك سميت البلاد بـ ايران نسبة الى هؤلاء القوم الآرانيين وهي فى اللغة الفهلوية « êrân » وقد كانت تعرف أيضا زمن الساسانيين « êrân chatr » — ايران شتر — ايران شهر — بلاد ايران .

وقد سميت مرة اخرى فى عهد الاسرة البهلوية الحاكمة اليوم بـ ايران بعد أن عرفت بـ فارس . فـ ايران كما راينا ليست جمعا لـ « ايـر » كما أنه لم يرد من الجمع فى الفارسية النسبة ، ولكنها اسم لحقته علامة النسبة فى آخره « ان » كما نلاحظ ذلك فى اسماء الاعياد الايرانية مهرجان منسوب بـ مهر آبان منسوب بـ آب = الماء ..الخ . وكثيرا ما يختلط على الغريب أمر الالف والنون فى الفارسية فهي تارة علامة جمع مرد : رجل ، مردان : رجال . واخرى علامة الصفة الفاعلية الحالية : هراسان : خائف ، وتارة اخرى تدل على النسبة كما هي فى ايران . وهي أيضا فى اللغة العربية علامة تثنية وهذا ما يزيد فى اضطراب الراي حولها ، وهو ما وقع لابن بطوطة حين زار ايران ، فقد ظن اسم مدينة « فيروزان » مثنى فيروز (4) .

فلفظ «ايران» منسوب الى الآريين لا الى ايرج واسم ايرج مشتق منه ، اصبح رمزا لايران فى الاسطورة التي تروي أن افريدون وزع ملكه على اولاده الثلاثة : تور ، سرم سلم ، وايرج) وكان ايرج وهو اصغرهم اكثر حظوة لدى والده فكان نصيبه العراق وفارس وكرمان والاهواز وجرجان وطبرستان الى حدود الشام ورغم أن كثيرا من الكتب المعتبرة تناقلتها مثل «غرر اخبار الفرس » للثعالبي (5) وشاهنامة الفردوسي وغيرهما ، فان القصة لا تعدو ان تكون اسطورة قديمة (6) وصلت الى الفرس من الهند اذ نجد اسطورة شبيهة لها فى تقسيم العالم على ابناء كولاخسابوس السكي الثلاث .

على أن ضعف هذه الاسطورة يظهر ايضا من أن ياقوت نسبها فى رواية اخرى الى طهمورت « الذي اقطع الدنيا لاكابر دولته فأقطع أولاد ايران بن سود ابن سام بن نوح عليه السلام وكانوا عشرة وهم خراسان وسبجستان وكرمان ومكران واصبهان وجيلان وسندان وجرجان وآذربيجان ودرمنان.. وهذا كله ايران شهر » .

3 — **المغرب** : ليست كلمة المغرب فى اللغة الفارسية من قبيل المشترك (7) بين المغرب والمشرق بل ان الكلمة التي لها هذه الدالة هي الكلمة المقابلة لها

---

1) معجم البلدان ج 4 ص 224 .
2) راجع مقالنا لغة الفرس بين الماضي والحاضر . دعوة الحق .
3) العرب قبل الاسلام جرجي زيدان ص 40 .
4) رحلة ابن بطوطة ص 199 بيروت 1960 .
5) غرر اخبار الفرس للثعالبي ص 41 — 45 — 52
6) انظر مقدمة عبد الوهاب عزام للترجمة العربيةللشاهنامة ص 73 ومتن الترجمة العربية للفتح البندراري ص 13 — التعليق .
7) اطلقت فى اللغة العربية على المشرق أيضا منباب التغليب فى قولهم « المغربين » يعني المشرق والمغرب كما اطلق « المشرق » على المغرب منباب التغليب ايضا فى قولهم « المشرقين »

# المغرب وفارس عبر التاريخ

للدكتور عبد اللطيف السعداني

ورد فى العدد الثاني لمجلة دعوة الحق (صفر 1386 — جوان 1966 مقال قيم للمحقق الزميل الاستاذ محمد بن تاويت بعنوان « المغرب وفارس عبر التاريخ » ص 64 — 69 . وقد سبق أن نشرت مقالا فى الموضوع فى مجلة البحث العلمي . العدد السابع السنة الثالثة رمضان 85 — 86 ابريل 1966 . غير اني اعجبت بلقطات فى مقال الاستاذ ابن تاويت اثارت فى الاهتمام فأحببت ان اعود اليه مشيرا اشارة خفيفة الى تصحيح بعض الحقائق التي جاءت فيه تتميما للفائدة شاكرا للاستاذ عنايته التي صرفها فى هذا الموضوع المهم .

1 — فارس بسكون الثالث ، فى الاصل بباء شددة « P » Pars عربت فقلبت باؤها فاء . ثم كسرت راؤها لصعوبة النطق العربي بالكلمة التي يجتمع فيها حرفين ساكنين .

وهي ناحية مشرقها كرمان وجنوبها البحر الاعظم وغربها نهر طاب الذي يمر بين فارس وخوزستان وجزءا من حدود اصفهان ، وشمالها صحراء فارس من جبل كرجس . عدد مدنها خمس واربعون مدينة . اهمها مدينة شيراز .

هكذا وصفها اقدم مصدر جغرافي فى اللغة الفارسية (1) .

لقد جاء هذا الاسم فى النقوش الاخمينية (250ق.م) « Pârsa » علما على قوم ايرانيين كانوا يقيمون جنوب ايران تسمية لهم باسم موطنهم . اما سبب اطلاق هذا الاسم على هذه الناحية ، ومن سمها به ، ومتى عرفت به ، فقد قيل فى ذلك :

1 — ان اول من بنى اصطخر (وهى من مدن فارس) اصطخر بن هممورت ملك فارس ، وسميت فارس بن هممورت واليه ينسب الفرس لانهم من ولده (2) .

2 — واكتفى البعض بالقول ان فارس اسم ابي هذا الجبل اعجمي معرب (3) .

3 — وقال ابو علي فى القصريات : فارس اسم البلد وليس اسم الرجل ولا ينصرف لانه غلب عليه التأنيث كنعمان ، وليس اصله بعربي بل هو فارس معرب أصله بارس (4) .

4 — وقيل هو بمعنى الاسد يوافقه الفارس بارس بمعنى الفهد (5) .

5 — وقد لفت ياقوت النظر فى هذا المقام الى مدلول هذه الكلمة فى العربية : من الفرس و « الفروسية والفراسة : ركوب الفرس ومن قولهم فارس بين الفراسة اذا كان جيد النظر ، انه لفارس بهذا الامر ،

---

1) تغيرت حدود هذه الناحية تبعا للتغيرات السياسية ولكن الناحية نفسها لم تتغير كما أن اسمها ظل كذلك . وهذا الوصف الذي سقناه هو ما كانت عليه فى القرون الاولى للهجرة .
2) معجم البلدان ج 1 ص 221 .
3) المعرب من كلام العجم للجواليقي صفحة 243 .
4) معجم البلدان ج 4 ص 226 .
5) الالفاظ الفارسية المعربة ص 118 .

10 — تنش — هي مدينة كبيرة على ساحل البحر عامرة وتكثر فيها النعمة والناس والثروة .

11 — جزيرة بني رغنى (1) — هي مدينة يحيط بها ماء البحر من جوانبها الثلاث وبالقرب منها بربر كثيرون .

12 — ناكور — مدينة تشبه تنس .

13 — تاهرت — مدينة عظيمة غنية جدا ولها ناحية منفصلة عن حكومة افريقية .

14 — سجلماسة — هي مدينة تقع قرب صحراء السودان وسط الرمال ، وفى هذه الرمال معدن الذهب، وهذه المدينة منفصلة عن سائر النواحي ، قليلة النعم، كثيرة الذهب .

15 — بصيرة — هي مدينة على ساحل البحر تقابل جبل طارق ، وهي كثيرة النعم .

16 — ازيلة — هي مدينة كبيرة ولها سور محكم جدا وهي آخر مدينة يوصل منها الى الاندلس .

17 — فاس — مدينة عظيمة مركز طنجة ومستقر الملوك وهي غنية جداً .

18 — سوس الاقصى — هي مدينة على شاطىء بحر الاقيانوس المغربي وهي آخر مدينة من عمارة العالم فى المغرب ، وهذه المدينة عظيمة ، يملك اهلها الذهب بلا حد . وهم غليظو الطبع . ويقل أن يطرقها الغريب . وتوجد فى اكثر نواحي البربر النمور التي يصيدها البربر ويأخذون جلودها الى المدن الاسلامية .

**الكلام على ناحية الاندلس ومدنها :**

هي ناحية شرقها حدود الروم وجنوبها خليج بحر الروم ومغربها بحر الاقيانوس المغربي وشمالها ناحية الروم ايضا . وهذه الناحية عامرة ويانعة وفيها الجبال والماء السلسبيل والثروة الكثيرة . وفيها معادن جميع الجواهر من فضة وذهب ونحاس ورصاص وما شابهها . وبناؤها كله بالحجر ، واهلها بيض البشرة زرق العيون .

1 — قرطبة — مركز الاندلس عامرة كثيرة السكان والنعمة والثروة واقرب الطرق منها الى البحر ثلاثة ايام . وهي قريبة من الجبل . ومستقر السلطان . كانت حكومتها بيد الامويين . ومساكنهم مبنية بالحجارة .

2 — طليطلة — هي مدينة تقع على الجبل . قريبة من الجبل والنهر يحيط بها نهر تاجة .

3 — تطيلة — هي مدينة تقع بالقرب من الجبل وفيها سمور كثير بلا حد . يأخذونه لمختلف الاماكن .

4 — لاردة — سرقص ، سنتمرية ، ريه، استجه جيان . موروذ ، قرمونه ، نبلـه غافق — مدن الاندلس اماكن كثيرة النعمة والعمارة وكثيرة التجار الروم والمغاربة والمصريين ، وفيها الثروة الكثيرة ، طقسها معتدل .

5 — باجه — مدينة قديمة فى الاندلس غنية .

6 — قورية — هي مدينة صغيرة قليلة السكان كثير الشراء .

7ماردة — اكبر مدينة فى الاندلس لها حصار وسور وخندق محكم .

8 — ترجالة — وادي الحجارة — هما مدينتان فى الاندلس باردتين ، وهما اقدم مكان فى هذه الناحية .

9 — طرطوشة — هي مدينة عامرة على ساحل بحر الروم وعلى حدود غلجسكش وافرنجة . فهي متصلة من الروم بناحيتين .

10 — بلنسية — مرسية — بجانه — هي مدن تقع على شاطىء خليج بحر الروم ، وهي كثيرة النعمة .

11 — مالقة — هي مدينة على شاطىء بحر الروم ، يوجد فيها جلد الضب الذي تجلد به مقابض السيوف بكثرة .

12 — الجزيرة — هي مدينة صغيرة على شاطىء خليج وفى هذه المدينة فتحت الاندلس فى بداية الاسلام .

13 — سدونه ، اشبيلية ، اخشنبة — هي مدن صغيرة تقع على شاطىء بحر الاقيانوس المغربي وهي اماكن قليلة النعمة قليلة السكان .

14 — شنترين — هي آخر مدينة من حدود الاندلس تقع على شاطىء بحر الاقيانوس ويوجد فيها العنبر الاشهب كثير الجودة وافر جدا .

---

1) فى نسخة اخرى « بنى رغنة » .

فى الفارسية « خاور » كما ورد فى بيت الشاهنامة :

« نخستين به سلم اندرون بنكريد
هم روم وخاور مراورا كزيد »

على ان الاصل فى ذلك ان تطلق « خاور » على المشرق و «باختر» على المغرب . وهو الكثير الشائع ، وقد يطلق الاثنان على المعنى الآخر بل ان « باختر » اطلقت فى لغة الابستاق على الشمال « apâxtara » كما وردت فى اللغة الفهلوية بهذا المعنى أيـ« apâxtar »

اما المراد بالاشارة الى المغرب فى اللغة الفارسية فقد كانت تعنى فى كثير من الاحيان المغرب الذي نعرفه ونسكنه(افريقياالشمالية) تدل على ذلك الاشارة المتكررة التي جاءت فى الشاهنامة تارة الى « مصر» وتارة الى « الاندلس » وتارة اخرى الى « المغرب » مما يفهم منه أن مفهوم « المغرب » كان واضحا فى ذلك العهد . كما أن الاشارات الى القيروان كثرت فى الشعر الفارسي بعد ذلك ، واتسع نطاق هذه المعرفة بوسعة الاتصال بين بلدان العالم الاسلامي حيث رحل الى ايران مغاربة اشهرهم ابن بطوطة الذي اطال المقام هناك ، كما عرفت الاوساط الفكرية والعلمية شخصيات مغربية اهمها شيخ العرفاء الشيخ الاكبر محيى الدين ابن العربي الذي لا يزال تأثيره مشهورا الى اليوم . ولم تقتصر الاشارة الى المغرب فى اللغة على هذا المعنى بل اشير اليه اشارات مختلفة فى تاريخ ايران وادبها قبل الاسلام وبعده . كما أن كلمة « المغرب » اكتست معاني كثيرة فى اللغة الفارسية ، واستعملها الفرس اصطلاحا عرفانيا استخرجوا منه اشارات كثيرة .

ويجدر بنا أن نذكر هنا ما جاء عن المغرب والاندلس فى كتاب من أهم المصادر الفارسية الادبية والجغرافية .

« حدود العالم من المشرق الى المغرب » فهو اقدم مصدر فارسي ذكر المغرب ومدنه بوضوح وتفصيل يقول :

« الكلام على ناحية المغرب ومدنه »

« هي ناحية شرقها مصر وجنوبها صحراء تنتهي بالسودان وغربها بحر الاقيانوس المغربي وشمالها بحر الروم » .

« تكثر فى هذه الناحية الصحارى وتقل الجبال جدا . اهاليها سود وسمر ، وفيها مناطق عديدة ، ومدن وقرى » .

« وفى صحرائها كثير من البربر لا يحصون . وهذا المكان حار ، ويوجد فيه الذهب بكثرة ، وفى رمال هذه الناحية معدن الذهب . واكثر تجارة اهلها الذهب » .

« 1 — طرابلس — هي أول مدينة من افريقية . وهي مدينة كبيرة ، وعامرة ، كثيرة السكان تقع على شاطىء بحر الروم . وهي مركز التجار والاندلس ، وكلما يصدر من بحر الروم يصل اليها » .

« 2 — مهدية — هي مدينة كبيرة تقع على شاطىء بحر الروم وتتصل بحدود القيروان ، بها النعمة الوافرة ، وفيها التجار من مختلف الاماكن .

3 — برقة — هى مدينة كبيرة تتصل أطرافها بحدود مصر . وهي غنية ويكثر فيها التجار ، ويقيم فيها الجيش الكثير .

4 — القيران — مدينة عظيمة ، وليست فى المغرب اية مدينة اكبر منها ولا اكثر عمارة وغنى . وهذه المدينة هي مركز المغرب .

5 — زويلة (1) — هي مدينة عظيمة تقع قرب صحراء السودان . وفى اطرافها وناحيتها بربر كثيرون. وهؤلاء البربر فى صحارى المغرب كالعرب فى البادية ، يملكون الحيوانات والذهب الكثير . ولكن العرب اكثر غنى بالحيوانات ، والبربر أكثر ثروة بالذهب .

6 — تونس — هي مدينة من المغرب تقع على ساحل البحر وهي أول مدينة تقابل الاندلس .

7 — فرسانه (2) — هي مدينة يانعة كثيرة النعم واهلها الفاء واغنياء . وهذه المدينة قريبة من القيروان .

8 — سطيف — هي مدينة كبيرة كثيرة السكان يكثر فيها الذهب وتقل النعمة .

9 — طبرقة — هي مدينة على ساحل بحر الروم ، وبالقرب من هذه المدينة على ساحل البحر معدن المرجان الكثير جدا . ولا يوجد مكان آخر (نثله) فى العالم كله . وفيها العقارب الكبيرة القاتلة » .

---

1) فى نسخة اخرى « زوبله »
2) فى نسخة اخرى « قلشان » .

تقرا « الفرس « Faras » » ويتضاعف هذا الاحتمال عندما نسوق الجملة التالية لما جاء فى روض القرطاس: « ثم ادار السور مع اغلان حتى وصل به شفير الوادي الكبير الفاصل بين العدوتين فصنع هناك بابا سماه باب الفصيل » فالفصيل قد تدفعني لان ارى فى الكلمة « فرسا » لا فرسا .

على اننا ان اصررنا على أن نحكم الروابط التاريخية بين المغرب وايران بواسطة اسماء المدن واخترنا « فاس » مثالا لذلك ، فلنقل عن طريق « الحدس » ان الف « فسا » وهذه اسم مدينة معروفة بمنطقة فارس فى ايران ، وهذا التأويل غير بعيد عما علل به صاحب روض القرطاس تسمية مدينة فاس ونضيف هنا مثالا آخر لمثل هذه الرابطة بواسطة المدن هو اسم « طنجة » فقد قيل عنه انه فارسي (1) .

اما البصرة التي توجد فى المغرب قرب سوس ومثيلتها فى العراق فقد نقل ياقوت فى السبب تسميتها خمس معان قبل أن يقول انها معربة « بسى راه » الطرق الكثيرة » وابعد هذا الاحتمال فى الاخيرة يقوله ان اسمها « الحربية » وتسمى ايضا البصيرة(2) .

7 — كلمات عامية — ان الكلمات الفارسية قد انتقلت الى المغرب عن طرق شتى لا تنحصر فى انها « لا تخلو من كونها اتتنا وقد عربت .. أو اتتنا وقد تركت » فقد حمل الفرس معهم الى الاندلس عندما جاءوها جميع مرافق حياتهم ومن جملتها اللغة ثم سرت الى المغرب عن طريق اهل الاندلس المهاجرين اليه . كما عرفت اللهجة المغربية هذه الكلمات عن طريق من رحل الى الشرق وبالخصوص العراق وايران من رجال المغرب سائحا فى طريق حجه أو مغامرا يطلب نادر الاخبار ويرجو المعالي أو عارفا يبحث عن الحقيقة . نعرف من بين هؤلاء ابو عثمان المغربي الذي زار ايران فى القرن الثالث الهجري وابو هارون الاغماتي الذي زارها فى القرن الخامس الهجري وابن بطوطة ومحمد المغربي الافريقي المعروف بالمتيم . بل وصلتنا هذه الكلمات الفارسية عن طريق اللغات الاوربية مثل كلمة (Missa) من الاسبانية التي هي فى الفارسية « ميز : طاولة » وقد استخرجنا منها فعل امر « ميزي » اي ضع على الطاولة مقدارا للعب القمار ومثل « Babouche, Bazar » من الفرنسية اللتين اصلهما الفارسي « بازار » سوق وبابوش « حذاء » . اما الامثلة على الكلمات الفارسية فى اللهجة المغربية فكثيرة . وقد عد الاستاذ « الخنجر والطرة » منها . والصحيح انهما عربيتين . اما « شوربا » نشان وطربوش وكمنجة وبهلوان » فلم تصل الى اللغة العربية عن طريق التركية ، بل دخلت العربية بلا واسطة . فاننا نجد مثلا أن « شوربا » معربة بشكل « شورباج » والصيغة التركية لهذه الكلمة هي « Tchourbâ »

**فاس : الدكتور عبد اللطيف السعداني**

---

1) المعرب للجواليقي ص 223 .
2) معجم البلدان ج 1 ص 430 .

ولا يوجد فى حدود المغرب اي مكان آخر (1) .

4 — البربر — ورد فى الشاهنامة ذكر « البربر » و « بربرستان » : المنطقة البربرية . اشارة الى احدى قبائل السودان (2) تارة والى بربر شمال افريقيا تارة اخرى . والذي تجدر الاشارة اليه هنا هو ان اسم البربر يتردد فى ايران . اذ نجد فى احدى نواحيها قبيلة معروفة بهذا الاسم ، كما يعرف نوع جيد من الخبز بـ « نان بربري : الخبز البربري . ويعلق أحد المعاجم على هذه الكلمة بأنها اعجمية من دون ان يوضح مصدرها (3) . وقد جاء فى وصف ياقوت لانواع الحيوانات الموجودة فى هذه المنطقة الير (4) والير فى اللغة الفارسية هو النمر وعربت الكلمة بمعنى السبع وجمعت على « ببور » وهذه ايضا اسم قرية من اعمال تونس . ولعل لهذا التشابه اللفظي بين الكلمتين ومعناهما وجه من التقارب !

اما ان يكون البربر بمعنى « برابر » الفارسية فهذا تكلف لا مبرر له ولا دليل يدفع للقول به لو كان قول الشعراء .

5 — القيروان — لقد عرفت هذه الكلمة فى اللغة العربية معربة بهذا اللفظ . قبل أن تؤخذ لتسمية المدينة التونسية « القيروان » قال ابن قتيبة : والقيروان اصله بالفارسية « كاروان » « caravanne » معرب قال امرؤ القيس :

وغارة ذات قيروان ✻ كأن اسرابها الرعال

وهي القافلة . ووردت ايضا فى حديث مجاهد : « يغدو الشيطان بقيروانه الى السوق » بل انهم قد تصرفوا فى معناها فقيل القيروان لمعظم الجيش ولـ جماعة من الخيل .

لذلك لا يمكن نفي احتمال تسمية العرب مدينة القيروان بهذا الاسم عندما نزلوا بها اذ لولا ذلك لوجب ان يكون اسمها « caravannage » على أصلها الفارسي لا « قيروان » المعربة .

6 — فاس — ذكر الاستاذ ان جماعة من الفرس نزحوا الى فاس فى عهد المولى ادريس فانزلهم بمكان يعرف بعين علون بل اثبت أن اسم المدينة هو « فارس » فى أصله وان احد ابوابها كان يسمى « باب الفرس » (5) واعتمد فى ذلك كله على ما جاء فى كتاب «روض القرطاس» اما ان يكون الفرس قد وصلوا فاس فلا يستبعد غير انه لا دليل يثبت وجوده وعبارة صاحب « روض القرطاس » لا تفيد ذلك : « ووفد عليه ( المولى ادريس ) فى تلك الايام جماعة من الناس من بلادالعراق فانزلهمناحية عين علون» واما اسمفاس فقد ذكر ابن ابي زرع فى تسميتها خمسة اقوال والقول الذيصححه هو ان المولى ادريس سماها باسم المدينة التي كانت قبلها فى موضعها قبل الاسلام وهي «ساف» فقلبت منه « فاس » (6) . واما « باب الفرس » فقد جعلها الاستاذ فى كتابه « الادب المغربي » تخليدا لوجودهم القوي الذي كان بتلك العاصمة » (7) وجعلها فى مقاله « ذلك ان جدارا من اسوارها سقط على بعضهم فخلدت ذكرى هذه المأساة تسمية احد ابواب المدينة بهم » (8) فلم يقطع بأي السببين دعى لهذا الاسم !؟ على أن صاحب روض القرطاس انما ذكر السبب الثاني وحده ، عند عرض الاقوال التي نقلها فى سبب تسمية فاس لا فى تسمية احد ابوابها (انظر ص 62) لهذا فان ما اشار اليه الاستاذ فى كتابه غير موجود فى المصدر الذي اعتمد عليه كما انه استدل بدليل فى غير محله .

ولنعد الى عبارة ابن أبي زرع لننظر فى الامر : « .. ثم هبط بالسور الى أول اغلان فصنع هنالك بابا سماه باب الفرس (9) فالعبارة صريحة ولكن كلمة « الفرس » يمكن ان تقرأ باشكال مختلفة واذا اختار الاستاذ لقراءتها « الفرس » « Fors » فاقترح ان

1) حدود العالم من المشرق الى المغرب صفحة 177 ، 183 طهران 1962 .
2) المعرب للجواليقي ص 76 — البربر مدينة فى السودان الواقع على ساحل النيل .
3) المعرب للجواليقي ص 76 .
4) معجم البلدان ج 1 صفحة 369 — 370 .
5) انظر ايضا الادب المغربي محمد بن تاويت ومحمدالصادق عفيفي ص 114 .
6) الانيس المطرب بروض القرطاس فى اخبار ملوكالمغرب وتاريخ مدينة فاس ص 26 —
7) الادب المغربي محمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي ص 114 .
8) دعوة الحق العدد الثاني السنة التاسعة ص 68
9) روض القرطاس ص 21 .

421 ) فى ع نى من هذه الصفحة ترجمة الكتاب احمد الغزال جاء فيها امين سر المخزن فى المغرب ، يعني ما سمى الان بكاتب الدولة او الكاتب العام للحكومة ، وهو حقيقة كان رئيس ديوان الانشاء اي رئيس الكتاب فى حكومة السلطان سيدي محمد بن عبد الله ولكنه لا يسمى امين سر المخزن ، وذكرت الترجمة رحلة الغزال المسماة نتيجة الاجتهاد فى المهادنة والجهاد وقالت مخطوط فى باريز ومع انه يوجد فى غير باريز كثيرا فقد طبع فى منشورات معهد الابحاث بتطوان من سنوات بتحقيق الاستاذ الفريد البستاني .

422 ) فى ص 371 ، ع ل ترجمة للاديب علي ابن عبد الله البهائي الغزولي الدمشقي صاحب كتاب « مطالع البدور فى منازل السرور » قال فيها اصله من البربر ، والذي عند غيره انه تركي الاصل ولعله اشتبه بالجزولي الذي يذكر بعده .

423 ) وفى المكان نفسه ترجمة لابن موسى الجزولي النحوي المشهور جعله الغزولي بالغين ولذلك ذكره فى حرفها وكان حقه ان يذكر فى حرف الجيم ، وقال فى حقه المراكشي البربري وهذا صحيح ، وبما انه ترجم الجزولي التي هي بجيم معقودة بالغزولي بالغين وكان هذا بربري الاصل فقد ظن البهائي الغزولي المذكور قبله بربريا مثله ، ثم قال فى ترجمة الجزولي تعلم على ابن البري بالالف واللام وهو ابن بري فقط بدون تعريف ، وزاد قائلا : له المقدمة الغزولية فى النحو مخطوط فى فاس ، وهي الجزولية بالجيم وتسمى ايضا الكراسة والقانون وتوجد مخطوطة فى فاس وفى غيرها من مكتبات الشرق والغرب ، وتنظر ترجمة الجزولي فى ابن خلكان وقد خصصناه بحلقة من ذكريات مشاهير رجال المغرب حللنا فيها مقدمته هذه وتوسعنا فى ترجمته بما بلغه الوسع .

424 ) وفيه ايضا تعريف بقبيلة غسان جاء اثناءه ذكر الملك الغساني الحارث بن جبلة بفتح الجيم والباء ولكنه ضبطه بسكون الباء فوجب التنبيه على ضبطه الصحيح ، وقد سلف له ذكر جبلة بن الايهم بهذا الضبط ايضا .

425 ) فى ع نى من نفس الصفحة بعنوان بنو غطفان قال : اسم قبيلتي جزام وقيس عيلان ومع ما فى نسبة هاتين القبيلتين الى قيس عيلان من مقال ، فان جذام بالذال المعجمة لا بالزاي كما ذكرها هو .

426 ) فى ص 372 ، ع نى تعريف بمدينة قالمة الجزائرية سماها غلمة بغين مضمومة وذلك من خطأ ترجمة اسمها عن الفرانسية الذي يكتب هكذا (GUELMA) حسب نطق اهلها الا انها فى الكتب العربية انما تكتب قالمة بقاف بعدها الف فلام مكسورة وينسب اليها الكاتب الاديب ابو القاسم القالمي من كتاب دولة الموحدين .

427 ) فى ص 373 ، ع نى تعريف بقبيلة غنى ابن اعصر كتب اسم جدها اعصر بواو بعد الصاد وهو خطأ .

428 ) فى ص 374 ، ع نى تحت اسم الغوطيون بالغين كلام على القوط والفن القوطي وقد عرب فى كل ذلك اسم هذا الشعب بالغين بدل القاف الذي درج عليه الكتاب والمؤرخون العرب ، فهو ليس كالبرتغال والمغول مثلا من الاسماءالتي عرب فيها الاسم ذو الجيم المعقودة بالغين .

**طنجة : عبد الله كنون**

* * *

# نظرة في منجد الآداب والعلوم

للأستاذ عبد الله كنون

## (15)

**حـرف الغيـن :**

415 ) في ص 365 ، ع ل ترجمة للعلامة ابن غازي قال فيها : « واعظ في جامع القرويين له بغية الطلاب في شرح منية الحساب » وابن غازي لم يكن واعظا فحسب بل كان عالما كبيرا ومدرسا ومؤلفا ناهزت كتبه العشرين وقد الف في الفقه والحديث والعربية والقراءات والتراجم والتاريخ وغير ذلك وعلى الاجمال فهو شيخ الجماعة في عصره ببلاد المغرب قاطبة .

416 ) في ع ني من هذه الصفحة وصدر محولها ترجمة لذي الوزارتين ابي عبد الله محمد بن ابي الخصال عنون لها بالفافقي ، يكن هذا العنوان ( ابو عبد الله ) بين قوسين وقال ولد في برغليط شاقورة ، وصواب الكلمتين فرغليط بالفاء وهي قرية من قرى شفورة بدون الف بعد الشين ، ثم قال بعد اوصاف له وذكر وفاته في ثورة المرابطين: له«ظل الاصحاب» في آل البيت النبوي ، وانا لم اعرف ان هذا الشخص هو ابن ابي الخصال الا بقوله مات في ثورة المرابطين ، والحقيقة انها ثورة الموحدين على المرابطين ، والا فهو غير معروف بالفافقي ابن محمد ، ثم زدت تأكدا انه المراد من الكتاب الذي نسبه له وان كان قد حرف اسمه وهو ظل الغمامة وطوق الحمامة في مناقب بعض صحابة الرسول (ص) فانظر كيف جعله ظل الاصحاب وجعل موضوعه مناقب آل البيت ، ولابن ابي الخصال ايضا « معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب » في نسبه (ص) ومناقب من اتصل به من الصحابة (ض) ، وعلى كل حال فابن ابي الخصال الذي قيل ان وصف كاتب لم يطلق في الاندلس على امثل منه هو اشهر من ان يعرف ولكن اذا ترجم له بالفافقي ابي محمد فان الذين يعرفونه حينئذ قليلون جدا ، وان كان غافقي النسب ، وكنيته ابو محمد .

417 ) في ص 366 ع ني ترجمة لعبد السلام بن غانم المقدسي المؤلف المعروف صاحب كتاب كشف الاسرار عن حكم الطيور والازهار ، وغيره من المؤلفات الوعظية والادبية ، سماه فيها محمد بن غانم وهو عبد السلام كما ذكرنا ، ثم انه ضبط نسبه المقدسي بضم الميم وفتح القاف وتشديد الدال مع كسرها وهو بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال مخففا نسبة الى بيت المقدس كما لا يخفى ، وفي العمود شخص آخر بهذه النسبة ضبطه بنفس الضبط وصوابه كهذا .

418 ) في ص 367 ، ع ني ، بعنوان « غرار الاحكام » بكسر الغين كتاب في فروع الحنفية لملا خسرو صواب اسمه غرر الاحكام بضم اوله وفتح ثانية جمع غرة .

419 ) في ص 369 صور من غرناطة كتب على احداها : جن الريف ، وهو يعني ولا شك جنة العريف وقد كنا نبهنا على ذلك في حرف الجيم ، وكتب على اخرى : رواق معمد في الحمراء ، ومراده ذو اعمدة والكلمة ان صحت فانها تشتبه بما عمد اى اجريت عليه عملية المعمودية المعروفة عند المسيحيين فلا يصح اطلاقها هنا .

420) في ص 370، ع ل تحت اسم غريغوريوس اشارة الى التقويم السنوي المنسوب الى البابا غريغوريوس الثالث عشر مع التعبير عنه بالكلندر وتعريبه بالحساب ، والصواب في تعريبه التقويم كما هو جار على الالسنة والاقلام .

فقلنا هل رايت الماء فيه
فقال نعم .! ولكن فى المنام ..!

### 23 — تلقى الركبان ...!

فى مخطوطة كتاب « مطلع اليمن والاقبال »
« ومن ذلك قول شيخنا القاضي ابى بكر بن شبرين.. اروبها عنه بالاجازة العامة ..

علق الفؤاد باهيف فتان
لا ينثني ابدا عن الهجران
فى كل يوم عروبة اغدو الى
مرج ارقاد اراه فى الفرسان
والفقه من شاني ولكني امرؤ
فيه ابيح تلقي الركبان

### 24 — ليتني ..! وليتها ..!

لما شاهد المعتمد ابن عباد جبال الاطلس وهو فى طريقه الى اغمات انشد :

هذه جبال درن
كم بها من درن
ليتني لم ارها
وليتها لم ترني

### 25 — النضار فى المسلاة عن نضار ..!

ترجم الحافظ ابن حجر فى الدرر الكامنة ج 4 ص 395 لنضار بنت الامام ابي حيان النحوي .. وقال انها توفيت سنة 730 هـ فحزن والدها عليها وجمع فى ذلك جزء سماه :

« النضار فى المسلاة عن نضار »

### 26 — ممزوجة بدماء ..!

شاهد المعتمد ابن عباد فى منفاه باغمات خروج الناس لصلاة الاستسقاء من اجل انحباس المطر فانشد :

خرجوا ليستسقوا فقلت لهم
دمعي ينوب لكم عن الانواء
قالوا : حقيق فى دموعك مقنع
لكنها ممزوجة بدماء ..

### 27 — لتاله ...!

فى المطرب لابن دحية الكلبي فى ترجمة الشاعر ابن وهبون ... انه دخل على المعتمد وهو ينشد هذا البيت لابي الطيب المتنبي ويردده ...

( اذا ظفرت منك العيون بنظرة
اثاب بها معي المطي ورازمه )

فقال ابن وهبون بديها :

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما
تجيد العطايا واللهى تفتح اللها
تنبأ عجبا بالقريض ولو درى
بانك تروي شعره لتالها

### 28 — سمينة ..!

فى كتاب الاستبصار فى عجائب الامصار لمؤلف مجهول عاش ايام المنصور الموحدي .. ص 216 عند ذكر مدينة : « اودغست » بالسودان ..

« اخبرني ثقة من التجار : انه راى بمدينة اودغست امراة راقدة على جنبها وكذلك يفعلن فى اكثر احوالهن اشفاقا من الجلوس على اردافهن . وراى ابنا لها طفلا يلعب حواليها . وهو يدخل تحت خصرها . ويخرج من الجهة الاخرى من غير ان تتجافى له وذلك لعظم ردفها ودقة خصرها ...! »

### 30 — يطير شاربه الف ميل ...!!

وفى الاستبصار ايضا ص 138 عند ذكر مدينة طنجة :

« وبخارجها ماء طيب يسمونه : برقال ..! وفيه يقول الشاعر :

بطنجة عين ماء وسط رمل
لذيذ ماؤه كالسلسبيل
خفيف وزنه عذب ولكن
يطير شاربه الف ميل ..!

### 31 دخلنا ونحن ابناء سام ..
### وخرجنا ونحن ابناء حام

فى جذوة الاقتباس ص 116 فى ترجمة خالد بن عيسى البلوي ... ومن انشادات عمرو بن المرابط يذم حمام ( توزر ) :

ان حمامنا الذي نحن فيه
هو فى حاجة الى الحمام
فدخلنا ونحن ابناء سام
وخرجنا ونحن ابناء حام ...!

# الحلقات

للأستاذ عبد القادر زمامة

(2)

**18 — اخفض جناحك يا موسى من الرهب ..!**

وجدت بخط العلامة محمد بن يزيد ابن جامع النالي الاصل الفاسي الدار هذه الابيات :

انظر الى دمه فى الطاس كيف جرى
نوع من الراح فى كاس من الذهب
حتى اذا غربت يداه فى كفه
كالشمس غابت عن الابصار فى الحجب
تبت يدا كتبت من فوق وجنته
حمالة الورد لا حمالة الحطب
انظر كما قال فى التنزيل خالقنا
اخفض جناحك يا موسى من الرهب

**19 — يعارض التوابع والزوابع لابن شهيد..!**

فى الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر ج 2 ص 22 ترجمة للحسن بن علي الملقب ببدر الدين الفزي ذكر فيها ان له رسالة سماها : قريض القرين . تشتمل على نظم ونثر عارض بها ابن شهيد فى رسالة التوابع والزوابع ..!

**20 — سبب انتساب الشيخ خليل الى المذهب المالكي ... !**

وفيها ايضا ج 2 ص 89 ترجمة للشيخ خليل صاحب المختصر الفقهي الشهير .. ذكر فيها ان والد الشيخ خليل كان حنفيا ... فلما لازم الشيخ ابا عبد الله ابن الحاج المغربي الفاسي صاحب كتاب ( المدخل ) اعتقده ومن اجل ذلك اشتغل ولده بالمذهب المالكي حتى اصبح من اقطابه ..!

**21 — ويحسب ما فوق التراب ترابا**

وجدت بخط الشيخ ابي حامد الفاسي صاحب المرآة هذه الابيات :

وظمآن حران الجوانح من اسى
يساق الى الورد الزلال فيأبى
ينكب عن عذب الفرات لانه
يرى كل ما دون الرضاب سرابا
واي بلاد غير فاس تروقه
وقد شب فى احضان فاس وشابا
يرى كل ترب دون تربتها قذى
ويحسب ما فوق التراب ترابا

**22 — ولكن فى المنام ..!**

فى درة الحجال لابن القاضي ج 1 ص69 فى ترجمة احمد بن قاسم من اهل المرية المتوفى سنة 749 انه قال فى هجو حمام ...

وحمام عدمنا الماء فيه
وابكانا به لذع الهوام
فلولا الدمع لم يبتل جسمي
ولولا الشمس لم تدفأ عظامي
وجدنا فيه شيخا لوذعيا
كبير السن منحني السنام

ومن الملح فى تاخير الصلاة ان الفقيه ابا عبد الله ابن سودة قاضي مدينة فاس . كــان يوم بجامــع القرويين . وكان يؤخر صلاة الصبح تاخيرا مفرطــا . فحدثني بعض الاصحاب قال : لقيت صبيا من اهــل فاس اذ ذاك فسألته عن صلاة الصبح بالقرويين . هل ادركها . .؟ فقال : والله لا نمشي لها الا بالمظلة . .!!

« يعني اننا نجعل المظلة اتقاء حرارة الشمــس وهذا من المبالغات » .

**40 — البواب ينصح الامام ابن غازي**

فى درة الحجال لابن القاضي فى ترجمة محمد بن يوسف الترغي « وحدثني أن ابن غازي لما نفاه محمدبن ابي زكرياء الوطاسي . . الملقب بالحلو . عن مكناسة . . لقيه بواب مكناسة وهو خارج منها قاصدا المشرق . .! فقال له البواب يوصيه : يا محمد عليك بالقراءة . . .! فمن بركتها بلغت هذا « المنصــب » . .! وهــذه « الخطة » . .! يعني « خطة » الجلــوس لحراســة الابواب . . .!!

**فــاس : عبد القادر زمامة**

## 32 ـــ تركنا لقوم آخرينـــا ...

في ترجمة موسى بن يوسف ملك تلمسان من بني زيان الذي فر منها الى الصحـراء امام ابي فارس عبد العزيز المريني .. انه كتب على حائط قصره بخـط يمينه هذه الابيات ... من درة الحجال لابن القاضي جزء 2 ص 317 ومن روضة النسرين ص 36 .

سكناهـا ليالـي آمنينـا
وايامـا تسـر الناظرينـا

بناها جدنا القـرم المفـدى
وكنا نحن بعـض الوارثينـا

فلما ان جلانا الدهـر عنهـا
تركناها لقـوم آخرينـا ..!

## 33 ـــ ( مبيتة ) بـ ( الزمزمين )

في درة الحجال ج 2 ص 443 في ترجمة علـى القبائلي « اتفق من قضاء الله وقدره انه صنع لاصحابه ( مبيتة ) واتى فيها بـ ( الزمزمين ) !!! واصحـاب الطرب فكان المغني لا يجري على لسانـه الا قولـه :

وساعدتك الليالي فاغتـررت بهـا
وعند صفو الليالي يحدث الكـدر

وكانت الليلة المذكورة ليلة عشر من شوال فقبـض عليه في صبيحتها ثم قتل » .

## 34 ـــ تشبيه غريب ...!

في ترجمة الشاعر مالك بن المرحـل مـن درة الحجال ج 2 ص 324 في مدينة سبتة :

اخطر على سبتة وانظـر الـى
جمالها تصبـو الـى حسنـه

كـانهـا عـود غنـاء وقـد
القـي في البحـر على بطنـه ..!

## 35 ـــ كانني ارضة ..!

في ترجمة عثمان بن سعيد التينملي مـن درة الحجال ج 2 ص 419 .

يا اهل مصـر رايـت ايديكـم
عن بسطهـا بالنـوال منقبضـة

فمـذ عدمـت الغـذاء عندكـم
اكلـت كتبـي كانـي ارضـة

## 36 ـــ لا تمته على الشهادة ..!

في مخطوطة ( مطلع اليمن والاقبال ) لابن جزي من توقيعات السلطان ابي عبد الله ابـن الاحمـر .. في شخص الح في طلب خطة « الشهادة » .

يموت على ( الشهادة وهـو حـي
الهـي لا تمتـه علـى الشهـادة

## 37 ـــ كتاب « سنا المهتدي »

وجدت ابياتا للفقيه العلامة مـولاي احمد بـن المامون البلغيثي رحمه الله كان قد كتبها بطرة كتاب « سنا المهتدي . في مناقب الوزير اليحمدي » لمؤلفـه علي بن احمد بن قاسم المعروف بمصباح الزرويلي :

بعثته وبعثت القلب في اثـره
انعم به من كتاب طبت من سمره
يا حبذا ما به من كل نـادرة
تغنيك عن نغمة الشادي وعن وتره
كانما كتب الآداب اجمعهـا
قد جمعت عنده في منتقى خبره

## 38 ـــ يدرس فرعي ابن الحاجـب ويهتز للطرب ..!!

في فهرسة ابي العباس احمد المنجور : عند ذكـر الشيخ عبد الواحد الونشريشي :

« ومن رقته وذكائه انه كان يدرس يوما فرعي ابن الحاجب بالمسجد المعلق برحبة الزبيب فاجتازت من هنالك « عمارية » مصحوبة بطرب من الزمارة المسماة « الغيطة » والاطبال والبواقات ... فاخرج راسه من الطاق واصغى الى ذلك ..!! » ثم مازح طلبته بهـذه المناسبة ...

## 39 ـــ لا تمشي لها الا بالمظلة ..!

في المحاضرات لابي علي اليوسي :

بصفتها احدى صلات الوصل المهمة بين الشرق الاسيوي ونصف الكرة الغربي في الطرف الاخر من المحيط الهادي، ومن هنا تستمد اهميتها المتزايدة على الصعيد السياسي والفكري، ومن هنا ايضا منشأ هذه التيارات الدولية المعقدة التي تتصارع حولها في شكل سافر احيانا، ثم في اشكال اخرى اقل سفورا، بل واوغل احيانا في الغموض والاسطورية الى درجة بعيدة، غير ان امكانياتها الذاتية في مضمار السياسة، وشخصيتها القوية في مجال الثقافة والفكر، كل ذلك يكسبها في الغالب صلابة ملحوظة امام جميع التيارات المتدافعة في المنطقة الشرقية الاسيوية، ومناعة تحول بينها وبين ان تتحلل في بوتقة التفاعلات السياسية التي يعرفها الشرق الاقصى منذ عشرين سنة، وعلى اي حال فان الذي لا بد من تاكيده بهذا الشان ان الحقيقة السياسية والاقتصادية لاندونيسيا، ليست هي الحقيقة الاندونيسية كاملة، فخطأ كبير ان يحاول المرء تبين الصورة المتكاملة للارخبيل الاندونيسي منذ خلال المرآة السياسية والاقتصادية فحسب، فالجوانب الفكرية والثقافية لها شان كبير في فهم التطور الاندونيسي في الماضي، وادراك بعض الافاق التي تظهر منها ملامح هذا التطور في المستقبل، وفكر امة وثقافتها، هو ادل على شخصيتها، ومعنى وجودها الانساني من اي شيء يتصل بحياة هذه الامة من جوانبها المادية اليومية، بل ان الحياة المادية اليومية نفسها تخضع في اعتبارات عدة، لنوع الثقافة التي تسود المجتمع، والافكار التي تكيف عقليته وتدمغ وجهته الحضارية، وقد تفاعلت العقلية الثقافية الاندونيسية في الماضي مع جملة من تيارات الثقافة والوان الفكر والحضارة تواردت على جزر الارخبيل خلال العشرين قرنا الماضية، ولم يكن لهذا التفاعل ان يقع دون ان يخلف اثارا عميقة في المزاج الثقافي الايندوسي، ويطبع تاريخ الفكر والثقافة في الارخبيل بطابع خاص تتراءى من خلاله ملامح عربية وهندية وجاوية وغيرها، ثم ان التيارات الحديثة: تيارات التطوير والتجديد، التي تجد سبيلها الى الفكر الاندونيسي الحديث، كما تجد سبلا عديدة الى مختلف البيئات الثقافية والفكرية في عالمنا المعاصر، هذه التيارات تربط اسبابا بين الفكر التقليدي المحلي والافكار الاوربية المتجددة. ولكن المهم فيها كذلك انها تتجه لتحدث نوعا من التلاقي والتفاعل الثقافي بين هذا القطر الشرقي النائي وبين الاقطار النامية الاخرى في اسيا وغيرها. كل هذا يبرر الاهمية التي تكتسبها حركة الفكر في تلك البلاد، وان كانت نظرة عجلى كهذه، لا تكفي لتصوير هذه الحركة تصويرا يستوعب مختلف التطورات الواقعة، والمفاهيم المستجدة، والاثار الكثيرة الناتجة عن ذلك. والملحوظ بهذا الشان ان التبلورات الثقافية والفكرية الواقعة في الارخبيل الايندونيسي، لا تنحصر فقط في نطاق المفهوم الدنيوي لحركة الثقافة وما يتولد عنها من اداب موضوعة وفنون مستجدة، واساليب شتى تتعلق بالسياسة وغيرها. ان الفكر الايندونيسي انفعل كذلك طويلا وينفعل الان بمفهوم ديني للثقافة، له قابلية التعاطي مع النهضات الدينية في مختلف انحاء العالم الاسلامي. وقد كان للتفكير الديني في الارخبيل، تاثير جوهري في انبعاثه السياسي والفكري الحديث، ولا شك انه لا يزال للتفكير الديني هناك امكانيات متزايدة تناط بها امال لا من اجل الاحتفاظ للاسلام الايندونيسي بفتوته ونشاطه بل كذلك من اجل توفير القدرة له ليضطلع بدوره في ارشاد الكتل الوثنية الكثيرة بالشرق الاقصى التي لها قابلية التفتح على الاسلام اذا وجدت من يقودها اليه

* * *

تيارات خارجية ثلاثة تواردت على اندونيسيا خلال العصور، وساهمت ـ على درجات مختلفة ـ في تلقيح الطاقة الفكرية الاندونيسية، وربط الصلة الحضارية بين اندونيسيا والعالم الخارجي.

اولى هذه التيارات: هو التيار الهندي. وثانيهما التيار العربي الاسلامي ثم التيار الاوربي الحديث.

1) وترجع الاتصالات الاندونيسية ـ الهندية الى زمن مبكر بعض الشيء، كان ذلك تقريبا في القرن الاول للميلاد. وقد كانت الهند وقتها من مراكز الاشعاع الثقافي والحضاري بالشرق الاقصى والقارة الاسيوية.

ويعتقد ـ بموجب البحث التاريخي ـ ان الاتصالات الهندية ـ الاندونيسية كانت تتم عن طريق الهجرة من الهند الى اندونيسيا بصورة اخص، وقد انتقلت على

# نظـرة حول الأحوال الثقـافية باندونيـسـيا

[redacted]

**يشكـل الارخبيل الانيدونيسي عالما قائما بذاته متراميا على مسافات شاسعة في المحيط اقصى القارة الآسيوية ، ويعيش ضمن هـذا العالـم الرحب ، عشرات الملايين من الناس ، تسودهم لغـات متنوعة ، وقد تسربت الـى محيطهم الفكري في القديم ، تيارات ثقافية ، واردة من وسط آسيـا ، كالهند ومن غربهـا كالبـلاد العربية ، ان الاهتمام الايندونيسي الحاضر في ميدان الفكر ، ينصب علـى تطويـر لغة قومية موحدة في الارخبيل الى جانب اللغات المحلية الاخرى ، وتظهر من خـلال ذلك كله نزعات ادبيـة متجددة تضفـي على الادب الايندونيسـي ملامح خصب وغنى ـ ما هي آفاق هذا التطور الادبي واللغوي في الارخبيل ؟ والى أي مدى يسير ؟**

استاثرت ايندونيسيا باهتمام العالـم كثيرا خـلال الشهور الماضية ، وذلك اثر التطورات السياسية التـي كانت مسرحا لها ، والتي نشأت عنها ءاثـار دوليـة في منطقة جنوب شرقي آسيا ، وقبل ذلك التفتـت الانظـار كذلك كثيرا الى ايندونيسيـا في صراعهـا من اجـل « ايريان » ثم عند انسحابها من الامم المتحدة ، حيـث خيف حينئذ ان يشكل ذلك سابقة بعيدة المدى يكـون لها ما بعدها من تاثير على مستقبـل المنظمـة الامية ، واوغل من ذلك في حساب الزمن سنـة 1954 حينمـا احتضنت ايندونيسيا مؤتمر «باندونغ» وتسمرت حولها الاعين في العالم تراقب عن كثب هذا التجمع الشرقـي الكبير ، وبالطبع ، فقد اصبح الارخبيل ءانئذ معرضا لكل تيارات الراي والفكر الافريقية الاسيوية ، و « عكاظا » سياسيا يقل امثاله ، اذا حاولنا ان نقارنه بامثاله . وفي خلال هذا ، وقبله ، وبعده ، فان كل واحد ممن يتتبع النشاط الايندونيسي يعنيه من امر هذه البلاد ما يتفق مع ميوله وموقفه ، فهناك من يعنيه من امر ايندونيسيـا الا تصبح قوة ثقل في المعسكر المضاد له ، وهناك من يهمه من امرها ان تبقى عامل توازن دولي بالتزامها للموقف الذي عليه الكثير من اقطار العالم الثالث : اي موقف محاربة التدخل الاجنبي وايثار مبدأ التعاون الدولي غير المقيد ، وهناك من يرى في ذلك العالم السابح في المحيط ، عبارة عن قوة فكرية وسياسية اسلامية ، لها من الوزن ماديا ومعنويا ، ما تستطيع ان تبرز بـه الوجـود الاسلامي في المنظمة الاسيويـة ، وتوفر لـه ممكنـات مختلفة ، تتعلق بحاضره ومستقبله ، ان ايندونيسيا مـن هذه الناحية الاخيرة تاخذ باهتمام الكثيرين في العالم الاسلامي . وليس ذلـك راجعـا الى طاقتهـا البشريـة والاقتصادية فحسب ، وانما يرجع بدرجة لا تقل اهمية الى قيمتها الفكريـة وما يمكن ان تحدثـه من اشعـاع فكري اسلامي ، في منطقة آسيـا الشرقيـة والجنوبيـة ، المتصارعة فيها القيم ، والعقائد ، والحضارات ، تصارعا عظيما . وخارج النطاق الاسلامي تستثير ايندونيسيا عناية المتتبعين لتطور الافكار والاتجاهات الفكرية بجنوب الشرق الاسيوي ، لانها بوابـة ضخمة من بوابات آسيـا الى المحيط الهـادىء ، وبالتالـي فيمكن النظر اليهـا

والتيار العربي الاسلامي والتيار الاوربي الحديث .

ففي خلال القرون الاولى للميلاد ـ وفي فترات الاتصال الايندونيسي بالهند الهندوسية ، حدثت كثير من حالات التفاعل والتعاطي بين العقلية الحضارية الهندية والعقلية الحضارية الايندونيسية .

لقد حمل المهاجرون الهنود معهم قيمهم الحضارية والثقافية المحلية ، ومن بين ما حملوه معهم ، الفلسفة الهندوكية ، وما تضمه من افكار وعقائد مختلفة ، وتدل التحريات التاريخية ان المجتمع الهندوسي الجاوي ـ في خلال القرن الاول للميلاد وما تلاه ، قد تعرض لنوع من التفاعل الحضاري عميق الغور ، تبلورت من خلاله جملة من العادات والتقاليد الفكرية وغيرها التي انطبع بها هذا المجتمع . وقد كانت هذه التقاليد تنضح بنكهة هندية بارزة الا ان العقلية الايندونيسية الغلابة ، قد استطاعت ان تهضم الكثير من هذه المؤثرات الهندية ، وتصهرها في اطار محلي ، بما يتفق مع بقاء الشخصية الايندونيسية قائمة ، وقل مثل ذلك عن الجوانب الفنية التي اورثها النفوذ الهندي لايندونيسيا . فقد تاثرت جاوة بالاخص وبعض الجزر الايندونيسية الاخرى ، بامثولات فنية ونقشية ، ذات اصل هندي وارد . فمعابد كالتي مثلا ، اقيمت في « بوروبودور » و « بولان » وغيرهما ، تمثل حقيقة خصائص فنية هندية من حيث الاسلوب المعماري الذي اقيمت به ، ثم النقوش التي زخرفت بها ، ولكنها ـ مع ذلك ـ تمثل طابعا ايندونيسيا بارزا يمكن تعليله بما ذكرناه من قابلية العقلية الايندونيسية لهضم المؤثرات الواردة ، على مستوى الفنون او غيرها . وخلال فترة الاتصالات الايندونيسية الهندية ، كانت تتوافر لمجتمعات الارخبيل لغات محلية مكتوبة ، دلت عليها بعض الكتابات المنقوشة على الحجر او المعدن ، والتي عثر عليها في بعض النواحي بالارخبيل . ومن هذه الكتابات المعثور عليها ما يرجع تاريخه الى القرن السابع الميلادي ، كالكتابة التي اكتشفت في « مالامبانغ » مثلا ، ولا تستمد الكتابة المعثور عليها اهميتها من مجرد كونها كتابة وكفى ، بل تعكس حالة من التفكير جدير بالالتفات ، من ناحية دراسة الاحوال العقلية للمجتمع المحلي في ذلك الحين . فقد وجدت بعض الكتابات تتضمن اوامر حكومية ، وكتابات اخرى هي عبارة عن اناشيد وحكايات ، وتعاليم دينية وغيرها . على ان المهم في تلك العصور ، لم يكن هذه الكتابات المنقوشة وكفى ، فتاريخ الادب الايندونيسي القديم يتحدث عن اعمال ادبية كثيرة يرجع بعضها الى القرن السابع الميلادي ، منها ما هو منظوم ، ومنها ما هو مصاغ صياغة نثرية . وقد توالى خلال القرون اللاحقة ظهور اعمال ادبية مختلفة ، منها اعمال ملحمية مستوحاة من بعض المؤثرات الهندية ، ومنها بعض اخبار الملوك الايندونيسيين القدامى ، وقصص بعض العشاق المشاهير هذا الى اشعار مختلفة تتناول اغراضا مثل هذه او غيرها .

وبمجيء الاسلام عرفت جزر الهند الشرقية ، عناصر تفكير جديدة ، اغنت الفكر الايندونيسي وهيأت له مجالات واسعة ، لانتاج اثار دينية وادبية وغيرها وقد تاثر التعليم في كثير من اقطار الشرق الاقصى الاسلامية بنفس الاشكال والاساليب التي كان يتم بها التعليم التقليدي في الاقطار العربية ، وما فتئت المساجد تلعب دورا مهما في نشر المعرفة والثقافة ، وهذه التقاليد التعليمية قد كان من امرها ان ساهمت ـ لحد كبير ـ في الابقاء على الصلة الثقافية بين العرب وجزر الارخبيل ، والمهم في ذلك ان البيئة الثقافية الايندونيسية قد تسرب اليها بمجيء الاسلام عنصر جديد ومنتج ادخل عليها قوالب جديدة في التفكير والتعبير ، وظهر ذلك سواء في ميدان التعبير الادبي او العلوم الاعتقادية والشعائرية او الفنون المعمارية بالاخص . فقد احتوت اللغة الرئيسية ( لاباهاسا ) مصطلحات عربية كثيرة دينية ، ويومية وغيرها ، واشتملت اللغات الايندونيسية الاخرى على الفاظ عربية مختلفة ، وقد سبق في عصور الاتصال الايندونيسي الهندي ، ان تسربت الى الارخبيل كذلك مؤثرات لغوية هندية من خلال النفوذ الذي كان للغة السنسكريتية في ذلك الحين ، واذا رجعنا الى التاثير الاسلامي نجد للثقافة الدينية تأثيرات كثيرة حققتها في المحيط الثقافي الايندونيسي خلال القرون الاخيرة فقد نقلت الى اللغة الايندونيسية عناصر الثقافة الاسلامية وتأثر الادب الايندونيسي كثيرا بالقيم والتصورات الدينية ، وبدا ذلك في بعض القصص الدينية التي ظهرت خلال القرن السابع عشر وما بعده . وقد اوحت الحياة الدينية الاسلامية للذوق الايندونيسي بتشييد معالم دينية مختلفة ، تتميز باشكال اصيلة في الهندسة المعمارية .

هذا الاساس الى جزر الارخبيل طوائف مختلفة من الهند ، منها ما هو من قبيل الطبقات المثقفة والمتحضرة جدا ويظن ان النازحين الى الارخبيل من الهند ، قد اقبلوا على التناسل مع النساء الاندونيسيات ، فكان من ذلك تمازج قوي بين المجتمع الهندي والاندونيسي ، يسر السبيل للهنود بعد ذلك ، ليلعبوا دورا مهما في نقل الدعوة الاسلامية الى تلك البلاد . ويدل البحث التاريخي ان النفوذ الهندي في خلال العهود الاولى للميلاد ، قد وصل في جاوة الى درجة الاخذ بزمام المبادرة السياسية ، حيث تحقق في خلال ذلك قدر من التفاعل الحضاري والثقافي بين الهندية والجاوية سنرى بعض ملامح سريعة منه في الفقرة التالية .

2) ويأتي بعد التيار الهندي تيار آخر لعله اقوى التيارات الخارجية التي انفعل بها المجتمع الاندونيسي فكريا وحضاريا ، اكثر مما انفعل بشيء اخر والمراد بذلك هو التيار العربي ـ الاسلامي ، الذي تعرف عليه الاندونيسيون ـ كما تقدم ـ عن طريق الهند ايضا ، وبالطبع عن طريق مسلمي الهند ، الذين كان لهم ـ على العموم ـ اثر بارز جدا في نشر القيم العقائدية والحضارة الاسلامية في عدد من اقطار المحيط الهندي وعلى الرغم من توسط الاسلام الهندي ـ بصورة اساسية ـ في نقل المؤثرات الثقافية الاسلامية الى الارخبيل الاندونيسي ، فان العناصر العربية ـ وخصوصا التجار قد كان لهم نشاط كبير بهذا الشأن وقد عرف عن العرب انهم كانوا مالكي زمام التجارة والملاحة في المحيط الهندي الى القرون الاخيرة ودخول العرب للارخبيل يرجع لعهود بعيدة ، يظن ان ذلك كان خلال القرن الثالث عشر الميلادي ، او ربما فيما قبله الا ان القرن السابع عشر يسجل مزيدا من الاتصال العربي الاندونيسي عن طريق الهجرة الحضرمية الواسعة وما نشأ عنها من ازدياد الجاليات العربية هناك .

3) وفي أوائل القرن السادس عشر جرت اول الاتصالات الاندونيسية بالاوربيين ، وكانوا برتغاليين في البداية وفي اواخر القرن بدات الطلائع الهولاندية الاولى تتصل بالارخبيل وكانت الحركات الهولاندية هذه ـ كما نعلم ـ جزءا من التحركات الاوربية العامة ، التي اندفعت بعدد من اقطار غربي اوربا الى الانتشار في الشرق وافريقيا وامريكا وتكوين الامبراطوريات التي كانت حماها قد اجتاحت الاوربيين الغربيين خلال القرون القليلة الماضية ، وعلى الرغم من طول المدة التي وقع فيها هذا الاحتكاك بين الاندونيسيين وحاكميهم الاجانب ! فان طبيعة النظام الاستعماري السابق لم تمكن الاندونيسيين من تفتح واسع على آفاق العالم الحديث من خلال هذا النظام . ومن المظاهر الصغيرة لذلك ، ان اندونيسيا غداة توصلها للاستقلال سنة 1945 لم تكن تتوافر فيها جامعة كاملة ، وانما كان هناك بعض المعاهد العليا للفنون والحقوق والملاحة وطب الانسان والطب العام ، واكثر روادها كانوا اوربيين ومع ذلك فقد كان العصر الحديث مرحلة جديدة في حياة الفكر الاندونيسي ، انفعل بها بافكار جديدة ومفاهيم جديدة ، كان لا بد ان تهب عليه رياحها من اسيا واربا وامريكا وغيرها

وخلال هذه القرون كلها ، وعبر التيارات المختلفة التي تواردت على اندونيسيا في العصر الوسيط او العصور الحديثة ، كانت الثقافة الاندونيسية ، تتكون شخصيتها وتتكامل ، مستمدة غذاءها ـ كما تقدم من البيئة العقلية المحلية ـ متفاعلة على درجات مختلفة مع التيارات الثقافية الواردة من هنا وهناك

* * *

للثقافة مفهوم واسع جدا ، يشمل مختلف نشاطات الانسان من اجل العيش ، والتقدم والاستمتاع، وتنظيم العلاقات وغير ذلك وتتبلور من خلال هذا الاطار الواسع للثقافة الاوضاع الاجتماعية والقانونية واحوال الحكم ، والتقاليد والمعتقدات والعمران وما الى ذلك كثير واذا ذهبنا نستقصي مظاهر الثقافة الاندونيسية من هذه الزوايا ، لخرج بنا القول عن هذه النظرة السريعة التي نلقيها الان غير ان ذلك لا يمنعنا من استعراض بعض جوانب التواصل الثقافي بين اندونيسيا والعالم الخارجي ـ وهذا هو محور الموضوع الذي نتناوله ـ ومن خلال ذلك ، يمكننا ان نتبين بعض مظاهر الثقافة الاندونيسية ، والعوامل التي ساهمت فيها في الماضي ، والاهتمامات التي تلح عليها الان . لقد قدمنا ان الارخبيل الاندونيسي ، تواردت عليه خلال القرون العشرين الماضية ، تيارات ثلاثة اساسية : التيار الهندي

2 ) ادب القرن الحاضر الى سنة 1945 حيث انتزعت اندونيسيا استقلالها انتزاعا .

3 ) ثم فترة الادب الاندونيسي في عهد الاستقلال.

وقد كان الادب الاندونيسي خلال الفترة الاولى وما قبلها ، كان ذا نزعة اخلاقية غيبية في كثير من الاحيان ، وكانت القوالب السائدة فيه ، هي قوالب الشعر والحكاية والامثال والاساطير وغيرها . الا ان الادب الديني كان له مقام ملحوظ خلال العصر الوسيط وما تلاه ، وكانت القصة قالبا متبعا في عدة احيان ، لصياغة هذا النوع من الادب ، الادب الديني الذي كان يتناول العصور الاولى للاسلام في بلاد العرب نفسها .

اما في الفترة الثانية التي تبدأ اوائل هذا القرن وخصوصا في العقد الثالث منه ، فقد تميزت بتطورات جديدة في محيط الادب الاندونيسي ، سواء من حيث الاشكال او المضامين ، وقد غدا الشكل الروائي باسلوبه الحديث ، شكلا متبعا في صياغة الافكار الادبية وبلورتها ، ومن الرواد في هذا الميدان « نور سوتان اسكندر » وغيره عدد غير قليل ، وقد ادت الرواية دورا في التعبير الادبي ذا شأن كبير ، فقد شاهدت العشرينات والثلاثينات ، ازدهار الحركة الوطنية بالصورة التي يعرف بها تاريخ اندونيسيا السياسي خلال تلك الفترة، ويصحب الوعي السياسي في الغالب حالات وعي اجتماعي وتفتح نفسي ، واخلاقي عميق في بعض الاحيان . وقد عكست الرواية الاندونيسية في تلك الفترة كثيرا من المعاني على هذا الطراز ، ومن ذلك بعض الروايات التي تعالج مشاكل الشبيبة ، ممن تعشى عيونهم اضواء المدن الاوربية ، فيدفعهم ذلك حتى الى درجة الانسلاخ عن كيانهم الثقافي والحضاري ، انسلاخا غير هادف . وليس من ورائه ءاثار ايجابية تهم المجتمع او تجديه بشيء ، ومثل هذه الصورة الروائية وغيرها ، تدل على ان المشاكل الناشئة عن تفاعل المجتمعات الاسلامية مع حضارة الغرب ـ هذه المشاكل تكاد تشكل حالة واحدة تشترك فيها ـ من حيث الجوهر ـ مختلف الاقطار الاسلامية الا فيما يتعلق ببعض التفاصيل الجزئية .

3 ) ادب ما بعد الحرب العالمية ، واعلان الاستقلال ، ومن بين الاوجه البارزة في هذه الفترة « سيريل انور » و « اوسمار اسماعيل » وغيرهما ، وتتميز هذه الفترة بازدياد تأثر الادب الاندونيسي بالتيارات الفكرية الواردة من الغرب ، وقد عرفت اعمال بعض كبار الروائيين الغربيين طريقها الى القراء الاندونيسيين عن طريق الترجمة ، وفي نفس الوقت ، كان الادب ذو الصبغة الوطنية يزداد ازدهارا تغذيه ظروف النضال القومي التي خاضته اندونيسيا في اعقاب الحرب لحماية نظام الاستقلال الذي انتزعته انتزاعا ، وقد عنى الشعر بهذا الصدد ، باثارة ذكريات الابطال الاندونيسيين القدامى ، ومنهم ابطال الكفاح ضد الوجود الاجنبي في غضون القرن الماضي

وتتبين من خلال الحياة الفكرية والادبية في الارخبيل اثناء هذه الفترة ، ظواهر مألوفة في كل بيئة ادبية متقدمة او ناشئة ، ومن بين هذه الظواهر : ظاهرة الصراع الدائم بين انصار الادب التقليدي المحافظ ، ورواد الادب الحديث ، المتأثر ـ في العادة ـ بالنزعات الجديدة الواردة من الغرب ، مثل ما كان ولا يزال عليه الامر في ادبنا العربي ، حيث الصراع شديد دائما بين التيارات التجديدية الادبية ، وبين النزعات المحافظة ، سواء في النثر او في الشعر ، في القالب او في المضمون . وكما قدمناه ، فقد كان للحركة الفكرية والادبية بالعالم العربي اصداء مهمة بجاوة والارخبيل ، كما ان المؤلفات العربية الحديثة كان عدد منها ينقل الى اللغات المحلية ، بعامة الشرق الاقصى الاسلامي .

اما في الميدان اللغوي فقد عرفت اللغة الاندونيسية وخصوصا خلال عهد الاستقلال تطورا مهما في قدرتها التعبيرية ، وفي نزوعها الى التلاؤم مع مقتضيات العصر والايفاء بحاجياته المستجدة .

والوضع اللغوي في الارخبيل الاندونيسي ، يتميز بتعدد اللغات ، وتكاثر اللهجات ، كما هو شان عدد من اقطار الشرق الاقصى، وقد يتجاوز عدد اللغات واللهجات

---

1 ) لم نات بنماذج مفصلة لذلك ، نظرا لكون ايراد تفصيلات من هذا القبيل ، من شأنه ان يضخم حجم المقال الى درجة لا يحتملها نطاق المجلة ، ولعلنا راجعون الى الموضوع ـ بحول الله ـ بصورة اكثر تفصيلا بعد هذه الالمامة السريعة .

وتاتي بعد التيار العربي ـ الاسلامي ، مبادرات الاتصال الأولى بين الاوربيين والارخبيل . وقد احدث هذا التيار الثالث تقلبات بطيئة في الحياة الفكرية الايندونيسية ، وان كان ذلك لم يحدث كله بالضرورة عن طريق النظام الاستعماري السابق ، والاحوال التي خلقها الاحتكاك الشديد بين ايندونيسيا والغرب تشبه في كثير من جوانبها الاحوال التي خلقها نفس الاحتكاك في اقطار اخرى بالشرق ، فقد امكن للجيل الجديد من الايندونيسيين ان يتلقى مفاهيم جديدة عن الثقافة والحياة الحضارية الحديثة . وكان الاحتكاك بين الحضارة الحديثة ، وسواد الناس اقل تاثرا بالنظريات المجردة فقد كان احتكاكا على صعيد الحياة اليومية اكثر . فما ذا ادت اليه كل هذه الحالات من الاحتكاك ؟

والحق ان العقلية الايندونيسية ـ امام تيارات التعبير الواردة من اوربا ـ قد برهنت عن تحفظ وشدة حذر ، يمكن ان يلحظه المرء بسهولة من خلال دراسته لاوضاع التفعل الفكري بين ايندونيسيا والغرب خلال القرون الاربعة الاخيرة ، والتحفظ الايندونيسي هذا لا يبدو وكظاهرة فريدة ، تتميز بها العقلية الايندونيسية عن غيرها ، ولكن يمكن القول ان المجتمع الايندونيسي يشترك في هذه الظاهرة مع المجتمعات الأخرى الاصيلة حضاريا كالمجتمعات العربية ، التي لم يستطع الفكر الاوربي ان يجردها عميقا من اصول شخصيتها الفكرية ، ويمكن للمرء ان يلاحظ اكثر من ذلك ، ان وضعية الارخبيل الايندونيسي الجغرافية كان من الجائز ان تجعل مناعته الفكرية بهذا الصدد ، اقل من غيرها ، فأقطار المحيط الهادي تكاد كلها تكون قد تأثرت حضاريا بالتيارات الواردة عليها من اوربا الى درجة اصابة الشخصية الحضارية المحلية في الصميم في بعض الاحيان ، لكن لا يجب ان ينسى المرء ايضا ان ايندونيسيا ـ وان كانت تنتسب لعالم المحيط الهادىء فهي ذات ارتباط جغرافي وحضاري وفكري ايضا بعوالم المحيط الهندي ، ومناطق الالتقاء بين المحيطين ، وذلك مضافا اليه قوة شخصيتها التاريخية ، وارتباطاتها الفكرية بعالم العروبة والاسلام ـ كل ذلك كان من شأنه ان يكسبها قوة مناعة حقيقية ازاء عوامل الانصهار الخارجي التي تواردت عليها من اوربا خلال القرون الاخيرة ، على انه يجب ان نعير انتباهنا لملاحظة جوهرية تتعلق بالظاهرة هذه ، ذلك ان المناعة التي تتحدث عنها لا يرجع وجودها فقط ، الى حالة وعي عميق بسبل الاختيار ، وما ذا تفرض من تبصر في نوع المصير الحضاري والفكري الذي يوثره مجتمع او اخر ، ان المجتمع الايندونيسي كالمجتمعات الاسيوية والافريقية الاخرى ، لم يكن لكتله كلها ان تعي القضية الحضارية المعروضة ، بكل ابعادها وملابساتها المعقدة ، ان وعيا بهذا المستوى يكون في غالب الحالات داخل الاقطار المتخلفة ـ من نصيب ما نسميه بـ « الانتلجنسيا » او النخبة المثقفة ، اما سواد الناس ، فان ازمة الاختيار لا تنفتح امامهم حقا بكل ابعادها الدراماتيكية التي يفرضها استبطان القضايا المعروضة ، وادراكها ادراكا كاملا من نواحيها السلبية والايجابية ، وبهذا المعنى يمكننا ان نتصور حدود النطاق الذي شمل دالة المعركة معركة التفاعل الفكري بين الارخبيل والقوى الفكرية الواردة من الغرب ، ويمكننا بذلك ان نتصور طبيعة المناعة التي كانت حاصلة ، فقد ثارت في ايندونيسيا ، كما في غيرها ، مسائل عميقة تتناول وضعية الفكر المحلي امام التيارات الاوربية الواردة ، غير ان سواد الناس لم يكن لهم من داع فكري قوي يدفعهم الى التأثر عميقا بالقضايا المطروحة ، ولكن النقاش الذي كانت تثيره النخبة ، لم يكن له ليمر دون ان يترك اصداء بعيدة في حظيرة الكتل الاجتماعية المختلفة ، ولم تكن هذه الكتل خالية من اي استعداد للتجاوب ، لقد كان هناك فى اعماقها قدر من النزوع للتجاوب ، ولكنه تجاوب مع العوامل الأقرب الى اهتمامات بيئة اسلامية كالبيئة الايندونيسية . ومن اهم هذه العوامل العامل الفكري الاسلامي . وهكذا وجدت التيارات الفكرية الاتية من الشرق العربي مجالا واسعا لاحداث تجاوب واسع مع العقلية الشعبية الايندونيسية . وفى ذات الوقت كانت العناصر المتعلمة فى اوربا والتي لم تعش عيونها بوارق الحضارة الاوربية ـ كانت هذه العناصر تعمل مع التيار الاسلامي على بلورة الفكر الايندونيسي ليستطيع استيعاب الحركة القومية الايندونيسية .

وقد تاثرت حركة الفكر والثقافة بكل هذه التطورات على نطاق واسع ، ومن الممكن تقسيم تيارات الفكر الايندونيسي على هذا الاساس الى ثلاثة اقسام :

1 ) ادب القرن الماضي وما قبله .

الابقاء على صفاء اللغة الاصلية ، والحفاظ على سلامتها التعبيرية ، وذلك بتجنيبها مغبة فتح الباب على مصراعيه امام الدخيل . وعدم اللجوء الى تقبل هذا الدخيل الا عند اقصى الضرورات الملحة ، ويرى مثل هؤلاء ـ من ذوي النزعة المحافظة ـ ان اعطاء حرية واسعة لتسرب الدخيل الى اللغة الاصلية ، ليس من شأنه فقط . ان يغرقها في خضم من المصطلحات الاجنبية التي ربما قد تؤدي الى المس بشخصيتها ونكهتها التعبيرية ، بل فوق ذلك فان هذا الاتجاه المتحرر جدا ، من شأنه ان يقود حتى الى النيل من القواعد النحوية والصرفية كذلك .

وامام هذه النزعة المحافظة في الميدان اللغوي هناك الاتجاه الاخر ، الاقل تقيدا بالافكار المحافظة ، ويجد ذووا هذا الاتجاه فى اللغات الغربية مجالا عمليا للاقتباس ، وتكييف الاصطلاحات المقتبسة هكذا ، حسب الطرق المختلفة للتكييف اللفظي .

وجدير بالالتفات ان اللغة العربية ، لا يزال لها مؤثراتها كذلك على الصعيد اللغوي الاندونيسي مثل ما كان عليه الامر ، عند ما تسربت في فترات مختلفة ، عدة مصطلحات عربية الى مجال التعبير الادبي والعلوم الدينية وغيرها بالارخبيل .

واذا انتقلنا من ميادين التعبير الادبي الى مجالات التعبير الفني ، فنجد مختلف جزر الارخبيل ذات تقاليد راسخة بهذا الشان . ان الفولكلور الغنائي الاندونيسي يعتبر تراثا غنيا ضخما ، يتميز بتنوعه وطبيعته ، وما يعكسه من صور صادقة عن حياة الجماعات الوديعة التي تعيش هنا وهناك في شتى الجزر .

ومعروف عن جزيرة « بالي » وتقع جنوب « بورنيو » و « سيليبيس » معروف عنها انتشار الهواية الموسيقية في ربوعها ، وتعتبر لذلك من بين الجزر الاندونيسية ذات الشهرة الواسعة في الخارج : والواقع ان النزعة الموسيقية في هذه الجزيرة ، ليست منفصلة عن الماضي ، عن التاريخ الفني لاندونيسيا ، فالمعتقد انها ـ هي وجزيرة « جاوة » ايضا ـ يعتبر كل منهما المصدر التاريخي للموسيقى الكلاسيكية الاندونيسية ، وكما هو الشان بالنسبة لعلاقة العموم بالموسيقى الاندلسية عندنا في المغرب العربي ، فان الموسيقى الكلاسيكية الاندونيسية تتغلغل ـ بالفعل ـ في الحياة العامة بالارخبيل ، حيث تبرز بشكل واسع في كل مناسبة دورية او يومية ، او بدون مناسبة احيانا .

والثقافة الفنية هي جزء هام ورئيسي من ثقافة اي مجتمع ، وقد رأينا كيف تفاعلت عدة عناصر محلية وخارجية في صياغة الاسلوب الخاص الذي تنطبع به الحضارة والثقافة الاندونيسية . واذا كان هذا التفاعل الحضري الاندونيسي الهندي العربي ، واضحة معالمه فى الآثار المعمارية ، وبعض التقاليد والقيم الذكرية السائدة ، فان الموسيقى الاندونيسية وبقية الفنون الاخرى في الارخبيل ، من المحتمل كثيرا ان تكون قد تلاقت مع روافد فنية اخرى ، جاءت من هنا وهناك ، وحدث من التفاعل نتيجة ذلك ، ما نتج عنه هذا التراث الموسيقي الغني الذي يتوافر في اندونيسيا على انه مهما كان الامر ، فقد عرف عهد الاستقلال باندونيسيا مبادرات مهمة في التعريف بالفنون الايقاعية المحلية لدى الخارج ، كما عرف كذلك مبادرات مماثلة لتقريب الجزر من بعضها البعض على الصعيد الفني ، وتعريف هذه الجزيرة بالوان الايقاع الموسيقي وغيره ، التي تسود في جزيرة اخرى . ولا شك ان مثل هذه المبادرات من بين ما يساعد على لحم الوحدة القومية وتمتين اسسها الشعورية بشكل افضل .

**سلا : المهدي البرجالي**

* * *

المتكلم بها المائة ، بل يعدها البعض بنحو المائتين فادخال اللهجات البسيطة ، والتي لا يجاوز عدد المتكلمين بها بضعة ءالاف ، وكما تقدم ، فان اندونيسيا لا تختص بهذه الحالة من التعدد اللغوي الواسع ، فالهند مثلا يبلغ فيها التعدد اللغوي نسبة عالية جدا . ويثير من المشاكل هناك ، قدرا كبيرا ، غير ان هناك ملحوظة بالنسبة للوضع اللغوي باندونيسيا ، وهي انه بالرغم عن تعدد اللغات بها فانه لا توضع امامها مشكلة لغوية بهذا المعنى ، الموجود في بلدان اسيوية اخرى . لما ذا ؟لان هناك لغة اندونيسية مقررة من قبل ، كلغة رسمية ، وهي مفهومة ومتكلم بها في طول الارخبيل وعرضه ، وتقوم اللغات واللهجات الاخرى ، الى جانبها كأدوات محلية للتفاهم لا غير ، وليس للكثير من هذه اللغات المحلية تراث ادبي معين ، تعبر عنه ، او ترتبط به كما هو الشان في اللغات الحقيقية المهمة . والواقع ان البنية الجغرافية لاندونيسيا ،، وامتدادها على شكل ارخبيل يتالف من عدد كبير من الجزر موزعة على نطاق واسع في المحيط ـ ان هذه الصورة الجغرافية التي تظهر بها اندونيسيا من شانها ان تعطي لحالة التعدد اللغوي القومي في الارخبيل مظهرا معقدا اكثر مما هو عليه في الواقع ، فاذا كانت اندونيسيا ـ مع ذلك ـ لا تواجه مشكلة تعقيد لغوي قومي ، مثل ما تواجهه اقطار اخرى غير موزعة جغرافيا ، بل تشكل وحدة جغرافية متراصة ، فان هذه امكانية ايجابية مهمة ، تتوافر لاندونيسيا ، وتوفر لها قدرا من الانسجام التلقائي له قيمته .

وهذه الحالة اللغوية الملائمة نسبيا ، قد ساعدت الاندونيسيين على العمل على تطوير اللغة القومية ، وتطويعها لمقتضيات العصر ، وتلقيحها بما يزيد في امكانياتها التعبيرية الحديثة ، ويرجع الاهتمام بهذا الامر الى عهد ما قبل الاستقلال نفسه ، حيث اسست اثناء الاحتلال الياباني ـ لجنة لمراجعة قواعد النحو الاندونيسي ووضع المصطلحات الضرورية لتطوير اللغة الاندونيسية ، اما الطريقة التي سار عليها توليد المصطلحات ، فكانت جد واقعية وعملية ، ذلك ان المكلفين بالوضع لم يقتصروا على الوسائل المعروفة في التوليد اللغوي ، كالنقل والاشتقاق وغيره ، وانما ذهبوا الى الاخذ من اللغات المحلية المنتشرة بكثرة في انحاء الارخبيل ، والتي تحتوي على ثروة تعبيرية قيمة وكان اتباع هذه الطريقة مفيدا من ناحيتين ، فمن ناحية يتيح ذلك موردا زاخرا بالامكانيات في ميدان البحث عن المصطلحات المختلفة ، ومن ناحية ثانية فان نقل المصطلحات هكذا عن اللغات المحلية الى اللغة الاندونيسية الرسمية من شانه ان يوفرا قدرا كبيرا من فرص التقارب بين اللغة الرسمية ، واللغات المحلية المتناثرة هنا وهناك ، وذلك بمساعدة سكان الجزر على ادراك اللغة الرسمية بصورة اكثر سهولة واضفاء صبغة جوهرية عليها بذلك الاجانب صبغتها العامة .

والرغبة المشتركة التي يتبينها المرء في الارخبيل ـ هذه الرغبة ـ هي التمكين للغة رسمية ، ذات استعمال عمومي يشمل التراب القومي باكمله ، ولا باس ان تعيش الى جانب هذه اللغة القومية ، اللغات واللهجات الاخرى المستعملة على الصعيد الجهوي .

وقد تجدد الاهتمام بقضية المصطلحات في عهد الاستقلال بصورة اكثر جدية ، فتالفت لجنة جديدة لهذا الامر سنة 1947 ، وكان النضال القومي لما يزل حادا مع النظام الاستعماري السابق ، ومنذ سنة 1952 كانت اندونيسيا قد صفت المظاهر الاساسية من الوجود الاستعماري بالارخبيل في تلك السنة ، صار الامر بمجموعه ، امر المصطلحات والاصلاح اللغوي ، تحت اشراف معهد اللغة والثقافة الاندونيسية .

وتؤكد بعض التقريرات انه امكن الى حد السنوات الثلاث الاخيرة ـ وضع اكثر من ثلث مليون مصطلح ، يرجع كثير منها الى الفروع العلمية والتقنية، التي هي اكثرها يتشعب اليوم في نطاق اللغات التي تعنى بمتابعة التطور العلمي فى كافة انحاء العالم .

وتثير مبادرات التطوير اللغوي في اندونيسيا ، حالة من الاخذ والرد بين الاتجاهات المختلفة في فن توليد المصطلحات ، ويدور الاخذ والرد هذا ، على موضوع الموارد التي يمكن الاعتماد عليها في هذا الفن: اضروري الالتزام بالموارد الذاتية ، النابعة من صميم اللغة او البحث عن موارد اخرى في اللغات الاجنبية ، وكما هو الامر من هذا القبيل فى عالمنا العربي وفى البلاد الاوربية العريقة نفسها ـ فان هناك نزعات محافظة ، ونزعات اخرى اقل محافظة ، وتؤثر النزعة المحافظة

**ستجد لها الآف القراء وخاصة منهم الذين يردون على هذه البلاد ويطرحون سؤالهم عن الماضي ... انني ــ وانا اكرر الطلب بل ارفعه الى الهيئات الثقافية في بلادنا ــ اومن ــ بما في هذا الايمان الحق من مرارة ــ بان الكتاب العربي لاسيما والقصة منه يظل مقبورا مغمورا ان لم نعمل على نقله الى لغة اخرى في عالم يقرا فيه الروسي للامريكي والامريكي للروسي وهلم ... ترجم قصتك فانها نعمت السفارة تبعث بها الى الذين ناوا عنك وعن بلادك بل انها لنعم الهدية تقدمها لهؤلاء الذين يقراون من اليسار الى اليمين منا ، من مواطنينا نحن في المغرب ..**

لي بعض الملاحظات على ما قرات ، ارى من حقك علي ان اهمس بها اليك

**فاولا** كنت اود ان تخصصوا فصلا او فصلين للحديث عن اقتحام البنت المغربية للمدرسة وما احدث من بعض المضاعفات فاني لا اقتنع بالحديث العابر الذي سقتموه صفحة 137

**ثانيا** ــ وانت تعلم انني الفت في اعراس فاس ! ــ ان الفتاة من حقها ان تحضر في الاعراس ولكن المناسبتين اللتين لاتحضرها البنت هما : عيادة المريض وتهنئة النفساء وعلى هذا اجرى المثل الفاسي « عاتق باب الجيسة تطل على المريض وتهني النفيسة » .

**ثالثا** هناك حقيقة تاريخية لايمكن ان نغفل عنها وهي ان الحركة الوطنية خرجت من عقر بيوتنا نحن ، من المسيد ، الى المسجد ، قبل ان تمتلىء رؤوس الشبيبة بالافكار التي تلقاها عبد الرحمن في المدرسة الفرنسية ( الفصل 25 )

**رابعا** اختلط على القلم احداث 1936 التي قام فيها بالنجارين سفيرنا الحالي بايران ليقول فينا نحن المتظاهرين : « ازفت الآزفة » ، واحداث 1937 التي وقف فيها نوكيس ليقول : « انه سيسحقنا تحت قدمه » ص 217

**خامسا** كنتم جد موفقين في الاسماء التي استعرتم للناس بما فيهم اسماء الرجال والنساء ، بما فيهم الخدم ، في المدينة والقرية بيد ان اسماء العلماء كانت بعيدة عن طبلة آذاننا ... ولعلها اقرب الى حي بولاق منها الى حومة المخفية ( ص 140 )

**سادسا** كنت اعتقد انه ينبغي الالتزام ــ كما فعلتم مرارا ــ بذكر بعض المفردات المحلية فانها تعيد الى الذاكرة الصورة الحقيقية للظروف التي مرت علاوة على ما في ذلك من عمل على الاحتفاظ بذلك المفرد كاثر ... مثل المرمة عوض ( المطرزة ) ص 280 العروبية عوض ( الضيعات ) 97 ، المحبس عوض (الحلاب ) 383 ، العولة عوض التموين ص 46 الاذرع عوض ( الامتار ) ص 165 الخ الخ

**سابعا** بالنسبة للذين يقراون الكتاب في خارج فاس او المغرب ارى انه من المناسب جدا ان تفسروا لهم في الهامش عند اول مناسبة بعض المصطلحات المحلية مثل الفرامة (67) والمسيد (9) والاسفنج (13) والمنصورية والملاح ص 10 ، واللبدة 100 ) والتسليم (63) والفلاقة (94) والمراح 111 والزوالغ ص 117 وقب الجلابة 197 والجوزه 349 الخ الخ

**ثامنا** مؤاخذتي للذين عهدتم اليهم بالتصحيح فلقد ندت عنهم بعض الاشياء مما يعثر القراء المشارقة بصفة خاصة

ومع كل ذلك فاننا نحن جيل الوسط ــ لابد ان نجزل الشكر والتقدير لما اتحفت به خزانة التاريخ وخزانة الادب وخزانة الآداب الشعبية والخزانة الاجتماعية ...

واننا وقد اوشكنا ان ناخذ بناصية المصادر المتناثرة هنا وهناك مما يتناول تاريخنا القديم جدير ان نتوجه ــ او على الاقل بعض منا ــ الى وجهة اخرى من « الترفيه والترف التاريخي » اي ان نتناول تاريخنا في قصص من هذا النوع تستهدف الحقيقة ولكنها تتوسل اليها بالطرق التي امست اليوم لدى طائفة مهمة من الناس معبدة محببة .

واخيرا عسى أن يتحرك قوم آخرون فيدفنوا الماضي في سلا والرباط وتطوان ومراكش وبني يازغة ووادي زم ووجدة ومكناس وغير هذه ، فنحن على يقين من أن لكل واحد ما يقول .. وخير لنا ان نكتب بأناملنا هذا التاريخ المشرق ، وخير جدا ان نفعل ونحن متحلون بالنزاهة فيما نقول ، وخير جدا ان نسمو فيما نكتب الى سمو التاريخ نفسه الذي لايرضى ان يقع ضحية كثير من التزييف والتضليل .

**الرباط ــ عبد الهادي التازي**

## معرض الكتب :



# دفنا الماضي

تقديم وتعليق الاستاذ عبد الهادي التازي

الى الاستاذ عبد الكريم غلاب

تحياتي الصادقة وتقديراتي الوافرة

وبعد فلقد كنت أشاركك وانت « تدفن الماضي »، ولكن بصفة متقطعة ايام كنت فى بغداد ، فلما حلت بين يدي اليوم هديتك كاملة شاملة شكرت لكم ذلك التفضل منكم والتكرم ، فاني وانا أؤرخ لجامعة القرويين وجدتني فى حاجة ماسة الى استشارة سائر كتب وما قيل عن مدينة فاس باعتبارها الهالة التي تحضن هذه القرويين ... وسائر ما كتب وما قيل عن المغرب باعتباره مدينا ــ سواء شعر او لم يشعر ــ لهذا البيت العتيق الذي اغدق وافاض وبذل من اجل ان يظل هذا المغرب كما اراد له الفاتحون الاولون ... وسائر ما كتب وما قيل عن الحركات الوطنية باعتبار ان « القرويين » ظلت مركز اشعاعها ومهد ثورتها منذ كان للمغرب كيان ... كنت مضطرا فعلا لذلك لان التعريف بالقرويين لن يتم بغير ذلك .

ولقد قرات لبعض الاجانب من امثال ريبرنيد، وطارو ، وايدوارد ، ولوتورنو ... كتبوا عن الحياة فى فاس ، وعن الحب فيها ، لكن كتابة معظمهم كانت مفرضة او ناقصة ، او مرتبكة ، بيد ان حديثك عن فاس كان حديث المنصف المتثبت المستوعب ... ولن يقدر مجهودك الا من عني بتاريخ هذه المرحلة من حياة المغرب ... ولن يشعر بالمتعة كاملة الا من سلك معك خطواتك من دار بن كيران الى دار التازي الى رجوع جلالة محمد الخامس من منفاه ... **لقد برهنتم على ان القلم المرهف فى استطاعته ان يقوم مقام أبرع ديكور واجمله وادقه** ، ولا ابالغ اذا قلت ان حاجة المؤرخ الى كتابك لاتقل عن حاجة الاديب اليه ان لم تكن تفوقها

لانه تناول تاريخ حقبة نصف قرن او يزيد فى اسلوب مرح خفيف لايقتحم معه زوايا المؤرخين المظلمة الباردة، ولا أساليبهم المقفلة العابسة ! ولكن يسير بهم الهوينا من ( أيام فاس الدامية 1912 ) الى ( احداث الثلاثين ) و ( احداث 36 و ( احداث 37 ) و ( احدث 44 ) الى ( احداث 53 ) الى « حادثة وادي زم » وما ادراك ما « حادثة وادي زم » التي كادت تنسى بمئاسيها وزعماء تهدئتها ! الى يوم الفرحة الكبرى .

ترجم كثير من اب لانفسهم وحبذا ما كانوا يصنعون فاننا من خلال ذلك نقرأ تاريخا آخر للمحيط الذي يؤويهم لكن كتابك لم يكن ترجمة لك وحدك بل كان لك ولي وللاخرين لكن تواضع عبد الكريم ابى عليه الا ان يعني بالتاريخ اكثر مما يعني « بالأنا ! » وقد اكبرت فيك ذاكرتك التي لم تنس كثيرا من ذلك الماضي الذي قلت اننا دفناه ! وقدرت تصويرك الدقيق لكثير من المظاهر الاجتماعية التي كانت تحياها ــ وبعضها ما يزال ــ أسرنا الى الامس القريب ... تصويرك لمنعرجات فاس وازقتها وقد اضطرت المارة للركوع أمام البهائم ! او الالتصاق بالجدار اتقاء شر البغال ! كنت اتصوركم وانتم تتحدثون عن جو الخدم فى المطبخ ، والبدو فى الارياف ، والنساء فى مجالسهن كأنك عشت بين ظهراني هؤلاء واولئك ردحا من الزمان ... والطريف فى قصتك انها تبتديء مجتمعة فى « المخفية » لتتسع وتتفرع وتزداد امتدادا ثم لاتلبث أن تنقلب لتتجمع وتقف عند عبد الرحمن ...

**انني ــ ونحن نتوق الى تعريف الاجانب بنا ــ لا اكتمك رغبة أرجو تحقيقها : ذلك ان تتوفقوا لترجمة القصة الى لغة أجنبية ، فاني علي ثقة تامة من أنها**

السؤال الاول : معالي الوزير بصفتكم مكلفين بالاوقاف والشؤون الاسلامية نرجو من معاليكم ان تحدثوا المستمعين والمستمعات عن موسم الحج لهذه السنة ؟

الجواب : ان موسم الحج في هذه السنة هو كغيره من المواسم السابقة . لقد بذلنا كل الجهود في تنفيذ التعليمات السامية التي زودنا بها سيدنا ومولانا أمير المومنين أعلى الله به شؤون الدين ، في صالح الحجاج الميامين من رعيته الوفية ، فبقيت أثمان نقل الحجاج كما كانت في السنة الماضية سواء في السفر بالطائرات او بالبواخر . وقد اتخذت كل الوسائل لراحة الحجاج في ذهابهم وإيابهم ، ولكامل العناية بهم في مقامهم بالبقاع المقدسة ، فهناك البعثة الدينية التي سترافق حجاج البحر وتدرس معهم المناسك وتصلي بهم الاوقات الخمس ، وهناك البعثة الصحية التي اشتهرت بالقيام بواجبها في العناية الكاملة بحجاجنا ، وهناك كذلك البعثة الادارية التي ستسهر على شؤون الحجاج أثناء سفرهم للديار المقدسة .

وغير خفي ان سيدنا ومولانا نصره الله يعين كل سنة وفدا رسميا ، تسند رئاسته الى من يراه أهلا للقيام بهذه المهمة الشريفة .

السؤال الثاني : هل يمكنكم معالي الوزير ان تتحدثوا عن اللوازم التي يجب ان يقوم بها الحجاج المغاربة من الآن والتسهيلا تالممنوحة ؟ .

الجواب : اظن ان ما يقوم به الحجاج من الان هو أمر معروف عند الجميع ، فكل حاج يجب ان يتوفر على جواز سفر ودفتر تلقيح دولي يكون مستوفيا للشروط التي نشرتها وزارة الصحة في الاذاعة والصحف وان يتقدم كل حاج الى عمالته ليحجز مقعده في الطائرة او الباخرة ، وان حكومة مولانا صاحب الجلالة قد سهلت جميع الاسباب لحجاجنا من جواز وتلقيح ، والحصول على العملة .

واعتقد انه يجب الاسراع بتسجيل طلبات الحج حتى تعرف شركة الطيران الملكي عدد الحجاج الذين يرغبون في الحج بطريق الجو لتوفر لهم المقاعد الكافية .

السؤال الثالث : ما هي الامكانيات التي وفرت الدولة للحجاج في نطاق مساعدتهم على تأدية فريضة الحج ؟ .

الجواب : لقد اجيب عن هذا السؤال فيما قبله بأن الحكومة قد سهلت جميع الاسباب .

السؤال الرابع : هل حقيقة معالي الوزير ما يشاع من بعض الناس بان الذين ادوا فريضة الحج في السنوات الفارطة لا يسمح لهم باداء فريضة الحج هذه السنة ؟ .

الجواب : لقد سمع الجميع بلاغ وزارة الداخلية في هذا الشأن ، ان سيدنا المنصور بالله قد أعطى تعليماته السامية بأن تلبى رغائب المواطنين في حج بيت الله الحرام ، فالباب مفتوح امام المواطنين للبقاع المقدسة .

السؤال الخامس : ما هي الكلمة التي يمكنكم معالي الوزير توجيهها الى الحجاج المغاربة الذين هم حقيقة سيمثلون بلادنا في الموسم الاكبر ؟ .

الجواب : اوجه اليهم أولا تهنئتي بحج بيت الله الحرام وزيارة خير الانام عليه افضل الصلاة والسلام واوصيهم بأن يحجوا كما اراد الله تعالى ان يكون الحج ، ( لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ) ، وكما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه » .

وفي ضمن هذا ان يضربوا المثل الاعلى في الاخلاق المحمدية الكريمة ، وان يتوجهوا الى الباري عز وجل ان يجمع كلمة المسلمين ويعلي راية الدين ، وينصر سيدنا ومولانا امير المومنين ، ويحفظه في ولي عهده وسائر افراد اسرته ، وان يعز شعبنا انه مجيب الدعاء .

## في قسم الوعظ والارشاد

قام الاستاذ الشيخ احمد عبد الرحيم عبد البر الواعظ بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بدروس وعظية في مختلف انحاء المملكة .

فقد توجه الى القصر الكبير من 14 — 1 الى 17 — 1 — 1967 ، والقى دروسا في المساجد وجمعية اصدقاء ابن حزم حيث كان الاقبال عظيما .

وفي يوم 18 يناير الى 22 منه توجه سيادته الى مدينة طنجة حيث القى دروسا في المساجد ومحاضرات عدة في السينما لقيت اقبالا منقطع النظير من حضور رجال القضاء والادارة وصفوة العلماء الاجلاء .

ثم الى مدينة مراكش التي القى بها دروسا في المساجد نالت استحسان سكان الجنوب .

# نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

### تدشين مسجد جديد بحي تابريكت

في يوم الجمعة 10 ـ 3 ـ 67 توجه معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الى مدينة سلا لتدشين مسجد جامع بحي تابريكت تنفيذا للتوجيهات السامية وفي نطاق المخطط المحكم الذي وضعه صاحب الجلالة الملك المعظم بغية تحقيق نهضة روحية ومادية لشعبه الوفـــي ..

وقد قامت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بتشييد هذا الجامع العظيم بحي تابريكت الـذي كان الحاجة ماسة تدعو الى بنـاء مسجد يؤمه المسلمـون المومنون لاداء صلواتهم ، وتشرف هذا المسجد بحمل الاسم الكريم لصاحب الجلالة نصره الله .

وفي وسط غفير من المومنين ، وبمحضـر سعادة عامل مدينتي الرباط وسلا ورجال السلطة المحليـة ، وفي جو عبق بالذكر وتلاوة القرآن ادى معالي الوزيـر صلاة الجمعة التي كانت تدشينا لهذا المسجد الحسني الرائـــع .

### تدشين مسجد آخر بالخميسات

كما تراس معاليه زوال يوم الجمعة 10 ـ 3 ـ 67 حفلة تدشين مسجد جديد بالخميسات اطلق عليه اسم **الحسن الثاني** .

وادى السيد الوزير صلاة الجمعة فيه رفقـــة السيد عبد السلام بنعيسى ، كاتب الدولة في شؤون المقاومة وجيش التحرير وقدماء المحاربين وعامل اقليم القنيطرة السيد عبد الله الشيرفي ورجال السلطـــة المحلية واعضاء المجلس البلدي لمدينة الخميسات واعضاء الجماعات القرويه وجمهور من مواطني المدينة .

وكانت مناسبة اخرى عبر فيهـا المواطنـون عن فرحتهم الكبرى لهذه الالتفاتة المولوية ..

.. ومن المعلوم ان صاحب الجلالة والمهابة امير المومنين الحسن الثاني هو الذي امر ببناء هذا المسجد يوم ادى صلاة الجمعة بالخميسات في خريـف سنـة 1963 ، ومن اجل بناء هذا المسجد تبرعـت السيـدة الحاجة عائشة بقطعة ارضية مساحتهـا 4 آلاف متـر وخصصت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية اعتمادات تقدر بـ 35 مليون فرنك لبناء المسجد ، ويعتبـر هـذا المسجد الثاني من نوعه بمدينة الخميسات، وباستطاعته ان يضم ما يزيد عن الفـي مصـل ، وبه جنـاح خاص للنســـاء .

ونشير بهذه المناسبة الى ان مدينة الخميسات تتوفر على معهد للدراسات الاسلامية وبـه 80 طالبا و 40 منهم يتابعـون دراستهـم باعانـة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، ويقوم المجلس البلدي بتسديد نفقات سكناهم .

### حديث اذاعي مع وزير الاوقاف والشؤون الاسلاميـة

اجرى مندوب الاذاعة والتلفزة المغربية حديثا مع معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ السيد احمد بركاش عن موسم الحج ، واللوازم التي يجب ان يقوم بها الحجـاج والامكانيـات التي وفرتها الدولـة لهم في نطاق مساعدتهم على تأدية هذه الفريضة ..

وكان الاستجواب على الشكل الآتي :

وتجدر الاشارة هنا الى ان هذه النسخة الاخيرة ، لم يتأت للخزانة العامة تصويرها عن نسخة باحدى خزائن مدريد الا فى الآونة الاخيرة ، وهي تقع فى سبعة اجزاء ، مجموعة فى ستة مجلدات متوسطة الحجم ، اذ ان الجزاين الاول والثاني منها يضمهما مجلد واحد ، مع النص فى آخر كل جزء على نهايته ، وعلى الجزء الذي يليه الى ان تتم الاجزاء سبعة كاملة .

* * *

واخيرا فان قسم التأليف والترجمة والنشر بوزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية ، يرجو — وهو يقدم هذا الجزء من كتاب « ترتيب المدارك » للمطبعة ، على ان تتبعه بقية الاجزاء الاخرى قريبا ان شاء الله — ان يكون بذلك عند حسن ظن أمير المؤمنين جلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله ، الذي ما فتىء جلالته يبدي مزيدا من الاهتمام بهذا القسم وباعماله ، خدمة للاسلام والثقافة الاسلامية العربية ، وعملا على احياء التراث المغربي ، وابراز مساهمة العبقرية المغربية فى خدمة الثقافة الانسانية عموما ، والثقافة العربية الاسلامية على وجه الخصوص .

كما نرجو ان ينال هذا العمل رضى جميع المواطنين ، ورضى جميع القراء فى العالم العربي والاسلامي ، وفى كل مكان ، وان يحقق الله به النفع ، وان يجعله خالصا لوجهه الكريم .

* * *

ولا يفوت قسم التأليف والترجمة والنشر ، ان يشكر لحضرة معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش ، عنايته الخاصة التي يوليها لهذا القسم ، وحرصه الشديد على ان تسير اعماله فى تقدم مستمر ، مستجيبا بذلك للرغبة المولوية الشريفة ، وممتثلا لتوجيهات صاحب الجلالة الحسن الثاني ، وتعليماته السديدة الموفقة .

* * *

واراني بصورة خاصة مدينا بالشكر للسادة القائمين على الخزانة الملكية العامرة ، وللسيد مدير الخزانة العامة بالرباط، والسيد رئيس قسم المخطوطات بها ، لما لقيته منهم جميعا ومن مساعديهم من تشجيع وعون ، كان لهما أعظم الاثر فى نجاح هذا العمل وانجازه فى مدة وجيزة .

والحمد لله اولا واخيرا ، ومنه سبحانه وتعالى نستمد العون والتوفيق ، له الحمد وله الشكر ، وهو على كل شيء قدير .

الرباط — 14 جمادى الاولى 1386 الموافق 31 غشت 1966 .

* * *

ومنها الى قصر السوق والريصاني وارفود ، وتافيلالت وميدلت والريش ، وكانت الدروس فى المساجد والمدارس والسينما ، والمنازل ليلا .

وكانت الموضوعات التي يختارها الاستاذ حسب الوسط الموجود ، واكثرها يدور حول المجمع بين الدين والدنيا فى مفهوم عملي ، او ايجاد الثقة فى القرآن والسنة بحيث التوافق مع العصر الحاضر ، او لمس مضار الخمر لمسا رقيقا ، او التبشير قبل التنفير او معنى التوبة واستيناف العمل الصالح ، او معنى حب الصالحين بالاقتداء بهم ، او تكريم العقل والتوازن ، او بيان منافع الحديد والمعادن والكنوز فى الارض ، او فضل العمل والكفاح فى الزراعة والصناعة ، او معنى المسؤولية والجزاء فى الاسلام ، او بيان ان التكليف تشريف .

ولقد قال لنا الاستاذ احمد عبد البر انه وجد قلوبا واعية ، وآذانا صاغية ، وعقولا راقية ، ثم زاد قائلا :

« حفظ الله هذا الوطن المحبوب ، وجعله خير قوة للدول الاسلامية ، وبارك الله للشعب الحبيب فى مولاي جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله » .

## ترتيب المدارك

اصدر قسم التأليف والترجمة والنشر بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية الجزء الثاني من كتاب « ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك » من تأليف القاضي عياض المتوفي سنة 544 .

ولقد سبق للوزارة ان اصدرت فى السنة الماضية الجزء الاول من هذا الكتاب القيم الذي يعد من اهم طبقات اعلام المالكية عموما ، حيث عارضه باصوله ، وعلق حواشيه ، وقدم له الاستاذ السيد محمد بن تاويت الطنجي .

والجزء الثاني من هذا الكتاب صدر فى شهر مارس الاخير ، وقد اعتنى بتصحيحه وعارضه باصوله الاستاذ السيد عبد القادر الصحراوي الذي صدره بمقدمة ضافية تحدث فيها عن الاصول التي اعتمد عليها ، والمنهج الذي اتبعه فى تحقيق هذا الجزء الثاني من كتاب ترتيب المدارك . . .

ومما جاء فى مقدمة الكتاب :

« وبعد ، فبأمر من حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم امير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله ، تقدم وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية الى المطبعة الجزء الثاني من كتاب « ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك » لمفخرة المغرب واحد رجال تاريخه العلماء الاعلام ، القاضي عياض السبتي ، دفين مراكش، والمتوفى سنة 544 هـ ، رحمه الله رحمة واسعة، وجازاه احسن الجزاء عن هذا العمل الضخم الجليل ، الذي نرجو — وقد توجهت همة جلالة الملك الحسن الثاني الى اخراجه كاملا ان شاء الله — ان يجعل الله تبارك وتعالى ذلك سبيلا الى تعميم الانتفاع به ، وتيسير الاطلاع عليه والاستفدة منه ، انه سميع مجيب الدعوات .

* * *

وكانت وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية قد طبعت فى السنة الماضية الجزء الاول من هذا الكتاب بعد ان عارضه باصوله وعلق حواشيه وقدم له الاستاذ السيد محمد بن تاويت الطنجي .

ثم عهد الي باخراج الجزء الثاني واعداده للطبع، على ان تليه بقية الاجزاء الاخرى ان شاء الله .

وها قد تم اعداد الجزء الثاني بعون الله تبارك وتعالى وحسن توفيقه .

فما هي الاصول التي اعتمدنا عليها فى اخراج هذا الجزء ؟ .

وما هو المنهج الذي اتبعناه فى تحقيقه ومعارضته بأصوله وتعليق حواشيه ؟

* * *

اما الاصول التي اعتمدنا عليها فأربعة :

اولها : النسخة الخطية المحفوظة بالخزانة الملكية العامرة تحت رقم 335 ، وهي نسخة جيدة كما سبق ان وصفها الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي فى المقدمة التي صدر بها الجزء الاول من هذا الكتاب ، ونشير الى هذه النسخة فى الهوامش بحرف : ا .

ثانيها : النسخة المصورة بالخزانة العامة ، بالرباط تحت رقم 2633 د ونشير اليها فى الهوامش بحرف :ك

ثالثها : النسخة المصورة المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط ، تحت رقم 2635 د ونشير اليها فى الهوامش بحرف : ط .

رابعا : النسخة المصورة المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 3402 د ونشير اليها فى الهوامش بحرف : م .

فتوصلت بـ 67 انتاجا من مختلف مدن المغرب وقد لوحظ ان جل المشاركين اسماء مغمورة فى ميدان التاليف المسرحي . فعرضت الانتاجات على عدة لجن لتدرسها .

* وصل الى المغرب سبعة من الاطباء التشيكيين فى نطاق التعاون بين البلدين ، ويشمل هذا الوفد جماعة من الاخصائيين فى مختلف الامراض

* صدر العدد الجديد من مجلة « آفاق » ، مزينا بمجموعة من الصور الفنية ، وهو عدد ممتاز خاص بالقصة والمسرحية

* ابرمت فى واشنطن اتفاقية بين المغرب والولايات المتحدة بمناسبة زيارة جلالة الملك لها ، وتنص بعض بنود الاتفاقية تاسيس جامعة امريكية بطنجة على ان يعود اتجاه هذه الجامعة الى حكومة المغرب ، كما تقضي بتوسيع وتمتين الروابط الثقافية ، وتبادل الدراسات ، والبرامج ، والدارسين ، والباحثين ، والطلبة

* تخليدا للزيارة الملكية الى الولايات المتحدة سيقام نصب تذكاري للسلطان مولاي محمد بن عبد الله فى احدى شوارع واشنطن الكبيرة

* صدرت الحلقة الثالثة من كتاب « العلم » بعنوان ( معركة المصير )

* تنظم الجمعية المغربية للمبادلات الدولية هذه السنة التجمع الدولي الرابع لشهر الصداقة تحت شعار « السكان والتكوين والعمل »

* سيصدر الكاتب فرافوا ريجيس باستيد قصة حول مراكش بعنوان : « بلاد النخيل » تصور حياة مراكش الساحرة .

* اقام اتحاد الجمعيات الثقافية بالبيضاء ندوة عن « اوقات الفراغ » شارك فيها السادة : محمد التازي ، ومحمد السباعي ، والركيبي احمد العبدي، وغازي بناني ، والحاج احمد الخليفي .

* عقد السيد محمد الفاسي عميد جامعة محمد الخامس ندوة صحفية فى جنيف تحدث فيها عن الحركة الادبية فى المغرب ، وضرب امثلة من الكتب التي صدرت حديثا فى القصة والروايات والدراسات

* فى سلسلة « الجهاد الاكبر » صدر كتاب جديد بالمغرب بعنوان ( معالم الطريق ) للشهيد الاستاذ سيد قطب .

* اشتوان بوكا ، مستشرق من المجر ، يقضي فى المغرب سنتين ليعد كتابا عن « الادب المغربي » ويظهر ان الادب العربي يثير اهتماما خاصا هذه الايام ، فسوف تصدر المجر تسع مجلدات ادبية خصصت جزءا كبيرا منها للادب العربي يكتبه المستشرق روبرت خيمون

* صدر للاستاذ السيد عبد الكريم غلاب كتاب جديد بعنوان « دفاع عن الديمقراطية »

* ( حب ) عنوان المجموعة الشعرية التي صدرت للشاعر المغربي ابراهيم السولامي عن المطبعة المهدية بتطوان .

* تلقى الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني من جامعة ميشغان بالولايات المتحدة دعوة للمشاركة فى اعمال مؤتمر المستشرقين العالمي الذي سينعقد فى الصيف المقبل فى الجامعة المذكورة . وسيتناول المؤتمرون بالدرس « دور المكتبات العامة فى الدراسات الشرقية ، والوسائل التي لديها للقيام بمهمتها » .

وسيتولى الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني التعريف بالثروة الضخمة من المخطوطات العربية وخصوصا المغربية ـ التي تزخر بها بلادنا ، والمجهود الذي بذله المغرب ـ منذ الاستقلال ـ للبحث عن هذه الثروة والمحافظة عليها والتعريف بها .

* تصدر الجالية الاسلامية فى فنلندا مجلة اسلامية باسم « القسطاس » .. وقد تضمن العدد الاخير منها مقالا اسلاميا بعنوان ( حاضر الاسلام ) كتبه الاستاذ محمد عبد الله ، احد الزعماء المسلمين فى هلسنكي عالج فيه ما وصلت اليه حالة المسلمين فى العالم الاسلامي وفي فنلندا بالذات .. كما وضح فيه بعض التعليمات والارشادات التي يحثنا ديننا الحنيف على اتباعها

* منحت جامعة الخرطوم فخامة الرئيس اسماعيل الازهري ـ الدكتوراة الفخرية في القانون ـ فى حفل توزيع الدرجات العلمية الكبرى التي شملت مختلف الحقول

ويذكر ان فخامة السيد الازهري قد تحدث عن فى الرابع عشر من هذا الشهر وفي حفل افتتاح المركز الاسلامي الافريقي فى الخرطوم عن الاسلام فقال : انني انتظر ان يجيء اليوم الذي تسود فيه كلمة الاسلام

# أنباء ثقافية

* زار المغرب اخيرا الاستاذ الكبير الباحث عبد الله عنان . والمغرب يعرف الاستاذ عبد الله عنان من خلال زيارته المتكررة باحثا ومنقبا ومحاضرا ويعرفه من خلال كتبه وابحاثه عن المغرب والاندلس فهو صاحب «المعلمة الكبرى عن تاريخ العرب والاسلام فى الاندلس» وصاحب كتاب عن « ابن خلدون » وكتاب عن « المرابطين والموحدين » فى جزاين كبيرين ، ومترجم كتاب ( يوسف اشباخت عن المرابطين ) ، وصاحب عدد كبير من المقالات والابحاث عن بلادنا .

* اقام الاستاذ ابو بكر القادري حفلة شاي بمنزله بمرور ثلاث سنوات على صدور مجلة « الايمان » التي تصدرها جمعية شباب النهضة الاسلامية .

* اقام الاستاذ محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس معرضا لرسومه بدار الفكر فى الرباط ، وكان الاقبال عليه شديدا .

* شارك فى مؤتمر الشباب بباريس وفد عن اتحاد كتاب المغرب

* يقوم الاستاذ محمد عبد المالك الكتاني بكلية الآداب بتحقيق مخطوطة نادرة من تراثنا الادبي الصوفي للكاتب الشاعر الوزير الإندلسي الشهير لسان الدين ابن الخطيب المتوفي سنة 776 هـ وهي كتابه ( روضة التعريف بالحب الشريف ) عن أصل مخطوطة موجودة بمركز الوثائق بالرباط ومقارنتها بالمخطوطات الاخرى الموجودة لهذا الكتاب فى المشرق . وهذا كتاب طالما تشوف العلماء والباحثون الى الاطلاع عليه .

* القى الدكتور المهدي بن عبود محاضرة قيمة فى موضوع « الانسان والكون » بدار الفكر سجلت نجاحا كبيرا .

* نظمت جمعية شباب النهضة الاسلامية معرضا للكتاب الاسلامي بقاعة الاساتذة بكلية الآداب بالرباط من 19 حتى 24 فبراير الماضي . ودشن المعرض السيد محمد الفاسي عميد جامعة محمد الخامس .

* فى نطاق اسبوع معرض الكتاب الاسلامي للتعريف بحقيقة الاسلام والفكر الاسلامي ، افتتح الاستاذ البحاثة ابراهيم الكتاني سلسلة المحاضرات الثقافية التي نظمتها جمعية شباب النهضة الاسلامية، وكانت محاضرة الاستاذ الكتاني بعنوان « الكتاب الاسلامي » ثم القيت عدة محاضرات من بينها محاضرة الاستاذ عمر بهاء الدين الاميري ، التي كانت بعنوان « الاسلام والتيارات المعاصرة » ومحاضرة الدكتور القباج فى موضوع « الطب عند العرب »

* شارك المغرب بوفد فى المؤتمر التربوي لدول المغرب العربي الذي نظم فى تونس تحت شعار اللغة العربية فى المدارس الابتدائية

* توجه السيد الامين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي الاستاذ عبدالعزيز بنعبد الله الى الشرق لزيارة بعض العواصم العربية بدعوة من حكومات الكويت ، والقاهرة ، وقطر ، وسيتصل بالمسؤولين فى جامعة الدول العربية وبوزارات التربية والجامعات والهيآت العلمية والاندية الصحافية في العواصم العربية التي يمر بها ، وذلك للتعريف بالتصميم العشاري لتنسيق التعريب فى العالم العربي الذي وافقت عليه الجامعة العربية .

* « فليسقط الصمت » عنوان المجموعة القصصية التي صدرت للقاصة المغربية خناثة بنونة

* وصلت الى المغرب مجموعة كبيرة من رجال الصحافة فى فرنسا بـ : 80 صحفيا ، وذلك لقضاء مدة قصيرة فى عاصمة الجنوب ، للتعريف على المغرب سواء من الناحية الطبيعية أو السياحية

* نظمت جمعية اصدقاء المسرح والسينما بالمغرب ، بالدار البيضاء مباراة فى التاليف المسرحي ،

المتحف البريطاني هذا الفهرس بانه على جانب من الاهمية للدول النامية الراغبة فى الحصول على مواد ادبية علمية لطلابها . وقال انه أقرب شيء لفهرس عالمي للكتب .

وقد استغرق اعداد هذا الفهرس ست سنوات سنوات وهي مدة قصيرة لاعداد كتاب من هذا القبيل. واستخدمت طريقة جديدة من الطباعة الفوتوغرافية للتعجيل فى عملية اعداده .

ومن الجدير بالذكر ان مجموعة كتب المتحف البريطاني تعد احدى اكبر ثلاث مجموعات فى العالم. وكان البرلمان قد قرر ضرورة ارسال نسخة من جميع الكتب البريطانية التي تنشر فى البلاد الى المتحف لحفظها . ودابت ادارة المتحف على اقتناء احسن الكتب الصادرة باللغات الاجنبية ايضا . فاعداد فهرس بجميع كتب المتحف يعد سجلا لآداب العالم الغربي .

وقد رتبت جميع اسماء المؤلفين حسب احرف الهجاء وذكرت الى جانبها اسماء المؤلفات والكتب التي وضعوها مع تاريخ تأليف كل كتاب .

ويتضمن الفهرس سجلا للكتب التي لا يعرف مؤلفوها ، وللمطبوعات الرسمية والمجلات والمؤسسات والاماكن والموضوعات التي الفت فيها كتب . أما ثمن هذا الفهرس الذي يتألف من 263 جزءا فهو 1700 جنيه . وقد نفذت جميع نسخه فى الحال .

* انعقد من 6 الى 10 فبراير الماضي مؤتمر الكتاب الافارقة وكتاب الدول الاسكندنافية وعمل هذا المؤتمر على اقامة علاقات وروابط ثقافية متينة ودائمة بين افريقيا والدول الاسكندنافية وقدمت خلاله عروض حول ادب وحضارة الدول الافريقية بالاضافة الى عدة قضايا أدبية أخرى عكف المؤتمر على دراستها.

* كتاب جديد لعبد الفتاح الديدي تصدره مكتبة الانجلو المصرية بعنوان ( القضايا المعاصرة فى الفلسفة ) وهو يتناول قضايا التحولات التقدمية وفلسفة : سارتر، وبونتي ، وسيمون دى بوفوار ، وما احرزه كل منهم فى مجالات فى الوجودية المعاصرة .

* ينتظر ان يصدر كتاب عن ( سارتر فيلسوفا وانسانا ) باشراف مجاهد عبد المنعم مجاهد . والكتاب يضم دراسات عن حياة سارتر وفلسفة ومناقشة اسلوبه فى الرواية والمسرحية ، واثر الوجودية في الفكر العربي .

* عهد الى الدكتور عبد العزيز الاهواني بتحقيق ازجال ( ابن قزمان ) ، وهو زجال عاش فى الاندلس فى القرن السادس الهجري ، لاعادة طبعها . كما عهد الى الشاعر احمد رامي ، بتحقيق الازجال التي حفظت فى المخطوطات العربية ، وخاصة احمد تيمور بدار الكتب بالقاهرة ، واسند الى سعد الخادم ، جمع الصور التي تشمل عليها المخطوطات العربية القديمة.

* الشاعر صلاح عبد الصبور نال جائزة الدولة عن مسرحيته الشعرية( الحلاج )

* جرى احتفال بجامعة القاهرة سلمت خلاله الدكتوراه الفخرية للرئيس السينغالي ليوبولد رئيس جمهورية السينغال .

* منحت وزارة الثقافة والارشاد القومي فى القاهرة حق التفرغ للناقد غالي شكري لاعداد دراسة عن تطور النقد الادبي فى مصر خلال 35 سنة .

* صدر للشاعر المصري فاروق شوشة ديوان بعنوان ( الى مسافرة ) واكثره من الشعر الحر ، قال النقاد ان الديوان صورة عميقة دقيقة المشاعر .

* من القيروان الى بواتي ( عنوان كتاب جديد بتونس للاستاذ محمد التركي الذي وضعه بالفرنسية، وهو يؤرخ فيه للفتح العربي بأوربا ودعمه بوثائق نشرت لاول مرة .

* اعلن فى تونس عن ميلاد مجلة شهرية جديدة تصدر باللغة الفرنسية باسم – ( هنا افريقيا ) .

* فى مهرجان الموسيقى الاندلسية بالجزائر فازت جوقة تلمسان بالجائزة الاولى .

* قررت بلدية الجزائر استبدال اسماء احياء وساحات وشوارع العاصمة التي لاتزال تحمل اسماء المحتلين باسماء جديدة لابطال سياسيين واحداث تاريخية كانت الجزائر والمغرب مسرحا لها .

ومن امثلة هذه الاسماء الجديدة :

شارع المارشال ليوطي : استبدل بشارع دمشق.

شارع الجنرال ليرين : استبدل بشارع عبد المؤمن الموحدي .

شارع بوغرطة : استبدل بشارع احمد شوقي .

وكثير من الاسماء التي تجسم المعارك التاريخية والوطنية والسياسية .

ويكون دعاة الاسلام هم السادة المكرمون .. وارجو ان يتمكن المسلمون من شق طريقه فى السودان وفي افريقيا والعالم .

* فى برقية لرويتر ان اول مسجد يبنى في مدينة نيويورك منذ ان اسست سيتم انشاؤه فى مدى سنتين او ثلاث من الآن .. وقد كشف الدكتور محمد عبد الرؤوف مدير المركز الاسلامي فى نيويورك النقاب عن وجود اتجاه لبناء هذا المسجد الجديد الذي سيرتفع فى قلب حي منهاتن بنيويورك والذي تقدر تكاليفه بستة ملايين جنيه استرليني

وتقول رويتر ان المسجد سيتسع لما بين الفين وثلاثة آلاف من المصلين وان باقي التفاصيل الخاصة به ستنشر قريبا عن طريق بيان يصدره مجلس امناء المركز الاسلامي الذي يضم فى عضويته رؤساء وفود عشرين دولة اسلامية لدى الامم المتحدة وتتبنى هذه الدول مشروع المسجد الجديد وهي مستعدة لفرشه وتزويده بما يحتاجه من الفسيفساء والاضواء والسجاد

* وضع الدكتور عمر فروخ كتابا اسماه ( لغة القرآن ) بالانجليزية والفرنسية .. وهو من كبار الادباء والبحاثة فى لبنان . وقد اسدى الدكتور فروخ خدمة كبيرة بتأليف هذين الكتابين للاجانب الذين يرغبون فى فهم معاني القرآن

وقد صنف الكتاب على اساس تقديم الالفاظ اولا ، ثم الجمل ، ثم الدرس كما تضمن الكتاب آيات مختارة من القرآن الكريم

* قرر ( معهد الدراسات الاسلامية ) فى دلهي جائزة قدرها خمسة عشر الف ربية هندية لوضع كتب عن فلسفة الاقتصاد فى الاسلام على أن تؤلف الكتب باللغتين العربية والانجليزية والا يقل الكتاب عن خمسة وسبعين الف كلمة .. وان يقدم الى اللجنة قبل يوم 21 مارس عام 1968 م

* الدعوة الاسلامية وتطوراتها فى شبه القارة الهندية . هو موضوع الرسالة التي يعدها الاستاذ محي الدين الالوسي وتعتبر هذه الرسالة اول رسالة من نوعها فى هذا المجال وتضم رسالة الدكتوراه هذه تاريخ بدء العلاقات بين الهندو العالم العربي ووصول الاسلام الى الهند والعوامل التي ادت الى انتشار الدعوة الاسلامية والخدمات التي اسداها العلماء الهنود في مجال الثقافة الاسلامية والعربية واخيرا جولة حول حاضر الاسلام والمسلمين فى الهند ويذكر ان الاستاذ ابو الحسن الندوي له رسالة مختصرة فى هذا الموضوع تتعلق بالاسلام فى الهند ، كما كتب الاستاذ عبد الله المنعم النمر رئيس تحرير مجلة الدعوة الاسلامية الكويتية كتابا عن تاريخ المسلمين فى الهند ، ونشر مقالات فى مجلة الحج التي يرأسها الاستاذ محمد سعيد العامودي بين عام 1382 و 1384 هـ .

* هناك خمسة آلاف مسلم يعيشون فى مدينة ( ميشجان ) بامريكا لم تستطع المدنية الغربية ان تؤثر على اسلاميتهم واخلاصهم لهذا الدين الحنيف .. وقد ذكرت سيدة مسلمة من اصل عربي ان المسلمين هناك تخلصوا من العادات البالية ولكنهم لا يزالون متمسكين بالدين الاسلامي .

وهناك مركز اسلامي جديد فى هذه المدينة جرى افتتاحه فى شهر فبراير عام 1964 م كما انشيء مسجد كبير بلغت نفقات انشائه 25000 دولار ساهمت في تأسيسه كل من الاردن وبعض الدول العربية ، وهذا المركز الاسلامي هو ثاني مركز فى امريكا لان الاول اقيم فى واشنطن .

وقد ذكر امام المركز ، الاستاذ محمد سري ، ان المركز يقوم بتقديم كل خدمة للاطفال المسلمين الموجودين هناك ... كما ان هناك مشروعا لاقامة منارة يبلغ ارتفاعها 25 قدما .

ويتولى الاستاذ ( كاروب ) القيام بنشر جريدة ( الرسالة العربية الامريكية ) كما يقوم بتحرير مجلة ( النجم الاسلامي ) التي تصدر عن ( اتحاد الجمعيات الاسلامية ) فى امريكا وكندا ..

* اعلن فى لندن عن اتمام طباعة اكبر فهرس في العالم وهو يتضمن اسماء الكتب المطبوعة المحفوظة لدى المتحف البريطاني خلال مدة خمسمائة سنة من فجر عهد الطباعة فى بريطانيا حتى عام 1955 .

ويتألف هذا الفهرس من 263 مجلدا وكل مجلد يتالف من نحو 500 صفحة كبيرة وهو يحوي اسماء حوالي اربعة ملايين كتاب ومؤلف . وقد سلمت نسخ من هذا الفهرس الى حوالي اربعين دولة منها لبنان والسودان . ووصف السيد فرانك فرانسس مدير

* يعد زهير بغدادي رسالة دكتوراه في لينينغراد موضوعها ( الواقعة الاشتراكية في الادب العربي المعاصر ) .

* تناول حسن النقاش المدرس في جامعة طاجيكستان بالاتحاد السوفياتي بالبحث في الشعر العراقي في القرن التاسع عشر . ويذهب حسن النقاش الى راي عدد من الباحثين الاوربيين هو ان الشعراء العراقيين بالذات اعدوا التربة الصالحة لنهضة الشعر العربي في اوائل القرن العشرين .

* ( العروض في اوزان الشعر العربي وقوافيه ) عنوان الكتاب الذي صدر مؤخرا ، وهو من تاليف الاستاذ حكمة فرج البدري .

* صدر حديثا كتاب ( مشكلة الرسوب في الثانويات ومصير الخريجين ) من اعداد الدكتور مسارع الراوي .

* ( السبيل الى القيادة ) عنوان الكتاب الذي الفه المارشال اللورد مونتغمري ونقله الى العربية العميد الركن حسن مصطفى ، ويقع الكتاب الذي ساعد المجمع العلمي على طبعه في اكثر من 300 صفحة

* صدر الى الاسواق الجزء الثاني من ( ديوان الحويزي ) الذي قام بتحقيقه الاستاذ حميد مجيد هدو . ويتضمن هذا الجزء قصائد الحويزي في مدائح ومراثي اهل البيت

* ( التعاونيات في العراق ) عنوان الكتاب الذي صدر مؤخرا من تاليف الاستاذ كاظم السماك .

* ( لن تراني الضفاف عنوان المجموعة الشعرية للشاعر الشهيد مثنى حمدان العزاوي ، وقد قام بجمعها الاستاذان جليل العطية وحميد سعيد . وقد ذكر جامعا الديوان بان هناك عشر قصائد لم تنشر في هذه المجموعة .

* سيطلق على مكتبة جامعة شيراز وهي مؤسسة مفتوحة للعلوم والتكنولوجيا والمعارف الاسلامية اسم الملك فيصل عاهل السعودية .

* في الهند الآن اكثر من ستة آلاف امراة جامعية يقمن الآن بابحاث علمية . هذا ما قرره المجلس الهندي في احصائه ثم ذكر ان هذا العدد يمثل حوالي عشر عدد الطالبات المتخرجات في الجامعات كما يلاحظ ايضا ان 80 ٪ من النساء اللواتي اخترن ميدان الابحاث العلمية تقل اعمارهن عن الثلاث وان 80 ٪ منهن يشغلن وظائف علمية معظمها في قطاع التدريس . ويبين الاحصاء ان 80 ٪ من هؤلاء قد درسن علم الحياة بينما تخصص الخمس في الكيمياء والعشر في الطبيعة والرياضيات .

* قرر المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو في جلسته الرابعة عشرة انتخاب الاستاذ بدر الدين طنجل رئيسا له . وكان الاستاذ طنجل قبل ذلك وزيرا للتعليم في الجمهورية التركية ، ورئيسا لقسم اللغات واللغة الفرنسية في جامعة انقرة ، كما انه ايضا نائب رئيس المجلس التنفيذي لليونسكو .

* تولت الشعبة الوطنية الفنلندية لليونسكو القيام بحملة اعلامية في مشاكل محو الامية من العالم وشكلت لهذا الفرض ، لجنة خاصة قوامها مندوبون عن منظمات الشباب يقومون بتنسيق الجهود وجمع الاموال اللازمة ، في نطاق نظام ( بطاقات اليونسكو ) للمعاونة .

* عقد في مقر اليونسكو بباريس ، مؤتمر خاص على مستوى الحكومات قرر فيه مندوبون عن 70 دولة قبول مشروع ميثاق للمعلمين يتألف من 145 مادة تحدد ، في نظر وضعية ، ماذا ينبغي ان يكون عليه الوضع المهني والاجتماعي والاقتصادي للمعلمين وكذلك حقوقهم ومسؤولياتهم .

* قال السيد اوغست شو مدير معهد نوبل في اوسلو ان 48 شخصا قد رشحوا لجائزة نوبل للسلام للسنة الحالية . ويعتقد ان بين هؤلاء المرشحين يوثانت السكرتير العام للامم المتحدة

وكان المعهد قد قرر ارجاء منح جائزة السلام لسنة 1966 الى هذه السنة .

* تصدر في الاتحاد السوفياتي 6595 صحيفة بـ 15 لغة . ويبلغ تعداد الصحف الصادرة فيها باللغة الروسية 4050 صحيفة يبلغ مجموع توزيعها الى 70 مليون نسخة . ويبلغ مجموع نسخ الصحف التي تصدر بلغات اخرى 7ر18 مليون ويشكل الروس 55 بالمائة من مجموع تعداد السكان في الاتحاد السوفياتي وهم يسيطرون على 75 بالمائة من الصحف وتصدر في الاتحاد السوفياتي 3833 مجلة ، منها 3140 مجلة باللغة الروسية اي بمعدل 82 في المائة من مجموع المجلات. وهذا العدد الضخم في المجلات والصحف الناطقة باللغة

* تعقد هيئات الدراسات العربية في الجامعة الامريكية ببيروت حلقتها الدراسية السنوية وسيكون موضوع هذه الحلقة ( الفكر العربي في مائة عام ) ومن الذين سيتحدثون في هذه الحلقة الدكتور عبد العزيز الدوري ، والمطران اغناطيوس هزيم ، والدكتور قسطنطين زريق .

* صدر مؤخرا ( عالم الالكترون ) وهو الكتاب الذي اشترك في تأليفه الاساتذة : جواد مصطفى جواد، وعبد الحميد صادق المنشيء ، وناجي مزهر عبد الرحمن .

* عين امين نخلة الاديب والشاعر اللبناني عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق .

* ( شعراء اليمن المعاصرون ) عنوان الكتاب الجديد الذي اصدره الاستاذ الشاعر هلال ناجي متناولا الحركة الشعرية في اليمن .

* ( زمن الرعب ) مسرحية طويلة للاديب الليبي الاستاذ عبد الحميد المجراب ستصدر قريبا عن احدى مطابع بيروت .

* عثر في احدى الارشيفات في طشقند عاصمة اوزبكستان على وثيقة نادرة تحتوي على معلومات هامة عن حياة بخارى في القرون الوسطى ، وهذه الوثيقة تؤكد الراي الذي يراه العلماء والقائل بان واحة بخارى كانت في القرن الثالث عشر مركزا كبيرا . وقد كافح السكان كفاحا شاقا ضد الخراب الذي حل بالزراعة بسبب هجمات قبائل المغول . فاعيدت الحياة الى قنوات الري والحرف وخاصة الحياكة ، واقيمت الصلات التجارية مع الشعوب الاخرى .

وهذه الوثيقة عبارة عن قطعة ورقية مطوية يبلغ طولها ثلاثة امتار مؤرخة في عام 1298 ومكتوبة باللغة العربية . وقد عثر عليها بين مجموعة من وثائق، وهي ذات قيمة علمية لان المصادر المكتوبة اندثرت كلها تقريبا نتيجة لغزو جنكيز خان منطقة آسيا الوسطى.

* ( قراءات من العربية المعاصرة ) عنوان الحلقة الخامسة التي اصدرتها جامعة ميشخان في الولايات المتحدة الامريكية ، وتضم جزئين الاول : يجمع نصوصا مختارة لثلاثين شاعرا عربيا ، ويضم الجزء الثاني بعض الشروح والتعليقات ، ومقارنة بين الوزن العربي والوزن اللاتيني .

* اصدرت دار النشر الطاجيكية بالاتحاد السوفياتي ، الطبعة الثانية بكمية كبيرة لمؤلفات محمد اقبال شاعر الباكستان .

وقد تضمنت مجموعة من مؤلفاته بعنوان : ( رسالة الشرق ) مقتطفات من كتبه باللغة الفارسية وبالاخص ( ترانيم شرقية ) و ( كتاب الخلود ) .

* ( البحر لا ماء فيه ) عنوان المجموعة القصصية التي صدرت مؤخرا للاديب الليبي احمد ابراهيم الفقيه ، ومن الجدير بالذكر ان هذه المجموعة فازت بالجائزة الاولى في المسابقة التي اجرتها اللجنة العليا لرعاية الفنون والادباء في وزارة الاعلام والثقافة الليبية.

* صدر ديوان ( اغنية الميلاد ) للشاعر الليبي خالد زغبية .

* صدر في ليبيا اخيرا الكتاب الثاني من سلسلة التراث الليبي التي تشرف على نشرها اللجنة العليا لرعاية الفنون والآداب بوزارة الاعلام والثقافة .

وعنوان الكتاب الجديد هو ( ابن غلبون مؤرخ ليبيا ) وهو يتناول بالدراسة مؤرخا عاش في النصف الاول من القرن الثاني عشر .

* فرغ الاستاذ عبد الله الجبوري امين مكتبة الاوقاف العامة العراقية من وضع فهرست للمخطوطات المصورة المحفوظة في خزانة المجمع العراقي ومن المؤمل ان ينتهي طبعه في وقت قريب .

* ( الايديولوجية العربية ) عنوان الكتاب الذي الفه الدكتور ياسين خليل واصدرته وزارة الثقافة والارشاد العراقية ضمن سلسلتها السياسية

* ( محمد كرد علي ) عنوان الكتاب الذي اصدرته وزارة الثقافة والارشاد ضمن سلسلة الكتب الحديثة وهو من تاليف الاستاذ جمال الدين الالوسي .

* صدر مؤخرا بالعراق كتاب ( ادباء المؤتمر )، وهودليل يضم بين دفتيه تراجم الادباء والشعراء العرب الذين شاركوا في مؤتمر الادباء العرب الذي انعقد في بغداد عام 1965

* بمناسبة مرور عامين على وفاة الشاعر العراقي بدر شاكر السياب ، فان كثيرا من الاندية في سوريا ، والعراق ، ولبنان ، ومصر ، ستقيم ندوات مختلفة لمناقشة شعر السياب في ذكرى وفاته الثانية.

من الحجم الصغير . و ( مشيناها ) للدكتور سليمان النجار فى 192 صفحة من الحجم المتوسط . و ( حناجر النور ) لراجي عشقوتي فى 142 صفحة من الحجم الكبير .

* ( نساء فى القرآن ) دراسة شاملة فى النواحي الدينية والادبية الاجتماعية والتاريخية للنساء اللوتي ورد ذكرهن فى القرآن الكريم . سيصدر قريبا للسيدة هداية سلطان السالم ، وهي من هيئة تحرير مجلة ( البيان ) الشهرية التي تصدرها فى الكويت رابطة الادباء الكويتيين

* يسعى اعضاء هيئة قسم اللغة العربية بكليتي التربية والشريعة بمكة المكرمة باعداد أول موسوعة ضخمة تشمل نمو الحياة الادبية بالسعودية وتوضح تدرجها وغاياتها ، وشبابها ، وما احدثته من مؤلفات.

* كتاب ( شوقيات ) أمير الشعراء احمد شوقي سيترجم الى اللغة الفرنسية عن طريق مجلس الفنون والآداب بالقاهرة .

* الاسلام والكفاح العربي فى مواجهة الاستعمار وشبهات التغريب )

كتاب جديد لانور الجندي يضم دراسة شاملة لقضية الاستعمار الفكري الغربي للاسلام واللغة العربية والثقافة والفكر والفقه فى مختلف الشبهات التي وجهت اليه ودراسة شاملة للكتاب والسياسيين الغربيين الذين حملوا لواء التغريب والتصدي لذلك ونصوص كاملة لهذه الشبهات والردود عنها صدر في القاهرة هذا الاسبوع .

**كتبت « الجمهورية » العراقية ، الذائعة الصيت التي يشرف عليها الاستاذ الكبير صبيح الغافقي مقالا كله تنويه واشادة بدعوة الحق نقتطف منه ما يلي :**

اضافت مجلة « دعوة الحق » منذ صدورهاتبل عشر سنوات للان مأثرة جديدة الى دور المغرب الشقيق فى خدمة لغة القرآن والتراث الاسلامي الفكري

وتصدر هذه المجلة عن وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية فى اكثر من 150 صفحة شهريا يشارك فى تحريرها اعلام الفكر الاسلامي فى المغرب والاقطارالاسلامية وتعبر فى روحها عن النهضة الادبية التي يشهدها العالم الاسلامي اليوم كما تؤلف فى مجموعها حلقة متينة بين المغرب والمشرق . ورابطة وثقى بين الماضي الزاخر بالحياة والحاضر المتدفق بأسباب اليقظة والتطور والتوثب .

ومن بين الكتاب الذين ساهموا باقلامهم فى العدد الاخير من المجلة : عبد الهادي التازي وأحمد التيجاني وعبد الله كنون والدكتور تقي الدين الهلالي المغربي الذي ساهم فى تحرير بعض الصحف العراقية خلال لجوئه للعراق وحسن السائح ومحمد بن تاويت والمهدي البرجالي واضرابهم من ألمع اهل الفكر والعلم فى المغرب .

ولم تقتصر اعداد دعوة الحق على نشر البحوث الاسلامية الاصيلة وانما فتحت صدرها للشعر ، وللقصة وعلى صعيدها يلتقي كل شهر فريق من الكتاب العرب وفى مقدمتهم ابناء المغرب .

ولعل من اكبر مآثر هذه المجلة التي كنا نرجو أن تجد لها ضريبا فى العراق والبلاد العربية الاخرى — توفرها على احياء التراث الاندلسي الخالد ولا يخلو عدد من اعدادها — من عدة مقالات تتناول المكتبة الاندلسية والفكر الاندلسي . بأقلام بعض المحققين البارزين .

واذا كان المغرب قد استطاع من خلال القرون الطويلة أن يقف موقفا صلبا فى الحفاظ على الميراث الاسلامي الضخم فان مساهمته فى الكشف عن ذخائر الاندلس والعمل على نشرها وتحقيقها فى السنوات الاخيرة مكرمة اخرى تضاف الى سجل الاعمال الفكرية الكبيرة التي تنهض بها اليوم بصفة خاصة جامعة الرباط ووزارة الاوقاف ، ومجلة دعوة الحق .

الروسية له تاثيره المباشر على سكان الاتحاد السوفياتي من الروس وغير الروس .

* يضم متحف الفنون الامريكي فى ولاية كارولينا الشمالية منذ الآن قاعة يستطيع فيها المكفوفون ان يروا المعروضات الفنية بطريق اللمس .

* استقبل معرض الفنون العربية الذي افتتح فى البحرين استقبالا حماسيا . ويضم المعرض لوحات فنية لرسامين من الج.ع.م والكويت ، والعراق ، وسوريا ، والاردن ، ولبنان ، والبحرين . وهذه اول مرة تعرض فيها فى البحرين مجموعة دولية من اللوحات على هذا المستوى .

وسيقام المعرض فيما بعد فى الكويت ، وبغداد، وعمان ، ودمشق ، وبيروت ، ثم فى لندن ، وباريس، وروما .

ومنح فنان من كل بلد من البلدان المشتركة جائزة تقديرية قيمتها 110 جنيه استرليني .

* كانت ايطاليا تضرب الرقم القياسي فى امتلاكها اصغر لوحة زيتية فى العالم حتى الآن ، يزيد طولها على مليمتر بقليل . وقد استطاع اخيرا الرسام الالماني والصائغ هانس يواخيم بابريكو فسكي رسم لوحة زيتية لدانتي بأربعة الوان يقل طولها عن مليمتر ، فحطم بذلك الرقم القياسي الايطالي . ولا يمكن مشاهدة هذه اللوحة الدقيقة الا بالمجهر ، تم عرضها اخيرا ببرلين فى معرض خاص للوحات الصغيرة .

* صدر عن منشورات دار البصري ببغداد كتاب ( تعبير الرؤيا ) للعلامة المشهور ابن سيرين .

* صدرت الاعداد 1 و 2 و 3 من سلسلة ( القرآن يهدي ) التي تصدرها مدارس حفاظ القرآن الكريم فى كربلاء وتضم مختارات من حكم القرآن والمقالات التوجيهية المفيدة .

* سيصدر قريبا عن دار العلم للملايين كتاب بثلاثة مجلدات تاليف الدكتور طه حسين وبالاتفاق معه بعنوان ( تاريخ الادب العربي ) المجلد الاول خاص بالادبين الجاهلي والاموي والمجلد الثاني العصر العباسي ( عصر النهضة ) والثالث عن الادب الحديث .

* ( صفحات من حياتهم ) اسم الكتاب الجديد من تاليف محمد محمد نصر من القاهرة يصدر قريبا ، يتضمن دراسات ادبية لخمسة وعشرين من أعلام النقد والقصة والشعر ، من بينهم طه حسين ، وتوفيق الحكيم ، والعقاد ، وحسين مؤنس ، ومحمود حسن اسماعيل ، وانيس منصور ، ولويس عوض ، وعبد الحليم عبد الله ، وجاذبية صدقي ، وامين غراب ، وغادة السمان وغيرهم .

* ( شباب السبعين ) هذا هو عنوان الديوان الجديد الذي سيصدر للشاعر العراقي الاستاذ احمد الصافي النجفي .

* ( حبر وعطر ) اسم الكتاب الجديد الذي اعده للطبع الاستاذ عبد الحميد العلوجي وهو يضم طائفة من مقالاته وبحوثه فى التراث الشعبي العراقي .

* صدر فى سلسلة مكتبة الفكر الجامعي بمنشوات عويدات فى بيروت كتاب ( مستقبل التربية فى العالم العربي ) للدكتور جميل طيبا .

* يصدر قريبا فى منشورات عويدات ببيروت الكتب التالية : ( المنطق ) للدكتور جميل صليبا ، ( تاريخ الرواية الحديثة ) تاليف البيريس ترجمة الاديب السوري جورج سالم ، مدخل الى تاريخ العلاقات الدولية ) تاليف رينوفان وديروزيل ترجمة الاديب السوري فايز كم نقش .

* امين نخلة الاديب والشاعر اللبناني انتخب عضوا مراسلا فى مجمع اللغة العربية بدمشق .

* انهى الاديب اللبناني خليل رامز سركيس ترجمته للاثر الادبي الضخم ( الاعتراف ) لجان جاك روسو . وستصدر فى منشورات اليونسكو خلال العام الجاري .

* انتهى الشيخ طه الولي من اعداد القسم الاول من كتابه المرتقب عن ( تاريخ مدينة بيروت ) وهو دراسة موسوعية عن المدينة منذ انشائها حتى اليوم . وقد جعل عنوان هذا القسم ( اسم مدينة بيروت ) ويتضمن ابحاثا ومراجعات فى تطور كلمة بيروت وتاريخها ومعانيها والالقاب والصفات والنعوت التي اطلقت على المدينة عبر الاجيال والعصور . كما انتهى الشيخ طه من اعداد كتابه ( بيروت فى الشعر العربي ) ومن المنتظر صدور هذين الكتابين خلال الشهور القريبة المقبلة ، بعد ان قضى المؤلف 13 عاما فى تحضيرهما .

* صدرت فى بيروت مؤخرا ثلاث مجموعات شعرية هي ( حبي له اكثر ) لخازن عبود فى 300 صفحة

# دعوة الحق

لة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
بشؤون الثقافة والفكر

العدد السادس والسابع – السنة العاشرة – محرم – صفر 1387 – ابريل – ماي 1967

## في هـذا العـدد :

| صفحة | | |
|---|---|---|
| 1 | عب في ميدان الفكر والثقافة . . . . . . | دعوة الحق |
| | **دراسات اسلامية :** | |
| 3 | هل اصبح الدين في العصر الحديث ظاهرة هامشية ؟ | للاستاذ عبد الله كنون |
| 6 | في نطاق الحوار حول موضوع : الاسلام في العالم المعاصر . . . . . . . | لسماحة الاستاذ نديم الجسر |
| 16 | لماذا نريد الاسلام ؟ . . . . . . . . . | للدكتور عبد السلام الهراس |
| 18 | لامستقبل للانسانية الا في ظل السلام والتعاون الدولي | للاستاذ احمد حسين المحامي |
| 22 | لم يكن القرآن لغة قريش فحسب . . . . . . . | للاستاذ الراجي التهامي الهاشمي |
| | **ابحاث ودراسات :** | |
| 26 | تقويم اللسانيين . . . . . . . . . . . | للدكتور تقي الدين الهلالي |
| 31 | تعديل تقويم اللسانيين . . . . . . . . | بقلم الاستاذ صاحب الامضاء |
| 34 | مع الوادي في قصيدته . . . . . . . . . | للاستاذ محمد الحلوي |
| 37 | نظرة في مجلة الآداب والعلوم . . . . . . | للاستاذ عبد الله كنون |
| 40 | الادب العربي في مواجهة شبهات التغريب . . . . | للاستاذ انور الجندي |
| 43 | نحن والتاريخ . . . . . . . . . . | للاستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ |
| 49 | القصة والفلسفة الاسلامية . . . . . . . . | للاستاذ محمد الامري المصمودي |
| 53 | التحكيم في الفقه والقانون . . . . . . . | للاستاذ الحسن الحجوي |
| 56 | الابداع الفني عند ريلكه . . . . . . . . | للاستاذ محمد السرغيني |
| 61 | لغة الشعر بين المنتج والمتلقي . . . . . . | للاستاذ عبد العلي الوزاني |
| 69 | محمد كرد علي . . . . . . . . . . | للاستاذ عيسى فتوح |
| 72 | المؤتمر التاسع والعشرون للتربية والتعليم . . . | للاستاذ عبد اللطيف خالص |
| 77 | استفتاء عام في موضوع اللغة العربية . . . . . | للاستاذ محمد العربي الخطابي |
| 79 | الوجادات . . . . . . . . . . | للاستاذ عبد القادر زمامة |
| | **ديوان المجلة :** | |
| 82 | دمعة على القمر . . . . . . . . . . . | للشاعر محمد الحلوي |
| 84 | ابن زيدون : مسرحية شعرية في اربعة فصول . . | للشاعر علال بن الهاشمي الفلالي |
| | **دراسات مغربية :** | |
| 93 | المغرب وفارس عبر التاريخ . . . . . . . | للاستاذ محمد بن تاويت |
| 96 | رسالة المنصور الذهبي لاحد اقطاب الشرق . . . | للاستاذ عبد الهادي التازي |
| 105 | القاضي ابو الوليد محمد بن رشد الفيلسوف الاندلسي | للاستاذ احسان النمر |
| 117 | نظرات في ديوان ابي حيان الغرناطي . . . . . . | للاستاذ سعيد اعراب |
| 121 | باب الشريعة احد مداخل الحمراء الرئيسية . . | للدكتور محمد كمال شبانة |
| 124 | الادب الصوفي في الاندلس . . . . . . . . | للاستاذ محمد المنتصر الريسوني |
| 128 | المناهج العلمية عند ابن خلدون . . . . . . | للاستاذ محمد الامين الدرقاوي |
| 132 | الاحوال العقلية في مجالي التخلف والانماء . . . | للاستاذ المهدي البرجالي |
| 140 | ادب وفكر . . . . . . . . . . . | للاستاذ مبارك ربيع |
| | **معرض الكتب :** | |
| 145 | صفحات مغربية للدكتور نقولا زيادة . . . . . . | تقديم وتعليق الاستاذ محمد حجي |
| 150 | الامام الاوزاعي . . . . . . . . . . | تقديم الشيخ طه الولي |
| 157 | ابو العلاء عفيفي . . . . . . . . . | للاستاذ محمد البوسرغيني |
| 160 | تعقيب على تعقيب . . . . . . . . . | للاستاذ محمد بن تاويت |

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الإسلامية
بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

# كلمة العدد

## بعث في ميدان الفكر والثقافة

لقـي الموسم الثقافي الرائع الذي اقامته كتابة الدولة فى الشبيبة والرياضة ، ومعرض الكتاب العربي الذي نظمه المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي، وندوات اتحاد كتاب المغرب العربي نجاحا منقطع النظير كان له صدى بعيد فى دنيـا العلم والادب ، انعش حياتنا الفكرية ، وبدد ما غشيها من ظلام ، واكتنفها من خمود .

والحق ان المغرب شهد فى موسم الربيع لهذه السنة نشاطا ثقافيا متواصلا على مدى بعيد شمل الادب والعلم والاقتصاد والاجتمـاع .

فقـد خلع الربيع الطلق الضاحك على حياتنا الثقافية جوا منعشا نشأ عنـه بعث جديد ، ونشور رائع ، اعاد الى الحياة الفكـرية شبابا نابضا اتسم بالنشـوة والغبطـة ، والحركـة والنشـاط .

فالدولة وضعت كل امكانياتها للمثقفين من ابناء المغرب ، واعطت الموسم الثقافي الحافل ما يستحقه من الحماس والاهتمام ، حرصا منها على اخصاب حياتنا الفكرية ، واعطاء ثقافتنا القومية دفعات دافقة شابة ، يشع منها رفع المستوى العقلي ، ويعمم التعليم ، ويعرف الجميع حقائق الحياة المتطورة المتجددة التي يريدون ان يحيوهـا ، حتى لايتخلفوا عن مسايرة ركب الحياة ، ويصموا آذانهم عما يجري فى هـذا العالـم الكبير ، ويبدعه العلم من اختراع ، وياتي بـه من مفاجآت ، ويحققه من معجزات .

وهكـذا دعـي عدد من رجال الفكر والادب لالقاء سلسلـة من المحاضرات ، واقامة شتى الندوات فى المؤسسات الثقافية ، والمراكز العلمية ، كما اقيمت معارض للكتاب العربي فى مختلف مناحيه ايمانا من المسؤولين بمـا عليهم من رعايـة قضايـا الفكـر والادب فى هذه البلاد ، وثقة منهم بفعالية اللغة العربية ، وقدرتها على البقاء ، ومطاولـة الزمـان ، ومغالبة الاحـداث .

فقـد قصرنا ــ منذ عهد غير بعيد ــ فى ذات الادب والعلم ، وآثرنا السلامـة والعافية ، راضين من الغنيمة بثقافة سطحية ضحلة على دراسة عميقة واسعـة ، كمـا اتسم سيرنا بالبطء المزمن الذي لا يتسق مع النهضة الفكرية العالمية ، والوثبات العلمية الرائعة ، فتوزعت اتجاهاتنا ، وتبددت قوانا ، مما كـان سببـا فى تشتيت الوحدة ، وتبديد الجهود ، فلم نهتد الى العلاج الناجع الحاسم ، والامر القوي الحازم الا بعد لأي ... وتخبطات مضنية فى تحديد المقاصد والغايات .

العدد السادس والسابع
السنة العاشرة
محرم - صفر 1387
ابريل - ماي 1967
ثمن العدد
درهم واحد

# دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

## بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

---

يدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدى 55 ـ 485 ـ الرباط

**Daomat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat**

او تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

---

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

---

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

# هل أصبح الدين في العصر الحديث ظاهرة هامشية

للأستاذ عبد الله كنون

لم يتعرض الدين أي دين كان ، والدين الحق بالخصوص ، في جميع العصور الماضية، لمثل ما يتعرض له في العصر الحاضر من انكار وتشنيع ، فمن وصفه بانه خرافة ، وانه افيون الشعوب ، وانه ضد العلم وضد الحضارة — الى الازراء على اهله ورميهم باقبح التهم ، كالتعصب والنفاق والتخلف والرجعية وما الى ذلك ، هذا على حين ان الاكثرية من الامم والشعوب ما تزال متمسكة بعقيدتها الدينية ، ومتشبثة بشعائرها من عادات وعبادات ، سواء كانت من اتباع الاديان السماوية او من منتحلي الاديان الاخرى حتى الوثنية منها ، وذلك لان حاجة البشر الى الدين كحاجتهم الى الطعام والشراب . فاذا كان الجسم لا بد له من غذاء لاستكمال نموه وقوته والمحافظة على سلامته واستوائه ، فان الروح التي بها يعد الانسان انسانا ، اولى بما يقيم اودها ويذكي شعلتها ، وليس هو الا الدين .

وانك لترى كثيرا من المسرفين على انفسهم في ساعات الحسرة والضيق والاضطرار ، فتلاحظ من تعلقهم بالله والتضرع اليه ورجاء رحمته ما تقضي منه العجب . بل اني لا اشك في ان اكبر الملحدين حين تنزل به النازلة لا يقوى لها على دفع ، من خطر عظيم يتعرض له ، أو داء عضال يصيبه ، بله حادث الموت اذ يستيقنه، لن يتردد في التطلع الى السماء والرجوع عن غلوائه ، مما يدل على ان التدين غريزة طبيعية في الانسان لا يمكنه ان يتخلص منها ولا ان يتخلى عنها وان انكرها احيانا وتوهم انه يستطيع ان يعيش بدونها ، ولنقرأ على سبيل المثال قوله تعالى في شأن فرعون : « فلما ادركه الغرق قال آمنت » . والامثلة على ذلك من غير القرآن في الواقع المحسوس ، والتاريخ المتداول ، والنصوص الادبية ، شعرية ونثرية ، وصفية وذاتية ، كثيرة لا نستطيع ان نلم بها هنا .

انما المشكل الذي تحار فيه الاذهان ، هو ان يكون هذا مقام الدين في النفوس وعلى الصعيد العملي ، في الوقت الذي تشن عليه الحرب التي لا هوادة فيها ، ويقاوم بكل الوسائل ، سواء في البلاد التي اعلنت لادينيتها بصراحة ، او التي ما تزال تدعي بانها متدينة رسميا .

والحقيقة ان المعركة ضد الدين ، ليست معركة الامم والشعوب ، وانما هي معركة طائفة من الناس استولوا على مقدرات بلادهم واخذوا زمام السلطة فيها اما باستعمال القوة والعنف او بطريق المكر والخداع ، فاستطاعوا ان ينفذوا مخططاتهم في السياسة والاقتصاد، وان ينشروا افكارهم التي تهدم دعائم المجتمع المتدين ، لانه لا يتلاقى ومخططاتهم المبنية على فلسفة مادية الحادية .

وبعبارة اخرى هي معركة الشيوعية والماسونية وغيرهما من الحركات المعروفة بمعاداتها للدين وطعنها في مثله وقيمه ، وخصصت بالذكر هاتين الحركتين لانهما منتشرتان على نطاق عالمي ، ولانهما بواسطة الاستيلاء على مقاليد الحكم بالنسبة الى الاولى ، وتسخير الحكام بالنسبة الى الثانية ، تعملان على بث

ومهمـــا تكـن هناك من ملاحظات ، فلا يسعنا الا ان نثني على تلك الجهـــود المبذولة فى سبيل العناية بالتعليم ، ورعاية شؤون الفكر وحماته ، والعمل على تحريك الهمم ، وبعث العزائم لتجديد العقلية المغربية ، وتاهيلها للتوجيه الروحي والادبـــي والعلمـــي والفنـــي والاجتماعـــي .

وهـــو توجيه هادف من الدولة ورجال الفكر فى ميدان الثقافة ، يجدد الثقـــة فى النفوس ، والايمان فى القلوب ، والاصالة فى العقول ، ان دل على شيء ، فانما يـدل على ان ثمـــة مرحلة جديدة تمر بها الثقافة المغربية ، وآفاقـا رحبة الحدود اكثـر خصوبة ، واجدى نفعا تتراءى امام العاملين ..

اننـــا نملك ثـروات فكرية وعلمية ، وبلادنا غنية بطائفة من العلماء ورجـــال الفكر فى كل فرع من فروع المعرفة ، وان هؤلاء اصبحوا اليوم امام مسؤوليات اكثـر جسامة ، ومواقف اكثر دقة ، ولا مندوحة لهم عن ان يتحملوا رسالتهم المقدسة لبعث حضارة مغربية أصيلة تقوم على الاخذ والعطاء ، وتنبض بالخلجات الانسانية ، وتتطلع للقضاء على المتناقضات ، وتستهدف اولا وقبل كـل شيء تغذية العقـــل والقلب والـــذوق والوجـــدان .

وأملنـــا ـ اذا اردنا حياة متكاملة ـ ان لايبقى نشاطنا الفكـــري مقتصرا فى ميدان المعرفة على الادب والعلوم الانسانية بصفة عامة ، بل لابد من العناية باقامـــة مهرجان للبحث العلمي يشمل العلوم التطبيقية والصناعات الحديثـــة حتى نعمـــل على خلق الروح العلمية ، وازدهار حركة البحوث فى بـــلادنا على أوسع نطـــاق ، وابعـــد مـــدى .

ولا ريـــب ان توفر الروح العلمية ، وانكباب فئة من الجامعيين المختصين على البحث العلمي فى جميع حقول المعرفة ، هما عنصران اساسيان متممان لكل نهضـــة تعليمية وثقافية ، وكل نهضة يعوزها العنصران المذكوران تكون ناقصة المفعـــول ، قليلـــة الجـــدوى .

وقـــد اصبح من الضروري ان نقتدي بالجامعات العالمية التي تتجه من حين لآخـر فى هذا الميدان الى تعميم طريقة تكليف الطلبة بالقيام ببحوث علمية صغيرة ، أو بتجارب معينـــة داخـــل المختبـــرات ...

فكـــم من دراسة علمية ، وبحث علمي قام به طالب فى العلوم التطبيقيـــة أدى الى نتائج جديدة هامة مما يساعد على اكتشاف روح البحث عند الطلاب مبكـــرا ، وتركيز الروح الجامعيـــة بيـــن الطلبـــة .

ونوجـــه نـــداء حارا الى كتابة الدولة فى الشبيبة والرياضة والهيآت الثقافية الاخرى التي اسهمت بحظ وافر فى هذا الموسم الثقافي الحافل الذي شهدته بـــلادنا لتمديـــد هذا النشاط الفكري ، والمهرجان الثقافي حتى يبقى المواطن المغربي مرتبطا ادبيـــا مع رجال الفكر ، ومساهما فى مجتمع راقي الطبقات ، مثقف النواحي .

واننـــا اذ نبارك هذه الجهود الموصولة التي تتآزر وتتعاون على ازدهار الحياة الثقافية وتطوير الحركة الفكرية ، لنرجو مخلصين ان نعمل جميعا على تحديد سياسة مرسومة ، وغاية معينة ، حتى نتخلص من تركة السنـــوات الماضية ، ونمحـــو تلك العبودية العقلية التي غذاها الاستعمار بالامس الدابر ، والتي هـــي أسوأ اثـــرا ، وابعـــد خطـــرا مـــن العبوديـــة الجسميـــة .

دعوة الحق

والبطل الانكليزي كولبير ، استدعت الملكة اليزابيت ملكة انكلترا كولبير هذا ، واقامت له مادبة غذاء احتفاء به وتشجيعا له على منازلة كلاي ، واعربت له عن رغبتها في هزيمة خصمه ، وما ذلك الا لان كلاي مسلم يحمل اسم محمد ويعتز بدينه ويرى ان انتصاراته في معاركه الكاسحة انما هو من بركة الدين الاسلامي ومزاولته لشعائره وخاصة الصلاة بايمان واخلاص .

انه لم يسبق ان استدعت ملكة بريطانيا العظمى لتناول الغذاء على مائدتها في مثل هذه المناسبة بطلا رياضيا مهما كان شانه ، وتعبر له عن رغبتها في انتصاره على خصمه ، ولذلك فهم الناس من هذا الاهتمام ان شعورها الديني كان غالبا عليها في هذه الحالة ، وانها انما تصرفت بحسب ايحائه ، وهي معذورة في ذلك وان كان املها لم يتحقق .

لمن نسوق هذا المثل ؟ للرؤساء ام للحكام ام للشباب ؟ وكلهم احرياء ان يعتبروا بمغزاه وياخذوا منه درسا وتعليما ؟ .

وخبر من الفاتيكان ياتي في هذه المدة ، فيملي على المذبذبين موقفا في الزعامة الروحية كيف تكون ؟ وذلك لما عزم كروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفياتي اثناء جولته في اوربا على زيارة البابا ، فقال ناطق بلسان هذا الاخير : ان الحديث بين الرجلين سيدور على مسالة السلام العالمي وعلى حالة الكنائس الكاثوليكية في روسيا التي يهتم البابا بها اهتماما خاصا .

وهذا الخبر غني عن التعليق ، فان المجاملة السياسية بين رجل الكنيسة ووزير خارجية الدولة اللادينية الاولى في العالم ، لم تطغ على شعور رجل الدين فتنسيه واجبه في الاطمئنان على مؤسسات رعاياه في بلد السوفيات والتاكد من سلامتها ، ان هذا هو ما يقع في الغرب ، حيث العلم والحضارة قد بلغا اوجهما ، اما عندنا في الشرق الاسلامي فان قادة الفكر وزعماء الاصلاح يجهدون انفسهم في ان يتلمسوا للشيوعية وما اليها جذورا في التعاليم الاسلامية ، ويحرصون كل الحرص على تلاقي الفكر الماركسي والاسلام .

اما السؤال عن حالة المسلمين في الاتحاد السوفياتي ومساجدهم ومدارسهم وأوقافهم، ومجابهة المسؤولين الروس بذلك ، فان الديبلوماسية الشرقية الاسلامية لا يمكن ان ترتكب هذا الخطا الذي يدل على عدم اللياقة .

والى هذا أحب ان اشير لما شاهدته مرارا في بعض بلاد اوربا كسويسرا وايطاليا من تجهيز غرف الفنادق بكتاب الانجيل ، وكنت لما وجدته اول مرة ظننت انه وضع خطأ في الغرفة التي نزلت بها ، او ان احد المسافرين نسيه فيها، ثم تكرر وجودي له مع دليل التليفون في الغرفة التي انزلها من كل فندق تقريبا ، ورايت ان بعض النسخ تكون مجلدة احسن تجليد ، مما يدل على عمق الشعور الديني ويقوي الرغبة في القراءة او التصفح على الاقل عند النزيل .

فهذه ظاهرة اخرى من تدين الغربيين لا نظير لها عندنا ولو في فنادق مكة والمدينة ، افبعد هذا يقال ان الدين اصبح ظاهرة هامشية في العصر الحديث لمناقضته لرقي العلم والحضارة العصرية ؟

نعم ان الدين في البلاد الجاهلة كبلادنا ، يعاني ازمة شديدة من حيث الجهل بمفاهيمه الصحيحة ، ومن حيث اغترار شبابنا بما يقال عنه من افك وبهتان ، ولكنه في البلاد المتعلمة ، على ما رأينا له من بسطة وسلطان، ولا يضيره هناك ما يوجه اليه من نقد وتهزيء، لان القوم قادرون على تمييز الصحيح من السقيم والغث من السمين ، ووجود طائفة من الملحدين وغير المومنين في المجتمع الراقي معهود ، كما كان في البلاد الاسلامية على عهد الخلفاء العباسيين وفي العصر الذهبي للحضارة العربية ، ولكنه لم يؤثر قليلا ولا كثيرا على وضعية الدين الاسلامي وسيادته والتمسك بعقيدته والحكم بشريعته ، بل كانت تلك الطائفة دافعا قويا لقيام دراسات اسلامية عظيمة الاهمية في نقض المطاعن التي توجه للدين والتمكين لسلطانه من النفوس ، ولذا فان تاثير المتسللين والعابثين بالقيم والاخلاق الدينية انما يخشى في المجتمع المتخلف وعلى طبقة الشباب التي تحصن بالتربية الاسلامية العالية ولم تزود بالمعلومات الصحيحة عن سمو دينها وعبقريته التي لا يرقى اليها الشك ولا الخلاف .

وهذه هي معركة الدعاة الحقيقيين في العالم الاسلامي اليوم .

**طنجة : عبد الله كنون**

سمومها ورفع راية الالحاد في كل مكان من غير خجل ولا نكير ، بخلاف باقي الحركات والمذاهب كالوجودية مثلا ، فانها وان كانت تسهم بنصيب وافر في نشر الالحاد بين الشباب والتحامل على الدين ، الا ان ذلك انما يكون من طريق التلقين والفتنة . وغير خاف ان وسائل الاعلام في هذا العصر قد تعددت تعددا لم يعرف من قبل ، وان فن الدعاية قد تقدم تقدما عظيما في الثلاثين سنة الاخيرة ، اي فيما بعد الحرب العالمية الثانية ، والذين يسيطرون على وسائل الاعلام ويوجهون الدعاية في اكثر الدول ، هم ممن يتعارض الدين مع مصالحهم الخاصة ونزواتهم الشخصية ، فهم لذلك لا يدخرون وسعا في التنديد به سرا وجهرا وبطرق مكشوفة ومستورة ، هذا في البلاد غير الشيوعية التي تسيطر عليها الماسونية وتنخر مجتمعها الفلسفات المادية الالحادية ، واما في البلاد الشيوعية فان الدعوة الى الالحاد ومعارضة الفكر الديني هي سياسة الدولة وعليها تقوم فلسفة المذهب الشيوعي ، ففي مثلها يقال من جاء على اصله فلا سؤال عليه . ويفهم من هذا ان البلاد الشيوعية ليست على دين حكامها ، وان سياسة القمع والقهر هي التي تحول بينها وبين الاعلان عن شعورها الديني وممارسة شعائر دينها ، سواء كان هذا الدين اسلاما او مسيحية او بوذية ، الا بقدر ما يسمح به الجهاز الحاكم في بعض الاحيان ولبعض الناس قصد الدعاية والتضليل .

وهذه حقيقة لا شك فيها ، علمناها من بعض الاخوان الروسيين واليوغوسلافيين المسلمين ، ونتحققها بالنسبة الى باقي الشعب الروسي المسيحي وغيره من الشعوب الخاضعة للسيطرة الشيوعية ، بما قدمناه آنفا من كون التدين غريزة انسانية مركوزة في طبيعة البشر لا معدى لهم عنها لطهارة ارواحهم وسمو انفسهم ، وقد ناخذها من الاية الكريمة المعجزة التي تقول ( وان من أهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته ) فهي ان كانت صادقة على الكتابيين الاحرار الذين لا يخضعون لضغط ولا اكراه ، فلان تصدق على الكتابيين في روسيا الحمراء مثلا من باب اولى واحرى، وتكون مع ذلك من معجزات هذا القرآن الخالد ، والنتيجة ان الحملة على الدين ، وزحزحة رجاله عن مكان القيادة بسبب تلفيق التهم عليهم ، هي خطة مدبرة من حركات سياسية اهمها الشيوعية والماسونية ، تعززها مذاهب فلسفية كالوجودية ، وليست مما يدل على ان طبيعة العصر الحديث هي عدم التدين ، وان الدين اصبح ظاهرة هامشية لا يلبث ان يتخلى عن مكانه لهذه المذاهب المادية والنزعات الالحادية ، وتقولها للشباب المسلم خاصة ونحذره من الاغترار بما يراه ويسمعه من المظاهر الزائفة والضجة المصطنعة التي توهم السذج والقاصرين ان صبغة الدين قد نصلت عن المجتمعات الراقية ، وان التدين لم يبق له مجال في عصر الصواريخ والاقمار الصناعية ، ان ذلك كله انما هو من حرب الدعاية ، وليس هو الواقع المعاش في البلاد التي تصدر عنها تلك الاقوال وتلك المشاهد ، ولنستعرض بعض الحوادث التي وقعت في الشهور الاخيرة في البلاد الاوربية والامريكية مما تنعكس عليه روح التدين المتغلغلة في النفوس هناك .

فقد عقد في ابريل الماضي بليما عاصمة جمهورية البيرو من جمهورية أمريكا الجنوبية ، المؤتمر الخامس للاحزاب السياسية المسيحية باوربا وامريكا ، واتخذ عدة قرارات في السياسة العالمية ، وانجلى اخيرا عن كارثة الطائرة التي كانت تقل عددا من وفود هذه الاحزاب كماورد في الانباء. والاحزاب السياسية المسيحية في اوربا وامريكا الجنوبية منتشرة بكثرة ولها نفوذ قوي في سياسة بلادها ، وهي الان الحاكمة في المانيا وايطاليا وما لا ندري من دول أخرى ، فاذا كانت هذه منظمات سياسية في بلاد راقية يضرب بها المثل في التقدم والحضارة ، لم تستنكف ان تنتمي للدين وان تجعل منه شعارا لها ، فكيف يقال ان الدين قد تقلص ظله او كاد، واصبح ظاهرة هامشية في العصر الحديث ؟ ومما لا شك فيه ان المنظمات السياسية هي آخر ما ياتي في تصنيف المنظمات التي تنتمي الى الدين كالمنظمات الاجتماعية المختلفة المهام والمنظمات التبشيرية التي نعرف كلنا نشاطها في بلادنا فاحرى في بلادها ، وانما قصدنا ان نضرب المثل بالمنظمات السياسية للمغرورين من دعاة التقدمية عندنا الذين يعتبرون الدين من مظاهر الرجعية والتخلف ، ونقارن بين ما يجري في اوربا وامريكا وما يجري عندنا . . فهذا مؤتمر الاحزاب السياسية المسيحية يعقد للمرة الخامسة بلا جلبة ولا ضوضاء ، ونحن لما قامت الدعوة بيننا لعقد مؤتمر اسلامي للقمة ، كادت السماء تقع على الارض مما قوبلت به هذه الدعوة من تراشق بالتهم وخصومة حادة بين المسلمين .

اما الاحزاب السياسية الدينية فلا نرى لها وجودا في بلاد الاسلام ، اللهم الا ان يكون في باكستان والهند لظروف خاصة .

وحادث آخر له مغزاه ، وهو انه لما تقرر أن تجري مباراة في الملاكمة بين البطل العالمي كلاي

حقيقة اوضحها لانها بذاتها حقيقة ، ولانها حقيقة ترضي النفوس حين قال :

**( ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن ، الا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ) .**

وسواء كانت حروب الفتوح الاسلامية قد جرت لازالة الموانع الصادة عن نشر الدعوة ، كما يقول المسلمون ، أو جرت لايجاد المجال الحيوي للبقاء والانطلاق **«حتى لا يتحول نهر الدعوة الاسلامية الى مستنقع يجف فى ارض الجزيرة العربية »** ، كما يقول **«غوته»** ، أو جرت لانشاء امبراطورية ، كما يقول خصوم الاسلام ، فان المفكر الغربي المحيط باحداث التاريخ ، لابد له أن يحكم بأن تلك الحروب الاسلامية ، مهما تفسرت بالدواعي الدينية ، او بالدواعي الامبريالية ، لا تخرج ، فى اسبابها ، عن أن تشبه بالحروب الطويلة التي قامت بين الكاثوليك والبروتستانت ، لخلاف لايدور فى جوهره حول أصل العقيدة ، او ان تشبه بالحروب الاستعمارية التي شنت ، من دول اوربا على الآمنين الضعفاء من سكان امريكا وافريقيا والهند والشرق الاقصى ، من اجل انشاء امبراطوريات ، واستغلال ثروات البلاد المفتوحة . مع فارق عظيم فى التشبيه قال به كثير من علماء الغرب . وهو ان هذه الحروب الاستعمارية كانت أكثر ضراوة وقسوة فى معاركها ، واكثر ظلما فى نهب البلاد المفتوحة وافقار أهلها . مما كانت عليه الحروب الاسلامية فى معاركها ونتائجها . وهو الفارق العظيم الذي جعل فيلسوفا مسيحيا عظيما ذا نظرة محيطة واضحة الرؤية ، يقول : **« لم يعرف التاريخ فاتحا ارحم من العرب ».**

كذلك لابد للمفكر المسيحي المحيط بأحداث التاريخ ، ان يقول ، عن المظالم التي اقترفها بعض حكام المسلمين مع غير المسلمين ، خلافا لحكم القرآن، انها ، عند التشبيه والمقارنة ، لا تعد شيئا مذكورا بالنسبة الى ما ارتكب فى اوروبا ، باسم الدين وخلافا لحكم الانجيل ، مع المسيحيين انفسهم ، ومع المسلمين واليهود من مظالم تقشعر لها الابدان .

ولست هنا فى مقام التفصيل لاذكر الوقائع والكتب والمراجع ، لانها معلومة لدى كل مثقف قرأ التاريخ ، وان كنت أحيل على آخر ما قرأته فى السنوات الاخيرة وهو **« تاريخ الحضارة »** الكبير للفيلسوف الامريكي **« ويل ديورانت »** ، وكتاب « Les grands courants de l'histoire universelle » **لجان بيرن** الاستاذ فى جامعة بروكسيل . ولا لزوم للتذكير **بالافران النازية ، وقنبلة هيروشيما** ، وحرب فيتنام .. وما اقول كل هذا الا لترتاح قلوبنا **جميعا** ، حين نتذكر انلكلامة اخطاءهابمقادير مختلفة. والتاريخ المقارن ، وحده ، هو الذي يضع فى الميزان حسنات كل امة وسيئاتها . وبدون هذه المقارنة سوف تظل كل امة تحتكر لنفسها الحسنات ، وتنسب الى غيرها السيئات ، بحكم التعصب الوطني الذي يعبر عنه ويل ديورانت بقوله الظريف : **«ما من أمة تنهزم فى كتب تاريخها »**

## غثاء السيل

من اعاجيب اعجاز كلام الرسول العربي انه وصف لنا ما سيكون عليه حال المسلمين فى المستقبل ، وصفا ينطبق ، بكل كلمة منه ، على **واقع المسلمين** فى العالم المعاصر من قبيل القرن الماضي الى منتصف القرن العشرين .

ان واقع العالم الاسلامي المعاصر فى الفترة المذكورة يتلخص وصفه بما يأتي :

**1 — فى العدد** : كتلة هائلة من البشر ، يبلغ عددها الحقيقي ، لو جرى احصاء دقيق ، اكثر من **سبعمائة مليون** اي ما يزيد على ربع سكان الارض .

**2 — فى المكان والمركز** : تحتل ، هذه الكتلة العظيمة ، وسط العالم القديم وسرته ، فى رقعة واسعة متصلة ، تجمع بين آسيا وافريقيا ، وتشمل اكثر شواطىء البحر الابيض المتوسط ، وجميع البحر الاحمر ، واكثر من ثلث البحر الاسود ، وثلثي بحر قزوين .

وتتسلط هذه الكتلة تسلطا تاما على اخطر الممرات والمعابر البحرية فى العالم القديم : قناة السويس ، ومضيق جبل طارق ، ومضيق الدردنيل ، ومضيق البوسفور ، ومضيق باب المندب . ومضيق هرمز .

**3 — فى الثروة المائية** : تضم هذه الكتلة ، بالاستقلال ، فى اراضيها ثلاثة من اعظم انهار الدنيا الخمسة : النيل ، والفرات ، والدجلة ، عدا عن نهر العاصي ونهر السند وغيرهما من الانهروالبحيرات

**4 — فى الثروة النباتية والحيوانية والمعدنية :** تعتبر رقعة الارض الاسلامية ، بحكم اتساعها واتصالها واختلاف اقاليمها وطول شواطئها ، قارة

# الاسلام في العالم المعاصر

لسماحة الأستاذ العلامة نديم الجسر
مفتي طرابلس

عقدت الجامعة الامريكية في بيروت ندوة خاصة في نطاق الحوارحول موضوع : « الاسلام في العالم المعاصر » الذي هو سلسلة حوارموضوعه : « الله ، والانسان فيالفكر الاسلامي المعاصر » .

وقد دعت الجامعة الامريكيةلهذه الندوة كبار المفكرين في العصرالحديث ، وكانت المحاضرات الاربع التي اختتمت بها الندوة ، لاربعةاساتذة جامعيين هم :

الاستاذ اشتياق حسين قرشي(رئيس المؤسسة العالمية للخدماتالجامعية في جنيف) وقد حاضر عن (الفن الاسلامي) والاستاذ تيطس بوركهارت (مدير دار نشر اورسيغراف فيرلاغ) وكانت بموضوع « القيم الدائمة في الفن الاسلامي »والاستاذ جواد نور بخش ( استاذالامراض العقلية في جامعة طهران ) وكانت بموضوع : « الصوفية غايتهاوطريقتها » والاستاذ سيد حسين نصر ( استاذ في كلية الآداب في جامعة طهران ) وكانت عن :« الصوفية وتحقيق وحدة الانسان »

وقد تلقى سماحة العلامة نديم الجسر مفتي طرابلس الدعوة للكلامفي هذا الموضوع من الرئيس الدكتور صموئيل كوركود

وبما ان فضيلة الاستاذ العلامةنديم الجسر ينتسب « لمجمع البحوث الاسلامية في الازهر » الذي تاتي في راس المهام الملقاة على عاتقه ،اقامة هذا الحوار « بالتي هياحسن » كما امر القرآن ، ولا سيما بعد ان شق ، المجمع المسكونيالاخير باب هذا الحوار ، لاول مرةفي تاريخ الكنيسة الكاثوليكية استجاب بسرور رغبة منه في ايصالاهم الحقائق الجوهرية من التفكيرالاسلامي الى اكبر عدد من المفكرين في اوروبا وامريكا .

و « دعوة الحق » يسعدها انتشكر فضيلة الاستاذ العالم الكبيرالذي اتحفها بهذه المحاضرة القيمة التي تتناول « الاسلام في العالم المعاصر » .

**التحرير**

تعجبني ، في اللغة العربية ، كلمة « **تمهيد أو توطئة** » ، اللتان تستعملان ، احيانا ، في محل كلمة (مقدمة Préface ) ولاسيما في بحث وحوار كهذا . لان كلمة « مهد الفراش » معناها بسطه ووطاه . وكلمة « **وطأ الفراش** » معناها دمثه ولينه ، حين داس ووطأ برجله كل النواتىء والعقد التي فيه ، ليجعل المستلقي عليه مرتاحا . وهذا ما سأفعله حين امهد واوطىء للكلام . لاجعل السامعين والقارئين في وضع نفساني مرتاح منشرح لقبوله ، او لاخفف ، على الاقل حدة ما قد يكون عند البعض من نفرة سابقة منشؤها النظرة الجانبية غير المحيطة :

ان القرآن قد امر بهذا الحوار الهادىء الكريم المهذب بين المسيحية والاسلام ، ومهد له بذكر

**وما هو الذهب ؟ اليس هو الحق ؟**

**وما هي الشجرة الطيبة ؟ اليست هي شجرة الحق والخير ؟**

**وما هي الشجرة الخبيثة ؟ اليست هي شجرة الباطل والشر ؟**

لو تصورنا ان الفلك عكس دورته ، ورجع القهقرى الى عهود الظلام العقلي القديم ، لكان ممكنا للشجرة الطيبة ان تجتث بمعول الجهل .. ولكان ممكنا للشجرة الخبيثة السامة ان تعبد على انها الاه مخيف قتال ... ولكن التفكير العقلي للانسانية أخذ يسير فى النور .. نحو الحق ، وكلما ازداد النور سطوعا ، ازداد الحق ظهورا .

فخميرة بقاء المسلمين هي هذا **الحق** الذي يرتكز عليه الاسلام ، والذي يزداد ظهورا واشراقا كلما ازداد التفكير الانساني نضوجا وعمقا فى ادراك معاني الحق والخير والجمال .

## نعمة التحدي

منذ اكثر من عشر سنوات دعيت للكلام مع رهط من الافاضل ، اتذكر منهم صديقي الكاتب العربي المفكر الاستاذ سعيد عقل ، فى حفلة اقيمت لتجديد الندب والبكاء على كارثة فلسطين .

وكان اني بدات الكلام عن الكارثة بقولي : (( **انها نعمة وليست بنقمة** )) وكان هذا المطلع مفاجأة للسامعين . وكنت اعني **((نعمة التحدي ))** التي ايقظت نفوس العرب جميعا ، على اختلاف اديانهم ، من غير ان يخطر ببالي اني الامس جانبا من الفلسفة العميقة التي كشف عنها المؤرخ البريطاني العظيم **ارنولد توميي** ، حينما تكلم عن اثر (( **التحدي ورد التحدي** )) بين الامم فى سير التاريخ .

ولما كنت فى القاهرة عام 1965 ، واتيح لي ، بمناسبة زيارة توميي لمصر ، ان اطلع على آرائه الكريمة عن العرب ، وجهت اليه دعوة متواضعة لزيارة لبناننا الجميل فى ذلك الصيف . وتلقيت منه كتابا كريما ، فيه الشكر وفيه الاعتذار بأنه مرتهن بمواعيد كثيرة فى بلاد عديدة . ومع ايماني بصدق المعذرة ، لم اكرر الدعوة فى صيف آخر ، لاني خفت ان يكون قد اجفله اسم « المفتي » . ولعله يستجيب **لنا اذا تكررت** له الدعوة على قاعدة **(( 6 و 6 مكرر ))..**

نعم ايها السادة ، ان التحدي الذي تلقاه المسلمون من الامم يؤلف العنصر الثاني من عناصر صمودهم وبقائهم ، ولذلك سميته **((نعمة))** .

فالتحدي فى الحروب الصليبية هو الذي خلق من الضعف قوة فى معركة (( **حطين** )) .

والتحدي من **هولاكو المغولي** ، الذي هدم بغداد وقتل آخر الخلفاء العباسيين ، هو الذي خلق من الوهن قوة سحقت الجيوش المغولية فى **((عين جالوت))**.

والتحدي فى خلق اسرائيل هو الذي خلق الثورة العربية الشعبية ، وسيخلق من الخلاف اتحادا فى معركة (( **الراجعين** )) ..

ومن طبيعة التحدي ان تختلف ردة الفعل له ، سرعة وبطأ ، باختلاف مكانة الامة المتحدية وعزتها فى التاريخ ، وباختلاف الظروف ، وباختلاف الناحية التي يجرحها التحدي :

فالامة العزيزة قد تصبر ، بعض الوقت ، على التحدي ، اذا كان من امة عظيمة عزيزة مثلها ، او كان يستهدف ما فى القصعة من غذاء البطون ، ولا يمس المقدسات فى الصميم ، او حصل التحدي عقب حكم سابق مزعزع مخلخل غشوم . وهذا كله قد اجتمع للمناطق الاسلامية حين تحداها الاستعمار واستولى عليها واحدة بعد اخرى ، فكان رد التحدي بطيئا .

ولكن اذا كانا لتحدي من امة ذليلة فى التاريخ ، على امة عزيزة ، وكان مما يجرح الامة فى مقدساتها ، فان رد التحدي يكون ضاريا وسريعا . **وهذا ما أصابنا نحن العرب من تحدي اسرائيل فى ارض القبلة الاولى ومهد السيد المسيح ، وكان من نعمته هذه الثورة العربية الشعبية الشاملة التي تجعل الشرق الادنى على فوهة بركان تنذر جلجلته بقرب الانفجار .**

**ولا يفترن احد ببطء رد التحدي وتاخر الانفجار عدة سنوات ، فنضوج الثورات الشعبية لا يتم فى عشر سنوات ، ولنتذكر اننا لا نرد التحدي لاسرائيل، ولكن نرده لاعظم دول الارض التي خلقت اسرائيل ولا تزال تحميها ...**

* * *

ولكن ما هو سبب هذا الوهن الذي جعل المسلمين فى الارض ، على وفرة عددهم ، وسعة اراضيهم ، وخطورة مراكزهم ، وضخامة ثروتهم ، ووحدة دينهم ، غثاء كغثاء السيل ؟..

كاملة تجمع كل انواع الثروات النباتية والحيوانية والبرية والمائية والمعدنية المتنوعة . ولكن ثروتها المعدنية العظمى ، التي تتحكم فى صناعة العالم القديم ، وتجارته ، وفى وسائل النقل ، بل تتحكم فى مصير العالم عند الحروب الكبرى ، هي الثروة **البترولية** الهائلة التي تبلغ ، فىالانتاج اكثر من ربع انتاج العالم ، وعلى مزيد جديد ، وتبلغ ، فى احتياطي البترول ، 26 الف مليون طن ، اي 56 فى المائة تقريبا ، من احتياطي العالم ، المقدر بثمانية واربعين الف مليون طون .

5 — **الوحدة الدينية :** يضاف الى هذه القوى البشرية والطبيعية الهائلة قوة معنوية هي الوحدة الدينية ، التي هي حقيقة لا تزول ، رغما عما يبدو من تفكك الحكومات الاسلامية وتناحرها . **فالحكام شيء ، والشعوب فى قلوبها وضمائرها شيء آخر .**

ولكن على الرغم من هذه القوى الهائلة ، فان اكثر العالم الاسلامي : من **المغرب العربي** على الاطلانطيك ، الى اندونيسيا فى اقصى الباسفيك ، الى اعالي التركستان والقفاس ، الى اواسط افريقيا ، كان محتلا ومستعمرا الى وقت قريب ، ولا يزال بعضه محكوما ومستثمرا من قبل الدول الغربية والشرقية . فصح وصدق ، بهذا ، ذلك الكلام الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه المسلمين ، فى حديث مروى عنه :

**( يوشك ان تداعى عليكم الامم كما تتداعى الاكلة الى قصعتها . فسأله احد اصحابه : امن قلة نحن يومئذ ؟ قال : لا . بل انتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ) .**

## خميرة البقاء

ولكن هذه الامة ، التي اصبحت فى عصورها الاخيرة كغثاء السيل ، لا تزال تحمل فى باطنها خميرة البقاء .

لقد ظهرت على مسرح التاريخ أمم ودول وامبراطوريات حكمت العالم ، ثم طواها الدهر حين دب فيها **الوهن** ، واجتاحتها امم فتية اخرى . فأكلتها وبلعتها وهضمتها حتى لم يبق لها وجود الا فى كتب التاريخ . ولكن هؤلاء المسلمين ، الذين حكموا العالم ، ثم صاروا كغثاء السيل ، واجتمع لهم من من أسباب الوهن ما يكفي لزوال الامم وانقراضها ، لا يزالون قائمين .. تداعت عليهم الامم ، واكلت من قصعتهم ، ولا تزال تأكل ، ولكنها لم تستطع ان تأكلهم

يذكرني هذا الصمود بالتقليد الذي كان متبعا عند الاسبارطيين : كانوا يغطسون الطفل منهم عند ولادته فى البحر فان مات ذهب غير مأسوف عليه ، وان صمد فهو الصالح للنضال والبقاء .

فما هي الخميرة التي جعلت المسلمين يصمدون ويصلحون للبقاء ، على الرغم من كل تلك الكوارث التي اصابتهم ؟

ان المسلم المؤمن بالقرآن يجد الجواب فى قول الله : **(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .** (سورة الحجر الآية 9) .

والذكر هو القرآن ، وحفظه انما يكون بحفظ الامة التي تذكره وتحفظه ، ولكن المفكر غير المسلم يجد التعليل العقلي الاجتماعي لصمود المسلمين فى آيتين اخريين ، يقبلهما عقله ، وان لم يؤمن بالقرآن ، لانهما تكشفان عن ناموس اجتماعي تدركه العقول :

الآية الاولى : **(كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض)** — سورة الرعد الآية 19 — .

والآية الثانية : **(الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرن . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ..)** — سورة ابراهيم الآية 21 ، 27 — .

وما اجملهما مثلين عندنا ، وعند من تذوقوا سحر امثال الانجيل ..

الزبد الرغوة . لا تلبث أن تتلاشى وتذهب جفاء ...

والمعدن الذهب يمكث فى الارض . ويصمد لتأثير الماء والهواء ، فلا يصدأ ولو تراكم عليه التراب..

والشجرة الطيبة يحافظ عليها الناس ... والشجرة الخبيثة يجتثها الناس لتذهب طعاما للنار ..

**اليس هذا هو ناموس بقاء الانسب ؟**

**وما هو الانسب ؟ اليس هو الذي يتلاءم مع ناموس التطور المستمر ؟**

**وما هو الزبد ؟ اليس هو الباطل ؟**

ولو اتخذ الحذر الشديد اساسا للتعامل لجمد كل تعاون ، وبطل كل اتفاق بين الدول والامم .

ان العالم العربي ، الذي يعاني التخلف والحاجة الماسة لهذه الثروة الموجودة فى ارضه ، قد اصبح على أبواب انفجار مؤكد ، مهما برعت الدول الاستعمارية فى حوك المؤامرات والدسائس لاستمرار تمزيقه واضعافه . ولكن اذا انقلب هذا الظلم الاليم الى عدل كريم ، فان انقلاب المودة الى عداوة ، والمحبة الى بغضاء ، يكون بعيد الوقوع ، او على الاقل ، غير مؤكد الوقوع .

ومهما استهزأت السياسة الماكيافيلية بالحق والعدل والمحبة ، فانه سوف يبقى الى الابد شيء يسمى الحق ، وشيء يسمى العدل . وتبقى هذه المعاني السامية اقرب الى أن تثمر الخير والمحبة والوفاء مما يثمر الظلم والباطل .. وعسى أن يكون قريبا ذلك اليوم الذي يصغي به احرار الغرب الى قول صديقهم المفكر الكبير الدكتور مالك فى وصف الاحرار « انهم لا يستطيعون الا الحب لان البغض يفرق . وانهم لا يحبكون الدسائس ولا يتآمرون فى الظلام » ....

أعرف غنيا اميا علمته التجاريب شيئا كثيرا من حكمة الحياة . كان يقول : **« رطل من ذهب يحتاج حفظه الى قنطار من عقل »** فالى كم من العقل كنا نحتاج لحفظ هذه المليارات من القناطير من الذهب الاسود الذي اختلسه المستعمرون الدهاة من اطفال بلا عقول ؟

ان الكلام عن الاتفاقات والامتيازات البترولية سيظل سخيفا ومضحكا الا اذا عطلنا عقولنا ، وعطلنا شرائع الله ، وشرائع القانون التي تقدس مبدأ أهلية التعاقد .. ومهما حمت القوة هذا الظلم فانه لابد من يوم يعطي به التحدي اثره ، لانه ليس من المعقول أن تصبر امة تعاني ضروب الجوع على أن يأكل ثروتها ، من قصعتها ، اولئك المستعمرون الذين استغلوا **« طفولة الامية »** عند بعض رؤساء القبائل، وانتزعوا منهم امتيازات ظالمة ، تجعل العرب كما قال شاعرهم :

**كالعيس فى البيداء يقتلها الظما**
**والماء فوق ظهورها محمول**

## العدو الاوحد

ولكن السؤال عن سبب وهن المسلمين ، وعن سبب استمرار هذا العداء والعدوان من الدول الغربية المسيحية ، لا يزال قائما ، ينتظر جوابا ، اكثر شمولا مما ذكرناه عن تفرق المسلمين ، ورواسب الاحقاد ، ومطامع الاستعمار وغير ذلك من الاسباب التي بحث عنها المفكرون وعلى راسهم مفكر عظيم من لبنان وهو الامير المجاهد شكيب ارسلان .

وقد كنت ، على هدى الاسباب الكثيرة التي ذكروها ، ابحث عن السبب الجامع ، الذي ترتد اليه وتتوحد فيه كل الاسباب ، لاجد الدواء الذي تشتفي به كل العلل ، فلم اجده الا فى سبب واحد : هو **الجهل** ، وما ينشأ عنه من التناكر .

فالجهل هو الذي اعمى بصائر المسلمين عن عواقب الفرقة والتنازع ، والجهل المركب هو الذي جعل اكثر من ثلثي المسلمين فى امية او ما يشبه الامية من الثقافة السطحية ، والجهل هو الذي صرفهم عن اتخاذ اسباب القوة الصناعية التي بها ، وحدها ، اكتسحهم الغرب المستعمر ، والجهل هو الذي اعماهم عن هذا الذهب الاسود الذي يكمن تحت مواطىء اقدامهم ، بل يسيل على وجه الارض ، فباعوه ، بأبخس الاثمان ، وهم يفرحون ويضحكون من قلة عقل العلماء الذين اشتروه منهم .. والجهل هو الذي اعماهم عن معاهدة **« سايكس بيكو »** التي تقمصت فى اعينهم دولة عربية مستقلة تمتد من الحرمين الى جبال طوروس ، والجهل هو الذي قصر بهم عن تصحيح الصورة المشوهة للاسلام التي رسمتها رواسب التاريخ ، وزادها التخلف والتعصب والاستعمار تشويها ، فأدى الامر الى زيادة التناكر الذي لو استطعنا القضاء عليه لوجدنا فى الشعوب الغربية نفسها انصارا لنا على المتعصبين والمستعمرين والصهيونيين .

## فجر التعارف

كنت قرات لشاعر الماني يدعى نوفالس قوله: **« لا يمكن لانسان ان يصبح عالما بمعنى الكلمة من غير أن يصير ، قبل ذلك ، انسانا بمعنى الكلمة »** فعلقت على قوله هذا **« ان العكس هو الاصح . فلا يمكن لانسان ان يكون انسانا بمعنى الكلمة من غير ان يصير ، قبل ذلك ، عالما بمعنى الكلمة »** . واظن ان قولي هذا يكون اوضح حجة اذا قيل فى معرض التعارف بين الاديان السماوية ، التي تريد ان تصنع انسانا بكل معنى الكلمة، وانسانية بكل معنى الكلمة..

واذا ذهبنا نبحث عن بدايات التعارف بين المسيحيين والمسلمين وجدناها فى اشد عصور التناكر

وما هو سبب هذا العدوان المستمر من الدول المسيحية على المسلمين .. ؟

## الشعوبية والبترول

يقول تومبي فى سلسلة الاحاديث التي تحدث بها فى سنة 1948 عن الشرق الاوسط (( **من الغريب أن تصر الشعوب العربية الاسيوية نفسها اليوم ، وبعد ان استردت استقلالها على التمسك بهذه الحدود التي خططتها الدول الاجنبية بعد عام 1918 . لقد كان من البديهي ان يتوقع الانسان من العرب ، بعد استقلالهم ان يلغوا هذه الحدود . وانه لما يثير الدهشة ان هذه الوحدة لم تتم ، بل وأكثر من ذلك ان تقوم ضمن هذه الحدود المصطنعة مصالح محلية مكتسبة تصبح قوة لدرجة أنها ابقت العالم العربي فى آسيا منفسخا ، فى الوقت الذي كان باستطاعته لو شاء ان يتحد مع العالم العربي الافريقي)) اهـ .**

ان هذا الاستغراب هو المستغرب من المؤرخ الكبير ، بعد ان وضع يده على مكمن الداء ، وذكر (( **المصالح المحلية** )) والخلافات الاقليمية ، التي جاءت جريدة التايمس منذ شهرين تحللها فى الملحق الكبير الذي أصدرته عن العالم العربي ، تحليلا تنقصه الصراحة عن اثر الدسائس الاستعمارية فى تأجيج تلك الخلافات .

ان هذه (( **المصالح المحلية** )) ، والاقليمية ، والعائلية ، التي اتخذت فى اول امرها طابع الشعوبية الخفية بين العرب والعجم والاتراك ، ثم اتخذت طابع الفرق المذهبية بين الشيعة والسنة ، ثم اتخذت طابع القوميات والاقليميات ، هي التي قسمت العالم الاسلامي ، من قديم الزمان ، ومزقته ، من عهد الدويلات المشرقية ، والمغربية ، وملوك الطوائف فى اسبانيا ، الى عهد الثورة (( **الانكلو عربية** )) **الخادعة المخدوعة** ، خلال الحرب العالمية الاولى ، ولا تزال تمزقه الى اليوم . وهذا ما جعل ، فيلسوفنا الاجتماعي العظيم **ابن خلدون** ، يخطىء خطأه الوحيد ، فى التعليل والتحليل ، حين ظن ان هذا الخلاف ناشىء من طبيعة العرب ، وعدم انقيادهم للحكم والسياسة ، وتنافسهم على الرئاسة .

ولو بقي الامر عند حدود الخلاف بين الشيعة واهل السنة لهان الامر ، لان الخلاف بين هؤلاء لم يكن ابدا فى صميم العقيدة ، وقد زالت اسبابه السياسية ، وان كان الاستعمار لا يزال يحركه . ولكن خرق الخلاف قد اتسع عندما **تكاثرت الفرق**، واخترعت لنفسها معتقدات خرافية تتنافى مع جوهر الاسلام ، **كالبهائية ، والقاديانية** ، التي تلقى كلها ، من الدول الاستعمارية ، ضروب التشجيع والتأييد والتمكين، كيدا للاسلام .

وانه لمن المؤسف ، بل المضحك حقا ، ان تقف الدول الغربية المسيحية التي تزعم ، وتتزعم الغيرة على الايمان ، ثم تتخذ من هذه الغيرة حجة لمقاومة انتشار الشيوعية فى بلاد العرب والاسلام ، هذا الموقف العدائي ، الماكيافيلي ، من دين يرفع الايمان بالله الى ذروة الكمال ، لتناصر فرقا ضالة تمرغ سموالايمان فى وحول الخرافة ، وتفتح الباب على مصراعيه للالحاد الماركسي الذي لم يجد سبيله الى العقول فى اوروبا ، الا بعد ان تمرغ الايمان الغربي فى وحول الخرافة .. وهو موقف متناقض تكبر عنه القرآن فى الآيات الخمس الاولى من سورة الروم.

* * *

ويأتي البترول ، بعد الشعوبية ، ليزيد نار الخلاف شبوبا كلما اوشكت ان تسكن ، حتى كادت نعمة هذا الذهب الاسود ان تصبح نقمة علينا .

ان هذه (( **الثروة النعمة** )) هي السبب فى زيادة تفرق الحكومات والامارات العربية وتنازعها ، وارتماء بعضها فى احضان المستعمر للاستعانة به على حماية اكلها (( **لاذن الجمل** )) لقاء جسم الجمل كله يأكله هو اجرا على هذه الحماية .

ويكاد هذا البترول يكون السبب الاوحد الباقي لاستمرار كيد الدول الغربية للعرب : لقد خفت وطأة الاستعمار باسم التبشير ، وخفت وطأة الاستعمار الاقتصادي بعد ان استقلت الدول العربية . ولكن الشيء الذي لم تسكن ولم تهدأ وطأة ظلم الاستعمار فيه هو هذا البترول ، الذي تخاف الدول المستبدة به ، اذاتخلت عنه ، ان تمنع منه يوما ، الا اذا ضمنت صداقة العالم العربي ضمانا أكيدا وأبديا ، وهذا ما لا تعرف كيف تضمنه .

صحيح ان المستقبل بيد الله ، وصحيح ان تطور الاحداث يجعل **الصداقات فى السياسة** شيئا غير مضمون الى الابد . ولكن العقل السليم يحكم بأن هنالك فرقا عظيما بين الخطر المؤكد وقوعه ، والخطر المظنون وقوعه :

ان خطر عدم بقاء الصداقات الى الابد موجود حتى بين الدول الغربية المتصادقة اليوم فى معسكرين.

أما أولها : فهو من القرآن الذي حصر خشية الله « الكاملة » بأولئك العلماء العارفين باسرار المخلوقات والنواميس الكونية الدالة على النظام والحكمة في الخلق والتدبير ، حين قال في الآية 28 من سورة فاطر :

**( انما يخشى الله من عباده العلماء ) .**

وأما الدليل الثاني فهو من قول الامام الغزالي في صدر كتابه **(( تهافت الفلاسفة ))** عن بعض رجال الدين المنكرين للحقائق العلمية اليقينية **(( ان هؤلاء هم اضر على الدين من أشد اعدائه )) .**

أما الدليل المعاصر فانه من لبنان بالذات ، ومن هذه الجامعة بالذات ، ذلك انه في الوقت الذي كانت فيه هذه الجامعة الامريكية تنساق ، باخلاص الغيرة الدينية ، مع فورة الغضبة العالمية الكبرى على مذهب دارون ، حتى تطرد استاذين مالا اليه ، وجد في العالم كله عالم ديني واحد يقول : **(( ان مذهب دارون عند ثبوته ، لا يتناقض مع الايمان بالله ولا يتنافى مع القرآن )) .**

وانه ليزدهيني أن أقول : ان هذا العالم هو أبي.. كما ذكر المستشرق الامريكي تشارلس ادمس في كتابه « الاسلام والتجديد في مصر » نقلا عن المستشرق الهولاندي « سنوك هورغرونيه » . كما أنه يطيب لي ، لا من باب الغمز ، بل تصحيحا لتهمة القائلين بجمود التفكير الاسلامي ، ان اذكر بان قول الامام الغزالي قد كان في القرن الحادي عشر أيقبل عرض «غاليله» على المحرقة وقبل حرق « برونو » بأربعة قرون ..

**ج — مفهوم الحرية في الاسلام** : ان مفهوم الحرية في الاسلام ، كما أوضحت في المحاضرة التي القيتها في الازهر سنة 1964 ، يرتكز على أصلين :

**الاول : ان حرية الانسان ، في نظر القرآن هي أمر طبيعي وضروري وبديهي .**

**الثاني : ان حرية الفرد مطلقة الى آخر حدود الاطلاق ولا تقف الا اذا اصطدمت بالحق أو بالخير .**

وهذا المفهوم الجامع ، كما انه يشمل كل أنواع الحريات : من حرية الفكر ، وحرية العقيدة ، والقول ، والعمل ، والتملك ، والتصرف ، فانه يشمل كذلك كل أنواع الحق والخير ، بالنسبة للفرد ذاته ، وبالنسبة لغيره ، وبالنسبة الى المجتمع ، لا فرق في ذلك بين ان يكون العمل بذاته مباحا للفرد ، او حقا من حقوقه المشروعة ، او ضربا من القربات الى الله ، فلو اسرف في أكل الطيبات ، اسرافا مضرا بصحته ، انقلب المباح حراما . ولو اسرف في اساءة استعمال حقه (Abus de droit) وقف حقه . ولو اسرف في الزهد والتقشف والتبتل ، بل في العبادة نفسها ، او اسرف في الصدقات والمبرات الى الحد الذي تصطدم ، عنده ، حريته بخير نفسه أو خير زوجه ، او اولاده ، او ورائه ، لانقلبت قرباته هذه كلها الى محرمات يمنعها دين الاسلام .

هذا هو مفهوم الحرية في القرآن . ولكن القوانين الوضعية المعمول بها قد خالفت هذا المفهوم الجامع المانع ، ومن هنا انفصلت اخلاقية الاديان السماوية الصحيحة عن اخلاقية القوانين ، وانفصل الدين عن الدولة .

فالاسلام يتلاقى ، مع المسيحية في الاخلاق على المثل العليا التي اقرها الانجيل والقرآن ، تلاقيا حرفيا . ولكن اخلاقية القوانين **وفصل الدين عن الدولة** هما اللذان افسدا العمل بالمثل الاخلاقية العليا : فأباحت القوانين الزنا بين الراشدين غير المتزوجين . **وكادت اليوم تبيح اللواطة** .. واباحت الميسر ، والسكر ، وبيوت الدعارة ، واخرجت بعض مساوىء الاخلاق، كالكذب والنميمة والخيانة والدياثة، عن حدود المسؤولية الجزائية .

## الله والانسان في الفكر الاسلامي المعاصر

في ازمة هذا الصراع القائم بين الاديان السماوية وبين الماركسية المادية الملحدة ، وبين « الوجودية » المتأرجحة بين ما يشبه الالحاد ، وما يشبه الايمان ، يهمني ان اعرض ، في سطور وجهة نظر الاسلام في موضوع « الله والانسان في الفكر الديني المعاصر»

**هل الانسان هو الله ؟**
**هل الانسان ملك من الملائكة ؟**

**هل الانسان حيوان مادي وجد على الارض بلا خالق ام هو الذي خلق نفسه ؟**

ان فكرة الله والانسان في القرآن بسيطة وواضحة، ولم يزدها الجدل الفلسفي المؤمن اوالملحد، على نور العلم الحديث ، الا بساطة ووضوحا ويقينا .

في القرآن آيات بينات تحدد حقيقة الانسان ، وحدوثه على الارض ، وعمله في الحياة ، ومقامه بين الموجودات . يقول القرآن :

**1 — (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا)** — سورة الدهر الآية 1 — .

ظلاما . وبتعبير ادبي يجمع بين الحقيقة والمجاز نقول : ان اول ومضات التطرف قد بدات تحت وميض السيوف .

ولست لادخل فى تفصيل ما هو معلوم لديكم من التلاقح الفكري الذي سببته الفتوح الاسلامية ، والحروب الصليبية . ولكني اكتفي بشاهدين : احدهما ذكره **الكردينال كوينغ** رئيس اساقفة النمسا العظيم فى المحاضرة التي القاها عن «**عقيدة التوحيد فى العالم المعاصر**» فى الازهر سنة 1965 . حينما استشهد بالفيلسوف اللاهوتي الشهير حنا الدمشقي الذي قال الكردينال عنه انه « **تأثر فى كتاباته اللاهوتية بعلم الكلام أكثر مما تأثر بعلم اللاهوت عند الغرب** » .

والشاهد الثاني اجده انا فى الفيلسوف اللاهوتي الاكبر توما الاكويني الذي ولد وعاش فى ابان احتدام الحروب الصليبية ، ولم يمنعه هذا ان يقول عن وجود الله ووحدانيته وسائر اوصاف كماله ، ولا سيما صفة الارادة ، نفس الاقوال التي ذكرها الغزالي وابن رشد .

ولكن تباشير فجر التعارف ، انما ظهرت على أيدي المستشرقين ، الذين يطيب لي أن اسميهم اصدقاء الاسلام ، على الرغم مما عرفناه عن بعضهم من سوء الفهم ، او تعمد اساءة الفهم . وتحضرني هنا كلمة لبعض الصالحين يقول فيها : « **طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله** » وهو قول ينطبق على الاستشراق الذي بدأ « هواية » ، ثم اتخذ دعاية ضد الاسلام ، ثم انتهى ، عند بعض الناضجين، الى ان يكون دعاية للاسلام .

وبهذه الدعاية خلقوا لنا اصدقاء من عظماء الغرب : أمثال غوته الالماني ، وكارليل الانكليزي ، وغوستاف لوبون الافرنسي ، وواشنطون ارفنغ الامريكي وماسينيون وسواهم من الذين وضعوا مشاعل النور على الطريق المظلمة وهيئوا الافكار لهذا الحوار الذي نحن فيه اليوم .

وهذا شأن العالم الحق ، حين يعشق الحق ، لا يصده عنه تعصب ، ولا هوى ، ولا سياسة ، لانه أصبح انسانا بكل معنى الكلمة بعد ان اصبح عالما بكل معنى الكلمة .

## التلاقي بين ركائز التفكير الغربي المعاصر والتفكير الاسلامي الاصيل

لا ريب فى ان التفكير الغربي المعاصر قد استقر اليوم على ركائز كبرى اساسية وهي :

**ا ــ تقديس العقل**
**ب ــ تقديس العلم**
**ج ــ تقديس الحرية**

لكن هذا الافراط ، فى احترام العقل والعلم والحرية ، الذي أردت ان اعبر عنه بكلمة « تقديس »، « وهو افراط نشأ من تفريط سابق فى احتقار العقل والعلم والحرية على حساب الدين » ــ قد أدى ، مثلما يؤدي كل افراط وتفريط ، الى ردات فعل عنيفة كان من اثرها تولد ازمات ، اخطرها :

**ا ــ ازمة الصراع الفكري حول الايمان والالحاد**
**ب ــ ازمة الصراع الفكري حول طرق التعاون الاجتماعي بين الطبقات .**
**ج ــ ازمة الانحلال الاخلاقي .**

وقبل ان أحدد ركائز التفكير الاسلامي الاصيل، الفت النظر ، الى تجنب الخطأ الذي يقع فيه أكثر الغربيين ، وبعض المسلمين ، حين ينظرون الى الاسلام بمنظار واقع المسلمين المصابين بنفس الازمات الثلاث الناشئة من الافراط والتفريط ولهذا ابادر الى القول اني انما أتكلم عن ركائز التفكير الاسلامي الاصيل التي وضعها القرآن وهي : سلطان العقل ــ وسلطان العلم ــ ومفهوم الحرية .

**ا ــ سلطان العقل فى الاسلام** : ان القرآن قد جعل للعقل السليم السلطان الاعلى فى ادراك كل معاني الحق والخير ، من اتفه شيء ، كاماطة الاذى عن الطريق ، الى اعظم شيء وهو الايمان بوجود الله ووحدانيته . وهذه اولى مزايا الاسلام . والقرآن نفسه هو الذي أمر **بتحكيم العقل** فى أكثر من 300 آية، اشدها واصرمها وأوجعها قوله :**( ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون)** ــ سورة الانفال الآية 22 ــ .

فليس فى الاسلام خرافات ، ولا اساطير ، ولا اسرار فوق العقل . وكل نص فى القرآن يوجب ظاهره تناقضا عقليا فى الذهن يجب تأويل معناه حتى يرتفع التناقض الظاهري .

**ب ــ سلطان العلم فى الاسلام** : وعلى اساس سلطان العقل يضع القرآن سلطان العلم . فكل حقيقة علمية يقينية قاطعة لا يجوز التنكر لها لان التنكر لليقين العلمي هو تنكر للعقل نفسه .

ويغنيني عن الاسهاب ان اسوق ثلاثة ادلة منها القديم ومنها المعاصر :

والعلم حق . ووجود الله حق . ولكن لا يجوز ان نجعل تحمسنا المفرط للايمان بالله سببا لتعطيل يقينيات العلم ، التي هي انكشاف لنواميس الله فى خلقه ، او نجعل تقديس العلم سببا لانكار وجود الله وتاليه الانسان ...

والحرية الفردية حق وخير . ومصلحة المجتمع، حق وخير . ولكن لا يجوز ان نخنق الحرية الفردية على حساب مصلحة المجتمع ، ولا ان نتجاهل مصلحة المجتمع من اجل تقديس الحرية الفردية ..

فالوسطية الاسلامية هي فى هذا التوفيق بين الحق والخير من كل الوجوه ، فى نظرة شاملة ، يكون فيها الله ، والحق ، والخير ، والانسان ، حقائق يقينية ، غير متعارضة ، ولا متناقضة ، ولا يفني بعضها بعضا .

## نحن على موعد

هذا هو الاسلام فى العالم المعاصر : فى واقعه ، واسباب ضعفه ، واسباب صموده ، وفى ركائز تفكيره التي تتفق مع ركائز التفكير الغربي الحديث المعاصر ، والتي يمكن بها ان نتلاقى على « الوسطية الاسلامية » ، وتنتهي بهذا التلاقي ازمة الصراع التعصبي المتطرف بين الاديان التي انزلها الله ، ازمة الصراع بين الايمان والالحاد ، وازمة الصراع بين الراسمالية المتطرفة والشيوعية المتطرفة وازمة الانحلال الخلقي التي هي ام الازمات ..

اننا على موعد ، غير بعيد ، مع تلاق كريم ينتصر فيه الغرب المسيحي نفسه لوسطية الاسلام ، لا ليتخلى عن مسيحيته ،بل ليتخلى عن نفرته وعداوته ، ويرجع الى المودة ، التي قررها القرآن حين قال لمحمد عبد الله ورسوله :

**(لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا . ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى..)** — سورة المائدة الآية 85 —

مفتي طرابلس : **نديم الجسر**

**2 — واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فـاذا سويته ونفخت فيـه مـن روحي فقعوا له ساجدين )** — سورة الحجـر الآية 28 و 29 — .

**3 — (ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجهـا فنفخنا فيه من روحنا)** — سورة التحريم الآية 12 — .

**4 — (والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها مـن من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين)** — سـورة الانبيـاء الآيـة 91 — .

**5 — (واذ قال ربك للملائكـة اني جاعـل فى الارض خليفة ، قالوا اتجعل فيها من يفسد فيهـا ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدكونقدس لك قال اني اعلم مـا لا تعلمون)** — سورة البقرة الآية 30 — .

**6 — (ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين)** — سورة البقـرة الآية 36 — .

**7 — (ولقد كرمنـا بني آدم)** — سورة الاسراء الآيـة 70 — .

**8 — (أم خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون)** — سورة الطور الآية 35 — .

ويقول اللـه :

**(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)** — سورة الذاريـات الآيـة 56 — .

فالانسان فى الفكر الاسلامي ليس بالاه ، وليس بملك ، وليس بحيوان مادي صيره عقله ربا للكون .

ولكـن فيه من المادة اصله الترابي الصلصالي.
وفيه من الحيوان غرائزه .
وفيه من الملائكـة كرامتـه .

وفيه من روح الله التي نفخها سبحانه فى آدم وفى السيدة البتول ليجعلها وابنها آية للناس ودليـلا على قدرته على الخلق الاول .

والعبادة فى الاسلام : ايمان وعمل .
والايمان تفكيـر حر واقتناع حر .

والعمل جهاد فى معركة قائمة بين الغرائـز والعقـل .

وما كان لله العليم الحكيم الذي خلق الانسـان واراد له البقاء على الارض ، الى حين ، ان يجعلـه ملكا بـلا غرائـز .

وما كان لله الذي خلق الانسان ليعبـده ان يجعله بلا عقـل .

وما كان له سبحانه ان يجعله مجبرا مكرهـا على العبادة لان الاكراه تفقد العبادة معناها .

وما كان للـه الذي خلـق الانسان ليعبده ان يجعل هذا الانسان الاها يخلق نفسه ، ويعبد نفسه ..

ففي أصله الترابي سر الخلق والحياة .

وفى غرائزه سر البقاء على الارض .
وفى عقله سر الادراك والايمان .
وفى حريته سر العبادة .

وفى هذا الكيان كله من روح الله التي نفخهـا فيه فكرمه وأسجد له الملائكـة .

## وسطيـة الاسـلام

فى القرآن الكريم آية تقول للمسلمين :

**(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهـداء على الناس)** — سورة البقرة الآية 143 — .

والوسط هـو العدل والتوسـط الاعتـدال . والشهادة ، هنا ، بمعنى العلـم والاعـلام كما فى القاموس .

فما هي هذه الوسطية العادلة المعتدلة ، التي امرنا الله ان نقف عندها ، ونرشد الناس اليها ؟

انها ليست فى الوقوف مع الحق ضد الباطل ..

وليست فى الوقوف مع الخير ضد الشر ..

فهذه بديهيات ساذجة لا تحل ازمات الصراع الفكري حول قضايا الايمان والدين والاخلاق والمجتمع

ولكنها فى الوقوف بالمركز الوسط العدل ، الذي نكون به قادرين على ان نمنع تعارض الحق والخيـر مع الحق والخيـر ...

فالحق بذاته لا يعارض الحق . والخير بذاتـه لا يعارض الخير . ولكن الافراط والتفريط فى النظـرة هو الذي يعطل صفاء الادراك ، وصفاء الاستنتاج ، ويعطل القدرة على التوفيق بين هذه المعاني الكريمة. ومن هنا ينقلب الحق الى باطل والخير الى شر :

فالايمان بالله حق وخير ، والعقل حق وخير ، ولكن لا يجوز ان نجعل تحمسنا المفرط لخدمة الايمان سببا لتعطيل العقـل ...

وعلى الرغم من بداهة هذه الحقيقة فان اضطراب ادراكنا ووعينا لحقيقة الصراع وطبيعة المعركة واعراضنا عن سلاحنا المصمم يطغى على تفكيرنا واتجاهاتنا . ويفسر هذا موقف المسلمين من التحديات على قيمهم ودينهم ، فقد كان هذا الموقف مختلفا .

1 — فمنهم من يجهل حقيقة هذا التحدي والهجوم ، ومن ثم فهو لا يعبأ بخطره .

2 — ومنهم من استسلم لاول وهلة وأصبح عامل هدم للاسلام فى حماس واخلاص وخبث ، لان عوامل الحصانة وعناصر رد الفعل على التحديات قد جفت او جففت منابعها فى كيانه ، مما جعله جنديا فى اللفيف الذي اعد لمحاربة الاسلام من الداخل .

3 — ومنهم من ادرك خطر هذا الهجوم والتحدي ، ولكن صلته بفكرة الاسلام لم تكن حية ولا ذات فاعلية بالقدر الذي يستجيب الاستجابة المناسبة، فهذا الصنف بين منطو على نفسه ، مستسلم للواقع يحوقل ويتعوذ . وياكل القوت وينتظر الموت فى ياس وعجز ؛ وبين متحرك حركة مشلولة زمنة او رهينة مصالح ضيقة ، لا تعود على الفكرة بالفائدة المرجوة .

4— ومنهم من ادرك حقيقة الخطر وطبيعة الهجوم وغايات التحدي بسلاح من الفكرة الاسلامية يدافع عنها بايمان قوي بالنصر . وهذا القسم هو الذي يقود الحركات الاسلامية الهادفة فى العالم .

ولقد كان لهؤلاء فضل كبير فى ملء فراغ خطير كنا نعانيه ، وفى تسليح المؤمنين بالفكر النيرة والحجة القاطعة فى ميدان الصراع ، وبذلك واجهت التحدي الداخلي والخارجي . وأعني بالتحدي الداخلي تلك الانحرافات التى يحاول لصقها بالاسلام ؛ وبالخارجي هذه المذاهب الوضعية التي تصدر الينا بدون انقطاع وبمختلف الوسائل .

وعلى الرغم مما يوضع فى سبيل هذه الحركات من عراقيل فانها حققت انتصارات من الناحية الفكرية . وهذه الطائفة من المسلمين سارعت الى الاختيار ساعة دقت اجراس الخطر ، فلماذا ارادت الاسلام نمطا ونظاما لحياتها ، واساسا لعلاقاتها ومثلا أعلى من وجودها ؟

ان الاختيار لم يكن بدافع الحنين الى ماض مشرق عزيز ولا تعصبا جاهلا ، وانما هو عن وعي عميق وشامل ، هذا الوعي الذي وجد نفسه امام حضارة آسنة متدهورة أقامت الآلة وثنا تعبده ، والمنفعة مبدأ تقدسه ، حتى انها أخضعت القيم الدينية لتسير فى ركب المنفعة او أقامت على انقاضها دينا جديدا يعب من : المادية والالحاد ، كما يشهد بذلك بعض كبار مفكري هذا العالم .

يقول كارل ياسبرز عن الافكار التي تسيطر على هذا العالم بانها « نشأت فى بيئة الحادية متمردة التي ازدهرت فيها الاخلاق « النفعية » والقيم الحسية التي تستبعد كل ما هو غيبي ، وتلبي الميول الفريزية النازعة الى الاستمتاع العاجل المباشر دون ان تقيم وزنا لصوت الضمير او تراعي مباديء الحق والخير والجمال » .

وهذا ما جعل فيلسوفنا قبله وهو شبنكلير يؤلف كتابه العظيم « تدهور الغرب » .. او « انهيار الحضارة الغربية » . لان الغرب عبد العلم وآمن بالآلة، ونسي نفسه . وأصبح عبدا لمخترعاته وأشيائه على حساب خلقه وضميره واهدافه الانسانية العليا . وقد ادرك هذا الخطر عقلاء آخرون لهذا العالم ، فصاحوا منذرين ومحذرين كالدكتور كارليل الذي يقول : « اننا لن نصيب أية فائدة من زيادة عدد الاختراعات الميكانيكية . فحقيقة الامر ان العلم الخالص لا يجلب لنا مطلقا ضررا مباشرا ، ولكن حينما يسيطر جماله الطاغي على عقولنا ويستعبد افكارنا فى مملكة الجماد فانه يصبح خطرا ؛ ومن تم يجب ان يحول الانسان اهتمامه الى نفسه ، والى السبب فى عجزه الخلقي والعقلي . اذ ما جدوى زيادة الراحة والفخامة والجمال والمنظر واسباب تعقيد حضارتنا اذا كان ضعفنا يمنعنا من الاستعانة فيما يعود علينا بالنفع . حقا انه لمما لا يستحق أي عناء ان نمضي فى تجميل طريق حياة تعود علينا بالانحطاط الخلقي وتؤدي الى اختفاء انبل عناصر الاجناس الطيبة ... »

ومثل هذه الصرخات كثيرة تنبعث من أعماق حناجر وضمائر عقلاء هذا العالم الجديد الذي تسلم زمام مصير الانسانية ، فأرغمها على السير نحو التدهور الذي تنبأ به اشبنكلير وغيره .

ولذلك كان من البله والبلادة الاستسلام لهذه القيادة التي لا تحسن التسيير حيث تعمل على افقار العالم من أروع قيمه .

**تطوان : عبد السلام الهراس**

# لماذا نريد الاسلام ؟

دكتور عبد السلام الهراس

لم يلاحظ اعراض صريح التحدي عن اختيار الاسلام كنظام للحياة مثل ما لوحظ منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ويزداد هذا الاعراض الصريح وضوحا وتحديا كلما قربنا الى ايامنا هذه ، التي لم تعد قضية صلاحية الاسلام تثار بجدية واهتمام ، وان تعددت لافتات الاسلام لتحمل فى مناسبات معينة وفى اسواق الدجل السياسي . ولذا صار الاسلام فى نظر بعض شبابنا القاصر بالعالم الاسلامي عنوانا لشتى الصور المشوهة ؛ لانهم يستمدون معرفتهم بالاسلام من خلال اشخاص يسيئون لهذا الدين عن حسن نية او سوئها ، ولا يكلفون انفسهم عناء البحث فى حقيقة الاسلام نفسه بالاتصال بمصادره العلمية الصحيحة . وهذا ما جعل الاهتمام بالفكرة الاسلامية يتلاشى من قائمات اهتماماتهم بكل سهولة ويسر .

والفاجعة الكبرى ان ظاهرة الجهل بالاسلام لا تزدادالا اتساعا ورسوخا . ولكن انطواء دعاته على انفسهم لعلة أو لاخرى ليمثل العنصر الاساسي فى هذه الفاجعة ، وهو فى نفس الوقت خيانة للرسالة التي حملوها .

وان الاعراض عن الاسلام فى هذا العصر — وفى غيره — لهو اعراض سفيه لا يقدر المعركة حق قدرها ، اذ يزهد فى سلاح فعال كان له الفضل فى الانتصارات العظيمة التي احرزها العالم الاسلامي بفضله خلال التاريخ .

قد يقال ان اسلحة الامس لم تعد صالحة فى عصر الذرة المدمرة ، وهذا صحيح بالنسبة للاسلحة المادية، ولكن سلاح الفكرة سلاح خالد ، بل انه السلاح الحاسم فى هذا العصر الذي يعتمد فى الصراع حيث فشل السلاح المادي ؛ ومما أضفى على هذا السلاح قيمة كبرى هو انتشار التعليم من ناحية ، وتقارب اجزاء الكرة الارضية فيما بينها بالمواصلات الحديثة من ناحية اخرى ، مما جعلها اشبه بمدينة واحدة او بناية واحدة ذات شقق وطبقات تسكنها الامم المختلفة فى تجاور متلاصق . فما يحدث فى بكين صباحا سرعان ما تنتشر أخباره فى شوارع دار السلام قبل الزوال ، كما لو كانت الشقة بينهما أقل مما كان بين فاس ومكناس منذ قرن من الزمن . ولذا تقدر الامم القوية سلاح الفكرة وترصد له ميزانية ضخمة مذهلة ؛ وان اي امة عزلاء من هذا السلاح عاجزة عن الدخول الى حلبة الصراع كمبارز يخشى ، وانما عليها الاستسلام للفكرة الغازية . وتقاس درجة كل أمة فى الحضارة والرقي والقوة بما لديها من أفكار سامية وقيم انسانية وبمدى تفاعلها مع هذه القيم وتأثرها بتلك الافكار وارتباطها بها، لان ذلكهو الذي يزودها بالحركة الهادفة المتصاعدة، ويلقحها بأمصال الوقاية من الامراض الاجتماعية والخلقية والفكرية ، ويضمن لها المحافظة على السير الحثيث المبدع ، وتجعلها قادرة دائما على رد أي تحد او هجوم .

## الاسلحة النووية :

ولكنا وصلنا الان الى مرحلة لم تعد الفأس فيها كافية لاطعام بني الانسان ، فلا بد من جرارات وكيماويات ، كما لم يعد السيف هو اداة القتال ، وانما قنابل ذرية وهيدروجينية ، وقنابل كوبالت يطلق عليها اسم قنبلة « يوم القيامة » .

والراي على ان هذه القوى ، لو انطلقت من عقالها، لما بقى على ظهر الارض انسي .

ان الثدت يجمعون على انه لو قامت حرب ذرية فى العصر الحديث ، فان ضحاياها يتجاوزون فى الساعات الاولى للمعركة ثلثمائة مليون نسمة ، من سكان المدن الكبرى ، ومراكز الانتاج الصناعي والعملي والثقافي ، اما استمرار الحرب بعد ذلك لبضعة أيام ، فان هذا يعني فناء البشرية كلها .

ولننقل لك فقرة من تقرير هيئة الامم عن نزع السلاح لعام 1961 :

« اننا نشك فى استمرار وجود العالم باي شكل من الاشكال دون نزع السلاح ، ان شبح الموت يسيطر علينا ، فان طيران سرب من الاوز البري فى هدوء عبر اركانيكا البيضاء ( القارة القطبية ) ثم يدخل فى نطاق تحذير شاشة رادار امريكي أو سوفييتي ، تتصور الشاشة على انه صواريخ ، فتتاهب حكومة الولايات المتحدة او الاتحاد السوفييتي للقيام بالضرب النووي المضاد كما تقضي الحالة ، فيبدأ اعصار الحرب النووية بينما يطير الأوز فى هدوء الى الامام .

والحق ان الاوز سيكون هو المخلوق الوحيد الذي يظل حيا بعد حرب عالمية » .

ولا يظن القارىء ان هذا الذي ختمت به لجنة نزع السلاح تقريرها مجرد فرض نسجته من وحي الخيال ، فهي انما تشير الى حادث وقع بالفعل ، فان محطة الرادار النووية الموجودة فى شمال جرينلند المخصصة للانذار عند اقتراب قاذفات القنابل السوفياتية ، حدث ان أعطت الانذار ، فقام الطيارون المدربون على ان يكونوا فى الجو فى ظرف دقيقتين بطائراتهم حاملة القنابل الهيدروجينية ثم اتضح للرادار ان القذيفة التي شوهدت على شاشة الرادار لم تكن الا سربا من الأوز .

فالحروب الذرية اليوم اذا اندلعت ، لن تكون كحروب الامس ، التي سمحت للحياة الانسانية بل وللحضارة الانسانية ، بالنمو والتطور ، انها حرب افناء ان لم يكن للجنس البشري ، فعلى الاقل لحضارته .

## الانفجار السكاني :

على ان ثمة خطرا آخر أصبح يهدد الانسانية لا يقل فى أثره على المدى الطويل من خطر الحرب الذرية، وهو ما اصبح يعرف باسم الانفجار السكاني . ذلك ان البشر يتزايدون بمعدل ثلاثة اشخاص كل ثانيتين ، أي بمعدل تسعين شخصا فى الدقيقة الواحدة ، و 400 5 شخص كل ساعة أو 600 ر 129 شخص كل يوم . و 000 ر 300 ر 47 شخص فى السنة اي ما يزيد على مجموع سكان فرنسا باجمعها .

وقد اجمعت كل الكتب التي الفت قبل عام 1960 ، على أن سكان العالم سيصلون فى ختام القرن العشرين ، أي بعد 33 سنة من الان ، الى ثلاثة آلاف مليون نسمة . وقد استند المؤلفون على بيانات هيئة الامم الدقيقة التي تصدرها كل عام حول عدد المواليد . وكان هناك تخوف من بلوغ العالم هذا العدد من السكان.

ويتجلى خطر الانفجار السكاني عند ما نعلم ان العالم قد تجاوز هذا القدر منذ عام 1965 ، فلم يعد الامر بحاجة للانتظار ثلاثة وثلاثين عاما ليبلغ مجموع البشر ثلاثة آلاف مليون نسمة . والتقدير الان لسكان العالم فى ختام القرن أي عام 000 2 يتراوح بين ستة آلاف مليون وسبعة آلاف مليون ، اي اكثر من ضعف ما كان مقدرا من البداية .

ويقول الخبراء ، ان العالم لو استمر فى الزيادة السنوية بهذا المعدل ، فان عدد البشر سيبلغ حدا لا يعود سطح الارض كافيا لموطىء قدميه ، وذلك بعد بضعة قرون فقط .

ومعنى ذلك ، ان انقاذ العالم من حرب ذرية ، يفضي الى سلام ينتهي بها اذا لم يتضافر البشر على مواجهته الى الفناء كذلك .

## ضرورة التعاون بين البشر :

ولا سبيل لانقاذ البشرية من هذا الخطر الآخر ، الا بالعمل على رفع مستوى الشعوب المتخلفة ، شعوب

# لا مستقبل للانسانية الا في ظل السلام والتعاون الدولي

للأستاذ أحمد حسين المحامي

عاش الانسان الجزء الاكبر من حياته كانسان وعلى هذا الكوكب ، يرى فى نفسه نوعا ، يختلف عن سائر ما فى الدنيا من انواع ، فلم يبذل نشاطه فى معاداة نوعه ، فضلا عن ان يعمل على القضاء عليه ، وانما كرس كل جهده فى التغلب على ما يعرض له من مشاكل طبيعية ، ساعيا لتوفير طعامه وملبسه ومأواه ، من خلال التعاون مع ابناء جنسه وأفراد نوعه .

والراي على ان الانسان لم يعرف الحرب فيما بين جماعاته الا فى وقت قريب جدا ، يقول لنا جوليان هوكسلى فى كتابه « الانسان فى العالم الحديث » :

« الحرب ظاهرة تيولوجية نادرة جدا ، وليس يوجد الا نوعان من الحيوانات من عادتهما الاشتباك فى الحروب ، وهما الانسان والنمل ، بل ان النمل لا يمارس الحرب منه غالبا الا جماعة واحدة . وكثير من علماء تاريخ السلالات البشرية يعتقدون ان الحرب ، او على اية حال الحرب المنظمة المألوفة لم تنشأ فى مراحل تطور الانسان ، الا عند ما وصل الى طور المدنية المستقرة ، وبدأ يكنز الحبوب وغيرها من صنوف الثروة » .

ونحن نعلم ان عصر المدنيات والحضارة لم يبدأ الا منذ سبعة آلاف سنة على الاكثر على حوض النيل والدجلة والفرات . عند ما بدات الجماعات المتقاربة تتوحد فى تشكيلات جماعية أكبر واكبر ، حيث تخضع لأمير او ملك .

ثم بدات هذه الوحدات الكبيرة تدخل فى حروب مع جيرانها ، فلم تعد الحرب ، حرب قبائل متجاورة ، وانما حرب دول ضد بعضها . وقامت امبراطوريات مصر القديمة ، وآشور ، وبابل ، وفارس تحاول فرض سلطانها على جيرانها من الدول الاخرى ، ولم تلبث كل بدورها ان وجدت من ينازعها الغلبة والسلطان ، من خلال المعارك والحروب .

ولكن الظاهرة المؤكدة ، ان تيار الحضارة والمدنية ، ظل يتدفق دوما نحو الامام ، لا تنال منه هذه الحروب الجزئية المحدودة ، ولا يعرقل سيره قيام امبراطورية وانهيار اخرى ، بل ان المشاهد والثابت ان الحوادث المختلفة ، قد أغنت دائما التطور الحضاري وأثرته . فليس سوى الاحتكاك والمنافسة والرغبة فى الدفاع عن النفس كان حافزا للعقل البشري على الخلق والابداع .

ولقد كتبت منذ أكثر من عشرين سنة ، والحرب العالمية الثانية مشتدة الأوار ، رسالة فى موضوع الحرب حاولت ان أثبت فيها ان كل تقدم آلي وتكنيكي حققه الانسان ، انما تم من خلال الحروب التي جهزته بأسلحة لم يلبث ان استخدمها فى ايام السلم فزادت فى قدرته على الانتاج ورخائه .

وهذه حقيقة مؤكدة لا يمكن انكارها ، فقد عاشت البشرية حتى الان ، بل وتقدمت وازدهرت وهى تمسك الفأس فى يد تزرع وتنتج ، والسيف فى اليد الاخرى تقتل به وتذبح .

لانتاج اليورانيوم ، وحيث توجد بها اعظم ثروة حيوانية فى العالم .

وحيث لا يتجاوز عدد سكانها عن 250 مليــون نسـمة ، فهى آخر قارات الدنيا من حيث التخلف بالرغم من تحرر أغلب شعوبها سياسيا ، وستبقى كذلك لعدة اجيال ، اذا ظلت على فرقتها وخلافاتها وتنابذها .

**علاج العالم العربي والافريقي والانساني :**

ولا علاج للعالم العربي ، كمـا لا علاج للعالــم الافريقي ، والعالم الانساني فى مجموعه ، الا اذا ارتفع الى مستوى المسؤولية التي أوصله اليه العلم الحديث وراح ينظر لمصلحته الخاصة باعتبارها جزءا من المصلحة العامة ، لا يتحقق عن غير طريقها ، فيتكلم بلغة جديدة، ويصوغ العلاقات بين الدول على أسس جديدة ، ممـا فصلناه فى كتابنا « الأمة الانسانية » .

ويغير هذا التعاون الدولي الصادق ، فان مستقبل الانسان على ظهر هذا الكوكب **قد اصبـح فى خطـر ،** وفكرة فناء البشرية ككل لم تبعد فى أي يوم من الايام ، عن خاطر الانسان .

وهذا هو القرآن الكريم يصور لنا هذه الامكانية بقـوالـه :

« **حتى اذا اخـذت الارض زخرفهـا ، وازينت ، وظن أهلها أنهم قادرون عليها** ، أتاها **أمرنا ليلا او نهارا** ، **فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس** » .

والكلمة الان لبني الانسان ، ان شاءوا ارتفعـوا بمستواهم ، وحسـنوا احوالهم ، واستداموا حضارتهم، او عرضوا انفسهم للخراب والدمار ، وجعلوا مـا على سطح الكوكب الانساني حصيدا كأن لم يفن بالامس .

**احمد حسين ــ المحامي**

آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، ذلك ان هذه الزيادة المخيفة لسكان العالم ، انما تتدفق من هذا الجانب ، فحيث لا يتزايد سكان اوربا الا بنسبة 9 / من الواحد الصحيح فى المائة ، فان شعوب افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية تتزايد بنسبة 3ر2 ٪ كل عام .

ومن الظواهر الثابتة ، انه كلما زاد رقى الانسان، كلما قل نسله ، يتجلى ذلك فى نفس انسان أهل المدن عن اهل الريف ، ونقص انسان الاغنياء عن الفقراء ، والدول المتحضرة عن الدول المتخلفة . والارتقاء بالشعوب المتخلفة فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، لا يمكن ان يتم الا من خلال تعاون عالمي ، يضع فيه القادرون امكانياتهم العلمية والتكنولوجية ، من اجل مضاعفة الانتاج الزراعي الرأسي ، باستخدام الآلات والكيماويات وأحدث الاساليب العلمية ، والافق بزراعة ارض جديدة ، بدلا من الغابات والمستنقعات والصحاري، وتحويل البحار التي تؤلف ثلثى مساحة الكرة الارضية، الى مصدر رئيسي للغذاء وكل ما يحتاجه الانسان من معادن .

## المائة عام القادمة :

وقد وضعت خطط محسوبة ومدروسة للارتفاع بالانسانية كلها فى المائة عام القادمة الى مستوى الحياة الامريكية ، وقدرت موارد الارض ومصادرها ، فوجد انها تكفي البشر لتحقيق هذا الذي يعتبر حلما ، شريطة ان يبدأ البشر منذ الان تعاونهم فى صدق واخلاص ، فى ظل هيئة الامم ، وسيادة حكم القانون فى علاقة الشعوب ببعضها .

## نموذج من العالم العربي :

ولكى نقرب هذه الصورة الى اذهان القارىء الكريم ، ما علينا الا ان نسوق له مثالا من واقعنا العربي وكيف ان تعاونه مع بعضه ، ومع بقية دول العالم فى صدق واخلاص يصل بسكانه الى الذروة فى الوقت الذي سيظل يغص بمشاكل الفقر والجهل والمرض ، اذا ظل على تشتته وخلافاته .

تبلغ مساحة العالم العربي 11 مليون كيلو متر مربع ، أي قدر مساحة أوربا ، ومع ذلك فان عدد سكانه لا يزيد عن تسعين مليون نسمة فى الوقت الذي يسكن اوروبا 434 مليون نسمة .

وحيث يمثل سكان العالم العربي 3٪ من سكان العالم فانه ينتج من القمح 35 ٪ من الانتاج العالمي اي مليون طن . وينتج من الحبوب الغذائية من قمح وشعير وذرة سبعة عشر مليون طن اي انه يخص الفرد الواحد 200 كيلو جرام سنويا ، وهو قدر محترم .

وينتج العالم العربي 3 مليون وربع طن من الكروم وهو ما يساوي 8 ٪ من الانتاج العالمي و 5 ر 1 مليون طن من الحمضيات ، وهو ما يساوي 9٪ من الانتاج العالمي .

ويوجد بالعالم العربي من الثروة الحيوانية اكثر من مليون راس ما بين أبقار وجاموس وابل واغنام أي اكثر من راس لكل فرد ، من أفراده .

وقصة البترول العربي اصبحت معروفة ومشهورة، فقد استوردت أوروبا 118 مليون طن من بترول العرب

عام 1960 مقابل 15 مليون طن وصلت غرب اوروبا من نصف الكرة الغربي ، وقد زادت هذه الارقام فى السنوات التالية بطبيعة الحال .

والامر المجمع عليه ان 60٪ من بترول العالم موجود فى البلاد العربية ، ولما يكتشف بعد البترول فى صحراء العرب الكبرى ويقدر المخزون بها .

ويبلغ دخل الكويت سنويا من البترول ما يزيد على خمسمائة مليون دولار ، حيث لا يزيد عدد سكانه على ثلث مليون .

ويوجد فى السودان وحده مائة مليون فدان صالحة للزراعة ولكنها لا تزرع لعدم وجود الايدي العاملة التي تزرعها .

وفى العراق وسوريا ، أراض زراعية تقدر بملايين الافدنة لا تجد من يزرعها لقلة اليد العاملة وتعاني ليبيا بعد اكتشاف البترول بها من قلة اليد العاملة .

وذلك فى الوقت الذي يتزايد فيه سكان مصر الى الحد الذي جعل من زيادة السكان مشكلة المشاكل التي تشغل بال الدولة ، اذ تلتهم الزيادة السنوية ، كل محاولة لزيادة الانتاج لرفع مستوى الشعب المصري .

## قارة افريقيا :

هذا الوضع بالنسبة للبلاد العربية ، هو بعينه الوضع بالنسبة لافريقيا كلها ، فحيث يمكن اعتبار قارة افريقيا اغنى قارة فى الدنيا ، ففيها من الطاقة المتاحة التي يمكن توليدها من مساقط الانهار ثلاثة اضعاف ما تنتجه أوروبا من هذه الطاقة ، وحيث تنتج 98٪ من الماس فى العالم واكثر من نصف ذهب العالم ، وكانت حتى وقت قريب هي المصدر الوحيد

واما اهل الحجاز وقوم من اعجاز هـوازن وأزد السراة وبعض هذيل فيقولون : تعلـم ( بالفتـح (5) ) والقرءان عليها قال : « وزعم الاخفش ان كل من ورد علينا من الاعراب لم يقل الا تعلم ( بالكسر (5) ) قال : نقلته من نوادر ابي زيد » .

ولقد ذهب الى هـذا الرأي وركن اليه العالـم اللغوي الشهير ابو الفتح عثمان ابن جني حين قال : (6) « من ذلك ان التميمية في ( ما ) هي اقوى قياسا من حيث كانت عندهم كـ « هل » في دخولها على الكلام مباشرة كل واحد من صدرى الجملتين : الفعل والمبتدا ، كما ان « هل » كذلك الا انك اذا استعملت انـت شيئا من ذلك فالوجه ان تحمله على ما كثر استعماله ، وهو اللغة الحجازية ، الا ترى ان القرءان بها نزل . وايضا فمتى رابك في الحجازية ريب من تقديم خبـر ، او نقـض النفي فزعت اذ ذاك الى التميمية ، فكأنك من الحجازية على حذر ، وان كثرت في النظم والنثر »

وجميل هنا ان نذكر بالحكاية التـي اوردها ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي في اماليـه والتي يروي فيها ان ليس في الارض حجازي الا وهو ينصب ( ويقصد خبر ليس ) ولا في الارض تميمي الا وهو يرفع (7) ، وهذا يبين لنا بوضوح « ان لكل قبيلة عربية لحنا خاصا بها لا تستطيع سواه ويستحيل تلقينها غيره لان السنتها لا تجري الا به (8) »

وبما ان تميم قبيلة عريقة في البداوة فانها تميـل دائما الى الصوت الاشد فتفضل النطق بالضاد على الظاء، مع انه اخف ولهذا تقول فاضت نفسه بالضاد المهملة . كما تميل هذه القبيلة الى الطاء عوض التاء فتقول مثلا افلطني الرجل افلاطا ، بدل افلتني افلاتا وهم يفضلون الصاد على السين ، والقاف على الكاف وسبب كل هذا الخشونة التي تتصف بها هذه القبيلة . ومن الخشونـة تفضيلها للضم ، وهو فظ غليظ . بينما يحرص الحجازيون على الكسر للطافته وهكذا تقول تميم : رضوان ومرية واسوة وقدوة وقنوة بالضم بينما هـي مكسورة الاول في اللهجة الحجازية (9) .

اما الالفاظ التميمية الموجودة في القرءان الكريم فقد احصيت منها 12 لفظة بيانها كما يلي :

1 ـ لفظة « بغيا » الموجـودة في سورة البقـرة الاية 90 التي يقول فيها الحق سبحانه : « بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينـزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين » ومعناها بهذه اللغة الحسد .

2 ـ لفظة « تدخرون » المثقلة الموجودة في الاية 49 من سورة ال عمران ولقد سبق ان ذكرت ان هـذه المفردة كنانية حين تقـرأ بالتخفيـف ، وبينت وجهـة نظري في الموضوع (10) . ومن المفيد ان نلاحظ هنا ان تدخرون بالتضعيف اسلم واقيس من تدخرون بالتخفيف ومن هذا يمكن ان نستنتج تفوق لهجة تميم على لهجة كنانة ، على الاقل ، في بـاب مراعاة القواعد السليمـة المطردة للغة العربية

3 ـ مفرد « قرح » الكائنة في الاية 140 من سورة ال عمران وقد كررها مرتين في هذه الاية: «ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس، وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين » . كما وردت مرة اخرى في نفس السورة الاية 172 التي يقول فيها جل جلاله : « الذين استجابوا لله وللرسول من بعد ما اصابهم القرح ، الذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم »

وفي لفظة القرح لغتان : فالتميميون يضمون القاف بينما يفتحها الحجازيون ، وقد قرىء بالوجهين معـا .

---

5 ) الزيادة من كاتب السطور .

5 ) الزيادة من كاتب السطور .

6 ) « الخصائص » الجزء الاول طبعـة القاهرة 1952 صفحـــة 125

7 ) انظر صورة من هذه الحكاية في « المزهر » صفحة 277 من الجزء الثاني

8 ) دراسات في فقه اللغة صفحة 70

9 ) انظر اكثر الفروق الاخرى في « المزهر » الطبعة الثالثة صفحة 276 و 277 .

10) انظر دعوة الحـق ـ العـدد الخامس ـ السنـة التاسعـة ـ صفحـة 26 و 27 .

# لم يكن القرآن بلغة قريش فحسب ...

للأستاذ : الراجي التهامي الهاشمي

## - 9 -

**القبيلــة السابعــة : تميــم (1)**

غير خاف ما لتأثيـر لهجـة هـذه القبيلـة على اللهجات العربية الاخرى ، كما لا يخفـى على احـد ــ بعد كل ما يقرأ في المصادر القديمة ومعاجم اللغة ــ من ان لغة تميم اسلم لهجة عربية على الاطلاق بل هي في كثير من الاحيـان اقوى قياسـا من بعـض القواعـد القرشية ، بل فيها ما يكاد الباحث يستنتج منه باطمئنان ان لهجة تميم كانت في كثير من مفرداتها وتراكيبها هي التي ينطق بها غالبا ابناء اللغة العربية (2)

اما ابن منظور فيرى ، مع امام النحاة سيبويه ، ان التميميين يراعـون القياس في كسـر اوائـل الافعـال المضارعة ويقول : (3) « وزعم سيبويه انهم يقولون تقي الله رجل فعل خيـرا ، يريـدون اتقـى الله رجـل ، فيحذفون ويخففون وتقول انت تتقي الله ، وتتقي الله ( بفتح تاء الفعل الاول وكسرها في الثانـي (4) ) على لغة من قال تعلم وتعلم ( بفتح تاء الفعل الاول وكسرها في الثاني (5) ) وتعلم بالكسر لغـة قيس ، وتميـم ، واسد ، وربيعة ، وعامة العرب

---

1 ) قال ابن حزم عن تميـم : « هـم قاعدة من اكبـر قواعد العرب » ويقول اكبـر المؤرخين ان منازلهـم كانت بارض نجد والبصرة واليمامة قال اليعقوبي : كانت تلبيتهم في الجاهليـة اذا حجوا : « لبيـك اللهم لبيك ، لبيك عن تميم قد تراها ، قد اخلقت اوابها واثواب من وراها ، واخلصت لربها دعاها » ومن المآخذ التي اخذت عليها ان كثـر فيها واد البنات في وقت قل في سائر قبائل العرب ( انظـر بلوغ الارب في معرفة احوال العـرب ) الجـزء الثالث ــ الطبعة الثالثة بالقاهرة ــ صفحة 42 ) ووصفها دغفل بانها « حجر اخشن ان صادفتـه اذاك وان تركته اعفاك » ( نفس المصدر صفحة 201 ) ولقد وصفها الناعر الطرماح وصفا ذميما حين قال :

تميم بطرق اللوم اهدى من القطا ... ولو سلكت سبل المكـارم ضلـت

انظر ايضا لمعرفة هذه القبيلة دائـرة المعارف الاسلامية ، الجـزء الخامس من صفحـة 473 الى 478 . وجمهرة الانساب ابتداء من صفحة 196 . ومعجـم قبائل العرب ، الجزء الاول ، ابتداء من صفحة 126 . انظر الاعلام ايضا صفحة 71 من الجزء الثاني

2 ) « دراسات في فقه اللغة » للدكتور صبحي الصالح طبعة جامعة دمشق 1960 صفحة 65

3 ) « لسان العرب » الجزء 20 صفحة 283 . طبعة بولاق

4 ) الزيادة من كاتب السطور

5 ) الزيادة من كاتب السطور

ومن المفسرين من يجعل هذه الكلمة مشتقة من فعل صدف عني اي اعرض ، وقد اتفقوا في ذلك مع ما ذهب اليه كثير من اللغويين وعلى راسهم ابن منظور والجوهري ، واذا كان الامر كذلك ، فان هذه اللفظة كررت في القرءان الكريم اربع مرات كلها في سورة الانعام ، ثلاث مرات في الاية 157 « فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها ، سنجزي الذين يصدفون عن ءاياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون » وفي الاية 46 من نفس السورة : « انظر كيف نصرف الايات ثم هم يصدفون »

ولا شك ان هذه اللفظة من الالفاظ الغريبة التي تستعصي معرفتها على عامة الناس . ولهذا حاول نافع بن الازرق ، وصاحبه نجدة بن عويمر ، ان يمتحنا بها عبد الله بن عباس الذي اعتاد ان يجلس بفناء الكعبة ، يفسر القرءان فطلب منه نافع قائلا له (17) اخبرني عن قوله تعالى ( يصدفون ) قال : « يعرضون عن الحق »

قال : « وهل تعرف العرب ذلك ؟ » قال نعم ! اما سمعت قول ابي سفيان ! » .

عجبت لحكم الله فينا وقد بدا

له صدفنا عن كل حق منزل

9 — كلمة « متنا » الاية 16 من سورة الصافات . يخبرنا المحققون ان تميما تنطقها بضم فاء الفعل ، وان اهل الحجاز يكسرونها

واذا كنا قبلنا هذا الضم الثقيل — ولم نقبله بسهولة — ونسبناه الى تميم في مثل قرح وثمر وامة من الكلمات التي سبق ان تعرضنا لها ، وسنقبله في لفظة سخريا التي لم نتكلم عنها بعد ، فلاننا لم نر حتى الان ، وجها وجيها يمكن ان نقدمه للناس ، غير الوجه الذي اعتمدناه . والله يشهدكم بذلنا من جهد للبحث عن هذا الوجه دون طائل ، ذلك ان الميدان الذي ولجناه ، دون وعي منا ، لا زال بكرا الا من اشارات خفيفة ، منتشرة هنا وهناك ، تنتظر الفكر الخلاق ، والقلم الرصين .

اما في هذه اللفظة ، فضم الحرف الاول من الكلمة له وجه مدروس عند النحاة ، ذلك ان الكلمة التي تتحدث عنها فعل ، وليس باسم كسابقاتها ، وحركات حروف الفعل في اللغة العربية تخضع لناموس مضبوط ، محكم ، لا يمكن الخروج عنه بوجه من الوجوه . وهذا الفعل الذي نحن بصدد الحديث عنه ، هو فعل « مات » الذي اتفق النحاة على القول بانه على وزن فعل المفتوح العين . وبما ان هذا العين واو فان الفعل يخضع في هذه الحال ، الى ما اوضحه بشكل يبهرنا العالم النحوي النهير ابن مالك في لامية افعاله ، اذ يقول :

وانقل لفا الثلاثي شكل عين

اذا اعتلت وكان بتا الاضمار متصلا

او نونه واذا فتحا يكون فمنه

اعتض مجانس تلك العين منتقلا

فالفعل الذي يهمنا الان مسند الى ضمير الرفع ، وهو نون الجماعة ، ثم انه مفتوح العين . فكان لزاما اذن ، تطبيقا لقاعدة ابن مالك ان نعوض الواو الاصلي المحذوف لالتقاء الساكنين بحركة تجانسه وهي الضمة، نضعها على فاء الفعل ، فيصير متنا ، مضموم الفاء ، وهو النطق التميمي . لكن الوجه الاخر الذي ينطق به الحجازيون ، له تاويل اخر ، لا شك ان النحاة تعرضوا له . انهم حين ينطقون بـ « متنا » بكسر فاء الفعل ، يكونون عوضوا بهذه الكسرة ياء الاصل ، ومن هنا يمكن ان نقول انهم يرون ان اصل الفعل ميت لا موت

10 — مفردة « سخريا » الاية 63 من سورة الصافات والملاحظ هنا ايضا ، كما في اللفظة السابقة ، ان الضم لغة تميم ، والكسر لغة قريش ، وهي ملاحظة وقفت عندها طويلا في هذه الحلقة ، فلا داعي الى اعادتها . وقد كرر الحق سبحانه هذه المفردة مرتين في القرءان ، مرة في سورة المومنين الاية 110 ، ومرة في الزخرف الاية 32

11 — لفظة « خاشعة » في الاية 39 من سورة فصلت ومعناها بلغة تميم مقشعرة

12 — كلمة « اسن » في الاية 15 من سورة محمد، ومعناها بهذه اللغة منتن

**اكادير : الراجي التهامي الهاشمي**

---

17) « الاتقان في علوم القرءان » طبعة القاهرة الجزء الاول صفحة 127

ومن اللغويين من اعطى لشكلها تأويلا اخر فقال : القرح بالفتح الجراح ، والضم المها وهو تأويل يلجا اليه من لا يحب ان يسمع بتعدد اللهجات في اللغة العربية ومن القراء من قرأها بفتحتين كابي السمال

4 — لفظة « ثمر » الكائنة في سورة الانعام الاية 99 التي جاء فيها « وهو الذي انزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكما ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه، انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه . ان في ذلكم لا يات لقوم يومنون » وقد كرر الحق سبحانه وتعالى هذه المفردة بهذه الصيغة في نفس هذه السورة الاية 141

وفي هذه اللفظة كما في اللفظة السابقة لغتان . وغني عن البيان ، الان . بعد كل ما شرحناه اعلاه ، ان الضم لغة تميم والفتح لغة كنانة ومن القراء من قرأها بالضم .

5 — لفظة « يبشرهم » في قوله تعالى « يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم » وكالعادة في هذه اللهجة التي يتميز الناطقون بها بالخشونة والغلظة لبداوتهم اقول ، وكالعادة ، فان النطق الصعب ، وهو تضعيف الشين ، لتميم ، بينما كنانة، التي تميل الى الرقة والخفة.لا تنطق بها الا بالتخفيف وتقرأ بهذين الوجهين في كتاب الله الكريم

6 — كلمة « امة » وقد سبق ان تعرضت لها حين الحديث عن لهجة قيس عيلان ، وفصلت القول فيها وتوجد في الاية 45 من سورة يوسف

7 — لفظة « سرابيل » الموجودة في الاية 81 من سورة النحل ، وهي الاية التي يقول فيها سبحانه وتعالى: « والله جعل لكم مما خلق ظلالا، وجعل لكم من الجبال اكنانا ، وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم ، كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون » ومعناها بهذه اللغة القمص

ولا بد ان ابدي هنا ملاحظة اظنها مهمة . ذلك ان المفسرين الذين اهتموا بلغات القرءان يذكرون كلهم ان لفظة سرابيل لفظة تميمية ولهذا اثبتها في عداد هذه القبيلة ولعل هده المفردة ظهرت في الجزيرة العربية، اولما ظهرت.فيفمافراد قبيلة تميم.فظنها الناس تميمية اصالة ، اما الان. فقد ثبتت الحجة القاطعة ، التي لا تقبل ادنى شك ، على ان هذه اللفظة فارسية للسبب البسيط ، وهو شكل تركيبها الذي لا يمكن ان يكون تميميا ، بل فارسيا لا محالة ولا شك ان سرابيل هو الجمع العربي للمفردة الفارسية سربال فهي تتركب من سر ( فوق ) وبال ( قامة ) وهو القميص .

ويرى صاحب الصحاح ان السراويل غير السرابيل وهو على صواب ، اما هذه الاخيرة فهي كما شرحت اعلاه وقد جعلها كلمة عربية واشتق منها صيغا وادمجها تحت مادة سربل واما لفظة سراويل فيرى انها مفردة وان جمعها سراويلات ، واعتمد في هذا الادعاء على كلام لم يقله سيبويه (11) والمفردة سراويل فارسية ايضا ، ولا حاجة الى بسط الكلام فيها ، ما دامت خارجة عن المفردات التي تهمنا الان

8 — لفظة « الصدفين » الموجودة في الاية 91 من سورة الكهف والتي يقول فيها سبحانه وتعالى « اتوني زبر الحديد ، حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا ، حتى اذا جعله نارا قال اتوني افرغ عليه قطرا » ومعناها بهذه اللغة الجبلين وفيها قراءات شتى قال الزمخشري (12): « وقرىء الصدفين بضمتين والصدفين بضمة وسكون والصدفين بضمة وفتحة » وتفصيل هذه القراءات كما يلي :

من القراء الذين يقرأونها بضمتين وبفتحتين : ابي بن كعب (13)

اما القراء الذين يقرأونها بفتحتين او بتعويضها بكلمة جبلين فهم : ابن مسعود (14) وعلي بن ابي طالب (15) وابن عباس (16)

---

11) انظر الصحاح صفحة 720 الجزء الخامس وانظر ايضا التعليق الموجود في طرة هذه الصفحة

12) « الكشاف » صفحة 402 من الجزء الثاني .

13) Materials for the history of the text of the Qur'ân صفحة 144 .

14) نفس المصدر اعلاه صفحة 57 .

15) نفس المصدر اعلاه . صفحة 188

16) نفس المصدر اعلاه صفحة 201 .

وقد يجوز الافتعال فى موضع المفاعلة ، فاذا خصصت بالفعل واحدا دون الآخر لم تقل الا عانقه فى الحالين . قال الازهري : وقد يجوز الاعتناق فى المودة كالتعانق ، وكل فى كل جائز . اه.

فظهر أن المعانقة والاعتناق كلاهما مأخوذ من ادناء العنق من العنق ، والدين ليس له عنق . ولا يعانق من دخل فيه . فالفعل هنا من جانب واحد .

والعرب لا تقول ابدا : اعتنق الاسلام ، أو اعتنق النصرانية ، أو اعتنق الفكرة ، وانما تقول : اسلم ، وتنصر ، واعتقد كذا وكذا قال تعالى فى سورة آل عمران (10 فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين السلمتم ، فان اسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا ، فانما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد) .

ومثلهذه العبارات فى الكتاب والسنة كثيرة جدا . ولا يوجد التعبير باعتناق الاسلام فى أي موضع . لا يقال : ان اعتناق الاسلام استعارة ، لانا نقول : ليس كل استعارة مستحسنة ، ولو كان التعبير بالاعتناق مستحسنا لعبر به القرآن أو السنة أو فصحاء العرب .

وقال الفيروزابادي فى القاموس : واسلم : انقاد وصار مسلما اه.

اقول : اسلم فى اللغة اذا كان لازما معناه : انقاد واستسلم . وأما فى اصطلاح الشريعة فمعناه: انقاد الى ما جاء به رسول الله (ص) وقبله كله فى الظاهر . فان كان قبوله له ظاهرا وباطنا فهو مسلم حقا ومؤمن ، وان كان قد قبل ما جاء به النبي (ص) وانقاد له فى الظاهر فقط فهو منافق، تجري عليه احكام الاسلام ، وهو فى الحقيقة كافر . قال تعالى فى سورة الحجرات (14 قالت الاعراب آمنا ، قل لم تومنوا ، ولكن قولوا : اسلمنا ، ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) وان كان هذا الفعل متعديا فمن معانيه : اخلاص التوجه الى الله تعالى .

قال تعالى فى سورة النساء ( 125 ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله ، وهو محسن ، واتبع ملة ابراهيم حنيفا ) .

ومن معانيه : الالقاء فى الهلكة قال صاحب اللسان : قال ابن الاثير : يقال : اسلم فلان فلانا اذا القاه فى الهلكة ولم يحمه من عدوه ، وهو عام فى كل من اسلم الى شيء ، لكن دخله التخصيص ، وغلب عليه الالقاء فى الهلكة .

ومنه الحديث : اني وهبت لخالتي غلاما فقلت لها : لا تسلميه حجاما ولا صائغا ولا قصابا ، اي لا تعطيه لمن يعلمه احدى هذه الصنائع .اه

اقول : والعجب من ابن منظور ، كيف وقع فى خطأ عامي ، وهو تعديته (أعطى) الى المفعول الثاني باللام . وهو متعد بنفسه الى مفعولين يقال : أعطاه الله علما . قال تعالى : (انا أعطيناك الكوثر) ولكن لكل سيف نبوة ، ولكل جواد كبوة ، والكمال لله .

ومن اسلم المتعدي قول النبي (ص) : المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه) اي لا يخذله بل يحميه ويدافع عنه . والحديث رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر .

وهذا التعبير أيضا من استعمار لغة الاجانب واستعبادها للغة العربيةفهو فىالانكليزية (Embrace) وقال تعالى : اذا جاء نصر الله والفتح ، ورايت الناس يدخلون فى دين الله افواجا) ولم يقل : يعتنقون دين الله .

## 12 — البساطة .

يقال : هذا شيء بسيط ، وتكلم ببساطة ، وهذا لا يعتقده الا البسطاء ، وذلك كله خطأ قال صاحب اللسان : ورجل بسيط : منبسط بلسانه ، وقد بسط بساطة . الليث : البسيط المنبسط اللسان ، والمراة بسيط . ورجل بسيط اليدين : منبسط بالمعروف . وبسيط الوجه متهلل ، وجمعهما :بسط اه.

اقول : فقد رأيت ان البسيط والبساطة لا يدلان على ما يريد الكتاب بهما ، فانهم يريدون بالبسيط من الناس الغر والمغفل ، ويريدون بالبسيط من الامور ، السهل الهين . وذلك كله بعيد عن استعمال العرب ، بل هو ضده ، لان البسيط فى اللغة العربية ، هو الواسع ، ومن اجل ذلك سميت الارض البسيطة لسعتها .

والبساطة كما تقدم فى كلام العرب طلاقة الوجه . واصل هذا الخطأ آت من اصطلاح الاطباء فى تسميتهم الدواء الذي هو من مادة واحدة بسيطا ، ويقابله : المركب الذي يتألف من اجزاء ، كل جزء من مادة .

وقد استعمله الفلاسفة ايضا فقسموا الجهل الى قسمين : جهل بسيط ، وجهل مركب ، فالجهل البسيط هو ان يكون الشخص جاهلا ، ويعلم انه

# تقويم اللسانين

للدكتور تقي الدين الهلالي

- 3 -

9 — في أيــة مناسبــة

من الاخطاء التي شاعت وذاعت فى هذا الزمان تانيث (أي) اذا اضيفت الــى مؤنث كقولهم : يمكن أن يجىء فى اية لحظة ، ولم ترد اية انباء ، وهــــذا الاستعمال كثير يسمع فى كل وقت من الاذاعات ويقرأ فى الصحف ، وهو فاسد ، فان (أيا) اذا أضيفت الى مؤنث أو مذكر و جمع كيفمــا كان تبقى على حالها . قال الله تعالى فى سورة الانفطار (فى أي صورة مــا شاء ركبك) .

وقال تعالــى فى سورة المؤمن (فأي آيات الله تنكرون) وقال تعالــى فى سورة الرحمــن (فبأي آلاء ربكما تكذبان) .

قال الخضري فى حاشيته على ابــن عقيــل فى الكلام على الحكاية بعد تقرير حكم (أي) المحكي بها ، وبيان أنها تتبع اللفظ الذي حكي بها فى الاعــراب والتذكير والتانيث والافراد والتثنية والجمع ما نصه : خرج المسؤول بها ابتداء فلا يحكي بها شىء ، بــل تكون بحسب العوامل . ومفردة مذكرة لا غير مثــل من ، وشذ قولــه :

بــأي كتــاب أم بأيــة سنــة
تــرى حبهــم عارا علي وتحسب

وقال الصبان فى حاشيته على الاشموني مثــل ذلــك .

وقول الخضري : ابتداء ، احترز بذلك مــن المسؤول بها حكاية ، فانها تذكر وتؤنث ، فاذا قــال لك قائل : جاءني رجل تقول : أي . واذا قــال لك : جاءتني امراة تقول : اية . فأي مســؤول بهــا فى الحالين ، الا انك اذا سألت بها ابتداء تلزم الافــراد والتذكير . واذا سألت بها حكاية تجىء على حســب المحكــي .

10 — نسيــت أنــا الآخــر

هذا خطا شائع فى البلاد العربية ، يقول شخص مثلا : نسي صديقي وعده ونسيت انا الآخر ، أو نسي هوالاخر. فاستعمال الآخر هنا خطأمحض. والصواب: ونسيت انا أيضا .

وهذا الاستعمال موجود فى اللغة العاميــــة المصرية بابدال الهمزة راء ، يقولون مثلا : نسيت انا (راخر) والظاهر أن أول من ارتكب هذا الخطأ عامــة الكتاب المصريين ، لانه موجود فى لغتهم العاميــــة فاستعملوه فى الفصحى ، وتبعهم غيرهم من عامــة كتاب البلاد العربيــة والمتكلمين بها من غير العرب .

11 — اعتنــاق الديــن .

قال صاحب اللسان : وعانقه معانقة وعناقا : التزمه ، فأدنى عنقه مــن عنقــه . وقيل : المعانقــة فى المودة ، والاعتناق فى الحرب . قال :

يطعنهم ما ارتموا ، حتى اذا اطعنوا
ضارب ، حتى اذا ما ضاربوا اعتنقــا

ويؤيده قوله تعالى فى سورة الزلزلة ( يومئــــذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم) قال البيضاوي فى تفسيره : (يصدر الناس ) من مخارجهم من القبور الى الموقف .اهـ

حاصله : ان الصدر بفتحتين هو الرجوع مـــن الماء بعد وروده لشرب او سقـــي ماشيـــة أو غيـــر ذلك . ثم استعمل فى كل خارج من شيء الى شــــيء آخر . وفعله ثلاثي من باب نصر ، وهو فعل لازم على الاصح ، فاذا دخلت عليـــه الهمزة صار متعديا يقال : أورد الماشيـــة ، ثم أصدرها ، اي صرفها عن المـــاء ثم استعمل الاصدار فى كل اخراج . فالصواب أن يقال مثلا : ان المملكة المغربية تصدر الفوسفاط والحوامض والسرديـــن بضم التـــاء واسكان الصاد .

واما التوريد : فقال فى اللسان ، قال أبـــو حنيفة : الورد نور كل شجرة وزهر كل نبتة ، واحدته وردة . قال : والورد ببلاد العرب كثير ريفية وبريـــة وجبليـــة .

وورد الشجر : نور ، ووردت الشجرة اذا خرج نورها . ثم قال : وورد الثوب : جعله وردا . ويقـــال وردت المرأة خدها اذا عالجته بصبغ القطنة المصبوغة

ثم قال : تقول : وردت الابل والطير هذا المـــاء وردا . ثم قال : ابن سيدة : وورد المـــاء وغيره وردا وورودا . وورد عليه : اشرف عليه ، دخله أو لـــم يدخله . قال زهيـــر :

فلمـــا وردن المـــاء زرقـــا جمامه
وضعن عصـــي الحاضر المتخيـــم

معناه : لما بلغن الماء أقمن عليه . ثم قال : وكل من اتى مكانا منهلا أو غيره ، فقد ورده .

ثم قال الجوهري : ورد فلان ورودا حضـــر ، وأورده غيره واستورده أي أحضره . ثـــم قـــال : وفى حديث ابي بكر : اخذ بلسانه وقال : هذا الذي أوردني الموارد . أراد الموارد المهلكـــة .اهـ

قال البيضاوي فى تفسير قوله تعالى فى ســـورة القصص (23 ولما ورد ماء مدين) وصل اليه ، وهـــو بئر كانوا يسقون منها (وجد عليه) وجد فوق شفيرها (أمة من الناس) جماعة كثيرة مختلفيـــن (يسقـــون) مواشيهم .

وقال تعالـــى فى سورة هود (97—98 وما أمر فرعون برشيد . يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار، وبئس الورد المورود) .

قال البيضاوي : ( وما أمـــر فرعون برشيد) أي مرشد ، أو ذي رشد ، وانما هو غي محض وضلال صريح (يقدم قومه يوم القيامة) الى النار كما يقدمهم فى الدنيـــا الى الضلال . يقال : قدم بمعنى تقـــــدم (فأوردهم النار) ذكره بلفظ الماضي مبالغة فى تحقيقـــه، ونزل النار لهم منزلة الماء ، فسمى اتيانها موردا .

ثم قال (وبئس الـــورد المورود) اي بئس المورد الذي وردوه ، فانه يراد لتبريد الاكباد ، وتسكيـــن العطش ، والنار بالضد . والاية كالدليـــل على قوله : « وما أمر فرعون برشيد» ، فان من كان هذه عاقبته لم يكن فى أمره رشد ، أو تفسيـــر له ، على أن المراد بالرشيـــد ما يكون مأمون العاقبة حميدها .اهـ

حاصله : ان التوريد معناه : أن تخرج الشجرة وردها ، وان تصبغ المرأة خدها بلون الورد . فالصواب أن يقال فى جلب البضائع من خارج البلاد : الايـــراد والاستيراد . وفى اخراج البضائع منها : الاصدار

## 15 — التعبير بالعمل الجنسي عن المباشرة

من العبارات الاجنبية التي تزري بمن يعبر بها ، وتدل على انه مزجى البضاعة فى لغة الضاد تـــرك عبارات القرآن ، وهي اجمل وأبلغ ، وأوجز لفظـــا ، واوضح معنى ، وابعد عن التصريح بما لا يستحسن التصريح به ، والتعبير بعبارة اجنبية ثقيلة ، مبهمة ، طويلة اللفظ اعجمية ، لا جرم أنه لا يعبر بها الا من لا يعرف القـــرآن وبلاغتـــه ، واسرار اعجازه ومـــن لا يعرف القرآن لا يمكن أن يعرف اللغة العربية معرفـــة تمكنه من ناصيتها ، سواء أكان مسلما أم غير مسلم ، فان الادباء من نصـــارى العـــرب يحرصــــــون كـــل الحـــرص علـــى قـــراءة القرآن لا ليدينـــوا بالاسلام ، بل ليتمكنوا مـــن الفصاحـــة اذا تكلمـــوا أو كتبـــوا باللغة العربيـــة ، ومن الفهـــم الصحيـــح اذا قرأوا ما كتب بها ، وبعضهم لم يكتف بقــــــراءة القرآن ، بل حفظه عن ظهر قلب ، كالشيخ ناصيـــف اليازجي والشيخ ابراهيم اليازجي ، فلذلك جـــاءت تآليفهما فى الاداب العربي لابسة حلة مـــن البهـــاء والبلاغـــة تسحـــر الالباب ، نظيفـــة من الدخيـــل والمولـــد ، والتراكيب الاعجميـــة الثقيلة الباردة .

وقد كان الشيخ ابراهيم اليازجي حريصا علـــى التعبير بعبارة القرآن كل الحرص ، ولما دعاه النصارى ليرشدهم فى ترجمة الاناجيل كان يختار لهم العبارات البليغة فيرفضونها تعصبا ، زاعمين انها تشبه عبارات القرآن . انظر كتابه كشف المخبأ فى الرحلة الى أوربا . ومجلة الضياء ثمانية مجلدات ، ومجلة البيان مجلـــد

جاهل . والجهل المركب ان يكون الشخص جاهلا ، ويجهل انه جاهل ، فجهله مركب من جهلين . قال بعض الشعراء على لسان حمار الطبيب توما :

قال حمار الحكيم توما
لو انصفوني ما كنت أركب
لان جهلي غدا بسيطا
وراكبي جهله مركب

ومما يحكى من اخبار هذا الطبيب انه قرأ فى كتاب (الحبة السوداء شفاء من كل داء ، فقرأها خطأ (الحية السوداء شفاء من كل داء) فأخذ حية سوداء وصار يعالج بها المرضى ، فكانوا يموتون من سمها .

وليس بالكاتب حاجة الى ان يترك اللغة الفصحى ويستعمل اصطلاحا طبيا ليعبر به عما يريده الا اذا كان باقليا من من اهل العي والحصر.

وقد ارتقى الكتاب من ذلك الى خطأ آخر ، وهو استعمال التبسيط فيقولون : كتاب مبسط ، يعني انه الف بلغة سهلة غير معقدة . ويقولون : يجب تبسيط قواعد النحو ، اي تسهيلها وتيسيرها ، فانتقلوا من خطأ الىخطأ لانالتبسيط هو التوسيع، فهو بمعنى البسط ، الا أن التبسيط فيه مبالغة كالتقتيل بمعنى القتل ، اي كثرته . وفعل المضاعف اذا اشترك مع الثلاثي فى معنى واحد دل الرباعي على الكثرة والمبالغة فى اللغة العربية ، وفى أختيها العبرانية والآرامية .

## 13 — نكران الذات

ومن الاخطاء التي جاءت مع الاستعمار تعبيرهم بـ ( نكران الذات ) عن الايثار ، وهذه العبارة ترجمة فاسدة للفظ الانكليزي (Self-denial) والتعبير العربي الصحيح عن هذا المعنى هو الايثار قال تعالى فى سورة الحشر (9 ويؤثرون على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة) وضد الايثار هو : الاستئثار ، ويسميه جهال الكتاب «انانية» نسبة فاسدة الى لفظ (أنا) وهو أيضامن الترجمة الفاسدة للفظ الانكليزي (Selfishness) وقد يعبرون عن هذا المعنى أيضا بحب الذات ، وهو تعبير فاسد ، لان كل انسان يحب نفسه وليس ذلك بعيب ، وانما يعاب عليه أن يبالغ فى حب نفسه الى حد الاستئثار بالطيبات ، وغمط حقوق الناس ، وكذلك لا ينبغي للانسان ان ينكر نفسه ولا يستطيع ذلك لو حاوله .

وكيف ينكر نفسه ، وهو يعلم العلم الضروري انه موجود ؟ واذا انكر الانسان نفسه ، فبمن يعترف ؟ وهذا كله ناشىء عن الجهل باللغة العربية ، وعدم تعلمها من مصادرها الصحيحة .

## 14 — التصدير والتوريد

ومن الاخطاء الشائعة الذائعة استعمالهم لفظ التصدير فيما تخرجه البلاد من البضائع ليباع فى خارجها فيقولون مثلا : المغرب يصدر الفوسفاط والحوامض والسردين ، فدعنا نبحث فى صحة هذا التعبير قال فى اللسان : وصدر كتابه جعل له صدرا ، وصدره فى المجلس فتصدر اهـ. والصواب فى هذا أن يعبر بالاصدار .

ثم قال صاحب اللسان : وقد اصدر غيره وصدره ، والاول اعلى . وفى التنزيل العزيز : (( **حتى يصدر الرعاء** )) .

قال ابن سيدة : فأما أن يكون هذا على نية التعدي ، كأنه قال : حتى يصدر الرعاء ابلهم ، ثم حذف المفعول . واما ان يكون يصدرها هنا غير متعد لفظا ولا معنى ، لانهم قالوا : صدرت عن الماء فلم يعدوه .اهـ

وقال البيضاوي فى قوله تعالى فى سورة القصص (23 قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء ) تصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال ، وحذف المفعول ، لان الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما ، ويدعوه الى السقي لهما ثمة دونه .

وقرأ ابو عمرو ابن عامر (يصدر) أي ينصرف .اهـ

اقول : قول البيضاوي : تصرف الرعاة مواشيهم يرجح الوجه الاول من الوجهين اللذين نقلهما صاحب اللسان عن ابن سيدة . وهو أن يصدر فعل متعد حذف مفعوله ، لان البلاغة تقتضي حذفه كما أشار اليه البيضاوي ، لان الغرض لا يتعلق به ، وانما المراد الدلالة على عفاف ابنتي شعيب وكراهيتهما للاختلاط بالرعاة .

وعلى قراءة يصدر الرعاء بفتح الياء لا يختلف المعنى ، لان الرعاء لابد أن تكون معهم مواش ، والا لم يكونوا رعاة . فالمواشي مفهومة من المقام ، اذا قلنا : ان الفعل الثلاثي لازم ، وهو الذي رجحه ابن سيدة .

# تعديل تقويم اللسانين

بقلم الأستاذ :

**صاحب الامضاء**

**توصلنا بنقد مقالة كنا قد نشرناها فى العدد الثالث من دعوة الحق للاستاذ العالم الجليل الدكتور تقي الدين الهلالي عنوانها : (( تقويم اللسانين )) من استاذ عراقي كبير**

**ومعلوم ان الدكتور الهلالي قد اعرب فى هذه السلسلة التي بدأ يكتبها للمجلة عن الهفوات اللغوية التي تؤذي عيون ناس من قرائها ، وتؤلم افئدتهم ، كما تخدش وجه الادب ، وتمس جمال لغة الضاد .**

**واداء لواجب هذه اللغة الحية العالمية ، وصونا لجمالها وبهائها وروائها من التشويه ، فقد تصدى الدكتور الهلالي لتقويم الاخطاء اللغوية التي يقع فيها كثير من الكتاب ...**

**والاستاذ صاحب التوقيع وان اخفى اسمه عن القراء فاسلوبه ينم على انه من (( الصفوة )) ذات السمعة الواسعة فى دنيا العلم والتحقيق والتمحيص**

**ونحن اذ ننشر هذا النقد النزيه (( الجيد )) ، نرحب بالاستاذ صاحب التوقيع راجين من فضيلته ان يواصل المجلة بمقالاته وابحاثه التي لا شك ان قراءنا سيرتاحون اليها ، ويستفيدون منها .**

**(( التحرير ))**

قرأت فى الجزء الثالث من ( دعوة الحق ) ص 26 مقالة للاستاذ العالم الجليل الدكتور تقي الدين الهلالي عنواها (( تقويم اللسانين )) وقد اعرب فيه من غيرته على اللغة العربية وحرصه على صيانة كرامتها ما استحق به الشكر الاوفر من العرب المخلصين للغتهم . ومع فضله الظاهر الفيت تقويمه محتاجا الى تقويم وتعديل، وذلك يدل على ان هذا الموضوع عسير جدا ، فيه مزالق ، وواسع يشتمل على مناديح ، وميادين ، وكان حريا ان ينزه كتابته عن امثال ما نعاه على غيره وادعى فيه التزمت والتثبت فهو نفسه قد قال فى مقالته (( ويرخون العنان لاقلامهم بدون تبصر ولا تمييز )) ثم قال (( وانما سميت زائدة لان الكلام يتم بدونها )) ، فانا اقول له : من استعمل كلمة (( دون )) من فصحاء الامة العربية هذا الاستعمال ؟ ولهذا المعنى ؟ ان معنى (( بدونها )) هو (( بأقل منها )) وهو فقيه ولعله درس فى الفقه (( زواج المراة بدون مهرها )) **اي بأقل من مهرها** ، مع أن مراده بقوله هو المراد بكلمة (( غير )) فالصواب (( بغير تبصر ولا تمييز )) و (( لان الكلام يتم بغيرها )) ويبقى التعبير ضعيفا ايضا لان مراده (( يتم بحذفها )) . قلت ذلك لان الغيرية تحتمل شيئا آخر .

وقال : (( وبهذا تعلم ان الكاف الاستعارية لا يجوز ان تكون للتشبيه البتة لعدم وجود اركانه )) . والوجود لا يعدم وانما الذي يعدم هو (( الموجود )) وهو هنا الاركان ، فالصواب (( لعدم أركانه )) وما اشبه ذلك ، بله ان الفصحاء لم يستعملوا كلمة «عدم» هذا الاستعمال، لان «العدم» يؤذن بوجود سابق له ، **مع ان مراد الكاتب** الجليل نفي وجود الاركان ، فقولنا (( **لعدم الاركان** )) هو فى ادنى مراتب الصحة ، لانه من تعابير المتكلمين

واحد ، ولغة الجرائد جزء ، والواسطة فى اخبار مالطة جزء .

وقد عبر القرآن عن هذا المعنى بعبارات من ابلغ الكنايات واجملها وادلها على المعنى ولم يصرح قط باللفظ المخصص لهذا الحدث . قال تعالى فى سورة البقرة (187 فالآن باشروهن ، وابتغوا ما كتب الله لكم ) .

وقال تعالى فى سورة البقرة ايضا (237 وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ، وقد فرضتم لهن فريضة ، فنصف ما فرضتم ، الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح ، وان تعفوا اقرب للتقوى ) .

وقال تعالى فى سورة النساء ( 43 أو لامستم النساء ، فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا ) .

فهذه ثلاثة الفاظ المباشرة ، والمسيس ، والملامسة كلها كنايات . وفى اللغة العربية كنايات أخرى لاداء هذا المعنى لا تعد ولا تحصى فما حاجتنا الى جلب تلك العبارة الاجنبية الركيكة الغامضة التي تمسخ الانشاء العربي وتخدش وجهه ، وتسجل العجز على لغة الضاد ، وتصمها بما هي منه براء .

على أن لفظ الجماع الذي يعبر به الفقهاء فى كتب الفقه وفى الوثائق هو ايضا كناية .

قال فى القاموس : وجماع الشيء جمعه ، يقال: جماع الخباء الاخبية ، اي جمعها لان الجماع ما جمع عددا . ثم قال : والمجامعة المباضعة ، وجامعه على أمر كذا اجتمع معه .اهـ

على ان التشدد فى أمر الالفاظ ينافي طباع العرب ويسيء الى ادب اللغة العربية بل والى اللغة نفسها ، فان العرب تتساهل فى التعبير والتلفظ ، وانما تتورع فى الاقوال والافعال التي تعد محرمة شرعا ، ولا ترى العرب أن تتأدب بأدب الكنيسة النصرانية وأتباعها الذين يقول لسان حالهم ومقالهم : افعل كل شيء ، ولا تقل شيئا والعكس عند العرب هو الصواب .

فالحريري فى مقاماته كان عفيف النفس ، ولكنه لم يتحرج من التعبير عن المعاني والاشياء الواقعة التي لا ينفك الناس عنها . ومن يريد أن يقلد الكنيسة وأتباعها ويستهجن مخالفتها يلزمه أن يحذف أربعة اخماس المقامات الحريرية ، ويحذف قسما كبيرا من الادب العربي شعره ونثره ، وذلك هو الخسران المبين .

وقد كان ابن عباس سائرا محرما فى طريقه الى الحج ، فأخذ ينشد بيتا وهو :

وهن يمشين بنا هميسا
أن تصدق الطير ننك لميسا

فقال له رجل : كيف تقول هذا ، وأنت محرم بالحج ، وقد قال الله تعالى ( فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج) فقال له ابن عباس : انما الرفث ما كان بحضرة النساء .

اكتفى بهذا القدر وموعدنا المقال التالي بحول الله وقوته .

مكناس : **الدكتور تقي الدين الهلالي**

بتقويم اللسانين ، فان مراده « من كان عالما بنحو لغة من اللغات يتخذه مصباحا » فاستعمل « أيا » هذا الاستعمال الغريب ، وظن ان الضمير فى « كان » يعود الى اللغة فألحق به تاء التأنيث مع ان الفعل ينبغي أن يكون للعلم المفهوم من اسم الفاعل ، وبيان ذلك « من كان عالما » بنحو لغة كائنا ما كان هذا العلم بالنحو » فاذا اراد اللغة وجب تقديمها فيقال « من كان عالما بلغة اي لغة كانت » فالفعل الذي ياتي بعد أي يعود ضميره الى الاسم الذي قبلها ، وهذه ادنى مراتب الصحة او دنياها .

وقال : « ينتفع اهل الارض بضوئها ودفئها وانضاجها للثمار الى غير ذلك » فكيف نصل « الى غير ذلك » بالجملة وهي لا تحتاج الى « الى » التي هي منتهى لابتداء الغاية ، فلو قال : « من ضوئها ودفئها الى غير ذلك » لصح التعبير ، فالصواب العطف « وغير ذلك » فتكون الجملة « بضوئها ودفئها وانضاجها للثمار الى غير ذلك » .

وقال : « ورنقت صفو زلاله المعين مما يسوء كل طالب علم » فمن هنا للبيان والتفسير فكيف يكون الزلال المعين مما يسوء كل طالب علم ؟ واذا عددناها للتعليل يكون ترنيق الصفو بسبب ما يسوء كل طالب علم وهو غير مراد الكاتب الفاضل ، فالصواب « وذلك مما يسوء كل طالب علم » على الابتداء والاخبار .

وقال فى الكاف التي سماها استعمارية « وهذا الاستعمال دخيل لا تعرفه العرب » . اراد « لم تعرفه العرب » والا فان العرب عارفة به ، فالمراد نفي الماضي لا المستقبل ، جاء فى الصحاح : « لا حرف نفي لقولك يفعل ولم يقع الفعل ، اذا قال هو يفعل غدا . قلت : لا يفعل غدا » ولا تنفي الماضي الا اذا كررت أو عوض عن تكرارها وليس هذا موضع الجدال لان الفعل فى الجملة المنقودة مضارع جعلته « لا » للاستقبال ، مع ان المراد نفي معرفة العرب قديما .

وقال : « بين غث وسمين وكدر ومعين » ظانا ان المعين هو الصافي والرائق مع انه الجاري وقد يكون الجاري رائقا او كدرا بحسب أرضه وجريته ومنبعه وعينه وما يحدث فيه .

وقال : « وستأتي فى هذه المقالات ان شاء الله امثلة عديدة توضح ذلك » اراد بعديدة « كثيرة » مع ان العديدة هي المعدودة قليلة كانت او كثيرة ، واستعمل « امثلة » جمع القلة مع ارادته الكثرة ، فالصواب «مثل كثيرة » فالمثل جمع المثال للكثرة كنظم جمع نظام وحزم جمع حزام ولحف جمع لحاف .

نعود الى الكاف الاستعارية التي جرب الدكتور الجليل استعمالها فى قول القائل « فلان كوزير لا ينبغي له ان يتعاطى التجارة » لانه استعمال دخيل ، مع انه ذكر من معاني الكاف « التعليل » فاذا قلنا : « فلان لانه وزير لا ينبغي له ان يتعاطى التجارة » كان المراد مضمونا والمعنى واضحا ، ثم انه لما عاب على القائل قوله لم يذكر له القول الصحيح ، فلنحسب ان القول المذكور دخيل فما وجه الصواب ؟ فالبراعة ليست فى التخطئة وحدها بل فيها وفى ذكر الوجه الصحيح ، فعليه حفظه الله ان يذكر للناس وجه الصحة .

ونعود ايضا الى جدبه قول القائل : **« يجب علينا أن نسعى لخلق نهضة ثقافية »** واحتجاجه بأن الايجاد والانشاء خاص بالله تعالى وكذلك الخالق ، وهذا احتجاج غريب ، فالله تعالى المحيي وعلى قوله لا يجوز ان نقول « احياء مآثر العرب وتراثهم » والله الحميد ، وعلى قوله لا يجوز ان يقال « حمدت فلانا حمدا » والله تعالى « البديع » بديع السموات والارض ، فينبغي ان نلعن البديع الهمداني والبديع الزنجاني وابن البديع ، لانهم تلقبوا بهذا اللقب ، وهلم جرا على اكثر الصفات المشتركة ، ثم ان القائل لم يسند خلق حي من الاحياء الى الفاعل (1) حتى يكون مخطئا ؟ واذا كان مقدر جلد النعل خالقا كما ذكر الدكتور الكريم فما المانع من استعمال الفعل « خلق » لغير ايجاد الحي ؟ اما استشهاده بأن «الخالق والخلاق » بالالف واللام خاصان بالله تعالى نقلا من قول الازهري فلا جدال فيه لان الجملة المنقودة خالية منها ، وهذه كلمة « رب » فقد قالو : « فلان رب فضل وادب » فاذا قيل « الرب » اريد به الله جل جلاله ، ولنا مع الدكتور الكريم موعد آخر ان شاء الله . والسلام عليه .

**العراق : قاريء**

---

1 ) ورد فى ( دعوة الحق ) نفسها – ص 12 – قول الاستاذ عبد الهادي التازي « لضمان جيل مسلم متنور اي يصمم لخلقه تماما » فهذا القول معيب

والمولدين ، فالفصيح ان يقال «لا يجوز ان تكون للتشبيه فلا وجود لاركانه » ، او « لا يجوز ان تكون للتشبيه وليس له اركان » .

وقال المقوم الفاضل « ولن ينهى ذوي الظلم شيء مثل الطعن المبيد المهلك الذي لا يترك لهم شيئا لا انفسا ولا أموالا » . وقد خالف الفصاحة العربية باستعماله جمع القلة المنكر « انفسا » مع ان مقتضى الحال يوجب استعمال « النفوس » اعني جمع الكثرة ، فذوو الظلم كثيرون او كثير على الافصح ، وانما قلت « المنكر » لان المعرف بأل او الاضافة من هذا الجمع يجوز ان يستعمل للكثرة . وكأني بالدكتور الكريم وقد قرأ هذا الاعتراض يلجأ الى « ثلاثة قروء » وكلام العلماء المكرر فيه ، فنحتج عليه بأن هذا استعمال جمع الكثرة للقلة بسبب أن الكثرة شاملة للقلة مع أن في قوله العكس ، فليست القلة شاملة الكثرة ، اعني انه لو استعمل النفوس واراد الانفس مع تنكيره لهما لجاز قوله .

وقال : « وهي في هذا الزمان القنابل المحرقة » فما معنى القنابل في اللغة العربية ؟ القنبل كجعفر والقنبلة كالجمهرة ، من حيث الحركات لا الوزن هما بمعنى الطائفة من الناس او الخيل كما جاء في معجمات العربية . اعني معجمات اللغة العربية ، فكيف استجاز الدكتور الجليل لنفسه استعمالها لأدوات الحديد المحشوة بالبارود وما جرى مجراها من الملتهبات ؟ انه قد جارى جهلة المترجمين بعد ان شرب عليهم وعرب عليهم ترجمتهم ، فهم الذين ترجموا كلمة Bombe ( بضم القاف والباء ) كما يرى الرائي في معجم الراهب ج ب بلو Belot والذي ذكره المؤرخون المسلمون والمتأخرون عصرا هو « القنبر » بالراء المهملة ، قال بعضهم « ابتدأ الملك بضرب المدافع والقنبر » ، وقال آخر في حوادث سنة 1154 هـ « وجملة ما ضربه من القنبر خمسون الف قنبرة ، ومن المدافع مائة الف مدفع فكانت المدافع والقنابر تتناثر على الموحدين » يعني المسلمين ، وقال في مواضع أخرى ما يؤيد أن القنبرة والقنبر والقنابر هي الصواب لا « قنابل » الكاتب الكريم فانها التصحيف وان اشاعت .

وقال : « وعمت الفوضى في الانشاء العربي » فما هذه الفوضى ؟ ومن استعملها هذا الاستعمال من فصحاء الامة العربية ؟ انها من استعمال جهلة المترجمين الذين عاب عليهم الدكتور استعمالهم كلما عربية في غير مواضعها ، انها ترجمة كلمة Anarchie قال الاب بلو في ترجمتها : عدم الحكم في الشعب ، امر فوضى» فالرجل على كونه غير عربي استعمل « الفوضى » صفة لا اسما كما استعملها الدكتور الجليل ، فالفوضى صفة مثل الشتى فالصواب « وعمت الحال الفوضى . . . » وكأني بالدكتور الكريم يقول : قد حذفنا الموصوف واتخذنا الصفة اسما ، فنقول له :ليست هذه بقاعدة مطردة ، وأنت تدعو الى اتباع كلام الفصحاء واقوالهم ، وهذا ليس بذاك ولا هناك . ثم ليس هذا موضع التدقيق والتحقيق فنقول : ان الفوضى أصلها«الفضى» كشتى جمع شتيت وهي مشتقة من الفعل « فضه يفضه فضا » أي فرقه تفريقا ، ثم ابدلت احدى الضادين واوا ، والتفرقة هي المعنى المراد بالفوضى ، فالفوضى جمع كالشتى تستعمل للجمع او لما يمكن ان ينجزأ وان كان مفردا ، فكيف يجوز استعمالها اسما جامدا مع لزوم الوصفية الجمعية لها ؟

وقال : « وربما استعمله بعض كبار الاساتذة الذين يرجى منهم المحافظة على صحة الاستعمال » اراد بالبعض هنا غير واحد منهم ، مع ان «بعضا» لم تكرر في الجملة حتى تدل على غير الواحد ، فالمكررة كالقول الذي قاله الدكتور الفاضل في نقده هذا « تحدث بعضهم الى بعض » وكما في الآية الكريمة التي اتخذها شاهدا وهي « فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون » ، فاذا لم تكرر وكان المضاف اليه الذي اضيفت اليه ذا اجزاء منفصلة او ممكن فصلها دلت على واحد او واحدة ، وشاهدنا كتاب الله العزيز ، ففيه « يلتقطه بعض السيارة » و «قالوا لولا انزل على بعض الاعجمين فقرأه» و « اذ أسر النبي الى بعض ازواجه حديثا فلما نبأت به» ويليه في الشهادة شعر العرب ومنه البيت الذي اورده الدكتور نفسه في مقالته هذه وهو قول زهير :

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ
ـض القوم يخلق ثم لا يفري

وقال أبو دلامة :

اقاد الى السجون بغير ذنب
كأني بعض عمال الخراج

وقال بشار :

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة
والآذن تعشق قبل العين أحيانا

وقال لبيد : « أو يرتبط بعض النفوس حمامها » . ولا يستعمل « بعضا » للجمع الا غير الفصحاء اذا كانت مفردة .

وقال : « فان من كان عالما بالنحو في اي لغة كانت يتخذه مصباحا » وهذا التعبير كان أولى من غيره

2)

وهبـوا اليـك مؤيديـن ولاءهـم
ومبايعينـك باذليـن تـراقيـا

* * *

اما عن هذا البيت فللشاعر ان يتأمل هذه النون فى (مبايعينك) وهل لوجددها مسوغ عربية والجمـع مضـاف ؟

* * *

3)

وهـم البنـاة لمجـده فاخبرهـم
تجـد الاسـاود مهطعيـن ضواريـا

والاساود فى البيت استعملها جمعا للاسد الذي يجمع على آساد واسد اما الاساود فهي جمع الاسـود وهو الثعبان الخطير وهو مالم يرده لبناة المجد الذين يشبهون الآساد الضارية . وما أسخف ان نصف الاسد بالذل والاهطاع ! وما أسخف ان يكـون بناة المجـد اذلاء مهطعين !

* * *

4)

وكذاك شعبـك ان شعبـك جنـة
ورقـى لعـرشك لم يزل لك هـاويا

ومن المؤسف أن تهـوي هذه القافية (هـاويا) شاعرنا فلم يفرق بين هـوى يهـوى هويا فهو هـاو ، واحد هاوية ، وبين هوي يهوى فهو هو فكانت هفوتـه فى هذا المكان شبيهة بشاعر هشام الذي قال فيه :

صفـراء قـد كـادت ولـم تفعـل
كأنهـا في الافـق عيـن الاحـول

* * *

5)

ولكـان ربـك أيـدا وقضـاؤه
ازرا وروحـك للعزائـم هـاديـا

ونحن نرجو ان يكون الله ازرا ومعينـا ومؤيـدا لمليكنا فى كل ما يهدف اليه من خير وأرجو كذلـك من زميلنا ان يرجع دائما الى اللغة ويحترم مدلولاتها ، واذكره بان الأيـد هو القوي الشديد وليس هو المؤيد المعين الذي اراد من الشاعر ان يؤديه .

6)

تعلـي مـآثـر ما الاوائـل اسسوا
وتضيف تالـدهم طـريفـا باقيـا

وفي هذا البيت الذي ليس له صدر ولا عجـز سليـم يتحدث عن المآثر التي اسسها الاوائل وعمـا اضاف الممدوح العظيم من طريفه الباقي الى تليدهـم الخالد . ولكنه يتعثر فى ركاكة ظاهرة فى صـدر البيت ( ما الاوائل اسسوا ) ويخالف العربية بحذف الجـار فى العجز ( وتضيف تالدهم طريفا باقيا ) وهـو يريد تضيف الى تالدهم طريفـا فسوغ لنفسه حـذف ما لا يحذف الا سماعـا .

* * *

7)

وتطلعـت لروائهـا احنـاؤه
فتـراقصت جـذلا ودوت عـاليـا

ومرة اخـرى يتحدث عن الاحناء اي الاضـلاع فيجعلها متطلعة مشرئبة ومتراقصة مدوية ، ومنظـر الاضـلاع مخلوعـة متراقصـة او صائحـة مدويـة صورة تنفر المشاعـر منها حين تبدو وتشمئز النفوس وليت الابصار كانت هنا مكان الاضلاع فان الجمـال الشعري فى انسجام الكلمات وترابط الالفاظ بالمعانـي وليس فى اختيـار الكلمـات ذات الجـرس والايقـاع

* * *

8)

امنـوا بعهـدك ان يدوم رخاؤهـم
وراوا لعهـدك أمنهـم متتـاليـا

واذكر زميلنا الشاعر هنا بما يعرفـه فى دروس النحو من حذف الجار بكثرة قبل أن الذي مثل لـه صاحب الخلاصة بقوله : نحو ( عجبت أن يدوا ) . اي من ان يدوا وفي القـرآن ( وترغبون أن تنكحوهن ) وجريا مع ما تقرر نلحظ حذفا للجار فى قوله : امنـوا بعهدك ان يدوم رخاؤهم . اي انهم : امنوا من أن يدوم رخاؤهم وهو كلام فاسد المعنى اذ يستحيل الى انعدام دوام رخائهم وهو كلام لا يقال الا فى الهجو لا فى المدح .

* * *

9)

واقمـت اوريكـا ففـاض نعائمـا
وسقـى الظمـاء ربى وشايا شافيـا

# مع التواتي في قصيدته

للأستاذ: محمد الحلوي

نشر زميلي الشاعر عبد الكريم التواتي قصيدة فى العدد الماضي من هذه المجلة التي أخذت على نفسها ان تفتح صدرها لكل المواهب والطاقات التـي تتلمس طريقها الى الانطلاق ، ورغم ان الشاعر صديق لي ، فان هذه الصداقة لم تدفعني الى التغاضي عما يشين هذه القصيدة من هفوات كان يجب ان يفتح عينه عليهـا وهو يتناول فى شعره ذكرى وطنية غالية ، بل ان صداقتي له هي التي اغرتنـي بقراءتها وجعلتنـي أقف أمامهـا وقوف شحيح ضـاع فى التـرب خاتمه . وكل جـزاء ارجوه على هذه الوقفة التي لا اطيلها أن يتسع صـدر صديقنا لهذه النقدات العابرة فذاك اثمـن ما أعـوض بـه لحظات من أوقاتي انفقتها غيرة عليه وعلى الكلمـة التي نتشرف جميعا باللانتماء اليهـا .

واول ما يلفت النظر طول هذه القصيدة التـي جاوزت ابياتها **معلقة لبيد** وامتد فيهـا نفس الشاعـر وطال ، وطول النفس الشعري فضيلة تنم عن طبع كريم وشاعرية سخية متدفقة وعواطف جياشة مشبوبة قل من تمتع بها من شعراء العربية وفرسانها وقل مـن استطاع فيها ان يجمع بين الاطالة والاجادة ، فقـد كانت القافية وما تزال السد الذي يقف امام الشاعـر للانطلاقات البعيدة المدى اذ لا يجـد بين يديه مـن مختاراتها الا عددا قليـلا متى جاوزه وجـد نفسه على حالتين : اما ان يكرر نفسه ويعيد قوافيه واما ان يبلغ منه الاجهاد فيسف ويهوى الى الحضيـض ... وهذا ما انتهى اليه زميلنا عندما صمم على أن تكـون قصيدته أطول من المعلقات ولو هذبها كما هذب عبيـد الشعر فى الجاهلية اشعارهم وكما نقح ابو نواس روائعه وخمرياته لسلم من الضعف وتكرير القوافي فالشعـر كمـا قـال البحتـري :

. . لمـح تكفـي اشـارتـه
وليـس بالهـذر طـولت خطبـه

ومـع هذه الاطالة التي كان الايجاز ابلغ منهـا يتعثر القاريء في قراءته لبعض ابياتهـا بانكسارات فى الوزن الذي التزمه وفي اللغـة التـي استعملهـا كأداة للتعبير

والى الاخ بعضا من هذه النماذج فى اختصـار **أضعها** امامه متتابعـة :

1)

اسيـل اكـرم والـد حفلت بـه
مهـج الـورى لـك **أخلصت** احنائيـا

استعمل الشاعر الاحناء وهي الاضلاع عنـدما اراد التعبير عن حبه واخلاصه وهو استعمال لم يعرف فى حديث المحبين الا كناية عن نار الشوق التي تتأجج بين اضلاعهم ولا ينطفيء أوارها فلم يعرف فى كلامهـم: اخلصت لك اضلاعي فالقلب كان ولا يزال منبع الحب والاخلاص اما الاضلاع فحسبها أن تنعم بمـا فيه مـن لذة الوصل او تصلى نارا لما به من لواعج الشوق وهو ما وصفه ابو فراس اذ قـال :

تكـاد تضيء النار بيـن جوانحـي
اذا هـي اذكتهـا الصبابـة والفكـر

# نظرة في منجد الآداب والعلوم

للأستاذ عبد الله كنون

- 16 -

**حـــرف الفـــاء :**

429 فى ص 377 ، ع ل ذكر تحت عنوان الفاتحون العرب : الاحنف بن قيس فجرد اسمه من أل على عادته، وذكـــر اســـم حبيب بـــن مسلمـــة فضبطـــه بضم الميم وبذلك يتوهم انه اسم امـــه وهو بفتح الميم واللام اسم ابيه ، وذكر سعد بن ابي وقاص فجعلـــه ابن وقاص بحذف ابي بين ابن ووقاص والصـــواب اثباتها ، وذكر السمح بن مالك فجرده من ال ايضا وهو معروف بها ، وذكر عبد الله بن سعد ومن تمام تعريفه ان يزيد ابن ابى سرح ، وذكـــر عبد الرحمان الاول الاموي المعروف بالداخل على انه فتح اسبانيا وليس بصحيح فان فتح اسبانيا كان على يد طارق بن زيـــاد كما ذكره هو نفســـه ، وذكر عصام الخولاني على انه فاتح جزر البليار وسبق له ان فاتحها هو عبد الله بن موسى ( بن نصير ) فبأيها ياخذ القارىء ؟ وذكـــر عمـــرو بن العاص على انه فاتح طرابلس الغرب والقيروان ونسـي اهم فتوحه وهي مصر ، وذكر عياض بن غنـــم فجعلـــه غياض بالغين وهو بالعين المهملـــة ويحتمـــل ان ذلك تصحيف مطبعي ، وذكر قتيبة بن مسلم على انه فاتـــح بلخ وما وراء النهر وبلخ سبق ان فاتحها هو الاحنف بن قيس ، وذاك هو الصواب ، وذكر موسى بن نصير على انـــه فاتح اسبانيا وساحل المغرب وافريقيا ، وسبـــق له ذكر فتح طارق لاسبانيا فكان من حقـــه ان يحـــرر الكلام فى هذا المطلب ، وذكر نصر بن سيار على انـــه فاتح ما وراء النهر ، وهـــو مطلب بحاجـــة ايضا الى التحرير ، لانه تقدم له ان قتيبة بن مسلم هو الـــذي فتحـــه .

430) فى ص 379 ع ل ذكر كتاب الفاخر للمفضل ابن سلمة وقال : طبع بهمة سنوري بالنون والصواب ستـــوري بالتاء وهـــو المستشرق G. A. STORY ويمكن ان يكون التصحيف من خطأ الطبع . وقد أعيـــد طبع هذا الكتاب القيم بعناية وزارة الثقافة والارشـــاد القومـــي فى ج٠ ع٠ م

431) وفي نفس العمود تعريف بالفيلسوف ابي نصر الفارابي ، كناه فيه بابي النصر اي انه الصـــق بكنيته أل التي ينتزعها من اسماء غيره ، وقال انـــه ذهب الى التوفيق بين فلسفة ارسطو وافلاطون فنشأت عنه الفلسفة الاسلامية الافلاطونية الجديدة ، وفي هذا الكلام من الخلط ما لا يخفى ، فما شأن الافلاطونيـــة الجديدة بعمل الفارابي ؟ ولو قال انه وفق بين فلسفة ارسطو وافلاطون وبين التعاليم الاسلامية لكان اقرب الى الصواب ، وقد ذكر من كتبه ما سماه فصـــوص الحكم وهو الفصوص فقط بدون اضافة ولعله اشتبـــه عليه بكتاب لابن عربي الحاتمي يحمل هذا الاسم .

432) وفيه ايضا ترجمة لاحمد بن فارس اللغوي ذكر من كتبه المعروفـــة كتاب الصاحبـــي فى فقـــه اللغـــة فسمـــاه كتاب الصاحـــب وهـــو بياء النسب لانه الفه للصاحب ابن عبـــاد .

ووجـــدت عيــدك فرحـــة ونعائمـــا
اللــه أسبغهـــا البـــلاد تهانيـــا

وهنا يرتكب زميلنا خطأ لغويا آخر فيجمع النعمة على نعائم وهي لا تجمع الا على نعم وانعم ونعمات أما النعائم فهي منزل للقمر من ثمانية انجـم على صورة النعامة ولعلها علقت بذهنه ايام دراسته للمقنع فاختلط عليه الحال ، ولكن لايجوز ان يختلط عليه في قولـه ( الله اسبغها البلاد ) وهو يريد اسبغها على البلاد كما ورد به القرآن : ( وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ) ولكن مذهب الاخ كما اتضح أن يتصرف كما شاء وأن يستجيب للوزن والايقـاع ولو ادى ذلـك الى احداث تراكيب في العربية غير معروفة .

* * *

(10

فرحـــا بعيـــدك أن تـــدوم عهـــوده
وبعيـــد عـــرشك ان يدوم وراثيـــا

**جملة أن** كما يعلم الزميل مؤولة بمصدر فلها محل من الاعراب فكيف ساغ له أن يعمل فيها فرحا اللازمة ويسلطها عليها ؟ وما رأيه لو صاغ البيت هكذا :

ارجـــو لعيـــدك ان تـــدوم عهـــوده
ولعيـــد عـــرشك ان يـــدوم وراثيـــا

* * *

(11

واقمت في كـــل الشطـــوط مواخـــرا
ومـــن الاجـــاج عصرت عذبا صافيـــا

أما عن المواخر يا اخي الشاعر في كل الشطوط فاتمنى ان تصبح للمغرب الامكانيات الكافية لتصبـح لـــه مواخر ليست في الشطوط فحسب ولكـن عبـر القارات والمحيطات . واما عن تحليـة مياه البحـر وتحويلها الى مياه صالحة للشرب فذاك ما لا اعـرف عنه شيئا وما اظن ان المغرب بحاجة الى ذلك وهو مازال لم يفرغ من اقامة السدود للانتفاع بالمياه العذبة .

هذا ابرز ما ظهر لي وانا اقرا قصيدة زميلنــا التواتي اكتفيت به غير مكلف نفسي الذهاب وراء ذلك. راجيا ان يزيدنا عطاء اكثر ويكلف نفسه اهتماما زائدا بتهذيب انتاجه ورعاية فلذة كبده لتصبح كمـا قـال عنها فرائد تحتذى وقوافيا وما ذلك عليه بعزيز .

**تطـــوان : محمد الحلـــوي**

---

**الامـــــة**

تطلق كلمة « **أمــة** » ويراد بها معنى من المعاني الآتية :

**الجماعـــة :** قال تعالى : « وجد عليه أمة من الناس يسقون» آية 23 / القصص

**الـديـــن :** قال تعالى : « انا وجدناآباءنا على أمــة » آية 23 / الزخرف

**الزمـــان :** قال تعالى : « وادكر بعد أمـــة » آيـــة 45 / يوسف

**الرجل القدوة :** قـــال تعالـــى : « انابراهيم كان امـــة قانتـــا لله حنيفـــا » آيـــة 120 / النحـــل .

446) وفي نفس الصفحة ، ع ني ترجمة لفضل الله الحروفي قال فيها أسس مذهب الحروفية التابع للقرماط وللاسماعيلية ، والصواب ان يقول للقرامطة كما نبهنا على ذلك مرارا ، ثم زاد قائلا : والمتخذ من الاحرف الهجائية وحسبتها بالارقام ، مبدأ لتعليم ديني مكتوم . وهو الكلام فيه من الركاكة والقصور ما يحول بينه وبين فهم المراد . وقد جاء فى دائرة المعارف الاسلامية ان الحروفية فرقة شيعية انشأها فضل الله الاسترابادي فى نهاية القرن الثامن للهجرة ، وهي عقيدة تقوم على فكرة ان الكون أبدي يتحرك حركة أبدية وهذا هو علة التغيرات التي نلاحظها فيه ، وان فضل الله هو ءاخر الاولياء واول الطبقة المقدسة التي يتجسد فيها الاله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ، ولهم حساب مستخرج من حساب الجمل اخذوه من الاسماعيلية وله شأن كبير به تقرير عقيدتهم هذه باختصار وتصرف قصد الايضاح .

447) فى ص 391 ، ع ل ترجمة لفضالة بن عبيد الانصاري من قواد الصحابة الذين حاصروا مدينة القسطنطينية كتب اسمه فيها فضلة بدون الف بعد الضاد وهو بها .

448) في العمود نفسه بعنوان الفقهاء ذكر اسماء عدد من فقهاء الصدر الاول منهم سليمان بن يسار جعله ابن اليسار بأل واسحاق بن راهوية حذف منه لفظ ابن

449) فى ص 392 ، ع ني ذكر كتاب التفاحة فى عمل المساحة فقال انه مخطوط فى الرباط . وهو مطبوع من زمن ضمن مجموع المتون المصري عدة طبعات ، وهذا بغض النظر عن اسم صاحبه وما فيه من الخلاف بين المنجد وما سمى به نفسه فى اول كتابه وما في كشف الظنون

450) فى العمود نفسه ترجمة للمستشرق فان فلوش قال فيها عنه صاحب كتاب مفاتيح العلوم وفصول من البخلاء والمحاسن والاضداد للجاحظ ، وقوله هذا يوهم انه هو مؤلف كتاب المفاتيح وليس كذلك فانه للخوارزمي والمترجم انما نشره فقط كما نشر ما ذكره من البخلاء والمحاسن والاضداد

451) فى ص 393 ، ع ني ذكر كتاب فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي وضبط الوفيات بكسر الفاء وتشديد الياء مع الفتح طبعا والصواب فتح الواو والياء من غير تشديد

452) فى ص 398 ، ع ل تحت اسم فيل او افيلاس هو احد ملوك الحبش الذين غزوا بلاد العرب ( القرن 3 ) . . . سماه القرءان بالفيل وذكر اصحابه ، ولا يصح ان يكون هذا هو الذي ذكره القرءان ، لان المؤرخين مجمعون على ان اسمه أبرهة وان غزوه كان للكعبة خاصة ، وفي القرن السادس وبه يؤرخون ميلاد النبي ( ص ) والمنجد نفسه ذكر ذلك فى حرف العين تحت عنوان عام الفيل .

453) فى ص 400 ، ع ني ترجمة للفيومي صاحب كتاب المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير قال انه في الفقه ، ومع احتمال رجوع الوصف الى الشرح الكبير الا ان المقصود بالكلام هو المصباح ولا يخفى انه كتاب في اللغة مشهور .

**طنجة : عبد الله كنون**

433)   ص 380 ، ع ل كلمة لا باس بها عن مدينة فاس ، ولكن جاء فيها : من بناياتها الاثرية الشهيرة مدارس ( بوعنينا ) والعطارين ( والقرويين ) اما بوعنينا فصوابها البوعنانية نسبة الى ابى عنان وهي كنية الملك المريني الشهير الذي بنى المدرسة . واما القرويين فليست مدرسة ولكنها المسجد الجامع الذي يكون جامعة القرويين الشهيرة .

434)   فى نفس الصفحة ، ع ني ذكر سورة فاطر من سور القرءان الكريم وسماها الفاطر بأل على عادته فى تعرية المعرف بأل منها وتحلية المجرد منها بها .

435)   فى ص 382 ، ع ني تحت عنوان فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر ، ذكر مقدمة هذا الشرح فسماها هوى الساري بالوار ؛ وهي هدي الساري بالدال ولعله تصحيف

436)   فى ص 383 ، ع ل ذكر حرب الفجار من ايام الجاهلية المعروفة فضبطها بتشديد الجيم ، وهي بكسر الفاء والتخفيف ، وقال انها كانت بين قريش واحلافهم كنانة وبين الهوازن والصواب هوازن بدون لام ، وهي قبيلة معروفة من قيس عيلان التي اثارت الحرب المذكورة فى الاشهر الحرم وهزمت فيها فقالت لقد فجرنا وبذلك سميت الحرب حرب الفجار

437)   في نفس العمود ذكر وادي فخ الذي وقعت فيه المعركة الشهيرة بين القائم العلوي الحسين بن علي بن الحسن وبين جيش الخليفة العباسي الهادي ، وقد سماه الفخ بأل وسمى المعركة بيوم الفخ ، وهو علم بدون ال .

438)   فى نفس الصفحة ، ع ني تعريف بمدينة فضالة المغربية سماها فيه فدالة بالدال وذلك من خطأ الاعتماد على الترجمة ، وهي تسمى اليوم المحمدية كما هو معلوم .

439)   فى ص 384 ، ع ل تعريف بالفرائض السراجية تاليف سراج الدين السجاوندي قال فيه احكام الارث على المذاهب الاربعة ، وليس كذلك ، فهي خاصة بالمذهب الحنفي ، وقد سبق له مثل هذا القول فى الفرائض الرحبية ورددناه بانها خاصة بالمذهب الشافعي ، ويقول ناظم السراجية التي نحن بصددها فى صدر نظمه لها :

وقد رايت الرحبية التي
في كتب الميراث كالفريدة
فانها عميمة المنافع
لكنها فيما نحاه الشافعي
وحبذا لو كان للمعاني
نظيرها في مذهب النعمان
الخ

440)   فى نفس العمود ذكر كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي فقال فيه كتاب فى التصوف ، وليس كذلك بل هو كتاب فى الادب خاص بالموضوع الذي يحدده اسمه .

441)   فى الصفحة نفسها ، ع ني تعريف بابن فرح الاشبيلي صاحب قصيدة ( غرامي صحيح ) فى مصطلح الحديث ضبط فيه اسمه هذا بفتحتين وهو بفتح الفاء وسكون الراء منصوص عليه . وقال عنه : معلم فى اموي دمشق ، ويعني انه درس فى المسجد الاموي بدمشق ، ولكن عبارته مقصرة جدا فى حق المترجم وفيما يعني قوله ، فان كلمة معلم لاتقال فى حق العلماء ، وتعبير اموي دمشق ليس مما يؤدي المعنى المراد بوضوح لقراء المنجد من الطلبة الذين الف لهم . وقد تكرر تعبيره هذا فى تراجم اخر فلذلك نبهناه عليه .

442)   فى ص 385 ، ع.ل اثناء ترجمة للسلطان فروح صاحب دلهي قال : اصدر الفرمان ( يعني المنشور ) الذي عفا الشركة الانكليزية من الضرائب ، وعفا لا تتعدى بنفسها فكان من حقه ان يقول اعفى بهمزة التعدية لان معجما لغويا مثل المنجد يقع فى يد الطلبة ويعتمدونه فى تعابيره لا يجوز أن يرتكب فيه هذا الخطأ

443)   فى ص 387 ، ع ل ترجمة لابن الفرضي صاحب كتاب تاريخ علماء الاندلس قال فيها : سمع الى ايمة العلماء فى القيروان والقاهره الخ والصواب سمع ايمة العلماء من غير ذكر الى ، لان سمع متعد بنفسه ، فالقول فى هذا التعبير مثل القول فى سابقه

444)   فى ص 390 ، ع ني ذكر سورة حاميم فصلت فكتبها حاء ميم بهمزة بعد مد الحاء وهي فى رسم القرءان ( حم ) فقط وتكتب فى غيره بمد الحاء والميم اعتبارا بالنطق ولكن بدون همزة فزيادتها هنا خطأ وتطاول

445)   فى نفس العمود ذكر اسم كتاب ابن حزم الفصل فى الملل والاهواء والنحل فضبطه بفتح الفاء وسكون الصاد وهو بكسر اوله وفتح ثانيه في المشهور والجاري على الالسنة وان اختلف فى توجيهه .

واحد ، هو توجيه نشاط الانسان الى بلـوغ الكمال . فالاسلام دين يخاطب العقل والضمير على السواء .

وهناك اجمـاع من الباحثيـن على ان للفلسفـة الاسلامية رسالة هي فهم الكون ومعرفته لذاته بحيث يدع لضميره امر تدبير سلوكه ويستشعر فى جوانبه ثقة فى الله وثقة فى نفسه ، عندئذ يستطيع ان يمارس حريـة ارادته ممارسة تامة ، فيمضي فى الحياة مطمئن النفس، متفتح الوعي مبتهج القلب ، وانها هي النظر العقلـي فى الله والانسان والكون ، وقد عارض الفلاسفة المسلمون تلك الثنائية التي ضمنها ارسطو مذهبه: التي يتقابل فيها الله والمادة الازلية عنده واعلنوا وحدانية الله وتنزيهه عن ملابسـة المـادة ، وعلى الجملة لم يكـن الاتصال بفلسفة ارسطو وحدها ولا بمذاهب اليونان وحدها .

ولم يقف الاسلام امام حرية الفكر بـل اعطاهـا المدى ، اما اولئك الذين قتلوا فانما قتلتهم السياسة لا العلم ، فقد كانوا ينتمون الى دعوات هدامة للدولـة والنظام العام ، ولو اقتصروا على الفكر الخالص لمـا نالهم سـوء .

وقد اثبتت اللغة العربية فى مجال ترجمة الفكـر الانساني على قدرتها على الشمول والاستيعاب ، وقد استطاع الاسلاف احراز تقدم واسع فى مجال المصطلحات التي فتحت الطريق اليوم لنقل العلوم الحديثة .

ولا شك كانت ترجمة التراث اليوناني للحضارة الاسلامية فقد استدعى هارون الرشيد العلماء الذين يجيدون اللغات وكون منهم هيئة علمية مهمتها تقديـر التعويضات التي تدفعها الشعوب المغلوبة على ان تكون هذه التعويضات كتبا فلما جاء المأمـون كون مجمعـا علميا وكل اليه اعمال الترجمة وبرز فيه ابناء موسى بن شاكر الفلكي الثلاثة وكانوا لا يقدمون على الترجمة الا بعد الحصول على ثـلاث مخطوطـات على الاقـل من الكتاب المراد ترجمتـه فيقابـل بينهما ويقوم نصهـا وتصحيـــح .

ويرى محمد رضا الشبيبي ان الباعث على نقـل الفلسفة اليونانية فى اول عصر العباسية له علاقة بالدين، فقد عنيت برد الشبهات التي كانت تثار ضد العقيدة الاسلامية على طريقة الفلاسفـة ، وقال ان وجه نظـر المسلمين الى الفلسفة اليونانية انها كانت آراء نظرية بحتة بينما كانت رسالة الاسلام عملية بعيدة عن المسائل النظرية ، ومن هنا كان اعضاء النقلة المسلمين عن نقل الادب اليوناني مثل الالياذة والاوديسا لان ما فيها من اساطير وخرافات كانت تعتبر ولا ريب مبنية على الشرك، لذلك . وقد اشار الشبيبي الى خطأ القول بأن العرب لم يعنوا بالادب اليوناني وقال ان للفارابي بحثا عن الشعر اليوناني بجميع أقسامه وهو ينقله بالمصطلحات التـي كانت معروفة فى ذلك الوقت ، وقال ان المسلمين كذلك عنوا بنقل كتب كثيرة لها اتصال بالادب والشعر اليوناني ومنها كتاب الشعر والخطابة لارسطو .

وقال الشبيبي : ان الآداب اليونانية تحتوي على مسائل صبيانية غير جديرة باهتمام كبار العقول فى وقت اقبل فيه رجال العلم على الجديات من العلوم . اما هذه الصبيانيات من ان ظواهر الطبيعة من مطر وعواصف وبرق ترجع الى خصام الالهة مع بعضها والى انتقام بعضها من بعض ، مع نزول الالهية الى الارض وتزوجها بالانسيات الى غير ذلك ، فالذوق العربي يرفض ذلك .

القصة فن من فنون الادب الانساني وهي ليست حديثة فى الادب العربي بل قديمة وتتمثل فى عشـرات من القصص العربية القديمة .

وفى العصر الحديـث عند ما بـدا الادب العربـي يقظته كان لا بد ان يبرز فى القصة مترجما اول الامـر من اللغات الاوربية ثم مؤلفا .

وقد بـدات الترجمـة منذ وقـت باكر فى ظـل المؤثرات والضغط التي فرضها النفوذ الفكري الغربي على الادب العربي الحديث ، ومن هنـا فقد تطـورت الترجمـة من الاتجـاه العلمي الذي بـداه « رفاعـة الطهطاوي » الى ترجمة القصص الفرنسية المكشوفة وشارك فى هذا الاتجاه كثير من الصحفيين السوريين ، ثم شارك فيها الدكتور طه حسين حيث عني بالقصص المكشوفة ونشر فصوله فى جريدة السياسة وقد شهد مستر جب بان القصص التي ترجمت الى اللغة العربية فى هـذه الفترة لم يـراع فى اختيارها حـالـة مصـــر الاجتماعية ولا حالة الثقافة العامة ولا الذوق الادبـي للبلاد (1) وقد اشار المازني الى مدى خطر طه حسين فى ترجمة القصة الفرنسية المكشوفة حين قال : انمـا كان هم مدح الخيانـة والاعتـذار للخونـة وتصويـر الخلاعة والمجون فى صورة جذابة ليقضي بهذه الترجمة حق الاباحة لا حق اللغة ولا حق الفضيلة ، وكان شعار طه حسين فى هذه القصص « ان من خلق الله لهم عقولا تجد فى الشك لذة والقلق والاضطراب رضاء » .

---

1 ) يراجع كتابينا ( الفكر العربي المعاصر ) و ( الثقافة العربية المعاصرة فى معركة التغريب والشعوبية ) .

# الفلسفة الإسلامية في مواجهة اليونانيات

للأستاذ أنور الجندي

هناك شبهة ضخمة ودعوى عريضة تقول ان التراث اليوناني هو الذي نهض باللغة العربية ولولاه لظل العرب على ما كانوا عليه من بداوة وسذاجة وان الفلسفة الاسلامية فلسفة يونانية مكتوبة باللغة العربيةوان البيان العربي خيوطه نسجت من البلاغتين الفارسية واليونانية وان العرب والمسلمين لم يكونوا منشئي حضارة وانما مجرد نقلة لتراث من سبقهم من الامم .

وان التراث الاغريقي كان الاساس الذي تشكلت وفقا لمقتضياته الحضارة الاسلامية .

يدحض هذه الشبهات قول واحد يسير قبل ان ندخل فى التفصيلات هو ان الثقافة العربية الاسلامية كانت قد تشكلت وقامت دعائمها ورسمت مقوماتها قبل ترجمة التراث الهليني ، ومن هنا فقد اخذت هذا التراث على قاعدتها وهي التي ترجمتها بمحض رغبتها . فلما قامت اسس الثقافة الاسلامية على التوحيد وعبادة الاله الواحد وعلى المزج الدقيق الخصب بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والاخرة ، كان من اقوى دوافع قوتها وحيويتها ان تفتحت على الثقافات المختلفة القديمة والمعاصرة لها ، من تراث الهند وفارس واليونان والرومان .

وقد قام الفكر العربي الاسلامي على اساس النظر العقلي اساسا وتوجه الى النظر للوجود وقد اشارت الاصول والجذور الاصلية له الى فضل العلم على العبادة، ولما كان التوحيد هو القوة الفاعلة الاساسية للفكر العربي الاسلامي فقد كان هذا مصدرا اساسيا واضح الدلالة على ترجمة اليونانيات ، كما كانت آراء الفكر العربي الاسلامي فى التوحيد والنبوة مما لم تعرفه الفلسفة اليونانية .

وقد واجه الشيخ مصطفى عبد الرزاق هذه الشبهات فقال : للفلسفة الاسلامية كيان ممتاز عن الفلسفة اليونانية ، والفلسفة الاسلامية لا يمكن ان يقال انها مجهود العلماء المسلمين فى دائرة الفكر اليوناني ، بل هي هيكل خاص له مميزاته وخصائصه ، ومهما يكن من أثر الفلسفة اليونانية وغير الفلسفة اليونانية فان لهحظا عظيما من الشخصية والابتكار .

ويقول سيد امير على ان الفرض الاكبر الذي نشده فلاسفة المسلمين هو ان يزودوا العالم بنظريةتامة عن وحدة الكون ترضي ( الذهن ) كما ترضي ( الدين ) وحاولوا ان يوافقوا بين الجانب الاخلاقي والروحي للعلم وبين جانب الفلسفة ، وقال ان اول علامات الفلسفة الاسلامية ( التوحيد ) و ( التنزيه ) فالاسلام فى جوهره اقرار لله بالفرد والوحدانية والهيمنة على الكون . والاسلام لا يعرف الا مرتبتين من مراتب الوجود فوق الانسان : مرتبة ( الالوهية ) وهي مرتبة الله تعالى ومرتبة ( النبوة ) التي يهبها الله لمن يشاء من عباده،وفيما عدا هاتين المرتبتين يستطيع الانسان ان يبلغ درجة الكمال حسب طاقته دون ان يعوقه عائق . فليس لله شركاء فى حكمه وملكه ومن يقول غير ذلك يدعو الى الوثنية ، والعقيدة التي آمن بها جميع الفلاسفة المسلمين مستوحاة من « القرآن » .

كما يشجع الاسلام على التوفيق بين الفلسفة والدين ، وانهما فى المسائل الاسلامية متناصران، وقد كشف ابن رشد فى كتابه « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » ان الاسلام يشجع المسلم على النظر العقلي ويدعوه الى التأمل الفلسفي وان القرآن يحث على طلب المعرفة والبحث عن الحقيقة ويرى ان الفلسفة والدين هدف

# نحن والتاريخ

محمد بن عبد العزيز الدباغ

اذا فكرنا واقعيا نجد ان الانسان يعمل دائما للتدرج من حالته التي يحياها الى حالة احسن فيرجو الغنى بعد الفقر والصحة بعد المرض والسعادة بعد الشقاء واليسر بعد العسر والتقدم بعد الانحطاط بحيث لم يكن من المعقول ابدا أن يكون الرجاء لا يطمح بالانسان الى ما هو افضل وأسمى .

وان هذا الشعور هو المقياس الاول الذي تتميز به الدول ويتميز به الافراد فان الذين لا يكون تفكيرهم يدفعهم الى التطور والرقي واستغلال الطاقات البشرية والامكانيات العلملية لاشك انهم فاقدون لاعظم هبة منحها الله للبشر . الا وهي هبة الحياة والكرامة .

فالعمل من أجل المستقبل اذن هو طابع غريزي يطبع الافراد والجماعات . ولا يتيسر للانسان ان يحقق رغباته الا اذا استغل الامكانيات التي بين يديه سواء كانت امكانيات مادية او امكانيات معنوية .

وفي استغلال هذه الامكانيات قد تقع الخلافات بين البشر لان تخطيط الاهداف يتغير حسب الاتجاهات الفلسفية والفكرية والاقتصادية والروحية عند كل امة من الامم ، ولا يدري الواضعون لهذا التخطيط اي طريق يتجهون وأي سبيل يتخذون .

فهناك من يجعل بينه وبين الماضي سدا ويرى ان الانسان ابن حاضره يجب عليه أن يقوم بدوره في الحياة دون اي اعتبار لما مضى ودون اي ارتباط بتاريخ دالت دولته وانقضت ايامه فان المنهاج السليم يتصل اتصالا بينا بروح العصر وان العمل المفيد هو العمل الذي يخفف من مشاكل العالم الحديث .

وهنا تختلف النظريات ايضا في اختيار اهداف العمل . وهل تكون اهدافا فردية أو أهدافا جماعية ؟ وهل يصح للانسان أن يعمل في حدود اقليمية أو لابد من أن يعمل في حدود عالمية . وما هو دور الانسان المتخلف الذي ما زال مضطربا حائرا جاهلا وما هو دور الدول التي زالت تعمل الآن من اجل ضمان حريتها واستقلالها وضمان اقتصادها واي طريق تنهج ؟

وهنا تتعدد النظريات الاقتصادية والفلسفية فتجعل الانسان حائرا بين تحقيق ما يريد وبين الرضوخ لما هو واقع .

ولكننا في الحقيقة اذا ما تصورنا الانسان في هذا العصر حائرا في الاختيار ثم فصلناه عن ماضيه فاننا بذلك سنكون قد فصلنا بين كيان الانسان وغرائزه التي ورثها عن آبائه الاولين .

الانسان في الحقيقة ليس الا عنصرا يمثل وجوده الحاضر ويمثل وجود نوعه فهو تتجلى فيه صفات كثيرة ورثهاعمن سبقوه ولكن التربية هي التي تهذب بعض

وكان هدف ترجمة القصة هو التسلية لا الثقافة، وبذلك قدم نجيب الحداد ونقولا الحداد والياس فياض وطانيوس عبده والياس ابو شعلة وخليل بيبرس وغيرهم قصصا اختاروها مليئة بروح الاثارة للطبقات المتوسطة وكان نوع القصص نازلا واسلوبها اسلوبا ركيكا وكان هدف التغريب من ورائها الاثارة وتعمد تدمير القيم فى النفس العربية ، وقد عجز هؤلاء عن ترجمة الروايات العالمية الممتازة لضعفهم فى الترجمة ولرغبتهم فى ارضاء غرائز الجماهير .

ثم كانت صيحات جب وغيره الداعية الى انشاء القصة المصرية او العربية الحديثة التي لم تكن فى اول امرها الا قصصا غربية مترجمة غيرت فيها الاسماء والاماكن وبقيت كما هي تصور مجتمعا غريبا عن مجتمعنا . ومن عجيب ان هذا الاتجاه ما زال مستمرا.

وقد اشار جب الى خطر بعيد المدى فى طريق القصة المصرية ذلك هو :

ان المجتمع متى بقي تطوره وتقدمه محصورا فى المباديء الاسلامية او فى التقاليد التي كانت اثرا لهذه المباديء فان ذلك سيحول دون ظهور القصة الحديثة .

ومعنى هذا هو ان القصة لا توجد الا فى مجتمع مختلط تقع فيه الازمات وعمليات الصراع بين الرجل والمراة . فقد كانت القصة فى عرف الفكر الغربي هي علاقة ما بين الرجل والمراة وتتم فى ظل الغرائز ودوافع العاطفة وتجري الى نهايتها دون ان تقف الى وجهها حدود او قيم .

ويبدو هذا واضحا فى طابع القصة العربية الحديثة على العموم،حيث لا ترى مشاعر نابعة اساسا من مجتمعنا وانما تجد مشاعر غربية فكل المشاكل والازمات والقضايا التي تعرضها القصة العربية الحديثة بعيدة جدا عن التماس حلولها فى مقومات فكرنا العربي الاسلامي الاصيل ، وانما تشهد حلولها من طبائع اخرى مختلفة كل الاختلاف عن طبيعة النفس العربية الاصيلة .

فالحياة الانسانية لها فى عالمنا العربي الاسلامي طابع يختلف اختلافا بينا عن الحياة فى الغرب فالعقلية العربية الاسلامية عقلية توحيدية لا تسرف فى الفلسفة ولا تسرف فى التصوف ولا تسرف فى الاباحة ومن هنا كانت مصادمتها للواقع حين تعرض القضايا التي ليست من مجتمعنا او الحلول التي ليست من طوابع فكرنا فضلا عن ان رغبة التسلية وازجاء الفراغ قد حالت بينها وبين هدف التسامي .

ومن الخطأ على حد تعبير زكي مبارك ان يقاس ادبنا على ادب الانجليز والفرنسيين او الالمان وانما يقاس الادب على مزاج الامم التي تصدر عنها وملاك الامر ان يعبر الادب عن عقول اهله واحلامهم وشهواتهم وما يجري فى خواطرهم ، ونحن احفاد العرب واسباطهم من واجبنا ان ننظر الى ماضيهم حين نفكر فى حاضرنا وقد كان العرب تكفيهم اللمحة والاشارة فى اشعارهم ورسائلهم حتى عرفوا بين الامم بقوة الايجاز .

ولا شك يختلف طابع القصة العربية عن القصة الغربية التي استمدت مصدرها الاول من الفن الوثني وادب الثلوج وتمجيد الابطال الخرافيين وفى المناطق الباردة كان طابع الكشف والجنس اكثر بروزا بينما لا يوجد هذا فى الشرق ذي الشمس المشرقة .

ولا توجد فى مجتمعنا مشاكل المجتمع الغربي الفردي ولا تستطيع النماذج الذي يقدمها قصص دافيد كوبر فيلد لدكنز ، او البؤساء لهيجو وتابيس لاناتول فرانس او غيرها توجد فى مجتمعنا .

وما تزال القصة الغربية خلال السنوات المتوالية منذ الحرب العالمية الاولى واقعة تحت عوامل الذعر من الحروب والذرة وما يتصل بانهيار روابط الزواج والاسرة وانتشار ثقافات الاباحة .

واعتقد ان مراجعة شاملة للقصة الغربية تكشف عن خلاف جذري بين صورة المجتمع الغربي ومشاكله وحلول القصة لهذه المشاكل ولو وضعت هذه الصور والمشاكل والحلول فى ضوء العقل العربي لانكرها انكارا واضحا .

وفى احدث كتاب عن القصة الغربية (Onvala Roman) لبودفور يذكر كيف قامت حركة تحرير الادب من سلطان الاخلاف واعطاء الكاتب الحق فى الاستقلال عن قواميس الاخلاق الشاملة ، مما دفع الادب الى اطلاق الوجدانات والعواطف من عقالها وظهرت على اثر ذلك الدادا والسريالية التي أزالت الوان الحرام الاجتماعية والاخلاقية وكيف فتح « فرويد » مجالا هائلا من اللاشعور وكيف عاش جيل الثلاثين يصور الاشخاص فى صراع مع القدر الاجتماعي ثم برز طابع البطل المغامر المتمرد المنشيء ثم كانت تجربة اليأس والقلق واللامعقول بعد الحرب العالمية الثانية وكيف قاد سارتر وكامو هذا التيار فالانسان لا فائدة فى حياته وما هو الا ميت تأجل تنفيذ حكم الموت عليه ولا أمل فى انقاذه والعالم لم تعد ثمة ضرورة لوجوديته انه لا معقول واينما وجه المرء نظره القى « اللامعقول » .

**القاهرة : انور الجندي**

وبذلك ازالت كثيرا من الفروق البشرية التي كانت حائلة بين الانسان والتقدم ولذلك كان المجهود الذي قامت به دافعا الى التقدم العلمي وسببا فى التطور الحضاري .

وهذه روسيا ايضا اذا تحدثت عن تاريخها لا تغفل ما قامت به من مجهودات بشرية ادت الى ايجاد الاتحاد السوفياتي وهي تفتخر بأنها اوجدت فلسفة اقتصادية ابعدت شبح الجوع عن كثير من البشر وفتحت امامهم باب العمل حتى اصبحت من أعظم الدول تقدما فى العلم واقواها اتصالا بالعدل والمساواة والحزم .

كل دولة كما رأينا لا تحاول امام الراي العام العالمي الا ابراز اعظم ما لديها من مواقف أما اذا تحدثت عن بعض حروبها وعن اشتباكاتها مع دول اخرى فهي تحاول دائما تبرير مواقفها ازاء الآخرين .

والانسان بطبيعته يتأثر بما يرى ويسمع فاذا يسرت من يستمع اليك فانك فى الغالب تملك شعوره وهذا هو السبب الذي يدفع كثيرا من الدول الى نشر لغاتها والعمل على شيوعها .

فبمقدار ما تنتشر لغة يكثر قراؤها وبمقدار عدد القراء تستطيع الدولة التي تتكلم بها أن تكسب المعركة فى نشر آرائها وافكارها ووجهات نظرها وتقرب اليها شعور الافراد .

واذا تمكنت امة من شعور فرد أصبح ملكا لها يدافع عنها ويؤازرها ولهذا نرى ان العرب حينما يريدون نشر لغتهم وحينما يطالبون بجعلها لغة العلم انما يسعون فى ذلك لانها ستصبح موحدة لشعورهم معرفة بأحوالهم مبينة لثقافتهم محيية لتاريخهم .

ففرق اذن بين موقف العرب فى جعل اللغة عاملا من عوامل توحيد الشعور وبين موقف غيرهم من الذين تتحكم فيهم فروق أخرى جذرية كالحالة التي توجد عليها امريكا وانجلترا مثلا فرغم اتحاد لغتهما فانهما لا يمثلان قومية واحدة .

ان توحيد الشعور بين الافراد يعد اعظم مؤلف بين قلوبهم ونحن فى عصرنا الحاضر نرى أن التاريخ له دور فعال فى توحيد الشعور وتقوية الشخصية وقد لاحظنا فيما قدمنا من امثلة ان جميع الدول تعمل على الاستفادة منه فى تربية الافراد وتنوير الرأي واستمالة المناصرين فلماذا نتخلى نحن عن ذلك؟ ولماذا لا نقلد الدول العظمى فى هذه الظاهرة التي سنستفيد منها .

ليس الاعتزاز بتاريخنا مظهرا من مظاهر التعصب ولكنه سبيل من سبل التربية . ان التخلي عن تربية الجيل الصاعد بمواقفنا التاريخية المثيرة يعد انحرافا عظيما قد يؤدي الى محو شخصيتنا فى العصر الحاضر

قد يكون هذا الاعتزاز تعصبا لو كان موقف الدول العالمية لا يعتمد عليه فى تربية الافراد ، ولكن حيث انهم يلتزمون فى تعليم التاريخ ابراز حضارتهم وتبيين فضلهم على العالم ، فلماذا نحن لا نبحث بجد عن تاريخنا الحافل المجيد الذي أشع على العالم بنوره فى جل الميادين ؟ ولماذا لا نجعله عنصرا أساسيا فى دراستنا ونولي القيام به طائفة من المختصين به والعارفين للعلاقات الدولية والدارسين للثقافة الاسلامية والعربية والمهتمين بالتاريخ العالمي فى جل صوره ويحاولون آنذاك التعريف بما فى تاريخنا من لمع افادت العالم وافادت الانسان فى مختلف حاجياته .

مما يؤسفني كثيرا انني ارى طائفة من الشباب المغربي لا تعرف عن تاريخ العرب والاسلام الا شيئا يسيرا لا يكفيها لتكوين رأي صادق وحكم سليم بل قد تكون تلقنت ذلك التاريخ منحرفا فتحمل فى نفسها حقدا دفينا ضد العرب والاسلام . ويتمكن ذلك من نفسها فتحاول ما أمكنها ان تطمس الدور الجبار الذي حققه العرب والمسلمون فى تاريخهم وفى تاريخ البشرية وتتحمس أحيانا لآرائها المنحرفة ويكون موقفها اشد ضررا على الامة العربية من موقف اعدائها ولله در الشاعر العربي الذي يقول :

**وظلم ذوي القربى أشد مضاضة**
**على المرء من وقع الحسام المهند**

ولعل السبب فى ذلك يرجع الى الانحراف النفسي والثقافي والتربوي الذي يظهر فى الايمان المطلق بالتيار الجديد الذي يسود العالم والذي أصبحت السلطة فيه الى جنس غير عربي والى دين غير اسلامي ، أو لعله يرجع الى كون تلقين مادة التاريخ فى اغلب المدارس الثانوية فى يد قوم غير عرب لا يحسون بمشاكلنا ولا يتذوقون تاريخنا ولا يربطون بين مواقفنا الحاسمة واتجاهاتنا فى الحياة . وقد يكون الامر راجعا الى فقدان الثقة فى نفوس شبابنا بمستقبل البلاد العربية والى تسلط شبه يأس عليهم ظانين بأن عجلة الزمن تسير دائما فى مصلحة الآخرين ولن تعود الى مصلحتنا نحن أيضا .

هذه الغرائز وتدرب الانسان على التحلي بالقيم الفاضلة والتخلي عن الشرور .

وليس فى الامكان تحديد القيم التي توحد بين البشر عن طريق علم الاخلاق فقط لان مفاهيم القيم تختلف ايضا باختلاف المناهج والآراء والمصالح العامة لمختلف الدول .

وليس من خطل القول اذا قلنا ان هذه الاختلافات قائمة بالذات فى التكوين الانساني وانها تتكيف احيانا حسب الاتجاهات الاقتصادية التي تنهجها كل دولة وحسب بعض تقاليدها التي اكتسبتها عن طريق الاديان والمذاهب العامة القديمة التي امتزجت بها وتأثرت بتعاليمها .

بل اننا يمكن ان نقول بأن الفلسفة ذاتها قد تفقد جزءا من تجردها حينما يصبح الفكر دون شعور مقيدا باتجاه خاص يومن به الفرد فيسلط اضواء فكره على تحليله وايضاحه والدفاع عنه وابراز محاسنه وقد يستطيع بذلك ان يصل الى حد الاقتناع وهذا هو السر فى كوننا نجد تضاربا بين آراء مفكرين فى العالم ولا نستطيع ان نقول ان هذا الخلاف ناتج عن ضعف فى جانب دون جانب وانما نجد ان الاسس المنطقية والعاطفية التي يسير عليها طرف من هؤلاء قد لا تتفق مع الاسس المنطقية والعاطفية التي يسير عليها الطرف الاخر ، ولذلك لا يقع بينهما تفاهم ، وقد تظل هذه الاختلافات شديدة الاحتدام رغم العمل على اقامةمؤتمرات وايجاد جماعات تعمل على التأليف بين الطرفين والربط بينهما .

ولكن ليس من الغريب أن يكون لكل قوم مفكرون يومنون بالخطة التي يجب عليهم أن يسيروا عليها فى المستقبل ويربطون بين حاضرهم وماضيهم ويعملون على خلق انسجام بين فلسفتهم فى الحياة وبين أنظمتهم الاقتصادية وبين قيمهم الخلقية ، ولكن الغريب أن نجد قوما اذا حدثتهم عن تاريخهم ظنوا انهم سفاكو الدماء واذا حدثتهم عن دينهم ظنوا انهم معاول هدم للبشرية واذا حدثتهم عن قيمهم نبذوها وعارضوها وسخطوا على انتمائهم اليها وآمنوا بكل ما استوردوه ولو كان فجا مضرا متضاربا بعضه مع بعض .

والسبب فى ذلك تعفن فكري استبد بهم فوجههم توجيها منحرفا ، وتربية قاصرة لا تعتمد على أساس عملي وانما تعتمد على أساس خطابي لا يفيد كثيرا فى تهذيب الوعي وفى تقوية الايمان ، ولهذا كانت المعرفة هي الاساس الاول لتهذيب الفكر وتنوير الضمير . وكان الاطلاع على التاريخ واجبا لانه الامل الباسم والقوة الدافعة والمحرك الذي لا يفتر عن عمله والصورة التي تنطبع عليها أحسن الذكريات والايمان الذي يقوي عصب مجدنا ويبشرنا بالمستقبل الزاهر السعيد .

التاريخ اذن يلعب دورا عظيما فى المجال البشري لا يمكن لاي احد أن يستغني عنه . وقد اختلفت الفلسفات التاريخية حين كانت تفسره وتحدد اهدافه وتتحدث عنه كعلم من جهة وكتربية من جهة اخرى .

نحن نرى أن التاريخ وان كان له مدلول اجتماعي قد ينسجم مع العلم فى جل صوره وقد يرتبط بالاقتصاد او بالدين او بالواقع المجرد دون أن يكون هناك اي اتصال خارجي عن واقع الحوادث التي يمكنها أن تكون قاعدة عامة ترتبط بأشباهها فى كل زمن وفى كل مكان فاننا نرى أن جانب استغلاله فى التربية الوطنية وفى المناهج الاقتصادية وفى الدعاية الدولية وفى اثبات الشخصية وفى توحيد الشعور الوطني امر لا يمكن ان يستغنى عنه بالنسبة الى الدول المتطلعة الى المجد الراغبة فى تشييد المستقبل الرغيد لانها ان استفادت منه فانما تقوم بعمل اصبح شعارا عند كثير من الدول المسيطرة على العالم بثقافتها وقوتها .

ففرنسا مثلا لا يمكن ان تتحدث عن تاريخها دون ان تبرز مظاهر العظمة فى حضارتها وفى ماضيها ودون أن تربط بين الاشعاع العلمي الحديث وبين ما قدمت فيه من جهود ودون أن تتغنى بالبطولة والتحرير والثورة التي مهدت لاروبا كلها طريق النصر ضد الظلم والطغيان تلك الثورة التي جعلت العدل والاخاء والمساواة شعارا لها .

ان فرنسا لا تفصل تاريخها عن هذه الصور اللماعة التي يطمئن اليها كل من اطلع عليها وبذلك تجعل ثقافتها والتعريف بحضارتها سبيلا الى استمالة النفوس وطريقا الى الغزو الفكري فى مختلف البقاع التي استولت عليها فى أواخر القرن الماضي وأوائل القرن العشرين .

وأمريكا ايضا لا يمكنها أن تتحدث عن تاريخها دون أن تذكر ما تراه لامعا فى هذا التاريخ فهي تتحدث عن ثورة بعض رؤسائها ضد الميز العنصري وتتحدث عما قامت به فى التطور العلمي الحديث وما قدمت من أعمال جبارة فى التأليف بين الولايات والربط بين الاقاليم

وفى تاريخ الاسلام مواقف شاهدة على بطولة المسلمين وعلى عملهم الحضاري الذي كان له فضل فى شيوع الثقافة الاسلامية والثقافة العامة التي اقتبسها الاسلام من الامم التي امتزجت به فهذبها ونقحها واضاف اليها ما جعلها صورة حية شاهدة على فضل العرب والمسلمين فى التاريخ البشري .

لقد نبغ العرب والمسلمون فى الميدان العلمي والميدان الفكري وكان لهم فضل عظيم فى تعميم العلم والفن والادب فى العالم فأينما ذهبت فى الاصقاع الاسلامية تجد تاريخ المسلمين زاهرا سواء فى العمران او فى الثقافة أو فى الميدان الاجتماعي .

وقد فكروا فى وسائل كثيرة تؤلف بين البشر وتعودهم على الشفقة والحب والرأفة فهم الذين فكروا فى جعل أوقاف خاصة لمواساة الطيور والرفق بالحيوانات وللتخفيف عن المرضى بالامراض العقلية ولتجهيز الفتيات الفقيرات ولايجاد مدارس لتعليم الكبار ولبناء أحياء جامعية تعين الطلبة على العلم وتيسر لهم طرق الثقافة وتضمن لهم السكنى والطعام .

وهم الذين فكروا فى ايجاد مستشفيات عامة تساعد على مقاومة الامراض ومعالجتها ومن يطالع رحلة ابن بطوطة او رحلة ابن جبير فسيرى صورا مختلفة لمواقف قيمة فى تاريخنا تدل على العناية الكبرى التي كان يوليها المسلمون للاصلاح الاجتماعي .

ولم يكن الازدهار العربي يقتصر على هاته المظاهر الاجتماعية ولكنه كان يرتبط أيضا أشد الارتباط بالثقافة العامة فقد تأسست خزانات للعلم فى مختلف الاقاليم الاسلامية وما بيت الحكمة الذي جعله المأمون العباسي مركزا للكتب العلمية وترجمتها وما خزانة الحكم المستنصر بالاندلس وخزانات الفاطميين بمصر والخزانات العلمية التي كانت توجد بالمغرب الا أكبر دليل على الاهتمام بالثقافة فى مختلف صورها .

ولقد كانت بعض المدن الاسلامية فى ايام ازدهارها تجعل الخزانات العامة داخل متنزهات عمومية حتى يتيسر للقارىء أن يمتع روحه ويغذي عقله بالمطالعات المفيدة فاذا شعر بارهاق وجد فى مظاهر الطبيعة ما يريحه ويبعد عنه تعبه .

واما الجانب العلمي فنحن لا ننسى جابر بن حيان والخوارزمي والفارابي وابن باجة وابن طفيل هذا العالم المغربي الاندلسي الجراح الشهير وعباس ابن فرناس أول عالم فكر فى صناعة الزجاج من الحجارة وحاول الطيران (1) . وبالفعل فقد استطاع ان يحلق فى أجواء السماء بصورة عجيبة الا انه لم يوفق فى التعرف على وسيلة يسلم منها الطائر عند نزوله الى الارض .

ونحن عندما نتحدث عن هذه الظاهرة انما نقصد ابراز طموح العرب الى المعرفة ومحاولتهم التغلب على مظاهر الطبيعة ولا ينبغي ان يكون ذلك مجالا للمقارنة بين الطيران فى أيامه الاولى وبين ما بلغ اليه الآن عندما أصبح الانسان يخترق الآفاق ويتغلب على الجاذبية الارضية لينفصل عنها . ثم يتغلب مرة اخرى فيخترقها ليعود الى الارض من جديد .

ان هذه المقارنة ستكون حينئذ سلبية لانها تفقد عنصر التوازن الزمني اما اذا جعلناها فى سلسلة التقدم العلمي فسنرى أن الاعتزاز بها وبأمثالها من المحاولات القيمة التي كان يبديها العرب فى أعمالهم وتجاربهم سيكون له اثر كبير فى تكوين شخصيتنا ورفع معنويتنا .

وقد بلغ الاهتمام بالعلم درجة قصوى جعلت بعض الخلفاء والملوك يقربون اليهم العلماء ويغذقون عليهم العطايا ويستأثرون بهم .

ومن احسن ما يروى فى ذلك ما ذكره المؤرخون عن يوسف بن عبد المؤمن وعلاقته بابنطفيل وكذلك ما يذكرون عن المنصور الموحدي وما قام به ازاء الطبيب الشهير ابى بكر بن زهر الاندلسي الذي قربه اليه وجعله فى مدينة مراكش من خاصته الاقربين .

ولم يكن الطبيب قد ارتحل الى مدينة مراكش بأهله وذويه فكان يعز عليه ان يستمر على فراقهم دون أن يراهم من حين لآخر وقد هزه الشوق يوما الى أن يتذكر ابنا له صغيرا فقال :

ولي واحد مثل فرخ القطا
صغير تخلفت قلبي لديه
وافردت عنه فيا وحشتي
لذاك الشخيص وذاك الوجيه

1) نفح الطيب بتنقيح الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد الجزء الرابع صفحة 345 وانظر أيضا الاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي الجزء الاول والثاني الطبعة الثانية صفحة 225 .

مع ان طبيعة التاريخ تقتضي عدم التوقف وعدم الجمود . انه تطور وتغيير والانسان ليس بينه وبين التقدم الا التسلح بمقوماته فيتجه الى العلم بكل قوة ويتصف بالاخلاق الفاضلة التي تروضه على ان يحب للناس ما يحب لنفسه ثم يعمل على توحيد شعوره وتقوية عقيدته الهادفة واحياء تاريخه الذي يستند عليه فى اذكاء عواطفه وفسح مجال العمل امامه .

وعلاج هذا المشكل لا يأتي عن طريق التمني وانما يجب ان تكون هناك خطة ترتكز على تصميم عملي هادف الى رفع معنوية الشباب المغربي والى العمل على تزويده بالتاريخ العربي الاسلامي بطريقة تتناسب مع واقعه ومع امانيه ومع ماضيه المجيد .

ولهذا لا يمكن ابدا أن ندعي بأننا نستغني عن التاريخ فى فسح مجال العمل امامنا فى المستقبل

ان تاريخنا العربي الاسلامي جزء لا يتجزأ من كياننا سواء كان تاريخا سياسيا أو كان تاريخا علميا أو كان تاريخا اجتماعيا .

وليس معنى هذا أن جميع ما سجله تاريخنا خاليا من الاخطاء والهفوات لان التاريخفى الحقيقة انما هو تسجيل اعمال الانسان . والانسان قد يخطىء وقد يصيب ، قد يعدل وقد يظلم ، قد يوفق وقد لا يوفق ولكن العاقل هو الذي يأخذ من التاريخ عبرة ويستفيد من أحداثه . ونحن فى تربيتنا العامة يجب أن نستفيد من أخطائنا الماضية وأن نعتز بما حققناه من صالحات وأن نعمل من أجل مسايرة العالم من جديد

ولا يفهم من هذا أننا سنكفر بما حققه غيرنا فى المجال البشري لان الانسان يكون وحدة جنسية قبل ان تأتي هذه الفروق الاخرى التي جعلت منه أمما مختلفة .

وآنذاك سنكون قد مهدنا لانفسنا السبيل لنحيا حياة العزة والكرامة ومهدنا السبيل لكل من يعمل خيرا للانسانية جمعاء .

اذا آمنا بدور التاريخ فى تكوين الوعي وفى اتاحة الفرصة للعمل الصالح من اجل المستقبللم يبقلناالان نيسر الطريق لتوعية الشباب باذاعة تاريخنا العربي الاسلامي ليكون لهم ذلك ايمان « جديد » يربطهم بالقيم العربية الاسلامية ليستأنسوا بها وليركنوا اليها وليجعلوها لهم شعارا منيرا .

ومن خير ما فى الاسلام أنه لا يعترف بهذه الحدود الاصطلاحية التي أقامها البشر وجعلوها مظهرا من مظاهر سلطتهم فالمؤمنون اخوة وتاريخ العرب والاسلام وحدة لا تتجزأ لذلك يجب أن نفتخر بكل ما وجدناه قد نفع البشرية سواء كان ذلك فى المغرب أو فى المشرق .

وتبتدىء عظمة الحضارة الاسلامية العربية بظهور الاسلام الذي اخرج الفرد العربي من عصبيته القبلية الجزئية الى الالتحام بتعاليم الاسلام فغير مواقفه وأصبح معتصما بحبل الله يدافع عن اسمى الصفات التي توحد بين ابناء البشر ، قال الله تبارك وتعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان اكرمكم عند الله اتقاكم . ان الله عليم خبير (1) . »

وليس الاسلام بمسؤول عن عدم تطبيق جميع تعاليمه من بعض الذين انتسبوا اليه لان فكرته الاهية ابدية ، وان اهملها جيل فستحييها اجيال وان اضاعتها طائفة فستحييها طوائف .

ومن اهم ما يمتاز به الاسلام أنه دين عملي يحارب الخرافات ويحارب الظلم ويحارب العنصرية ويدعو الى الاخاء والمساواة ونشر العدل بين الناس ويجعل المسؤولية عامة بين جميع الافراد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته : الامام راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع فى اهله ومسؤول عن رعيته والمراة راعية فى بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده ومسؤول عن رعيته (2) ... » وهنا تتجلى عظمة الاسلام بحيث لا يمكن لاي فرد أن يعتمد على غيره فقط دون أن يكون مسؤولا عن عمله الذي يقوم به . ولا يسمح للشخص بأن يقتصر على النقد الهدام وهو نفسه غريق الآثام بل يجب أن يبدأ الاصلاح من نفسه وان يعتبر المسؤولية مشتركة بين جميع المسلمين لا فرق بين غنيهم وفقيرهم عالمهم وجاهلهم حاكمهم ومحكومهم .

---

1) من سورة الحجرات الآية 13

2) الحديث رواه ابن عمر يوجد فى صحيح البخاري فى باب الجمعة . (من هداية الباري بترتيب احاديث البخاري ، الجزء الثاني صفحة 11) .

# القصة والفلسفة الإسلامية

للأستاذ محمد الأمريني

- 2 -

لم يبق امامنا الا ان نتعرض لبعض نماذج القصة فى الفلسفة الاسلامية ، بعد ان اتينا بلمحة خاطفة عن نشأة هذه الفلسفة وبعض مذاهبها .

وطبيعي ان يكون أول ما نسوق من هذه النماذج الشيخ الرئيس ابن سينا ، وقد اشرنا سابقا الى أن هذا الفيلسوف تأثر بأفلاطون فى الاعتماد على الامثلة المحسوسة والقصص ، وأنه توسع فى ذلك قليلا ، ومن ذلك رسالته (( **حي بن يقظان** )) وفيها يرمز الى العقل الفعال بشيخ حكيم يلقي درسا فى قدرة العقل على ادراك القدر بالتفكير ، والعقل الفعال هو العقل العاشر فى سلسلة العقول المتدرجة ، وهو الذي يسيطر على عالم الارض ، وما دون فلك القمر ، وعن هذا العقل تصدر النفوس والاجسام فى العالم الانساني .

وفى (( **رسالة الطير** )) نراه يصور النفس الانسانية المشتبكة بشهوات العالم ، والمجاهدة للتخلص منها ، وهي على لسان طائر يحكي كيف وقع مع سرب من الطيور فى حبائل نصبتها جماعة من القناصين ، ثم محاولتها التخلص من تلك الاشراك ، وكم يثير انتباهنا ما تمتاز به القصة من اسلوب رشيق ، لا يعمد فيه ابن سينا الى السجع الا لماما وعفو الخاطر ، كما لا يلجأ الى اصطناع المحسنات البديعية على نحو ما اشتهر به الكتاب على عهده، «واقبلنا نتبين الحيل فى سبيل التخلص زمانا حتى انسينا صورة امرنا واستأنسنا بالشرك ، واطمأننا الى الاقفاص ، فاطلعت ذات يوم من خلال الشبك فلحظت رفقة من الطير اخرجت رؤوسها واجنحتها عن الشرك ، وبرزت عن اقفاصها تطير وفى ارجلها بقايا الحبائل ، لا هي تؤدها فتعصمها النجاة ، ولا تبينها فتصفو لها الحياة » .

وبدون شك فان هذه القصة تذكرنا بقصيدته فى النفس ، وفيها يرمز الى هذه بالحمامة :

هبطت اليك من المحل الارفع  ورقاء ذات تعزز وتمنع

والقصيدة نفسها ذات نفس قصصي ، ولا نعدم فيها عقدة

فلاي شيء اهبطت من شاهق
عال الى قعر الحضيض الاوضع ؟!

كما يثير اعجابنا هذه المهارة التي استخدم بها كثيرا من الالفاظ الشعرية التي روجها الشعراء القدامى كثيرا ، كرموز فلسفية ، فالنفس « **ورقاء** » وهو اللفظ الذي طالما جذب الشعراء فأطلقوا على الحمامة .

رب ورقاء هتوف فى الضحى
ذات شجو صدحت فى فنن

وهناك العهود ، والحمى ، والدمن ، والرحيل، والسجع ، وكلها الفاظ شعرية طالما روجها الشعراء قديما .

تشـــوقنـــــــي وتشـــوقتـــــه
فيبكـــي علـــي وابكـــي عليـــه
وقـــد تعـــب الشـــوق مـــا بيننـــا
فمنـــه الـــي ومنـــي اليـــــه

فلما سمع المنصور هذه الابيات التي تظهر لوعة الشاعر واحتدام شوقه وشدة وجده أرسل جماعـة من المهندسيـن ليراقبـوا منـزل ابـن زهـر فى اشبيلية وما يجاوره فى حارته وطلب منهم أن يبنـوا شبيها له فى احدى ضواحـي مراكش وان يضيفـوا الى البناء ما يجعل الحارة شبيهة بالاصل وأن يزينوه ويفرشوه بمثل ما كان يزين به منزله فى الاندلس ثـم حمل اليه اهل ابن زهـر وآنذاك اخرج الخليفـة المنصور طبيبه من القصر وجعله امام البيت الجديـد فاضطرب وكاد يغشى عليه . وكم اشتد عجبه لمـا ادخل اليه فوجد زوجته المتلهفة وابنه المشتاق وفرشه العاديـة .

ان هذه العناية بأهل العلم كانت تدفع الناس الى العمل الجدي من اجل البلوغ الى المراتب العلميـة الجليلة التي ترفع من كيانهم وكيان الدولة التي اليهـا ينتمـون .

ان هذه اللقطات التي ذكرناها من تاريخنا تضىء لنا جوانب قيمة منه قد تكون سبب الانطـلاق الـى تتبعه فى ينابيعه ومظانه فنتصل به اتصالا وثيقـا لا يكون معه انفصـال .

ان الانفصال عن تاريخنا معناه اماتة الـروح العربية الاسلاميـة ونحن لا نريد ان تتلاشى هـذه الروح فى أمتنا لانها عنصر فعال فى تحريرنا وفى تسطير الاهداف السليمة التي ستجعل لنا خطتنـا فى الحياة .

ومن المعلوم كما لاحظنا سابقا ان هذه الـروح لا تأتي عن طريق التمنـي وانما تأتي عن طريق برنامج منظم هادف الى احيائهـا .

ومن اهم الاسس التي تنبني عليها فى الاحيـاء اذاعة تاريخنا نزيها من الخرافات بعيدا عن التدليس والانحراف ولا نستطيع ان نتوصل الـى ذلك الا اذا تولى تدريسه من يعينه ويشعر به ويعرف حقيقتـه ومغزاه ويؤمن بدور العـرب فى التاريخ وبوجودهم فى الحاضر والمستقبل ويكون ذا وعي وطني شامل يربط به بين المصلحـة الوطنية والمصلحـة الانسانية .

فاس — **محمد بن عبد العزيز الدباغ**

— **عيـش البطـل** —

كـل عيـش قـد أراه قـذرا
غيـر ركـز الرمـح في ظـل الفـرس

**شريـك التغلبـي**

❋

وفـي اليـن ضعـف ، والشراسـة هيبـة
ومن لـم يهـب يحمـل على مركـب وعـر

**سعـد بـن ناشـب**

وسهرت على حياته الى أن كبر وبدأ يفكر فى حالتـــه ويقارنها بحالة الحيوانات التي يعاشرها ، ولما ماتت أمه الظبية بدأ يفكر فى سبب موتها ، فشرع يشـــرح جسمها ، ثم تدرج فى تفكيره من المحسوسات الـــى المعقولات وتوصل الى كثير من الحقائق والمكتشفات بمحض ملاحظته وتجربته الخاصة كالنار ، واستعمال بعض الالات .

واتصل به من الجزيرة الاخرى حكيم يدعـــى « ابسال » وبعد ما تعلم اللغة من هذا الحكيم بدا لهما معا انهما متفقان تمام الاتفاق ، على الرغم من انهما لم يعيشا نفس البيئة ، ولم يتلقيا تربية واحدة ، وعلى الرغم من أن « حيا » لم يستفد من اي كائن بشـــري لا فى تنظيم حياته المادية ، ولا فى تأملاته الفلسفية .

ولما علم « حي » من صديقه « ابسال » ما عليه سكان الجزيرة الاخرى من ضلال وتهافت على الاموال وانحطاط اخلاقي ، قرر الرحيل الى تلك الجزيـــرة عساه ينجح فى تقويم اخلاق سكانها وارشادهم الـــى الطريق السوي ، لكنه عاد الى جزيرته الاولى بعـــد ان فشل فى مهمته ، وادرك مغزى الرسالة ، ومـــا استعانت به من رموز لتقريب الحقيقة من اذهـــان الناس الذين ليســـوا كلهم على نسق واحد مـــن سمـــو التفكيـــر ونفاذ الذهـــن .

واذا كان المجـــال لا يسمح باعطاء تحليـــلات ضافية عن هذه الرواية الفلسفية الهامة (1) فـــان ذلك لا يمنعنـــا من الاشـــارة الى بعـــض مميـــزات الروايـــة من حيث سمـــات الفن القصصي .

تتوفر الروايـــة على بطل رئيسي هو حـــي ابن يقظان ، يعني الكاتب بمراحل تطوره الجثمانـــي والعقلي ، كما تتوفر على شخصيات ثانويـــة تتصـــل ببيئته الحيوانيـــة ان صح التعبير ، كمرضعه ومربيته الظبية ، وبعض الحيوانات والطيور فـــ « كان يحكي جميع ما يسمعه من اصوات الطير وانـــواع سائـــر الحيوان محاكاة شديدة لقوة انفعاله لما يريده ، واكثر ما كانت محاكاته لاصوات الظباء فى الاستصـــــراخ والاستئلاف والاستدفاع ، اذ للحيوانات فى هـــذه الاحوال المختلفة اصوات مختلفة (2) » .

ثـــم هنـــاك شخصيات انسانية مثل « ابسال وسلامان » على أن شخصيـــة ابسال أو « آسال » كما ورد فى بعض النسخ تعد الشخصية الثانية بعـــد البطل الرئيســـي حي بن يقظان .

ثـــم ان الرواية تتوفر على عقد مختلفة كثيرا ما يأخذ بعضها برقاب بعض ، تحمل القـــارىء علـــى متابعة القراءة لمعرفة حلولها ، علـــى أنه اذا كـــان المجـــال لا يتسع لاستقصائها فان ذلك لا يمنع مـــن الاشـــارة الى اهمها ، فمن ذلـــك :

— موت مربيته الظبية ، وقد وضع أمامه علامة استفهام عريضة ، وحملـــه على التفكيـــر فى سبب موتهـــا .

— نتن جسدها ، مما نفره منه « وود الا يراه » الى أن أرشده الى حل المشكل غراب قتل غرابا آخر، فحفر حفـــرة وواراه فيهـــا .

— بحثه عن شبيـــه له بيـــن الحيوانات .

— انقداح النار فى « اجمة قلـــخ علـــى سبيـــل المحاكـــة» .

— امتنـــاع الرســـل عن المكاشفـــة .

— العالم الروحانـــي (أي ما دون الجسم) .

— لماذا أبيح اقتناء الاموال والتوسع فى المآكل .

ويهتم بن طفيل بوصف البيئة التي كان يعيشها بطل روايته بأسلوب رشيق جذاب مقدما احيانا بعض التفاصيل والتدقيقات ، ومهتما احيانا أخرى بالجزئيات بالقدر الذي يتمكن بواسطته من توضيح الهدف الذي يرمي اليه ، كما يهتم غاية الاهتمام بالعالم الداخلـــي للبطل ، وطبيعي ألا ننتظر منه صوغ ذلك بنفس تقنية العصور المتأخرة للفن القصصي ، على طريقـــــة « جويس » أو «بروست » مثـــلا .

على أن الذي يثير الانتباه بصفة خاصة فى هذه الرواية الهامة ، ما تتسم به فى نهايتها من نقـــــد اجتماعي يتصل بسكان الجزيرة الاخـــرى التي ذهب رفقة صديقه « ابســـال » ليرشد اهلها .

« كانوا لا يطلبون الحق من طريقه ، لا يأخذونه بجهة تحقيقه ، ولا يلتمسونه من بابـــه ، بل كانوا لا يريدون معرفته عن طريق اربابه » .

ويزيد فى انتقاد معايب سكان الجزيرة على هذا النحو ، بصرف النظر عما قد يصف به الناقد الحديث

---

1) يراجع التحليل الذي كتبه الدكتوران جميل صليباوكامل عياد فى النسخة التي حققاها كما يراجع تحليل الدكتور عبد الحليم محمود فى النسخـــة التـــيحققهـــا .

2) حي بن يقظان تحقيق الدكتورين صليبا وعياد ص 88.

وهناك قصة اخرى تنسب اليه ، وهي قصة « سلامان وابسال » وهما اخوان اصغرهما ابسال الذي رباه اخوه ، وكان الى جانب جماله متصفا بصفات سامية هي العقل والشجاعة والادب والعفاف ، مما حمل زوجة اخيه على أن تهيم به حبا وتدبر الحيل للاتصال به ، فأشارت على زوجها بحمل أخيه على الاختلاط بأولاده حتى يستفيدوا من صفاته السامية ، واصدر اليه اخوه الاوامر بذلك ، فقبله كارها ، وكانت فرصة سانحة أعلنت فيها الزوجة لابسال هيامها الشديد به ، وذلك ما حمله على أن يكف عن زيارتها ، واذ لم تنجح الحيلة . فقد فكرت فى تدبير حيلة اخرى وهي ان تقترح على زوجها « سلامان » أن يزوج أخاه ابسال من أختها ، وتم الزواج بعد أن اشترطت على اختها اشتراكها معها فى عريسها ، ويتفطن العريس للحيلة ليلة الزفاف بفضل برق أومض تمكن بواسطته من أن يتعرف على وجه زوجة اخيه ، ويلوذ بالفرار ، ويقترح على أخيه أن يبعث به لفتح بعض البلدان فيأذن له فى ذلك ، وقصده أن تتناساه وتسلوه ، الا أنه ما كاد يعود حتى أعادت الكرة ، ولما يئست منه حملت طباخه وطاعمه على أن يدسا له السم فمات .

وقد حاول الطوسي أن يشرح رموز القصة ، فذكر أن سلامان هو النفس الناطقة ، بينما يرمز ابسال الى العقل المستفاد ، أما الزوجة فهي القوة البدنية الامارة بالسوء للشهوة والغضب الى غير ذلك .

أما الفيلسوف الاندلسي ابو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة ، فيذكرون من جملة كتبه ، رسالة « تدبير المتوحد » ويتفق الجميع على انها أجل كتبه وأجدرها بالتحليل والدراسة ، غير أننا لا نعثر لهذه الرسالة على اثر للاسف الشديد ، وقد اشار اليها ابن رشد فى بعض كتبه بما يلي : « لقد حاول ابو بكر ابن الصايغ أن يضع منهجا للتوحيد فى هذه البلاد ، وسنجتهد أن نبين فى موضع آخر الغاية التي قصد اليها المؤلف ، لانه الوحيد الذي عالج هذا الموضوع»

ويقول الدكتور محمد غلاب : « لم نعثر فى كتب ابن رشد المتداولة على ما وعد به (1) » كما اننا لا نعرف شيئا عن محتوى هذه الرسالة الا بواسطة موسى الناربوني فى احد كتبه بالعبرية ، حيث يقدم تحليلات هامة عنها وعن آراء ابن الصائغ فى الطريقة التي يتوصل بها المتوحد الى الخير والحق ، وصلاحه لان يكون عنصرا أساسيا للدولة المثالية ، وقد نقل الاستاذ « مانك » فى كتابه « امتزاج الفلسفة اليهودية والعربية » عن موسى الناربوني هذه التحليلات ، واعطى ملخصا لكل فصل من فصول الرسالة الثمانية .

ونحن لا ندري الطريقة التي سلكها فى رسالته هذه ، هل هي نفس الطريقة التي سلكها فى رسالة « اتصال العقل بالانسان » أو اتصال الانسان بالعقل الفعال » كما سماها علي بن عبد العزيز ابن الامام احد تلامذة ابن باجة (2) ؟ ام هي الطريقة التي اتبعها فيما بعد ابن طفيل فى « حي بن يقظان »؟ حيث مهد هذا لقصته بمقدمات تعرض فيها لآراء بعض الفلاسفة الذين سبقوه ، كابن سينا والغزالي ، وابن الصائغ نفسه ناقدا لبعض تلك الاراء ، الا انه بالنظر الى التلخيص الذي قام به موسى الناربوني لكل فصل من فصول الرسالة الثمانية ، يرجح انها نفس الطريقة المتبعة فى رسالة « اتصال الانسان بالعقل الفعال » وهي الطريقة التحليلية المجردة ، وحينئذ لا يبقى مجال لاعتبار « رسالة المتوحد » ضمن القصص الفلسفي ، ويكون المبرر الوحيد لدينا للتعرض لابن باجة فى هذه الدراسة التي تعنى بالقصص الفلسفي لا بالفلسفة ذاتها هو الشبه بين الموضوع الذي شغل ابن باجة وتدور حوله « رسالة تدبير المتوحد » وبين موضوع قصة « حي بن يقظان » لابن طفيل ، وتعد كما هو معلوم لدى الجميع أروع مثال يمكن أن يقدم للرواية الفلسفية عند العرب » .

فحي بن يقظان عند ابن طفيل ، يختلف عنه عند ابن سينا بأنه كائن بشري تتبع ابن طفيل مراحل حياته منذ أن ولد فى جزيرة نائية من جزر الهند دون أب ولا أم لتوفر تلك الجزيرة على جميع الشروط التي تساعد على الاخصاب الطبيعي للانسان ، أو أنه ولد فى احدى الجزر المجاورة من اخت ملكها ، ثم وضعت المولود فى صندوق محكم الاغلاق ، والقت به فى البحر ، الى أن استقر بجزيرة خالية ، حيث اخرجته من الصندوق ظبية ضاع وليدها فأرضعته

1) الفلسفة الاسلامية فى المغرب ص 29 .

2) تراجع هذه الرسالة فى « تلخيص كتاب النفس لابي الوليد بن رشد » مع رسائل لاسحاق بن حنين ، والكندي تحقيق الدكتور احمد فؤاد الاهواني ص 102 .

# التحكيم في الفقه والقانون

للأستاذ: الحسين الحيوني

**ما هو التحكيـم ؟**

غير خاف ان للاطراف المتنازعين الحق فى عرض نزاعاتهم على محكمين بدل اللجوء الى المحاكم المختصة فقد نص الفصل 527 من قانون المسطـرة المدنيـة ان لكل الاشخاص ان يتفقوا على التحكيم فى الحقوق التي يملكون التصرف فيها الا ما استثناه المشرع ولم يجز فيه عرض المنازعات على المحكمين . فالتحكيـم ليس بمؤسسـة للتقاضي بالمعنـى الصحيح وانمـا وسيلة خاصة عرفها الانسان منذ اقدم العصـور واستعملها الناس لفض بعض النزاعات الناشئـة بينهـم . فكان من الضروري أن يتناولهـا فقهـاء القانون بالدرس لارسائها على قواعد فقهية وحصرها فى نطاق معيـن حتـى لا يطغـى اثرها على السلطة القضائيـة التي هي من سلـط الدولـة .

ومن البديهي ان التحكيم كوسيلة من وسائـل التقاضي يتوفر على عدة مزايـا بالنسبة لسرعـة القرارات المتخذة لفصل النزاعات ، والحد مـن مصاريف الدعوى ، وحل المشاكـل ذات الصبغـة التقنية ، لكنـه كـاد ان يصبـح علـى جانب مـن الخطورة لولا ان القانون جعل منه مادة تخضع الـى عدة شروط وقيده بقيـود تكفل حقوق الاشخـاص الذين يتفقـون على استعماله . فقد نصت الفصول 527 الى 543 من قانون المسطرة المدنية علـى القواعد المتبعة للحد من استعمال حق التحكيم سواء بالنسبة لادعاءات الخصوم او لسلطة المحكمين وجعل هذا النوع من التقاضي يخضع لمسطرة خاصة تقـي الخصوم من كل شطط وتجعل الاحكام التحكيميـة تخضع لسلطة قضاء المحاكم . ومن تحليل فصـول المسطرة المدنية المتعلقة بالتحكيـم سنرى ان المشرع عالج بدقـة عدة جوانب هامة لتقنين حق التحكيـم والتحديد من استعماله .

فما هي النزاعات التي يمكن عرضها علـى المحكمين ؟ وكيف يبرم عقد التحكيم ؟ وما هو الفـرق بين التحكيم الاختياري والتحكيم الاجباري ؟ وما هي الاجراءات المسطرية المتبعة امام المحكمين ؟ وهـل هناك فرق بين الاحكام التحكيميـة واحكام المحاكم ؟ وكيف يقع الطعن فى احكام المحكمين ؟ والى أي حـد يخضع تنفيذ الاحكام التحكيمية لسلطة القضاء ؟ وكيف يميز بين مهمة المحكم ومهمة الخبير ؟ وما هو الفرق بين مقتضيـات التحكيم ومقتضيات الصلح ؟

ونود قبل الدخول فى صميم الموضوع ان نلقـي نظرة تاريخية على التحكيم لنعرف بسنده فى الشرع الاسلامي وتطوراته فى القانون الغربي ، ويتخلـل البحث دراسة مقارنة للتحكيم فى الفقه وفى القانونين المغربـي والتونسـي .

اسلوبا من هذا النوع بالخطابية او الوعظية، «وتصفح طبقات الناس بعد ذلك ، فراى كل حزب بما لديهم فرحون ، قد اتخذوا الههم هو اهم ، ومعبودهم شهواتهم ، وتهالكوا في جميع حطام الدنيا والهاهم التكاثر حتى زاروا المقابر ، لا تنجع فيهم الموعظة ولا تعمل فيهم الكلمة الحسنة ، ولا يزدادون بالجدل الا اصرارا ، واما الحكمة فلا سبيل لهم اليها ، ولا حظ لهم منها ، قد غمرتهم الجهالة ، وران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » (1) .

ويطول بنا المجال لو حاولنا التعرض لجميع القصص الفلسفية ، على اننا نكتفي بالاشارة الى بعضها مما لم نتمكن من الوقوف عنده قليلا :

كقصة محاكمة الانسان امام محكمة الجن لبطشه بالحيوان لاخوان الصفا ، و « رسالة الطير » للغزالي ، و « رسالة التربيع التدوير » للجاحظ ، ويمكن أن تسلك في القصص الاجتماعي ، وقد يذهب البعض الى القول بأن اعتبار هذه الرسالة قصة تمحل لا مبرر له » غير أني استند فيما ذهبت اليه الى اعتبارات من اهمها : أنها ترتكز على تحليل شخصية من سماه احمد بن عبد الوهاب ، وهو شخصية خيالية بدون شك .

تبتدىء الرسالة بوصف هده الشخصية بصيغة الغائب « كان احمد بن عبد الوهاب مفرط القصر ، ويدعي أنه مفرط الطول ، وكان مربعا وتحسبه لسعة جفرته ، واستفاضة خاصرته مدورا ، وكان جعد الاطراف ، قصير الاصابع ، وهو في ذلك يدعي البساطة والرشاقة » ويتحدث عن اولياء نعمته كصالح بن علي ، وجعفر الخياط ، وصالح بن علي ، كما يتحدث عن نسبه ، والطائفة التي ينتسب اليها ، وهي الرافضة المشبهة ، ويصفه بأنه « يعد أسماء الكتب ولا يفهم معانيها ، ويحسد العلماء من غير أن يتعلق فيهم بسبب ، وليس في يده من جميع الاداب الا الانتحال لاسم الادب » (2) .

والجاحظ يقدم لنا وصفا مدققا لهذه الشخصية من الخارج ، كما يصور لنا صفاته الخلقية والفكرية، ثم يغرقه بسيل من الاسئلة في مختلف المعارف التي كانت سائدة على عهده ، على طريقته في الاستطراد، وحينما نقول الاستطراد يجب الا نغفل عما يقتضيه من علاقة لعلنا لا نخطىء اذا قرناها بما اصطلح عليه علماء النفس بتداعي المعاني ، ولطالما ردد القدامى هذه العبارة « الشيء بالشيء يذكر » .

والجاحظ في حالتي استعماله ضمير الغائب وضمير الخطاب ، يشرح أمامنا شخصية ليست في الواقع الا رمزا لكل دعي مغرور ، رمز له باسم احمد بن عبد الوهاب .

واذا كنا نقبل من قصاصي العصر التلاعب بالضمائر ، فلماذا نستنكف عن قبول « رسالة التربيع والتدوير » كقصة لمجرد انه استعمل في جزء كبير منها كاف الخطاب كما هو المفروض في الرسائل ؟ في حين نتناسى ما تحفل به الرسالة من نقد اجتماعي وتصوير خارجي وداخلي ، مما يعز نظيره في كثير من القصص والروايات الشهيرة .

ثم هناك « رسالة الغفران » للمعري التي يعد قسمها الاول بحق رواية تتوفر على حوادث وشخصية رئيسية هي ابن القارح . وشخصيات ثانوية ، وبدون شك فان المطلع على هذه الرواية يدرك ما تحفل به من نقد اجتماعي واخلاقي وأدبي بصفة أكثر بروزا .

وفي النهاية ، نعيد الى الذاكرة عبارة « برتراندرسل التي افتتحنا بها مقال « المذاهب الفلسفية والادبية ، واثرها في الرواية الاروبية (3) » وهي أن الفيلسوف الاندلسي ابن رشد « كان أكثر أهمية في الفلسفة المسيحية منه في الفلسفة الاسلامية، فهو بالنسبة للاولى نهاية طريق مغلق ، بينما هو بالنسبة للاولى بداية الطريق » .

وان الامر لكذلك ، اذ هاهنا تتضخم تلك الفجوات التي أشرنا اليها في مقال سابق (4) وقلنا بأنها تمثل الربع الخالي من أدبنا العربي ، وبدون شك فان التدهور الادبي والثقافي بصفة عامة، ساعد على اتساع تلك الفجوات طيلة عهود الانحطاط الى ان جاء عصر النهضة .

**الرباط : محمد الامري**

1) نفس المصدر ص 189 — 190 .
2) رسائل الجاحظ طبع الساسي
3) دعوة الحق العدد 2 السنة التاسعة
4) مقال « في ميدان القصة » دعوة الحق العدد 8 السنة الثامنة .

مستمدة من روح الشريعة الاسلامية اخضع « قضاء» التحكيم لعدة شروط واجراءات لوقاية المتحاكمين من كل حيف او شطط كما استثنى من النزاعات التي يمكن عرضها على المحكمين عدة مواد لها صلة بالهبات والوصايا وبنظام العائلة والاحوال الشخصية أو بالنظام العام ، وذهب القانون التونسي فى هذا المضمار الى حد ابعد مما ذهب اليه القانون المغربي فقد نصت المادة 260 من المجلة صراحة ان من المواد التي لا يجوز فيها التحكيم : المسائل التي لا يجوز فيها الصلح ، ومن ثم فحكم التحكيم فى القانون التونسي هو حكم الصلح مثل ما هو مقرر فى الفقه الاسلامي فيتضح مما تقدم عرضه ان احكام الصلح والتحكيم تتداخل بعضها فى بعض وترتبط بينها علاقة فقهية متينة .

## المعنى الشرعي والقانوني للتحكيم

واسند الشرع الاسلامي امر التحكيم والاصلاح بين المسلمين الى ذوي الراي المحمود فالحكم يستمد علم الواقعة من القرآن فان لم يجدها ففي السنة ، فان لم يجدها فى السنة ففيما قضى به الخلفاء الراشدون فان لم يجده ففيما قاله واحد من الصحابة رضي الله عنهم فان لم يجده اجتهد رأيه ، قال علي ابن الجعد : انبأنا شعبة بن سيار عن الشعبي ، قال : اخذ عمر فرسا من رجل على سوم ، فحمل عليه فعطب ، فخاصمه الرجل ، فقال عمر : اجعل بيني وبينك رجلا ، فقال الرجل : اني ارضى بشريح العراقي ، فقال شريح : « اخذته يا عمر صحيحا سليما فأنت له ضامن حتى ترده صحيحا سليما . فاعجب عمر حكمه فبعثه قاضيا وقال له : ما استبان لك من كتاب الله فلا تسأل عنه ، فان لم يستبن فى كتاب الله فمن السنة ، فان لم تجده فى السنة فاجتهد رأيك » .

أما التحكيم بالمعنى العصري كما عالجه القانون المغربي فله سنده فى الفقه الاسلامي ، فقد جاء فى مذهب الامام مالك انه اذا حكم المتخاصمان رجلا لزمهما حكمه اذا حكم بما يجوز وذلك خلافا للامام الشافعي الذي لا يجيز اللزوم ، وفى مذهب ابي حنيفة يلزم حكم المحكمين اذا وافق حكم قاضي البلد . ويتضح من المذهبين المالكي والحنفي ان الحكم التحكيمي يلزم الخصوم الا ان هذا اللزوم مقيد بمطابقة الحكم التحكيمي للشرع وما جرى به العمل وبعبارة بموافقة القاضي . وهذا المبدأ بالذات مبدأ خضوع الحكم التحكيمي لسلطة القضاء ، هو الذي اخذ به به المشرع المغربي فى الفصول 537 و 538 و543 من قانون المسطرة المدنية بمعنى ان حكم المحكمين لا يصير قابلا للتنفيذ الا بأمر من رئيس المحكمة الاقليمية التي صدر فى دائرة اختصاصها او رئيس محكمة الاستيناف اذا كان محل التحكيم النظر على وجه الاستئناف فى حكم ، كما لا تنفذ احكام المحكمين ولو كانت تحضيرية الا بعد صدور امر فى ذيل أو فى هامش أصل هذه الاحكام يأذن به رئيس المحكمة لكاتب الضبط بتسليم نسخة من هذه الاحكام بالصيغة التنفيذية . وزيادة على ذلك فان المشرع اجاز للخصوم أن يطعنوا بالتعرض على الامر بالتنفيذ امام المحكمة التي اصدر رئيسها هذا الامر وان يطلبوا ابطال حكم المحكمين وذلك فى الاحوال التي لا يجوز فيها للخصوم الطعن بالاستئناف او طلب اعادة النظر فى الاحكام التحكيمية .

ونجد نفس القواعد فى القانون التونسي طبقا لما نصت عليه المادتان 278 و 281 من مجلة المرافعات المدنية والتجارية فحكم المحكمين لا يصير نافذا الا باصدار الحاكم اذنه بذيل نسخة الحكم بعد الاطلاع عليه وعلى صك التحكيم والتثبت من عدم وجود ما يمنع من تنفيذه قانونا كما أنه يمكن القيام بطلب ابطال حكم المحكمين الصادر نهائيا ولو اشترط الخصوم خلاف ذلك وقد عين القانون التونسي عدة احوال اجاز فيها طلب البطلان امام المحكمة التي صدر بدائرتها الحكم .

(يتبع) مكناس — **الحسن الحجوي**

## تداخـــل الصلح والتحكيم :

ان الشرع الاسلامي يخلط نوعا ما بين التحكيم (Arbitrage) وبيـــن الصلـــح (Transaction) فهو يجعل الاول فى خدمة الثاني ويحث عليهما معـــا فى صالح المجتمـــع الاسلامـــي والعدالة البشرية . فقد ورد فى القرآن الكريم « وان خفتم شقاق بينهمـــا فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريـــــدا اصلاحا يوفق الله بينهما » . وكما ندب الله سبحانـــه الزوجيـــن الى الصلح بواسطة حكمين عند التنازع فى حقوقهما ندب طائفتين مقتتلتين الى الصلـــح وأمر المسلمين بالتحكيم بينهما « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلـــوا فاصلحـــوا بينهمـــا » وقـــال تعالـــى : « لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقـــة أو معروف او اصلاح بين الناس » وقال أيضا « انمـــا المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمـــون » .

روى الترمذي ان النبي (صلعم) قال : « الصلح جائز بين المسلمين الا صلحا حرم حلالا او أحل حراما والمسلمون على شروطهم الا شرطا حلل حراما او حرم حلالا) . فالصلح الجائز بين المسلمين هو الذي يعتمـــد فيه رضى الله ورضى الخصمين ويعتمد العلم والعدل فيكون المصلح او الحكم عالما بالوقائع عارفا بالواجب قاصدا للعدل ، فدرجة هذا أفضـــل من درجـــــة الصائم القائم كما قال عليه السلام « الا انبئكم بأفضل من درجة الصائم القائم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : «اصلاح ذات البين ..» واصلح (ص) بين كعب ابن مالك وابن ابي حدرد فى دين على هذا الاخيـــر بان استوضع من دين كعب شطرا وأمر غريمه بقضاء الشطر الباقي . ونرى فى عمل الرسول عليه الســـلام نوعا من التحكيم على اساس المصالحة اذ كان مـــا صولح عليه الخصمان امرا صادرا منه عليه الســـلام باستيضاع شطر من دين الدائن والحكم على المدين بقضاء الشطر الباقي .

وجـــوز صلـــى اللـــه عليـــه وسلـــم فى دم العمـــد أن يأخـــذ أوليـــــاء القتيـــل ما صولحوا عليه . وقال عطاء عن ابن عباس انه كان لا يرى بأسا بالمخارجـــة يعنـــي الصلح فى الميراث ، وسميت المخارجة لان الوارث يعطى ما يصالح عليـــه ويخرج نفسـه من الميـــراث .

وحتـــى فى القانون المغربي يمكن لعقد التحكيم ان يخول للمحكمين سلطة فى النزاع كوسطاء للصلح ، فيصبح المحكمون مفوضيـــن مصالحين غير مقيديـــن بالفصل طبقا لقواعد القانون (المادة 536) وهـــــذه ظاهرة لتداخل الصلح والتحكيم .

ونجد نفس الظاهرة فى القانون المدني التونسي، فقد نصت المادة 264 من مجلة المرافعات المدنيـــة والتجارية على انه يجب علـــى المحكمين أن يتبعـــوا فى احكامهم القواعد القانونية ما لم يتضمن صـــك التحكيم صرامة تفويض الامر اليهم فيصيرون بذلـــك محكمين مصالحين وهم معفون بصفتهم تلك من التقيد بالاجراءات والقواعد القانونية ولهم حينئذ اتبـــاع قواعد العدل والانصاف .

فالقاء نظرة على الفقه الاسلامي تدلنا على أن مواد الصلح والتحكيم لا يختلف بعضها عن بعـــض فالحقوق التي لا يسمح بالتحكيم فيها هي نفس الحقوق التي لا يكون للصلح مدخل فيها . فكما أنه من المقرربأن لا صلح يحرم حلالا او يحل حراما يجوز التأكيد بـــأن لا تحكيم يحرم حلالا او يحل حراما، كنقل نسب أو ولاء عن محل الى محل أو اكل ربا أو اسقاط واجب أوتعطيل حد وما اشبه ذلك . فالشرع الاسلامي وضع للصلح شروطا واحكاما لا مجال هنـــا لتفصيلها اذ المرجـــع فيها لكتب الفقه ، وبالجملة فالحقوق نوعان : حقوق الله وحقوق العباد . فحقوق الله لا مدخل للصلـــح ولا للتحكيم فيها كالحـــدود والزكـــوات والكفـــارات ونحوها . واما حقوق الافراد فهي التي تقبل الصلـــح والصلح فيها نوعان : نوع يجيزه الشرع مطلقا وهو ما كان اسقاطا او ابراء ، وصلح على عوض وهـــذا يجوز الا ان ادى الى حرام ، وحكمه حكم البيع سواء كان فى عين أو دين بشرط الاحتـــراز مـــن الجهـــل والغرر والربا والوضع على التعجيل الخ... ولا نريد بهذا ان ندخل فى تفاصيل احكام الصلح فى الفقـــه الاسلامي فقد لا يسع المجـــال لذلك ، وانما اردنا ان نذكر بأن الشرع الاسلامي وضع للصلـــح شروطـــا وقيودا جعلته يسيـــر جنبا لجنب مع العدل والحـــق ومراقبة القضاء ، ومن ثم فالتحكيم مثل الصلح يمارس شرعا فى نطاقات معينة ومجالات محدودة حتى لا يؤثر فى الحقوق البائنة ولا يطغى اثره على سلطة القضاء.

وتلك المبادىء الفقهية نجدها بعينها فى مقتضيات الفصول 527 الى 543 المتعلقة بالتحكيم فالمشـــرع المغربي الذي يسعى دائما فى أن تكون قوانينه العصرية

وفي هذا المجال كأكثر غيره من المجالات ، فان علاقات شاعرنا « برودان » Rodin (3) كانت تشكل دائرة

فقبل مجيء شاعرنا الناشيء الى باريس في اوائل القرن العشرين ، كان على وعي تام برسالته الفنية ، كما سنبين فيما بعد ، انه كان يضم الى هذه الرسالة كل السلوك الداخلي لحياته ، سلوكه ككاتب ناشيء لازال يبحث عن طريقه ، ثم سلوكه كأب وزوج ، حيث تنكر للرغبات الشخصية لفائدة موهبته الشعرية .

فبالنسبة الى شاعرنا في دواوين من مثل: « الفجر الشعري » و « كتاب الصور » ، لابد من النفاذ الى عمق الاشياء ، وتذوقها ، والتوصل الى نفس جوهرها ، بل الى روحها ، اذ قصد بالروح تعريتها من كل محتوى ماورائي يمكن أن تشتمل عليه . فبعيدا من الضوضاء والصخب اللامجدي ، يتحول الجو نفسه الى أشياء عند استعمالنا للمصطلحات الاكثر بساطة ، هذا هو الواجب الاول الذي على الشاعر الحق ان يؤديه ، ولهذا قال « ريلكه » :

ان الكلمات الفقيرة ، تندغم في حياة كل الايام
تلك الكلمات التي لا اشعاع فيها ، والتي أحبها كثيراً
فقلبي الذي يعمره فرح العيد ، يمنحها اللون
فتبتسم ويعود اليها الجذل ببطء
انها لاتوجد ابدا في الاناشيد
ولكنها في اشعاري تتقدم مرتعشة .

وكما تتوجه العذراء الشابة في صلاتها الى مريم ، فالشاعر يجب أن يعيش شبابه المزهر ، فهو يشعر بأنه في عالمه بين اليوم والحلم . ان ترك اية فكرة مؤقتة ، ورفض « معرفة الحياة » حسب قاعدة ، واعطاء النفس روح طفل ، والاستسلام دون احتياط الى الشعور بالغربة ، معناه خلق شروط افضل للابداع الشعري ، ولاجل التوضيح ، نضيف الى قول « ريلكه » :

ينبغي الا يكون عند الشاعر وطن في الزمن ، وفي الوحدة ، وفي السكينة ، وفي المبهم ، ينبغي الاقتراب بتواضع من الواقع الاقل انتصارا ، والاكثر تجردا من السحر . اذ من المهم التعرف على النفس في الاشياء ، وجعلها رهن اشارتها ، حتى يصبح وجودها معاشا ، وينبغي على الاخص ، ان يتجنب الشاعر فرض نفسه عليها من الخارج ، بهذا وحده ، يستطيع ان يجعل الصمت يتحدث . ومن اللائق قبل كل شيء ، ان يفتح روحه لادنى نفس . فهذا ما يجعل الفنان المبدع يحول الحياة الى عيد للعقل ، حيث تتمدد الروح :

كثوب زينة
فوق اشياء تتأمل

هذه الاشياء التي نشير اليها تلعب دورا اوليا في الجمالية « الريلكية » انها ذات حساسية لامنتهية للفساد الاكثر خفة ؛ اذ هي قبل كل شيء ، تحتفظ بمظهر بخاري . فأقل هرج من الخارج ، وأصغر اشاعة تروج حولها تكفي لهدمها والقضاء على جوهرها . فالتعبير عن الاشياء شرف خطير . ان كلمات اللغات الانسانية تقتبل هذه الاشياء اقتبالا سيئا . اما اسمنا فليس هو ذاك الذي يعطي الجاه لها

ومن اللائق ايضا التجنب النهائي للكلمات التجريدية وللاصطلاحات التي لها خاصية عنيفة جدا ، او معروفة جدا . كما انه ينبغي ترك الاشياء تغني بنفسها ؛ حيث نتلذذها ونتعرف فيها على انفسنا . وبغير هذا ، نخاطر بأن نفسد كل شيء .

من اجل هذا كانت صعوبات كبيرة تعترض الابداع الفني . يجب ان نكون ملتقى لكل الاشياء ، فلا نترك أيا منها يتسرب او يضيع منا . ومن المهم أن نذكر حقيقة أن الكلمات ليست غير أسوار صماء ، خلفها تنهض جبال كلها اشعاع ، وذات زرقة دائمة ، بفعل المعنى الواقعي للاشياء . وبهذا الثمن ، وبه وحده ، يتوصل الفنان المبدع حين يتغلف بالضعف ، الى ان يكون خادما مخلصا للاشياء . الى تحقيق المصطلح الذي وضعه « ريلكة » « تعمق في الداخل نفسه للاشياء لتكون في خدمتها . »

---

( 3 Auguste Rodin نحات فرنسي ، ولد بباريس سنة 1840 ، ومات بها سنة 1917 . وهو واقعي ذو قوة على النفاذ الى عمق منحوتاته . ومن اعماله الشهيرة : تمثال الشهيد ( اوسطاس (Eustache في كنيسة القديس ( سان بيير ) ، ثم المجموعة الشهيرة المسماة : ( بورجوازيو كاليه Bourgeois de Calais) من البرونز ، ثم المفكر ، ثم القبلة ، ثم باب جهنم ، وتمثال ( بلزاك ) . ويقال ان جبران خليلا جبران تلمذ له في باريس في مدرسة الفنون الجميلة بحي ( بونابارت ) . ويبدو ان هذا من الدعاوي الجبرانية الكاذبة . ( المترجم )

# الابداع الفني عند ريلكه

ترجمه وعلق عليه: محمد السرغيني (*)

اذا لم تكن نظرية الابداع الفني فكرة رئيسية عند «ريلكه (1)»، فهي على الاقل من العناصر الجوهرية فى تفكيره الفلسفي. ومن اللائق ان لايغيب عن الاذهان ابدا، ان الكاتب قبل ان يكون مفكرا يسلك سلوك رجل الخيال الذي هو الشاعر الحقيقي.

ان الابداع الفني يشكل لدى « ريلكه » نموذجا لتحقيق المطلق فى هذه الدنيا. فالمراة اذا كانت فى الحب ــ وخاصة منه الحب الامومي ــ تصل من غير شعور منها الى المطلق (2)، فان الفنان المبدع لكذلك. هذه هي الفكرة التي الح شاعرنا عليها. فقد بدأ تأكده منها حوالي سنة 1894 عندما كان يوزع محاولاته الشعرية بالمجان على العمال والمرضى وأهالي مدينة « براغ ». وازداد تأكده هذا، فى نهاية ديسمبر من سنة 1926، وهو على فراش الآلام فى مصحة « فالمونت Valmont » قبل موته بأيام قلائل.

وبينما كانت فكرة الابداع عند « ريلكه » تستوعب أغلب تفكيره، كان هناك اختلاف مهم في الطريقة التي عبر بها عن فكرته الاساسية فيها.

---

* ترجمت هذا الفصل من كتاب: « رينر ماريا ريلكه حياته وانتاجه وتفكيره » لأدريان روبيني دوكليري Adrien Robinet de Clery وهو استاذ فى جامعة جنيف.

1) Reiner Maria Rilke شاعر نمسوي ولد فى براغ، سنة 1875. كان شاعر الفقر والموت والتشرد، مطبوعا بالبحث عن الغامض والمبهم. سافر الى مصر واستلهم أهرامها وتغنى بكنوزها الفرعونية. وقبل أن يسافر اليها زار تونس والجزائر واحب الاسلام والعربية، حتى انه انشا قصيدة كشف فيها عن اعجابه الشديد بالنبي، فيقول فيها:

ولم ييأس، بل ظل
يردد دائما: اقرأ
فقرا حتى انحنى الملك
واصبح ممن يعرفون
كيف يقراون
ويستمعون ويتمون ( الرسالة )

ومات ( ريلكه ) فى مستشفى ( فال مون ) (Val-Mont) بسويسرة فى 29 ديسمبر 1926.
ولعل السبب فى موته انه اراد يقطف وردة من حديقة قصر ( ميزو ) ليقدمها الى سيدة مصرية جميلة، هي نعمت علوي بك، احبها، واحب فيها سحر مصر الاسلامية والفرعونية، فوخزته شوكة منها، وكانت السبب فى دخوله الى المستشفى وموته ( المترجم )

2 ) الشعر المطلقي هو ذاك الذي يتعارض مع الطموح اللامقاس للرومانسية، حين كانت تريد ان تلعب دور النبي، ولهذا فلا يجب الخلط لا بينه وبين رمزية (ملارميه Mallarmé )، ولا بينه وبين شعر الأب ( بريمون هنري L'Abbé Henri Brémond) الخالص، ولا بينه وبين فكرة الفن للفن عند البرناسيين الفرنسيين. ان الشعر المطلقي ( الريلكي ) شعر كله أصيل، ويرتبط من بعض وجوهه فقط، بتقاليد ( شارل بودلير )، و ( بول فاليري ). ( المؤلف ).

ان الشاعر حين يبقى جد متعلق بالأشياء المادية وبظاهرها ، فانه لكي يكون حقيقيا ، عليه أن يصل خارج هذا الظاهر الى لمس العناصر الدائمة لواقع لا يشبه بكثرة الواقع الذي تعكسه حواسنا وتصوراتنا . اذ في هذا وحده ، يكمن نمو الابداع الفني . ولكن ابداعا كهذا ليس نتيجة اتفاقية لرؤية ثابتة بالصدفة . هكذا استطاع ( رودان ) أن يقنع محاوره بأن الابداع الفني ليس الا العمل بصبر وتوءدة .

وامام ضرورة العمل المستمر ، تلك الضرورة البينة . فان الفنون التشكيلية وكذلك الشعر ، مهددة بأن تحرف المعطيات الجمالية ( الريلكية ) تحريفا خطيرا بسبب من فقدان شجاعة أصيلة ، لانها عابرة .

وبكثرة الانتظار وتوقع الوحي الذي لن يأتي ، فان الموهبة الادبية الاكثر ثراء يمكن أن يلحقها الذبول . ان الابداع الفني الناجح ، ينبغي أن يكون عيدا حقيقيا . ولكن « اللحظة الخلاقة » كما عبر عنها الشاعر نفسه ، لا يجب ان تنتظر في كسل وبطالة تأملية خالصة . والواقع ان هذه اللحظة ، تتعرض لخطر واحد ، هو أن لا تدق ابدا . فيجب للحصول عليها أن توضع لها شروط مناسبة . ومن اللائق في هذا المجال ، أن نسرد الجزء الاخير من الرسالة التي وجهها ( ريلكه ) الى ( رودان ) بتاريخ 11 سبتمبر 1902 ، تلك التي رأينا من اللازم الرجوع اليها .

« ان عملي ، لانني احببته ، صار بعد سنين شيئا مقدسا ، بل عيدا مرتبطا بالهامات نادرة . فهناك أسابيع لا افعل فيها شيئا غير الانتظار ، انتظار اللحظة الخلاقة، وكلي أحزان لانهائية . ولقد كانت هذه حياة مليئة بالحفر . لقد تجنبت بكثير من القلق ، جميع الوسائل الاصطناعية لنداء الالهام . فابتدات بالامتناع عن شرب الخمر ، الشيء الذي كنت افعله منذ عدة سنوات . وقربت حياتي من الطبيعة نفسها . ولكن في كل ما كان عقليا ، لم اكن بدون شك ، أتوفر على شجاعة تجعلني أدفع الالهام الى مداه البعيد حين أعمل . والان وبعد أن عرفت وسيلة الحفاظ عليه ، اعتبر ان ما اعطيتني كان اكبر ميلاد لحياتي ولأملي . »

ينبغي ان يضحى بكل شيء في سبيل العمل اليومي الذي يسمح وحده للشاعر بأن يعبر عن اللا معبر عنه ، هنا تكمن عناصر الفن الشعري ، وهنا تنتصر العوامل اللا عقلانية ، رغم ان العمل حسب اعتقاد الشاعر ، يكاد دائما ان ينطلق من الواقع كما يتمثل .

وبالتأكيد ، فهذا لا يفسر بتأثير ( رودان ) بل انه ليفسر على الخصوص اذا حللت أعمال هذا الاخير الذي استطاع ( ريلكه ) المرتبط به كما كان مريدو ( ميسي Messie ) (5) يفعلون معه ، ان يندفع لتعريف الفن على العموم . ان هذا النحات قال في أول دراسة خص بها الشاعر : « انه كان في مدرسة ( دانتي Dante ) ومدرسة (بودلير Beaudelaire) . فلقد وجد عند هذا الاخير مجموعة من الكلمات ذابت في يديه الساخنتين، وخطوطا لمس وجهها ، وقصائد بدت كما لو كانت اعمدة ذات تاج مرتبك ، وثقل فكرة قلقة » .

ولقد قال ( ريلكه ) في محاضرة عن ( رودان ) القاها سنة 1907 : ان العمل الفني المنتهي في اللحظة عند الانسان البدائي ، « يدخل الى عالم الاشياء ، ويحصل على طمأنينتها وكرامتها الهادئة ، ولا ينظر ابدا الا مشابها لمن ينظر بقلق فهمي خارج ديمومتها . وهذه الاشياء تعني اننا نبدع بالعناصر الانسانية والحيوانية او عناصر أخرى تقع عليها حواسنا ، « اننا لا نعرف ان ما لا يموت معنا ، ما يستمر ، اكثر قربا مما هو فوقنا ، وأنه شيء » .

ان الشيء لا يمكن ان يتحول الى حياة « بفضل الافكار الكبيرة ، ولكنه يستطيع ذلك ، لو جعلنا منه حرفة ، وشيئا يوميا يستمر امامكم الى النهاية » . هذا ما قاله ( ريلكه ) في نفس المحاضرة السابقة الذكر . ونحن نعتقد انه من الضروري استقلال هذه النصوص المختلفة ، لانها تبدو لنا مشتملة على الجوهري من الافكار ( الريلكية ) حول الابداع الفني .

ما ذا يميز الفنان الحقيقي ؟ انه ليس تقنية التركيب ، ولا المواد المستعملة لجمع الشخوص والاسباب ، بالنسبة الى النحات . ان كل هذا ، يبقى من التوابع ، انه موهبة لمس الحياة التي تبقى ابدا عنصرا رئيسيا . ففي اليوم الذي اعترف فيه ( رودان)

---

5 ) Messie . كلمة في الفرنسية من اصل عبري ، وتعني مخلص ومحرر اسرائيل الذي سيقوم في آخر الزمن ، وهذا شبيه بما عند المسيحية من ان المسيح سيقوم في آخر الزمن ويخلص العالم من الشرور وهذا نفس ما تعتقده بعض فرق الشيعة من بعث للامام الذي سيعيد العدالة والخلافة الى اهلها . ولعل المؤلف يعني به موسى مع حوارييه . ( المترجم ) .

وفي هذه القواعد للابداع الفني ، بعض اشيـاء اكثـر ترددا ممـا اكتشفـه « رودان » Rodin ذلك الذي كان قد وضع اكتشافه بعنف في يوم جديد. وبعد ذلك ، اكتشف « ريلكـه » في « رودان » الاستاذ، حين اتاه سائلا مستفهما ، قاعدة الحياة ، وليس فقط قواعد جمالية .

( كتب « ريلكـه » الى « رودان » في سبتمبـر من سنة 1902 : انني لم آتك لاقوم بدراسة ، ولكـن لاسالك عن الكيفية التي يجب أن اعيش عليها . وحين أجبتني : بانها العمـل ، فهمت جيـدا ، وشعرت بأن العمل حياة لا موت وراءها . فانا كلي اعتراف وجدل، اذ منذ شبابي لم اكن اريد غير هذا العمل . )

وبعد اسبوعين من العلاقات الشخصية بينهمـا، اقترح « رودان » على « ريلكـه » : ان قانون العمل في هذا العالم ، هو قاعدته الجوهرية ، كما هـو الحـال عليه في مجـالات اخـرى من حياة الانسان .

ان الابداع الفني مستحيل التحقق بدون عمـل يومي متحمس . « فالعبقرية ليست غير صبر طويل »، كما عبر عن ذلك « بيفون » (4) Buffon في القـرن الثامن عشر . وحين اتى هـذا النحات الكبيـر الذي استحق اعجاب « ريلكـة » العميق ، اكد هذه القاعدة. ففي العصور الوسطى ، رجع الفضل في تشييد الكنائس الى قوة عمل المعماريين ، حيث حصلوا على شـرف انجاز الاشياء العظيمة . فكان أن انطبعت كل الاعمـال الشعرية لشاعرنا بهذه النصيحة .

وفي هذا المجال ، يمثل ديوان « كتاب الصور » مرحلة وسطى . فلقد اعطى شاعرنا للنحات الفرنسي، مثالا مؤلفا ومطبوعا بعناية . وبما أن هذا النحات كان يجهل اللغة الالمانية ، فلم يمكنـه الاعجاب بغير مظهره الخارجي ، فانه حين نفض يديه منه ، كان متيقنـا ان شاعرنا قد تعمق نصائحه ، وجرى على التأثر بمثاله.

ان الابداع بالنسبة الى الفنان يعني محاولـة التعمق الى نواة الابدية ، حيث ان الوجود يتأكـد للبعض تحت ظواهر محسوسة . وعلى العموم ، هـو مسك شرارة الحياة . اننا لن نخطيء ابدا حين نصف الاعراض الزائلة للشيء ، وحين نضم مجموعة مـن الخطوط الواقعية ، مرتبين الانطباعات والاحساسات التي تثيرها الاشياء فينا ، فسيكـون من الجائـز أن نتوصل اليها فيها . الفنان ابن ، وهذا يعني أنه حصيلة Résultante ( قوة تفاعلية تقوم مقام قـوات تفاعلية مختلفة ) . ولكن الابن يجب ان يكون أعلى مـن الاب . اننا نرى في هذا الشعر الرمزي Der Sohn لشاعرنا ، « أمـا تمشي لابسة ثيابا بيضاء عبر المراعي المخضرة ، وهي على ما يبدو تنتظر ساعـة الفروب » وكان الابن متهيئا للرد على ندائها ، ولكن هذه الام لـم تكن قد نادته . وشيئا فشيئا ، اخذت تنام . ولقـد تحدث الابن الذي كان راسه متوجا طيلة ليال كاملة مع ابيه عن رسالة غامضـة وصلت اليـه ، واستطاع أن يخبره عن مصدر هذه الرسالة ، وعن قيمة الاشيـاء في البلد الذي يقطنه ، وحكى لـه ما اذا كانت المدينـة الماثلة هناك مبنية من الحجارة ، أو اذا كان يجب عليه انتظـاره في خيمـة .

فاذا اصررنا على هذه الصورة الشعرية التـي استعملها الشاعر نفسه ، فان الابداع الفني يهدف الى اعادة احياء الاشكال التي لا شك في أنها لم توجد ابدا . وينتهي الى الجمع في اللاواقـع بين أوجـه زخرفيـة لا تنتسب ابدا الى الزمن ، لخلق طريقة للعلاقات بين الاشياء التي لها علاقة ثابتة . ان شعر (Der Sohn) هو مفتاح هذا . فالاصوات لاتجعل النبرة خالصة الا في وسط الصمت .

والواقع اليومي يبدو مؤلمـا وعبيسا
نعـم ؛ ولكنـه وراء كل غـروره
لا يحتوي على بعـض الجوهر الخالـد .

لقد عاش « ريلكـه » نفس التجربة الحية بصفة متتابعة ، فهو قد قال في مسرحية اسماها « التقدم »:

( أن الاشياء عادت الى اكثر ارتباطـا . فحيـن اجتاز قمم السلاسل انهض في مثـل غزارة السماوات التي تجتازهـا الريـح ، واشعـر انني اكثـر قربا من اللامعبـر عنـه . )

---

(4 Georges Luis le Clerc, Comte de Buffon عالم طبيعي وكاتـب فرنسـي ، ولـد في (Montbard) سنة 1707 . ومات سنة 1788 . وهو مؤلف التاريخ الطبيعي المنشور من سنة 1749 الى سنة 1789 كان صاحب نظر واسع وخصب . ولقد وضـع رهن اشارة الجماهير كل المعلومات العلمية لعصره ، وارتقى الى درجة انه وضع نظرية عن تشكيـل وتطور العالم . وكان في الوقت نفسه كاتبا مهتما بالتعبير عن افكاره بوضوح ونبل . ( المترجم )

# لغة الشعر بين المنتج والمتلقي

للأستاذ عبد العلي الوزاني

- 2 -

واذن يتنازع الشاعر والقارىء او السامع ثوب الشعر ، ويوسعان منه ويضيقان ، حسب اختلافهما فى الطبائع والاستعدادات الفنية والثوب بمرونته كقطعة مطاط ، ينقبض وينبسط ، ويطوى وينشر ، ويزيد وينقص ، ويأخذ فنونا من الاشكال ، ويسع القامات الفكرية والشعورية على تفاوت احجامها . وليس من سبيل الى استغلال ما للشعر من قدرة على الايحاء والاثراء النفسي الا عن طريق هذا التنازع الخصب ، الذي يضاعف من دلالات الالفاظ ، ويجعل من العمل الشعري ميدانا حيويا لتألق المواهب والملكات ، فهو يجذبها ويتحداها ويراوغها ، ويستثير ما كمن فيها من اسرار الفن والجمال ، فتقبل عليه من هنا وهناك فاحصة مستعدة للاخذ والعطاء ، حتى ليستحيل العمل الشعري كوجه الحسناء ، تراه من ناحية فيشوقك بلون رائع من شيات الحسن ، ثم تراه من ناحية اخرى فيطالعك بلون آخر لا يقل عن سابقه رواء وفتنة . اتكون لقصيدة الشاعر نسخ مختلفة باختلاف متلقيها من هواة الفن ؟ اتكون لغة الشعر تتلون بحسب النفوس التي تتلقاها ، كما يتلون ضوء الشمس بتلون ما ينعكس عليه من اشياء هذا الكون ؟ أيعتبر هذا هيمنة للشاعر على الناس ، اذ يدفع اليهم بكلماته ، ليعيشوا عليها فنونا من العيش ؟ ام يعتبر تطاولا على الشاعر المبدع، وانتزاعا لبعض حقوقه ، وسطوا عفويا على لغته التي غداها بدمه ، وادارها على خواطر ومعان ادى ضريبتها من ذات نفسه ؟ انها لعجيبة هذه الحرية التي ترتع فيها الاعمال الشعرية ، فيما تتخذه من اشكال ، وما تشقه من دروب فى مجاهل النفس الانسانية ، حتى لنقف ازاءها حائرين ، لا ندري هل نحن اصحاب القضية أو نحن المتهمون ، هل نحن طرف فيها له كامل الحق فى ان يقول ما فى نفسه ، أو نحن خارج نطاقها نسجل ونرقب ، وليس لنا حق التدخل .

والقضية القائمة بين الشاعر وقرائه ، قضية قائمة ابدا . لا نعرف حلها النهائي ، يموت الشاعر وتتعاقب الاجيال من بعده ، تتجدد القضية اثناءها جيلا بعد جيل ، كل جيل يبعثها من جديد ، ليقول فيها كلمته ، ويؤتى بالشاعر حينا بعد حين الى محكمة التاريخ الادبي ، ليخرج منها اما متوجا بتاج التبجيل والتقديس ، واما محملا باللعنة والويل ، أو بشىء بين هذا وذاك . يا لها من محنة هذه التي تجرها على الشاعر كلمات جميلة تنفس بها فى لحظات خاطفة ، ولكنها اوقفته فى محكمة التاريخ دهرا كاملا والى أبد الآبدين !! وهي قضية كلما تقادم عليها العهد كلما عز شهودها واعوز قضاتها كثير من الوثائق والمستندات ، فتذهب بهم الظنون بعيدا فى متاهات الفكر والخيال !! وويل للشاعر اذا تقرر مصيره بين الاعيب الخيال ومذاهب الظنون !! فحظ الشاعر هنا هو حظ شخص يفصل فى قضيته بعد أن ذهبت به عوادي الايام ..

ومحور القضية التي بين الشاعر وبين المتلقى عنه ، هو أن صاحب الفن ينظر اليه دائما على انه

بهذا ، بفضل حدسه ، صار اكثر عظمة من مصممي الكنائس . وكما قال ( أوجين كاريير (6) ) (Eugène Carrière) فى القرن العشرين : « ان ( رودان ) لم يستطع الاسهام فى الكنيسة الغائبة » . بينما نجح فى ان يتابع ويلمس الحياة .

ان هذا النحات عرف كيف يأخذها من كل النواحي التي تتمثل فيها ، لقد رصدها ، وانتظرها ، بل لقد طاردها حين كان ذلك ضروريا . ان الحياة التي كان يميل اليها لم تكن هي تلك المرسومة على الاوجه ، كما لو كانت مرسومة على رخام الساعة . وفى فراغ جسم الرجل والمرأة العصرية ، حيث لا يبدو أي جزء منه قابلا للاهمال ، فان ( رودان ) الفنان المبدع ، توصل الى لمس الحياة فى وجهها الفير المقنع . لتتقدم الحياة بلا مبالاة او بخطى واثقة ، «وراء كواليس الثياب » فانها تخلع القناع .

ويندفع ( ريلكه ) بدوره فى مطاردة الوجود ، فى ديوانه : ( اشعار جديدة ) . فبجانب القانون المقدس ، الذي هو حصيلة جوهرية ناتجة عن علاقته بالفن التشكيلي الفرنسي ، فمن العسير تدقيق القياس الذي بموجبه يكون الرسام (سيزان (7) Paul Cezanne قد اتى ليتم تأثير ( رودان ) ، ولان يجعل من الشاعر كما قيل ، « شاعر الاشياء » او « مبشرا بالواقع » .

وحوالي سنة 1910 اخذت الجمالية (الريلكية ) صيغتها النهائية . وبما انها جزء من أساس لا عقلاني ، فكان يجب أن تقطع مسافة طويلة لكي تلتقي فى بعض المجالات مع فكرة ( بول فاليري (Paul Valéry ويجب التذكير بأنه ابتداء من ديوانه : كتاب الصور ، كان ( الريلكه ) Duino الى ديوانه : مرثية دوينو ، على الرغم من بعض المظاهر ، طريقة واحدة بنفسها ، لملاحظة الابداع الفني .

ان العمل يمنحنا السعادة ، ولكن بقدر ما يحب الفنان عمله،فانه يحكم عليه ويقدره . الا انه لا يجبعليه ان يتصرف هكذا ، فعليه أن يعيش عمله ، ولا يليق به ان يتحمس للاشياء التي كلف بها ، بل عليه ان يعمل بشكل يجعله خادما لها بحيث يندمج فيها بشكل من الاشكال قبل أن يعبر عنها ويقولها .

غن للملاك امداح العالم . . . غن له الاشياء

ان المرأة فى الحب الامومي ، تستطيع ان تحقق المطلق : وما الفنان الا متصرفا كذلك ، بفضل قوته الخلاقة ، هذا هو المعنى الحقيقي للجزء السابع من « مرثية دونيو » وخاصة الجزء الشعري منها :

ان نكون فى الارض ، فذلك روعة وسحر

هكذا يكون دور الفنان هو اعطاء الحياة للدمن الجامدة ، وخلق عالم لا يوجد الا فى نفسه . ان الانسان ليفتنم « عسل المرئي » بدون انقطاع ، ليجمعها فى « الخلية الكبيرة المذهبة للا مرئي » . ان ( ريلكه ) يشعرنا فى هذا الحديث الرمزي ، بعد ان عرض لنا الانسان الذي يؤلمه محيطه، ويختنق بالطبيعة ، وتطرحه الملائكة ارضا ، ولا تفهمه الحيوانات نفسها . يشعرنا بانتصارنا عند ما نتملك هذا الاكتشاف الذي يمنحنا الابداع الفني سمة الدخول اليه . بينما لا بد من المرور بتجربة الموت ، من اجل أن نكون قادرين على البدء بغناء نشيد انتصار كل من يحيا .

وسيبقى بعد ذلك ، سلم لا بد من صعوده ، انه التحول الذي يغذي فى الانسان القوة على المرور فى المجال الفائق الوصف .

**ترجمة وتعليق : محمد السرغيني**

---

6 ) Eugène Carrière رسام ونقاش فرنسي ولد فى Gournay سنة 1849 . ومات سنة 1906 ولقد كان فنه الشخصي يقتعد فضاء معتما فى لوحاته . ( المترجم )

7 ) Paul Cézanne رسام فرنسي ولد فى ( ايكس ان بروفانس ) سنة 1839 . ومات سنة 1906 . كان يرسم كزملائه الانطباعيين فى الهواء الطلق ، ولكنه جهد فى ان يرسم حسب تعبيره الخاص : « افراخا فى الطبيعة » ليعلم على الخصوص بأن ردود الفعل النفسية تعدل من الرؤية . ولقد كان معتبرا من اكابر الذين مهدوا لكل الحركات المعاصرة فى الفن . ولقد نعى عليه الرسام الاسباني المعاصر : ( سالفادور دالي ) الذي يتزعم وحده الاتجاه السوريالي فى الرسم : « جهله المطبق بالرسم ، ذلك انه كان عاجزا عن ان يرسم صورة لامه المتوفاة ، حيث رغب الى احد المغمورين من الرسامين بوضع هذه الصورة .

او يسخطوا ، أن ينفذ الى صميم مشاعرهم ليحملهم على الاعجاب به والافتتان بروائعه ، او يطرق قلوبهم فيجدها مقفلة لا تريد ان تنفتح ، وان كان كل شاعر حريصا على ان يجس نبض قرائه ، ليعرف مدى تأثيره فيهم ، واستحواذه على مشاعرهم ، الا ان هذا الموقف لا يكون دائما نوعا من الاهتمام الخاص الذي يكتسي شيئا من الخطورة ، وانما هو شبيه بموقف شخص الى جانب غدير ، يرمي الفتات الى الاسماك ، ليرى كيف تجتمع عليه وتفترق ، على حد تعبير الحكيم . وقد يكون للشاعر فى موقفه هذا من قرائه منطق خاص . اليس الشعر فى لغته الجميلة الساحرة ابداعا لصور من العيش ؟ اليس صوتا عذبا مؤثرا يسكر آذان الناس ويأخذهم من جميع اقطارهم ؟ اليس من افضاله على الناس أنه ينتزعهم من ضرورات الارض ويهبهم اجنحة خفية ليحلقوا فى سماوات مشرقة ؟ ان الشاعر ليشعر احيانا كثيرة بنوع من الكبرياء الفنية ، مقتنعا بتفضله على الناس، واحسانه اليهم ، وحسبهم هذا امتاعا لنفوسهم ، وتجميلا لحياتهم ، وترقيقا لحواشي عيشهم ، ففيم السؤال اذن ، وفيم البحث عن اسباب المتعة ، وعن علة هذا الجمال الشعري الذي حققها ؟ اليست النتيجة واحدة فى كلتا الحالتين ، حالة البحث وعدمه، وهي أن الشعر فن جميل مؤثر ، يهب الحياة معناها الجميل ؟ كثيرون من الشعراء يرون هذا الراي ، ويصدرون عنه عندما لا يعيرون كبير اهتمام لما يكتب او يقال عن شعرهم . وليس من شأن هذا أن يصرف القراء عن تدارس الشعر ونقده ، احب الشعراء ام كرهوا ، لانهم يعتبرون هذا من حقوقهم ، بصفتهم طرفا فى القضية ، بل قد يكون سكوت الشاعر عنهم واهماله لشأنهم ، دافعا لهم لكي يحتدوا فى المناقشة ، ويتشددوا فى البحث عما عساه ان يكون فى نصوصه الشعرية من عيوب وثغرات ، ينفذون منها الى نقده واقلاق راحته . فكأنما يعتبرون سكوت الشاعر نوعا من التعالي يستفز شعورهم ، ويتهمهم فى جدوى رد الفعل الذي يقومون به . فأي الطرفين على خطأ ، وايهما على صواب ؟

اتكون لنا الصلاحية لاصدار الحكم ، ونحن نعتبر انفسنا طرفا فى القضية التي نحن بصددها ؟ اذن سيكون حكمنا مرفوضا ابتداء ، ولكن هيا لنضع شخصيتنا كقراء جانبا ، ونحاول تناسيها مستعيرين شخصية الناقد النزيه الذي لا يحكم الا وفق المستندات التي بين يديه . اما القارىء فاليه يلقى الشعر ، وبه يخاطب ، ولاجله يخرج الى النور ، ولذلك كان من حقه أن يحاكم الشاعر ويطالبه بما تقتضيه طبيعة الفن الذي يزاوله وشرائطه وقوانينه. واما الشاعر فله أن يتمسك بموقفه الذي ارتضاه لنفسه ، وان يصب عواطفه فى القالب الذي يريد ، شريطة حفاظه على ما للفن الشعري من مميزات عامة خالدة ، لا تتنافى مع الخصائص التي يتصف بها فى مراحل معينة من تاريخه ، ولكن ليس له أن يصد الناس عن النظر فى شعره بعين فاحصة ، بحجة أنه يبلغ من امتاعهم شأوا بعيدا ، ذلك أن ظرف المتعة يمر سريعا ، بحيث لا يستطيع الشاعر امساكنا بين يدي روعته الا لحظات قصارا ، ثم نستيقظ من الحلم الجميل الذي اتاحه لنا ، لنعود الى النص ، باحثين عن اسباب انتشائنا وأسرار غلبة النص الشعري علينا .

ودلال الشعراء بحكم انهم ممتازون بين اصناف البشر ، طالما وقف حاجزا بينهم وبين جمهورهم من جهة ، وبينهم وبين اسرار صناعتهم من جهة اخرى ، اما الاولى فلان الشاعر قد يعتبر تنازله من عليائه ليأخذ بأطراف الحوار بينه وبين جمهوره ، اعتداء صريحا على قداسته ، وانتهاكا لسموه . فالفنان الخالق عنده يوشك ان يكون اسمى من كل جدل أو نقاش . واما الثانية فلان محك الفلسفات والقضايا الفكرية والصور الجمالية التي يقوم الشعر عليها ، هو البحث الحر النزيه ، الذي لا يعترف بقداسة النص الشعري بمعنى تأبيه وامتناعه عن كل درس .

ولكن اذا كنا بهذا قد انصفنا القارىء ، بقي ان نقول كلمة لعلها ان ترد الى الشاعر بعض حقوقه ، وقصدنا الى ان الشاعر قد لا يستطيع ان يبرر جميع مزاعمه ووعوده وادعاءاته ، وقد لا يقوى على ان يحيط علما بجميع بواعثها ومصادرها وابعادها . وقد فرغ الباحثون من ايضاح ان عملية الانتاج الشعري قد تتم بوعي غير تام ، بحيث يكون الشاعر فى حالة حلم ، تتم اثناءه العملية الشعرية بصورها واشكالها ومضامينها ، حتى اذا انتهى الشاعر منها أدهشه أن يجد بين يديه عملا فنيا رائعا يكون اول المندهشين له . وفى هذه الحالة يلفي نفسه ازاء خواطر وسبحات خيالية قد لا يدرك مأتاها ومصدرها ومدى معقوليتها ، فاذا وضعها موضع البحث لم يجد لها مبررا الا شعوره بها ، وهو شعور قد يكون فى منتهى الغموض والابهام . فكيف نستطيع حينئذ ان نطالب الشاعر بأن يقدم لنا تفسيرا لخواطر لا يدرك هو نفسه مصدرها وبواعثها والغاية

متهم . فلغة الشعر ان هي الا ضروب من الوعود والمزاعم ، تخترق المألوف ، وتخرج عما تعارف عليه الناس ، وتدعي للشاعر مكانة عالية يشرف منها على ماجريات الحياة ، فيراها من افق واسع ، وتصدم زبناء الفن الشعري اذ تطلعهم على بشاعة نقائصهم عند مقارنتها بما ينصبه الشاعر أمام أعينهم من صور مثالية جميلة التكوين رائعة التنسيق . انها لدعوى عريضة هذه التي يعلنها الشاعر العربي اذ يقول :

وكنت مجهولة حتى اتيت أنا
أرمي على صدرك الافلاك والشهبا

وحتى عندما نجد الشاعر لا يتطاول هذا التطاول المكشوف ، لا يخلو شعره من أمارات الزهو والتيه والادعاء ، فمجرد كلفه بالصور الشعرية ، واخذه لفته بفنون من التوشية ، وابتعاده بألفاظه عن مألوف المعاني ، متضمن لمعنى الزعم والادعاء ، واي زعم اروع من قول الشاعر :

اتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد ان يتكلما

أو قول الآخر :

ربيب ملك كأن الله انشأه
مسكا وقدر انشاء الورى طينا

فالقضية كامنة فى لغة الشعر نفسها ، لكونها تهب الالفاظ ابعادا خاصة ، وتجعل من الظنون والاوهام المتنعة بالنسبة الى الواقع ، امرا ممكنا بالنسبة الى الواقع النفسي ، وتفرق بين الاشياء التي طالما تعانقت فى اذهان الناس ، وتؤلف بين الاشياء التي تباعدت عندهم ، وتمد اليهم يدا سحرية لترفعهم من عالمهم المشوش المضطرب ، الى عالم آخر يهزأ بأعرافهم واساليب حياتهم ، وتريهم من الاشياء صورا خلفية تتهمهم فى سلامة نظراتهم العادية الى ما يحيط بهم . وهذا فيه تجاوز لمنطق العقل ، ومخالفة لمسلمات الناس التي رسخت فى عقولهم ونفوسهم بحكم مقاييسهم وبحكم الالف والعادة . كيف ؟ ايزعم الشاعر ان صاحبته ممتازة حتى لكأن الله انشأها من مادة المسك ، على حين انشأ بقية الناس من طين ؟ فما خطر ببالنا ابدا أن هذا ممكن . والشاعر لا يملك دليلا واحدا يستطيع اقناعنا به حتى نومن بدعواه ، وليس هو بالشخص الذي يطالب بالدليل ، وكل ما له من حجة هو هذا الصدى الحلو اللذيذ، الذي تردد بين جنبات نفسه الشاعرة ، عندما أخذته صاحبته بروعتها الطاغية . ونحن كقراء للشعر ، قد لا نكون مستعدين لتصديقه فيما زعمه وما أحسه ، الا اذا استطاع ان يستولي علينا كما استولت عليه صاحبته، فهي لا تملك أية قوة تفرض بها نفسها عليه ، الا قوة جمالها وروعتها وقدرتها على اللعب بالعقول والالباب. وفعلا لقد استطاع ابن زيدون ان يفتننا عن منطقنا ومقاييسنا المحددة الجامدة ، كما استطاعت صاحبته ان تفتنه عن صوابه ، فقلنا آمنا وصدقنا وامرنا الى الله .. وقضيتنا مع الشاعر لم تقف عند هذا الحد ، وجميع القضايا التي بين الشعراء وقرائهم لا تقف عند حد ، وانما تظل دائما معلقة ، تثار من حين لآخر ، واقل القراء شأنا وخطرا قد يثيرها ليضيف اليها عنصرا جديدا ، سواء بينه وبين نفسه ، او بينه وبين شركائه فى القراءة والدرس . قضيتنا مع الشاعر تعود ونعود اليها مرات ومرات ، كلما اقبلنا على نصه الشعري نقراه فى احدى حالاتنا النفسية والفكرية المختلفة . ودائما نستنطق النص ، وننتظر منه ان يجيبنا ، ويرد الينا شيئا من الاطمئنان الى أننا لم نكن مخدوعين به ، عندما استرحنا اليه فى مرة أو مرات سابقة . وكم نود ان يكبر النص معنا كلما كبرنا ، وان يتسع فى جوانبه كلما اتسعت تجاربنا ، وان يكون قادرا على أن يهبنا شيئا جديدا كلما تجددت اليه نظراتنا . ومن خصائص الشعر التي يزدان بها الى جانب بقية الفنون الجميلة ، ان له قابلية — فى نصوصه القوية البارعة — ليمتع نفوسنا مهما تعاقبت الايام ، وتدرجنا فى ادوار العمر ، فامرؤ القيس الذي امتعنا ونحن اطفال مدارس ، هو الذي يمتعنا اليوم ويستجيب لحاجياتنا الروحية او بعضها على الاقل ، ونحن كبار لنا حظنا من الفهم ، ونصيبنا من التجربة .

ومتى كان الشاعر ما يزال يعيش بيننا ، فقد يضع قضية علاقته بقرائه موضع الدرس والمناقشة، فهو يتبين أولا طبيعة الصلة التي تربطه بنا ، ثم مدى الاثر الذي استطاع ان يخلفه فينا ، فأسلوب رد الفعل الذي قمنا به عندما وقعت الاستجابة . وقد يتجاوز شعره حدود الموطن والمنشأ ، فيكون صاحبه مدعوا الى ان يقوم بنفس العملية بالنسبة لنطاق واسع من الحياة الانسانية . وقد يكون العكس ، اعني ان الشاعر ربما يقول قصيدته ، ويدفع بها الى قرائه ، ثم يقطع كل صلة له بالمسألة ، لينصرف الى دنياه الخاصة ، لا يعنيه فى شىء ان يرضى القراء

بأعبائها ، ويتحمل مسؤولية الجهر بها ، فبغير ذلك لا يدفع الناس الى احترامها والاحساس بخطورتها ، العمل بوحي منها ، والاندفاع وراء تحقيق رسالتها . فما ضاعت قداسة الكلمة بين قوم الا هانت عليهم نفوسهم ، وتلاشت مبادئهم ومثلهم ، وخلت حياتهم من كل شيء نفيس ، لان الاشياء النفيسة ان هي الا هبة الكلمة عندما يحافظ لها على جديتها وخطرها وشرفها . ولو انك تدبرت عصور الانحطاط الادبي ، لوجدت ان السبب الرئيسي فى ذلك هو هوان الكلمة على الناس ، بحيث صار يقصد بها الى الملق والزيف والرياء والعبث ، فضاعت قيمتها بين الناس . أفلا يكون بعد هذا من اللائق بل من الواجب ان يدخل القارىء والمنتج فيحوار جدي ايجابي خصب، من اجل احترام الكلمة ، لتكون مثالا من امثلة الخير والحق والجمال فى حياة الناس الادبية والفنية ؟

وكلمة الشاعر الى الناس لها ميزة خصوصية لا توجد فى غيرها ، وهي أنها على شيء غير قليل من الفضول الفني ، اذ نجدها تدخل بين القراء او السامعين ، وبين خاصة انفسهم ، تمس حياتهم العاطفية فى الصميم ، وتضعهم امام منازعهم الباطنية وجها لوجه ، وتمتزج بدموعهم وآهاتهم ومسراتهم فتخلق لها ابعادا جديدة ، تفعل كل ذلك من غير ان يقصد اليه الشاعر قصدا ، وانما يجيىء نتيجة لتعبيره عن نفسه ، التي تربطها بنفوس الناس روابط عميقة الجذور قوية الاصول ، فالشاعر ايليا ابو ماضي عندما يقول :

قال السماء كئيبة وتجهما

قلت ابتسم يكفي التجهم فى السما

يخاطب المجموع فى مخاطبة الفرد ، وبذلك يتدخل فى اخص شؤوننا ، اذ يريد لنا أن نبتسم ، على حين اننا قد تكون لنا بواعثنا المختلفة التي تدفع بالاكفهرار الى وجوهنا ، وليس لنا اعتراض على الشاعر اذ يدعونا الى الابتسام ، اذ ان ديدن الشعراء أن يريدوا الدنيا ضاحكة مرحة الاعطاف ، عندما يجدون فى نفوسهم البهجة والحبور ، ويريدونها مظلمة كئيبة عندما يستولي عليهم القنوط والسخط . ولكن الذي نقصد اليه هنا هو أن الشاعر ينقل وجوده النفسي الى نفوسنا ، فلا يعدم هذا أن يصادف عندنا ردود افعال مختلفة ، وهذا هو مبدأ ما قد يكون بين الشاعر — كل شاعر — وبين قرائه من اتفاق حينا واختلاف حينا آخر .

وكلمات الشاعر لا تنقل الينا وجوده النفسي الا مصحوبا بفنون من الاغراء ، والوان من الدعوة الواضحة حينا ، والخفية احيانا ، اي ان الشاعر لا يتركنا لانفسنا ، وانما يحاول بحيل فنية مختلفة ان يعدينا ويكسب عطفنا ، ويدفعنا الى ان ننظر الى الحياة بالمنظار الذي وضعه على عيوننا . وهذا لا يتوقفدائما على الدعوة الصريحةكأن يقول الشاعر:

عش عزيزا أو مت وأنت كريم

بين طعن القنا وخفق البنود

بل ربما لم تكن هناك دعوة مطلقا فى الظاهر ، اذ يخيل الينا ان الشاعر لا يزيد على أن يعبر عن عاطفة يحس بها من غير ان يكون ذلك متضمنا لاي اغراء بشيء ، أو دفع الى شيء ، كأن يقول محيي الدين بن عربي :

ادين بدين الحب انى توجهت

ركائبه فالحب ديني وايماني

ها هنا يكتفي الشاعر بالتعبير عن مذهبه فى الحب ، ولكن اي اغراء بالحب يرقد فى اعماق هذه الكلمات القوية !!

واذا كان الشاعر يتدخل فى أخص شؤون الناس العاطفية ، فلانه يبدأ بنفسه فيضعها مكشوفة بين أيديهم ، ليروا ما فيها من اسرار ، حاملا قلبه على كفه مفتوحا لمن أراد أن ينظر فيه ، فكأنه يتخذ ذلك ذريعة ليتحدث الى الناس فى أخص شؤونهم العاطفية . اذ اصبحت له شبه دالة عليهم ، شأن صديقين زالت بينهما الكلفة وارتفعت الحجب ، فهما يتناجيان دون حيطة او تحفظ . لذلك نجد لغة الشعر تحمل ضروبا من الاوامر والنواهي والنداءات والاستفهامات والوان العتاب والتقريع ، التي يفسرها رجل البلاغة على وجه ، والناقد الادبي على وجه ، وهي فى عمومها لا تخرج فى مغزاها العميق عن هذا الذي شرحناه ، وهو أن الشاعر يضع نفسه من الناس فى موضع يسمح له باستدراجهم الى الجو الروحي الذي يعيش فيه .

ومما يساعد كلمة الشاعر الى الناس على أن تقع من نفوسهم موقعها المؤثر الجميل فى اكثر الاحيان، هو انها لا توجه الى انسان معين غالبا ، وانما توجه الى الانسان من حيث هو انسان ، بقطع النظر عن حيثيته الخاصة ، الامر الذي يزيل اسباب الحرج والتحفظ ، ويهيىء النفوس لتقبل ما يلقيه الشاعر

منها ؟ لم يبق اذن الا ان نعرف الحدود التي تجوز فيها مناقشة الشاعر ، وأن نعمد الى النص الشعري نفسه لنستنطقه ونستفسره ، جاعلين نصب أعيننا كلمة قالها أحد البلاغيين العرب القدماء وهي : (من الاشياء ما تحيط به المعرفة ، ولا تدركه الصفة) .

ولكي يكون قارىء النص الشعري رحيما بصاحبه ، مشفقا عليه من قسوة الفحص الذي لا يقتنع بشىء ، ادعوه الى ان يفكر قليلا فى هذه المسألة : الم يسبق له ان صار مرة أو مرات نهبا لمشاعر حادة غامضة أخرجته عن صوابه ، أو مشاعر خافته شاحبة بعثث فى عقله الحيرة ، وملأت نفسه بالهواجس ، ووضعته فى دوار خيالي وفكري لا يعرف له علة أو مصدرا ؟ الم يجد نفسه احيانا فى حالة غير عادية ، بحيث ينكر منها اشياء ، ويعجب منها بأشياء ، دون ان يعرف بوضوح سر انكاره اذا كان منكرا ، أو اعجابه اذا كان معجبا ؟ وهل اذا مرت حالته هذه قادر هو على أن يعطينا تفسيرا دقيقا لها بنفس الدقة التي يفسر بها مواقفه المعقولة الهادئة فى اخص شؤون حياته ؟ اذا كان الجواب بالنفي ، فلماذا يشتط فى محاسبة الشاعر على كل صغيرة وكبيرة ، فيطالبه بخلاف ما يطالب به نفسه ، فى حالة ما اذا وجد فى شبه الظروف النفسية الغامضة الغائمة التي قد يوجد فيها قائل الشعر ؟ الا رفقا بهذه الكائنات التي تمتع الناس وتشوقهم ، دون ان تدركمن أمر نفسها شيئا فى بعض الاحيان !!

لا اريد بهذا الكلام الى اعفاء الشاعر من كل تبعة أو مسؤولية ، ولا وضعه فى موضع يتناءى به عن النقد والملاحظة ، والا فلماذا نحن نسوق هذا الحديث ؟ وانما نريد فقط الا نتهم الشاعر اذا نحن لم نفهم عنه بعض ما يقول ، وما يحس ، وان نطا من غلونا فى النقد ، منتظرين ان تزداد تجاربنا فى الحياة، عساها ان تضع ايدينا على كثير مما خفي علينا من اسرار النفوس الشاعرة ، وكل هذا يتعلق بالآفاق الغامضة من تصورات الشاعر ، اما الصياغة فلا عذر فيها للشاعر مطلقا ، ولا يحول حائل دون مناقشتها الى ابعد الحدود . ذلك انها ظاهرة حسية مشتركة ، على حين ان بعض الخواطر الغامضة قد تكون محجوبة عن عدد كبير من الناس ، متى كانوا فى استعداداتهم اقل مستوى من استعداد الشاعر . دونك مثلا شعر الصوفية ، فانك واجد فيه تصورات وخواطر وسبحات خيالية موغلة فى الغرابة ، فاذا كنت عجولا تبادر بالحكم عليها بأنها مظهر من مظاهر الجنون لا اقل ولا اكثر ، ولكن اذا انت قرأتها قراءة متأنية ربما تلتمس العذر لاصحابها ، لانهم يصدرون عن حالات نفسية شاذة بالنسبة الينا نحن الناس العاديين ، ولكنها طبيعية بالنسبة الى الزاوية التي ينظر منها اصحابها الى الحياة والكون . وقد لا نعيها الا اذا استطعنا ان نرتفع الى حالات التجلي التي تمخضت عن ذلك الشعر الصوفي الموغل فى الرمز .

وبعد ، فكيف تصبح لغة الشعر المؤلفة بين ابناء البشر ، مهما تناءت بهم الازمنة والامكنة ، مثار نزاع وخلاف ؟ وهل يريد الشاعر الا ان يدعونا بواسطتها الى الانصات اليه ، ومشاركته آلامه أو مسراته ؟ وهل نريد نحن قراءه الا ان نتمكن من الاستجابة لما يدعونا اليه خفاف الخطى ؟ وهل يستقيم للغة الشعر معنى الا بهذا اللقاء الجميل الرائع ، الذي يهزأ بعوامل التفرقة الكثيرة التي تباعد ما بين الناس ؟ فما جمع بين الناس شىء كالاشياء الجميلة ، اذ يلتفون حولها ، ليذوب ما بينهم من خلافات ، ولا يبقى الا هذا الشعور الذي ينتظمهم جميعا بجمال الشىء فى الادب أو الفن أو الطبيعة ، بقطع النظر عما يكون هناك من خلاف فى ملابسات الشعور الدقيقة . فحول ورود الخمائل تحوم قلوب حانية ولهى ، وفى موجات النغم تتعانق ارواح هائمة سكرى ، وفى رياض الادب والشعر تتزاوج الضمائر والقلوب والارواح تزاوجها الذي لا يقلروعة عنتزاوج الكلمات الراعشة فى ديباجةالادب والبيان . فكيف يقدم لنا الشاعر عواطفه تختال فى نغم يصبي الالباب ، ويضع بين ايدينا قلبه نابضا متدفقا بالنور ، ثم نخلص من كل هذا السحر لنسأله: كيف ؟ ولماذا ؟ وعلام ؟ هل نحن قادرون على أن نواجه بنفس الاسئلة النجم اللامع ، والبلبل الفريد ، والحمامة النائحة ، والنسمات الرقاق ، والاصائل العذاب ؟ انها يا صديقي ضريبة الكلمة !! الكلمة التي لم يعرف الانسان مسؤولية فى الحياة الا منذ أن عرفها فأدرك المهام الجسام التي تنتظره فى الحياة . قالها رب العالمين لرسله العظام ، فحملهم مسؤولية تنوء بحملها الجبال الرواسي ، وقالها هؤلاء لاقوامهم فغيروا من مصائرهم ، ووضعوا على كواهلهم التمكين لكلمة الله فى الارض ، والقاها المصلحون وقادة الفكر الى شعوبهم فتجشموا غوالي التضحيات لاعطائها مدلولها الحقيقي ، فاذا نطق بها الشاعر والقى بها الى الناس ، كان مطالبا بان ينهض

الشاعرية ما يبوئهم مكانة عالية في قلوب عشاقهم ، اذا نحن فعلنا ذلك ، ارتبطت عندنا أخيلة الشعراء الافذاذ وعواطفهم بالصور ، والقوالب التي افرغوها فيها ، بحيث كثيرا ما يحدث ان تختلج نفوسنا بعاطفة شبيهة بالعاطفة التي سبق أن أثارها الشاعر فينا عند قراءتنا لقصيدته ، فتستدعي صورتها اللفظية لاذهاننا بطريقة محض تلقائية ، كما صاغها فيها الشاعر . فنحن مثلا لا نتألم لتطاول الصغار على الكبار الا ويطفح على ألسنتنا قول الشاعر :

**واذا أتتك مذمتي من ناقص**

فهي الشهادة لي بأني كامل

ولا نتعرض مرة لظلم الاخ او الصديق ، الا ونلقي بثقلنا على بيت زهير :

وظلم ذي القربى اشد مضاضة

على المرء من وقع الحسام المهند

وهكذا دواليك .

والسؤال الموضوع الآن هو : هل تكون لغة الشعر بهذا الاعتبار حائلا دون انطلاقتنا العاطفية التي نود الا يحدها شيء ؟ ذلك أن عاطفتنا عندما تندفع تصطدم بالنص الشعري الملائم لها تماما فتتبلور فيه ، وقد تتحول الى معنى محنط في لفظ . هل يكون الشاعر قد اساء الينا عندما فرض علينا عبارة قوية ترتبط بالاحساس الذي ترمز اليه ، كلما تحرك في حياتنا النفسية ، بحيث لو لم تقف هذه العبارة في مواجهتنا تحاصرنا من كل جانب ، لكانت لنا وثبات خيالية وشطحات عاطفية لا يحدها شكل من من اشكال التعبير ؟

نريد أن نتناول القضية في نطاقها الواسع ، واضعين نصب اعيننا بادىء ذي بدء ، ان العواطف المجردة عن أي قالب او شكل حسي تكاد تكون منعدمة . فكل عواطفنا تقريبا ترتبط بمدركاتنا الحسية المتنوعة ، فالاماكن والاشخاص والاحداث والاصوات كلها تكون اشكالا لعواطفنا لا تنفصل عنها ابدا ، بل تنتقل معها بانتقالها معنا من طور الى طور ، ومن حالة الى اخرى ، فعندنا من العواطف — مثلا — ما يرتبط بظلام الليل ، او حريق مهول ، أو أمطار طوفانية ، أو شخص اتصلنا به زمنا ثم ولى عنا الى الابد ، أو قطعة موسيقية انتشينا بسحرها زمنا ، وما الى ذلك مما لا يحصى عددا لانه يتسع أتساع تجاربنا العاطفية . ولعل العلة في ذلك ميل الانسان الفطري الى ان يركز خواطره وعواطفه في اتجاه معين او اتجاهات معينة ، كبديل عن تشوشها واضطرابها والاشكال الحسية هي خير ما يحقق هذا الغرض . وما القالب اللفظي الا احد هذه الاشكال بل هو اقواها فعالية واسرعها استجابة لحاجيات الانسان العقلية والروحية . وقد لا تأتي بجديد عندما نقول مع علماء اللغة ان الانسان يفكر بالالفاظ ، فكل عملياته العقلية تتخذ من الالفاظ قالبها الطبيعي الذي به تنتظم الافكار ، وفيه تتبلور الاحاسيس . وهذا هو الاساس الاولي في ارتباط كثير من خواطرنا وافكارنا ومشاعرنا بقوالب شعرية قوية ، لها علينا سلطان ليس الى مقاومته من سبيل . فنحن نلقي بثقلنا المعنوي على النص الشعري ، لكوننا نجد فيه الصورة التي نرتضيها لمشاعرنا ، والتي ما كنا لنعثر على اجود منها — في اعتقادنا — لو كان الينا شيء من مقاليد الكلمة الشعرية . والنص الشعري يختلف اسلوب تأثيره فينا باختلافنا في خصوبة النفس قوة وضعفا ، فهو حاجز يعوق عن الانطلاقة الروحية بالنسبة لبعض النفوس الفقيرة ، في استعدادها الفكري والعاطفي ، وهو نقطة انطلاق نحو آفاق مشرقة بالنسبة لبعض النفوس الفنية القوية الخصوبة . هذا الى ان النص الشعري نفسه قد يكون محدود الدلالة ، شحيح المعاني ، ضئيل الايحاء ، وقد يكون مثالا للحيوية والقوة والعمق . فيحول دون توثب المواهب وتفتحها في الحالة الاولى ، ويكون قوة دافعة لها في الحالة الثانية، وقوة النص وضعفه يقاسان بمدى استعداد المتلقي ، فرب نص تعتبره أنت في منتهى القوة والاصالة ، وهو عند غيرك متهافت هزيل ، الى طبيعة اللحظة التي نكون فيها عندما نستعير النص الشعري للتعبير عما نجده من خاطر او احساس ، فهي قد تكون على شيء ، غير قليل من الكثافة وضيق الافق ، فتصيب الطبع بالبلادة ، والسليقة الفنية بالجمود ، أو تكون فياضة المعاني ، مشرقة الجوانب ، فتتيح لنا ان نحيي النص الشعري الى ابعد جوانبه ، ونمتص كل معطياته ، وكأنما هو مفتاح لدنيا من السحر والفتون . واجمل القراءة الشعرية تلك التي تجتمع لها هذه العناصر الاساسية : نص شعري فيه طرافة وابداع ، يتجدد كلما عاودت النظر اليه ، والتأمل فيه ، وقارىء كفء للنص ، يمتاز بخصب النفس ، وقوة الطبع ، والمرونة النفسية للتكيف مع الاجواء الشعرية على اختلافها ، ولحظة غنية مشرقة تتم فيها عملية القراءة ، فاذا اجتمعت هذه العناصر ، فلا خوف على حرية خيالاتنا وعواطفنا من هذا السياج الرقيق ، الذي تضربه النصوص الشعرية حولنا ، لانه سيكون حينئذ من الشفوف ،

اليها عن رضى واختيار ، ديدن الانسان فى جميع مواقفه فى الحياة . فهو يخاطب بصفة فردية يحتاط فى تقبل ما يلقى اليه ، ولا يمزجه بنفسه بكل سهولة ، وبالعكس عندما يكون الخطاب موجها الى مجموعة من الناس يكون هو ضمنهم ، فانه تسقط عنه بعض الكلفة ، ويولي عنه الحرج .

بيد ان القارىء او السامع يخيل اليه وهو يتلقى الوحي الشعري عن الشاعر على انفراد ، انه مسوق اليه وحده ، على حين أن أرواحا عديدة حامت حول النص الشعري ، وحملت عنه انطباعات، ومستها منه نفحات من شواظ الجحيم ، أو نسمات من برد الجنة . فليت شعري كم مهج تلظت حول بيت قيس ليلى :

قضاها لغيري وابتلاني بحبها
فهلا بشيء غير حب ليلى ابتلانيا

وكم نفوس تفتحت للدنيا ، وافتتنت برونق العيش، منشدة مع بشار :

وكأن رجع حديثها
قطع الرياض كسين زهرا
وكأن تحت لسانها
هاروت ينفث فيه سحرا
وتخال ما جمعت عليـ
ـه ثيابها ذهبا وعطرا

ولكنك اذ تقرأ هذا الشعر فى وحدتك ، بعيدا عن ضجيج الدنيا من حولك ، لا تسمح الا لهذا الصوت العذب الذي يحدثك به كل من قيس وبشار ، توشك ان ترى ان الشاعرين انما يتحدثان اليك انت دون بقية الناس . لولا السياق الذي ينفي كل مواجهة خاصة ، ولولا أن بينك وبينهما عصورا من التاريخ . فهذا الازدواج بين عالمية الشعر ، بوصفه لغة انسانية ، وبين انسجامه مع الحياة النفسية الخاصة بالفرد ، بقطع النظر عن لونه أو جنسه او وطنه ، أو أحد مقومات الشعر فى نقطة ابتدائه ونقطة وصوله ، وهو المعادل الخارجي لانبثاق الشعر عن الشاعر باعتباره فردا له مقوماته الذاتية ، وباعتباره انسانا تتمثل فيه المشاعر الانسانية العامة، فى مستواها العالي وافقها المشرق . فعند ما نتلقى العمل الشعري من مبدع الفن ، تقع الاستجابة السريعة فى نطاق المشاعر الانسانية المشتركة ، لتمهد الجو للاضافة الخاصة التي يقدمها المبدع الينا من خلال الشعور العام ، الذي يكون حينئذ بمثابة رشوة لاذواق القراء وحواسهم الفنية ، كي تتقبل تلك الاضافة بكل ما تحمله فى طبيعتها من خصائص ومميزات ، قد تكون شاذة احيانا أو هي موغلة فى فرديتها . فأنت — مثلا — عندما تقرأ لابي نواس ، تجده يمزج بين شذوذه الجنسي ، وبين ملامح الغزل الذي يسير وفق الفطرة السوية ، فينقل بعض صفات الانثى الى الغلام ، ويبرز الغلام فى هيئة الانثى، ويسوق اليه العواطف الحسية التي قد تساق الانثى عند الشعراء الغزليين . وابو العلاء يثير احساسنا المشترك ، ويخاطب عواطفنا العامة ، بواسطة مرثيته المعروفة بالدالية ، فهو يذكرنا بالموت، متخذا من شحنة العواطف الحزينة التي يفجرها فى نفوسنا وسيلته لبث آرائه فى عبث الدهر وضياع جهود الانسان ، والتناقض المر البغيض ، بين طموح الانسان وبين هذه الجبرية الصارمة التي تخضعه لنوامس الكون ونظام الحياة والموت ، هذا الى ايغاله فى نظرته التشاؤمية التي قد تعدينا أحيانا ، لانها قدمت الينا فى شحنة من العواطف العامة التي نتقبلها دون تحفظ ، فهي اذ تعمل عملها فينا تبث فى فى نفوسنا ما تحمله فى تموجاتها من آراء غريبة ، أو معتقدات شاذة ، أو خواطر لا عهد لنا بها ، كنا قمينين برفضها لو انها قدمت الينا بأسلوب مباشر . قد يشق علينا جدا أن نتقبل قول ابن الرومي فى رثاء ابنه الاوسط :

وما سرني أن بعته بثوابه
ولو انه التخليد فى جنة الخلد

لو لم يضع الشاعر احساسه هذا ضمن مزيج من الاحساسات التي تصلنا بمكانة كل ولد من ابيه ، واللواعج المحرقة التي تنتابه عندما يودعه باطن الارض ، بعد ما ملأ نفسه بالآمال ، وبيته بالمرح ، وأبوته بالغرور ، بحيث لم نكد نصل الى بيته السابق حتى كنا مستعدين نفسيا للتجاوب مع هذا الحنان الابوي البالغ حدا بعيدا من القوة والعمق ، والذي لا يخلو من علو لا يتناسب وصدوره من اب مومن بالله راض بحكمه ، حتى اننا نترك كل مناقشة مع الشاعر فى هذا الذي أحسه وذهب اليه ، لاننا مغلوبون على امرنا ، من جراء ما تقدم بين يدي ذلك من شعر رائع ، يخاطب العواطف الانسانية العامة ، ويصيبها فى الصميم .

فاذا نحن خضعنا لسلطان الشعر ، واسلمناه زمام نفوسنا ولو الى حين ، وتكرر هذا الموقف منا بالنسبة لشعراء عديدين ، يملكون من قوة

# محمد كرد علي

للأستاذ عيسى فتوح

## عصــــره :

ولد محمد كرد علي بدمشق عام 1876 ، وما كـاد يفتح عينيه للنور ، ويفرغ في مباديء دراسته الاولى حتى وجد نفسه في عصر يعمه الفساد من جميع النواحي السياسية والدينية والاجتماعية ، فالعصر عصر الولاة العثمانيين مملوء بحوادث النهب والسلب والقتل والمصادرة كما قامت الدعوة الوهابية في نجد وقد سميت هذه الايام بالايام السود « في السياسة والادارة والدين » ولخص كرد علي هذا العصر في فصل من فصول مذكراته بعنوان « عيدنا الوطني » اشار فيه الى احتفال سورية بعيد الجلاء ، كما اتى على ذكر امراضنا وعيوبنا كفقدان الحرية والاستقلال ، وما نشأ عن ذلك من ضعف السياسة والعلم والاخلاق واللغة والتفكير والصناعات وتباعد ما بين الطبقات ، وسطوة القوى على الضعيف ... فلا بد من رجال يؤيدون المسألة ويضعون الدواء موضع الداء

وقد اشار احمد فارس الشدياق من ادباء القرن التاسع عشر الى سطوة الترك اكثر من اهتمامه بسوء سياستهم وولايتهم ، وهكذا كان عصر الشدياق ومحمد كرد علي من اسوأ العصور في الاجتماع والسياسة والاخلاق والعادات ، وقد اتفق على الاعتراف بمساويء العصر واختلف في اساليب الاصلاح

## صحافته في مصر :

لم يجد كرد علي اداة ينبه بها الاذهان ويبصر بها الولاة على سوء سياستهم الا الصحافة فمارسها وهو ابن ست عشر سنة ، وحرر اول جريدة ظهرت في دمشق عقب اعلان الدستور العثماني واسمها « الشام » وبقي فيها ثلاث سنوات يكتب المقالات والاخبار ، ولم يستطع التعبير عما يريد لانها كانت خاضعة للرقابة ، ثم اتصل بمجلة « المقتطف » ، وكتب اول مقالاته فيها بعنوان « اصل الوهابية » ، فشاعت شهرته ثم حرر في «الرائد»المصرية موضوعات فيه السياسة والاجتماع والاداب ، ثم كتب في « المؤيد » لعلي يوسف واحمد ماضي ، فطارت شهرته واصدر وهو في مصر مجلة « المقتبس » ولما عاد الى دمشق اصدر فيها جريدة « المقتبس » ، وما ان اعلن الاتراك الدستور ، حتى كانت اول جريدة يومية تصدر في دمشق هي «الشام» فكانت اسبوعية بالعربية والتركية .

لقد رزق كرد علي ملكة بالغة في النقد ، فصور في عصر الظلمات تأصل الاوهام والجهل وتقديس اقوال ادعياء العلم والتقوى ، كما انتقد العصر الحديث واستفاضه علوم الدنيا فيه يبحث في الصحافة عن مرض الامة فيصف له الدواء الناجع ويفتش عن فساد القول فيهديه الى الاصلاح ، وقد اعانه على هذا النوع من البحث والارشاد تعمقه في تاريخ العرب والاسلام واطلاعه على كثير من آراء الفرنسيين في النقد والاجتماع ، وكان في صحافته مصلحا اجتماعيا وناقدا خلقيا

## صحافته في دمشق :

لقد وضع كرد علي اسلوبه في اصلاح المجتمع . اذ كان يصف عن ذكر المسائل الخاصة وبخوضه لباب المسائل العامة ، ومن شأن هذا الاسلوب ان يكون ذا تأثير كبير في المجتمع ، فقد اقبل الناس على قراءة « المقتبس » في بدء وصولها لانهم احبوا ان يتطلعوا الى

بحيث لا يحجبنا عن انفسنا ، ولا يحجب مطارح الخيال عنا ، وانما يكون باعثا على كثير من الابداع فى تخيل انماط الحياة المعنوية وتمثلها .

ولسنا مجافين للصواب ، اذا ذهبنا الى ان لغة الشعر قد تكون اقوى ايحاء عند الطرف المتلقي ، منها عند الطرف المبدع ، ذلك لان هذه اللغة تعيش بالنسبة لهذا الاخير بروحين : روح الشاعر بما لها من خصائص وشيات ، وروح المتلقي بما لها من ملامح ومميزات . فهي تأخذ من هذا وذاك ، ويتكون لها مزيج عجيب يزيد فى عمقها وفعاليتها حتى لتصبح احيانا لغة جديدة فى نكهتها وطبيعتها . فتقابل الطبائع والميول واجتماعها حول النص الشعري هو فى الحقيقة عملية خلق جديدة ، قد لا تقل عمقا واصالة عن عملية الخلق الاولى ، تماما كما يحدث عندما تطالعك وجوه مشرقة كلها صباحة ورواء ، فأنت تستمد قبسا من هذا الوجه ، لتمزجه بقبس من وجه آخر ، فيتكون عندك انطباع خاص لا ينتسب الى وجه دون وجه ، وانما ينتسب الى الوجوه التي طالعتك كلها ، عند تحليل العناصر التي يتكون منها ، وفى الوقت نفسه يكون فيه شىء من نفسك انت ، كما تشعر بالاشياء الجميلة وتتجاوب معها .

وما دمنا بصدد الحديث عن اسلوب تأثرنا كقراء بالنصوص الشعرية الجميلة ، فلا بأس أن نقف وقفة قصيرة عند مسألة اراها كالنتيجة الطبيعية لما سبقها من مقدمات : هل صحيح ما يزعمه بعض الباحثين من أن الاثر الذي يحدثه النص الشعري فى نفوسنا سريع الزوال ، وانه اذ يزول ، يترك المجال لنص آخر ليشغلنا هو الآخر فترة من زمن ؟ ان هذه الفكرة تكاد تتحول الى عقيدة عند الباحثين، ان لم تكن قد تحولت فعلا ، والطلاب يلقونها فيما بين أيديهم من كتب ، فيأخذونها على انها حقيقة مسلمة لا تقبل نقدا أو مناقشة . فهيا لنختبر مدى صمود الفكرة امام ما تبعثه فى عقولنا من شكوك حول قيمتها . فاذا كان المراد زوال كل اثر للنص الشعري من نفوسنا بعد انتهائنا من قراءته ، بحيث يمحى منها محوا ، بعد ان ملأها بكيفية مؤقتة ، فهذا لا يتفق مع أبسط نظريات علم النفس ، اذ الثابت ان كل شىء يمر بنفس الانسان أو يؤثر فيها من قريب أو بعيد ، لابد أن يخلف فيها آثارا لا تزول ابدا ، وانما تصاحبه فى كل ادوار حياته ، ويكون لها دخل كبير فى اسلوب تفكيره ، وطريقة تذوقه ، ومنهجه فى النظرة الى الاشياء . قد تستقر هذه الآثار فى ذاتنا السفلى ، أو ما يسمى بالعقل الباطن ، لتعود الى الظهور على مسرح الحياة النفسية ، كلما استدعاها مؤثر من مؤثرات الحياة المختلفة . وهكذا نستطيع ان نفهم ما يخلفه النص الشعري عندنا من اثر ، يدخل فى صميم حياتنا النفسية ، ولا يزول نهائيا . وما يظهر علينا من ابتهاج ببعض نصوص الشعر ، واكتئاب بنصوص اخرى ، ليس فى الحقيقة محوا لنوع من البواعث ، لتحل محله بواعث اخرى ، وانما ذلك ابعاد لشىء منها ليستكين فى عقلنا الباطن ، فيحل محله شىء آخر فى عقلنا الواعي . فنحن مثلا عند ما نقرأ هذا الشعر :

يا خليلي تيمتني وحيد
ففؤادي بها معنى عميد
غادة زانها من الغصن قد
ومن الظبي مقلتان وجيد
وزهاها من فرعها ومن الخد
ين ذاك السواد والتوريد

ينقل الينا ابن الرومي اعجابه بوحيد المغنية ذات القد الاهيف ، والعينين الجميلتين ، والصوت الهادىء الرخيم الذي يصبي القلوب والآذان ، وهو يجعلنا نتمثلها بكل هاتيك المفاتن والروائع التي خلعها عليها ، فنقع تحت سلطانها صانعة بنا مثل ما صنعته بالشاعر المسحور ، فاذا نحن انتقلنا من هذا الشعر لننشد مع الشاعر الآخر :

انساك محياك المماتا
فطلبت فى الدنيا الثباتا
أوثقت بالدنيا وأنت
ترى جماعتها شتاتا ؟
وعزمت منك على الحيا
ة وطولها عزما بتاتا
يا من رأى أبويه فيـ
ـمن قد رأى كانا فماتا

لا يكون معنى ذلك ان آثار الابيات الاولى في انفسنا القى بها خارجها بقدرة قادر ، لتمتلىء بايحاء الابيات الثانية ، وانما معناه فقط أن الاولى صارت ذكرى وشعورا غامضا يستقر هادئا وادعا فى اللاشعور ، وقد يتسلل خفية ليخفف من كآبتنا ونحن فى ظلال أبي العتاهية ، فاذا اخذنا شاعر مرح بعد خروجنا من جو اليأس المميت ، فقد لا يتركنا ما تخلف فى نفوسنا من هذا الجو ، وانما يجعل انشراحنا مبطنا بشىء من الظلال القاتمة التي القاها فى جنبات قلوبنا شاعر الموت فى الادب العربي، وهكذا تختلط عندنا حالات الاكتئاب بحالات الابتهاج ، واي الناس تصفو مشاربه ؟

فاس : **عبد العلي الوزاني**

3 — « كنوز الاجداد » : اهداه الى شيخه طاهر الجزائري ، وفيه تعريف ببعض رجال الاسلام والادب والتاريخ والفلسفة

4 — « اقوالنا وافعالنا » : اهداه الى الملك فاروق وقد حاول فيه ان يعالج بعض المشاكل الاجتماعية كما تعرض فيه لوصف طبقة من الناس ويشتمل على اربعين مقالة

5 — « غرائب الغرب» : سرد فيه ووصف ما رآى في رحلاته الى اوربا وخاصة فرنسا التي اشاد بمدنيتها ومن هذا الوصف نستطيع ان نستنبط سرا من اسراره وهو تجرده لاصلاح المجتمع ، وذلك بعد ان رآى من اثار الحضارة والسياسة والاجتماع والعلم والاخلاق والزراعة والاقتصاد في مظاهر الحياة كلها ، وهو بهذا مثل احمد فارس الشدياق في اهدافه الاصلاحية وفي تحسره على الشرق وتخلفه عن الغرب .

6 — « مذكراته » : وقد تعرض فيها لاخلاق رجال باسمائهم ، عاش بينهم فدون كل حق عرفه ... ويجمع اسلوبها بين الهزل والسخرية . وقد مدح الملك فيصل بصحة عقله وسداد رايه في الجزء الثالث منها ، وكان قد نعته بضعف الارادة وسوء السياسة في الجزء الاول . وفي الجزء الثالث ذكر ايضا حسني الزعيم وقال عنه بانه ادهش العالم بثورته ، ثم ذكر قول سامي الحناوي فيه ، بانه طاغية مجرم ، وكان كرد علي شعر بتناقضه فقال بعنوان«انا والعقيدة» . اما بعد فلا يطلب ممن كثر اطلاعه على الاراء المختلفة ان يظل على راي واحد طوال عمره في عويص المسائل » ، وقد كان لهذا الكتاب ضجة في مصر والشام لانه هتك ستر كثير من الناس . والناحية التي برز فيها انما هي جملة من الخواطر العامة التي لم يعرض فيها الاشخاص معنين ، وفي الكتاب موضوعات مختلفة في الاجتماع والعادات والاخلاق والسياسة والادب ، واذا كنا لا نرى في المذكرات تسلسلا في حياة صاحبها ، فانا نجد فيها مزاجه وعصبيته .

**فنه :**

ان بيانه هو ابرز ناحية من نواحي عبقريته ، فاسلوبه هو خلاصة اساليب عبد الحميد الكاتب والجاحظ وابن المقنع وابن عبد ربه والغزالي وابن خلدون علما ان هذا البيان قد عملت فيه عوامل اخرى هي مطالعته الكثيرة لكتب الغرب فاكتسبته الصحافة مرونة عجيبة على الكتابة ، وقد صلحت لغته للموضوعات العاطفية والعقلية ، وهو يقطع جملة في بعض الاحيان تقطيعا موسيقيا فنلمس في تقاطيعها روح الجاحظ ، كما يعدل عن ذلك احيانا اخرى فيعد العباءة ويبسطها .

وخلاصة القول ان كرد علي يرتفع في بعض الاحيان الى منازل البلغاء المتقدمين ثم ينخفض الى مراتب دون مراتبهم كما نراه يساير الاخباريين في الصحف الاخباريين الذين همهم رواية الاخبار على اي وجه كان وهكذا فليس لكرد علي نمط واحد في الانشاء ولكنه اذا ارتفع في انشائه بلغ من المكانة مكانا رفيعا

**اللاذقية — عيسى فتوح**

النور بعد الظلام ، وكانت تهديهم سواء السبيل ، وتفتح اذهانهم وتثقف عقولهم ، وقد كان « للمقتبس » اثار معنوية ونتائج عملية ، اذ كانت تفصح على الرأي العام في البلاد . كما نحى من جرائها بعض الولاة والموظفين، ولا ادل على تأثير جريدته في بيئته ، وعمل مقالاتها في القراء من اضطهاد الولاة له ، للعداء الذي لقيه بسبب الصحافة . حتى اضطره الامر الى الفرار من دمشق مرتين ، مرة الى بيروت عن طريق البحر ، ومرة الى القاهرة عن طريق البر ، فلاقى انواع العذاب ، وقد حاول حزب الاتحاديين اغتياله لانه ـ كما قال ـ اصلاهم نارا حامية على السياسة التي انتهجوها مع العرب . الى جانب مقالاته القومية كان يدافع عن العرب باحياء اعاظم الرجال ، حتى تتفتح عيون اهل العصر عليهم .

## ثقافتــــه :

اثر كرد علي الى دراسته الابتدائية في مدارس (كافل سپاي) الاميرية وانه نال هناك شهادته من الدرجة الاولى ، ثم دخل المكتب الرشدي العسكري . فدرس فيه مباديء التركية وبعض مباديء الفرنسية واحرز شهادته بدرجة متوسط . والواقع ان الذي انضج عقله هم شيوخه بصورة خاصة ومطالعاته الكثيرة ، اما شيوخه فيذكر منهم الشيخ طاهر الجزائري والشيخ عبد القادر المبارك والشيخ سليم البخاري ، واما مطالعاته فكانت في كتب اللغة والادب والبيان والاجتماع والتاريخ والتفسير والفلسفة من الكتب القديمة ، وكذلك انكب على دراسة المحدثين كالشدياق والطهطاوي وغيرهما ، كما طالع كتب كتاب المهجر ، وكانت له صلة باكثر المستشرقين . وقد اتاحت له اسفاره الاتصال بثقافة الغرب وزيارة المدارس في نواحي فرنسا لكونه وزيرا للمعارف السورية . لقد انتفع بمطالعاته جدا ولو انه جرى على الاصول الحديثة فيها وثبت المهم على جزازات لكانت الاستفادة اعظم .

## دفاعه عن العرب والاسلام :

كان هذا الدفاع مزدوجا ـ فمرة يدافع عن العرب ومرة يدافع عن الدين ، وينقد الكتب التي يقرؤها وتتجلى النزعة القومية في نقده بصورة سهلة بسيطة . اذ كان يقف بالمرصاد لكل كاتب يحس بان فى كتاباته بعض الانحراف عن الحقيقة بين العرب والاسلام ولم يقتصر في ذلك على الشعور وانما ياخذ بحجج لا ترد في بعض الاحيان ، لم ينقد الرهبان الذين غمزوا في الاسلام وانما تصدى لغير رجال الدين امثال امين الريحاني في كتابه ( النكبات ) وعلى الرغم من شدة شعوره القومي فان افكاره لا تخلو في بعض الاحيان من شيء من الانصاف ـ فمن ذلك اعترافه بمساويء الامويين الى جانب محاسنهم . وهو من الميالين الى التعاون بين الشرق والغرب ومن هنا اختلفت نظرته عن نظرة الجمهور الذي جهد في سبيل حرية بلاده . ويبدو لنا رأيه هذا في رده على كتاب ( تاريخ فلسطين ) .

لقد اندفع كرد علي في حب مصر ويرجع ذلك من جهة الى صلة مصر بالشام منذ القديم ، والى فضل مصر واثرها في بلاد العرب الحديثة ومن جهة ثانية الى ما لقيه في مصر من ادب المصريين ورفعتهم . حتى انه اثنى على العقاد والزيات والمازني وهيكل ، وغيرهم الا ان لهجته بحب المصريين لم تستمر على حالة واحدة وانما انخفضت انخفاضا شديدا وانقلب الرضى الى سخط عنيد اكل . واذا رجعنا الى الاسباب التي انقلب من اجلها وجدناها ناشئة غالبا عن طبيعة مزاجه العصبي وهو اذا غضب لا يبالي بنتيجة غضبه وانما همه ارخاء نفسه على سجيتها ، وهكذا هدم في اواخر حياته ما بناه من حب مصر والمصريين

## مؤلفاتــــه :

1 ـ « خطط الشام » : ويقع في ستة اجزاء تشمل على تاريخ سياسة الديار الشامية ومدنيتها من اقدم العصور حتى عصرنا الحاضر ، ونجد فيها خصائص كتابته للتاريخ

2 ـ « امراء البيان » : وهو جزءان . تعرض فيهما لعشرة من امراء البيان ، ووصف عصورهم في السياسة والمدنية وذكر عوامل نشأتهم ، وتوخى تحليل ادبهم وعلمهم . وفيه نجد خصائصه في الادب .

الطلبات المتواصلة التي تتقدم بها مختلف البلـــدان للحصول على خبـــراء في ميادين علم النفس المدرسي والتربية التجريبية وتخطيط التعليم وعلم الاجتمـــاع الخاص بالتربية والنمو كما سجلوا فيه تعدد نشـــاط المعلمين والتلاميذ وما يتوقف عليه من أماكن دراسيـــة ملائمة ومضاعفة الاصلاحات المدرسية في جميـــع الاقطار وضرورة اعتبار هـــذه القضايا من جهـــة مظهرها العلمـــي . وقد نـــص المؤتمر علـــى ضرورة ايجاد حلول مختلفة لمشاكل البحث التربوي تستجيب للظروف والامكانيات والتقاليـــد والانظمة الخاصـــة بكل قطر كما نص على أن من واجب علوم التربيـــة باختلاف ضروبها وأنواعها واشكالهـــا ان تحقق النمو الكامل للكائن البشري ، من جميع نواحيـــه البدنيـــة والمعنوية والخلقيـــة والجمالية والاجتماعيـــة حتـــى يحصل على امثل تكويـــن واحسن اندماج اجتماعي .

## 1 ـــ اهداف البحث التربـــوي :

يعد تحديد هذه الاعتبارات الاساسيـــة التي لا يتصور الاهتمام بالبحث التربوي دون تقديرها والتمكن منها انتقلت التوصية الى الكـــلام عن اهداف البحث التربوي . ويمكن اجمال هذه الاهداف في النقط التالية :

يتعين على التربية ان تحـــدد غاياتها وتحســـن باستمرار وسائل عملها ومحتواهـــا وطرقها ، ولـــن يتأتى هذا الا اذا تم تنظيم البحث التربوي وتطوره .

يعد البحث التربوي ضرورة ملحة لاقرار التربية على مقاييس علمية ناتجة عن الدراسات النظريـــة والتاريخيـــة والملاحظة المجـــردة وتجربـــة المربين .

ويتلخص هدف البحث التربوي في اكتشـــاف القوانين المجردة والمبادىء الاساسية لنظام التربيـــة وضمان تطور النظرية وتحسيـــن طرق تطبيق العمل التـــربـــوي .

ولتحقيق هذا الهدف يتحتم وضع دعائم نظريـــة وعلمية لتصميم عام للتربية بواسطة دراسات مجـــردة متعلقة بالامكانيات والحاجيات البشريـــة والماديـــة في الحاضر والمستقبل ، ومن الضروري أن ينسجـــم هذا التصميم الهام مع الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافيـــة والتشريعيـــة والسياسيـــة للتربية .

ومن اهداف البحث التربوي تحسين قيمة التعليم ورفع انتاجه ، ويتحقق هذا التحسين باصلاح البرامج والطرق التربوية في جميع مراحل التعليم واطـــواره حسب طاقة جميع التلاميذ في مختلف اعمارهم وقدرتهم على هضم هذه الاصلاحات وقابليتهم لهذه التغييرات .

ولن يتسنى للبحث التربوي أن يلعب دوره كاملا في رقي التعليم وتطور التربية الا اذا درست **الوسائل** الكفيلـــة :

**أولا** ـــ بتحسيـــن انتاج طرق التوجيه المدرسي والمهنـــي .

**ثانيا** ـــ برفع قيمة التربية التي يتلقاها الطفـــل خارج اسوار المدرسة من طرف عائلته ومنظمـــات الشبـــاب التي ينتمـــي اليهـــا .

**ثالثا** ـــ بتنظيم الدراسات في موضوع التربيـــة المقارنة . هذه هي الاهداف التي حددها المؤتمـــر للبحث التربوي ، ومما يلفت النظر في هذه الفقـــرات الحاح المربين على ضرورة تحلي البحث بالتجـــرد الكامل عن النزعات السياسية واعمال الديماغوجيـــة وابتعاده عن كل ما لا يتصل بميدانه حتـــى لا تكـــون اعماله عرضـــة للضيـــاع .

## 2 ـــ تنظيـــم البحث التربـــوي وطبيعـــة الاشغـــال المتعلقـــة به :

بعد ما تعرضت التوصيـــة المتعلقة بالبحـــث التربوي الى اهداف هذا البحث والحث على صبغـــة التجرد التي يتحتم ان يتزين بها انتقلت الى الكـــلام على تنظيمه ونوع الاعمال التي يتطلبها ويختص بها . وقد جاء في هذا الجزء ان من الواجب على المؤسسات الحكومية والحرة على السواء تخصيـــص اعتمادات مهمة للبحث التربوي ولباحثيـــن مستقليـــن حتـــى يستطيعوا أن يضطلعوا باعمالهم ، في احســـن الاحوال ، وان يقوموا بتنفيذ منجزاتهم ونشر آثارهـــم ويتعين اعتبار قيمة الابحاث في ميدان التربية والتوفر على شروط التجرد والنزاهة والمراقبة والصرامـــة والجدية العلمية التي يفرضها جميع الذين يقفـــون حياتهم للقيام بهذه الابحاث على أنفسهم .

وتنحصر ميادين نشاط البحث التربوي في الغايات التي تحدد له كعلم قائم بذاته ، ويشمل هذا النشاط الدراسات ذات الطابع النفسانـــي والاجتماعـــي والاقتصادي كما يشمل دراسة طرق التربية ووسائلها في مختلف اشكالها بعد اعتبار حاجيات التلاميذ والطلبة ومؤهلاتهم وحاجيات المجتمع وامكانياته .

واذا كان في الامكان اجراء الاعمال الخاصـــة بالبحث التربوي في المعامل والمختبرات والاقســـام وغيرها من المرافق الاجتماعية فان هذه الاعمال تحتم استعمال طرق الرياضيات والاحصائيات وتحليـــل

# للتربية والتعليم

## المؤتمر التاسع والعشرون

## البحث التربوي

للأستاذ : عبد اللطيف خالص

- 3 -

تعرضنا فى الفصل السابق الى موضوع البحث التربوي وبينا الاهمية التي اخذ يكتسيها فى مضمار التعليم والتربية والتي تجلت فى مختلف التقارير التي أعدتها الدول المشاركة فى المؤتمر الدولي التاسع والعشرين للتربية والتعليم والتدخلات والملاحظات التي ابداها الاعضاء والنواب الذين ساهموا فى اشغال هذا المؤتمر ، ونود اليوم أن نلقي نظرة على التوصيات التي خص بها المؤتمر قضية تنظيم البحث التربوي .

لقد افتتح المؤتمر هذه التوصية التي تحمل رقم ستين باستعراض الاعتبارات التي دفعت اعضاءه الى الاهتمام بالبحث التربوي ثم قسمها الى ستة اقسام تشتمل فى مجموعها على اثنين واربعين من الفقرات وهذه الاقسام هي :

1 — اهداف البحث التربوي ويتركب من ست نقط .

2 — تنظيم البحث التربوي وطبيعة الاشغال التي يتطلبها ، ويحتوي هذا القسم على 12 فقرة .

3 — تطبيق النتائج وتوزيعها على الدول الاعضاء ، ويتكون هذا الفصل من عشر نقط .

4 — الموظفون المكلفون بالبحث التربوي ، ويضم هذا الجزء 16 نقطة.

5 — التعاون الدولي فى ميدان البحث التربوي وهو يشتمل على ثلاث نقط .

6 — تطبيق التوصية فى ثلاث نقط .

وقد ورد فى الجزء الخاص بالاعتبارات الدواعي الاساسية التي ادت بالمؤتمر الى اظهار أهمية البحث التربوي وابراز الدور الحيوي الذي اخذ يلعبه فى مضمار التربية ، ان المؤتمر الدولي للتعليم العمومي ما عتم يلح اثناء الدورات الماضية وخلال المهرجانات والندوات التربوية التي عقدت فى مختلف جهات العالم حول ضرورة معرفة الطفل والكائن البشري ، بصفة عامة ، من حيث جوانبه النفسانية والتربوية ، وجعل هذه المعرفة نقطة الانطلاق لكل عمل تربوي .

ونصت هذه الاعتبارات على الاهمية القصوى التي يكتسيها البحث العلمي فى جميع الميادين المتعلقة بالنشاط البشري ، كما جاء فيها ان حل المشاكل التربوية يتوقف عاجلا أو آجلا على البحث المجرد والتجربة العملية وان الاهمية المتزايدة التي عدت تكتسيها الدراسات المتلعقة بالتربية تدل على أن هذه الاخيرة ترمي الى تحقيق تقدم البشرية من النواحي الخلقية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، وقد اعتبر هذا الجزء بصفة خاصة الالتزامات والفروض المتكاثرة التي تحتمها التخطيطات الدراسية فى مختلف مراحل التعليم واطواره والعواقب الخطيرة التي تنتج عنها فيما يخص صحة الاطفال وتطور دراساتهم كما اعتبر ضرورة نشر تربية مستمرة وتربية الكهول التي تقتضي استعمال طرق جديدة وتقنيات حديثة ، وسجل المؤتمرون فى هذا الفصل

مستوى تفكيرهم . ولن يكتب النجاح الكامل لهذا العمل الا اذا ربطت مراكز الابحاث التربوية صلات وثيقة بالسلطات المدرسية .

### 4 — الموظفون المكلفون بالبحث التربوي :

نظرا لاهمية البحث التربوي والآثار الجليلة التي يمكن ان يخلفها والتطورات الطيبة التي قد يحدثها في مجالي التعليم والتربية فان من آكد الواجبات ان يتوفر القائمون به على ثقافة محترمة وتكوين خاص لا يعقل أن تقل مدته على ثلاث سنوات ولا أن يعطى بغير الجامعات والمؤسسات التعليمية العليا و المعاهد التربوية الخاصة ، ويتكون هذا التعليم من دراسات نظرية عامة كالفلسفة والتاريخ ونظرية الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع وتكوين الجهاز العصبي كما يتكون من تدريبات على بعض طرق البحث العلمي .

واذا كانت هذه التوصية قد نصت على ضرورة توفر الرجال القائمين بالبحث التربوي على تكوين جامعي فان ذلك يرجع الى ان عملهم التربوي سيجعلهم مضطرين للاهتمام بالتعليم في مختلف مستوياته كما سيجعلهم على اتصال وثيق بمجموع المربين والمؤسسات التربوية .

وبما ان المشاكل التي سيتعرض لها البحث التربوي ستتطلب حلولا تربوية شائكة فمن المتعين ان يجري اعمال البحث التربوي داخل مجموعات بشرية يتحتم فيها التعاون مع اخصائيين آخرين كالفلاسفة وعلماء النفس والاجتماع والاحصائيات والاقتصاديين والمهندسين والاطباء المختصين بالامراض العقلية .

ومما لا يعزب عن البال ان مراكز الابحاث التربوية لن تستطيع القيام بمهمتها الا اذا توفرت على حاجياتها الضرورية سواء كانت هذه الحاجيات تتعلق بالافراد من اخصائيين ومساعدين أو كانت تتعلق بالتجهيز المادي من ادوات ومعلومات .

واذا كان من المرغوب فيه أن تنظم هذه الابحاث التربوية داخل المؤسسات الخاصة بها فان من المطلوب كذلك مساهمة بعض رجال التعليم فيها نظرا للمسؤوليات المتعددة التي يتحملها هؤلاء المعلمون والاساتذة وما يمكن أن يتوفروا عليه من ملاحظات ومعلومات خلال اضطلاعهم بأعبائهم المهنية اليومية ، ولن تأتي هذه المساهمة الا بأجل الفوائد على البحث التربوي وعلى هؤلاء المعلمين الذين سيرتفع مستواهم ويتحسن تكوينهم كما ستسمح للبحث التربوي بادراك الغاية التي يسعى اليها وهي تحسين التربية .

ومما لا ريب فيه ان رجال التعليم الذين قد يرغبون في مثل هذه الابحاث لن يستطيعوا القيام بمهمتهم الا اذا حظوا بنظام خاص يخفض من عدد الساعات التي يدرسون فيها ويسمح لهم بالحصول على المستندات والوثائق التي قد يرغبون في الحصول عليها والاتصال بمن شاؤوا الاتصال به من الشخصيات والمراكز العلمية ويتوفرون على تعويضات محترمة .

واذا كان من المطلوب أن يساهم المعلمون والاساتذة القائمون بمهنة التدريس في البحث التربوي فان هذا لا يعني أن يقوم جميع رجال التعليم بهذه التجارب مهما كان مستواهم وكيفما كان تكوينهم بل يتعين ان لا يقوم بهذه التجارب التربوية الا رجال التعليم الذين تلقوا من الاخصائيين ارشادات وتوجيهات في الطريقة العلمية للتعليم والبحث التربوي والذين يخضعون باستمرار في اعمالهم التجريبية ، لمراقبة صارمة من طرف رجال مختصين يقدرون قيمة اعمالهم وفعاليتها .

نعم ! لقد اخذ البحث التربوي ينتشر انتشارا محمودا في كل مكان ، الامر الذي يبشر بأن الاعمال التربوية لن تظل ضحية الارتجال والتهور ، وهذا ما يحتم ضرورة توفر اطارات التعليم والتربية ، سواء الاطارات التربوية أو الاطارات الادارية على تكوين نظري وعملي يجعلهم قادرين على تنظيم الابحاث التربوية تحت مسؤوليتهم والقيام بتجارب تربوية محدودة تدخل في مجموع الاشغال التي يقوم بها المسؤولون عن البحث التربوي ، ولن يتحقق هذا التكوين الا اذا حصل المعلمون والاساتذة على معرفة مبادىء البحث التربوي وتقنياته اثناء دراساتهم الجامعية حتى يكونوا على بينة من قيمة الاستقصاء العلمي في مضمار التربية وحتى تكون لهم الكفاءة المطلوبة لاستخلاص التطبيقات العلمية لهذه الابحاث .

### 5 — التعاون الدولي :

لن يستطيع البحث التربوي أن يدرك الغاية المنشودة الا اذا اعتمد سائر المهتمين به على تعاون دولي فعال بين المؤسسات الوطنية والاقليمية والدولية

نتائج الابحاث تحليلا دقيقا ، ومما لا ريب فيه ان أعمالا من هذا النوع تتطلب عمليات تهيىء نظرية حتى يتيسر التمييز بين البحث الصرف نفسه والاختراعات الحديثة وتدخل فى اطار البحث التربوي الابحاث المتعلقة بقوانين التربية وتاريخها بشرط ان تتم هذه الابحاث وفقا لمنهجها العلمي .

وقد عبر المؤتمر عن آماله فى أن يندمج البحث التربوي المتعلق بالقضايا العامة للتربية والتعليم فى تصميم شامل ذي غايات متوقعة حتى يتحقق بين بين الباحثين تعاون وثيق .

ويفرض تنظيم البحث التربوي الذي يعم البلاد وضع تخطيطات بعيدة المدى وتصميمات سنوية لكل مؤسسة علمية كما يفرض تنسيق مؤسسات علمية عديدة تتعاون لدراسة قضية واحدة .

وينبغي التفكير فى كل بحث وكل تجربة تخص التربية ومواصلتهما حتى لا يلحق أي ضرر بالتلاميذ ولا بالطلبة الذين هم موضوع هذه الدراسات.

ومما لا شك فيه أن التربية بصفة عامة والبحث التربوي بصفة خاصة ، يهمان مختلف العلوم ، وهذا ما يفرض الاستعانة ببعض الفلاسفة والفيزيقيين والنفسانيين والاجتماعيين وغيرهم من العلماء حتى تتم دراسة تكوين التلميذ فى مختلف مظاهر حياته ووجوده .

وقد نص المؤتمرون فى هذه التوصية على ضرورة توفر كل قطر على مراكز للبحث التربوي ومختبرات خاصة به . حتى يضمن تنظيم هذا البحث بكيفية فعالة مع العلم بأن نشاط مخبر للتربية التجريبية موقوف على بعض الشروط من الوجهة المادية ، ومما يحمل التذكير ان المخبر لا يحتاج الى ادوات مرتفعة الاثمان لانجاز عدد كبير من الابحاث .

ومن الشروط الضرورية لنجاح هذا العمل التربوي أن يشترك فيه المربون والسلطات التعليمية فقد اظهرت التجربة التي جرت فى بعض الاقطار ضرورة مساهمة المعلمين العاملين بمختلف المؤسسات التربوية والمدرسية فى هذا العمل مساهمة نشيطة مباشرة .

وبما ان البحث التربوي التطبيقي يتجاوز المجهودات الفردية التي يقوم بها كل معلم لتحسين وسائل نشاطه فان هذا البحث يتطلب انشاء مدارس تطبيقية يتم فيها تغيير الوسائل بصفة جماعية وتتأتى فيها مراقبة هذه الاعمال حتى لا يتضرر منها النشاط المدرسي .

**3 — تطبيق النتائج واذاعتها :**

لا يعتبر البحث التربوي منتهيا الا اذا تأتى الشروع فى تطبيق نتائجه ، وهذا ما يجعل من الضروري تطبيق النتائج التي تم الوصول اليها بعد وضع تخطيط للبحث وبعد تنظيمه تنظيما محكما . ولن يتسنى دخول هذه النتائج فى حيز التطبيق الا بعد نشرها واذاعتها عن طريق المحاضرات والمعارض والدروس النموذجية .

فاذا تهيأت هذه النتائج انتصبت المصلحة المكلفة بتنسيق البحث التربوي لوضع كشف عام لهذه التجارب ونشرها فى الاطارين الوطني والدولي .

وتكتسي عملية نشر هذه النتائج شكلين اثنين :

**أولهما** : تحرير مقالات واعداد كتب تشرح الاحداث والنتائج المتولدة عنها حتى يتمكن الباحثون فى اقطار اخرى من تقدير العمل المنجز وتحديد الظروف التي يمكن ان تطبق فيها هذه النتائج فى بلدانهم .

**ثانيهما** : تحرير مقالات موجهة للمسؤولين الاداريين ورجال التعليم ومربين آخرين بشرط ان تكون هذه المقالات التوجيهية خالية من المفردات والعبارات التي لا يدركها الا المختصون .

ومن أهم شروط البحث التربوي اجراؤه باتصال وثيق مع المدارس نفسها حتى تستغل النتائج المتوصل اليها فى هذه المدارس كمراجع لابحاث اخرى .

ان البحث التربوي لا يعتبر غاية فى حد ذاته ولكنه وسيلة فعالة لنقل النتائج الى ميدان عملي يتجلى فى البرامج الدراسية والمشاريع التربوية .

واذا كانت بعض المصالح المكلفة بالبحث التربوي لا تتوفر علىمدارس تجريبية فان فى امكانها أن تنشىء اقساما تجريبية فى المدارس العادية وتدخل فى هذه الاقسام بصفة تدريجية نتائج الابحاث التي تم الوصول اليها . ويتعين ادراج نتائج البحث التربوي ضمن برامج مدارس تكوين المعلمين بأسرع ما يمكن ، ومن اجل هذا يتعين اخبار المعلمين والمسؤولين الاداريين والمفتشين بنتائج الابحاث وطريقة تطبيقها أثناء ندوات خاصة وخلال دروس تهدف الى تحسين تكوينهم وتعمق معلوماتهم ورفع

# استفتاء عام في موضوع اللغة العربية

للأستاذ محمد العربي الخطابي

**اولا :**

تعترض سير اللغة العربية مشاكل جوهرية منها:

ا ) تخلف الاقطار العربية ، اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، واللغة تتأخر حتما بتخلف الامة وتزدهر وتترعرع بتقدم الجماعة التي تتكلم بها .

الم تكن اللغة اليابانية واللغة الروسية متخلفتين منذ نحو مائة عام ، وكانتا قاصرتين ، الى حد كبير ، عن التعبير العلمي والتقني الذي ظهر مع الحضارة الصناعية ؟

ولنا امثلة من التاريخ ايضا : فاللغة العربية التي كانت لغة الشعر والتعبير المجرد فى الجاهلية والصدر الاول من الاسلام استطاعت ان تطفر طفرة كبيرة ، بسبب الفتوحات والثروة والاحتكاك ، فما لبثت أن انفتحت أمامها آفاق التقدم والرقي فأصبحت لغة العلم والفلسفة والادب والدواوين ( الادارة ) .

وبمقارنة ذكية يتضح لنا ما حققته اللغة العربية ، كذلك من تقدم ملموس فى مدة مائة عام فى مطلع النهضة العربية الحديثة .

ب ) تقاعس الحكومات العربية أو عجزها عن بناء الوحدة الثقافية التي هى فى نظري أس الوحدة السياسية والاقتصادية بين اقطار العرب . وقد بقي دستور الوحدة الثقافية العربية الذي وقعه وزراء التعليم فى بغداد منذ سنوات قليلة حبرا على ورق .

وما لم تصبح هذه الوحدة الثقافية العربية حقيقة قائمة فسوف يبقى الكلام عن توحيد المصطلحات العلمية ووضع المعاجم والموسوعات والكتب الدراسية على نحو منسق ، سوف يبقى الكلام عن ذلك ضربا من العبث .

ج ) الاستعمار الفكري الاوربي الذي كان من العوامل التي اضعفت الثقة باللغة العربية وعممت الجهل بها بين المتعلمين فى عدد من الاقطار العربية . وقد ضرب الاستعمار الفرنسي الرقم القياسي فى ذلك باضطهاده لغة الضاد فى تونس والجزائر والمغرب وانشائه طبقة متعلمة منفصلة عن جذورها جاهلة بلغة قومها وبحضارتهم .

هذه هي المشاكل الجوهرية ، فى نظري ، أما تبسيط النحو العربي وتوليد المصطلحات ووضع المعاجم الضرورية فكلها مشاكل ثانوية متفرعة عن تلك ومرتبطة بها .

**ثانيا :**

الحلول الناجمة ، كما اراها ، هي :

ا ) بناء الوحدة الثقافية العربية بأسرع ما يمكن . ومعنى الوحدة هو :

— مناهج دراسية واحدة .

— كتب دراسية واحدة .

المكلفة بهذا النوع من الابحاث . وسيكون لهذا التعاون الدولي اجمل العواقب اذ سيسمح بتقوية التبادل بين مراكز البحث التربوي خصوصا اذا ما تم تأسيس مصلحة دولية تجمع هذه التجارب وتدرسها وتنشر مختلف النتائج فى مجلات تربوية دولية كما سيسمح بتيسير الابحاث فى مضمار التربية المقارنة وطرقها وتذليل العقوبات التي قد تحول دون القيام بهذه الابحاث والمساعدة على وضع المسائل التي قد يضطر بعض الباحثين الى وضعها وتحديد موضوعات مشتركة للبحث التربوي بين قطرين أو ثلاثة والحيلولة دون تكرار نفس العمل والابتعاد عن التقيد وعدم الانطلاق الناتجين عن قلة الاتصال والاستخبار .

ومما تجدر الاشارة اليه أن المنظمة الدولية للثقافة والتربية والعلم (اليونسكو) والمكتب الدولي للتربية يبذلان جهودا محمودة لتسهيل تنسيق اعمال مراكز الابحاث التربوية بعقد مؤتمرات دولية واقليمية لمقارنة هذه الاعمال وبضمان توزيع الاخبار، المتعلقة بهذا النشاط التربوي عن طريق المجلات والافلام ...

ومع هذا فقد اوصى المؤتمر الشعوب المتقدمة فى هذا المضمار باتخاذ التدابير اللازمة لمساعدة الدول النامية بمختلف الوسائل كامدادها بالخبراء الاكفاء وتشجيعها ماديا ومعنويا على تأسيس مراكز خاصة بهذا العمل واعطائها المنح الضرورية لتكوين طلبتها الراغبين فى التخصص فى البحث العلمي وقبول بعض الطلبة كمتدربين فى المراكز الموجودة بأقطارهم .

هذه نظرة موجزة عن التوصية الستين التي اصدرها المؤتمر الدولي التاسع والعشرون للتربية فيما يتعلق بتنظيم البحث التربوي ، وقد ختمها بفقرات تهتم بمتابعة كيفية تطبيقها وطريقة مراقبتها فى مرحلة التنفيذ ملحا على مختلف الاقطار الاعضاء بالمكتب الدولي للتربية والتعليم حتى يعتنوا بالبحث التربوي وينظموا مراكز خاصة به نظرا لما فى ذلك العمل من ربح للتعليم وفائدة على مستقبل التربية والمربين ، ويتجلى من هذه التوصية ان المؤتمر لم يهتم بالبحث التربوي من حيث تنظيمه المادي ولكنه انكب على دراسة الجوانب البشرية والمعنوية ملحا حول ضرورة الاهتمام بالموظفين الذين سيكلفون بهذا النشاط التربوي الهام والذين يتعين عليهم أن يتوفروا على جميع الضمانات المادية والمعنوية حتى يستطيعوا القيام بأعمالهم فى جو من الراحة والهناء دون ان تضغط عليهم السلطات مهما كان نوعها أو اتجاهها ، ويتضح من الحاح التوصية أن من الواجب أن يتمتع المربون والعلماء المكلفون بالبحث التربوي بالحرية الكاملة والاستقلال التام فى عملهم حتى لا يتأثر نشاطهم ويفتر حماسهم وتضيع بذلك التجارب التربوية التي يقومون بها . ومما لا ريب فيه أن رجال البحث التربوي لن يتمكنوا من اداء مهمتهم الا اذا حصلوا على الاجور المناسبة حتى لا يظلوا منزعجين بالتفكير فى احوالهم المادية وحاجياتهم اليومية . وهكذا فقد نص المؤتمر على ضرورة احترام هؤلاء الموظفين وتمتعهم بالحرية والنزاهة والتجرد والحقوق المادية ليستطيعوا الاضطلاع بمسؤوليتهم التربية فى احسن الاحوال واطيب الظروف .

الربـاط : **عبد اللطيف احمد خالص**

# الوجادات

للأستاذ عبد القادر زمامة

- 3 -

**41 — معرفة محمد بن يزيد ... !**

اورد صاحب النفح نادرة عن ابي القاسم الشريف السبتي استاذ لسان الدين بن الخطيب مجملها :

ان أبا القاسم هذا كان فى مجلس حكمه يتلقى شهادة من بعض الغزاة .. فقال لهم : هل ثم من يعرفكم ... ؟ فقالوا : نعم .. ! يعرفنا علي الصباغ .. فتوجه اليه القاضي بسؤاله .. اتعرفهم يا أبا الحسن ..؟ فلم يكن من هذا الا ان اجاب القاضي على الفور .. نعم يا سيدي ..! معرفة محمد بن يزيد..!

فلم ينكر عليه شيئا .. ! وقال للغزاة : انظروا من يعرف معه رسم حالكم ... فانصرفوا راضين ...!

وقد تفطن ابو القاسم الشريف الى اشارة ابن الصباغ الذي كان يقصد بكلامه البيتين الشهيرين اللذين هجي بهما ابو العباس المبرد صاحب (الكامل)

أسائل عن ثمالة كل حي
فكلهم يقول : « وما ثماله .. ؟

فقلت : محمد بن يزيد منهم
فقالوا الان زدت بهم جهاله ...!

**42 — سعد بلع**

وجدت هذه القطعة منسوبة لابى القاسم الشريف .

قالوا : ابو بكر متى — ما حضر الاكل طلع
وان تكن وليمة — يخب فيها ويضع
ما اعجب السعد الذي — ساعد ذلك اللكع
فقلت : حقا قلتم — لكنه سعد بلع ...!!

**43 — البيضاء والحمراء ... !**

فى عصر بني مرين كانت — البيضاء — وهي فاس الجديد عاصمة المغرب .. كما كانت — حمراء غرناطة — عاصمة بني الاحمر وكان ذلك مدعاة الى استغلال ذلك فى المساجلات الادبية ..

فمن ذلك ما رواه ابو العباس المقري فى النفح..

ان اديبا اندلسيا سأل عن صديق له اديب من اهل فاس رمدت عينه .. ! فقال الفاسي :

يا سيدي عيني قد
أودت قذاها بالانس
فانظر اليها ترها
دار مليك الاندلس ...!!

وهو يقصد ان عينه قد احمرت من اجل الرمد..
فأجابه الاندلسي :

وقيت مما تشتكي — من القذى والوصب
ما رمدت عيناك بل — عين العلا والادب
فلتحمدن ان لم تكن — دار مليك المغرب ..!

وهو يقصد فاس الجديد — البيضاء — التي كانت اذ ذاك عاصمة لبني مرين .

— مجمع لغوي وعلمي عربي واحد ، وجهود متناسقة ومتآلفة ، ماديا وعلميا ، لوضع المعاجم واقرار المصطلحات والالفاظ الجديدة .

ب ) العناية الكبرى بالبحوث العلمية اللغوية وغيرها فى الجامعات خاصة .

ج ) ايجاد أساتذة جامعيين ، على مستوى عربي ، مؤهلين للتدريس والبحث باللغة العربية فى جميع الكليات . وذلك طبق منهاج مخطط تتفق عليه كل الاقطار العربية .

## ثالثا :

لا شك أن اللغة العربية تصلح للتدريس والبحث الجامعي ، لانها لو لم تكن كذلك لما استحقت أن تحمل اسم لغة ، ولما كانت قادرة ان تنقل عبر قرون عديدة ثقافية علمية وادبية وفلسفية تعد من ألمع الثقافات العالمية المعروفة لو ما استطاعت كذلك أن تقف فى وجه استعمار غربي قوي تسلط على البلاد العربية أجيالا وحاول فيما حاوله القضاء على لغة العرب .

نعم ، ينقصها فى الوقت الحاضر ، عديد من الالفاظ والمصطلحات العلمية والتقنية التي ولدت مع حضارة العصر ، وهذا ليس عيب فى اللغة العربية ، بل هو نقص فى أبنائها وقصور وتخلف فى شعوبها ، وليس من المستحيل ولا من الصعب تداركه .

## رابعا :

من المشاكل التي تعترض الاساتذة الجامعيين :
أ ) نقص كتب الدراسة والمراجع والمعاجم ، وخاصة فى الكليات العلمية .

ب ) تقصير الجامعات نفسها فى ميدان البحث العلمي الذي لا يتصور ان تستغنى عنه جامعة عصرية. وما زلنا نشاهد فى المغرب ، مثلا ، مسؤولين يؤمنون ان الجامعة ما هي الا مؤسسة غايتها تكوين الاطارات ، أي تكوين الموظفين وأصحاب المهن الحرة .

ولا يخفى ان تشجيع البحوث فى الجامعات عامل جوهري فى ايجاد المراجع والكتب الدراسية وفى توليد المصطلحات وتعميمها بين الطلاب الجامعيين .

لقد دلت التجربة على ان العلماء الباحثين حينما يؤلفون كتابا او مرجعا علميا لا يعوزهم استنباط المصطلحات او توليدها أو تعريبها ، وهم فى ذلك لا ينتظرون ما ستعمله المجامع اللغوية ، بل يعتمدون على علمهم وخبرتهم ومعرفتهم بلغتهم مع لغة اجنبية او اكثر . والادلة على ذلك موفورة ، لذا فان تشجيع الباحثين والمؤلفين الجامعيين عمل هام من شأنه ان يساعد على اثراء اللغة العربية بما هي فى حاجة اليه من الفاظ ومصطلحات ومراجع وادوات علمية وتقنية .

## خامسا :

من الخطأ الظن بأن المجامع اللغوية هي وحدها المسؤولة عن استنباط المصطلحات وتوليد الالفاظ الجديدة . ان الجهود الفردية وجهود أرباب المهن المختلفة ضرورية فى هذا الباب . فالعالم الذي يبحث ويؤلف ويترجم ، والخبير الذي يعمل فى مكتبه او معمله ، والصناع الذين يشتغلون فى المصانع، والرياضيون ورجال الفن كلهم يشاركون فى ميدان اختصاصهم ، فى ايجاد الالفاظ والمصطلحات التي تدعو اليها الحاجة . ومهمة المجامع اللغوية ، فضلا عن التوليد والابتكار ، هي الجمع والتنسيق وتبني الالفاظ الصالحة المبتكرة وتصنيفها فى معاجم وقواميس .

وليس بخاف على أحد ان معظم الالفاظ التي تستحدث يوميا فى اللغات المتقدمة بأوربا وامريكا تجري على الالسنة وفى الصحف السيارة حينما يبتكرها ذوو الاختصاص فى المصنع او المختبر او النادي او المسرح او المرسم .

نعم ، المشكلة عندنا ، هي توحيد المصطلحات ولاجل ذلك وجد المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي ، وعمله فى هذا الباب نافع جدا ، والمنهاج الذي أعده لجعل المصطلحات العربية « موازية ومساوية للمصطلحات الغربية الحديثة » منهاج صالح جدا ، والمهم هو ان يسند عمل المكتب ، ماديا وعلميا (وسياسيا أيضا ) حتى يؤدي واجبه فى أحسن الظروف والاحوال وحتى لا يعوقه عائق ، وهذا الاسناد حتمي ومستعجل لان عجلة التقدم لا تنتظره . وقد عرض المكتب الدائم حاجته ووسائله ، وبنى تقديراته على أسس علمية وتقنية ، وحدد زمن الانجاز ، وهو زمن ليس بطويل ( عشر سنوات ) اذا قسناه بمدة التخلف الفكري والاجتماعي التي عاشتها اقطارنا .

**الرباط : محمد العربي الخطابي**

## 52 — اليكـي الهجـاء ....!

اشتهر يحيى بن سهل اليكي — بالياء — بهجوه المقذع الذي نجده فى معجم البلدان لياقوت .. ونفح بطيب وزاد المسافر غير انه كان متناقضا يمدح ويهجو لباعث شخصي ليس الا .. ومن اغرب ما وقع له فى ذلك .. انه مدح المرابطين ببيتين شهيرين ..! ثم هجاهم ببيتين شهيرين ..! فقال فى مدحهم :

قوم لهم شرف العلا من حمير
واذا انتموا لمتونة فهم هم
لما حووا احراز كل فضيلة
غلب الحياء عليهم فتلثموا ...!

وقال فى هجوهم :

فى كل من ربط اللثام دناءة
ولو انه يعلو على كيوان
المتمون لحمير لكنهم
وضعوا القرون مواضع التيجان..!

## 53 — لاكنسوس ام لمحمد عبده .؟

ذكر الشيخ رشيد رضا فى كتاب حياة الاستاذ الامام ج 1 ص 1027 ان الامام (محمد عبده) انشد هذه الابيات على فراش مرضه الذي توفى منه :

ولست ابالي ان يقال محمد
أبل ام اكتظت عليه المآتم
ولكن دينا قد اردت صلاحه
احاذر أن تقضي عليه العمائم
وللناس آمال يرجون نيلها
وان مت ماتت واضمحلت عزائم
فيا رب ان قدرت رجعي قريبة
الى عالم الارواح وانفض خاتم

فبارك على الاسلام وارزقه مرشدا
رشيدا يضيء النهج والليل قاتم

ومن الغريب المستغرب انني وجدت فى المجلة التونسية (مرآة الساحل) العدد الاول الصادر بتاريخ ابريل 1966 — تصحيح — نسبت هذه الابيات الى الاديب المؤرخ المغربي محمد اكنسوس المتوفى سنة 1294 هـ 1877 م .. وان محمدا عبده انما انشدها متمثلا فقط .. !!!

ولم تذكر المجلة — المصدر — الذي اعتمدته فى هذا — التصحيح — .. !!!

## 54 — سابق البربـري

وجدت ابا عبيد البكري المتوفى سنة 487 هـ يذكر فى كتابه — فصل المقال — الذي طبعته جامعة الخرطوم سنة 1958 ... الشاعر سابق البربري ثلاث مرات ص 85 و157 و258 وينسب اليه الابيات الشهيرة

ابدا بنفسك فانهها عن غيها
فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك تقبل ان وعظت ويقتدى
بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك اذا فعلت عظيم ...

وقد نسبت الابيات كما هو معلوم للمتوكل الليثي ...

ويفهم من كلام البكري انه اطلع على — ديوان — سابق البربري ... !!

**فاس : عبد القادر زمامة**

## 44 — ابد الدهر يضرب ... !

فى آخر ترجمة ابن خلكان لابى موسى الجزولي صاحب — المقدمة — الشهيرة — هذه الابيات من نظمه :

لست للنحو جئتكم لا . ولا فيه ارغب
خل زيدا لشانه اينما شاء يذهب
انا مالي ولامرىء ابد الدهر يضرب ...!!

## 45 — عقوق وعناد ..!

وجدت منسوبا للشاعر مالك بن المرحل السبتي :

ان المتعلمين عليك اعدى
اذا علمتهم من كل عاد ..!
فما عند الصغير سوى عقوق
وما عند الكبير سوى عناد .!

## 46 — بيت فى سماط العدول ..!

وجدت بخط بعض الثقات انه كان مكتوبا بسماط العدول بفاس سنة 1193هـ هذا البيت ....

لقد طلبت هينا موجودا
ابهتا تريد ام فنودا .. !

## 47 — امام (العصر) فى (المغرب)

وجدت منسوبا لذي الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب لما تحقق انه مقتول لا محالة .. وذلك عشية يوم قتله ..

قف لترى مغرب شمس الضحى
بين صلاة العصر والمغرب
واسترحم الله قتيلا بها
وهو امام ( العصر ) فى (المغرب)

## 48 — خطيب ..!

وجدت منسوبا لابي الربيع سليمان الحوات فى وصف خطيب :

هذا الخطيب تمج النفس خطبته
كأنه اليوم بين الضال واسلم
والسامعون له من طول ما لبثوا
( قوم نيام تسلوا عنه بالحلم )

## 49 — فردوسها الكيتان .. !

وجدت فى رحلة ابن زاكور المسماة : (ازاهر البستان فيمن اجازني بالجزائر وتطوان ) قوله فى مدينة تطوان

تطوان وما ادراك ما تطوان
سالت بها الانهار والخلجان
قل ان لحاك مكابر فى حبها
هي جنة فردوسها (الكيتان)

## 50 — الدغوغي شاعر الدلائيين ...

وجدت بكناشة الفقيه العباس بن عبد الرحمن السجلماسي فى التعريف بالدغوغي الشاعر الهجاء ما ياتي :

كان من موالي أهل الدلاء ، ونشأ فيهم وكان هجاء لا يسلم احد من هجوه منهم ولا من غيرهم . وكان يجلس فى موضع معد لازبالهم فلا يمر به ذكر ولا انثى الا هجاه نظما او نثرا . وهجا جملة من الشعراء . ولم يفحمه الا رجل من الموالي ممن رضع ثدي الادب فى الزاوية الدلائية .. وكان الدغوغي فيه نقطة برص . فقال الرجل المذكور فيه ، وكما يدين الفتى يدان :

يا نقمة جلست بمربض البقر
ونقطة ظهرت فى اقبح الصور
اذ رآك اناس قال قائلهم
سبحان من اظهر الشيطان للبشر

## 51 — وحرمت الشحوم على اليهود ...!

فى زاد المسافر ص 9 ، وقال شاعر متحامق من اهل مراكش يعرف بابن تليس يهجو الجراوي وكان يجالس بني الشحمات ..

بني الشحمات انتم خير آل
واكرم من تسامى بالجدود
ارى نجل الجراوي لكم جليسا
وحرمت الشحوم على اليهود * ..!

* يعرض بابن العباس الجراوي لان اليهودية كانت منتشرة فى قبيلته قبل الاسلام .

في الارض جهل ضارب أطنابه … ومجازر في كل ركن دامية
ما ذا يفيد الضائعين لو اننا … سقنا لهم فتحا لدنيا ثانية ؟
والارض ليس لهم بها شبر فمن … يعطيهم ذررا هناك فضائية ؟

* * *

يا وجه ليلى في البراءة والسنا … ونجي قيس في الليالي الماضية !
يا ملهم الشعراء من عليائه … وحيا يسيل سبائكا في قافية
بالامس كنت شبيه وجه حبيبتي … تجلو بنورك شجو نفسي الداجية
ان قلت مثل البدر وجه حبيبتي … لم آل في وصفي مناى الغالية
او قلت غاب البدر لم يكن غائبا … الا شبيهك عن عيوني الرانية
واضيعة الشعراء بعدك ان سطت … ايدي الغزاة على رباك الزاهية !
أيريد طاغي الارض ان يطأ السما … اسكندريا كالعصور الخالية ؟ !
ليبث فيها عدله وسلامه … والارض مثخنة بأيدي الطاغية !
ايريد سفاح الدماء مسارحا … اخرى ليفتك بالضحايا النائية ؟ !
ضاقت فجاج الارض عن نزواته … فرمى على الاقمار نارا حامية
يا غازي الاقمار ! هذي ارضنا … عطشى وجوعى في مآس ضارية
وجه جهودك للسلام وللبنا … وارفع صروح العدل فيها عالية
حول صحاريها جنانا تشتهى … وجبالها مدنا شوامخ هادية
عار على دنيا الحضارة ان ترى … فيها جسوم جائعات عارية !

* * *

اني اخاف على ثراك وقدسه … من أن تدنسه الخطايا الفاشية
واخاف ان يغدو ضياؤك ظلمة … تضفي على الدنيا مسوحا بالية
العيش دونك مجدب لا يشتهى … وتفاهة وخسارة متناهية
خلوا حبيب الشمس في أبراجه … ودعوه يدلف في سماه الغالية
خلوه يغمر ارضنا من نوره … ويزيح احزان النفوس الصادية
فلبعده عنا تدفق نوره … لا تطفئوا فينا الحياة السارية
لا تطالبوا فوق النجوم سعادة … ان النجوم شقاوة الانسانية !

**تطوان : محمد الحلوي**

# دمعة على القمر

للأستاذ محمد الحلوي

وطئتك أقــدام الذئــاب العاديــة     وغزوك ـ يا قمري ـ بشهب ناريــة
طاروا اليــك على صواعــق نارهــا     فى الارض والاجــواء نــار عاتيــة
ترقــى معارجــك الشداد كأنهــا     جــن تزمجــر أو رعــود داويــة
نهضــت تمــزق فى عــلاك مجاهــدا     وتزيــح أستــار الفضــاء العاليــة
وتــذوب من حــر اللظى أحشاؤهــا     فتغيــب عن ابصارنــا فى ثانيـــة !
لا البــرق عند مروقهــا بــرق ولا     شم الجبــال اذا اثيــرت راسيـــة
وتظــل تسبــح فى الفضــا دوامــة     لا تستريــح ولا تراهـــا وانيـــة
من كان يحســب أن أقمــار السمــا     ستصاب يوما فى الحياة بداهيـــة ؟
فنــدور فى هــالاتهــا وكــأننــا     فى نزهــة او رحلـــة سنــدابيــة !
ذلــت جباه النيــرات ولــم تعــد     فى مأمــن تلك الشمــوس النــائيــة
وتضاءلــت ابعادهـــا فى لمحـــة     وتفتحـــت أبوابهـــا المتعاليـــة
وكأنمـــا ترنـــو الـــى اقمــارنـــا     شزرا وتوشك أن تصــد الفازيـــة
وتعــد صنـــع العبقريــة دميـــة     عميـــاء تزحــف بالوجــود لهاويــة
فى كــل يــوم غــزوة واغـــارة     ومراكــب وقذائــف شيطانيـــة
قد هنت يا قمــري فــلم تعصمــك     من جشع الورى أبعادك المتراميــة
او ليس أبلــغ فى الاهانــة أن تــرى     قــردا يؤمــك أو كلابــا عاويــة ؟ !
ما زال صدر الارض رحبا لم يضــق     وكنوزهــا بالخيــر تطفــح جاريــة
فى الارض طاقــات وخيــر ضائـــع     وتموت حرمانــا شعــوب طاويــة !

هـل سترضينه لنفسك زوجا ..؟

**ولادة :** لا . .

**عائشـة :** هـل يملك الحب امرك

**ولادة :** قـولـة منك طالمـا سمعتهـا — اذنـى حكمـة مـن العقـلاء
اخبريني هـل اصبح الحب نحسا ؟ — ام تـرى يخنقون حب الفتـاة ؟
ان فـي الحـب للفتـاة حيـاة — هل سوى الحب عيشة فى الحياة ؟

**عائشـة :** اقصري ـ يا ولادة ـ واسمعينـي — ان فى الشرع فصل هذا الخطـاب

**ولادة :** انت تدريـن ما اطلاعـي عليـه — ان رايـي مطابـق للكتـاب ...
ان زوجـي ما يرتضيـه فـؤادي — لا الذي ترتضيـه لـي الاوضـاع
خبرينـي .. حبيبتي .. خبرينـي — عن حقـوق الفتـاة كيف تضـاع
لن يعـود الفخار للشعب ، ما لـم — يكـن الـرأي للفتـاة يـطـاع

**عائشـة** ( تقاطعهـا )
اقصري ـ ياولادة ـ واذكري لـي — هل تكونين لابن عبـدوس زوجـة

**ولادة :** لست ادري ..

**عائشـة :** اذن فما لك حيرى ؟ — ان فى القلـب مـن حديثك رجـة

**ولادة :** ضاع فكـري ما بين قلبـي وعقلـي

**عائشة** ( وقد شعرت بان ( ولادة )تشرك فى حبها رجلا آخر مـع ابنعبـدوس ) :
مـن وراء الكـلام يكمـن سـر
خبرينـي من ذا هـويت ، فانـي — مثـل ام يهـولها منـك امـر

**ولادة** ـ ( تلوح لابن زيدون ) ـ ،
انـا اهوى نجمـا ، ولكن خفيـا — اين منه مجـد ، وعـز وفخـر؟
ليس يدري بان في الكـون قلبـا — خافقـا مـن هـواه لا يستقـر
وارى دونـه فتـى ذا ازدهـاء — وله في الحياة مجد ، وذكـر ...
طامعا في اغتنـام حبي كـي يـز — داد مجـدا ، لكن فـؤادي يفـر

**عائشـة :** من يكون الفتـى الخفـي ، فانـي — اعـرف الماجـد الذي قـد عنيت

**ولادة :** ان هذا النجـم الخفـي يسمـى — « ابن زيدون »

**عائشـة :** نعم من قد عشقت

**ولادة :** انشدتني من شعره « مهجة » اليـو — م ،

**عائشـة :** وانى روت قريضه « مهجـة »

**ولادة :** لست ادري ..

**عائشـة :** فربمـا قد راتـه — تاليا شعـره ليطـرب فـوجـه

**ولادة :** حدثتنـي عنـه جمـالا وخلقـا

**عائشـة :** انـه في البـلاد احـدث ضجـة
فلمـاذا جهلتـه ؟

**ولادة :** ويك مهـلا — ان هـذا ما حـذر العقـل منـه
ان يكـن من هواة فن القـوافـي — فلماذا عـن فنـه الحلـو يلهـو
ولمـاذا لم يأت نـادي يـومـا — ان للامـر فـوق ذلـك معنـى
انـا اخشـى منـه بـرودة روح — انـا اخشى منـه خمولا وجبنـا

**عائشـة :** سامحي ـ يا سمـاء ـ قلب فتـاة

**ولادة :** هـو لا شيء .. شاعـر يتغنـى

**عائشـة :** لا تظنيـه شاعـرا ينظـم القـو — ل ، وظنيـه ماجـدا عبقـريـا
هل رايت البركـان ينفث نـارا — انـه قلبـه شـريفـا ابيـا

# ابن زيدون

## مسرحية شعرية في أربعة فصول

للشاعر علال بن الهاشمي الفيلالي

### الفصـــل الثانـــي

**المشهـــد الاول :**

**المنظـــــر :**

**يدخل تغيير يسير على المنظرالاول ، بحيث لانرى النافذة ، ويكون الاثاث هنا ثمينا ، ويتخذ الجميـعشكـل « نـاد » يجتمع فيه ادبـاء « قرطبة » بمنزل « ولادة » .**

**ونراها الآن .. وقــد انهتتصفيف شعـرها وارتدت افخـر ثيابها ، ولكن ( عائشة المغربية ) اتتلزيارتها ، ونشاهدها وهي داخلـة من الباب الخارجـي ،**

**عائشـة :** لــك « ولادة » اتيـت اشتياقـا
**ولادة :** لــك شكــري ....
**عائشـة :** انت الفتاة الوفية
**ولادة :** اخبريني .. اختـــاه ــ عائشة الآ ن ، فهل زانتني الثياب السنيـة
**عائشـة :** هــذه حلــة الجمــال بلــون يفتــن العيــن
**ولادة :** انهــا لهديــة
**عائشـة :** اخبريني ــ ياربة الحسن ــ مــن ذا لك اهداهــا غضــة قرمـزيــة
**ولادة :** « ابن عبــدوس »
**عائشـة :** يا لـــه من حبيب
**ولادة :** لست تدريــن ..
**عائشـة :** اخبري .. لست ادري
**ولادة :** هو يهــوى ان يفتدي لي زوجـا وهو بين الشباب اصدح طيـر
لا تظنيـه شاعـرا ... ليس الا انــه فى الحديث يفـري بسحـر
**عائشة** ( كمن تريد ان تعتــرض ، فتقول فى عدم اكتراث ) :
قــد سمعنــا حديثــه ، وقرانــا شعــره ...
**ولادة :** انني سأتبع نصحك
**عائشـة :** اسمعــي ــ يا ولادة ــ ان رايــي ان تكـون الحيــاة تتبــع فكـرك
فكــري .. فالفتاة بنت التمنــي كــل حلـم عند الفتاة سيــدرك

سبحان ربي ناصرا من لا نرى ... لطموحه في ذى الحياة نصيرا
ما كان من صعب يهون ، اذا اغتدى ... قلب الشباب مكافحا وصبورا
لا يأس فى الدنيا من الامل الذي ... في القلب ما دام الفؤاد سعيرا
الله ينصر كل روح حرة ... ويكون للقلب الابي ظهيرا
وابن الحياة شعوره وضميره ... لا ان يعيش من الخمول حقيرا
هذا «ابن زيدون» الذي من حوله ... زمر العداوة قد غدا منصورا

**ماري :** مهلا « اعائشتي » اثرت شجوننا ... ولقد ظننتك عند هذا تضحكين

**عائشة :** تتلون الاشياء مثل شعورنا ... كم تضحك الاحزان من قلب حزين

**ولادة :** ما هذه الافكار ؟

**عائشة :** انت كزهرة ... ريانة ... تندى بنفح عاطر
اما انا ... اما انا ..

**ولادة** ( فى حركة تقليدية ) :
اما انا ... ماذا .. ؟ افيقي من نعاس قاهر

**ماري** ( وهي تبتسم ) :
هذه يا « ولادة » اضحكتني ... ان في قولك الجميل لنغمة
خفة في وداعة .. اين منها ... وثبة الظبي ...

**عائشة :** ان تلك لنعمة

**ماري :** ولمن .. ؟

**عائشة :** للحبيب

**ماري :** اي حبيب

**عائشة :** «ابن زيدون» قد سما اخلاقا
لا ارى في شباب « قرطبة » اليو ... م هماما نحو العلا سباقا
كابن زيدون .. شعره في الغواني ... سار سير الصباح بالاضواء

**ماري** ( وقد احست بنار الغيرة ) :
ارتاي ان شعره غير سام ... و « ابن عبدوس » شعره في ارتقاء
اسمعيه مغنيا بحبيب ... فاق في حسنه جمال البدور
صادني حبها لاول نظرة ... فعشقت الجمال منها وسحره
ابذل الروح في هواها ، وحسبي ... ان اذوق الهوى لاول مرة
صنت حبي بين الضلوع لهيبا ... وسكبت الدموع اطفيء حره
حرت ما الحب ؟ ما الهوى .. اين مني ... من بريني وجد الغرام وسره
هي احلى من رنة العود صوتا ... هي ازهى من ظبية الرمل خطره
زرتها في الظلام ..

**عائشة** ( تقاطعها ) مريم يكفي ... قبل ان تنطقي بفحش الكلام
« زرتها في الظلام » ما بعد هذا ... غير ذكر الفحشاء ... قبل الختام
اسمعي .. حينما ابن زيدون يشدو ... فيصب الانغام خمرا حلالا
قد راى زورقا على اليم يجري ... هيج الذكرى في الفؤاد .. فقالا:
ايه يا زورقا حملت حبيبي ... قف على الشط ان لي فيك ذكرى
هل وعى الموج فيك نجوى غرامي ... او درى الريح في شراعك سرا
انت ذكرى لقلبين عاشا ... يعرفان الغرام قدسا وطهرا
قلت : مهلا .. فقال : لست اناجي ... شاعر الحب .. قلت : بل هو احرى
تلك يا « مريمي » عواطف صب ... انها السحر .. بل من السحر اغرى
شبهوه « بالبحتري » ضلالا ... هو اصفى خمرا ، واجزل درا

عائشة : كيف ادعاؤك .. ؟ والحياة شهيدة ... هيا اسمعي عنه حديثا صافيا
بالامس .. قد عقد ابنزيدون محفلا ... في داره .. فرايت فكرا عاليا
وابن الحياة شعوره .. لا قوله ... وابن المكارم من يحبك وافيا
يفدي ( ابن زيدون ) الحياة عزيزة ... بالروح ، لا يرضى المعيشة غافيا
في الحفل لا انساه ينصر فكرة ... لك .. حينما ذكروا له ناديك
ويرى برايك .. هذه افكاره ... جنحت بزورقه الى واديك
ولادة : هويهوى مثلي القديم ، ويابى ... ان يكون القديم قولا معادا
عائشة : لست تدرين – يا بنتي – اي عز ... سيلاقي .. واي مجد ارادا ..؟
اسمعي .. انني اسائل عنه ... فاراه ذي الحياة معادى (1)
قد سألت « العميد » عنه ، فأبدى ... لي سرا ... اهاج مني الفؤادا
« سوف نعلي قدر ابن زيدون يوما ... سوف نحبوه في الحياة ودادا
هل سيرضى ان يفتدي كوزير.. » ... هكذا قال نخوة واعتدادا
قلت : مهلا.. مولاي.. كيف سيابى ... انه طامح ، وخير منادى

منية النفس – ( تدخل – ) :
ان « ماري » بالباب
عائشة : ماذا ارادت ؟
عائشة : لست ادري ..
منية النفس : عودي لها .. واسأليها..
ولادة : ان « ماري » خليلتي
عائشة : غير اني ... في مجال الاخلاق لا ارتضيها
ولادة : اي شيء تعنين .. لست اماما
( ثم تلتفت جهة « منية النفس » )
صاحبيها الى هنا .. واقدريها ..

منية النفس : لك سمعا ...
ثم تقول لماري : تفضلي
ماري تدخل
فسلامي ... لملاك الجمال ...
ولادة ( وهي تقبلها ) اهلا وسهلا
ماري : لك شكري ...
ثم تقبل على عائشة ... وانت يا سلوة الروح ..
عائشة : لك الشكر ..
ماري : انت احرى واولى
ولادة ( تشير الى المقعد ) ،
فتفضلي ..
ماري : شكرا ..
ولادة : فقولي « مريمي » ... ماذا حملت لنا من الاخبار
ماري : خبر له تهتاج « عائشتي » اذا ... سمعت صداه كرنة الاوتار
ثم تقول لعائشة :
طيري اذن فرحا ..
عائشة : وكيف ؟
ماري : فقد غدا ... بالامس «ابن زيدون» الهمام وزيرا
عائشة ( ترفع يديها الى السماء ) :

---
1) من المعاداة

**منية** ( تدخل ) : هاانا ..

**ولادة :** اردت عقابا     افلا تسمعين بالباب ضجة

**منية :** سأرى .. من .. ؟

**ابن عبدوس :** هل كنتما في ذهول     كيف « ولادة » نسيت الجموعا

**ولادة :** ابن زيدون .. قد سقاني سلافا     من حديث .. والوقت يمضي سريعا

**الجمع** ( يدخل ) السلام عليكم

**الثلاثة :** وعليكم منا السلام

**ولادة** ( مشيرة الى المقاعد ) : فتفضلوا

**الجمع :** شكرا

**ابن الحناط الكفيف** ( يبقى متأخرا ): ايا     ولادة في ذ المقام .. ؟

**ولادة :** لا ... بل تفضل نحونا     يا ابن الحناط ...     كذاك فاقعد

( تاخذ بيده وتجلسه قائلة :

**ابو بكر :** في المعهد المعمور « عا     ئشة » ....

« ابا بكر » الى المعهد

**ابن عبدوس :**

**منية :** بالباب « عائشة »

**عائشة** ( تدخل مع شاب في زي المغاربة ) : سلام عاطر

**الجمع :** وعليكما منا السلام

**ولادة :** تفضلا ...

**عائشة :** هذا فتى يسمى « ابا عبد الاله » ، اتى من فاس الحبيبة مقبلا

**الجمع :** اهلا به ..

**عائشة :** احضرته كمحاضر     في الحفل ..

يشكرك الحضور جميعا

**ولادة :** ( لعائشة )

**عائشة :** لا شكر ان قمنا بواجبنا ..

**ابو عبد الاله المغربي :** الى     ارجاء « قرطبة » اتيت هلوعا

كي انظر الشبان .. ماذا حققوا     من مأمل .. ام ضيعوه هجوعا

لن ندرك الآمال فائحة الشذى     حتى نوحد فى الرجاء ربوعا

**ابن زيدون :** حدث عن الوطن المجاور ، انه     عنوان مجد ، والشعاع الهادي

**المغربي :** سمعا .. فما اسمك ..؟

**عائشة :** ابن زيدون الوز     ير ، هوالحبيب.. هوالهزار الشادي

**المغربي :** اثنان قد نفذا الينا .. من هنا     « ولادة » وصدى « ابن زيدونا »

اخوانكم بالمغرب الاقصى الذي     بلسانه ادعوكمو : زورونا

اين « ابن ذاكون » الفقيه .. احاضر؟

**ابن زيدون :** هو ذا ...

**المغربي :** به انا معجب مسرور

ما دام دين الله معتز الذرى     الا ومنه مساعد ونصير

فى الشرق .. عاشت فكرتان : تغلبت     احداهما ، فهوت بمجد الاربع

بالامس كان الشرق حكم عروبة     والى بنيها كان حسن المفزع

واليوم .. ملنا للنعيم وللهوى     نبغي الفخار ، ونحن رهن المضجع

تدرون.. ما سر القدوم .. الى هنا؟     اني اوجه ذا الحديث لمن يعي

قد زرت « اندلس » الجمال مؤملا     ان تجمع الابناء بعد توزع

هيا انبذوا عنكم خلافا زائفا     ما « اشبيليا » حتى تكون كمطمع

مــاري : لا تطيلـي الكــلام .. ذلك بيــت فاقرأيـــه ...
عائشـــة : واي بيت سأقرأ ؟
مــاري : « قلت : مهلا .. فقال : لست اناجي شاعر الحب.. قلت: بل هو احرى »
( قال ) ( قلت ) ( قلنا ) فأي جمـــال فيه .. ؟ الا ان يغتدي الشعر (قالا)
ولادة : لا تطيلا هذا الجدال .. سندعـــو ابن زيدون ، وابن عبدوس حـــالا
( تقـــــف )
لنرى من يكون اصدح طيــــر .. ؟ يعرف الحب ، والهوى ، والجمالا..
في غد نلتقي هنا .. سوف ادعـــو مـــن يجيـــد الاشعـــار والامثـــالا
مــاري : ليس عنـــد النســـاء الا جمـــال هبـة الله .. يستثيــــر الرجـــالا
ولادة : ان يشـــرن ضد القـــوي تهـاوى واذا كـــن حـولــه يتعـــالـــى
مــاري : ان عقـــل النساء عقـــل شجـــاع لا يـــرى في الحياة شيئـا محـــالا
عائشـــة لماري : لا تطيلي الكلام .. ماري .. وداعـــا
عائشـــة ثم لولادة : منيتي ... دومي للسلام حمامـــة
ولادة ( لعائشة التي تخطو نحو الباب الخارجي ) :
فوداعـــا .. الى اللقـــاء ..
مــاري : سأمضي ( تقبل ولادة ثم تتجـه نحو الباب )
ولادة : صحبتك على الـــدوام السلامـــة
( ستـــــار )

## المشهـــد الثانـــي :

**في المنظر نفسه ـ ابن زيدن وولادة ،وهما يتحدثان قبل اجتماع الحفل.**

ولادة : انت كالطير صادحا ..
ابن زيدون ، غير انـــي سابـح الروح فى سمـــاء الجمـــال
ها هو الآن .. فى الوجود ، امامـــي هـــل انـــا فى حقيقـــة أم خيـــال
ولادة ( تجس النبض هل يفردهـــابحبـــه ) :
يا ابن زيدون .. نلت حب الفوانـــي وسكبت الاشعـــار خمـرا حـــلالا
ابن زيدون ( يؤكد لها هذه الفكرة ) :
اسمعي ـ يا ولادة ـ كـــل قـــول كتبتـــه الاقـــلام كـــان ضـــلالا
كخطوط ـ الوان شعري ـ تجافت تفقد الحب ، والهوى ، والجمـــالا
وهي فيك الفـــداة لاقت حيـــاة ستنـــال الخلـــود والاجـــلالا
ولادة ( مـــع نفسهـــا ) :
قد أرى الآن في السمـــاء هلاليـــــن ، فمن يختفي كطيف الخيـــال؟
ابن زيدون ( يحس بحركة ) :
صـــه .. كفى .. قد فهمت ويحك من ذا
« ابن عبدوس »
قد سبقت الجمعيـــا
ولادة ( تتساءل ) :
ابن زيدون (يلمح ابن عبدوس داخلا)
ابن عبدوس ( لابن زيدون ) :
ثم ( لولادة ) ان بالباب ثلـــة مـــن صحـــاب
ولادة : لهف نفسي .. واين من ذاك «منية»
ثم تنـــادي : « منيـــة »

**ابو بكــــر :** سامح القوم .. واقعد

**ولادة :** انت اقــوى الدعـــاة ....

**المغربــي** ( وهو يجلس ) : شكـــرا

**ولادة :** قل اليــو م ، افي « فـــاس » للفتاة ارتقــاء

**المغربــي :** قد تركنا امــر الشريعـــة في البنـــت ، وهـــذي جهالـــة وشقـــاء

لو فككنـــا عـــن الفتـــاة اســـارا لزها الشرق ، واعتلـــى ما يشـــاء

لو جعلنـــا فكـــر الفتـــاة معينـــا لحياة الرجال ... حـــق الهنـــاء

انني من بنـــات « قرطبة » اليـــوم اوالـــي الاعجـــاب والتقـــديـــرا

ادب زاخـــر ، وفكـــر سليـــــم فاق عندي التمثيـــل والتصويـــرا

**ابن الحناط** الشاعـــر :

ان ما قلتـــه اعتقـــادك ، لكـــن ذاك « عبد الالـــه » لم يك حقـــا

ان فكـــر الفتاة في « الغرب » لاه مثلهـــا فائـــر غـــراما وعشقـــا

لم يكـــن هكـــذا الرقي ..

**ولادة :** رويـــدا انت اعمى .. فكيف تنطق صدقـــا

**ابن الحنـــاط :** انها لا تعمـــى الجفـــون ، ولكـــن حين تعمى القلـــوب ادهى واشقـــى

**ولادة** ( لابن زيدون كانها تريـــد انتتحول عن هذا الموضوع ) :

انـــا اعـــددت مـــن يغنـــي بشعر لك ... لكنهم اطالوا الجدالا

**المغربـــي :** اسمعوني من فن « قرطبة » اللحـــن صفيا ... ينفي الاسى والملالا

**ولادة :** « منية النفس » اقبلي . .

**منيـــة** لـــك سمعـــا

**ولادة :** اطربي الجمـــع بالغنـــاء الجديـــد

**منيـــة** ( تغني ) يا غزالا .. صاد القلوب .. امانـــا لفـــؤاد جـــم الحنـــان شجـــي

ليتني البدر .. كي يداعب نـــوري خصلات مـــن شعـــرك الذهبـــي

امـــلاك نـــزلت .. ام انت سحـــر عذبي القلب ، فالدمـــوع شهـــودي

انـــا في شاطيء الغـــرام ، انـــادي فيك حبي ، وصبوتي ، وخلـــودي

( تسكـــــــت )

**المغربـــي :** هكذا الشعـــر ، والغنـــاء ..

**ابن زيدون :** فشكـــرا ان « ولادة » الهـــة شعـــري

**المغربـــي** ( يردد ابيات القطعة ، بينماتكون امارة القلق والضجر والغيرة بادية على ابن عبدوس وماري )

**ابن عبدوس** ( يقف ، ويمسك بيدولادة ) :

هـــل لك الآن ان يقـــوم كـــلانـــا نتمشى بين الزهـــور قليـــلا ..

( ولادة تريد ان تجيب بالقبـــول ،ولكنها تسمع صوتـــا ) :

**الصـــوت :** ابن زيدون

فتجيب ابن عبدوس لا ..

**ابن عبدوس :** لمـــاذا ..؟

**ولادة :** فهيـــا ..

**الصـــوت :** ابن زيدون ..

**ولادة :** لا ..

**ابن عبدوس :** لمـــاذا ..

**ولادة** ( في تحمس ) فهيـــا

( يخـــرجـــان )

الديـن وحدنا ، والهب عـزمنـا      والعـرب ما خلقوا لسكب الادمـع
ما نحـن الا امـة عـربيـة      كـل البـلاد لنا تكون كموضـع

**ابن زيدون :** مهـلا .. ابا عبد الالـه ، فاننـا      نـدري بأنك قـد اتيت رسـولا
تدعو الشباب الى الوفاق وترتجـي      جمـع العروبـة أمـة وقبيـلا
لكن اذا كنت الرسول .. رسول من؟

**المغربـي :** انـي اجيب سـؤالك المعقـولا
لست ادعـو الـى فتـى أمـوي      لست أهـوى الا الفتى الوطنيـا
حين نضحى تحت اللـواء جميعـا      سوف نختـار من يكـون أبيـا
اعرفوني رسول فـوج شبـاب      عـاش يرعـى تراثنـا العربيـا
كم سعينـا فأصبح الفوج جيشـا      من وزيـر ، وقائـد ، وسفيـر
في بـلاد الاسلام طـرا لـدينـا      من خطيب ، وشاعـر ، ونصيـر

**ابن عبدوس :** كل شيء نسديه نحوك .. فارحـل      ــ ان اردت النجاة ــ من ذى البلاد
لن ترى ما يريد قلبك ... لكـن      ربمـا صـرت طعمـة الجـلاد

**مـاري :** ان حكم « ابن جهور » اليوم فينـا      لسديـد ، وعـادل ، وحميـد
نحـن لا نبتغـي البديـل ، وانـا      نبـديء الشكر حولـه ونعيـد

**المغربـي :** يا قوم .. ما شئت الفساد بدعوتي      فدعـوا الجدال ، وجانبوا الاقـوالا
ابناء قرطبـة .. اتيت مهاجـرا      في الله .. كي تسمو العروبة حـالا
والمـرء يدعـو للصلاح عشيـره      ان كـان يهـوى قلبـه الآمـالا

**ابن المكـري :** تدري ــ ابا عبد الالـه ــ باننـا      وزراء مـن تدعـو لهدم كيانـه
كن كافرا .. او كن لعينا .. لا تكن      ضد « العميد » فنحن في سلطانـه
( ثـم يشهـر سيفـه )
خذها بسيفـي ضربـة عـربيـة

**عائشة المغربيـة :** لا تعجلـوا
**مـاري :** اضـرب ..
**ابن عبدوس :** بـذاك جديـر

**ابن زيدون** ( وهو يتقـدم نحـوابن المكـري ) :
هكذا « ابن المكري » يقابـل حـق      اغمد السيف ... انـني لنصيـر
هكـذا يسكـن الفـريب الينـا      فنجازيـه قسـوة وعقـابـا
يا « ابن زيدون » خذ مكانك عنـي      لا تقـم بيننـا لـذاك حجـابـا

**ابن زيدون** ( وهو يشهر سيفه ) :
لا تـزد في الكـلام

**مـاري** ( وهي تجر ابن المكري ) : انت ازائـي
**عائشـة :** لم هذا الخصام .. فالصلح يحمـد

**المغربـي :** ايهـا القـوم رحمـة وحنـانـا      ان فهمتم خـلاف ما انـا اقصـد
لم اقل : خالفوا « الولاة » فهـذي      ضلة .. بل اقول ما ليس يحمـد
ايدوهم .. وارغموهـم جميعـا      ان يضمـوا ملك البـلاد كمفـرد
ارغموهم ان يتركـوا كل ضغـن      بينهم .. فالعدو من ذلك يسعـد
هـذه دعـوتـي ..

**اصـوات :** امانا .. امانا ..

**ابن زيدون :** انـه الحـق ..

# المغرب وفارس عبر التاريخ

للأستاذ : محمد بن تاويت

بعد ما مضى على مقالنا المنشور بدعوة الحق وجدت الصديق الدكتور عبد اللطيف السعداني ، يذكره ويعقب عليه ، بعلمه الغزير وادبه الجم ، فأشكر للاستاذ الصديق هذه العناية وهذا الادب اللطيف الذي استعمله معي ، ومع مقالي المتواضع ، واعود لاذكر فيه ما يلي :

لم اقل — ولا اريد ان يفهم مما قلت — ان العرب هم من اطلقوا هذا الاسم فارس) على ايران .

اما كون « الفرس هم الذين اطلقوا على العرب طائي » تازي او طازي ، فلا يدفعه كون العرب كانوا يعرفون بهذا الاسم ، طائي ، عند السريان ، والعمدة فى ذلك الاشتقاق والتاريخ المؤيد بالبقعة الجغرافية ، ثم الاستاذ الراحل بول كراوس ، الضليع فى اللغات السامية ، ومنها السريانية ، طبعا : فلقد كنا ندرس عليه فقه اللغة سنة 42 — 43 ، فعلمنا ان اطلاق طائي على العرب كان فارسيا ، لانهم كانوا ملاصقين لهم ، ولا اظن ذلك كان لاولئك السريان الذين جاروا الاستعمال الفارسي ، عن علم او غير علم منهم .

اما ايران ، ففي اقدم كتاب للجغرافية العربية ، نجد ابن خرذاذبه يذكر ان « ايرانشهر هي العراق وان «السواد .. كانت ملوك الفرس تسميه دل‌ايرانشر اي قلب العراق ، وهو نفسه يذكر ان افريدون ... ملك ايران وهو ايرج على ايرانشهر وهو العراق ... ثم اتى بالابيات المذكورة فى عدة كتب ، والتي سقناها — كما نظن — فيما سبق لنا نشره بهذه المجلة ، وآخرها :

ولايران جعلنا عنوة
فارس الملك وفزنا بالنعم

اما كون هذا اسطورة ، فلا نتعرض لنفيه ولا اثباته ، لانه لا فائدة فى نفيه او اثباته ، من حيث انه وهو اسطورة ، لا يعرف الناس الاول عن تلك التسمية لذلك الاعتبار الاسطوري ، فالآرية وغير الآرية مسألة صارت فى عمومها لا فى خصوصها تخضع للعلم ، والعلم لا يحتم على الناس فى ماضيهم السحيق ان يكونوا مناطقة مصيبين فى كل اشيائهم ، ومنها هذه التسمية ، التي ذكر وجه اعتبارها ابن خرداذبه منذ ما يزيد على الف ومائة سنة ، وكان فيها لا محالة معتمدا على من سبقوه بمئات او الاف السنين ، وهو طبيعي قائم على فكرة النظام الابوي (Patriarcat) للشعوب .

اما كون كلمة خاور من قبيل المشترك بين المغرب والمشرق فهو ما يفصح به اهل اللغة ، ولا نحتاج لهؤلاء لنرد على صديقنا فى قوله « ليست كلمة المغرب (خاور) فى اللغة الفارسية من قبيل المشترك » لانه نفسه سيقول بعد اسطر قليلة « وقد يطلق الاثنان (خاور وباختر) على المعنى الآخر » يعني المشرق والمغرب، عكسا بعكس،وهذا الذي ذكرههو الفاطلفى

( يبقى ابن زيدون قرب عائشة المغربية .... ثم يسمعان مناجاة ابن عبدوس لولادة ، وهما يبتعدان قليلا قليلا ... )

**ابن عبدوس :** الحب مازج روحينا ... والهمنا — ان نترك الجمع كي نشكو الصبابات

**ولادة :** ارجوك ان تبقى شعاعا خالدا — في مهجتي بدماثة الاخلاق

**ابن عبدوس :** لك روحي ، وانني لك عبد — لك رقى على المدى وعتاقي

**ولادة :** ان الغرام لفي الفؤا — د ، وليس لفظا في الفم

**ابن عبدوس :** انت تدرين بحبي — هو نور في دمي

هو دنيا حلمي

( بينما يخيم السكون على الجميع ،وهنا تبدأ مجموعة اصوات في الغناء بهذا الموشح :

انا من سهرت مع القمر — ومع الحبيب حلا السمر
اشكو اليه جوى الغرام — والنجم عين لا تنام
انا من عشقتك يا قمر
العاشقون مع الحبيب — وانا هنا وحدي غريب
النجم راح عن السماء — والفجر يسطع بالضياء
فارحم فؤادي يا قمر
آه . . . حبيبي هل أراك — اني هنا اشكو هواك
بعد اللقاء هجرتني — والى اساي تركتني
انا من رجوتك يا قمر

( الموشح كأنه يصور وضعية « ابن زيدون » فيظهر عليه الغضب ، ويغادر المكان مسرعا ، وتتبعه عائشة المغربية . )

**( ستار )**

**الرباط : علال بن الهاشي الفيلالي**

معروفة بمنطقة فارس فى ايـران وهذا التأويل غيـر بعيد عما علل به صاحب روض القرطاس تسمية مدينة فاس » فهذا ما قلناه منذ خمس عشرة سنة فيمـا نشرناه بمجلة الانيـس أو لسان الدين .

واذا استأنسنا ، ولنا صبابة من الفارسيـة ، بمن قال ان البصرة معربة عن « بس‌راه » الفارسية، فلا يضيرنا أن ذكر ياقوب احتمالات اخرى قبل هذه ، بل لا يضيرنا فى هذا حتـى لو لم يذكر هذا الاحتمال بالمرة ، وذكره غيره ، لان الله لم يخلق غيـر ياقوت ، بل خلق غيره من الجغرافيين واللغويين والرواة، وهم كثيـر بحمـد اللـه .

ثم استفيد الصديق ، عن ابي عثمان المغربـي الذي زار ايران فى القرن الثالث الهجري ، من هو هذا الزائر ، وهل كان من مغربنا الـذي يعنينا ونعنيه ؟

وأما ميسا Misa الاسبانية فليست فارسية، كما أن Mesa ليست كذلك ، فالاولى المسيحية والثانية المعتادة والني يقصدها الاستاذ وكلتاهمـا ليست فارسية ، بل لاتينيـة ، الاولى Missa والثانية Messa

واخيرا أؤكد للاستاذ من جديد أن كلمة خنجـر وطرة ليستا عربيتين كما قال ، بل هما فارسيتـان كما قلت وشاهدي معاجم اللغـة ومعالم الاشتقاق ، والله الموفق للصواب ، وشكـرا للاستاذ الصديق ، وحمد اله أن صار الموضوع يهتم بـه الناس ، بعـد ما مضى على اهتمامنا وحدنا به ، نحو العشريـن سنة ، فلله الحمـد مرة اخرى ثـم للـه الحمد .

**تطوان ـــ محمد بن تاويت**

هذا الاشتراك ، فما الاشتراك الا جعل كلمة دالة على عدة معان ، منها الاضداد ، بطريق ما ، يكون فيها المجاز وغير المجاز . وزادنا علما بأن « باختر » هذه اطلقت فى لغة الابستاق على الشمال ، زيادة على كونها ، اطلقت على المغرب ، بشيوع كثير ، ثم على المشرق بغير شيوع ، لا كثير ولا قليل ، على عكس « خاور » التي يجعل الشيوع فيها للمشرق عند الاطلاق .

وبهذه المناسبة ، قد استرعى نظرنا اخيرا ، ونحن ما زلنا دائبين فى بحثنا ، أن (خاوار) كانت عاصمة لاقليم كوار فيما وراء فزان بالصحراء ، بل عند اول الصحراء الكبرى ، كمفازة على ظهر جبل ، وقد ضرب عقبة الحصار على هذه المدينة فامتنعت عليه . « فخاوار » هذه يظهر انها « خاور » الفارسية، بمعنى المغرب ، هنا ، لا المشرق الذي جعله الاستاذ الزميل هو الشائع الكثير ، وان كنا ما تعرضنا للشيوع بالمرة ، بل قلنا الاشتراك المجرد الذي ينشأ فى اللغة لعوامل شتى كما قلنا .

وكون المغرب فى اللغة الفارسية كان يعني « فى كثير من الاحيان المغرب الذي نعرفه ونسكنه » لا يقدح فى كونهم كانوا يطلقون المغرب على غير هذا المغرب الذي لا نعرفه ولا نسكنه ، وان كان ذلك منهم فى غير كثير من الاحيان ، فنحن لم نقل بالكثير ولا بالقليل فى ذلك ، وانما قلنا بالاطلاق ، كما لم نقل بالشيوع الكثير وغيره قبيل هذا ، وبذلك لا يكون مفهوم المغرب « واضحا فى ذلك العهد » بالضرورة ، كما يرى صديقي الاستاذ عبد اللطيف ، ونحو هذا يقال فى البربر ، فلا نطيل فيه الكلام ، وقد قال فيه الاستاذ « بتارة » و « تارة اخرى » ..

وما قلنا بـ « ان يكون البربر بمعنى بابر الفارسية » بل قلنا بما معناه — وليس بيدي مقالي — ان كثيرا من الاساطير قد تدخل فى الحقائق التاريخية فى يوم من الايام كما أن كثيرا من الحقائق التاريخية قد تدخل فى حيز الاساطير يوما من الايام ، واذكر ان السفير الايراني بالمغرب ، قال لي ان البربر لعلهم اتوا من ايران ، فهم عندنا جماعة رحل يسمون برابر الى آخر ما قال وذكرناه ، فقلنا نحن : هذا كلام لا يقبله العلم اليوم وقد يقبله غدا ، او كما قلنا ، وبذلك لا نلزم بغيرنا فيقال لنا « هذا تكلف لا مبرر له ..الخ»

واظن اني فى غنى عن التذكير بأن كلمة «القيروان» عرفت فى العربية معربة بهذا اللفظ قبل ان توخذ لتسمية المدينة التونسية (كما يعتقد) ، ولعلي اشرت الى هذا نفسه فيما كتبت ، والذي ما زلت اذكره . واذكر به هو انا قلنا ان المكان كان معروفا بهذا الاسم قبل تأسيس المدينة به ، ولهذا وجدنا ابن خلكان فى احدى وفياته ، ينقل ان المكان كان معروفا بهذا الاسم فيما قبل لنزول القوافل به ، ولا لزوم لان يكون (Caravannage) هكذا ، وان كان يذكر بصورة قريبة منه « قروان » كذلك ، وعن الليث بن سعد ان عقبة رحمه الله غزا افريقية فأتى وادي القيروان ، كما نقل السلاوي فى الاستقصا ، وعلق عليه الاستاذان ولداه بهذا التعليق « فى تاريخ الفلاسفة فى ترجمة أرستيب منهم انه كان من مدينة القيروان من مدن برقة وكان هذا الفيلسوف معاصرا لافلاطون الحكيم قبل الاسكندر ، فدل هذا على أن القيروان كانت مدينة قديمة بنواحي برقة فاندثرت والله اعلم » فليحقق هذا الكلام الذي يفيد ان تحقق وتأييدا لما قلنا من ان العرب آنذاك احتفظوا بالاسماء الموجودة فى اماكنها ، ان القيروان لو روعي فيها ان تكون معسكرا للجيش أي تكون مدينة عسكرية ، فقد روعي هذا فى غيرها ولم يسم قيروانا ، بل سمي « كوفة » و« بصرة » و«فسطاطا» لان كل واحدمن هذه اتخذتالاسم الاقليمي المحلي،فلم ينشىء لها العرب اسماءها من عندياتهم ، كالاعتقاد السائد عند الناس .

ولم اثبت أن اسم مدينة فاس هو فارس ، بل نقلت ذلك عن روض القرطاس ، ذاكرا هذا النقل عنه ، وعبارة صاحب الروض ليست كما ساقها الاستاذ الصديق ، حتى لا يكون فيها دليل على ما سقناه نحن ، فليس فيها جماعة من «الناس» بل جماعة من « الفرس » ، كما نقل ذلك صاحب الاستقصا ، فلعل نسخة الصديق سقيمة محرفة مصحفة .

ولم استدل بدليل فى غير محله ، لا فى كتابي ولا فى مقالي ، فتخليد وجودهم بالمدينة ، هدفت اليه التسمية لاحد ابواب المدينة لا محالة ، سواء سقط عليهم السور ، فكان تخليدا لمأساتهم هم ام لم يسقط فكان تخليدا لذكراهم كذلك ، فلا تهم المأساة فى حد ذاتها بقدر ما يهم الوجود الذي عنيناه ، ولا افهم كيف تدفع عبارة « فصنع هناك بابا سماه باب الفصيل » الاستاذ الزميل لان يرى « فى الكلمة فرسا » « Faras » لا فرسا « Fors »

ولا ضير على الصديق أن يرى « عن طريق الحدس ان فاسا هي فاس بالالف وهذه اسم مدينة

سميكة جيدة ، وقد نسخه الاديب الشاعر يوسف (3) المغربي عن خط الامام الشيخ يحيى (4) الاصيلي

**المنصور الذهبي وعلماء المشرق**

في الوقت الذي كان فيه ابو العباس احمد المنصور السعدي على صلة تامة بدولة اروبا ... بالملكة اليزابيث مثلا ملكة بريطانيا التي كانت تفاوضه مطلع القرن السابع عشر فى شأن طلب عونه من أجل « عملية النزول » بامريكا للقضاء على النفوذ الاسباني هناك (5)

3) يوسف المغربي : هو ابن زكرياء المغربي نزيل مصرالاديب الشاعر الحنفي المذهب ، قال الشهاب في ترجمته : « عزيز مصر بنانا وبيانا ويوسف عصره حسنا واحسانا نشأ بمصر يتعاطى صنعة الادب ويربط بأوتاد شعره كل سبب ، ويشارك فى تجارة الفضل بنصيب ، ويرمي لاغراضها كل سهم مصيب بطبع الطف من نسمة الشمال ... درس بمصر القاهرة واخذ عن الاستاذ يحيى الاصيلي وعليه تخرج ...
من شعره قوله :

اشرب ولا تعتب على عاذل ... فمثله في الناس لم يعتب
وان تكن ياسيدي طالبا ... درا وياقوتا من المطلب
فالكاس والصهباء فيها الفنا ... فخذ حديث الكنز عن مغربي ! !

وله في مليح اسمه رمضان :

رمضان قد جئته رمضانا ... وهو بدر يفوق كل الحسان
قلت : صلني فقال وهو مجيب ... « لايجوز الوصال فى رمضان » !

كانت وفاته بمصر يوم الاربعاء ثامن عشر ذىالقعدة سنة 1019 وقد رثاه الاجهوري :

رحم الله المعنى يوسفا ... كان زهرا في رياض الادب !
فسقاه الموت كاسات الردى ... فبكى الشرق لفقد المغرب ! !

يحيى الاصيلي : نسبة لاصيل الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن عثمان بن أيوب . وهو يحيى المصري الاديب الشاعر ، ذكره الخفاجي في كتابه **واثنى عليه كثيرا** ، يقول صاحب خلاصة الاثر : انه رأى له ترجمة فى مجموع الشيخ مصطفى بن فتح الله قيل فيها : « في شعره رقة طبع وخفة روح ، ودماثة اخلاق توسى بها الجروح ، ومجون تسلب الحكيم ثوب وقاره وتنسي الخليع كأس عقاره ، لم يزل موفور الجاه بالديار المصرية لا سيما عند السادة البكرية حتى توفي بمكة المكرمة عند قضائه فريضة الحج فى الثالث من المحرم 1010
له فيمن اسمها شمس الضحى موريا :

لما وفت شمس الضحى ... لي موعدي وشفت غليلي
شاهدت اي عجيبة ... شمس الضحى عند الاصيلي ! !

وله من قصيدة يمدح الاستاذ محمد البكري :

الا ان لي يال صديق أحمد ... لشمس هدى منكم به الكرب ينجلي
فلي منه استاذ ولي منه مرشد ... ولي منه قطب ذو اتصال ولي ولي !

وكتب الى احد اصدقائه يستأذنه في الدخول :

على الباب من كاد شوقه ... يموت وذاك يحيى الاصيلي
اتى يتفنى باوصافكم ... فهل تأذنون له فى الدخول؟

فأجاب الصديق :

لمولاي يحيى رقيق الطباع ... ولطف السماع وحسن القبول
أمولاي هل خارج صوتكم ... لنحتاج للاذن وقت الدخول

والدخول عند المولدين : حسن الصوت الجاري على قانون الموسيقى وضده الخروج .
ومن شعره قصيدة ذات 77 بيتا مطلعها :

فديت من حسنه الفتان اشجاني ... فطال في حبه وجدي واشجاني

الجبوري : المستدرك ص 363 .

( Nevill Barbour : Morocco, p. 111

عبد الهادي التازي : مدخل الى تاريخ العلاقات المغربية الامريكية . محاضرة القيت بقاعة كلية العلوم يوم 10 – 11 – 1966 بدعوة من النادي المغربي الامريكي

من الوثائق التاريخية المغربية في بغداد :

# رسالة المنصور الذهبي لأحد أقطاب الشرق

## صورة عن الحالة الاجتماعية والسياسية في المملكة المغربية

للأستاذ عبد الهادي التازي

خزائن العراق بصفة عامة وخزائن بغداد بصفة خاصة لاتكاد تخلو من الحديث عن المغرب واراضيه ورجالاته ... وقد كان من بين ما لفت نظري ما وقفت عليه فى كتاب المستدرك على الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الاوقاف (1) فقد ورد ضمن المستدركات «مجموع» يحتوي على عدة مؤلفات (2) كان منها صورة لمكتوب ورد من حضرة ملك مراكش مولانا السيد الشريف الى حضرة ملك العلماء شيخ الاسلام الشيخ محمد البكري الصديقي غفر الله له » . كان المجموع لطيف الحجم قديم التجليد ، اوراقه بيضاء

1) الف الدكتور محمد أسعد طلس كتابا اسماه« الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الاوقاف » مطبعة العاني بغداد 1953 من الحجم الكبير عدد الصفحات 429 ، ضمنه اسماء الكتب التي جمعت من مختلف المعاهد واصبحت خزانة الاوقاف تضمها اليوم ، وقد بدا ان هناك بعض الكتب مما لم يتضمنه « الكشاف » فتصدى صديقنا الاستاذ عبد الله الجبوري محافظ خزانة الاوقاف فأصدر كتابا بعنوان « المستدرك على الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الاوقاف » مطبعة المعارف ـ بغداد 1965 صفحات 411 وكلا العملين مما يستحق التقدير والتنويه .

2) المجموع رقم 12331/403 ـ 21 سم x 15 سم يحتوي على : عبرة اللبيب ، وعلى ديوان الصاحب ابن مطروح ، وعلى مكتوب سلطان المغرب للشيخ البكري ، وعلى رسالة فى علم العروض للشيخ الدماميني ، وعلى مقدمة للشيخ العسيلي ، وعلى سجع المطوق لابن نباتة ، وعلى مقامة الشعراء للسرقسطي ، وعلى كتاب السحر فى علم الموسيقى ، وعلى اعراب لامية العرب للعكبري .
انظر المستدرك على الكشاف للاستاذ الجبوري ص 361 ـ 362 ـ 363 ـ 364 ـ 365 .

بدر الدين القرافي (9) والامام اسماعيل بن احمد الشنواني الوجار (10) ، والشيخ ابو بكر بن اسماعيل الشنواني (11) ...
وقد عنيت برسائل المنصور السعدي جل المؤلفات والمقالات والبحوث التي تناولت تاريخ الدولة السعدية من امثال القادري فى نشر المثاني والناصري السلاوي فى الاستقصاء (12) ، والكونت دكاستري(13) وبيانيل في مجلة هيسبيريس (14) .

---

(9) القرافي : هو محمد بن يحيى بن عمر بن يونس الملقب ببدر الدين وهو مالكي المذهب بل شيخ المالكية فى عصره ورئيس العلماء ، وقد تقلد منصب القضاء نحوا من خمسين عاما ، أخذ مختصر الشيخ خليل عن الاجهوري وعن الجيزي وعن والده ، والثلاثة تلقوه عن الامام اللقاني وهو عن السنهوري وهذا عن عبادة ، وهذا عن عبد الله الافقهسي ، وهذا عن بهرام وهو عن الشيخ خليل ، وقد قال عنه عبد الكريم المنشي : « وفي مقامي بالقاهرة كنا معا صبيي جوار ولصيقي دار ، وكان منزلي تارة يتعطر بعبير انفاسه ويتأرج أخرى بعنبر ايناسه ودارت بيني وبينه كاسات المكاتبات وقد كان محظوظا من الدنيا ... » له مؤلفات لا تحصى عدة لكنها بعدان غربت شمسه عبثت بها الايدي .. ولد ليلة 27 رمضان 939 وتوفى يوم 22 رمضان 1008 .
محمد المحبي : خلاصة الاثر فى اعيان القرن الحادي عشر ص 258 المطبعة الوهبية بمصر المحمية اواسط ذي الحجة ختام 1284 .

(10) اسماعيل الشنواني : يعتبر اسماعيل هذا من أعلام عصره وقد ورد فى ترجمته ان من اعظم تئاليفه شرحا لاوضح ابن هشام على الفية ابن مالك فى عدة مجلدات ، وان سلطان المغرب فى وقته ابا العباس احمدالمنصور السعدي الشريف لما سمع به ارسل اليه عطية جزيلة ورجا منه ارسال نسخة منه.
محمد بن الطيب بن عبد السلام القادري : نشرالمثاني الجزء الثاني ، الطبعة الحجرية ص 111 .

(11) ابو بكر الشنواني : هو ابو بكر بن اسماعيل بنشهاب الدين عمر بن علي الشنواني ، تونسي الاصل ، فى شنوان (بالمنوفية بمصر) وتعلم فى القاهرة وبها توفى سنة 1019 هجرية (1611) له كتب كلها شروح وحواشي على الاجرومية وشذور الذهب ، والقطر ، وله كذلك على ديباجة مختصر خليل في الفقه المالكي ، وقد ذكر المحبى صاحب تاريخ خلاصة الاثر فى اعيان القرن الحادي عشر تعليقا على ترجمة هذا الشيخ ان من مؤلفاته **شرحا على الاسئلة السبع** للشيخ جلال الدين السيوطي التي أوردها على علماء عصره حيث قال : ما تقول علماء العصر المدعون للعلم والفهم فى هذه الاسئلة المتعلقة بألف باء تاء ثاء الى آخرها ، ما هذه الاسماء وما مسمياتها ؟ وهل هي اسماء اجناس ام اسماء اعلام فان كان الاول فمن اي انواع الاجناس هي ؟ وان كان الثاني فهل هي شخصية أو جنسية؟ فان كان الاول فهل هي منقولة أو مرتجلة ؟ فان كان الاول فمما نقلت ؟ أمن حروف أم افعال ام اسماء اعيان ام مصادر ام صفات ؟ وان كانت جنسية فهل هي من اعلام الاعيان او المعاني الى آخر اسئلته.. وقد بلغت اصداء شرحه هذا لملك المغرب مولاي احمد المنصور بن مولاي محمد الشيخ ، فأرسل له عطية جزيلة ورجا منه ارسال نسخة منه . وهذا الشرح فى مصر معدوم على ما سمعت ، ويقال انه لا يوجد الا بأرض المغرب لان نسخته اغار عليها بعض المغاربة فذهب بها معه الى بلاد المغرب هكذا قال المحبى فى الخلاصة ، وكنت لا اشك وانا ببغداد ان الكتاب لابد ان يكون ضمن المجموعة التي اهداها المنصور السعدي الى خزانة جامعة القرويين العامرة لكن الاستاذ البحاثة السيد محمد العابد الفاسي محافظ الخزانة الكبرى لهذه الجامعة افادني انه لا وجود لهذا الكتاب بين تلك المجموعة المهداة وأكد من جهة اخرى ان بعض العلماء المغاربة تولى نظم الاسئلة المذكورة آنفا بينما تصدى أحد القضاة المغاربة كذلك لشرحها نثرا .

(12) القادري : نشر المثاني الجزء الاول ص 36 الناصري : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى طبعة دار الكتاب ، الدار البيضاء 1955 ، الجزء الخامس ص 115

(13) H. De Castrie, année 1923, p. 433-488

(14) Georges Pianel, année 1949, p. 243-245 — Année 1953, p. 185-197

في هذا الوقت بالذات كان ايضا على اتصال مستمر بفقهاء مدينة فاس يكاتبهم بما جد ويكاشفهم بما يعتزم عليه من مشاريع ، وفي هذا الوقت ايضا نراه يراسل علماء المشرق ويستقدمهم من العراق والحجاز والشام ومصر (6) ، ويبذل الغالي والنفيس من أجل الحصول على المخطوطات النادرة التي كان يزود بها خزانته الخاصة وخزانة جامعة القرويين (7) ...

كان من جملة من كاتبهم الامام ابو عبد الله محمد بن الشيخ ابي الحسن البكري (8) رضي الله عنه ، والامام ابو محمد بن يحيى المصري الشهير

---

6) احمد المقري التلمساني ( روضة الآس العاطرة الانفاس في ذكر من لقيته من اعلام الحضرتين مراكش وفاس ) المطبعة الملكية 1964 ص 14

7) محمد العابد الفاسي : الخزانة العلمية بالمغرب 1960 ـ مطبعة الرسالة ـ الرباط ص 42 ـ 43 ـ 44

8) يعتبر الامام البكري هذا من ابرز اقطاب الجامع الازهر في القرن العاشر ، ونظرا لما كان ينعم به من مركز مرموق ونظرا لتعدد السادة البكريين والتباس الامر على بعض الناس نرى من المناسب أن نميز هذا السيد ببعض ما يعرف به : فهو الشيخ محمد بن الشيخ ابى الحسن محمد بن محمد بن عبد الرحمن ينتهي نسبه الى سيدنا ابى بكر الصديق رضي الله عنه ، فهو بكري صديقي وهو شافعي المذهب اشعري العقيدة ، وأم جده الاعلى تصل الى الحسن السبط ، وقد روي ان الشيخ كان يعتز بهذه النسبة النبوية ، احتل كرسي والده شيخ الاسلام بعد وفاته ولما يبلغ احدى وعشرين سنة . فكان معلمة فى الدرس والاملاء والاستحضار لا يرتاب سامعه في أن ما يتكلم به ليس من جنس ما ينال بالكسب ، وقد روي عن كثير ممن حضروا مجالسه انه ربما كان يتكلم فيه بكلام لا يفهمه أحد من اهل مجلسه مع كون اكثرهم على الغاية من التمكن فى سائر مراتب العلوم الاسلامية والاحاطة بفنونها ، كان يسكن ببولاق وكانت مجالسه فى التفسير مشهودة بما يقرر فيها من المعاني الدقيقة والابحاث الغامضة مع استيعاب أقوال ائمة التفسير من السلف والخلف وبيان أولاها بالاعتماد عنده وذكر المناسبات بين السور والآيات ... وما من درس من دروسه الا وهو مفتتح بخطبة مشتملة على الاشارة الى كل ما اشتمل عليه ذلك الدرس على طريق براعة الاستهلال ، وكان الشعراء المتمكنون فى علوم اللغة وقواعد الشعر ومذاهب الانشاء من فضلاء مصر يقصدون يوم ختمه فينشدون ابدع القصائد ، وكان اذا قام من مجلسه يتقدم اليه الناس للتبرك بدعائه وكثيرا ما يقع الناس تحت الاقدام وهم يتسابقون اليه ولهذا فقد خصصت جماعة من الجند للتحليق على حضرته خوفا عليه من اذاية الازدحام اذ كان يقف بعد درسه نحوا من الساعة الزمانية ينتظر مرور الناس لتقبيل يديه ! وقد توفى فى شهر ربيع الثاني سنة ثلاث وتسعين بعد التسعمائة له تصانيف عديدة فى الفقه والتصوف ، وله ديوان شعر كبير من نظمه رحمه الله فى بعض رسائله التي كان يبعث بها لابى العباس المنصور :

ومذ نأيتم ولم أستطع مسيرا لحضرتكم بالقدم
سعيت اليكم برجل الرسول وخاطبتكم بلسان القلم

وقد لقيه من المغاربة بمصر الاستاذ العلامة احمدبابا التنبكتي المالكي . ومن آدابه : لا تنتقم من اشد الناس اذاية لك بل بالغ فى معاملتهم بالرحمة حتى يبلغ الامهال اجله ويفعل الله ما يشاء . ومن نكته الجارية انه سئل : لم كان فى اهل مكة قسوة وفي اهل المدينة لين ؟ فأجاب : لان اهل مكة جاوروا الحجر واهل المدينة جاوروا البشر ! ! وقد خلف الشيخ اولادا أجلهم الشيخ **زين العابدين** الذي مشى على طريقة والده ولم يزل على ذلك الى ان قتله سنة 1010 احد باشوات مصر مما أدى الى تواطؤ انصار البكريين على اغتيال ذلك الباشا

العيدروسي (ت 1038) : تاريخ النور السافر عن اخبار القرن العاشر ، مطبعة الفرات بغداد 1353 ـ 1934 . اليفرني : نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي تصحيح هوداس طبع 1888 ص 129 ـ 131 ـ 132 . خلاصة الاثر ص 211 ـ 212 محمد اسعد طلس : الكشاف عن مخطوطات خزائن الاوقاف ص 294 ـ 295 . ابن ابراهيم : الاعلام بمن حل بمراكش من الاعلام المجلد 2 ص 53 .

(2) بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله

من عبد الله تعالى الامام الخليفة ابى العباس المنصور أمير المؤمنين بن مولانا الامام الخليفة امير المؤمنين وناصر الدين أبى عبد الله محمد الشيخ المهدي ابن مولانا الامام الخليفة امير المؤمنين ابى عبد الله القائم بأمر الله الشريف الحسني ايد الله بعزيز نصره اوامره وظفر عساكره وابقى فى الصالحات ذكره الجميل ومفاخره ، وحلى جيد الدهر بمآثره ومكارمه الفاخرة ، ووصل له بمنه ويمنه مجد الدنيا بمجد الآخرة بحوله وقوته وفضله ومنته الى المكانة (17) التي اشتهر صيتها في الآفاق وطار ، وتضوع عرف سنانها بين الخافقين واستطار ، وبازى النسيمات السحرية النجدية نسيمها المعطار ، والحضرة التي طارت بها الشمائل الصديقية كل مطار (18) . حضرة السيد الامام ومن القت اليه المعارف بزمام ، والصدر الذى حاز الفضائل على التمام ، وامتطى مراتب المعالي المفارب والسنام ، والحبر الذي أحاط علما بالفروع من الدين والاصول ، وله الى رتبة الاجتهاد اللحاق والوصول ، حجة الله فى الارض ، وقطب رحى العلوم فى طول البسيطة والعرض ، الجامع بين الشريعة والحقيقة ، والجاري فى احواله وتصرفاته على أهدى سنن واقوم طريقة ، العالم العلامة والبحر (19) الفهامة ، الآخذ بنواصي (20) المريدين الى طريق الاستقامة ، صدر صدور الفئة ، ومن يجدد به الدين — ان شاء الله — على رأس المائة (21) ، قدوة العارفين، ومربي السالكين ، والقطب الذي جرت به الديار المصرية على من سواها ذيل الزمان والاعجاب ، وانقشع بعلومه عن الآفاق المشرقية والاقطار المغربية غيم الجهالة وانجاب ، العالم العلم سيدي ابي عبد الله محمد بن العالم العامل المحقق الفاضل القدوة البركة

(3) العابد التقي الحافظ المسند ، الصدر الاوحد ابى علي الحسن (22) البكري ابقاه الله علما للاهتدى، وكعبة يؤمها كل من راح فى طلب المعالي واغتدى ، وحجة ربانية تقطع كل من مد الى هذا الدين المحمدي يد التحريف والعدا (23) . سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته سلاما يتعطر بشذاه من تلكم الحضرات الصديقية ناديها ، وتطيب (24) به من تلكم المكانة البكرية خواتمها ومباديها . اما بعد حمد الله الذي ألف بين لطائف الارواح مع تنائي الاشباح ، وجعل المواصلة في ذاته والمحبة من اجله سببا كفيلا بنيل كل فوز وفلاح ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل من خفقت عليه الوية النصر الرباني والتأييد الالاهي في موقف الكفاح ، والرضى عن آله وصحابته أشرف من طاعن عن دينه القويم بالاسل وجالد ببيض الصفاح . فهذه عجالة تجلو على حضرتكم الصديقية مثابتكم البكرية محياها وتسكب حياها على ربوعها التي حالفها اليمن والايمان وحياها ، كتبناها اليكم كتب الله لكم سعادة مفعمة المذانب(25) والحياض مخضرة الجوانب مونقة الرياض ، من حضرتنا العلية، ومقر هذه الايالة الحسنية (26) ، ومتبوا خلافتنا الهاشمية العلوية ، ومعقد الويتنا المنصورة بالله الجهادية ، حيث الارزاق والجرايات للمجاهدين

---

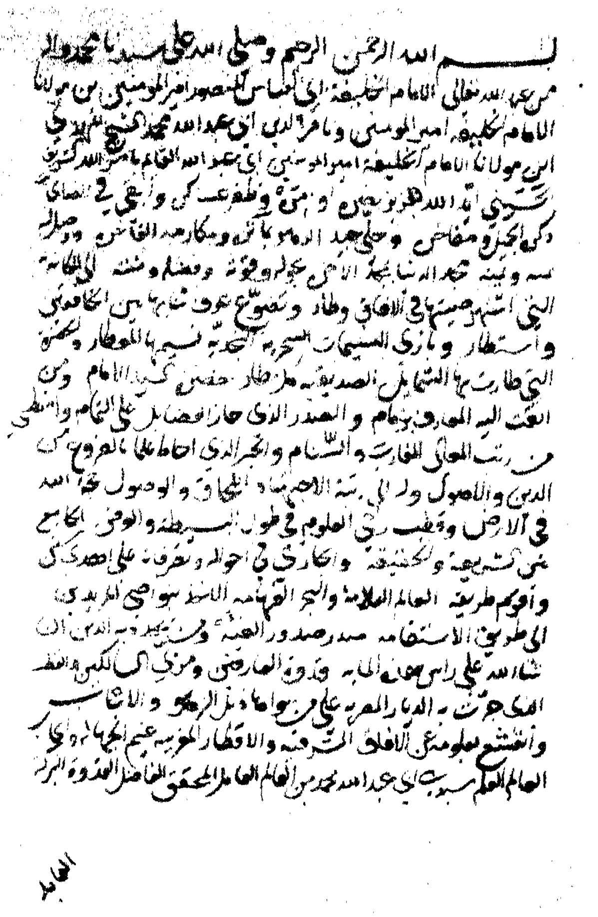
17) في ( رسائل سعدية ) : المثابة ص 33 . هذا وكل ما تقدم مفقود فى رسائل سعدية
18) في ( رسائل سعدية ) اضافة جملة : « وانشد لسان حالها معربا عن حالها :
تمنع من شميم عرار نجد — فما بعد العشية من عرار
19) فى رسائل سعدية : النحرير ص 34
20) فى رسائل سعدية : بيد المريدين
21) هذه الفقرات ناقصة فى رسائل سعدية
22) زيدت كلمة ( ابن ) بين الحسن والبكري في رسائل سعدية
23) يعني العداء بفتح العين ، وهي زيادة لا توجد فى (رسائل سعدية)
24) الفعل ( يتعطر ) بالياء ، والفعل ( تطيب ) بالتاء، وهو ما كان ينشده الاستاذ كنون فى النسخة البزيوية
25) جمع مذنب وهو مسيل الماء والجدول اذا لم يكن واسعا ، وكل هذه الزيادة تنقص فى المصادر المغربية
26) في نسخة البزيوي : الايالة العلوية .

لكن الذي تولى مشكورا نشر معظمها على حدة هو الاستاذ البحاثة الاخ عبد الله كنون في كتابه « رسائل سعدية » التي طبعها معهد مولاي الحسن سنة 1954 . وفي موضوع الوثيقة التي عثرت عليها في بغداد يذكر الاستاذ كنون « ان الورقة التي نقل عنها الرسالة كانت **مهلهلة** ولذلك فانه قد **لفقها** بقدر الاستطاعة (15) » وأؤكد منذ الآن ان « تلفيقه « كان اقرب الى الصواب باستثناء بعض الزيادات هنا وهناك مما لها بعض الفائدة .

* * *

والرسالة المشار اليها تعتبر من عيون الرسائل التي حررها وزير القلم المنصوري ابو فارس عبد العزيز الفشتالي الى الشيخ الامام البكري .. وتكتسب اهميتها من انها كتبت في ظروف كان المغرب يتحفز فيها للوثوب على بقية اراضيه المغتصبة بل يسعى لتقوية اسطوله ودعم عسكريته للعودة مرة أخرى الى الاندلس (16) ! ظروف كان المغرب فيها يستجمع انفاسه لابعاد شبح الاتراك عن الاراضي المغربية ... ظروف كان المغرب فيها يساوم من اجل تقديم المساعدات لبريطانيا العظمى .. ظروف انسابت فيها الجيوش المغربية عبر السوادين ... لاجل كل هذا فاننا نرى أن ننبه الى ان القصد البعيد من هذه الرسالة ليس فقط مجرد طلب اجازة من العلماء المشارقة ولكن الهدف كان اكثر من ذلك ، فقد كانت ترمي الى التاثير على الاتراك ، واظهار صلته باقطاب العلم هنا وهناك ، وكانت ترمي الى **تزكية** السياسة السعدية حول عدد من المسائل الجارية ولا شك فيما لهذا من عظيم كسب لسمعة المغرب وعظمة الدولة . ويليق التنبيه الى ان الرسالة قبل ان تفصح عن غرض طلب الاجازة عمدت الى تقديم الجيش المغربي والاشادة بالقوة العتيدة التي تتوفر عليها المملكة والتنويه بنشر العدالة واقامة قسطاط العدل والانصاف بين الناس ... كما انها اشارت الى النسب الشريف الذي ينتمي اليه السعديون وفي ذلك ايضا من الدلالة على اولويتهم بالامامة ما لايخفى .. ثم انها وصفت تمسك البلاد بالدين ومعالمه دون الاستسلام الى الانحراف ومباذله ... وبعد هذا تقف الرسالة وقفتها الملحوظة المقصودة لتتحدث عن امر الحدود ومشاكل الجوار وخاصة منهم الاسبان عبدة الصليب على حد تعبير الرسالة وتعتبر هذه الفقرة في نظرنا مما يؤكد عزم المنصور السعدي على تصفية الحساب مع الاسبان الامر الذي تحدثت عنه المصادر المغربية والاجنبية على السواء .. وتأتي الرسالة بعد ذلك على ذكر النهضة العلمية بالمغرب ، وما يقوم به العاهل المغربي من تشجيع للعلماء وحملة الشريعة الاسلامية ..

وبعد هذا نتصفح المجموع لنقرا الرسالة السلطانية معلقين على بعض مناحيها :


بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

( عنوان الكتاب )

**(1) صورة مكتوب ورد من حضرة ملك مراكش مولانا السيد الشريف الى حضرة ملك العلماء شيخ الاسلام الشيخ محمد البكري الصديقي غفر الله له**

15) نتساءل لماذا نعت الشيخ محمد البكري بزين العابدين مع انه لقب لولده المتوفى سنة 1010 :
كنون : رسائل سعدية ، معهد مولاي الحسن ، دار الطباعة المغربية ، محمد الطريس 17 تطوان ، المغرب سنة 1954 ص 33 — 34 — 35 — 36 — 37 — 38 — 39 — 40 .

16) Nevill Barbour : Morocco, 1965, p. 110

الله وتقوى ، وسلمت بحمد الله من أن تشاب بما يشينها من دواعي الهوى والاعتقادات التي تكفلت مقدماتها بنتائج القبول ، وتعاضد على استحسانها المعقول والمنقول ، الى ما يتلى فى هذا النادي المولوي من سور مولاتك ، ويدار فى هذا المقام السلطاني من كؤوس مصافاتك ، ويرفع فيه

(5) على شط المزار ، وتنائي الدار (34) ألوية مواخاتك ، وبحسب هذا فالمطلوب منكم ان لا تزال السنتكم منطلقة لهذا المقام **الفاطمي** واللواء النبوي بالدعاء بصلاح الحال ، وبلوغ المراد فيما نامله في نصرة السنة المحمدية من الآمال ، فانتم احق الناس بموالاة هذا المقام ، واولاهم بالاعتناء والاهتمام بأمره فى الظعن والمقام ، فان سلفكم اول من ارتدى من الايمان بما جاء به **جدنا** (35) صلى الله عليه وسلم رداء ، واول الصحابة رفع لنصرته لواء ، فأين نسبة الاثنينية (36) اذ هما فى الغار ، ثم ما حصل بعدها من ركوب تلكم الاخطار التي لا تخطر السلامة منها على البال الا بالاخطار ، واين الصحبة العريشية (37) التي اوجبت المنع يوم بدر من البدار ، والحرص على الامتناع بالنفس ساعة من نهار ، فهذه النسب وامثالها لكم بحمد الله عندنا محفوظة ، وبعين العناية وان شطت الدار ملحوظة ، فاحفظوا لها ما يتأكد حفظه من مراعاة الذمام ، وليكن لكم بعرفان عرفاتها ومصافاة مروتها وصفاها نزول والمام . فلا تزال مواعظكم تنتشر على اسماعنا حباها ، ومكاتباتكم النافعة تخلد فى انديتنا السلطانية حباها (38) ، فانا بحمد الله ممن يحسن الاصغاء الى ذلك والاستماع ، ويودعه فى سويداء قلبه أحسن ايداع ، ولا تزال أهلة رسائلنا بقدر الامكان تلوح عليكم فى تلك الآفاق ، وتطوي اليكم أديم الفلوات على متون النياق ، وتامن في خفارتها ببركاتكم الرفاق ، وليكن سيدنا على يقين (39) أن اغراضه فى هذه الدار السلطانية متلقاة بالقبول ، ووسائله متكفل لها ببلوغ الامل وغاية السول ، وشفاعته عن باب القبول والاقبال منا غير مردودة ، وفي مدخراتنا للمعاد

(6) معدودة ، فارسل علينا من صيبها الوابل والرذاذ ، وارمنا (40) منها بالكل والبعض والجذذ والافلاذ . ثم مما يكون به لهذه المخاطبة الختام ، ويحسر عن محياها الوسيم لاجله اللثام ، استدعاء **اجازة** من ذلك **المقام الصديقي** يؤجر عليها المجيز ويشرف بها المجاز ، ويكمل بها الانحياش الى **المقام النبوي** والانحياز ، ويكون على جسر سندها الى مرضات الله المعبر والمجاز ، على أن تمدوا فيها رضى الله عنكم اطناب الاطناب ، وتنفضوا فيها الجراب والوطاب ، منعمين فيها بالتصدير بالكتب التي هي اكف الاسلام ، واتفق على صحتها بين الانام ، ثم بمشاهير التصانيف الاسلامية ، والتآليف العلمية ، ثم بالتعميم فى المقروءات والمسموعات ، والمتناولات والمجازات ، متفضلين فى كل ذلك بذكر اسانيدكم فى كل مجاز ، ومكملين الصنيعة بذكر الشيخة (41) التي لكم عليها الاعتماد ، ومطرزين لذلك بذكر ما لهم من الانباء العطرة ، والحكايات المستلذة ، والمواليد والوفيات ، والاسنادات الغريبة ، والمقاطيع المستظرفة ، على ان يكون ذلك كله ان شاء الله في **مجلد** تتشرف به هذه الاقطار المغربية وتنشر به محاسنكم الامامية بحول الله وقوته . وهذا ما اوجبه اليكم والسلام التام (42) المبارك الاعم معاد عليكم ورحمة الله وبركاته بتاريخ اواسط ربيع الآخر من عام احدى وتسعين وتسعمائة عرفنا الله خيره وبركته آمين والحمد لله رب العالمين .. »

---

34) سقطت كلمة (من) قبل الوية وهي فى رسائل سعدية . هذا ومن

35) راجع تعليق رقم 27

36) فى ( رسائل سعدية ) الاثنية بحذف نون المثنى رعيا للقاعدة

37) الاشارة الى العريش الذي كان مأوى للرسول عليه السلام مع صاحبه سيدنا ابى بكر الصديق وحارسه الخاص سيدنا سعد بن معاذ وذلك فى غزوة بدر حيث كانت الاشارات النبوية تنفذ منه .

38) هنا طرة هكذا : « الحباء بالكسر العطية . والحبى جمع حبوة (غرف جمع غرفة) وهي الآلة التي يضم بها الرجل رجليه الى ظهره ، وهذا اشارة الى تمام التمكن في المجامع .

39) حذفت من (رسائل سعدية) وقد استوجبها الاستاذ كنون .

40) في الاصل : وارملنا ولعل الصواب وارمنا على ما فى ( رسائل سعدية )

41) فى (رسائل سعدية) مشيخة بدل شيخة ، وكلاهما جمع لشيخ .

42) ابتداء من كلمة ( التام ) كله مفقود فى ( رسائل سعدية )

مفروضة ، والعساكر الايمانية في المسا والصباح علينا في ذات الله معروضة ،حمراء مراكش كرسي خلافتنا الفاطمية (27) ، وحضرة ملكها ، ومربط مسوماتها العراب ووكر اغربة (28) فلكها ، ومجرى ذراريها النيرة ومدار فلكها ، ولا زائد بحمد الله سوى ما الهم الله سبحانه بفضله ، ووفق اليه بحوله وطوله من تشييد المعالم الدينية في هذا القطر

4) المغربي على قدر الاستطاعة ، وتجديد ما يختشى عليه من الرسوم الايمانية الدروس والاضاعة ، واقامة قسطاط العدل والانصاف بين أوزاع البرايا ، والرفق بما مد الله عليه رواق هذا الامر العلي من اصناف الرعايا ، والاخذ بمخانق من جاورنا من فئة التثليث وعبدة الصليب ، وافراغ شئابيب الصفار عليهم من رمي اغراض مغانيهم من التضييق بالسهم المصيب الى ما وصلنا فيه بمحد الله وجميل طوله البكر والآصال ، ولنا من الحنين الى سلوك سبيله ما يزري بحنين النيب (29) الى الفصال من تفقد حملة الشريعة والاخذ بحجزهم (30) عما لايليق بجانب العلم من الخصال الشنيعة وادارة كؤوس التعلم والتعليم في الفنون العلمية مساء وصباحا والتضلع من جريالها (31) ومعين سلسبيلها اغتباقا واصطباحا. هذا وموجبه اليكم استمطار ما يتأكد استمطاره من ذلك الجناب الصديقي من الادعية الصالحة ، وانعطاف تلكم الهمم البكرية التي هي في ميزان الاعتبار على من سواها راجحة ، والى المصالح العامة والخاصة بهذه الامة المحمدية جانحة ، وبكم الى ما يرضي الله ورسوله في العباد جامحة ، والانهاء اليكم ، والتعريف بما لتلكم الذات الفاضلة في هذه الحضرة الامامية ، والمثابة (32) المنصورية ، من المودة (33) التي أسست على رضوان من

27) حذف وصف **الفاطمية** في رسائل سعدية ، وقد لوحظ ان القصد من هذه الصفات الهاشمية ، العلوية ، استحقاق السعديين للخلافة العظمى دون خلفاء بني عثمان ... وذكر الاستاذ الجليل السيد عبد الله كنون ان الشيخ البكري ربما كان **تحايل** على صرف معنى الخلافة المدعاة الى خلافة اقليمية وذلك عندما اجاب المنصور السعدي في بعض رسائله هكذا « أحمد خليفة ملك ملك حبات القلوب .. » ومع الاعتراف بالموقف الحرج الذي وضع فيه الشيخ البكري من قبل المنصور السعدي والتسليم بأن هناك نوع تحايل فانني ما ازال اعتقد ان منزلة الشيخ البكري كانت من المناعة والعصبية بحيث يقول ولايخشى لومة لائم على نحو ما عهد في علمائنا المتقدمين ممن كانوا لايتهيبون قول الحق والا فبماذا نفسر قول الرسالة البكرية في جوابها للمنصور السعدي : « يناصرهم من فتاك الاتراك كل قسور فاس » ولننظر مثلا الى مقتل ولده زين العابدين من قبل احد الباشوات .

28) الاغربة جمع غراب والغراب هنا كلمة مرادفة لكلمة قطعة بمعنى السفينة القديمة التي تسير بالقلوع والمجاذيف يستعمل بصفة خاصة في الاغراض التي تكتسي صبغة الاستعجال .. وقد يوصف بالطيار ، ورد ذكرها في عدة مصادر ، و خاصة منها المغربية . واستمر لفظ الغراب معروفا الى اواسط القرن الثامن عشر ، ولذلك فاننا نجد له ذكرا في سفارة الغزال لاسبانيا ، والغراب بهذا المعنى من الالفاظ التي احتفظت بها اللغة الاسبانية Guraprs

وقد ورد في شعر لابي عمر بن حربون :

تعجبوا من غراب فوق غاربه ... تهلان ذو الهضبات الشم او احد !

ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، نشر عبد الهادي التازي ص 252 — 255 — 618 .

29) يوجد على طرة الرسالة هذا التعليق : النيب جمع ناب : الناقة المسنة ، والفصال جمع فصيل وهو الصغير من الابل .

30) كذلك توجد طرة اخرى على هذه الكلمة : الحجزة محل عقد الحزام ، ومعنى الاخذ بالحجزة المنع من الوقوع فيما لا يليق .

31) الجريال والجربالة : الخمر .

32) تقدم ذكر ( المثابة ) مرارا وقد ارتأى المعلق على الرسالة السلطانية هنا أن يفسرها في هذه الكلمات: المثابة هي الموطن الذي يرجع اليه ، قال تعالى: « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا » .

33) سقطت الكلمة من نسخة البزيوي ، وقد صدق حدس الاستاذ كنون في انها ( المحبة ) انظر صفحة 37 من ( رسائل سعدية )

# القاضي أبو الوليد محمد بن رشد الفيلسوف الأندلسي

للأستاذ إحسان النمر

**الكتابة عن ابن رشد :**

ابن رشد احد قضاة الاسلام بدرجة امام ، له مؤلفات اسلامية وهو طبيب . وبعد هذا وذاك حكيم أي فيلسوف . فمن يرد الكتابة عنه يجب ان يكون دارسا لعلوم الدين الاسلامي ، والا فان كتابته تسير على رجل واحدة . وهو رجل مركب ينبغي ان يكتب الكاتب عن جميع نواحيه . لا سيما السياسة . لانه كان احد رجال الدولة ومن المقربين للخليفة . فمن يكتب عنه يجب ان يكون واقفا على تاريخ بلاده فى ذلك العصر ، والا فلا يجوز له ان يكتب .

والمؤسف ان مثل هؤلاء يكتبون متاثرين الى حد كبير باساتذتهم من الاوربيين والمستشرقين فيزيدون الطين بلة ،بدلا من ان ينقوا هذه الكتابات من الاخطاء والاغلاط والدسائس التي ترد فى كتابة اولئك الغربيين الذين لا يبالون بما يكتبون ، لانهم لا يتعمقون بدراسة كتب الاسلام ولا يهمهم الا نصاف عامدين .

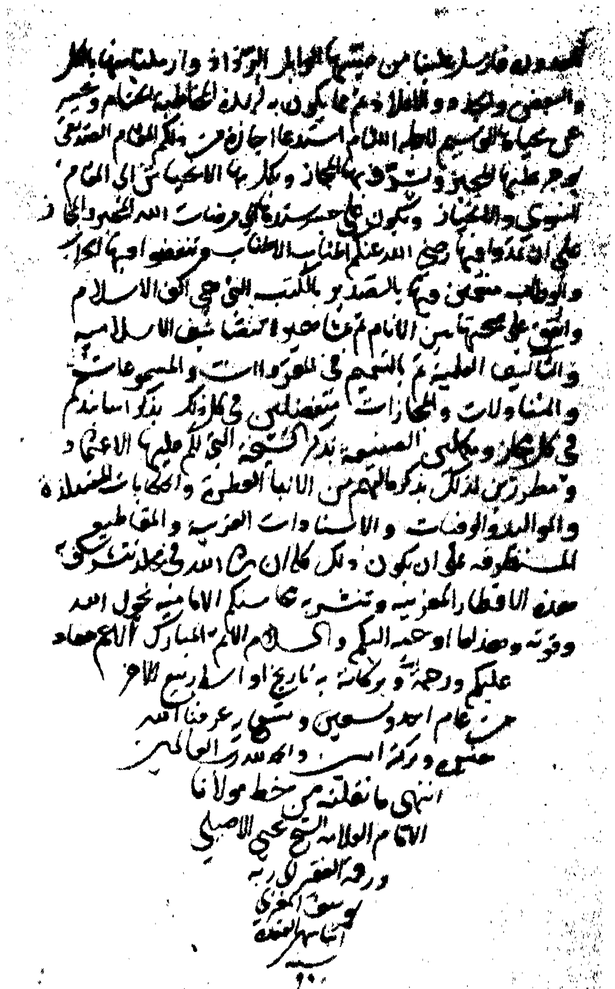
**خلاصة تاريخ الاندلس من الفتح الى عهد ابن رشد:**

معلوم ان الاندلس فتحها طارق وسيده موسى ابن نصير سنة 92 هـ ، وتوالى عليها ولاة الخلفاء الى ان كان الانقلاب العباسي فدخلها من الامويين عبد الرحمن ابن معاوية سنة 139 هـ هاربا من العباسيين ، وما زال يعمل حتى رسخ اقدامه ، وهابه العباسيون فتركوه وشانه . وتعاقب الامراء على الاندلس من ذريته يلقبون بالامير فقط . لا يدعون الخلافة الى ان تغلب الاتراك على الخلفاء العباسيين فتجاسر عبد الرحمن الناصر على التلقب بلقب امير المؤمنين ، وقد بلغت الاندلس ذروة المجد فى عهده الذي دام خمسين سنة . وكان يتولى قيادة الجيوش بنفسه ، ولم تقتصر حروبه على اخضاع الثوار فى الداخل واخضاع المناوئين فى الخارج . فقد اجتاز العدوة الى افريقيا فاستولى على المغرب ليصلح ما افسدته دعوة الفواطم الروافض ، وقد استولى على مصر وانتقلت اسرة الملك ولم يكن العباسيون وولاتهم الاغالبة ، يلتفتون الى تنبيهات عبد الرحمن الناصر .

وعلى اثر موت عبد الرحمن الناصر تولى ابنه الحكم وكان ضعيفا وقد بدا انهيار عظمة الاندلس بعاملين داخلي وخارجي .

لقد مات الحكم عن ولده هشام الطفل فاستوصت عليه امه وتولى الامور وزيرهم الملقب بالحاجب المنصور ابن ابي عامر وعظم شأن ولده حتى طمعوا بالخلافة والحلول محل البيت الاموي ، وكان هذا هو الاصلح لان

انتهى ما نقلته ــ يقول يوسف المغربي ــ من خط مولانا الامام العلامة الشيخ يحيى الاصيلي ، ورقمه الفقير الى ربه يوسف المغربي اثناء شهر القعدة سنة 998 .


انتهى ما نقلته من خط مولانا
الامام العلامة الشيخ يحيى الاصيلي
ورقمه الفقير لربه
يوسف المغربي

هذا وعن الرسالة اجاب الامام البكري بكتاب طويل ــ ولكن ليس بمجلد كما طلب المنصور السعدي ــ وقد اثبت جل هذا الكتاب الوزير صاحب القلم الاعلى ابو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي فى كتابه مناهل الصفا فى اخبار الملوك الشرفا (43) ، وقد وصف قطب الاقطاب الشيخ البكري رسالة المنصور السعدي ، بانها « السحر الحلال » ، كما يوجد جواب الشيخ ضمن « رسائل سعدية » التي تحدثنا عنها آنفا ، وقد اثبت ابو العباس الناصري السلاوي فى كتاب الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى (44) طائفة من الكتاب البكري للمنصور السعدي رحمهم الله اجمعين .

**الرباط : عبد الهادي التازي**

---

43) نشر الاستاذ الجليل السيد عبد الله كنون الجزء الثاني من هذا الكتاب (المناهل بمساهمة المركز الجامعي للبحث العلمي وتحت اشراف معهد مولاي الحسن للبحوث ، ويوجد جواب البكري لحسن الحظ فى هذا الجزء المنشور فى صفحات 192 ــ 193 ــ 194 ــ 195 ــ 196

44) انظر الجزء الخامس ــ طبعة دار الكتاب ــ الدار البيضاء ص 115 .

خطرا على الدين فضغطوا على الخليفة وحملوه على ابعادهم ، ولما نزلوا بين العامة أهانوهم بنسبة عقليتهم وتعصبهم الشديد فاهانوا ابن رشد وقد بلغ عمرا تهدمت معه اعصابه فمات مكمودا .

على ان ابن رشد لم يحرم من المعترفين بفضله ولكن بعد موته بكثير لا سيما من الغربيين ، فكان امره كما قال الشاعر :

لا الفينك بعد الموت تندبني
وفى حياتي ما زدتني زادي

ولم تقتصر النكبة عليه بل نكبوا بضعة اشخاص معه ممن يشبهونه ارضاء للفقهاء الذين اثاروا العامة ، ومن هؤلاء المنكوبين : أبو جعفر الذهبي ، وأبو عبد الله محمد بن ابراهيم قاضي بجاية ، وابو الربيع الكفيف وابو العباس الحافظ الشاعر القراني ، وبقوا مدة فى حالة نقمة الى ان اتصل جماعة من أعيان اشبيلية بالخليفة المنصور يعقوب أبو يوسف المذكور فرضي عنهم سنة 595 هـ فعين ابا جعفر الذهبي مزورا الطلبة ومزورا الاطباء ، وكان يقول عنه ان ابا جعفر الذهبي كالذهب الابريز الذي لم يزدد فى السبك الا جودة . وقد أصدر منشورا الغى منشور النكبة واعاد ابن رشد الى منزلته ، ولكن أمره لم يطل كما قلت ، فمات لان هذا العمل لم يغير من رتابته . وقد عطف المنصور على أولاد ابن رشد وكانوا فقهاء فعينهم قضاة فى الاقضية ( الكور ) .

## « نتيجة سياسية »

وبالمقارنة بين احوال الشرق وتفسخ العقيدة الدينية فيه والانحلال السياسي وما نتج عن ذلك من الهزائم المخجلة امام الصليبيين والمغول مع حال المغرب والاندلس مع خلوه من الفرق نجد ان التعصب الشديد الذي كان عليه الفقهاء هنا اتى بنفس النتيجة من حيث الانحلال والتفسخ الذي ادى الى ضياع الاندلس واحتلال الاسبان والبرتغال للمغرب أمدا . فيحكم بان نتائج التشديد والتأويل واحدة ولو سلم المسلمون من البدع ولم يحصل رد الفعل عليها فى المغرب لما اصاب الاسلام بشقيه المغرب والمشرق ما أصابه من الانهيار والنكبات .

ومن جهة اخرى نجد ان فشل اميري المؤمنين يوسف وولده يعقوب بتقليد اميري المؤمنين هارون الرشيد وولده المأمون نتج عن ضعف ملوك وخلفاء المغرب أمام الفقهاء ، وظهر ان خلفاء المشرق من أمويين وعباسيين كانوا أقوياء ، لا يبالون بالفقهاء ، فان المنصور والمعتصم والواثق اضطهدوا الامامين ، مالك وابن حنبل ، ولم يبالوا ، وسواء كانوا على حق أم على باطل، فانهم اظهروا قوة ، فمن الوجهة السياسية المقارنة لحل ملوك المغرب يظهر صوابهم وقوتهم .

## ابن رشد الفقيه المجتهد الكبير :

نشأ ابن رشد وعاش ومات فى القرن السادس الهجري الذي تواردت (1) فيه على المغرب والاندلس ثمار النهضة العلمية العباسية ، وفيه وصلت اليهم ثمار الاجتهاد ونتائج النزاع بين الكلاميين والفرق . وكذا نتائج اجتهاد الائمة المجتهدين فى جميع شؤون الحياة .

وكان ابن رشد يلتهم هذه الثمار التهاما عجيبا ، فقد كان من أفذاذ العالم فى الذكاء ، وما زال يدرس وينضج الى ان شعر بانه من الراسخين فى العلم ، وكان قد درس الى جانب هذا الفلسفة ووجد فى نفسه الكفاءة للرد على المتهجمين عليها ، كما سيتبين فى البحوث الاتية . فالى جانب رده على تهافت الغزالي بكتابه الذي سماه ( تهافت التهافت ) الاتي الكلام عليه ، قام بكتابة رسالة سماها « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » حاول فيها التوفيق بين آراء علماء الاسلام والفلاسفة فيما هو معروف بالمتشابه فى القرآن فى قوله تعالى : « هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله، وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا ، وما يذكر الا اولوا الالباب » . فهو من الفريق الذي يقول ان الواو قبل الراسخين فى العلم هي للعطف لا للاستئناف أي العلماء يقدرون على تأويل المتشابه فخاض فى التأويل للتوفيق بين الشريعة والفلسفة فدلت بحوثه على قدرة عظيمة وفهم ونضج . وهو فى كل خطوة ينصح بعدم اطلاع الجمهور على مثل هذه الامور لانه يرى فى ذلك ضررا وأي ضرر لهم . ومع انه يصيب فى هذا كل

---

1 ) كانت الاندلس فى تقاطع مع الشرق منذ استقل بها الامويون ، فكانت نتائج العلوم فى المشرق تصل الى الاندلس بعد قرن من الزمن ، وانما تصلهم كتب مشروحة ومنقحة .

تربية البيت الاموي ضعفت الا ان البيت الاموي والشعب نادوا فاطاحوا بالعامريين . الا ان الامويين اختلفوا فيما بينهم وما زالوا فى تناحر حتى انقرضوا فاستقل ولاة المقاطعات كل فى مقاطعته فشكلوا ما يعرف بملوك الطوائف ولم يكتفوا بهذا بل انهم غفلوا عن الامارات الاسبانية التي كانت تنموا فى الشمال — فصاروا يتحاربون مع بعضهم . ولم يكتفوا بهذا بل صاروا يستعينون بهم ضد بعضهم فاغتنم امير الاسبان ذلك فارسل آثنى عشر الفا من رجاله نزلوا فى قلب الاندلس ليكونوا جاهزين للنجدة .

وهنا انتبه كبار ملوك الاندلس لا سيما ابن عباد صاحب اشبيلية فاستنجدوا بملك الملثمين يوسف بن تاشفين فاجتاز العدوة الى الاندلس ثم اتى بعد الملثمين الموحدون وفى عهدهم نشأ ابن رشد .

## الملثمون والموحدون :

لما شغل امراء الاندلس ببعضهم وبالاسبان سادت شمال افريقيا الفوضى واستقل الامراء كذلك فى المقاطعات فنمت امارة بربرية عرفت بالملثمين لانهم كانوا دائما يتلثمون وجعلوا ذلك رمزا لهم ، وقد بلغت من القوة شأوا حينما استنجدت بهم الاندلس ، وكان على رأسهم امير شديد وهو يوسف بن تاشفين . فلما دخل بجيشه الى الاندلس قام بطرد الاسبان وبرفع سلطتهم فاصطدم بجيشهم المتحالف فى واقعة الزلاقة فكسر الاسبان شر كسرة . واستسلم الملثمون بعد ذلك لترف الاندلس فانحلت روحهم الحربية .

وقد اهملوا افريقيا فنشأت فيها اسرة علوية عرفوا بالموحدين ، كان اولها ابن تومرت الملقب بالمهدي ثم جاء بعده ولده علي ثم خلف هذا ولده عبد المؤمن ثم تولى بعده يوسف الذي فتح الاندلس وجعلها ولاية تابعة لافريقيا ، ثم جاء بعده ابنه يعقوب ابو يوسف المنصور الذي بلغت الدولة المغربية اوج القوة فى جيشها واسطولها الذي كان اقوى أساطيل العالم ، وفى عهده ظهر ابن رشد وكان الاميران يوسف وولده يعقوب يقلدان الرشيد والمأمون ، فقربا الفلاسفة واهملا الفقهاء ، فأثار هؤلاء العامة فأخطروا الامير يعقوب الى التراجع ونكبة الحكماء كما سيتبين :

## ابن رشد بين العزة والنكبة :

ابن رشد سليل بيت قرطبي عرفوا بهذه الكنية اشتغلوا بالفقه فتولى قضاء قرطبة فيهم الى ان وصل الى المترجم الذي اشتهر بابي الوليد محمد بن احمد ابن محمد بن رشد، وقد ولد عام 520هـ وفق 1126 م.

نشأ ابو الوليد فى قرطبة وتخرج على والده وعلى فقهاء قرطبة على مذهبهم المالكي ، وتولى القضاء فى اشبيلية ثم فى قرطبة ثم درس الطريقة الاشعرية ثم لم يكتف بهذا بل درس علم الطب ثم اكب على دراسة الفلاسفة من كتب فلاسفة الاسلام المشرقيين ، ثم ابن باجه وابن طفيل الذي صار يعترف له بالسبق لتفوقه وقد عرف فيه هذا ، فقربه الخليفة امير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن ثم ولده يعقوب ، الا انه قرب بعض شبان اليهود ، ومنهم موسى بن ميمون يتلقون عنه الفلسفة ويشيعونها بين الناس فذهب حساد ابن رشد يوغرون صدر الخليفة المنصور عليه فانقلب عليه فابعده عن بلاطه فتجاسر عليه العامة حتى طردوه وولده من المسجد مع الشتائم والاهانات ، فنزل فى أليسا وكان يسكنها وهي ناحية قرب قرطبة ، ثم رحل الى مراكش حيث توفي يوم الخميس التاسع من شهر صفر سنة خمس وتسعين وخمسمائة هجرية .

## حقيقة ابن رشد وحال المسلمين فى المغرب والاندلس :

استولى العرب على الاندلس وسكانها من النصارى واليهود يملأونها ولم يدخل الاسلام منهم الا القليل لانهم لا يعرفون اللغة العربية او ما يقاربها كسكان مصر والشام ، فظلوا على دينهم وكانوا على جانب من النقمة على المسلمين ، لانهم ازالوا ملكهم ، اذ كانوا مستقلين ، اصحاب ملك وسلطان ، فلم يكونوا رعايا لدولة اخرى كما كانت الحالة فى العراق ومصر والشام وشمال افريقيا . وظهر ان الذين دخلوا الاسلام من نصارى ويهود الاندلس لم يكونوا مخلصين فى ذلك ، فكانوا هم واخوانهم من النصارى واليهود يتطاولون على الاسلام ونبيه عليه السلام ، فافتى الفقهاء باعدام كل من يتجاسر على ذلك ، وما كتاب الشفاء للقاضي عياض اليحصبي المغربي الا رد فعل وفتاوى ضد هذا التهجم على النبي صلى الله عليه وسلم . ثم ان العقاب الشديد الذي نزل بالمتهجمين أعقب انفجارا تمثل فى ثورة عمر ابن حفصون التي دامت ربع قرن حول قرطبة بالذات ولم يقض عليها الا بمشقة زائدة . وقد اضر هذا بمسلمي الاندلس وافريقيا بطريقة غير مباشرة ، اذ نشأ عنه رد فعل قوي لا يطاق ، واصبح الفقهاء يسيطرون سيطرة عظيمة على الراي العام وعلى الملوك والامراء والخلفاء ، وبالرغم من عدم ظهور فرق مبتدعة فى الاندلس فانهم راوا فى حفنة من العقليين ( الفلاسفة )

الناس قد يظن بهم انهم ضلوا من قبل نظر فيها مثل من منع العطشان شرب الماء البارد العذب حتى مات لان قوما شرقوا بالماء فماتوا ، فان الموت بالماء بالشرق امر عارض ، ومن العطش امر ذاتي وضروري . وهذا الذي عرض لهذه الصناعة هو شيء عارض لسائر الصنائع . فكم من فقيه كان الفقه سببا لقلة تورعه وخوضه فى الدنيا ، بل اكثر الفقهاء هكذا تجدهم .

وهو يرى انه لا عذر لمجتهد لم يستوف الوقوف على اسس الاجتهاد من معرفة الاصول ومعرفة الاستنباط من تلك الاصول بالقياس . وهو يرى ان التاويل فى البين أي فى مباديء الشريعة كفر ، وان وقع فيما بعد المباديء فهو بدعة ، وهكذا رأيه فى المتشابه .

اما مباديء الشريعة ، فهي الاقرار بالله تعالى وبالنبوات وبالسعادة الاخروية والشقاء الاخروي .

وقرر ايضا ان التقوى هي صحة النفوس من الشك والزيغ ، وان هذه الصحة تترتب عليها السعادة الاخروية وبالعكس هي سبب الشقاء الاخروي .

ولابن رشد كتب اخرى فى الفقه وهي : كتاب ( المقدمات ) و ( مختصر المستصفى ) فى اصول الفقه ، وكتاب فى ( التنبيه الى اغلاط المتون ) وكتاب ( الدعاوي ) فى ثلاثة مجلدات . ودروس فى الفقه ، وكتابات فى الذبيحة ، وكتاب فى الخراج ، وكتاب فى الكسب الحلال ، وكتاب فى التحصيل الذي جمع فيه اختلاف اهل العلم من الصحابة والتابعين وتابعيهم ونصر مذاهبهم وبين الاحتمالات التي هي منار الاختلاف مما دل على سعة اطلاعه .

**بداية المجتهد ونهاية المقتصد :**

وهو أجل كتبه فى الفقه وهو يبحث فى التعبديات والمعاملات عند المذاهب الاربعة ، وهي : الحنفي والشافعي والمالكي والظاهري (1) وقل ان ذكر شيئا عن المذهب الحنبلي لاعتباره الحنبلي من أئمة الحديث. وهذا الكتاب مذيل بهوامش بذكر فيها الاسانيد ، والراجح انه قصد من هذا المؤلف الكبير لفت نظر الاندلسيين الى المذاهب الاخرى ، وهي : خدمة لسلطان يعقوب الذي جاهر بما كان يخفيه أبوه وجده، وهو هدم ونسف المذهب المالكي ، لانه مذهب بني أمية فقد اعتنقوه لتصريح الامام مالك بحبهم وتمني رجوعهم

1 ) نسبة لابي داود الظاهر وهو مذهب منقرض .

وكان هذا التصريح سبب اضطهاده من ابي جعفر المنصور ولهذا نقم الموحدون عليه ، وقد اظهر النقمة يعقوب لقوة سلطانه ، فقد شهد بعض المؤرخين بمدينة فاس ، انه كان يوتي من كتب مذهب مالك بالاحمال فتحرق بالنار فيظهر ان ابن رشد انما الف هذا المؤلف لينبه الاندلسيين للاخذ بالمذاهب جميعها لا ان يتقيدوا بمذهب مالك وحده .

والكتاب شامل لتحقيقات المذاهب الاربعة ، لا سيما المذهب الظاهري الذي كان يزاحم مذهبي مالك والاوزاعي ، واصبح اذ ذاك على وشك الانقراض . هذا جميعه يدل على سعة اطلاع ابن رشد على المذاهب الفقهية جميعها .

كما ان وقوفه على الاصول وقدرته فى فهم المتشابه ومهاجمته الاشعرية وغيرهم تدل دلالة واضحة على قدرته ووقوفه على جميع نواحي وسائل الشريعة الاسلامية .

والذي ينبغي التنبيه اليه هو اتهامه بالزيغ فان جميع كتاباته تدل على صحة عقيدته واخلاصه للاسلام والورقة التي وجد فيها ما يوهم الكفر بين اوراقه المزعومة هي دس من خصومه لا يؤبه لها كما يفعل اليوم فيمن يريدون توريطه ، وقد تكون لاحد تلاميذه اليهود كما سياتي ، وقد كان رحمه الله شديد الغيرة على الشريعة ، واليك ما جاء من اقواله عن ذلك فى كتاب فصل المقال المذكور : « فان النفس مما تخلل الشريعة من الاهواء الفاسدة والاعتقادات المحرفة فى غاية الحزن والتالم » .

« وبودنا لو تفرغنا لهذا المقصد وقدرنا عليه وان انسأ الله فى العمر فسنثبت فيه قدر ما يسر لنا منه فعسى ان يكون ذلك مبدأ لمن يأتي بعد » .

فمن كانت هذه نفسيته وعقيدته لا يجوز الطعن به ولا يقبل أصلا ، وقد كتب فعلا فى كتابه الكشف عن مناهج الادلة الآتي الكلام عليه .

**« معالجته أدلة آراء الفرق لا سيما الاشعرية »**

ولم يقف عند الامور الفقهية المارة الذكر فانه اشتغل ايضا فى بحوث الفرق وأدلتها وخوضها بالمتشابه فتوصل الى حلول قيمة وقد نعى عليهم اشتغالهم بذلك لانه لا فائدة فيه ، وقد الف كتابا أسماه ( الكشف عن

الاصابة الا انه بهذا حامت حوله شبه العامة فتطاولوا عليه ولو لم يكن مترفعا عن الجمهور لكانوا معه في نكبته بدلا من ان يكونوا عليه كما هي العادة . فقد طالما ثار العامة لعالم يثقون به واضطر السلطان لرفع الضغط عنه كما حصل لائمة العامة مما اضطر دار الخلافة لرفع الضغط عنهم في بدعة خلق القرآن .

وهو يرى ان مفاهيم الآي والحديث على ثلاثة درجات : للجمهور . وللخواص ، وللمجادلين . فيرى انها برهانية وخطابية ( وعظية ) وجدلية يبينها قوله تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن » ، فيرى ان الحكمة هي الاسلوب البرهاني ، والموعظة الحسنة هي الاسلوب الخطابي ، واما الجدلي فهو لاهل الجدل ، وهم المنطوون على الخبث وانهم اذا لم يجادلوا بالتي هي احسن تطاولوا وخرجوا ، فاقتضى استعمال الصبر معهم وعدم التعمق في مجادلتهم وهو يقرر ما يرجح أساليب القرآن في المخاطبة على البراهين المنطقية ، ويرى انها جامعة لاساليب الثلاثة ويتفق مع الامام محمد بن ابراهيم الصنعاني اليمني ، ولا أدري هل اخذ احدهما عن الاخر ام ان الامر كان من قبيل المصادفة والصنعاني الف كتابا سماه « ترجيح اساليب القرآن على اساليب اليونان » قرر فيه ان في القرآن ادلة وبراهين تغني عن منطق اليونان ، وهذا ابن رشد يقول : « قلنا هي الطرق التي تبتت من الكتاب العزيز فقط ، فان الكتاب العزيز اذا تؤمل وجدت فيه الطرق الثلاث الموجودة لجميع الناس والطرق المشتركة لتعليم اكثر الناس والخاصة ، واذا تؤمل الامر فيها ظهر انه ليس يلقي طرق مشتركة لتعليم الجمهور أفضل من الطرق المذكورة فيه ، فمن حرفها بتأويل لا يكون ظاهرا بنفسه واظهر منها للجميع ، وذلك شيء غير موجود ، فقد ابطل حكمتها وأبطل فعلها المقصود افادة العادة الانسانية وذلك ظاهر جدا من حال الصدر الاول وحال من اتى بعد ، فان الصدر الاول انما صار الى الفضيلة الكاملة والتقوى باستعمال هذه الاقاويل دون تأويلات فيها ، ومن كان منهم وقف على تأويل لم ير ان يصرح به ، واما من اتى بعدهم فانهم لما استعملوا التأويل قل تقواهم وكثر اختلافهم وارتفعت محبتهم وتفرقوا فرقا فيجب على من اراد ان يرفع هذه البدعة عن الشريعة ان يعمد الى الكتاب العزيز فيلتقط منه الاستدلالات الموجودة في شيء مما كلفنا اعتقاده ، ويجتهد في نظره الى ظاهرها ما امكنه من غير ان يتأول من ذلك شيئا الا اذا كان التأويل ظاهرا بنفسه ، اعني ظهورا مشتركا للجميع فان الاقاويل الموضوعة في الشرع لتعليم الناس اذا تؤملت يشبه ان يبلغ من نصرتها الى حد لا يخرج عن ظاهر ما هو منها ليس على ظاهر الا من كان من اهل البرهان ، وهذه الخاصة ليست توجد لغيرها من الاقاويل ، فان الاقاويل الشرعية المصرح بها في الكتاب العزيز للجميع لها ثلاث خواص دلت على الاعجاز ، أحدها انه لا يوجد اتم اقناعا وتصديقا للجميع منها ، والثانية انها تقبل النصرة بطبعها الى ان تنتهي الى حد لا يقف على التأويل فيها ان كانت مما فيها تأويل الا اهل البرهان ، والثالثة انها تتضمن التنبيه لاهل الحق على التأويل الحق ، وهذا ليس يوجد لا في مذهب الاشعري ولا في مذهب المعتزلة ، اعني ان تاويلاتهم لا تقبل ولا تتضمن التنبيه على الحق ولا هي حق ، ولهذا كثرت البدع . وهو يستهدف بقول في صحيح البخاري عن علي كرم الله وجهه : « حدثوا الناس بما يعرفون ، أتريدون ان يكذب الله ورسوله » ؟ .

ويريد ان يخرج دائما بنتيجة ان الاسلوب البرهاني والجدلي ايضا يحتاجان الى المنطق ، وهنا تتفق الفلسفة مع القياس البرهاني الفقهي ، فهو يقول : « انه يجب علينا ان نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك وسواء كان ذلك الغير مشاركا لنا في الملة او غير مشارك ، اذا كانت فيها شروط الصحة واعني بغير المشارك من نظر في هذه الاشياء من القدماء قبل ملة الاسلام . واذا كان الامر هكذا وكان كل ما يحتاج اليه من النظر في امر المقاييس العقلية قد فحصت عند القدماء اتم فحص فقد ينبغي ان نضرب بايدينا الى كتبهم فننظر فيما قالوه في ذلك ، فان كان صوابا قبلناه منهم ، وان كان فيه ما ليس بصواب نبهنا عليه » .

وضروري ان من يفسد من النظر في تلك الكتب انما يفسد لضعفه وفساد فطرته ، فتراه يقول : «وليس يلزم من انه ان غوى غاو بالنظر فيها او من قبل غلبة شهواته عليه او انه لم يجد معلما يرشده الى فهم ما فيها او من قبل اجتماع هذه الاسباب فيه او اكثر من واحد ان يمنعها عن الذي هو اهل للنظر فيها ، فان هذا النحو من الضرر الداخل من قبلها ، هو شيء لحقها بالعرض لا بالذات ، وليس يجب فيما كان نافعا بطباعه وذاته ان يترك لمكان مضرة موجودة فيه بالعرض ولذلك قال عليه الصلاة والسلام للذي امره بسقي العسل اخاه لاسهال كان فيه فتزايد الاسهال به لما سقاه العسل وشكا ذلك اليه : « صدق الله وكذب بطن اخيك » ، بل نقول ان مثل من يمنع النظر في كتب الحكمة من هو اهل لها من اجل ان قوما من أراذل

الجماعة الذين سلوا اقلامهم على جميع الفرق حتى ردوها واعادوا للاسلام عقيدته الاصلية والذي لا ينتبه لهذا ويحسن الظن بابن رشد يصدق بان الاشعرية هم شر فرقة في الاسلام ، ولكن الذي يفهم جهادهم لا يتردد في الاعتقاد بانه متحامل وانه كالذي عشق بنتا وهـي (الفلسفة) وقد طلبت منه هدم بلد يسكنها قاتل والدها واخيها وهما الفارابي وابن سينا كي يقتله مع اهـل البلد الصالحين لئلا يفتضح امرها اذا قتل وحده . على ان ابن تيمية الحنبلي محيي المذهب السلفي قد فنـد اقواله كما سأبين .

والآن اعود الى تبيان ما قرر ابن رشد ، فهو يقرر ذلك في خمسة فصول وهي :

**الفصل الاول :** وهو وجـود الله تعالـى وان الادلة عليه تعالى من القرآن الكريم الذي يسميه الكتاب العزيز فمن يستعرضه ينحصر في جنسين : **احدهمـا** الوقوف على العناية بالانسان وخلق جميع الموجودات من اجله ، واطلق عليها دليل العناية التي يتبين منهـا اصلية احدهما ان جميع الموجودات موافقـة لوجـود الانسان . والاصل الثاني ان هذه الموافقة هي ضرورية من قبل فاعل قاصد لذلك مريـد . اذ ليس يمكـن ان تكون هذه الموافقة بالاتفاق . فمن الموافقة النظام اليومي والحيوان والنبات والجماد ، وبالجملة العناصر ، وهي التراب والماء والنار والهواء.وكذلك تظهر العناية من اعضاء البدن الحيواني وموافقته لحياته ووجـوده . ومـن الآيات الدالة على العناية قوله تعالى : « تبارك الـذي جعل في السماء بروجا وجعـل فيهـا سراجا وقمـرا منيرا » . وقوله تعالى : « الم يجعـل الارض مهـادا والجبال اوتادا » . وقوله تعالى : « فلينظر الانسان الى طعامـه » .

**اما الجنس الثاني :** وهو اختراع جواهر الاشياء الموجودات مثل اختراع الحياة في الجماد والادراكات الحسية والعقل ، وقد اطلق عيه اسم دليل الاختـراع ويدخل فيه وجود الحيوان كله ووجود النبات ووجود السماوات . واذ نرى اجساما جمادية ثم تحدث فيها الحيات فنعلم قطعا ان هنالك موجدا للحياة ومنعما بها وهو الله سبحانه وتعالى ، ودليل الاختراع من القرآن الكريم قوله تعالى : « او لم ينظروا في ملكوت السماوات والارض وما خلق الله من شيء » ، وقوله تعالى : «وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منهـا حبا فمنـه يأكلون » ، وقوله تعالى : « فلينظر الانسان مم خلـق خلق من ماء دافق » الى غير ذلك من الآيات ، فهـذه الطريق هي الطريق المستقيم التي دعا الله الناس منها الى معرفة وجوده ونبههم على ذلك بما جعل في فطرتهم من ادراك هذا المعنى ، وهما العناية والاختراع بالفهم العقلي الفطري ، وبالدليل الشرعي .

## الفصل الثاني ــ القول بالوحدانية :

وقد ذكر الادلة المشهورة كقوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » ، وقوله تعالى : « ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق . ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون»

## الفصل الثالث ــ في الصفات :

فذكر ما قرره علماء الكلام حسبما ورد في القرآن الكريم ، وهي سبعة : العلم والحياة والقـدرة والارادة والسمع والبصر والكلام . ثم اخـذ يأتـي بالادلة من المعقول والمنقول على كل صفة من هذه الصفات السبعة، وهو مشهور لم ارد نقله .

## الفصل الرابع ــ التنزيه :

وهو تنزيهه تعالى عن صفات النقص والمشابهة لخلقه . وقد اورد الدليل العقلي على ذلك النظام العالمي وسيره بلا خلل ولا فساد . وانه لو كان في الله صفات كالموجودة في الانسان كالنوم والنسيان والغفلة والخطا والسهو لاختل نظام العالم . واورد من الدليل النقلي قوله تعالى : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » وقوله تعالى : « لا تأخذه سنة ولا نوم » ، وقوله تعالى : « علمها عند ربي ، لا يضل ربي ولا ينسى » ، وقولـه تعالى : « ان الله يمسك السماوات والارض ان تـزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده » . وتحـت هذا الفصل . قال في الجهة والرؤية : « فيقول ان الله تعالى في السماء بلا كيف وانه نور » وهو يقـول : « ان الجهة غير المكان » . وذهب الى شروح كعادته ، خرج بمهاجمة الغزالي والاشعرية واظهار عجزهـم ونقـص ادلتهـم .

**الفصل الخامس : في معرفة الافعال** ، وقسمه الى خمس مسائل ، قرر انها الاصول التي يدور عليها كل ما في هذا البـاب هـي : اثبـات (1) خلق العالـم ، (2) بعث الرسل ، (3) القضاء والقـدر ، (4) التحويـر والتعديل ، (5) المعاد .

مناهج الادلة فى عقائد الملة ) وتعريف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبه المزيفة والعقائد المضلة .

وقد صدر هذا الكتاب بقوله : « فقد رأيت ان أفحص فى هذا الكتاب عن الظاهر من العقائد التي قصد الشرع حمل الجمهور عليها وأتحرى من ذلك كله مقصد الشارع صلى الله عليه وسلم بحسب الجهد والاستطاعة ، فان الناس قد اضطربوا فى هذا المعنى كل الاضطراب فى هذه الشريعة حتى حدثت فرق ضالة واصناف مختلفة . كل واحد منهم يرى انه على الشريعة وان من خالفه اما مبتدع واما كافر مستباح الدم والمال ؛ وهذا كله عدول عن مقصد الشرع وسببه ما عرض لهم من الضلال عن فهم مقصد الشريعة ، واشهر هذه الطوائف فى زماننا هذا اربعة : الطائفة التي تسمى الاشعرية ، وهم الذين يرى الناس اليوم انهم اهل السنة،والتي تسمى المعتزلة ، والطائفة التي تسمى بالباطنية ، والطائفة التي تسمى الحشوية ، وكل هذه الطوائف قد اعتقدت فى الله اعتقادات مختلفة ، وحرفت كثيرا من الفاظ الشرع عن ظاهرها الى تاويلات نزلوها على تلك الاعتقادات ، وزعموا انها الشريعة الاولى التي قصد بالحمل عليها جميع الناس وان من زاغ عنها فهو اما كافر واما مبتدع . واذا تؤملت جميعها وتؤمل مقصد الشرع ظهر ان جلها اقاويل محدثة وتاويلات مبتدعة . وانا اذكر من ذلك ما يجري مجرى العقائد الواجبة فى الشرع التي لا يتم الايمان الا بها ، وانحرى فى ذلك كله مقصد الشارع صلى الله عليه وسلم دون ما جعل اصلا فى الشرع وعقيدة من عقائده من قبل التأويل الذي ليس بصحيح وابتدي من ذلك بتعريف ما قصد الشارع ان يعتقده الجمهور فى الله تبارك وتعالى والطرق التي سلك بهم فى ذلك ، وذلك فى الكتاب العزيز . ونبدأ من ذلك بمعرفة الطريق التي تفضي الى وجود الصانع ، اذ كانت اول معرفة يجب ان يعرفها المكلف . وقبل ذلك ينبغي ان نذكر آراء تلك الفرق المشهورة فى ذلك فنقول » .

ثم لم يذكر الا عن الحشوية وانكر معرفة شيء عن المعتزلة ، ولم يذكر عن الباطنية شيئا ، ولم يذكر عن الشيعة والخوارج والجهمية وغيرهم من الفرق الكثيرة وجعل باقي الكتاب عن الاشعرية ، وقد هاجمهم هجوما شديدا لاسباب آسف انني مضطر لافراد بحث لها فيما بعد .

قال عن الحشوية : « اما الفرقة التي تدعى الحشوية فانهم قالوا ان طريق معرفة وجود الله تعالى هو السمع لا العقل ،اعني ان الايمان بوجوده الذي كلف الناس التصديق به . يكفي فيه ان يتلقى من صاحب الشرع ويؤمن به ايمانا كما يتلقى منه احوال المعاد ما لا مدخل فيه للعقل . وهذه الفرقة الضالة الظاهر من امرها انها مقصرة عن مقصود الشرع فى الطريق التي نصبها للجميع مفضية الى معرفة وجود الله تعالى ودعاهم من قبلها الى الاقرار به ، وذلك انه يظهر من غير ما آية من كتاب الله انه دعا الناس فيها الى التصديق بوجود الباريء بادلة عقلية منصوص عليها فيها مثل قوله تبارك وتعالى : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم . . » الآية ، ومثل قوله تعالى : « أفي الله شك فاطر السماوات » ، الى غير ذلك من الآيات الواردة فى هذا المعنى .

واما ( الاشعرية ) فانهم رأوا ان التصديق بوجود الله تبارك وتعالى لا يكون الا بالعقل . لكن سلكوا طرقا ليست هي الطرق الشرعية التي نبه الله عليها ودعا الناس الى الايمان به من قبلها .

وذلك ان طريقتهم المشهورة انبنت على بيان ان العالم حادث وانبنى عندهم حدوث العالم على القول بتركيب الاجسام من أجزاء لا تتجزأ وان الجزء الذي لا يتجزأ محدث ، والاجسام محدثة بحدوثه . ثم اخذ يفند طريقتهم باسلوب سفسطائي ليبرهن على عجزهم فى البراهين ، وهاجمهم ، كما يهاجم اضل الفرق ، وقد اشرك معهم المعتزلة مع التخفيف عن هؤلاء رغم انكاره علم شيء عن المعتزلة ، اذ قال : « واما ( المعتزلة ) فانه لم يصل الينا فى هذه الجزيرة من كتبهم شيء نقف منه على طرقهم التي سلكوها فى هذا المعنى ، ويشبه ان تكون طرقهم من جنس طرق الاشعرية » .

ثم هو لم يذكر عن الشيعة والباطنيين شيئا مع ان ابن جبير بين الشيء الكثير فى رحلته ، وان تاريخ الاندلس يشير الى ان الامويين نبهوا الى خبث طرف الروافض ، وانهم استولوا على شمال افريقيا لتطهيرها منهم ، وكذا فان ملكي الموحدين المعاصرين لابن رشد نفسه كانا مصممين على فتح المشرق لتطهيره من الفواطم الباطنية ، وهو فى نفس الوقت لم يذكر عن الخوارج شيئا ، رغم وجود فرقة منهم ، وهم ( الاباضية ) فى شمال افريقيا .

والغريب انه تطرق الى ذكر الصوفية ، مع انه لم يعتبرهم فرقة ، وجل قصده مهاجمة الغزالي واستاذه أبو المعالي بصورة انتقامية شديدة كما بين فى المبحث الاتي . والان أرجيء مهاجمته الباطلة للاشعرية اهل السنة

وهو فوق هذا احد عباقرة العالم فقد درس كتب الفلسفة التي ترجمت فى المشرق ونقلت ناضجة الى الاندلس بعد ان هذبها فلاسفة المشرق : الكندي والفارابي وابن سينا ، وقد أعجب به ابن طفيل الفيلسوف الاندلسي فقدمه الى الخليفة يعقوب ابو يوسف الذي كان يقلد المأمون فاشار عليه بشرح كتب ورسائل أرسطو فولع به وبذل جهدا عظيما فى شروحه حتى اشتهر بالشارح ، وقد تفوق بشروحه على ارسطو كما قرر غوستاف لوبون فى كتابه ( حضارة العرب ) حيث يقول: «وابعد فلاسفة العرب صيتا هو الفيلسوف الشهير ابن رشد الذي كان له اعظم تاثير فى أوربا ، اجل يعد ابن رشد عادة شارحا لفلسفة ارسطو فقط ، ولكن ارى ان هذا الشارح سبق استاذه فى بعض الاحيان سبقا يثير العجب وان فلسفته مقبولة فى كثير من الامور أكثر من تلك » . ولو عرف ابن رشد حقيقة ارسطو لما غالى فى تقدير ارسطو على انه موحد وان له الاهيات عالية . وقد ظهر مؤخرا ان هذا كان خطا نتج عن عدم ترجمة الادب والتاريخ اليونانيين . وان فلاسفة الاسلام اخذوا بالتراجم كما هي ، فلم يتعلموا اللغة اليونانية ليقابلوا بين الاصل اليوناني وبين ما ترجم وكان ظهر لهم ان لا الاهيات لليونان ، فقد كانوا وثنيين على جانب من السخف ، اذ كانوا يستوحون صخور دلفي الفيلسوف منهم والملك ، اما ان ينتج ارسطو المنطق فهذا قانون الكلام الا انه لم يتحول عن دين قومه فهو مشترك يعدد الآلهةويستوحي الصخور ، وانا درست الالهيات فى فلسفته من اشراقية أفلوطين الاسكندري . هذا اخذ بآراء الصابئة واليهود والنصارى والزراد شتية ، وقد ترجمها المترجمون من الصابئة على انها لارسطو ، وقد اخطأ المأمون بالركون لترجمة الصابئة والنصارى فكان الافضل ان يرسل بعثة من شباب المسلمين تدرس اليونانية ثم تترجم كتبهم فلا يبقى مجال للدس . ان تاريخ العصور القديمة يثبت ان اليونان كانوا وثنيين سخفاء يستوحون الصخور ، وعلى راسهم فلاسفتهم وملوكهم وعلماؤهم جميعا ، وانهم حكموا على سقراط بالموت لانه كان يتهكم على الآلهة ولم يدافع عن نفسه لعلمه انه على حق . وهذا العلامة ( فاسيلي بارتولد ) يكشف النقاب عن خطأ العرب فى كتابة تاريخ الحضارة الاسلامية ، حيث يقول : « لم يكن عدم اطلاع العرب على فقه اللغة اليونانية وتاريخ اليونان خاليا من التأثير فى أعمالهم الفلسفية والعلمية فان علماء العرب لم يقدروا على تمييز الكتب المختلفة المعزوة الى المتقدمين من أصولها ، وكانوا يخلطون احيانا بين الاسماء المشتركة أو المتشابهة من اسماء الفلاسفة، كافلاطون وافلوطين مع وجود اختلاف فى زمن حياتيهما، ولم يكن يفهم الفرق بين آراء أفلاطون او ( ازدهارها باسم الافلاطونية الحديثة ) وآراء أرسطو فهما واضحا، فينسب مثلا كتاب الالهيات الى ارسطو وهو تأليف أفلوطين الذي عاش فى القرن الثالث الميلادي » .

وقد قال بهذا الرأي مع التوسع الاستاذ احمد امين فى كتابه ( فجر الاسلام ) : « ويقولون مدرسة الاسكندرية الافلاطونية اقفلها جوستنيانس واضطهد الفلاسفة ، ففر شيعة منهم الى فارس فاستقبلهم ملك فارس واحتفى بهم فداوموا على فلسفتهم بالاشتراك مع الصابئة والسريان وخلطوا الالهيات الوثنية بالمسيحية » . واليك ما قال بعد ذلك : « وكان هؤلاء السريان ينقلون العلوم اليونانية بامانة ودقة فيما لا يمس الدين كالمنطق والطبيعة والطب والرياضة ، اما الالهيات ونحوها فكانت تعدل بما يتفق والمسيحية ؛ حتى لقد حولوا افلاطون فى كتابتهم الى راهب شرقي فقالوا انه بنى لنفسه معبدا فى البرية بعيدا عن الناس وظل يتعبد فيه سنين ، وهذه هي الطريقة التي سلكها المسلمون بعد فقد اغفلوا من الالهيات كثيرا مما يخالف تعاليم الاسلام ، الى غير ذلك من التفاصيل التي تثبت خديعة فلاسفة المسلمين ، وقد تحمس ابن رشد كثيرا لارسطو ومن اخذ عنه كالفارابي وابن سينا ، وهاجم بشدة الغزالي الذي هدم فلسفته الالهية التي ادعوا نقلها عن اليونان ، ولما كانت هذه الناحية مهمة فقد افردت لها البحث الاتي :

### (ابن رشد يدافع عن الفلسفة ويهاجم الاشعرية والغزالي)

عج المشرق بالزنادقة واهل البدع ، ولما كانت الخلافة قوية فانهم قتلوا الزنادقة وتتبعوهم ، قتلوا الجعد بن درهم ثم الجهم بن صفوان فى العهد الاموي وقضى أبو جعفر المنصور على الراوندية ، وقتل ولده المهدي تسعة من الزنادقة ، وعين عبد الجبار احد رجاله المعروفين لتعقبهم فعرف بصاحب الزنادقة الا انهم كثروا واعتدلوا فاتوا عن طريق المحاجة بالمنطق والسفسطة فأمر المهدي العلماء باستعمال المنطق فكان اول من تسلح به المعتزلة فكانوا سيوفا على الدهرية والجهمية والشيعة والمرجئة والخوارج وغيرهم الا انهم تطرفوا فى ارجاع الاحاديث على العقل ، فرجع عن الاعتزال ابو الحسن الاشعري وانقلب يجادلهم ويجادل غيرهم فسمي مذهبه واتباعه بالاشعرية ، وقد كثروا وقووا حتى اخفتوا اهل البدع جميعا ومعهم المعتزلة فاعتبروا اعلام الاسلام وحماته وقد ظهر بعد الاشعري

**المسألة الاولى** عن خلق العالم : فهي ما قرره من ادلة العناية والاختراع فى الفصل الاول ، وهذا القول يستخلص بمشقة من بحث شطح فيه نقض مذهب الاشعرية . **المسألة الثانية** عن بعث الرسل عليهم السلام : فقرر ان المعجزات هي التي تؤيده مستندا الى مثال وهو ان رسول الملك لا يصدق الا ان كانت له علامة فارقة عن الناس يعرفون بها عادة رسل الملك ، وان المعجزة الخارقة للعادة هي التي تميز بين الرسول الصادق والرسول الكاذب ، فابن رشد يؤمن بالمعجزة ايمانا قطعيا لا كما دس اليهود فى التراجم بانه لا يصدق بها . وقرر ان الرسالة لا تعرف بالعقل فقط . وكذلك هذا البحث دمجه مع نزاعه مع الاشعرية وغيرهم من المتكلمين فى شرح طويل ايضا .

**المسألة الثالثة ـ فى القضاء والقدر :**

فقال انها أعوص المسائل الشرعية لتعارض الادلة القرآنية والعقلية . ثم تطرق الى آراء المعتزلة (القدرية) وهو القول بالاختيار ثم للجبرية ثم محاولة الاشعرية بقول وسط وهو ان للانسان كسبا وان المكتسب به والكسب مخلوقان لله تعالى واستطرد فى هذه البحوث واخصها الكسب وقد أبطل الاقوال الثلاثة ولم يقرر هو شيئـــا .

**المسألة الرابعة ـ فى الجور والعدل :**

فعالج رأي الاشعرية فقط ثم قرران القول بان الله هو خالق الخير والشر هو لنفي قول بعض الاديان الوضعية بوجود الهين ، أحدهما اله الخير والاخر اله الشر . ثم عاد يقرر يقرر انه خلق الشر من أجل الخير فيكون على هذا خلقه للشر عدلا منه . وضرب مثالا على ذلك النار انها خلقت لما فيها من قوام الموجودات التي ما كان يصح وجودها لولا النار . لكن عرض من النار ضرر الا ان الفائدة منها اعم فكان وجودها افضل من عدمها . وان أفضل جواب فى هذه المسألة قوله تعالى : « لا يسأل عما يفعل وهم يسألـــون » .

**المسألة الخامسة ـ وهي القول فى المعاد وأحواله:**

وهي من اهم المسائل من حيث هي ومن علاقتها بعلاقة ابن رشد لان الذين ترجموا كتبه لا سيما اليهود الصقوا به تهمة انكاره البعث الاخروي ، ولكن الله لم يشأ تلطيخ هذا القاضي الفقيه من الدرجة الاولى فابقى وحفظ هذا الكتاب باللغة العربية وفى الايدي الاسلامية حيث يعترف بالمعاد وبالروح اعترافا صريحا لا لبس فيه ، فهو يقول :

« والمعاد ما اتفقت الشرائع على وجوده وقامت عليه البراهين عند العلماء وانما اختلفت الشرائع فى صفة وجوده ولم تختلف فى الحقيقة فى صفة وجوده انما اختلفت فى المشاهدات التي مثلت بها للجمهورية تلك الحال الغائبة . وذلك ان من الشرائع من جعله روحانيا أعني للنفوس ومنها من جعله للاجسام والنفوس معا والاتفاق فى هذه المسألة مبني على اتفاق الوحي فى ذلك واتفاق قيام البراهين الضرورية عند الجميع على ذلك أعني انه قد اتفق الكل على ان للانسان سعادتين اخروية ودنوية ، وانبنى ذلك عند الجميع على اصول يعترف بها عند الكل » .

وبعد ان تكلم على البراهين النقلية واستشهد بالآيات قال :

« ولما كان الوحي قد انذر فى الشرائع كلها بان النفس باقية وقامت البراهين عند العلماء على ذلك وكانت النفوس يلحقها بعد الموت أن تتعرى من الشهوات الجسمانية فان كانت زكية تضاعف زكاؤها بتعريها من الشهوات الجسمانية ، وان كانت خبيثة زادتها المفارقة خبثا لانها تتاذى بالرذائل التي اكتسبت وتشتد حسرتها على ما فاتها من التزكية عند مفارقتها البدن لانها ليس يمكنها الاكتساب الا مع البدن . والى هذا المقام الاشارة بقوله تعالى : « ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين » . اتفقت الشرائع على تعريف هذه الحال للناس وسموها العادة الاخيرة والشقاء الاخير » .

الا انه قرر ان الاجسام التي تبعث ليست كأجسام الدنيا الفانية انما هي اجسام باقية تتفق مع الحياة الاخروية الخالدة والتى انما ذكرت مشابهة لما فى الدنيا لتقريبها الى الاذهان مستشهدا بقول ابن عباس رضي الله عنه : « ليس فى الدنيا من الاخرة الا الاسماء » . وهذه الاقوال غاية فى التبيان تستقر عنده النفوس ويستقيم اعتقادها فى الاخرة ، ولا شك ان قائله مؤمن عالم بما يقول ، قد اخسأ المبطلون الذين اتهموه بالانكار غفر الله له واحسن مثواه .

**« ابن رشد الفيلسوف الشارح »**

اخذ ابن رشد الفلسفة عن اشهر رجال الاندلس منهم ابن باجة وابن طفيل وأبو بكر بن العربي وأبناء زهر

اي شيء عن آراء الباطنية والرافضة الضالين بصراحة رغم انه عد الباطنية الفرقة الرابعة .

فهل يصدق مسلم ان هذا يصدر عن قاض مسلم متفقه ، ان كتابيه موجودان ، فليرجع اليهما من شاء ليتحقق صحة اقوالي .

وقد جاء ابن خلدون فأيد الغزالي في حملته على الفلسفة ولم يؤيد ابن رشد بشيء وقد ذكر ذلك بفصل تحت عنوان « فصل في ابطال الفلسفة وفساد منتحلها» وقد استعرض الاراء الفلسفية وختم الفصل بقوله : « فليكن الناظر فيها متحرزا جهده من معاطبها ، وليكن نظر الناظر فيها بعد الامتلاء من الشرعيات والاطلاع على التفسير والفقه ، ولا يتكبر احد عليها وهو خلو من علوم الملة فقل ان يسلم من معاطبها » .

وجاء الشيخ محمد عبده فقال كلمته الحكيمة عن الفلاسفة ، وهي أفضل كلمة لحكم منصف : « لكن يظهر ان امرين غلبا على غالبهم ، الاول الاعجاب بما نقل اليهم عن فلاسفة اليونان ، خصوصا أرسطو وأفلاطون ووجدان اللذة في تقليدهما البادىء الامر ، والثاني الشهوة الغالبة على الناس في ذلك الوقت وهو اشأم الامرين زجوا بأنفسهم في المنازعات التي كانت قائمة بين اهل النظر في الدين .

واصطدموا في قلة عددهم ، مع ما انطبعت عليه نفوس الكافة فمال حماة العقائد عليهم » .

## « ابن رشد الطبيب العالم بالطب »

وكعادة الفلاسفة في ذلك العهد درس ابن رشد الطب وتفوق به وقد درسه على ابي جعفر هارون ، وقد لازم وصاحب ابناء زهر لا سيما أبو بكر بن زهر طبيب الخليفة وابو مروان بن زهر مؤلف كتاب التيسير . وقد تقدم في الطب حتى اصبح أحد أعلامه في عصره وقد الف فيه بعض المؤلفات والرسائل التي فيها شرح الارجوزة المنسوبة الى ابن سيناء في الطب وكتاب الحيوان وتلخيص كتاب الحميات لجالينوس وتلخيص اول كتاب الادوية المفردة لجالينوس وتلخيص النصف الثاني من كتاب حيلة البرء لجالينوس ، ومراجعات ومباحث بينه وبين ابي بكر بن الطفيل في رسمه للدواء في كتابه الموسوم بالكليات وكتاب بسالة في نوائب الحمى ، ومقالة في حميات العفن ومقالة في الترياق . وقد ظهر اسمه في الطب ومشاكله ، وصار الناس يستفتونه في الطب كما يستفتونه في مسائل الفقه ، ولما مات ابن طفيل طبيب الخليفة عين مكانه الى ان نكب ، ومن المأثور عنه قوله : « ان من اشتغل بعلم التشريح ازداد ايمانا بالله تعالى » .

## « ابن رشد الفلكي »

وكذا فان ابن رشد درس علم الهيئة وتقدم فيه والف فيه بعض المؤلفات التي منها مقالة في حركات الفلك . وشرح السماء والعالم ، وكتاب الطبيعة والسماء الى غير ذلك من المؤلفات التي وضعته في مصاف علماء الفلك .

## « خفوت اسم ابن رشد في الشرق وظهوره في الغرب »

مع أن ابن رشد اكبر دماغ اسلامي بعد ابن عباس ، الا انه خافت الذكر في المشرق لان كتبه لم تصل المشرق وهو لم يزر المشرق فلم يحج . وقد انهارت الاندلس بعد معركة العقاب المشؤومة وقد استولى الاسبان على امارات الاندلس والتهموها الواحدة بعد الاخرى ، ولم تبق الا امارة غرناطة خاضعة لملك الاسبان تدفع له جزية سنوية ، وقد دامت هذه الحال مدة قرنين ، أداروا فيها وجههم الى الاسبان ، ولم يكترثوا للعالم الاسلامي ، فلما استنجدوا لم يكترث بهم ، لان العالم الاسلامي كان يجهلهم ولا يعرف عنهم شيئا .

اما ظهور امر ابن رشد في الغرب فلان كتبه وكتب غيره اسرت في سفينة مشحونة الى المغرب فوقعت بيد اسطول صليبي فدخلت فرنسا وايطاليا فكانت هي بذور نهضة أوربا ، كما يعترف بذلك احرارهم اليوم . قال غوستاف لوبون : « وابعد فلاسفة العرب صيتا هو الفيلسوف الشهير ابن رشد الذي كان له اعظم تأثير في أوربا » . والمعلوم ان اكثر كتب ابن رشد لا سيما شروحه لاثار أرسطو قد وصلت لايدي الاوربيين ، وهي اساس دراساتهم مع غيرها من كتب نوابغ الاندلس . وقد ظهر مؤخرا مؤلف ضخم يزيد على خمسمائة صفحة لاحدى نوابغ الغرب المنصفين ، وهي العلامة الالمانية الدكتورة سيغريد هونكه أسمته ( شمس العرب تسطع على الغرب ) اثبتت فيه بكل دقة ان كل علم في الغرب اساسه كتب العرب . ومما قالته : « وما ان عرفت جامعة باريس تعاليم ابن رشد حتى تأثرت بالفلسفة العربية وطريقة البحث العلمي فمهدت الطريق لازدهار الحضارة الغربية » .

ابو بكر الباقلاني ثم تلاه امام الحرمين ابو عبد الملك الجويني وعليه تخرج ابو حامد الفزالي حجة الاسلام واذ ظهر له ولاستاذه ان الفلسفة هي أساس كل ما حصل من التفسخ فى عقائد المسلمين فقد الف كتابا فى مهاجمتها سماه ( تهافت الفلاسفة ) قدمه بكتاب سماه ( مقاصد الفلاسفة ) شرح فيه اقسام الفلسفة ، وهي الرياضيات والمنطق والطبيعيات والالاهيات ، وقرر انه لا يتعرض للرياضيات والمنطق لانها علوم لا خطر منها ، ثم أخذ يتكلم عن الالاهيات وما يقربها من الطبيعيات فوجد فيها عشرين مسألة تخالف الاسلام ، ومنها ثلاثة تستوجب الكفر ، وهي قولهم بقدم العالم وانكارهم علم الله تعالى بالجزئيات ، وانكارهم بعث الاجساد ، ثم الف كتابه فى الفقه والاخلاق وقد أطلق عليه اسم احياء علوم الدين ، ومن اجل هذا وذاك لقبوه حجة الاسلام وقد قضى بحملات على الفرق والبدع سيما ان الناس ملوا الجدل . ولما وصلت كتبه الاندلس واطلع عليها ابن رشد ثار ثورة عظيمة فألف كتابا سماه تهافت التهافت ، رد فيه على الفزالي فى مسائله وانكر الامور الثلاثة قائلا ان قدم العالم مسألة خلافية بين الفلاسفة وقولهم بالجزئيات فانهم يقولون ان علم الله لا يشبه علمنا ، وان الاجساد تبعث من مادة باقية وهكذا دافع عن الفلاسفة ورد على الفزالي ، وكانت حججه منطقية محضة .

على انه لم يكتف بهذا ، بل قام يهاجم الاشعرية جميعا ليتوصل الى هدم الفزالي الذي يذكره بكنيته ابي حامد وكذا أستاذه أبو المعالي وقد الف كتابه فصل المقال والكشف عن مناهج الالة المار ، ذكرهما وبالرغم من ذكره الباطنية من الفرق والحشوية فانه لم يتعرض لهما وكذا هو لم يذكر شيئا عن الجهمية والمرجئة والشيعة والخوارج بل صب جام غضبه على الاشعرية ثم على الفزالي وابي المعالي مع العلم بأنهم هم أهل السنة والجماعة فى ذلك العهد ، فقد قرر :

« انهم اضروا لجعلهم البحث مكشوفا للجمهور ، ثم قال : « واول من غير هذا الدواء الاعظم هم الخوارج ثم المعتزلة بعدهم ثم الاشعرية ، ثم الصوفية ، ثم جاء أبو حامد فطم الوادي على القرى وذلك انه صرح بالحكمة كلها للجمهور » ، ولم يعذره لان اهل البدع هكذا فعلوا فرد عليهم باسلوبهم ، ثم قال عن الفزالي : « واما اذا ثبتت فى غير كتب البرهان واستعمل فيها الطرق الشعرية والخطابية او الجدلية كما يصنعه أبو حامد فخطأ على الشرع وعلى الحكمة وان كان له جل انما قصد خيرا وذلك انه رام ان يكثر اهل العلم وتطرق بذلك قوم الى قلب الحكمة وقوم الى قلب الشريعة وقوم الى قلب الجمع بينهما ويشبه ان يكون هذا احد مقاصده بكتبه والدليل على انه رام بذلك تنبيه الفطر انه لم يلزم مذهبا من المذاهب فى كتبه بل هو مع الاشاعرة اشعري ومع الصوفية صوفي ومع الفلاسفة فيلسوف وحتى انه كان كما قال الشاعر :

يوما يمان اذا لقيت ذا يمن
وان لقيت معديا فعدنان

والذي يجب على أئمة المسلمين ان ينهوا عن كتبه التي تتضمن هذا العلم الا من كان من أهل العلم » .

الى هذا الحد بلغ من ابن رشد فى مهاجمة الفزالي بان ينهى عن كتبه ، على ان الدائرة انما دارت عليه هو فاحرقت كتبه ولم يبق منها بايدي الناس الا القليل ، واما كتب الفزالي فهي باقية ، وقد نال بها لقب حجة الاسلام ولا يزال .

ولم يكتف ابن رشد بهذا ، بل قال عن براهين الفزالي والاشعرية انها ناقصة فى الاستدلال والبرهان الجدلي المنطقي ، وانهم يستعينون بالسفسطة مع انه هو استعمل السفسطة كثيرا وبالرغم عن ان الامام تقي الدين بن تيمية نصير السلفية وغير راض عن الخلفية فانه انتقد اسلوب ابن رشد فى رسالة الحقها الاستاذ احمد امين بكتابي ابن رشد المذكورين ، وهي مثال الدقة ، واليك نبذة من تبكيت هذا الامام الفاضل لاقوال ابن رشد : « اما دعواه ان العلماء المذكورين فى القرآن هم اخوان الفلاسفة أهل المنطق واتباع اليونان فدعوى كاذبة فانا نعلم بالاضطرار من دين الاسلام ، ان الذي أتى الله عليهم بالتوحيد ليس هم من المشركين الذين يعبدون الكواكب والاوثان ، ويقولون بالسحر ولا ممن يقول بقدم الافلاك الا ممن يقول ان الحوادث حدثت بأنفسها ليس لها فاعل » .

وقد لام الفزالي لقوله ان الهيات اليونان المنسوبة لارسطو مبنية على التخمين ولا أصل لها ، وها قد ظهر انه ليس لارسطو الاهيات ، وانما دست بحوثها من الصابئة والسريان ، فكان راي الامام الفزالي اصوب .

وبلغ منه ان يقول عن الاشاعرة : « وذلك ليسوا من العلماء ولا من جمهور المؤمنين المصدقين ، وانما هم من الذين فى قلوبهم زيغ وفى قلوبهم مرض » .

ومثل ذلك كثير جميعه مناقشة وحملة وتسفيه لآراء الاشعريين دون الفرق الضالة حتى انه لم يذكر

# نظرات في ديوان ابي حيان الغرناطي

للأستاذ سعيد أعراب

- 2 -

وأما شعر ابي حيان في الطور الثالث، ونعني به طور الكهولة والشيخوخة - فهو شبه رد فعل لطوري الصبا والشباب: شكوى وعتاب، ودموع وآلام.! فهو شعر تشاؤم، لان طول تجربة ابي حيان للناس، ومعرفته بدخائلهم؛ مما جعله يؤمن بأن الشر طبيعة هذا البشر؛ فمن اسدى اليك منهم معروفا، فانما ذلك لغرض يرجوه، او رفد يدعوه.

لا ترجون دوام الخير من احد
فالشر طبع وفيه الخير بالعرض
ولا تظن امرا اسدى اليك ندى
من اجل ذاتك بل اسداه للغرض

ومما زاد في شكواه وبلواه، ان طال عمره، وضعف بصره، وانخارت قواه، واصطلحت عليه الاحداث، فمل الناس وملوه، واصبح غريبا في عالم دنياه:

رماني الزمان بأحداثه
وكنت صبورا على ما حدث
وافنى الشباب واهلا مضوا
وما كنت ممن بذاك اكترث
ومنذ عرا بصري ضعفه
فعدت كأني رهين الجدث
وقد كنت مستأنسا ساكنا
فقد صرت مستوحشا ذا عبث

انه شعر شكوى وعتاب، وحديث هموم واحزان:

مللنا وملتنا الحياة فلو اتت
شعوب استرحنا من مقاساة اعراض
تقارب خطو وانحناء وشيبة
وضعف لحاظ وانتهاض كمنهاض

اي عيش لشيخ
هو حي مثل ميت
عادم الانس غريب
مفرد من اهل بيت
واله نفس تنادي
للمنايا هيت هيت
تترجى وتمنى
بلعل وبليت
وسراجي ليس فيه
للبقا نقطة زيت
سوف يكنى عن حديثي
كان منه كيت كيت

وانه شعر الفجيعة والآلام.! فقد فقد ابو حيان الاهل والولد، واخنى عليه الدهر الذي اخنى على لبد؛ وودعهم واحدا واحدا الى عالم الاموات! وكانت الصدمة عنيفة، اذ فقد شريكته في الحياة، وكانت انيسه في الغربة، وسميره في الوحشة؛ وهو الشيخ العجوز، تبر به كما تبر الام الرؤوم بوحيدها الصغير:

كانت انسي في وحدتي واغترابي
ومنامي ويقظتي وسفاري

## « اليهود يشوهون ابن رشد »

لقد ترجم متفلسفة اليهود كتب ابن رشد الى العبرانية بعد ان اضافوا اليها ما شاءوا ، لا سيما تلميذه موسى ابن ميمون ، وعن العبرانية ترجمت الى اللاتينية وقد دسوا فيها نكران ابن رشد للبعث والخلود ، ومن يطالع كتابيه الموجودين بالعربية والتي لم تصل اليها ايدي اليهود ، وهما فصل المقال وكشف مناهج الادلة يتحقق انهم كاذبون لانه يعترف بايمان صادق بالمعاد ، الا انه يقول ان الاجساد هي من نوع آخر خلاف هذا الجسم الدنيوي الفاني ، الا ان كتبه العربية لم تترجم للغرب فظلت عندهم كتبه المزيفة وظلوا يعتقدون به الالحاد فينسبون له القول بأزلية العالم وبنكران البعث والخلود الاخروي ، واليك ما قاله الدكتور غوستاف لوبون فى كتابه ( حضارة العرب ) : « وينكر ابن رشد الخلود والبعث ويصرح بأن على المرء ان لا ينتظر ثوابا غير ما يلاقي فى الحياة الدنيا بكماله الخاص » ، وقال ايضا : « يرى ابن رشد ان العقل العام المطلق باق على الدهر قابل للانفصال عن الجسم ، وان العقل الفردي فان مع البدن » ، وهذا القول يفيد الحلول ايضا مما يتنزه ابن رشد عنه ، وهذا وذاك هو راي اكثر الغربيين، قال ادوولف استاذ المنطق فى جامعة لندن فى كتابه عرض تاريخي للفلسفة والعلم على لسان ابن رشد « ونفس الانسان لا تنفصل عن مخه وهي تهلك معه » .

والمؤسف ان ياخذ به عامة كتاب العرب اليوم واليك ما قاله الاستاذ اسعد داغر فى كتابه ( حضارة العرب ) واعتقد انه نقله عن الدكتور غوستاف لوبون :

« ومذهب ابن رشد فى الفلسفة ، ان مادة العالم ازلية وان الخلق حركة اضطرارية فى تلك المادة تنشأ عنه الكائنات ويتولد بعضها من بعض ، اما الخالق فهو الحركة او المحرك وكما ان المادة ازلية فكذلك المخلوقات، فالنفوس تموت مع الاجساد » .

على ان العلامة الالمانية الدكتورة سيغريد هونكه استدركت هذا الامر وانصفت ابن رشد حيث قالت : « هل كان ابن رشد كافرا لا يؤمن بالله واليوم الاخر ؟ الم يعترف ابن رشد بوجود حقيقتين ، حقيقة نابعة من المعرفة وحقيقة صادرة عن العقيدة الدينية ؟ ان من يدعي هذا لم يقرا قطعيا بترو ما كتب ابن رشد . انه يؤكد انه برغم كل تباين مادي بين الفرديات فثمت دائما جوهر روحي موحد يجمع بينهما فالجزء السلبي من الروح هو جزء من الجسد يفنى بموته لان كل ما هو فردي زائل . اما الجزء الايجابي الذي هو من الله ، وغير الذاتي فهو الخالد ، لانه كالشمس التي تضيء كل الانحاء والتي هي واحدة دائما ، وفى كل مكان . وهذا الجزء الايجابي هو طريق اتصالنا بالله ، وهو خالد لا يموت ، خلود العالم نفسه ، ان من لم يقرأ ابن رشد فانه لن يتعرف على الفلسفة العربية الاصيلة » . على اي حال ان هذا التشويه يتحمل هو جرائره لانه قرب اليهود لا سيما موسى بن ميمون اذ ترك لهم تبييض مؤلفاته على ما يظهر وترجمتها الى العبرانية دون ان يجد من يقراها له عن العبرانية » .

## « ابن رشد ياتي بعد ابن عباس فى فهم المتشابه »

لقد سار ابن رشد على الراي القائل بأن الراسخين فى العلم يتفهمون المتشابه بعد الله تعالى معتبرا الواو للعطف فى قوله : « وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم » . وقد قفز عن امامة مالك واتصل بابن عباس متفهما قوله : « ليس فى الدنيا من الاخوة الا الاسماء » . ففسر المتشابه على هذا النحو ، وان العالم الاخروي لا يشبه عالمنا ، وان الله تعالى قد ابان ذلك فى التنزيل بقوله تعالى : « فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يكسبون » .

فاتى بتفاسير عالية جدا وهو يحذر ان يقراها من لا يفهمها ممن لم يتبلغ من علم الشريعة حدا كافيا .

أما حملته على الغزالي وأبي المعالي والاشعرية فهي غيرة على الفلسفة واخفاتها لاعتقاده انها انجع طريقة للرقي ، وانها تتفق فى النهاية مع العقائد الدينية مهما تباعد وهذا الامام الشيخ محمد عبده يختم كلمته فى رسالة التوحيد متأسفا حيث يقول : « وذهب الزمان بما كان ينتظر العالم الاسلامي من سعيهم » .

هذا ابن رشد رحمه الله وهذا البحث عنه فى منتهى الاضطراب وسببه صلته باليهود قبحهم الله .

**نابلس : احسان النمر**

ونضـــار كانت انيســـي وحبـــي
ونضـــار كانت حياتـــي وحبـــي
ونضـــار ابقت بقلبـــي حبـــا
ليس ينفك او اوافـــي ضريحـــي

ويذكرنا هذا التوجع الاليم ، وتكرار الفجيعـــة والمصاب ، برثـــاء الخنساء لاخيها صخر ؛ واذا كـــانت الخنساء زعيمة الشواعر ، في التفجع والبكاء ؛ فأبـــو حيان زعيم الشعراء في التوجع والرثاء . ولا نعـــرف شاعرا بكى ولدا له او بنتا ، مثل ما بكى ابوحيان ابنته نضارا . وقد كتب عنها كتابا ، جلـــه ــ فيما نعتقد ــ شعر ؛ سماه « النضار ، في المسلاة عن نضار »

## فنـــون الشعـــر الاخـــرى :

وبالاضافـــة الى الموضوعات السابقة الذكـــر ، كالغزل ، والرثاء ، والشكوى ، والعتاب ؛ فهناك ابواب اخرى ، هي اقل نصيبا في الوفرة والاجادة بالنسبـــة الى الغزل والرثاء . فانت اذا سرحت نظـــرك فـــي الديوان واردت ان تخرج بتصنيف الموضوعات التـــي احتواها ، ــ فانك ستجد من بينها المـــدح والهجـــاء والفخر والحكمة والزهد وما الى ذلك .

ومدح ابى حيان يكاد يكون مقصورا على اهـــل العلم والادب ؛ من اصدقائه وبعض شيوخه ؛ وهـــو شعر مناسبات ومجاملات .

وممن مدحهم ابو حيان ابن منظور صاحب لسان العرب ، وقد نوه بهذا الكتـــاب واضفى عليه حلـــة الاعجـــاب :

اجلت لحاظـــي في الرياض الرحائـــب
ونزهت فكـــري في فنـــون المباحث
وشاهدت مجموعا حوى العلـــم كلـــه
فـــأول مكتـــــوب وثـــان وثالـــث

وقـــال يمدح بعض المتادبين :

ايـــا لافظـــا بالسحـــر هـــا انا سامـــع
وبـــا ناشـــرا للـــدر هـــا انـــا جامـــع
لقد حزت في شرخ الشباب معارفـــا
وجزت مـــدى للشيب اذ انت نافـــع
مبيـــن بيـــان ليس ينفـــك دائمـــا
بدائـــه منـــه تعتـــرى او بدائـــع

ومدح ابا زكرياء ابن ابى القاسم العزفي اميـــر سبتة بقصيدة مطولة اظهر فيها مدى حنينه الى وكره الاول ، واجتاحته موجة من الحب الفياض الى مسقط راسه ، ومقر اجداده ( بلد المغرب ) .

يقـــول فيهـــا :

الملك يحمي بملـــك من بنـــي العزفـــي
والعلم يحيا بيحيى الخير ذى الشرف
مستحكـــم الراي لا يغتـــال فكرتـــه
ذهـــن الرجـــال ولا ينقـــاد للجنـــف
ف ( سبتة ) الغرب قد القت مقالدهـــا
اليـــه فاستعصمت بالكامـــل الانـــف
من اسرة الملك لخـــم طالمـــا منعـــوا
ذمـــاره بالظبـــا والذبـــل والقصـــف
هـــم الملـــوك فـــلا ملك يقـــاس بهـــم
مـــن الورى ايقـــاس الدر بالصـــدف!!
ارتـــاح للغرب لكـــن كم عوائـــق لـــي
مـــن خضرم مرتد او مهمـــه قـــذف
ومماارتياحـــي بأنـــي لم انـــل شرفـــا
بمصـــر بل نلت منها منتهى الشـــرف
لكـــن ذاك ارتيـــاح هـــاج ساكنـــه
ذكـــرى مكـــان به نشاي ومؤتلفـــي

واما الهجاء فلم يكن لابى حيان فيه باع طويـــل ، وقلما تعثر له على قصيد في هجاء مستقل ؛ وانمـــا تاتي اهاجيه في غضون مدائحه والفخر بنفسه . وقد هاجم المتصوفة وحمل عليهم حملة شعواء !

يقـــول في بعض قصائـــده :

قـــرامط يدعـــون لهم صلاحـــا
ودينـــا والفسوق لهـــم حليـــف
اذا فســـروا القـــرآن قـــالـــوا
بواطنهـــم لهـــم فيـــه كشـــوف
فمـــن علـــم لـــدنـــى وعلـــم
بطينـــي لـــه ســـر لطيـــف...

وقـــال من قصيدة اخرى :

ارى كـــل زنديـــق اذا رام نشـــر مـــا
طواه ادعى أن صار في الناس صالحـــا
فيستخـــدم الجهـــال ينهب مالهـــم
ويبـــدي لهـــم كذبا على الله فاضحـــا
قرامـــط دجالـــون سنـــخ ضلالـــة
كـــلاب على الاسلام اضحت نوائحـــا

وندیمـي في رحلتـي ومقامـي
وزميلي في حجتي واعتماري
كنت ارجو بأن تعيش وتبقى
حين سقمي تدور بي وتداري
لم تكن زوجة ولكن كأم
وانا كابنها صغير الصغار
كانت الروح بين جنبي وراحت
فحياتي صارت كثوب معار

ولكن الامر الذي لم يجد معه اصطبارا ، والذي هيج لوعته فاستعارت نارا ، هو فقده لابنته نضار؛ وكانت عالمة اديبة ، راوية محدثة ، حاجة برة ، عفيفة زاهدة ؛ سميرها كتاب الله ، وشعارها خوفه وتقواه.. فلنستمع اليه يناجيها — وهي طريحة الفراش ، تعاني مرارة السقم ، والآلام :

امر حياتي يا نضار سقامك
وكونك لا يسري اليك منامك
اقمت شهورا لا يبل لك اللهى
شراب ولا يغذوك يوما طعامك
تواترت الاسقام نفخ وسعلة
وقي واسهال فعز مرامك
وعما قليل يذهب البأس كله
ويبدو على اثر العبوس ابتسامك

* * *

غذيت بدر الفضل مذ كنت طفلة
وكان بتعليم القران فطامك
قرات كتاب الله والسنن التي
اتت عن رسول الله فهو امامك
وبالكعبة الغراء طفت بمكة
وللحجر المسود كان التثامك
وجاورت اياما بها ولياليا
وكان كثيرا بالمقام مقامك
وزرت رسول الله افضل من مشى
على الارض واحتلت هناك خيامك

وتشاء الاقدار أن لاينتهي ابو حيان من نظم هذه القصيدة حتى تلفظ هذه البنت النادرة المثال ، نفسها الاخير ، وتسلم الروح الى باريها . ويأبى أبو حيان الا ان يختم القصيدة بهذا البيت :

وقد كنت ارجو ان تعيش والآن قد
اتاك من الله الكريم حمامك

وقال وهو يودعها الى مقرها الاخير ، وقد غطت مآقيه سحابة سوداء :

امن بعد أن حلت نضيرة في الرمس
تطيب حياتي او تلذ بها نفسي
فتاة عراها نحو ستة أشهر
سقام غريب جاء مختلف الجنس
فما ضجرت يوما ولا اشتكت الضنى
ولا ذكرت مما تقاسي من البأس
قضت نحبها في يوم الاثنين بعدما
تبدى لنا قرن الغزالة كالورس
فصلى عليها الناس يثنون وانثنوا
بها لضريح مظلم موحش الطمس
يؤنسها في رمسها العمل الذي
تقدمها اعظم به ثم من انس
سقى روضة حلت نضار بتربها
من المزن وبل دائم السح والبجس ؟

وهكذا بكى ابو حيان ابنته نضارا ، بكبد حرى، وبلل قبرها بدموع غزار ، ولازم محراب ضريحها سنة كاملة ، يرتل فيه آيات شعره ، ويرسلها انات تذيب الصخر ، وتنصدع منها الاحشاء :

ضريح بنتي جعلت بيتي
وقلت ليتي اموت ليتي
قدوم حي يغيب يرجى
وليس يرجى قدوم ميت

* * *

امضني الحزن يا نضار
وصرت مضنى لما مضيت
اصبحت فردا فليت اني
قضيت نحبا لما قضيت
وان بيتا اضحى محلا
لخير بنت — لخير بيت

ويذكر ابو حيان انه قيد نفسه عند ضريحها، وجعل فؤاده وقفا على بكائها وندبها :

ان جسمي مقيد بالضريح
وفؤادي وقف على التبريح
ولعيني اذا ذكرت نضارا
مدد من دماء قلب جريح
راح عيد وبعد عيد كبير
ونضار تحت الثرى والصفيح
لا ارى فيهما وجيه نضار
يا لشوقي لذا الوجيه المليح

باب الرمان

# أحد مداخل الحمراء الرئيسية

للدكتور محمد كمال شبانة

يقوم قصر الحمراء في مدينة « غرناطة » . وكان في بداية الامر على هيئة قلعة حربية أسسها « باديس ابن حبوس » اوائل القرن الحادي عشر الميلادي ، وسميت بقصبة الحمراء ، نسبة الى لون حجارة الهضبة التي بنيت عليها . ولما اسس محمد بن الاحمر دولة بني نصر في غرناطة في القرن السابع الهجري ( الثالث عشر الميلادي ) اتخذ مركزه في « القصبة » ، وأنشأ داخل اسوارها قصره الذي خلع عليه اسم الحمراء القديم . وغدا القصر منذ ذلك اليوم قاعدة للمملكة النصرية ، التي كانت تشمل كل الطرف الجنوبي بشبه الجزيرة جنوب نهر الوادي الكبير . وحيث بنى بها المؤسس ومن جاء بعده من سلالته عشرات الحصون على طول حدود المملكة من قادس في الغرب الى المرية في الشرق . وفي أواخر القرن السابع الهجري أنشأ محمد الثاني بن الاحمر ( ثاني سلاطين بني نصر ) الحصن الجديد والقصر الملكي ، الذي هدم منه الجزء الامامي ، حيث بنى مكانه قصر الملك شارل الخامس .

ان معظم مباني الحمراء التي لا تزال قائمة الى اليوم ، ومعظم الروعة الفنية التي تتجلى فيها يرجع الفضل فيها الى سابع سلاطين بني نصر ، ابو الحجاج يوسف بن ابي الوليد اسماعيل ابن فرج ( 733 ــ755هـ / 1333 ــ 1354 م ) ؛ فقد كان ــ بحق ــ ملكا فنانا موهوبا ، أضفى على الحمراء من فنه هذا الذي نراه من السحر والجمال .

ولا مراء في ان قصر الحمراء يعتبر تاج الآثار الاندلسية ، اذ هو الطابع العربي لغرناطة الاسلامية ، والرمز الخالد للفن العربي الاندلسي ، ذي الخصائص المتميزة في هندسته المعمارية .

ان اول ما يطالع الزائر لهذا القصر « باب الرمان» الذي يقع في نهاية طريق بني غمارة أو مصعد بني غمارة ( قبيلة مغربية ) وهو المنفذ الاول لهضبة الحمراء . بيد انه لم يكن من أبواب القصر الاندلسية العربية ، وانما استجد عليها في عصر منشئه الامبراطور شارل الخامس ( شرلكان ) صاحب القصر المعروف ، والملاصق للحمراء من مقدمتها ، التي كانت قديما تشتمل على القسم الاداري للقصر العربي يومئذ ...

ان الاهمية التاريخية التي يكتسبها باب الرمان هذا تكمن في هندسته المعمارية الخاصة ، فهو يتكون من عقد حجري كبير ، قد ارتكز على قائمين ضخمين ، تعلوه ثلاث رمانات تتخذ وضعا مثلث الشكل ، رمزا الى شعار غرناطة التاريخي ، وتفسيرا لمدلول اسم العاصمة ( غرناطة ) .

فاذا ما ولجنا هذا الباب الفينا غابة فسيحة الارجاء مترامية الاطراف ، تتخللها قنوات المياه المتدافعة ، وانفسحت بينها طرق ثلاث متسعة ، يصلك ايمنها وأولها الى ( أبراج الحمراء ) ، ويفضي بك أوسطها الى قصر ( جنة العريف ) ، بينما يؤدي بنا أيسرها الى ( باب الشريعة ) ، اول الابواب الاندلسية العربية الى قصر الحمراء ذاته ، بل المدخل الرئيسي لها ، في الطريق

وابو حيان على كثرة شعره لا يوجد له في الوصف الا قصيدتان أو ثلاث .

قال يصف التمساح :

وخلق غريب الشكل في مصر ناشيء
وما هو في ارض سوى مصر يوجد
هو السبع العاري بنيل صعيده
يقافص من للماء في النيل يقصد
ويخطفه خطف العقاب لصيده
ويفصله عضوا فعضوا ويزرد
وما من شخوص النيل خلق له يد
ورجل سواه وهو في البر يصعد
له ذنب مرخى طويل يقيمه
يلف به من كان في الناس يفند
واسنانه انثى على ذكر اتت
لكسر العظام الصلب منها تفقد
ويحفر في رمل ويدفن بيضه
يعاهدها غبا الى حين تولد

وهي قصيدة طويلة وصف فيها هذا الحيوان العجيب وصفا دقيقا . وله نظيرها في الفيل .

وشعره في الحكمة والزهد متناثر في كثير من قصائده :

عداتي لهم فضل علي ومنة
فلا اذهب الرحمان عني الاعاديا
هموا بحثوا عن زلتي فاجتنبتها
وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

* * *

لا تصحبن ملكا أو من يلوذ به
وان تنل منهم عزا وتمكينا
يستخدمونك في لذات انفسهم
ويذهب العمر لا دنيا ولا دينا

وابو حيان فخور بنفسه ، مزهو بعلمه وأدبه :

وعينني الوجود لكل فضل
اقر به المعادي والموالي
فلست بعاتب ابناء دهري
ولست بماقت جور الليالي
كفاني رتبة أن صرت فردا
فمالي في المعالي من مثال
اذا ما لحت في افق لناس
اشاروا بالاصابع كالهلال
اذا قالوا أبو حيان هشت
الى رؤياي أفراد الرجال
ولو كان القياس يفيد شيئا
لكان الصخر من ضرب اللآلي

* * *

فان أمس قد اقوت من العلم حضرتي
واصبحت نقضا هامدا بين انقاض
فما مات من أبقى تآليف زانها
تلاميذ كل في مباحثه ماض

هذه لمحات عنت لي وانا أقرأ لابى حيان ، وتلك نظرة عجلى القيتها على ديوانه ، لم اقصد بها الى الدرس والتحليل ، بقدر ما قصدت الى التعريف به، ونفض عن بعض جوانبه ؛ بعد أن ظل مآت السنين ، في زوايا الاهمال والنسيان ، وما اكثر ما خلف أبو حيان ، من انتاج حي ، وتراث خالد ؛ تزخر به المكتبة العربية في المشرق والمغرب !

ولنردد مع ابى حيان بحق قوله :

ليهن بني الاعراب ان كنت شيخهم
وانهضتهم في علمه أي انهاض

**تطوان : سعيد أعراب**

حيث كان القضاة يجلسون عنده للحكم على عهد بني نصر ، كما تدل على ذلك الاخبار المتواترة بين اهل غرناطة . هذا بالاضافة الى ان أقدم النصوص — التي ضمنت وصف الحمراء بعد سقوط المدينة في يد الاسبان — لا تذكر هذا الباب بغير اسم «باب الشريعة» فهذا دليل وقرينة — ان أعوزتنا قرائن أقوى دلالة — على ان لفظ « الشريعة » يدل على مكان اكتسب الباب اسمه منه (1) .

ويظهر ان « دوزى » كان اول من جمع عددا من عناصر المشكلة التي نتجت عن لفظ « باب الشريعة » دون ان يقترح حلولا لها ، حيث نرى هذا العالم الهولندي ، عند عرضه للحوادث التي توالت على غرناطة سنة 1162 م يبين اثناء سرده لهذه الحوادث كيف ان ابن الخطيب كان سباقا الى استعمال لفظ « ربض البيازين » ، وقد ساق « دوزي » كلامه على هذا النحو ، قال : (2) « .. يعبر ابن الاثير بعبارة نرى . اذ يذكر ان ابن ( مردنيش ) نزل في الشريعة بظاهر غرناطة » (3) .

وهناك حقائق نادرة عن باب الشريعة هذا ؛ من ذلك فترة في مقطوعة من الشعر الشعبي يرد فيها ذكر لبعض المواضع في غرناطة . وعنوان هذه المقطوعة : Zaide ha prometido fiestas وقد وردت في ديوان الشعر الشعبي المعروف بـ Romancero de Duran, Romances moriscos طبعة Madrid مدريد 1828 ) ص 42 — 43 ، وفي ديوان Romancero Castellano طبعة Depping et alcala jaliono ليبزج سنة 1844 ج 2 ص 279 ) .

وهاك ترجمة هذه الفقرة الشعرية عن الاسبانية:

« بعضهم يعدو وبعضهم يصيح
وآخرون يقولون :
انتظموا واذهبوا جميعا
الى شارع القصبة ..
وآخرون يقولون : الى الشريعة ..
لا تتركوها ولا تتركوا رحبتها » .

ويقول بعد ذلك « انه وجد ضمن احد مخطوطات مدريد (تحت رقم (Cod., G 12 de la Bibl. Nac. ان ذلك كان في الشريعة وليس في موقع باب البنود ، كما ذكر « مارمول » في كتابه : Rebelion de los Moriscos ( ورقة 28 عمود 4 ) من ان الحاجب « فلاسكودي بريونويبو » قد قتله الموركسيون من اهل حي البيازين في سنة 1499 م ، ثم يورد بعد ذلك عبارة اخذها من نفس المخطوط وهي انه « في سنة 1499 ذهب الملكان الكاثوليكيان ( فردناندو وايزابيلا ) الى غرناطة ، حيث استقبلا استقبالا حافلا ، وكان اعظم ما ينبغي مشاهدته يومئذ منظر اجتماع أكثر من ثلاثين الف مسلم مرتدين كلهم عباءاتهم البيضاء في شريعة البيازين وما يليها في انحاء ذلك السهل حتى « سان لازار » . وكان ذلك منظرا رائعا (4) » .

ويستنتج « ليفي بروفنسال » من ذلك ان الشريعة كانت جزءا مما سمي بعد ذلك **بحي البيازين ،** كما يوفق بين العبارتين بقوله : ان جزءا من الجيش عسكر فيها ، وان الحي كله كان يقع فوق التل المذكور. هذا ، وليس هناك ما يمنع من ان هذا المدلول لمسمى هذا الباب قد صارت الحاجة معه ماسة الى ربط معناه بفكرة العدالة ، وكما هو مفهوم من تسمية الاسبان لهذا الباب .

ولا يفوتنا قبل ان ننهي الحديث في هذا الموضوع ان نذكر ان استاذي « د . لويس سيكودي لوثينا » المستشرق الاسباني قد عقد في باب :
Cernica Arqueologica de la Espana Musulmana
من مجلة الاندلس ، مجلد 7 سنة 1942 ص 438 — 458 ، دراسة شاملة عن ابواب غرناطة في القرن الرابع عشر ، عنوانها :
Las puertas de la Cerca de Granada en el siglo XIV

ثم ان الاستاذ « ليوبولد وطوريس بالباس » ، نشرا في الباب نفسه دراسة رائعة ، عن « المصليات الخلوية في اسبانيا الاسلامية »
Murolla y Saria en las Ciudades hispanomusulmanes
( مجلة الاندلس ) ، المجلد 13 ، سنة 1948 ( ص 167 — 180 ) .

**القاهرة : الدكتور محمد شبانة**

---

1 ) راجع : ليفي بروفنسال في كتابه « الاسلام في المغرب والاندلس » ترجمة د . السيد سالم والاستاذ محمد صلاح ص 82 نشر مكتبة النهضة بمصر 1956 م .

2 ) Recherches sur l'histoire et la littérature et l'Espagne pendant le Moyen-Age الطبعة الثالثة ، باريس وليدن عام 1881 ج 1 ص 382 — 384 .

3 ) انظر : الكامل لابن الاثير ج 11 ص 127 ط الازهرية .

4 ) ليفي بروفنسال في كتابه « الاسلام في المغرب والاندلس » ص 84 ، المترجم للعربية حسبما وضحنا سابقا .

الصاعد اليها ، حيث يطل على ميدان صغير حوله . وهو عبارة عن بوابة عربية هائلة ، يبلغ ارتفاعها نحوا من خمسة عشر مترا ، قد اقيم عقدها المزخرف على مثال حدوة الفرس . منقوشة عليه سطران بالخط الاندلسي المتشابك ، ويتضمن هذا المكتوب تعريفا بمنشيء هذا الباب وتاريخ انشائه ، وذلك كما يلي :

« امر ببناء هذا الباب المسمى باب الشريعة ــ اسعد الله به شريعة الاسلام كما جعله ذخرا باقيا على الايام ــ مولانا امير المسلمين ، السلطان المجاهد العادل يوسف بن مولانا السلطان المجاهد المقدس ابي الوليد ، بن نصر ، كافى الله فى الاسلام صنائعه الزكية، وتقبل اعماله الجهادية ، فتيسر ذلك فى شهر المولد المعظم من عام تسعة واربعين وسبعمائة ، جعله الله عزة واقية ، وكتبه فى الاعمال الصالحة الباقية . . .

وقد اثبت هذا الاثر الخطى ثلاث حقائق :

1 ) ان المنشيء لباب الشريعة هو السلطان ابو الحجاج يوسف الاول النصري 733 ــ 755 هـ ( 1333 ــ 1354 م ) .

2 ) ان تاريخ انشائه هو شهر ربيع الاول 749 هـ ( 1348 م ) .

3 ) ان اسم هذا الباب هو « باب الشريعة » نسبة الى شريعة الاسلام .

وفى ضوء الحقيقة الاخيرة نقول : ان هذا الباب ــ كما اتضح من اسمه ــ كان مجازا لذوي المظالم وارباب الحاجات ، وعن طريقه كان يصل هؤلاء الى مجلس القضاء ، الذي كان يعقد ــ فى الغالب ــ فى الساحة التي تليه ، او فى المسجد المؤدي اليه ، جريا على عادة القضاء بالاندلس ، حيث يخصص كل يوم معين لفحص الشكاوي ونظر الخصومات ، على يد السلطان احيانا ، او نائبه او قاضي القضاة فى اغلب الاحيان .

ولكن يرى الدكتور حسين مؤنس ــ فى خصوص تسمية هذا الباب بهذا الاسم ــ ان كلمة الشريعة فى اطلاقها هنا على البوابة انما تعني « الشارع » لا الشرع، اذ يقول : « . . . الشريعة هنا معناها الشارع لا الشرع، لا محل لترجمته بمعنى « باب العدالة » او « باب العدل » Puerta de la Justicia, لان هذا الباب لم يكن يؤدي مباشرة الى الجامع ( وهو مجلس القضاء ) او المحكمة ، وانما يؤدي الى مباني وسط الحمراء ، الى الميدان الواقع بين القسم العسكري من مبانيها ( الابراج والمحارس ) ، والقسم المدني ( المساكن والحدائق وادارة الدولة وما الى ذلك ) (1) .

ونحن ان سلمنا جدلا بان باب الشريعة هذا لم يكن يؤدي حقيقة الى المسجد مباشرة كما ذكر الدكتور مؤنس ، فان هذا الباب كان يؤدي الى ساحة فسيحة الى الميدان الذي اورد ذكر موضعه بين القسم العسكري ( القلعة ) والقسم المدني ( قصر الحمراء بملحقاته ) ، ومن الجائز بل ومن المعقول ان تكون هذه الساحة قد شهدت مجالس القضاء فى عصر السلطان ابى الحجاج ــ منشيء البوابة ــ بالذات بدلا من المسجد فى بعض الاحيان، حسبما جرى على هذا ملوك الاسلام بالاندلس، كما ان من المفروض ان هذا الباب هو المجاز الرئيسي لموقع ادارات الحكومة ، ولا مناص من اجتيازه للوصول الى مقر الحكم ، سواء أكانت المحكمة تعقد بالميدان المتوسط بين القصبة والحمراء او بالمسجد الملحق بالقصر ، هذا فضلا عما جاء بالنقش الاثري على قوس هذه البوابة من تسميتها باب الشريعة ، وما اعقب ذلك من ربطها بجملة دعائية تناسب التسمية ( اسعد الله به شريعة الاسلام ) ، مما يقطع بان المسمى انما عنى باطلاق التسمية مفهوم كلمة ( الشريعة ) الاسلامي .

ويعزز هذا الذي ذكرناه ما مال اليه المقري فيما نقله عنه صاحب سلوة الانفاس حيث قال :

« وسمي باب الشريعة ، لانه معدود لاقامة حدودها به على من وجبت عليه » (2) والى هذا استند المستشرق الفرنسي «ليفي بروفنسال » ؛ حيث ذكر ان اتخاذ « باب الشريعة » مكانا للعدالة يعتبر ــ كما يوحى بذلك تداعي المعاني ــ تعليلا طبيعيا جدا لتسميته باب العدالة او « باب الشريعة » .

ومن جهة اخرى ان هذا التعليل بهذه التسمية يتضح ايضا من الترجمة الاسبانية القديمة لاسم هذا الباب الكبير ( باب الشريعة ) والمسمى فى الاسبانية باسم Puerta de la Justicia او Puerta judiciaria

---

1 ) انظر مقال د . حسين مؤنس تحت سلسلة «حديث الفردوس الموعود » حلقة 6 فى مجلة « المجلة » العدد 74 السنة السابعة فبراير 1963 م ص 48 ــ ص 55
وكذا كتابه ( رحلة الاندلس ) ص 181 ، الذي جمع به تلك السلسلة من مقالاته هذه . طبعة القاهرة 1963 م .

2) انظر : الكتاني ، سلوة الانفاس ج 3 ص 186 .

وسرقسطة ، وبنو الافطس ببطليوس ، وبنو صمادح بالمرية وبنو عباد باشبيلية وبنو جهور بقرطبة .

وليس هذا فقط كان من اسباب امتداد الحركة الادبية والعلمية ، بل ان الملوك انفسهم منهم من كان اديبا مثقفا مطلعا شغوفا أشد الشغف بالعلم ، ولوعا اكبر الولع بأصناف المعرفة ، ودليلنا على ذلك المظفر صاحب بطليوس الذي جمع فى خزانته الرصيد الكبير من الكتب التي استطاع بها أن يكون موسوعته التي سميت بالكتاب « المظفري » وان يكتسب ذوقا أدبيا وملكة نقدية . وقد روي عنه انه قال : « من لم يكن شعره مثل شعر المتنبي والمعري فليسكت » .

وكذلك المعتمد بن عباد وهو اشهر من أن يعرف به فى هذا الميدان . يقول عنه المراكشي :

« وكان لا يستوزر وزيرا الا ان يكون أديبا شاعرا حسن الادوات فاجتمع لديه من الوزراء والشعراء ما لم يجتمع لاحد قبله (1) » .

ومن المقطوع به أن اشبيلية الارملة الطروب كانت تضج حركة وجلبة كخلية نحل . بهواة الشعر ومعالجيه اذ اصبحت هذه المدينة مقصدا لاولئك ولغيرهم ممن هام بسحر الكلمة وجمال الحرف من جميع الجهات . وكان من بينهم ابن زيدون وابن عمار وابن اللبانة وابن حمديس الصقلي وعبادة القزاز وعبد الجليل بن وهبون وأضرابهم .

ولا بأس أن نجعل مسك ختام هذا الحديث عن عصر الطوائف ما قاله ابو الوليد الشقندي فى رسالته فى فضل اهل الاندلس :

« ولما ثار بعد انتشار هذا النظام ملوك الطوائف وتفرقوا فى البلاد كان فى تفرقهم اجتماع على النعم لفضلاء العباد اذ نفقت سوق العلوم . وتباروا فى المثوبة على المنثور والمنظوم ، فما كان أعظم مباهاتهم الا قول العالم الفلاني عند الملك الفلاني ، والشاعر الفلاني مختص بالملك الفلاني . وليس منهم الا من بذل وسعه فى المكارم . ونبهت الامداح من مآثره ما يطاول الدهر بناء الخ » (2) .

### ولادة بنت المستكفي (3) :

حسناء فاتنة ساحرة ، ناقدة شاعرة ، حصينة ذكية ، استقبلتها الحياة والمعارك محتدمة ، وجيوش المسلمين تتلاطم تلاطم الامواج العاتية من علويين وبربر وامويين .

أتت الحياة عند افول شمس اجدادها ، فوجدت الملك على وشك أن يصبح ذكريات تطفو على وجه الزمن . وشتيت حطام تتقاذفه العواصف الهوجاء ، واضغاث احلام تقتات عليها الانفس الجريحة اللاهثة.

تبرعمت براعم صباها فى جو مكهرب مخيف ، فوالدها محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله الناصري الملقب بالمستكفي تولى الخلافة عام 414هـ فكان بلية ومحنة على أهل قرطبة اذ انه كان مجبولا على الجهالة . عاطلا من كل خلة تدل على فضيلة كما يقول ابن بسام . كما كان عبدا لشهواته لا يهمه من الدنيا غير بطنه وفرجه .

اوقع بنو حمود بأمراء بيتها فلم يكتب لهم النجاة غير ابيها الذي لم يدم متربعا على العرش سوى تسعة عشر شهرا . على حين ظلت شاعرتنا ولادة بقرطبة تثقف نفسها وتنهل من مناهل المعارف ، وكانت اول من سن للنساء سنة الانكشاف وتمزيق حجاب الحشمة والوقار ولاسيما وهي بنت لقينة حبشية والقيان كما هو معروف لم يكن لهم حجاب .

من اجل ذلك غشى منزلها الادباء والشعراء واتخذوه منتدى لهم يديرون بين جنباته احاديث فى شتى الفروع العلمية والادبية ، وما قامت به ولادة قامت به فى الادب الفرنسي فى القرن الثامن عشر « مدام دي ديفاند » التي كانت هي بدورها ميالة الى اللهو والعبث وأحبها نبغاء الفكر حينذاك أمثال فولتير ومنتسكيو وكذلك « مداموازيل دي لسبيناس» والآنسة مي زيادة فى أدبنا العربي الحديث .

ومهما يكن فولادتنا وجدت فى جوها الحافل متنفسا لها ينسيها الفواجع التي تجرعتها والارزاء التي أذاقتها الامرين ، وحاولت أن تتغافل عن كل ذلك بما تقوم به من مقابلات فى قصرها لرواد الثقافة ،

---

1) المعجب : 65 .
2) انظر نفح الطيب ج 2 ص 128 ط ليدن .
3) ذكر الفتح بن خاقان فى « قلائد العقيان» انها بنت المهدي ، والثابت أنها بنت محمد بن عبد الرحمن كما سنرى بعد قليل .

# الأدب النسوي في الأندلس

للأستاذ : محمد المنتصر الريسوني

- 9 -

## عصر ملوك الطوائف :

حتى اذا سلك الخلافة انتثر
وذهب العين جميعا والاثر
قام بكل بقعة مليك
وصاح فوق كل غصن ديك
وكثر العادي بها والخائف
واقتسمت اقطارها الطوائف (1)

هذه الابيات من أرجوزة ابن الخطيب فى دول الطوائف التي يتحدث فيها عن ذهاب الخلافة الاموية، وتفرق كلمة المسلمين شذر مذر . واضطراب حبل الامن فى البلاد ، ورغم اختلال انظمة الحكم وفساد المقاييس السياسية . واستئثار كل امير بدويلته . الامر الذي جعل هذه الدويلات اشبه بجمهوريات ايطاليا فى ثيات شرقية كما يقول غرسيا غومس (2) فان الآداب والعلوم فى هذه الفترة أورقت غصونها . وتبرعمت براعمها فى صورة مثلى تبعث على العجب . وذلك يرجع الى تعزيز الامراء للحركة العلمية . وتشجيعهم لضروب المعرفة على مختلف اشكالها وألوانها .

ونتيجة لذلك انتعشت الحياة الادبية فأثمرت المواهب المتفتحة ، وتندت الاذهان بلطيف النتاج ، وصقلت العقول . وحلق الخيال فى سموات السحر والجمال فكانت من ذلك المقطعات الفاتنة والموشحات الجميلة والقصائد العذاب التي تصف فيما تصف الطبيعة الصامتة والناطقة التي باتت بالنسبة للشاعر مرتعا لخياله ومقيلا لافكاره ، اذ انها تنتشيه باهتزاز الازهار . وانسياب الجداول وتأود فروع الدوحات ، وتمايل عذبات الاشجار وتأوه حفيف الاوراق ، وهفيف الغصون .

ومن اجل ذلك هتف شاعرهم مستهاما مأخوذا:

يا أهل اندلس لله دركم
ماء وظل وأنهار وأشجار
ما جنة الخلد الا فى دياركم
ولو تخيرت هذا كنت اختار

وأيا كان الامر فان الادب فى هذه الفترة شهد تطورا ملموسا . وتقدما ملحوظا رغم أنه ينهل من منهل الادب المشرقي . ولكنه يعرض فى معارض جديدة فيها من الطرافة والجودة والرقة والابتكار ما ينسي الاصل المستمد منه . وذلك مرده جميعه الى العامل الآنف الذكر وبالتالى الى اتساع الدائرة الادبية اذ لم تعد قرطبة وحدها قبلة الانظار يؤمها الشعراء من شتى الانحاء ، بل تكاثرت المراكز الادبية كما تكاثر المدحون ومحبو الادب ، ودواوين الشعر . وأصبح التنافس بين المدن والبلدان على أشده فاستطاعت الاندلس ان تظفر بحظ كبير من النشاط العلمي والادبي ، ذلك ان ملوك الطوائف تباروا على ابهة الملك ، فكل ملك يريد أن يبذ اخاه أو منافسه فى الناحية المادية والعقلية ، وكان منهم بنو ذي النون بطليطلة ، وبنو هود بطرطوشة

---

1) انظر رقم الحلل فى نظم الدول ص 45 مطبعة تونس 1316 هـ .
2) انظر الشعر الاندلسي ص 44 لغرسيا غومس ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس .

وغـــرك مـــن عهـــد ولادة
سـراب تـراءى وبـرق ومـض
هـي المـاء تأبـى علـى قابض
ويمنـع زبدتـه من مخـض

ولكن هذا الراي لا ينهض حجة مقنعة تستند على المنطق ، اذ لو سلمنا بهذا التأويل المفتعل ، والتعليل المتكلف لاقتضت الحال أن نقوم بنفس العمل بالنسبة للنتاج الادبي الاباحي الذي تفتقت عنه قرائح شعرائنا فى الادب العربي . ومن المسلمات . أن الآثار الادبية أكبر معين للباحث فى تاريخ الادب على استكشاف الحقائق ، واذا كان العمل الادبي ينطوي على هذا الجانب الكبير من الاهمية ، فلماذا لا نعتبره معبرا عن حياة صاحبه بكل ما يكتنفها من خير وشر .

واما الاستدلال على طهارة ولادة بقول ابن زيدون فانه يحتمل ان الشاعر تعمد أن يهول الامر على منافسه ابن عبدوس حتى لا يعود يأمل فى حبها ولاسيما البيتان من قصيدة طويلة نظمها الشاعر ابن عبدوس يستهلها بقوله :

اثـرت هزبـر الشرى اذ ربـض
ونبهتـه اذ هـدا ، فـاغتمـض

يتبع — **تطوان : محمد المنتصر الريسوني**

**مـدح — غيـرة — عـذر**

عن عبد الله بن مسعود . قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس احد أحب اليه المدح من الله عز وجل . ومن أجل ذلك مدح نفسه ، وليس أحد أغير من الله ، من أجل ذلك حرم الفواحش ، وليس أحد أحب اليه العذر من الله ، من أجل ذلك انزل الكتب وأرسل الرسل » . **« رواه مسلم »**

وما تقضيه معهم من الساعات الطوال في المطارحات الادبيـــة .

ونحن اذا قمنا بالبحث عن عفافها واستقامتهـــا الخلقية وجدنا أصحاب الاخبار كالمقري وابن بســـام مثلا يصفانها بالعفاف فيقول هذا الاخير وهو أسبـــق وجـــودا مـــن المقـــري :

« ... ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها ، الى سهولـــة حجابهـــا ، وكثرة منتابهـــا ، تخلط ذلك بعلو نصاب ، وكرم انساب ، وطهارة أثواب على أنها ـــ سمح الله لها وتغمد زللها ـــ اطرحـــت التحصيل ، واوجدت الى القول فيها السبيل ، بقلـــة مبالاتها ، ومجاهدتها بلذاتها (1) » .

وليت شعري كيف نوفق بين قول ابن بســـام يصفها بطهارة الاثواب وبين مجاهدتها باللذات . فهو تناقض لا محالة ظاهر واضح وخاصة حين نعثر علـــى قول لابي عبد الله بن مكي شيخ ابن بشكوال نصه : لم يكن لها تصاون يطابق شرفها (2) »

وبالجملة فاننا نستطيع ـــ ما دامت البراهين بين أيدينا ـــ ان نقر ـــ الى حين تظهر براهين أخرى معاكسة ـــ أن شاعرتنـــا ولادة كانت مستهتـــرة لا تكترث لما يخدش شرفها وكرامتها . مجنة تأخذ الحياة على أنها رشفة من كأس الملذات ، وقبلة حارة مـــن خـــد اسيـــل .

وفي الحق ان العفاف والرزانة الخلقية لا تنتسب اليها ولا هي تنتسب من قريب أو بعيد الى قيمة مـــن قيمها ، ولو كانت تتوفر على نصيب من ذلك لما تجرأ صاحبها ابن زيدون على تسجيل كل ما جرى له معها في ليلة زاهرة حلوة عذبة في قطعة له نثرية اثبتها ابن بسام نفسه وهو الذي وصفها بطهارة الاثواب مـــن غيـــر ما تعليل منطقي يزيح سحابـــة التناقـــض الذي وقـــع فيـــه .

ونص القطعة يبتدىء من قوله : « كنت في أيام الشباب ، وغمرة التصاب ، هائما بغادة تدعى ولادة « الى ان يقول في اباحة سافرة » وبتنا بليلة نجتنـــي اقحوان الثغور ونقطف رمان الصدور (3) » .

وقد يمكن لنا أن نتهم ابن زيدون بأنه نسج بعض حوادث الحكاية من خياله عن قصد تشفيـــا بعـــد أن وقع سوء تفاهم بينهما (4) وخاصة وهو الشاعر الرقيق المولع بالخيال ، قد يصدق هذا ، وقد لا يصدق بيد أنه يسوغ لي أن أؤكد أن ما صرح به الشاعـــر يستمد على أصول وجذور ، وكمـــا يقال : لا دخـــان من غير نـــار .

والظاهر لمن يقرأ ما كتبه ابن زيدون عن الليلة التي قضاها مع صاحبتـــه أن الشاعـــرة كانت تزوره ليلا ـــ ومن يدري لعل الحكاية تكررت مرات ومرات ـــ بعد أن ينام الناس فيفيـــىء كل واحد الى فراشـــه حتى يخلو لهما الجو ، وهي نفسها تؤكد هذا وتعترف به ـــ والاعتراف كما يقـــول المشتغلون بالقانون سيد الادلـــة ـــ في قولهـــا :

ترقب اذا جـــن الظلام زيارتـــي
فاني رأيت الليـــل اكتـــم للســـر

ولي منك ما لو كان بالبدر ما بدا
وبالليل ما أدجـــى وبالنجم لم يسر

وما معنى «ترقب اذا جن الظلام زيارتي الخ» هل يعني أنهما سيلتقيان لبث كل لصاحبه هـــواه واختلاجاته . ويتركان روحيهما تتناغيـــان في عالـــم الاحلام الجميلة لا تدنسها رغبة أو نزوة . وكيف يكون لقاؤهما نقيا نقاوة ماء المزن وهي التي كتبت علـــى عاتقي ثوبها في جراة متناهيـــة :

أنـــا واللـــه أصلـــح للمعالـــي
وأمشـــي مشيتـــي وأتيـــه تيهـــا

وأمكن عاشقـــي من صحن خدي
وأعطـــي قبلتـــي مـــن يشتهيهـــا

ورغم ذلك كله فهناك من يزعم أن الاشعـــار الاباحية التي صدرت عن ولادة وشواعر اخر انما هو من قبيل التغزل والتخيل ، شأنهن في ذلك شأن سائر الشعراء الذين قال فيهم القرآن الكريم « .. ألم تـــر انهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون».

ثم استدل على عفتها بقول ابن زيدون :

---

1) الذخيرة 1/1 ص 376 .
2) الصلة : 607 .
3) الذخيـــرة 1/1 ص 377 .
4) سيأتي الحديث عن الخصام الذي وقع بين ابن زيدون وولادة .

الكماليات ، وفي الجمل التالية ، يذكر ابن خلدون الترف بالمعنى الذي ذكرنا ، ثم يبين لما ذا كان الترف وسيلة من وسائل نهضة صناعة التعليم . « وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة ، تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة ، لانه امر زائد على المعاش ، فمتى فضلت اعمال اهل العمران عن معاشهم انصرفت الى ما وراء المعاش من التصرف فى خاصة الانسان ، وهي العلوم والصنائع . ومن تشوق بفطرته الى العلم ممن نشأ في القرى والامصار غير المتمدنة فلا يجد فيها التعلم الذي هو صناعى لفقدان الصنائع في اهل البدو كما قدمناه . ولا بد من الرحلة في طلبه الى الامصار المستبحرة شان الصنائع كلها .

وبعد ان يسرد ابن خلدون نظريته هاته ويجملها ازدهار الحضارة مع التلميح الدقيق الى الفروق الثلاثة : العمران والحضارة والترف . بعد ان يعرض هاته الامور كلها ياخذ فى سرد الامثلة او بالاحرى الحجج التي يسند بها رأيه فى سبب نهضة صناعة التعليم « واعتبر ما قررناه بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة . لما كثر عمرانها صدر الاسلام واستوت فيها الحضارة ، كيف زخرت فيها بحار العلم وتفننوا فى اصطلاحات التعليم واصناف العلوم واستنباط المسائل والفنون ، حتى اربوا على المتقدمين ، وفاتوا المتاخرين . ولما تناقض عمرانها ، وابذعر سكانها انطوى ذلك البساط بما عليه جملة وفقد العلم بها التعليم ، وانتقل الى غيرها من الامصار »

ويمضي ابن خلدون فى سرد الحجج لتاكيد نظريته هاته فيقول :

« ونحن لهذا العهد نرى ان العلم والتعليم انما هو بالقاهرة من بلاد مصر ، كما ان عمرانها مستبحر وحضارتها مستحكمة منذ الاف من السنين . فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت ، ومن جملتها تعليم العلم » .

وفي مكان اخر يؤكد ابن خلدون نظريته ويتوسع في سرد الحجج بما يزيد النظرية تأكيدا فيقول : «فاذا تقرر ذلك فاعلم ان سند تعليم لهذا العهد قد كاد ينقطع عن اهل المغرب باختلال عمرانه وتناقض الدول فيه ، وما يحدث عن ذلك من نقص الصنائع وفقدانها » وكلمة تناقض الدول تعطي ان ابن خلدون الذي يجعل ازدهار الحضارة احدى اسباب نهضة صناعة التعليم يشترط لهذه الحضارة ، وهذا الازدهار ما يسمى بالاستقرار السياسي ، وقد كان يجوز ان نجعل الاستقرار السياسي عاملا من عوامل نهضة صناعة التعليم على انفراد لولا ان العلامة ابن خلدون ذكره ضمن عامل الازدهار الحضاري الذي يدخل فيه عدم تناقض الدول ، هذا العامل الذي لم نكد نجده عند ابن خلدون الا تلميحا حينما جعل يسرد علينا الامثلة التي عاقت ازدهار نهضة التعليم وخاصة عند قوله : « قد كاد ينقطع عن اهل المغرب باختلال عمرانه وتناقض الدول فيه ، وما يحدث عن ذلك من نقص الصنائع وفقدانها »

وفي كل مكان يتحدث ابن خلدون عن العلم وما يعرض له من ازدهار او عدمه يؤكد نظريته التي لا يختلف فيها من مكان الى آخر ومن موضوع الى آخر ، مما يؤكد ان الرجل متمكن مما يرتئيه وواثق مما يقرر في هذا الصدد

ولذلك فابن خلدون عند ما يتحدث عن سبب نهضة العلم عند العجم دون العرب لا يجد سببا يعلل به هذا الاختلاف بين الجنسين الا النظرية التي ارتاها من قبل وهي عامة شاملة في كل نظرية . وفي كل ناحية حتى تصبح عنده علة لكل نهضة ، وسببا فى كل ازدهار . ففي حديثه عن نهضة العلم عند العجم دون العرب يذكر فيما يذكر ان سبب ذلك انما هو ازدهار الحضارة او عدمها ، اي توفر الوسائل التي يتوقف عليها العمران لا الاستقرار الحضاري فحسب

« فصل في ان حملة العلم في الاسلام اكثرهم من العجم »

واما لماذا كان ذلك فهو ما يقول فيه : والسبب فى ذلك ان الملة في اولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضى احوال السذاجة والبداواة » ولنفس السبب يقول في مكان اخر من نفس الفصل : « وقد كنا قدمنا ان الصنائع من منتحل الحضر وان العرب ابعد الناس عنها فصارت العلوم لذلك حضرية ، وبعد عنها العرب وعن سوقها والحضر لذلك العهد هم العجم او من هم في معناهم من الموالي واهل الحواضر الذين هم يومئذ تبع للعجم في الحضارة واحوالها من الصنائع والحرف ، لانهم اقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس ، فكان صاحب صناعة النحو سيبويه والفارسي من بعده والزجاج من بعدهما . وكلهم عجم في انسابهم » .

# المناهج التعليمية عند ابن خلدون

للأستاذ محمد الأمين الدرقاوي

## - 4 -

عرضنا في المقال الاول والثاني والثالث عن التعليم امورا متفرقة ، بعضها يرجع للغايات من التعليم وبعضها يرجع للطرق والوسائل ، والبعض الآخر يرجع لمحاولة تحديد مفهوم العلم ، ومحاولة التفريق بينه وبين المعرفة ، والادراك ، وفي هذا المقال نتابع عرض بعض القضايا الرئيسية في موضوع التعليم ، ما هي اسباب نهضة التعليم ؟

لقد عرضنا في غير هذا الموضوع ان التعليم صناعة، وكل صناعة يعرض لها ما يعرض لغيرها من الصناعات ما يجعلها تنهض وتزدهر - او تتعرض للخمول والكساد او للاندثار والفناء

الا ان أسباب ازدهار الصناعات مختلفة. بعضها عام تزدهر به كل الصناعات سواء منها التعليم او غيره ، كازدهار الحضارة التي ينشأ عنها ازدهار شتى الصنائع فى كل عصر ، وفى كل مكان تعرف فيها ازدهارا .

وبعضها خاص يخص التعليم ولا يتعداه الى غيره كالسند الذي يزدهر بسببه امر التعليم ، وهذه الاسباب هي كما يلي :

### 1 ) ازدهار الحضارة :

ان ابن خلدون الذي يطلق كلمة عمران ويريد بها الاجتماع او بمعنى اعم الانتقال من طور البداوة الى طور الحضارة - يرى ان من وسائل نهضة صناعة التعليم ازدهار الحضارة الذي يسميه كما رأينا « بالعمران » والعمران وحده غير كاف لنهضة صناعة التعليم ، فقد يكثر العمران فى بلد وتنشأ مع هذا العمران حضارة ، لان الحضارة مرتبة اخرى فوق العمران ، ذلك ان الحضارة من الحضور والحضور يعني توفر كل الاسباب التي يقتضيها التجمع والعمران، ولا يجوز ذلك الا اذا كان العمران ، وكان مع العمران توافر الاسباب التي يتطلبها هذا العمران ، حتى يسمى ذلك حضارة ، ولذلك رأينا في الفصل الثالث عن الباب السادس الذي خصصه للعلوم - يجمل هذا المعنى فيقول : « الفصل الثالث في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران ، وتعظم الحضارة » فهو يعبر عن العمران بالكثرة وعن الحضارة بالعظمة أي الازدهار وتوافر الاسباب التي يقتضيها هذا العمران وفي مكان اخر يؤكد ابن خلدون هذا المعنى فيقول « والسبب في ذلك ان التعليم كما قدمناه من جملة الصنائع ، وقد كنا قدمنا ان الصنائع انما تكثر في الامصار وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة »

فهنا - كما نرى - يدخل ابن خلدون في سبب نهضة صناعة التعليم عنصرا ثالثا هو الترف ، العمران اولا والمهم فيه الكثرة والحضارة ، ثانيا ، والمهم فيها توافر الاسباب والوسائل ، والوسائل التي يتطلبها هذا العمران والترف ثالثا وهو غاية تنشأ عن العمران والحضارة ، وهو فوق هذين العنصرين ، اي انه عمران وتوافر اسباب هذا العمران ، ثم تجاوز لهاتين المرحلتين الى المرحلة التي يصبح فيها المجتمع متوفرا على

ويولعون به لما يرون من كيسهم في العلوم والصنائع ، وليس كذلك . وليس بين قطر المشرق والمغرب ...وت بهذا المقدار الذي هو تفاوت في الحقيقة واحدة اللهم الا الاقاليم المنحرفة مثل الأول والسابع فان الامزجة فيه منحرفة والنفوس على نسبيتها -«أي على قدر انحرافها او اعتدالها - كما مر » .

وفي موضوع سر اختلاف الناس يبدي ابن خلدون كثيرا من الالحاح على القول بعدم صحة الزعم الذي يتضمن القول باختلاف في اصل الطبيعة البشرية لا في البيئة الجغرافية كما هنا ، او البيئة الاجتماعية في غير هذا الموضوع . ولذلك رايناه في جهة اخرى يؤكد النظرية بما يلي « وكذا اهل المشرق لما كانوا في التعليم والصنائع ارسخ رتبة واعلى قدما وكان اهل المغرب اقرب الى البداوة لما قدمناه في الفصل قبل هذا ظن المغفلون في بادىء الرأي انه لكمال في حقيقة الانسانية اختصوا به عن اهل المغرب وليس ذلك بصحيح »

اذن فازدهار طبيعة النفوس البشرية اولا ، ثم ازدهار ما يتبع النفوس البشرية ثانيا من علوم وصنائع وحضارات . يرجع بعضه الى ازدهار الحضارة والى توفر الاسباب التي قد تنشأ عن الحضارة او قد لا تكون الحضارة سببا في نشأتها . كالسند الذي يمكن ان ينشأ ويزدهر نوعا ما دون ان تكون الحضارة عاملا في هذا النشوء او هذا الازدهار ، وكذلك الطبيعة الجغرافية للاقليم التي علل بها ابن خلدون نهضة التعليم وغيرها من الصنائع . وبذلك كانت العوامل الرئيسية في نهضة التعليم كما يلي :

1 ) ازدهار الحضارة

2 ) توافر رجال العلم المعبر عنه باتصال السند

3 ) الطبيعة الجغرافية المعبر عنها بالمناخ

ملحوظة :

لقد جعل ابن خلدون ازدهار السند قائما على ازدهار الحضارة اي ان ازدهار الحضارة سبب في ازدهار السند وتوافر رجال العلم . كما يؤخذ من قوله « واما اهل المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيه ، بل اسواقه نافقة وبحوره زاخرة لاتصال العمران الموفور واتصال السند فيه »

وهو رأي ليس عاما في كل الاحوال ، بل هو راي قد يختلف ونظرية قد يكون لها شواذ ، فقد يتوافر رجال العلم في اماكن قد تتوفر لها كل وسائل الحضارة وقد شاهدنا في المغرب عائلات من البادية توارث ابناؤها العلم واتصل فيها سنده دون ان تكون الاماكن التي عاشت فيها هاته العائلات عرفت ازدهارا حضاريا يذكر بالمعنى الذي ذكرنا .

**الرباط : محمد الامين الدرقاوي**

فابن خلدون يطبق رأيه في سبب ازدهار صناعة التعليم ، فكل توسع ، كما رأينا ومفهوم الحضارة عنده يشمل العنصر التالية :

1 ) العمـــران .

2 ) توفر الوسائل التي يتطلبها توفر هذا العمران

3 ) تجاوز هذين العنصريـن الى التوفـر على الكماليات الذي هو الترف

4 ) الاستقـــرار السياســـي

هذه العناصر الاربعة هي مقومات الحضارة التي هي بدورها عامل من عوامل نهضة صناعة التعليم .

## 2 ) السنـــــد :

ثانيا من العوامل التي يعتبرها ابن خلـدون ذات اثر في صناعة التعليم اتصال السند ويريد بذلك الرجال الذين يروى عنهم العلم . ذلك ان تحصيل العلم يقوم من جهة على التلقي عن رجال العلـم وعلى المجهـود الفردي من جهة ثانية . ذلك ان البلد اذا توفـر على اسباب الحضـارة بالمفهـوم الذي عرضناه آنفا توفـر بالضرورة على عنصر آخر يكون عاملا في ازدهار صناعة التعليم وهو عنصر خاص لا يتعدى العلم الى غيره من الامور التي تدفع الى الازدهار

فرجال العلم وتوفرهم في بلد ما عامل من عوامل نهضة العلم من ناحية . وصناعة التعليم من ناحية ثانية، ذلك ان السند بمعنى تلقي العلم عن رجاله يقتضي ان يكون هذا التلقي في العلم ذاته اولا ، وفي طرقه ثانيا ولذلك رأينا ابن خلدون عنـد ما تحـدث عن قصـور المغاربة في الملكات علل هذا القصور بامـور كان في جملتها انقطاع سند العلم . « وما اتاهم هذا القصور الا من قبل التعليم وانقطاع سنده » .

وعند ما يتحـدث عن اندراس بعـض العلوم في الاندلس وبقاء بعضها يعلل الباقـي منها ببقـاء السند ، « وانحفظ سند تعليمه بينهم فانحفظ بحفظـه » وعند مـا يتحدث عن اهل المشرق وعن نشاط العلم فيه يعلل هذا النشاط ـ ايضا ـ ببقاء سند العلم . « واما اهل المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيـه بل اسواقـه نافقـة وبحوره زاخـــــرة »

اذن فابن خلدون ياخذ بالقاعدة العربية القديمة العلم من افواه الرجال لا من الاوراق » وبهذه القاعدة يحاول ان يفسر سبب نهضة العلم وصناعة التعليم ، وهو تفسير ساقه ابن خلـدون من الحياة المشاهـدة ، ومن الواقع الذي كان يراقبه ويرى حوادثه تمر امامـه في بعض الدول الاسلامية .

## 3 ) المنـــــاخ :

لقد عرف ابن خلدون بعدة نظريات لم يسبق اليها، او سبق لها ولـم تظهر مفصلـة او بالاحـرى لم تقـدم بالطريقة التي عرضها ابن خلدون كما في قضيـة المناخ اي تاثير الطبيعة في الناس باختلاف الاقاليم واختلاف طبيعة كل اقليم من حيث الحـرارة والبرودة ، او مـن حيث تقلب الطقس ، او من حيـث جودة هوائـه ، او رداءته ، وهي نظرية عرف بها ابن خلـدون وعلـل بها كثيرا من المظاهر الانسانية التي جعلها اساسا في اختلاف الناس في كثير من المظاهر البشرية جعلها علة او سببا في اختلاف بني البشر في الذكاء وعدمه وجعلها علة في اختلاف بني الانسان في النشاط وعدمـه ، وهكـذا ولذلك رأيناه حتى في موضـوع نهضة التعليم وادراك اعلى الدرجات فيه . يعلل ذلك باختلاف طبيعة الاقاليم مكذبا الادعاء بان الاختلاف في اصل الطبيعة البشريـة ومؤكدا عـدل الله في خلقـه ومواهبه . وبذلـك ازال كثيرا من الملابسات وحل كثيـرا من القضايا التي قـد يكون منشؤها القول باختلاف الناس في ذات الطبيعة البشرية التي هي من صنع الله ، سواء في التعليم او في غيره من قضايا الحياة البشرية وفي هذا الصدد يقول معللا اختلاف الناس في موضوع العلم خاصة : « فاهل المشرق على الجملة ارسخ في صناعة تعليم العلم ، وفي سائر الصنائع حتى انه ليظن كثير من رحالة اهل المغرب الى المشرق في طلب العلم ان عقولهـم على الجملـة اكمل من عقول اهل المغرب ، وانهم اشد نباهة واعظم كيسا بفطرتهـم الاولى ، وان نفوسهم الناطقـة اكمـل بفطرتها من نفوس اهل المغرب ، ويعتقدون التفاوت بيننا وبينهـم في حقيقـة الانسانية ويتشبعـون لذلـك ،

وتكاد تكون قاسما مشتركا بين مختلف البيئات المتخلفة مع غض النظر — بطبيعة الحال — عن بعض الاحوال المعزولة ، التي تنفرد بها بعض المجتمعات المتخلفة دون غيرها تحت تاثير بعض العوامل الخاصة .

الاعراض التي اثبتناها آنفا — ليس مبدأها واحدا كما نرى — فهي ترجع الى عدة اصول ، منها الاقتصادية ومنها الاجتماعية ، ومنها الطبيعية ، ومنها غير ذلك ؛ الا انه من الممكن ان نرجع بأغلبها الى عوامل عقلية ، وسيكولوجية ، كنتيجة للتخلف العقلي عند السكان ، وضيق أفقهم الفكري ، وتلبس نفوسهم بعدة عقد ومركبات تلاحقهم فى شتى آفاق الحياة ؛ فالوقاية الصحية البدائية هي نتيجة تخلف عقلي قبل كل شيء ، ان الناس مدفوعون بطبيعتهم الى المحافظة على انفسهم، وبالتالي على صحتهم ، ولكنهم اذا كانوا متخلفين عقليا فان تصوراتهم عن المحافظة على الصحة ، والوقاية من الامراض ، والاستمتاع بسلامة العقل والجسم ، مثل هذا التصور يكون عادة مشوبا بالاوهام والاساطير ، وتتدخل فيه الغيبيات بصورة تند عن المراقبة المعقولة وبمرور الاجيال يتكون من مركب الاوهام والخيالات والمبالغات ، جملة من الوصفات المغلوطة ، يتناقلها الابناء عن الاجداد ، وكثيرا ما تقوم هذه الوصفات ، على تجارب لم يتاكد من صحتها وفاعليتها المنتجة ؛ وكثيرا ما يسفر العمل بهذه الوسائل عن فشل ذريع وواضح جدا ، ولكن العقلية المتخلفة ، لا تستطيع ان تتخلص — مع هذا — عن الاقتناع المغلوط بهذه الوسائل ، لان هذه العقلية ، لا تستطيع ( اولا ) ان تنتقل من حالة تصور الى أخرى الا بصعوبة بالغة ، ( ثانيا ) لان عامل الغيبية هنا ، يساعد دائما على ايجاد التعلات والمسوغات « الغيبية » للفشل الذي تمنى به الوسائل الوقائية او العلاجية الموصوفة ، ( ثالثا ) ان النفس — بصورة عامة — تنزع الى ما يسري عنها ، ويفتح امامها بابا للتفاؤل ؛ والوصفات المغلوطة تفتح هذا الباب للامل غير المقيد ، وذلك ما يدعو الى التمسك بها يضاف الى كل هذا ، عدم الادراك ادراكا عميقا ماهية الوسخ والعفن بمفهوم صحيح ، يشمل مختلف الحقائق المتعلقة بالموضوع وصلة ذلك بوقاية الصحة او الاضرار بها ، وما يفرضه الادراك على هذا النحو من سلوك فى الحياة الفردية والجماعية يتسم بالعناية الواسعة الشاملة ، التي تفرضها الرغبة فى وقاية صحية ، مضمونة النتائج ، فيما هو قابل للضمان .

واذا انتقلنا الى موضوع المراة ، وسوء احوالها فى المجتمع المتخلف ، فاننا نجد للعامل العقلي ايضا تاثيرا جوهريا فى وجود هذا المظهر الاجتماعي من مظاهر التخلف ؛ وهذه الصلة بين انحطاط المرأة والتخلف العقلي فى المجتمع ، ليست ظاهرة مطردة دائما ، ولا تتخلف ، ففي بعض المجتمعات المتخلفة قديما او حديثا، يلاحظ ان المرأة فى حظيرتها تنعم ببعض المكانة اللائقة، او قد تكون مرتقية احيانا الى مكانة مرموقة ، لكن يمكن اعتبار حالات هذه المجتمعات ، حالات خاصة ، وتتدخل فيها بعض المؤثرات الدينية او الاجتماعية او الاقتصادية او غيرها ؛ اما الذي يلحظ بصورة متكررة طوال عصور التاريخ ، وفى عصرنا الحاضر ، فهو ان انحدار المرأة او نهوضها ، يرتبط ارتباطا شديدا بالاحوال العقلية التي تسود المجتمع ، هبوطا او صعودا ، والمراة معتبرة — منذ كانت — كمخلوق اسطوري بالنسبة للرجل ؛ لكن دور التقدم العلمي الذي تقوم عليها عملية محاربة التخلف (1) — هذا الدور ينصب — فى جملة ما ينصب عليه — ينصب على ازالة الاسطورة عن الاذهان ، اذا كانت حائلة — على نحو ما — دون تحقيق تقدم اقتصادي او اجتماعي او غيره ؛ ومن هنا بقيت حظوظ المجتمعات متفاوتة اليوم فى نصيب المراة ، فيها من التقدم والتطور؛ اذ ان ذلك يتوقف على مدى نصيبها من التطور العلمي والفكري الضروري فى هذا المضمار ؛ وينتج عن ذلك باستمرار اختلافات فى فهم رسالة المراة فى المجتمع ، وما ذا عليها ان تاخذ به او تتركه ؛ والاختلافات فى الفهم من هذا القبيل لا تؤدي عادة فى مجتمع متخلف الى حركية فكرية تستهدف التوصل الى شيء افضل ؛ فهي اختلافات جامدة مجمدة لا تساعد المرأة على فعل شيء افضل ، ولا يقصد بجمود المراة المتخلفة هكذا جمود دورها داخل المجتمع ، بل ما هو اكثر من ذلك ، فان وضعيتها العامة هي ايضا وضعية متجمدة ، لان هذه الوضعية يتحكم فيها — فى كثير من الاحوال — ويصوغها الاعتقاد بان المراة — كما تختلف عن الرجل فى بعض الاعتبارات البيولوجية والمزاجية وغيرها ، فيجب ان تختلف عنه كذلك فيما لكل من الجنسين من حقوق وواجبات اجتماعية ، ان فى المستوى الفردي او فى

1 ) ويحدد الدين الاسلامي نصيبا عادلا للمراة فى المجتمع يبقي لها على أنوثتها التي تكاد تفقدها اياها مادية النظرة الحضارية الحديثة ، غير ان العقلية المتخلفة لا تستوعب — عادة — فكرة الدين كاملة فى الموضوع .

# الأحوال العقلية في مجالي التخلف والإنماء

للأستاذ المهدي البرجالي

**تساهم عناصر عديدة تاريخية واعتقادية وغيرها ، في تكييف العقليــة السائــدة في مجتمع ما ، وتلوينها باللون الذي يميزها في الغالب ، والعقليات التي تسود المجتمعات المتخلفة ، تعتبر من العوامل الاكثر اثرا في أزمان حالة التخلف الموجودة وبالنتيجة ، فلها صلة بامكانية العمل على التخفيف من حالة التخلف هذه ، او تصفيتها بالمرة . ما هي ابعاد هذه الصلة بين الاحوال العقلية في المجتمع وقضايا التخلف والانماء عنده ؟ والى أي حد يمكن لسياســة انمائيــة ان تواجهالعقبات العقلية التي يخلقها التخلف؟**

اراد احدهم أن يشخص اعراض التخلف ، مثلما يحاول الطبيب تشخيص أعراض مرض ما . ليستــدل منها على حقيقته ، ودرجة الاصابة به ، وما يلزم لعلاجه، اذا كان له من علاج ؛ تردد صاحبنا طويلا قبل ان يسوق القول بان كذا وكذا من المظاهر والظواهر تقوم اكثر من غيرها ، كدلالة على اتسام بيئة ما . بسمــة التخلف ، وبالنتيجة لذلك ، فان أي مجتمع قد يعتبر متقدما ، لابد ان يكون خاليا في عمومه من هــذه المظاهــر ، على الاقل بهذه الصورة الشاملة التي تبرز في حياة المجتمعات المتخلفة وناقصة النمو ، واخيرا استقر به الراي على ان ساق جملة من الظواهر تبلغ العشرة ، قال عنها . ان اجتماعها في بيئة اجتماعية ما ، قد يكون ذا دلالة كافية على اتسام هذه البيئة بالتخلف ؛ وبالطبع ، فهذه السمة تتناسب قلة او كثرة . مع درجة اصابة المجتمع بالاعراض التخلفية ، وعلى كل ، فما هي هذه الظواهر التي هــي بمثابة الاعراض دالة على وجود حالة التخلف ؟ بحسب الــراي الذي قدمنا بــه ، يمكــن تلخيصها كما يلــي :

1) الامية . 2) الوقاية الصحية بدائية . 3) سوء احوال المرأة . 4) وفيات الاطفــال . 5) كثرة الفلاحيــن . 6) استخدام الاطفال . 7) سوء التغذية . 8) ضعــف الطبقات الوسطــى . 9) ضعف استهــلاك الطاقــة . 10) خصب فيزيولوجي في الزواج .

قد يعترض على هذه الملاحظات بانها ــ ربمــا ــ غير محددة لحالة التخلف بصفة كافية . وان هناك من الاعراض الاخرى غير هذه ، ما هو ذو دلالــة بليغة في هذا المعنى . يحسن سوقه لاستكمال ملامــح الصورة المراد رسمها عن حياة مجتمع من المجتمعات المتخلفة ، قد يكون ذلك صحيحا ، ولكن لا ينجر عنه شيء ذو بال، فالمراد هنا ، لا يتعلق باحصــاء الظواهــر الى درجــة الاستقصاء ، ورسم ملامح الصورة بكــل ما فيهــا من خطوط رئيسية وفرعية ، وانما المراد هنا ، استعراض نماذج معبرة عن حالة التخلف ، والنماذج التي سقناها عن « كلود ليفي » هي في الواقع نماذج مهمــة جــدا ؛

1 ) في نهاية موضوع سابق حول قضايا التخلف نشر في السنة الماضية ــ كنت وعدت بتخصيص بحث بالمظهر العقلي للقضية ؛ وها أنا افي بالوعـــد .

على التربية ، بل كثيرا ما تكون من آثاره كذلك ، الاضرار بالمرأة صحيا ، عن طريق الارهاق الجنسي غير المقيد.

وهكذا اذا ما سرنا فى استعراض ظواهر النقص العام ، الذي يسود الشعوب المتخلفة ، فاننا نجد الكثير منها يرجع الى عامل التخلف الفكري عند هذه الشعوب، او ما له صلة بالتخلف الفكري على وجه من الوجوه ! **فسوء التغذية مثلا** الذي ورد فى جملة الظواهر التي سردناها من قبل ، بصفته عرضا من الاعراض الدالة على التخلف ، هو فى الاصل ظاهرة اقتصادية بدرجة اولى حقا ، اذ يرتبط فى العادة بانخفاض مستوى المعيشة ، وقلة الدخل الفردي وضآلة المدخول الوطني ايضا ، لكن يمكن ان نلتمس لهذه الظاهرة كذلك اصولا عقلية ، ترجع الى الجهل والسطحية التي يتسم بها افراد المجتمع المتخلف ، فهؤلاء قد يكون سوء التغذية ناشئا عند بعضهم حقا عن الفقر وقلة ما باليد ، وهذا مظهر اقتصادي واجتماعي للقضية ، لكن عددا من افراد المجتمع الآخرين قد يكونون من ذوي اليسار وممن يستطيعون توفير الامكانيات الغذائية الكثيرة لانفسهم ولذويهم الا انهم يعانون مع ذلك من سوء التغذية ، لانهم لا يعرفون — لجهلهم — كيف يوفرون لانفسهم تغذية صحيحة وكاملة فهم يعنون بالكم اكثر من النوع ، فتجدهم يقاسون من نتائج التخمة وسوء الهضم ، وفى نفس الوقت يعانون من سوء التغذية الناتج عن حاجتهم الى التوازن بين العناصر التي يتناولونها ، واعتماد على مقياس غذائي صحيح ومنتج .

**ثم ضعف استهلاك الطاقة الذي** اشير اليه من قبل هو — بحق — مظهر تخلف اقتصادي فى المقام الاول لكن ثمة كذلك اوجها لتعليل وجود هذا النقص من الناحية العقلية ، اي ما يتعلق بالتخلف الفكري ، وصلته بالتخلف من ناحية استهلاك الطاقة ، ذلك ان المجتمعات التي يكون فيها الاستهلاك الطاقي ضعيفا بشكل او بآخر ، لا يتحتم ان تكون مجتمعات ناضبة الموارد من الناحية الطاقية ، وخصوصا اذا كان الامر يتعلق بمصادر الطاقة الكلاسيكية من فحمية وغازية ومائية ، وبترولية وما الى ذلك ؟ فهذه المصادر هي بالعكس متوافرة كثير التوافر للامم المتخلفة بل هي اكثر ما عندها من مصادر! ومن ثم فلا يعتبر ضعف استهلاكها للطاقة من هذا النوع آتيا من حالة فقر وشح فى الموارد ، اذن ليس سببه اقتصاديا البتة فى كثير من الحالات ، وانما هو ناشىء عن حالة تخلف عقلي ، او فقر عقلي ، يصحبه عادة ضيق افق النظرة الاقتصادية عند طبقات المجتمع المتخلف وقناعتها بأبسط انواع الاستهلاك ، اي استهلاك المصنوعات المستوردة ، والاستمتاع بما تتيحه من منافع عابرة ، او مسرات سطحية ، والاعتقاد بانها قد تكون قد نالت بذلك قسطا من التقدم ، يخفف عنها من سمة التخلف ! والواقع ان حالة التخلف لا تستأصل الا من الجذور ، ومن عوامل هذا الاستئصال الجذري ، وجود سياسة طاقية معينة عند المجتمع الذي يبتغي سلوك سبيل تنمية ما ، والا فمن السهل ان يحكم على هذا المجتمع بالتخلف ، ما دام استهلاكه للطاقة ضعيفا ، او ليست له سياسة طاقية بالمرة .

* * *

وليس من المستغرب هذا التلازم الموجود بين التخلف الفكري ، وانواع التخلف الاخرى من اقتصادية واجتماعية وغيرها ، فقد كان التخلف الفكري فى اكثرية الحالات سببا من جملة الاسباب الجوهرية التي تؤدي الى انحطاط المجتمعات فى ميادين الحياة المختلفة ، وانحدار مستويات الانتاج والاستهلاك ، والتعامل والسلوك فى مثل هذه المجتمعات التي توسم تبعا لذلك بسمة التخلف ! والمفاهيم بهذا الشأن ، قد تختلف فيما بينها ، وان كان المقصود واحدا ! ذلك ان التخلف الفكري الذي قد يكون متأصلا فى مجتمع ما ، كامنا فى اعماق عقليته فيكون سببا فى اعاقة تطوره ، بينما الحاجة تدعو الى التطور ! ثم من جهة اخرى ، هذا الانحدار الاخلاقي ، او التفاهة الفكرية التي يصاب بها مجتمع من المجتمعات ، تطرا عليه فتنال من صفاء نظرته ، وعمق تفكيره ، وتؤثر تبعا لذلك على طاقته الفكرية المنتجة ، وعلى استعداده الخلقي ، لتحمل اعباء الحضارة ، التي كان متحملا لها فى وقت من الاوقات — هذه العلاقة بين التخلف الفكري ، وبين عدم القدرة على التطور بالنسبة للمجتمعات المتخلفة ، ثم هذه العلاقة بين الانحدار الفكري والاخلاقي فى امة من الامم ، وبين ما يحدث لها بحتمية الاشياء ، من فقدان القدرة التي ربما كانت لها من قبل ، على القيام باعبائها الحضارية المنتجة (كما نرى صورا من ذلك فى التاريخ ) هذه العلاقات بين هذا وذاك ، بين هذه الاسباب وتلك المسببات — يمكن ملاحظتها فى مدى تاريخ المجتمعات الانسانية الطويل ، لان صلات من هذا النوع ، هي عبارة عن ظاهرة حضارية ملحوظة قديمة ، بقدم نشوء الانظمة الاجتماعية المختلفة عند الانسان ، فمنذ عصور الامبراطوريات فى الشرق القديم ، وفيما قبل ذلك وبعده ، يلاحظ المؤرخون حالات صعود وانحدار حضاري او سياسي فى مجتمع او ذاك ، من المجتمعات ، فاذا التمس المؤرخ أسبابا يعلل بها مثل هذه الاحوال التي يعكسها تاريخ المجتمعات

المستوى الجماعي ايضا ، وانجر عن هذا ان مركزها الاجتماعي كان — باستمرار — موضوع مراجعة درامية احيانا .

والملفت للنظر بهذا الشان ان المراة ، تعتبر هي نفسها ، ذات تأثير مهم في الامر فاذا اعتبرنا سعة أفق التفكير او ضيقه في المجتمع فلا نقصد به تفكير الرجال وحسب ، بل وكذلك حالة تفكير المرأة نفسها وبالذات فبقدر ما تتقوقع في محيط عقليتها الضيقة بقدر ما تساهم في تبرير نظرة الرجال اليها ، باعتبارها انسانا من الدرجة الثانية ان لم يكن انسانا تافها ، وبقدر ما تستطيع الاعراب عن وعي بانسانيتها وتفزع الى تأكيد ذاتيتها كقوة سليمة ومنتجة بقدر ما تؤثر بذلك تأثيرا يذكر في تغيير نظرة الجنس الآخر اليها ، وجعل هذه النظرة اكثر ايجابية وموضوعية .

وسوء أحوال المرأة يرتبط به في كثير من الصور — سوء أحوال الاطفال ، ومن مظاهر التخلف ، التي استعرضناها من قبل ، **استخدام الاحداث استخداما لا يقصد منه تكوينهم ، او توجيه مستقبلهم** ، وكانت هذه حالة سائدة في اوربا منذ بضعة قرون فقط ، والان لا تزال لهذه الحالة صور مختلفة في بعض انحاء العالم المتخلف ! ولا شك ان التخلف العقلي له ايضا دخل كبير في هذه الامور ، مثل ما يرجع ذلك ايضا الى انحطاط مستوى العيش ، وتدهور الاوضاع الاجتماعية ، ففي الاحوال العادية ، عند ما يكون التخلف العقلي غير سائد ، يدرك المجتمع ان الاحداث ، هم قوام الطاقة البشرية عنده ، ونواتها الحية ، ولهذا يجب اولا تنمية هذه الطاقة بتنمية رصيد الحدث من المعرفة والمهارة والدربة ، لكي يكون انتاجه اجود ، وعطاؤه أغنى وأخصب ولكي لا تنفد هذه الطاقة بسرعة ، او تنفد منها على الاقل قدرتها الابداعية والارتيادية .

ان القضية هنا قضية استغلال للطاقة ، لكن حسن هذا الاستغلال يتوقف على مقدار ما يتحقق للمجتمع من تقدم فكري يمكنه من النظر الى الامور في هذا الباب نظرة بعيدة القرار ؛ وسوء استخدام الاطفال اذا كان علامة على وجود تخلف فكري في المجتمع ، فان ارتفاع نسبة الوفيات بين الاطفال ظاهرة تتأصل في العادة عن كثير من العوامل ، من بينها عامل التخلف العقلي كذلك ، انها ظاهرة صحية حقا ، ولكنها في نفس الوقت — ظاهرة اجتماعية وظاهرة عقلية ايضا ؛ لماذا ؟ لان كثرة الوفيات بين الاطفال تعود في جملة ما تعود اليه، الى انعدام الوعي والشعور بالمسؤولية العائلية ، وضعف الثقافة الزواجية وهبوط مستوى الثقافة الجنسية ، والخضوع لروح الاساطير في معالجة الامراض الطفولية، وسوء التدبير الغذائي للاطفال ، وانتشار السحر والعرافة في عدد من المجتمعات ، مضافا الى هذا عدم الاهتمام بمحاربة انواع الضعف والادواء الوراثية والمتوطنة ، بل وعدم التفكير في الامر باية صورة من الصور ! وعلى الرغم مما يظهر من ان الامر هنا يتصل بالعوامل الصحية والاجتماعية ، وما هو من هذا القبيل، فان المداخلات العقلية بل والمؤثرات العقلية في وجود هذه الاحوال ، مما لا يخفى ، بل ومن الجائز الاعتقاد بأن مستوى التفكير العام داخل مجتمع من المجتمعات اذا ما ارتفع قليلا عما هو عليه في الاقطار الفارقة في خضم التخلف ، فان المضاعفات الاجتماعية والصحية التي يخلقها الجمود الفكري عند السكان ، لابد ان تقل نسبتها بشكل ملحوظ ؛ ومن الممكن — على أي حال — ان يسير الكثير منها في طريق الاضمحلال بالتدريج .

ونأتي الى النقطة الاخرى ، المعتبرة من قبيل الاعراض الدالة على التخلف ، وهي ما يسمى **بالخصب الفيزيولوجي في الزواج** ؛ ويمكننا ان نعدل التعبير ، لينطبق على الحالة بصورة اكثر واقعية ، فندعو الحالة بـ « حالة التضخم الديموغرافي غير المراقب » وهذا النوع من التضخم ، تلحظ آثاره في شتى بقاع العالم ، بما في ذلك الاقطار المتقدمة ، كالولايات المتحدة، والاتحاد السوفياتي ، غير ان النسبة في اقطار العالم الثالث ، وبالاخص في آسيا لا يمكن ان تقاس بما عليه الامر في الاقطار المتقدمة ؛ اما العوامل الاجتماعية ذات الاصول العقلية ، التي تتسبب في وجود هذه الظاهرة، وامتدادها في كافة الاقطار النامية تقريبا ، فمن بينها (1) الزواج المبكر الذي يتم احيانا في سن لا تعقل تماما ، (2) الاتجاه الذي تتخذه عقلية التأمين على المستقبل عند بعض الشعوب المتخلفة ! اذ ان مادة هذا التأمين تعتمد على الابناء في الدرجة الاولى ، ، وربما يعتمد عليهم اطلاقا ، ومن غرائب العقلية التخلفية ، انها تعنى هنا بالكم لا بالنوع ، فيكفي ان يتوافر كذا وكذا من الاولاد ، ليحصل هذا الشعور بالتأمين على المستقبل ، اما مدى استعداد هؤلاء الاولاد للقيام بدورهم في التأمين فلا يفكر فيه ؛ ومن ثم كانت حالة كثرة الاولاد بدون تربية ولا حتى اعداد للمستقبل ؛ وتشتد هذه الحالة اكثر في المجتمعات البدوية ، وفي المجتمعات شديدة التخلف عموما ! (3) ضيق الافق الفكري الذي لا يفتح مجالا للمتع البريئة في تقدير الافراد المتخلفين ، مجالا يتميز بتنوعه وسعة نطاقه ! ومن ثم تنشأ نفسية التعويض ، ويشتد نزوعها اشتدادا قد لا تكون نتيجته فقط ، عدم القدرة

استشراء الفساد الاخلاقي داخل مجتمع من المجتمعات القديمة ليعللوا به تدهوره وتهافته ، وقد ذكرنا ايضا ان المفاهيم بهذا الشأن ، تختلف فيما بينها بعض الشيء فهل يعني ذلك ان الجانب الخلقي في حياتنا الحديثة ، ليس له ما كان له من أهمية قبل ، وان العقلانية العصرية التي تخطط السبل لتصفية التخلف ، لا تضع في حسابها للاعتبارات الخلقية الخالصة ، اعتبارا كبيرا ، قد يرى البعض مثل هذا الرأي ، مستشهدين عليه بكون كثير من المجتمعات عالية التطور التقني تنتشر فيها مظاهر فساد خلقي ، دون ان يؤدي ذلك الى تخلفها ، ويذهب مثل هؤلاء الى الاستنتاج من ذلك بان الجوهر الذي تقوم عليه الحضارة الحديثة ، هو جوهر مادي ، ولهذا لا غرابة في استبعاد التعلق في نطاق هذه الحضارة بالمثاليات المجردة التي فقدت قدرا من فاعليتها نتيجة لما ذكر ؛ وقد يرى آخرون ، ان الامر ليس امر مادية او مثالية ، وانما هو امر تحول في المفاهيم الاخلاقية ، فللمدنية الحديثة مثالياتها الخلقية ، ولكن كل ما في الامر انها تختلف في كثير من مناحيها ومقتضياتها عما كان سائدا من قيم اخلاقية في عصور مضت ، وليس المجال هنا مجال مناقشة لهذه الآراء ، فكل ما يهم بهذا الصدد ـ هو الاشارة اولا الى ان مادية الحضارة الحديثة ـ رغم سعة تأثيرها ـ فهي لا تلزمنا بشيء حتمي ولا معدل له ، اذا كان لدينا من الامكانيات المعنوية ، ما يخولنا قدرة على السير في سبيل تطور يجمع بين خصائص المادية وغير المادية ، ثم الاشارة ثانيا الى ان القضية ، قضية التطور بمفهوم عام ، بما فيه الجوانب المادية البحتة ـ هذه القضية هي ايضا قضية اخلاق ـ اذا كانت قضية عقلية ـ الاخلاق التي يجب ان تربى عليها الشعوب المتخلفة وتتشبع بها لتؤثر ـ وهذا هو الاهم ـ على نظرتها الى الاشياء وتصورها القضايا المادية وغيرها ، وادراكها لما تتطلبه معالجة هذه القضايا من مقتضيات مختلفة ! وهذا هو المظهر العقلي لهذه التربية ، اما المظهر الاخلاقي فيتمثل في تأثر سلوك المجتمعات المتخلفة بهذه النظرة الموضوعية الى الامور ، وانعكاس الخلقية الناشئة عن ذلك ، على حياة الافراد والكتل الاجتماعية ، سواء في علاقتهم بالطبيعة ، او صلتهم بمصاعب المعايشة الانسانية في نطاقها العصري ، او موقفهم من قضية التقدم والتطور او طريقتهم في معالجة المشاكل اجمالا هذان جانبا العقلية « الفعالة » التي تستطيع الكثير من العمل ضد حالة التخلف بحيث يؤدي عملها بالضرورة ، الى تحقيق تطور متناسق وموزون وذا روح شمولية راديكالية ، وتعترضنا في هذا المقام قضية لابد من ملاحظتها ، لانها تفرض نفسها بالبداهة ، ذلك ان التخلف ومحاربة التخلف ، يدوران في الواقع داخل حلقة مفرغة ، قد تحتار بعض المجتمعات المتخلفة طويلا في الخروج منها ، على وجه من الوجوه ! فحالة التخلف العام ، تعتبر ناشئة ـ كما اسلفنا ـ عن وجود حالة تخلف فكري ، تتجمد بسببها اندفاعية التقدم عند المجتمع، وتبقى الحياة هكذا متقوقعة ضمن حدود معينة لا تستجيب الا بقدر ضئيل ، لتزايد الحاجيات من تضخم سكاني وتشعب حياة عالمية وغير ذلك لكن التخلف العادي ، الذي هو ناشيء عن هذه الحالة العقلية غير المتطورة ، يساهم هو نفسه في استمرار مثل هذه العقلية بل وتشعب مضاعفاتها في شتى الميادين ؛ ان هناك اذن مجالا واضحا لملاحظة هذه الظاهرة ، وهي انه بقدر ما يعمل على محاربة التخلف بقدر ما تقف الحواجز العقلية دون وصول عمل المحاربة ، هذا الى اقصى مداه ، بينما لا يستطاع الا بقدر محدود ، تقويم هذه العقليات المتحجرة ، في كثير من المجتمعات ، بسبب انها متخلفة ومتأثرة بعوامل التخلف العام الذي يحيط بهذه المجتمعات ! وهذه صورة الحلقة المفرغة التي يدور فيها التخلف العام ، والتخلف العقلي دورانا لا نقول انه حتمي ، ولكن على الاقل فهو دوران واقعي يفرض قدرا غير قليل من التعقيدات على مشاريع الانماء والتطوير في عدد من الاقطار كالهند مثلا ! والمسألة التي تلح على الاذهان كثيرا في شتى المجتمعات المتخلفة هي : كيف يمكن التخلص من هذه الحلقة المفرغة وذلك بالنجاح في تصفية مظاهر التأخر الاقتصادي والاجتماعي والسيطرة ـ في نفس الوقت ـ على حالة التخلف العقلي ، لكي لا تحول دون ذلك ؟ وعلى اساس النظر في نقطتي التواجه هذه ، نجد كثيرا من سياسات الانماء المتبعة اليوم ، تقوم على مراعاة عدد من الحقائق والمقتضيات في وضع الخطط المختلفة ، الرامية الى محاربة التخلف في شتى مجالاته ؛ ومن هذه الحقائق والمقتضيات التي تراعى ؛

1) اعتبار العملية التثقيفية داخلة في صلب مجموع الخطة العامة ، التي تحدد سياسة قطر من الاقطار في ميدان الانماء والتطوير الاقتصادي وما في نوعه ؛ ويفرض هذا الاعتبار بطبيعته ، النظر الى العملية التثقيفية بصفتها وسيلة لتربية المرء على صفات المواطنة لا من جانبها الفلسفي المثالي فحسب ، بل من جانبها الاقتصادي كضرورة ملحة اي توجيه الافراد ـ عن طريق التربية توجيها ، يجعل منهم ادوات انتاج اقتصادي ، واستهلاك اقتصادي ايضا ، ولكن يراد به الاستهلاك المنتج ، اي الاستهلاك الذي يساعد الافراد على زيادة الانتاج ، اما عن طريق تحسين مستوى صحتهم او توسيع افكارهم، او الترويح عنهم بما يجدد لهم نشاطاتهم ، او شيء من

الانسانية ، تجده ياتي بعدة تعليلات لذلك ، من بينها وفي طليعتها ، التحول العقلي ، وما يرتبط به من تحول خلقي في حظيرة المجتمع الذي كان مزدهرا ، ثم انحدر ، اي ان صفات عقلية معينة ، عند ما تسود مجتمعا ما ، فمن شأنها ان تساعده على افتتاح الطريق نحو تطور ايجابي يؤدي به الى بناء حضارة ، او اقامة امبراطورية فاذا ما فقد المجتمع جوهر هذه الصفات ، فان ذلك ينعكس في الغالب على احوال العامة ، مؤثرا على حيويته الحضارية ، وقدرته السياسية ، ومن ثم ، يمكن ان ينحدر الى حالة من الحضارة والادارة اقل مما كان عليه، وتتناسب مع مقدار ما فقده من صفات عقلية ايجابية كانت له من قبل ، ! ونحن لا نقصد من هذا الدخول في موضوعات تعليل التاريخ ، وتحليل ظواهره ، وانما نقصد من اثارة هذه النقطة فقط الاشارة الى ان هذا التشديد الذي نلحظه اليوم على الصلة بين التخلف العقلي ، والتخلف السياسي والحضاري ـ هذا التشديد ليس ناشئا عن فلسفة حديثه ، وانما هو حالة كان الناس يلحظونها دائما ، ويتخذونها كوسيلة لتعليل بعض الظواهر التاريخية ، بما فيها الظواهر الكبرى كسقوط الدول وقيامها ! وربما يغالي البعض من المؤرخين في اعتمادهم على تعليلات من هذا النوع ، لتفسير الظواهر وشرح اتجاهاتها ، فالواقع ان هناك في شتى جوانب الحياة الانسانية على صعيد التاريخ ، او في نطاق الحياة الحاضرة ـ هناك اكثر من وجه ، لادراك الظواهر وتعليلها ، وقد يوقع في الخطأ النظر الى الموضوع من زاوية واحدة ، كربط كل ظواهر الانحدار والارتقاء الحضاري بالاحوال العقلية للمجتمع ، على أساس ان ذلك هو العلة الوحيدة ، وليس هناك علة غيرها ! فالعوامل التي تنشأ عنها الظواهر الانسانية هي متعددة في الغالب ، وتتداخل مع بعضها البعض ! تداخلا متشعبا يحتاج فرز تعاريجه الى اناة وعمق نظر ، لكن ذلك لا يجب ان يحجب عن أذهاننا أهمية العامل العقلي في نشوء الظواهر المتعلقة بتطور المجتمعات ـ خلال التاريخ ـ ارتقاء وانحدارا وان كانت المفاهيم بهذا الشأن تختلف كما قدمنا حسب العصور وما يسود كل عصر من حقائق وقيم ؛ واذا قلنا ان المفاهيم تختلف بهذا الشأن فنقصد بذلك ان الاحوال العقلية التي تؤثر في تقدم المجتمعات او تخلفها ، هذه الاحوال ليست واحدة في جميع العصور ؛ ان هناك ـ حقا ـ قيما عقلية ثابتة في جميع الاحوال ، لا بد ان تتوافر لاي مجتمع ، لكي يحقق قدرا من التطور او يحتفظ بما حصل عليه من تطور ؛ ومن هذه القيم ، او بالاحرى ، من هذه الاحوال العقلية الضرورية : ارادة التقدم ـ النظر البعيد ـ حب العمل ـ واشياء من هذا القبيل ، غير ان ذلك لا يلزم منه ان كل الظروف العقلية التي ادت الى قيام الحضارات السابقة او ساعدت على سقوطها هي هي ذاتها التي يجب ان تراعى في ظروفنا الحضارية الحديثة ، لكي نضمن قدرا من التقدم في هذه الظروف الحضارية ؛ فلا بد من مراعاة فوارق الزمن المديد الذي يفصلنا عن عصور ما قبل المسيح مثلا ! ومنطق الحضارة الراهنة نفسه يفرض هذه المراعاة بين الظروف التاريخية التي تنمو فيها بذور الحضارات المختلفة ؛ وهذا لا يمنع بطبيعة الحال من الحفاظ على مقومات التراث المنحدر من الحضارات التقليدية الاصيلة ؛ ولكن اصالة أي تراث حضاري جدير بالتقدير تظهر في كونه قابلا للتكيف مع الظروف الحضارية المختلفة دون ان يفقد الميزات الاصيلة التي ينطوي عليها ، ومن غير شك فان ميزة التراث الاسلامي ـ العربي هي قابليته هكذا لاستيعاب احوال حضارية متجددة من هذا القبيل ، وتبقى بعد كل هذا على أي مجتمع ، له تراث حضاري ، او مجهول الهوية الحضارية ( مع التجوز في استعمال هذا التعبير ـ يبقى على أي مجتمع كيفما كان شأنه ان يبحث عن هوية عقلية صحيحة الاسس تمكنه من معاناة التجربة الحضارية الحديثة بكل ايجابية وكفاءة ، والخروج من هذه التجربة بشخصيته سليمة ، من آثار الانصهار الذي لا بد ان يتعرض له ، واختطاط طريق له في نفس الوقت ، نحو عالم التقنية والاوتوماتيكية ، وسيلته الوحيدة للخروج من اطار التخلف المادي ، الذي يغوص في وحله ؟ والبحث عن هذه الهوية العقلية، هو سبيل المجتمعات الواعية مصيرها المادي في عالم اليوم ؛ وعلى قدر ما ينجح أي مجتمع في العثور على المزايا العقلية ، التي تمكنه من قرع باب التقنية دون وجل ودون تخبط أو عشوائية ـ بقدر ما يضمن هذا المجتمع اكبر حظوظه في الخروج من اطار التخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي ويؤدي ذلك حتما الى الاختزال من انواع التخلف الاخرى التي ليست كما قدمنا ـ الا تفرعات لهذا التخلف ـ المحور ، التخلف ـ الاصل اي التخلف الفكري بكل ابعاده ومضاعفاته .

* * *

أسلفنا في الفقرة السابقة ان الامر في كثير من عوامل الارتقاء والانحدار عند المجتمعات الانسانية عبر التاريخ ـ كان امر تطور فكري ، او جمود فكري او انحراف فكري بحسب كل حالة على حدة ؛ وقد يسمي مؤرخونا ذلك بانحطاط خلقي ويلاحظون في ذلك ،

جانب نظري ، فامكانية الاستعاضة عن عادات باخرى جائزة جدا ، سواء من زاوية علم النفس الفردي او الاجتماعي ، وان كان هذا الجواز ليس مطلقا دائما ، وقابل للتطبيق فى جميع الاحوال ، غير ان القضية التي تاخذ ــ حول هذا الموضوع ــ بعناية مختلف الدول المتاخرة التي لها برامج انماء ــ هي هل ينجح ما تطبقه من برامج فى غرس عادات جديدة ، على انقاض بعض العادات العقلية السيئة أم يخفق فى ذلك ! والامر بهذا الشان يقتضي ــ كما تقدم ــ توفر رصيد هائل من التوفيق لاجتياز المرحلة الاولى ــ مرحلة الخروج من الحلقة المفرغة التي يدور فيها كل من التخلف المادي والعقلي ، والمرحلة هذه ، مرحلة الخروج من هذه الدائرة الفاسدة ، هي اهم ما يمكن ان تتوصل اليه الدول المتخلفة فى سياساتها الانمائية المتبعة ، وبعد ذلك يسهل عليها ممارسة سياسات ناجحة فى استبدال العادات العقلية والسلوكية بأخرى .

وتعني مصالح الامم المتحدة ببذل مساعدات تقنية فى هذا المضمار حيث ينتشر خبراء المنظمة فى المناطق الاكثر تخلفا فى العالم ، يدلون على التقنيات الحديثة ، التي ترسخ بعض الوعي ضد التخلف عند الفلاحين وغيرهم ، عن طريق ارشادهم عمليا ومساعدتهم على اكتساب عادات جديدة ، ونظرة جديدة للامور والحلول المقترحة لها فى شتى الميادين غير ان الجهود الدولية بهذا المضمار ، تعترضها عقبات كثيرة ، وينقصها التمويل الكافي ، بالاضافة الى محدودية المجال الذي تنشط فيه ، بالقياس الى ضخامة العالم المتخلف ، وضخامة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي يتخبط فيها ، والتي هي ناشئة فى كثير من عواملها عن التخلف العقلي السائد، ثم ياتي نقص الاطارات والامكانيات والتخطيطات كفروع عن ذلك ، او بالاقل مضاعفة لخطورته .

ان العقيدة السائدة اليوم ، هي ان مخرج العالم من مشاكله المعقدة ، رهين بنجاح سياسة انمائية عالمية متكاملة ومتوازنة لكن ذلك لا بد ان يفرض فى نفس الوقت الاعتقاد بان سياسة من هذا القبيل ، لا يمكن ان تستنفد اهدافها الا بتدخل فعال فى اعادة صياغة نظرة وعقلية هذه الكتل المتخلفة الهائلة ، ومساعدتها على التفكير حقا تفكيرا مضادا للتخلف ، وذلك شرف اساسي لا بد منه .

**المهدي البرجالي**

هذا القبيل . (2) محاولة توعية سواد الناس الذين لا تشملهم عمليات التثقيف المنظمة فى المعاهد والمختبرات والدورات التدريبية وغيرها — محاولة توعية مثل هؤلاء ، عن طريق وسائل الاعلام المختلفة ، التي تهيئها التقنية الحديثة لنشر الثقافة الشعبية ، كالسينما مثلا، لكن لا يجب ان يعزب عند الذهن ، ان التوعية على هذا الاساس قد تكون لها فوائدها المثمرة بعض الشيء ، لكن لا يمكن الاتكال عليها الى ما غير حد ، ولا يرجع هذا الى عدم جدوى التقنيات الاعلامية الحديثةفى حد ذاتها، بل يرجع الامر فقط ، الى ان الامية الضاربة اطنابها على سواد الناس فى الاقطار المتخلفة ، هذه الحالة من الامية، تجعل فى الغالب على الاذهان غشاوات ، لا تسمح لهذه الاذهان — ان تربط بين المقدمة والنتيجة ، فيما يعرض عليها بواسطة وسائل الاعلام العادية ، وحتى اذا تمكنت قليلا من هذا الربط ، فانها لا تستطيع الا بقدر ضئيل ، هضم النتائج العملية فى العمق ، والتشبع بها حتى تصبح جزءا من التفكير اليومي ، وحتى اذا استطاعت شيئا من هذا القبيل ، فلا يضمن ان تكون له نسبة من التغلغل فى العقول تؤكد امكانية استمرار تاثيره لأمد طويل ، واكتساب الحصانة العقلية اللازمة التي تحول دون ان تؤثر على هذا الوعي المكتسب اية تأثيرات سلبية ، فتنال من جدواه بوجه او بآخر ، كالعقائد السحرية ، والطقوس الجامدة ، والتواكل والسطحية والايحاءات التي تخلقها البيئة الاجتماعية ، او تركزها فاعلية الوراثة ، او ما الى ذلك كثير ، ومن ثم يقع فى كثير من الحالات ، ان تبقى نتائج التوعية من هذا القبيل طافية على السطح ، معرضة للتيارات السلبية من كل نوع ، لان الامر يبدو بالنسبة للرجل العادي البسيط نوعا من الوعظ المؤثر لبعض الوقت وما اكثر ما يتلقى هؤلاء من وعظ ، لا تكون له الا نتائج سطحية ومؤقتة اذا كانت له من نتائج ! ولا يعني هذا ضرورة الاستغناء عن وسائل الاعلام التقليدية ، بل هي اساس جوهري فى مجال التوعية لا يغني غناءه شيء آخر ، وانما كل ما هناك ، هو ان يعزز عمل التوعية النظرية هكذا بنوع من التوعية العملية، وذلك بمساعدة هؤلاء الذين هم موضوع توعية — مساعدتهم على لمس الجانب العملي فى المشاكل اليومية البسيطة التي يعيشون فى اطارها باستمرار ، دون ان يدركوا دورهم الحقيقي فى نشوئها وتعقيدها ، ومن ذلك ان يكون هناك موضوع واقعي ، تدور حوله التوعية العملية كالاسباب الموضوعية و « العقلية » التي سببت نقص المحصول فى منطقة معينة ، او احدثت مرضا وبائيا معينا ، او حالت دون ارتفاع مستوى المعيشة او غير ذلك — والعامل الاساسي فى الامر من هذا القبيل هو احتكاك العامة فعلا بمشاكلهم عمليا ، وادراكهم التدريجي — ومع مرور الاجيال — بحقيقة دورهم فى وجود هذه المشاكل من التخلف ، والمراد بالادراك هنا — كما قدمنا — الادراك العملي الناشيء عن الاحتكاك الواقعي بالمشكلة ، لا الادراك النظري المجرد — لانه ليس من المعقول ان يوخذ بالتجرد بالنسبة لافراد، هم كالاطفالفى مدرسة ابتدائية يحتاجون الى التشخيص فى كل ما يشرح لهم ، او يراد بهم ان يتشبعوا به تشبعا عقليا واعيا ينعكس على ملكاتهم وقدراتهم ! والملاحظ ان من الظواهر الايجابية فى محاربة التخلف ، ما يبدون من اهتمام عدد من الاقطار بهذه المزاوجة الماهرة بين عمليات التوعية النظرية والعملية فى نفس الوقت (3) وبين هذا وذاك يسير عدد من الدول المتخلفة ، على تنفيذ خطط مختلفة للتنمية ، تلاقي فيها — حقا — المصاعب الجمة ، التي يعود كثير منها الى التخلف العقلي حسب ما لاحظناه قبل — ودوران التخلف المادي والتخلف العقلي — فى حلقة مفرغة وهائلة — نقول : رغم هذه المصاعب ، فان من الآمال التي تظهر من خلالها ان يستطيع تيار التنمية فى الاخير ، اقحام نفسه علىجميع عوالم التخلف ، بما فيها التخلف العقلي نفسه ، الذي هو عقبة اساسية ، ان هناك سباقا مع التخلف العقلي بالاخص ، والرهان القائم هو ان يقع التوصل فى هذا القطر او الآخر ، الى اجتياز المرحلة ، التي يكون فيها التخلف العقلي شرسا وضاريا وبذلك يسهل تحديد أثره ، والسيطرة عليه فى النهاية ، ومبدأ الانطلاق فى هذه المسألة ، هو ان التنمية والتخلف العقلي — وان كان كل منهما عامل قوي ضد الآخر ، الا ان احدهما ايجابي الصفة ، والاخر سلبي ، ولا بد ان للايجابية من المكنات ، ما يجعلها فى حلبة الصراع اوسع حولا ، وأطول نفسا ، مما قد يمكنها — متمثلة فى حالة التنمية مثلا — من مصاولة سلبية التخلف العقلي ، وتجاوزها فى الاخير، بعد ان يضعف — تحت وطأة المصاولة — تأثيرها المضر بسير التنمية ، واذا سلمنا بمدلول هذه الفكرة على نحو ما ، فلا بد ان نسلم كذلك ، بان الامر يقتضي — فى هذا المقام — الاعتماد على قوة الترويض والتعويد، وذلك على اساس الاعتقاد بان التعويد على شيء من الاشياء من شأنه ان يؤدي الى تحقيق بعض النجاح فى عمليات الاستبدال المنشودة ، اي استبدال احوال باخرى ، استبدال العادات التي خلقها ، ومكن لها عامل التخلف العقلي — بمرور الاجيال — بعادات اخرى اكثر استجابة لمنطق التطور الذي تفرضه التنمية الحديثة ، واشد قدرة على التفاعل مع الضرورات التي تفرضها طبيعة الحياة المتقدمة اليوم ، ان الفكرة لا غبار عليها من

متناقضان احدهما يعمل على امحاء الفردي في الجماعي، والثاني على العكس من ذلك، يهتم بالأنا ونظرته الذاتية، الى احداث العالم. واذا كان الاتجاه الاول تبلور في اوضاع سياسية، ونظم مجتمعية، كما يقضي بذلك منشؤه، فان الثاني اختص بعالم الفكر والادب والفن. لقد كان كل من الاتجاهين محاولة للخروج بالانسانية من أسر اليأس واللامبالاة، الى مستوى المسؤولية، مسؤولية بناء عالم جديد، بنظرات جديدة. ونشأت حركة «الدادية» اولا في الفن كتجسيد لفكرة اليأس واللامبالاة، فقد اشتق اسمها ايضا عبثا، من أول لفظ صادف أحدهم، وهو يفتح قاموسا لغويا على الصدفة؛ وما لبث كثير من الشعراء ان انضموا الى هذه الحركة امثال اراجون ... الا ان هذه الحركة ما لبثت ان وجدت الاساس الثقافي الذي كانت تفتقده، كي ينظر اليها كحركة جدية لها ما يبررها. وكان حامل هذا الاساس اليها هو طالب الطب اذ ذاك « اندري بروتن » وهكذا تحولت الدادية العبثية الى « سريالية ». أما هذا الاساس الذي اعتمدت عليه فهو اللاشعور بمعناه الواضح عند فرويد. فقد اعتمدت هذه الحركة « الفوق – واقعية » على الانطلاقة التلقائية في الابداع، دون تقيد بقواعد الفكر المعتادة، في صياغة الافكار والتعبير عنها. فالاثر السريالي سواء كان في الادب او الفن أشبه ما يكون برؤيا الحالم، يبدو لمن ينظر بعين العقل لا معنى له. بينما هو في الحقيقة محاولة للتعبير عن خبايا الذات واعمق اعماقها، وكان للحرب ايضا اثر مباشر في بلورة كثير من الافكار الوجودية خاصة فكرة العبث بالشكل الحاد، اليائس المتشائم؛ والمتمرد في عجز مرير؛ كما يفصح عن ذلك اشخاص كامو « الغرباء » ابدا، وريح « الطاعون » ما تفتأ تعصف بهم، الهائمون في حيرة بشأن العدالة. وترددت فكرة العبث هذه عند « كافكا » بشكل اعمق وربما أشد قتامة وعتمة. فأشخاصه يعانون من تهمة غير محددة، ولا يعرفون عنها شيئا؛ وهم يسيرون في ممرات ملتوية غريبة، وراء « القضية » ليجدوا من بيده أمرها نائما، وامثالهم ينتظرون ... وتضغط العبثية على هؤلاء فيتحولون « مسخا » مبكيا مضحكا، وفي حالة المسخ هذه يبدو تصدع العلاقات البشرية هائلا مخيفا، حتى في المحيط الضيق، محيط الاسر. فالاسرة تضيق بالمسخ الذي هو أحد افرادها وربما كان أعزهم عندها ... ففي هذه المشاهد كلها تعرية كاملة للواقع البشري، تعرية مريرة، تزيح عنه كل ما يتلفف فيه، من زائف القيم. وهي تعرية لا تقل عن تلك التي انجلت عنها الحرب في واقعها. ففي هذا اللون الادبي، لا جدال في العبثية المسيطرة.

على ان ما يلاحظ ان المسرح على شدة ارتباطه بالحياة المجتمعية من جهة، وعلى شدة ارتباطه بسائر الفنون الادبية من جهة أخرى، فانه قد ظل خلوا من هذا اللون العبثي، أو انه لم يمسسه الا مسا عابرا، حتى حوالي سنة 1950 حيث ظهرت اعمال مسرحية تعبر فيما يبدو، عن هذا العبث L'absurde شكلا ومضمونا. وهذا ما يتجلى في اولى مسرحيات اونيسكو « المغنية الصلعاء » التي ظهرت 1950 وكذلك « في انتظار جودو » سنة 1952 لصموئيل بيكيت. وقد تتالت امثال هذه المسرحيات بسرعة فائقة، وبالرغم مما يقال من ان هذا الاتجاه لم يرض جمهور المسرح، فان الاقبال على مشاهداته ومطالعته، كبير جدا. اما المضمون الذي تتكشف عنه اعمال هذا الاتجاه، فهو صعوبة التواصل او استحالته فالاشخاص لا يتوصلون الى أن يتفاهموا فيما بينهم ( مسرحية الدرس لاونيسكو والكراسي ) كما ان المسخ يدب في مدينتهم ( الخرتيت )؛ وهم يحيون التناقض، تناقض القيم، وتناقض افكار، وهم لذلك في لعبة أو في « نهاية اللعبة » كما يصورهم بيكيت. واللعبة هنا هي الحرب، التي تركت الكثيرين ناقصي الخلقة، بين الحياة والموت، ولا احد يحفل بهم، ولا هم يدرون شيئا عما ينتظرهم. أما الزمان فقد تميع، ولم يعد له من موضوعية ( في انتظار جودو، والمغنية الصلعاء ) فالساعات والايام، لا يتفق عليها اثنان، كل يسمع من الدقات ويعد من الايام، حسب ما يتراءى له. ونتساءل الآن: اذا تعذر التفاهم، وكانت حياتنا امعانا في حالات التناقض، وكنا نفتح أعيننا لنجد اللعبة قد تمت وأن ما علينا الا أن نقاسي مرارتها دون امل، او في امل هو اليأس، نظل ننتظره وننتظر دون أن يعود؛ نتساءل: أليست هذه هي العبثية في أشنع صورها ؟ او لسنا مباشرة امام مسرح العبث (Théâtre de l'absurde)

ان سارتر يرفض ان يطلق هذا الاسم على هذا الاتجاه المسرحي، لانه يراه غير مطابق لمضمون مسرح اللامعقول فان اي واحد من مؤلفي مسرح اللامعقول – حسب سارتر – لا يرى في الوجود البشري عبثية. ويرى سارتر ان هذا المسرح اجدر به ان يطلق عليه «المسرح النقدي» Théâtre critique فهو يقول في حديثه هذا، اننا في سائر الفنون الادبية، عدا المسرح، قد رأينا الوانا نقدية، رأينا « الرواية

# أدب وفكر:

# مسرح اللامعقول بين العبثية والنقد

للأستاذ: مبارك ربيع

من احدث اعمال سارتر ، وهو الوافر الانتاج ، مقال كتبته صحيفة الفكارو ( الادبية ) بتاريخ 26 يناير 1967 ، والمقال فى الاصل بعنوان اسطورة المسرح وحقيقته « Mythe et réalité du théâtre » وهو عنوان المحاضرة التي كان سارتر القاها حديثا فى مدينة بون ، وسمح لصحيفة الطلبة البلجيكيين الشهرية « لوبوان » بنشرها فى عددها الصادر بتاريخ 7 يناير 1967 وفي هذا المقال يوضح سارتر موقفه من مسرح اللامعقول ، وهذا هام جدا من عدة وجوه . فمسرح اللامعقول يرمى بالعبثية ، او يوصف بها على اقل تقدير ، وهو من هذه الوجهة قد يلتقي بالوجودية. ثم ان راي سارتر ، حتى وان لم يتفق معه الكثيرون يفتح مدخلا لفهم أعمال اللامعقول . وبامكاننا أن نمدد من هذا المدخل ، بحيث لا نقف به عند فهم اعمال كبار مسرح اللامعقول الذين ذكرهم سارتر فحسب ، امثال جيني ، وبيكيت ، وآداموف واونيسكو ، بل نفهم به بوادر هذا المسرح عندنا فى الادب العربي وخاصة عند توفيق الحكيم فى اعماله الاخيرة ، ابتداء من « ياطالع الشجرة » وذلك بالاعتماد على آراء النقاد فى مسرح توفيق الحكيم ايضا .

والفكرة الرئيسية التي يصدر عنها سارتر ، في حديثه هي أن مسرح اللامعقول « لايعتبر الحياة البشرية ، والعالم ، ضربا من العبثية » ومن هنا فان سارتر يرفض أن يطلق على هذا المسرح ، كما ألف الناس « مسرح اللامعقول » أو « مسرح العبث » وهو يبرر ذلك ، ويعرض تسمية جديدة ، وقبل أن نأتي على رايه فى الموضوع لابد من بسط بعض المقدمات الاولية التي قد تسلم الى ما انتهى اليه سارتر فى هذا الموضوع. وهذه المقدمات تتصل بعلاقة الادب عموما بالظروف الحضارية التي تجتازها البشرية . والمسرح منذ نشأته فى القديم مرآة تنعكس عليها حياة المجتمعات . ولعل للاهتزازة الاولى ، التي عمت الادب والفن . وحتى ظروف الحياة وقتنا الراهن ، تعود الى صيحة ( كير كجارد ) بعدم كفاية العقل ، والى تمرد (نتشه) وغيرهما . بيد ان ظروف الحربين العالميتين ، من مشاهد التدمير والحرق ، ومآسي المعتقلات ، والدعوات الزائفة الى السلم : كل ذلك فتح عوالم جديدة امام الفكر البشري . عوالم ينظمها اليأس واللامبالاة . واذا كان التساؤل حول المصير قديما ، فانه بفعل الحرب وويلاتها ، ارتد الى الداخل ، الى اعماق الانسان ، بعد ان كان صداه يتردد فى خارجه . الم تظهر الحرب أن الانسان بيديه ، يهدم ما شيدت يداه ؟ فالمصير اذن واضح . وما جدوى العلم والثقافة ان كانت هذه ثمارها ؟ وقد دلت الحروب على اننا لا نتفاهم مطلقا ، وهذا يورث الحصر . وبالرغم من كل شيء ، فان مأساة البعض ، يسر عند الآخرين ، واغنياء الحروب ، افرادا وامما تجسيد لذلك . وهذا يشعر بتمزق الروابط الانسانية ، وتناقض القيم ، ونسبيتها على وجه اضيق . ولعل من اكبر مظاهر الازمة الحضارية فى هذا القرن ، أن ينشأ عنها فى نفس الوقت، وعقب الحرب العالمية الاولى مباشرة ، تياران كبيران

كمـــا يقـــول « ارتـــو Artaud »[1] ، او المســـرح الحـــق .

موقف سارتر اذن واضح من مسرح اللامعقول، انه ينظر اليه من زاويـــة وظيفيـــة ، واذا هو مسرح نقدي . والنقدية تستلزم اعترافا مزدوجا بالواقـــع . اعترافا بواقع منقود ، وقد يكون هذا اعترافا سلبيا . اما الجانب الايجابي من النقدية ، فهو الاعتراف بالواقع المنشود ، مهما يكن هذا الواقـــع تصورا خياليا ، او مثاليا ، او مرتبطا بمعطيات عملية مباشـــرة . على ان هذا الوجه الثاني من النقدية ، اي الجانب الايجابـــي ليس من الضروري ان يكون جاهزا ، كمنوذج مجسد، وخاصة في الادب ، الا ان ما يكون واضحا في جميـــع الاحوال ، هو تبرير الاحداث ، فهذا التبرير بقـــدر ما يوضح العوامل التي تجعلنا ننتقد شيئا ما ، فهو اشارة الى ملامح الشيء الذي نود اعتباره بدلا مما هو منتقد، مهما يكن هذا الشيء غير واضح في تفاصيله . ويتضح من كل هذا ان النقدية ، تجري في كافة مراحلهـــا على مستوى العقل أي انها عملية عقلية بالمعنى الشامـــل للعقل ، المعنى الذي لايخرج من نطاق العقل ، ما مـــن شانه ان يعتمد على اسس عاطفية او انفعالية . فهـــل تتوفر النقدية بهذا المعنى في مسرح اللامعقول ؟ قـــد راينا ان سارتر في حديثه عن هذا المسرح أثبت انـــه ينبنـــي على ثـــلاث ضروب مـــن الرفض فيرفض السيكلوجيا ، والعقدة ، والواقعية . ويقول سارتـــر بأن هذه المستويات من الرفض ، رفض العالم ، توضح ان المسرح الحديث لا يحتوي على شيء مـــن العبـــث L'absurde وانما هو ، بواسطة النقد ، يرجع الى المهمة الاساسية للعمل المسرحي ، والتي هي « الانسان كحدث ، الانسان كتاريخ في الحدث » ففكرة الحـــدث هنا تسلمنا الى المجسد . الانسان حدث مجسد علـــى الخشبة . لكن الحدث كما يقول « كلود برنار » ليـــس شيئا في حد ذاته ، وقيمته تأتي من الفكرة التي ترتبط بـــه . والفكرة الحدثية هنا هي التاريخ . وعندما يبرز الانسان على شكل حدث فهو فقط حلقة من التاريـــخ المتصل . وهذا بالفعل ما تلح عليه كثير من أعمـــال اللامعقول ، بحيث يشعر المتفرج او القاريء منذ الوهلة الاولى ، انه يحيا مع الشخصيات في التاريـــخ ، انـــه لا يشعر ببداية المسرحية ، ولكنه يجد في اغلبها ، تابعـــا لتاريخ سابق . فهو منذ الوهلة الاولى ، أمام أنـــاس « ينتظرون » بالفعل ؛ او هو امام نتيجة « اللعبـــة » ، اناس او بقايا اناس ، تعمهم الحيرة والعمى والشلل . . ففكرة الانسان ــ الحدث ــ واضحة جلية ؛ وهو حدث يحمل في ذاته تاريخا خاصة يغلفه التاريخ الكلي . ومن هنا تبدأ معالم النقدية التي ينسبها سارتر الى مسرح اللامعقول ، انها نقدية تاريخية . نقدية تقف عند كشف الاحداث ، وتمحيصها . والوقوف عند هذا الحد مـــن الاحداث ، هو ما لا يرضي الذين ينسبون العبث الى هذا المسرح ، ما دام هذا المسرح في مبدئه ، لا يبـــرر الاحداث ، وبالتالي لايستشف من نقديته ، شيء مـــن معالم البديل ، التي يرمي اليه ، بعد الانتقاد . والواقع ان هذا المسرح لو حاول التبريـــر ، لناقض مبادئـــه الاولى ، وهي رفض الواقعية واظهار التناقض الـــذي يغمر الانسان . فموقفه اذن محدود منذ البدء ، وهـــو الوقوف عند الجانب السلبي من النقدية ، اي الاكتفاء بالنقدية التاريخية ، التي ليست الا مرحلة ، من عملية النقد الكاملـــة . فاذا اضيف الى هـــذا ، ان مسرح اللامعقول ، حتى فيما يقف عنده ، يعتمد بدءا ، عجـــز اللغة عن تحقيق التواصل ، أدركنا الى اي حد يبـــدو موقف الذين يرمون هذا المسرح بالعبثية ، منسجمـــا مع معطيات هذا المسرح ذاتـــه . فالعبث في الفكـــر الحديث ، والوجودي خاصة ، يعني الغربة المتبادلـــة بين الانسان والكون ، والأنـــا والآخـــر . هذا المعنـــى هو الذي يتجلى عند كير كجارد ، وهيدجر ؛ وعنـــد كامو بوجه أخص . اما عند سارتر فالعبث بصفة عامة يعني ما ليس له معنى او اللامعنى Le non-sens

من كل ما تقدم ، يبدو واضحا لماذا يعتبر سارتر مسرح اللامعقول نقديا ، بينما يـــرى فيه الآخـــرون عملاعبثيا . فسارتر لا يجد في هذا المسرح «اللامعنى»، حتى وان كان معناه فقيرا من الوجهة النقدية ، يقـــف عند اولى الدرجات ، بينما غيره لايقنع بذلك ، ويشترط في النقدية ان تكون تامة مبررة هادفة ، أو بعبارة أوضح؛ ان هؤلاء يريدون بدلا من النقدية التاريخية ، نقديـــة واقعيـــة .

لا نريد ان نتعسف ، فنتحيز لسارتر او لخصومه فذلك يتطلب دراسة الكثير من اعمال اللامعقـــول ، واحدا واحدا بعناية ، اذ من الصعب ، ان يحكم المـــرء بأنها جميعا تخضع لمفهوم واحد ، نقديا كان ام عبثيا . وهذا ما تدل عليه بعض أقوال كتاب اللامعقول انفسهم . فبيكيت نفسه عندما يسأله البعض عن « جـــودو »

---

1) مؤلف مسرحي ، وممثل فرنسي توفي سنـــة 1948 وقد قاد ثورة على المسرح التقليدي من اعتمـــاد على اللغة والبيان ودعـــا الى تجديد في اساليب الديكـــور والاخـــراج عمومـــا .

النقدية عند «فلوبير» ، والشعر النقدي عند «مالارمي». ولكن المسرح النقدي لم نصادفه قبل هذه السنوات الاخيرة ، وقد تضافرت عوامل فنية واخرى مجتمعية، على ظهوره . والمسؤول الاول المباشر – وسارتر هنا لايذهب وراء الاسباب البعيدة – هو السينما . فمنذ ظهور السينما نشب صراع بينها وبين المسرح ، وهي وان لم تستطع ان تجذب اليها كل جمهور المسرح ، وان لم تستطع ان تقضي على المسرح كل القضاء ؛ فانها استطاعت ان تجلب اليها الجمهور المسرحي ، بل وحتى الجمهور الذي حافظ على ولائه للمسرح ، فهو يتردد على السينما مرات عدة ، قبل ان يتردد على المسرح مرة واحدة . اما اساس التمييز بين المسرح والسينما، وربما تفضيل السينما على المسرح ، فهو ان مناظر السينما تؤخذ على انها طبيعية أو يفترض ان تكون طبيعية ، بينما الامر غير ذلك فى المسرح . فما « يعرضه المسرح يبقى تمثيلا بينما المشهد السينمائي حقيقي » الشجرة فى المسرح انما هي تمثيل ، بينما هي في السينما شجرة طبيعية . ونحن هنا نقر هذه الامكانيات، التي تتوفر عليها السينما ، ويعجز عنها المسرح ، الا اننا نضيف بعض ملاحظات الى ما جاء فى حديث سارتر ، وهي أن المسرح فى احيان كثيرة ، يكون هو المشهد الحقيقي ، بينما ينتقل المشهد التمثيلي الى السينما . فالفاجعة التي تجري على الخشبة ، هي حقيقة من حيث انني التقي فيها بالممثل مباشرة ، اما فى السينما فهذا متعذر والاتصال بالمشهد السينمائي ، لا يتم الا بعد القص ، والحذف ، والتكملة . . . فكان كل مايتبقى من واقعية تمتاز بها السينما على المسرح ، هو امكانية التقاطها للمشاهد الطبيعية على حقيقتها . وهنا نشير الى ظاهرتين متكاملتين احداهما تخص المسرح ، والثانية تختص بالسينما . فالمسرح اصبح بوسعه أن يستغني عن البناية الرسمية ، ليعرض فى الهواء الطلق ؛ بل في مكان الاحداث الاصلي ، وهكذا اصبح الجمهور يشاهد مسرحيات ، فى القصور والمعابد التي جرت فيها احداثها بالفعل ، كما ان الخشبة كثيرا ما تنقل الى الميدان الاصلي الذي دارت فيه المعارك الحربية ؛ طبعا كل هذا على نطاق محدود ، هذه هي الظاهرة الاولى ؛ اما الثانية فهي أن السينما كثيرا ، ما تعجز لاسباب مادية او فنية ، عن نقل المشاهد الطبيعية ، على حقيقتها ، فتعمد الى الديكور كالمسرح. فعلى ضوء هاتين الظاهرتين نجد ان المسرح والسينما يتساويان فى كثير من الاحيان ، بل قد يمتاز المسرح عن السينما فى اصالة الاداء ؛ ويبقى تفوق السينما منحصرا فى التقنية التي تمتلكها ، وسرعة تنقل الافلام، وانتشارها .

على ان سارتر عندما يجعل من السينما المسؤول الاول ، عن الاتجاه المسرحي الجديد ، اتجاه « اللامعقول » ، فانه يقصد بالذات ان السينما جعلت المسرح « يفكر فى امره » ويعي عجزه . فأصحاب هذا المسرح « يريدون ان يجعلوا من عدم كفاية المسرح نفسها ، أدوات للتواصل » ومن هنا فالمسرح «النقدي» كما يسميه سارتر « يقوم على ثلاثة ضروب من الرفض وهي : رفض السيكلوجيا ، ورفض العقدة ، ورفض الاتجاه الواقعي » واضح هنا ان السينما فى اغلب اعمالها الناجحة تعتمد كل ما يرفضه هذا المسرح الحديث ، من سيكلوجيا ، وعقد ، وواقعية . والاسس الرفضية التي ينبني عليها هذا المسرح ، تجعلنا نفهم الى أي حد جعل من نقصانه شروط كماله . فهو بحكم نشأته لا يقبل السيكلوجيا باعتبارها تعقلا للمواقف والشخصيات ، وهو لايقبل الواقعية ، لان الواقعية ما هي الا اتباع خطة معينة فى معالجة الموضوعات ، ثم هو بالطبع يرفض العقدة لان العقدة هي قمة التأليف العقلي . واذا امكن للسينما ان تجاري المسرح فى نقطة من هذه الثلاث فهي عاجزة ، عن مجاراته فيها جميعا، دفعة واحدة ، وفي عرض واحد . والمسرح «النقدي» عندما يرفض الواقعية والعقدة والسيكلوجيا ، انما يشرك المتفرج او القاريء فى العمل المسرحي . فالمتفرج « مؤلف بالقوة » ولكن المسرح النقدي يجعله مؤلفا بالفعل ، انه يدفعه ليقوم بدوره ، فتنتهي المسرحية ، وعليه ان يبحث لها عن عقدة ، ويربطها بالواقع الذي يشاء ، يصبها فى السيكلوجيا الملائمة . ولعل هذا ما بنير قولة بيكيت عندما سئل عن « جودو » من هو؟ فأجاب بأنه لو عرف ذلك لقاله فى المسرحية . فبيكيت هنا يظهر نفسه – حتى وان لم يكن فى حقيقته كذلك – كأي قاريء او متفرج عادي ، يستغلق عليه فهم الرموز التي تشير الى شخصياته ، وكان عليه بدوره ، اذا اراد ، أن يعرف من هو « جودو » الذي ينتظره الجميع ، أن يبذل الجهد اللازم ليخرج من مستوى المتفرج الذي هو مؤلف بالقوة ، الى مستوى مؤلف بالفعل . والتناقض الذي يعتمد عليه المسرح « النقدي » ، هو المظهر الذي تتجلى به ، جدة مسرح اليوم . سواء كان التناقض مرجعه اللغة ، أم نسبية الاحداث . والمتفرج عندما يشترك فى معالجة هذا التناقض ، انما يقوم بأول ما يتطلبه المسرح الكامل



# معرض الكتب :

## حول كتاب :

# صفحات مغربية للدكتور نقولا زيادة

(من منشورات دار الطليعة في بيروت غشت
1966 - 376 من القالب الكبير)

### تقديم وتعليق الأستاذ محمد حجي

الدكتور نقولا زيادة من اخواننا علماء المشرق القليلين الذين يهتمون بقضايا الجناح الغربي لبلاد العروبة . وهو علم غني عن التقديم . نعرفه من خريجي جامعة لندن ، يعمل استاذا للتاريخ العربي الحديث ، ورئيسا لدائرة التاريخ والآثار بالجامعة الامريكية فى بيروت . لا يستأثر به كرسي الجامعة ولا يصرفه عن الانطلاق فى اجواء فسيحة . يتجلى ذلك فى محاضراته . وبحوثه العديدة فى مجلات الشرق والغرب . ومؤلفاته التي بلغت لحد الآن خمسة وعشرين ، باللغتين العربية والانجليزية . عرفت السنة المنصرمة منها مؤلفين اثنين ، هما : **دمشق فى عصر المماليك ، وصفحات مغربية .**

هذا الكتاب الاخير هو الذي سنحاول التعرف على بعض محتوياته . وهو كما قال المؤلف فى كلمة التصدير « مجموعة مقالات ومحاضرات واذاعات أعدت فى مناسبات متفاوتة فى الزمن ، متباينة فى الحاجة . فأولاها ترجع الى اواخر سنة 1951 ، وآخرها وضع فى سنة 1965 ، بعضها نشر فى دوريات علمية والبعض الآخر نشر فى الصحف والمجلات ، ومنها ما لم ينشر وانما أذيع . ومن ثم فهي مختلفة فى الحجم . وبسبب تباعد الزمن فى كتابتها ، وتنوع الحاجة التي كتبت من أجلها ، فقد تفاوت الاسلوب فيها بشكل واضح ...»

نعم تضم **صفحات مغربية** 42 فصلا تتناول تاريخ المغرب العربي بأقطاره الاربعة : ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب . نال المغرب الاقصى منها 12 فصلا . نقرأ فى القسم الاول تراجم المنصور الذهبي ، والمولى اسماعيل ، والحسن اليوسي ، ومحمد بن زاكور ، وابى القاسم الزياني ، ومحمد اكنسوس . وفى القسم الثاني المخصص لرحلات حديثة نجد وصفا لاطلال وليلي الرومانية ومقارنتها بآثار بعلبك فى الشام . وفى القسم الثالث المعنون بكتب من المغرب العربي ، نقف على طرف من أدب شنقيط ، فيه مقطعات لبعض ادباء هذا الاقليم المغربي ، ونصوص من كتابي **الوسيط فى ادب شنقيط** ، **وشعراء موريطانيا** . ثم تعليق على كتابي الاستاذ عبد الله كنون : **النبوغ المغربي ، واحاديث عن الادب المغربي الحديث** . اما القسمان الاخيران من الكتاب ، المترجمان بقضايا مغربية ، وفى الحياة الفكرية والادبية المعاصرة ، فليس فيهما الا فصل واحد عن جامعة الرباط والتعليم بالمغرب .

هكذا نتبين — ولو من بعد — الغرض النبيل الذي قصد اليه الدكتور زيادة من تعريف مواطنيه عرب المشرق بأخبار اخوانهم عرب المغرب ، محاولا ان يستقصي — فى نتف يسيرة — تاريخ أربعة عشر قرنا لهذا القطر الشاسع الممتد من تخوم مصر حتى المحيط الاطلنطيقي .

« سهم أصاب وراميه بذي سلم
من بالعراق لقد أبعدت مرماك »

من هو ؟ يجيب بأنه لو عرف ذلك لذكره فى المسرحية! بينما فى أحيان أخرى ينطلق فى الحديث عن بعض مسرحياته وكأنما ينظمها ناظم المنطق والنقد . ولا يمنع هذا من ان نكون ميالين مبدئيا الى اعتبار الجانب العبثي فى هذا المسرح ، وذلك بالنظر الى المباديء التي اعتمدها هذا المسرح ، وانطلق منها .

* * *

تدعونا هذه المناقشة لمسرح اللامعقول بين النقدية والعبثية ، الى القاء نظرة على هذا المسرح ، كما تجلى فى الادب العربي ، وعند توفيق الحكيم خاصة . فالمعروف ان مسرحيات توفيق الحكيم هي من النوع الذييقرأ اكثر مما يمثل ، أي انها من المسرح الذهني فى اغلبها . وبالاضافة الى ما يمتاز به هذا النوع من التأليف من نظرة انسانية ، فانه يمتاز بانه يستقطب مشاكل متافزيقية واخلاقية . وقد اختار الحكيم لهذه المشاكل الاطر المناسبة لابرازها . فكان جل عمله ، يدور حول القصص الديني او الشعبي او التراجيدي اليوناني ( أهل الكهف ، شهرزاد ، بيجما ليون . . . ) لان هذه الالوان تحفل بمعاني الاسطورة ، التي لا تضيق بأي بعد انساني كما تضيق بذلك ، كثير من الحكايات المحلية . وكان الحكيم فى كل ذلك متأثرا بالموجة التي عمت الادب الغربي خاصة فى الفترة التي يدرس فيها ، فى فرنسا ، وتمتاز بالتفتح على كنوز الشرق الادبية والخلقية .

لن ندعى بان هذه الموجة وحدها هي التي جعلت الحكيم يتجه الى استلهام الفكر الشرقي ، فله من طبيعته الشرقية ، ما يغنيه عن ذلك . الا ان المؤكد انه تأثر بها ، فى الاتجاه الذي جعله يضفي على شخصيات الماضي ، رموزا تتصل بحياتنا الحاضرة . وهو لم يتأثر بالوسط الادبي ، اذ ذاك فى الشكل فحسب ، بل فى المضمون . فمسرحياته متماسكة ، مبنية على أسس منطقية صحيحة . وهذا ما يسمها بالعقلانية التي كانت تشكل النموذج المقبول فى الاعمال الادبية والمسرحية خاصة ؛ الا ان الحكيم ما لبث ان انحرف عن هذا الاتجاه العقلاني ، فى اعماله الاخيرة: ( ياطالع الشجرة ، رحلة قطار ، الطعام لكل فم . . . ) ويقول توفيق الحكيم عن هذا الاتجاه الجديد « . . كان اتجاهي اليه مع المتجهين من عشاق المسرح الحديث، فى العالم يومئذ ، غير اني تحولت به التحول الذي يناسبطبيعتي وحالة المجتمع الذي نشأت فيه . . . » فكيف امكن لتوفيق الحكيم أن يقفز من العقلانية المتطرفة الى اللامعقول ؟ هذا السؤال بالضبط ما يلقيه الاستاذ سعد الله ونوس ( مجلة المعرفة عدد كانون الاول 1964 ) ويذهب كاتب المقال الى ان الخاصيتين اللتين تطبعان مسرحية الفترة الاولى عند الحكيم هي انها ذهنية ، وانها مستقاة من الفكر الشرقي والصراع بين الشخصيات ينشأ عن مواقف عقلية . . . ويستخلص الاستاذ ونوس أن هاتين الخاصيتين ، وكذلك الجدل الفكري ، توجد بوضوح فيما يسمى باللامعقول عند توفيق الحكيم . والواقع ان توفيق الحكيم نفسه فى مقدمة « يا طالع الشجرة » ، يذكر انه فى مرحلته الجديدة ، لم يزد على ان استلهم الادب الشعبي كما سبق له ان فعل فى « شهرزاد » . . ويرى الحكيم أن الخلط الذي نجده لاول وهلة وحسب النظرة السطحية ، فى الادب الشعبي ، ليس الا وسيلة تلقائية من وسائل تعبير هذا الادب ، مشحونة بطاقات فنية صالحة للاستلهام . واذا كانت خصائص المرحلة العقلانية عند الحكيم ، توجد بتمامها فى المرحلة التي اطلق عليها اللامعقول عنده ، فان هذا المسرح عنده يختلف عن كتاب اللامعقول فى الغرب . فبينما لا تنبيء كثير من اعمال اللامعقول عند هؤلاء عن شيء من المعنى ، فان اعمال توفيق الحكيم – كما يرى الاستاذ ونوس بحق – لاتزال على النمط -العقلاني « غير انها هذه المرة تطهرت من التجريد ، ومن التقابل العاري الذي يسرق من العمل ظلاله وايحاءاته واعماقه » رهو شكل يغني كثيرا هذا المضمون ، ويملؤه بالايحاءات . والواقع ان الحكيم نفسه ، سجل تراجعا عن تسمية مسرحه الاخير باللامعقول فهو يقول: « . . . فأنا لست من هذه الطائفة ، ان ما يصدر عني، انما يصدر تحت سيطرة عقلي ، غير اني اعتقد ان عقلنا البشري ، له من سعة الافق ما يسمح لنا احيانا ، ان نخرج عليه لنتأمله ، وندرسه عن بعد . » وهكذا يكون بالامكان بعد اعمال الفكر ، وخاصة لمن نهل من مسرح الفترة الاولى للحكيم ، بالقدر الكافي ، أن يصل الى اعماق مرحلته الاخيرة فيجد فيها نفس الخصائص ، ونفس المتعة العقلية المعهودة أو اكثر .

لنعد الآن الى ما اوردنا عند مناقشة العبثية والنقدية فى مسرح اللامعقول عند جيني ، وآداموف ، وبيكيت ، واونسكو ، وهم الذين ركز عليهم سارتر ، فنجد خصائص النقدية بمعناها العقلي الذي يعتمد التبرير ، والنظم المتماسك ، مهما يكن الشكل الذي يضم محتواها تتوفر بشكل واضح فى مسرح توفيق الحكيم ، وحينئذ اذا امكن ان تنسب العبثية الى مسرح اولئك ، فهي ابعد ما تكون عن مسرح الحكيم .

**الرباط : ربيع مبارك**

ـ منذ ذلك الوقت ـ يعد العدة ويجري الاتصالات السرية والعلنية مع امراء اوربا الصليبيين فى ايطاليا وسويسرا والمانيا والبلاد المنخفضة ليزوده السلاح والمقاتلة . ثم رجع اليه سفيره Nuno-Alvares Pereira من بلجيكا بـ 4000 من اقوى الجنود المدربين و000 25 قنطار من مسحوق البارود ، و7000 بندقية من مختلف الانواع ، مع آلاف مؤلفة اخرى من القذائف وفتائل المدافع ... و6000 برميل من الدقيق ، و3000 قنطار من الجبن ، و4500 قنطار من اللحم الملح (5) .

أما ما ورد بعد ذلك من أن سبستيان « خرج فى صيف 1578/986 من البرتغال واحتل طنجة واصيلا دون صعوبة (6) » . فان الامر لايتعلق باحتلال جديد ، بل بانزال الجند فقط . واذا كانت طنجة فى يد البرتغال منذ عام 1464/869 ، واصيلا منذ عام 1471/876 .

واذا انتقلنا الى عهد المنصور نفسه فاننا نجد المؤلف يذكر أثناء شرح سعة سلطانه ويفصل فى فتوحاته بأقطار السودان ، وما كان منها بطريقة الحرب أولا فيقول : « أما توات وتيكورارين وبورنو فقد كتب المنصور الى أصحابها فقبلوا طاعته (7) » وهنا أولا خلط بين توات وتيكورارين المنطقتين الصحراويتين المغربيتين . التابعتين اليوم لحكومة الجزائر بعد ان اقتطعتهما فرنسا فى جملة ما اقتطعت من المغرب على عهد الاستعمار ، وبين بورنو المملكة السودانية القديمة الممتدة من حدود مملكة سونكاي غربا حتى بلاد النوبة بتخوم مصر شرقا . ويحمل حتى اليوم جزء منها هذا الاسم (بورنو ـ كانيم) ويكون اقليما فى شمال جمهورية نيجيريا . على أن المنصور ـ حقيقة ـ لم يجلب على بورنو بخيل ولا ركاب ، وانما بايعه ملكها ادريس ألوما عن طواعية واختيار ، بعكس الحال فى بلاد توات وتيكورارين التي كانت قد أنفت من الخضوع الى السلطة المركزية منذ أن فشلت ريح المرينيين والوطاسيين ، فجرد المنصور كتائب متعددة لارجاعهما الى الطاعة ولا ، ثم للقضاء على المتنطعين من الرؤساء فيهما بعد ذلك(8)

وأثناء الحديث على علاقات المنصور بالدول الاجنبية ، وبخاصة الاوربية منها ، ورد فى **الصفحات** أن الانجليز نشطوا حينذاك فى معاملاتهم التجارية مع المغرب « وكان المنصور قد ادخل قصب السكر وعصره الى البلاد بحيث صار المغرب من البلاد التي تزود اقطارا كثيرة بحاجتها من السكر .. (9) » . والحقيقة ان المغرب عرف ازدهار صناعة السكر وزراعة قصبه الجيد قبل المنصور ودولته ، بل وقبل الدول التي سبقتها من وطاسية ومرينية وموحدية . وهذا الجغرافي البكري يذكرفى **المسالك والممالك** ماكان فى القرن الخامس الهجري (11م) من توسع فى زراعة قصب السكر باقليم سوس ، ووجود السكر بكثرة فى مدينة ايغلي السوسية حيث يباع بسعر مثقالين للقنطار ، ويستطيع الانسان ان يحمل منه ما شاء مقابل ربع درهم فقط . وفى القرن التالي (6هـ/ 12م) يؤكد هذه الحقيقة الادريسي فى **نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق** ، ويقول عن قصب السكر المزروع آنذاك بسوس انه لا مثيل له فى غير ذلك الاقليم ، سواء من جهة حجمه الغليظ أو غزارة عصيره ، أو من جهة مذاقه المتميز بحلاوة فائقة . وحتى لو قصرنا الحديث عن الدولة السعدية ، فاننا نجد مؤسسها محمد الشيخ يعنى بمزارع السكر ومصانعه فى السوس بمجرد استيلائه على حصن فونتي من يد البرتغال وتطهير الشواطىء الجنوبية من المحتل الدخيل . وقد احتكر هذه المادة الثمينة وجعل منها احدى ركائز نظامه الاقتصادي الجديد .

وبخصوص ما ورد فى **الصفحات** من تهيب المنصور من الاسبان ، وارتيابه من مقام الناصر بن عبد الله الغالب عندهم ، فلم يستجب لرغبة بريطانيا فى التحالف معه « الى ان كانت سنة 1588 اذ انكسر اسطول اسبانيا الارمادا فى مهاجمته لانجلترا ، فاضعف ذلك نفوذ فيليب ، وجرب فيليب حظه باطلاق الناصر ففشل أمره . عندئذ قبل المنصور بأن يهاجم اسبانية مع انكلترا على أن يقتسما الغنيمة .. (10) » الواقع ان التحالف بين المنصور وايليزابيث تحقق قبل هذا التاريخ ، بل ان الفضل فى انتصار الانكليز على

---

5) انظر فى هذا الموضوع : H. de Castries, Les Sources Inédites de l'Histoire du Maroc, France, 1re Série. I : 407,..
6) صفحات مغربية ، ص 57 .
7) المصدر السابق ، ص 62 .
8) انظر كتاب (مناهل الصفا) المطبوع فى تطوان سنة 1964 ، ص 36 وما بعدها .
9) صفحات مغربية ، ص 65 .
10) المصدر السابق ، ص 66

اذن لابد من الاختصار والاختيار . واذا كان لاحق لاحد فى أن يحشر أنفه فى هذه العملية التي تختص بالمؤلف وحده وتخضع لتفكيره وذوقه ، فان من حقنا نحن المعنيين بالامر — واظن الدكتور متفقا معي فى هذا — أن نحرص على أن يكون الحديث عنا فيما وقع عليه الاختيار سليما لا تشوبه شائبة . لذلك رأيت أن اقف وقفة قصيرة أمام بعض النقط التي استلفتت نظري أثناء قراءة **صفحات مغربية** دونما تصنيف أو استقراء ...

فى ترجمة المنصور الذهبي . وهي أطول وأهم ترجمة فى الكتاب — نحو 20 صفحة — تعترضك هذه العبارة المشوشة : « ظلت شواطىء المغرب الشمالية والشمالية الغربية موضع نزاع ومنافسة بين الاسبان والعثمانيين (1) » . وكلنا يعلم أن شواطىء المغرب فى تلك الجهات لم تكن قط موضع نزاع بين الاسبان والعثمانيين . اذ لم يكن الاسبان يحتلون من شواطىء المغرب على عهد الملك البرتغالي سبستيان — وهو العهد الذي يتحدث عنه المؤلف — سوى مدينة مليلية . ولم يملك العثمانيون قط اي ثغر مغربي ، اللهم الا ما كان من التجاء الاخوين عروج وخير الدين اثناء اغارتهما على الاندلس الى حجر باديس . وهي — آنذاك — جزيرة صخرية صغيرة بالقرب من الشواطىء المغربية بين مليلية وسبتة . ولكي يؤمن الاسبان شواطئهم من اغارات الاتراك سعوا الى احتلال حجر باديس ، وقاموا ضدها باغارات بحرية متكررة لقيت مقاومة عنيفة من طرف السكان المغاربة — حسب المصادر الاوروبية نفسها — ولا ذكر اطلاقا لاشتراك الاتراك فى تلك المعارك من قريب أو بعيد . وليس هناك الا تهمة باطلة — من جملة تهم كثيرة — رمى بها بعض المغرضين من المؤرخين الاوروبيين الملك السعدي ، ورددها مؤلفنا بقوله : « فقد استعدى الغالب الاسبان على الاتراك (2) » .

وفى الحديث عن مقدمات معركة وادي المخازن ذكر المؤلف « ان يوحنا الثالث ملك البرتغال (1521 — 1557 ) تخلى عن المناطق التي كانت بلاده قد احتلتها على شاطىء المغرب لانصرافه الى العمل البعيد .. وخلفه على العرش سبستيان (1557 — 1578) الذي اراد أن يعيد امجاد اسلافه فى المغرب ، فكان يرنو الى تلك البلاد بنظره ، دون أن يقوم بأي عمل .. » (3) حتى استعان به محمد المتوكل فلبى النداء . والواقع ان البرتغاليين لم يتخلوا عن بعض الشواطىء المغربية زهدا فيها وانصرافا الى العمل البعيد ، وانما اضطروا الى ذلك اضطرارا بعد أن فتح السعديون ضدهم واجهتين حربيتين ، أولاهما فى بلادعبدة بقيادةاحمدالاعرج، والاخرى فىسوس برآسة محمد الشيخ . وجرت فى بلاد حاحة والشياظمة من عبدة معارك طاحنة طوال سنتين (923 — 924 / 1517 — 1518) بين الوطنيين المجاهدين ، والبرتغاليين ومن انضم اليهم من المارقين بقيادة يحيى بن تعففت . فكان الانكسار البرتغالي الاول بعد ان هلك كل من حاكم آسفي Lopez Barriga والقائد يحيى ابن تعففت ، واحتمى الباقون بالاسوار منتقلين بذلك من طور الهجوم الى طور الدفاع . وطال امد المعارك فىسوس 25 سنة (923—948/ 1517 — 1541) وتعددت الوقائع بين السعديين والبرتغاليين ، كانت الحرب فيها سجالا بين الفريقين ، الى أن تمكن البطل محمد الشيخ يوم 12 مارس 1541 من تحطيم قوى الاحتلال فى حصن فونتي (أكدير) والقاء من تخطته المنية من المنهزمين الى البحر ليتشبثوا بالمراكب البرتغالية المدبرة الى غير رجعة . فكانت الضربة القاضية على سياسة التوسع البرتغالي فى المغرب وأصدرت لشبونة الامر بتجميع قواتها فى البريجة (الجديدة الحالية) ، وطنجة ، وسبتة . والانسحاب من آسفي . وآزمور ، والعرائش والمعمورة . وقد اعترف بتبخر احلام المستعمرين البرتغاليين وحبط سياستهم العدوانية فى المغرب حتى المتعصبون من مؤرخي الافرنج (4) . ثم ان سبستيان الطامع فى استعادة ما خسرت بلاده فى المغرب لم يبق (بدون عمل) ينتظر محمد المتوكل ان يستنجد به ، بل صرف همه الى اعادة الكرة على المغرب منذ ان أمسك بيده زمام الامور . قبل ان يتصل به المتوكل بأربع سنوات — بحملة تمهيدية فى المغرب حيث اقام بضعة اشهر فى سبتة وطنجة ، واشترك فى مناوشات حربية مع المجاهدين المغاربة ببلاد الهبط ، تكشف له عن شدة مراس هؤلاء واستماتتهم فى الدفاع عن حوزة الوطن . فأخذ

---

1) صفحات مغربية ، ص 56 .
2) المصدر السابق فى نفس الصفحة
3) المصدر السابق ، ص 57 .
4) انظر مثلا : H. Terrasse, Histoire du Maroc, 2 : 162-164

اسماء الادباء الذين لقيهم فى مراكش وفاس ، وبعض آثارهم الادبية اثناء رحلته قبيل وفاة المنصور ، كافية للتعرف على مدى الثروة الادبية الضخمة فى المغرب آنذاك . وربما كان ابو الحسن الشامي الذي اختاره مؤلف الصفحات ثالث ثلاثة ، اقل ادباء ذلك العصر آثارا معروفة لدينا اليوم — ولو أن المقري ردد ذكره فى **نفح الطيب وازهار الرياض** — . ونحن نعتز به (وبأصله الشامي) اعتزازنا بابن ميمون الغماري دفين جبل لبنان ، ونشير الى ان الاسرة الشامية عاشت فى المغرب قبل عهد المنصور بمدة غير قصيرة وما تزال حتى اليوم متفرعة فى فاس وغيرها من مدن المغرب ..

نجتزىء بهذا القدر لتعذر تتبع كل موضوعات الكتاب فى هذه العجالة ، ونود قبل ان نطوي الصفحات الى ان ننبه الى هفوات حول اعلام حرفت — ربما كانت المطبعة مسؤولة عن بعضها — مثل البريجة (كتبت البريغة) وابن عسكر (حذفت كافه) وعلى ابن محمد التمكروتي (كتب التامفروتي) وابو العباس ابن القاضي (اسقطت منه كلمة ابن) وخلفون (كتبت بالحاء المهملة) ... ونشير الى طريقة المؤلف فى الاتيان بنقول طويلة يضعها بين قوسين ولا ينسبها الى أصحابها (13) . أو يستعمل فى ذلك عبارات مبهمة كالنسبة الى أحد المؤرخين (14) . أو أحد كبار المؤرخين الغربيين (15) . واذا كان ذلك من ضرورة المحاضرات الاذاعية — مثلا — فان الانسب أن تراجع قبل دفعها الى المطبعة لتخرج فى كتاب ، وتزود بهوامش تبين مصادر وأرقام صفحات النصوص المقتبسة ، ويعاد النظر فى الفصول المكتوبة قبل سنوات لتصحح على ضوء ما جد فى موضوعها : فاليوسي لم يحج مع ( المعتصم ابن السلطان ) وانما رافقه ابنه محمد اليوسي الذي كتب الرحلة الحجازية واتى فيها بنص اجازة والده الحسن اليوسي لاشهر علماء الازهر اذاك محمد الخرشي صاحب الشرح المشهور لمختصر خليل (16) . ولم يؤلف اليوسي كتابا فى الهيئة ، وانما وهم الاستاذ بيرك فى قراءة ترجمة اليوسي المكتوبة فى الصفحة الاولى من **القانون** المطبوع على الحجر بفاس فحرف **كتاب فى الهيللة** الى كتاب فى الهيئة (17) ، وتبعه مؤلفنا فى ذلك . كما تبعه فى عد **القصيدة الرائية** من الحكم الصوفية ، وهي رثاء الزاوية الدلائية (18) ، واعتبر ككتب فقهية **التعليق على شرح كبرى السنوسي ، ومشرب العام والخاص** ، مع أن موضوعهما علم التوحيد (19) ... ولعل اهم فصل كانمن المؤكد مراجعته — بالنسبة الينا — هو المتعلق بجامعة الرباط والتعليم العالي فى المغرب . اذ هو يحتوي على أرقام لم تعد تعبر عن واقع التعليم العالي ببلادنا ، لاعتماده على احصائيات سنتي 1958 — 1959 . وكان بامكان المؤلف — وقد قضى شطرا من عطلة الصيف الماضي بالرباط — ان يحصل بسهولة على احصائيات جديدة ، وفيها يجد أن كلية الآداب وحدها تضم 2.581 طالبا وطالبة .

وبعد ، فهذه ملاحظات عابرة أوحت بها قراءة **صفحات مغربية** لا ترمي الى التعريف والتعقيب بقدر ما تستهدف اثارة همة الدكتور زيادة ، حتى يولي بلادنا اهتماما اكثر فى نشاطه العلمي ويخرج لنا كتبا أخرى عن المغرب لا تقل عمقا وطرافة عن مؤلفاته فى الموضوعات المشرقية .

الرباط — **محمد حجي**

---

(13) انظر مثلا صفحات 13 — 19 — 20 — 23 — 43 — 59 — 62 — 67 .
(14) ص 47 .
(15) ص 21
(16) ارجع الى كتاب **الزاوية الدلائية** ، ص 105 .
(17) المصدر السابق ، ص 102 . — هامش — .
(18) نفس المصدر ، ص 104 . هامش رقم 89 .
(19) **صفحات مغربية** ، ص 100 . والزاوية الدلائية ص 102 .

اسطول الارمادا الاسباني يرجع الى المساعدات المادية المهمة التي قدمهاالملك السعدي لحليفته ملكة انكلترا. وعلاوة على الرسائل الكثيرة فى الموضوع التي تزخر به مجموعة **مصادر غير منشورة لتاريخ المغرب** — السلسلة الانكليزية — . فقد سجل هذه الحقيقة مؤرخ مغربي معاصر كان فى نفس الوقت أمين سر المنصور ووزيره ، وهو عبد العزيز الفشتالي فى كتاب **مناهل الصفا** (11). على انه كانللمنصور فى قضيةابن اخيه الناصر المقيم فى اسبانيا تاكتيك سياسي آخر بالتشويش على فيليب بامكان اثارة المطالب بعرش البرتغال ضده (12) . وفعلا كان المطالب بالعرش الدون انطونيو ملتجأ الى البلاط الانكليزي ، وابنه كريستيان مقيما ببستان المنارة فى مراكش طوال سنوات كانت الاتصالات السرية مستمرة بين المنصور وايليزابيث فى تحديد المبالغ المالية اللازمة لتهييء العدد والعدد من اجل الاجلاب على الملك الاسباني من الخارج والداخل . وحتى قضية الهند التي ظن المؤلف انها كانت السبب فى صرف همة اليزابيث عن اسبانيا وجيرانها — المغرب ؟ — فان المنصور كان فى الواقع مشاركا فيها مشاركة فعالة ، وتبادل فى الموضوع مراسلات عديدة مع ايليزابيث ، لوضع الترتيبات الكفيلة بنجاح حملة مغربية — — انجليزية لاحتلال الهندواقتسامها بين الامبراطوريتين البريطانية والسعدية . وقد املى هذا التعاون ضرورة ملحة باحتياج كل من العاهلين الى الآخر فى تلك العملية العسكرية العظيمة . فايليزابيث كانت بحاجة الى ذهب المنصور ، وهو لا غنى له عن اسطولها العتيد لقطع المحيطات . وطال الحوار بينهما فى ذلك ، بسبب رغبة اليزابيث فى الاستئثار بمباشرة الغزو على أن ينال العاهل المغربي حظه من الغنيمة بعد . ويأبى هو الا ان يشارك جنده جنبا الى جنب لمقاتلة الانجليز ، ويسند فى احدى رسائله الاخيرة لملكة انكلترا وجهة نظره بأن الجنود المغاربة اقوى على تحمل حرارة الهند من الجند الانكليز الناشئين فى منطقة باردة ، وبأن كثيرا من الهنود وجيرانهم يعتنقون الاسلام فلا ينفرون حينئذ من اخوان لهم فى الدين . ويضيق المقام عن تعداد النصوص المعاصرة بخصوص مخطط المنصور فى غزو اسبانيا واسترجاع الاندلس ، سواء من رسائل المنصور نفسه ، أو من آثار المؤرخين والادباء الذين عاشوا فى بلاطه ، ولم يكن ذلك وليد امنية عابرة (دغدغت) المنصور بعد أن مد اليه الخليفة العثماني يد السلم والصلح ، وسعت اليه الملكة الانكليزيةبالحلف والتعاون ، خلافا لما توهمه عبارة الصفحات .

ومع اعترافنا بأن ترجمة ملك عظيم كالمنصور لا تفي بها صفحات معدودات ، فاننا نلاحظ غمطا بينا فى جانب الرجل وفى جانب عصره الذهبي باختيار أمثلة تافهة فى بعض النواحي المهمة . فالطب بالمغرب آنئذ أجل من أن يستدل عليه بانقاذ محمد الطبيب حياة الملك المريض . أو برسالة يشرح فيها المنصور لابنه طرق الوقاية من الوباء المنتشر . فلماذا لا يشار ولو فى سطور الى وجود هيئة طبية عظيمة منظمة فى مراكش ، يرأسها أبو القاسم الوزير الغساني صاحب التآليف الخالدة ، **كالروض المكنون** فى الحميات والاورام ، **وحديقة الازهار فى شرح ماهية العشب والعقار ، ومقتطف ريحانة الجيوب فى العقاقير والعشوب** . والى جانبه عبد الغني بن مسعود الزموري مؤلف كتاب **الفائق المقيد فى علاج الحصى بقول سديد** . وأبو القاسم الفشتالي صاحب **حافظ المزاج ولافظ الامشاج بالعلاج** ، وعلي بن ابراهيم الاندلسي صاحب الارجوزتين الطبيتين فى خواص الخضر والفواكه ، وطبائع الاعشاب ومفعولها فى مداواة مختلف الامراض ... وكذلك الشأن فى علوم الفلك والهندسة والرياضيات التي اشار اليها المؤلف اشارة عابرة ، وكأنها لم تعرف اذاك عشرات الجهابذة المتخصصين الذين غصت رحاب مجالسهم التعليمية فى المساجد والمدارس ، وخلفوا مجموعة ضخمة من المؤلفات المفيدة ، أمثال ابن حميدة المطرقي ، واحمد بن التقليتي ، والحسن المسفيوي ، وعبد الرحمن البعقيلي ، وعبد القادر الطليط وغيرهم . اما الادباء فما اكثرهم فى ذلك العصر الزاهر . ونظرة خاطفة فى **روضة الآس** التي اثبت فيها احمد المقري

---

11) النسخة المخطوطة الموسعة ، ميكروفيلم المكتبة العامة بالرباط ، رقم 779 .

12) من المعلوم ان فيليب ملك اسبانيا ضم اليه بلاد البرتغال وامبراطوريتها ، بعد هلاك سبستيان فى معركة وادي المخازن بنحو ثلاث سنوات . وظلت البرتغال تابعة لاسبانيا زهاء 60 سنة .

والانماء الروحي ، بحيث يتاح له الانطلاق نحو الاحمد والافضل ولا سيما في حدود العلاقة التي يجب ان تقوم بين المواطن العادي والمؤسسات العامة وبين هذا المواطن نفسه وزميله في الارض والوطن والرابطة القومية بل والانسانية الشاملة

ولسنا فى هذه العجالة المتواضعة فى معرض الحديث عن سيرة الامام الاوزاعي وشخصيته وتعاليمه وءارائه . فمثل هذا الحديث قد فصله المؤلف وتناوله في كتابه الموفق على نحو لا يترك مجالا للطمع في زيادة او ايضاح ، اذ ان في صفحاته التي قاربت الاربعمائة من القطع الوسط ما يفي بالغرض ويحقق المقصود ، وانما الذي يعنينا الان ، هو تقديم الكتاب من خلال القيمة العلمية التي تحلى بها والروح البناءة التي رافقت جهود الاستاذ طباره فيما اخذ نفسه به وهو يؤلف كتابه . فلقد اعطى المؤلف الكريم موضوعه الطريف جاذبية خاصة جعلت القارىء يقبل عليه بشوق اكيد ورغبة كبيرة وهو على ثقة مما تقع عليه عينه واطمئنان الى ما يجد فيه من معلومات وحقائق ووقائع دون ان يراوده الملل او السأم او تطرف عنه رغبة ظاهرة او باطنة تدل على ان المؤلف يريد ان يتحول به الى غير الهدف العلمي الصريح الذي عبر عنه الكتاب نفسه من اول سطوره الى آخر كلمة فيه !

ولا يسعنا ونحن نتحدث عن الكتاب وصاحبه الا ان نربط بينهما وبين المحيط الانساني والاقليمي الذي يكتنفهما ونعني بهذا المحيط الواقع اللبناني بما له وما عليه من ملابسات تتدافع فيها التناقضات من كل حدب وصوب وان هذه التناقضات هي من الكثرة والتداخل جعلت كثيرا من المراقبين يصرون على ان يدمغوا لبنان بما تواضعوا على تسميته بالطابع الخاص. واني وان كنت لا اقر هؤلاء المراقبين على ما دمغوا به بلدي بصبغة مطلقة فانه يبدو لي ان هذا البلد لا يخلو بالفعل ، من سمات نفسية تجعله غير متكامل الشخصية الروحية فهو من هذه الناحية يفرض على الاقلام التي تعالج الموضوعات المتصلة بطبيعة تكوينه البشري الحذر ويجعلها مضطرة لان تاخذ بحسابها المضاعفات الانفعالية التي تتركها كل كلمة تقال او كل سطر يكتب

ومن هنا تبدو لنا حساسية الموضوع الذي تولى الاستاذ شفيق طباره كبره ولباقته في معالجة هذه الحاسية ، والتوفيق البعيد الذي اصابه المؤلف في هذا الصدد يحملنا على اعطائه قدره من التنويه والثناء واكبار الجهود المشكورة التي بذلها فى كل فصل من فصول الكتاب وفي كل موضوع من موضوعاته ليأتي محققا للغرض منه لا في الاتجاه التاريخي فقط ، بل في الاتجاه الانساني والوطني كذلك !

اجل . ان الاستاذ شفيق طباره الذي اضطربت جوانحه بالاعجاب العميق بعبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي كان حريصا على ان يقدمه لمواطنيه في بلده لبنان ، على انه بمواقفه من السلطان الحاكم ، وءارائه فى النظام القائم ، مدرسة قائمة بذاتها شعارها الشجاعة والصراحة والكرامة وان الحق يعلو ولا يعلى عليه ليكون الامام اليوم كما كان في الامس البعيد اسوة حسنة لابناء الجيل الحاضر والاجيال الاتية فتكون الاوزاعية التي وسم بها مذهبه وصدر عنها في كتبه مرة اخرى في المكان الذي اباح لها من قبل ناصية البقاء والخلود على تقلب الايام والاحداث ، وتفرض نفسها من جديد عبر لبنان الى دنيا العروبة والاسلام ، ليس بقوة الحديد والنار . ولا الارهاب والاكراه . بل عن طريق المنطق السوي والحجة الدامغة والاسلوب الذي لا يشوبه زيف الرعاية الباطلة ولا بهتان التضليل الخادع ! ..

لقد كان الاوزاعي ، كما عرفناه من خلال كتاب الاستاذ طباره امة في رجل وهذا ما جعله في قومه وزمانه ( امره اعز من امر السلطان ) وناهيك بها من مكانة لا يرقى اليها الا العظيم الذي تكاملت في نفسه ثقة العالم وجرأة الرائد وزهد المومن ولسوف تتعاقب على الارض دورة الافلاك قرنا بعد قرن والاوزاعي ثابت في مكانه من قمة الخلود كرمز شاهق على الصلابة الراسخة في اعلان كلمة الحق في وجه الحاكم النافذ ايا ما كانت نتائج هذه الكلمة في شخصه او ماله ! ..

( يا امير المومنين ، رض نفسك لنفسك ، وخذ لها الامان من ربك ، ان الدنيا تنقطع ويزول نعيمها ، ولو بقي الملك لمن قبلك لم يصل اليك وكذلك لا يبقى لك كما لا يبقى لغيرك من بعدك واعلم يا امير

# الامام الاوزاعي

## سيرته - شخصيته - تعاليمه وآراؤه

تأليف : شفيق طبارة ، تقديم الشيخ طه الولي

ذلكم هو عنوان الكتاب القيم الذي دبجته يراعة الاستاذ شفيق طباره ليسد به فى المكتبة العربية فراغا ملحوظ طالما احس به المعنيون بالدراسات الاسلامية ولا سيما اولئك الذين يتتبعون منهم سير العظماء من افذاذ العلماء واهل الفكر الذين كان لهم نصيب في حقل التشريع والنظم الدينية في العصور الاسلامية الاولى ، والكتاب الذي اتحفنا به الاستاذ طباره صدر مؤخرا عن مطابع بيروت . ونحن في زمن تتوافر فيه المحاولات لجلاء الأصول التاريخية للمذاهب الفقهية التي تركت ظلالها العميقة على المجتمع الاسلامي في مختلف ادواره وعصوره

وان مثل هذه الدراسة المركزة لواحد من ابرز ائمة الفكر في الاسلام ، جديرة بان تلفت الانظار في زمن يتطلع به الناس الى الطريقة التي عالج بها هذا الامام العظيم المشكلات التي واجهت معاصريه فى القرن الثاني للهجرة ، وهي مشكلات تكاد تتكرر في كل زمان ومكان على نحو واحد وان اختلفت مظاهرها العابرة بين عصر وآخر .

فالجيل الذي عايش الامام الاوزاعي منذ حوالي اثنى عشر قرنا من الزمان يكاد لا يبتعد فى ظروفه واوضاعه عن الجيل الذي نعيش معه اليوم ، لان الانسان هو الانسان ، قد يتغير اطاره الاجتماعي ولكن نظرته الى الحياة والوجود تبقى دائما نابعة من تطلعه النهم الى اعتماد نظم يرتاح اليها ويطمئن الى جدواها فى تامين قاعدة منطقية تصلح للاستقرار والازدهار والسعادة .

وعلى هذا فان كتاب الامام الاوزاعي لمؤلفه الاستاذ شفيق طباره ليس غريبا عن الزمن الذي ظهر فيه بل هو متصل به اشد اتصال مما يجعله بحق احد كتب الموسم الفكرية التي تساعد الناس على ايجاد الحلول التي تمكنهم من تلمس افضل الوسائل في تنظيم شؤونهم الاجتماعية فى حياتهم ، والتغلب على ما يعترضهم من صعوبات ومتاعب وارتباكات

وليس من شك في ان الامام الاوزاعي ، كما يتفق اكثر النقاد الاجتماعيون ، ترك من الاثار والاراء ما هو جدير بان يتخذ منه المصلحون مباديء معقولة لارساء المجتمع الراهن على قواعد مكينة من العدالة والتعاون

اهل الكتاب ، هودا كانوا ام نصارى ، لولا هذا الدفاع لما بقي في هذه الرقعة من بلاد الشام ولا في غيرها من ار الاسلام تلك الاقليات التي يحاول الاجنبي ان يعيث ى اوساطها فسادا وافسادا نكاية بالمسلمين وطمعا فى بلادهم واموالهم !

وبعد ان وقفنا على جرأة الامام الاوزاعي في اعلان حكم الدين مع غير المذنبين ولو كانوا ذميين كما وقفنا على انتصار صالح بن علي الوالي العباسي على نفسه التي عصفت بها شهوة الانتقام من الذين وضعوا سيوفهم في خدمة اعداء الامة والوطن ، وطأطأ راسه خاضعا لما شرعه الله من نظام لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

بعد ان وقفنا على هذا كله ، فانه لا تثريب علينا ، نحن سرنا مع قافلة الزمن بضعة قرون من السنين لنرى ما ذا حدث في جبل لبنان بالذات على عهد الاحتلال الصليبي ، هذا الاحتلال الذي اتخذ من صليب الفداء ، عاصفة هوجاء ، دكت جميع ما صادفته امامها من معالم الحضارة والرحمة والانسانية باسم الرسول الذي كانت حياته كلها معالم حضارة ورحمة وانسانية

ان الصليبيين ما كادوا يطاون بيروت بعدوانهم الاثم سنة (1291م) وسيوفهم لما تستقر بعد فى اغمادها ، بحدوا في انكفاء امرائها البحتريين الى المشارف محيطة بالمدينة من الجبال القريبة ، ما يبعث فيهم الثقة بالاستقرار اوضاعهم فى البلاد العريقة ولم يطل تفكيرهم بحثا عن الوسيلة التي تبعد عنهم اسباب الخوف والقلق وتردهم الى روعهم لا يخافون ثورة المغلوبين ولا يتوقعون انتفاضهم ، وما كانت هذه الوسيلة لتختلف عما الف الغربيون من الوقيعة بالخصم عن طريق استدراجه الى حيث لا يستطيع الدفاع عن نفسه ولا المقاومة . ثم البطش به والقضاء عليه حتى لا تقوم له من بعد قائمة تخشى او يحسب له حساب ، وهكذا كان !

وهنا اترك الاب ( لا منس اليسوعي ) يروي لنا الاسلوب الذي اختاره الصليبيون للتخلص من اصدقائهم ( الالداء ) بطريقتهم الخاصة ، حتى تاتي الرواية التاريخية من شخص لا ترقى الى عاطفته الصليبية شبهة ولا شك ! .. قال ( لاشيء ) :

« تخيل الصليبيون طريقة موافقة اثرت دون شك في الشرقيين اعرف الناس بتقدير القوة .. ان امير باروت (2) ( بيروت ) كان يهم بتزويج احد ابنائه ، فدعا جميع الامراء المجاورين ( كآل لمبارياك ) سادة جبل ( جبيل ) وسادة ( سايت ) ( صيدا ) وذوي اقطاعاتهم ولم يكن من اللائق ان ينسى امراء الغرب ( البحتريين ) ولا يخفى ان اعراس الصليبيين كانت غاية من الابهة والفخامة . وقد لبت رجالات البلاد الدعوة وفى جملتهم امراء الغرب وكان لديهم السلاح الفاخر والخيول المطهمة ولم يكونوا ليتراجعوا عن التفاخر بها امام سادة ( باروت ) وسكانها فيتنافسون واولئك الفرسان لابسي الخوذ الفولاذية وحاملي الريش ، ملوك الفرنج .

فلما كان وقت العرس ، نزل الثلاثة ( امراء آل بحتر ) الى بيروت فانزلهم صاحبها في بستان بظاهر البلد واعتذر لهم عن ايوائهم خارج البلدة لكثرة ما اجتمع فيه من طوائف الفرنج لوليمة العرس وزاد في اكرامهم

ولما دخل الليل سالهم الحضور ، الى مجلس خاص قد هيء لهم ولملوك الفرنج فدخل الثلاثة الى القلعة ومعهم نفر قليل فكان اخر العهد بهم وركب صاحبها ( باروت ) بمن عنده من جموع الفرنج في صبيحة تلك الليلة وطلعوا الى الحصن وكان خاليا من الرجال ، فهرب من كان به من النساء ، فنهبت الفرنج الحصن وهدموه والقوا حجارته في الوادي ولم يبقوا له على اثر واحرقوا القرى واسروا من تخلف اهـ »

هاتان واقعتان شهدت احداثهما ارض لبنان في عهدين متناقضين وجد فى احدهما امام صادق الايمان بدينه فحال بين الحاكم وظلم اهل ذمته بينما لم يوجد في العهد الثاني من يتجرأ على الطغاة السفاحين فيردعهمعن الغدر بالامراء البحتريين الذين ذهبوا ضحية لياقتهم في تلبية دعوة ذلك الصليبي الذي لم يرع للضيافة حرمة وخفر بذمة اشخاص جاءوا يشاركونه افراحه ويزيدون من مقامه امام ابناء بلدته وعترة دينه ، بحضورهم زواج ابنه !

المومنين ان السلطان اربعة ، امير يظلف نفسه وعماله ، فذاك له اجر المجاهدين في سبيل الله ويد الله باسطة عليه بالرحمة . وامير رتع ورتع عماله ، فذاك يحمل اثقاله واثقالا مع اثقاله . وامير يظلف نفسه،ويرتع عماله، فذاك الذي باع آخرته بدنيا غيره . وامير يرتع ويظلف عماله ، فذاك شر الاكياس ( يعني الاربعة ) ( .. واعلم يا امير المومنين انك قد ابتليت بامر عظيم لو عرض على السموات والارض والجبال لابين ان يحملنه واشفقن منه . فاعيذك بالله ان يخيل اليك ان قرابتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تنفعك مع المخالفة لامره ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يا صفية عمة محمد ويا فاطمة بنت محمد ، استوهبا نفسيكما من الله ، اني لا اغني عنكما من الله شيئا ، وقد سأل جدك العباس النبي امارة على مكة والطائف فقال له : يا عباس ، يا عم النبي ، نفس تحييها خير لك من امارة لا تحصيها ، هي نصيحة منه لعمه ، وشفقة منه عليه

ويتابع الاوزاعي عظته البالغة ويقول : ( ان اشد الشدة القيام بالله بحقه وان اكرم الكرم عند الله التقوى ان من طلب العز بطاعة الله رفعه ، ومن طلبه بمعصية الله اذله ووضعه . هذه نصيحتي يا امير المومنين ان قبلتها فلنفسك عملت ، وان رددتها فنفسك بخست . والله الموفق والمعين عليه

كلمات كأنها قدت من جبهة الاسد لا رياء فيها ولا ملق . ولا زلفى ولا خور . وانما هي الجرأة تضيق عن روعتها الحروف التي نظمتها في معانيها ، بها واجه امامنا الفحل ، خليفة عصره ابا جعفر المنصور الذي وطد بهيبته الاساس لملك بني العباس ، وهي كلمات لا يتطال الى حمل تبعاتها الجسام فى وجه ملك الانام الا من كان مثل الاوزاعي الامام في الانتصار للحق على الخلق كافة . ولو كان فيهم ابو جعفر المنصور الذي خضب سيفه بدم قرن الطغاة في دولته ، ابي مسلم الخرساني الذي لولاه لما كانت لابي جعفر دولة تنمى الى جده العباس بن عبد المطلب في التاريخ !

وسيبقى الكتاب ، ما استمسكت في ايديهم قوائم الاقلام ، ينوهون بالموقف البطولي الحاسم ، الذي تصدى له الامام الاوزاعي فى بلاط عامل العباسيين على الشام حينما استبدت بهذا الاخير ثورة الغضب على عملاء الاجنبي ممن دسهم البيزنطيون على اهل لبنان وكاد يصدر امره القاطع بطرد هؤلاء العملاء ومعهم من يمت اليهم بنسب القربى في العشيرة او الولاء بالمذهب لولا ان تداركه الاوزاعي امامنا الكبير باي من الذكر الحكيم كانت فيصلا بين قصاص المجرمين والعفو عن باقي الابرياء من المتهمين بذنب لم يقترفوه ! ..

فقد روى الواقدي عن سعد فى طبقاته انه : خرج بجبل لبنان قوم شكوا عامل الخراج في بعلبك ، فوجه صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، من قتل مقاتلهم واقر من بقي منهم على دينهم وردهم الى قراهم .. واجلى قوما من اهل لبنان .

وان محمد بن كثير حدث : ان الاوزاعي كتب الى صالح المذكور رسالة طويلة حفظ منها :

« .. وقد كان اجلاء اهل الذمة من جبل لبنان ممن لم يكن ممالئا لمن خرج على خروجه ممن قتلت بعضهم . ورددت باقيهم الى قراهم ما قد علمت . فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة ، حتى يخرجوا من ديارهم واموالهم وحكم الله تعالى ان لا تزر وازرة وزر اخرى وهو احق ما وقفت عنده واقتديت به واحق الوصايا ان تحفظ وترعى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قال : « من ظلم معاهدا وكلفه فوق طاقته فانا حجيجه ! »

مقالة اطلقها الامام الاوزاعي من وحي القرءان لتكون شرعة انسانية على اسسها قامت مؤسسات العدل في كل مكان العقوبة لنفس المذنب فلا يجوز ان تنقل منه الى غيره ، ولو كان ذا قربى او قرين الايمان والدين ولكل عقوبة سبب ، فلا يقبل من حاكم ان يلتوي مع نزوة الهوى او ينزلق في ثورة الغضب ليدين قوما بسبب ما اقترفه سواهم الا اذا كانوا مظنة للاذى او ذريعة الى الفساد . هذا هو حكم الاسلام . وما كان الامام الاوزاعي ليحضى من حكم دينه في سبيل مرضاة اميره .

ولقد كان لدفاع الامام الاوزاعي عن ذمة المسلمين من نصارى لبنان ما بعده اذ لولا هذا الدفاع الجريء عما شرعه الاسلام فى علاقة المسلمين بمن يساكنهم من

المؤلف قد استغرقته هذه الرسالة بفيضها الالهي حتى اصبح لا يعنيه من موضوعه الناحية التاريخية التقليدية المالوفة ، وانما هو معنى بالعقل بفرض اخلاقي اسمى ابعد ذلكم هي الوحدة الوطنية في قومه وعشيرته الاقربين بلبنان مع رغبة صادقة وامل مخلص في ان تتسع هذه الوحدة وتنتشر حتى تبسط ظلالها الوارفة ليس فقط على ابناء وطنه المعدودين بل على سائر البشر من كل جنس ومن كل لون ومن كل مذهب ليعيشوا جميعا في رحاب وحدة انسانية شاملة ، تصدر عن الخير وتسعى اليه ، لا تقفها النزعات الفردية والاقليمية بافات الاثرة والعداوة والتحديات القومية ولا تشدها الى التنافر والتخلف رواسب البهيمية الغشوم التي كانت تمسك بتلابيب وجود الانسان يوم كان اسير الخوف والطمع بين الصخور العاتية والادغال المظلمة ...

ويزكي المؤلف رغبته في تاليف القلوب واشاعة المحبة بين الانسان واخيه الانسان ، بكلمة رئيس اخبار النصارى الكاثوليك في العالم البابا ( بولس ) السادس التي نشرها في صحيفة الفاتيكان ( ديلو سير فاتوري رومانو ) بتاريخ 3 كانون اول 1965 والذي يقول فيها هذا الحبر المسيحي الكبير :

« يجب ان لا يتجه اهتمامنا نحو التناقضات القديمة ان الحاضر والمستقبل يواجهاننا بمهمة وهدف رفيعين جدا ، وهما يستوجبان التخلي عن كل تنافر عقيم لبناء عالم اكثر عدالة وسلاما واخوة »

ويعقب الاستاذ طباره على ما ختم به البابا رسالته التاريخية بقوله :

1 ) « ان هذه الكلمات البليغة المقتطفة من رسالة قداسة البابا ( بولس ) السادس تستوقف كل انسان يفكر باخلاص ومحبة في تاخي الشعوب واقرار السلام العالمي . وهي تدل دلالة واضحة على ان العلاقات بين الدين الاسلامي والدين المسيحي قد دخلت من باب النصوص الى عهد يذكرنا بالتسامح الذي كان سائدا بينهما في صدر الاسلام ، فليس على المومنين بهما بعد الان الا الاتقاء في تصرفاتهم الى مستوى الرسالات السماوية القائمة على الهدى والمحبة والسلام ! .

اما بعد

فلست ازعم ان هذه السطور المحدودة جاءت كفاء مايستحقه الجهدالكبير الذي انفقه الاستاذ شفيق طباره في وفاء الدين التاريخي الذي بقي عالقا بذمة اهل بيروت نحو الذي اتخذ من تراب بلدهم مثوى كريما يوم اختاره الله الى جواره اجل ، ان للامام الاوزاعي فى رقاب اهل بيروت فضلا عن بقية المسلمين ، حقا بقي معلقا الى ان ندب استاذنا نفسه ليحمل عن اهل بلده عبء هذا الواجب المقدس وجعل من المعلومات المتفرقة هنا وهناك في بطون الاوراق والاسفار كتابا كاملا قشيب الحلة موفور المادة تدعمه المصادر الموثوقة فيما يرويه من خبر او اثر ، ويزينه اسلوب انيق لا تنقصه العبارة السليمة ولا تعوزه الفكرة الجميلة ، وانه لكتاب تضافرت بين جنباته اسباب النجاح والتوفيق وقد ضم بين دفتيه اللتين تفصلهما ثلاثمائة وسبع وستون صفحة من متوسط القطع تفاصيل حياة الامام الاوزاعي ومذهبه التشريعي الذي قر به نظم الاسلام واهدافه كما شرح مواقف هذا الامام الاخلاقية والانسانية تحت ظلال السيوف التي كانت ما تزال بعد تشخب بدم الصراع المميت بين بيتين عريقين يتنازعان الملك والسلطان

وخلاصة القول ان الاستاذ شفيق طباره قد استطاع ان يجعل من كتابه الذي نحن بصدده ، مرجعا لايستغنى عنه في دراسة التشريع الاسلامي من خلال « الاوزاعية » التي استطاعت ان تفرض نفسها عبر المشرق العربي ومغربه حتى اقاصي الاندلس في عصر امامها نفسه . واستطاعت كذلك ان تثير فضول المفكرين اليها وان تكون حديث الناس فى هذا العصر الذي صدر فيه كتاب الاستاذ طباره بعد فترة من الزمان طوت من تاريخ البشرية الفا ومائتين من السنين المضطربة بين التقدم والتخلف في حياة الانسانية

ان الاستاذ شفيق طباره جعلنا نعيش معه في كتابه القيم « الامام الاوزاعي » برفقة امام عظيم ما تزال اراوه في الكون والحياة والدين تشع بالجدة والطرافة كانها احدى ظواهر الفكر الحديث في العالم المتمدن ، وانها لتراود اذهان رواد الاصلاح في دنيا العروبة والاسلام كلما حاولوا تنظيم المجتمع على اساس متين من الادراك والمنطق والواقع والامل في مستقبل افضل

حكمنا فكان العدل منا سجية
فلما حكمتم سال بالدم أبطح
وحللتم قتل الاسارى وطالما
كنا على الاسرى نمن ونصفح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا
وكل اناء بالذي فيه ينضح

ويكفي الامام الاوزاعي فخرا ان يكون اسمه اليوم في القرن الرابع عشر من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم . والقرن العشرين لميلاد المسيح عليه السلام ، ولعله سيبقى الى الابد عنوانا لا لبس فيه ولا غموض ، على ان الاسلام قدم للانسانية الفاضلة رجالا لايرتضون ان يجعل الحاكم من دينه مطية لاهوائه . ولا يهولهم ان يجابهوا الظالم انتصافا لخصمهم حتى لا يؤخذ بما لم تقرف يداه نزولا عند حكم الله في شرعه وقرءانه . لا يفرقون فى ذلك بين ابناء دينهم او ابناء ذمتهم لانالعدل والاحسان لايختلفان بين انسان وانسان . على اساس من لون او مذهب او جنس او لسان !

ولقد احسن الاستاذ طباره حين تناول سيرة الامام الاوزاعي من خلال المفاهيم الاخلاقية والشرعية التي تميزت بها حياة هذا العالم الكبير . فلقد كانت هذه المفاهيم قاسما مشتركا اعظم في كل اقواله وتصرفاته واحكامه وبصورة اوضح كانت المثل الاعلى الذي يلازمه سواء بينه وبين نفسه او بينه وبين سائر الناس من حاكم او محكوم وانه ليس من اليسير على المؤلف ان يقدم الشخصية التي يترجمها ، داخل اطار محكم من التوجيه الوطني السليم بحيث يتمكن من النفاذ الى اعماق هذه الشخصية حتى يخرج بها من مجرد تاريخ عادي الى ان تكون مدرسة قائمة بذاتها تاخذ بلب القاريء وتشد الى التأثر بها والانطباع بلونها حتى تجعله متجاوبا معها ومستجيبا لها وخاضعا لمعاينتها ، فلا ينتهي من قراءتها الا وهو سائر في تيارها السحري وقد التصقت روحه بروحها واصبح في عقله واحساسه الوجداني صورة واقعية عنها لا يكاد يتحرك الا بوحي من المعاني التي فرضتها عليه .

ومن يقرأ الفصل السابع من الكتاب الذي يتحدث فيه المؤلف عن ولاء المسلمين والمسيحيين عبر المسيحية والاسلام فى لبنان ، من يقرا هذا الفصل المتع ، فانه لا يستطيع الا ان يعترف للمؤلف البارع بالمقدرة العجيبة على اهتبال الفرصة لبث افكاره التقدمية القائمة على التقاء المسيحية والاسلام على صعيد الاخوة الصريحة والتعاون المتقابل والمصير المشترك ! . .

« وان مظاهر تلاقي المسيحية والاسلام منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم اكثر من ان تحصى ، وقد اكد الاسلام تبادل المنافع والمصالح بين الناس ودعا اليها فقال تعالى في كتابه الكريم : ( انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . . ) وقال الرسول الكريم : ( الناس بخير ما تعاونوا ) !

ويتابع المؤلف كلامه قائلا : ثم ان الاسلام قد اصطفى المسيحية صنوا ودعا الى تعاون وثيق بين المسلمين واخوانهم النصارى . وفي القرءان ءايات بينات تشهد بحسن ايمان النصارى وجميل مودتهم . يقول تعالى : « لتجدن اشد الناس عداوة ، للذين آمنوا ، اليهود والذين اشركوا . ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا . الذين قالوا انا نصارى . ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون ! . . »

الى ان يقول : « ولا ريب ان التعاون الاسلامي المسيحي فى التاريخ العربي كان ظاهرة بارزة فاقت كل ظاهرة حضارية في غيره من الشعوب ، فاذا تعطلت في بعض احوال والعصور المبادي السامية التي كانت سائدة بين اهل الكتب السماوية وتبع ذلك قهرواضطهاد فان ذلك لا يعيب الاديان المنزلة بل يعيب اولئك الذين اساءوا الى روح الدين وغلب عليهم الجهل والتعصب فانصرفوا عن مكارم الاخلاق ناسين ان التعصب ليس من خلق الاديان ان شعار الاديان السماوية كلها : الاخوة الانسانية . فالمسيحية محبة والاسلام رحمة وقد كان الامام الاوزاعي فى طليعة اولئك الهداة البررة الذين نشروا الفضائل وبشروا بالتآلف والمحبة والاتحاد بين فئات الناس المختلفة والتاريخ قد ذكر باعجاب واكبار فضائل الامام ومواقفه الباهرة في مثل هذه المجالات

وهكذا يمضي الاستاذ شفيق طباره في كتابه «الامام الاوزاعي » في تصميم واصرار نحو قبس رسالة الحق الذي آمن بها الاوزاعي نفسه ، حتى ليخيل للقاريء ان

# أبو العلاء عفيفي

## أديب الصوف والمتصوفين

للأستاذ محمد أحمد البوسرغيني

عالم جليل عظيم ، ودعناه بوداع سنة 1966 عالم من العلماء الافذاذ الاخيار فقدناه الى الابد . كما فقدنا غيره من الادباء والعلماء . عالم من خيرة العلماء اختطفته منا الموت كما اختطفت منا الدكتور مندور (1) وأمين الخولي ، والدكتور يوسف مراد ، وغيرهم ممن كان لهم اثر كبير فى توجيه الحركات الادبية والفلسفية نحو التقدم والازدهار فى كل انحاء العالم العربي .

أبو العلا عفيفي ودعناه الى الابد ، وسنه لا يتجاوز 69 سنة وان تجاوزها فبقليل ، ودعناه والعالم العربي من محيطه الاطلسي الشامخ الى خليجه العربي الثائر . ينظر الى هذا الرجل نظرة اكبار واحترام ، لانه اديب ، وبحاثة ، وفيلسوف ، ولانه زيادة على هذا اختص بلون واحد فى ابحاثه ، واوقف كل جهوده على المضي فيه ، حتى يحقق ذاته ووجوده ، ويكون عند الباحثين واهل التخصيص الاهتمام البالغ ، والقدوة الحسنة ، والعمل الطيب الذي ينتج نتاجا طيبا كريما ، هذا اللون الذي اختص به الدكتور أبو العلا عفيفي هو التصوف ، الذي يعتبر فى نظره الثورة الروحية فى الاسلام .

ولعل آخر ما قرأت للدكتور ابو العلا عفيفي هو كتاب « التصوف ، والثورة الروحية فى الاسلام » الذى جمع فيه البحث الرزين والاصالة العميقة ، والقوة الهائلة ، وغزارة الافكار والمعلومات .

ففي مقدمة هذا الكتاب ، يعطينا رايه فى التصوف فيقول : « ان التصوف هو أروع صفحة تتجلى فيها روحانية الاسلام ، وتفسير عميق لهذا الدين ، فيها اشباع للعاطفة وتغذية للقلب ، فى مقابلة التفسير العقلي الجاف الذي وضعه المتكلمون والفلاسفة والتغير الصوري القاصر الذي وضعه الفقهاء » .

وعنده كذلك أن التصوف « هو الثورة الروحية فى الاسلام ، لانه كان انقلابا عارما على الاوضاع والمفاهيم الاسلامية كما حددها الفقهاء والمتكلمون والفلاسفة ، وهو الذي بث فى تعاليم الاسلام روحا جديدة ادرك مغزاها من ادركه ، وأساء فهمها من أساءه » (2) .

وعلاوة على الكتاب الضخم ، ترك الدكتور ابو العلا عفيفي ، آثارا كثيرة معظمها فى المجلات . وقد قام الدكتور عبد الرحمن بدوي بجمع واحصاء آثار ابي العلا عفيفي ، فكان الناتج ما يلي :

1 — « من أين استقى محيي الدين بن عربي فلسفته الصوفية » بحث نشر بمجلة كلية آداب القاهرة سنة 1922 .

2 — « نظريات الاسلاميين فى الكلمة (Lagos) بحث نشر بمجلة كلية آداب القاهرة سنة 1924 .

3 — « جواهر الاسلام » لعضد الدين الايجي ، نشر وتحقيق وتعليق — بحث نشر بمجلة كلية آداب القاهرة سنة 1925 .

---

(1) لقد قمنا بكتابة بحث واف عن الدكتور مندور ، راجع مجلة دعوة الحق المغربية نوفمبر 1965 ، السنة 9 .

2) التصوف الثورة الروحية فى الاسلام ص : 6

ولعلني استطيع ان اهتبل هذه الفرصة لاطمع في ان تحفز بادرة الاستاذ طباره اهل بيروت لان يساهموا في تخليد امام اهل الشام عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي بما يبذلونه من عمل في احياء تراثه عن طريق مؤسسة فكرية راقية تكون مثابة لاهل العلم من المسلمين وغيرهم ، كلما ارادوا معرفة الاسلام على حقيقته والامل كبير في ان يعطي البيروتيون المثل الصالح في الوفاء لذكرى رجل منحهم دنيا وآثرهم في آخرته

واذا كانت آثار الحجارة تدل على عراقة الامم التي شادتها على مر العصور والدهور فان آثار المعرفة والعلم والثقافة اجدر بان تكون علامة على مكانة من تركها ونبراسا تضيء للانسانية سبيلها الى الخير والحق والجمال ، وها هي امكانات العمل تتوافر امام مدينتنا الخالدة لكي تستعيد سمعتها التاريخية التي جعلت منها: « ثغر الاسلام ومرابط اهل الشام » كما قال عنها الامام الاوزاعي نفسه رضي الله عنه وارضاه .

واذا كان لي ما اختم به هذه العجالة المتواضعة التي فرضها علي واجب الشكر للاستاذ شفيق طباره على ما بذله للمكتبة العربية في كتابه المرجع فاني اختم ما كتبته بالاعراب عن تقديري العميق لعلم هذا المحقق والروح العالية التي اتصف بها وهو في صدد موضوعه . واني لادعو الله عز وجل بان يتقبل منه هذا الجهد المبارك الذي بذله في خدمة المثل الاسلامي الاعلى ، الذي كان الامام الاوزاعي نفسه ، احد اعلامه البارزين في التاريخ

**لبنان : الشيخ طه الوالي**
سكرتير عام جمعية المكتبات اللبنانية

5 ــ الفصل الثاني والعشرين من كتاب تاريخ العلم لسارتـــون .

6 ــ كما ترجم من العربية الى الانجليزية كتاب «فصوص الحكم لابن عربي مع تعليقات عليه (1) .

*

وبعد جهاد طويل عاصف زاخر فى دنيـــا التأمـــل والبحث ، يودعنا استاذنا الدكتـــور أبو العلا عفيفي ، وناتيه المنية الخاطفة الجبارة فى ليلة يوم 17 اكتوبـــر 1966 عن سن يناهز التاسعة والستين ربيعا ، قضى أكثر من نصفها فى التحقيق والتأليـــف عن التصوف ، وتاريخه ، واشهر المتصوفيـــن وفى مقدمتهم ابن عربي الذي أولاه النصيب الاوفـــر من عنايته واهتمامه .

و خير ما نختم به هذا البحث الصغير عن استاذنا، القاء نظرة سريعة وموجزة على حياته ، وفيهـــا سنلمس أنها كانت كلها تثقيف وتدريس .

ولد فى الجيزة سنة 1897 . وتابع دراستـــــه الابتدائية والثانوية فى احدى مدارسها القريبة مـــن منزله. حتى حصل علـــى البكالوريا . ودخل كليـــة دار العلوم التى بقي بها الى سنـــة 1961 . فأوفـــد عقب تخرجه الى بريطانيا لدراسة التربية وعلم النفس ، وفى سنـــة 1924 حصل على دبلوم الدولة فيهما .

وفى سنـــة 1927 . نال درجة الباكالوريـــوس فى الفلسفة من جامعة كمبردج الشهيرة . وبقي بهـــا حتـــى سنـــة 1930 حيث حصل على درجة الدكتوراه فى الفلسفـــة برسالـــة عن « فلسفة ابن عربـــــي الصوفيـــة » .

وفى هذه السنة بالذات عاد الى وطنه مصـــر ، أستاذا فى كلية الاداب بجامعة القاهرة . مدرســـا للفلسفة والمنطق والتصوف بجانب أساتذة عظـــام امثال : بربيه الذي له مؤلفات فى الفلسفة وتاريخهـــا ، وروجييه . وكواربيه ، والشيخ مصطفى عبد الرزاق الذي جمع بين الثقافتين العربية والغربية ، والدكتـــور منصور فهمي الذي له مؤلفات فى الفلسفة والاخلاق وعلم الجمال ، وغيرهـــا .

وفى سنـــة 1946 عين رئيســا لقسم الفلسفة بكلية آداب القاهرة حتـــى أحيل على التقاعد فى سنة 1957 .

ونظرا للشهرة العالمية التي كان يحظى بهـــا الدكتور عفيفي انتدب للتدريس فى جامعـــة لنـــدن ، وكذلك فى كلية هاملتون بالولايات المتحـــدة الامريكية ، حيث قام بالتدريس فيهما الفلسفة الاسلامية والمنطـــق والتصـــوف .

كما عين عضوا فى المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب ، الذي بقي به الى أن انتقل الى عفو اللـــــه يـــوم 17 اكتوبر عـــام 1966 .

*

وهكذا ما كدنا نتاهب لوداع سنة 66 ، حتـــى ودعنـــا معهـــا عالمـــا جليـــلا ، واديبـــا عظيما ، وانســـانـــا معـــززا مكـــرمـــا سيبقـــــى اسمه وأثره فى سجل الخالدين مقرونا باسم ابـــن عربـــي . وتصوف ابن عربـــي ، لانـــه الرجل الذي اعجب به دكتورنا ابـــو العلا عفيفي وتاثر ، فحاز كل وقته . وماله ، وجهده . كاتبا وشارحـــا ومحققـــا ، ومعلقـــا .

فبعـــد وفـــاة الدكتـــور محمد مندور .
وبعـــد وفـــاة اميـــن الخولـــي
والشاعـــر السيـــاب .
وكامـــل الشنـــاوي
ودرينـــي خشبـــة .

والدكتور يوسف مراد ، وغيرهم من اقطـــاب الادب والفلسفة والفـــن .

نفـــاجـــا بوفاة صديقهم الدكتور ابو العـــلا عفيفـــي .

فليهنأ ابو العلا عفيفي ، وليرقد آمنا مطمئنـــا فى الفردوس الحبيب ، أن اسمه سيقرن دائمـــا باسماء العباقرة والعظماء . وأنه سيذكر كلما ذكر ابن عربي ، وانه زيادة على هذا ، سيبقى دائما وابدا من الخالدين.

**مراكش ــ محمد احمد البوسرغيني**

---

1) « ابو العلا عفيفي » مقال كتبه د. عبد الرحمـــان بدوي ، راجع المجلـــة ، عدد 120 .

4 — « المنطق التوجيهي » كتاب مدرسي ، سنة 1928 .

5 — The mystical philosophy of Muhyid Din - Ibn Arabi - Cambridge, 1939.

وهو الرسالة التي احرز بها على الدكتوراه .

6 — « الملاقية » بحث فى مجلة كلية آداب القاهرة سنة 1942 .

7 — « الملاقية والصوفية واهل الفتوق » بحث فى مجلة كلية الاداب بجامعة الاسكندرية سنة 1942 .

8 — « الاثر الفلسفي الاسكندري فى رسالة حي ابن يقظان لابن سينا » بحث فى مجلة كلية آداب الاسكندرية سنة 1944 .

9 — « نصوص الحكم لابن عربي » طبع للنص ، وتعليقات مستفيضة عليه ، فى جزئين سنة 1947 .

10 — « تاثير الكتب المنسوبة الى هرمس فى التفكير الاسلامي » بحث بالانجليزية نشر فى لندن سنة 1951 .

11 — « الناحية الصوفية فى فلسفة ابن سينا » بحث نشر فى الكتاب الذهبي الذي نشر بمناسبة العيد الالفي لميلاد ابن سينا ، سنة 1952 .

12 — « الحب والخير والجمال في فلسفة ابن سينا » مقال بمجلة الثقافة سنة 1952 .

13 — « فهرست مؤلفات ابن عربي : تحقيق النص مع تعليقات وافية ، مقال نشر فى مجلة كلية آداب الاسكندرية سنة 1955 .

14 — « بحث عن مؤلفات ابن عربي » القي بالانجليزية فى مؤتمر المستشرقين الثالث والعشرين الذي عقد فى كمبردج سنة 1954 .

15 — بحث بالانجليزية عن « التصوف بوصفه نظرية فى المعرفة وضبط النفس » بتكليف من الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية .

16 — « تحقيق كتاب البرهان من منطق الشفا لابن سينا » .

17 — فصل بالانجليزية عن « محيي الدين ابن عربي . من كتاب « تاريخ الفلسفة الاسلامية الذي أصدره م. م. شريف فى باكستان .

18 — « ابو القاسم بن قسي وكتاب خلع النعلين » بحث نشر فى مجلة كلية آداب الاسكندرية سنة 1958 .

19 — مقالات عن القشيري والملاقية وابن عربي بالانجليزية ، نشرت فى دائرة المعارف الاوردية بالباكستان .

20 — « اثر الغزالي فى توجيه الحياة العقلية والروحية فى الاسلام » — بحث نشر فى اعمال مهرجان الغزالي المنعقد بدمشق سنة 1961 .

21 — «موقف ابن خلدون من الفلسفة والتصوف» بحث القي فى مهرجان ابن خلدون بالقاهرة فى ديسمبر سنة 1961 .

22 — « شارح مجهول من شراح الرسالة القشيرية » — بحث نشر بمجلة كلية آداب الاسكندرية سنة 1960 .

23 — « الرسالة القشيرية » مقال فى مجلة « تراث الانسانية » المجلد الاول العدد السادس .

24 — «كتاب الفتوحات المكية لابن عربي» مقال نشر فى مجلة « تراث الانسانية » المجلد الاول ، العدد الثاني .

25 — « تحقيق كتاب اللطف » أحد اجزاء كتاب المغني للقاضي عبد الجبار المعتزلي سنة 1962 .

26 — تحقيق كتاب « مشكاة الانوار » للغزالي .

كما قام رحمه الله بترجمة المقالات والابحاث الاتية :

1 — « كتاب مجمل المعرفة الحديثة » تاليف أ. وولف .

2 — « مقالة اعلام من كتاب ما بعد الطبيعة لارسطو فى مجلة كلية آداب القاهرة .

3 — « كتاب المدخل لدراسة الفلسفة لاوزفيلد كولبه » .

4 « مقالات لينكلسون فى التصوف » وقد جمعهم فى كتاب بعنوان « فن التصوف الاسلامي وتاريخه .

لما رايت ذلك من الصديق ، وسمعت منه ما سمعت وثقل علي أن اكون مسيرا فيما اكتب ، صممت على عدم الكتابة فى (الافاق) ، بالرغم من تكرار السؤال .. وبقيت انتظر ما تأتي به المجلة ..

لهذا ليس ما قاله الصديق الحبابي واقعا كما تصور ، بل الواقع ما قلت ، الا ان الشيطان ينسيه ، يقول ما لم يقل او لا يقول ما قيل ، كما قيل .. وهو من الصدق بمكان عند الجماعة ، ومخالفيهم : الجاحظ والراغب والنظام ...

وذكر اني قلت فى هيئة كتاب المغرب العربي ، انهم يشعرون بفجوات فى شخصيتهم ...الخ. والواقع اني ما عنيت فى ذلك هذه الهيئة ، التي لا أعرف منها ، الا الصديق الحبابي ، والا سيدا آخر « رسميا » فيها ، اما الذين كانوا يجتمعون فى جلسات تأسيسها فاعتقد انهم انسحبوا فى صمت منها ، كما انسحبت انا فى صمت كذلك ، بعد ما انتخبت فيها (شيئا) نسيته ونسيه الدكتور ، لا محالة ، وبعد ما رايت تداخلا وتفاعلا عجيبا ، لم يعجبني انا ، فقلت عليكم السلام ، واعتقدت — وربما كنت غير محق — أن الجماهير التي تحضر فى المناسبات ، وفيها شخصيات محترمة ، تحضر على سبيل الدعوة الى الحضور والمشاهدة لا على سبيل العضوية فيها ، لهذا كنت صادقا ، لما وسمت الهيئة ، بما يدعي .. لاني كما قلت لا اعرف منها الا الفاضلين .. فلم اعن هذه الهيئة بتلك الصفة ، ولم العنها ، كما قال الصديق ، ولا لعنت احدا سواها ، بل عممت « بالناس » والمراد الخصوص ، فهو استعمال يعرف عند الاصوليين بالعموم الذي أريد به الخصوص ، كما فى قوله تعالى : « ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله »، فالهيئة انكانت هناك هيئةعلىالحقيقة، غيرمعنيةمني، ولا انا من اعدائها او ضحاياها ، حفظني الله ووقاني.

اما المثل « اللي فيه الفز تيقفز » ، فاني أرجو من الصديق ان يعفيني من عبارات « البحطيين » ، لاني لا استطيع مجاراتهم ، وان كان الغد القريب كفيلا بالقضاء على « البحطية » ، فى كل مظهر من مظاهرها ...

17 غشت 1966

تطوان : **محمد بن تاويت**

# تذنيب على تعقيب

للأستاذ: محمد بن تاويت

**كنا قد نشرنا فى عددي 6 ــ 7 من السنة التاسعة مقالا للاستاذ محمد ابن تاويت شرح فيه وجهةنظره عما صدر فى مجلة (( الآفــاق )) عن فضيحة ادبيــة تحت عنـــوان(( السماء لاتخشى )) وعقب عليــه عن اسرة الآفــاق الاستاذ محمـــدعزيز الحبابي فى العدد الثامن مــن السنة نفسهــا .**

**ثم ورد علينا فى حينه تذنيب على تعقيب الاستاذ الحبابي من الاستاذ ابن تاويت كنا آثرنا ارجــاءه لوفرةالمواد التي تضيق عنها المجلـــة .**

**واننــا اذ ننشر هذا التذنيب نرجو من الاستاذ السيد محمد بن تاويت عدم المواخـــذة على هــذا التاخيـــر ومعـــذرة ...**

قرات تعقيب الصديق الدكتور محمد عزيـــــز الحبابي . فتأثرت كثيرا لموقفه ، وشكرته فى نفســـي على حسن ظنه بي ، وشهادته التي هي فى الحقيقـــة خير من شهادتي أنا . لنفسي أنا : ابن تاويت ، الذي تردد ذكره فى المقال ، ونسبت اليه الصواعق ، واني اذ اشكره على « تزكيته » ، واعترف بفضله فى شهادته والدفاع عن شخصي الضعيف . لا يفوتني أن أعلــق على بعض القضايا التي اشار اليها فى تعقيبه المذكور .
ذكر الصديق اني كنت ضيفه فى منزله العامر ، وانه بعد ما اخبرنـــي بعزم المجلة وعدته بتحرير كلمة فى الموضوع « ارجع فيها الحق الى نصابـــه » ، وان الموعد كان بعد العشاء ، ثم بعد الفطور فى الصباح الخ.

والواقع انني وعـــدت الصديق بهـــذه الكلمة ، فتوجهت الى ادارة « دعوة الحق » وسحبت منهـــا الكلمة التي كانت ستنشرها فى القضية ، واتيت بهـــا اليه ، لكنني لما قرأتها عليه ، صار يقتـــرح علي حذف بعض الفقرات منها ، وتحوير بعضها الاخر بل انـــه اقترح علي أن أتملص من الكتاب نهائيا وأن ادعي انه مزور علي كله .. فقلت له : لا ، ان الكتاب ليس مزورا علي ، والحقيقة فيه ما نشرته بصحيفة العلم ، وهـــو ان الكتاب فى صلبه ومادته لي ، وأن المقدمة والتصميم ليس لي فيهمـــا شيء ..

فرايته غير مقتنع بذلك ، بل لاحظت عليه حرصه على ادعاء التزويـــر ( وهو ما اشار اليه فى تعقيبـــه حيث قال عن الزميل انه « المؤلف الحقيقي ..» ولـــم يكفه ذلك بل قال ، اتحسب ان النـــاس يصدقونك فى قسمك ..؟ وانه لقسم لم يكـــن له لزوم فى الحقيقـــة لكني تورطت تورطا شعبيا ، بعد التورط الادبي ، فلم يكن مني الا ان اتدرع بكل درع ، تسبغها الحقيقـــة ، ولعنة الله على الكاذبين ..

بني امثاله وامثال امثاله ، وينال من الله شرف من بني مساجد لله ويعمرها ، وان يقر عينه بولي عهده صاحب السمو الملكي الامير الجليل سيدي محمد جميع افراد أسرته ويجعل عهده عصر سعادة ورفعة وعزة لرعيته ، ولله العزة ولرسوله والمومنين . والسلام عليكم ورحمة الله .

## تدشين مسجد بقبيلة زعير

توجه معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ الحاج احمد بركاش يوم الجمعة 26 ماي 1967 الى ناحية الرماني بقبيلة زعير بقصد تدشين المسجد الذي بناه ابناء المرحوم السيد الحاج امحمد الفنيري تنفيذا لوصية والدهم .

وقد ادى معاليه صلاة الجمعة صحبة معالي نائب كاتب الدولة بوزارة الداخلية الاستاذ محمد بن العالم وسعادة عامل الاقليم ورجال السلطة المحلية وجمهور غفير من المواطنين .

والقى معالي الوزير خطبة بهذه المناسبة قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على اشرف المخلوقين وعلى ءاله وصحبه

معالي الوزير

سعادة العامل ، حضرات السادة المحترمين

ان من اكبر دواعي الغبطة والسرور ، وبواعث البهجة والحبور أن احضر اليوم هنا لادشن هذا المسجد المبارك الذي شيده ابناء المرحوم بكرم الله الاريحي الفاضل الحاج محمد الفنيري تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جناته تنفيذا لرغبة والدهم وعملا بوصيته .

وان هذه الظاهرة المباركة والعمل الجليل الذي جادت به اريحية هذا المحسن ليبرهن مرة اخرى على مدى تمكن العقيدة الاسلامية في قلوب ابناء هذا الوطن العزيز ورسوخ ايمانهم وقوة تمسكهم بدينهم الحنيف، وان الخلف لايزال ولله الحمد يسير على نهج السلف الصالح يسارع في الخيرات ، ويتنافس في المبرات ، يريد بذلك ثواب الله الجزيل وما اعده سبحانه من اجر عظيم للمحسنين العاملين ، ويريد كذلك من وراء هذه المبرات ان تبقى كلمة الله عالية مدوية في جميع الارجاء ، وتبقى شريعة الله قائمة ، ورسالة الاسلام خالدة تالدة في هذا البلد المسلم الذي لم تتحصن سيادته ، ولم تكتمل عزته الا في ظلال القرآن ، وسنة خير ولد عدنان

وان في المحافظة على هذه الشريعة أيها الاخوة ، والتمسك بهذا الدين الحنيف ، محافظة على شخصيتنا، وصيانة لعزتنا ، واعتصاما باخوتنا ، هذه الاخوة التي نسجتها يد الله سبحانه ، وباركتها عنايته الكريمة عندما قال سبحانه : « انما المومنون اخوة فأصلحوا بين اخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

واذا كان الناس على دين ملوكهم ، فان مولانا الامام امير المومنين ، وحامي حمى الملة والدين مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده قد سكب من روحه المومنة ونفسه المطمئنة بتعاليم الاسلام على ابناء رعيته الاوفياء ، فراحوا يتنافسون في بناء بيوت الله يذكر فيها اسمه ، وتقام فيها شعائره ، ويحبسون عليها من اعز اموالهم واحب ثرواتهم ، وما هذا المسجد الذي ندشنه اليوم وغيره من المساجد التي تشيد هنا وهناك في جميع انحاء المملكة الا حسنة من حسناته ، وثمرة من ثمرات غرسه المبارك .

واذا كان لكل عصر طابعه البارز ، وميزته الخاصة ، فان التاريخ سجل بأحرف من ذهب أن عهد جلالة الحسن الثاني نصره الله هو عهد يمن وبركات ، واحسان ومبرات ، وعهد عمل من اجل سعادة الدنيا والدين ، والسعي المتواصل لتحصيل الحسنيين: عملا بقول الرسول الاكرم (ص) « اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا واعمل لاخراك كأنك تموت غدا » .

واننا اليوم ، في هذا اليوم المبارك وفي هذا المكان الطاهر ، نستمطر الرحمة والمغفرة لهذا المحسن الغيور وأسأل الله العلي القدير ان يحقق له وعد نبيه الكريم : ( من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له به قصرا في الجنة ) .

كما اشكر ابناءه البررة على الوفاء بوصية والدهم المرحوم ، واسأله سبحانه ان يجعل البركة فيهم ويثيبهم على حسن صنيعهم ، والسلام عليكم ورحمة الله .

## في الميدان الفلاحي

ان سنة 1966 ـ رغم كونها اتسمت بعدم تكثير عدد من الاشجار بسبب الجفاف الذي طرا عليها ـ قد عرفت نشاطا هاما فيما يخص صيانة الاشجار التي غرست سابقا فوصلت حد الاطعام ثم بدات تغل، ولا ريب ان المرحلة التي وصل اليها الغرس الى حد الان

# نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

### تدشين مسجد جامع بطنطان

في يوم السبت 25 محرم 1387 ، 6 – 5 – 1967 توجه السادة الوزراء المعينون من طرف صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله الى طنطان المركز الصحراوي الهام في ميدان المقاومة الصحراوية ، لحضور الموسم السنوي الذي يقام تخليدا لذكرى وفاة المرحوم السيد محمد الاغضف ابن الشيخ ماء العينين .

وقد تميزت الحفلات برفع العلم ، واقامة حفلات دينية ، ومهرجانات تذكارية ، وعرض عسكري ، وحضور ابناء الصحراء من المناطق المغتصبة ليشاركوا في هذا الموسم مع اخوانهم ابناء الوطن المحرر

وبهذه المناسبة توجه معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ الحاج احمد بركاش نيابة عن صاحب الجلالة الملك المعظم مولانا الحسن الثاني الى هذا الاقليم الصحراوي لتاسيس مسجد جامع عظيم بطانطان . وقد حمل هذا المسجد الجامع اسم صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله الذي يولي لشؤون الدين الحنيف الاهتمام البالغ ، والعناية الفائقة التي يخص بها حفظه الله المناطق الصحراوية ، وسكانها الابطال الاشاوس

والقى معاليه – الذي كان مرفوقا بمن صحبوه من العلماء والوعاظ واعيان الصحراء وعلمائها ، وجبهة التحرير ، واهل الخير والصلاح – خطابا حافلا في جو مليء بالتسبيح والتهليل والتكبير والدعوات لمولانا امير المومنين قال فيه :

الحمد لله الذي ارسل خاتم انبيائه سيدنا محمدا رحمة للعالمين « بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » .

انزل عليه القرآن الذي يهدي للتي هي اقوم ويبشر المومنين ، وجعل أمته خير امة اخرجت للناس تامر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتومن بالله ، فقد نشرت دعوته ، وبلغت رسالته ، حتى اشرقت الارض بنور ربها ، واهتدت جميع الامم التي دانت بالاسلام باتباع سيرة نبيها ، فعاشت في ظل هذه الشريعة الغراء حاملة لواء العلم والفضل ، قاضية بالقسطاس والعدل ، فصلوات الله وسلامه على هذا النبي العظيم وجميع اخوانه من الانبياء والمرسلين

معالي الوزراء ، سعادة العامل ، ايها السادة الافاضل السلام عليكم ورحمة الله .

اما بعد ، فقد اوفدني أمير المومنين صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله للنيابة عن جلالته في وضع الحجر الاساسي لهذا المسجد المبارك في هذه المدينة السعيدة الذي سيحمل اسمه الكريم ، ولا يخفى عليكم ان الاسلام يربي نفوس أهله على اداء حقوق الله على عباده ، المتمثلة في قواعد الاسلام الخمس التي اهمها الصلاة بعد عقيدة التوحيد وان الامامة الاسلامية في مختلف بقاع الارض لتهتم الاهتمام المتزايد باماكن هذه العبادة ، حتى كتب الخليفة الراشد العادل سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الى عماله بقوله : ( ان اهم أمركم عندي الصلاة ، من حفظ وحافظ عليها حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع ) . وان امير المومنين جلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده ليسير في هذه الخطة الرشيدة على نهج اسلافه الملوك العلويين المنعمين في السهر على توفير اماكن العبادة لرعيته المسلمين ، التي تدين لامامته بالطاعة والولاء ، فكم اصدر من تعليماته السامية ببناء المساجد في مختلف انحاء هذه المملكة المغربية راغبا في نيل الثواب الموعود به في حديث جده المصطفى عليه السلام حيث قال : « من بنى مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة » ، وان هذه المدينة السعيدة لها من عناية مولانا الحظ الاوفر لذلك .

واني باسم الله العلي القدير أتشرف بتنفيذ امره بوضع أول لبنة في بناء هذا المسجد ، راجيا من المولى سبحانه ان يجعله من المساجد التي اسست على التقوى من اول يوم ، وان يطيل عمرمولانا امير المومنين حتى

## كتاب التمهيــد ، لابن عبد البــر

**«كتاب التمهيد لما فى الموطأ من المعاني والاسانيد»**

**وهذا** كتاب قدمته الوزارة للطبع وسيكون بين يــدي القراء فى الشهور القريبة جدا .

وكتاب « التمهيــد لما فى الموطــأ من المعانـــي والاسانيد » لمؤلفه الحافظ الحجة ابن عمر يوسف ابن عبد الله بن محمد الشهيــر بابن عبد البــر النمــري القرطبي المتوفى سنة 463 هـ ، مؤلف لا نظير له فى الفقه والحديث ، وهو من المخطوطات النادرة التـــي لا تكــاد توجد منه نسخة كاملة فى مكتبة ما .

وقد بذلت الوزارة مجهودات فى جمع ما يمكن من اجزاء هذا الكتاب البالغ عددها احــد عشر سفــرا ، استوردت الوزارة تسعة منها مصورة على افــلام من مكتبة اسطنبول ، وبالخزانة العامة ستة اسفار متفرقة وبالخزانة الملكية سفرا ، واهدى للوزارة فلم مصور لسفر يوجد باحدى المكتبات ببغداد ، وبترتيب هاتــه الاجزاء تكاد تكون نسختان لمجموع الكتاب اعتمدتا في التصحيح والاخراج .

تعتبر اهم خطوة اجتازتها الاحباس في تاريخ تنميــة مداخيلها الفلاحية اذ سيبتدىء بكيفية محسوسة رفع دخلها من بيع الفلال الراجعة للاشجار الحديثة العهد بالفرس .

ولكي تضمن النتيجة المرجوة اخــذت الاوقــاف نبذل مجهودات جبارة فيما يرجع للحرث بين الاشجار بالآلات الفلاحية الحديثة واستعمال الاسمدة اللازمــة وبناء الخزانات لجمع الماء في السواقي لتوزيعه ودور للسكان العملة الجدد الذين صار من المتعين تشفيلهم في نطاق عمليات الصيانة الواجبالقيام بها لحفظ الثروة الهائلة التي حصلت عليها الاوقاف في سائر نواحـــي المملكة المغربية .

كما ان انجاز هذه الاعمال يتطلب نفقات باهظــة تؤخذ الان بصفة موقتة من مداخيل كراء الاراضي وبيع غلال الاشجار القديمة ، وعن قريب سيمكن اخذها من مداخيل الفرس الجديد .

ومن جهة اخرى فان سنة 1967 ستعرف بداية استغلال الاراضي التي استصلحت ثم غرست باشجار البرتقال في ناحيتي مكناس ووزان ، وكذلك الاراضي التي شملها غرس المشمش في كل من ناحيــة مكنــاس وزرهون ، وتافيلالت ، واللوز في ناحيــة بني مــلال ، والصويرة ، والزيتون في نواحي فاس ، مكناس ، صفرو ، تازة ، زرهون ، وزان ، مراكش ، بني ملال ، الصويرة ، كما ان في آخر هذه السنة ان شاء الله سيشرع في بيع اشجار الكلبتوس التي غرست في سنة 1958 في ناحية آسفي وفاس ، اما السنوات المقبلة فستعرف ازدهارا فلاحيا لا نظير له في حظيرة الاوقاف حيــث سيفرس عدد كبير من الاشجار نظرا على الخصوص لتوفر بعض النظارات على كثير من النقلات الموجودة في المطاريح ، كما ان الوزارة عازمة على الشروع ابتداء من السنــــة المقبلة في غرس اشجار النخيل المثمرة ، وذلك في نواحي ورزازات زكورة وتافيلالت .

وفي حالة ما اذا تكاثر انتاج احدى الفلال المذكورة كالزيتون والمشمش مثلا ستصبح الوزارة ، مضطــرة الى انشاء معامل لاستخــراج الزيتــون وتصفيتــه ، وتربيب الفواكه .

## في الميدان الثقافي

### مجلــة : الارشـــــاد

عزمت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بأمر من امير المومنين وحامي حمى الوطن والدين الساهــر على مصالح المسلمين على انشاء مجلة دينيــة ثقافيــة ادبية متوسطة الحجم مبسطة ومشكولة تقــرب الــى الاذهان معنى الدعوة الاسلامية ، وتلقــي اضـــواء على اصول الاسلام ومآثر الرسول صلى الله عليه وسلم ، والشخصيات الاسلاميــة ، وامجاد ملوكنا العلوييــن ، وشمول الاسلام واحاطته ، وكيف انتشر ديننا الحنيف في جميع الاصقاع ، وكيف ينظر الاسلام الى الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والصناعيــة ، وغير ذلــك من المواضيع الهامة التي يمكن ان تطرق وتفيــد جميــع الطبقات ، وفي ضمنها العمال والصناع ورجال الجيش واعوان الادارات ، كما انه يمكن ان تصدر منها كمية الى الاقطار الافريقية لسد الحاجة الملحة التي يبديها الزوار الوافدون من هذه الاقطار ، كما ستكون بعض المقالات فيها بلغة اجنبية حتى يعم النفع بها ، ويتم تعريف غير المسلمين بمزايا الاسلام .

وستصدر هذه المجلة تحت اسم الارشــاد مــرة في كل شهر .

اما موضوعات مجلة « الارشـــاد » فتدور حول :

#### 1) قسم الـدعـــوة :

يكون خاصا بالدعوة الى الاسلام ، والتعريف بــه وبأهدافه ومواقفه من القضايا الانسانية عموما .

#### 2) اضواء على اصول الاسلام :

يختص هذا القسم من المجلة بالتعريف في كــلام مبسط واضح بالاصول العامة للشريعة الاسلامية .

#### 3) مــن مآثــر الرســول :

يكون خاصا بمواقف صاحب النبــوة في تبليـــغ رسالته ، ويدخل في هذا النطــاق موضوع السيـــرة النبويــة الشريفـــة .

#### 4) شخصيـــات اسلاميـــة :

يكون خاصا بتراجم وخدمات رجال الاسلام في مختلــف العصـــور .

#### 5) الاســلام بيــن الامس واليــوم :

يكون خاصا بالقضايا الاسلاميـــة التي تخـــص الجانب الاجتماعي والروحي كالمعاملة في الاسلام وموقف الاسلام من الجوانب الخلقية وما الى ذلك ) .

#### 6) الفتـــاوي الاسلاميـــة :

يطرق فيه في الاعداد الاولى بعض المسائل الدينية في انتظار ورود الاسئلة من القراء مع التنبيه على قبول الاجابــة عــن الاسئلــة الدينيــة .

* وفد الى المغرب احد علماء الدين فى لبنان ، هو الشيخ جعفر بدر الصائغ ، رئيس جمعية الامام علي الثقافية ، ومؤسس كلية الامام علي فى قانا .

* نظمت دار الشباب بطنجة سهرات مسرحية وادبية وفنية .

* القى الاستاذ اقبال علي شاه ، محاضرة بطنجة تحت عنوان : « ثقافة المسلمين بالهند » .

* « عالم همنغواي » عنوان المحاضرة التي القاها بمكناس الاستاذ محمد ابن كيران .

* المكتب الدائم لتنسيق التعريب سيصدر قاموسا عربيا يتضمن المصطلحات الرياضية .

* نظم المكتب الدائم لتنسيق التعريب موسما علميا استمر من يوم 15 ابريل الى 16 ماي ، وقد شاركت فيه وفود عربية .

* بمناسبة عيد ميلاد الاميرة آمنة . نظمت العصبة المغربية لرعاية الطفولة . اسبوعا وطنيا احتفالا بهذه المناسبة ، كما قامت الاميرة الصغيرة بوضع الحجر الاساسي لحديقة الاطفال بحي يعقوب المنصور .

* صدر للاستاذ محمد عزيز الحبابي ، عميد كلية الآداب بالرباط ، رواية بعنوان « جيل الظما »

* مثل المغرب فى مؤتمر وزارة التربية ، الذي عقد بالجزائر . الاستاذ السيد الناصر الفاسي . نائب نائب الدولة فى وزارة التعليم .

* صدر مؤخرا عدد خاص من مجلة « البحث العلمي » التي يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي عن « تاريخ المغرب » مشتملا على الابحاث التي القيت فى ندوة جمعية تاريخ المغرب التي نظمت فى مدرج كلية الآداب بالرباط فى شهر ماي من السنة المنصرمة .

* نشرت دار الثقافة فى بيروت بطريقة الاوفسيت كتاب : (البيان المغرب) على طبعة ليدن ، التي نشرها المستشرق دوزي بثلاثة اجزاء ، وقام بتحقيقه الدكتور احسان عباس .

* سيصدر للدكتور عبد الكبير الخطيبي ، مدير معهد العلوم الاجتماعية بالرباط ، كتاب بعنوان « القصة المغربية » ، وهي الاطروحة التي نال بها شهادة الدكتوراه من جامعة السربون ، وينوي الاستاذ الخطيبي ترجمة هذا الكتاب الى اللغة العربية .

* فى نطاق التعاون بين الباحثين فى المغرب العربي ، قام الدكتور عبد الكبير الخطيبي برحلة الى تونس لتنسيق العمل مع الباحثين هناك ، ولاستدعاء بعض الاساتذة ليقوموا بالقاء محاضرات علمية في المغرب ، ولتحضير مؤتمر فى موضوع مشاكل البحث فى المغرب العربي .

* ستصدر جمعية « رواد القلم » بالدار البيضاء ديوانا شعريا يضم قصائد لهناوي احمد واسروت الصغير . وادريس الملياني .

* شارك الدكتور محمد عزيز الحبابي فى جلسات مؤتمر كتاب افريقيا وآسيا الذي انعقد فى بيروت .

* ينظم فى المغرب مهرجان ثقافي بولوني .

* افتتحت بعاصمة الجمهورية الملغاشية اشغال المؤرخين والجغرافيين بالدول الافريقية الناطقة بالفرنسية تحت رئاسة وزير الثقافة الملغاشي .

ويهدف المؤتمر الى وضع برامج موحدة لتدريس التاريخ والجغرافيا بالمدارس الافريقية الناطقة بالفرنسية . ومن المحتمل ان تنفذ هذه البرامج ابتداء من السنة الدراسية المقبلة .

* القى الشاعر السوري نزار قباني مجموعة من قصائده فى اندية ليبيا الادبية . وذلك بدعوة من حكومتها .

* ديوان الشاعر العراقي الفقيد ابراهيم ادهم الزهاوي تحقيق عبد الله الجبوري انتهى طبعه فى القاهرة . وقد قدم له الدكتور شوقي ضيف .

* مجلس الفنون والآداب سيترجم الشوقيات لامير الشعراء احمد شوقي الى اللغة الفرنسية .

* وافق الدكتور طه حسين على تسجيل احاديثه فى اسطوانات لذا فانه خلال الايام القليلة القادمة سيتم تسجيل اهم عمل ادبي فى تاريخنا المعاصر .

* مسرحية شعرية جديدة انتهى عزيز اباظة من تأليفها ، اسماها « زهرة » تصدر قريبا فى القاهرة .

* حصل كتاب « 16 شهرا فى فنلندا » على الجائزة الاولى فى مسابقة الكتاب الوصفي التي

# أنبـاء ثقافيـة

❊ صدر للاستاذ الكبير السيد عبد الله كنون ، ديوان بعنوان « **لوحات شعرية** » يجمع بين دفتيه قصائد وطنية وغنائية ، تتخللها مجموعة من الاناشيد القومية . نتمنى لهذا الديوان الانتشار ، والنجاح ، وبعد الصدى .

❊ عقدت جمعية تأريخ المغرب ، التابعة للمركز الجامعي للبحث العلمي ، ندوة بالمدرسة العليا للاساتذة فى موضوع « الامة والقومية المغربية » شارك فيها كثير من الاساتذة الجامعيين المختصين وذلك بتاريخ 14 ماي ، وستخصص مجلة « البحث العلمي » عددا لنشر الابحاث والدراسات والمناقشات التي القيت فى هذه الندوة .

❊ صدر فى الدار البيضاء العدد الاول من مجلة « **الرائد** » ، وهي مجلة فكرية ، اجتماعية ، ثقافية شهرية ، يديرها السيد محمد حبيب ناصر .

❊ يصدر للشاعر محمد صبري ديوان بعنوان « اهداني خوخة ومات » كما سيصدر ديوان آخر بعنوان « اشعار الناس الطيبين » يتضمن مجموعة من القصائد لمجموعة من الشعراء .

❊ نظمت جمعية « رواد الفكر » بالدار البيضاء، ندوة تحت عنوان « نحو مجتمع بلا تسول » بتاريخ 4 ماي ، من جملة من شارك فيها الاساتذة : عبد الكريم غلاب ، عبد السلام بورقيبة ، احمد المجاطي .

❊ ستترجم الى اللغة المجرية رواية « دفنا الماضي » للاستاذ عبد الكريم غلاب التي صدرت مؤخرا فى بيرت .

❊ افتتح بتطوان معرض الكتاب العلمي الذي نظمه المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي ، وذلك فى المكتبة العامة بها من 2 الى 5 ماي الماضي .

❊ فى اطار ابعاد دار الفكر القى الاستاذ سيف الدين الكيلاني سفير الاردن بالمغرب ، مجموعة من قصائده ، كما تحدث عن الادب الاردني ، وذلك بتاريخ 3 ماي الماضي .

❊ نظمت بتونس مناظرة طبية بعنوان المغرب العربي .

❊ زارت المغرب مجموعة من الصحفيين الامريكيين استغرقت اسبوعا كاملا .

❊ زار المغرب بدعوة رسمية كاتب الدولة التونسي فى الثقافة والانباء الاستاذ الشاذلي القليبي لتمتين العلاقات الثقافية بين البلدين . وقد قام الاستاذ القليبي بزيارة لعدة مدن مغربية ، وابرم اتفاقيات ثقافية .

❊ كما قام بزيارة الى المغرب مدير المنظمة العالمية للصحة . واجرى سلسلة من المحادثات مع المسؤولين .

❊ نظم المكتب الدائم للتعريب معرضا للكتاب العسكري بدار الفكر بالرباط .

❊ شارك الاستاذ ابو بكر القادري فى الندوة التي نظمها مؤتمر العالم الاسلامي فى لاهور بالباكستان الغربية .

❊ أعلن المكتب الدائم لتنسيق التعريب انه ما زال يتلقى يوميا عددا كبيرا من الاجوبة حول الاستفتاء الذ ياجراه فى العالم العربي فى شأن فعالية اللغة العربية فى الحقل الجامعي .

* صدر فى منشورات دار الانوار ببيروت كتاب « جغرافية العالم الزراعية لبيار جورج وكتاب « مدخل الى علم السياسة » لجان مينو وهما من ترجمة فايزكم نقش .

* « ملحمة فلسطين » عنوان قصيدة باللغة العامية فى 16 صفحة أصدرها فى بيروت خليل ايوب حتى ، صاحب مجلة « ارزة لبنان » الزجلية . وقدم لها الشاعر المحامي فوزي عطري .

* صدرت فى لبنان مسرحية جديدة للاستاذ ميخائيل نعيمة ، بعنوان « ايوب » .

* صدرت فى النجف الاشرف بالعراق مجلة « الكلمة » وهي حلقات ادبية تضم مختلف الموضوعات والابحاث ، ويشرف عليها حميد المطبعي .

* تمكن المركز الوطني لحفظ الوثائق فى بغداد، من اكتشاف بعض الرسائل للكولونيل البريطاني ا. ت لورانس بين الوثائق والاوراق التي كانت محفوظة فى البلاط الملكي العراقي السابق .

* قدم المجمع العلمي العراقي مساعدة للدكتور عبد الله درويش لطبع كتابه « الفن » للخليل بن احمد الفراهيدي .

* الشاعرة الدكتور عاتكة الخزرجي ، الاستاذة فى جامعة بغداد ، انتهت من اعداد دراسة عن الاديبة الفقيدة « مي » .

* «حبر وعطر» يصدر قريبا فى بغداد لعبد الحميد العلوجي ، ويضم طائفة من المقالات والبحوث فى التراث الشعبي العراقي .

* فرغ عبد الله الجبوري من تحقيق « اشعار ابي الشيض الخزاعي » وسيصدر له قريبا فى بغداد « فهارس مخطوطات حسن الاتكري » .

* من مطبوعات المجمع العلمي العراقي التي صدرت مؤخرا (رسالة فى الاحجار الكريمة) تأليف ايبفانيوس المتوفى سنة 402 أو 403 م قدم لها وحققها الاستاذ كوركيس عواد ، عضو المجمع العلمي العلمي العراقي .

* يصدر قريبا كتاب « تخطيط مدينة الكوفة » الذي أعده الدكتور كاظم الجنابي ، وساعده المجمع العلمي العراقي ، وهو رسالة الماجستير الحائزة على الدرجة الممتازة من جامعة الاسكندرية ، وقدمها الدكتور احمد فكري .

* صدر عن دار الطليعة فى بيروت ، الجزء الاول من مذكرات ساطع الحصري بعنوان (مذكراتي فى العراق) خلال فترة (1921—1927) تناول فيها حوادث وشخصيات زاملها فى فترة توظيفه فى العراق ، وما صادفه من مفارقات وملابسات من الحاكمين ، خلال هذه المرحلة الهامة من حياته وحياة العراق الثقافية .

* صدر فى بيروت كتاب جديد للاستاذ محمود شيت خطاب ، عضو المجمع العلمي العراقي والكتاب يحمل اسم « المصطلحات العسكرية فى القرآن الكريم»

* يقوم « معهد الدراسات الشرقية » فى المانيا الديمقراطية الآن باعداد مؤلف جامع لذكرى الدكتور كرل بروكلمان ، بمناسبة مرور مائة عام على مولده حيث ولد عام 1868 وسيشترك فى كتابة بحوث هذا الكتاب التذكاري بعض المستشرقين من دول أخرى .

ومن المنتظر ان تعد « جامعة هالة » مؤتمرا علميا فى عام 1968 احتفالا بذكرى هذا العالم الجليل

* اتفقت احدى دور النشر فى بغداد مع نازك الملائكة لطبع ديوانها « شجرة القمر » .

* ظهر فى لندن العدد الاول من مطبوعة جديدة تعنى بشؤون العالم العربي . ويصدر هذه المطبوعة واسمها « العربي » مكتب الجامعة العربية فى لندن . وهي من اربع صفحات وستظهر شهريا من الآن فصاعدا، وتوزع مجانا على حوالي 3000شخص

* وقعت الحكومة الاردنية واليونسكو مذكرة مشتركة عن نتائج محادثات المسيو رينه ماهو ، المدير العام للمنظمة مع المسؤولين الاردنيين حول التعاون فى ميادين التعليم والعلوم والثقافة والاعلام .

* الاديب الاردني عيسى الناعوري انتهى من ترجمة مسرحية شعرية لشاعر المجر فى القرن الماضي ايمري موادتش وعنوانها « مأساة الانسان » الترجمة نثرا لا شعرا ، ترجمت المسرحية الى سائر اللغات الحية ، وحولت الى أوبرا ثم الى فيلم سينمائي . وهي لا تقل قيمة عن « فاوست » لغوته وعن الفردوس المفقود للتون كما فرغ الناعوري من ترجمة كتاب « الثقافة العربية فى صقلية » للمستشرق الايطالي اومبرتو ويتسانو .

* بدات الجامعة الكويتية موسمها الثقافي بتقديم سلسلة من المحاضرات فى مختلف المجالات . كما ستصدر مجلة ناطقة باسم الجامعة يشترك الاساتذة والطلبة فى تحريرها .

ينظمها مجلس الفنون والآداب بالقاهرة . الكتاب من تأليف عصام الدين حواس السكرتير الثاني فى وزارة الخارجية .

* فاز الشاعر احمد رامي بجائزة الدولة التقديرية للاداب بالقاهرة، وهي عبارة عن ميدالية ذهبية و2500 جنيه . كما اهدى الرئيس عبد الناصر عدة أوسمة الاستحقاق من الدرجة الاولى . ونال وسام العلوم والفنون الشاعر محمود ابو الوفا والكاتب الدكتور يوسف ادريس .

* توفى فى القاهرة الدكتور محمد نجيب حشاد، مدير جامعة القاهرة السابق ، وكان المجلس الاعلى للبحث العلمي قرر منحه جائزة الدولة التقديرية فى العلوم ، ولم يتح له أن يتسلمها .

* توفي الشيخ طه الديناري عميد كلية الشريعة الاسلامية والقانون فى جامعة الازهر عن ستين سنة كان الشيخ الديناري يراجع رسالة دكتوراه تقدم بها احد الخريجين الى الكلية عن «الحياة بعد الموت » حين فاجأته السكتة القلبية . وكان سيغادر القاهرة فى ثاني يوم الى الكويت ليشترك فى تنظيم كلية الشريعة هناك .

* اقام المجلس الاعلى للفنون مشتركا مع المجمع اللغوي بالقاهرة احتفالا بقاعة الاجتماعات فى جامعة الدول العربية بمناسبة مرور مائة عام على مولد ثلاثة من أعلام البحث اللغوي ، وهم احمد زكي باشا الاب انستاس الكرملي ، الشيخ عبد القادر المغربي . وقد تحدث احمد حسن الزيات عن احمد زكي باشا ، ومصطفى جواد عن الاب انستاس ، ومحمد عبد الغني حسن ، عن الشيخ المغربي .

* الدكتور عبد الرحمن بدوي أتم ترجمة الجزء الثاني من « مصادر وتيارات الفلسفة الفرنسية المعاصرة » تاليف روبي ، وسيصدر قريبا فى القاهرة.

* خالد محمد خالد له كتاب جديد اسمه (انسانيات محمد) .. والكتاب يركز على الجوانب الانسانية للرسول عليه السلام .

* قررت اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية، اعادة ترشيح الدكتور طه حسين لنيل جائزة نوبل تقديرا لمآثره على الفكر العربي والعالمي فى العصر الحديث .

* يعد للنشر المجلد 25 من كتاب (مسالك الابصار) لابن فضل الله العمري تحقيق الاستاذ سعد محمد حسين بتكليف من وزارة الثقافة التي اهتمت بنشر هذا الاثر الخالد بعد ان وزعت مجلداته على كثير من المحققين المشهورين بمصر . وقد نشر المجلد الاول من هذا الكتاب سنة 1918 تحقيق احمد زكي باشا وطبعة دار الكتب المصرية .

* صدرت قريبا فى كتاب عن دار الآداب فى بيروت ، مذكرات الدكتور طه حسين . تبدأ المذكرات بدخول طه حسين الازهر . وتنتهي بعودته من باريس، وبذلك تكون قد تابعت سرد وقائع حياته الحافلة التي وقف عندها فى كتابه « الايام » .

* اتفقت دار الكتاب العربي ، مع ورثة الدكتور احمد امين لنشر جميع كتبه لمدة عشر سنوات . التعاقد تم بين الدكتور محمد امين نجل المؤلف والدكتور عبد العزيز عتيق زوج كريمة المؤلف .

* عمر أبو ريشة يصدر دفعة واحدة عددا من مجموعاته الشعرية ومسرحياته .

* الدكتور فخر الدين قباوة فى كلية الآداب بجامعة حلب يعد للطبع كتابه الجديد « الممتع فى الصرف لابن عصفور . »

* تسلم الاديب المفكر أديب اللجمي رئاسة تحرير مجلة « المعرفة » التي تصدرها وزارة الثقافة بدمشق . فؤاد الشايب رئيس تحرير « المعرفة » السابق غادر دمشق الى بونس ايريس ، حيث عين مديرا لمكتب الجامعة العربية فى الارجنتين .

* صدرت فى بيروت مذكرات ساطع الحصري، سجل فيها تطورات الوطن العربي خلال حقبة طويلة من الزمن .

* « العصفور الاحدب » مسرحية شعرية لمحمد الماغوط صدرت فى بيروت .

* بمناسبة الذكرى التاسعة والاربعين لوعد بلفور أصدر فى بيروت المجاهد الاستاذ علي نصر الدين كراسا فى 16 صفحة عنوانه « ايمان ساعة » .

* « ملامح العصر » مجموعة مقالات ادبية لمحي الدين اسماعيل الملحق الصحفي العراقي ببيروت ، تصدر قريبا عن المكتبة العصرية ببيروت.

# دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الثامن – السنة العاشرة – ربيع الاول 1387 – جوان 1967

## في هذا العدد :


| صفحة | | |
|---|---|---|
| 1 | الفجر الصادق | دعوة الحق |
| 4 | كلمة ملكية سامية بمناسبة الاعتداء الصهيوني على الاقطار العربية يوم خامس يونيو | |
| 6 | كلمة ملكية توجيهية الى الوحدات العسكرية المغربية الموجهة الى جبهة القتال | |
| 7 | خطاب صاحب الجلالة الملك المعظم للتضامن مع البلاد العربية | |
| 9 | خطاب صاحب الجلالة بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف | |
| 11 | نداء الى العالم الاسلامي من رابطة علماء المغرب | |
| | **دراسات اسلامية :** | |
| 13 | المسلمون في بيروت | بقلم الشيخ طه الولي |
| 19 | التخصص في الاسلام | للعميد محمد عزيز الحبابي |
| | **ابحاث ودراسات :** | |
| 24 | نظرة في منجد الآداب والعلوم | للاستاذ عبد الله كنون |
| 28 | تقويم اللسانين مستقيم | للدكتور تقي الدين الهلالي |
| 34 | حول الاوضاع اللغوية في دنيانا الحاضرة | للاستاذ المهدي البرجالي |
| 41 | لو ابصرت ثلاثة ايام | عربها عن الانجليزية الاستاذ عبد الهادي التازي |
| 49 | هل سيتحرر الفكر العربي من رجس سارتر ؟ | للاستاذ عبد العلي الوزاني |
| 53 | الحقيقة غول | للاستاذ عبد القادر زمامة |
| 57 | اجتهاد القضاء العصري ، وكيف نستفيد منه | للاستاذ احمد باكو |
| 63 | ميدان تطبيق قاعدة التحكيم في الفقه الاسلامي | للاستاذ الحسن الحجوي |
| 67 | الوجادات | للاستاذ عبد القادر زمامة |
| | **ديوان المجلة :** | |
| 71 | قولوا لصهيون اللعينة انا سنكون بعد غد على ميعاد | للاستاذ الشاعر عبد الرحمان الدكالي |
| 73 | فلسطين | للاستاذ الشاعر مفدي زكريا |
| 77 | القدس تشهد انا لا نطل لنا دم | للشاعر ادريس الجاي |
| 79 | ومن الذي يستطيع هدم بناية الله جل جلاله بناؤها | للاستاذ الشاعر محمد اليمني الناصري |
| 81 | مولد النور | للشاعر محمد بن علي العلوي |
| 83 | الثورة الكبرى | للاستاذ الشاعر عبد الكريم التواتي |
| 85 | يافا | للشاعر عبد الكريم الطبال |
| 87 | مولد الرسول | للشاعر المهدي بن ادريس |
| 90 | الذكرى | للشاعر عاصم عبد الله |
| | **دراسات مغربية :** | |
| 92 | القومية المغربية | للاستاذ محمد حجي |
| 96 | البيئة المغربية ومظاهرها الثقافية في عصر بني مرين | للاستاذ محمد بن شقرون |
| 102 | القاضي عياض | للاستاذ عبد القادر الصحراوي |
| 111 | ابو عيسى محمد المهدي متجينوس الاندلسي الرباطي | للاستاذ عبد الله الجراري |
| 114 | موجة الشعر الحديث بالمغرب | للاستاذ حسن الوراكلي |
| 118 | ادب المغرب العربي المكتوب بالفرنسية | بقلم علي مراد ترجمة الاستاذ حسن المنيعي |
| 123 | الادب النسوي في الاندلس | للاستاذ محمد المنتصر الريسوني |
| | **معرض الكتب :** | |
| 126 | الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة | للدكتور احمد هيكل تعليق الاستاذ محمد بن تاويت |
| 129 | القومية العربية في القرن التاسع عشر | تقديم وتعليق الاستاذ محمد محي الدين المشرفي |
| 137 | بروتوكولات حكماء صهيون | للاستاذ عجاج نويهض تقديم محمد بنعبد الله |
| 143 | شعراء اليمن المعاصرون | تأليف الاستاذ هلال ناجي |
| | **أدب وفكر :** | |
| 145 | الى اين يسير الشعر ؟ | للاستاذ ربيع مبارك |
| | **قصة العدد :** | |
| 148 | زينب الليبية | للاستاذ محمد احمد اشماعو |


تصدرها وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الاسلامية
بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

* صدر الجزء الاول من كتاب « محاضرات في التاريخ العربي الاسلامي » للدكتور علي عبد الرحمن ابا حسين ، رئيس قسم التاريخ الموحد في كليتي الشريعة والتربية بمكة المكرمة .

* توفي في السعودية فضيلة العلامة الشيخ عبد اللطيف بن ابراهيم آل الشيخ ، وهو احد العلماء الاعلام ، واحد حملة امانة العلم والدين في السعودية .

* اكتشف في السعودية الدكتور محمود علي الغول مدينة اثرية كاملة في المنطقة الشمالية على بعد 30 كيلومترا من مدينة « عرعر » و12 كيلومترا جنوب وادي بدنه . وقد عثر على قسم كبير من سطح هذه المدينة من منحوتات ضخمة دقيقة الصنع ، ويكثر فيها تماثيل حيوانات مائية كالسلحفاة والسمك وغير ذلك ويقول الدكتور الغول بأن هذا الموقع ربما كان مدينة « بدنه » التي ورد ذكرها في كتب المؤلفين اليونان والرومان باسم « ميدانتا » .

* الباحث السعودي احمد عبد الغفور عطار ، سيصدر قريبا مجلة بعنوان « كلمة الحق » وستصدر في حلة قشيبة واخراج رائع ، وانتاج ممتع مفيد .

* صدر عن « دار اليمامة » نبذة تاريخية عن نجد املاها الامير ضاري بن فهيد الرشيد المتوفى في 1331هـ .

* اعلنت بعثة آثار ايرانية بلجيكية عثورها على تحف آثرية يعود عهودها الى سنة 750 قبل المسيح ، وذلك في منطقة عيلام الغربية قرب الحدود العراقية الايرانية .

وتتألف هذه التحف الآثرية من كؤوس من البرونز واقراط من الفضة ، وسيوف برونزية وقيل أن هذا أول اكتشاف من نوعه في هذه المنطقة .

* في نبأ من روما أن كتاب « تأريخ العرب » لمؤلفه المؤرخ اللبناني فيليب حتى ، قد صدر اخيرا باللغة الايطالية ضمن سلسلة تصدرها « دار ايطاليا الجديدة للنشر » بعنوان : « الحضارات الكبرى » .

* ستقام مدينة للشعراء في احدى ضواحي مدريد باسبانيا . تحتوي على 8 آلاف مسكن ، تخصص جميعها للكتاب والشعراء ، كما ستطلق أسماء الشعراء على شوارع هذه المدينة الجديدة .

* أحدث مؤلفات الدكتور حسين مؤنس « الجغرافيون في الاندلس » يصدر قريبا عن معهد الدراسات الاسلامية في مدريد . وكان قد نشر في في مجلة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد .

## كلمة العدد

# الفجر الصادق

اذا القينا نظرة فاحصة على حياة المسلمين المعاصرة ، وعلى رقعة العالم الاسلامي في حاضرها اليوم ، نجدها تشغل حيزا كبيرا من المعمور ، وتتميز عن غيرها من الدول بالتجاور في المكان ، والتركز في قلب العالم ، وان معظم هذه البلاد الاسلامية نالت في العقود الاخيرة استقلالها ، وتمتعت بكرامتها ، وهي تتجه اليوم الى استكمال نهوضها حتى تسير في ركب الحضارة الانسانية وتعمل جادة لتوحيد نشاطاتها ، وتوثيق رابطة بينها للعمل الدائب المتصل في خدمة القضية الاسلامية المقدسة .

ولقد ظلت الشعوب الاسلامية آمادا طويلة ، والاستعمار الصليبي يعمل على تخدير وجدانها ، وشل ارادتها لتشتيتها ، وتفريق كلمتها متعاونا في ذلك مع الملاحدة المارقين الذين ينظرون الى الاسلام نظرة من يرى فيه مزاحما خطيرا يخشى منه ان ينازعهم السلطان على عقول الامم وضمائرها ، في مسائل الاخلاق والمعاملات .

ويحدثنا التاريخ عن كثير من الاعمال الشائنة ، والتصرفات الخرقاء الموجهة ضد الاسلام والمسلمين ، والتي كانت تصدر عن عملاء الطغيان ، وجند الشيطان الذين اتحدت وجهتهم ومقاصدهم ، واهدافهم ـ بالرغم عن وجود خلافات مستحكمة دفينة فيما بينهم ـ لتفتيت وحدة المسلمين ، وتفريق كلمتهم وتوهين عقيدتهم .

١ ـ فالحروب الصليبية التي اوقد الاستعمار الكافر نارها باسم الصليب على ارض الاسلام ومعاقل المسلمين ، وموئل العروبة ، كانت سببا في صد الدفع الاسلامي في تتميم بناء الحضارة الاسلامية ، والقيم الانسانية ، والمثل العليا ، حتى قال بعض المستشرقين : (( لولا الحروب التي شنها الغربيون على المسلمين لتقدمت الحضارة الاسلامية مائتي عام ، ولكن العصبية الذميمة ، والحقد الدفين ، جعل الغربيين عموما ينظرون الى الاسلام نظرة حقد وضغينة ، مخافة ان يكتسح الاديان الاخرى جميعها ، او ينير السبيل أمام البشرية لتسير قدما نحو الكمال )) .

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

# دعوة الحق

العدد الثامن
السنة العاشرة
ربيع الأول 1387
جوان 1967
ثمن العدد
درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

## بيانات ادارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :

مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنـة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثـر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

---

تدفع قيمة الاشتراك فى حسـاب :

مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

**Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat**

او تبعث رأسا فى حوالة بالعنوان التالي :

مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغـرب .

---

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

---

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ **وزارة عموم الاوقاف** ـ الرباط
تليفـون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

ب ـ ان يدرسوا ، في اخلاص ، بعض الخلافات الجزئية العارضة والهامشية التي سببها الاستعمار في العالم الاسلامي ، وغذاها من فقد الوازع الديني والخلقي من المسلمين ، وذلك عن طريق مؤتمرات تتمخض عن فكر منظم ، ووحدة جامعة يشع في جنباتها نور اليقين بالله ، وتستهدف اصلاح اوضاع المسلمين ، وتفتح عيونهم على هيئة مسلمة مومنة ترعاهم ، وتصون مصالحهم وتقوي عزائمهم .

ج ـ ان يساهموا في خلق نهضة علمية شاملة تساير مقتضيات العصر ، ومستلزمات التطور ، وتعتمد على العقل والقلب والوجدان ، حتى لا نبقى عالة على الشعوب الغالبة ذات النفوذ والاطماع ، الفاغرة أفواهها للابتلاع ... ! !

فقرآن الله بين أيدينا ، وهو يعتبر العقل مفتاح النور ، وبلسم الحياة ، ومصدر الخير ، وينبوع السعادة ، وطريق التوعية والتخطيط الانساني ، وكان سبيله في نقاش الملاحدة ، ومن في قلوبهم مرض ، هو العقل ، فهو مقطع الحق ، والحكم الفصل ، فقد قال تعالى :

« ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم اعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ! ! اولئك كالانعام ، بل هم اضل ، اولئك هم الغافلون . »

د ـ ان يغرسوا في نفوس الناس ان الدين الاسلامي دين تقدمي وحضاري يشجع كل عمل بناء من شانه ان يجسم قوة المسلمين ، ويبرز مكامن الباس والبطولة فيهم ، في يسر وسماحة ، وعدم احراج ولا اكراه ، متوخيا من وراء ذلك اسعاد الانسانية وتحقيق هناءها ورفاهيتها .

هـ ـ أن يعملوا على تعميم لغة موحدة بين البلاد الاسلامية حتى يحصل التفاهم ، ويحل الوئام بين ابناء البلاد الاسلامية في جميع أنحاء المعمور ، وان هذه اللغة لهي لغة الضاد ، لغة القرآن ، التي تربطهم برباط وثيق ، وصلة محكمة ، ومشاعر جياشة تحمل معاني الاخوة والتضامن والسلام .

و ـ ان يستحثوا الناشئة الصاعدة على دراسة قادة المسلمين وعظمائهم في الصدر الاول ، وزعماء الاصلاح في كل عصر ، ودعاة الفكر والتجديد حتى تستخلص هذه الناشئة من تلك الدراسة الواعية العبرة والعظة ، وتتخذ من أولئك الابطال أسوة حسنة ، وقدوة صالحة لعلهم يرشدون ...

فالمسلمون اليوم في انحاء المعمور ـ ولله الحمد ـ مستعدون لكل تفاهم وتقارب ، جادون لاصلاح ذات بينهم ، وضم شتاتهم ، بفضل القيادة الرشيدة المخلصة المومنة التي تعمل لصالح الدعوة المحمدية ، والاعتزاز بها والتي لا يزيغ عنها الا هالك .

وانه ما دامت الارض صالحة ، والبذرة منتقاة ، والظرف مناسبا ، فان رجاءنا في اصلاح حال المسلمين لا يتخلف ، وأملنا في طلوع الفجر الصادق لم ينقطع .

فهل ممكن ان « الغزالة » تطلع ؟ ؟ ...

دعوة الحق

ب ـ وعملاء التبشير ـ وهم عملاء الاستعمار فى كل مكان ـ اولئك الذين دربتهم دعوة التبشير على تشويه تاريخنا الاسلامي ، والتشكيك فى حقائقه ، وابراز الجوانب الضعيفة فيه ، وانكار المقومات التاريخية والثقافية والروحية فى ماضي الامة الاسلامية ، وعلى التنديد والاستخفاف بها ...

والتبشير ـ منذ كان ـ معدود من دعامة الاستعمار فى العالم الاسلامي ، فهو دعوة الى توهين القوى الاسلامية والغض من اللغة العربية ، وتقطيع أواصر القربى ، وتمزيق وشائج الاتصال بين الشعوب العربية والاسلامية والتنديد والازدراء بحالها فى المجالات الدولية العالمية اليوم .

ج ـ الاتفاقيات الخفية المتوالية بين غلاة الاستعمار واساطينه وعمدائه لتمزيق البلاد العربية والاقطار الاسلامية حتى تتركها فى حالة من التدلي والانحطاط ، والتأخر والاسفاف بحيث لا تقوى على القيام منفردة بشؤونها الا بمؤازرة دولة كبيرة من الناحية الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، وبذلك يتم للذئب ان يأكل من الغنم القاصية .

د ـ وهذه عصابات الصهيونية ، شذاذ الآفاق ، وجرثومة الفساد فى الكيان العربي والاسلامي التي تعتبر أداة للاستعمار ، وقوة المكر الصليبي ، تعمل هي أيضا على تمزيق وحدة المسلمين بشتى الوسائل ، ودنيء الذرائع ، كما تغذي الخلاف الناشيء ، بسببها ، بين الاقطار الاسلامية فيما بينها عن طريق المطامع والدسائس التي تحوكها مع حلفائها ضد الاسلام والمسلمين ...

تلك بعض الاعراض الخارجية التي اعترت العالم الاسلامي ، وعاقته عن التطور والانطلاق ، لتحقيق اشواقه ، وتنفيذ غاياته وأبعاده ...

ولا شك ان العالم الاسلامي اليوم ، وهو يلاقي من الشدائد ، وصنوف المكاره والمكائد ، قد أدرك موقفه أمام اعدائه واصدقائه ، وانتبه فى يقظة حذرة ، وتطلع متلهف لبناء وحدة اسلامية متكاملة تجمع شعوبه على كلمة سواء ، وتضم صفوفه على السراء واللاواء ، يدفعها ماض مشترك مجيد ، وحضارة عريقة ، وتاريخ ممتاز فذ ، ووجود مستقل ، ومستقبل زاهر .

ولا ريب ان الظروف مهياة اليوم ـ اكثر مما مضى ـ لرفع راية الاسلام ، واتحاد كلمة المسلمين الذين هم أمة واحدة تتكافا دماؤهم ، ويسعى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم ...

وعلى المسؤولين ، ودعاة الاصلاح ورواد الطريق :

١ ـ ان يجعلوا هدفهم الاساسي ، وركيزة اعمالهم وحدة المسلمين ، وجمع كلمتهم على الحق ، حتى يكونوا على بصيرة من رأي الاسلام وفلسفته فى جميع قضاياه ، وبذلك يستحيل على اعدائه ان يستمروا فى كيدهم وعدوانهم ويسهل عليهم أن يحتلوا مكانة مرموقة فى العالم تتجلى فى تماسك وتكتل ظاهره الاسلام ، وباطنه ايمان واحسان .

العربية ، وفي اسرة الجامعة العربية ، المغرب الذي لم ينتظر استقلاله هو بدوره ، أعلن انه بجانب اخوانه الدول العربية ، وانه مستعد ان يدفع النفس والنفيس ، ويضحي بكل غال ورخيص في سبيل عزة العرب وكرامة المسلمين .

فاننا منذ ثمانية ايام نتابع باستمرار وباهتمام ، الحالة في الشرق الاوسط ، وكنا نراقب ونلاحظ ، وكنا في الوقت المناسب اعلنا رسميا موقفنا واعلنا أننا مستعدون لان نذهب ونحارب ونقاتل بجانب اخواننا العرب ، وها هو هذا اليوم قد وصل ، وها هي الساعة قد حانت ، وها هي افواج من قواتنا الملكية المسلحة ستتوجه اليوم الى بلاد الشرق الاوسط لتقف بجانب شقيقاتها القوات المسلحة العربية .

وبهذه المناسبة ، يجب أن نستخلص عبرة من كلام الله سبحانه وتعالى حيث يقول : « وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم » فقد كان صف العرب قد تصدع ، وكان شملهم قد تفرق وتشتت ، وابى الله سبحانه وتعالى بحكمته البالغة الا ان يجمع الشمل ويوحد الصفوف فجعل هذا العدوان الغاشم وسوف يجعله أن شاء الله مفتاح كل خير وسبب كل اتحاد وسبب كل وحدة

واتوجه الآن الى قواتنا المسلحة الملكية ، لاقول للجنود الذين اصطفاهم القدر ليذهبوا الى تلك البلاد المقدسة العزيزة علينا ، اقول لهم انكم ايها الجنود كجاحكم هذا ، سوف تكونون مخلصين لشعاركم ، شعار الله والوطن والملك ، **الله** ، لانكم ستحاربون في سبيل بلد مقدس ، وهو اولى القبلتين وثالث الحرمين ، **الوطن** ، لانكم سوف تحاربون لتحرير وطن عربي لان كل وطن عربي هو وطن كل مواطن عربي . في سبيل **الملك** لانكم ، ولي اليقين ، سوف تجعلونني ارفع الراس مشرفا فخورا بسيرتكم وباستشهادكم وشجاعتكم .

اني أوصي الجنود وضباط الصف أن يبقوا محافظين على ما عرف فيهم من امتثال وتتبع للاوامر واستماتة وشجاعة وشهامة ، واقول للضباط عليكم ان تاخذوا بيد الجنود وتتطلعوا على صغيرهم وكبيرهم وتعتبروهم أكثر من ذي قبل كابنائكم وكفلذة كبدكم

وانني اقول لهذا الفوج الذي اعطاه الله هذا الشرف ، اقول لهم نيابة عن اسرة القوات المسلحة الملكية ونيابة عن جميع مواطنيهم في مشارق المغرب ومغاربه ، اقول لهم هنيئا لكم بذهابكم هذا وهنيئا لكم بموقفكم هذا وهنيئا لكم بموقفكم بجانب اخوانكم العرب

وارجو الله سبحانه وتعالى ان تبقوا دائما ايها الجنود ، ان تبقوا دائما على الصراط المستقيم تتحلون بما عرف فيكم من استقامة ومن شجاعة ومن اجتهاد ، كما اقول الى شعبي الحكيم المتبصر العاقل ، ان المغرب كدولة قد أخذ موقفه وأخذ مسؤولياته كاملة كما يجب ان يأخذها فعلى شعبنا اذن ان يبقى متسما بما عرف فيه من نظام ومن عدم اقلاق الامن العام حتى تبقى بلادنا معروفة كما كانت في الماضي ، معروفة بالتعقل وبالرزانة وبالتبصر .

فكلنا بجانب اخواننا قلبا وقالبا ، واحسن اعانة يمكننا أن نقدمها اليهم هي ان نبقى دولة يسودها النظام وتسودها الطمانينة ، دولة عملت ما يجب عليها من المواقف واتخذت ما يجب عليها من المسؤوليات

ومن جهة اخرى دولة وشعب يعرفون ما عليهم من الواجبات من باب النظام ومن باب استمرار الدولة في مشاغلها ، في محاربة مشاكلها ، في مواجهة المشاكل اليومية ، في الحقل ، في المعمل ، في المكتب ، في كل موضع وجب علينا فيه ان نجاهد لاعلاء شأن كلمتنا ، وكل كلمة تعلو في المغرب هي في الحقيقة كلمة تعلو لصالح العرب والمسلمين . ارجو الله سبحانه وتعالى ان ينصرنا ويثبت اقدامنا ويمطر شآبيب رحمته على من استشهدوا من اخواننا العرب اليوم في معركة تحرير ذلك الجزء العزيز على كل عربي ، فلسطين المغصوبة ، « يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » صدق الله العظيم .

# كلمة ملكية سامية بمناسبة الاعتداء الصهيوني على الاقطار العربية يوم 5 جوان

في يوم خامس يونيو الماضي شن الصهاينة هجوما غادرا على البلاد العربية ، اسفر عن نتائج رهيبة ، وضحايا عديدين خاضوا حربا ضروسا ، ووقفوا بصمود على جميع الواجهات لصد العدوان الرهيب

فقد اغارت على الوطن العربي ، حثالة الصهاينة شذاذ الآفاق ، واحتلت جيوشها الغادرة اجزاء من أرض فلسطين ، واستولت على بيت المقدس اولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، وعاثت فسادا واستكبرت في الارض بغير حق وقالت : « من أشد منا قوة » ؟ !

« أولم « يعلموا » ان الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ! . » « وسيذيقهم ـ سبحانه ـ عذاب الخزي في الحياة الدنيا »

والمملكة المغربية وقفت بقيادة عظيمها الشهم ، وملكها الهمام ، وقفة البطولة الرائعة ، والتضحية والفداء ، وارخصت يوم الروع أنفسها لخوض غمار المعركة المقدسة ، فباتت تنشد أغاني الشرف ، واناشيد الحمية .

وهكذا هب المغرب ـ كما قال جلالة الملك ـ عندما وقع الاعتداء على الاقطار العربية الى الدفاع عن اراضي اشقائه ومقدساتهم ، ولم يتوان في مشاركتهم في الكفاح ، فقرر بمجرد ما بلغه نبأ الاعتداء الصهيوني ارسال قواته وابنائه ليساهموا بجانب اخوانهم في الدفاع عن الحق ، وصد العدوان .

كما ان مجهودات صاحب الجلالة بقيت مستمرة بالاتصال بالدول العظمى وابلاغها ان اي حل لايبنى على العدل والانصاف ، وارجاع الحقوق الى أصحابها لايكون حلا سلميا كما يرجى ذلك ....

وفي غمرة من الحماسة السكرى ، وفي جو عبق بالبطولة والتضحية والفداء ، ودع صاحب الجلالة مساء يوم الاثنين 5 جوان في ساحة النصر ابطال المغرب الاشاوس جنود القوات المسلحة الملكية الذين ذهبوا ـ وقلوبهم يغمرها فيض من الافتخار والاعتزاز ـ الى المعركة المقدسة بقيادة الجنرال البوهالي .

وقد ارتجل صاحب الجلالة بهذه المناسبة هذه الكلمة التوجيهية العامرة :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وءاله وصحبه

شعبي العزيز

غير خاف عليك أن الامة العربية والاسرة الاسلامية تجتاز ظروفا دقيقة وخطيرة من ظروف حياتها ، وغير خاف عليك كذلك أن دولة شقيقة دولة الجمهورية العربية المتحدة قد تعرضت هذا اليوم الى هجوم غاشم غادر من لدن أعداء العرب والمسلمين ..

وغير خاف كذلك أنه بمجرد ما علمت الدول العربية بذلك الخبر المزعج قامت كرجل واحد في انتفاضة واحدة في حماس منقطع النظير بجانب اختها وشقيقتها .

والمغرب الذي لم ينتظر استقلاله بل وهو يرزح تحت نير الاستعمار أعلن سنة 1947 على لسان ملكه ومحرره محمد الخامس طيب الله ثراه ، انه يعتبر نفسه عضوا في اسرة الدول

# خطاب صاحب الجلالة الملك المعظم للتضامن مع البلاد العربية

وجه صاحب الجلالة الملك المعظم خطابا هاما الى شعبه الوفي زوال يوم الاحد 67/6/11 حيث أهاب جلالته بشعبه الكريم ان يهب لمساعدة اخوانه واشقائه الذين اصابهم العدوان الصهيوني الغادر فى ديارهم واموالهم وحياتهم .

وبمجرد ما استمع المواطنون الى خطاب ملكهم المحبوب ، بدات حركة واسعة فى جميع المدن بجمع التبرعات لاخواننا الاشقاء .

وتنفيذا لتعليمات جلالة الملك قامت وزارة الداخلية والعمالات كلها بالبدء في الترتيبات لجمع التبرعات

وهذا هو النص الكامل لخطاب جلالة الحسن الثاني نصره الله :

الحمد لله وحده

والصلاة والسلام على رسول الله وءاله وصحبه

شعبي العزيز

اوجه اليك هذا الخطاب ولا اقصد به تحليلا للوضع السياسي الناشيء عن العدوان الاثيم الذي تعرضت له البلاد العربية الشقيقة منذ بداية هذا الاسبوع ، ولا اريد منه شرحا لعواقب المضاعفات السياسية الناجمة عن الحرب الضروس التي اضرم نارها الصهاينة المجرمون ، والتي واجهها العرب بكل ما أوتوه من ايمان راسخ ، وعزم مكين ، وشهامة منقطعة النظير . ولا اريد منه عرضا لما تتطلبه الظروف الراهنة العصيبة من يقظة وتبصر واستخلاص للعبر ، فستسنح الفرصة ، ان شاء الله ، لنقوم بنفسنا بهذا العرض .. بهذا الشرح والتحليل.

**وعلى كل حال من الاحوال ، فلن يعتور المغرب يوما من الايام ، أي خذلان فيما يرجع للارض المقدسة، ولن يعدل بوجه من الوجوه أو يتنازل عن مكتسبات الاسلام أو حقوقه التاريخية الثابتة منذ 13 قرنا في تلك البقاع التي ورثها العرب عن اجدادهم ، وعن كفاح صلاح الدين الايوبي** ، وانما شعبي العزيز الغاية من هذا الخطاب الذي نوجهه اليك اليوم والاسى يغمر قلوبنا والحسرة تساور النفوس ، بأن أوصيك شعبي بأن الواجب يفرض علينا ان تشعر شعوبنا العربية التي استهدفها العدوان ، ومنيت بأفدح الخسائر ، وعانت من ويلات الحرب الشدائد والنكبات، بأن تضامننا بالامس هو نفس التضامن الذي نؤكد اواصره اليوم ونحن نجتاز مرحلة من مراحل حياتنا .

ان المغرب هب عندما وقع الاعتداء على الاقطار العربية الى الدفاع عن اراضي اشقائه ومقدساتهم، ولم يتوان فى مشاركتهم فى الكفاح فقرر بمجرد ما بلغه نبأ الاعتداء الصهيوني ارسال قواته وابنائه ليساهموا بجانب اخوانهم فى الدفاع عن الحق وصد العدوان .

اما الآن ، فالشعوب العربية تضمد جراحها ، وهي فى امس الحاجة الى اسعافها ومدها بالاموال والادوية والمواد الغذائية .

# كلمة ملكية توجيهية الى الوحدات العسكرية المغربية المتوجهة الى جبهة القتال .

وجه صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني كلمة توجيهية سامية الى الوحدات العسكرية المغربية المتوجهة الى جبهة القتال ، وقد تلا هذه الكلمة على الجنود نيابة عن صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني الكولونيل الحاج عبد الرحمن الدكالي المرشد العام للقوات المسلحة الملكية الكاتب العام للشؤون الاسلامية . وهذا هو النص الكامل للكلمة الملكية السامية :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله

معشر الضباط وضباط الصف وجنود القوات المسلحة الملكية

فى هذا اليوم العصيب الذي تخوض فيه الامة العربية جمعاء معركة حاسمة من تاريخ حياتها من اجل صد العدوان واستئصال شافة الطغيان واسترجاع ارض فلسطين السليبة وحماية المقدسات واعادة اللاجئين العرب والمسلمين المشردين والمنكوبين الى اراضيهم واوطانهم نتوجه اليكم ايها الابطال الذين ملأت شهامتكم الآفاق والارجاء ، وعرفت شجاعتكم ميادين الكفاح والتضحية والفداء بهذه الكلمة وانتم مقبلون على خوض المعركة ضد الصهاينة المعتدين الى جانب اخوانكم الذين هبوا اباء وحفاظا واعتزازا بروابط الاخوة واواصر القربى فعليكم ان تخوضوا غمار هذه المعركة شدا بأزرهم واظهارا للقضية المشتركة بما عرف عنكم من بأس واقدام وحماس واسترخاصا للنفس والنفيس

وان قائدكم وملككم الساهر على حماية الدين لمتيقن من انكم ستبرهنون فى هذه الظروف الدقيقة كما برهنتم غير ما مرة عن رسوخ عزائمكم وثبات اقدامكم وحميد شجاياكم وجميل مزاياكم

ولا يغامرني شك فى ان قلوب اخوانكم المغاربة يغمرها فيض من الاعتزاز والافتخار بمساهمتنا جميعا ملكا وحكومة وشعبا فى هذه الانتفاضة المباركة التي لمت الشتات وكتلت الجهود ووحدت العزائم ، وستعودون بحول الله الى وطنكم وانتم معتزون بهذه المساهمة التي سيسجلها التاريخ فى المع صفحاته فلتسيروا على بركة الله فالنصر حليفكم والتوفيق رائدكم والله معكم .

# خطاب صاحب الجلالة
# بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف

تـرأس صاحب الجلالة امير المومنين ، بمناسبة موسم المولد النـبوي الشريف حفـلا دينيـا ، احياء لذكرى مولد الرسول سيدنا محمـد (( ص )) ، وقـد غصت رحاب مسجد اهـل فـاس بالمشور السعيد بآلاف المومنين الذين حضروا لهذا الحفل الديني الكبيـر .

كما حضر احياء هذه الليلة المباركة الى جانب صاحب الجلالـة صاحب السمـو الملكـي الامير الجليل مولاي عبد الله ، ورؤساء البعثات الديبلوماسية المسلمون ، والمدير العام للديوان الملكي ، ووزير القصور الملكية ، وأعضاء الهيئة الوزارية وأصحاب السمو الامراء ، وأصهـار جلالة الملك المعظم ، ورئيس المجلس الاعلى ، وهيئة أركان الحرب العامة للقوات الملكية المسلحة

وعند وصول صاحب الجلالة الملك المعظم الى مسجد أهل فاس ، وجد فى استقبال جلالته السيد الحاج احمـد بركـاش وزير عمـوم الاوقـاف والشؤون الاسلاميـة

وبعـد انتهاء المنشدين من سرد الامداح النبوية ألقى جلالـة مولانا الملـك خطابا عظيما تحدث فيه حفظه الله عن الازمة التي عاشها العالم العربي والاسرة الاسلامية من جراء العدوان المتوحش الصهيوني على البلاد العربية كان كله صراحـة وايمانا وثقـة بالله

وهـذا هـو النص الكامـل لخطاب امير المومنين صاحب الجلالـــة :

الحمـد لله

والصلاة والسلام على رسول الله

شعبـي العزيـز

ان الكارثة التي حلت بالعالم العربي اجمع ، والتي امتد مفعولها الى العالم الاسلامي كافـة من جـراء ما شنه الصهاينة من عدوان ما كر ، واقترفوه من بغي سافر ، وارتكبوه من طغيان غادر ، ان هذه الكارثـة ، التي اتتت على الاخضر واليابس ، وانتظم مكروهها القوي والضعيف ، والقادر والعاجز ، وعم مصابها من يستطيع احتمالها بصبر ، ومواجهتها بقوة شكيمـة ، ومتانة عزيمة ، ومن لا يستطيع لها دفعا ولا صدا ، قد اثخنت القلوب بجراح عميقة ، وملأت النفوس بألـم شديـد ولوعـة عارمـة ! !

وقـد كنا نظن ان عالمنا المتحضر تواضـع على عدد من المباديء المثلـى والقيم الساميـة ، ناضلت شعوب غير قليلة لكسبها واقرارها وفرضها كمباديء وقيم لا يمكـن بوجه من الوجوه تناسيها واطراحها ، والعدول عنها ، ففوجئنا باسوأ المفاجآت ، اذ اهـدرت ايما اهدار ، خـلال المعارك الضارية وبعـدها ، تلك المباديء التي كنا نعتقد انها اصبحت فى حصن حصين ، وديست تلك القيم التي كنا نومن بانها صارت الدعائم المكينة للتطور الانساني والحضارة البشرية ، فضاعفت هذه الخيبة المريـرة من الم المصاب ، واورثت لهيب اللوعة والاسى ، بيد ان هذا الخطب وان جل ، وهـذه الكارثة وان عظمت ، وهذا الشر وان استطار ، فـان من المفروض علينا بحكم ماضينـا المشرق ، وحاضرنا المتطلع الى غد اشد اشراقا ، ان نواجه الكروب التـي

ففيـــر خاف عليك شعبي العزيـــز ، ان ذلك العدوان ، قد خلف ضحايا كثيرين ! ! منهم من كتبت لهم الشهادة وتركوا من خلفهم ذرية ضعافا ، ومنهم من اصيبوا في مواردعيشهم ومصادر قوتهم وقوت عيالهم، ومنهم الارامل ، ومنهم الايتام ، ومنهم المشـــردون بين المضارب والخيام .

وان هذه الحالة التي تفتت الاكباد ، وتبعث الالم في النفوس ، لتستدعي أن نعمل جميعا على التخفيف من حدتها وشدتها ، ولذلك فانني أهيب بك شعبـــي العزيز ان تبرهن في هذا الظرف العسير عما تحتمــه روابط الاخوة والتضامن من بذل الاسعـــاف ومـــن المساهمة في الاكتتاب الوطني الذي نفتتحه بنفسنـــا لفائدة الذين مستهم البأساء والضراء .

وقد اصدرنا لهذه الغاية امرنا لوزيرنا في الشؤون الداخلية بان يفتتح في جميع جهات مملكتنـــا مكاتب لجمع تبرعات رعايانا الاوفياء وتسليم توصلات لهـــم بالمبالغ التي يكتتبون بها ، وسيساهم وزراؤنا وموظفو الدولة بأجرة يوم الى جانب هذا الاكتتاب .

وقد كلفنا وزيرنا في الشؤون الادارية بأن يتخذ بانصال مع وزيرنا في المالية التدابير اللازمة في هـــذا المضمـــار

هذا وقد اصدرنا امرنا الى وزيرنا في الفلاحـــة والاصلاح الزراعي المكلف بالشؤون الاقتصاديـــة بان يفتح حسابا خاصا تتركز فيه المبالغ المجموعـــة قصد صرفها فيما هو ضروري في التغذية والعلاج والايـــواء والغـــذاء والسكـــن .

وبالاضافة الى هذا ، فان الدولة بادرت بالقيـــام بدورها في هذا المجال ، فأخذت في الحين التدابيـــر الكفيلة بتوجيه الاسعافات المستعجلة الاولى . .

ودون أن نطيل اي شرح او ندخل في اي تحليل فلنعلم نحن معشر المسلمين ان الله سبحانه وتعالـــى اخذنا بما اجرمنا وبما اذنبنا ، فأمرنا سبحانه وتعالى الا نتفرق فنفشل فتذهب ريحنا ، فتفرقنا وفشلنـــا فذهبت ريحنا ، امرنا سبحانه وتعالى الا يغتب بعضنا بعضا فتسابينا بالكـــلام ، أمرنا سبحانـــه وتعالـــى الا نتنكر لدينه وأن نجعل تعاليم دينه دستور حياتنـــا فتنكرنـــا لـــه سبحانه وتعالى حتـــى صار البعـــض منا يعتقد انـــه يمكن ان يسوس البلاد وهو مفرق بين الدين والدنيا ، فانكرنا الله سبحانه وتعالى

واننا لنرجو الله الا يؤاخذ جميع المسلمين ، فقد قال وقوله الحـــق « ولا تزر وازرة وزر اخـــرى » ، والامل عليه ان ينصرنا وان يعيد الينا مسلمين وعربا عزنا وشرفنا وكرامتنا ، واننا لعلى يقين من أن شعبنا الذي اعتدنا أن نراه سباقا الى المكرمات مجبـــولا على البذل والسخاء ، سيستجيب بالحماس المعهود فيه في مثل هذه المناسبات لندائنا هذا ويلبي دعاء ربه في كتابه الكريم « ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكـــم ويغفر لكم والله شكور حليـــم » .

والسلام عليكـــم ورحمـــة الله .

---

**لن يتنازل المغرب في يوم من الايام عن مكتسبات الاسلام وحقوقه التاريخية الثابتة في البقاع التي ورثها العرب عن اجدادهم**

**من خطاب صاحب الجلالة الملك المعظم في يوم التضامن العربي**

# نداء الى العالم الاسلامي من :
# رابطة علماء المغرب

ان رابطة علماء المغرب ازاء تدهور الوضع الحربي العربي فى الشرق الاوسط نتيجة للعدوان الصهيوني الغادر المسند بقوات الاستعمار الامبريالية العالمية .

**وازاء تحقق النيات الاستعمارية والتوسعية لدولة الصهاينة فيما استولت عليه من مواقع جديدة وخاصة مدينة القدس الشريف التي تحتوي على المسجد الاقصى ، اولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، ومسرى النبي صلى الله عليه وسلم .**

ونظرا لان هذه المدينة هي فى الحرمة والقداسة عند المسلمين كافة مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة وان احتلالها من طرف الصهاينة الانذال او من اي جهة غير اسلامية يعتبر عدوانا سافرا على الاسلام والمسلمين وتحديا لشعورهم الديني وامتدادا للحروب الصليبية التي شنها الغرب على الشرق بدافع من التعصب والحقد والانانية المقيتة .

ونظرا لان شريعة الاسلام الطاهرة وان كانت في روحها شريعة سلمية تدعو الى المهادنة وتحث على تجنب القتال ما امكن ، فانها عند مس المقدسات الدينية ومهاجمة بلاد الاسلام لا تقبل اية مهاودة فى وجوب الجهاد وفرض القتال فرضا عينيا على كل مسلم مسلم للدفاع عن الحرمات وانقاذ ارض الاسلام من سيطرة الاعداء ايا كانوا وعلى اية قوة وجدوا ( ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين الاية ) فانها تهيب بجميع المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، وفى افريقيا وآسيا واوربا فى باكستان وتركيا وايران والافغان والهند والصين والاتحاد السوفياتي واندونيسيا ومليزيا والفلبين فى غينيا وغانا والنيجر ونيجريا ومالي والسنيفال والحبشة والصومال وارتريا ومدغشقر ، فى البانيا وبولونيا وفلندا ويوغسلافيا ، وباقي المسلمين فى اي بلد اكثرية كانوا او اقلية ان يقفوا فى وجه المستعمرين الغاشمين والمعتدين الاثمين مضحين بالنفس والنفيس فى سبيل انقاذ القدس الشريف والمسجد الاقصى الذي بارك الله حوله وتحرير فلسطين وجميع الاراضي العربية من ايدي الصهاينة المجرمين ، من امكنه العمل بنفسه والجهاد بشخصه وماله فذاك ومن لم يمكنه بهما معا فبنفسه او بماله مقتدين فى ذلك بالصحابة الكرام والسلف الصالح الذين لم يالوا جهدا فى نصرة الاسلام واعلاء كلمة الحق صادرين فى جهادهم عن قوله تعالى : ( ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية ) وعلى الدول والحكومات الاسلامية ان تتخذ جميع الاجراءات بمقاطعة المعتدين والضغط على انصارهم وحلفائهم بجميع وجوه الوسائل حتى يتراجعوا عن غلوائهم واستهتارهم فى نصرة الصهيونيين ومحاربة المسلمين وعليهم ان يزودوا العرب المكافحين بالمال والسلاح وجميع عدد الحرب التي هم بحاجة اليها فى الظرف الراهن للدفاع عن كرامتهم وكرامة الاسلام والشرق العربي ، وعليهم ان يسهلوا سبيل المتطوعين فى بلادهم ويجهزوهم بالاسلحة والاعتدة التامة ويقيموا مراكز لتدريبهم ومطارات خاصة لتنقل القوات المجاهدة .

**تنتابنا الفينة بعد الاخرى ، والآلام التي تساورنا حينا بعد حين ، بالجلد الذي لا يضعف ولا يخور ، والعزيمة التي لاتفل حدها صروف الدهر ، والارادة التي لا تهون عند حلول النكبة ولا تستكين ـ ولن يكتب للامم العربية ان تنهض من كبوتها ، الا بامعان النظر في** اسباب هذه العثرة ، وان تسلك من السبل ما هو كفيل بجمع الكلمة ، واتحاد الصف ، واحكام الخطط والتدابير ، وان تستبدل الاساليب التي كانت اثيرة لديها ، محببة اليها ، بأساليب طريقة جديدة خليقة بأن تفضي بالجهود المبذولة الى الغايات المطلوبة والاهداف المخطوبة .. وليس من العسير على امم صلحت نياتها وصحت عزائمها ووطنت نفوسها على الشدائد ونبذت الانانية واتصفت بنكران الذات والايثار والتضامن والوئام ، واتخذت الاستقامة والصدق والجد في اقوالها وافعالها شعارا لها أن تبلغ ما تتوق اليه من مقاصد واهداف . فبرسمنا للخطط المحكمة وانصرافنا في غير هواده الى العمل البناء بمزاج جديد وعقلية تناولها التحويل والتبديل ، وبقلوب استوعبت الحوادث واستخلصت منها العبر يمكن ان نواجه المستقبل الذي يتطلب الجهد الجهيد ، والسعي الحميد ، بأفئدة ملؤها الامل والاستبشار .

شعبي العزيز

ان المرحلة التي نجتازها اليوم مرحلة شاقة عسيرة ، الا انه ليس من دابنا ولا من عادتنا وقد قطعت واياك مراحل أخرى عسيرة ، واجتزنا جميعا عقبات وسلكنا أوعر المسالك ، وسبلا احتفت بها المكاره ، وركبنا الصعب ـ ليس من عادتنا ان تنال من عزائمنا الشدائد والملمات والكوارث والنكبات .

**فكلما عجمت عودنا الظروف والاحداث ، وجدته صلبا لا يلين ، وقويا لا يهون ، فالطريق الممتد امامنا محفوف اليوم بالمكاره كما كان محفوفا بالامس لايخلو من عقبات تفرض علينا ان نكون يقظين واعين متبصرين ، فعلى كل فرد منا أن يؤدي ما عليه من واجب ويضطلع بما انيط به من مهام لنبلغ بجهودنا** المشتركة المتضافرة المتكاثفة ، ما نطمح اليه من احلال بلادنا المقام اللائق بها بين الامم ، الآخذة بأسباب التقدم والرقي . ولن ندرك الغاية من جهودنا الا اذا حطمنا في انفسنا كل جدار مبكى اقامته الحوادث الاليمة فيها ، وجعلنا نصب اعيننا الاهداف التي رسمناها لانفسنا ووطدنا العزم على بلوغها غير واقفين ولا معرجين ولا ملتفتين الى ما من شأنه أن يصدنا عن القصد وينحرف بنا الى السبل الملتوية التي تضل فيها الخطى ويضيع العزم .

**وانني ـ شعبي العزيز ـ لاجدد العهد للامة العربية والاسرة الاسلامية في هذه الليلة المباركة ان أظل جادا في الدفاع عن مثلها العليا وحرماتها المقدسة وحقوقها المسلوبة والعمل على اعلاء كلمتها ورفع شانها مقتفيا اثار الرسول الاكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي ضرب لجميع المخلوقات اروع الامثلة في جهاد النفس ومغالبة الهوى والايثار والتضحية ونكران الذات .**

واني لموقن بانك شعبي العزيز ستتخذ من هذه الذكرى ذكرى مولد المصطفى صلوات الله عليه وسلامه مناسبة للابتهال الى الله والتضرع اليه ان يجمع كلمة المسلمين على الحق ويؤلف بين قلوبهم على التقوى وينصرهم نصرا مؤزرا ، كما اني موقن بأنك لن تنسى في هذا العيد الاغر اخوانا لك هم اليوم احوج ما يكونون الى مواساتك ، واسعافك وبذلك وسخائك .

والله نسأل ، أن يثبت خطانا ، ويؤيد مسعانا ، ويعيننا جميعا على ما فيه صلاحنا ، وصلاح اخواننا ، في مشارق الارض ومغاربها ، ويحقق رجاءنا ، فانه لا يرد من دعاه ، ولا يخيب من رجاه ، وهو نعم المولى ، ونعم النصير ، وبالاجابة جدير . .

# المسلمون في بيروت

بقلم الشيخ طه الولي

سنة 16 هجرية ، دخلت القوات العسكرية الاسلامية مدينة بيروت وكان على راس هذه القوات سيدنا معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه من قبل اخيه يزيد بن ابي سفيان الذي كان معينا من قبل امير الجيوش العربية المعقودة اللواء لسيدنا ابي عبيدة بن الجراح فاتح الشام مع خالد بن الوليد رضي الله عنهما .

ولم تكن بيروت فى ذلك الحين اكثر من « بليدة على ساحل بحر الروم » كما قال ياقوت فى معجم البلدان . تتناثر بيوتها المتواضعة بين بقايا الانقاض التي تخلفت عن الزلزال المروع الذي دمرها عن آخرها سنة 556 للميلاد .

وعندما دخل المسلمون الفاتحون الى المدينة ، فان سكانها القلائل كانوا مزيجا من ابناء البلاد المحليين وجنود الروم الاغراب الذين يشغلونها وعائلاتهم لاغراض عسكرية وادارية . وجميع هؤلاء واولئك كانوا من النصارى الملكيين الذين يرجعون بشؤونهم الدينية الى السلطات الروحية البيزنطية . ثم ( صار المسلمون يتكاثرون ) فيها والروم تقل منها وقتا بعد وقت حتى صار اكثر اهلها ( مسلمين ) كما يقول صالح بن يحيى فى كتابه تاريخ بيروت ( ص 15 ) وما لبثت هذه المدينة طويلا حتى غمرتها الموجة الاسلامية وتقلص الظل النصراني بسبب فراغها من قوات الاحتلال الرومية الذين انسحبوا منها وفي اثرهم غالبية الذين هم على ملتهم من السكان البيروتيين الاصليين . وما ان استقر الامر للامويين فى دست الخلافة بدمشق ، حتى اصبحت بيروت مدينة اسلامية صرفة بشاغليها من العرب وغيرهم من الفرس الذين جلبهم معاوية من بلادهم واسكنهم بعض المدن السورية ، ليتخذ منهم قوة تذود عن البلاد محاولات العودة التي كان يقوم بها الروم بين الحين والاخر ، طمعا فى استرداد الملك الذي فقدوه فى هذه المنطقة .

وعلى الرغم من ان بعض هذه المحاولات قد ادركت غايتها فى بعض الاحيان لمدة بسيطة ، فان المدينة لم تفقد طابعها الاسلامي الجديد ، وبقيت محتفظة بهذا الطابع بلا انقطاع حتى اوائل القرن السادس للهجرة ، وهو الزمن الذي خضعت فيه للسيطرة الصليبية ( 503 هـ 1110 م ) .

كان الاحتلال الصليبي يستهدف ازالة التراث الاسلامي وازالة معالمه من جميع المناطق التي تفشى فيها ، وعلى هذا فلقد اصاب بيروت ما اصاب غيرها من القطاعات الصليبية وانحسر عنها سكانها المسلمون ، غير افراد قلائل قصرت بهم ظروف حياتهم المعاشية وامكاناتهم المادية دون النزوح من البلد ، فلم يجدوا بدا من التضامن للبقاء تحت ربقة عدوهم الذي حرمهم من الاحتفاظ بمساجدهم . فلقد ازال الصليبيون حتى مقامات اوليائهم ونساكهم ولم يعفوا الا عن مقام الامام الاوزاعي بشفاعة من ابناء دينهم نصارى جبل لبنان الذين ذكروا له شفاعته بهم عندما نقضوا

والرابطة في هذا المقام تشيد بروح المقاومة العالية التي ابدتها الجيوش العربية المجاهدة وتنوه بالبطولة التي ابداها ملوك ورؤساء الدول المحاربة وتعلن ان الجيش العربي لم ينهزم ولكنه استمات واستشهد تحت قوات الحديد والنار الجبارة التي امدت بها الدول الاستعمارية دواما واستمرارا دولة الصهاينة المعتدين.

وتخص الرابطة بالذكر والتنويه جهود جلالة الملك المعظم الحسن الثاني ملك المغرب ومبادراته المادية والمعنوية لمناصرة اخوانه ملوك العرب ورؤسائهم ومواقفه التضامنية الرائعة ، وتدعو للمزيد من ذلك واضعة نفسها رهن اشارة جلالته في كل ما يستدعيه دعم الموقف العربي والاسلامي ، والوقوف بجنب جلالته في جميع المبادرات والاعمال التي يتخذها في هذا السبيل .

والله المسؤول ان يتغمد الشهداء برحمته ويبوئهم اعالي الفردوس وان ينصر الاسلام والمسلمين ، ويأخذ بيد العرب في هذه العثرة ويؤلف بين قادتهم وزعمائهم ويلهمهم الرشد فيما يخططون ، والتوفيق فيما يعملون ويعين جلالة الملك على الاعباء الثقيلة التي يتحملها ويسدد خطاهم في السعي لمصلحة العرب والاسلام ، ( والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ) والسلام .

**حرر بالرباط في 7 ربيع الاول 1387**
**الموافق 16 يونيه 1967**

**الامين العام للرابطة**

**المغرب الاقصى : عبد الله كنون**

**لكنها لم توقد ....**

الشرق مضطرم الجوانح ، ثائر
والغرب يهدر كالخضم المزبد
اني أرى نارا أعد هشيمها
وثقابها ، لكنها لم توقد

**(( محمود غنيم ))**

السلطات المملوكية اضطرت فيما بعد الى مطاردتهم فى هذه الجرود ، وبناء على فتوى من شيخ الاسلام ابن تيمية الحراني قام نائب الشام تنكز والقائد جمال اقوش الافرم باجلائهم كذلك عن هذه المناطق بسبب كثرة تعدياتهم على الاملاك العامة وقطعهم السابلة وفتكهم بمن ينفردون به فى بلادهم من عساكر السلطان وعامة المسلمين .

وقد عرفت بيروت فى ايام المماليك غزارة ملحوظة من السكان المسلمين الذين تكاثروا بمن شاركهم فى سكناها من العناصر الاسلامية غير العربية ، امثال التركمان ، والاكراد والشركس ذلك بان الولاة الذين كان ينيبهم السلطان المملوكي عنه فى حكم بلاد الشام ، لاحظوا ان مدينة بيروت ما زالت تستهوي مطامع الصليبيين الذين ذاقوا حلاوة احتلالها قرابة القرنين من الزمان ووجد الولاة المذكورون ان سادة المدينة السابقين من الافرنج لا يفتأون يتطلعون الى معاودة النزول فيها من جديد بالتعاون مع ابناء دينهم من النصارى المحليين لا سيما سكان جبل لبنان المطل عليها ، فعملوا على حشد اكبر عدد من المسلمين فى ارجائها وفي الارياف المحيطة بها واختاروا لهذا الغرض عشائر شبه بدوية امتازت بقوة الشكيمة والتقاليد الحربية المتوارثة ، وهكذا عرفت بيروت ، ذلك الوقت ، كثرة اسلامية ساحقة من السكان الاصليين وممن توافد عليهم من هذه العشائر حتى اصبح من المستحيل على الصليبيين الافادة من مغامرات قراصنتهم فى البحر او نشاط عملائهم في البر . وقد نتج عن الاعمال الاستفزازية التي قام بها هؤلاء واولئك ان عمدت السلطات الحاكمة الى تضييق الخناق على من تبقى من النصارى فى بيروت نفسها حتى ضاقوا ذرعا بما آل اليه امرهم فى المدينة واختاروا اماكن اخرى بعيدة عنها تاركين المجال امام المسلمين ليبقوا وحدهم سكانا لها .

والجدير بالذكر انه ما تزال فى ضواحي بيروت الى جهة الشمال ، امكنة تعرف باسم « الازواق » اي الاسواق مثل وزق مكايل ، وزوق مصبح . وقد كانت فى الاصل معسكرات ينزل فيها افراد تلك العشائر المسلحة وعائلاتهم . وقد تحولت هذه الازواق اليوم الى قرى يسكنها النصارى على المذهب الماروني . وقد اختار الامير فؤاد شهاب رئيس الجمهورية اللبنانية السابق احدها مقرا للرياسة بسبب قربها من جنوبية بلدته الاصلية .

وفي سنة 923 هـ 1545 م عندما حل الاتراك العثمانيون محل سلاطين المماليك فى الشام ومصر والبلاد العربية الاخرى كانت بيروت مدينة اسلامية بمن فيها من السكان والاهالي . ولم ير هؤلاء السادة الجدد بأسا من الاستمرار بالاعتماد على العشائر التي انزلها الحكم السابق فى المدينة وغيرها من المناطق الاستراتيجية فى الساحل . فبقيت بيروت محافظة على مظهرها الاسلامي بصفة عامة ، الا ان النصارى كانوا يتسربون اليها باعداد قليلة فى ازمان متفاوتة ، دون ان يجدوا حرجا من الدولة العثمانية التي كانت تغض الطرف عنهم رغبة فى استصناعهم ضد المسلمين الشيعة الذين كانت الدولة تنظر اليهم شزرا بسبب اشتراكهم مذهبيا مع خصومها الايرانيين لما كان بينها وبين هؤلاء الاخيرين من حروب لم يهدأ اوارها من حين ابتدات بين السلطان سليم الاول والشاه اسماعيل الصفوي على ما هو معروف فى التاريخ . وفي هذه الاثناء اتيح للنصارى ان يشيدوا بعض الكنائس الصغيرة لممارسة طقوسهم الدينية لا سيما خارج اسوار المدينة القديمة .

بيد ان قبضة السلطة العثمانية الاسلامية ، كانت تضطر للتراخي فى بعض الظروف بسبب متاعبها العسكرية مع الدول الاوروبية ، الامر الذي جعل النصارى فى جبل لبنان يتوقون الى توسيع نطاق نفوذهم فى المدينة . فكانوا ينتهزون اي مناسبة عابرة تكون فيها الدولة مضطرة لمسايرة الاوروبيين او مهادنتهم ، ويعملون على توسيع مجالات سكناهم فى بيروت وانشاء مؤسساتهم الدينية حتى استفحل امرهم فيها اخيرا وكادوا يصبحون الكثرة الغالبة من سكانها ، حتى اذا بدأ النصف الثاني من القرن الثامن عشر للميلاد وجد البيروتيون انفسهم وقد اصبحوا تحت حكم الامير يوسف الشهابي المتنصر الذي اتخذ من بني ملته وجلدته بطانة له وانصارا لحكمه ، وشرع امامهم ابواب المدينة ليأخذوا بناصية الامر فيها ويتحكموا بمقدراتها ويهيمنوا على مصيرها .

وفي هذه الاثناء حدث تحول لم يكن فى حسبان احد ، اذ عرفت سورية حاكما بشناقيا عنيدا ظهر فى ميدان السياسة المحلية تحت شعار عودة الاسلام والمسلمين الى بيروت بمختلف الوسائل والاساليب ، هذا الحاكم هو احمد باشا المعروف بالجزار .

ومن الطريف ان هذا الحاكم المتحمس لصهر بيروت بالبوتقة الاسلامية عمرانا وسكانا ، لم يكن في

عهد الامان ايام العباسيين . وحينما استعاد المسلمون بلادهم على يد صلاح الدين الايوبي لم يعثروا فى بيروت على العدد اللازم من ابناء المدينة المسلمين بما يكمل العدد الشرعي لصلاة الجمعة فضلا عن انهم لم يجدوا المسجد الجامع لاداء هذه الصلاة مما اضطر السلطان صلاح الدين الى مصادرة كنيسة مار يوحنا التي حولها الصليبيون خلال دفاعهم عن المدينة الى قلع عسكرية وجمع الناس للصلاة فيها واتخذها من حينه مسجدا جامعا للصلاة ، وفي عهد الصليبيين كانت جمهرة السكان فى بيروت من النصارى الاوروبيين ومن والاهم من نصارى جبل لبنان الذين انحدروا من قراهم ودساكرهم الى المدينة طلبا للعمل فى المؤسسات الصليبية من مدنية وعسكرية وانتجاعا للرزق على موائد المحتلين ، ومع الزمن المتطاول ، تكونت من هؤلاء النصارى المحليين والوافدين ، مجموعة سكنية اكتسحت المدينة بطابعها الديني المميز. وبعد حوالي تسعين سنة اي عام 583 هـ 1187 م دار الدهر دورته واستأنف الاسلام وجوده فى بيروت ، اذ عاد اليها المسلمون متقاطرين من الديار الاسلامية المجاورة بالاضافة الى الجيوش والحشود التي جاءتها فاتحة بقيادة صلاح الدين الايوبي .

ولقد ادى وجود هذا السلطان المسلم الى تغيير الوضع الديني فى المدينة حتى بين النصارى انفسهم الذين وجدوا فى مروءته وانسانيته ما حملهم على اعتناق دينه والانضواء الى جماعته تحت رايته ، ولقد بادر صلاح الدين الى انتهاج خطة تهدف الى المحافظة على مكاسبه العسكرية ، وذلك بانزال عدد كبير من ابناء جنسه الاتراك فى مناطق حكمه ومنها بيروت ، الامر الذي ادى الى مضاعفة عدد المسلمين فى هذه المدينة ، وما يزال عدد من هؤلاء موجودين فى انحاء متفرقة من بلادنا حتى اليوم ، لا سيما فى قضاء الكورة من شمال لبنان ويعرفون بالاكراد الايوبية .

على ان هذا الوجود الاسلامي فى بيروت لم يقيض له الاستمرار طويلا ، اذ انه تلاشى مرة ثانية بعد ان تركز حوالي عشر سنوات وذلك بسبب استرجاع الصليبيين للمدينة على اثر وفاة صلاح الدين ، هذه الوفاة التي كانت كارثة بما اعقبها من اضطراب السلطة الاسلامية فى البلاد لتنافس خلفاء هذا السلطان المجاهد على الحكم واجتماع كلمة الصليبيين على انتهاز الفرصة والوثوب على القواعد الاسلامية واسترجاعها واحدة بعد اخرى من يد حكامها المسلمين المتفرقين . وفي هذه المرة نزل بمسلمي بيروت ما سبق ان نزل بهم من قبل فلووا اعناق مطاياهم تاركين مدينتهم الى غيرها من المدن التي توسلوا العيش فيها محافظين على مصالحهم ودينهم وطمأنينتهم .

بيد ان الخسائر العسكرية التي مني بها الصليبيون على يد صلاح الدين وقواد المسلمين الذين جاءوا من بعده تركت فيهم وهنا وضعفا بحيث لم يتمكنوا من الاستقرار والتمتع بمزايا الانتصارات العسكرية التي اصابوها ، فبقيت قبضتهم على البلاد التي استعادوها بالقوة والقهر ، مشوبة بالاضطراب والقلق . وقد دامت هذه الفترة الصليبية الثانية مع الوجود النصراني ببيروت من سنة 593 هـ 1197 م الى سنة 690 هـ 1291 م ففي هذه السنة سلمت بيروت صلحا الى سنجر الشجاعي الذي افتتحها باسم السلطان الاشرف جليل ابن الملك المنصور قلاوون الالفي .

وبعودة بيروت الى حوزة الجيوش الاسلاميه تحت راية المماليك الذهبية اعاد التاريخ نفسه اذ تنفس المسلمون البيروتيون الصعداء بينما تراجع الوجود النصراني عنها مع هزيمة الصليبيين الذين ( جهزهم سنجر الشجاعي ) الى دمشق ومنها انفذهم الى مصر بأجمعهم ... ولما وصلوا الى مصر اطلقهم السلطان وقال لهم : ( اماني باق عليكم ) وخيرهم بين العودة الى بيروت او التوجه الى قبرص ، فتوجهوا الى قبرص بأجمعهم ( تاريخ بيروت لصالح بن يحيى ص 28 ) وكان فى جملة من تركوا بيروت يومها العديد من النصارى المحليين الذين آثروا مشاركة الصليبيين مصيرهم فى قبرص تحت حراسة العمارة الاسلامية التي اقلتهم قطعها البحرية الى هذه الجزيرة حيث للصليبيين مملكة مستقلة بامارة اللوزينيان قوامها بقايا الاوروبيين الذين خسروا سلطانهم فى بلاد الشام.

وما يزال فى جزيرة قبرص حتى اليوم طائفة منحدرة من الموازنة الذين افرد لهم الحكم الحالي فيها مقعدا نيابيا يشغله واحد منهم فى هذه الايام .

وفي ايام المماليك غدت بيروت مدينة اسلامية من بابها الى محرابها كما يقول المثل السائر ، واصبح اهاليها جميعا تقريبا من المسلمين ، بينما انصرف عنها النصارى الذين لم يرافقوا الصليبيين الى قبرص . وآثروا الاقامة فى الجبال المطلة عليها وتكتل هؤلاء في جرود كسروان التي تقع الى شمالي المدينة . على ان

لاقامة كيان من لون طائفي معين تحكمه بعض العائلات الاقطاعية التي استدرجت بدعايات مختلفة الى اعتناق هذا اللون وقد اعتنقت هذه العائلات او بعضها ما استدرجت اليه بالفعل مما سهل امام الفربيين تحقيق مراميهم الى حد كبير .

ففي سنة 1840 افتعلت فى دمشق فتنة طائفية رعناء بين المسلمين والنصارى بدسائس الانكليز الخبيثة وادت هذه الفتنة الى نزوح كثير من العائلات النصرانية من العاصمة الاموية باتجاه جبل لبنان وبيروت ، ثم فى سنة 1860 قامت فتنة اخرى اشد نكالا من الاولى ولكن فى جبل لبنان هذه المرة ، حيث توزعت الادوار المؤذية بين الانكليز الذين تظاهروا بتأييد الدروز وبين الفرنسيين الذين تظاهروا بتأييد النصارى وكان من نتيجة هذه الفتنة الثانية ان نفذت المرحلة الثانية من المخططات الغربية القاضية بتهجير الطوائف النصرانية الى بيروت ليصبحوا بعد قليل اكثر عددا ونفوذا من اهاليها المسلمين وذلك تمهيدا لما حصل بعد الحرب العالمية الاولى من قيام دولة لبنان الكبير واتخاذ بيروت عاصمة رسمية لهذه الدولة .

ومنذ ذلك الحين اخذ ميزان القوى السكنية في مدينة بيروت يميل لصالح النصارى الذين كان عددهم يربو يوما بعد يوم حتى اصبحوا غالبية ملحوظة بالنسبة الى مواطنيهم المسلمين ، على انه بالرغم من ان الغالبية العددية من سكان بيروت كانت نصرانية الا ان هذه المدينة بقيت محتفظة بسماتها الاسلامية على وجه العموم وكانت كلمة « بيروتي » تعني المسلم البيروتي ، وكلمة « جبلي » تعني النصراني اللبناني ولو انه من سكان بيروت بالفعل .

في هذه الفترة حدثت مضاعفات خارجية كان من شأنها ان تلقي بعض الظلال العارضة على توازن النسبة العددية بين السكان المسلمين والنصارى في المدينة ، وهذه المضاعفات هي الاحداث العسكرية التي وقعت فى شمال افريقيا وادت الى احتلال فرنسا للجزائر سنة 1832 ثم فرضها الحماية على تونس سنة 1881 فلقد احدث نزول فرنسا المتعاقب فى أرض هاتين الدولتين الاسلاميتين موجة من الذعر والاضطراب فى نفوس كل من الجزائريين والتونسيين مما حدا بكثير منهم الى مغادرة وطنهم باتجاه الشرق ليكونوا فى حمى دولة الخلافة الاسلامية التي كان يمثلها آل عثمان فى اسطمبول . ولقد اختار هؤلاء بلاد الشام دار هجرة لهم فاستقروا بدمشق حول زعيمهم الامير عبد القادر الجزائري الذي اختارها لمقامه غير ان عددا منهم اثر البقاء فى بيروت الى جانب اخوانهم المسلمين فيها وكما فعل الجزائريون فعل النازحون التونسيون من بعدهم وما تزال اسماء « الجزائري والمغربي » سمة على العديد من أهل بيروت حتى اليوم . الا ان كمية هؤلاء الذين استقروا فى بيروت لم تكن بالدرجة التي تؤدي الى تجاوز عدد مسلمي البلد على نصاراها اذ ان هؤلاء بقوا محافظين على تفوقهم العددي على مواطنيهم المسلمين وكما حدث فى غضون القرن الماضي بالنسبة للجزائر وتونس فان هجرة اسلامية اخرى وصلت موجاتها البشرية الى بيروت قادمة من بلاد المغرب (مراكش) عند سقوطها بيد فرنسا سنة 1912 ومن بلاد طرابلس الغرب عند احتلالها من قبل الطليان سنة 1911 ، وعلى الجملة كان عدد النازحين من شمال افريقيا العربية الى بيروت فى تزايد مستمر باستمرار الوجود الفرنسي هنالك وان هؤلاء النازحين كانوا يشكلون فى اواخر العهد العثماني جالية موفورة العدد ببيروت حتى ان هذه المدينة كانت تحتوي على مقبرة خاصة بهم باسم « مقبرة المغاربة » وكان مكانها في نفس المكان الذي تقوم عليه بناية المقاصد الخيرية الاسلامية التي فيها سينما ريفولي اليوم شمالي ساحة الشهداء . ولقد كان من بين المهاجرين الى بيروت فضلا عن المغاربة ، مسلمون من مختلف البلدان والجنسيات وهؤلاء كانوا يتركون ديارهم التي تقع فى ايدي الاجانب فى اعقاب تخلي الدولة العثمانية عنها بالحرب او بالمساومة كما حصل فى جزيرة كريت وكما حصل كذلك فى مصر التي منيت بالاحتلال الانكليزي بحجة حماية عرش الخديوي من ثورة عرابي باشا سنة 1882 وكثيرا ما نجد بين العائلات البيروتية المعاصرة اسماء المصري والفيومي والدمياطي والدسوقي نسبة الى المدن المصرية التي قدموا منها منفيين او طائعين، ولقد ترك لنا احد هؤلاء المصريين وهو الشيخ محمد عبد الجواد القاياتي مذكراته التي دونها اثناء اقامته فى بيروت وذكر فيها ان البلد فى زمانه تشتمل على نحو ثمانين الفا من النصارى ونحو عشرين الفا من المسلمين ، ومع ذلك فان معاملة النصارى لاهل الاسلام معاملة بغاية الادب والتزام التوقير للصغير والكبير لامرين :

الامر الاول وهو الذي عليه المعول ، شهامة الطائفة الاسلامية وشدة غيرتهم الدينية مع قلة عددهم .

الاصل الا غلاما نصرانيا من بلاد البوسنة ، هجر بلاده على اثر اختلافه مع اخيه لاسباب عائلية كي يبيع نفسه رقيقا ، من نخاس يهودي في اسطمبول ، وهذا نصحه باعتناق الاسلام ليروج سوقه ويتضاعف ثمنه، وهذا ما حدث بالفعل ، ثم تطورت الايام ، واذا بهذا الغلام النصراني عندما بلغ اريكة الحكم على ولاية سورية يصبح اشد نكالا على النصارى من اي حاكم سبقه في اي عهد من العهود .

في ايام هذا الحاكم عرفت بيروت مدا اسلاميا مركزا كما عرفت مقابل ذلك جزرا نصرانيا واضحا واصبحت هذه المدينة المسورة لا تضم داخل ابوابها المصفحة بالحديد الا المسلمين تقريبا بينما ارتد عنها النصارى لائذين باكناف الجبل متربصين للعودة اليها في الوقت المناسب ، ولقد بلغ من قلة عدد هؤلاء في المدينة انهم اشتركوا كاثوليكا ورما واروتوذكس في كنيسة واحدة على خلاف ما تسمح به طقوسهم المذهبية المتناقضة في هذا الصدد .

وبقي الحال كذلك بالنسبة للمسلمين والنصارى في المدينة حتى جاء الوقت المناسب لهؤلاء الاخيرين وذلك حينما حل الحين بالجزار نفسه فتنفسوا الصعداء وانطلقت قرائح شعرائهم تردد القول بشماتة لا تخفى منها ملامح الحقد الذميم :

لله درك يا منون فقد بدت
منك الحياة وطاب حكمك واعتدل

فاز الانام وارخوه بمقصد
هلك الشقي والى جهنم قد رحل

واما اهل بيروت فلقد وقع عليهم موت الجزار كمثل الصاعقة القاتلة ، وراح شاعرهم يصور مشاعرهم في هذه المناسبة الاليمة بقوله :

يا ايها الجزار اعناق العدى
يا من هوى السادات والامجاد

هم اهل بيروت الذين تزينت
منهم بدر عطائك الاجياد

وملكتهم ووداهم لك صادق
ما ان لهم فيمن سواك وداد

لا تقضي فيه ولست فيه مشاركا
بل فيك دوما لم يزل يزداد

ولقد خدمتك مادحا بقصيدة
ومديح مثلك في الانام رشاد

وبعد موت الجزار بزمن قليل اخذ الوضع الديني في بيروت يتجه لصالح الوجود النصراني على حساب الوجود الاسلامي حتى اذا كانت سنة 1831 تطامنت اسوار المدينة تحت وطأة فاتحها ابراهيم باشا المصري ابن عزيز مصر محمد علي باشا الارناؤوطي . فقد دخلها ابراهيم بعد ان كسر بقوة جيشه ابوابها المصفحة ثم بادر فورا الى اباحة سكناها للنصارى بتشجيع من الدولة الفرنسية التي كانت وراء حملته على سورية فتدفق هؤلاء اليها منحدرين من قنن لبنان وسفوحه بلهفة وشوق دون اي عائق او مانع ، متخذين من حنا البحري الذي استخلصه ابراهيم باشا لمشورته مفتاحا لقلب القائد وقلب المدينة في آن واحد ، وما كادت سنوات القرن الثامن عشر تشارف نهايتها وسنوات القرن التاسع عشر تواجه بدايتها حتى اصبح سكان بيروت يتقاسمهم الدينان الاسلامي والنصراني ، وعندما اجبر ابراهيم باشا على الجلاء عن المدينة في تراجعه عن سائر فتوحاته بسورية والاناضول ، كانت الدول الغربية تمسك بزمام المبادرة في السياسة العثمانية وتوجهها وفق وصية القائد الصليبي لويس التاسع الذي لاقى حتفه في تونس خلال آخر حملة صليبية ضد الاسلام والعرب . وكانت وصيته تقضي بابعاد المسلمين عن الشواطيء الشرقية للبحر الابيض المتوسط الذي حولته الفتوحات الاسلامية الى « بحر العرب » بعد ان كان يسمى قبلا « بحر الروم » .

وعلى هذا فان ظاهرة تهافت النصارى على دخول بيروت وسكناها لم تكن عادية ولا عفوية ، بل انها جاءت نتيجة مدروسة لتخطيط غربي قديم تواضع على اعداده وتنفيذه زعماء السياسة الاوروبية في حينه، واجتهدا في افتعال المبررات المحلية لنجاحه على الوجه الذي رسمته لهم من قبل وصية لويس التاسع الذي يلقبونه ( بالقديس ) بينما كان ممثلوهم القنصليون في البلاد السورية بدمشق وحلب وبيروت يتعاونون فيما بينهم على تنسيق اعمالهم في هذا الصدد وستر اغراضهم الحقيقية بمناورات سياسية ظاهرها التعاون مع السلطات العثمانية لاقرار الامن وعودة الهدوء الى البلاد المضطربة بالفتن الطائفية ، التي كانوا هم بالفعل من ورائها ، وباطنها تنظيم هجرة جماعية كثيفة للعائلات النصرانية من داخل سورية الى ساحلها المحاذي لجبل لبنان ومن ثم تركيز هذه الهجرة بلباقة وهدوء وذلك في بعض قرى الجبل وبصورة خاصة في مدينة بيروت بالذات . وذلك تمهيدا

# الشخص في الإسلام
## المعطيات النشوئية

للعميد
محمد عزيز الحبابي

**بمناسبة الطبعة الثالثة بالفرنسية لكتاب « الشخصانية الاسلامية » ( باريز ، المطابع الجامعية الفرنسية ) يسعدنا ان ننشر فى هذا العدد فصلا من هذا الكتاب ، شاكرين لمؤلفه الزميل محمد الحبابي عميد كلية الآداب هذا التعاون ، متمنين ان نرى قريبا الكتاب منشورا بالعربية .**

### 1 ــ من الجانب الاونطولوجي :

ان الشخص يتميز عن بقية الحيوانات بقدرته على التركيب . لكن ، من الوجهة الاونطولوجية ( نعني من المنظار الخاص بالكينونة ) ، نجد ان الشخص فى الاسلام يتحدد ، هو ذاته ، كتركيب : تركيب بيولوجي ( الجسد ) وحياة روحية .

فالتكوين البيولوجي ، كما يصفه القرآن ، جد بسيط : « **واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم . . .** » ( 7 : 171 ) ، أي أن الله « **خلق الانسان من نطفة** » ( 16 : 4 و 36 : 77 ) . وهذه الظاهرة ليست الا حلقة ممتازة فى مجموع مراحل التطور :

**« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ،**
**ثم خلقنا النطفة علقة ،**
**فخلقنا العلقة مضغة ،**
**فخلقنا المضغة عظاما ،**
**فكسونا العظام لحما ،**
**ثم انشاناه خلقا آخر ،**
**فتبارك الله احسن الخالقين ! » (32 : 12 الى 14)**

نجد نفس الوصف فى آيات اخرى ، فلنكتف بسرد ما من بينها يتمم السابقة :

**« أيحسب الانسان أن يترك سدى ؟**
**ألم يك نطفة من مني تمنى ؟**
**ثم كان علقة فخلق فسوى ،**
**فجعل منه الزوجين الذكر والانثى »** ( 75 : 37 الى 39 (1) .

يعتبر آدم وحواء الزوجين الاولين اللذين تكونا على هذا الشكل ، فتفرعت عنهما الانسانية جمعاء . هذه المعطيات « البيولوجية » بعيدة عن أن تجيب عن تساؤلاتنا حول الكائن . بيد انه ، اذا كان جوهر الكائن ظل لغزا محيرا ، فهناك ، على الاقل ، تأكد واحد : **اننا موجودون** . لكن ، ما دام القرآن ليس بكتاب فلسفي سيبقى المشكل قائما الى ان يشتغل به الفلاسفة المسلمون فيما بعد .

* * *

1 ) انظر كذلك ، 18 : 37 ــ 22 : 5 ــ 35 : 11 ــ 53 : 42 ــ 76 : 2 ــ 80 : 19 .

والامــر الثاني ، مراعاة الحكـــام للجري على مقتضيات القوانين والنظام ( نفحة البشام في رحلـــة الشام ص 26 ) وفي سنة 1920 اعلن ممثل الاحتلال الفرنسي الجنرال غورو الكيان اللبناني بصفة رسمية تحت اسم دولة لبنان الكبير وجعلت بيروت عاصمـــة لهذه الدولة الناشئة ، ومن ذلك الوقت انفتحت هـــذه المدينة عمليا امام سيل دافق من الهجرات النصرانيـــة تألبت عليها من مختلف الجهات والاجنـــاس ، فلقـــد استقدم الفرنسيون اليها جماعات بشرية كثيفة مـــن السريان والكلدان والاشوريين والامن الذين تركـــوا مواطنهم الاصلية تحت وطأة ظروف عسكرية نشـــأت عن حرب الاستقلال في تركيـــا ، وهيأت لهم سلطات الاحتلال اسباب الاقامة الدائمة سواء في قلب العاصمة اللبنانية او في ضواحيها القريبة منها .

وبمقابل ذلك ، فان الثورة الوطنية التـــي عمت البلاد السورية ما بين عامـــي 1924 و 1926 ضـــد الانتداب الفرنسي دفعت عددا من مسلمي دمشـــق والمدن التي اصابها رشاش الاضطراب الى البحث عـــن امنهم ومعاشهم في بيروت ولكن هؤلاء لم يكونوا مـــن الوفرة بحيث يتأثر بهم فريق دون آخر في المدينة على ان بعض السياسيين اللبنانيين كانوا يعيشون في جـــو عقدة نفسية بالنسبة للتوازن الطائفي في البلد ومـــن هؤلاء الرئيس اميل اده الذي ما ان تسنم رئاســـة الجمهورية اللبنانية حتى صرف كل همه لاقناع نصارى جبل لبنان بالتوجه الى بيروت والاقامة الدائمة فيهـــا واتخذ من المركزية الادارية في العاصمة وسيلة غيـــر مباشرة لاستدراجهم الى تحقيق هذه الغاية التي لـــم تكن في الواقع الا استمرارا للسياسة الغربية التـــي تقضي بجعل بيروت مجموعة متنافرة من الطوائـــف والاجناس كيلا تتحد كلمة الشعب في راي عام منسجم ضد اغراضها الاستعمارية التاريخية .

واذا نحن تابعنا مجرى تطور الاحداث في الشرق العربي خلال بداية النصف الثاني من القرن العشريـــن للميلاد فانه يتبين لنا ان الاحصاءات الطائفية في مدينة بيروت خضعت لتقلبات تتراوح بين صالـــح النسبة الاسلامية وبين صالح النسبة النصرانية . فعندما وقع الانقلاب العسكري ضد النظام الملكي في مصر سنـــة 1953 بادر غالب المصريين الذين تحدروا من اصـــل لبناني ، ويكاد يكونون جميعا من النصارى ، بادر هؤلاء الى مغادرة مصر الى بيروت حيث منحتهم السلطات اللبنانية الجنسية اللبنانية على اساس انهم يستردون جنسيتهم الاصلية قبل ان يغادر آباؤهم لبنـــان الى مصر للعمل في خدمة الدوائر الانكليزية التي كانـــت تحتاج اليهم كتراجمة وموظفين في دوائر الاستعلامات او في الدوائر التي لا تطمئن الى وجـــود ابناء البلـــد المصريين فيها . وعدد هؤلاء المتمصرين العائدين الـــى بيروت يتجاوز عشرات الالوف وقد اصبحوا عمليـــا من اهالي بيروت وسكانها ، لهم نفس الحقـــوق التي لهؤلاء ، وعليهم نفس الواجبات .

ثم انه عندما انتقل النظام المصري الى سوريـــة بسبب اندماج البلدين في وحدة سياسية تامة تكررت نفس الظاهرة ولكنها هذه المرة كانت تحمل في تضاعيفها مزيجا اسلاميا نصرانيا من الافراد الذين وجدوا فـــي النظام الاقتصادي اللبناني الحر متنفسا لنشاطهم المالي الذي لم يعد يجد له متسعا في البلاد السورية التـــي وضعتها الوحدة مع مصر في اطار التجربة الاشتراكية للاقتصاد الموجـــه .

واذا انتهينا الى واقع بيروت في الوقت الحاضر فاننا نلاحظ بان السياسات الغربية المتلاحقة قد افلحت الى حد كبير في ابراز هذه المدينة على النحو الـــذي يتفق ومخططاتها القديمة ، اذ ان نسبة المسلمين الى مواطنيهم النصارى لاتكاد تتجاوز الثلث ، وهذا يبدو جليا من خلال توزيع المقاعد النيابية حسب جـــداول الناخبين البيروتيين .

اما من الناحية العملية فان هذه النسبة لا تمثل الواقع العملي ، لاسيما بعد الاحداث الفاجعة التـــي وقعت بفلسطين سنة 1948 هذه الاحداث التي اقتلعت عشرات الالوف من ابناء البـــلاد المقدسة وجعلتهـــم لاجئين في بيروت ينتظرون مصيرهم المجهول داخـــل مخيمات البؤس والشقاء المبثوثـــة في العراء محرومين من كل وسائل الحياة الانسانية الكريمة في المدينة التي تضاهي ببذخها وترفها ارفـــع المستويات الحضاريـــة في العالـــم ...

اما بعد ، فانه ايا ما كانت الارقام التي تمثل عدد المسلمين او عدد النصارى في بيروت فان هؤلاء واولئك يعيشون بعضهم الى جانب بعض تحت لواء وارف من الاخوة الوطنية الصادقة التي تشدهم في عروة وثقـــى من حب مدينتهم والاخـــلاص لرقيهـــا وازدهـــارها وتطـــورهـــا .

**بيـــروت : طـــه الولـــي**

الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة،
زيتونة لا شرقية ولا غربية ،
يكاد زيتها يضيء ،
ولو لم تمسسه نار ،
نور على نور ،
يهدي الله لنوره من يشاء ». ( 24 : 35 ) .

* * *

لقد تحدثنا عن حدوث الروح ، لكن :
ما هي الروح ؟
انها ، حسب القرآن ، سر الهي مكنون ، يقول الله مخاطبا نبيه :

**« ويسالونك عن الروح ، قل :**
**الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .**
( 17 : 85 ) .

فالروح واقع ، ولكن الله وحده يعرف ماهيتها لانها صادرة عنه :

**« تنزل الملائكة والروح على من يشاء من عباده ».**
( 16 : 2 ) .

يتركب الكائن البشري من جسم وروح . انه يرمي الى ان يصير شخصا بقدر ما يتوفق فى ايجاد توازن بين هذين العنصرين ، وان يجعل من ذاتيته وحدة ينسجمان فيها . فالشخص ، بهذا المفهوم ، قدرة على بوحد ذاته ، وبالتالي فاعلية للخلق الذاتي ، انطلاقا من معطيات حباه الله بها ، وحسب مبادىء اقرها واوحى بها الى رسله ليبلغوها الى الانسانية .

يدعو القرآن الى استخدام العقل ومعرفة الكون، كما يحيا فيه ويوجهه :

**« افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت ؟ »** ( 88 : من 17 الى 21 ) .
وفى الآيات ( من 2 الى 11 ، السورة 50 ) نرى القرآن يوضح نفس الفكرة :

**« افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها ،**
**وزيناها وما لها من فروج ،**
**والارض مددناها ،**
**والقينا فيها رواسي ، وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ،**
**تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ،**
**ونزلنا من السماء ماء مباركا ،**
**فانبتنا به جنات وحب الحصيد ،**
**والنخل باسقات لها طلع نضيد ، رزقا للعباد ،**
**واحيينا به بلدة ميتا ،**
**كذلك الخروج » .**

## 2 ــ من الجانب الاخلاقي :

يجب فى الاسلام ان يكون الشخص غاية ، كما هو الحال عند ( كانط ) لا وسيلة يستخدمها الاخرون . هناك حديث نبوي يقول : « الخلق كلهم عيال الله ، واحبهم الى الله أكرمهم لعباله » . وفى حديث آخر : « ان غضب الله يحل بالذين لا ينصفون من لا مدافع عنه الا هو تعالى » (1) .

يفترض هذا مسبقا ، وجود استقلال ــ الذات الشخصي ، او الحرية التي بدونها يستحيل اي التزام اخلاقي ، بله الحياة المعشرية ، والمساواة التي تدافع عنها الأخلاق والقانون ، كما جاء فى الحديث : « لا فضل لعربي على عجمي ، ولا ابيض على اسود . . . » ، اذ الله يرعى ، برحمته ، الاحمر والاسود والابيض (2) . من هنا كان الاسلام ، الذي هو ، فى نفس الوقت ، اعتقاد ( ايمان ) وفقه ( معاملات ) لا يستخلص صلاحيته الا من توافقه مع طبائع انسانية معينة متفردة . على ان الطبائع الانسانية المتفردة ليست « مونادات » ليبنتزية ولا « جوهرا » قد الصقت اجزاؤه بعضها ببعض . فالله ، خلق آدم على صورته ( كما جاء فى حديث ) و **« جعله فى احسن تقويم »** ( قرآن ، 45 : 2 .

لكن هذا يرجع الى الدفعة الخلاقة الاولى ، الى ماهية النوع البشري ، ذلك انه ، اذا كان شيئان من اصل واحد وبينهما تشابهات عضوية ، فليس ضروريا ان يكونا متطابقين ؛ وكثيرا ما نجد حتى بين أخوين توامين ، فروقا ومميزات خاصة : بالرغم مما بينهما من تشابه كبير ، وبالرغم عن ان لهما عمرا واحدا ، وجنسا واحدا وظروفا اسروية ومادية لا تبديل فيها ، نلاحظ فروقا مزاجية ، ونفسانية ، وأخلاقية الى حد أن بعضها يقاس ، ويحدد ويقارن من الجانبين الكيفي والكيمي . هناك فرق بين العتبات السيكولوجية ، والانفعالات

---

1 ) انظر : السيوطي ، **الجامع الصغير** .
2 ) انظر : « خطبة الوداع » ، فى **سيرة ابن هشام** .

كل منا يحيا كينونته ، وان كان لا يعرف كيف يتحدث عنها ، ان القرآن والسنة يتوجهان الى الكائن البشري ، فيخاطبان هذا الواقع الحي ، الواعي لذاته ، فيحضانه على الايمان بالله وعلى الاعمال الصالحة ، وينهيانه عن الوثنية والشر . ان واقعية وجودنا لا تلتزم برهنة ، اذ هي بداهة تتجذر في رغباتنا ، وفرحنا ، وندمنا ، واحقادنا ، واندفاعات طموحنا ، كما نحيا بداهة واقع وجودنا في تداخل العلاقات المجتمعية ( مبادلات ، واعمال جماعية ، وعلاقات مختلفة الاشكال، ما تجاذب منها او تنافر ) .

ان « الكائن كائن » : تلك حقيقة نحياها ، بديهيا ، ويأتي « علم الكلام » ، فيما بعد ، فيهتم بالفعل الذي يحقق به الكائن كينونته ، وبالكيفية التي ترتكز فيه فكرة الوجود على الاقتناع الاستدلالي . اما القرآن فيكتفي بأن يؤكد ان الله قد خلق من العدم مجموع الكون بما فيه الانسان :

**« انما امره ، اذا اراد شيئا ، ان يقول له : كن ! فيكون . فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء ، واليه ترجعون »** ( 36 : 82 ) (1) .

انطلاقا من بداهة الفعل الذي يحقق به الكائن كينونته ، ينتقل بنا القرآن الى مرحلة اونطولوجية ثانية ، متكاملة مع الاولى فيضع على الناس اسئلة ويهدئهم او ينذرهم . وهل الشعور بأننا نوعظ ، ونخاطب ، ونسأل ، الا طريق يفتحنا على وعي الذات ، ويكشفنا ونحن نمارس البحث عن الذات ؟

فبرفضي او بقبولي للوعد والوعيد ، لأوامر الله ومحارمه ، ادخل في محاورة مع الله ، وادخل في تواصل مع الكائنات والاشياء التي يذكرها القرآن .

هكذا اصبح شاعرا بتشييدي لذاتي كشخص ، انطلاقا من الكائن الخام ، اي من كينونتي كما صنعها الله .

* * *

لولا تدخل « الروح » لكان التكوين البيولوجي البشري الذي يتحدث عنه القرآن يطبق ، ايضا ، على الكائنات الاخرى . هناك حديث نبوي يجعلنا نتتبع مختلف مراحل السلسلة المكتملة ، من مرحلة الامناء حتى حدوث الروح : « ان احدكم ليبقى في بطن امه اربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ... » ( رواه البخاري ومسلم ) . فالفضل في وجود تجاوز ما هو بيولوجي ، يرجع الى هذا النفخ الالهي ، به تبدأ حياة باطنية ، حياة روحية تسترسل في نموها حتى تصل الى تفتحها الكامل ، عند الشهادة .

* * *

على هذا ، لا يتحقق الشخص دفعة واحدة، وبكيفية قبلية . تبدأ الشخصانية الاسلامية باختيار اولي ، كما يضع الهندسي فروضه ومسلماته قبل الشروع في بناء العمليات الرياضية والبرهنة عليها . تنطق الاشكالية الاسلامية (La problématique)

من الشهادة : بأن الله موجود ، وانه واحد احد ، انها اشكالية تحتوي على سلسلة طويلة من تساؤلات فلسفية ، واخلاقية ، وسياسية ، دون ان تكون في الواقع تفرقة مطلقة بين الميادين الثلاثة . فترابط الميادين يشبه ترابط التجسيد الجسماني في الكائن البشري بالتعالي الروحي .

يمتاز الاسلام تمييزا قويا بـ (Totalitarisme) اي بالنزعة الى تسخير « الكل » لفائدة الوحدانية . وبفضل ذلك ، كما يظهر لنا ، يتغلب الاسلام على المتناقضات المأساوية بين ما هو فردي وما هو مجتمعي، ما هو ديني وما هو غير ديني ، ما هو مقدس وما هو دنيوي . فالكائن البشري **كل** موحد يكون جزءا من مجموع ملتزم موجه ، داخل نساق مجتمعي ذي اعراف وشرائع .

* * *

حالما يدخل الانسان في علاقات مع شيء ما يحوله الى قيمة ، اما قيمة للاستهلاك واما قيمة للمبادلات : **الانسان حيوان ينتج القيم** ، ويجعل ضمنيا ، من هذا الخلق المستمر ، اساس حواراته . وفوق القيم ، توجد قيمة عليا توحدها جميعا ، وتكون لها بمثابة معيار المعايير ، اي المطلق الذي يتعالى عن كل نسبية ، هو الله:

**« الله نور السماوات والارض ،**
**مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ،**
**المصباح في زجاجة ،**

1 ) انظر كذلك : 6 : 73 — 16 : 40 — 19 : 35 — 11 : 68 .

ع افراد الامة ، فلا تجب الطاعة للخليفة ولأولي الا اذا خضعوا ، هم انفسهم ، للحقيقة ولارادة الله تجلى فى المصلحة العامة : الدفاع عن الضعيف ضد داد السلطة ، والدفاع عن مجموع الافراد ضد أي ، انها عدالة افقية وعمودية . وبما ان الله هو منبع لاقية الحق وضمانة شمول مبادئها ، وجب ، كما فى حديث نبوي : ان لا تكون « طاعة لمخلوق فى معصية لق » . لكي لا تختلط الحدود بين العدل والظلم ، بين الحق والباطل ، يجب على كل فرد من الامة ان مارس مراقبة ديمقراطية مباشرة على سير الامور عامة . فالشريعة لا تكتفي بأن تحد من مجموع ارادة لحاكمين وذوي الجاه والسلطان ، بل تحول دونه كي لا تصبح تلك الارادة قانونا نافذ المفعول ، تلتزم به الامة. بذلك تقف الشريعة حاجزا ضد كل ما من شأنه ان يمس بالكرامة الشخصية فتختلط الاخلاق بسفاهة الأقوياء وشهواتهم . الاقوياء يمارسون السلطة ، لكن الشريعة سلطة عليا لا مفر من الخضوع اليها . غير أن الشريعة ، رغم سلطتها ، تعارض كل اضطراب او فوضى او فتنة ، لان « **الفتنة اشد من القتل** » ( 2 : 191 ) . فان تستجيب الدولة لدورها الوظيفي الاصلي اذا هي لم تعكس ارادة الامة ولم تخدم كل شخص ، ولم تخضع لمراقبة المجموع .

* * *

بالتوازي مع هذا ، فان كل شخص من الامة ملزم بمساعدة الدولة ( الدولة ان عدلت ) ، يتعاون معها ويخضع لها : « **يا أيها الذين آمنوا ! اطيعوا الله ، واطيعوا** الرسول ، واولي الامر منكم » ( 4 : 58 ) . ويقول النبي من ناحيته : « أوصيكم بتقوى الله ، وطاعة من ولي عليكم ، ولو كان عبدا حبشيا » ( رواه الترمذي ) . يمثل الله التعالي وصفاء الضمير ، اما النبي فيهدي الى الصراط المستقيم ، عن طريق الرسالة التي اوحيت اليه ، وبواسطة سيرته التي هي النموذج الاعلى للسلوك ، واخيرا ، على المؤمن ان يخضع للدولة ، ولكن هذا الواجب الاخير يأتي فى الدرجة الثالثة ، نعني انه لا يكتسب معناه الحق الا اذا قامت الدولة نفسها بالواجبات ، وكان للمؤمن حق المراقبة على سيرها .

فواجبنا ، نحن الرعايا ، هو الا نعارض ضميرنا أو الشريعة حينما تقوم بعمل ما ولو تعرضنا الى سخط الدولة وبغيها . لكن ، بما ان الدولة تستمد سلطتها من احترام الشريعة ، لن يجوز لها ان تطالبنا بطاعتها الا اذا كانت عادلة وتدافع عن العدالة ، فكما قال الخليفة أبو بكر ، فى الخطبة التي سبق ذكرها : « ان أحسنت فاعينوني ، وان أسأت فقوموني » .

ان الطاعة لا تتنافى واستعمال العقل ، والتقييم، والحكم ، نعني انها لا تتعارض ومحاولة فهم الاوضاع . فالوعي نتيجة لممارسة الاستقلال ـ الذاتي : فالافعال التي تعوقفنا وتدمجنا فى الحياة ، كأفراد ، هي التي تجعلنا نتمتع بالاستقلال الذاتي ،لانها تعيدنا الى ذواتنا. فلا يرافق الوعي ـ بالذات فعاليتنا النفسانية الا عند ما توجد النية التي هي توتر باطني ( نفساني ، واخلاقي ، وديني ، فى نفس الوقت ) . ابتداء من هنا ، يعي الانا ذاته كواقع موحد ومسؤول ، اذن كانا حر .

* * *

يحقق المؤمن السعادة بالتقوى وبالاعمال الصالحة حسب النية الحسنة والمعرفة العقلية . فالاعمال الصالحة لا تتعارض مع معرفة عالم المحسوسات ، والاسلام لا يعتبر المادة او الجسم « شرا » اصليا ( يخالف فى ذلك الافلاطونية المحدثة وافلوطين وبعض الاتجاهات الصوفية ) . انه يعترف بالجسم وبالمادة ، كحقيقتين متلازمتين متكاملتين مع الواقع الروحي . لقد خلق الله العالم المادي خلقا : فلا هو بسقطة او انحطاط ، كما هو عند افلوطين والغنوصيين ، ولا هو بعالم موصوم بخطيئة . انه صنع الاله الكامل ( ... ) فاذا كان الالمام بالمبادىء العقلية هو الشرط الضروري للفضيلة وللسعادة ، وجب ان يحصل ذلك الالمام انطلاقا من الحواس . فالمعرفة الحسية وحدها هي التي تسمح للروح ان تجسد ماهيتها .

( يتبع )

**الرباط : محمد عزيز الحبابي**

والميولات ، من شخص لآخر . فمثلا : قد يحدث ان المبادرات وقوة القدرة على الوعي يعارضان بين شخصين بالرغم عن كونهما ينتسبان الى نفس الوسط المجتمعي، وقد اكتسبا نفس التكوين الفكري . وهذا يعود ، في معظم الحالات ، الى الجهود المبذولة ، او الكفاءات الممكن استغلالها من اجل الوعي ، ومن اجل الحصول على الحرية واستثمار الارادة . ان الحديث : « خلق الله آدم على صورته » يعني ان الانسان ليس مجرد مخلوق من بين المخلوقات ، بل ان الله كرمه وفضله على كل ما فى الكون حينما منحه القدرة على تحوير باقي المخلوقات : الانسان يسهم ، مباشرة ، فى الابداع بالعالم وفى تسييره .

* * *

ان الكائن البشري ، عند ما يتشخصن ، يلج عالم الحريات . لكن التحرير والعمل للمحافظة على الحريات يستلزمان قوة على التأليف ، وشعور المرء بذاته ككل ، مستقل منهمك فى توحيد ذاته وتجاوزها . وان النبي لهو النموذج الذي يجب ان يقتدي به ، انه « المتبوع الاعظم » . وفى المرتبة القصوى من التوتر نحو التعالي والكمال ، ينزع المؤمن نحو الفناء فى محبة الله ، بمعنى العمل على اكتساب رضاه ، لا عن طريق تجسيده فى ذواتنا ، ولكن بتطبيق السلوك الذي يليق بمشيئته . هكذا يحقق المؤمن ترقية هامة بفضل المجهودات والاعمال الشخصية . وقد صرح الله بهذا فى حديث قدسي :

**« لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه ، فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها . ولئن سالني لاعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه»(1)**

يتركز التشخصن على العقل ، اذ له قدرة على التحرر وعلى التأليف والانسجام ، وله دور اساسي هو تعليم الشخص ، بغية اصلاحه ، وتوجيهه . اليس العقل قدرات تجعلنا نعي ، وعيا واضحا ، الحاح وحدتنا ، وتنافسنا ، وتكييفنا مع العوالم ( المادي والمعنوي والمجتمعي ) اذ نعتبرها حقائق مشروعة وحتمية ترتبط **بنا وفيما بيننا** ، فكما ان الانسان اكرم المخلوقات ، فالعقل اول المخلوقات : « واول ما خلق الله العقل ( حديث ) .

يفكر الكائن البشري بطبيعته ، ويركز استقلاله الذاتي على فكره . فالمبادهة ، والاستقلال ــ الذاتي ، والعقل ، ذاك ما يكون الشخص ويسمح له بأن يفهم حتميات الطبيعة ليتجاوزها ، وان يعارض جور الافراد ليقضي على الاضطرابات المجتمعية . فلنأخذ مثالا أكثر التصاقا بموضوعنا : الدولة .

الدولة جهاز انساني ، لكن كثيرا ما تجرد الكائنات البشرية عن خاصيات الانسانية . فى اللحظة التي تحطم الدولة استقلال الافراد الذاتي ، تحول دون تشخصنهم . وحينما يصبح القوم غير مؤمنين بواجباتهم ضد الدولة، مكتفين بواجباتهم نحوها ، اذ ذاك يتحول النظام الى دكتاتورية واستبداد ، اذ هي التي تفكر وتشرع لهم . وعلى العكس من ذلك ، ليس لخليفة المسلمين اي فضل أو امتياز خاص، فهو خليفة الله ما دام يخضع للشريعة، طبقا لمبادىء الكتاب والسنة . فى بعض الاوضاع ، يلجا الخليفة الى استشارة « اهل الراي » والاكفاء من الامة، فيلتزم بآراء اغلبيتهم ، وقد اصبحت قانونا نافذ المفعول. ان الاسلام يوجب على كل مؤمن ان يراقب ممارسة السلطة ، وان ينصح المسؤولين . كما جاء فى صحيح مسلم : « الدين النصيحة ! قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولائمة المسلمين وعامتهم » .

عند ما ولي ابو بكر الخلافة ، خطب فى الناس، فقال :

« أيها الناس ! قد وليت عليكم ، ولست بخيركم . فان احسنت فأعينوني ، وان اسأت فقوموني . الصدق امانة ، والكذب خيانة ، والضعيف منكم قوي عندي حتى آخذ الحق له ، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه . ان شاء الله لا يدع احد منكم الجهاد ، فانه لا يدعه قوم الا ضربهم بالذل . اطيعوني ما اطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم . قوموا الى صلاتكم ، يرحمكم الله ! » (2) .

هكذا وضح ابو بكر مبادىء الاخلاقية السياسية الاسلامية : المساواة امام الشريعة ، بين الخليفة وبين

---

1 ) **صحيح** البخاري .
2 ) **سيرة** ابن هشام .

له ، وكلها مجمعة على انه فقيه متصوف له عدة مؤلفات في مادة اختصاصه ، ولكنها تذكر انه كان يتشوف الى الرياسة والسلطان ، وقام ببعض الحركات الثورية في سبيل ذلك فأمسك وقتل . وصاحب المنجد لم يفهم ما كتبته عنه دائرة المعارف الاسلامية وخلط بينه وبين احد زعماء الثوار الخارجين على السلطة ممن كان ينتمي الى المترجم بوصف التلمذة ، ومع ذلك فان هذا الزعيم ان كان قال بمساواة الذميين للمسلمين وأن لهم ما لنا وعليهم ما علينا مما جاءت به الشريعة فانه لم يقل بنسخها كما زعم المنجد ، فهي من زياداته على الدائرة التي يستمد منها ، وتقولاته على المترجم .

462 ) وفيه ايضا ترجمة لابن القاضي المكناسي المؤرخ ، وصفه فيها بالمراكشي وهو مكناسي كما ذكر اولا اي من مدينة مكناس المعروفة ، ولا يصح نسبته الى مدينة مراكش ، الا ان يريد بالمراكشي المغربي ولم يعرف هذا الاصطلاح عند المؤلفين وان كان يجري على لسان بعض اهل المشرق .

463 ) وفي آخر هذا العمود واول الذي يليه بالصفحة 404 كلام بعنوان قاموس زعم فيه انه هو المعجم يحوي لوائح الكلمات ومعانيها وما يقابلها في نقلها من لغة الى لغة .. وليس هذا معنى لفظ القاموس في اللغة ولا في الاصطلاح . وانما جرى الناس على اطلاق هذا الاسم على المعاجم اللغوية توسعا في اسم كتاب الفيروزبادي ( القاموس المحيط ) من غير ان يجعل ذلك هو معناه لغة ، لا سيما والفيروزبادي ما سمى معجمه كذلك الا لكونه معجما كبيرا جامعا كالبحر الذي هو المعنى اللغوي للفظ القاموس ، فكيف يقال على المعاجم الصغيرة التي ليست بهذه المثابة ؟ ثم ان المنجد ذكر في هذه المادة اسماء بعض المعاجم العلمية الطبية فضبطها جميعا بضم الطاء والطب مكسور الاول بما نسب اليه مثلثه .

464 ) في ص 406 ، ع ل كلمة عن قابيل بن آدم قاتل اخيه هابيل ، سماه فيها قاين كما ينطق في اللغات الاجنبية ، وهو في العربية قابيل بالباء الموحدة بعد الالف فياء للاشباع فلام ءاخرة ، ولو انه ذكره باسم قابيل ثم قال وفي غير العربية يعرف بقاين لسلم من المواخذة .

465 ) في ص 407 ، ع ل كلام على القبط واللغة القبطية واسم كتاب في تاريخ الامة القبطية ، ضبط فيه الجميع بضم القاف ، والصواب كسرها ، فان اسم جيل القبط مكسور الاول كما في المنجد اللغوي نفسه . والثياب القبطية بضم القاف نسب جاء على غير قياس.

466 ) في ع ي من هذه الصفحة ترجمة لقتادة ابن مسلمة الحنفي ضبط فيها اسم والده بضم الميم وسكون السين وكسر اللام ، وهو مسلمة بوزن مصلحة كما نبهنا على نظيره فيما مر .

467 ) وفيه تعريف بابن قتيبة الدينوري امام اهل الحديث والادب صاحب التآليف الكثيرة ، ضبط نسبته فيه بفتح الدال وسكون الياء وضم النون ، وانما هو بكسر الدال وسكون الياء وفتح النون والواو معا نسبة الى مدينة دينور بهذا الضبط ، وكان على قضائها

468 ) في ص 409 ، ع ل تعريف بقحطبة بن شبيب من دعاة العباسيين ضبط فيه شبيبا بضم اوله وفتح ثانيه على صيغة المصغر وهو مكبر بفتح فكسر .

469 ) وفي هذا المكان تعريف بليلة القدر جاء فيه : هي ليلة من اوتار العشر في رمضان الخ ، وينبغي ان يزاد وصف الاواخر بعد قوله العشر ليكمل التعريف

470 ) وفيه كذلك تعريف بالقدرية الفرقة المشهورة من المعتزلة ضبط اسمها بسكون الدال وهو بفتحها نسبة الى القدر بفتحتين لانكارهم له .

471 ) في ص 410، ع ل ترجمة للشهاب القرافي الفقيه المالكي المشهور قال فيها : له انواع البروق في انوار الفروق ، وصوابه انوار البروق في انواء الفروق ، بالراء اولا ثم الهمزة ثانيا ، على ان الكتاب شهر بالفروق او بروق القرافي وكفى . ثم قال المنجد : مخطوط في استانبول ، وهو مطبوع من زمن بعيد في 4 اجزاء وعليه حاشية ابن الشاط مما يعلمه كل معتن بهذا الشأن .

472 ) وفي هذا العمود تعريف بقرة بن شريك والي مصر على عهد الامويين ، ضبط اسم والده بضم الشين وفتح الراء مصغرا وهو مكبر بفتح فكسر.

473 ) وفيه ايضا ترجمة لمن تسمى قرة العين وهي امراة استهواها مؤسس البهائية ، ولما ظهر فساده وقتل ، قتلت معه ، ولكن المنجد يظهرها بصفة المراة العالمة المتحررة ، وينسى ما رميت به هي والدعوة البهائية من الفضائح ، كما ينسى كثيرات غيرها من فضليات النساء فلا يترجم الا لمن يدس من خلال ترجمتها على الاسلام وعلمائه .

474 ) في ع ي من الصفحة ذاتها كلمة عن القرصنة جاء في ءاخرها : واهم موائل القرصنة في البحر المتوسط كانت في شواطيء المغرب والجزائر والاناضول وفي جزر الارخبيل .. وكان عليه ان يزيد لتمام الفائدة بعد وصف الارخبيل باليونان ما نصه : حيث ينطلق

# نظرة في منجد الآداب والعلوم

الأستاذ عبد الله كنون

**(17)**

**حرف القاف :**

454 ) في ص 401 ، ع ل تعريف بالامير قابوس ابن وشمكي ، كتب اسم والده بالجيم وهو بالكاف عند كل من ترجمه ، وقال فيه : رابع امراء بني زياد ، وهم بنو زيار بالراء لا بالدال .

455) وفي العمود نفسه تعريف بمحمد بن الطيب القادري صاحب نشر المثاني قال فيه : متصوف توفي بفاس ، ولم يزد على ذلك الا ذكر كتابه النشر ، ولو قال فيه مؤرخ بدل متصوف لكان انسب بحاله واوفق لما ذكره له من انتاج علمي ، اما وصف متصوف فانه لا يعرفه ولا يدل على مؤهلاته العلمية الاخرى ، ثم قال في كتابه النشر انه تكملة لدوحة الناشر لابن عساكر ، والصواب ابن عسكر .

456 ) في العمود الثاني من هذه الصفحة ترجمة لعبد السلام بن الطيب القادري سماه محمد عبد السلام ابن الطيب ، والصواب حذف محمد ، وقال فيه : درس الانساب وحج الى مكة مرات والى السوس الاقصى مرة .. ولا ندري كيف قرن الحج الى مكة بالسفر الى سوس ، على تحقق ما قاله ، والصواب ان يقال في ترجمته عالم نسابة ومؤلف كبير ، وهو جد المذكور قبله ، واقتصر المنجد على ذكر تأليفه نزهة النادي وليس هو اهم كتبه ، على انه لم يتم ، ومن كتبه المطبوعة الدر السني فيمن بفاس من اهل النسب الحسني ، والاشراف على نسب الاقطاب الاربعة الاشراف ، والمقصد الاحمد في التعريف بشيخه احمد بن عبد الله معن الاندلسي ، والجواهر المنطقية ، وهي منظومة رجزية في علم المنطق ، وباقي كتبه مخطوط .

457 ) وفيه وقع ذكر اعمدة هرقل ، قال فيها عواميد هرقول ، فأتى باسم هرقل على مقتضى النطق الاعجمي ، وهو معرف قديما بهرقل ، وعواميد كان الاولى ان يقول فيها اعمدة للخفة ومراعاة القلة .

458 ) في ص 402 ، ع ن تعريف بابن القاسم الفقيه صاحب الامام مالك ، جعله ابن قاسم بدون ال ثم انه ضبط نسبه العتقي بكسر العين وسكون التاء وهو بضم ففتح لا غير . وقال عنه انه نشر المذهب المالكي في المغرب ولا يعرف لابن القاسم عمل في هذا السبيل ، ولانتشار مذهب مالك في المغرب اسباب وعوامل ليس لابن القاسم فيها يد .

459 ) في ص 403 ، ع ل تعريف باحد ادباء الشيعة ، اسمه قاسم علي الكربلائي ، ضبط فيه اسم الكربلائي بضم الكاف وهو بفتحها .

460 ) وفي المكان نفسه تعريف بابن قسي الثائر الاندلسي المشهور جعله ابن قاسي بالف بعد القاف وليس كذلك ، وقال فيه : شيخ المنصورية ولا ندري ما هي هذه المنصورية التي نسبه الى مشيختها ، ولعله يريد الحلاجية اخذا من اسم الحلاج الحسين كان ابن قسي يتلاقى في دعوته التصوفية مع الحلاج .

461 ) وفيه كذلك تعريف بابن قاضي سماونه جاء فيه : فقيه تركي قال بنسخ الشريعة الاسلامية والمساواة شرعا بين المسلمين واهل الذمة فقتل . وليس في مراجع ترجمة الرجل شيء من هذا الذي نسبه

483 ) فى ع ني من هذه الصفحة ترجمة القلصادي العالم الرياضي المعروف ذكر له فيها كتابه كشف الاسرار عن علم حروف الغبار وقال انه مخطوط فى باريس ، والكتاب مطبوع عدة مرات بالمطبعة الحجرية بفاس لانه كان من الكتب الدراسية فى جامعة القرويين، كما طبع بها غيره من مؤلفاته الرياضية .

484 ) وفيه كذلك كلام بعنوان القلعة تعرض فيه لذكر بعض القلاع الاندلسية ومنها قلعة يحصب فكتبها يحسب بالسين وهي بالصاد ، ومنها قلعة رباح بفتح الراء وضبطها هو بالكسر ولو اعتبر اسمها المعجم ( بتشديد الجيم ) وهو (Calatrava, لاهتدى الى الضبط الصحيح .

485 ) فى ص 42 ، ع ني تعريف بمدينة قنا فى الصعيد المصري ضبطها بضم القاف وترك النون دون ضبط وهو مشدد ليلا يلتبس مع قنا اخرى غير مشددة . واما قنا بالضم فهي بالنهروان كما فى معجم البلدان وعليه فالقنائي المترجم فى العمود ، بكسر القاف وتشديد النون لا كما ضبطها المنجد بالضم

486 ) فى ص 484 ، ع ل كلمة عن مدينة قنسرين وقد ضبطها بكسر النون وهي بفتحه ، وعليه فالقنسريني المذكور بعدها هو بكسر ففتح لا كما ضبطه بكسر اوليه معا .

487 ) فى ع ني من هذه الصفحة وقع ذكر القنيطرة المدينة المغربية مع غيرها من الاماكن المسماة بهذا الاسم وعطف المنجد على اسمها هذا قوله : او بور ليوطي ، وللفائدة التاريخية نعلمه بان هذا الاسم الثاني قد الغي رسميا بعد استقلال المغرب ولم يبق الا اسمها القديم القنيطرة .

488 ) فى ص 426 ، ع ل ترجمة لقيس بن الخطيم شاعر الاوس المشهور ، جاء فيها ناصر أوس (كذا) قبيلته على خزرج . له ديوان ذكر فيه ايام أوس. ولو سلك نهج الصواب فلم يحذف ال من اسم الاوس والخزرج ، لما وقع فى اللحن اولا ولأبان المراد من كونه شاعرا جاهليا كان ينتصر لقبيلته الاوس على خصمها قبيلة الخزرج قبل ان يؤلف بينهما الاسلام ويسميهما بالانصار .

489 ) فى العمود نفسه ترجمة لقيس بن سعد بن عبادة الصحابي الجليل ، ضبط فيها اسم عبادة بكسر العين وهو بضمها .

490 ) وفيه ايضا ترجمة لقيس الرقيات الشاعر قال فيها : ناصر الزبيريين ، والى أمويي دمشق، وكان الصواب ان يقول ثم والى أمويي دمشق بعد انهزام الزبيريين ليلا يتناقض كلامه .

491 ) وفيه كذلك كلمة عن قيس عيلان ، الجد الاعلى لهذه القبيلة ، ضبط فيها عيلان بكسر العين وهو بفتحها

491) فى ع ني من هذه الصفحة ترجمة لابن القيسراني المحدث قال فيها : له فى الاحاديث التي رواها الكذبة والمدلسون 1400 ، مخطوط فى برلين . وابن القيسراني هذا هو المعروف بابن طاهر المقدسي وكتابه فى الاحاديث المردودة يسمى بتذكرة الموضوعات وهو مطبوع بمصر ، فان كان هو الموجود مخطوطا ببرلين فالأولى ان يذكر باسمه ويشار الى انه مطبوع، فيزول الابهام الذي فى كلامه من ان له الفا واربعمائة مخطوط ويتضح المراد .

طنجة : عبد الله كنون

القراصنة من شواطيء ايطاليا وجمهورياتها واماراتها الشهيرة في نابولي وجنوة والبندقية ، فيأسرون سفن الحجاج المسلمين والتجار ومن اليهم ويبيعونهم لليهود الذين يجوبون بهم انحاء اوربا ومراكز النخاسة العديدة فيها متاجرين .

475 ) في ص 412 ، ع ني تصدى لذكر مذهب القرامطة وداعيتهم قرمط بتفصيل لم يسبق له مع تعرضه لذكرهم فيما مضى مرارا . وقد قلنا في ضبط اسم داعيتهم انه بكسر القاف والميم وان المذهب بناء على ذلك ينبغي ان يكون القرمطية بالكسر ايضا ، وان كان المنجد يسمي المذهب القرمط ويسمي الجماعة كذلك ويضبط القاف بالضم ، وهذا كله خطأ . نعم في شرح القاموس قال في القرامطة واحدها قرمطي بالفتح ولكن الذي في اللباب لابن الاثير هو الكسر لا غير وعليه اعتمدنا دائما في ضبط الكلمة كلما وردت في المنجد بالضم . واغرب من هذا هو ما يقوله المنجد هنا في التعريف بمذهب القرامطة ونصه : اسم اطلق في سعة المعنى على الحركة الاصلاحية الشاملة الحياة الاجتماعية والقائلة بالتساوي بين طبقات الناس .. ولا ندري ما هو الاصلاح الذي قامت به هذه الحركة غير القتل والنهب وبث الرعب في نفوس الامنين وشق العصا على الولاة كيفما كانوا ؟ ويكفينا ان ننقل بعض عبارات المنجد نفسه في شرح الاصلاح القرمطي مثل قوله : والقرمط في حصر المعنى اسم اطلق على جماعات من شذاذ العرب والانباط الذين تنظموا على اساس شيوعي متستر ... وانشأوا في سوريا واليمن مواطن القلق والثورة على الدولة .. يكفينا هذا لمعرفة طبيعة هذه الحركة الاصلاحية المزعومة ، ولنسأل صاحب المنجد بعد ذلك عما ذا يهدف اليه من هذه الاقوال المتناقضة التي يشحن بها مؤلفه ؟

476 ) في ص 413 ، ع ني كلمة عن جامعة القرويين تقع في سطر ونصف قال فيها : يرتقي بناؤها الى القرن 12 ، والصواب الى القرن التاسع ، ثم قال مشهورة بأبوابها 14 . وهذا غاية ما تذكر به جامعة القرويين عند المنجد ، فأين اقدميتها ؟ واين مآت الايمة من اهل العلم والدين الذين درجوا فيها ؟ واين الرسالة التي حملتها طوال احد عشر قرنا في المغرب العربي وافريقيا السوداء لاعلاء كلمة الله ونشر المعرفة والحفاظ على اللغة العربية وتراث الفكر الاسلامي ؟ فاللهم انجدنا من هذا المنجد !

477 ) في ص 415 ، ع ني ترجمة لابن قزمان الزجال الاندلسي المشهور جاء فيها : ورفع بالزجل الى مرتبة القصائد .. والعبارة غير صحيحة ، لان رفع يتعدى بنفسه ولا يحتاج الى الباء فكان عليه ان يقول ورفع الزجل الى مرتبة القصائد او يقول وارتفع بالزجل فياتي بفعل المطاوعة وهو يتعدى بالباء. وعلى كل فترجمة ابن قزمان عنده مفيدة على قصرها.

478 ) في ص 416 ، ع ني تحت اسم قسطنطين قال : اسم عدة امبراطرة ، وهو يعني جمع امبراطور فالصواب ان يقول اباطرة بحذف الميم التي هي من حروف الزيادة محافظة على وزن الجمع . ونبهنا على هذا وان كان معلوما لأن المنجد منجد طلابي فربما قلده في عبارته من لا يعرف فوقع مثله في الخطأ

479 ) في ص 417 ، ع ل بعنوان قصبة التلوة قال : بلدة في المغرب جنوبي شرقي مراكش في جبال اطلس الاعلى .. ولا شك ان المراد قصبة تلوات وان تحريف الاسم جاء من الاعتماد على الترجمة ، كما ان صواب عبارة اطلس الاعلى هو الاطلس الكبير والخطأ جاء من الترجمة .

480 ) في ع ني من هذه الصفحة كلمة عن القصر الكبير المدينة المغربية المعروفة ، قال عنها انها مدينة في مراكش الاسبانية ، واسبانيا قد ذهبت الى حيث القت رحلها ام قشعم كما يقول الشاعر فما معنى وصف مراكش بالاسبانية وحتى ايام الحماية لم تكن مراكش اسبانية كما يجب ان يعرف صاحب المنجد ؟ ثم قال انها كانت ملجأ للقرصان ولا يدري انها مدينة داخلية ليست على الشاطيء حتى تكون ملجأ للقرصان ، فهل هذا من تلقاء نفسه او مَن تلقين ؟

وقال المنجد بعد ذلك : والقصر الكبير ايضا بلدة في المغرب الاقصى . وهذا السطر تكرار مع ما قبله يجب حذفه .

481 ) وفي المكان نفسه تعريف بقصر فرعون او مدينة وليلي جاء فيه : اتخذها ادريس بن علي قاعدة ، وهو ادريس ابن عبد الله لا ابن علي ، نعم ان نسبه يتصل بعلي بن ابي طالب ولكن لا يقال فيه ادريس بن علي

481 ) في ص 418 ، ع ل ترجمة للقضاعي صاحب مجموعة الشهاب في الحديث النبوي قال عنها مخطوط في برلين ، والشهاب طبع مرارا وهو متداول فلا يصح ان يقال فيه مثل هذا الكلام الذي يدل على ندرته وقلة وجوده .

482 ) في ص 420 ، ع ل ذكر كتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان فضبطه بضم العين ، وهو بكسرها كما في المنجد اللغوي نفسه .

تلميذكم الصغير أبو الحسن علي بن العلامة السيد عبد الحي الحسني ر ح 2 – 2 – 1387 هـ .

اما هنا في المغرب فقد رحب بها غير واحد من القراء مكاتبة ومشافهة ، ولا يظنن هذا المنتقد ان الجو خلا له ، حتى يبيض ويصفر ، وينقر ما شاء ان ينقر ، فان بين قراء هذه المجلة العالمية فحولا لا يقعقع لهم بالشنان ، ولا يخدعون بالمغالطات والروغان ، يزنون الاقوال بالقسطاس المستقيم ، ويميزون بين الصحيح والسقيم ، وسيحكمون بيني وبين هذا المعترض الذي نصب نفسه حكما ، وتوهم ان حكمه لا ينتقض .

وقبل ان اخوض معه غمار المعركة مستعينا عليه بالله الذي يحق الحق ويبطل الباطل أذكر للقراء الاعزاء بعض ما أعرفه من أخباره ، واترك سائرها الى ان يحين اوانه .

كان هذا الرجل يدرس في فرنسا ، وكان مبتلى بهذا التنطع من اول امره ، فوجه انتقادا الى امير البيان الزعيم العربي الاوحد الذي .

حلف الزمان ليأتين بمثله
حنثت يمينك يا زمان فكفر

الا وهو الامير شكيب ارسلان رحمه الله ، وكنت انا اذ ذاك ادرس في جرمانية ، واحاضر في اللغة العربية بجامعة ( بن ) فكتب الي الامير شكيب المسائل التي انتقدها عليه المعترض والتمس مني الحكم ، فنظرت فيها ، فوجدت الحق في أكثرها مع الامير شكيب ، ووجدت اعتراض المعترض ساقطا الا في النادر .

وابن اللبون اذا ما لز في قرن
لم يستطع صولة البزل القناعيس

ولكن الامير شكيب رحمه الله ، كان عنده من الانصاف والتواضع ، ومكارم الاخلاق ، ما يندر وجوده في هذا الزمان ، فلذلك لم يرد ان يجيبه حتى يعلم رأيي فيما انتقده عليه ، ثم عرفت المعترض بعد ذلك معرفة تامة ، وكان يجمعنا بيت واحد ، نشتغل فيه جميعا ، وهو من الكتاب المشهورين في النثر ، وله نظم لايبلغ حد الجودة ، ولكن لا بأس به .

وقد طرق هذا الباب الذي طرقته انا اليوم من قبل في الصحف العراقية وفي الاذاعة ، ولم ينجح فيه بل كان عامة القراء يستهزئون به ، ولم اتعرض قط الى نقده ، مع اني وجدت في ما كتبه ثغرات واخطاء ، لاني اعلم انه من الاساتذة القليلين الذين يكتبون انشاء حسنا ويتكلمون كلاما قليل الخطأ ، فغض الطرف عن هفوات هؤلاء عندي هو الصواب ، والسعي في هدم ما بنوه من الفساد .

وانا لا اطمع ان يكون له من اصالة الراي وسداده ما يحمله على ان يعاملني بمثل ما عاملته به ، لان طبعه لا يسمح له بذلك ، وحسبي ان يكون انتقاده معتدلا خاليا من الجور وامارات سوء القصد ، ولكن الامر كما قيل :

( وكل اناء بالذي فيه يرشح ) .

1 – ( بدون ) فالمعترض قال في مقالته : (ويرخون العنان لاقلامهم بدون تبصر ولا تمييز ) ، ثم قال : ( وانما سميت زائدة ، لان الكلام يتم بدونها ) ، فأنا اقول له : من استعمل كلمة ( دون ) من فصحاء الامة العربية هذا الاستعمال ؟ ولهذا المعنى ؟ ان معنى بدونها هو بأقل منها .

المجيب : يا لله للعجب ، من جهل هذا المعترض بقواعد النقد ، كيف يحتج بكلام المؤلفين من الفقهاء ، كأن كلامهم قرآن ، او حديث نبوي ، او شعر امرىء القيس او النابغة الذبياني ، ومن قال لك : ان كلام الفقهاء حجة في اللغة العربية ؟ يرجع اليه ويعتمد في الحكم عليه ؟ كان يجب عليك قبل ان تتصدى للاعتراض ان تعلم ان الحجة انما هي في ما صح عن العرب في جاهليتهم ، وفي دولة النبي (ص) والخلفاء ، ودولة بني امية ، قبل ان يختلط العرب بالأعاجم ، وتفسد السنتهم . اما كلام المولدين ، ولو كانوا من فحول الادباء والشعراء، كابن الرومي والبحتري والمتنبي ، بل بشار بن برد ايضا لا يحتج بشعره ، مع قربه من العصر الاموي ، فهذه حجتك التي جئت تصول بها ؟

## معنى ( دون )

قال الراغب في غريب القرآن : يقال للقاصر عن الشيء ( دون ) قال بعضهم : هو مقلوب من الدنو ، والا دون الدنيء . وقوله تعالى : (لا تتخذوا بطانة من دونكم) اي ممن لم يبلغ منزلته منزلتكم في الديانة ، وقيل : في القرابة . وقوله : ( ويغفر ما دون ذلك ) اي ما كان اقل من ذلك ، وقيل : ما سوى ذلك، والمعنيان يتلازمان، وقوله تعالى : ( أ انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ) ، اي غير الله ، وقيل معناه : الهين متوصلا بهما الى الله ، انتهى .

فانظر الى قول الراغب ( وقيل ما سوى ذلك ) يعني ان بعض اللغويين فسروا ( ما دون ذلك ) بسوى

# تقويم اللسانيين مستقيم :

# وقد عدلت في تعديلك عن العدالة

## للدكتور تقي الدين الهلالي

من ادعية النبي ( ص ) هذا الدعاء ( آمنت بالله ، واعتصمت بحول الله ، وتوكلت على الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله . ) اللهم اني اعوذ بك من ان اضل او اضل ، أو أزل أو ازل ، او اظلم او اظلم ، او اجهل او يجهل علي.

وبهذا الدعاء افتتح الرد على هذا المنتقد الذي حاد عن منهج النقد المستقيم ، وتنكر ، وتنقب ، كانه يعلم انه مليم . وقبل ذلك اشكر الاستاذ الاديب رئيس تحرير (دعوة الحق) على الكلمات التي اثنى بها على مقالات تقويم اللسانيين .

ثم أعيد ذكر ما قدمته فى فاتحة هذه المقالات ونصه : وقد بدا لي أن أكتب مقالات فى هذا الموضوع ، اداء لواجب لغة الضاد ، وصونا لجمالها من الفساد ، راجيا أن ينفع الله بما اكتبه تلاميذتي فى الشرق والمغرب وفى أوربا ، وانا على يقين أنهم يتلقون ما أكتبه بشوق وارتياح ، وكذلك رفقائي الكتاب المحافظون سيستحسنون ذلك .

اما الكتاب الذين يكرهون التحقيق ، ويرخون العنان لاقلامهم بدون تبصر ولا تمييز، بين غث وسمين، وكدر ومعين ، فانهم سيستثقلون هذا الانتقاد ، وقد يعدونه تكلفا وتنطعا ، وتقييدا للحرية ـ بزعمهم ـ فلهؤلاء اقول : اني لم اكتب لكم ، فما عليكم الا أن تمروا على ما اكتب مرور الكرام ، وتدعوه لغيركم الذين يقدرونه حق قدره . اه

فكأن هذا الرجل راى نفسه من الكتاب الذين يرخون العنان لاقلامهم ، ويكرهون التحقيق ، فأخذه المقيم المقعد ، وفقد رشده ، فأخذ يلتمس العيوب للبرآء

فان يخلق لي الاعداء عيبا
فقول العائبين هو المعيب

وما أبرىء نفسي من الخطأ ، فالكمال لله ،والعصمة للانبياء ، . ولا اكره الانتقاد المستقيم الذي يريد به صاحبه الاصلاح والبناء ، ويشهد الله اني ما تصديت لكتابه هذه المقالات الا اداء للواجب ، ونصحا للامة ، وغيرة على لغة القرآن التي هجمت عليها لغات المستعمرين فى عقر دارها ، فأتت بنيانها من القواعد ، وهدمت أركانها ، وذهبت ببهائها وجمالها ، ولم اشك أن دعاة الاصلاح يرحبون بهذا المجهود ويؤازرونه ، كما أنني أعلم أن دعاة الهدم والفوضى ـ أكررها مرة اخرى، على رغم انف المتنطع ـ سيشرقون بهذا الاصلاح ويفصون به ولكن :

اذا رضيت عني كرام عشيرتي
فلا زال غضبانا على لئامها

ودونكم أيها القراء الاعزاء ما كتب به الي الاستاذ المؤلف الذائع الصيت أبو الحسن علي الحسني الندوي من لكناو فى الهند فى الترحيب بهذه المقالات .

قال حفظه الله : « استفدنا كثيرا من مقالكم القيم فى العدد الاخير من مجلة ( دعوة الحق ) فى موضوع ( عثرات الاقلام ، وغلطات اللسان ، فى كتابات المعاصرين) وارجو أن تتفسحوا فى هذا الموضوع ، فكلنا فى حاجة مثل هذه التوجيهات التي تصدر من ضليع محقق مثلكم . ابقاكم الله طويلا لتلاميذكم الكثيرين فى الشرق والفرب .

فقهاء بربع دينار ، ولكن الفقهاء يقولون : « اذا لم يسم مهرا ، اي صداقا ، فلها صداق امثالها » ، فان صحت العبارة التي نسب الى الفقه ، كان الكلام على حذف مضاف ( اي بدون مهر نظيراتها من النساء ) .

وانا لا انكر ان **دون** تستعمل بمعنى اقل ، بل كلامي لا يأباه ، لان **دون** الكاف الاستعمارية هو اقل منها ، اي ناقص عنها ، ولكن ضلاله كان في حصره معنى ( دون ) في اقل وجهله انها تكون بمعنى ( غير ) . وسائر كلامه ساقط لا يحتاج الى جواب .

2 ــ واعتراضه على قولي ( لعدم وجود اركانه ) بقوله : ( لان الوجود لا يعدم ، وانما الذي يعدم هو الموجود ) تنطع وتفلسف عقيم .

قال في اللسان والقاموس : وجد من العدم فهو موجود . اه

وقال الراغب في غريب القرآن : وقال بعضهم : الموجودات ثلاثة اضرب ، موجود لا مبدأ له ولا منتهى، وليس ذلك الا الباري تعالى ، وموجود له مبدأ ومنتهى ، كالناس في النشأة الاخيرة ، انتهى .

وقال الراغب ايضا : الوجود اضرب ، وجود باحدى الحواس الخمس ، نحو : وجدت زيدا ، ووجدت طعمه ، ووجدت صوته ، ووجدت خشونته ، ووجود بقوة الشهوة ، نحو وجدت الشبع ، ووجود بقوة الغضب: كوجود الحزن والسخط ، ووجود بالعقل او بواسطة العقل ، كمعرفة الله تعالى ، انتهى .

ومن ذلك تعلم ان وجود الشيء في نفسه هو ضد عدمه ، ووجود الناس له ، هو غير وجوده في نفسه ، فاذا نفينا وجوده فقلنا : لا وجود له ، انتفى باللازم وجود الناس له ، اي ادراكهم اياه .

واركان التشبيه في الكاف الاستعمارية لا وجود لها في نفسها ، ولا يدركها احد ، فوجود الناس لها معدوم ، ولعل المعترض لا يفهم هذا المعنى ، وهو متلهف الى الطعن ، فتوهم انه وجد مطعنا ، فارتد طعنه عليه في هذه كما وقع له في الاولى .

فلا تحفرن بئرا تريد بها اخا
فانك فيها انت من دونه تقع
كذاك الذي يبغي على الناس ظالما
تصبه على الرغم عواقب ما صنع

قوله : ( ان الفصحاء لم يستعملوا كلمة ( عدم ) هذا الاستعمال ) الخ ، دعوى بلا دليل ، رغم ومتى نصبك الفصحاء قاضيا ، ووضعوا زمام الفصاحة في يديك ؟ ووكلوا امرها اليك ، تثبتها لمن تشاء وتنفيها عمن تشاء ، الا يحق لي ان اتمثل في حكمك هذا بالشطر الاول من قول الشاعر العربي القح :

ما انت بالحكم الترضى حكومته

واما الشطر الثاني ، فاتركه تكرما .

3 ــ قال المعترض : وقد خالف الفصاحة العربية باستعماله جمع القلة المنكر ( انفسا ) مع ان مقتضى الحال يوجب استعمال النفوس ) اعني جمع الكثرة ، فذوو الظلم كثيرون ، أو كثير على الافصح . وانما قلت المنكر ) لان المعرف ( بأل ) او الاضافة من هذا الجمع يجوز ان يستعمل للكثرة . الخ

يا ايها الناس : اقرؤوا واسمعوا وتعجبوا من المعترض الذي يصدر الاحكام ، واحدا بعد واحد بدون دليل ولا برهان ، ولا استناد الى قاعدة ، ولا عزو الى امام ، فكانه يظن ان القراء اطفال في المدرسة الابتدائية ، يتقبلون منه كلما حدثهم به . ودونكم ما قاله الائمة في جمع القلة وجمع الكثرة ، ونيابة احدهما عن الاخر وضعا او استعمالا .

قال الازهري في التصريح ج 2 ص 300 ما نصه : وله ( اي لجمع التكسير الذي يتغير فيه بناء مفرده لفظا ) سبعة وعشرون بناء ، منها اربعة موضوعة للعدد القليل ، وهو من الثلاثة الى العشرة ، بدخول العشرة على القول بدخول الفاية في المفيا ، ولو قال : وهو الثلاثة والعشرة وما بينهما لكان اولى ، وهي افعل ــ بضم العين ــ كأكلب ، جمع كلب ، وافعال ، كأجمال بالجيم جمع جمل ، وافعلة ــ بكسر العين ، كأحمرة ، جمع حمار ، وفعلة بكسر الفاء وسكون العين ، كصبية

جمع صبي ، وخصت هذه الاوزان الاربعة بالقلة ، لانها تصغر على لفظها نحو : اكيلب ، واجيمال ، واحيمرة ، وصبية ، بخلاف غيرها من الجموع ، فانها ترد الى واحدها في التصفير ، وتصغير الجمع يدل على التقليل، واليها اشار الناظم بقوله :

افعلة افعل ثم فعله
ثمت افعال جموع قله

وليس من جموع القلة ( فعل ) بضم الفاء وفتح العين ، كغرف ، ولا فعل بكسر الفاء وفتح العين ، كنعم ، ولا فعلة ، بكسر الفاء وفتح العين ، كقردة خلافا للفراء .

ذلك ، ثم قال : والمعنيان متلا زمان ، فبايهما عبرت يفهم المعنى الاخر . ثم انظر الى قوله فيما حكى الله تعالى عن عيسى بن مريم فى آخر سورة المائدة : ( اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ) اي غير الله. فقد استعملت هنا ( دون ) بمعنى ( غير ) بغير اختلاف، فما هو جواب المعترض ؟ .

وقال صاحب لسان العرب بعد ما ذكر تسعة معان ( لدون ) وقال : ( يعني الفراء ) فى قوله تعالى : ( ويعملون عملا دون ذلك ) دون الغوص ، يريد سوى من البناء . اه . الانبياء 82 .

فهذا من استعمال ( دون ) بمعنى سوى ، فماذا يقول المعترض فى تفسير الفراء ؟ .

وقال الفيروز ابادي فى القاموس : ( دون ) بالضم نقيض فوق ، ويكون ظرفا ، وبمعنى امام ووراء وفوق ضد ، وبمعنى ( غير ) قيل : ومنه ليس فيما دون خمس اواق صدقة ، اي فى غير خمس اواق . قيل : ومنه الحديث : اجاز الخلع دون عقاص راسها ، اي بما سوى عقاص راسها ، او معناه بكل شيء حتى عقاص راسها . اه

اقول : فقد رايت نقل الفيروز ابادي عن ائمة اللغة ان ( دون ) تستعمل بمعنى ( غير ) لكن الاحتجاج على ذلك بالحديثين غير صحيح ، اذ يحتمل ( دون ) ان يكون فى كل منهما بمعنى اقل ، ولذلك حكاه بصيغة التمريض . ومعنى الحديث الاول : ان الزكاة لا تجب فى اقل من خمس أواق من الفضة ، والاوقية اربعون درهما ، فالمقدار الذي تجب فيه الزكاة من الفضة لا يقل عن مائتي درهم .

ومعنى الحديث الثاني : ان المراة الناشز التي طلبت فراق زوجها كراهية له ، يجوز ان تفتدي نفسها بكل ما تملك ، الاضفائر راسها ، هذا معنى الحديث . وقد اختلف الائمة فى هذه المسالة ، وليس هذا محل ذكر الخلاف .

وقال صاحب مجمع بحار الانوار : وفيه ( اي فى الحديث ) الحاكم يحكم بقتل ، على من وجب عليه ،

وقال تعالى فى سورة الانعام 14 : ( قل اغير الله اتخذ وليا ، فاطر السموات والارض ، وهو يطعم ولا يطعم ، قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ، ولا تكونن من المسلمين . )

المعنى ، قل يا محمد ، اغير الله اتخذ وليا ، اتوجه اليه فى جلب الخير ودفع الضر ، والله خالق السموات والارض ، وغيره لا يخلق شيئا ، بل هو نفسه مخلوق والمخلوق لا يستحق ان يتخذ وليا ، اي الها ، والله يطعم كل طاعم ، ولا يحتاج الى من يطعمه ، وكل طاعم ، اي آكل محتاج الى الله ، والمحتاج لا يكون الها .

قل يا محمد لجميع الناس : ان الله امرني ان اكون اول من اسلم وجهه اليه ، ووحده فى ربوبيته وعبادته ، ثم قال تعالى: ( ولا تكونن من المشركين ) خطاب للنبي (ص) أو لكل من يصلح للخطاب .

وقال تعالى فى سورة الشورى 6 : ( والذين اتخذوا من **دونه** اولياء الله حفيظ عليهم ، وما انت عليهم بوكيل)

وقال تعالى فيها ايضا 9 ( ام اتخذوا من **دونه** اولياء ، فالله هو الولي ، وهو يحيي الموتى ، وهو على كل شيء قدير ) وامثال هاتين الايتين كثيرة جدا فى القرآن .

والمراد بلفظ من ( دونه ) فى آيتي الشورى هو بعينه المراد بغير الله فى آية الانعام ، فهذا تفسير القرآن بالقرآن ، فما ذا يقول فيه المعترض ؟

وقال تعالى فى سورة النجم 57 – 58 : ( ازفت الآزفة . ليس لها من **دون** الله كاشفة ) الآزفة القيامة .

قال القاسمي فى تفسيره : اي ليس لقيامها غير الله مبين لوقته كقوله ( لا يجليها لوقتها الا هو ) و ( كاشفة ) صفة محذوف ، اي نفس كاشفة ، او حال كاشفة ، او التاء للمبالغة ، او هو مصدر بنى على التانيث . ومن ( دون ) الله بمعنى غير الله . اه

اقول : ينبغي ان امسك عنان القلم بعد ما تبين الحق فى هذه المسألة ، ورجع المعترض يجر اذيال الهزيمة ، نادما على قفوه ما ليس له به علم .

قوله : وهو فقيه ، ولعله درس فى الفقه ( زواج المراة بدون مهرها ) اي بأقل من مهرها الخ ارجو ان اكون كما قال فقيها عند الله ، وعند عباده المؤمنين ، فقد قال النبي (ص) : « **من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين** ) ذكره البخاري تعليقا فى كتاب العلم من صحيحه. والعبارة التي ذكرها المعترض ، ونسبها الى كتب الفقه فاسدة ، لم ارها فى شيء من كتب الفقه التي اطلعت عليها من كتب اهل السنة ، فان كانت موجودة فى فقه الشيعة الذين ينسب اليهم المعترض ، فليذكر لنا اين وجدها ، وعلى فرض وجودها ، لا يصح الكلام الا بتأويل، اذ ليس للمراة مهر معين عند اهل الحديث بدليل ( التمس ولو خاتما من حديد ) وبدليل ( املكناكها بما معك من القرآن ) رواه البخاري وغيره . وحده بعض

وقال تعالى فى سورة القيامة ( 3 ايحسب الانسان ن لن نجمع عظامه ) فعبر بجمع الكثرة ، لان عظام لانسان كثيرة ، وعبر الشاعر بجمع القلة لوجود القرينة الدالة على انه يريد الكثرة ، فما يقول المعترض فى هذه النصوص القاطعة ؟ ، وهذه القواعد المحكمة ؟ .

قوله ( وكانني بالدكتور ، وقد قرأ هذا الاعتراض يلجأ الى ( ثلاثة قروء ) اقول فى جوابه : انا لا الجأ الى ثلاثة قروء ، وانما تلجأ اليها النساء المطلقات ، واشباههن من الرجال الذين يقاتلون من وراء جدر ، وقد اقمت الدليل على بطلان‌ما ادعاه دون أن التجيء الى ما توهمه.

4 ــ قوله : فما معنى القنابل فى اللغة العربية ؟ اقول فى جوابه :

جاء شقيق عارضا رمحه
ان بني عمك فيهم رماح

* * *

ومن قدمته نفسه دون غيره
راى غيره التأخير ذاك التقدما

اتظن انه لا يعرف معنى القنابل والقنابر فى الدنيا احد غيرك ، لقد كذبتك نفسك ، انا ما جاريت جهلة المترجمين ، بل انت جاريتهم ، واجلبت بخيلك العجاف، ورجلك الضعاف ، لتصحح أخطاءهم ، وتقف فى طريق المصلحين الناصحين لقومهم ، لتكتسب بذلك شهرة ، وما نقلت عن اولئك المؤرخين ، ولم تسم احدا منهم من استعمالهم القنبر والقنابر ــ بالراء ــ لا يساوي عند علماء اللغة جناح بعوضة ، لانهم ليسوا من العرب ، وكلامهم ليس بحجة .

فالعرب لم تعرف هذه الاشياء المتفجرة التي تسمى فى هذا الزمان ( قنابل ) وليس من واجباتها ان تضع لها لفظا ، بل ذلك من واجبتنا نحن ، وانت تعلم انه ليس للمتكلمين بالعربية دائرة معارف ، او موسوعة كما يسمونها ، متفق عليها تجمع شتات ما يحتاجون اليه من الكلمات التي حدثت بعد زمان العرب ، فليس امامنا الا طريقان لا ثالث لهما فى ترجمة ما نحتاج اليه: اما ان نستعمل اللفظ الذي اصطلح عليه جماهير الكتاب والقراء ، ليكون كلامنا مفهوما عند قرائنا ، واما ان يخترع كل واحد منا ما يعجبه من الالفاظ ، فلا يفهمه احد سواه ، فكانه يكتب لنفسه، لا لقراء كتابه او مجلته، ولا شك أن الصواب هو اختيار الطريق الاول .

وما المانع لنا من أن نضع لفظ القنبلة ــ بفتح فسكون ففتح ــ الذي عبرت به العرب عن الطائفة من الناس ومن الخيل لما يسمى بالانجليزية (Bomb) وبالفرنسية (Bombe) ولا سيما وقد شاع استعمال هذا اللفظ بين المتكلمين بالعربية من عرب وغيرهم ، فيكون بالنسبة الى اهل زمننا يدل على المعنيين كليهما ؟

وما الذي يجعل لفظ ( القنبر ) أولى بالتعبير من القنبلة والقنبل ، هل عندك شاهد من القرآن او من كلام العرب الذين يحتج بكلامهم على صحة ما زعمت ؟ اما القنبر فى لغة العرب ، فدونكم معناه ايها القراء الاعزاء .

قال ابن منظور فى لسان العرب : والقبر ، والقبرة، والقنبر والقنبرة ، والقنبراء : طائر يشبه الحمرة . الجوهري : القبرة واحدة القبر ، وهو ضرب من الطير . قال طرفه وهو يصطاد هذا الطير فى صباه .

يا لك من قبرة بمعمر
خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت ان تنقري
قد ذهب الصياد عنك فابشري
لا بد من اخذك يوما فاصبري انتهى

ومثله باختصار فى القاموس ، وفى حياة الحيوان للدميري ما نصه : القبرة ــ بضم القاف وتشديد الباء الموحدة ، واحدة القبر . قال الجوهري : وقد جاء في الشعر ( قنبرة ) كما تقوله العامة . وقال البطليوسي فى شرح ادب الكاتب : وقنبرة ايضا باثبات النون ، قال : وهي لغة فصيحة ، وهو ضرب من الطير يشبه الحمر . وكنية الذكر منه : ابو صابر ، وابو الهيثم ، والانثى : ام العلل ، وانشد ابيات طرفة المتقدمة . انتهى .

فظهر مما تقدم ان استعمال القنبر فيما يسميه الاوربيون (Bomb) ليس من اللغة العربية فى قبيل ولا دبير .

واقول لك ايها المعترض الكريم : ان احتجاجك بكلام غير العرب باطل ، فالكلمة التي نبحث فيها لم تسمها العرب ، لا قنبرة ، ولا قنبلة ، ولنا ان نصطلح على تسميتها بما نشاء ، وليس ما يشتهيه بعضنا حجة على غيره .

وانا لا اعيب على المترجمين الا خطأهم فيما عرفته العرب وتكلمت به ، ومنعهم جهلهم من معرفته ، فعبروا عنه بعبارات فاسدة ، لا مستند لها . اما آلاف المحدثات من الاجرام والاعمال ، والآلات ، والمكتشفات ، فلا اتعرض لها ، اذ لا يستطيع ان ينشرها الا جماعة من العلماء اللغويين تنتخبهم الامة العربية ، وتتلقى ما يضعونه من الكلمات بالقبول والاستعمال ، ولا يستطيع شخص واحد ان يقوم بهذا العمل ، فدع المغالطة ، واستقم واقتصر على هذا القدر ، وموعدنا الجزء التالي ان شاء الله .

**الدكتور تقي الدين الهلالي**

وثلاثة وعشرون موضوعة للعدد الكثير ، وهو ما تجاوز العشرة . وقد يستغنى ببعض ابنية القلة عن بناء الكثرة وضعا او استعمالا ، اتكالا على القرينة . قاله فى التسهيل .

قال الشاطبي : وحقيقة الوضع ان تكون العرب لم تضع احد البنائين استغناء عنه بالاخر ، والاستعمال ان تكون وضعتهما معا ، ولكنهـا استغنـت فى بعـض المواضع عن احدهما بالاخر . انتهى

فالاول ، كأرجل ، جمع رجل بسكـون الجيـم ، واعناق ، جمع عنق ، وافئدة جمع فؤاد ، قال الله تعالى: ( 5 — 6 وارجلكم الى الكعبين ) ( 8 — 12 فاضربوا فوق الاعناق ) ( 14 — 43 وافئدتهم هواء ) فاستغنى فيهـا ببناء القلة عن بناء الكثرة ، لانها لم يستعمل لها بنـاء كثـرة .

والثاني كأقلام جمع قلم،قال الله تعالى : ( 31—27 من شجرة أقلام ) والمقام المقام مبالغة وتكثير قطعا ، وقد استعمل فيه وزن القلة ، مع انه سمع له وزن كثرة ، وهو قلام ، وقد يعكس ، فيستغنى ببعض ابنية الكثرة عن بناء القلة وضعا او استعمالا اتكالا على القرينة .

فالاول كرجال جمع رجل بضم الجيم ، وقلوب جمع قلب ، وصرد ان بكسر الصاد ، جمع صرد بضمها وفتح الراء ، اسما لطائر ، تقول : خمسة رجال بخمسة قلوب ، معهم خمسة صردان ، فيستغنى بجمع الكثرة عن جمع القلة لعدم وضعه .

وليس منه ، أي من هذا القسم ، وهو ما لم تضـع العرب له بناء قلة ، ما مثل به الناظم وابنه من قولهم فى جمع صفاة ، وهي الصخرة الملساء : صفي ، بضم الصاد وكسر الفاء وتشديد الياء ، لقولهم فى جمـع قلتهـا : اصفاء ، حكاه الجوهري وغيره ، بـل هو من القسـم الثاني ، وهو ما وضعت العرب له بناء قلة ، ولكنهـا استغنت ببناء الكثرة عنه كقولـه تعالـى : ( 2 — 227 يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ) ففسر ثلاثة بجمع الكثرة، مع وجود جمع القلة ، كقوله صلى الله عليه وسلم : دعى الصلاة ايام اقرائك ، وعلى ذلك يحمل قول الناظم :

وبعض ذي بكثرة وضعـا يفـي
كارجل والعكس جاء كالصفـي

انتهى

وقد طالعت ما عندي من شروح الالفية كالاشموني بحاشية الصبان ، وابن عقيل بحاشيـة الخضـري ، والفية ابن بنا بحاشيته ، فوجدتهم لا يختلفون فيمـا نقلته عن التصريح . واخترت كلامه ، لانه أوسع وأوضح. ومنه تعلم ان ما زعمه المعترض من أن جمـع القلـة لا يستعمل فى موضع جمع الكثرة الا اذا كان مضافـا او معرفا بالالف واللام ، لا وجود له فى كلام أولئك الاعلام، ومحال ان يهملوه لو كان ثابتا فى القواعد الصحيحـة المسلمـة .

فنحن نطالبه بتصحيح النقل ، ان كان ناقلا ، وان لم يكن ناقلا ، فقد كذب على النحاة ، واخترع قاعدة من عندياته ، فان جاء بالنقل عن بعض علماء اللغة قابلنـا نقله بتلك النقول ، وهي اكثر ، فيسقط نقله ، او يكون مرجوحا . ولو ثبتت القاعدة التي ادعاها ما اغنته شيئا، لان جمع القلة المنكر قد استعمل فى موضوع جمـع الكثرة فى افصح الكـلام وابلغه ، وهـو كتـاب الله . قال تعالى فى سورة لقمان ( 27 ولو ان ما فى الارض من شجرة **اقلام** ، والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ، مـا نفدت كلمات الله ) والمقام يقتضي استعمال جمع الكثرة، ومع ذلك ، عدل عنه الى التعبير بجمع القلة ، اكتفـاء بالقرينة ، هذا مع ان القلم جمع كثرة على ( قلام ) .

قال ابن منظور فى لسان العرب : القلم : الـذي يكتب به ، والجمع أقلام وقلام . قال ابن بري : وجمع أقلام اقاليم . وانشد ابن الاعربي :

كانـي حيـن آتيها لتخبرنـي
وما تبين لـي شيئـا بتكليـم
صحيفة كتبت سرا الى رجـل
لم يدر ما خط فيهـا بالاقاليـم

وقال ايضا فى مادة ط ل ح : وطلحة الطلحـات : طلحة بن عبيد الله بن خلف الخزاعي . ثم نقل عن ابن الاعرابي فى طلحة هذا انه : انما سمي طلحـة الطلحـات بسبب امه ، وهي صفية بنت الحارث بن طلحة بن ابي طلحة — زاد الازهري — ابن عبد مناف ، قال : واخوها ايضا طلحة بن الحارث ، فقد تكنفه هؤلاء الطلحات كما ترى ، وقبره بسجستان ، وفيـه يقـول ابن قيـس الرقيـات :

رحـم اللـه اعظمـا دفنوهـا
بسجستـان طلحـة الطلحـات

انتهى

قوله ( اعظما ) دفنوها ، يريد عظام طلحة الطلحات المذكور ، وهو من استعمال جمع القلة فى موضع جمع الكثرة ، لان عظام الجسم كثيرة ، وجمع القلة يدل على تسعة او عشرة ، فأين ما زعمه المعترض من ان جمـع القلة اذا كان نكرة لا يستعمل فى موضع جمع الكثرة .

لى اللغات الحية الكبيرة السعي الحثيث الذي يبذله بناؤها للتعريف بهذه اللغات ، وتقريبها لاذهان الاجانب عنها ؛ فالاهداف التي تدفع لذلك واضحة بدرجة كبيرة ، ولا تتجلى قيمة هذه الاهداف فى مجال معنوي ، كاكتساب تقدير الاجانب للغة ما ، فيدعوهم الحال – بالنتيجة – الى تقدير الثقافة التي تعبر عنها هذه اللغة ، وتقدير الامة التي صنعت هذه الثقافة ونسجت خيوطها ؛ ان هذا التقدير – اذا اكتسبته امة ما عن طريق لغتها وثقافتها الخاصة ، فهو كسب معنوي لا تخفى اهميته ؛ غير ان ثمة مكاسب اخرى يحصل عليها من انتشار لغة من اللغات فى العالم ، لفائدة الامة التي تنتمي اليها هذه اللغة المنتشرة ؛ وهذه المكاسب – فضلا عما تحمله من قيمة معنوية كذلك – فهي تؤدي فى نفس الوقت الى الحصول على منافع عملية ، تخلقها خلقا ، او توسع من نطاقها اذا كانت موجودة من قبل ، لاسباب اخرى غير السبب اللغوي ، والمقصود بهذه المكاسب ، المكاسب التجارية والسياسية والاجتماعية وغيرها ؛ فالامة التي يوجد لها لسان منتشر فى الارض ، فان منتجاتها الثقافية – من كتب واشرطة وغيرها – تجد مجالا للرواج التجاري اكثر ، بحيث لا تبقى هذه المنتجات محصورة بين جدران سوق محلية ضيقة ، وانما تجد اسواقا اخرى للرواج اوسع بكثير من السوق المحلية ، حيث تتناسب هذه السعة مع مقدار ما هو متحقق للغة المؤلفات والاشرطة والصحف المصدرة الى الخارج – من انتشار بين شعوب الارض ؛ ومن المكاسب السياسية والاجتماعية بهذا الشان ، ما يترتب على انتشار لغة ما خارج حدودها القومية – من توثيق روابط عاطفية وفكرية وغيرها بين الامة التي تنتسب اليها هذه اللغة المنتشرة ، وبين الشعوب الاخرى التي الم ابناؤها بقدر من هذه اللغة الاجنبية المنتشرة بينهم ، وتشبعوا بنفحات من آدابها وفنونها المختلفة ، وانطبعت نفوسهم على ذلك بعض الانطباع ! ان النتائج السياسية والاجتماعية لمثل هذا التواصل اللغوي بين الشعوب، قد تكون فى بعض الاحيان – ذات اهمية كبيرة ؛. والرابطة التي تتمثل صورتها فى الكومونولث البريطاني الجامع بين شعوب اوربية وآسيوية وافريقية واوقيانوسية وغيرها – هذه الرابطة يمكن الاستدلال بها فى هذا المقام ، كمثال ذي شأن ؛ فنحن ندرك سلفا ان المصالح الاقتصادية بالدرجة الاولى – تلعب – بحق – الدور الرئيسي فى استمرار الكومونولث ونموه المطرد ، غير ان الجامعة اللغوية الانجليزية ، وما تصوغه من احوال تفكير مشتركة – لها نصيبها الكبير فى الامر، خصوصا بالنسبة لبعض الدول الاعضاء ، التي ليس لها من لغة رسمية وذات اعتبار قومي الا اللغة الانجليزية ( اوستراليا مثلا ) وقريب من هذا ، حالة التقارب الفكري الدائم الذي هو حاصل بصورة مستمرة بين الولايات المتحدة ، والمملكة المتحدة ، وهو تقارب ليس حاصلا اي مثيل له بين دولة واخرى بين دول ضفتي المحيط الاطلسي ؛ وضروري التسليم بان عوامل كثيرة غير العامل اللغوي لها شأن مهم فى خلق حالة التناسق الفكري البريطاني الامريكي فى عدة ميادين الا ان مؤثرات العامل اللغوي فى تكوين نظرة مشتركة، واحساسات مشتركة بين الجانبين هي مما لا يمكن اغفاله ؛ وعلى الرغم مما تتيحه الانجليزية من روابط لغوية واسعة المدى بين بريطانيا وعدد كبير من الدول الاخرى فى مختلف القارات ، الامر الذي لا يتهيأ للغة اخرى فى الارض غير اللغة الانجليزية – على الرغم من ذلك ، فانك واجد الانجليز شديدي الكلف بفسح مزيد من المجالات لنشر لغتهم ، وافتتاح كل ما يمكن من الآفاق لانتشارها ، وكأنهم يبتغون من ذلك ان تصبح اللغة الاولى فى كل اقطار العالم ؛ ولا يقل اهتمام الفرنسيين والروس وغيرهم بهذا الامر عن اهتمام الانجليز ؛ ومن المنتظر ان يزداد التسابق اللغوي فى العالم هكذا ، ويتسع نطاقه ، نظرا لارتباط الامر – فى نظر كل دولة – بمصالحها الحيوية فى التوسع المعنوي زيادة على ما تحرص عليه من توسع مادي ، ونظرا ايضا الى تطور رسالة الاعلام فى هذا العصر ، واستيعابها للاعتبارات التي تقوم عليها معركة الثقافات والمدنيات فى القرن الحالي ؛ ومن خلال النظر فى الموضوع بهذا المنظار ، نتبين سعة النطاق الذي تقوم فيه المسألة اللغوية فى العصر الحديث ، ونتبين فى نفس الوقت ، الظروف التي يخلقها كل ذلك حول لغتنا كلغة لها ارتباطات عالمية ، والمقتضيات التي يفرضها الحال ، لكي يستطاع الحفاظ على هذه الارتباطات العالمية المتعلقة بلغتنا ، وتنميتها كل ما امكن ، ومجاراة السباق اللغوي العالمي ان جاز ان تكون لنا قدرة على هذا السباق وامكانيات للتفكير فيه .

* * *

على اي اساس امكن للغة العربية ان تحقق هذا التقدم البسيط فى المجال الدولي عن طريق اليونيسكو، وتفرض هذا القدر من الاعتبار لها . وان كان يبدو محدود الاهمية بدرجة كبيرة ؟

حول الأوضاع اللغوية في دنيانا الحاضرة:

# العربيّة واللّغاتُ العالمية

للاستاذ المهدي البرجالي

**القضايا المهمة التي يطرحها التفكير في تطور العربية وتمركزها كاداة تبادل فكري وتعبير عن الحياة والفكر، هذه القضايا لاتنحصر في المجال القومي للعربية، اي ضمن علاقتها الخاصة بابنائها داخل العالم العربي، بل ان الامر – بهذا الشان – له ابعاد خارجية ايضا، تتعلق بعلاقة العربية بالاقطار الاخرى غير العربية، وخصوصا الاقطار الاسلامية العجمية؛ فهل للعربية اي حظ يعتد به في هذا المضمار بالنسبة للمستقبل؟ وما هي الآفاق الممكنة لاحتمالات توسع لغوي عربي عبر العالم غير العربي؟ ثم ما هي المكانة الحالية للعربية بين اللغات العالمية؟ وماذا يمكن ان تصير اليه؟**

بينما كان العالم العربي – اواخر السنة المنصرمة – مشدودا كله الى الواجهة مع اسرائيل يتدبر نتائج التحركات العدوانية الاسرائيلية وتنشغل الافكار والاعصاب فيه بنتائج هذه التحركات، وماذا تعنيه، وماذا هو مترتب عنها – كان هناك نبأ صغير عنيت بايراده محطات الاذاعة والصحف، ورغم ما اثاره من اهتمام، فانه يجب ان يثير اكثر من ذلك، ولا تصدنا الاحداث المصيرية في الوطن العربي – كقضية اسرائيل – من تدبره، واستخلاص ما يمكن استخلاصه منه من نتائج وعبر.

النبأ الصغير هذا يتعلق بقبول اليونسكو استعمال اللغة العربية كلغة معترف بها؛ ودخول لغة الضاد هكذا الى مجال دولي ليس هناك – على ما يظهر – من يستهين باهمية الدخول اليه؛ واذا وضعنا هذا الى جانب ما اتخذته جامعة الدول العربية من قرار يقضي على الوفود العربية في هيئة الامم باستعمال العربية في الخطب التي يلقيها المندوبون العرب في حظيرة المنتظم العام، يتبين لنا من كل هذا، ان هناك اهتماما عربيا متزايدا بفسح المجال امام لغة الضاد، كي تخرج من اطارها الاقليمي الخاص وتحقق قدرا من الاتصال مع العالم الخارجي اوسع مما كان واقعا لحد الآن من اتصال؛ كما يتبين من هذا ايضا، ان هناك قدرا من الاستجابة الدولية، يمكن ان يحصل عليها العرب بهذا الشأن اذا آمنوا – اولا – بامكانية العمل على التعريف بلغتهم لدى العالم الخارجي، والحوا على ذلك – بكل الوسائل التي تلح بها اللغات الاخرى على مختلف شعوب الارض، لتخلق عند الاجانب دافعا ما، يحملهم على التعرف عليها، او السماع بها على الاقل – او حتى مجرد الشعور عند هؤلاء الاجانب، بوجود لغة تدعى كذا او كذا، لها ادب تعبر عنه، وثقافة تحتويها، ومنافذ اتصال بينها، وبين غيرها من اللغات الحية، عبر آفاق الثقافة والعلم والحضارة؛ وليس من ضرورة لافاضة القول في الدوافع الادبية التي توجب

..ان آسيا ضخامة حجمها الديموغرافي وما يتوفر لها من مورد انساني ضخم .

ولسنا مبتغين من هذا ، مقارنة اقتصادية وما نوعها ، ولكننا مبتغون فقط الاشارة الى انه اذا كانت بعض اللغات الآسيوية الكبرى ، قد نالت مكانة دولية ، معترفا بها ، بسبب ضخامة الحجم الانساني الذي ينطق بهذه اللغة كلغة قومية له ، فانه يتوافر للعربية ـ هي بدورها ـ مجال قومي مهم ، تروج فيه ، وان كان العرب اقل عددا بكثير من الامم الاسيوية الكبرى التي يعد سكانها بمآت الملايين ؛ والمعترف للبعض منها بلغته دوليا نتيجة لذلك ؛ ان المماثلة هنا ممكنة بوجه من الوجوه ، غير انه ليس من اللازم ان نقدر ـ بهذا الصدد ـ ان اعطاء اليونيسكو مجالا ما للعربية فى حظيرتها ، كان نتيجة لاهمية الموقع العربي فى العالم ، لاجل ضخامة الحجم الانساني ، الناطق بالعربية . وان كان من الجائز جدا ان يكون لهذه الاعتبارات اثر فى الامر ، غير ان الاثر الذي يبدو ذا اهمية فى الموضوع اكثر ، فهو صفة العربية ـ اولا ـ كلغة حضارة عريقة، وذات اتصال فعال بواقع انساني حي موجود ، واقع عربي آسيوي وواقع عربي افريقي يتجه حتميا نحو استكمال شخصية حضارية فريدة ، تعتبر من اهم حلقات التواصل بين حضارة العالم الشرقية والغربية ( واليونيسكو وهي ـ قبل كل شيء ـ منظمة ثقافية وحضارية على مستوى العالم ـ لم يكن لها لتتجاهل ـ الى ما لا نهاية ـ هذه الحقيقة الثقافة ـ الحضارية الانسانية ، المتمثلة فى وجود لغة كبيرة كالعربية ، وما تمثله من قيم فكرية ذات اصالة ، هذه القيم التي يبدو معقولا وضروريا جدا ان تجد مجالا لها فى حظيرة اليونيسكو وهي ملتقى الثقافات الانسانية فى عالمنا الحاضر ، انه فى امكان المرء ان يدعي بهذا الشان ان العربية اكثر من العرب انفسهم ، قد عبرت عن وجودها ... بهذه الصورة المحدودة فى العالم الثقافي الدولي ، كما الفت ان تعبر عن وجودها فى اي عصر من عصور الحضارة الانسانية ، على امتداد القرون؛ على ان اطلاق القول هكذا لايجب ان يشير الى ان دور الجيل العربي المعاصر ، دور سلبي لا يؤبه له ، اطلاقا ، فالحقيقة ان نوازع التفتح العربي على العالم، والاتصالات الفكرية المجدية بين العرب وغيرهم من الشعوب ، ثم التطورات الفكرية والتعبيرية التي حققها العرب المعاصرون ، ثم الجهود العربية للتعريف بلغة الضاد ، وافتتاح آفاق لها خارج البلاد العربية ؛ كل هذا وما فى معناه لابد ان يكون تاثيره ذا اهمية تذكر فيما حققته العربية لنفسها اليوم ، من اعتبار معنوي خارج العالم العربي . لكن القيمة التاريخية والحضارية لهذه اللغة تلعب فى هذا المجال دورا هو ـ كما اسلفنا ـ اهم بكثير ، ومن شانه ان يمنح لغة الضاد قيمة بارزة على صعيد جميع الهيآت الثقافية فى العالم كاليونيسكو وغيرها ، واستمرار تجاهل العربية فى هيآت ومنظمات من هذا القبيل ليس معناه الا انه تجاهل لمعقولية رئيسية لا ينبغي تجاهلها باي حال .

* * *

ناتي بعد كل هذا ، الى الحالة التي عليها العربية اليوم بالنسبة الى العالم غير العربي وهنا يجب ان نضع فى حسابنا ملاحظتين ، تطفران ـ بالضرورة ـ امام من ينظر فى هذا الامر ، الملاحظة الاولى : ان دعوانا ان العربية قد حققت ـ باعتراف اليونيسكو بها ـ خطوة دولية محدودة ، هذه الدعوى لا يجب ان تنسينا ان العربية لم تصبح بهذا فى مصف اللغة الصينية التي هي ـ كالعربية ـ لغة شرقية عتيقة ، وذات مشاكل ذاتية اكثر من العربية بقدر كبير ، ومع ذلك ، فهي لغة رسمية معترف بها فى مجلس الامن التابع للامم المتحدة ، ولها بذلك نفس الاعتبار ـ مبدئيا ـ الذي للفرنسية والانجليزية والروسية والاسبانية ، وقد حاولنا ـ من قبل ـ تعليل اعطاء الصينية اعتبارا فى الامم المتحدة ، بصفة انها لغة خمس سكان العالم ، ولكن عقبنا على ذلك ، ان المحيط القومي الذي تروج فيه العربية ـ وهو العالم العربي ـ وان كان محدودا من الناحية البشرية ، الى انه محيط عظيم من الناحية الجغرافية والحضارية والفكرية ؛ الامر الذي يبرر ما نالته العربية من اعتبار محدود في اليونيسكو وفي اية منظمة مماثلة ؛ الا ان هذا الاعتبار الذي تفرضه العربية لنفسها فى المجال الدولي ، لايمكن ان يصل ـ فى تقدير الكثيرين ـ الى درجة اعطائها اية صفة رسمية ـ ولو محدودة جدا ـ فى مجلس الامن ، لان الاسباب التي منحت اللغات الاخرى صفتها الرسمية فى ذلك المجلس ، ليست موفورة بصورة كافية فى العربية ؛ ولا اخال ان هناك من الاجانب عن العربية كثيرين ممن يقتنعون بوجاهة الفكرة التي سيقت ـ بهذا الشان ـ والقائلة بان المحيط القومي العربي يوازي باهميته الجغرافية والحضارية والفكرية ، الاهمية التي للمحيط القومي الصيني الشامل لنحو خمس سكان العالم . وقد تدلي بالقول معترضا ان هناك لغات اوربية ذات اعتبار كبير فى الامم المتحدة ، ومحيطها القومي محدود جدا بصورة اقل من المحيط

ان هناك اسبابا موضوعية كان من شانها ان تتيح للغـة الضاد مثل هذا الاعتبار منذ وقت بعيد ، لولا ان العرب كانوا باكثريتهم فى غيبة عن المجتمع الدولي الفعال النشيط ، خلال الربع قرن الاول ، وكانت عنايتهم بحركاتهم التحررية اكثر من اهتمامهم ، بالبحث عن وضعية منطقية للغتهم فى العالم الدولي .

1) هناك القيمة الذاتية للغة الضاد ، كلغة تعبير حضاري اصيل ، ترتبط اهميتها من هذه الناحية بالماضي وبالحاضر .

2) هناك ايضا القيمة العددية للمتكلمين بها من المحيط الى الخليج ، وما ينتظر لهم من دور يؤدونه فى حياة العالم المتحضر .

3) هناك الاعتبار الكبير الذي للغة العربية في قطاع دولي كبير كقطاع العالم الاسلامي باعتبارها لغة روحية حية بالنسبة للملايين من الناس فى آسيا وافريقية غير العربية ، وان كانوا لا يعرفونها معرفة كافية ، ثم بصفتها كذلك لغة ثقافة دينية ، ووعاء تراث فكري ، يمتد عبر القرون الخوالي . كل هذا بالنسبة للآخذين بالثقافة الدينية ، وما فى حكمها بين المسلمين غير العرب .

اعتبارات من هذا المعنى ، تفرض بطبيعتها اعطاء مجال ما للغة العربية على الصعيد الدولي الرسمي ، وتجعل عدم اعطائها هذا المجال بمثابة شيء يختلف — على اي حال — مع ما يقتضيه المنطق ، اذا رأينا المنطق من بعض الجوانب المعينة ؛ ان الامر هنا لايشكل فى الحقيقة حالة ، هي عبارة عن حتمية اساسية او ضرورة منطقية لا تتخلف ، فليس ضروريا دائما — بالنسبة للغة ، لها مجال قومي واسع ، تنتشر فيه ، كحالة اللغة العربية التي يتسع لها العالم العربي الضخم الشاسع — نقول — ليس ضروريا دائما بالنسبة لمثل هذه اللغة ان تفرض وضعا رسميا لها فى العالم الدولي ، فاللغة الالمانية ، التي ينتسب لها عشرات الملايين ، واللغة الصينية التي يستعملها نحو خمس سكان الكوكب الارضي ، هما ايضا محدودتا الاستعمال — دوليا — على الرغم من ضخامة المجال القومي الذي تستعملان فيه كلغة قومية لعشرات الملايين بالنسبة للاولى ، ولمآت الملايين بالنسبة للثانية ؛ وهكذا الامر ايضا بالقياس لليابانية ، والاوردية والبنغالية وغيرها من اللغات التي يتحدث بها عشرات الملايين ؛ هذا من ناحية واقعية ، وحتى من الوجهة النظرية ، لا شيء يفرض بالضرورة ، ان يكون هناك تلازم بين حجم الامة التي تنتمي اليها لغة من اللغات ، وحظوظ الاعتراف بها كلغة عالمية ، وذات وزن معتبر فى المجتمع الدولي ؛ ان الامر اذن — نقر به — ليس ضرورة حتمية ، ولكنه مع ذلك امر منطقي الوقوع ، منطقي ان ينشأ عن حالة وجود مجال قومي عظيم ، تستعمل فيه لغة من اللغات كأداة حية للتفاهم ، وتبادل الافكار ، منطقي ان تنشأ عن ذلك حظوظ لمثل هذه اللغة فى اكتساب اعتبار على الصعيد الدولي يتناسب مع اهمية مجال انتشارها القومي . اما من حيث العدد ، او بالنظر لاعتبارات اخرى ؛ والمثال الذي اتينا به عن الصينية يعزز هذا المعنى ، فقد لاحظنا ان الصينية محدودة الاستعمال دوليا رغم ضخامة المجال القومي المستعملة فيه . لكن ليس معنى هذا ان سعة انتشارها القومي على هذا النحو الواسع ، لم يفدها بشيء من ناحية دولية ، فنحن ندرك ان الصينية هي احدى اللغات الخمس الرسمية فى الامم المتحدة ، تبعا لرسمية عضوية الدول الخمس فى مجلس الامن ؛ ولم تكتسب الصينية هذا الاعتبار ، الا لسبب واحد ، وهو ضخامة المجال القومي المستعملة فيه . على الرغم من ان رسمية اللغة الصينية فى الامم المتحدة ، لايعني انها ذات قيمة استعمال دولي كالانجليزية والفرنسية مثلا ؛ وقد يعترض حول هذه المسألة بالقول أن عدد المتكلمين بالعربية مثلا ، لايتجاوز واحدا الى سبعة ، بالنسبة الى الذين تنتسب اليهم الصينية كلغة قومية ، ومن ثم ، فلا معنى لمقارنة العربية بالصينية من هذه الناحية ؛ وهذا صحيح الى مدى واسع ، بيد ان هناك — بهذا الخصوص — عاملا له شأن لاتنكر قيمته ، وهو ان العربية — اذا لم يكن الذين ينتسبون لها كثيري العدد ، كالصينية والهندستانية ، فان الاقطار التي تسود فيها هذه اللغة — اقطار العالم العربي — لها من امتداد الاراضي على قارتين ، ومجاورة مواقع العالم الحساسة ( مواجهة اوربا — الاشراف على العالم الاطلسي غربا ، والمحيط الهندي شرقا ، وعلى العالم الايراني — الهندي من خلال ذلك — الاشراف على امتداد القارة الافريقية من الغرب الى الشرق وعلى امتداد فريقيا الشرقية من ناحية البحر الاحمر — متاخمة آسيا الصغرى الى غير ذلك ) نقول — للغة العربية من هذه الميزات «القومية» شان عظيم ، فهذا الامتداد العربي عبر القارات والمحيطات المهمة فى العالم ، وهذه الحساسية الموقعية ، والضخامة الترابية التي تتميز بها البلاد العربية من شانها ان تمنح الوجود العربي اهمية ذات شاو كبير فى العالم الدولي المعاصر ، يماثل الاهمية التي تضفيها على بعض

ر الى بقية الملايين التي تلم بهـذه اللغات قليلا او يرا فى شتى بقاع المعمور ؛ وليس ما يمنع العرب من حية نظرية ، من ان تكون لهم هم الآخرون ، سياسة ساع لغوي عبر العالم ، تستخدم فيها الوسائل عصرية التي تتبع فى تنفيذ مقتضيات التوسع اللغوي لنسبة الى اللغات الاخرى التي هي بصدد تحقيق هذا التوسع فعلا ؛ وهناك بهذا الشان ، العوامل المساعدة التي توجد بجانب العربية فى هذا المضمار ؛ ومن بين هذه العوامل المساعدة : الرابط الديني والحضاري والعقلي والجغرافي وغيره ، الموجود بين العرب ومعظم الشعوب الآسيوية الافريقية ، لا سيما وبعض هذه الاقطار قد اخذ يبحث عن اساس لغوي راق غير اوربي ، يتخذه كوعاء للتعبير عن ثقافته الجديدة ، وتطلعاته الحضارية المستقبلة ؛ فهل تجد ربية اي حظ فى تحقيق نوع من الانتشار ضمن هذه الظروف المرحلية ، التي يجتازها العالم الاسلامي ، والعالم الافريقي الآسيوي عموما ؟ اننا نلحظ بعض المبادرات الملفتة للنظر تتخذها بهذا الشان — بعض الدول الاسلامية غير العربية ؛ نلحظ ما تقدم عليه بعض الاقطار من هذا القبيل من اقرار العربية فى مضمار التعليم عندها كلغة ثانية ، كما نلحظ كذلك حالة من الاهتمام بالعربية على مستوى الجامعات واوساط الفكر والثقافة بهذه الدول ، ونعلم ان عددا من الدول الاسلامية لا تزال تعتمد الحروف العربية ، كابجدية قومية لها تكتب بها لغاتها الخاصة ؛ كل هذه احوال ومبادرات قد نعتبرها — نحن العرب — حظوظا ايجابية للغتنا فيما نبتغيه لها من انتشار خارج حدودنا العربية الخاصة ؛ ومن غير تنقيص من هذه العوامل المساعدة ، فانه لابد لنا كذلك ان ندرك عمق المصاعب التي تعترض انتشار لغتنا فى العالم الخارجي مع التاكيد على ان الانتشار الذي نقصده ، لايراد به شيء سوى ان تجد اللغة العربية مجرد مجال متواضع للتعرف عليها ، والاطلاع على بعض نواحي ادبها وثقافتها عند الشعوب الاخرى ؛ وفي ذلك تمهيدا لها — لكي تكتسب فى الامد البعيد — مكانة ما ، على الصعيد العالمي ، تتناسب مع قيمتها الذاتية كلغة ، ومع اهمية الفكر والحضارة اللذين عبرت عنهما فى الماضي ، وتعبر عن حالة انبعاثهما وتجديدهما فى الحاضر .

* * *

ما هي المصاعب التي تعترض العربية الحديثة ؟ وماذا تفرضه هذه المصاعب علينا من تبعات ، بالنظر الى مبدا انتشار العربية خارج العالم العربي ؟

يجب التنبيه — اولا — الى ما يراد بالمصاعب هنا؛ لان لها ظرفا خاصا يجعل منها مصاعب شائكة ، والظرف الذي نقصد هنا ، يتمثل فى حالة العلائق الحالية بين العربية والشعوب الاجنبية عنها ، بما فيها الشعوب الاسلامية غير العربية ؛ ففي هذا الظرف بالاخص ، تبدو مصاعب العربية اكثر ما يمكن ، وتبدو هذه المشاكل كأقوى عامل يحول بين لغة الضاد ، وبين امتدادها عبر العالم الخارجي على نحو ما نطمح اليه . ان امامنا بهذا الخصوص حالتان ، لاثالث لهما ؛ فاما ان نستمر على استبقاء هذه اللغة خاصة بنا نحن العرب ، لايعرف عنها من الشعوب الاخرى الا عدد قليل جدا ، من رجال الاستشراق وعلماء الدين في الاقطار الاسلامية العجمية . وفى هذه الحالة يحق لنا ان نعتبر مصاعب العربية ، اهون حالا ، لان العقلية العربية متعودة على هذه اللغة بالفطرة ؛ وقد يقع الكثيرون من المتعلمين العرب فى اللحن الفادح ولكنهم مع ذلك يتذوقون اساليب اللغة ويهضمونها بقدر كبير، بل وينتجون بها كذلك ؛ لان البيئة بيئة عربية ، تتضافر فيها شتى العوامل على اكساب الفرد قدرة على هضم الطريقة العربية فى التفكير والتعبير ، وتمثيل ذلك بصور تقل او تكثر . اما اذا كان همنا ، ان نصطنع للضاد مجالا ما خارج العالم العربي ، لكي تتعرف اعداد كثيرة من الناس غير العرب على الفكر العربي والحضارة العربية عن طريق اللغة العربية ذاتها ؛ وحتى اذا كان مقصدنا محدودا اكثر من ذلك ، بحيث لانبتغي للعربية خارج العالم العربي الا ان يتعرف عليها افراد عاديون من الاجانب ، ليلموا بها الماما عاديا ، يمكنهم من التفاهم بها ، اذا دعت الحاجة الى تفاهم بها فى ظرف من الظروف ؛ اذا كان من اهتماماتنا شيء من ذلك ، فليس لنا من مناص من الشعور شعورا عميقا بمصاعب العربية ، من هذه الناحية ، والاقتناع بان هذه المصاعب لاتساعد لغتنا على اكتساب مكانة ما ذات اهمية فى خارج الوطن العربي على الرغم مما قد تغري به بعض الاجانب ، ان يقبلوا عليها ، نتيجة لازدياد اهمية العرب فى المستقبل من ناحية سياسية او حضارية او غير ذلك ؛ ومن ابرز هذه المصاعب :

1) ما يتعلق بالاسلوب العربي بما يندرج فيه من عناصر نحوية وتركيبية وما فى حكم ذلك ؛ لانقصد بذلك ضرورة استبدال النحو العربي بغيره ، او اصطناع طرق للتعبير بالعربية تناقض فى الصميم روح اللغة التي تعبر عن التراث ، وحتى لو شئنا ذلك، لما امكننا لا مبدئيا ولا عمليا ، لان اسلوبنا العربي يرتبط

العربي بكثير ؛ ولكن لا بد ان تجاب على ذلك ، ان مثل هذه اللغات ، هي ذات انتشار عالمي واسع ؛ واستعمالها يتم على نطاق دولي شامل للحياة السياسية والتجارية والثقافية العالمية ؛ وليس للعربية مثل هذه الظروف المعززة لها فى المحيط العالمي على الرغم من معرفة الكثيرين بها فى العالم الاسلامي غير العربي ، وهي معرفة ضيقة ومحصورة فى نطاق خاص لا يمس الحياة العامة عند المسلمين غير العرب ، بالصورة المتوفرة للغات الاوربية الكبرى فى العالم .

وهذا ما يقودنا الى النقطة الثانية فى الموضوع ، وهي انه اذا كان يعني العرب ان تصبح لغتهم ذات مقام عالمي يعتد به ، فان مجرد اعتراف اليونيسكو او حتى مجلس الامن بها لا يزيد فى الامر كثيرا ولا ينقص ؛ فلو فرضنا ان العربية اصبحت — نظريا — كلغة رسمية فى جميع المحافل الدولية ، فماذا يجدي ذلك ، اذا كان لا يوجد من يتحدث بها او يفهمها فى هذه المحافل الدولية ، الا العرب والعرب وحدهم ، وربما يوجد في احوال قليلة من يفهمها من بين المندوبين المسلمين ، من غير العرب ؛ ان القضية الكبرى فى هذا المجال ، لاتنحصر — كما نلاحظ — فى مجرد ان تضفي الدول الاخرى اعتبارا معنويا على لغتنا ، وتضعها — نظريا — فى مصف اللغات الجديرة بالتقدير ، لان هذا الاعتبار سيبقى — بالضرورة اعتبارا اكاديميا مجردا ، له قيمته فى حد نفسه ، ولكنه ليس مؤديا الى شيء يؤبه له عمليا .

ولا بد ان يفرض السؤال نفسه علينا فى هذه الحالة : هل نقصد مما سقناه ان يصبح للعربية مجال استعمال واسع فى العالم الدولي ، حتى نستطيع حينئذ الاطمئنان على مستقبلها كلغة ربما تصير ذات صفة رسمية فى المحافل الدولية ؟

الواقع ان تلازما من هذا القبيل يشكل — فى حد ذاته — حقيقة منطقية لاسبيل للمجادلة فيها ؛ فبقدر ما يكون موفورا للغة من اللغات مجال استعمال متوسع فى المجتمع الدولي ، بقدر ما تضمن هذه اللغة لنفسها اعتبارا قويا لدى دول العالم الاخرى ، مما قد يحمل هذه الدول على الاقرار لهذه اللغة بصفتها الدولية العملية ، ويحملهم على فسح المجال امامها لتستعمل على نطاق واسع فى الحياة الدولية العامة .

لكن يتبقى علينا ان نغضي عن هذا التلازم المنطقي لنعير اهتمامنا للحقائق الواقعية التي تحيط بالموضوع؛ فليس لامريء ان يبلغ به الخيال درجة ان يعتقد

بامكانيات تحقيق انتشار لغوي عربي سريع على مستوى العالم ، اكثر مما هو حاصل الآن ؛ فتحقيق مثل هذا الانتشار مرهون بعدة امكانيات عظيمة جدا لايتوافر للعرب منها شيء هام فى الوقت الحاضر ، مضافا الى ذلك ، ان ما تنعم به اللغات الغربية الكبرى من مركز عالمي ناتج عن استعمالها على اوسع نطاق فى شتى انحاء العالم ، انما يرجع فى عدة حيثيات — الى ظروف تاريخية خاصة لاتتكرر دائما ، هذه الظروف هي ظروف الانتشار الاوربي عبر العالم خلال القرون الاخيرة ، فى نفس الوقت الذي كانت فيه اللغات والحضارات الاخرى فى حالة خدر شامل ، وكان كثير من الشعوب الافريقية وغيرها ، منحصرا فى قوقعة لغوية محلية ، انقطعت صلتها بالعالم الخارجي لمدى قرون ، وتضاءلت ممكناتها الحضارية لاحقاب عدة ، فصارت عبارة عن لهجات ضيقة وبسيطة ، الامر الذي فسح السبيل امام اللغات الغربية بافريقيا السوداء ، ولا تزال القضية قائمة الى اليوم ، باعتبارها مشكلة ثقافية وحضارية تواجهها افريقيا الزنجية باستمرار.

هذه الظروف التاريخية المشار اليها مما اكسب اللغات الغربية الكبرى مجال نفوذها العالمي الحالي لم تعد متوافرة بالصورة التي كانت عليها من قبل ؛ بل يوجد اليوم فى افريقيا وغيرها ، وعي لغوي ملحوظ يرتبط بالوعي الحضاري القومي الذي يجتاح كثيرا من مناطق العالم الثالث . ومن نتائج هذا الوعي ، اتجاه قوي موجود يرمي الى احياء اللغات القومية الكبرى فى افريقيا وغيرها وترميمها بما يمكن من جعلها فى المستقبل ادوات بديلة للغات الغربية المسيطرة ؛ وفي نطاق ظروف من هذا القبيل يبدو من اللامعقول — بقدر ما — ان يستهدف اصحاب لغة من اللغات مهما كانت قيمتها القديمة والحضارية ، صنع مجال انتشار عالمي للغتهم بحجة كونها لغة راقية ، او بغير ذلك مما يتعلل به فى هذا المجال ، غير ان هذا مما لايقنعنا بوجود القناعة بما عليه العربية اليوم من انتشار محدود فى المجال القومي العربي لان انحصار العربية فى النطاق العربي الخاص ، لا يتيح لها امكانيات دولية واسعة ، على الرغم من اهمية العالم العربي في حد ذاته . ثم ان هناك فى عصرنا الحاضر سياسات متبعة بتدقيق فى مضمار التوسع اللغوي عبر العالم ، ينهجها عدد من الدول التي تنتسب اليها لغات عالية كبرى . فللروسية والفرنسية والانجليزية وغيرها ، سياسات توسع بعيد الافق ، تستهدف تحقيق مزيد من التعريف ، بمثل هذه اللغات ، واضافة شخص

# لو أبصرت ثلاثة أيام ..

## للكاتبة الأمريكية هيلين كيلير
## عربها عن الانجليزية الاستاذ عبد الهادي التازي

تعرضت هيلين كيلير وهي فى الشهر الخامس من عمرها لمرض حرمها من بصرها وسمعها ومنعها ايضا من الكلام ، بيد انها بفضل العون الذي قدمته لها أستاذتها المسز آن صاليفان ماسي ـ استطاعت ان تتعلم النطق وهي فى السن العاشر ، وبمرور الاعوام عرفت كيف تتخلص من عالم البؤس والصمت الى عالم السعادة والكلام ، وبعد تخرجها بتفوق من كلية راد كليف ( ولاية ماساشوستس ) سنة 1904 انصرفت للقراءة والتأليف . وقد مكنتها شهرتها من التنقل عبر كثير من بلاد الدنيا حيث لقيت الترحيب والتكريم من سائر رجال الفكر ، وقد كان فى جملة البلاد التي زارتها مصر سنة 1952 صحبة سكرتيرتها الآنسة بولي طمسون، وقد كان كتابها « قصة حياتي »«The story of my life» أول ما الفت ولكنه ليس آخرها فلها «The world I live in» ولها :

«The song of the stone wall» ولها :

«The Practice of optimism»

وغير هذا من عشرات الكلمات والمقالات التي توحي بالشكر على نعمة الحواس وتدعو الى استعمالها فيما خلقت من أجله . . .

وقد نقل كتابها « قصة حياتي » الى اللغة العربية الاستاذ امين موسى قنديل . كما عرب كتابها حول معلمتها الدكتور حسين فوزي النجار ، هذا الى تعريبات أخرى قام بها بعض الادباء لجملة من نتاجها.

وقد حبب الي ان اقوم بنقل احدى مقالاتها المختارة الى اللغة العربية ، وفضلت هذه المقالة بالذات لانها فى نظري افضل نصح واصدقه يمكن ان يقدم الى أولئك الذين تحتف بهم النعم من كل الجهات ثم هم يكفرون بها ويستسلمون للاوهام والياس والقنوط .

فالمقال اذن « دعوة » للناس ان يلتفتوا فيما حواليهم من كنوز وثروات حقيقية .

ولهذا فانني اقترح عليك ايها القاريء ان تستوعبه مهما كانت مشاغلك ، وكيفما كان مركزك، وحيثما كان مقامك ، وسواء اكنت من الذين يدركون حقائق الاشياء فهم يجدون الراحة فيما يحيط بهم من مباهج ، أم كنت من أولئك الذين اضنتهم متاعب الحياة فهم من مباذلها سرمدا يضجون ويشكون .. »

* * *

كل واحد منا قرا اساطير رائعة عاش ابطالها لحظات معينة تطول احيانا حتى ليخيل الينا انها بلغت السنة كاملة ، وتقصر احيانا حتى لا تتعدى فى اعتبارنا اربعة وعشرين ساعة ، بيد اننا نهتم دائما بمعرفة الرغبات التي اختارها هذا البطل او ذاك ليقضي معها اواخر ايامه او اواخر ساعاته . اتحدث طبعا عن أولئك الذين لهم نوع من الاختيار وليس عن الآخرين من الذين حكم عليهم او من الذين ضاقت امامهم الآفاق..

ان مثل تلك الاساطير تجعلنا نفكر ماذا يجب علينا ان نفعل لو عشنا نفس تلك الظروف ، ما هي الاشياء ؟ ما هي التجارب ؟ ما هي الاعمال التي نختار القيام بها فى هذه الساعات الاخيرة من حياتنا ؟ ما هو نوع السرور الذي سننعم به ونحن نعيش هذه الفترات ؟ وما نوع الاسى والاسف الذي سنحسه ؟

لقد فكرت فى بعض الاحيان بان افضل طريق واحسنها هي **ان نعيش كل يوم كما لو اننا سنموت غدا** . وان مثل هذا الشعور منا سيقوي من قيمة الحياة ومتعتها فى نظرنا ، يجب علينا ان نعيش كل يوم

بكل مقومات شخصيتنا الحضارية والتراث الادبي والفني الذي يرتكز عليه تاريخنا فى مضمار الحضارة ، الا ان ذلك لايمنع من جهة اخرى من محاولة تبسيط عناصر الجملة العربية وجعلها اكثر قربا للاذهان ـ معتبرين كمقياس ، اذهان غير المختصين من عامة الطلبة وسواد الناس ، ثم واضعين كذلك فى الاعتبار ، مبدأ نشر العربية خارج العالم العربي بما يقتضيه ذلك من تقريبها لاذهان الاجانب ، ولا يتم هذا التقريب الا بجعل الاسلوب العربي اقل اعناتا للذهن كثمن لفهم ما يقرأ بالعربية ؛ والمسألة هنا ـ كما ذكرنا ـ مسألة عجز عند الاجانب عن استيعاب كل مقومات الذوق العربي ، الذي يقوم عندنا ـ نحن العرب ـ كاساس جوهري فى قدرتنا على فهم العربية وادراك منطلقات وابعاد الجملة العربية . وهذا الذوق لاننتظر منه ان يكون متوفرا بالضرورة عند الاجانب ، لكي يلموا باصول القدرة على هضم الاسلوب العربي فى التعبير ؛ ولا ينكر ما لهذا الامر من خطورة آتية من وجود الجيل العربي الحالي بين هاتين الضرورتين الاساسيتين: الحفاظ على روح العربية وجوهريتها الاصيلة ، وفي نفس الوقت اعطاء منطلقات عملية لها لمجاراة حركات التوسع اللغوي عبر العالم ، واكتساب مجالات نفوذ تسعى اليها كل لغة عظيمة وراقية ؛ ومنذ اوائل هذا القرن وقبله ، والفكر العربي متأرجح بين شتى الاختيارات من هذا القبيل . وكان من نتيجة ذلك ان حققت العربية تطورات مهمة فى معجمها واساليبها التعبيرية ، ومضامينها الفكرية ، الا ان كل ذلك ، لم يصل الى التخفيف من كثافة الحجاب الذي يفصلها عن بقية المناطق الاخرى فى العالم غير العربي ، بل ان نقائص عظيمة جدا ، تعانيها العربية بالنسبة الينا نحن العرب ايضا ، فالاجتهاد الشخصي لا يزال قاعدة جاري بها العمل فى ايجاد مقابل للالفاظ الاعجمية ؛ و يوجد هناك قدر يفي بالمرام من المعاجم الحديثة التي تتميز فيها مدلولات الالفاظ القديمة بالتحديد الدقيق كما فى اية لغة اخرى ؛ ثم ان السباق بين ما ينتج من مصطلحات حديثة ، وما يجد من مصطلحات اخرى في العالم ، لا حد لها ، هذا السباق لايزال يربك الحياة اللغوية العربية الحديثة ، ويبقي على « الازمة » قائمة لان مجاراتنا لمقتضيات السباق لا تتم دائما بالصورة المطلوبة ؛ مضافا الى ذلك ، ان القوائم العديدة من المصطلحات التي تولد ـ وان كانت تضخم هيكل المعجم العربي ـ الا انها لاتعيش فى حياة الناس الا بقدر ضئيل جدا ، مع اختلاف الكتاب والعلماء فى استعمالها اختلافا كبيرا .

واذا وضعنا الى ذلك فى الاعتبار ، مشاكل الازدواجية الناشئة عن وجود الفصحى والعامية ، كل منهما يتطور فى غيبة عن الآخر ، بل وربما يتطور تطورا مناقضا للآخر . اذا وضعنا كل هذا فى الحسبان ، فاننا نجد حينئذ ، ان امام الجيل العربي الحاضر ، الكثير مما يجب ان يقوم به لخلق حظوظ للعربية فى الانتشار على مستوى العالم الخارجي اذ ان هذا الانتشار يتوقف ـ علاوة على العوامل التاريخية والثقافية والسياسية والاقتصادية وغيرها ، مما يساعد على توفير « زبناء » للغة من اللغات ـ يتوقف بالاضافة الى كل ذلك ، على توصل العربية الى حل مشاكلها الذاتية ؛ وللجيل العربي الحاضر ، والاجيال المقبلة ، من الممكنات ما يقدر على تحقيق مرحلة جديدة من هذا الانبعاث اللغوي المنشود ، كما تحققت مراحل سابقة منذ القرن الماضي ، وتحقق معها الشيء الكثير من النتائج الحسنة .

سلا : المهدي البرجالي

حصل على متعة مثل هذه : مجرد لمس عابر فاي جمال اي بهاء اشعر به وانا ارى ذلك رؤيا عين . ان اولئك الذين يتوفرون على عيون ، يبصرون فعلا كما يجب ، ن المنظر الشامل لمختلف الالوان ومختلف الحركات التي يزدان بها هذا الكون كل ذلك يلاحظه معظم الناس دون ادنى تفكير ... قد يكون من الانسانية ان نقدر قليلا الاشياء التي تحت تصرفنا وان نتوق الى الاشياء التي ليست فى متناولنا ، بيد انه مما يدعو الى الاشفاق الكبير اننا فى عالم النور نلاحظ أن حاسة البصر تعتبر لدينا على انها اداة زهيدة فقط قبل ان تعتبر على انها وسيلة تضفي على الحياة الكمال والجمال .

لو كنت رئيسة جامعة لكان علي ان افرض مادة اجبارية حول موضوع : « كيف تستفيد من عيونك » يكون على الاستاذ فى هذه المادة ان يحاول افهام طلبته الوسائل التي تمكنهم من ان يضاعفوا المتع التي تزدان بها حياتهم عن طريق **الرؤية الحقيقية** للاشياء التي تمر امامهم دون ان يعيروها ادنى اهتمام ، نعم يكون عليه ان يحاول ايقاظ طاقة طلابه وبعثها من نومها وفتورها ...

اعتقد انه من الممكن ان ارسم على سبيل التخيل ماذا يكون علي ان ارى **لو انني وهبت نعمة البصر فقط لمدة ثلاثة أيام** .. فحاولوا ان تشاركوني فى هذا الخيال كذلك .. ركزوا تفكيركم فيما اقول وانا احاول ان نجد استعمالا للزمن طيلة هذه الايام الثلاثة التي سنبصر فيها بأم عيوننا نحن ...

عندما تشعر بأن الليلة الثالثة ستحمل معها اقتراب عودة الظلمة الدائمة ، وعندما تشعر بأن الشمس سوف لا تعود ابدا للظهور مرة اخرى ، كيف تقضي تلك الايام الثلاثة الثمينة المحددة المزدحمة ؟ ماذا ستختار ان يقع بصرك عليه ؟

سأختار انا طبعا ان ارى اكثر الاشياء التي اصبحت عزيزة علي طيلة السنوات المظلمة التي عشتها ، وانتم كذلك ولا شك ستفضلون ان تتركوا لعيونكم الحرية الكاملة لتقع على الاشياء التي امست محببة لديكم وذلك حتى تستطيعوا ان تحتفظوا لانفسكم بذكراها فى الليل البهيم الذي يعترض طريقكم .

نعم اذا ما منحت بقدرة قادر فرصة النظر لمدة ثلاثة ايام اكون بعدها مهددا بانتكاسة تسلمني الى الظلام الدائم ، آنذاك ساوزع هذه الفترة من حياتي على ثلاثة مراحل :

ففي اليوم الاول سيكون اول ما اقوم به هو رؤية هؤلاء الناس الذين جعلوا من حياتي شيئا يستحق الذكر بفضل عطفهم ولطفهم واخلاصهم . اولا سيكون علي ان انعم النظر طويلا فى محيا عزيزتي واستاذتي المسز صاليفان ماسي التي وردت علي ذات يوم وانا ما ازال طفلة وفتحت امامي هذا العالم الجديد .. لا اريد ان تكون رؤياي عابرة تقتصر على تلمح الخطوط البارزة لاسارير وجهها من اجل الاحتفاظ بذكراها فى مخيلتي فقط ، ولكني اريد ان ادرس ذلك الوجه درسا لاقرا فيه الشاهد الجلي على ذلك العطف والود والصبر الذي كانت تتحلى به وهي تقوم باداء مهمتها الشاقة من اجل تربيتي وتعليمي . اريد ان ارى عيونها المليئة بالعزم والقوة التي جعلتها تقف وقفة شهم حازم امام سائر المصاعب .. عيونها المليئة بالرحمة والشفقة بجميع افراد الانسان .

لا اعرف ماذا سأراه فى اعماق قلب صديقة من خلال العين : « نافذة الانسان » كنت استطيع أن « ارى » بواسطة اناملي واصابعي فقط الملامح المتجسمة لو جه ما من الوجوه ، استطيع ان اكتشف الفرح والحزن وسائر الانفعالات الظاهرة .. اعرف صديقاتي واصدقائي عن طريق لمس وجوههم ، لكني لا اقدر حقيقة ان ارسم صورة فى مخيلتي لاشخاصهم عن طريق مجرد اللمس ، اعرف شخصياتهم طبعا من خلال « الوسائل الاخرى » من خلال الافكار التي يعبرون لي عنها ، من خلال اعمالهم وتصرفاتهم مهما كانت .. ومع ذلك فاني محرومة من النفوذ الى اعماقهم ذلك النفوذ الذي يتم دون شك عن طريق النظر فى وجوههم ، عن طريق ملاحظة ردود الفعل التي يقابلون بها مختلف النظريات التي يسمعونها او الظروف والملابسات التي تمر بهم عن طريق التفاعلات والاحساسات المباشرة والعابرة التي تتجلى من العيون وملامح الوجوه .

اعرف جيدا الصديقات اللاتي يترددن علي لانهن ظللن عبر الشهور والاعوام يشخصن امامي فى شتى المظاهر ، بيد ان الزملاء العابرين ليس لي منهم الا بعض الانطباعات الناقصة ، انطباعات توفرت عليها عن طريق احتضان او سلام ، عن طريق بعض الكلمات التي التقطها من بين شفاههن ، بمساعده اناملي او بعض الكلمات التي ينقرن بها على راحة يدي . كم يكون سهلا وكم يكون من بواعث الارتياح بالنسبة اليكم انتم الذين تستطيعون ان تبصروا بعيونكم وان تدركوا بكل سرعة الصفة الاساسية للاشخاص الآخرين بمجرد رؤية

ونحن نقدر تمام التقدير وندرك تمام الادراك النعم التي تحيط بنا ، والتي غالبا ما تفقد قدسيتها عندما يمر امامنا الزمان فى هذا المشهد العام الدائم الذي يمضي بايامه وشهوره واعوامه ... اولئك طبعا هم الذين يعيشون دوامة ابيقور المتخلصة فى « كل واشرب وامرح » بيد أن أغلب الناس يريدون أن يعيشوا فى عذاب وهم يشعرون بحقيقة الفناء الوشيك .

ان البطل المحكوم عليه فى مختلف الاساطير كثيرا ما نراه ينجو فى آخر لحظة عن طريق اسعافة من حظ سعيد ، لكن الملاحظ اننا فى اغلب الاحيان نرى احساسه بقيم الحياة كثيرا ما يتغير ، انه يمسي اكثر تقديرا لمعاني الكون ولاسراره الروحية الدائمة ... وفي جل الحالات نرى أن اولئك الذين يعيشون او عاشوا فى ظلال الموت ، وعلى مقربة من شبحه هم الذين يتذوقون لذائذ الظروف التي يحيونها .

لكن معظمنا مع كل ذلك ياخذ الحياة على انها ممنوحة له مخولة . فنحن نفهم انه لابد من يوم آت لا محالة نسلم فيه الروح بيد اننا غالبا ما نتصور ان هذا اليوم بعيد وبعيد جدا ! ! وعندما نكون فى حالة صحية جيدة فان الموت عندئذ يمسي امرا غير وارد بتاتا بل انه لا يخطر على بالنا الا عابرا ، وهكذا فان الايام تتعاقب فى طريق غير ذي حد ، وهكذا ايضا نسير فى زحمة اشغالنا الطفيفة الزهيدة عالين — ولكن بصعوبة — بموقفنا ازاء هذه الحياة ...

وان هذا السبات نفسه هو الذي يهيمن علينا فيما اعتقد حتى فيما يتعلق باستعمال حواسنا وطاقاتنا . ان الاصم وحده هو الذي يقدر نعمة السمع، وان الكفيف وحده هو الذي يقدر ضروب السعادة التي تكمن فى نعمة البصر . ان هذه الملاحظة تنطبق عمليا على اولئك الذين فقدوا حاسة النظر او حاسة السمع فى حياتهم المبكرة . لكن الذين لم يسبق لهم ان اشتكوا من الحرمان ، لم يسبق لهم ان فقدوا بصرا او سمعا ، اولئك قليلا ما يحسون بعظمة النعمة فى الاستفادة من هذه الحاسة المقدسة .. ان ابصار هؤلاء تقع على كثير من المناظر كما ان اسماعهم تتلقى مختلف الاصوات ولكن دون اكتراث ودون امعان بل وبقليل من التقدير ! انها نفس الكلمة التي تردد : لايعرف المرء بمقدار النعمة الا عند ما يسلب منها ، ولا يعرف الانسان بمقدار عافيته الا عندما يكون طريح الفراش! كثيرا ما فكرت فى أن هذا الانسان اي انسان لو أصيب بفقد بصره او فقد سمعه لبضعة أيام من بداية حياته الاولى لظل يشعر سرمدا باريج السعادة الذي يحف به . ان الظلام سيجعله لا محالة اكثر تقديرا للنور الذي يراه صباح مساء ، وان الصمم المطبق سيعلمه دون شك متعة وقع الصوت على مسمعه !

لقد كان يلذ لي احيانا ان أسأل رفاقي الذين يبصرون لاعرف عن بعض ما كانوا يرون ، وقد تقبلت فى هذه الايام زيارة صديقة من أعز صديقاتي كانت قد رجعت منذ قليل من جولة لها طويلة فى احدى الغابات المجاورة ، سألتها ما ذا رأت وماذا لاحظت ؟ فكان جوابها بالحرف : « لا شيء يستحق الذكر ! » ولو انني لم اكن معتادة مثل هذا الجواب لداخلني الشك فيما سمعت. لقد اقتنعت منذ زمن بعيد ان هؤلاء الذين يبصرون لا يرون فى الواقع الا قليلا !

قلت فى نفسي : كيف يكون من الممكن ان يتحول المرء لمدة ساعة من الزمن بين منعطفات الغاب ولا يرى شيئا يستحق الذكر ! انا التي لا استطيع ان ابصر شيئا اكتشفت مئات الاشياء التي تهيمن من خلال اللمس العابر ... اشعر — وانا المس — بالتناسق اللطيف الذي اجده بين اوراق الشجر ، امر بيدي اتحسس هذا الاديم الناعم الذي يلف بعض الاشجار الفتية بل وحتى هذا اللحاء الاشعث الخشن الذي يكسو الصنوبر ... وفي فصل الربيع اتلمس الغصون وفروع الشجر وكلي أمل فى البحث عن البراعم ، عن الطلائع الاولى للطبيعة اليقظة بعد سباتها العميق في فصل الخريف . أحس بالبهجة والنعومة وانا ارتب الزهور واكتشف ما فى طيات هذه الورود من جمال، هناك تظهر لي معجزة الطبيعة فى اجلى مظاهرها .. ومن وقت لآخر — اذا ما اسعدني الحظ — اضع يدي بلطف وتوادة على شجرة صغيرة لاتحسس الرعشات المنعشة التي تنبعث من طائر وهو فى أوج سروره ، ساكون سعيدة عندما اشعر — من خلال أصابعي المتفتحة — ببرودة المياه المتدفقة فى الجداول بالنسبة الي فان فراشا ناعما من أوراق الصنوبر المتناثرة ، أو من الربيع الاسفنجي احب الي من أروع زربية حتى ولو كانت فارسية ! ! وبالنسبة الي فان مشاهد تدرج الطبيعة من فصل الى فصل يعتبر عندي رواية تمثيلية اخاذة غير ذات نهاية انعم بها من خلال تلمس انامـلي ...

يصرخ قلبي من اعماقه فى بعض الاحيان وفى شوق متزايد ليشاهد هذه الاشياء ، واذا استطعت ان

ستطاعتي ان ارى ايضا عن طريق **النور الصناعي** الذي اعات عبقرية الانسان ان تبتكره حتى يمدد في أمد الضوء ، في الوقت الذي تحكم الطبيعة فيه على الناس الظلام ! !

وعند الليلة الاولى من هذا اليوم الاول من ايامي الناظرة سوف لا يجد النوم سبيلا الى عيوني لان ذكريات الساعات الماضية ستزدحم على مخيلتي . . .

* * *

وفي اليوم الموالي ، اعني اليوم الثاني من ايام النور سأستيقظ مع الفجر لارى تلك المعجزة الهائلة : معجزة انسلاخ الليل عن النهار وتحول الطبيعة من عالم مطبق الى عالم مشرق ! سأقف باجلال وخشوع امام هذا المنظر البديع الرائع للشمس وهي تنتشر على الارض توقظ الناس من سبات المنام .

وسأخصص هذا اليوم لشيء آخر . . . اني اريد ان آخذ لمحة سريعة عن هذا العالم ، ماضيه وحاضره، سيكون علي ان اقف على مظاهر تقدم الانسان ، وعلى الآثار التي تعبر عن مختلف العصور . . لكن كيف استطيع ان اضغط كل هذا في يوم واحد ؟ من خلال المتاحف طبعا . . لقد سبق لي ان زرت في اكثر الاحيان متحف نيويورك للتاريخ الطبيعي لألمس بيدي كثيرا من الاشياء المعروضة هناك بيد اني كنت اتوق لارى هذا بعيوني انا ، تاريخ الدنيا المتشابك المتكاثف بما فيه من اولئك الذين كانوا يعيشون هاتيك العصور : اجناس بشرية ، حيوانات نحتت او صورت في بيئتها الاولى بشكلها الاصلي ، سأرى الجثث الهائلة لحيوانات زاحفة انقرضت الآن : دينوصور ، ومستودون التي جابت هذه الأرضين قبل ان يظهر الانسان بقوامه الصغير وعقله الكبير ليفتح مملكة الحيوان تلك معارض واقعية لمظاهر التدرج والارتقاء بالنسبة للحيوانات وبالنسبة للانسان ، وبالنسبة كذلك للادوات والعدد التي استخدمها الانسان من اجل ان يجد لنفسه حياة آمنة على ظهر هذا الكوكب . . . والف مظهر ومظهر للتاريخ الطبيعي . . .

كم يا ترى عدد قراء هذه الاشياء من الذين تنبهوا لضرورة مشاهدة هذه المعالم المرسومة للأشياء الحية في ذلك المتحف الملهم بكل معاني الحياة . . . كثير منهم بطبيعة الحال لم تكن لديه الفرصة ليطبق ما يشاهد على ما يدرس ، على انني متأكدة من ان كثيرا من اولئك الذين سنحت لهم الفرصة لم يستعملوا ابصارهم كما يجب . هناك في تلك المتاحف يوجد بكل تاكيد المكان الذي يستحق من المرء أن يستعمل بصره . . . انت الذي ترى يمكنك ان تقضي اياما منتجة هناك ، اما انا في هذه الرحلة الخيالية التي لا تتجاوز ثلاثة ايام من عمري فلن استطيع ان احظى باكثر من لمحة عابرة ثم اغدو الى ليلي الحالك .

وستكون وقفتي التالية في متحف العاصمة للفن، وكما كشف المتحف الوطني للتاريخ الطبيعي عن مختلف المظاهر المادية لهذا العالم فان متحف العاصمة يكشف لنا عن العدد العديد من حقائق الفكر الانساني ، فمن خلال تاريخ الانسانية نرى ان الحاجة الى التعبير الفني كانت من الضرورة بحيث تضاهي الحاجة الى الطعام ، الى المأوى ، الى الاولاد . . . هناك في تلك الغرف الفسيحة الارجاء من متحف العاصمة تنتصب امامي حياة مصر واليونان وروما متجلية في فنونها . . . كنت اعرف جيدا عن طريق لمس الهياكل المنحوتة — آلهة ارض النيل القديم — وقد اخذت صورة عن هيكل بارثينون (Parthenon) ، وادركت الجمال البديع الذي كان طابع المحاربين اليونانيين الامناء . . . ابولو اله الجمال ، وفينيس ربة العشق ، وتمثال النصر المجنح في سامو ثراس ، كل هذه كانت صديقة لانا ملي ، كانت قسمات وجه الشاعر اليوناني هوميروس بلحيته واساريره ، كانت عزيزة على ملمسي ، انه هو كذلك كان اعمى ! ! كانت يدي تجد راحتها وهي تلمس الرخام الروماني المنقوش تماما كما المس نحت الاجيال المتأخرة . . . وقد مررت بيدي على لوحة جبسية من صنع النحات الايطالي ميشانجيلو للبطل الملهم موسى ، وادركت عبقرية النحات الفرنسي رودان . لقد ظللت معجبة بابداع الفكر المتجلي في النحت الخشبي القوطي . ان هذه الفنون التي يمكن لمسها لها معاني خاصة بالنسبة الي بيد ان معانيها وهي مرئية افضل منها وهي ملموسة. استطيع فقط أن اصل عن طريق الحدس والتخمين الى الجمال الذي تظل بقاياه وملامحه غائبة عني ، استطيع ان ابدي اعجابي بالخطوط البارزة التي تزين زهرية من الزهريات الاغريقية بيد أن الزخارف المرسومة تظل بالنسبة الي مفقودة .

نعم هكذا سأقضي ثاني يوم من ايام نوري، سيكون علي ان انفذ الى اعماق الروح الانساني من خلال ما خلفه ذلك الانسان من فنون . ان الاشياء التي اعرفها عن طريق اللمس ، يجب علي اليوم ان اراها رؤيا عين . . . هذه الروعة الكاملة التي يتوفر عليها عالم الرسم ، ينبغي ان تتفتح امامي في ابهى مظاهرها من العهود الايطالية الاولى بنسكها الديني

الحركات التي تصحب التعبير عادة ،بمجرد رؤية اهتزاز الاطراف ، بمجرد اشارات اليد ... ولكن هل خطر مرة ببالكم ان تستعملوا بصركم لتنفذوا به الى الطباع الداخلية لصديق لكم او رفيق ؟ اليس ان معظمكم — ايها الذين تبصرون — انما يدركون عن طريق الصدفة فقط ، معالم الوجوه وقسماتها ثم تتركون ذلك يمر كانه لا يعني .. ؟

ولاضرب مثلا ادق أسالكم هذا السؤال : هل تستطيعون ان تصفوا بدقة وجوه خمسة من الاصدقاء الذين تعرفونهم جيدا ؟ بعضكم ربما قدر على ذلك ، لكن عددا منكم كثيرا لا يستطيع ... وكتجربة خاصة قمت بها انا اذكر انني سألت بعض الازواج ممن عاشروا زوجاتهم طويلا عن اللون الذي تمتاز به عيون ازواجهم ... وفي اغلب الاحيان عبروا لي عن خجلهم وارتباكهم .. واعترفوا بانهم لا يعرفون حقا الوان عيون زوجاتهم ! ولهذا أتذكر بهذه المناسبة ان كثيرا من الزوجات لايفتأن رافعات عقيرتهن بالشكوى من ازواج لهن لا يولون اهتماما لما يطرأ على البيت من ترتيبات طارئة ... ان عيون هؤلاء الذين يبصرون لا تلبث ان تعتاد رؤية الاشياء ، ولا تلبث ان تصبح تلك الاشياء التي تجري من حواليهم رتيبة مبتذلة .. والناس لا يعيرون فى العادة اهتمامهم الا لبداية الامور او للغريب الغير العادي منها ، على انه مع كل هذا ، ففي اغلب الامور التي تستحق المشاهدة نلاحظ ان العيون تمسي كسلانة لا تتحمل استجلاء الاشياء ، وهناك حقيقة ينبغي ان تسترعي اهتمامنا هي ان مجالس القضاء والمحاكم تكشف كل يوم عن خطأ الذين يتقدمون اليها على انهم « شهود عيان » ! فعلا هناك عدد من الحوادث يشاهد على عدة طرق تبعا للأداء المختلف لشاهدي العيان ! احدهم تكون ملاحظته اقوى من الآخر لكن القليل من الناس هو الذي يرى كل شيء يدخل تحت مجال بصره ..

آه ! ما اكثر الاشياء التي علي ان اراها لو توفرت لدي حاسة البصر لمدة ثلاثة أيام فقط !

نعم سيكون اليوم الاول من اكثرها ازدحاما فى العمل .. سيكون علي ان ادعو سائر اصدقائي واعزائي لاتملى من النظر الى وجوههم طويلا وذلك لاطبع على مخيلتي المشاهد الظاهرة للجمال الذي يعلوهم ، سيكون علي ان اترك الفرصة لعيوني كيما تاخذ راحتها فى النظر العميق الى وجه طفل من الاطفال وذلك لآخذ فكرة عن الجمال الصاعد البريء الذي يتقدم على مرحلة شعور الشخص بما ينتظره فى الحيا من صراع ونزاع .

وكذلك فان مما سيطربني دون شك ان احدق بامعان فى عيون كلابي الوديعة الامينة ( صكوتي ) ( ضاركي ) الصغيران اللذان يمتازان بجديتهما وذكائهما .. وكذلك ( كويط دان )' و ( هيلكا ) الضلعين الحاذقين هاته الكلاب التي كانت لي نعم العزاء ونعم السلوى بملمسهما الناعم ، وصداقتهما الوفية .

في هذا اليوم الاول المليء بالاشغال سيكون علي ان ارى هذه الاشياء البسيطة الصغيرة التي يضمها بيتي ، اريد ان ارى هذه الالوان الدافئة التي تتوفر عليها هذه الزرابي التي اطأها بقدمي ، هذه الصور التي تزدان بها الجدران ، نعم هذه الاشياء الزهيدة والمحببة فى الوقت ذاته التي تحول البناء من مجرد بناء الى حيث يمسي بيتا نأوي اليه ونشعر بالحنان نحوه . ان عيوني ستتركز باجلال على هذه الكتب بحروفها البارزة التي مرت بها قراءة منذ زمن ، ستكون عندي اكثر حظوة واعتناء من تلك الكتب المطبوعة التي اعتادها المبصرون ، ان جميع تلك الكتب ، سواء منها التي قرات بنفسي او التي تليت علي ، اقامت امام مخيلتي طيلة الليل البهيم الذي صحبني فى حياتي ، اقامت للذين الفوها منارة شاهقة مشرقة تكشف امامي الفجوات العميقة للحياة الانسانية ، للفكر الانساني .

وفيما بعد ظهر اليوم الاول من هذه الايام المبصرة الثلاثة سيكون من برنامجي ان اقوم بجولة طويلة داخل الغاب لاني أريد لعيوني أن تسكر ، ان تغيب فى جمال الطبيعة فى محاولة من اجل ان استوعب — فى اوقات قليلة — هذا البهاء العظيم الذي يعرض نفسه باستمرار على اولئك الآخرين الذين يتوفرون على حاسة النظر .. وفي طريقي الى بيتي من جولتي فى ذلك الايك الجميل سأعرج قليلا على بعض الضيعات حتى يتسنى لي ان اشاهد بعيني هاته الجياد الكادحة التي تشق الارض بمحراثها او اشاهد فقط جرارا من تلك الجرارات واقف بعين راسي على اولئك الرجال الذين يفترشون الغبراء فى هدوء وايمان وقناعة ، هناك سأقوم باداء صلاة الشكر امام هذا الرواء الذي يتجلى فى الوان الشمس عند مغربها !

وعندما يخيم الظلام هناك ايضا سيكون فى متناولي ان استمتع بالمتعة المزدوجة عندما يكون فى

ىلت الي عـن طريـق الحـروف الهجائيـة ...
هكـذا فانه فى هذا المساء من يومي الثاني لرؤيتـي الخيالية فان الرسوم ، والخطوط العريضـة للأدب الدراماتيكي ستزيح النوم عن بصري ...

* * *

وفي الصباح الموالي لابد لي ايضا ان استيقـظ مع الفجر لانني ارغب فى ان اظل على موعد مع اكتشاف المتعة الرائعة التي تتجلى فى مطلع الشمس ... انه من الجدير باولئك الذين لهم عيون تبصر حقيقة ان يتخذوا من اغنية الفجر ومشهد الفجر كل يوم وبكيفية دائمة مناسبة يحتفلون فيها باستقبال هذا الجمال المتجدد ..

ان هذا اليوم سيكون فى برنامج رؤياي المتخيلـة هو اليوم الثالث والاخير من ايامي ... سوف لا يكون لدي وقت اضيعه فى الاسف او التمني .. هناك كثير من الاشياء التي ما تزال تستحق الرؤية ، لقد خصصت اليوم الاول لصديقاتي واصدقائي سواء منهم الحيوانات والجمادات بينما كشف لي اليوم الثاني عـن تاريـخ الانسان وتاريخ الطبيعة .. اما هذا اليوم فسأقضيـه فى هذا العالم المتحرك المشتغل ، عالم الحاضر بين ديار الناس ومتاجرهم وهم يغدون ويروحون لمشاغلهم في الحياة ، واين يجد المرء هنا مكانا يحتوي على اكبـر قسط من النشاط والحركة كما يجـده فى نيويورك ؟ ولهذا فاني اتجه شطر هذه المدينة فى يومي هذا ..

سأبدا انطلاقتي من بيتـي بالضاحية الهادئـة الصغيرة (فوريست هيلس) — لونك آيلاند ، هنا حيث الحشيش الاخضر والاشجار والزهور وحيث تنصب بيوت انيقة جميلة ، حيث اشعر بالسعادة مع الاصوات والحركات التي تنبعث من جماعات السيدات والاطفال، حيث ينعم الرجال بالراحة المطلقة بعد رجوعهم من عنائهم المتتابع بالمدينة ... سأخترق هذه المجموعة من الابنية المتراصة من الفولاذ التي تكون جسـر غـرب الوادي وهناك سأشعر ببداية جديدة لمشاهد القوة ، لمشاهد العبقرية اللتين يتوفر عليها هذا الانسان . سيقـع بصري على هذه المراكب الراسية هنا ... وفيهـا ما ينهمك اصحابه فى الشغل المتواصل ، وفيها ماتنطلق منه اصوات مدوية ... هناك سفن اخرى تزمجر في محاولة للقيام ببعض الحركات ... لو كانت لدي ايام اخرى طويلة ما تزال تنتظرني لكنت اقضي منها نصيبا فى تتبع هذا النشاط الرائع الذي يجري حوالي الوادي

اری امامـي ذات اليمين وذات الشمال تنتصب المنارات الفربية ، ناطحات السحاب التي عرفت بهـا مدينة نيويورك ، المدينة التي يظهر انها انحدرت من صفحات تاريخ مهول ... ما اعظمه من مشهـد مثيـر مرعب يتجلى فى هذه البروج اللامعـة ، في هـذه المصارف الرحبة الواسعة الارجاء المشيدة بالصخر والفولاذ .. بنايات يخيل اليك انها من صنع آلهة بنوها من اجـل انفسهم هم ! ! وهذه الصورة الحية هـي جانب مـن جوانب حياة ملايين الاشخاص كل مطلع شمس ... كم هو يا ترى عدد الذين يعطونها اكثر من نظرة ثانية .. انهم قليلون فيما ارى ... ان عيونهم عمياء عن هـذه المناظر الرائعة لانها بالنسبة اليهم امست امرا عـاديـا لا يحتـاج لاعـادة نظـر .

سأبادر الخطـى لاصل الى قمة احدى هـذه البنايات الشاهقة الضخمة ، بناية امباير سطيط بيلدنيك (102 طبقـة) لقد كنت فى أوقات قصيرة خلت «رايت» مدينة نويورك ولكن من خلال عيون كاتبتي الخاصـة! اما الآن فاني فى اشد الشوق لاقارن بين الخيال وبين الحقيقة الواقعة ، اني متأكدة من انني سوف لا اشعر باكتئاب مطلقا وانا امام هذه المباني المتناثرة امامـي ، سيكون هذا بالنسبة الي مشهدا من عالم آخـر .

والآن سأشرع فى تجولاتي عبر المدينـة بعد ان اخذت فكرة عنها من فوق اعلى بناية وفي باديء الامر سأقف فى زاوية جد مزدحمة من المدينة يقصدها علـى الخصوص جمهور الناس وذلك لاحـاول عن طريـق النظر اليهم معرفة بعض الاشياء عن حياتهـم ، ارى البسمات تعلو الوجوه وانا جد مسـرورة ، وارى العزم والنشاط يشع من عيون الناس وانا جد معتزة ، وارى كذلك العذاب والعناء وانا مشفقـة .

سأتجول فى شارع « فيفث افنيـو » وسأسلط نظراتي على النقاط التي يجتمع فيها النور وذلك لاتمكن ليس فقط من رؤية الاشياء الخاصة ولكـن فقـط لمشاهدة الالوان الزاهية اني متأكدة من ان هذه الالوان التي تمتاز بهـا ملابس النساء اللاتـي يسرن فى هذه المواكب المتراصة .. ان هذه الالوان تمثل وحـدها مشهدا بديعا لا اشكو منه التعب ابدا بيد انه من الممكن — اذا كان لي بصر — ان اكـون مثـل اولئك النساء الاخريات متهمة ايضا بالاشكال والازياء التي تثير انتباه العامة اكثر لجمالها وبهائها ... واني مقتنعة كذلك بأن علي ان اقف امام احدى واجهات المتاجر لارى من خلال النوافذ .. سأشعر بمتعة زائدة وعيوني تطوف بيـن الآف الاصناف الجميلة المعروضة .

ومـن شارع « فيفث افينيـو » ساطوف على المدينة عبر « بارك افينيو » عبر الاحياء الشعبية ، عبر

الهادىء الى العصور الحاضرة بمظاهرها المحمومة المضطربة ... سيكون علي ان انظر بامعان الى الصور المرسومة على القماش والتي هي من عمل رفاييل، وليوناردودافينسي تيتيان ريمبراندت ... سأقيم لعيوني عيدا عندما اسمح لها بأن تقف قليلا أمام اللون الدافىء لفيرونير Veronese وبأن تدرس أسرار الكريكو . وبأن تكتسب نظره جديدة للطبيعة من كوروط Corot . آه ، هناك كثير من المعاني الثرية ، ومن الجمال البديع فى شتى الفنون التي تمثل مختلف العصور بالنسبة اليك انت الذي تنعم بعيونك تستطيع ان ترى بها كلما اردت ذلك !

وبعد هذه الزيارة القصيرة لمعبد الفن هذا سوف لا استطيع أن اعيد النظر الى جانب واحد من هذا العالم العظيم من عالم الفن الذي يظل فى متناولكم انتم كل وقت وحين ... سأستطيع فقط ان احصل على بعض الارتسامات السطحية ... عدد من الفنانين يذكرون لي ان تقدير الفن التقدير العميق الصحيح من شأنه ان يعمل على تربية حاسة النظر . ان المرء عن طريق تجربته يعرف كيف يقدر الكفاءات ، يتعلم عن طريق التجربة وامعان النظر كيف يزن الامور ويتأمل الامكانيات وابعاد الخطوط وترتيبها واشكالها والوانها ... لو كانت لي عيون كم اكون سعيدة الحظ ان اتعاطى دراسة جذابة من هذا النوع ! يحكى لي دائما عن عدد من الناس من بينكم — أيها الذين تبصرون — لا يهتم بعالم الفنون هذا ، وانه بالنسبة اليكم يظل عالما مجهولا بل ليلا مظلما ... فهو — اي ذلك العالم — لا يرى النور ولا يحظى بمن يحاول اكتشافه !

سأترك متحف العاصمة وانا أشعر بمرارة ما عليها من مزيد ، فقد كنت افضل ان اظل هنا بجانب المفتاح الذي يحتضن انواع الجمال ، الجمال الضائع المهمل .. نعم ان هؤلاء الذين يبصرون لا اراهم في حاجة الى متحف من هذا النوع يبحثون فيه عن مفتاح الجمال ذلك . ان هذا المفتاح يظل منتظرا على الابواب، فهناك متاحف صغيرة تتمثل فى تلك الكتب التي تضمها رفوف المكاتب ... لكني بطبيعة الحال ، وفي هذا الوقت المحدد من ايام « رؤيتي الخيالية » ملزمة ان اختار المكان الذي يوجد فيه المفتاح الذي يكشف لي عن أعظم كنز واثمنه وفي اقصر وقت كذلك !

وفي مساء اليوم الثاني من « أيام النور » سيكون علي أن أقضيه فى مسرح أو سينما ... لقد حضرت الى الآن طائفة من التمثيليات المسرحية من كل نوع وشكل بيد انحركة الممثلين انما كانت تهجى لي من طرف رفيقتي . لهذا فكم اكون سعيدة ان أرى اليوم عن طريق عيوني أنا ودن حاجة الى ترجمان شخص (هامليت) الفاتن ، و (فالسطاف) العاصف بين الزخارف الملونة لاليزابيث ، وكم أكون سعيدة أن أتتبع سائر حركات (هامليت) الرشيق القد ، وسائر اطراف (فالسفاط) القوي الجسم ، سأشاهد فقط تمثيلية واحدة ، وسيكون علي أن أجابه عددا من المفاجآت بما فى ذلك الاشارات الفنية التي ارغب ان اراها بعيني ... انتم الذين لكم عيون يكون فى متناولكم ان تروا أي شيء يروقكم مهما تريدون ، فكم منكم يا ترى عندما يقع بصره على تمثيلية فى مسرح أو رواية في سينما أو اي العوبة ، كم منكم يدرك بل كم منكم يزجي آيات شكره وتقديره لمعجزة البصر التي ينعم به والتي تجعله قادرا على أن يستمتع بلونها وحسنها وحركتها ؟

لا استطيع ان اتمتع بجمال الحركات الايقاعية ، وكل ما كنت استطيعه فى دائرتي الضيقة هو ان المس بيدي ... كل ما كان فى مقدوري هو ان اتخيل ، ولكن فى غموض فقط ، جمال (يافلوفا) ومع ذلك اعرف بعض الاشياء البهيجة فى ايقاعها ، وفي اغلب الاحيان استطيع ان اشعر بذبذبة الميزان الموسيقي وهي تنساب من تحت قدمي على وجه الارض ، اتصور جيدا ان حركة ايقاع النغم يعتبر من اجمل المناظر فى العالم ، واستطيع كذلك ان ادرك بعض الاشياء عن طريق التحسس بأناملي على السطور المنقوشة ، فاذا كان هذا الجمال الهادىء محببا الى الناس فكيف يمكن ان نتصور الابتهاج الذي يتملكنا ونحن نرى هذا الجمال الصاخب أمام ابصارنا ؟ !

لا انسى احدى الذكريات العزيزة علي يوم اذن لي الممثل الامريكي جوزيف جيوسون فسمح لي بلمس وجهه ويديه عندما كان يقوم ببعض الحركات ويلقي بعض الكلمات من قصته المحببة لدى الشعب الامريكي : « ريب فان وينكل » Rip van Winkle لقد استطعت فقط ان ادرك بعض الملامح عن عالم القصة ، ولكنها كانت تافهة ، وسوف لا انسى ابدا تلك المتعة التي شعرت بها فى تلك اللحظات ومع ذلك فكم هي الاشياء التي ضاعت مني ! وكم هي المتعة الفائقة بالنسبة للذين يرون والذين يمكنهم أن يقتبسوا عن طريق ابصارهم ومسامعهم الكلمات والحركات المتبادلة بين الفنانين فى تمثيلية ما ! لو استطعت أن ارى يوما واحدا فقط سأعرف كيف ارسم فى ذاكرتي مشاهد لآلاف التمثيليات من التي قراتها أو التي

# هل سيتحرر الفكر العربي من رجس سارتر؟

للأستاذ عبد العلي الوزاني

سارتر ... المفكر الذي اشتغل به الادباء العرب كما لم يشتغلوا بأي مفكر آخر من مفكري اوربا المعاصرين ، واتخذوه مثلا اعلى للمفكر الحر المهتم بقضايا الحرية فى العالم ، واقبلوا على كتبه يقلبونها ظهرا لبطن ، مستخلصين منها آراء وافكارا تكون موضوعا لبحوث ومؤلفات ، بل هم يترجمونها الى لغة الضاد ، لتقريبها الى اكبر عدد ممكن من قراء العربية .

سارتر ... الذي القى ظلاله على عقول الكثيرين من الشباب المثقف العربي ، وكادت بعض المجلات الادبية فى البلاد العربية ان تصبح سفيرته فى دنيا العرب ، حيث تفسح المجال واسعا لكل ما يكتب عنه وعن ادبه وفلسفته ، وتخصص له اعدادا بكاملها فى غير ما مناسبة ، وعندما رفض اخذ الجائزة العالمية (نوبل) اهتزت الاوساط الثقافية والادبية فى مجموع البلاد العربية لهذا الحدث ، واعتبرته رمزا لحرية الفكر وترفعه على القيم المادية مهما تضخمت . سارتر ... الذي سبق له خلال هذه السنة ان قام بزيارة للجمهورية العربية المتحدة وقطاع غزة ، فاتصل بالفلاحين والعمال والمثقفين ، وعندما سأله فتحي احمد ابراهيم من كلية الآداب قائلا : ( لقد ابديتم رايكم في مختلف قضايا العالم التحرري ، وقد زرتم سيادتكم قطاع غزة ورايتم اسوء وابشع فظائع الاستعمار والصهيونية على حقيقتها ، ونعلم انكم ستزورون فيما بعد اسرائيل ، فما راي سيادتكم فى قضية فلسطين بعد ان رايتموها على الطبيعة ونحن نعلم انكم قاسيتم من الاستعمار والنازية الالمانية عام 1940 ؟ ) اجاب سارتر بما نصه : ( الذي استطيع ان اقوله لكم الآن بعد ان زرت غزة هو ملاحظتان : الاولى هي انني احسست احساسا عميقا بمأساة كل هؤلاء اللاجئين الفلسطينيين الذين يعيشون فى ظروف بائسة ، بل لا تحتمل فى بعض الاحيان ، الذين يعيشون على حدود البلد الذي هو بلدهم . والملاحظة الثانية هي انـي اعتبر حق الفلسطينيين القومي فى العودة الى البلد الذي كانوا يعيشون فيه هو حق لهم لاتجوز مناقشته اطلاقا ) وقال للاجئين الفلسطينيين فى غزة ما نصه : ( شكرا لكم ، فبفضل معونتكم استطعت ان ارى الواقع الفلسطيني ، وان افهم جيدا ما يمكن ان يشعر به الرجال والنساء والاطفال الذين يعيشون فى معسكرات بعيدين عن اراضيهم ، وان افهم ايضا رغبتهم العميقة فى العودة اليها ، وانـا اعرف انكم تنظمون انفسكم للوصول الى الهدف ، وعلى ذلك وبسبب فهمي فان عواطفي معكم )

هذا الرجل هو الذي ياتي فى احرج ظروف الامة العربية وهي بصدد معركة المصير ليطعنها من الخلف، فيوقع عريضة هو ومجموعة من ادباء بلاده ، ملحين على حكومتهم ان تقف الى جانب اسرائيل ضد العرب.

وقضية الحرية بالنسبة للشعوب العربية وشعب فلسطين ، لا يمكن ان تقرر مصيرها عريضة يوقعها سارتر والف من امثاله ، وانما تقرره الشعوب العربية نفسها بكفاءتها الذاتية ، ورغم انوف اعداء الحرية ،

**المعاقل ، عبر الحدائق التي يقصدها الاطفال للتلهي ، وسأقف قليلاً لازور الاحياء الاجنبية ... وفي كل هذه التحركات ستكون عيوني مفتوحة على مصراعيها كما يجب ، وعلى كل المناظر التي تقع عليها عيوني ، سواء منها الجميل والرديء وذلك لاتمكن من النظر بعمق لاضيف الى معلوماتي شيئا حول الطريقة التي يعيش عليها الناس ويشتغلون ... ان قلبي مليء بالصور: صور الاشخاص ، وصور الاشياء ايضا ... وعيوني تمر دون ترو متغاضية عن الامور الزهيدة ، انها تكد وتجاهد من اجل ان تلتقط معها وفي انتباه ويقظة كل شيء تقع عليه ، هناك بعض المناظر مما يدخل السرور على القلب بل مما يملأه انشراحا وغبطة ، لكن بعض المشاهد محزن فعلا .. وبالنسبة الى هذه ايضا فاني لا اغمض عيوني عنها ايضا لانها فى نظري تمثل جانبا من جوانب الحياة واعتقد ان صرف العيون عن مثل هذه المشاهد ولو انها محزنة هو بالذات اغلاق للقلب واغلاق للفكر .**

ان يومي الثالث من ايام البصر يقترب من نهايته ومن الممكن ان يكون هناك عدد من الاشياء الجدية التي تقتضي مني تخصيص بعض الساعات الباقية لرؤيتها بيد اني اعتقد ان مساء هذا اليوم الاخير يجب علي ان اقصد فيه ايضا الى المسرح حيث انعم برؤية تمثيلية هزلية مضحكة وذلك ليتسنى لي أن اخذ فكرة عن وقع الكوميدي فى الفكر الانساني

وعند منتصف الليل تكون الرخصة الموقتة التي قضيتها بعيدا عن ظلمتي قد اخذت نهايتها ، ويحل الليل البهيم الدائم من جديد ليخيم فى ساحتي مرة اخرى ، وبالطبع لم أر فى هذه الايام الثلاثة القصيرة كل ما كنت أريد أن اراه ، وعندما ينيخ الظلام بكلكله علي ، هناك سأعرف كم هي الاشياء الكثيرة التي تركتها واغفلتها دون ما اتمكن من رؤيتها ، بيد أن ذاكرتي ستزدحم بالذكريات المشوقة التي احتفظ بها منذ ذلك الوقت القصير الذي آسف على فراقه ، ومنذ هذا الوقت فان لمس اي شيء سيحمل معه ذكرى حية عن حقيقة ذلك الشيء .

* * *

ربما يكون هذا العرض الوجيز عن استعمال الزمن طيلة هذه الايام الثلاثة من ايامي المبصرة ، اقول ربما لا يتفق مع المنهاج الذي قد تختارونه لنفسكم لو انكم كنتم مكاني ، ولكني مع ذلك متأكدة من انكم اذا واجهتم هذا القضاء فان عيونكم ستفتح أمام الاشياء التي لم تروها قبل مدخرين ذكرياتكم الى الليل الطويل العريض الذي ينتظركم .. كل شيء رايتموه سابقا يمسي بالنسبة اليكم عزيزا .. ينبغي ان ترى عيونكم كل شيء يدخل فى دائرة عملكم .. عليكم ان تبصروا حقيقة الاشياء ، انكم اذا فعلتم ستشعرون بأن عالما جديدا من الجمال يكشف نفسه امامكم ...

استطيع ــ انا الكفيفة ــ ان اعطي اشارة فريدة لاولئك الذين يبصرون ... اعطيهم عظة وتنبيها لاولئك الذين يرغبون فى أن يستغلوا هذه النعمة : نعمة البصر ... **استفيدوا من عيونكم كما لو كنتم مهددين غدا بافتقاد هذه النعمة ... وان نفس النصح ينبغي تطبيقه على سائر الحواس الاخرى .. استمعوا الى الصوت الجميل ، الى هزيج الطير ، الى نغمات الموسيقى كما لوكنتم غدا ستصابون بالصمم ... المسوا كل ما يستحق منكم اللمس ... تنسموا اريج الزهور وعبير العطور ! تذوقوا بلذة كل طعام سائغ لذيذ تتناولونه كما لو انكم ستفقدون غدا حاسة الشم والذوق ... تمتعوا بكل حاسة من حواسكم ... استمتعوا بكل اللذائذ ، وانعموا بكل مظاهر الجمال التي تتفتح امامكم فى هذه الدنيا على شتى الاشكال ومختلف الطرق .. التي تتقدم اليكم بها الطبيعة الخلابة .**

**ان كل هذه الحواس هبة تستحق الشكر بيد أن نور البصر يعتبر من اجمل واروع ما يدخل البهجة الى النفوس .**

**الرباط : عبد الهادي التازي**

تبر فيه نظريات المثقف وآراؤه ، فيظهر مقدار اقتناعه بها وايمانه بحدودها .

والرجل الذي ينصب المحاكم لمحاكمة الدول والحكومات ، ما احوجنا نحن المثقفين العرب الى ان ينصب محكمة لمقاضاته والتدليل على معاداته لقضايا الحرية كما تجلى ذلك في موقفه من قضية فلسطين . واحرى بالذي ينصب نفسه قاضيا يصدر احكامه على الآخرين ، ان يقف موقف المتهم ، اذا ارتكب جريمة من جرائم الفكر التي هي أشد بشاعة من الجرائم المادية . وما اخال المفكرين العرب الا فاعلين ، بل اننا ننتظر من المفكرين العاملين الاحرار ان يدخلوا في هذه المحاكمة ، ليقولوا فيها كلمتهم بصفتهم من حماة المعاني الانسانية والقيم الخالدة . ولعل المحاكمة قد بدات فعلا ، فقد وردت الانباء من بلاد عربية شقيقة بأن كتب سارتر صودرت او احرقت في الساحات العامة ، الا ان هذا النوع من المحاكمة الذي يكتسي صبغة الحكم والتنفيذ ، لا يغني عن المحاكمة الفكرية التي توقف سارتر في قفص الاتهام ، وتقاضيه بمنطق الحق والفلسفة التي نادى بها طيلة حياته الادبية .

ان لنا نحن العرب من رحابة الصدر وسعة الافق ، وبعد عن كل تعصب مقيت ، ما يجعلنا على استعداد لقراءة الادب ايا كان مصدره ، حتى ولو كان صادرا عن الد اعدائنا ، واشد خصومنا مجافاة لنا ، لكوننا ندرك الفرق بين أدب شعب ما ، وتصرفات افراد او هيئات او منظمات من هذا الشعب ، وقد قرات الشعوب العربية وتقرأ كثيرا لاولئك الذين كانت دولهم تضع اقدامها على رقابها ، ولم يخطر ببال عربي قط ان يقاطع الادب الفرنسي أو الانجليزي او الايطالي او الاسباني ، لانه قاسى كثيرا تحت وطأة دول الاستعمار الاوروبي . وعلى هذا ، فنحن على استعداد لنقرأ لسارتر كما نقرأ لغيره ، حتى بعد اساءته الى قضيتنا ، ولكن بشرط ان نتعامل معه من الآن فصاعدا تعاملا تكتنفه الحيطة والحذر ، وواجب ادباء العربية الكبار ان يعينوا الشباب العربي المثقف على اتخاذ تلك الحيطة وذلك الحذر مما يكتبه اكبر مدافع عن الحرية واكبر اعدائها في وقت واحد .

ولو ان العرب كانوا في حالة حرب مع دولة فيلسوف الوجودية ، لا مع الصهاينة ، وبقي محافظا على موقفه المعروف من قضايا الشعوب المظلومة ، لما اثر ذلك على مكانته في البلاد العربية على الاطلاق ، بل لربما ازداد العرب تقديرا له واحتفاء به ، ولكن اما وهو قد خرج عن طوره ضاما صوته الى الاصوات المنكرة ، فليس من سبيل الى استقراره في تلكم المكانة التي كان يتمتع بها عند الكثيرين من ادباء العرب وقرائهم قبل اليوم .

وهنا يجدر بنا ان نتساءل : ما هي الاسباب التي جعلت مفكر فرنسا الكبير يتخذ موقفه ذاك الغريب بين « مواقفه » المعروفة ؟ أهو جهل بالقضية العربية العليا ، واقتناع بوجهة النظر الاسرائيلية التي نالت من الشيوع ما لم تنله وجهة النظر العربية ؟ اننا نستبعد هذا لسببين : اولهما ان سارتر ليس من اولئك الذين يقفون مكتوفي الايدي ، في انتظار ان تسعى اليهم المعلومات المتعلقة بهذا الطرف او ذاك ، فالرجل معروف بالبحث الجاد عن اسرار المشاكل العالمية الكبرى . وثانيا لانه وقف بنفسه مؤخرا وفي مارس الماضي بالذات ، على المشكلة في واقعها الذي يدحض كل حجة يتسلح بها الخصم ، وقد اعترف صراحة وامام الملأ بعدالة القضية العربية في صراعها مع الصهيونية ، واعدا باصدار عدد من مجلته ( العصور الحديثة ) يحرره كتاب من العرب وكتاب من اسرائيل ، كل حسب وجهة نظره الخاصة ، دون ان يتدخل هو بابداء وجهة نظره ، اي انه سيقف موقف الحياد ، فاذا به يتحيز كلية وبكيفية عملية ، طالبا من حكومته ان تقف الى جانب اسرائيل ضد العرب . فأين نزاهة المفكر ، ورزانة الباحث المدقق ؟ واذا استبعدنا ان يكون سارتر جاهلا بجوهر القضية ، بقي لنا ان نتيقن أو بالاحرى ان نرجح انه مطلع عليها اطلاعا يفوق المستوى العادي بكثير . وهنا تنتصب علامة استفهام كبيرة : هل راى سارتر ان اسرائيل هي صاحبة الحق الشرعي ، وانها تقف في مواجهة العرب موقف المظلوم من الظالم ؟ وكيف يصح هذا وابسط انسان في العالم يومن بالحق والعدالة والحرية ، لا يمكن ان يماري في ان العرب هم المظلومون في هذه القضية ، حتى الصهاينة انفسهم يعرفون ان الحق ليس في جانبهم ، وانهم غاصبون معتدون ، ولكن يصدهم عن الجهر بذلك ما عرف عنهم من تعصب بغيض ، وميل جارف الى الاقتصاص من الشعوب ، حتى تلك التي آوتهم وعدلت في معاملتهم ، مقابل ما نزل بهم من عذاب في احقاب التاريخ ، نتيجة لجرائمهم الشنعاء ، ولا ادل على ذلك من الكتابات الصادرة عن بعض الكتاب اليهود الذين كانوا اقوى من انفسهم فجاهروا بعدائهم للصهيونية معترفين بحق شعب فلسطين في العودة الى بلاده . ولا حاجة بي الى اعطاء امثلة على ذلك ، لانها معروفة لعدد كبير من

لكونها قضية عادلة ، وتسير من ورائها امة عظيمة اقسمت لتسترجعن حقها فى الحياة الحرة الكريمة ولو تحالفت عليها كل قوى الشر . الا ان مما يحز فى النفس ، ويشكك فى قيمة المواقف التي يتخذها الادباء والمفكرون من القضايا العليا للانسانية ، ان يقف سارتر موقفه المخزي الحقير الذي لابد ان يحمل على اعادة النظر فى صدق مواقفه الاخرى ازاء حرب الفيتنام والميز العنصري وما الى ذلك ، خصوصا اذا نحن عرفنا ان سارتر لا يفرق بين الوجهين النظري والعملي للثقافة ، فهما عنده شيء واحد ، الامر الذي يكذبه موقفه المشين هذا ، اذ لا يتطابق مع نظرياته فى قضايا الحرية كمثقف وفيلسوف .

واذا كان الحق نسبيا احيانا ، فان القضية الفلسطينية حق مؤكد واضح لامراء فيه ، فلم يسبق للتاريخ ان عرف مأساة كمأساة شعب فلسطين ، شعب عرف الطرد الجماعي من وطنه ، وفي اسوء الظروف ، وعلى مراى ومسمع من العالم اجمع ، العالم المتحضر، فى عصر العلم والمدنية والنور ، وفي القرن العشرين، ليعيش على حدود بلاده تحت الخيام ، وعلى افضال المحسنين ، والاوغاد يتدفقون من كل انحاء العالم ليحتلوا بلده الذي عاش فيه قرونا طويلة . واذا كان سارتر يصر على انه مثقف حر فى تفكيره ، فقد جاء موقفه من قضية العرب العليا العادلة ليطعن فى مدى ايمانه برسالته بوصفه مثقفا ، وبالمعنى الذي يعطيه هو لكلمة الثقافة فى كثير من كتبه ومقالاته .

واذا كان هذا راي سارتر فى قضية فلسطين ، فهلا وجد من نفسه الشجاعة الكافية ليصارح اهل القضية يوم ان زارهم برايه الحقيقي ؟ الامر لا يخلو من احد احتمالين : اما انه كان يجاملهم وقت ان عبر لهم عن ايمانه بمشروعية قضيتهم ، وهذا يحمل دلالة لها مغزاها ، وهي انه منافق شأن رجال السياسة لا شأن رجال الفكر ، مما يتنافى مع اهم ميزات المثقف الحر ، وهي الصراحة فى القول ، والشجاعة فى الراي ، وهي لا اخلاقية ثقافية ياباها كل ذي ضمير حي ، واما انه كان صادقا معهم ، ولكنه خضع فيما بعد لعوامل اجنبية عن الفهم الصحيح للقضية عندما اتخذ منها موقفه السخيف . وفي هذه الحالة لا يكون هو ذلك المثقف المناضل عن قضايا الحرية ، والذي يتخذ سماته فيما ينشر على الناس من انتاج .

وهنا آن الأوان لنقول كلمة طالما هممنا بالجهر بها ، وهي ان سارتر افسد صفاء سلامة الفكر العربي الحديث ، بالنسبة للكثيرين من حملة الاقلام فى البلاد العربية ، فهو المسؤول عما شاع فى الادب العربي الحديث من امراض عقلية ضارة جدا ، تتركز فى رفض المثل والقيم والمعتقدات الدينية ، فى حين ان الامة العربية فى امس الحاجة الى الدعوات البناءة الصادقة لانها بصدد بناء حاضرها ووضع تخطيط لمستقبلها ، واكثر اقطارها لم ينل استقلاله الا منذ وقت قريب . وهو المسؤول عما اندفع اليه شبابنا العربي فى المغرب والمشرق من استهتار بكل المبادىء الخلقية ، وعدم التزام بقواعد مجتمعاتهم وشعوبهم ، فداسوا بالاقدام على كل السلطات من اخلاقية وتربوية واسروية ، وتمردوا على كل التقاليد والاعراف التي اثبت التاريخ صلاحيتها . اذ ان دعوة سارتر الى التحرر الكامل للفرد ، يتفق مع ما طبعت عليه نفوس الشباب من رغبة فى التحلل من كل قيد ، فعملت عملها البغيض . وقد كنا ننظر مشفقين على الادب العربي والمجتمع العربي ان يصير نهبا لهذا الطاعون الفتاك ، وكان يؤلمنا ويملؤنا اسفا ان نرى بعض كبار المثقفين العرب يتبنون الدعوة الوجودية بالتأليف والترجمة والتعليق والشرح ، مما يزيد الشباب ايمانا بجدوى ارتمائهم فى احضان المذهب الهدام . وقد عبر غير ما واحد من ادباء العربية عن استنكاره لهذه العدوى الوجودية السارية فى اوصال الحياة الادبية ، ولكن ما كان لصوتهم أن يحد من هذا التيار ، لكثرة من جرفهم من الانصار والمعجبين . ولكن اليوم ، وبعد ان كشف فيلسوف الوجودية وابن الحضارة الفاجرة عن نواياه السيئة ، وعن كذبه الصراح ، يتجدد الامل ويقوى فى ان تكون هذه مناسبة ياخذ فيها الفكر العربي باسباب التحرر من قبضة سارتر ، فترتخي شيئا فشيئا ، وتعود الى الفكر العربي اصالته وسلامته الصحية ، منطلقا من حاجات الوجود العربي ، ومدعما للامة العربية فى نهوضها وتوثبها وانطلاقتها نحو غد افضل .

واذا كان من غير الممكن ان يسحب المثقفون العرب ما كتبوه عن سارتر وفلسفته لدخوله فى حكم التاريخ وذمته ، فالمجال ما زال مفتوحا لتصحيح الاخطاء واستدراك ما فات ، « وان الرجوع الى الحق خيرمن التمادي فى الباطل » اننا ناخذ سارتر بعمله ، لان العمل عنده لا ينفصل عن النظرية ، فقد قال في المحاضرة التي القاها بجامعة القاهرة فى مارس الماضي والتي بعنوان ( دور المثقفين فى المجتمع المعاصر ) ما نصه : ( ان المثقف رجل معرفة ، الا انه رجل معرفة عملية لانه لا يوجد الان فرق حقيقي بين المعرفة النظرية والمعرفة العملية ) ومن آرائه المعروفة أن مواقف الرجل هي التي تصنعه ، والمواقف العملية هي الميدان الذي

# الحقيقة غول

للأستاذ عبد القادر زمامة

كان احد الفلاسفة المعاصرين يجيب طلبتـه عن سؤال وجهوه اليه عن اسطورة الغول ! ولكنـه تـرك الجواب عن الغول لينتقل الى موضوع آخر ، فقال على الفور : يجب ان تعلموا ان ( الحقيقة هي الغول ) فكـل الناس يفرون من الغـول ، وكـل الناس يفـرون مـن الحقيقـة ..

وزاد الفيلسـوف قائـلا ان الضعيـف والمريـض والمصاب والمفلس والضال والمخطىء والفاشل يفـرون دائما من حقائقهم الواقعية لانها فى نظرهم غول يفتـك بهم ويطاردهم ويهولهم ، فهم دائما يلتمسون طريقـا اخرى غير طريق الحقيقة ليعيشوا بعيدين عن واقعهم محلقين فى دنيا اخرى من الاحلام والخيالات ، وكلمـا اشرف عليهم غول الحقيقـة اغمضوا أعينهم وسدوا آذانهم وفروا الى حيث لا يرون ولا يسمعون .

وهذا امر واقع ليس له من دافع فى حياة الافراد والجماعات فلو تصفحنا سجلات الجرائم والحـوادث والمآسي والانحرافات الشخصية والاجتماعية لوجدنا ان الضعف الانساني لا يقف امام الحقائق ، وكثيرا ما يفر منها لانها قوية فينحرف فى فراره، وتلك هي المشكلة العويصة التي تولد مشاكل وربما مآسـي وموبقـات فبعد ما يشعر المرء انه فى مستوى اجتماعي او فكري لا يرضى عنه نراه يحاول ما يملك من وسـائل ، وحيل ان يغطي ذلك النقص بايهام الناس اولا ، وايهام نفسه ثانيا ، انه بمنجاة من النقص وبمنجاة من المستوى الذي لا يرضى عنه ، والحقيقة التي لا يجب ان تظهر للناس كما هي فى الواقع ..

وهذا الموضوع تنبه الى أهميته كتاب القصـة والمسرحية كما تنبه اليه الفلاسفة الاجتماعيون وعلماء التربية وعلم النفس ..

ولقد كتب برناردشو الكاتب الساخر عشـرات الاقاصيص فى الموضوع ملونا قصصه باللون السـاخـر العابث الذي يبحث عن عنصر النكتة فى الموضـوع .. والنكتة هنا وليدة التناقض ونتيجة التفافل والفرار من غول الحقيقة الى دنيا الاوهام والخيالات ..

والحياة العصرية لها أثر فعال فى تنمية الدوافع والاسباب التي تجعل الانسان يحاول الفـرار من غول الحقيقـة ..

فعالمنا يسير بل يطير فى كل لحظة بفتوحات في العلم واساليب فى الاقتصاد وطرق فى المعاش والاكتساب واكتشافات واختراعات فى كل ميدان من ميادين الحياة .. وهذا وضع يجعل الحياة صراعا عنيفا بين الافراد والجماعات . كما يجعل كل وسيلة من وسـائل العيش مرتبطة بغيرها ارتباطا قويا بحيث لا منـاص لنا مـن العمل فى شتى الميادين ، ومن الصعب بل ومن المستحيل ان نكون اقوياء بالدرجة التي نريدها لانفسنـا .. في جميع هـذه الميادين ..

وهنا تاتي عبقرية الشجاعـة لتقـف امـام غول الحقيقة ، لا تخشى ولا تلين .. فالانسان الذي يعرف الحقيقة عن نفسـه وعن اوضاعه ويواجـه الصعوبـات والنقص ويظهر بمظهره الحقيقي ويعمل على ان يكـون هو عين حقيقة نفسه جدير بان ينال تقديرنا واعجابنا

القراء . وما لنا نذهب بعيدا وهو نفسه قد صرح بما لا يدع مجالا للشك فى انه عرف حقيقة القضية العربية وتبين له وجه الصواب فيها ، عندما انهى زيارته لقطاع غـــزة ؟

واذن لم يبق الا انه تأثر بنزعة اخرى بعيدة كـل البعد عن الوعي الصحيح للقضية . فماذا تكون هــذه النزعة ؟ انها الصهيونية ولا ريب . نعم هي الصهيونية ولا شيء غيرها وليست الصهيونية فى عرف الباحثين هي مجرد ان يكون الشخص يهوديا متعصبا للعــرق ، مجندا نفسه لخدمة الصهيونية بكـــل ما يملك مــن وسائل ، فقد لا يكون الانسان يهوديا على الاطلاق ، ومع ذلك يوسم بأنه صهيوني متى كان يساعد الصهيونيـــة بطريقة من الطرق ، وهنا تبدو لنا الصهيونية فكـــرة قبل كل شيء ، تلطخ كل من يعمل لصالحها ، وعلى ذلك لا نبعــد اذا قلنا ان سارتر صهيونـــي ، خصوصا اذا عرفنا ان لليهودية صلة ببعض الاصول المباشرة التي انحـــدر منهـــا .

لقــد عرف العالم اجمع موقف سارتر الثـوري عندما كانت بلاده ترزح تحت الحكم النازي ، فهـــل رضي لبلاده ان يسقط فيها الحكم الوطني لتقع فـــي قبضة الاستعمار ؟ وماذا يكون رايه اليوم لو ان احــدا صارحه بأن النازية كانت صاحبة الحق فى احتــــلال بلاده ، حتى بعد مرور عدة سنين على ذلك الاحتلال لئن كان رد فعل سارتر مفروغا من الاتجاه الذي يسير فيه حينئذ ، فكيف به يقر المعتــــدي على عدوانـــه واغتصابه للارض التي ليست له ، ولا يكتفـــي بذلك ، بل هو يطلب تأييد المعتدي وتعزيز موقفه ؟

وان المتأمل فى انتاج سارتر قبل هذه الازمـــة بمدة طويلة لواجد صلة بين موقفه القديم من « المسألة اليهودية » وموقفه الاخير من القضية الفلسطينيـــة . فقد كتب سنة 1944 كتابـــه ( اليهـــودي والمعادي للسامية ) دافع فيه عن اليهود مناهضا العداء للسامية، وموضحا ان الصفات التي عرف بها اليهـــود عبـــر التاريخ ، انما هي ابنة الظروف التي صنعها الآخرون لهم ، والصورة التي وضعوها لهم ، وليست راجعـــة الى طبيعتهم الاصيلة ، واذا كنا نتفق مع سارتر فى الا يحتقر اليهود لانهم يهود ، فلسنا متفقين معه فى الشق الآخر من رايه فى المسألة اليهودية . والمهـــم فى هـــذا الصدد هو ان سارتر اذا كان ذا نزعة يهودية فى موقفه الفكري القديم ، فهو ذو نزعة صهيونيـــة فى موقفـــه السياسي الحـــديث .

فـــاس : عبد العلي الوزاني

ولهذا كان اللباس هو العنوان الذي اقراه قبل ان ا را اي شيء آخر من مواهبك او افكارك او مكانتـك الاجتماعية ..

والمراة هنا والرجل سواء ما دمنا نعيش فى عصر ح ميادين الحياة كلها امامنا جميعا لنتعارف ونتعاون نتصادم احيانا من اجل انجاز ضروريتنا فى المعـاش ليومي والدولاب الاجتماعي الذي ندور فيــه صبـاح مساء فى الشارع والمكتب والمعهد والمصنع وفى كل مكان.

فلباسنا عادة يكون كثيفا و ــ مغلوقا ــ كلما كنا نعيش فى فترة الشتاء .. وهو عادة خفيف وقصيـر و ( مفتوح ) كلما كنا نعيش فى فتـرة الصيـف .. وفى الفترات الاخرى يكون بين حسب الاذواق والحاجات والمناسبات ..

ولبنات حواء هنا عبقريات ومواهب تتفتح كـل يوم عن ابتكار واختراع فى عالم الازياء الذي يطفح كل يوم بالجديد من الالوان والانواع الموافقـة ( لموضـة ) الصيف والخريف والشتاء والربيع ..

وهنا يقف الانسان متسائلا :

هل يلبس الانسان ما يوافق ذوقه وحاجتـه ام يلبس ما يوافق ذوق الناس وما يرونه مناسبا ؟ كمـا يتساءل ...

هل هناك مقاييس عند تصميم الازياء للرجـال والنساء .. أم هناك رغبات ودوافع .. ؟ او بعبـارة ادق ...

هل هناك تصميم يجب ان يكون ( عالميا ) ام هناك ذوق يجب ان يكون محليا .. ؟ وعند جوابنا عن هـذه الاسئلة نجد انفسنا فى حرج لا مناص لنا من الاعتراف به .. ولا نذيع سرا اذا قلنا ان الازياء اصبحت (حتى فى عواصم الفن والذوق ) محـل انتقـاد من الرجـال والنساء على السواء ، ولا ندخل فى التفاصيل ، وانمـا نعطي فكرة موضوعية نرجو ان تكون مفيدة ..

وهذه الفكرة تتلخص فى شيئين :

اولا : ان ملابسنـا ليسـت غاية ولكنها وسيلـة لاظهارنا بمظهر لائق جميل ومحترم فى الوقت ذاته ..

ثانيا : ان الملابس يجب ــ ذوقيا ــ الا تهدف الى شيء آخر غير المظهر المقبول والسمت المحترم .. الذي لا يؤذي ولا يحرج الغير .. ولا يلفت الانظار ..

اما ان تصبح الملابس عنوان اغراء وسبب اعـلان عن الذات .. وغاية من الغايات فهو ما ينتقده كل من يحترم الانسان ويسمو به سواء كان ذكرا او انثى عن التسفل الى الحضيض الذي يتردى فيه كل من يحاول ان يجعل من ملابسه شيئا آخر غير الملابس ... !!

## ــ السـراب ــ

كان علماء النفس يتحدثون عن السر فى سعـادة الناس وشقوتهم من الناحية النفسية طبعا .. وكانوا يصورون السعادة ــ شعورا ــ ذاتيا خاصا فى حقيقته قبل ان يكون اي شيء آخر .

وفى احدى الجامعات التي تهتم بدراسة الفلسفة وعلم النفس جلس استاذ قدير لـه خبـرة ومعرفـة ليحاضر طلبته عن السعادة ... وكان يبـدو من اول كلمة فى محاضراته انه متفائل اكثر من اللازم ... وانه سعيد اكثر من الواقع وانه يريد ان يقنع طلبته اقناعا حقيقيا بانه مثالي ومتمتع بالسعـادة التي فقـدها المتشائمون والعصبيون واهل المطامع .. واصحـاب المطامـح .

وكان محور حديثه يدور حول اسس عملية يجب ان تتوفر لطالب السعادة فى هذه الحياة ... وبدونها لا يمكن ان يكون سعيدا ... وبدونهـا لا امـل له فى ان يقطف زهرة من زهرات الحياة الناعمة ... والعيش الرغيـد ..

وهذه الاشياء لخصها الاستاذ لطلبته في ثلاث نقط هي :

شيء نعمله ... وشيء نحبه ... وشيء نطمح اليـه ..

فالعمل .. والحب .. والطموح .. هي الاركان الاساسية للسعادة ..

ثم راح الاستاذ يناقش ويحلـل هذه الاركـان تحليلا اكاديميا .. ويحدد الاسماء والمسميات .. وهو فى اثناء ذلك يضرب الامثال .. ويوزع الملاحظات .. ويزيف اقوال واعمال المتشائمين الذين يحملون المنظار الاسود على عيونهم فلا يرون فى حياتهم الا عبئا ثقيلا وجسرا طويلا من الاحزان والاكـدار والتعـب .. ولا يرون فى اعمالهم الا فلما غريبا مزعجا يبتدىء (بالوعوعة) يوم الميلاد .. وينتهي ( بالفرغرة ) يوم الممات .

واخذت المحاضرة ساعة من الزمان عاش فيهـا الطلاب على اعصابهم .. يهزون رؤوسهـم تـارة ..

لانه انسان شجاع لا يفر من غول الحقيقة ، وذلك هو الانسان المثالي .

## الى القمـــــــر .. !!

قال صديقي الشاعر : ما ذا يحدث لو ان القمـر اصبح ( ارضا ) مسكونة مثل ارضنا .. ؟ واصبحنـا نسير اليه كما نسير الى قارة من قاراتنا الارضية .. ؟

قلت : ان القمر لن يكون بعد السكنى به كما كان من قبل .. فى اعين الناس ، ومنهم الشعراء بالطبع ..

فالقمر فى الشعر كان ملهما وانيسا وينبوعا لشتى العواطف الشعرية فى مختلف الاجيـال الماضيـة .. ونسجت الاساطير حوله قصصا واحاديث وخرافات كانت وما تزال تفذي المواهب الشعرية بتـراث مـن الخيال الشعري عند الامم الغابرة .

والقمر فى العلم كان مصدر رصد طويل وحساب دقيق لحركات الافلاك القريبة والبعيدة حتى صـارت حركته قياسا زمنيا فى السنة القمرية وحركات المـد والجزر فى شواطيء البحار والانهار ..

والقمر فى الدين كان آية من آيات الله التي بثها فى ملكوته تجري بحسبان ، وعندها يلتقي الليل والنهـار لقاء ازليا شاهدا على عظمة الخالق وحكمته الخالدة ..

فصديقي الشاعر يريد ان يقول ان القمر اذا زالت مكانته وانتهكت ( حرمته ) سوف لا يعـود انيسـا فى الوحشة .. ولا رفيقا فى الغربة .. ولا ملهما للشعراء .. ولا مصباحا للسامرين .. ولا موعدا للعاشقين .. ولا ضياء للسارين .. لا ، لا .. ايها الصديق الشاعـر ، فالقمر لن يتبدل .. وانما الذي يتبدل هو شعـورنا نحوه .. على ان الينبوع الشعري لا يغيض لمجـرد ان الانسان غزا القمر واستطاع ان يثبت اقدامـه فـوق سطحه فى يوم من الايام .. فهناك اولا وقبل كل شيء القمر فى واقعه والقمر فى خيال الناس .. ومن حسن حظ الانسان ان له قدرة عجيبة على الفرار من غـول الحقيقة كلما احس ان هذه الحقيقة تنغص عليه حياته او تقطع شريط احلامه الذهبية .

فالقمر خالد فىعواطفنا ما دمنا نملك هذه العواطف .. والقمر يعيش فى ذاكرتنا ما دمنا نملك هذه الذاكرة .. والقمر عنوان الجمال ما دمنا نملك الذوق الـذي نقدر به هذا الجمال .

وسواء أصبح القمر عالما مسكونا او مهجورا فلن يغير ذلك من الواقع شيئا على ان موضوع غزو القمر سيصبح هو الاخر موضوعا شيقا لاقلام الكتاب ومواهب الشعراء .. فالفكرة نفسها ( زيادة على مدلولها العلمي لها ابعاد عميقة فى ضمير الانسان وخيـال الانسـان وفكر الانسان ..

ولعل الشعر لا ينسى قمر القرن العشرين بعد ان حاول العلم فى هذا القرن ان يمحو من ذاكرتنا كل شيء لا يمت الى الماديات بصلـة ..

## زوبعـة في كاس

آمنت ، ثم كفرت ، ثم آمنت، ثم كفرت بالحب .. وكان ايمانها لا يسير متئدا ولا هادئا .. وكان كفرها لا يمر سهلا عاديا .. ولكن لكل منهما طنين ورنين وزوبعة واعاصير .. فعند ما تقول انها مومنة بالحـب تقيـم شهيدا من لسانها وآخر من مظهرها وثالثا من حركاتها.

وعند ما تقول انها كافرة بالحب لا تقيم شهـودا ولكنها تصبح لحنا ناشزا فى جوقة الحياة يؤذي كل اذن ويؤلم كل انسان ، ويتعب كل مخلوق .. من حيـث يدري او لا يدري ..

وليس هنا مجال لمنطق ولا عقـل ولا تفكيـر لان زمامها حطم المنطق وتجاهل العقل وصدم التفكير ..

فالحب جنة : والحب نار ! والحب شيء آخر ، ليس له اسم و لون ..

قال الصديق هذا وهو يتلهف ويصخب ويريد ان يقيم الدنيا ويقعدها مستنجدا بما يملك من لسان حاد وسخرية لاذعة وانتقاد مر ..

وقد حسب المسكين ــ سامحه الله ــ ان حياته ستمر كما يمر الماء الصافي فى النهر .. او كما يهب النسيم فى الصباح الباكر .

فقلت دعها تومن متى شاءت الايمان وتكفر متى شاءت الكفر ..

فهي زوبعة فى كاس .. اما انت فاعصـار .. وكلاكما .. عادى جدا ..

## فـن اللبـــاس

الانسان ــ ذكرا او انثى ــ هو قبل كل اعتبار .. مظهر لا ترى العيون الا اياه .. فقبل ان اعرف مكانتك فى العلم او الادب او المال او الفن أرى مظهرك الخارجي من راسك الى قدمك ..

# اجتهاد القضاء العصري

# وكيف نستفيد منه ...

## للأستاذ أحمد باكو

— 1 —

يسن التشريع عادة ، فى قواعد كلية ، توضع لتسري على جميع الناس ، وتحسم كل ما عسى ان ينشأ عن علاقاتهم الاجتماعية من انواع النزاع . وتكون هذه القواعد مظروفة فى الفاظ لغوية وجيزة مركزة ، قد تخل بالمعنى لقصور اللغة ، وتعرض المشرع للسهو والخطأ فى التعبير

ويتم وضع التشريع فى زمان ومكان محدودين لزمان ومكان غير محدودين ، وفي غياب تام عن الاقضية التي يتناولها بالتنظيم والفصل ؛ فطبيعة التشريع تقتضي ان توضع قواعده فى تاريخ معين ، وان تتولى وضعه هيأة معينة ، فى مكان معين ، ولو انه يستهدف أن يعم الناس والزمان والمكان . ولهذا يستحيل ان نتصور تشريعا ينتظر طروُ « القضية » ليشرع لها الحل ويخصها واطرافها بحكم ، او تشريعا ينشأ فى مكان لقضية ، او من اذهان اشخاص من بيئتها ؛ اذ ان فى ذلك كله قلبا لحقيقة القانون عموما ، ونفيا للتجريد الذي يعتبر من خصائص القاعدة القانونية ، وبهذا يختلف التشريع عن الاحكام القضائية التي تنشأ مع القضية زمانا فى كل الاحيان ، ومكانا وبيئة في بعض الاحيان ؛ فلا يقع النطق بالحكم الا في قضية يعرض نزاعها على القضاء ليفصل فيه ، كما أن الغالب عملا ان تعرض القضية على محكمة مكانها ، وقد يتولى الفصل فيها قضاة من مكانها كذلك .

ونتيجة كل هذا ان النص القانوني الذي يعينه المشرع للفصل فى اقضية الناس ، لا يمكن أن يجيء على الصورة المثالية التي نتخيلها ونرجوها جميعا ، وهي ان يكون واضحا لا لبس فيه ، ناقلا كل المعنى الذي اراده المشرع ، صالحا لكل انواع النزاع وكل انواع الاقضية التي تتفرع عنه ؛ فاللغة مهما بلغت دقتها قاصرة عن التعبير ، لاتستطيع دائما ان تسع كل ما يريد الواضع ان يحملها من معان ؛ وبشرية المشرع تعرضه للخطأ والسهو والنسيان ، وتعجزه عن استحضار كل انواع النزاع التي ستحدث ، ليكون النص جامعا لها كلها ، صالحا لها كلها ؛ ولا تستطيع هيأة تشريعية ، مهما بلغت فطنتها ومعرفتها ، أن تعطي نصوصا لا تختلف المحاكم فى تطبيقها ، ولا يختلف الفقهاء فى فهمها وشرحها ، ولا تستعصى على التكيف مع بعض انواع النزاع التي تحدث بين الناس فى علاقاتهم الاجتماعية .

— 2 —

ولكن كل ما يقصر او يعجز عنه المشرع ، يطيقه القضاء ويكمله ؛ فمن طبيعة القضاء أن يصدر حكمه ، بعد ان يشجر النزاع وترفع اليه القضية ويتناضل فيها الخصوم امامه ؛ ومن طبيعته أن يبحث القاضي أول ما يبحث فى تكييف القضية تمهيدا لتنزيل النصوص على الوقائع وتطبيق القانون ؛ ومن طبيعته كذلك ، ان احكامه قابلة لانواع متعددة من المراجعة تمتحن بها فتؤيد او تعدل او تلغى ، فلا يرتقي الى الحجية التي يكتسبها ، الا بعد أن يختبر عدة مرات ؛ ومن طبيعته اخيرا ، ان القاضي ملزم بالحكم فيما يعرض عليه ، ولو

ويهزون اكتافهم اخرى باستثناء طالب كان يجلس في الصف الامامي .. كان يبدو عليه انه مهتم بالموضوع وبآراء الاستاذ فيه .. وكانت بيده كراسة وقلم وهو يسجل ما يظهر له من آراء ويهيء اسئلة ليلقيهـا على الاستاذ مستفهما مستوضحا او طالبا مزيدا من الشرح والتحليـــل ..

وانتهت المحاضرة وفتح الاستاذ باب المناقشة .. واشرابت اعناق الطلبة الى زميلهم الذي كان يبدو ان اسئلته ستكون دقيقة ومفيــدة .. وارهفـت الآذان استعدادا لاجوبة الاستاذ ..

فرفع الطالب اصبعه وانتصب واقفا وجمـــع اوراقه وتوجه الى الاستاذ بهذا الاقتراح الغريب وهو :

ـ ارجو يا سيدي الاستاذ ان تنتبهوا الى الحيرة والدهشة اللتين استولتا علينا منذ انرايناكم وسمعناكم تجعلون عنوان محاضرتكم ـ السعادة ـ والحالة هذه وانتم تتكلمون عن ـ السراب ـ .

وارتجت القاعة بتصفيق الطلبـــة ..

ولم تهدا العاصفة الا بعد ان اخذ الكلمة الاستاذ المحاضر .. واعتذر لهم عن هذا الخطأ الغير مقصود .

واسرع الى الباب طالبا النجاة ..

قرات هذا فى احدى المجلات فألقيت على نفسي هذا السؤال ..

اين يبتدىء الحق فى هذه القضية .. واين ينتهي البـــاطـــــل .. ؟

وفورا وجدت نفسي مقتنعة ان الانسان اذا فقد الايمان بالحياة .. وفقد شعوره بما فيها .. من معان نبيلة زائدة عن المادة .. فان السعادة تصبح أمامـــه ـ ســـرابـــا ـ .

وتلك مأساة الانسان فى هذا العصر .

## حرب الاجيـال .. وحرب الايـام ..

كل جيل من الناس تدفعه حتمية الحياة الى انواع من التجربة .. وضروب من التفكير .. يشاهد بهـ ميلاد اشياء .. ومصرع اخرى .. ويعيش حـوادث تطبع تصرفاته بطابع خاص .. وكل جيل تأبى عليـــه انانيته الا ان يقول : ان الجيل الصاعد فى وجهـه عاق لا يعترف بالجميل ولا يحترم افكار السابقين .. ولا يقدر مواهبهم .. ولا يحافظ على التراث الذي ابدعوه فى العلم والادب والفن .. وسائر ضـروب النشـاط الانساني .. اما الجيل الصاعد فهو بدوره لا يرى في الجيل ( الهابط الا جسرا يؤدي مهمته .. ثم ينتهي .. ليفسح الطريق امام ضغط الحياة وتزاحم الاحياء .. وبطبيعة الحال لا يعرف كل جيل من الجيلين اين تنتهي مهمة ( الهابطين ) واين تبتدىء مهمة ( الصاعدين ) ومن اجل ذلك تحتدم معركة الصراع دفاعا عن النفس واثباتا للـــذات ..

وليس ضروريا ان تكون المعركة حامية الوطيس بل ان حرب الاجيال تتم فى شتى الميادين وتدور رحاهـا بين الرجال بعضهم مع بعض .. وبين النساء بعضهن مع بعض .. وبين هؤلاء واولئك .. فى برودة ولباقة .. احيانا ولا يدري الغالب ولا المغلوب .. انه يفعل شيئا زائدا عما يفرضه الواجب .. وما توحى به ( طبيعة ) الاشيـــاء ..

ولعل فى منظر معارض الازياء .. وفى واجهـات المتاجر .. وفى اي مكان يكون مفروضا فيه ان يضـم افرادا من هذا الجيل .. وآخرين من الجيل السابق .. ما يوحي الينا بمظهر من مظاهر حرب الاجيال .. اما فى عالم الفكر والثقافة .. واما فى عالم السباق العلمي .. فليس هناك حرب الاجيال .. لان العلم والثقافـة وما اليهما من مبتكرات اصبحت متحركة متطورة اكثر من اي شـيء آخـر .. فالحـرب فيها حرب الايـام والساعات .. ففي كل يوم ( يقفز ) العلم .. وفى كل يوم ( تقفز ) الثقافة .. وبطبيعة الحال يمحو اللاحق آثار السابق .. وتلك حرب الايام .

**فـــاس : عبد القادر زمامـــة**

ي سبق ان أشرنا اليها . ويخشى أن يكون غموضهـا . ازداد كما وكيفا بسبب الترجمـة . كما ان هــذه تشريعات لم تخل من اخطاء مادية أومعنوية ارتكبهـا شرع . ويتأكد هذا اذا تذكرنا ان كل تشريعاتنا المكتوبة ضعت بطريقة « ادارية » من غير ان تتولى وضعهـا لطة تشريعية تتداول فيها وتعرضها للنقاش المفتوح الجدال العام ، وما يؤدي اليه من مراجعة وتنقيح . من الاكيد ان المشرع المغربي سار على النهج المألـوف ي التقنين ، فنص على الكليات ، وترك كثيـرا مـن الجزئيات للقضاء يتصرف فيها حسب ظروف مكان الخصام وزمانه واشخاصه وغير ذلك من الاعتبارات(1) وآكـد من هذا انه احال على العرف في كثيـر مـن المناسبات وخصوصا في المواد التجارية . ولا نفتـرض مستحيلا ، اذا قلنا ان المشرع ، قد يكون سكت عـن مسائل يجب النص عليها ، لسهو منـه ، أو لكونهـا دت بعد الوضع . وهذا من النقص الذي يستدركـه القضاء ويكمله .

وقد اهتم القضاء الفرنسي ثم العصري بالاحكام التي كان يصدرها ، فداب على نشرها في نشرات تصدر بانتظام ، كما دأب على تدوينهـا مبوبـة مفهرسة في مجموعات ؛ فهناك أحكام المحاكم « الابتدائية » ، وهناك قرارات محكمة الاستئناف بالرباط وغيرها ؛ ثم هناك قرارات محكمة النقض بفرنسا فيما كان يطبق فيـه امامها من احكام المحاكم المغربية ، ثم أحكـام « القسم العصري » بالمجلس الاعلى . وفي كل هذا ثروة علميـة هائلة نفترض ان فيهـا ما يوضح التشريع المغربـي ويفسره ويكمله . ومن المتوقع أن تكون هذه الاحكـام قد سجلت كثيرا من الاعراف التجاريـة وغيرهـا ، فرفعت عنهـا التنكير وطهرتهـا مـن النـزاع .

## — 4 —

ولا يكاد يوجد قانون من قوانيننا النافذة يستغني عن الاحكام القضائية المطبقة له تطبيقا صحيحا ، يرفع اشكاله ويفسر غامضه ويكمل نقصه ، فهناك مدونـة العقود والالتزامات التي تضم قواعد القانون المدنـي التي تهيمن على جميع فروع القانون الاخرى ، باعتبارها اصلا لها وقد وضعت وضعا « اداريـا » كغيرهـا ، وورثت من زمانها والاشخاص الذين وضعوها والقانون الفرنسي الذي قلدته (2) ما لابد أن يتسم بـه كـل تشريع وضعي من قصور ، عسى ان تكون الاحكـام الصادرة في تطبيقها قد ازالته بالتوضيح والتكميـل والتعديـل .

ومثل هذا يقال عن قانون المسطرة المدنية ، الذي صدر مع قانون العقود في وقت واحد ، وفي ظـروف متشابهة ، والذي ينظم اسلوب التداعي ويبين كيفيـة استعمال الدعوى التي هي السبيل الى حماية حقـوق الناس . وربما تكون قواعدها لهذه الاسباب ، اخطـر وادق ، وبه تكون الاحكام المطبقة لها اهـم من كـل ما عداها . وتاتي في الدرجة الاولى منهـا ، الاحكـام الصادرة في مسائل الاختصاص ، اذ أن التنازع بيـن المحاكم في الاختصاص ، يؤدي ، في غالب الاحيان ، الـى تاخير الفصل في الدعوى ، بدرجة قـد تقنط صاحب

---

1) يبدو ان المشرع لم يسلك هذا النهج الا بالنسبة للمدونات الرئيسية كقانون العقد والالتزامات وقانون المسطرة المدنية والقانون التجاري ، والقانون العقاري ، وأما في غيرها من القوانين ، فقد حاد عن قواعـد التقنين وكتب باسلوب يعتمـد على التقريـروالتفصيل المفرط والاستطراد الى كثير من الجزئيات والاطناب الذي لايستدعيه المقام ، ويهمل التبويبوالتنظيم والمرونة في الصياغة . ويحيل للتكميل لذلك، على ظهير 31 ديسمبر 1914 المتعلق ببيع المحلاتالتجارية ورهنها ، حيث نجد أن الفصل الواحد يكـاد يستغرق صحفتين أحيانا من غير ان يجـزأ علىالاقل الى فقرات تنظم محتوياتـه .

2) يمكن التمثيل للاخطاء الموروثة عنالقانونالفرنسيبنص الفصل 448 من قانون العقود والالتزامات الذي يجعل « اشباه العقود والجرائم » من الحـالات التي يجوز اثباتها بغير الدليل الكتابي استثناء . وهو خطأ مشهور في القانون الفرنسي ارتكبه المشـرع المغربي تقليدا ، لان الجرائم واشباه العقود وقائـع يجوز اثباتها بكل الطرق ، فاستثناؤها من قاعدةلزوم الدليل الكتابي خطأ ، لان القاعدة لاتسري عليها ( انظر مجموعة الاعمال التحضيرية للقانون المدنيالمصري ج 3 ص 412 ) والجدير بالذكر ، اضافة الـى ما سلف ، أن المشرع أجمل فيه القول بالنسبـةللمانع الادبي اجمالا مخلا يكاد يخفيه عن الفهم ، وكـان ينبغي ابرازه نظرا لاهميته في العمل . وبذلك يكونهذا الفصل نموذجا للنصوص التي تحتاج احتياجا الى الاحكام القضائية المصوبة لاخطائهـا والمفصلـة لاجمالها ( قارن الفصل المذكور بالمادة 403 من القانون المدني المصري )

افتقد فى التشريع نصا يعين الحل ويحسم النـــزاع ، فالنكول عن الحكم امـــر لا يجـــوز ، بل مجرم بنص القانـــون (1)

وبهذه الخصائص ، كان القضاء قـــادرا على ان يستدرك على التشريع كل ما فاته وكل ما عجز أو سهـا عنه أو اخطأ فيه ؛ فبها يستطيع ان يوضح ما غمض مـن الفاظ النص ، فيعين مدلوله الذي يجب الاخذ به دون سواه ؛ وبها يستطيع ان يصوب ما اخطأ المشرع التعبير عنه ، أو قصرت اللغة بطبيعتها عن نقله ، وبها يستطيع ان يصلح أغلاط المشرع المادية التـي تشوب النصوص القانونية فى كثير من الاحيان .

على أن هـذه الخصائص تجريء القضاء احيانا ، على ما هو ابعد حين يكتشف القاضي ، ان تطبيق النص الذي يعينه التكييف ، لايعطي حكما عـادلا فى القضية، لظروف مكانية أو زمانية أو شخصية . وتجرئه اكثر من هذا على ان يحكم براي من عنده حين تعرض عليه نازلة لم ينظمها المشرع بنص لكونه سهـا عن ذلك او لكون القضية جدت بعد الوضع ؛ فهنا يبتكـر القاضي مــن اجتهاده حكما يحسم النزاع مستهديا بقواعد العدالة ؛ وهنا نفاجأ بالقاضي يحل محل المشرع فتزدوج مهمتـه ويقوم بتكليفين اثنين : اختيار حل من اجتهاده ، وتطبيقه على النازلة ؛ وهنا تعظم مهمة القاضي فى المجتمع وتسمو الى اعلى مقام . وما زالت القبلة التي طبعها النبي صلى الله عليه وسلم على جبين رسوله معاذ بن جبل ، حيـن استقضاه على اليمن ، اعجابا بتوفقه الى وجوب الاجتهاد والراي عند انعدام النص . . . ما زالت هذه القبلة خير تكريم ، وأسمى اعتبار للقضاء فى هذا المقام ، وخير دليل يبرز جلال الفنم الذي يجنيه المجتمع ، حين يقوم القضاء برتق الشقاق بين افراده وحسم النزاع بينهم .

وقـــد ادرك المشرع قيمة ما يضيفه القضاء الى النصوص من تكميل وتحسين وتعديل ، فحـــرص ان يملي له فى ذلك ما وسعه الامـــلاء . ولذلك جعـــل م الشروط الاساسية التي يجب مراعاتها فى التقنين ، ا يقتصر فيه على المباديء العامـــة دون الجزئيات ، وا تصاغ قواعده فى مرونة تسع اجتهـــاد القاضي عنـــد التطبيـــق (2)

وللقضاء ميدان آخر يخدم فيه القانون ويمهـــد له ، هو ميدان العرف ، صنو التشريع . فكثيرا ما يضع باحكامه بذور العرف بين الناس ، فقد يؤدي استقرار المحاكم على قضاء معين الى ان يختاره الافراد قاعـــدة لمعاملاتهم ويؤدي تكاثرهم واطرادهم عليه الى ان ترسخ فى نفوسهم فيتولد عندهم الشعور باحترامهـا ، فينشأ من ذلك عرف ملزم ، ويصير ما كان قبل قضاء غيـر ملزم قانونا يلزم الاطراف وتحكم به المحكمة وجوبا (3). وعندما يحكم القاضي بعرف يحقق فائدة لاتقل عـــن الاولى ، هي تسجيل العرف وتثبيته ، فيرتفع حـولـه النزاع ، ويصبح له وجود قانوني بعد أن كان شائعا غير مقطوع بتحقق اركانه . وتعظم اهمية هذه الفائـــدة اذا علمنا أن أهم عيوب العرف هي صعوبـــة التثبت مـــن وجوده (4) . وقد ذهب بعض الفقهاء لهذا ، الى اعتبار حكم القضاء بالعرف لازما لتكونه ، وأنه لا يصير قانونا الا اذا طبقـــه القاضـــي (5)

## — 3 —

كل هذا الكلام على أهميته ، انما نريد ان نمهـــد بـــه لمعالجة قضية جديرة بكثير من الاهتمام هي قضية اجتهاد « القضاء العصري » الذي انتجه الفرنسيون ، خلال المدة التي تولوا فيها تطبيـــق المدونات القانونية المغربية ، وهي تجاوز نصف قرن ( 1913 ــ 1965 ) . فلا جدال فى أن التشريعات المغربية لم تسلم من العيوب والشوائب التي سبق أن لاحظنا انها لازمة كل تشريع . ففيها كثير من النصوص الغامضة التـــي لم تفصـــح بالدرجة اللازمة عن نية المشرع ، لسبب من الاسبـــاب

---

1) الفصل ، 24 من ق.ج.م. « كل قاض أو موظف عمومي له اختصاصات قضائية ، امتنع من الفصل بيـــن الخصوم ، لاي سبب كان ، ولـــو تعلل بسكـــوتالقانون أو غموضه وصمم على الامتنـــاع بعد الطلب القانوني الذي قدم اليه ، ورغـــم الامر الصادر اليه من رؤسائه ، يمكن ان يتابع او يحكم عليه بغرامـــة من مائتين او خمسين الى الفين وخمسمائة درهم على الاكثر وبالحرمان من تولي الوظائف العمومية مـــن سنة الى عشر سنوات »

2) د. عبد الفتاح عبد الباقي نظرية القانون الطبعـــة الرابعـــة ص 172

3) المصـــدر السابـــق ص 186

4) المرجـــع السابـــق ص 178 و 186

5) المرجـــع السابـــق ص 185

مل ينحصر فى رفع العجمة عن القضاء المذكور رجمة هذه الاحكام المدونة الآن فى عدة مجموعات غير جهولة المظان . ولكن ترجمة كل ما جمع من هذه حكام ، يأخذ وقتا طويلا لايطيقه الاستعجال الذي طلبه الامر ، بل ربما يكون من هذه الاحكام ما هو كرر لاحكام سابقة أو مكرر بأحكام لاحقة ، فيكون في رجمة حكم منها اغناء عن الباقي (1) . وربما يكون يها عنو آخر لا تدعو الحاجة لتحمل مشقة ترجمته نشره لاسباب يظهرها البحث والاستقراء . ومن ذلك بدو انه لا بد قبل الترجمة من اجراء تمهيدي ، ستهدف اجراء استقراء على هذه الاحكام ينتهي بانتخاب ما تدعو الحاجة الى تقريبه الى قضاتنا بالترجمة والنشر . وهنا لابد من معرفة القياس الذي يعين ما يجب اختياره من هذه الاحكام وما لا يجب . وهناك مقياس شكلي ينظر الى درجة المحكمة التي اصدرت الحكم . وبناء عليه تكون أحكام محكمة النقض الفرنسية الصادرة فى القضايا المغربية ، واحكام « القسم العصري » من المجلس الاعلى هي أول ما يجب اختياره والبدء به . وهناك مقياس آخر يسهل درجة المحكمة المصدرة للحكم ويعتمد نوع القضية التي يفصل فيها الحكم ، من كونها مما يروج كثيرا ، او كون الحق المطلوب فيها ذا اهمية معينة أو كون الراي الذي نعرضه ذا قيمة علمية عالية ، أو غير ذلك من الاعتبارات . وربما يكون من الاوفق والاصلح الا يقتصر على مقياس واحد من هذين ، بل يستهدى بهما معا ، لتحقيق نوع من من التكامل فى الاختيار ؛ اذ ان كلا منهما يحقق نفعا لا يحققه الآخر ، وكلا منهما يجلب عيبا يدفعه الآخر . وكيفما كان النهج الذي سيسلك ، فانه يجدر الانتباه الى أن لهذه الاحكام ترتيبا آخر فى الاهمية ، باعتبار الغاية من ترجمتها ونشرها . واذا لاحظنا ان الهدف من ذلك هو وضع مدخل امام القضاء المغربي يمهد سبيل الوصول الى حكم عادل للقضية المعروضة ويوفر الجهد والوقت ويقلل الخطأ فى الاجتهاد ... اذا لاحظنا هذا ، اتضح لنا ان انجاز هذا الامر يتوقف على انتخاب آخر يرفع الى المقدمة أحكام الشكل الباتة فى تنازع الاختصاص بنوعيه ، ويلحق بها الاحكام الصادرة فى العلاقات ذات العنصر الاجنبي، التي تثير موضوع تنازع القوانين . وترتفع الى هذه المنزلة ايضا الاحكام المقررة لمعيار البطلان فى المسطرة المدنية والمبنية لجزاء الاخلال بالاوامر والنواهي الشكلية فيها وما يؤدي منها الى بطلان الدعوى وما لا يؤدي . وترتفع الى هذه المنزلة كذلك الاحكام المفسرة لنص غامض أو مبهم والاحكام المصوبة لخطأ مادي أو معنوي وقع فيه المشرع والاحكام المفصلة لما أجمله النص والباتة فى الجزئيات الدقيقة التي يتركها المشرع عادة للقضاء . وترتفع الى هذه المنزلة اخيرا ، الاحكام الاستعجالية الناشرة لامثلة الاستعجال ونماذجه والمفصلة لما اجمله الفصل 319 من قانون المسطرة المدنية ، والمطبقة لظهائر المستعجلات الكرائية وغيرها.

وتستطيع وزارة العدل بالجمع بين هذه المقاييس ان تنتخب مجموعة من الاحكام متنوعة متعددة المواضع تكون مدخلا بين يدي قضاتنا تقلل الخطأ فى اجتهادهم، وتقربهم الى العدل فى احكامهم ، وتقرب المتقاضين الى حقوقهم وتحقق الاستقرار فى معاملاتهم . وربما يبين البحث والاستطلاع واستفتاء المختصين ، اعتبارات اخرى تكشف عن مقاييس اخرى تقصر عنه التجربة المحدودة لكاتب هذه السطور فى ميدان القضاء . ومهما يكن فان الظروف تستعجلنا ان نسرع برفع العجمة عن اجتهاد القضاء العصري وتقريبه بالتبويب والترتيب ويحثنا على ذلك ، فوق ما سلف من اعتبارات ، ان مرافعات الخصوم قلما تخلو من الاحالة على احكام قضائية يحتجون بها لدفوعهم او تفسيرهم لنص او غير ذلك ، وبقاء السوابق القضائية محجوبة بالفرنسية، يعدم كل فائدة من ذلك ، ويجعل الاحالة عليها احالة على مجهول .

ومن الضروري ان يقع تبويب هذه الاحكام بكيفية تدنيها من التناول باقصى ما يمكن . ومن المفيد جدا ان تذيل بشروح وهوامش وتنبيهات ، كلما كان ذلك ضروريا لرفع التباس ، أو شرح غامض ، أو تقرير مغزى خفي .

على ان التكليف بهذا الواجب وان كان يتوجه بصفة اساسية الى وزارة العدل ، فانه يتوجه كذلك الى كل الذين لهم اتصال بميدان القضاء ويطيقون ان يفعلوا شيئا فى هذا السبيل . واجدر من يبادر الى ذلك، المحامون الذين يمثلون الخصوم ويدافعون عن حقوقهم بخبرتهم وعلمهم ، ويشتركون مع القضاء فى تكوين الاحكام ، فمن مقالاتهم ودفوعهم وجدالهم القانوني

---

(1) على ان هذا التكرار نفسه له دلالة على اطراد القضاء على اجتهاد معين وهو امر له قيمة قانونية كبرى ، ولذلك لابد من التنبيه اليه والاحالة على الاحكام المكررة للحكم أو المكررة به .

الحق من نيل حقه . واذا علمنا ان مقاييس الاختصاص بين محاكم السدد والمحاكم الاقليمية ، قد تغيرت منذ تعميم قانون المسطرة المدنية ، واذا افترضنا ما هو متوقع من نشوء تشاح فى الاختصاص ، ادركنا القيمة الكبرى التي للاحكام المطبقة لقواعد الاختصاص والفاصلة فى التنازع السلبي والايجابي الذي يشجر بين المحاكم عادة .

وتعتبر قواعد البطلان فى المسطرة موضوعا مهما يساوي موضوع الاختصاص او يكاد ؛ لانها مثله من الشكليات التي يعوق الاشكال فيها النظر فى موضوع القضية ، والحكم الذي الحق فيها ، مهما يقم لحقه من حجة ، اذ ان الحكم فى موضوع الدعوى فرع عن قبولها شكلاً . ومن المعلوم ان المشرع جاء فى اخريات قانون المسطرة ونص فى الفصل 549 على « أن حالات البطلان ، او الاخلال بالشكليات ، او اجراءات المسطرة التي تنتج من مخالفة احكام هذا الظهير ، يقررها القاضي ، مراعيا ظروف الحال ومصلحة الخصوم »

ومفهوم ان النص يفيد ان الاخلال بالاوامر والنواهي الشكلية فى المسطرة ، لايؤدي حتما الى رد الدعوى وعدم قبولها ، ولكن الامر فى ذلك موكول الى القضاء يقدر فى كل حالة ما اذا كان الشكل المنخرم مؤثرا فى الدعوى موجبا لعدم قبولها ، او غير مؤثر ، فتبقى الدعوى مع ذلك سليمة مقبولة للنظر فى موضوعها . وقد تعدى القضاء فى كل التشريعات التي اختارت هذا النهج فى البطلان ، لوضع عدة قواعد ومعايير فى هذا الموضوع . والمرجو ان يكون القضاء الفرنسي ثم العصري ، قد سار على هذا النهج فترك عدة سوابق تمهد للفصل فى الاخلال باجراءات المسطرة، وتفقد فى ذلك القواعد التي تقرب القضاء الى العدل ، والمتقاضين الى حقوقهم . ولا شك فى الفوائد التي ستحققها هذه السوابق ، اذا وضعت امام القضاء المغربي ليستهدي بها فى هذا الموضوع الدقيق .

ويتميز القانون التجاري بكثرة احتكامه الى العرف كما هو معلوم . وقد سلف ان القضاء ينشر العرف بين الناس عندما يصطلحون على احكامه عرفا بينهم ، وانه يسجل العرف عندما يحكم به فيرفع عنه التنكير ويطهره من النزاع . ومن ذلك يتجلى النفع الكبير الذي يذخره الاجتهاد القضائي الصادر فى المواد التجارية ؛ اذ لاريب فى أنه سجل أعرافا كثيرة ينبغي أن تكون فى تناول الاطلاع ليسهل الرجوع اليها والتأكد منها عند الاحالة عليها من المتقاضين .

ولا حاجة الى الاسهاب والاستطراد ؛ فلن نستطيع الاستقصاء مهما اسهبنا واستطردنا . بيد انه لابد من الاشارة الى مجال تعظم اهمية السوابق القضائية بدرجة خطيرة ، هو مجال **القضاء المستعجل** فمن المعلوم ان مغزى ايثار المستعجلات بمسطرة خاصة ، هو عنصر الاستعجال الذي تتميز به ويجعلها لا تطيق الاجراءات العادية وما فيها من بطء . ومن **المعلوم كذلك ان المشرع حدد الاستعجال بمعيار موضوعي مرن ، من غير أن يحصر حالاته بنص** . ومن هنا نتصور الفوائد الجليلة التي تدخرها السوابق القضائية فى هذا المجال . فلا ريب انها تمكن من اقتصاد كثير من الجهد بما تعرضه من نماذج ونظائر فى موضوع موكول الى جهد القاضي واجتهاده ، كما انها تمكن بذلك من اقتصاد كثير من الوقت فى نزاع يعتبر حسمه بسرعة مناط العدالة فيه .

وتبقى اهمية السوابق القضائية حتى بالنسبة لنوع القضايا التي أسند المشرع اختصاص النظر فيها الى قاضي المستعجلات بالنص . فلا شك ان الباعث على ادخال هذه القضايا باجراءاتها وموضوعها ، فى اختصاص القضاء المستعجل ، هو رغبة المشرع فى ايثارها بمسطرته المستعجلة . وهناك عدة تشريعات أسند المشرع تطبيقها لقاضي المستعجلات ، نخص بالذكر منها ، تشريعات الكراء من تجارية وغيرها . وتبدو خطورة احكام القضاء المستعجل ، فى مسائل هذه التشريعات ، فى أنها لا تقتصر على الاجراءات المؤقتة او التحفظية كما هو الاصل فى القضاء المستعجل ، بل ان احكامه فيها تنفذ الى الموضوع وتفصل فيه ، كما يفصل القضاء العادي تماما . ولا ريب ان تحقيق هدف المشرع فى هذه القضايا يدعو الى أن تكون الاحكام الصادرة فيها ابتدائيا مستقرة غير مهددة بالالغاء او التعديل فى الدرجة الثانية أو النقض . وهذا أمر يؤكد حتمية الاستهداء بالسوابق القضائية وما تسجله من نماذج وأحكام وقواعد .

— 5 —

على هدي ما سلف تتقرر لدينا حقيقة لا جدال فيها ، ولا يجوز ان تكون محل جدال ، هي وجوب وضع اجتهاد القضاء العصري ، فى متناول القضاء المغربي ليستهدى به في تطبيق النصوص التشريعية التي تولى تطبيقها ، بعد أن أصبحت عامة تطبق على الجميع بدون ميز . وطبيعي أن التكليف بهذا يتوجه أول ما يتوجه الى وزارة العدل ؛ فهي المختصة بالامر ، وهي الملزمة به دون غيرها . وبديهي أن السبيل للقيام بهذا

# التحكيم في الفقه والقانون

**الأستاذ الحسن [illegible]**

## (2)

نجد فى النزاعات الزوجية مادة خصبة لتطبيق قاعدة التحكيم فى الفقه الاسلامي . فعلى ذكر الآية الكريمة الواردة فى التحكيم « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها » نشير الى ان الفقه الاسلامي خصص بابا واسعا للتحكيم بين الزوجين عند تنازعهما فى حقوقهما ، وقرر ابن عرفة ان حكم الحكمين على وجه الحكم لا الوكالة فينفذ ولو خالف مذهب القاضي الباعث للحكمين ، فهذا هو المعمول به فى مذهب الامام مالك . وفى التحفة :

وان ثبوت ضرر تعذرا
لزوجة ورفعها تكررا
فالحكمان بعد يبعثان
بينهما بمقتضى القرءان
ان وجدا عدلين من اهلهما
والبعث من غيرهما ان عدما
وما به قد حكما يمضي ولا
اعذار للزوجين فيما فعلا

ومعناه ان المراة اذا تكررت شكواها بضرر زوجها واستنفد الحاكم وسائل الاستخبار عن نوع هذا الضرر كشهادة الجيران والسكنى بين القوم الصالحين ولم يتبين له الامر فحينئذ يبعث حكمين فقيهين عدلين من اهلهما او من غير اهلهما عند عدم وجود الاولين . فيدخلان عليهما الفينة بعد الاخرى ويجتهدان في الاصلاح بينهما وتذكيرهما بواجبهما ، وفى تاليف قلبيهما على المودة وحسن المعاشرة ، فان تعذر الاصلاح نظرا فيمن تجيء الاساءة منه للاخر ، فان كانت الاساءة تاتي من قبل الزوج وحده طلقا عليه بلا عوض ، وان كانت الاساءة تاتي من قبل الزوجة وحدها كان لهما احد امرين : الاول ان ياتمناه عليها بمعنى انهما يجعلانه امينا عليها بالعدل وحسن المعاشرة ، وذلك ما لم يرد فراقها ، والثاني ان يفرقا بينهما بعوض ياخذانه منها ويجوز ان يكون هذا العوض اقل من صداقها الذي اخذته ، كما يجوز ان يكون مساويا لصداقها ، وان يكون اكثر منه ان كان سددا . . . وان وجدا ان كل واحد منهما يسيء الى الاخر ، فان استطاعا ان يعلما ايهما اشد اساءة الى صاحبه كان هذا بمثابة المسيء وحده ، وان لم يمكنهما معرفة ذلك اعتبراهما متساويين فى الاساءة ، وفى هذه الحالة ينهج المذهب نهجين : اولهما ان على الحكمين ان يطلقا الزوجة بلا خلع ، وثانيهما ان يكون الطلاق بعوض، وجرى على هذا الراي الثاني اكثر علماء المالكية .

وما يحكم به الحكمان فى جميع الاحوال المشار اليها ينفذ ولا اعذار للزوجين فيه لانهما لا يحكمان بالبينة القاطعة ـ على حد قول ابن عرفة ـ وانما يحكمان بما خلص اليهما من علم احوالهما بعد النظر والكشف، لانهما نائبان عن القاضي كالموجهين للتحليف والحيازة ونحوها ، فلا اعذار فى ذلك (1) .

والملاحظ ان التحكيم فى القانون المغربي لا يمكن ان يتناول الانفصال بين الزوج والزوجة او التطليق بينما الشرع الاسلامي لا يرى مانعا فى ذلك ، وقد تقدم شرح ذلك بخصوص ما هو معمول به فى مذهب الامام مالك . فمن المعلوم ان الفصل 527 من ظهير المسطرة المدنية بعدم جواز الاتفاق على التحكيم فى الانفصال والتطليق انما هو نسخة طبق الاصل للمادة 1004 من القانون الفرنسي للمرافعات المدنية ، ولا يخفى ان ظهير 12

---

1 ) انظر التسولي والتاودي على التحفة صفحة 309

يكون الحكم متوجا فى الاخير براي المحكمة الذي يحسم النزاع .

وتتعدد الطرق التي يمكن ان يخدم بها المحامون هذه الفكرة ، وادناها أن يقتصروا على الاقتراح والنصح ، باعتبارهم من المختصين الذين يستشارون فى الموضوع . واقصاها ان يتولوا هم انفسهم ترجمة بعض هذه الاحكام ونشرها مع التعليق عليها . وتستطيع هيآتهم فى مختلف الاقاليم أن تؤسس لهذا الغرض مجلات ، أو نشرات على الاقل ، تتولى نشر الاحكام المختارة مع التعليق عليها . ويحسن تنسيق عملهم مع عمل الوزارة قبل ذلك ، حتى لا يكرر كل منهما عمل الآخر . ولا ريب ان للمحامين فى هذا ، فوق النفع العام ، نفعا خاصا ، اذ انه قلما تخلو مذكراتهم من الاحالة على احكام قضائية يحتجون بها لاجتهادهم . ومن مصلحتهم ان يمكنوا القاضي من الاطلاع على ما يحيلون عليه من احكام والا كانت احالتهم لغوا وعبثا .

**البيضاء : احمد باكو**

**... ولن يكتب للامم العربية ان تنهض من كبوتها ، الا بامعان النظر ، في أسباب هذه العثرة ، وان تسلك من السبل ما هو كفيل بجمع الكلمة ، واتحاد الصف، واحكام الخطط والتدابير ، وان تستبدل الاساليب التي كانت اثيرة لديها ، محببة اليها بأساليب طريفة جديدة ، خليقة بان تفضي بالجهود المبذولة الى الغايات المطلوبة ، والاهداف المخطوبة ...**

من خطاب صاحب الجلالة بمناسبة المولد الشريف

واستنتج ابو اسحاق من هذا ان الامر موكول الى الحكمين الذين بعثا من غير ان يكون للزوج والزوجة راي فى ذلك ، فلو كان الحكمان وكيلين لم يقل لهما على: اتدريان ما عليكما بان يقول : اتدريان بما وكلتكما . وما نصت عليه الآية الكريمة (حكما من اهله وحكما من اهلها) يقتضي ان الحكمين قاضيان لا وكيلا ولا شاهدان . فلكل من الحكم والوكيل والشاهد اسم فى الشريعة ومعنى ولا ينبغي لشاد ان يركب معنى احدهم على الاخر ، فذلك تلبيس وافساد للاحكام (1) ، وفى الرواية ان فاطمة بنت عتبة بن ربيعة جاءت عثمان رضي الله عنه واشتكت له بزوجها ، فأرسل ابن عباس ومعاوية ، فاتياهما فوجداهما قد سدا عليهما ابوابهما واصلحا امرهما ، فقال معاوية : ارجع فاني ارجو ان يكون قد اصطلحا ! واجاب ابن عباس : افلا نمضي فننظر امرهما ؟ فرد معاوية : فتفعل ما ذا ؟ فقال ابن عباس : اقسم بالله لئن دخلت عليهما فرايت الذي اخاف عليهما منه لاحكمن عليهما ، ثم لا فرقن بينهما ! (2) .

ونستخلص من كل ذلك ان المذهب المالكي ينزل المحكمين منزلة القضاة لا منزلة وكلاء ولا منزلة شهود وان فعلهم ينفذ كما ينفذ فعل الحاكم فى الاقضية ، والحكمة فى ذلك ان القاضي لا يقضي دائما بعلمه او بمفرده فخص الشرع بعض النوازل كالنزاع الزوجي وجزاء الصيد واقتتال طائفتين بحكمين لينفذ حكمهما بعلمهما وترتفع بالتعديد التهمة عنهما . وارى فى ذلك مظهرا للقضاء الجماعي فى الفقه الاسلامي .

ونظرية مالك هذه نظرية جد وجيهة وصائبة لا يجاد الحلول العلمية للمحافظة على خير الاسرة ولمسايرة الواقع الزوجي والعائلي . وهي فى نظري خير ما يحافظ على قول الله عز وجل : « فامساك بمعروف او تسريح باحسان » . فالعلاقات الزوجية من ادق واعمق العلاقات البشرية ، وما يكتنفها من خفايا ومن تعقيد نفسي لا يتأتى دائما للقاضي الوقوف عليه بمفرده وادراكه حق الادراك ، ولا نبالغ اذا قلنا بان قضاة الاحوال الشخصية مهما بلغوا من المهارة محتاجون الى شتى الوسائل للمس الشقاق الزوجي فى عمقه النفساني وواقعه الواضح وبصورة تاتي بالحكم العادل والحل اللازم المصيب ، فكثيرا ما يكون ظاهر النزاع وعوارض الشقاق عكس ما تنطوي عليه الحقائق الخفية التي لا يمكن ادراكها الا بالملازمة لحال الزوجين وتتبع علاقاتهما عن كثب ودراسة ظروفهما الخاصة دراسة انسانية وعميقة ، فتلك هي مهمة الحكمين وتلك هي الحكمة فى مشروعيتها ، وما دام راي الحكمين مبنيا على الدرس الشامل والاحتكاك بالواقع والاقتناع المباشر فاي سبيل للقاضي لتبني عملهما والقيام مقامهما ؟ هذا على فرض انه يكون مقيدا برايهما كما هو الشأن فى القانون المصري مثلا ، فكيف اذن والحالة ان الفصل 56 من المدونة يترك للقاضي المجال للنظر فى القضية مستعينا بالطبع بما يقرره الحكمان لكن من دون ان يكون مقيدا برأيهما ، فيكون الحكمان فى الواقع ادرى من القاضي بجوانب الشقاق وباسبابه الخفيةمنها والظاهرة واولى بتقرير وسائل العلاج والحكم بالجمع او بالتفريق

ونلاحظ مع شديد الاسف ان قضاتنا قليلا ما يستعينون بعمل الحكمين لفض المنازعات الزوجية التي تكتظ بها محاكم السدد ، فهم لا يبعثون بالحكمين الا نادرا فى حين ان مؤسسة كهذه كان من اللازم الحرص على رعايتها وفتح المجال لتطويرها واعتبارها طريقة من طرق التحليل النفسي (Psychanalyse) الذي اصبح ذا اهمية فائقة فى العصر الحاضر فى الميادين الطبية والاجتماعية والقضائية ، والدليل على ما نقدمه هو ما يلاقي قضاة الاحوال الشخصية من مصاعب فى استكشاف اوجه الضرر المدعى به من احد الزوجين او من كليهما معا وبالاخص فى استجلاء الاسباب الحقيقية التي تحدو ببعض الازواج الى ترك بيت الاسرة وببعض الزوجات الى مفادرة بيوت ازواجهن ، سيما ونحن نعرف ان نشوز غير الحامل لا يسقط نفقتها وان عقوبة اهمال الاسرةلا تطبقعلى الطرفين الذين لا يكون لهما منبعضهما ولد . فالمشاكل العديدة التي يعانيها القضاة تظهر على الخصوص عند ما يتعلق الامر بتنفيذ احكام النفقة او الرجوع لبيت الزوجية او الفراش .

وقد علمتنا التجربة القضائية ان مصاعب التنفيذ قد تاتي فى بعض الاحيان من اسباب لها علاقة بالعدالة نفسها . والسبب فى ذلك ان بعض المنازعات الزوجية يقعالبت فيهاـطبقمشروعيةالطلب طبعا حسب اجتهاد القاضي ـ دون ان تاخذ حظها الوافر من الفحص طبق وسائل « التحقيق » العملية الكفيلة بصيانة ما يهدف اليه الشرع الاسلامي من مصلحة العائلة . والعهدة هنا ليست كلها على القاضي ، فلئن عمل هذا الاخير حسب الوسائل القانونية التي بيده ، يبقى ايضا

1 ) ـ 2 ) راجع تفسير ابن العربي صفحة 186 .

غشت 1913 المكون لقانون المرافعات المدنية بالمغرب والذي اصبح مطبقا امام المحاكم الموحدة بمقتضى قانون 26 يناير 1965 ، لا يطبق حتى يومنا هـذا على مـواد الاحوال الشخصية للرعايا المسلمين بالمغرب ، وذلـك بنص الفصل الثالث من قانون التوحيد نفسـه الـذي قضى بان « النصوص الشرعية . . . الجاري بها العمل حاليا تصبح الى ان تتم مراجعتها مطبقة لدى المحاكم الموحدة» ، ورغم المنع الصادر عن ظهير 12 غشت 1913 فان مدونة الاحوال الشخصية حافظت على روح التشريع الاسلامي فى مادة التحكيم فى النزاعات الزوجية ؛ الا ان الحكمين المنصوص عليهما فى الفصل السادس والخمسين من المدونة لم تبق لهما سلطة الحكم بالتطليق كما هو الشأن فى المذهب المالكي وانما « يبعثهما القاضي للسداد بين الزوجين ، وعليهما ان يتفهما اسباب الشقاق ويبـذلا جهدهما فى الاصلاح على طريقة معينة يقررانهـا ، واذا عجزا عن الاصلاح رفع الامر الى القاضي لينظر فى القضية على ضوء تقريرهما » .

فيبدو جليا ان المشرع المغربي اخذ هنا بمذهب الشافعية بعدم لزوم حكم التحكيم وباعتباره مجـرد فتوى تبقى فيها الكلمة فى الاخير للقاضي . وقد اخـذ القانون التونسي بنفس المذهب فقررت مدونة الاحوال الشخصية فى فصلها الخامس والعشرين انه اذا اشكل على الحاكم تعيين الضرر بصاحبه فيعين حكمين وعليهما ان ينظرا فان قدرا على الاصـلاح اصلحـا ، ويرفعان الامر الى الحاكم فى كل الاحوال .

ويتضح من كل ما تقدم ان المشرع المغربي لـم يخول للحكمين ــ فى مادة النزاعات الزوجية ــ سلطـة اكثر من الوساطة للصلح او رفع تقريرهما للقاضي عند العجز عن السداد دون الفصل بحاكم منهما ، فالنصوص التشريعية المقننة لمادة التحكيم فى النزاعات الزوجية بالمغرب ــ مهما تعددت ــ تهدف كلها الى تجريد الحكمين من سلطة الحكم بالتفريق بين الزوجين . ونرى فى ذلك ابتعادا عن المعمول به فى مذهب الامام مالك سيما وان الفصل 56 من المدونة بحصره لمهمة الحكمين ، لم يترك مجالا للقضاة لتطبيق الفصل 297 من نفس المدونـة الذي يسمح بالرجوع الى الراجح او المشهور او ما جرى به العمل من مذهب الامام مالك فى كل ما لم تشملـه فصول المدونة ، فهذه ملاحظة نطرحها على انظار المشرع المغربي لاستيعابها عند مراجعة القوانين المدنية المعمول بها حاليا سواء الموضوعية منها او المسطرية ، واصدار قانون موحد . فهل يا ترى سيحذو القانـون المغربـي الجديد حذو الفقه المالكي فى مادة التحكيم فى المنازعات الزوجية ام انه سيبقى على التشريع الحالي على ما هو عليه من تقصير فى سلطة الحكمين ؟

ويسوقنا هذا الى محاولـة الكشـف عن سنـد المالكية فى مشروعية السلطة المخولة للحكمين للفصـل قضائيا فى النزاعات الزوجية والى مناقشة هذه النظرية من حيث ملائمتها وفعاليتها فى حل المشاكل الزوجية والمحافظة على خير الاسرة .

لقد رأينا ان المذهب المالكي ينزل الحكميـن في النزاعات الزوجية منزلة القضاة فهو يعطي لحكمهما قوة الشيء المقضى به ويخول لهما السلطة المطلقـة عنـد العجز عن الاصلاح للبث فى التطبيق بجميع انواعـه واحكامـه .

نعم ، ان من المذاهب الاخرى من اعتبر حكـم الحكمين على وجه الشهادة او الوكالة فقد روى عن ابن عباس قول الحسن وابن زيد بان الحكمين شاهـدان يرفعان الامر الى الامام ويشهدان بما ظهر اليهما ، وبه قال ابو حنيفة والشافعي . ويذهب الشافعي واصحابه مذهبا ثانيا فيرون ان الحكمين لا يبعثـان الا برضـا الزوجين وتوكيلهما بتولية امرهمـا لهما ، فهمـا اذن وكيلان للزوجين ، وبسبب ذلك فانهمـا لا يملكـان الا الصلح بينهما بما يريانه ، اللهم ان وكل الزوج حكمه فى الطلاق ، فالحكم يملك الطلاق بالتوكيل لا بالتحكيم وان وكلت الزوجة حكمها فى بذل مال ملكه بالتوكيل ايضا ، فهذا كله مبنى على ان الحكمين وكيلان للزوجين .

وقد تولى القاضي ابو اسحاق الرد على هـذا القول بان الامر ببعث الحكمين يقتضي الحكم بغير حكم الازواج وبتنفيذه عليهما بغيـر اختيارهمـا ، فان الله خاطب غير الزوجين ببعث الحكمين . واذا كان المخاطب غيرهما فكيف يصح ان يكون ذلك بتوكيلهما ؟ والمخاطب على حد قول المالكية قد يكون السلطان ــ اي القاضي ــ وقد يكون الوالي فيفعله القاضي تارة ، ويفعله الوالي تارة اخرى . واذا امر احدهما ببعث حكمين فهما نائبان عنه وما يحكمان به ينفذ . وقـد روى محمد بن سيريـن وايوب عن عبيدة عن علي كرم الله وجهه قال : جاء اليه رجل وامراة ومعهما جمهور من الناس فأمرهم فبعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ثم قال للحكمين : اتدريان ما عليكما ؟ ان رايتما ان تجمعا جمعتما ، وان رايتما ان تفرقا فرقتما ، فقالت المراة : رضيت بما فى كتاب الله لي وعلي وقال الزوج : اما الفرقة فلا ارضى ! فعاتبه على تركه الرضا وامره ان يرجع عليه، كما يجب على كل مسلـــم .

# الوجادات

للأستاذ عبد القادر زمامة

- 4 -

## 55 ـ جهـــل فاضـــح ... !!

فى كتاب ـ البيان المطرب ـ لابن عذارى المراكشي ج 1 ص 140 ط بيروت .

« فى ترجمة الامير محمد بن الاغلب خامس امراء الدولة الاغلبية بتونس :

« ذكر ان ـ رجاع ـ الكاتب كان يوما بين يديه وكتب الامير محمد : ـ لحم ضبي ـ بضاد مسقوطة ، فلما خلا المجلس قال له كاتبه :

ايد الله الامير ... ـ الظبي ـ يكتب بظاء مرفوعة ... فقال له الامير محمد :

قد علمنا فيه اختلافا ... !!

وأبو حنيفة يجعله بالظاء ... !!

ومالـــك يجعلـــه بالضـــاد ... !!!

فعجب الحاضرون من قوله ... !!! » .

## 56 ـ من اجل تدريس كتاب ـ سيبويه ـ

فى القسم الثاني من السفر الخامـــس من كتـــاب الذيل والتكملة ص 650 .

فى ترجمة محمد بن احمد بن طاهـــر الانصـــاري الاشبيلي نزيل فاس .. وكان من النحاة المشهورين فى عصره ـ وحج واقسم ان ينتهي فى رحلتـــه تلـــك الى ـ البصرة ـ **حتى يقرىء كتاب ـ سيبويه ـ فى البلـــد الذي الف فيه ... متحريا الموضع من الجامع الذي كان يوخذ فيه عن سيبويه ...**

فاعانه الله على بر قسمه واقراه هنالك فيما قيل ... والله اعلم .

## 57 ـ ابن رشد فى جانب ..! وآثاره فى جانب ..!

روى الامام محيي الدين بن عربي الحاتمي قال :

« لما توفى الامام ابن رشد بمراكش سنة 595 هـ نقلت جنازته الى قرطبة .. وحضرت دفنه مع اثنين من اصدقائه ... وهناك راينا تابـــوت ابن رشـــد في جانب من جانبي المركبة ... ! كما راينا كتبه وآثاره فى الجانب الآخر ... ! » .

## 58 ـ بالتين والزيتون والعنب .. !

نظم الوزيـــر عمر الحراق بيتين فى الافتخـــار بمسقط راسه ـ شفشاون ـ فقال :

ما شعب بوان ما مرج دمشق وما
نيل بمصر وما العاصي لدى حلب
فى جنب ـ شفشاون ـ الغراء ان فخرت
بتينهـــا ، وبزيتـــون وبالعنـــب

## 59 ـ حاملـــة السيـــف .. !

فى تاريخ المولى اسماعيل ـ رحمه الله ـ انه كان ذات يوم يمشي فى ابهى قصره ، وخلفه جارية تحمـــل

على المشرع ان يكون دائما بالمرصاد لما ينم عنه القانون من نقص ولسد كل فراغ يظهر في النصوص . فالصعوبات التي ما فتئت تعترض سبيل تنفيذ احكام النفقة والرجوع لبيت الزوجية او الفراش هي التي ادت بالمشرع الى سن عقوبات اهمال الاسرة التي لم يعرفها القانون الجنائي المغربي قبل ظهير 3 اكتوبر 1959 المتعلق بالزجر عن اهمال الاسرة (1) والذي ادرجت مقتضياته بعد تحويرها بالفصل 479 من مجموعة القانون الجنائي الموحد الجاري بها العمل في البلاد ابتداء من 17 يونيه 1963 . فالعقوبة تطبق من جهة على الاب او الام اذا ما ترك احدهما بيت الاسرة دون موجب قاهر لمدة تزيد على شهرين وتملص من كل او بعض واجباته المعنوية والمادية الناشئة عن الولاية الابوية او الوصاية او الحضانة . كما تطبق من جهة ثانية على الزوج الذي يترك عمدا لاكثر من شهرين ودون موجب قاهر زوجته ، وهو يعلم انها حامل . فنظام الزجر لم يشمل كل زوجة غادرت بيت الزوجية وكل زوج ترك زوجته . فكثيرا ما يحدث بالنسبة لمن لا ولد لهم ان تغادر زوجة حامل او غير حامل فراش الزوجية او يترك زوج عمدا زوجته وهو لا يعلم انها حامل او قد تكون هاته غير حامل بالفعل ، فيلجأ احدهما الى القاضي ويحكم هذا الاخير بالرجوع لبيت الزوجية او الفراش وقد يحكم بالنفقة ويمتنع هذا الطرف او ذلك عن التنفيذ ، وقد يستمر الامتناع فيبقى حكم المحكمة حبرا على ورق ، ويبقى القاضي مكتوف الابدي، ويتعذر تطبيق عقوبة اهمال الاسرة لعدم توفر العناصر القانونية للمتابعة ، وذلك كله رغم الحكم الذي اصدرته المحكمة المسؤولة قانونا عن تنفيذه الامر الذي يشمئز منه المحكوم لهم ويسر له المحكوم ضدهم ويؤدي بالتالي الى الاضطراب في نظام الاسرة والتسجيع على التمرد والتملص من الواجبات المادية والمعنوية التي يقوم عليها سياق العائلة .

الا اننا استفدنا من الوقائع التي تمر امام المحاكم ان الداعي الى مغادرة بيت الزوجية والامتناع من تنفيذ الحكم بالرجوع اليه قد لا يكون دائما هو التمرد من اجل التمرد والميل الى حرية العزوبة او التملص من اداء الفروض العائلية ، فالواقع قد يكون في بعض الاحيان بخلاف ذلك كله ويتعلق الامر لا اقل ولا اكثر بعدم انسجام وتلاؤم بين الزوجين مرجعه الى عوامل نفسية واسباب جوهرية يتعين معها حل واحد وهو الانفصال والتفريق بينهما . وهذا هو الميدان الذي يجب ان يتجسم فيه عمل الحكمين بكل فعالية وايجابية. وتلك هي المهمة التي توخاها للتحكيم المشرع الاسلامي وحدد نطاقها المذهب المالكي باعطاء الحكمين السلطة المطلقة لتقرير مصير الزوجين بالجمع او التفريق .

فحبذا لو اتسع الفصل 56 من المدونة الى نطاق يصبح معه للحكمين سلطة القول الفصل في النزاعات الزوجية وتقرير التطليق عند العجز عن التوفيق طبق ما هو معمول به في مذهب الامام مالك . فتعم بذلك الفائدة وتتلقى المصلحتان : مصلحة ما يهدف اليه الشرع من المحافظة على خير الاسرة ومصلحة ما يرمي اليه القانون الجنائي من عدم متابعة الزوجين ممن لا ولد لهما من بعضهما .

ونلاحظ ان القانون المصري اخذ براي المالكية في هذه المسألة بعد ما كان العمل فيها بمحاكم مصر الشرعية على مذهب ابي حنيفة فراى المشرع المصري ان يقتبس من المذهب المالكي مواد القانون رقم 25 لسنة 929 المتعلقة بالتحكيم في المنازعات الزوجية . وقد نص القانون المذكور على انه يجب « على الحكمين ان يتعرفا اسباب الشقاق بين الزوجين ويبذلا جهدهما في الاصلاح ، فان امكن على طريقة معينة قرراها وان عجزا عن الاصلاح ، وكانت الاساءة من الزوج او منهما او جهل الحال قررا التفريق بطلقة بائنة » وجاء في مادة اخرى انه يجب « على الحكمين ان يرفعا الى القاضي ما يقررانه ، وعلى القاضي ان يحكم بمقتضاه » (2) فالقانون المصري على نقيض القانون المغربي ، خول للحكمين سلطة تقرير التطليق وقيد القاضي بالحكم بمقتضى ما قد يقررانه من جمع او تفريق .

فذلك هو الاتجاه الذي يرمي اليه الفقه المالكي وهو الاتجاه بالذات الذي بسطنا خصائصه وحاولنا الدفاع عنه بابراز فوائده وآثاره على منفعة العائلة والواقع الزوجي .

**الحسن الحجوي**

---

1 ) صدر قبله ظهير 12 يناير 1943 الذي طبق بمقتضاه قانون 23 يوليوز 1942 المتعلق باهمال الاسرة امام ما كان يسمى بالمحاكم الفرنسية بمنطقة الحماية الفرنسية ، كما صدر ظهير خليفي في 17 يونيه 1942 بالزجر عن اهمال الاسرة بالمنطقة الشمالية سابقا .

2 ) راجع نصوص القانون رقم 25 \ 1929 من المادة 6 الى 11 .

« واضر الجراد بأهلها ( مرسية ) فى بعض الاعوام .ان هو الخارج بهم لابادته ... وربما اشتد فى ذلك على الناس حتى قال ابو الحسن المعروف بابن الزقاق . وملح ما شاء ...

لنا ملكان حازا كل فخر
بما ملكاه من رق الاعادي

فيحيى للفوارس مستعد
وانت ابا علي للجراد .. !

## 66 ـ هذه بتلك ... ! !

فى نفح الطيب ج 2 ص 14 من الطبعة الازهرية .

فى ترجمة الحكيم ابن الفضل محمد بن عبد المنعم الغساني الجلياني المهاجر الى المشرق من الاندلس .

« واراد القاضي الفاضل كاتب صلاح الدين الايوبي ووزيره ان يغض منه فقال له بحضرة السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب :

ـ كم بين جليانة وغرناطة ... ؟ ؟

فاجابه على الفور :

ـ مثل ما بين بيسانة وبيت المقدس ...

سكت القاضي الفاضل ... وادرك انه اجيب عن تعريضه بالمثل .. :

وكانت بيسان مسقط راس القاضي الفاضل

## 67 ـ ظهر الفساد فى البر والبحر .. !

فى نفح الطيب ج 2 ص 100 نقلا عن شرح ابن الخطيب لرقم الحلل :

« ان يعقوب المنصور الموحدي طلب من بعض اعيان دولته رجلين لتأديب ولده يكون احدهما برا في دينه ... والاخر بحرا فى عمله ... !! فجاءه بشخصين زعم انهما على وفق مقترح المنصور فلما اختبرهما لم يجدهما كما وصف .. ! فكتب الى الذي اتى بهما ...

ـ ظهر الفساد فى ـ البر ـ و ـ البحر » ... ! !

## 68 ـ تملص ذكي ...

فى جذوة الاقتباس ص 337 نقلا عن ذخيرة ابن بسام ـ يحيى بن الزيتوني الاديب من اهل مدينة فاس احد من وفد على اشبيلية ايام ملوك الاندلس وله شعر بديع ، وتصرف مطبوع ، وكان حاضر الجواب ، ذكي الشهاب .

قال له ابو الوليد ابن زيدون يوما بين يدي المعتمد بن عباد وكان استجهله واراد ان يفحمه ويخجله ... :

ـ افاس انت يا ابا زكرياء ... ؟ ؟

يوهم انه يسأله عن بلده .. ! وخبأ له فيها شيئا .. ففهم يحيى بصفاء خلده ذلك ، واجابه سريعا .. :

ـ منسوب ا عزك الله ... !

## 69 ـ كلها عذبة .. !

فى نفح الطيب ج 2 ص 23 . فى ترجمة عبد الله ابن يوسف القضاعي . قال انشدني ابن سارة ، فى وصف سقوط شهاب :

وكوكب بصر العفريت مسترقا
للسمع فانقض يدنى خلفه لهبه

كفارس حل اعصار عمامته
فجرها كلها من خلفه عذبه . !

## 70 ـ دار البركة ...

فى كتاب فتوح مصر والمغرب لابن عبد الكريم

« كتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب :

انا قد اختططنا لك دارا عند المسجد الجامع ...

فكتب اليه عمر : انى لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر ... ؟ وامره ان يجعلها سوقا للمسلمين ... !

قال ابن لهيعة : **هي دار البركة** فجعلت سوقا ، فكان يباع فيها الرقيق .. »

**تعليق** : من الغريب المستغرب ان هذا الاسم وهو : **دار البركة** ، استعمل فى القيروان للسوق التي يباع بها الرقيق .. !! كما استعمل فى مدينة فاس نفس الاستعمال ... فكان فندق البركة بالقطانين محلا لبيع الرقيق .

وهكذا انتقل هذا الاسم من الفسطاط بمصر الى القيروان بتونس الى فاس بالمغرب .

سيفا .. !! فالتفت الى من كان حاضرا معه من الادباء .. واستوصفهم ، فقال كاتبه عبد الحق السحيمي :

حملت سيوف الهند وهي غنية
عن حملها بفواتر الاجفان
حسب الفتاة جلالة ومهابة
عز الجمال وهيبة السلطان

### 60 - من عادات اهل الاندلس وبدعتهم ...

فى كتاب الحوادث والبدع (1) لابي بكر محمد بن الوليد الطرشوشي صاحب سراج الملوك ص 140 .

« ومن البدع اجتماع الناس بأرض الاندلس على ابتياع الحلوى ليلة سبع وعشرين من رمضان .. ! وكذلك على اقامة ينير - يناير - بابتياع الفواكه كالعجم .. !! وخميس ابريل (2) المجبنات والاسفنج.. وهي من الاطعمة المبتدعة .. !

وخروج الرجال جميعا او اشتاتا مع النساء مختلطين للتفرج ، وكذلك يفعلون فى ايام العيد .. ! ويخرجن للمصلى ويقمن فيه للتفرج لا للصلاة ... !!

ودخول الحمام للنساء مع الكتابيات بغير مئزر والمسلمين مع الكفار فى الحمام .. !!

والحمام من البدع .. ! ومن النعيم .. ! »

### 61 - يهجره لحضور صباح القبر .. !!

« وبلغني عن الشيخ ابن عمران الفاسي وكان من ائمة المسلمين .. ان بعض اصحابه حضر صبحة (3) .. فهجره شهرين وبعض الثالث ... !! حتى استعاب الرجل عليه ... فقبله وراجعه .. ! واظنه استتابه الا يعود ... !!! » .

### 62 - كفرحة الذمي بالسبت

فى كتاب الاستبصار فى عجائب الامصار عند ذكر مدينة - تاهرت - بالمغرب الاوسط :

« وبلد تاهرت شديدة البرد ، كثيرة الغيوم والثلج قال بكر بن حماد يصفها :

ما اصعب البرد وريعته
واظرف الشمس بتاهرت
تبدو من الغمام اذا ما بدت
كأنها تنشر من تحت
نفرح بالشمس اذا اشرقت
كفرحة الذمي بالسبت .. !

### 63 - حلال وحرام ... !!

فى كتاب - الاستبصار - ص 116 عند الكلام على مدينة - رقادة -

« وذكر ان احد ملوك بني الاغلب كان قد اصابه الارق وشرد عنه النوم اياما ... فعالجه اسحق المتطبب ... وامره بالخروج والتنزه والمشي ... قيل فلما وصل الى موضع رقادته نام ... !! فسميت رقادة .. ! من يومئذ .

« قيل ومنع بيع النبيذ بمدينة القيروان واباحه بمدينة رقادة بسبب جنده وعبيده .. ! فقال فى ذلك بعض الشعراء .. :

يا سيد الناس وابن سيدهم
ومن اليه القلوب منقادة
ما حرم الشرب في مدينتنا
وهو حلال بأرض رقادة .. ! »

### 64 - خديم بفاس .. !!

فى جذوة الاقتباس ص 92 .
فى ترجمة ابرهيم بن عبد الله النميري المعروف بابن الحاج قوله :

يا عجبا كيف تهوى الملوك
محلي وموطن اهل وناسي
وتحسدني وهي مخدومة
وما انا الا خديم بفاس .. !

### 65 - ملك للجراد ... !!!

فى معجم اصحاب الصدفى لابن الابار المطبوع بمدريد سنة 1885 م . ص 194 . فى ترجمة المنصور ابن محمد ابن الحاج الصنهاجي اللمتوني .

---

1 ) كتاب فريد فى بابه طبع بتونس سنة 1959 م . بتحقيق محمد الطالبي .
2 ) من الاعياد السيحية .
3) صباح القبر .

# ديوان المجلة

## قولوا لصهيون اللعينة اننا
## سنكون بعد غد على ميعاد

للأستاذ
عبد الرحمن الدكالي

قف تاج خير الرسل والاسياد  واهتف بنور الدهر والآباد
واعلم بانك في المديح مقصر  مهما سموت بمنطق في الضاد
هو نور هذا الكون هو « محمد »  جلت خلائقه عن التعداد
اثنى عليه الله في قرآنه  ببدائع الآيات بالاحماد
يا من اتى يهدي الورى وينير سبـ  ـل الحق والايمان والاسعاد
يا من يرى من هديه وسلوكه  في كل مظلمة شعاع هادي
ها نحن امتك التي حصنتها  وتركتها اقوى من الاطواد
دستورها القرآن يرفع شانها  ويصونها من شرة الالحاد
نرمي وراء ظهورنا قرآننا  ونعيش في الاجرام والافساد
ونحارب الاسلام في اعلامه  ونبيح كل محرم وفساد
عبنا على الاسلام ما اسدى لنا  من نعمة الاصلاح والارشاد
حرب الشتائم والنقائص بيننا  ما شئت من مال لها وعتاد
داء الخلاف واي داء مثله  قد هدنا بقطيعة وبعاد
هاذي النتائج ما نرى في مصر في  أرض الشام واردن الامجاد
القدس بيت الله اول قبلة  قد دنست بعصابة الاوغاد
تلك المحارب والمنابر ضمخت  بدماء من رغبوا في الاستشهاد
الله في علمائنا وشيوخنا  ونسائنا والعرض والاولاد
لبست ربى الاردن ثوبا احمرا  حيث الجهاد يفوق كل جهاد
واستبسل الشعب (الحسيني) في الفدا  واتى القضا بالويل والانكاد
كم من حرائر في الخدور تمزقت  اعراضهن وهن في الاصفاد
كم من يتامى الآن تحت سياطهم  وانينهم اغرودة الجلاد
لهفي على الاسلام يهدم ركنه  من مجرمين مدنسين اعادي

ومن الامثال قولهم : « قالو انا عبدك .. ! قالـوا دوز للبـركـــة ... ! ! » .

**71 ــ ليريـــه عظمـة الاسلام**

فى معالم الايمان ج 3 ص 201 .

بعث المعز بن باديس ( 406 ــ 453 هـ ) الى ابى عمران الفاسي يستفتيه فى مسألة مع طبيبه وخاصته ابى عطاء اليهودي .. ! فما كان من ابي عمـران الا ان غضب غضبا شديدا واسمع اليهودي ومرسله الملك ما يكرهان ..!! وامر ان يعلم اليهودي بالعلامة التي كانت معروفة عند ابناء ملته فى ذلك العصر ... ! ! وهي ا يصبغ طرف عمامته بلون خاص ... ! !

فلما وصل الطبيب الى سيده قال :

ــ ما ظننت ان بافريقية ملكا غيرك الا يومي هذا .. ! ولقد وقفت بين يديك فى حال غضبك الشديد فما ادركني من الفزع ولا اصابني من الرعب ما اصابني فى يومي هذا ... ! ! فقال له المعز بن باديس :

ــ انما فعلت ذلك لاريك عز الاسلام ، وهيبـة علمـاء المسلميـن .. ! وما البسهم الله من شعائـر الاولياء .. ! لعلك تسلم .. ! !

**فاس : عبد القادر زمامة**

# فلسطين

## حوار بين الشاعر، وفلسطين، والعرب

### للشاعر: مفدي زكرياء

**الشاعر :**

أناديك ، فى الصرصر العاتية — وبين قواصفها الذارية

وادعوك ، بين ازيز الوغى — وبين جماجمها الجاثيه

واذكر جرحك ، فى حربنا — وفى ثورة المغرب القانيه

فلسطين .. يا مهبط الانبيا — ويا قبلة العرب الثانيه

ويا حجة الله فى ارضه — ويا هبة الازل ، الساميه

ويا قدسا ، باعه آدم — كما باع ، جنته العاليه

واضحى ابنه — بين اخوانه — — يلقبه العرب ، بالجاليه ..

فلسطين .. والعرب فى سكرة — قد انحدروا بك للهاويه

رماك الزمان ، بكل لئيم — زنيم ، من الفئة الباغيه

وكل شريد (على ظهرها) — تسخره ، بطنه الخاويه

والقى بك الدهر ، شذاذه — ومن لم تؤديه (المانيه)

وصب بك الغرب ، اقذاره — ورجس نفاياته الباقيه

وحط ابن (صهيون) انذاله — بأرضك ، آمرة ناهيه

ومن ليس يهتز فيه ضمير — ولا فى حوانيه ، انسانيه

وبالمال ، تغدقه الصدقات — مضت فيك بائعة شاريه

ودس (ابن خريون) اوساخه — معجل — من نتنها — الغاشيه

بكيت ، فلسطين ، فى حائط — به — قبل — قد كانت الباكيه

لهفي على الاسلام سلم للورى      ويثير فيهم كامن الاحقاد
جمعوا له من كل صقع عصبة      ورموا بها الاسلام فى الاكباد

* * *

يا أمة الاسلام فى شرق البـ      ـلاد وغربها يا أمة الآساد
دين الرسول « محمد » يدعوكم      لتسارعوا للبذل للانجاد
هبوا لنصرة دينكم فعدوكم      اضحى لهذا الدين بالمرصاد
قد جرد المستعمرون سيوفهم      لن يرجعوها قط للاغماد
بالله بالاسلام بالجرح الذي      في كل ناحية وكل فؤاد
الا رفعتم راية الاسلام فو      ق رؤوسكم لمعامع وجهاد
ونصرتم الله الذي ان تنصر      وه يمدكم بالنصر والارفاد
يا أمة القرآن يا أبناء يعـ      ـرب اننا قمنا على استعداد
اعداؤنا لن يستغلوا خلفنا      فاخاؤنا أرسى من الاوتاد
عهد التضامن والوفاء نصونه      حتى نورثه الى الاحفاد
قولوا « لصهيون » اللعينة اننا      سنكون بعد غد على ميعاد
ان تتركوا « صهيون » فوق ترابكم      فلتلبسن الذل ثوب حداد
الروضة الفيحاء حيث « محمد »      والبيت فى البلد الحرام ينادي
من لم يقل : لبيك اني مسلم      للروض للبيت العتيق جهادي
فبراءة الاسلام منه براءة      تبقى على الاحقاب والآباد

* * *

الله اكبر يا سليل « محمد »      يا ابن الرسول وخيرة القواد
الله اكبر كم دعوت لوحدة      واخوة وتعاضد ووداد
حاولت جمع صفوفهم لمقاصد      اسمى من الالقاب والافراد
حب لذات الله منك تحبهم      والحب خير مقاصد الاسياد

* * *

يا من عرفنا العز فوق جبينه      والراي فيما رامه لمراد
اخلاقك الغر الصفايا انها      احدوثة الابناء للاولاد
والمجد يورث كابرا عن كابر      هو سيرة الآباء والاجداد
فاذا جرت ريح الحوادث عاصفا      فلأنت يا مولاي خير عماد
مولاي انت لما ترى من امرنا      من حكمة وتبصر وسداد
انت الذي وابوك قدس روحه      اصل الفدا في معمع وجهاد
انا وراءك امة عربية      معروفة في كل يوم جلاد
شعري الذي القيه بين يديك فى      ذكرى الرسول وليلة الميلاد
قبس من النور الكريم وصرخة      في كل ناحية وكل بلاد

**الرباط : عبد الرحمن الدكالي**

فاقتص من (قوم موسى) غدا
هو الشعب .. لا السادة المترفون
ومن يحتقر ، وثبات الشعوب
(اذا جاء موسى ، والقى العصا)
وآخذهم اخذة رابيه
يحقق للنصر ، احلاميه
تذبه ، اعاصيرها السافيه
تلقف ما يافك الطاغيه

**العرب :**

وقال ابن يعرب ، لما تيقظ
ولم اتفطن لفرعونها
فلم تجد فى صدها حسرتي
وفوضت امري ، للحاكمين
وهام السراة — بنعمى الحياة
وهل يرتجى العون ، من معشر .
فيا ليتني ، لم اخن ثورتي
ويا ليتها ، لم تكن (هدنة
فلسطين .. لا تيأسي ، انني
لئن خنت — فيما مضى — انه
تخاذلت ، وانهار مني الضمير
واهملت قدسي ، نهب الذئاب
واعرضت ، عن صارخ من نداك
ولطخت ، عرضي ، بين الورى
فان تصفحي — اليوم — عن زلتي
وكيف انام ، على غادر
يهدد امني ثعبانه
تيقظ في ، الدم العربي
لئن نام — من قبل — فى الضمير
فان العروبة تربأ بي
مصيرك ، آخذة يدي
واقتفو المغارب ، فى زحفهم
واغضب كالمغرب العربي
فلسطين .. لا تجزعي ، فالسما
فلسطين .. لا تقنطي ، فالحمى
ظ — لم ادر — من سكرتي — ماهيه؟
ولم ادر — من غفوتي — ماهيه ؟
ولم يفدني — فى القضا — ماليه
فضيع قدسي ، حكاميه
وعاتوا (انتهازا واقطاعيه)
قواعد ، طاعمة ، كاسيه ...
ولم اطف نيرانها الحاميه ...
ويا ليتها ، كانت القاضيه
سأصلح — فى الشرق — اخطائيه
يوبخني — اليوم — وجدانيه
فضيع ارضي خذلانيه
فالبسني الخزي اهماليه
وطاوعت — فى الكيد — شيطانيه
وسايرت — للاثم — اهوائيه
تكفر عن الذنب ، افعاليه
يفتت — فى الارض — اكباديه
وتقضم افعاه ، احشائيه
ي ، وطهرني — اليوم — ايمانيه
واخلد للموت ، احساسيه
وينهاني — اليوم — قرآنيه
وادعو — الى الثأر اخوانيه
واعضد ثورتها الغاليه
واذكر (بنزرت) و (الساقيه)
ستسند للنصر ، اخلاصيه
سينصفه — اليوم — احراريه

فيالك من معبد نجسوا حناياه بالسوءة الباديه
ويالك من قبلة كدسوا بمحرابها الجيف الباليه ...
ويا لك من حرم آمن جياع ابن آوى بها عاويه

**فلسطين :**

ايا شاعر العرب ، ذكرتني وهجت جراحاتي الداميه
لقد كان لي سبب للبقا فقطع قومي ، اسبابيه
ورحت ، أباع واشرى ، كما تباع لجزارها ، الماشيه
واشنق فى حبل مستعمري واصلب فى كف جلاديه
ويسلبني عزتي ، غاصبي وتنهب داري ، قطاعيه
وفرقتني (الخلف) ايدي سبا وشتت فى الارض ، اوصاليه
فاصبحت ارسف فى محنتي وقومي — عن محنتي — لاهيه
وفى سكرة ضيعوا عزتي ولم يغن عني سلطانيه
فلا انا حققتها بيدي ولا سلح العرب ابنائيه ..
وزودني العرب ، بالصلوات وبالشعر .. والخطب الناريه
وماذا عساه ، يفيد الكلام وما سوف تصنعه القافيه
فلا الدمع ، يدفع خطبي الرهيب ولا دعوات ، ورهبانيه
وماذا عساها ترد الصلاة اذا اسكت العرب ، رشاشيه ؟
فلو كان لي ، امر تدبيرها لما احترت فى امرها ، ثانيه
وكنت كطارق فى زحفها وحققت — بالشعب — آماليه
واهويت بالفاس اذرو الجذوع واسحق بالنعل ثعبانيه
والهبتها فوق ارض الحمى وحررت بالشعب اوطانيه
وغسلت عارا على جبهتي واعليت ، بالهامة الحانيه
فاقصف من لم يصن حرمتي واخسف بالارض ، اصناعيه
ومن كان دلال ، اعجوبتي ومن قد تسبب فى عاريه
ومن قد اعان على نكبتي ومن كان (عينا) لاعدائيه
ومن كان سمسار اسلحتي فعجل — بالغدر — اذلاليه
وناديت — بالدم — عدل السما وقدمت للنار قربانيه
وخلدت (حطين) فى مقدسي وجددت غزوة (انطاكيه)
وناديت — ان خذلوا ثورتي — من (القادسية) انصاريه
وجندت من (خالد بن الوليد) (وسعد بن وقاص) ابطاليه

## بمناسبة المولد الشريف ونكبة فلسطين :

# القدسُ يشهدُ انا لا يُطَلُّ لنا دمٌ وما جدعت شمُّ العرانين

للشاعر ادريس الجاي

يا من اتى بيديه راية الدين — والسيف يقطع اعناق الشياطين
كنا لعيدك نبكي قبل من فرح — واليوم نبكي على نعي فلسطين
ايسحب المسلمون الذل خلفهم — وكم اعزوك فى ( بدر ) و ( حطين ) ؟ ..
يا للفظاعة والاقداس غارقة — في الدم والعار من اجرام صهيون
يبكي المسيح وموسى من فظائعهم — وتستحي القبلة الاولى بالملاعين
الطور يشهد ان الغدر شيمتهم — وعابد العجل من آباء غريون
ياجوج ماجوج فوق الارض قاطبة — ذلوا — فياويحنا عزوا فى فلسطين!
متى سنشرع سيفا حده لهب — يفري فرند لظاه كل سكين
فلنستعد لهم ان العدو اذا — لم تستعد له فاترك الى حين
لا نخبطن خبط عشواء في محارمنا — وهي التي حسرتاه دون تحصين
من كان يحسب اسرائيلا مضغة سهلت — للبلع ، اخطأ فى ظن وتخمين
القوم يا صاح جد ، اذ مصيرهم — اما الفنا او رسوخ في فلسطين
وفي جميع بلاد الله آزرهم — عباد عجل وانصار الشياطين
فكيف نرضى بني قومي بتفرقة — وتلك بلتنا زيدت في الطين
عشرون عاما وداء الخلف ينهكنا — بينا تمسك شمعون بشمعون
بلى ظلمنا بني الله انفسنا — وامس بعنا فلسطينا بيع مغبون
والحر ما جاع يستبقي محارمه — ولا يزهده فيها مال قارون

* * *

القدس يشهد انا لا يطل لنا — دم وما جدعت شم العرانين
اما قهرنا ( قلوب الاسد ) فاندحروا — فكيف يغلبنا ابناء غريون؟

انا العربي ، الكريم الجدود     انا النور ، فى الليلة الداجيه
انا الشعب .. والشعب لا ينثني ،     انا الحر ، ان حلت الداهيه

**الشاعر :**

انا ابن العروبة .. من امة     على دمها ، تصعد الرابيه
على ذوب اكبادها ، ترتقي     وفوق جماجمها ، ماضيه
غدوت ، لمغربها ، شاعرا     من النار والنور ، الحانيه
فلسطين .. فى صلبنا ، لحمة     جراحاتها ، فى الحشى ، ثاويه
عروبتنا ، فى ضمير البقا     وشائج ، راسخة ، راسيه
فلسطين .. فى ارضنا ، بعثها     ومن ارضنا ، تزحف الحاميه
ومن ارضنا .. نقطة الانطلاق     ومغربنا .. حجر الزاويه
عقيدتنا فى الورى (وحدة)     — واسمى العقائد — وحدانيه
(محمد) أبقى لنا ، عبرة     من (الذئب ، والغنم القاصيه)
وفى نكبة العرب ، موعظة     — مدى الدهر — للمهج الواعيه
فمدوا يدا ، نحو اوطاننا     وننقذ حمانا ، من الهاويه
فان تنصروا الله ، ينصركم     وينجز ، امانيكم الغاليه
ولن يخلف الله ، ميعاده     ولا ريب .. ساعتنا ، آتيه ..

**مفدي زكرياء**

# ومن الذي يستطيع هدم بناية ؟
# الله جل جلاله بناؤها ...

للأستاذ الشاعر محمد اليمني الناصري

المكتان تجاوبت اصداؤها     وتطايرت بين الورى انباؤها
وتضمخت روح الهدى من طيبها     فتأرجت بربيعها أرجاؤها
واستنشقت كل العوالم روحها     فتوحدت في حبها أهواؤها
واستوحت الاكوان من اسرارها     ما تستقل بوحيه بطحاؤها
واستلهمت كل القلوب دواءها     منها فلم تفتك بها أدواؤها
واستقبلت نورا بدا بسمائها     متواصلا تمحى به ظلماؤها

* * *

يا حضرة منها النفوس تنفست     عما به قد اعربت اسماؤها
شرف المسمى من معانيها بدا     فى حلة بهر الورى لألاؤها
فيها القرى لذوي المدائن والقرى     مبذولة تنتهى ءالآؤها
الله شرفها واعلى قدرها     قسمت على كل الدنا اجواؤها
واتم نعمتها واغدق خيرها     وتضاعفت بحبيبه نعماؤها
من دون قبتها السماوات العلى     فعلا على كل الوجود علاؤها
لا يدخل الدجال يوما ارضها     ومن اليهود تطهرت انحاؤها
وجرت شرائع شرعها دفاقة     يحيي الموات بكل أرض ماؤها
حتى ارتقت بالكائنات جميعها     لمكانة لم يرقها أبناؤها
وتدفقت انهارها وتفتقت     ازهارها وتفتحت انواؤها
وعلت على كل العلوم علومها     فجلت جهالة اهلها أضواؤها
بل انشأت مدنية ما مثلها     مدنية عم الدنا انشاؤها
اغنت بحسن نظامها عن غيرها     فبدا غناها بيننا وغناؤها
جاءت لحل المشكلات جميعها     فى أمة لعبت بها اهواؤها

لولا تنافر اشبال لما طمعت … فيها الثعالب من ارذال صهيون
لكن غدا وقريبا سوف يعرفنا … من بات يحسبنا بين القرابين
نعم غدا سيدور الدهر دورته … ونأخذ الثار من شر الثعابين
ونسترد فلسطينا رغم غاصبها … ولو احيطت بافواه البراكين !

* * *

رحماك ربي لقد جلت مصيبتنا … حاشاك تسلمنا للذل والهون
لا تشمتن بنا الاعداء ثانية … واجعل مصيبتنا زجرا الى حين
يا رب في ظلمات اليأس لب دعا (م) … ء المسلمين كما لبيت ( ذا النون )
بحق مولد خير الخلق اعدلهم … وحق عترته الغر الميامين

* * *

يا اكرم الخلق من نرجو شفاعته … اثأر لمقدسنا من كل ملعون
بجاه ذا الحسن الثاني بن فاطمة … فخر الملوك وحامي الدار والدين
بمثله فليباه العرب ان فعلوا … هذا لعمر العلا خير السلاطين
فليهنه ان كل الشعب ممتثل … لامره في ليالي خطبنا الجون
يا رب بارك خطاه انها ابدا … للحق والخير ، وامدده بتمكين
واحفظ لنا في ولي عهده قبسا … بادي الضياء بسر منه مكنون
يا رب سلم لنا اعضاء اسرته … وكلهم للعلا خير الاساطين
ولا تمتني ربي هذي امنيتي … حتى يجلجل شعري في فلسطين

**الرباط : ادريس الجاي**

# مولد النور

للشاعر:
محمد ابن علي العلوي

اشرق النور يملأ الكون ضيا ... اي شمس غدت تنير الدنيا
اي شمس اضاءت اليوم في الكو ... ن فأضحى الزمان طلق المحيا
اي ذكرى عزيزة قد اطلت ... ببديع العظات تشفي الدويا
ذكرتنا والذكريات اذا ما ... زجعت للقلوب تجلو الصديا
ذكرتنا والذكريات عظات ... تنفع المومنين شيئا فشيا
ذكرتنا محمدا وضعته ... اشرف السيدات بدرا بهيا
واتم الاله نعمته العظـ ... ـمى وشب الوليد برا تقيا
ذكرتنا بمولد النور يسمو ... بالحجى والنفوس نحو الثريا
مولد كان للعروبة فخرا ... قبست من بهاه مجدا سنيا
يوم بعث الاله احمد للنا ... س فكان الرسول والعبقريا
والى الله قد دعا فتعالت ... صرخة الحق تملأ الارض ضيا
وغزا الشرك والضلالة والبغـ ... ـي وهز اللواء والمشرفيا
فتهاوت معاقل الشرك تترى ... والى الشرك سدد السمهريا
واذا الوحي والمواعظ تتلى ... في بيوت الاله تهدي الغويا
واذا الدين يملأ الارض عدلا ... ونظاما وحكمة ورقيا
مشعل النور والهداية دين ... به ترقى النهى مكانا عليا
وحد العرب في الجزيرة حتى ... بلغوا المجد والمكان القصيا
واقاموا من الحضارة صرحا ... مشمخر البنا عظيما بهيا
بذلوا النفس والنفيس وبزوا ... كل من سولت له النفس غيا
ما ظننا البغاث يستنسر اليو ... م ويصلي بالنار شعبا أبيا
اي شيء يخفف اليوم عنا ... صدمة هزت الكيان القويا
اي شيء يخفف اليوم عنا ... طعنة الغدر قد اصابت جريا
اي شيء يضمد الجرح بالشر ... ق ويحيي اباءنا العربيا
اي شيء اصابنا فأ ضعفنا ... وحدة الصف والتراب النقيا
ما اضعنا لولا التراشق شيئا ... ظل يغري عدونا « الصهيونيا »
ما اضعنا والله ما قد اضعنا ... لو نبذنا الخلاف والاجنبيا
قد تركنا مواعظ الدين جهـ ... ـلا واتبعنا الهوى غباء وغيا

سطت على افكارها سلطانها — فتنورت وتنوعت آراؤها
غدت لسكان البسيطة قدوة — لا يفتني عن علمها علماؤها

* * *

والقدس منها يستعد قداسة — ازلية غمر البلاد ذكاؤها
وتضوعت فواحة مذ اشرقت — بسماء مقدسها الشريف ذكاؤها
تدعو وتلفت كل داع مومن — لرعاية تجلى بها لأواؤها
الله عودنا الجميل فلا يخف — منا امرؤ عقبى يدوم عناؤها
ومن الذي يستطيع هدم بناية — الله جل جلاله بناؤها
كم ذكريات لي هناك جميلة — فيها لروحي انسها وصفاؤها
والذكريات الشائقات اجلها — ذكرى يشوقك حسنها ورواؤها
ذكرى ولاد المصطفى وبزوغه — شمسا سناها دائم وسناؤها
روح الوجود وسر سر وجوده — خير البرية امنها وشفاؤها
ذكرى بها الملك العظيم يحتفي — في كل عام همه احياؤها
ذكرى تشيد بذكر مولد جده — في حفلة عم البلاد هناؤها
يفذو رعيته بها في ليلة — فيها يتم أمانها ونماؤها
في ليلة غراء يسطع طيبها — فتزاح عن آفاقنا غماؤها
يهدي بها الحسن الصفات رعية — يرعى مصالحها فيحسم داؤها
في حضرة قد اشرقت انوارها — بجمال طلعته وتم بهاؤها
في حضرة علوية حسنية — جادت بخير ارضها وسماؤها

* * *

يا أيها الملك الرضى حياك من — آفاق طيبة طيبها وهواؤها
وحبيت من سرارها سرابه — للنصر يعقد في ذراك لواؤها
عش فى أمان الله حرا سيدا — تعنو لامرك في الدنا امراؤها
واحكم على الايام حكم موفق — لبق تدين لحكمه آناؤها
ولتحي ما بين الملوك مظفرا — في همة، لا تنثني علياؤها
ولتبق في عز ونصر دائم — تنجي وتنجد من طفت ضراؤها
وولي عهدك في آتم سعادة — يرضيه من دنيا الكمال ولاؤها

**الرباط : محمد اليمني الناصري**

# الثورة الكبرى

للأستاذ الشاعر عبد الكريم التواتي

> في خامس يونيو سنة 1967 هاجم الاسرائيليون الجمهورية العربية المتحدة (مصر) فاضطرت الدول العربية الى صد العدوان والقت بجيوشها في الميدان ولكن اسرائيل لم توقف عدوانها وبهذه المناسبة انشدت القصيدة التالية مشاركة مني في هذه المعركة .

صهيون ، بنت الخنى ، سحقا وادبارا  قد حاق ساحك ثأر هب اعصارا
يا ويح صهيون ، لا « نابال » أو مدد  ينجيك من يعرب ان مار أو ثارا

* * *

صهيون ، حاقت بكم لعنات بارئكم  واقسم العرب ان يصلوكم النارا
لا تحسبونا نسينا ما جنت يدكم  وما اذقتم ايامانا وابكارا
في « بيت لحم » وفي « يافا » وفي « نقب »..  وفي « الجليل » رفعتم للخنى دارا
« والقدس والمسجد الاقصى » لكم شهدا  ان النجاسة قدستم وأوضارا
فما نسينا ولن ننسى تنطعكم  وغدركم وتعديكم واضرار
ربحتم جولة السواى وان لنا  صولات حق تعيد العدل هدارا

* * *

ما كان للعرب ان تنسى مباذلكم  او تستسيغ خطاياكم واقذارا
عشرون عاما من العدوان شاهدة  بما اقترفتم جنايات وازوارا ..
في « بئر ياسين » قتلانا دماؤهم  تدعو العروبة : خوضوا الحرب اوارا
لا تهداوا ، او تبيدوا كل مغتصب  وتردعوا البغي والعدوان والعارا
لا تهداوا ، او تحيلوا الارض اجمعها  نارا تحرق للصهيون انصارا
والعرب في «المغرب الاقصى» وفي « عدن»  وفي « الجزائر » ظمأى تنشد الثارا
وفي «العراق» وفي «لبنان» زمجرة  تدمي العدا وتدك الظلم والعارا
وفي « عمان » وفي « مصر » لنا شهب  تقض مضجع صهيون وافكارا

فأتى الدرس قاسيا ومفيدا … علنا نستفيد يا عرب شيا
علنا نسلك الطريق ونقفو … بخضم الحياة نهجا سويا
رب الهم بني العروبة رشدا … وامنح القوم لطفك السرمديا
وانر للاباة خير طريق … واجعل الحب بينهم ابديا
واجمع الشمل عاجلا كي يزيلوا … وصمة شوهت صفاء المحيا
وانصر المسلمين في كل صقع … واجعل النصر دائما سرمديا
رب واحفظ لنا المليك المفدى … والاميرات والامير المولیا
واطل عمره وسدد خطاه … زده يا رب رفعة ورقيا
وادم عزه وحقق رجاه … كي يوالي جهاده العربيا
سيدي عاهل البلاد سلاما … من فؤاد يراك نجما مضيا
قبس انت من سناء رسول … جاء للناس رحمة ونبيا
كم رايناك في الاشاوس فذا … ورايناك في النهى عبقريا
ورايناك في الهداية شمسا … تبعث النور والرشاد الجليا
فاتبعنا سبيله فاهتدينا … وسلكنا به الصراط السويا
وبلغنا بك المراد ونلنا … قمة المجد والمكان العليا
وقطعنا الاشواط للعز وثبا … وطوينا مراحل المجد طيا
وثبة اثر وثبة اثر اخرى … وطموح يروم هام الثريا
زود الناس من سنائك انا … بك يا ابن الرسول نلنا الرقيا
وانر ظلمة العقول ونور … يا حبيب القلوب منها الدجيا
وهنيئا بالعيد يا خير ملك … وهنيئا للمسلمين هنيا
وعلى جدك الرسول صلاة … ما استمر الصباح يقفو العشيا
وعليك السلام ما طلع الفجـ … ـر وغنى الهزار لحنا شهيا

**فاس : محمد بن علي العلوي**

# يافا

للشاعر : عبد الكريم الطبال

( يافا ) جزيرة كل احلامي . شراع الشوق يبحر فى عيوني . فى دمي
شلال انغامي . وصورة كل اطيافي . وصوت الحب يدوي في فمي
انا ان هجرتك يا ربيع العمر . يا قيثار من غنى شجي الانغم
الموج فى راسي فلا كأس بمجدية . ولا رقاء مس مبهم
الدمع في عيني فلا ورد ولا غيد بداوية لداء المغرم
الجرح في صوتي فلا ضحك ولا شدو لسجاع يجود ببلسم
فلأن شذاذ الطريق تاسدوا وهم البغاث . وهم سلالة ارقم
من كل فج كالجراد المسخ جاؤوا كالظلام الى بلاد الانجم
فغزوك . قرصان السلام . زعانف التاريخ . سود المعصم
مسخوا الدروب المؤمنات فجلجلت فيها حوافر كل مسخ اقزم
رفعوا المشانق فى الطريق لكل من رفعوا البنود وصاولوا كل اجذم
نسفوا بيوت الله . يا ويح الذين تدينوا ابدا بدين الدرهم
لا نفحة الانساب . لا خلق النبوة فى سوائمهم ولا في الأهيم
حرقوا المزارع والكروم وما ارتووا فالحقد لا يروي بغير المأتم
فاستنسروا في كل دار يذبحون ويعبثون بكل قدس المحرم
فاذا بيافا مأتم واذا بنا متشردون نتيه تيه المرغم
اقدامنا فى الرمل تغرق فى خمود الميتين وفى شرود المجهم
انظارنا بلهاء في الافاق تحسبها ظلالا في خواطر معدم
لا الدار تنتظر الظلام لكي نعود ولا المزارع في انتظار الهوم
لا الشط يدعونا اليه الى بساط اخضر يحكي حكايا ملهم
اشعاره لا تنتهي حتى اذا جن المساء حكى لساج مظلم
لا الفجر ينتظر المآذن ان تهلل فالمآذن دارسات المعلم

وفى عرائن « ليبيا » للعدا نصب — اذكته « تونس » أوارا واعصارا
وفى « الحجاز » وفى « الاردن » معركة — وفى « الكويت » صداها يقذف النارا

* * *

لا تحسبوا اننا يوما نهادنكم — أو اننا منكم لن نأخذ الثارا

* * *

صهيون ، ما فى فلسطين لكم نسب — ولامقام ففروا واتركوا الدارا
لا تحملوا العيش فى فلسطين ، قد ازفت — مصارع الغدر فيها فابتغوا جارا
والعرب آلوا بأن يفنوا قراصنكم — وان يبيدوا نواديكم وآثارا
صهيون ، خلتم — وبطل ظنكم وسدى — انا سنرهب اسطولا وطيارا
فجرتم ، وعثوتم ، ظالمين لنا — فكان مرتعكم حرقا واوا......را
وخلتم الثورة الكبرى كسابقة — تخبو ، فأعلنتم غدرا واصرارا
لكننا — وجحيم الحرب كالحة — فى الارض نثخن اشلاكم وابشارا
هناك فى فلسطين سوف نمعنكم — ذلا واسرا وتقتيلا واقبارا
والعرب آلوا بأن لا يتركوا اثرا — لآل صهيون لا جنسا ولا دارا
وعاهدوا الله والاوطان لا هدأوا — او يبلغوا منك يا صهيون أوطارا
ويثأروا للضحايا ، للالى بذلوا — ارواحهم وفدوا فلسطين احرارا

* * *

ما للصهاينة الاشرار هل جهلوا — انا مساعر خضنا الحرب اطوارا
واننا مذ وعى التاريخ دورته — كنا هداه وما نوحيه افكارا
وانما بدما احرارنا كتبت — سطوره فغدت للكون أوتارا
واننا وحدنا سدنا مشارفه — فانقاذ وارتجز الامجاد اشعارا
واننا ان نرد شيئا جرى قدر — بما نريد وقد سدناه ادهارا

**فاس — عبد الكريم التواتي**

# مولد الرسول

## للشاعر المهدي بن ادريس

الامر امرك فى الهوى ... والناس فى شر كثير
الهدي فى تلك الربى ... والدين ينبع من اثير
تلك الربى قبل النبـ ... ـوة فى جحيم تستطير
الظلم فى اكنافها ... والنفس تقتل بالنقير
والعيش عيب كله ... والحب يقتله النكير
تلك المتالع كلها ... تلك الخرائب والقبور
ذاك التراب جميعه ... امسى جحيما للصدور
والسيف يملك عزهم ... والطعن يعبث بالنمور
والخمر تشرب بينهم ... والفسق يخلقه الغرير
والناس فى ضوضائهم ... بين الغواية والفجور
تلك الفتاة مهانة ... هذا الفتى عبثا يدور
تلك المكارم كلها ... تمحى على مر الدهور
تلك المساوي امرها ... ما بين اجنحة القصور
ان لم تكن لك امرة ... امسيت فى ويل تغور
ان لم تكن لك شرة ... اصبحت فى خبر الدثور
اصنامهم اقيالهم ... اعلامهم جهل يفور
خطباؤهم شعراؤهم ... اشياخهم شعب نفور
ما فى المدينة غيرة ... ترجى ولا دين يزور
هذي البيوت بمكة ... يجلى بها عيب شهير

لا الدرب في يافـــا يحن الى الصباح فأين اطفـــال الصباح الابكـــم ؟
ايـــن الصيـــاح الحلو اين قياثر الاشواق تحكـــي خاطرات البرعـــم ؟
داستهم الاقـــدام . تاهوا في القفار يرددون الى متى في الميتـــم ! !

* * *

يافـــا الحزينـــة اننا في النار نمشي لن نعـــود الى خيـــام النـــوم
نمشي اليك الى الديـــار ولو شظايا . ان صوتك فوق صوت المرجـــم
فلتنتشـــر اشلاؤنـــا ولتلتهـــب آفـــاقنـــا نـــارا كنـــار جهنـــم
لكننـــا لن نوقـــف الزحف الكبيـــر فاننـــا قبـــر التتـــار الظلـــم

**شفشاون : عبـــد الكريم الطبـــال**

كونت منهم امة ... كسرت بعزمها الصخور
الملك ملكك قد غدا ... والله لا يدع الفقير
اكرم بأمتك التي ... انقذتها بعد الشرور
صارت الى غاياتها ... للناس من جهل تنير
ثم استويت وصنتها ... مما يخرب او يضير
ملكت رقاب الناس ... في ايامها خير وفير

* * *

سبحان ربك قد اجل ... لغايته رجلا خطير
كل الرجولة ترتجى ... منه وفي شرف كبير
حتى استعاد لشعبه ... ملكا يدوم ولا يبير
ثم استقامت وابتنت ... بنيانها وجلا المصير
قرآنها دستورها ... ايامها عيش قرير
دامت عروبة امة ... ظهر العلاء لها السرير

* * *

امحمد والقلب فيـ ... ـك على الوداد هو الاسير
امحمد والنفس تقهرهـ ... ـا الادارة والمرير
امحمد ابكي واذكر في الليا ... لي مع العشير
شوقي اليك يجلني ... والشوق نار تستطير
ناديت احمد في الدجى ... فأجابني رب قدير
لم لا ازور مهاده ؟ ... ومهاده جلل غزير
لم لا أزور بقاعه ... وبقاعه الفضل الوفير
الخير في رحباته ... والحب ينقذ ذا الاسير
والشوق يقتلني الى تلك ... البقاع لاستخير
والحب ارقني وارسل سهمـ ... ـه كيما اطير
فأزور قبر محمد ... اشفي به دائي الخطير
واعود منه وبي رخـ ... ـاء في الفتوة والضمير

**فاس : المهدي بن ادريس**

هذي المراتع والمـ ... ـزارع شرها شر يطير
هذي المدينة ثورة ... هذي المنازل كالسعير
الموت فى جنباتها ... والشؤم يزخر لا مصير
حتى اتاها محمد ... بيد المناعة يستنير
ولد النبي على الهدى ... بالدين يقبل أو يشير
امسى يسوق الى الرضى ... إما تساق الى الشرور
اعلت لهم احلامه ... احلامهم بين القصور
يا من رآه وحربه ... بالدين تقتلع الجذور
يا من رآه وخلقه ... قرآن دين لا يبور
يا من رآه مع الشبـ ... ـاب وقلبه أسد هصور
يا من رآه مع النسـ ... ـاء وعطفه أمل نضير
يا من رآه مع الشيـ ... ـوخ وحكمه دين وقور
الله أيد بأسه ... جبريل ينزل بالظهير
يلقي اليه بلاغة ... اقرا وربك فى النصير
ادع البلاد لرشدها ... اخرج بربك تستجير
حارب رؤوسا أينعت ... بالشر تقتبل البشير
حارب ذئابا قد طغت ... بالسيف انت هو النذير
فغدا يجالدهم وينـ ... ـشر دينه ابدا يسير
واتى الى اصنامهم ... فتحطمت بعد الغرور
وغدا لها يقتادها ... نحو الهداية والنشور
قاسى الشدائد كلها ... رشد العباد به ينير

* * *

امحمد ولانت تدعـ ... ـو الفداء هو النصير
امحمد بين الغوايـ ... ـة والنذالة لا يخور
امحمد ربيت فيـ ... ـهم امة تطأ الصدور
انشأت غابر مجدهم ... واتيت ترتجل الحبور
اظهرتهم ونصرتهم ... والعزم يقصم للظهور
أرسلت فيهم فتية ... تهدي لدين قد اثير
بين المعابد والمعاهـ ... ـد هدي دين يستزير
قومتهم فراستهم ... أمما تسامت كالنسور

زحف الهـم خلفهـا ومحاهـا … من وجـودي ، فانهـا لتليفـه
كريـاح مبيـدة وسيـول … أو ظـلام هـوى فأرخى سجوفـه

* * *

حسبتني بأنني مثل كهف … تستطيع المكوث فيه ، وهي عفيفه
أو بأني سرادق تتمشى … في خباياه كالاماني الظريفه
او كأني الضباب يبدو جميلا … لا يرى المرء فيه الا طيوفه
نسيت أن جسمي تسكن فيه … هاجسات كثيرة ، وكثيفه
كأمان صقيلة ورياح … واعاصير هاجمات عنيفه
وهموم وحسرة وغرام … وتواريخ راكضات طريفه
واحاسيس غامضات وحزن … وشكوك ثقيلة او خفيفه

* * *

فهو بيت لها لتمكث فيه … لحظات، تكون — هي — ضيوفه
ثم تمضي حسيرة ، كظلال … أشرفت فوقه فعادت كسيفه
وهو ملك لغيرها وسواها … ليس للذكرى فيه الا سقيفه

**البيضاء ـ عاصم عبد الله**

# الذكرى

للشاعر عاصم عبدالله

| | |
|---|---|
| كان لي فى الوجود ذكرى اقامت | بين جنبي سنينا وهي أليفه |
| نزل الجسم فوقها فاستقرت | وحواها بين الضلوع النحيفه |
| ورات فى كآبتي وهمودي | ما يثير المنى العذاب اللطيفه |
| فاستكانت لهولها لا تبالي | بهمومي وبالخطوب المخيفه |
| عكفت فيه للصلاة كقس | واحبت سكونه وعزوفه |
| وانزوت مثل راهب مستجير | لتناجي خشوعه وعكوفه |
| واحتمت فيه لا تريد سواه | مسكنا ، بل تريد منه رفوفه |
| فاذا ما الغدير فاضت مناه | سمعت فيه همسه وحفيفه |
| واذا ما الشتاء بث صداه | وجدت فيه شكله وصنوفه |
| او افاق الصباح يمشي رويدا | حسبته صديقه او حليفه |
| قنعت بالجفاف ليست تبالي | ان تعاني قنوطه وخسوفه |
| او اذا ما تصايحت حول جسمي | اي احداث او مآس طفيفه |
| لصقت فى جداره واصاخت | فى خشوع الى الاغاني العطوفه |
| وجثت تصغي فى سكون اليها | لا تحاذيها فيه اية خيفه |
| وتمنت بان تزور رباه | فمشت فيه وهي جد رؤوفه |
| ثم ساحت على ضفاف فؤادي | قطعت ارضه وجابت كهوفه |
| لم تهاجره فى الشتاء المولي | بل قضت فيه صيفه وخريفه |
| وهوت ذاتي فوقها وطوتها | فى ثنايا الازمان غير انوفه |

* * *

| | |
|---|---|
| فاستفاقت مشاعري ذات يوم | وهي حيرى لما جرى ، واسيفه |
| لترى حولها خرابا منيخا | وضلوعا كسيرة وعجوفه |
| فاذا بالشجى يناوش ذكرا | ي ويزجي حقوده وصروفه |

ويهمنا هنا أن نفيد من النتيجة الاولى العلمية ندرس على ضوئها القومية المغربية ، في العصر الاسلامي ، ونتعرف على ما تتوفر عليه من اسس ومقومات حسب المفاهيم الجديدة . ولا ندعي بهذه العجالة الاحاطة بموضوع متشعب كهذا ، وانما المهم ان نطرح المشكل ونأخذ في معالجة بعض جوانبه متوخين الوصول الى الحقيقة دونما أي تأثر بعاطفة او عصبية . وقبل أن ندخل في صميم الموضوع ، أود ان اشير باقتضاب الى مسألة (الامة الاسلامية) التي ظن البعض انها كل ما عرف المسلمون حتى العصور المتأخرة وان فكرة القومية لم تتسرب اليهم الا عن طريق العثمانيين .

والواقع ان الامة الاسلامية لم تعرف — حقيقة وحدتها الكاملة الا ايام الرسول الكريم والخلفاء الراشدين والامويين من بعد ، حيث كانت كل بلاد المسلمين من اقصى الشرق الى اقصى الغرب تعتبر (دار اسلام) تخضع لسلطة مركزية واحدة ، ويتنقل الناس في ارجائها دون حدود أو قيود تقابلها (دار الحرب) وهي بلاد غير المسلمين .

أما بعد قيام الدولة العباسية فقد تغيرت الاحوال وظهرت الاقليمية في الجماعة الاسلامية ، ووقع انفصال الاندلس ثم المغرب عن خلافة بغداد على يد الامويين والادارسة . وتلت ذلك انفصالات اخرى في المشرق نفسه . فكان حكام هذه الاقطار الناشئة ومن يساكنهم فيها يرون انفسهم وحدات متميزة ويدافعون عن حدود بلادهم كل مهاجم من المسلمين وغير المسلمين . وهكذا تكونت — في حظيرة الجماعة الاسلامية — قوميات اندلسية ومغربية ، ومصرية ، وفارسية .. بل ان في حركة الشعوبية وبعض الفرق الخارجية ملامح من القومية الفكرية عند المسلمين وهذا لا يعني اضمحلال الروح الدينية عند المسلمين الذين عرفوا طوال العصور — حتى اليوم — بتعلقهم المتين بالحنيفية السمحة وانما يعني ادخال اعتبارات اخرى في عوامل الارتباط ، فرضتها طبيعة اتساع رقعة العالم الاسلامي وتعدد الاجناس المنضوية تحت لوائه واختلاف اهواء الحاكمين . ولنر الآن بشيء من التفصيل عناصر القومية في المغرب الذي ظل متميز الشخصية طوال العصر الاسلامي .

## ا — الجنس

يحيط اليوم بكلمة الجنس كثير من الغموض نظرا للامتزاجات البشرية القوية عبر العصور ، حتى انه لم يكد يبقى عن وجه الارض جنس خالص . ومع ذلك تظل لكل امة فكرة عن جنس خاص تنتسب اليه. ويذكر المختصون ان هناك ثلاثة اجناس بالمعنى شبه الزولوجي ، هي :

1) جنس ناشىء مع الاصل ، وهو عبارة عن اسرة متكاثرة .

2) وجنس ناشىء عن بيئة ، ،نتيجة مساكنة طويلة

3) وجنس ناشىء عن الانصهار الناتج عن اختلاط طويل بين جنسين أو اكثر (2) .

ونحن حين ننظر الى الجنس في المغرب نجده يتكون من البربر والعرب . وهما من اصل واحد على راي البعض مما هو مفصل عند ابن خلدون (3) نقلا عن قدماء نسابة العرب والبربر كأبي محمد ابن حزم . وابي عمر ابن عبد البر . وهانىء بن بكور الضريسي. وسابق المطماطي . فيكون البربر — على هذا الراي— يمنيين هاجروا من بلادهم بعد انفجار سد مأرب . او من لخم وجذام اخرجوا من ديارهم بالشام ، فلما لم تؤوهم مصر عبروا النيل وتفرقوا في بلاد المغرب . وحتى اذا لم نساير هذا الراي ولم نقل بأن البربر انحدروا من جدود عرب اقحاح كقيس عيلان او غيره. فانهم يكونون — ولا شك — مع عرب المغرب جنسا واحدا من احد النوعين الاخيرين : البيئي او الانصهاري . فتعايش البربر والعرب على أرض المغرب منذ القرن الهجري الاول ، لاسيما بعد موجة هجرة القبائل الهلالية خلال القرنين الخامس والسادس. كاف واكثر لامتزاج العنصرين وانصهارهما في جنس مغربي موحد . ولا يدل اطلاقا بقاء اللهجات البربرية في المناطق الجبلية على تميز عرقي — كما سنرى لدى كلامنا على عنصر اللغة — اذ هناك قبائل محولة برمتها — ان صح التعبير — بعضها يتكلم بالبربرية وهم من اصل عربي ، وقبائل اخرى استعرب

---

2) انظر كتاب **هذه هي القومية** ، هامش صفحة 55

3) ابن خلدون ، **تاريخ العبر** ، الفصل الاول من الكتاب الثالث . 6 : 175 وما بعدها . طبعة دار الكتاب اللبناني 1959 .

# القومية المغربية

للأستاذ محمد حجي

القوميـــــــة أو le nationalisme حديـــث أطلقه الساسة والمؤرخون على الحركات التحرريـــة التي قامت بها الشعوب الاوروبية المغلوبة على أمرها خلال القرن التاسع عشر . وهي شعوب ادمجت على الرغم منها فى اخرى لا تجانسها أو لا تتفـــق معها فى لغة ولا دين ، مثل المملكة المستحدثة فى الاراضـــي المنخفضة المشتملة على بلجيكا وهولاندا ، والنرويـــج التي ضمت الى السويد . وشعوب اخرى مزقـــت اشلاؤها ، فألحق كل جزء بدولة اجنبية أو نصب فيه حاكم غريب ، مثل المانيا الموزعة بين النمسا وبروسيا وايطاليا التي ضم شمالها الى حكومة فيينا ، واجلس غرباء على عروش الملـــك أو كراسي الجمهوريـــة فى جنوا ونابولي وسردينيا . الى جانب الامبراطوريـــة النمساوية التي كانت تضم علاوة على اراضيهـــا واجزاء من ايطاليا ، بلاد بوهيميا التشيكية ، وغاليسيا البولونيـــة ، وترانسيلفانيا الرومانية ، والمجـــر وكرواتها. والى جانب روسيا القيصرية التي استحوذت على جل البلاد البولونية ، وفنلندة وممالك انتزعتهـــا من ايـــران وتركيا على ضفاف بحر قزوين والبحـــر الاسود والدانوب .. هذه الخريطة الاوربية الغريبـــة التي تمخض عنها مؤتمر فيينا (1814 — 1815) هـــي التي أدت الى خلق تكتلات لدى الجماعات المتجانسة، تستهدف التحرر من السيطرة الاجنبية . ولما لم يكـــن لهذه التكتلات كيان سياسي مستقل ، ولـــو انهـــا فى الواقع تكون وحدات متميزة بقيم مشتركة متعـــددة ، دعاها الساسة (قوميات) ، وعرفت حركاتها النضالية بالحركات القومية . هذه القوميات اذن حديثة بهـــذا الاطلاق فى الغرب ثم فى الشرق ، لكنها تمت بصلات وثيقة الى أصول عريقة فى القدم اذ مـــن المعلوم ان القوميات الالمانية والبولونية، والتشيكية والرومانية وغيرها لم توجد من عدم فى القرن الماضي ، وانمـــا لكل منها جذور وقد كثر الكلام حول بدعة القوميـــة منذ ظهورها واختلفت النظريات فى تحرير مفهومهـــا وفى العناصر اللازمة لتكوينها ، وشغل الجامعيـــون — فيمن شغل — بهذا المشكل فألقيت المحاضـــرات والفت الكتب ، وظهرت فى الموضوع تناقضـــات وتعقيدات حتـــى قال أورباخ : « ان القومية حقيقة معنوية لا يمكن لمسها كما تلمس المادة ، بل هـــي كالكهرباء ، غير ماديـــة والظواهـــر الناشئة عنها ، والمشتقة منها ، لا تبين الا قليلا مـــن طبيعتهـــا المركبة (1) » . وقد أسفرت تلك الضجة الكبرى عـــن نتيجتين هامتين ، الاولى علمية نظرية تستخلـــص عناصروشروط القومية التيتقارب مدلولها مدلول الامة، ويمكن أن تتلخص فى وحدة وتفاعل **الجنس** ، **واللغة، والدين ، والارض** . والثانية سياسية عملية بتحقيـــق مبدأ القوميات وحصول الاندماج بين الدولة والامة ، فوجدت الدولة القومية فى المانيا وايطاليا بعـــد توحيدهما ، وفى كثير من الاقطار الاوربية الاخرى .

1) نقلت هذه الفقرة عن كتاب أورباخ فى القومياتالنمساوية — الهنغارية فى : (هذه هي القومية) ترجمة محمد عيتاني . بيـــروت 1953 .

الثلاثة الاول ، محمد الرشيد واسماعيل ابناء الشريف بن علي في نهر تافنا بمنطقة تلمسان (8) ، ولم يكن هذا التخطيط ناقصا لا يشمل غير منطقة ضيقة في الشمال — كما زعم البعض — بل كانت الحدود الشرقية كلها (على طول) معروفة متفقا عليها ، وانما نصت الاتفاقية على الجزء الشمالي المتنازع فيه من هذه الحدود ، ولم يكن هناك داع للحديث عن المناطق الجنوبية التابعة منذ قرون عديدة للمغرب . وقد نشرت المطبعة الملكية بالرباط في الاسبوع الاخير وثائق مهمة ، هي عبارة عن رسائل بعث بها السلطان اسماعيل بن الشريف الى ولده المامون خليفته بتافلالت واقاليم الصحراء ، وفيها نجد التنصيص على مناطق نفوذ هذا الخليفة ، ومن بينها (بلاد الفايجة ، وتوات ، وتيكورارين ، وتغازي ..) .

ولم اشر بشيء الى بلاد الاندلس والسودان ، ولو أن نفوذ المغرب انبسط فيهما ردحا من الزمن ، لان ذلك خارج عن نطاق موضوعنا .

## د — الدين

الدين عنصر هام في تكوين القومية يفوق اثره اثر العناصر الاخرى السابقة ويستطيع ان يمحو نفوذها احيانا . ذلك أن الدين يمثل في المجتمع العنصر الاقل تعرضا للتحول ، بينما تمثل القومية شعور المجتمع بذاته ، فيندمجان ويتحولان الى نظام مشترك بذاته ، فيندمجان ويتحولان الى نظام مشترك دائم . والدين — اي دين — يجعل سلامة الامة التي تعتقده منذ عهد طويل متوقفة على التمسك به : فالاسلام هو الذي ابقى على قومية شعوب الشرق الاوسط ، كما حفظت الكاثوليكية للبولونيين والايرلانديين قوميتهم في الغرب (9) .

ولعل المغرب من اسعد الاقطار حظا في هذا المضمار ، فهو موحد تحت راية الاسلام منذ 13 قرنا. وهو من بين كل الاقطار الاسلامية — فيما اعتقد — البلد الوحيد السالم من الطائفية المذهبية ، يسير — كله — مع أهل السنةوالجماعة ، اشعري الاعتقاد، مالكي المذهب . وحتى الطرق الصوفية المنتشرة فيه ترجع كلها الى الشاذلية او القادرية المتفرعتين عن طريقة الجنيد السنية . ومن الادعية القديمة في المغرب والتي يرددها المومنون عقب الصلوات في المساجد حتى اليوم : « **اللهم .. امتنا على السنة والجماعة ...** » .

واذا كان الدين قد لعب دوره الكامل في تكوين القومية المغربية ، فانه لم يكن كل شيء ، ولم يطغ على العناصر الاخرى . بمعنى ان الشعور الديني لم يحمل المغاربة على اعتبار جميع المسلمين من قوميتهم ، ولو انهم كانوا يعدونهم اخوة وذوي قربى . وذلك ما يفسر بعض المواقف التاريخية المغربية الغامضة ، مثل الموقف السلبي للموحدين — وبخاصة يعقوب المنصور — من الحروب الصليبية في الشرق الاسلامي ، ومقاومة السعديين والعلويين المسلحة محاولات تسرب العثمانيين الى المغرب . وقد نجد الحل — اذا نحن ادخلنا في الحساب هذا الاعتبار — لكثير من المشاكل ونقط الاستفهام القائمة حول تصرفات السعديين وعلاقاتهم مع كل من المسلمين والمسيحيين . فالسعديون كانوا يزنون سياستهم بميزان القومية والواقعية اكثر مما يندفعون وراء العاطفة الدينية المجردة ، فيستغلون الظروف الملائمة لمدافعة القوى الحربية التي تهدد البلاد ، مسلمةكانتاو مسيحية. وهكذا نجدهم احيانايهتبلون فرصة اشتباك الاتراك مع الاسبان في معارك برية أو بحرية ، فيقومون باغارات على منطقة تلمسان التي يتسرب أو يمكن ان يتسرب منها الاتراك الى المغرب . ولا نظن ان الامر كان يصل الى حد عقد اتفاقات سرية بين السعديين والاسبان ضد الاتراك. — كما زعم البعض — . لان السعديين كانوا يحذرون من الاسبان ما كانوا يحذرون من الاتراك ، ولانهم من جهة اخرى كانوا يعتبرون الاسبان والبرتغال العدو رقم 1 من بين الدول المسيحية . يؤيد ذلك سياسة التواد والتعاون التي سلكها كل من عبد الله الغالب وعبد الملك واحمد المنصور مع انجلترا، هذه السياسة التي تقوم بالدرجة الاولى على محاربة الخصم المشترك : اسبانيا . ويسير المنصور في تعاونه مع الانجليز الى اقصى الحدود ، فيزودهم بالمال وبالمواد الحربية مثل ملح البارود ، رغم ان العلماء كانوا قد افتوا بتحريم تمكين المسيحيين من هذه المواد . كل ذلك في الوقت الذي نجد العلاقات السعدية — العثمانية تقوم على الحذر والمداراة ، ولا تتعدى تبادل السفراء للمجاملة والمهاداة ، وتحبير الرسائل بعبارات فخمة لا تكاد تعبر عن شيء ..

— يتبع —

**الرباط : محمد حجي**

---

8) ارجع الى احمد الناصري ، الاستقصا ، 7 : 20 — 60 .

9) ارجع الى كتاب : **هذه هي القومية** ، ص 77 — 79 .

لسانها وجذمهم من الاطلس او الريف (4) . هـذا الى الامتزاج الكثير داخل القبائل عن طريق التزاوج والتساكن ، والهجرات المتوالية فى الحواضر والبوادي ولعل من ابرز ظاهرات الانصهار وجود عدد وافـر من آل بيت الرسول الكريم ، زيانيين ومصامـدة وسوسيين ودرعيين ... وقيام وحدات تامة الانسجام فى المدن ، وبخاصة الكبرى ، مثـل مراكش وفـاس ومكناس ، وطنجة ، وتطوان ، وسلا والرباط . وحتى فى البادية لا تكاد تجد فرقا بين خيام مضروبـة فى الاطلس او فى بسائط تادلا ودكالـة والشاويـة ، ولا تلقى فى كل سوى ذلك البدوي السمح الكريم ، المعتز بدينه ، وارضه ، المتاز بفروسيته ورمايته .

## ب — اللغـة

وحدة اللغة عنصر اساسي فى تكوين القومية ، اذ هي اداة التفاهم والتعاون ، ووسيلة استمـرار الحضارة وتطورها ، حتـى قيل ان الانسان عندمـا يتبنى لغة غريبة عنه يفقد قوميته ، والمغرب فى العصر الاسلامي اتخذ من لغة القرآن لغته الرسمية ، فهي اللغة المكتوبة فى السهل والجبل منذ 13 قرنا ، يتعلمها اطفال المدن والبوادي على السـواء ، يخطون بهـا الالواح فى الكتاتيب ، ويحفظـون آيـات وسـورا يتلونها بلسان عربي مبين . ثم من يقبل منهم على طلب العلم يتوسع فى معرفة قواعد اللغةالعربيةوآدابها.وكثير من نبغاء الكتاب والشعراء والمؤلفين فى المغرب عبـر العصور صنهاجيون او زناتيون او مصامدة .. بل ان فضل المرابطين والموحدين والمرينيين فى ازدهار اللغة العربية وآدابها بهذه البلاد ، لا يقل — ان لـم يـزد فى بعض النواحي عن فضل الادارسـة والسعديـين والعلويين . وناهيك بعشرات المدارس الفنية الكبرى التي اسسها المرينيون فى اكثر حواضر المغرب (5) ، وما انجبت من عباقرة فى كل المناحي العلمية والادبية ، وبمآت المدارس القروية فى الاطلس وما وراءه (6) ، وتمسكها التلقائي باحتضـان الثقافـة العربيـة الاسلامية (7) .

واذا ثبتت وحدة لغـة الكتابـة فى المغـرب وبالتالي وحدة التراث العلمي والادبي ، فلا عبـر بوجود لهجات دارجة بربرية وعربية ، اذ لم يكن قيام مثل هذه اللهجات الى جانب اللغة القوميـة الرسمية قادحا فى تحقيق كيان امة . وامام اعيننا اليو امثلة متعددة حتـى فى الدول الراقية ، واقربها حـال فرنسا التي تعرف علاوة على اللغة الفرنسية ، لهجات الباسك فى الجنوب ، والبروطـون فى الشـرق والفلاماند فى الشمال والالزاس فى الشرق .

## جـ — الارض

يقولون : لا قومية بدون أرض موروثـة عـن الجدود . فهل امتلك المغاربة هذه الارض الضروريـة للقومية ؟ وما كانت حدودها الطبيعية او الاصطناعية .

لقد عاش المغاربة طوال العهد الاسلامي اسيادا فى هذه البقعة الواقعة شمال غربي القارة الافريقيـة المكتنفة بالبحر المتوسط والمحيط الاطلنطقي واقصـى الصحراء . اما من الجهة الشرقية فلم تكن الحـدود قارة ، لان مقومات القومية فى الحقيقة واحدة مـن هنا حتى مصر ، فالجنس ، واللغة ، والدين وطبيعة الارض كلها واحدة . لذلك كان امتداد الدولة المغربيـة يصل الى اواسط الجزائر فى عهد الادارسة والمرابطين ثم شمل نفوذ الموحدين جميع بلاد شمال افريقيـا حتـى حدود مصر ، فلما فشلت ريحهم استبد بالامر عمالهم الحفصيون والعبدلواديون فى تونس وتلمسان . وحاول المرينيون بعد ذلك استرجاع الحدود القديمة فلم يتجاوزوا تونس ،، وكان ذلك الى حين . وبقيام الدولة السعدية فى مستهل القرن الهجري العاشر (16م) خط المغرب حدوده الشرقية بصفـة نهائية — ولو انها غدت أحيانا متحركة مضطربة — فتركـت تلمسان وما وراءها للاتراك المستقلين اذ ذاك بحكـم الجزائر ، وبقي ما دونها للمغرب بما فى ذلك اقاليـم الجنوب من توات وتيكورارين وقرى بنـي عباس فى وادي الساورة وما وراء ذلك من مفازات الصحـراء وتأكد تخطيط الحدود الشرقية ايام الملوك العلوييـن

---

4) انظر مثلا الصفحات العشر الاول من **ايلغ قديماوحديثا** للمختار السوسي ، المطبعة الملكية بالرباط ، 1966 . وهوامش كثيرة من الجزء الاول مـن**العز والصولة** ، لابن زيـدان نفس المطبعة 1961 .

5) ارجع الى ابن مرزوق ، **المسند الصحيح الحسن**، الباب 41 . مخطوطة الخزانة العامة بالرباط .

6) فى سوس وحدها نيفت هذه المدارس على مائتين. ارجع الى المختـار السوسـي ، **سوس العالمة** ، 154 — 167 .

7) كل ما سبق خاص بالمدارس العلمية . أمـا الكتاتيب القرآنية — الابتدائية— فـلا تكاد تحصـى وبخاصة فى باديـة المغرب .

ومعنى ذلك بالنسبة لموضوعنا ان التعريف ببني مرين يشكل عنصرا اساسيا فى هذا البحث ويلقي كثيرا من الضوء على الطريق الذي سنسلكه كما يساعد على الوقوف على كثير من العوامل التي كانت وراء ظواهر برزت واخرى اندثرت فى هذا العصر .

لقد تضاربت الاقوال حول بني مرين واختلفت الآراء حول اصلهم ونسبهم ، فكثرت النظريات وتشعبت الاحكام ، فكان من المؤرخين من أرجع نسبهم الى البربر وكان منهم من اكد عروبتهم كما كان منهم من ادعى انهم اروبيون كسائر القبائل البربرية الا ان هذه الاحكام لم تكن ، فى جملتها ، مبنية على اسس علمية وحجج موضوعية ، مستمدة من التاريخ نفسه ومن الواقع الاجتماعي الذي عاشته البيئة المغربية عبر العصور ، فتحيز البعض لعنصر كان قويا فى ظروف معينة وتأثر البعض الآخر بعاطفة دينية او عنصرية كما اكتفى عدد كبير من المؤرخين بالرواية والنقل المجرد . مع ان القضية ذات اهمية عظمى من الوجهة التاريخية المحضة ومن الناحية الاجتماعية ايضا . واذا كنا لا نريد الخوض فى هذا الميدان الشائك الذي ظل الى اليوم مستعصيا على كثير من العلماء المختصين ، نظرا لقلة المصادر التي يمكن الاعتماد عليها وكثرة الاساطير المتعلقة بالاجناس التي سكنت العالم فى العصور السحيقة ، فاننا كذلك لانريد ان نمر ساكتين عن اهم ما جاء فى هذا الموضوع من نظريات وبدون ابداء موقفنا منها .

## نظرية ابن خلدون :

اهم ما جاء فى هذا الباب ، فى نظرنا هو ما رواه ابن خلدون عن البربر وعن نسبهم وتاريخهم بصفة عامة . ذلك ان معظم المؤرخين عربا كانوا او اجانب استندوا اليه واعتمدوا عليه اعتمادا يكاد يكون كليا عند البعض ، فأتوا بحجج وادلة ونقلوا ما جاء فى مقدمته وتاريخه تأييدا لقولهم واستشهادا لروايتهم ، فكان ما قالوا هو فى غالب الاحيان ما قاله ابن خلدون قبلهم عن البربر عامة وعن زناتة خاصة مع شيء من التفصيل والتعليق فى بعض الاحيان .

يستخلص مما جاء فى مقدمة ابن خلدون وتاريخه ان البربر كلهم يرجعون فى نسبهم الى فرعين رئيسيين تفرعت عنهما شعب وبطون كثيرة : فرع البرانس ، وفرع مادغيش او البتر . الى الفرع الاول تنتسب قبائل صنهاجة وكتامة ومصمودة ولمتنة وغيرها من القبائل التي سكنت ما يسمى اليوم بالمغرب العربي وتقاسمت اطرافه فى موطننا ، كما لعبت دورا اساسيا فى تاريخه السياسي وحياته الاجتماعية . اما قبائل مدغيش والبتر فتتمثل على الخصوص فى قبائل زناتة المتفرعة الى مغراوة وبني يفرن وبني مرين وبني عبد الواد وغيرها . هذا هو التقسيم الاول الذي اعطاه ابن خلدون للبربر او بعبارة اخرى سكان افريقيا الشمالية فى عهده اي فى القرن الرابع عشر (م) وهو تقسيم ازدواجي مقصود عند ابن خلدون مبني على طرفي نقيض كما جاء فى تاريخه . ذلك ان جميع القبائل البتر اي قبائل زناتة تتعارض مع البرانس فى المسكن وفى اسلوب العيش وفى كثير من العادات والسلوك . بل عرف الفرعان الكبيران بكثير من التنافر والتناحر ، والعداوة المكينة مدى العصور وعبر المجتمعات التي وجدا فيها جنبا الى جنب ، عرفت القبائل الاولى في معظمها بنوع من حياة الاستقرار والتشبث بالمسكن وتعاطي الفلاحة والاهتمام ببناء الدور ، بينما اشتهرت قبائل الفرع الثاني بحياتها البدوية والقائمة على التنقل والترحل الدوري من مكان الى آخر ، بحثا عن الرزق وسعيا وراء ايجاد كلأ للماشية اينما وجد الخصب وحيثما ظهرت المراعي والمياه ، مهما كانت الظروف ولو « ادى الامر الى التسلط على الغير والسطو على ممتلكاته ومزروعاته » . وبذلك قوى الصراع واشتدت العداوة والبغضاء بين الطرفين المتصارعين اللذين ظل كل منهما يكيد للآخر ويتربص به عساه يقضي عليه نهائيا ولو ادى الامر الى التحالف مع عدو مؤقت او مع اجنبي كما حدث لقبائل زناتة عند ما تحالفت مع بني امية فى الاندلس .

والذي يهمنا هنا فى نظرية ابن خلدون أن قبائل بني مرين قبائل بربرية ترجع فى نسبها الى قبائل زناتة المشهورة ، وانها بانتمائها الى هذه القبائل تشكل عنصرا من العناصر التي ناصبت العداء الدائم لقبائل مصمودة وصنهاجة وغيرها من فروع البرانس ، ويؤكد ابن خلدون بربرية هذين العنصرين من سكان المغرب فى عهده بتقسيم آخر جعل فيه البربر ثلاثة اقسام رئيسية : صنهاجة ، زناتة ، مصمودة ، اي القبائل التي لعبت فى المغرب دورا رئيسيا فى حياته السياسية والاجتماعية الا اننا نراه ، وهذا مهم بالنسبة لموضوعنا ، يخص

# البيئة المغربية

## ومظاهرها الثقافية في عصر بني مرين

للأستاذ محمد بن شقرون

تمهيـــد :

**بنو مرين ، أصلهم ، الخلاف فى نشاتهم**

يلعب الفرد فى المجتمع دورا قد يكون ايجابيا كما قد يكون سلبيا ، نظرا للعلاقات التـي تربط بينهمـا ، والتفاعل المستمر الذي يطبع وجودهمـا فى الزمـان والمكان . ذلك ان هذا التفاعـل وهذا الارتباط هما الظاهرتان المميزتان للتطور الناشيء عنهمـا والمتجـدد حسب قوة وضعف كل منهما ؛ ونتيجة لذلك ، قـد تكون الغلبة للبيئة المادية والاجتماعية التي تتحكم في الفرد الى درجة بمعينة تجعل منه عنصرا منفعلا متلقيا عاداته وسلوكه منها ؛ بمعنى ان كل ما يصدر عنـه من سلوك نفسي واجتماعـي آت من التيـار الاجتماعـي الناشيء عن الاطار الذي يعيش فيه ، كما قـد تكـون الغلبة للفرد بحيث يتحـرر من القيـود ومن الضغـط الاجتماعي ليقوم بدور فعال خلاق يطبع البيئة بطابـع خاص ويجعلها تسير وفقا لارادته ، خاضعة لسلوكه ، فتتحول تحولا وتنقلب انقلابا فتتغير نظمها وتطـور أحوالها كل ذلك ما كان ليحدث لولا فرد من افرادهـا والدور الخطير الذي قام به من اجل تطورها .

وهكذا يستمر الصراع بين البيئة والفرد الى ان يحدث التكيف ويقع الانسجام والتـوازن الضـروري لقيام المجتمعات البشريـة ؛ واذا كان بعض المؤرخيـن لا يولون لهذه الظاهرة الاجتماعية اهتماما خاصـا ولا يقيمون وزنا لنتائجها ( غايتهم فى ذلك سـرد الحوادث وتاريخها ) ، فان من الضروري لكل باحث الاستنـاد اليها ، والعمل على كشف نتائجها فى تفسير الاحداث وتحليل الوقائع التي على ضوئها يمكن ان تفسر الاوضاع تفسيرا علميا ، بعيدا عن تأثير العاطفة وتحكم العادات وسيطرة الحالات النفسية والدهنية ، سواء فى الوصف او المشاهدة او التعليل .

لذلك اصبـح من الضـروري ، فى مثـل هـذه الدراسات ، التعرف على الفرد الذي يلعب دور العنصر المحرك فى البيئة المراد دراستها حتى لا نفاجأ بالتاثير الذي يحدثه فى هذه البيئة وبالاتجاهات التي تنتج عن سلوكه فيها كفرد له نفوذ وسلطة .

وهكذا يتطلب البحث الرجوع الى الفرد نفسه ، قبل الانطلاق فى الطريق لمعرفة ماهيته ، ماضيه وحاضره، طبيعته ونوع ثقافته والروابط التي تربطه بالبيئة التي دخلها كي يعيش فيها او يحكمها او يسوسها كما هـو الشأن بالنسبة لموضوعنا . كل ذلك ضروري ومفيـد لمعرفة مدى قوته وضعفه ومدى تكامله او تناقصه مع المجتمع الذي يتطلـع الى تسييـره . فالنتائج التـي يسجلها فى الميادين الاجتماعية والاقتصادية مرتبطـة به اشد الارتباط وخاضعة حتميا والى درجـة كبيـرة لشخصيته وسلوكه . كم مجتمع تغيرت احواله وتطورت انظمته نتيجة سلطة قوية حازمة حكيمة اخذت بزمام امره ، فقادته نحو الرقي والازدهار ، وكم مجتمع اصابه التخلف والانحطاط وحلت به مصائب كادت تقضي على كيانه نظرا لضعف الشخصية التي استبـدت بأمـره وتحكمت فى مصيره .

ميادين مختلفة فى حياة الاسرة او فى مرافق اخرى تكتسي طابعا حيويا ، نجدها مستعملة عند العرب وعند البربر بنفس المعنى .

ويجدر بنا ان نشير هنا فى هذه المناسبة الى البحث القيم الذي نشر فى مجلة اللسان العربي للاستاذ المختار السوسي رحمه الله حول تأثير العربية فى الشلحية (1) ، فالاستاذ المختار ، كما يدل عليه نسبه ، هو من اهل سوس ، قبائل بربرية تسكن منطقة من المناطق المغربية النائية ، اديب مغربي مشهور وفقيه لغوي كرس حياته على دراسة وتدريس اللغة العربية كما اهتم خصوصا بتاريخ اقليم سوس وعلمائه وادبائه ومشاهير رجاله ، ولقد ابرز فى هذا البحث وجوه الشبه بين اللغة العربية والشلحية وسرد اسماء كثيرة وعبارات متعددة تحدث عن اصلها وتطورها وما لحقها من تحريف ثم ارجعها الى مصدرها الاصلي وهو اللغة العربية ، ومما يزيد البحث قيمة ان الاستاذ المذكور خرج بنتيجة اخرى وهي ان الشلحية فى سوس وغيرها من قبائل البربر تستعمل كلمات قديمة سبقت الفتح الاسلامي ، الشيء الذي يثبت فى نظره مصدرا واحدا لها وهو اللغة العربية ، كما يثبت وجوه العرب قبل الفتح الاسلامي بقرون .

ويستدل كذلك على عروبة البربر ان لفظة «بربر» التي اطلقت على هذا العنصر من السكان المغاربة لا يقصد بها العرق وانما اطلقت كوصف تطور مفهومه مع الاحداث، ذلك ان «بربر» فى الاصل كلمة يونانية ، حسب كثير من المصادر تعني كل من كان يتكلم بغير لغة اليونان ثم اصبحت تعني عند الرومان جميع الشعوب التي كانت دون حضارتهم ، بل كانوا يعنون بها الشعوب البدائية التي لا حظ لها « من الحضارة » اما العرب فقد استعملوا كلمة (بربر) بمعنى اختلاط الاصوات واضطراب الالفاظ او غموض مفهومها فالكلمة معناها اذن تحريف واختلاف فى الكلام والتباس فيه بل عدم مطابقته لكلام العرب .

وينسب بعض المؤرخين افريقش قوله لما سمع العرب يتكلمون بافريقيا وما اكثر بربرتهم ثم قوله في شعر « بربرت كنعان لما سقتها — من بلاد الضنك الخطير » وهكذا يتضح ان المسألة فى « بربر » مسألة لغوية لا صلة لها بالعرق او بالجنس ذلك ان البربر هم عناصر من السكان يتحدثون بلهجة خاصة تختلف في قليل او كثير عن لغة العرب . فالبربر اذن ، حسب ما اوردناه ، يمكن ان يكون عربيا تبربر او ان صح التعبير « متبربر » تعرب لكن عربيته أصيبت بتحريفات وتغييرات سطحية او جذرية ، بحكم البيئة او عوامل اجتماعية معينة .

ثم هناك ظاهرة اخرى يستشهد بها انصار عروبة البربر ، وهي دخول العرب من اليمن الى المغرب على يد افريقش ، ثم دخول الكنعانيين بعدهم يوم فتحوا المغرب قبل الاسلام ، بل قبل الميلاد ؛ وقد كان للفنيقيين فى المغرب اثر كبير فى سكانه ، كما اكده كثير من المؤرخين العرب وغير العرب بينما لم يترك الرومان فى هذا البلد اثرا يذكر .

والسر فى ذلك راجع الى ان الفنيقيين ، كما اثبتت الحفريات ، كانوا يتحدثون بلغة عربية فى جوهرها ، بل قريبة من اللغة العامية المنتشرة فى افريقيا الشمالية .

فاذا كان سكان المغرب لم يأخذوا شيئا عن الحضارة الرومانية ، رغم سيطرتها وتفوقها ، فهم قد اخذوا عن حضارة الفنيقيين الشيء الكثير وانسجموا معهم فى كثير من الظواهر ، لا سيما اللغة ، وما هذا الانسجام وهذا التفاعل بين العنصرين فى نظر الكثير ، الا دليل على تقارب المنبعين ووحدة الارومتين .

واذا صحت هذه النظرية ، فبنو مرين كسائر القبائل الاخرى عرب رغم تحدثهم بلهجة خاصة ورغم وجودهم بمناطق المغرب العربي قبل الفتح الاسلامي ؛ بل هناك من المؤرخين من خصهم بهذه الصفة دون غيرهم ، واكد عروبتهم من بين البربر ، وابن خلدون نفسه ، كما سبق ان اشرنا الى ذلك ، لاحظ فى عصره ان قبائل زناتة بصفة عامة تشترك مع العرب فى كثير من الصفات والاخلاق واساليب العيش ، لا سيما اهل البدو منهم على ان ابن الاحمر (2) صاحب روضة النسرين وهو من معاصري الدولة المرينية ومؤرخيها اكد في روضته ان زناتة كلها عربية الاصل ، من مضر «يجتمع نسبهم بنسب رسول الله (صلعم) ذاته ، وهم من ابي بر ابن قيس ابن غلان ابن مضر ابن نزار ابن معد ابن عدنان ، وبر بن قيس بن غلان جد زناتة عربي ليس بربريا ، سكن مع اخواله من البربر ، وكانوا يسكنون

---

1 ) بحث للاستاذ السوسي بمجلة اللسان العربي تحت عنوان « تأثير العربية فى اللغة الشلحية » سنة 1965 عدد 2 صفحة 32 .

2) ستاتي ترجمته فى الفصل المقبل الخاص بمشاهير ادباء هذا العصر المريني .

قبائل زناتة بعناية كبيرة ويدرسها في تاريخه دراسة طويلة مركزة ، الشيء الذي لم تحظ به القبائل الاخرى التي تندرج تحت لواء البرانس ، لماذا اذن هذه الاهمية وهذه العناية الخاصة ؟ .. هل كان ذلك لغاية مادية او سياسية يرمي اليها من تاريخه الطويل ؟ كما اكده كوتي في تاريخه ( ماضي افريقية ) (1) نظرا لكون الدولة القائمة في عصره هي دولة بني مرين وهي من زناتة ؟ نحن نعلم ان ابن خلدون كان كثير المطامع والشهوات ، ميالا الى العز والجاه داهية في خلق الاسباب للتقرب من ذوي النفوذ عارفا بخبايا الاحداث وبدفائن الامور متحينا الفرص ، متقلبا في سلوكه لنيل مراده وتحقيق اهدافه الكبرى والبعيدة ، كل ذلك نعلمه منه

تلك هي ، باجمال نظرية ابن خلدون في اصل البربر بصفة عامة وقبائل زناتة بصفة خاصة ، وهي نظرية تتصف بكثير من الشمول والدقة والايضاح ووفرة المعلومات رغم ما يبدو فيها من تناقض وتطرف في القول ، ولقد كانت الصراحة التي ابداها ابن خلدون في هذا الموضوع سببا لكثير من الانتقادات التي وجهت اليه والحملات التي قامت ضده لا سيما من طرف بعض المحدثين الذين نعتوه بأوصاف جارحة ، واتهموه بتهمة التفرقة بين العرب والبربر تلك التفرقة التي اعتمد عليها في نهاية القرن المنصرم وفي بداية هذا القرن ، كثير ممن مهدوا الطريق للاستعمار وايدوا خطته في التفريق بين عناصر السكان للقضاء على القومية وردود الفعل الوطنية ، فابن خلدون في نظر هؤلاء هو الذي اوحى بهذه الفكرة للمستعمرين وهو الذي زودهم بسلاح حاد استعملوه للقضاء على وحدة الشعوب المستعمرة ؟ .

الا ان ابن خلدون ، رغم هذا التقسيم لعنصر من سكان المغرب الذي اطلق عليه اسم بربر اورد في مقدمته استنادا الى ابن حزم ان افريقش ، وهو حميري من التبابعة ، انتقل الى ارض المغرب بقبائل عربية كثيرة ، استوطنته واستقرت منذ عصور سحيقة ، ثم زاد واكد في تاريخه ان قبائل صنهاجة وكتامة من القبائل العربية التي صحبت افريقش هذا من اليمن الى المغرب . وبذلك يلتبس الامر على الباحث في هذا الميدان ، في نظرية ابن خلدون في اصل البربر ، هل هم عرب نزحوا من الشرق الى الغرب فمكثوا الى ان جاء الفتح الاسلامي العربي ام هم عنصر قائم بذاته ، له خصائصه ومميزاته التي يتميز بها عن العنصر العربي الفاتح ؟ فابن خلدون رغم محاولاته الجريئة ومعلوماته الواسعة عن البربر وتاريخهم واماكن استقرارهم في اطراف المغرب لم يذهب بعيدا في هذا الجانب الذي ظل الى اليوم مستعصيا على كثير من العلماء ، ولم يقرر بصفة علمية ان البربر يشكلون عنصرا من حيث العرق او هم عناصر يختلفون عن العرب من الناحية اللغوية فقط . بل ظل يتحدث عن البربر كعنصر قوي في البلاد ، له عاداته وتقاليده ، ويختلف عن العنصر العربي في كثير من السمات والصفات .

## عروبة بني مرين

ترجع عروبة بني مرين الى النظرية القائلة بعروبة البربر عموما ، وهي نظرية كثير من المؤرخين العرب ولا سيما المحدثين منهم وغير العرب الذين كتبوا في هذا الموضوع ، اما الاسس التي تنبني عليها هذه النظرية فهي :

1 ) اللغة .

2 ) لفظة بربر لا تعني وجود عرف او سلالة .

3 ) دخول الكنعانيين الى المغرب قبل الفتح الاسلامي ودخول العرب من اليمن الى افريقيا على يد افريقش .

4 ) سهولة اسلام البربر وتعريبهم بصفة سريعة .

5 ) تاثرهم بالحضارة الفنيقية تأثرا عميقا وعدم تأثرهم بالحضارة الرومانية المسيحية .

تعتبر اللغة من المقومات الرئيسية لقومية ما ، فكثيرا ما اعتمد عليها المؤرخون كمقياس يعرف به مدى تشبث شعب بقوميته ومدى انسلاخه عن هذه القومية واندماجه في قومية اخرى تغلبت عليه بالقوة او بالتأثير الحضاري العالي التي تتوفر عليه هذه الحضارة الغالية ، وهذه حقيقة اجتماعية اثبتها التاريخ حيث راينا شعوبا كانت تتوفر على لغة قديمة فقدتها او كادت بفعل التاثير الاجنبي المقصود او غير المقصود ، اما البربر فكانوا يتحدثون بلهجة بل بلهجات مختلفة تميزت عن لغة العرب ، الا ان هذه اللهجات كلها رغم اختلافها ورغم خصائصها حوت كثيرا من الالفاظ العربية كما اشتملت على كثير من ادوات النحو والمخارج الحروفية التي نجدها في اللغة العربية ، وهكذا نجد اسماء كثيرة في

1) ماضي افريقية ص 49 .

بني هلال وبني سليم ) ان بني مرين كانوا اكثر من غيرهم انسجاما مع هؤلاء البدو . لقد تحالفوا معهم وقربوهم اليهم وكلفوهم بمناصب خطيرة فى الجيش وفى ميادين مختلفة . ولقد سبق لزناتة ان تحالفت مع قبائل اخرى عربية رغم كونها اجنبية على البلاد . وما تلك القبائل الا بنو امية الذين وجدوا فى هذه القبائل خير حليف وخير مناصر فى سياستهم ضد الفاطميين المتولين على المغرب ، ثم هناك ظاهرة اخرى بالنسبة لموضوعنا وهي ان بني مرين اتخذوا اللغة العربية لغة رسمية للبلاد فى مختلف الميادين خلافا لما كان عليه الامر فى زمن عبد المومن حيث ، كما يذكر التاريخ كانت تسود الدولة ازدواجية فى اللغة : لهجة بربرية ولغة عربية . وذلك ما لاحظه الاستاذ عبد الله كنون[1] عندما قال : « فالواقع ان بني مرين كانوا يعملون للنهضة التجدد فى دائرة العروبة ، لا يخرجون عنها اصلا ، فخدموا العربية خدمة صادقة ، كفى اننا لم نعد نسمع بعد توليتهم الحكم بشيء من التمييز الذي كان للبربر فى دولة بني مومن بل كان هذا آخر العهد بحيلة التفرقة والعنصرية » ، والواقع ان الاستعراب انتشر فى البلاد ( زمن بني مرين ) انتشارا لم يسبق له مثيل حسب ما راينا فى التاريخ ، ذلك ان قبائل معروفة ببربريتها وبعدها عن المناطق التي يسكن فيها العرب بكثرة ، استعربت نهائيا حتى اصبح يشك فى اصلها وفى نسبها ؛ ونتيجة لذلك ايضا انتشر الشعر العامي فى البلاد وكثر متعاطوه ومتذوقوه لشدة تأثيرهم باللغة العربية وتعودهم على كثير من كلماتها وعباراتها المتداولة .

افليس هذا بكاف للدلالة على ما ذهبنا اليه ، وعلى الموقف الذي وقفناه من بني مرين ، واذا كنا فى نظر البعض ، قد اطلنا الكلام فى هذه الناحية فما ذلك الا اننا نرى كما اسلفنا ان التعريف بالفرد فى المجتمع لاسيما بفرد يلعب دورا رئيسيا فى تغيير البيئة وتطورها امر ضروري من الناحية الاجتماعية لمعرفة نوع النتائج التي تركها او من الممكن ان يتركها . فبنو مرين بصفتهم العربية وبصفاتهم البدوية وباخلاقهم وعاداتهم وحالاتهم النفسية اثروا بكل ذلك فى المجتمع المغربي . افلا يتأثر الادب بهذه العوامل كلها ؟ .

يتبع

**الرباط : محمد بن شقرون**

---

1 ) عبد الله كنون « النبوغ المغربي فى الادب العربي » ( بيروت : مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ، الطبعة الثانية 1961 ) ج 1 ص 183 .

بأرض فلسطين وما ولاها من بلاد الشام ومصر، ويجاورون العرب فى المساكن والمراعي ؛ وتزوج بر بن قيس فولدت له زوجته مادغيش وعلوان ، فاما علوان ، فمات وهو صغير السن ، واما مدغيش فكان يلقب بالابتر وهو ابو البتر من زناتة » .

هذا هو قول اسماعيل بن الاحمر فى عروبة زناتة اي عروبة بني مرين ، وهو قول كما نرى يعتمد على مجرد رواية ولا يستند الى حجج مقبولة ، فمن الممكن ان يكون ابن الاحمر ، قال هذا من قبل المدح لرؤساء الدولة الحاكمة لما عرف عنه من تحبب وتودد ورمى خصومهم بني عبد الواد بأقبح الصفات وابشع النعوت وهو معروف بذلك التحيز السافر ويعترف به صراحة فى كتابه ( روضة النسرين ) حيث خصص القسم الثاني منه لنشر مثالب ونقائص بني عبد الواد . ونفس الموقف يلاحظ عندعبدالعزيزالملزوزي منارجوزته ( نظم السلوك ) حيث وقف من بني مرين نفس الموقف الذي وقفه نحوهم ابن الاحمر ، لقد نسبهم هو الاخر الى العروبة وتأسف على التحريف الذي اصيب به كلامهم من ذلك قوله :

فجاورت زناتة البرابرا
فصيروا كلامهم كما ترى

ما بدل الدهر سوى اقوالهم
ولم يبدل منتهى احوالهم

بل فعلهم اربى على فعل العرب
في الحال والاشعار ثم في الادب

فانظر كلام العرب قد تبدلا
وحالهم من حاله تحولا

كذاك كانت قبلهم مرين
كلامهم كالدر اذ تبين

اتخذوا سواهم خليلا
فبدلوا كلامهم تبديلا

وليس من البعيد كذلك ان يكون الملزوزي متأثرا فى كلامه هذا كاسماعيل بن الاحمر بقوة ونفوذ رؤسائه بني مرين اذا كان احد السفراء الملازمين لهم،والانتساب الى العروبة اصبح بعد الفتح الاسلامي مفخرة للمستعربين ، وعزة للذين اقبلوا على الاسلام نظرا لكون اللغة العربية هي لغة القرآن ولغة الحديث ، ولكون العرب هم الذين قاموا بالفتوحات الاسلامية ونشر الاسلام اينما حلوا ؛ فلا غرابة بعد ، ان يصبح الانتساب اليهم والاندماج فيهم وحمل رايتهم موضوعا من مواضيع الفخر ومعنى من معاني المدح والثناء . والتاريخ يحدثنا فى هذا الموضوع عن كثير من الشخصيات المغربية التي بعد اندماجها فى دائرة العروبة والاسلام ، اصبحت تتنكر لاصلها وتبحث لها عن اصل عربي صحيح ، ولا غرابة ان يكون ما قاله اسماعيل ابن الاحمر وعبد العزيز الملزوزي من هذا القبيل .

ذلك ما قيل عن البربر عامة وعن بني مرين خاصة، وسواء صحت تلك النظريات ام لم تصح ، فالواقع المغربي ، اي المجال الذي كان مسرحا لانفعالات بني مرين وعواطفهم وافكارهم واعمالهم ، هذا الواقع الذي شاركوا فى صنعه ، وبذلوا فيه قصارى جهودهم ، جعلنا نميل فى غير تأكيد الى عروبتهم او على الاقل نصرح بالصبغة العربية الشديدة التياكتسبوها فيالبيئة المغربية وفى الزمن الذي سيطروا فيه عليها .

واذا كان ما قاله ابن خلدون عنهم فى اشتراكهم مع العرب فى كثير من الصفات كالتنقل وركوب الابل والعيش تحت الخيمة ، اذا كان ذلك لا يكفي لتأكيد عروبتهم ، فان لنا فى سلوكهم مظاهر اخرى لا تخلو من ايجابية فى هذا المضمار ، فلقد اجمع كثير من المؤرخين الذين كتبوا ووصفوا حياتهم ، ان بني مرين اكثر القبائل واسرعها اندماجا فى العرب واقواها استعدادا للتكيف والانسجام معهم فى حياتهم اليومية وفى مواقفهم الاجتماعية المختلفة اكد هذه الحقيقة كثير من المؤرخين الذين اهتموا بهذه الناحيةَ ، ذلك ما جعل كوتي (1) يتساءل فى استغراب عما بقى من قبائل زناتة ويبحث عنها فى مختلف مواطنها التي عرفت فيها من قبل ، فلا يكاد يجد لها اثرا ، يقول : اندثرت بعد ما كانت قوية وانمحت اعقابها وكأنها لم توجد بهذه المناطق الصحراوية والتراب من افريقيا ومن قلب المغرب الاوسط الذي كان مقرا لها ، والسبب فىذلك ، كما يقول كوتي : « انها ذابت وفنيت فى قبائل عربية مختلفة » ، وقد لاحظنا بالفعل ونحن نتتبع تطور القبائل البدوية فى المغرب

1 ) ماضي افريقيا ج 2 ص 98 .

فيها بالضبط أصله وفصله ، وتاريخ مكان ولادتـــه ، وتاريخ وفاته ، ومكانها وسببها ، وموقع مدفنه ، كمـا يسجل لنا بدقة تواريخ تنقلاته بين المغرب والاندلس، كطالب أولا ، ثم كقاض بعد ذلك ، مع ذكر شيوخـــه واخذ عنهم واجازوه ، والعلماء الكبار فى الشرق العربي واساتذته بالمغرب والاندلس . والعلماء الذين لقيهـم الذين بعثوا اليه باجازاتهم ، وان لم يلقهم ولم يأخـــذ عنهم ، لمـا بلغهم من سعة اطلاعه وعلمه واتقانه وخلقه وفضلـــه ؛

وينبغي ان نفتح هنا قوسين ، لنقـول ونحـــن نتحدث عن تنقـــلات القاضـي عيـــاض بين المغرب والاندلس ، طالبا اولا ثم قاضيا بعد ذلك : ان القطرين كانا على عهده ، يشكلان دولة واحـــدة ، تحت حكـــم المرابطين الذين آزرهم القاضي عياض من كل قلبه . ثم تحت حكم الموحدين الذن عارضهم من كل قلبـــه ايضا ، بل تعدى ذلك الى تزعم الحـرب ضدهم فـــي سبتة ، وتأليب الناس عليهم ، بل الى التحالف ضدهم مع أعدائهم الالداء الاشداء ، بني غانية ؛

* * *

ونعود بعد هذا الى كل المصادر التي كتبت عـــن القاضي عياض ، فلا نكاد نجد فيها شيئا يخرج عمـا ذكره ابنه محمد فى كتابه فى التعريف بولـــده ، حتـــى موسوعة المقري « ازهـــار الرياض فى اخبار القاضـــي عيـــاض » لانكاد نجد فيها شيئا فيما يخص القاضـــي عياضا نفسه ، الا صفحات قليلة متناثـــرة هنا وهناك، فى الجزء الاول والثالث على الخصوص ، وهي لا تكـــاد تخرج فى محتواها عما عرفناه من كتاب محمد ، ابـــن القاضي عياض .

ومعلوم أن هذا الكتاب « ازهار الرياض » يقـــع فى اربعة اجزاء ، كان معهد مولاي الحسن بتطوان قـــد طبع منها ثلاثة اجزاء بعد تحقيقها وكتابة تعاليق عليها، ولم يتيسر طبع الجزء الرابع منها حتى الآن ، وقـــد علمت اخيرا أن المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط ينوي طبعه بعد ان كلف من يقوم بتحقيقه والتعليـــق عليه ، وربما اعيد عند طبعه طبع الاجـــزاء الثلاثـــة الاخرى ، التي اصبحت اليوم فى حكم الكتب النادرة ، وهو عمل عظيم ، يباركه جميع المثقفيـــن ، وجميـــع المعنيين بالدراسات المغربية الاندلسية . ونغتنم هـــذه الفرصة فنعلن عن رجائنا لهذا العمل الجليل ان يكلـــل بكامل التوفيق والنجـــاح .

نعـــم ، اننا لا نكاد نجد فى « ازهـــار الرياض » شيئا عن القاضي عياض يخرج عما ذكـره ولده فـــي التعريف به ، اما الذي ضخم الكتاب الى هذا الحـــد ، فهو أن صاحبه قد جعل منه موسوعة ادبية تاريخيـــة اندلسية ، كما اشرنا الى ذلك من قبل ، وكما يقول عنه المستشرق الاسباني فالنسيا ، فى كتابه « تاريخ الفكر الاندلسي » الذي نقلـــه الى العربية الاستاذ حسين مؤنس ؛

والواقع ان المقري انما اتخذ هنا من اسم القاضي عياض مدارا يدور حوله ، كما فعل باسم ابن الخطيب فى موسوعته الاخرى « نفح الطيب »

اما غاية المقري الحقيقيـــة ، فقد كانت هي ان يستقطب كل شيء عن الاندلس ، وان يجمعه فى كتاب واحد او كتابين ، وقد حقق بالفعل ما كان يستهدفه فى كتابيه « نفح الطيب » و « ازهـــار الرياض »

* * *

وبعـــد ، فماذا عن القاضي عياض نفسه ، بعد أن تحدثنا عن مراجع حياته وترجمته ، وهو حـديث لا اعتبره مقدمـــة ، وانما اعتبـــره شيئا مـــن صلب الموضوع ، لان المهم بالنسبة للباحث انما هو المراجـــع نفسها ، فاذا وجدها فقد وجد ضالته ، وقد لا يكـــون من الصعب عليه بعد ذلك ان يستخرج منها ما يريـــد. او ما يمكن لها ان تجود به ، لان المصادر نكون فى بعض الاحيان شحيحة ضنينة مخيبة للظن ؛

ولـــد القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي بمدينة سبتة . فى النصف من شعبان سنة 476 ، ذكر ابنه محمد انه وجد ذلك بخط والـــده ، وذكر ابن بشكوال فى الصلـــة ان القاضي عياضا كتب لـــه بذلـــك .

فاذا تذكرنا أن يوسف بن تاشفين قد استقـــل بأمر المرابطين سنة 453 وان وفاته كانت سنـــة 500 فمعنى ذلك فيما نحن بصدده ، ان القاضي عياضا ولد فى عنفوان دولة المرابطين ، ونشأ فى اكثر ايامهم ازدهارا واحفلها بالمجد والتوسع والسلطان ؛

فعندما ولد عياض ، كان قد مر على استقـــلال يوسف بن تاشفين بأمر المرابطين ثلاث وعشرون سنة، وعندما توفى يوسف بن تاشفين ، كان عياض يبلغ من العمر اربعا وعشرين سنة ؛

# القاضي عياض

## للاستاذ عبد القادر الصحراوي

قد يبدو للناظر لاول وهلة ان مجال القول سيكون متسعا فيما يتعلق بترجمة حياة القاضي عياض وذكر اخباره وتفصيل احواله ، خصوصا وان المصادر التي تحدثت عنه كثيرة متنوعة ، ما بين كتب تاريخ كالقرطاس لابن ابى زرع ، والاستقصا للناصري، والعبر لابن خلدون ، وغيرها وغيرها . وكتب تراجم ، كقلائد العقيان للفتح بن خاقان ، والمعجم لابن الابار ، والصلة لابن بشكوال ، وجذوة الاقتباس لابن القاضي، وسلوة الانفاس لمحمد بن جعفر الكتاني ، ووفيات الاعيان لابن خلكان ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ، والديباج المذهب لابن فرحون ، ، وغير ذلك وغير ذلك .

وخصوصا ايضا وان بين ايدينا موسوعة ادبية وتاريخية عظيمة ، قرن مؤلفها اسمها باسم القاضي عياض ، تلك هي : ( ازهار الرياض فى اخبار القاضي عياض ) لاحمد المقري ؛

وخصوصا ايضا — للمرة الثالثة — وانه قد اتيح للقاضي عياض فى هذا المجال ، ما لم يتح الا نادرا جدا لغيره من العلماء والادباء والكتاب . فقد كتب تاريخه اقرب الناس اليه ، والصقهم به ، واكثرهم معرفة باخباره واحواله . ذلك هو ابنه محمد ، الذي خلف لنا كتابا فى التعريف بوالده صغير الحجم عظيم الفائدة.

نعم قد يبدو لاول وهلة ، أن مجال القول سيكون متسعا فيما يتعلق بترجمة القاضي عياض وذكر اخباره ، وتفصيل احواله ، ولكن الواقع على العكس من ذلك ، وليس ذلك فيما يبدو ناتجا عن تقصير من طرف الذين ترجموا له ، او تحدثوا عنه . وانما هو ناتج عن شيء آخر . هو ان حياة القاضي عياض نفسها ، لم تكن زاخرة بالاحداث ، بل لعله لم يكن فيها الا حدث واحد غير عادي ، يتعلق بالموقف السياسي الذي اتخذه فى اخريات حياته ضد الموحدين، عند قيام دولتهم ، والذي كان سببا فى نقله من سبتة الى مراكش ، حيث لم يلبث الا مدة يسيرة ثم توفى الى رحمة الله .

اما فيما عدا ذلك ، فقد كانت حياة القاضي عياض ، حياة عادية هادئة مستقرة ناجحة . ولعل ذلك كان من الاسباب التي ساعدته على ان يؤلف كل هذه الكتب التي خلفها ، والتي طبع منها حتى الآن ما طبع ، ولا يزال البعض منها مخطوطا ينتظر دوره ، والبعض الآخر نسمع به ونقرأ عنه فى المراجع . ولكننا حتى الآن لا نجد السبيل اليه .

* * *

على اننا اذا لم نجد متسعا من القول فيما يتعلق بترجمة القاضي عياض وذكر اخباره وتفصيل احواله ، فان لنا عزاء عن ذلك ، فى كون ما كتب عن حياته فى كتب التاريخ والتراجم ، يكتسي صبغة الضبط ، فلا نجد خلافا فى نسبه ولا فى تاريخ ولادته او وفاته او اخباره والاحداث التي تعاقبت عليه او غير ذلك ، كما اعتدنا بالنسبة لغيره من العلماء والادباء والكتاب ؛

ولعل الفضل الاول فى ذلك ، يرجع لابنه محمد ، الذي خلف لنا ترجمة لوالده محددة المعالم ، يذكر لنا

مع اعدائهم بني غانية ؛ ويكون ذلك سببا في نقله بعد انهزام حلفائه في المغرب ، وبعد العفو عنه ، الى مدينة مراكش ، التي يصل اليها يوم الخميس 25 جمادى الثانية سنة 543 ، ثم يفارق الحياة بعد ذلك بسنة واحدة ؛ ويمضي الى رحمة ربه الواسعة وعفوه الشامل سنة 544 .

* * *

وهكذا يبدو لنا ان الحدث الوحيد الغير العادي في حياة القاضي عياض كان هو الموقف السياسي الذي اتخذه من الموحدين ، وما ترتب عليه من نقله الى مراكش ؛

كما يبدو لنا من جهة اخرى انه عاش فيما عدا ذلك حياة عادية مستقرة هادئة ، اتاحت له ان يطلب العلم في ظروف مواتية مثالية ، وان يقضي فترة مهمة من عمره ، تقدر بنحو ثلاثين سنة ، منذ رجوعه من الاندلس ، الى ان خاض مغامرته السياسية ضد الموحدين في اخريات حياته ، في ظروف مواتية مثالية ايضا ، اتاحت له ان يكسب الشهرة والجاه العريض. وان يصبح الرجل الاول في مسقط راسه سبتة ، وان يجد الوقت لكتابة مؤلفاته الكثيرة التي بلغت اثنين وثلاثين كتابا ، يقع بعضها في مجلدات متعددة ، ذكرها جميع الذين ترجموا له وان لم يستقصها واحد منهم ، وذكرها جميعا الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي ، في مقدمته للجزء الاول من كتاب ترتيب المدارك .

* * *

فما هي حقيقة الموق الذي اتخذه القاضي عياض من الموحدين ؟

اما من حيث التاريخ فالامر سهل بسيط ؛

واما من حيث التعليل والتفسير ، فهنا تتضارب الاقوال ، ويتسع المجال للاجتهاد واعمال الراي ؛

* * *

ظهر المهدي بن تومرت مؤسس دولة الموحدين في ايام امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين — كما هو معلوم — وكان من شأنه ما كان الى ان لبى داعي ربه، بعد ان وضع نواة دولة جديدة ، مرشحة لان تخلف دولة المرابطين .

وتولى امر الموحدين بعد المهدي بن تومرت — كما هو معلوم ايضا — تلميذه ومريده ورفيقه في الكفاح عبد المومن بن علي ، وكانت مهمة عبد المؤمن أن يصفي دولة المرابطين ، وان يمهد المغرب والاندلس ، وبقية اقطار المغرب العربي التي كانت تابعة لدولة المرابطين، لسلطان دولته الجديدة الفنية ، دولة الموحدين ؛

ولم يكن من الممكن أن يتم هذا من غير حرب ، فخاض عبد المؤمن غمار حرب ضروس في جميع الجهات الى ان وصل الى سبتة ، فاستعصت عليه ودافعته ؛

يقول صاحب الاستقصا : « واستمر عبد المؤمن على حاله من منازلة سبتة فامتنعت عليه ، وتولى كبر دفاعه عنها القاضي ابو الفضل عياض بن موسى الشهير الذكر ، وكان رئيسها يومئذ بأبوته ومنصبه وعلمه ودينه »

ولا بأس أن نقف قليلا عند هذه الكلمة الدالة المعبرة ، وهي قول الناصري : « وتولى كبر دفاعه عنها »

انها تعني — فيما يظهر — انه تزعم مقاومة سبتة ضد الموحدين أو دعا اليها وحرض الناس عليها ، وكان يومئذ رئيس سبتة — كما يقول الناصري — بأبوته ومنصبه وعلمه ودينه ، أي أن جميع المزايا التي يمكن أن تؤهله للزعامة كانت متوفرة لديه ، فلقد توفرت له — الى جانب قوة شخصيته — الوجاهة الاجتماعية ، والمنصب الرسمي الممتاز ، والعلم الواسع ، كما كان شديد التمسك بالدين ، حريصا على اقامة حدوده ، لا يتساهل في ذلك مع أي انسان ، كما تشهد بذلك بعض احكامه التي اثرت عنه ، وكل ذلك خليق بأن يجمع الناس من حوله ، ويجعلهم يسلمون زمام الامور اليه خصوصا عندما تلم الملمات ، وتنزل النوازل؛

ولم يكن من الممكن بطبيعة الحال أن تصمد سبتة طويلا امام غزو الموحدين ، كما لم تصمد مدن اخرى ذات اهمية كبيرة كاس مثلا ، وهكذا غلبت سبتة على امرها ، واستسلمت ، وبايع سكانها عبد المومن بن علي، وكان فيمن بايعه القاضي عياض نفسه ؛

وكان عبد المومن اذ ذاك بمدينة سلا ، فتجشم القاضي عياض مشقة الرحلة اليه ، وبايعه ؛

وغض عبد المومن الطرف عما كان قد صدر من القاضي عياض ، بل انه استقبله بحفاوة ، واكرم مثواه ، واجزل اليه الصلة ، واعاده الى سبتة قاضيا عليها كما كان من قبل .

* * *

وقد كانت ايام حكم يوسف بن تاشفين بالمغرب ــ كما هو معلوم ــ وكذلك ايام ولده علي بن يوسف بن تاشفين ، ايام ازدهار واستقرار ورخاء وعدل ورفاهية، وتقدير كبير للعلم والعلماء ؛

كذلك كانت ايام يوسف بن تاشفين ، وأيام ولده علي من بعده . عهد تفتح على الضفة الاخرى للبحر الابيض المتوسط ، عهد تفتح على الاندلس ، بكل ما كانت نعج به اذ ذاك من حضارة وعلوم وآداب وفنون .

هذا هو العهد الذي ولد ونشأ فيه عياض بن موسى بن عياض ، فكان من الطبيعي ــ مع ما فطر عليه من ذكاء حاد ، وحافظة قوية ، واستعداد علمي نادر المثال ــ ان يجد الجو امامه ممهدا ليشبع نهمه الى العلم والمعرفة ، متنقلا فى سبيل ذلك بين المغرب والاندلس، وكان من الطبيعي ايضا ــ وهذا مهم جدا فيما نحن بصدده ــ ان يظل محتفظا لدولة المرابطين بأجمل العهود والذكريات ، وان يظل على ولائه لها وتعلقه بها حتى فى ايام ضعفها وانهزامها أمام دولة اخرى فتية ناشئة ، هي دولة الموحدين ، كما سنرى من بعد .

يضاف الى كل ذلك ان عياضا ولد فى بيت ميسور الحال ، موسع عليه فى الرزق ، وهو الى ذلك بيت علم ووجاهة ، ومن شأن كل ذلك ــ مع ما تقدم ــ ان يجعل الحياة امامه سهلة ميسورة هادئة ، وان يمهد السبيل امامه الى المستقبل العلمي الكبير الذي ينتظره .

وطلب عياض العلم كما يمكن لشخص فى مثل ذكائه واستعداده ، وفى مثل ظروفه وبيئته ، ان يطلبه، وتدرج فى ذلك حتى جلس الى الشيوخ الكبار . يأخذ عنهم الامهات فى اللغة العربية وآدابها ، والقراءات ، والتفسير ، والحديث ، واصول الفقه ، وعلم الكلام ، وما الى ذلك من فروع الثقافة والمعرفة التي كانت سائدة فى عصره .

وعرف له شيوخه فضله وحدة ذكائه وقوة تحصيله ، فأجازوه ؛

ورحل بعد ذلك الى الاندلس فى طلب العلم ، وكان خروجه من سبتة ــ كما يقول ابنه محمد ــ فى يوم الثلاثاء منتصف جمادى الاولى سنة 507 ، وكانت سنه اذ ذاك ــ كما هو واضح ــ نحوا من ثلاثين سنة ، فوصل قرطبة مستهل يوم الثلاثاء اول جمادى الآخرة، اي بعد خمسة عشر يوما من خروجه من سبتة .

ويستفاد من المراجع ، وخصوصا مما كتب الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي فى التعليق على رحلة القاضي عياض الى الاندلس فى طلب العلم ، ان عياضا لم يرحل الى الاندلس طلبا للعلم بالمعنى العادي المتعارف المعهود ، وانما رحل اليها عالما بقصد الى لقاء شيوخ العلم واعلامه للتعرف عليهم من جهة ، ويقصد من جهة أخرى الى التأكد من سلامة منهجه العلمي ، سواء فى الرواية او التفكير .

ولا غرابة فى ذلك ، فقد كانت سبتة التي ولد بها القاضي عياض ونشأ وتعلم الى أن بلغ مبلغ الرجال واكتمل ، مركزا علميا مهما ، وصلة وصل بين الشرق والغرب ، وملتقى العلماء والفقهاء والادباء والكتاب والمفكرين ، الذين يرحلون من المغرب الى الاندلس ، او من الاندلس الى المغرب ، مع العلم مرة اخرى بأن هذين القطرين كانا مع غيرهما من اقطار المغرب العربي يشكلان دولة واحدة ، تحت حكم المرابطين ، ثم تحت حكم الموحدين ، كما سبقت الاشارة الى ذلك .

وكون القاضي عياض رحل الى الاندلس عالما يقصد التأكد من سلامة مناهجه العلمية ، لا طالبا عاديا كسائر الطلاب ، يفسر لنا ما نلاحظه من أن مقام عياض بالاندلس لم يطل كثيرا كما تطول الرحلات في طلب العلم عادة ، وانما عاد منها الى المغرب بعد سنة واحدة فقط ، حيث وصل الى بلده سبتة ، ــ كما يقول ابنه محمد ــ ليلة السبت السابع من جمادى الآخرة سنة 508

* * *

وتمضي الحياة بعد ذلك بعياض سهلة هينة في هذه المرحلة الثانية من عمره كما مرت به سهلة هنية من قبل ، فيتصدى للمناظرة والفتيا والتدريس

ويلي القضاء بسبتة نفسها سنة 515 اي بعد رجوعه من رحلته الى الاندلس بسبع سنوات ؛

وبعد نحو من خمسة عشر سنة اخرى ينقل الى القضاء بقرطبة ؛

ثم يلي القضاء مرة ثانية بسبتة سنة 539 ؛

ويستمر على ذلك الى ان يكون من شانه ما يكون مع الموحدين عند قيام دولتهم ، وذلك فى أواخر عمره حيث يعارضهم ويتزعم الحرب ضدهم ، ويبايعهم بعد ذلك ، ثم يعود فينقض بيعته لهم ، ويتحالف ضدهم

الى عبد المومن ، واتى بها اشياخ المدينة وطلبتها تائبين، فعفا عنهم ، وعن القاضي عيـــاض ، وامره بسكنـــى مـــراكش . »

* * *

هذا ما قاله بعض المؤرخين فى الموضوع ، وان كان من الملاحظ ان بعض المؤرخين المغاربـة الذين عاصروا هذه الاحداث ، او كانوا قريبين منهـــا ، قد اضربوا صفحا عن ذكر القاضي عياض وقصته مع الموحدين ؛

فلم يذكر شيئا من ذلك عبد الواحد المراكشي فى كتابه « المعجب » مع ما هو معروف عنه من الحـــرص الشديد على ذكر اخبـــار العلمـــاء والادباء والاشادة بفضلهم وتفصيل احوالهم ورواية اشعارهم ونوادرهـــم واخبارهم ، بل والمفاخرة بهم ؛

ولم يرد شيء من ذلك فى السفر الثاني من كتاب « المـــن بالامامـــة » لابن صاحب الصلاة ، الذي تولى تحقيقه وطبعه فى السنوات الاخيرة الاستاذ عبد الهادي التازي ، وهو فى تاريخ دولة الموحدين كما هو معلوم .

* * *

ونقف هنا وقفة لنتساءل :

كيف كان رد الفعل عند عبد المومن بن علي من الموقف السياسي الذي اتخذه ضده وضد دولته القاضـــي عيـــاض ؟

والجواب ـ فيما يبدو لاول وهلـة ـ : لا شـــيء على الاطلاق تقريبا !

انه لم يزد على ان نقله من سبتة الى مراكـــش ، حيث قضى بقية عمره حرا طليقا ، بل عزيزا مكرما ، كما قد يبدو لنا من بعد ، الى ان وافته منيته فى التاريخ الذي سبقت الاشارة اليه ؛

بل لعله قد زاد على ذلك ، فولاه القضاء بتادلا ، كما اشار الناصري الى ذلك فى النص الذي استشهدنا به من كلامه ، وكما ذكر غير واحد من الذين ترجمـــوا لــه ، او ذكروه فى كتب التاريخ ، وان كنا نقف موقف الشك من هذه القضية لمـــا سنشرحه من بعد ؛

يقول محمد ابن القاضي عياض ، متحدثا عـــن انتقال والده من سبتة الى مراكش بعد فشل الثـــورة ضد الموحدين ، تلك الثورة التي كان لوالده فيها ضلع كما راينا من قبل ، يقول :

« ثم انتقـــل الى الحضرة العليـــة ، ادام الله حراستها .... فوصلها والحال متغيرة عليه ، فاقام بها الى ان اجتمع بسيدنا امير المؤمنيـــن دام نصره ، وكان منه رحمة الله عليه من الكلام المنظوم والمنثور مـــا استعطفه به ، حتى رق له وعفا عنه ، على ابـــر وجـــه واجمله ، وامره بلزوم مجلسه ، واظهر تقريبه ومحبته، وكان يسأله فيستحسن جوابه . فاقام على تلك الحال، ومنزلته تزداد عنده كل يوم سموا ورفعـــة ، الى ان خرج ادام الله تأييده ، الى غزوة دكالة ، وخرج صحبته، فمرض بعد مسير مرحلة ، فاذن له فى الرجوع ، فرجع الى الحضرة ( يقصد العاصمة مراكش ) فاقـــام بهـــا مريضا نحوا من ثمانية ايام ، ثم مـــات عفا الله عنه ، ليلة الجمعة ، نصف الليل ، التاسعـــة من جمـــادى الآخرة من عام 544 »

هذا ما يقوله اقرب الناس الى القاضي عياض ، وهو ابنه محمد ، فيما يتعلق بالموقف الذي اتخذه عبد المومن من القاضي عياض بعد كل الذي كان .

بل ان محمدا ، ابن القاضي عياض ، ليذكـــر لنا ما هو اكثر من ذلك ، وهو ان اباه فى انتقاله من سبتـــة الى مراكش ، قاصدا عبد المومن بن علي ، كان محـــل حفاوة وتقدير واكرام من جميع ولاة الموحدين فى المراكز والمدن التي مر بها اثناء سفره ، الى حد اثار استغراب المرافقين له ، لانهم فيما يبدو كانوا ينتظرون ان تكون معاملة هؤلاء الولاة للقاضي عياض على عكس ما كانت عليـــه فى الواقـــع !

ونستطيع نحن ان نفهم ـ اذا كان ما ذكره ابـــن القاضي عياض صحيحا فى كل تفصيلاته ـ ان ذلك كان ناتجا عن اوامر عليا من عبد المومن نفسه ، او عن فهـــم للسلوك الذي يمكن ان يرضيه فى مثل هذه الاحوال ؛

نعم ، نستطيع ان نفهم ذلك ، اذا كان ما ذكره ابن القاضي عياض صحيحا فى تفصيلاته ؛

وهو شيء لا نطمئن اليه تمام الاطمئنان ، فقـــد كتب محمد كتابه فى عهد عبد المومن نفسه ، وكان يعلم ان قلوب الموحدين كانت متغيرة على والده ، ولو احسنوا معاملته فى الظاهر وقربوه اليهم ، فكان مضطـــرا من اجل ذلك ، ومن اجل ان يبرز فضل والده ، ومن اجل ان يستل السخيمة من قلوب الموحدين عليه ، كـــان مضطرا من اجل ذلك كله ، ان يكيف كلامه عن والـــده بالكيفية التي يقتضيها المقام ، وتستوجبها الظروف ، وان يحاول الاحتفاظ بذكرى والده خالية من الشوائب، بريئـــة مـــن العيب ؛

ولا ادل على ذلك مما نسوقه هنا من كلامه للاستشهاد بـــه ؛

ولكن الظروف تطورت مرة اخرى ، وواجه الموحدون صعوبات جمة فى عملهم من اجل تمهيد المغرب لسلطانهم الجديد ، وثارت ضدهم بعض النواحي والمدن التي كانت قد استسلمت لهم واعترفت بسلطانهم من قبل ؛

وكان فى الثائرين سكان مدينة سبتة ، وذهبوا فى ثورتهم الى حد بعيد ، فقتلوا ـ كما تقول كتب التاريخ ـ عامل الموحدين ومن كان معه من اصحابه وحاميه ، وحرقوهم بالنار ! !

وكان زعيم اهل سبتة فى هذه المرة ايضا هو القاضي عياض ،

بل ان القاضي عياضا ذهب الى ابعد من ذلك ، فانتقل بنفسه الى الاندلس ، ليتصل بابن غانية ، وايطلب منه حاكما من قبله على مدينة سبتة ؛

يقول الناصري فى الاستقصا :

« وركب القاضي عياض البحر الى يحيى بن علي المسوفي المعروف بابن غانية ، وكان معتصما بقرطبة ، متمسكا بدعوة المرابطين ، فلقيه وادى اليه البيعة ، وطلب منه واليا على سبتة ، فبعث معه يحيى بن ابى بكر الصحراوي ... فدخل سبتة وقام بأمرها »

* * *

ولعله ينبغي هنا ان نعيد الى الذاكرة ان يحيى بن علي المسوفي هذا ، المعروف بابن غانية ، كان عاملا لامير المسلمين على بن يوسف بن تاشين على قرطبة ، وان اخاه محمدا الذي كان واليا من قبله هو على بعض اعمال قرطبة ، هو الذي سيجتاز البحر فى اعقاب هذه الاحداث الى جزائر البليار ، ميورقة ومنورقة ويابسة ، فيستقل بحكمها ، ويؤسس بها دولة جديدة ، هي دولة بني غانية التي قد يمكن اعتبارها امتدادا لدولة المرابطين ؛

وقد ذاق الموحدون ، من بعد ، الامرين ، من بني غانية هؤلاء واتعبوهم ، وتسببوا لهم فى نكبات كبيرة ليس هنا مجال شرحها خصوصا بعد ان تحالفوا ضدهم مع قراقوش التقوي ، صاحب صلاح الدين الايوبي .

* * *

قلنا ان القاض عياضا فى تزعمه لثورة سبتة ضد الموحدين انتقل فسه الى الاندلس ليتصل بابن غانية ، وليطلب منه حاكما من قبله على مدينة سبتة، وان ابن غانية بعث معه يحيى بن ابى بكر الصحراوي « فدخل سبتة وقام بأمرها » كما يقول الناصري .

لكن يحيى بن ابى بكر الصحراوي هذا ما لبث ان انهزم امام الموحدين ، واستسلم لهم ، ودخل فى طاعتهم ، واستسلمت سبتة مرة اخرى واصبح القاضي عياض وجها لوجه امام الموحدين بعد ان قاد المقاومة ضدهم فى المرة الاولى فلم تنجح المقاومة ، وبعد ان عاد فى المرة الثانية فاستنصر ضدهم بابن غانية ، فلم يغن عنه شيئا ولا عن بلده سبتة

يقول الناصري فى الاستقصا :

« ولما راى اهل سبتة ذلك سقط فى ايديهم ، وندموا على صنيعهم ، وكتبوا ببيعتهم الى عبد المومن وقدم بها اشياخ سبتة وطلبتها تائبين ، فعفا عنهم وعن القاضي عياض ، وامره بسكنى مراكش ، والصحيح انه ولاه القضاء بتادلا ، ثم دخل مراكش ، قيل دخلها مريضا مرض موته ، وقيل مات بالطريق ، وحمل اليها، وامر عبد المومن مع ذلك بهدم سور سبتة ، فهدم ، وكذلك فعل بفاس وسلا »

ويقول ابن خلدون :

« وانتقض اهل سبتة ، واخرجوا يوسف بن مخلوف التينملي ( حاكم سبتة الموحدي ) وقتلوه ومن كان معه من الموحدين ، واجاز القاضي عياض البحر الى يحيى بن علي بن غانية المسوفي ، الوالي بالاندلس ، فلقيه وطلب منه واليا على سبتة ، فبعث معه يحيى بن ابى بكر الصحراوي »

ويقول ابن ابى زرع فى القرطاس :

« وفي خلال هذه الايام قام اهل سبتة على الموحدين ، بعد أن بايعوهم ومكنوهم من المدينة ، وكان قيامهم عليهم براي قاضيهم عياض بن موسى ، فقتلوا من بها من الموحدين وعمالهم ، وحرقوهم بالنار ،وركب عياض البحر الى ابن غانية بالبيعة ، وطلب منه واليا فأرسل ( يحيىبن ابى بكر ) الصحراوي ، واقام بها اياما .... »

الى ان يقول : « وقاتلوا عبد المومن وهزموه ، ثم كانت الكرة عليهم وهزمهم .... فهرب ( يحيى بن ابى بكر ) وراسل عبد المومن يطلب منه الامان ، فأمنه ، واتاه وبايعه ، وحسنت طاعته ، فلما راى ذلك اهل سبتة سقط فىايديهم، وندمواعلىصنعهم ، وكتبواببيعتهم

وقبل صلته ، لان من قويت شوكته وجبت طاعته »

« ثم لما ضعف امره ثانيا ... رجع القاضي باهل سبتة عن بيعته الى طاعة المرابطين الذين لهم الحق فى الامامة بطريق الاصالة .... هذا مع ما كان ينقل عن المهدي من انه غلبت نزعة خارجية عليه ، وانه يقول بعصمة الامام ، وذلك بدعة ، فتكون امامته وامامة اتباعه مقدوحا فيها من هذه الحيثية ، لكن حيث حصل التغلب والاستيلاء وجبت الطاعة »

« فالحاصل ، ان ما فعله القاضي عياض اولا وثانيا وثالثا ، كله صواب ، موافق للحكم الشرعي ، فهكذا ينبغي ان تفهم احوال ائمة الدين واعلام المسلمين رضي الله عنهم ، ونفعنا بعلومهم »

هكذا يشرح الناصري وجهة نظره فى الموضوع ، وهي كما نرى وجهة نظر رجل يحترم العلماء والائمة احتراما كبيرا ، ويرى أن تفهم تصرفاتهم على نحو خاص ، ويستلهم تفسيراته وتأويلاته من الاحكام الشرعية ، فيقر ما يقر على أساسها ، ويرفض ما يرفض على أساسها ايضا ؛

* * *

ويأتي بعد ذلك الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي فى مقدمته التي كتبها للجزء الاول من المدارك ، فيكتب هو الآخر ( مرافعة ) فى الدفاع عن القاضي عياض يجعل فيها مقاومته للموحدين تدخل فى اطار المقاومة العامة للشعب المغربي ، وعلى راسه علماؤه وائمته ، لدعوة الموحدين الجديدة ؛

وهذه المقاومة تأتي — فى نظر الاستاذ بن تاويت — من أن ، « هناك مقررات سنية عقدية لا سبيل الى التخلي عنها ، آمن بها اهل هذا المغرب ، ومنهم علماؤه الذين جاهدوا فى سبيل المحافظة عليها بكل ما كان لديهم من الوسائل ... والعقيدة السنية تقرر فيما تقرر الا عصمة لاحد من الناس غير الانبياء ، اضف الى الى قضية العصمة ما كانت تستلزمه من مظاهر التشيع »

ومعلوم ان المهدي بن تومرت ، كان قد ادعى انه هو المهدى المنتظر ، وسمى نفسه الامام ، وادعى لنفسه العصمة ، وسمى أصحابه الموحدين ، تمييزا لهم عن المرابطين الذين كان يصفهم بأنهم مجسمون كفرة ، ويستحل قتالهم من اجل ذلك .

ثم يقول الاستاذ بن تاويت بعد كلام يتناول فيه كتاب « احياء علوم الدين للغزالي » الذي كان المهدي بن تومرت أحد تلاميذه — فيما تروي بعض كتب التاريخ — وموقف العلماء المغاربة ومن ضمنهم القاضي عياض من بعض مباحث هذا الكتاب ، يقول :

« وجاء مهدي الموحدين ، فصدم اهل المغرب فى اقدس ما لديهم وهي عقيدتهم السنية ، وسماهم مجسمين كافرين ، وقاتلهم قتال كفر ، وحصر التوحيد فى اصحابه واتباعه »

الى ان يقول :

« ومن السهل — بعد هذا الذي اشرت اليه — ان يفهم الدارس لماذا قاوم المغاربة فى كل مكان دعوة الموحدين ، ثم لماذا ثارت سبتة وكررت العصيان بزعامة عياض فى وجه الموحدين »

وهكذا نرى — كما اسلفنا — ان الاستاذ بن تاويت يجعل مقاومة القاضي عياض للموحدين تدخل فى اطار المقاومة العامة للشعب المغربي لهم عند ظهورهم، ويلتمس لهذه المقاومة اسبابا عقائدية ، او « ايديولوجية » كما يقال اليوم ؛

* * *

ونحن نستطيع عند النظر ، أن نسلم بيسر وسهولة بكل ما قاله الناصري فى الموضوع ، وبكل ما قاله الاستاذ بن تاويت ، وان كنا نعلم أن مثل هذه المواقف والاعمال والتصرفات لايمكن حصرها فى سبب واحد او سببين ، بل تتداخل فيها كثير من العوامل والاسباب المباشرة وغير المباشرة ، التي قد يكون من الصعب حتى على الشخص نفسه ، صاحب ذلك الموقف ، او تلك الاعمال والتصرفات ، ان يستوضحها جميعا ، وان يعيها ويتعرف عليها ؛

ولعلنا نستطيع — ونحن نحاول تفسير موقف القاضي من الموحدين وتمسكه بدعوة المرابطين الى ذلك الحد — أن نضيف الى كل ما تقدم ، بعد التسليم به والاقتناع بوجاهته ، سببا آخر نفسيا عاطفيا ؛

فقد عاش القاضي عياض ، كما يستفاد من الكلام الذي قدمناه فى ترجمته ، احسن ايامه واجملها فى عهد المرابطين ؛

ولقد ولد عياض ونشأ نشأته الاولى فى أواسط عهد يوسف بن تاشفين نفسه ، ويكفي أن نذكر ان

فقد مر بنا كيف تحدث المؤرخون عن امتناع سبتة على الموحدين عند غزوهم لها لاول مرة ، وكيف قاد المقاومة ضدهم القاضي عياض ، ثم كيف غلبت سبتة على امرها واستسلمت ، ثم كيف عادت فانتقضت على الموحدين مرة أخرى بزعامة القاضي عياض ، وكيف جاز القاضي عياض البحر الى الاندلس ليستعين ضد الموحدين ببني غانية ، الى ان كان ما كان من انهزام الحاكم الذي أرسله ابن غانية الى الاندلس ، واستسلام سبتة للموحدين نهائيا ؛

ولكن محمدا ، ابن القاضي عياض ، يروي هذه الاحداث على نحو آخر ، وبأسلوب اقرب الى الاعتذار والتبرير منه الى التقرير التاريخي ، وذلك حيث يقول عن والده :

« ثم بادر بالمسابقة الى الدخول فى نظام الموحدين، والاعتصام بحبلهم المتين ، فأقره امير المؤمنين ادام الله نصره على ما كان عليه ، وصرف امور بلده اليه ، وخاطبه بالتنويه ، وحظى عنده ، وشكر بداره وسبقه ، ثم رحل اليه فاجتمع به بمدينة سلا ... فأوسع نزله، وأجزل صلته ، ولقي منه برا تاما واكراما عاما ، وانصرف على أحسن حال ، الى ان ثارت الفتنة وقام البلد ، والله يعلم ان ذلك كان عن غير رضى منه ، كراهية في الفتنة الدنيوية والاخروية ، وبقي يدبر امره ويسوس اهله، دون تعاطيه الى الامرة فى قول او فعل ، الى ان دخل ( يحيى بن ابى بكر ) الصحراوي الى البلد ، وهو حينئذ بخارج الجزيرة الخضراء ، زائرا ومدافعا ليحيى بن غانية ، ثم انصرف واقام على تولي الاحكام بين الناس، وهو مع ذلك يسمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويدرس الفقه ، واشتد الحصار بالبلد ، فسعى فى استعطاف الموحدين ادام الله أمرهم ، وتلطف في استلطافهم والاعتذار عن الكائنة ، الى ان عفوا عما كان ، واخذوا بالصفح والغفران »

هذا الاسلوب الذي يروي به الاحداث محمد ابن القاضي عياض ، والظروف التي كتب فيها كتابه ، وبعض المقاصد الواضحة التي يبدو انه كان يتوخاها وهو يكتب هذا الكتاب ، كل ذلك لا يجعلنا نطمئن تمام الاطمئنان الى التفاصيل التي رواها فيما يتعلق بحسن معاملة الموحدين لوالده عندما تمكنوا منه ، واكرامهم له ، وتقريبهم اياه .

ولكنا نستطيع أن نطمئن على كل حال ، الى أن ذلك كان صحيحا فى جملته ، خصوصا واننا لانجد ما يناقضه بشكل واضح عند المؤرخين وكتاب التراجم الذين كتبوا عن القاضي عياض او ترجموا له ، بل نجد اشارات ولو مقتضبة الى شيء من ذلك عندهم جميعا، وان كنا لانعدم منهم من يتهم الموحدين ، بأنهم دسوا له السم ، وان ذلك كان سبب وفاته ؛

ويتأكد ما اسلفناه بصورة خاصة ، اذا استطعنا ان نجزم بما ذكره بعض المؤرخين وكتاب التراجم من ان عبد المومن ولى القاضي عياضا القضاء بتادلا كما ورد عند بعضهم ، أو ببداديتها كما ورد عند بعضهم الآخر ، وهي قضية تحتاج الى مزيد من التحقيق ، وانما يمنعنا من التسليم بها نهائيا ، انه لم يرد لها ذكر عند محمد ابن القاضي عياض ، وهو الذي رايناه يجهد نفسه ، ويتأول الوقائع والاحداث ، ليبرز سمو مكانة والده عند الموحدين ؟

* * *

وكما تساءلنا من قبل عن حقيقة الموقف الذي اتخذه القاضي عياض من الموحدين عند قيام دولتهم ، يحسن بنا هنا ان نقف وقفة ولو قصيرة لنتساءل عن سر هذا الموقف ، ولنحاول تفسيره وتعليله ، خصوصا ونحن نعلم انه لم يكن للقاضي عياض اهتمام بالسياسة من قبل ؛

لقد كتب الناصري فى ذلك ما يشبه ان يكون مرافعة دفاع ، ونحن نرى ان ننقل هنا ما كتبه في الموضوع بنصه ، خوفا من تشويه روحه بالتصرف أو الاختصار ؛

يقول الناصري :

« واعلم أن ما صدر من القاضي عياض رحمه الله فى جانب الموحدين دليل على انه كان يرى الا حق لهم فى الامر والامامة ، وانما هم متغلبون . وهذا امر لا خفاء به كما هو واضح ، ولما كانت شوكة عبد المومن لازالت ضعيفة ، وتاشفين بن علي ( بن يوسف بن تاشفين ) امير الوقت لا زال قائم العين ، امتنع القاضي عياض رحمه الله من مبايعة عبد المؤمن ، ودافعه عن سبتة ، اذ لا موجب لذلك ، لان بيعة تاشفين فى اعناقهم ، وهو لا زال حيا ، فلا يعدل عن بيعته الى غيره بلا موجب »

« واما ما غالط به المهدي ( بن تومرت ) رحمه الله من ان المرابطين مجسمة ، وأن جهادهم اوجب من جهاد الكفار ، فضلا عن أن تكون طاعتهم واجبة ، فسفسطة منه عفا الله عنا وعنه ! »

« ولما قتل تاشفين ، وفتحت تلمسان وفاس ، وقويت شوكة عبد المومن ، بايعه القاضي عياض حينئذ،

# أبو عيسى محمد المهدي متجنوس الاندلسي الرباطي

## للأستاذ عبد الله الجراري

من الشخصيات اللامعة في عالم المعرفة — الاستاذ محمد المهدي بن عبد السلام متجينوس الاندلسي الاصل ، فعند ما تم استيلاء (اسبانيا) على جزيرة الاندلس باحتلال غرناطة سنة 987هـ (492م) وهاجر سلطانها محمد بن الاحمر هو واعيان دولته ورؤساء جنده ووجهاء غرناطة الى المغرب الاقصى — واستوطنوا مدينة فاس وتطوان ورباط الفتح واقطارا اخرى — بقي بغرناطة والارباض المجاورة لها من لا قدرة لهم على الهجرة — فرضوا بالمقام تحت حكم اسبانيا طمعا في وفائها بما التزمت به من شروط — حرية الدين والامن على النفس والمال بيد انها لما تمكنت قدمها ، اخلفت الوعد ، واخذت ترغم المسلمين على التنصير والدخول في المسيحية .

وعندما لمست عدم اخلاص المسلمين في المسيحية اصدرت اوامرها بالتنكيل والتعذيب والطرد آمرة ربابنة السفن بتفريقهم في شتى الجهات ، فكان انزال طائفة منهم ببلاد المغرب حيث وصلوه سنة 1019هـ فتقبلتهم الحكومة السعدية بصدر رحب وانزلتهم برباط الفتح (عاصمة المملكة المغربية اليوم) وكان وقتئذ فارغا — فاشتغل المهاجرون اليه ببناء الدور والحمامات والمساجد ، والكتاتيب ، والفنادق، والاسواق — وغرسوا خارجه جنات وبساتين — فعادت عمارته وزهت حضارته ، واظهروا دينهم الذي كانوا مكرهين على تركه — غير أن اسماءهم بقيت (اسبانية) اذ عرفوا بها وتنوسي ما كان قبلها من القاب عربية جلها قرشية ، وبوجود تلك الالقاب الاسبانية استمرت تلك البيوتات الاندلسية محفوظه لغاية ان من لم يكن يحمل اسما يمت اليها بارومة وشيجة فليس باندلسي صميم ، لذا فشخصيتنا اليوم تعد في عريق البيوتات الاندلسية — فبيت اولاد متجينوس رهط المترجم اسباني اللقب يدل في مدلوله على (مسكين) كما يقول — صاحب (رياض الجنة) .

كان ابو عيسى عالما بالمعنى الصحيح يشارك في كثير من الفنون مع ضلاعة نادرة في علم القراءات — ومعرفة وجوهها واحكامها مع التبريز الخاص في الرياضيات والفلك والميل الطبيعي الى التصوف والتباعد عن الخلطة في اباء نفس مع اقلال وضعف حال ساعد عليه (حرفة الادب) كما يقول الادباء في مثله من نبغاء المعرفة .

كان كثير التلاوة ، كثير الوراقة (النساخة) فكم نسخ من مجاميع لطلابه وتلاميذه لا تزال ماثلة في الخزائن والمكاتب معربة عن جمال ورقة ذوق وبراعة قلم ، حلو النكتة والفكاهة كما سنرى نوعا من ذلك بعد . ومن ولوعه الخاص بالعلوم والمعارف انكبابه على التصنيف والتأليف — من ذلك كتابه المدعو (شفاء الغليل ، على فرائض خليل) في مجلد جمع بين الفقه والعمل والحساب برهن فيه عن مقدرة جبارة من الناحية العلمية الفرضية التي تعد بحق — نصف العلم — و لامن الناحية العلمية المبرهنة في ذات الظرف عن ذهنية صافية وعقل رياضي وقاد يتعمق مسائل الفن لحد

الطفل عياضا لم يكن عمره يزيد على ثلاث سنوات عندما كان البطل العظيم يوسف بن تاشفين يخوض غمار واقعة الزلاقة في الاندلس ، تلك الواقعة التاريخية الفاصلة والحاسمة التي استطاع يوسف بن تاشفين ان يكتب بانتصاره فيها عمرا جديدا للاندلس العربية الاسلامية ، وان يحقق للاسلام نصرا مبينا ، كان قد بعد العهد بمثله ، وان يركز الاسلام بذلك من جديد ، في هذا الجزء من القارة الاوربية .

والواقع ان المجتمع الاسلامي ، سواء في الشرق او في الغرب ، لم يكن ينظر الى حروب الجيوش النصرانية ضد المسلمين في الاندلس اذ ذاك ، الا على انها حلقة في سلسلة الحروب الصليبية التي قاسى المسلمون منها ، في شرق الاسلام وغربه ، الشدائد والاهوال .

لقد كان ذلك الانتصار الحاسم في حينه من غير شك ، حديث المجالس كلها ، وكان من غير شك ايضا مبعث اعتزاز وانتشاء وفخر في كل المجتمعات الاسلامية على وجه العموم ، وفي المجتمع الاسلامي المغربي على وجه الخصوص .

ونشأ الطفل عياض وقد قر في مسامعه ذلك كله ، وشب على سماع التغني بتلك الامجاد ، فتشبع بها قلبه الطري ، وملكت عليه كيانه كله ، ولم ير بعد ذلك – وطيلة حياته – من المرابطين الا خيرا ، خصوصا بعد ان اصبح عالما كبيرا يشار اليه بالبنان ، وفقيها عظيما من أعلام المذهب المالكي ؛

ولا ينبغي ان ننسى هنا ان دولة المرابطين ، وخصوصا على عهد يوسف بن تاشفين ، كانت دولة يحكمها الفقهاء ، فان يوسف كان لا يبرم امرا من الامور الا بعد استشارتهم واخذ رايهم ، وكان يلتزم ما يأمرون به أو يشيرون به عليه ، كما هو معروف من تاريخه .

كذلك كان العلماء والفقهاء يحتلون مركزا ممتازا في عهد علي بن يوسف بن تاشفين . وقد روت بعض كتب التاريخ كما هو معلوم ان علي بن يوسف بن تاشفين اصدر اوامره باحراق كل ما كان يوجد في المغرب اذ ذاك من نسخ كتاب احياء علوم الدين للغزالي بسبب مآخذ اخذها عليه علماء المغرب وفقهاؤه ، بل ان التاريخ ليذهب الى ابعد من ذلك ، فيروي ان الغزالي عندما بلغه هذا الخبر ، دعا على علي بن يوسف بن تاشفين ، وتنبأ بزوال دولته ، وان الذي سيغلبه عليها هو احد تلامذته اذ ذاك ، المهدي بن تومرت ، الذي سيؤسس من بعد دولة الموحدين على انقاض دولة المرابطين .

هذا هو العهد الذي ولد فيه عياض وشب وترعرع وتعلم واكتمل ، وتنقل بين المغرب والاندلس طالبا وقاضيا ، وادرك المال والمجد والشهرة والجاه العريض ، وقد راينا من قبل ان الحياة الناعمة الهادئة القارة التي عاشها على عهد المرابطين ، قد ساعدته ، مع كل ما اوتيه من ذكاء وحسن استعداد وثقافة واسعة ، على ان ينتج كل ما خلفه لنا من كتب جادة تزخر بالعلم والمعرفة ، وتنبيء بما وراءها من قوة عارضة ، وتفنن في العلم ، وامتلاك لناصيته وقدرة على الخوض فيه والتنقيب عن دقائقه ؛

فلا غرابة اذن ان يظل القاضي عياض على وفائه وولائه لدولة المرابطين حتى في احلك ايامها ، وحتى عندما بدات تنهال عليها الهزائم امام دولة الموحدين الفتية الناشئة ، خصوصا وهو لا يرى اي موجب شرعي مقنع للخروج عليها والثورة ضدها ومحاولة انهاء حكمها ، وخصوصا ايضا وهو يرى الدعاة الجدد يبدأون عهدهم بتكفير المسلمين ، وادعاء المهدوية ، وانتحال خوارق العادات وغير ذلك مما هو معروف عن المهدي بن تومرت ، وقد كان المهدي رجل سياسة ودولة لا يهمه الا النجاح ، ولا يتورع عن الوصول اليه من اي سبيل كان ؛

اننا لا نريد ان نحصر موقف القاضي عياض من الموحدين في ذلك السبب النفسي العاطفي الذي حاولنا ان نشرحه ، ولكننا فقط لا نريد اغفال هذا السبب ، فقد تكون له قيمة ، وقد يكون له تأثير ، الى جانب ما ذكره الناصري في الموضوع ، وما ذكره الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي .

يتبع :

**الرباط : عبد القادر الصحراوي**

غروب هذا اليوم الى الزاوية الرحمانيـــة
، عنه ،، فما كان من الرجل عدا ان تشوق
واخذ ينتظر الغروب بتلهف ، وما كـــادت
تغرب حتـــى حضر السائل بالزاوية ، وبعد
وقراءة الحزب — تقدم الى ابي عيسى وأعــاد
عليه — فأجابه قائلا : (ان المهدي المنتظـــر
— ذلك انني محمد المهدي الامام المنتظـــر
مد العيـــان بيان ، وهي من نوادره اللطيفة ،
، الحلوة التي كان ينطوي على امثالها وامثالها
جمنا برد الله ثـــراه .
ى على عدة شيوخ — بالرباط — وفاس —
، العربي— فأخذ عـــن شيخ الشيخ حســـن
العطار بضريح سيدنا الحسين السبط بمصـــر ،
وهو الذي زاد على اسمه المهدي محمدا آمرا ايـــاه
بتركيب الاسمين (محمد المهدي) . وكان يتعاطـــى
مهنة العدالة غير انه زهد فيها وفتح لنفسه كتابـــا
قرآنيا رجوعا الى ما كان عليه قبل — الى ان وافـــاه
الاجل المحتوم ليلة الاحد 15 ربيع الاول عام 1344هـ
ودفن بمقبرة سيدي الحسن افران بدار (القصـــار
الكبرات) المتصلة به برباط الفتح . وفقد المغرب العربي
فيه شخصية لامعة من رجال الثقافة الواسعة خاصة
منها الرياضيـــات ...

**الرباط — عبد الله الجراري**

**دم مزور ... !**

ان لـــم نعـــش تحـــت السمـــاء اعـــزة
فـــدم العروبـــة ، فـــي العـــروق مـــزور

**للشاعر : عبد الرحمان الدكالي**

ابرازها في حلة السهولة والوضوح بما يجعلها فيمتناول الطلبة على اختلاف مداركهم ، ومنها — مؤلفه (التبصرة والتذكرة) في علم الحساب احتوى مجلدات اربعة يوجد بالمكتبة الصبيحية بسلا ومنها — (نتيجة الاطواد في الابعاد) عبارة عن منظومة حلاها بشرح كشف ما كان يحيط بها من غموض في فن الابعاد على عادته في تقريب المسائل وتوضيح القضايا رغبة في تيسير البعيد على الافهام والاذهان — (ومنها منظومة في التوقيت — بالحساب) طبعت طبعة فاسية ضمن عدة متون وفنون — يقول في بعض اشطارها — وهي الطف — ملمحا بذلك الى عملية الربع المجيب الذي يعتمد في طريقته على الخيط والمرى في استخراج الارتفاع والوقوف بشتى الوسائل العملية على الاوقات التي هي الاس الوحيد في الفن . وزاد المنظومة رونقا وضعه شرحا عليها دعاه (الالوك) ابان ما كان يعلو بعض مسائلها من غموض ومنها منظومة في كيفية استخراج جذر الكعب ، وكعب الجذر ، واخرى في الضرب والقسم ، واخذ الجذر بالربع المجيب واخرى في اخذ الامتدادات الثلاثة : السمك ، والعمق ، والسعة ، بالربع المجيب كذلك . ومن مؤلفاته القيمة كتابه المسمى : (رعاية الاداء في كيفية الجمع بين السبعة القراء) دل على ضلاعته في فن القراءات واتساعه في احكامها وتوجيهاتها .

ومنها : رجز في تربية الاطفال في الكتاب ضمت 69 بيتا منها قوله :

(فهذه هدية الولدان والفتح بعد بيد الرحمن)

بعد ما تحدث فيها عن اداء التلميذ في المسيد دخولا وخروجا وكيفية معاملته مع المعلم وبقية التلاميذ وطريقة الكتابة والحفظ والعرض وتقسيم ايام الاسبوع ، وجعل التلاميذ طبقات كما هو اليوم من بنود المدرسة الحديثة ونظامها الاساسي تقع في 800 بيت مطلعها :

(الحمد لله الذي هدانا لخدمة القرآن واصطفانا)

ومنها : (نظم في امالة الراء وترقيقها وتفخيمها) النوع الذي هو من قضايا فن تجويد الكتاب ومعرفة ادائه وكيفية ترديد كلمه المقدسة في احسان يبعد بالقارىء عن الوقوع في الاثم من اجل الاستخفاف بالتلاوة والحق المتواترة عن الرسول صلوات الله عليه الى حد اليوم ، ولكن في قلة يكاد الفن يندثر معها بين القراء ، فقيام المترجم بوضع هذا النظم في حرف الراء وما لها من صفات دليل على صدقه في الفن ، وتخليد له في صلب الحرف المذكور حتى لا يعبث بقداسته المقصرون ومن الفوا الهدرمة في القرآن وتلاوته ومن آثاره التوجيهية الاخلاقية منظومة طويلة النفس هيأها لابنه احتوت 1600 بيت توجد عند بعض الادباء (1) وله منظومات غير ما ذكر تناولت شتى الموضوعات — كنظمه في التشكي من الزمان واهله ، وحق له ذلك فقد عاش بائسا فقيرا مضاعا بين ظهراني قومه منشدا في نفسه الشطر الاول من بيت — العرجى (2) .

(اضاعوني واي فتى اضاعوا) وتلكم سنة الله في الخلق ، فكم لابي عيسى من قرين في هذه الظاهرة الخانقة التي لم تخطىء سهامها نبغاء الامم واقطاب المعرفة منهم على الاخص وكنظم في الهندسة ومبادئها كان نتيجة حديث له مع بعض الاخوان الذي ظن فقدان هذا النوع من الفنون الرياضية بالمغرب وكم يعلونا الاسف والالم ويحز في نفوسنا ضياع ما كتبه هذا العالم البائس الذي يكون سرى لآثاره واعتراها من الاهمال ما عاش هو عليه في وسط العالم فيه اضيع من الايتام ، في مأدبة اللئام وهذا ما يجعلنا نستحضر حالة الابيوردي الفقيه الشاعر الذي قال : (بي علة تمنعني لبس المحشو ، يريد بالعلة — علة الفقر مكث سنتين لا يقدر على شراء جبة يلبسها في الشتاء قبح الله الفلكة (3) .

ولمدرسته القرآنية يد بيضاء على جم غفير من ابناء المغرب ، كما كان لدروسه الرياضية الحسابية والهندسية المقام البارز بين الطلبة لا سيما الذين لهم ميول خاصة بالرياضيات انما يلاحظ عليه اثناء تلقين الفن ضيق صدر، وقلة اتساع في التفهيم خصوصا مع الذين لا تساعدهم اذهانهم من كتب على تصور المشاكل والعمل على حلها .

ومن نكته الفكاهية وقد حكاها عن نفسه — ان رجلا سأله يوما عن الامام المهدي المنتظر ؟ فقال له :

---

1) توجد نسخة منه ضمن كتب اخينا الاستاذ المرحوم الحاج محمد بنعبد الله — وقد انضمت بعد وفاته الى خزانة دار الحديث الحسنية بالشراء .

2) عجز البيت : « ليوم كريهة وسداد ثغر » والعرجى من احفاد عثمان بن عفان رضي الله عنه .

3) ومن اراد ان يتوسع في الموضوع فليراجع كتاب« الفلكة والمفلوكون » لابن علي الالجي .

ان ما كتب عن شعرنا المعاصر قليل وقليل جدا ؛ بل لا يكاد يكون شيئا مذكورا اذا استثنينا المقالات التي كانت « دعوة الحق » تنشرها للاستاذ محمد الامري المصمودي بعنوان : «في شعرنا المعاصر» والمحاضرات التي القاها أستاذنا عبد الله كنون على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية بمعهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية ، ثم نشرت في كتاب بعنوان : « أحاديث في الادب المغربي الحديث »، والمقدمة الدراسية النقدية الجريئة ، حقا ، التي صدر بها الاستاذ الشاعر الزقاني محمد الحبيب ديوانه الرائع « نجوم في يدي » الذي اذاعه في الناس منذ سنة مضت ؛ على انه ينبغي الا ننسى ، ونحن بصدد ذكر هذه الدراسات القليلة عن شعرنا المعاصر ، ان نشير الى اللبنة الاولى في هذا البناء الذي نرجو له أن يتضخم ويتطاول ويتعملق ، واعني بها المحاولة المحمودة التي نهض بها الاستاذ محمد بن العباس القباج في فترة مبكرة يوم نشر كتابه « الادب العربي في المغرب الاقصى » تضمن تراجم لشعراء محدثين ومنتخبات من اشعارهم ، واذا كان هذا الكتاب قد خلا من الروح النقدية ، التحليلية الدراسية ، فان ذلك لا يقلل من شأنه ولا ينقص من قيمته ؛ انه المعلم الاول الذي وضع على طريق نحن مدعوون لارتياده واستشراف مجاهله .

ان تقصير نقادنا في التعريف بآثارنا الادبية المعاصرة على مختلف الوانها وتباين اشكالها ، هو الذي اضاع شخصيتنا في الادب العربي المعاصر ، فأغلب المثقفين في الشرق يجهلون كل شيء عن نهضتنا الادبية والفكرية ؛ ومن ثم كنا نجد كل مختارات الشعر العربي المعاصر ومنتخباته التي تصدر بالشرق تخلو من اريج خمائلنا الشعرية وعطرها ؛ ذلك هو الذي دفع ببعض حملة القلم في مصر الى الاعتراف بانهم لا يكادون يعرفون « أن هناك شعرا ينظم في شمال افريقيا باللغة العربية في الوقت الحاضر (1) »

واذن ، يمكن القول بأن لنا ثروة ادبية وشعرية بصفة خاصة ، ولكن هذه الثروة بحاجة ماسة الى عناية الدارسين ، ينقدونها ويحللونها ويغربلونها ، ليميطوا اللثام عن ابداعنا الوجداني ، لمن يتشوق لرؤيته .

* * *

تاريخ الشعر في مشرق من الدنيا ومغربها يحكي عن الموجات التطورية التي استهدف لها ، وعن الرجات التجديدية التي عصفت به ؛ فما كان الشعر في بيئة ما أو زمان ما لينكمش ويتقوقع ، ويهرب من تجدد ينهض به ، وتطور ينفحه القوة والقدرة على البناء والاستمرار لاداء رسالته العظيمة في الحياة .. واذا كانت تستوقفنا مشاهد من تاريخ الشعر قاتمة ، سوداء ، تعكسه لنا وقد بات هيكلا بلا روح وشمعة بلا نور وزهرة بلا عبير ؛ فان ذلك ما كان يحدث الا نتيجة خليط من ظروف تتصل بالمجتمع والاقتصاد والسياسة ؛ غير أن الحياة لا تلبث أن تهيء للشعر يدا رحيمة تقيله من عثرته وتنهضه من كبوته ، تبث الروح في الهيكل الذي بلا روح ، وتشعل النور في الشمعة التي بلا نور ، وتزرع العبير في الزهرة التي بلا عبير ... والامثلة المؤيدة كثيرة في كل تاريخ شعر ؛ هل ينكر جميل محمود سامي البارودي الذي أسداه لشعرنا العربي الحديث ؟ وهل يجحد صنيع روبن داريو بالنسبة للشعر الاسباني المعاصر ؟

تلك ظاهرة دعت النقاد الى القول بأنه ــ اي الشعر ــ كائن حي يصيبه ما يصيب الكائنات الاخرى جميعا من اشكال التطور وللوان الرقي واضراب التكيف ... وفي صفحات تاريخ الشعر في لغتنا ما يقوم دليلا قويا ، بينا على ان طبيعة الشعر المرونة لا الجمود، التفتح لا الانكماش ؛ وكثيرة هي المواقف التي وقفها شعرنا العربي ، يخلع عنه رداء طال عليه الزمن ليرتدي ثوبا آخر ، فيه جدة ، وفيه طرافة ، وفيه نضارة ... وتعالوا نقلب صفحات تاريخنا الشعري ؛ ففي أيام بني العباس وجد شعراء كانوا يهدفون الى التجديد في محتوى الشعر حتى يغدو تعبيرا صادقا عن معطيات الحياة المتحضرة المترفة يومئذ ، كما تجلى تجديدهم في الحق فيما نظموه من مسمطات ومخمسات واوزان اخرى جديدة ... وفي الاندلس ــ الفردوس الموعود كما يسميه دكتور مؤنس ــ كانت ثورة الشعراء على الشكل التقليدي للقصيدة ومساعيهم التجديدية من اجل تطوير وشاحها الخارجي ، واسفرت الثورة عن ظهور الموشحة : لون جديد في هندسة القصيدة العربية ... وفي العالم الجديد ، في امريكا ، على ارض المهجر منذ سنوات وسنوات ارتفعت الصيحات داعية « لتفتيت الصورة الموسيقية التقليدية للقصيدة وادخال

---

1) مجلة الشعر ــ العدد 3 ــ السنة 1 ــ 1964

# موجة الشعر الحديث بالمغرب

## للأستاذ حسن الوراكلي

حينمـــا تفضلت جمعية « أصدقاء المعتمـد » الشاعرة بدعوتي للاسهام فى اعراس الكلمة الخضـراء المجنحة والنغمة اللذة المعذوذبة ، احسست باشراقة تفاؤل لمستقبل الحرف فى بلدي ، تغمر النفس وتنعـم الفؤاد ، وعاودنـي ايمانـــي ، كـادت ظروف الحياة الحلكة التي نحياها تخنق نوره ، بعزيمـــة الشبـاب ومضائها ، بقدرته وفعاليتها ... فبرغـم الاهمـال واللامبالاة التي يواجه بها الفكـر والثقافة والفـن – والادب والشعر غصنان من هذه الدوحة الظليلة – فى هذه البلاد لا تزال هنالك طائفة من المؤمنين بقـوة الكلمة وتأثير الحرف ، تهـزأ بالصعاب ، وتستخف بالعوائق ، لاتخشى مزالق الطريق ، ولا تتهيب متاعب الرحلة فى سبيل غد افضل ، مشرق الجبين ، متورد المحيا ، لدولة الفكر والثقافة والفـن على مرابعنـا المعطـاء ...

ان هذه الاعراس التي تقام ، اليوم ، للكلمة البهية، الجميلة ، والنغمة الطليقة السكرى ، تعد وثيقة هامـة ونادرة القرين للذين يتصدون غدا للبحث عن الاصباح التي استشرفها جيلنا لازدهار الشعر ... من اجـل ذلك لا يخالجني شك فى أن عدالة التاريخ ستحتم عليه أن يكبر فى المعتمديين جراتهم الروحية وشجاعتهـم الادبية ، فليقروا عينا ، وليهنأوا بالا ...

ان الموضوع الذي اريد مني التحدث عنه هـو تأثير الشعر الحديث أو موجته – بتعبير المعتمديين – فى شعرنا المغربي ؛ ومعنى ذلك انني مدعو للحديث عن هذا الصراع العنيف ، العارم الذي احتدم ، لسنوات، بين شعر جديد قلبا وقالبا ، وشعر قديم معنى ومبنى، وانه لصراع شغل عقول الناس وقلوبهم معـا ولا يزال يشغلها ويستأثـر باهتمامهـا .

بالود ، قبـل التماس اثر الموجـة الجديدة ، طغيانها أوغارها على شاطيء الشعر عندنا ؛ بالود قبل ذلك جميعـه ان نعترف بن دارسي الادب عنـدنا ؛ هؤلاء الذين يمارسون هذا اللون الادبي الذي يهـدف الى العناية بعملية الخلق والابداع ، يتحملون ، بـدون مبرر ، مسؤولية عدم التعريف بما تنتجه القريحـة المغربية من الوان الادب وانماطـه المختلفـة ، وليس يشفع لهم زعمهم بأن هذا النتاج يتميـز بالضحالـة والسطحية وعدم النضج ، ولذلك فهم فى شغل عنـه بسواه ، حتى تقوى بنيته ويصلب عوده ؛ وهو زعـم باطل ليس من شك ، ذلك لان واقعنا الادبي برغـم الاهمال الذي يخنق أنفاسه ويكتمها ، يقوم شاهـدا عدلا على أن عطاءاتنا الادبية ، بعامة ، فى مستوى مـن الاصالة والعمق والنضج ، لا يقل فى ذلك عن كثير مما تلفظه المطبعة فى الشرق العربي .

والانوار والانيس والمعرفة والحديقة والنبراس والنصر والجذوة ودعوة لحق والاذاعة المغربية والشراع وآفاق واقــلام ، لتزودنا بأسماء شعراء ، انقسموا ، من حيث فنية الشكل والمحتوى ، الى طوائف ثلاث :

اولى الطوائف يأتي في طليعتها : محمد بن موسى — محمد ابن ابراهيم — عـلال الفاسي — محمد المختــار السـوسي — عبد الله كنون — ابراهيم الالغي — عبد الملك البلغيثـي — عبـد القادر حسن — محمد الحلـوي — محمد بن علي الوكيلي — علي الصقلي — وغيرهم ممـن لم نذكر ، تشبعوا بالشعر العربي القديم ونسجـوا على منواله من حيث المحافظة على وحدة البيت والقافيـة مع اطالة النفس واستنزاف الروي — احيانا — مثلمـا نجـد في بعض بدائـع بن موسى ووطنيات السـوسـي ومولديات عـلال ؛ فهم بالضر—ورة ، اذن ، يمثلـــون المدرسة المغربية الاصيلة في الشعر ؛ على انه يمكن ، مع ذلك ، القول بأن هذه المدرسة او افرادا منهـا ، علـى الاصح ، اسهموا بحظ وافر في تجديد المضمون ، فلقد عنوا ، خاصة ، بمعالجة الشعر الوطنـي الذي فاضت به احاسيسـهم الشفافة ووجداناتهم الملتهبة ، على حين ظلت طائفة اخرى من هذه المدرسة محافظة على النزعة التقليدية للقصيدة شكلا ومحتوى ، روحـا ومنزعـا ، اخيلة وتعابير ، فنحن لانعدم من هذه الطائفة من يصف لنا معشوقته بمثل الاوصاف التي كان يخلعها الشعراء القدامى على حبيباتهم ، والادهى والامر من هذا ان نجد منهم من يتحدث لنا عن معركة التحرير في الجزائـر ، مثلا ، بالصور والاخيلة التي كان يتحدث بها ابو الطيب المتنبي وابو فراس الحمداني عن معارك سيف الدولـة الحمداني مثلا ، ايضا ؛ يضاف الى ذلك كله ان جـزءا غير يسير من انتاج طائفة تنتمي الى هذه المدرسة كان شعر ارتزاق واستجداء ومدح للناس الذيــن كانـــوا « فوق الناس » . انه ليصح الزعم بأن موجة الشعـــر الحر او التفعيلي لم تغير من نظرة هؤلاء او اغلبهم — ان اردنا الدقة في التعبير — الى هيكل القصيدة وبنائها ، كما انها — الموجة الجديدة — لم تستطـع ان تصـرف شعراء في الشرق متشبثين بكلاسيكيتهم ، عن منهجهم وطريقتهم في صوغ قصائدهم . — يتبـــع —

تطـــوان : حسن الوراكلي

بعض التلوين الموسيقي الداخلي فى البيت » (1) فقد عمد الرواد المهجريون الى تقسيم « البيت تقسيما جديدا تتجمع فى شطره الاول والاكبر كل الدفعة الموسيقية ، ثم يأتي الشطر الثاني بتوقيع صغير كأنه الجواب » (2) ... وكان آخر تلك الانتفاضات التي عرفها شعرنا العربي فى مختلف أطواره ومتعدد مراحله، تلك التي انطلقت شرارتها من العراق بعيد الحرب العالمية الثانية ، وكانت ارهاصاتها قد تمثلت فى نتاج قديم لفريد ابى حديد وحلمي احمد با كثير ولويس عوض ، وكان من روادها والسائرين على راس موكبها شاعرة انبتتها ارض الرافدين هي السيدة نازك الملائكة.

كانت الحياة العربية ، عهدئذ ، تعج بحوافز التطور ، وتتمخض بدوافع الابداع .. وكان الشرق العربي ، خاصة ، قد فتح نوافذ له علىَ دنيا الغرب ، فتسلل منها فيض من فلسفات فى الحياة والاجتماع ، كما تسرب منها دفق من نزعات فى السياسة والاقتصاد، وتيارات فى الفكر والادب والشعر ، وكانت النتيجة أن انعكس تأثير كل ذلك على ذهنية المثقف العربي ، فحاول محاكاته وترسم خطواته .. وفي الشعر ، خاصة ، كان الشعراء فى انجلترا وفرنسا واسبانيا قد خلقوا من هذا اللون الادبي الممتاز نبعا ثرا يتدفق من صميم الحياة ليضيء جوانب الحياة ، وكانت طائفة منهم قد دعت الى التحرر من قيود العروض والتخفف منها ؛ وهكذا تأثرت الطليعة الشاعرة ، يومئذ ، فى الوطن العربي من جديد بتلك الحركة ، واحس افرادها من جهة أخرى بوطأة موسيقية القالب الكلاسيكي على انفسهم « وأنهم فى حاجة — كيما يعبروا عن الموسيقى التي تنغمها مشاعرهم المختلفة — الى شيء من التخفف او — ان شئنا الدقة — الى شيء من التعديل فى الفلسفة الجمالية التي تسند تلك القوالب الموسيقية القديمة » (3) ، وانتهى بهم ذلك الى نبذ كل تقنينات العروض الخليلي ، واحتفظوا بالنغم والايقاع باعتبارهما عنصرين اساسين فى بناء هيكل عضوي ، متلاحم الاجزاء للقصيدة العربية ؛ ذلك لان الوزن بطبعه — في تعبير نازك — يزيد صورة حية ، ويعمق المشاعر ، ويلهب الاخيلة ، « ان الوزن كالسحر يسري فى مقاطع العبارات ويكهربها بتيار خفي من الموسيقى الملهمة »(4)؛ بيد أنهم لم يروا ان اساس الوزن لابد أن يكون بحرا مكونا من عدد محدد من التفعيلات وانما راوا ان الاساس هو التفعيلة اتحدت او تنوعت ، انفردت او تعددت ...

بتلك الروح المتحفزة ، البناءة ، الجريئة ، ثار هؤلاء المجددون ، فخلعوا عن القصيدة العربية بردها القديم ليخلعوا عليها رداءا جديدا ، ظلت به محتفظة بموسيقية مترقرقة ، نابضة ، تباعد بينها وبين النثر؛ ولقد عكست نتاج هذه الثورة وبلورة عطاءها نماذج قدمها روادها مثل نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وصلاح عبد الصبور وعبد المعطي حجازي ونزار قباني وكاظم جواد وخليل الحاوي ومحمد عفيفي مطهر وغيرهم

* * *

احب بعد هذا ، ان اتساءل : ما هي الاصداء التي انتهت الى ديارنا من انتفاضة الشعر الحر او التفعيلي؟ هل كانت موجة هذه الانتفاضة من الصخب والعنف بحيث استطاعت ان تجرف بالمفاهيم التقليدية فيما يتصل بشكل الشعر ومضمونه عند شعرائنا ؟ ام ان ايمان هؤلاء بالتركة الموروثة كان اصلب واقوى من ان تؤثر فيه انتفاضة مثل هذه ، فلم تنل منه فى شيء ، تماما ، كما لا تنال ريح عاتية من قيمة شماء ؟

ها انذا ، اذن ، قد انتهيت الى الموضوع المقصود بالذات كما يقولون ... كان علي ان اشير ، قبل الآن ، الى ان شعرنا المعاصر ، والقديم ايضا ، لم يجد سبيله الى النشر بالصورة التي يجد بها شعر آخر فى دنيا اخرى طريقه الى النشر ؛ فنحن لا نكاد نجد من بين آثارنا الشعرية ما طبع منها ديوان مستقل الا ما يمكن عده على رؤوس الاصابع ، ومن ثم كان على الذي يعتزم دراسة جوانبه او انحاء من هذه الآثار الشعرية أن يعمد الى اكداس من صحف ومجلات كانت تعنى بنشرها ، ينفض عنها الغبار ويقلب صفحاتها .

والحق ان نظرة خاطفة ، عابرة ، على السلام والمغرب الجديد ، ورسالة المغرب ، والثقافة المغربية ،

---

1 ) دكتور عز الدين اسماعيل : التفسير النفسي للادب ص 82 — الناشر : دار المعارف بالجمهورية العربية المتحدة 1963 .

2 ) المصدر السابق ص 83 .

3 ) المصدر السابق ، ص 85

4 ) انظر كتاب « قضايا الشعر المعاصر » لنازك الملائكة — الناشر : مكتبة النهضة — بغداد .

ومحمد عزيز كسوس ، والتي مهدت سبيل انبثاق الادب الصحيح الذي عرفته الجزائر فى فجر الحرب العالمية الثانية . .

هذا التسطير الموجز لا ينفي وجود تشعب في الآثار المنبثقة فيما بين الحربين او اختلافها ، بل يشير الى ان ادبا مغربيا مكتوبا باللغة الفرنسية بدا يأخذ شكلا ثابتا ، ويظهر تشبثا بأصوله رغم لغته الاجنبية ، ساعيا فى ذلك الى طرح الحالة المصيرية لابناء المغرب العربي الكبير ؛ ذلك لان هذا الادب كان يقدم نفسه اولا كشاهد على الواقع ، ثم اصبحت القضايا الاجتماعية والثقافية والسياسية تمده فيما بعد الحرب العالمية الثانية بمواضيع جديدة غير التي كان يعتني بمعالجتها : كقضية الارث السلفي ومظاهر الفلكلور ، ومحاولة تطور طبقات المجتمع ، ومشكلة الجوع ، وتطور المراة ، ومعضلة الزواج المشترك ، وشؤون المساواة فى الحقوق المدنية ، والبحث عن وسائل الوصول الى تناغم فى التعايش مع الاروبيين ومحاذاتهم . . كل هذه القضايا اصبحت تدرس من زاوية ضيقة بعد ان حلت محلها قضية ثانية مستعجلة ، لها علاقة بالراي الاسلامي العام الساعي الى الاستفادة ، والتكوين ، والعمل بعد ان تقلب فى واضاع سلبية فتاكة .

هذا وفى غمرة ذلك التطور الذي اصبح يفرض وجوده فيما بين 1945 ، اخذ دور الاعيان من رجال السياسة ينقرض شيئا فشيئا ، ليعوض بحركة ذات انفاس طلائعية تتزعمها جماعة من الادباء الشباب ، كانوا يتوقون الى ابتكار مواضيع جديدة ذات مضامين حديثة تتعدى حمولتها احداث التاريخ . وفعلا تغيرت معالم الادب فى المغرب العربي واصبحت جد ناضجة خصوصا فى السنوات العشر الاولى التي جاءت فيما بعد الحرب العالمية الثانية حيث كانت المواضيع المتعلقة بمستقبلية القطر ضئيلة تشع بجانبها اختيارات جديدة تقوم على تقديم صورة لطيفة ، لفرنسا وللعالم بأسره ، عن مغرب يقظ يقوم بعملية بحث عن هويته وذاتيته الاصيلة فى نطاق الاحداث المتشابكة ، وتشعب المظاهر المتناقضة الباطلة المشوشة . .

بيد ان تلك العملية ، وان كانت فردية بالنسبة لكل اديب فانها كانت تؤدي الى بحث جماعي ؛ كما انها كانت تفرض سلما من المستندات تختلف باختلاف تكوين الاديب ، وطبائعه ، وميوله الثقافي والعقائدي وغير ذلك . لذلك فاذا كان هؤلاء الادباء يطالبون بمعالجة قضايا المغرب العربي ، ويعرضون علينا آثارا ذات نفس مغربي فى الجوهر والايقاع ، فاننا لانستطيع التخلي عن راينا المتخذ فى شأنهم : من انهم اصحاب تكوين فرنسي فى معظمهم ، ومن ان آثارهم كانت لابد ان تتغذى من منبع فرنسي لا فى الناحية اللغوية فحسب ، بل فى العناصر الاساسية المكونة لمادة الادب الفرنسي . والا فهل يعقل غير ذلك ؟ او هل يمكن الاعتقاد ان يكون هؤلاء قد احتضنوا اللغة الفرنسية ، ومكثوا بعيدين عن الايقاعات الثقافية والعاطفية التي تنطوي عليها تلك اللغة ؟ بل هل فى مقدورتهم ان يصدوا عنهم كل ارهاص ادبي فرنسي ، وهم الذين تكونوا تكوينا فرنسيا محضا كان حافزا الى تفتق مواهبهم واتجاههم الادبي ؟ . . .

مهما كان الامر فانه تجدر الاشارة الى فكرة قائمة على شيء من الملاحظة الدقيقة : وهو ان الطريقة التي ينهجها كل كاتب من هؤلاء فى مسيرة التعبير الفرنسي تتعلق بمدى اختياراته الثقافية . فاذا كانت الكتابة عند بعضهم تدفعنا الى الاعتقاد ان الفرنسية ليست غير لغة مستعارة ؛ فانها على العكس تأتي عند غيرهم حصيلة هضم تام لتلك اللغة وثمرة استيعاب لاساليبها وقوالبها . وبالفعل ، فانه وسط تلك الحركة الثقافية التي زعزعت اركان المغرب العربي غداة الحرب العالمية الثانية ــ والتي كانت قائمة فى الجزائر على يد ادباء متمسكين باللغة العربية من امثال الشاعر محمدالسعيد والكاتب رضا حوحو ، وعبد الله نقلي ، واحمد بوزوز، والشيخ البشيرالابراهيمي ، وكذا الادباء الذينجعلوا من الفرنسية اداة اختيار ــ اصبحنا نلاحظ فى الجزائر اتجاها آخر يقوم على الفرنسية الصرف حيث كان رواده يتشبثون بلغة الدخيل الاجنبي ، ويعتزون بثقافته ، ويفتخرون بمتانتها وبوجودها كمنبع دائم يوفر لهم كل الهام ، ويمدهم بكل المصادر التي يحتاجون اليها .

وبما انه كان هناك اصحاب التعبير العربي الذين كانوا يرون فى اللغة العربية الاداة السليمة لوضع ادب وطني صرف ، ويتسامحون فى ان تكون الفرنسية اداة اختيار ترمي الى ابراز الفعالية ، دون الوقوع فى حيز العاطفة او التفاهة ، فقد كان هناك ايضا جانب المفتونين بالثقافة الفرنسية الذين كانوا يقولون بأن الجزائر ، او افريقيا الشمالية « تستحق ان تكون احدى مقاطعات الآداب الفرنسية » . . ومن ثم فان أدب المغرب العربي كان على عتبة تباعد خطير فى الآراء واختلافاتعديدة برز اكثرها فيما بعد فىشكل مطاحنات وخصومات .

# أدب المغرب العربي المكتوب بالفرنسية

## بقلم علي مراد
## ترجمه الاستاذ حسن المنيعي

.. ان كل تأمل في مستقبل الادب المغربي (1) لابد ان يكون مقرونا بتخمينات في مشكلة اصوله ، اذ كلما أمكن تحديد هذه الاصول كان ذلك عاملا مساعدا لفهم الوضع الحالي لهذا الادب ، وتسطير الخطوط العريضة لمراحل تطوره . وعليه فان الادب المغربي بحكمه وليد مرحلة الاحتلال الفرنسي ، يفرض نفسه كمظهر من المظاهر المولدة ليقظة الثقافة والسياسة في المغرب العربي حيث تتمركز مجاليه الاولية الهامة فيما بين الحربين ، وحيث ان المقابلات السياسية بين مندوب الرأي الاسلامي من جهة ، والادارة والراي الفرنسيين من جهة اخرى في تلك الفترة ، كانت تثير آراء جديدة وموجة من الطفرات الحديثة المتولدة ، وتبادلا عميقا بين الهيئات المفكرة العاملة داخل المجموعة الاسلامية ، التي ما ان استيقظت حتى اخذت تفرض افرادها ، من العلماء والسياسيين والمجددين والطلبة ، وتحثهم على القيام بدور التمثيل الوطني امام الضمير الفرنسي وان كانت غير قادرة في البدء على التلفظ بمطالبها .

هذا وأمام النشاطات السياسية اللازمة ظهرت العبارة الادبية كمساهمة ثمينة في حركة تطور المغرب العربي ، كما ان أدبها المكتوب باللغة الفرنسية اخذ يستمد مواضيعه من القضايا الاجتماعية والسياسية ؛ بل كان من فضائله تحديد مكانة الفرد المغربي في نطاق الحياة العامة بمشاكله وتحولاته وآماله العديدة .. كذلك كان يحاول تحطيم « الحاجز القوي » الذي يفصل العنصر الاوربي عن المجتمع الاصلي ، والتأثير في الاحساس الفرنسي باعطائه صورة واقعية عن مجتمع انساني يقاسي كل انواع الاحتقار والنسيان .

من هنا كانت مجالي هذا الادب تنحصر في نطاق المحاولة السياسية الاجتماعية التي تضع المشكل بصراحة ( مشكل الاهالي ) او القضية ذات الاطروحة كما نلمس ذلك عند « فرحات عباس » في مؤلفيه « الجزائري الفتي » و « من المستعمرة الى الاقليم » وكذا عند « رزالية بن التهامي » في كتابه « جحيم القصبة » .

الى جانب ذلك تقف محاولات ومشاهدات اخرى وتصنيفات مجزءة ترمي كلية الى اثارة شعور الفرنسيين وحملهم على مراعاة مصير الاهالي اليائسين ، وكذا الى حفز المواطنين الى اتخاذ وعي كامل بسوء حالهم . ونذكر في هذا المجال جهود أعضاء « صوت البسطاء » الذين قاموا بنشاط ملحوظ في الثلاثينيات الاخيرة عن طريق اصدار مجلتهم ذات الاتجاه التربوي ، التي قادت الجهاد في سبيل تحقيق التطور الثقافي للشعب الجزائري ، والتي كانت مدعاة لبروز العديد من الكتاب الذين دافعوا عن القضية المقدسة . اما عدا هذه المجلة فقد كانت هناك منشورات ودوريات تصدر باللغة الفرنسية فيما بين الحربين الاخيرتين ، كصوت الاهالي ، وصوت الشعب ، والدفاع ، « والتفاهم الفرنسي الاسلامي » التي كان يخرجها الدكتور صلاح بنجلول

---

1 ) ادب المغرب العربي .

انتشار الثقافة الفرنسية ولغتها فى الجزائر . ويمكننا فى هذا المجال ان نأتي بأحكام تقريبية فيما يخص درجة توغل الثقافة الفرنسية فى الجزائر وذلك بالاعتماد على الاحصائيات المشيرة الى انتشار اللغة الفرنسية خلال سنة 1955 سواء فى المستوى التعليمي او فى مستوى عموم السكان الجزائريين :

**1 ) التعليم الابتدائي :**

كان عدد الاطفال المسلمين المسجلين فى المدرسة الابتدائية لا يتعدى 293 117 من مجموع 000 900 1 ( أي انهم كانوا بنسبة 15 ٪ ) .

**2 ) التعليم الثانوي :**

كان عدد التلاميذ من المسلمين حوالي 260 6 من مجموع 412 34 ( أي انهم كانوا بنسبة 18 ٪ ) .

**3 ) التعليـم العالـي :**

من مجموع 174 5 طالب جامعي ، كان عدد الطلاب المسلمين لا يتعدى 591 طالب ( وبديهي أن هذا العدد كان يقتصر على الطلاب المنخرطين فى جامعة الجزائر ، اذ كان بجانبهم مئات من الطلاب الاخرين الموزعين على مختلف الجامعات الفرنسية ) .

من هذه الاحصائيات ، يتبين لنا ان تسعة اعشار من السكان المسلمين فى الجزائر كانت تجهل اللغة الفرنسية ، بينما كان العشر الباقي يضم بعض الافراد الذين كانت مداركهم للفرنسية لا تتعدى المرحلة الاولى. هذا ، واذا فرضنا ان الوضع العام لهذه اللغة كان قد تطور فى الجزائر منذ سنة 1955 ، فاننا لن نهمل ايضا تزايد السكان المتوازي لذلك التطور ، ولا مظاهر النقصان المتكدسة بسبب الحرب . وعليه فان الارقام المشار اليها تدعو الى التأمل لانها تعطينا فكرة ثابتة عن عشاق الادب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية . واذا ما اضفنا اليها اعتبارات سيكلوجية ، فاننا نلاحظ مثلا تأثير الحرب الجزائرية التي فتحت ثغرة هامة فى نطاق مكانة اللغة الفرنسية ، وجاذبيتها فى نظر المسلمين . اذ ان اللغة العربية كانت الى حد ذلك الوقت ينحصر دورها فى شؤون القضاء والدين ، قبل ان تكون اللغة الرسمية عند جبهة التحرير ، وتصبح كاللغة الفرنسية اداة للدعاية ووسيلة لضبط مخططات الثورة .

هذا وقد اصبحت اللغة الفرنسية اثر اندلاع حرب الجزائر لغة ملعونة ، شأنها شأن السياسة التي تعبر عنها ، حيث تنكر لها الجزائريون خصوصا بعد اعلان استقلال البلاد ، الذي تولد عنه اتجاه آخر : كان قائما على تحرر ثقافي ذاتي ، له اهدافه الخاصة تشع منها المطالب الثقافية للشعب الجزائري التي وضعت مبادئها اثناء اجتماع طرابلس سنة 1962 والتي تنص على « ان الثقافة الجزائرية ستكون وطنية ثورية علمية يقوم دورها على تمكين اللغة العربية ــ كوسيلة معبرة عن القيم الثقافية للبلاد ــ من فعاليتها كلغة حضارية ، واسترجاع كرامتها . . . لذلك فان تلك الثقافة ، ستسهر على البحث فى اسس التراث الوطني للرفع من قيمته ، والتعريف به وبازدواجية انسانيته القديمة والحديثة ، قصد تركيزه ثانية فى الحياة الثقافية ، وفى ميدان تهذيب الاحساس الشعبي . . كما انها ستحارب العالمية الثقافية ، والتأثيرات الغربية التي كانت سببا فى دفع كثير من الجزائريين الى التعبير عن كراهيتهم للقيم الوطنية ولغة البلاد . . . »

هذا الاتجاه المعرب عنه بهذا النص ، وبنصوص عقائدية اخرى لها علاقة بالثقافة الجديدة ، يحملنا على التفكير فى الخطوط الحقيقية للثقافة الفرنسية فى الجزائر المتقلبة اذ ان الظروف الحالية تعمل اكيدا لصالح استمرار تلك الثقافة ، بل ولتطورها حينما نرى رجال السياسة واعضاء الجهاز الاداري يلتجئون بكل سهولة الى اللغة الفرنسية للتعبير عن نواياهم . . لذا فاذا كانت الثقافة الفرنسية هي ما عليه الان من الانتشار فى الجزائر ، فكيف سيكون أمرها فى الغد ؟ ان الامر بسيط بحيث يمكننا من الساعة الراهنة ان نتنبأ باضمحلال متطور للاثر الثقافي الفرنسي ؛ لان شيوع اللغة العربية وتعريب الابتدائي ضمن برنامج التعليم سيعملان لا محالة على تبديل اللغة الفرنسية الى ان تبرز هذه الاخيرة كوسيلة ثانية لمتابعة الدراسات العليا الى جانب اللغة العربية . كما ان الادب المحلي المكتوب بها سوف يغدو مجرد ترف بورجوازي بالنسبة لافراد نخبة من المثقفين لا زالوا يحتفظون فى تستر بفكرة « **الجزائر الفرنسية** » . هذا ونحن نامل الا تكون الاختيارات الثقافية ذات صبغة شوفينية او تعصب ايديولوجي ؛ لكنه كيفما كان الامر فان عطف الجزائريين على اللغة الفرنسية فى المستقبل سوف لا يتعدى اعتبارها كأداة لتحقيق تكوين علمي وفني . كما ان الادب المغربي الفرنسي سيكون مضطر البحث عن جمهور اذا هو لم يفد ادب قضية ونقاش بصورة مستمرة .

## اختلاف الآراء :

هذا وفى خضم الفرحة العابرة التي سادت منذ الاربعينيات الاخيرة ، وفى غضون السنوات التي تلت اندلاع الثورة الجزائرية ، كانت الاتجاهات الرامية الى بث روح السمو الانساني والثقافي فى الشعب الجزائري — ضمن الاطار الفرنسي — قد مكنت الادباء الصاعدين والشعراء المحليين من التفكير فى امكانية المشاركة بصورة فعالة ، فى وضع ادب فرنسي جزائري حيث طفت ظاهرة جديدة تهدف الى تحقيق نوع من التآخي بين رجال الادب على اختلاف اعتقاداتهم ، بما فى ذلك المسلم والاسرائيلي والفرنسي . وحيث اجمع الكل على ان الثقافة الفرنسية كانت هي الطريق الوحيد لازدهار الحركات الفكرية بالنسبة للشعب الجزائري . وهكذا ، وتبعا لذلك فقد اهتم اصحاب هذا الاتجاه بالفلكلور الوطني الذي كان يعتبر اقوى رافد لذلك الادب الاسلامي — الفرنسي ، وتجاهلوا حركة التجديد العميق التي كان يقوم بها العلماء المسلمون آنذاك ، والتي ساعدت على ظهور نهضة فى الآداب العربية تحت شعار الوطنية والقومية العربية : الشيء الذي دفع هؤلاء المتفرنسين الى الاقرار فى كل بساطة ان الادب الكلاسيكي العربي كان « أدبا ميتا » ( كاتب ياسين ) .

وبذلك كسب هؤلاء رعاية حظائر ادبية خاصة ، ونالوا مساعدة جماعات عقائدية من الاحرار والتقدميين والشيوعيين وغيرهم . بل تكفل امر انطلاقتهم نحو الشهرة ادباء عظام من امثال كامو ، وسارتر ، وعمانويل روبلس ؛ كما احتضنتهم مجلات ذات سمعة فائقة كمجلة الفكر والازمنة الحديثة ، والآداب الجديدة ، والنقد الحديث ، زيادة على ما قدم لهم من أوسمة وجوائز كأدباء فرنسيين .

من خلال ذلك نرى ان ادب المغرب العربي المكتوب باللغة الفرنسية كان متأرجحا بين البحث عن طريق مستقل ، او الانقياد الى مسايرة اتجاهات الادب الفرنسي . وفعلا ، كان من بين أدباء هذا القطر من توفرت لديه كل العناصر المذكرة بالاحساس الفرنسي ، قد جعل النقاد يعتبرونهم — دون ادنى تردد — من شرذمة الادباء الفرنسيين ، فى حين كان هؤلاء الادباء يدركون بكل وعي مطالب مواطنهم فى الدفاع عن قضيتهم مهما تنكر اولئك لآثارهم . ونذكر فى هذا الصدد الضجة التي أثارها « مولود معمري » بكتابة « التل المنسي » الذي توجته الاوساط الفرنسية الرسمية ، واحتفى به رجال النقد فى فرنسا مما حفز المواطنين من الجزائريين الى القيام برد فعل فى الموضوع ، واعتبار ذلك مجرد صنيعة اساسها النفاق والمجاراة . . . هذه الفترة كانت تشير بحق الى الغموض الذي كان يطبع بعض الآثار المغربية المكتوبة باللغة الفرنسية لانها كانت تعرض فى الحين نفسه على وسط أصلي له اذواقه ومطالبه الخاصة ، وعلى جمهور اجنبي يتعدى نطاق المواطن الاصلي ويبحث على الحقيقة الادبية فى ثنايا تلك الآثار التي تبدو للناقد — حسب الزاوية التي ينتصب فيها — اما قوية النفس المغربي او ضئيلته . . .

ثم ان العبارة نفسها هي التي كانت تفرض ذلك الغموض ؛ اذ ، أليس من الممكن أن يظهر ذلك الادب فى يوم ما كاستمرار لعهد الاستعمار فى مغرب استرجع استقلاله الكلي ، وسهر على تعريب جميع مرافق الحياة ؟ او يكون أدبا مشبوها فيه ، فى حالة ما اذا كانت آثاره غير ساعية للتضحية بالحقيقة الادبية ، لاقتناء الفعالية التي يطالب بها الحكم او الرأي العام ، او في حالة ما اذا كانت غير عابئة بالاستجابة الى المتطلبات العقائدية المحلية ، وانما ساعية الى ارضاء مجموعة انسانية واسعة ؟ .

هنا نلمس جانب الدعائم السيكلوجية لهذا الادب المكتوب بالفرنسية الذي لا يلزمه ان يكون مخلصا للحقائق المغربية ، ساعيا للاندماج او التوغل فى الحياة الثقافية للمغرب العربي فحسب ، بل يلزمه على الخصوص المطالبة بدعامة سيكلوجية واسعة النطاق للمحافظة على شرعيته واسباب وجوده لان المظهر الثقافي للمغرب يتغير يوما بعد يوم ، فحيث يسود التعريب بجانب اللغة الفرنسية وتبدو بعض اللغات الاجنبية الحية قوية التأثير ، لما تؤديه من دور اساسي فى تكوين الشباب من الناحية التقنية والثقافية .

## الدعائم السيكلوجية :

كل ما سبق من ملاحظات يفرض مستقبلية الثقافة الفرنسية فى المغرب العربي ، وفى الوقت معا مستقبلية قضية الادب المكتوب باللغة الفرنسية . وعليه يجب اعتبار بعض الاستنتاجات العديدة ومراعاة الاختيارات السياسية الثقافية التي اكدها فى وضوح كل من المشرعين الفنيين ؛ كما انه يجب اخذ الجزائر كقاعدة لتلك الحقائق المقبولة لانها البلد الذي كان فيه ذلك الادب كثير الخصوبة ، ولانها المعسكر الذي ترابط فيه حظوظه المستقبلية ؛ تلك الحظوظ التي يتعلق مصيرها بمدى انغراسها فى الوعي الوطني : اي بمدى

# الأدب النسوي في الأندلس

للأستاذ: محمد المنتصر الريسوني

## - 10 -

وشاعرتنا ولادة ان عرضنا حياتها من خلال شعرها الاباحي، وما قاله فيها مؤرخو الادب على ضوء ما تطورت اليه العلوم الجنسية توصلنا الى ما يلي:

ا ـ يلوح من حياة العناس التي عاشتها ولادة أنها كانت مصابة بالجنسية المثلية وهي ميل المراة الى جنسها، والرجل الى جنسه، وليس يوضح هذا الامر غير ما قاله عنها ابن سعيد عندما تقرر تعلقها بمهجة في قوله:

« ... فعلقت بها ولادة ولزمت تأديبها »

وكذلك المقري لم يختلف عما قاله ابن سعيد، وغرسيا غومس لايخرج عن اطار هذه التهمة عندما يقول فيها: ( ولكنها كانت امراة رجلة ) (1) « Virago »

وهذا النوع من الحب والتعلق له فى التاريخ القديم شهرة، فيحكى ان شاعرة اغريقية تسمى ( سافو ) وقعت فى غرام احدى تلميذاتها؛ غير ان التلميذة لم تستجب لنداء هذا الحب، كما انها تعلقت بصديقة لها تسمى ( فاون ) ولكن الشاعرة اخيرا عصف بها الياس القاتل فألقت بنفسها فى اليم.

واولئك النسوة اللائي عرفن بهذا الشذوذ اطلق عليهن الاغارقة اسم ( تريبا ديس ) « Tribades » المشتق من كلمة « Tribein » ومعناه ( يحك جسمه بجسم شخص آخر ) (2)

ب ـ وفى ميسورنا ان نعلل بعض تصرفاتها بمرض السادية الذي هو حب الانسان السادي الى تعذيب الجنس الآخر وتحميله الألم، واصل هذا الداء ان الطفلة عندما تحس بنقص بعض اعضائها التي يتمتع بها الطفل تشعر بغيرة وحسد يسمى حسد ( الذكورة ) وعند ذاك يبدا الحقد يتأصل فى داخلها على الرجال ويترعرع فى نفسها الى ان يصبح سادية، وحسبك انك تعلم ان شاعرتنا ولادة فقدت عرش آبائها، فكان طبيعيا ان تحقد على الرجال وخصوصا الذين مكنت لهم الظروف فى تحطيم عرش بني امية وعلى راسهم ابن زيدون.

ثم ان بعض الدارسين من علماء الجنس علل مرض السادية بأثر وراثي نتيجة فساد النطفة الناجم عن التسمم بالخمر، والمطلع على التاريخ يعرف ان اباها محمد بن عبد الرحمن اشتهر بالادمان على شرب الخمر، وانه لم ينجب غيرها، فليس بدعا اذا افسدت الخمرة حيوية الجنسية.

والمرض السادي يتخد اشكالا، منها ان المراة تستعمل جمالها لاخضاع الجنس الرجولي لتشبع لذاتها، ومنها حب التلويث كتلويث الملابس والشخص ذاته، وانت اذا جئت الى التاريخ حدثك عما فعلته ولادة مع ابن عبدوس من العبث والسخرية بشخصيته، وذلك عند مرورها بدار ابن عبدوس وهو جالس مع

---

1) انظر الشعر الاندلسي ـ ترجمة الدكتور حسين مؤنس

2) انظر تاريخ العلاقات الجنسية تاليف ريتشارد لوينسون ـ ترجمة امين سلامة ج 1 ص 94.

اذا كان الامر كذلك فنحن نتساءل كيف يمكن للادب المغربي ان يستفيد طويلا من جمهور قارىء ، ان لم يكن يخص جانب الشعب ، فبالاحرى اقليته ، ليبرر مغربيته ويؤكد شرعية وجوده فى البلد ؟

هنا نذكر قضية الادب المكتوب باللغة الفرنسية فى بعض الدول العربية حيث نعلم انه فى مصر وسوريا ولبنان لا زالت الثقافة الفرنسية تحتفظ بمجموعة من المعجبين بأدبها فى تلك البلدان . وبما اني لا اقصد في هذا المجال ، الحديث عن الظاهرة التاريخية التي تفسد ذلك ، فاني اتسرع الى القول : بأن الادب المكتوب بالفرنسية كان قد عرف اعلاما قليلين ، كما انه لقي اعجابا من لدن فئة قليلة من المتذوقين بحيث كانت هناك مدرسة ادبية فى مصر تمثلها « مجلة القاهرة » ، الا انه بحكم انفرادها عن الادب المصري المعاصر فقد كانت ضئيلة الاثر سواء فى الداخل او الخارج . بيد انها رغم ذلك عملت على التعريف بأحمد رسيم كشاعر موهوب كسب شهرة واسعة لارتباطه بمعطيات البلد وبقائه كشاعر عربي ، وان كان شديد الهيام بالثقافة الفرنسية .

الى جانب احمد رسيم كان هناك « اليان ج . فنبير » الذي استطاع بواسطة رائعته « مجنون الاله » ان يأخذ مكانه بجانب الادباء الفرنسيين المعاصرين . وكذلك الامر بالشاعر السوري « فؤاد جبريل نفاح » الذي اشتهر بكتابه « عاشقا الامس » لكونه كان تراثا فرنسيا بعيدا عن الاشارة الى أصول الشاعر . اما « جورج شحادة » الشاعر اللبناني والكاتب المسرحي فقد حصره ماكس بول فوشي فى الانطلوجية التي وضعها للتعريف بأعلام الشعر الفرنسي وامرائه ، على ان اسم هذا الاديب اللبناني لا يذكر الا في اوساط بعض المثقفين من مواطنيه . لذلك أليس لنا ان نقرر بأن الادب المكتوب باللغة الفرنسية فى الدول العربية له مصير مشترك وان عليه ان يكون مندمجا كليا فى الآداب الفرنسية ، اللهم الا اذا كان قويا ، حيا ، حقيقي الطابع بحيث يمكن ادماجه ضد الثقافات الوطنية ؟

مهما كان امر هذا الادب ، ومهما بعد عن جذوره كما قيل فى مجلات عديدة فانه ، اذا اراد ان يكون مخلصا لرسالته ، او يتجنب مطارحات فى محتوياته ، وجب على الكاتب المغربي ان يكون فيه هو نفسه وذاته حيث تقهر لهجته الصريحة كل الاحتجاجات ، وكل التأثيرات القائمة على الضغط الى ان يتمكن مواطنوه من العثور على هويتهم وانفسهم عبر آثاره .. حينذاك نستطيع نحن التفكير ان هذا الكاتب المغربي الجاري وراء التعبير الفرنسي يمكنه ان يطالب بشرعية دوره فى الحياة الثقافية ضمن المجموعة الانسانية التي يتعايش معها ، كما يمكن لادبه ان يكون علامة على تلك الحيوية الثقافية السائدة فى « مغرب عربي » استطاع تحقيق اهدافه السياسية والاجتماعية ، وجعل من ادبه اتجاها انسانيا يبرر انفتاحه لحضارة البحر الابيض المتوسط وتطلعه اليها كحضارة مستقبلية .

بقلم : علي مراد

مكناس - ترجمة : حسن المنيعي

يقـرع الســـن على ان لـم يكــن
زاد في تلــك الخطـــا اذ شيعـك

يا اخـــا البـــدر سنـــاء وسنـــا
حفــظ اللـــه زمـانـــا اطلعــك

ان يطــل بعــدك ليلــي فلكــم
بت اشكـــو قصر الليــل معــك

هـــذه الابيات الرائعة نسبها صاحب ( قلائــد العقيان (1) وصاحب ( الذخيــرة ) (2) لابن زيـدون ؛ غير ان المقري (3) نسبها لولادة ، ونحن نرجح نسبتها لابن زيدون ذلك لان ابن خاقان وابن بسام اقرب عهدا بالشاعر من المقري . وديوانه نفسه أثبتها له سواء في طبعته الاولى أو الثانية (4) ، كما اثبتها ابن خلكان (5) عند حديثه عن حياته ومصدره فى ذلك ابن بسام .

وجرى لولادة مع صاحبها خصام اججته الغيرة والاباء وذلك ان عتبة جاريتها كانت قد غنتهــا :

احبتنـــا انـــي بلغــت مؤملــي
وساعدني دهري وواصلني حبـي

وجــــاء يهنيني البشيـــر بقربــه
فأعطيتـــه نفسي وزدت له قلبــي

فسألها ابن زيدون الاعـــادة من غير اذن ولادة فغضبت لذلك اشد الغضب ، وكيف لا وهي المعجبــة بنفسها وجمالها ، الامر الذي أدى بها الى ان تكتب على عاتقي ثوبها الايمن والايسر البيتين السالفي الذكر (6) ، ولذلك قالت محتــدة :

لـــو كنت تنصف في المــودة بيننـــا
لــم تهــو جاريتــي ولـم تتخيــر

وتركــت غصنـــا مثمــرا بجمالـــه
وجنحت للغصــن الــذي لـم يثمــر

ولقـــد علمت بأننــي بـدر السمـــا
لكن دهيــت (7) لشقوتــي بالمشتــري

وابن زيدون رغم هذا التصرف الذي صدر عنه مما دفع صاحبته الى ان تسلوه انتقاما لكرامتها ، فانــه ظل يحن اليها ، ويصبو الى لقائها فيترجم كــل ذلك الى شعره حتى تضوعت رائحة هذا الحب ، وتلمست كل انف فقال معتذرا :

والله ما ساءنـــي أني خفيت ضنـــى
بل ساءنـــي أن سرى بالضنى علـــن

لـــو كـــان امري في كتم الهوى بيــدي
ما كـــان يعلـم ما في قلبـــي البـــدن

ويقول بعد ما غدا حبهما على طرف كل لسان :

يا من غــدوت بــه في الناس مشتهرا
قلبـــي عليك يقاســـي الهم والفكرا

يتبـــــع

تطـــوان : محمد المنتصر الريسوني

---

1) ص 74 الطبعة الاولى (2) : 319 ـ 377 . (3) النفح ج 2 ص 448 . وهذه الابيات عارضهــا احمد شوقي بقصيدة يقول فى اولها : ردت الروح على المضنـــى معك ❋ احسن الايام يـــوم ارجعك والتي اسندها عبد الله عفيفي فى كتابه( المراة العربية فى جاهليتها واسلامها ) ج 3 ص 131 لولادة وكذلك محمد جميل بيهم فى كتابه ( المراة فى حضارة العرب ) ص 244 ـ دار النشر للجامعيين ، وعيسى سابا فى كتابه ( غزل النساء ) ص 51 ـ دار العلم للملايين ، ومن دون شك ان اولئك اعتمــدوا في ذلك على المقـــري فى النفـــح .

4) الطبعـــة الاولـى سنة 1351 هـ بشرح وضبط وتصنيف الاستاذين : كامل كيلاني وعبد الرحمـن خليفة والطبعة الثانيــة سنـــة 1375 هـ بشرح وتحقيق الاستاذ محمد سعيد كيلاني (5)وفيات الاعيان ج 1 ص 123 تحقيق محمد محـــي الدين عبد الحميد . (6) كتابــة ولادة البيتيــن على ثوبها شـــيء مألوف ، ولكن لدى الجواري كعنان الجاريـــة المشهورة التي كتبت على عصابتها باللؤلـؤ ( اذا لـم تستح فاصنع ما شئت ) وغيرها . (7) فى النفح ج 2 ص 448 ( ولعت ) بدل ( دهيت ) .

ثلة من اصدقائه وامامه بركة تتولد منها الاقذار فقالت لـــــــه :

انت الخصيـــب وهـــذه مصـــر
فتدفقـــا فكلاكمـــا بحـــــر (1)

وكذلك فعلت مع ابن زيدون وصديقتها مهجـــة والاصبحي الذي مزقت عرضه وعرض ابنـــه كـــل ممـــزق (2)

هـــذا ما يمكن ان يقال فى تعليل سلـــوك ولادة وشخصيتها المنحرفة ، وكان مـــن اليسير جـــدا أن نخضع شخصيتها لكثيـــر من التفسيرات العلميـــة الحديثة ؛ بيد اننا آثرنا الا نغرق فى هذه التعليلات التي قد تزيد الامـــر تعقيدا ، وبعدا عن استكشـاف الحقيقة

## شـاعـريتهـــا :

غزلها يفيض بالعاطفة مـــع جنوح الى المبالغـــة الواهمة حتى انها عندما تريد أن تعبر عن شوقها الـــى الحبيب تزعم ان ما في صدرها من الهيجان واللهفـــة المحرقة تعجز عن حمله الشمس والبدر وغيـــر ذلك ، وان حبها يذهب عن معاقد جفنها النوم فيجعلهـــا فى حجرة تتقلب فيها كما لو كانت تنام على فراش من اللظى المشتعل الاوار ، فاستمع اليها تدير هذا المعنى فـــي قـــولهـــا :

وقد كنت أوقـــات التزور في الشقـــا
ابيت على جمر مـــن الشوق محـــرق

اما شعرها الهجائي فهو عبارة عن فحش وقذارة تشبه فى ذلك دعبل الخزاعي 148 – 246 هـ فى بعـــض قصائده الهجائية المقذعة الجارحة ، وقـــد تعفف ابن بسام عن رواية ابياتها اللاذعة فىحين ان المقري لميتورع عـــن ذكـــرهـــا .

وقد يكون مرد هجائها فى ابن زيدون الى انـــه اتهمها بعلاقاتها السيئة مع الوزيـــر ابن عبدوس وكان يلقبـــه بالفار قال فيهما معـــا ،

عيرتمونـــا بأن قـــد صار يخلفنـــا
فيمـــن تحب ومـــا في ذاك من عـــار
اكل شهـــي اصبنـــا من أطايبـــه
بعضـــا وبعضـــا صفحنا عنه للفار(3)

فشعرها عموما يتسم بالرصانة ، مع السلاســة ومتانة فى التركيب ، وقوة فى التعبير على غير وعـــورة وخشونـــة .

وبجانب كـــل ذلك فان ما وصلنا من انتاجهـــا الادبي – على قلته – ينم عن ثقافتها المتينة ، ومحفوظاتها للشعـــر العربـــي القديـــم .

تلك هي شاعرية ولادة .

اما علاقتها بابن زيدون فالحديث يتشقق ويطول، اتصل بها هذا الشاعر فى قصرها اثناء اقامتها للمجالس الادبية ، احبها فلم تستعص عليه ؛ ولذلك فان الآثـــار الزيدونية تمخضت عن عوامل عدة من بينها هيامـــه بولادة التي اوحت له بقصائـــد ساحـــرة صاغ وتدها المفروق والمجمـــوع ، وسببهـــا الخفيف والثقيـــل من شرايين نفســه وأوتار فؤاده ، فكان ذلك نعمـــة واي نعمة على الادب العربـــي

وكيفما كان الحال فقصتها معه اشهر من نار على علم اذ اصبحت حديث كل الناس اوانئذ وخاصة بعد ان سطر بعض حوادثها الشاعر فى عطائه الشعري .

ويروى أن ولادة بعثت اليه تعلمه بزيارتها لـــه شريطة ان تكون الزيارة تحت جنح الليل ! اذ الليـــل اكتم للســـر واصون للحبيبين :

ترقـــب اذا جـــن الظـــلام زيارتـــي
فانـــي رايت الليـــل اكتـــم للســـر
وبي منك ما لـــو كان بالشمس لم تلـــح
وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يســـر (4)

ووفت ولادة بعهدها ولما ارادت أن تنصرف قالت هذه الابيات تودعه بهـــا :

ودع الصبـــر محـــب ودعـــك
ذائـــع من ســـره ما استودعـــك (5)

---

1) البيت لابي نواس ، وهو مطلع لقصيدة له فى مدح الخصيب عامل الرشيد على مصـــر ، وولادة نقلت البيت نقلا لطيفا من المدح الى الهجاء .

2) انظـــر نفـــح الطيب ج 2 ص 448 الطبعـــة الازهـــرية

3) ديـــوان ابن زيدون ص 220 تحقيق محمد سعيد

4) البيت فى الذخيرة : 377 هكذا : وبي منك ما لوكان بالبدر ما بدا ❋ وبالليل ما ادجى وبالنجم لم يسر

5) فى الديوان تحقيق محمد سعيد كيلاني ص 183 ، ( الحسن ) بدل ( الصبر ) و ( ضائع من عهده ) بدل من ( ذائع من سره ) .

وفى كل فصل من هذه الفصول ، تناول فيه الحالة السياسية والاجتماعية والثقافية عامة ، والادبية خاصة . وهذه فصل فيها القول فى الشعر والنثر ، كما ترجم فيها لمن اختارهم من رجالها البارزين ، وساق نماذج من كلا الشعر والنثر .

والملاحظ على الكتاب ما يلي :

ا — فى الفترة الاولى رجح حينما تناول الحركة الادبية أن يكون ما نسب الى طارق نظما ونثرا من وضع بعض الرواة ، ذلك أن طارقا لم يكن من حداثة عهده بالعربية ما يسمح له بالخطابة والشعر فيها ، حتى ولو كان له ابوان فى الاسلام ، فذلك لا يتيح له معرفة بالعربية الى درجة قول الشعر والقاء الخطب ، لان احوال المغرب فى تلك الآونة لم تكن تسمح بتادب ، وان المصادر الاولى قد خلت تماما من اي حديث عن ذلك ، سواء فى ذلك المصادر الاندلسية والمشرقية ، ولم يرد هذا الادب الا فى بعض المصادر المتاخرة كنفح الطيب الذي لم يذكر لنا مصدر ما نقل عنه الخطبة ، وان كان فى الشعر ذكر اعتماده على المسهب والمغرب ، واقدمهما يرجع الى القرن السادس ، ثم ان اسلوب الخطبة يمثل ما كان عليه اواخر العهد العباسي بل العهد المملوكي ، الذي شاعت فيه المحسنات المتكلفة ، واخيرا وردت فى الخطبة هذه الجملة « وقد اختاركم أمير المؤمنين من الابطال عربانا » اذ المعروف أن جنوده كانوا من البربر ولم يكونوا عربانا .

اما طارقا لم يكن من حداثة عهده بالعربية ما يسمح له بالخطابة والشعر ، فهذا غير مسلم ، حتى ولو كانت احوال المغرب فى تلك الآونة لا تسمح بتادب ، كما قال ، ومن اين لنا ان نقطع بأن طارقا لم يتادب خارج المغرب ، او انه لم تتح له ظروف خاصة تؤدبه بهذه العربية ؟ واما عدم ورود هذه النصوص الادبية فى المصادر القديمة ، وان المقري الذي اتى بالخطبة لم يذكر لنا مصدره فى نقلها فهذا يوهنه ، ما نجده فى الامامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري المتوفى عام ستة وسبعين ومائتين ، من ذكر لهذه الخطبة منسوبة لطارق واما وجود العربان فيها، فعلى التسليم الجدلي بتعكيره علينا ، لا يكون داحضا للصحة فى تلك النسبة ، فالخطبة الواردة فى الامامة والسياسة هكذا :

« ايها الناس اين المفر ، البحر من ورائكم ، والعدو امامكم ، فليس ثم والله الا الصدق والصبر ، فانهما لا يغلبان ، وهما جندان منصوران ، ولا تضر معهما قلة ، ولا تنفع مع الخور والكسل والفشل والاختلاف والعجبكثرة، ايها الناس، مافعلت منشىء فافعلوا مثله ، ان حملت فاحملوا ، وان وقفت فقفوا، ثم كونوا كهيئة رجل واحد فى القتال ، الا واني عامد الى طاغيتهم ، بحيث لا اتهيبه حتى اخالطه او اقتل دونه ، فان قتلت فلا تهنوا ولا تحزنوا ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، وتولوا الدبر لعدوكم ، فتبددوا بين قتيل واسير ، واياكم اياكم ان ترضوا بالدنية ولا تلقوا بأيديكم ، وارغبوا، فيما عجل لكم من الكرامة ، والراحة من المهانة والذلة ، وما قد أجل لكم من ثواب الشهادة ، فانكم ان تفعلوا فالله معكم ومعيذكم ، والا تبوءون بالخسران المبين وسوء الحديث غدا بين من عرفكم من المسلمين ، وها اناذا حامل حتى اغشاه ، فاحملوا بحملتي » .

فها نحن نرى الا ذكر للعربان بهذه الخطبة ، وانها تختلف عما تذكر له فى اسلوبها وصياغتها ، فهي تكاد تخلو من تلك المحسنات ، كما أن مستواها — على العموم — من البساطة التي كانت فى مستطاع طارق ، حين نصوره بما سبق تصويره ، فالاقتباس فيها لا يتعدى القرآن الكريم ، بل التعبيرات الراقية فيها تكاد تكون كذلك ، وبعضها مما هو مذكور بنصه فى السيرة النبوية ، فلا يستبعد اذن ان تكون الخطبة صحيحة النسبة ، فى نصها هذا أو ما هو قريب منه ، وهو الغالب الذي يسيغه النظر القويم .

ب — يرى فى الصفحة 172 وما بعدها ، وفى التعليق 2 من الصفحة المذكورة ، ان رحلة الغزال لم تكن الى بلاد النورمان ، بل كانت الى القسطنطينية وهو فى هذا تابع لليفي بروفنسال ، الذي ذكر أن ابن دحية لما قال ان سفارته كانت الى ملك المجوس ، كان معتمدا فى ذلك على عناصر خيالية ، والواقع أن الرحلة الى بلاد النورمان حصلت ، وايدها التاريخ ، كما ايدتها الاشعار التي قالها الغزال فى تلك السفارة، كقوله :

اني تعلقت مجوسية
تابى لشمس الحسن ان تغربا

اقصى بلاد الله لي حيث لا
يلقى اليها ذاهب مذهبا

يا « تود » يا رود الشباب التي
تطلع من ازهارها الكوكبا

## معرض الكتب :



# الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة

للدكتور أحمد هيكل

تقديم وتعليق الأستاذ محمد بن تاويت

اطلعت اخيرا على هذا الكتاب ، فوجدته وافيا بموضوعه ، جامعا لاشراط بحثه ، بل هو فى نظري الكتاب العربي الذي انفرد — حتى الآن — بتناول هذا الموضوع تناولا منهجيا ، معتمدا على المختصين فيه من جهابذة الاستشراق الاسبانيين ، الى ابعد حد ، ومناقشا اياهم فيما يستوجب المناقشة من نظريات وآراء ، قد تكون موجهة بدوافع شتى .

ودراسة الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة ، هي دراسة لهذا الادب فى مرحلته الزاهية بالخلق والابداع ولهذا كان هذا التحديد له مغزاه ومعناه ، أما فيما بعد — وهو تاريخ طويل — فلم يكن الا التصنع والتنمق ، وليس وراء ذلك ما يستحق أن يكون فى حيز الجوهر ، اللهم الا ما ند من افراد قلال ، لا يتجاوزون عدد الانامل ، ومض بهم هذا الادب ومضات سرعان ما اكتنفها الغسق الدامس ، ثم لم يتنفس الصبح الا عن بهرجة تصطخب فيها الالوان وتتهالك فيها الاصباغ .

وكأن الادب الاندلسي فى نهايته هذه ، كان على ميعاد مع اخيه بالمشرق ، فبعد القرن الرابع واوائل الخامس لم نر فى المشرق الا ما رأيناه بعيد ذلك فى الاندلس ، سنة واحدة كانت لهذا الادب فى رجاله ، شرقوا ام غربوا ، وان امتد الاجل بهؤلاء قليلا ، او ومضت فيهم الومضات ، كما قلنا ، تعويضا عما تأخروا زمنيا فيه .

مهد المؤلف لكتابه بتمهيد قيم ، تناول فيه اسم الاندلس ، وما قيل فيه قديما وحديثا ، ثم عقب على ذلك بلمحة جغرافية لشبه الجزيرة ، وانتقل من هذا الى سكانها الاول ، قبل الاسلام ، من مختلف الاجناس ، ثم اتصل بالفاتحين المسلمين وعلى راسهم موسى بن نصير ، الذي رافقه حتى اوبته الى دمشق ، حيث لاقى مصيره الاليم ، وعاد بعد الى الاندلس فتكلم على عبد العزيز بن موسى وما تلا مصرعه من الاحداث ، وانتقل من هذا كله الى دراسة المجتمع الاندلسي آنذاك ، وصور كيف انتشر فيه بسرعة هذا الدين الحنيف بلغته وثقافته ، وكيف تكون هؤلاء الاندلسيون الجدد ، وما فى تكونهم هذا من اختلاف البحاث الشرقيين والغربيين وكيف تميزت شخصيتهم ، بعوامل فيها الاقليم وطبيعته والوضع الذي كانوا عليه ازاء جيرانهم او فيما بينهم ، كما وصف ملامحهم الخلقية والخلقية ، ومغايرتهم لبعض التقاليد التي كانت مرعية بالمشرق .

ومن هنا دخل فى صلب الموضوع ، الذي قسمه الى فصول ستة كان منها :

الاول فى فترة الولاة .
والثاني فى فترة تاسيس الامارة .
والثالث فى فترة صراع الامارة .
والرابع فى فترة الخلافة .
والخامسة فى فترة الحجابة .
والسادس فى فتوة الفتنة .

# القومية العربية في القرن التاسع عشر

تأليف الدكتور توفيق برو
تقديم الأستاذ محمد محي الدين المشرفي
مدير المركز الوطني للتعريب

يسرني ان اقدم للقارىء الكريم ملخص ما قراته فى هذا الكتاب القيم الذي جمع بين دفتيه من الفوائد والمعلومات حول انتشار الحركة القومية فى الدول العربية خلال القرن التاسع عشر ما قد يساعد الباحثين على استقصاء العوامل القريبة والبعيدة التي مكنت الاقطار العربية ، بعد كفاح طويل ، من الخروج عن طاعة الغاصبين وتحقيق رغبتها المشروعة فى حياة مستقلة كريمة .

والكتاب الآنف الذكر متوسط القطع ، طبع على ورق صقيل بفضل وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق وكتب باسلوب واضح بسيط يحمل على مطالعة هذا المؤلف المفيد فى كثير من الشوق والاغراء.

وقد اعتمد المؤلف فى كتابة هذا الكتاب على مصادر متعددة لها قيمة تاريخية وفلسفية لا تنكر ، كتب وضع بعضها اساسا باللغة العربية وبعضها الآخر باللغة الفرنسية : وقسم المؤلف كتابه الى ستة فصول ابتداء من موجة الاستعمار الاوربي التي اجتاحت الاقطار العربية المستقلة الى مظاهر اليقظة القومية ، مشيرا فى المقدمة الى الحالة السياسية والاجتماعية التي كانت تعيش عليها الدول والممالك العربية خلال القرن التاسع عشر وكيف استطاعت الدولة العثمانية الاستيلاء عليها دون مقاومة لان العرب والمسلمين كانوا يعلمون ان الاتراك انما كانت رغبتهم متجهة الى تسليط سيطرتهم على تلك الدول من الوجهة العسكرية فقط لا من الناحية الثقافية او الدينية ، والواقع ان الدول غير المسلمة التي خضعت للاتراك كانت هي الاخرى تتمتع فى فترة الاحتلال العثماني بحريتها الدينية ، لها كنائسها وبيعها ، يضاف الى ذلك ان الدول العربية والاسلامية عموما احتفظت بتعليمها العربي مما جنبها الوقوع فى مشكلة التعريب ، فيما بعد ، كما وقع ذلك بالنسبة لدول المغرب العربي ، بعد تخلصها من قبضة الاستعمار ، اما المغرب الاقصى فهو البلد العربي الوحيد الذي لم يخضع قط للسيطرة العثمانية مما كان له اثره العميق فى المحافظة على تراثه الخالص وحضارته العريقة .

* * *

ولما شعرت الدول العربية والاسلامية بان المرض والانحلال صارا يدبان فى هيكل الامبراطورية العثمانية الواسعة الاطراف جعلوا يستعدون لانتزاع استقلالهم المغتصب، لكن نوايا الاستعمار الاوربي كانت اسبق من يقظة العرب ، وبدلا من ان يسترد العرب حكمهم لوطنهم السليب ضاعت هذه الاقطار من يدهم ، مرة اخرى ، واحدا بعد واحد بفعل القرصنة الاستعمارية والاغتصاب ، وهكذا اصبحوا فى حالة اضطروا معها الى الاستعداد لكفاح طويل مرير .. والواقع انه اذا كانت البلاد العربية بقيت ، قبل القرن التاسع عشر ، فى مأمن من الاستعمار الاوربي فذلك راجع الى اتجاه الاوربيين باطماعهم الى الشرق الاقصى اولا والقارة الامريكية عقب الاكتشافات التي احدثت خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر اثرا عميقا فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية الاوربية كما ان اشتغال الاوربيين بحروب داخلية فى اوربا صرفتهم عن الشرق العربي حتى مطلع القرن العشرين .

فمنذ القرن السادس عشر لعبت فكرة استئناف الحروب الصليبية ضد الشرق الاسلامي دورها فى تسيير السياسة الاوربية ، والدليل على ذلك هو

فهل كان الغزال يعني بالمجوس اهل القسطنطينية النصارى ، وهل كانت القسطنطينية فى نظره « اقصى بلاد الله حيث لا يلقى اليها ذاهب مذهبا ؟

يظهر ان المؤلف يقول بما قال به الاستاذ احمد امين ، من انه « يريد بالمجوسية النصرانية » وان كان هذا نفسه يذكر انه « ارسل سفيرا الى ملك الدانمرك .

ج — وفى الصفحة 248 يذكر ان ابن عبد ربه لم يرحل الى المشرق ، وان الاستاذ احمد امين رحمه الله — كان واهما فى ذكره لهده الرحلة ، مع ان ان عبد ربه يصرح بنفسه فى كتابه العقد انه رحل الى المشرق ، فيقول فى تفاضل البلدان منه ، وقد اتصل بالمسجد الحرام : وحمام المسجد كثير انيس ، يكاد الانسان أن يطأه بقدمه ، لانسه بالناس ، وهو فى لون حمام الابرجة عندنا ، الا انه اقدر منه ، وليس منه حمامة تجلس على البيت ، ولا تطير عليه . ولقد همني ذلك، فرايتها حين تكاد ان تحاذي البيت ، وهي مستعلية فى طيرانها ذلك غطست حتى تطير دونه ، واخذت عن يمينه او يساره ، وزرقها ظاهر بارز على البيوت التي فى المسجد ، الا بيت الله الحرام ، فانه نقي ليس فيه ولا عليه اثر ... » فهذا — كما نرى — صريح فى كونه كان بالمشرق .

د — وفى صفحة 293 يذكر أن كتاب العقد يحتوي على نماذج نثرية لابن عبد ربه اكثر من الشعرية له . مع ان الواقع هو العكس فأبياته تربو على الاربع مائة عدا الارجوزة التاريخية التي تضم اربعمائة وخمسين منالابيات ، والارجوزة العروضية وشواهدها التي تربو على مائة بيت كذلك ، ثم المقطعات على حروف الهجاء ، وهي كثيرة ، وبالاختصار فالارجوزة العروضية تقع بين ص 240 و 252 والامثلة على البحور بين 254 و 286 والمقطعات بين 317 و325 . فاذا ضممنا هذا كله الى تلك الابيات ، فان الجميع قْد يصل زهاء الالف بل يربو عليها .

أما النماذج النثرية فلا تتعدى المقدمة ، وفرش الابواب ، وهي لا تتعدى بضعة اسطر فى كل فرش منها .

ز — وفيما عدا هذا ، ففيه بعض التعبيرات ، التى استرعت انتباهنا ، كقوله فى صفحة 22 : فيها (الاندلس) بقاع تستحم بمياه « الانهار » فكلمة تستحم لا تبدو لنا فى مكانها .

هـ — ولا يفوت المؤلف ان يذكر لهؤلاء الاندلسيين ما اخذوه من زملائهم المشارقة ، كما فى رائية ابن دراج التي نظرت الى رائية المتنبي العميدية فى الصفحة 182 يذكر لسعيد بن جودي أبياتا تصور قوته وشدة باسه ، وهي :

الدرع قد صارت شعاري فما ابسط حاشاها لتهجاعي
والسيف ان تصره صانع طوله يوم الوغى باعي
وما كميتي لي بمستقصر اذا دعاني للقا داعي
هذا الذي اسعى له جاهدا كل امرىء فى شانه ساعي

وفاته أن يذكر ان هذه الابيات قد انتزعت لا محالة من قول ابن زيابة التيمي :

الرمح لا املأ كفي به والدرع لا اتبع تزواله
والدرع لا ابغي بها بدلا كل امرىء مستودع ما له

تطوان : محمد بن تاويت

تحصل بمقتضاه على نفوذ مطلق شامل بين الدول الاوربية ، وذلك بحملها على عقد مؤتمر « ببرلين ». وكانت تنوي استغلال هذا التجمع ، فتفوت على روسيا الفرصة التي كانت تتمناها لنفسها وتفوز ببعض النفوذ على حساب الماليك العثمانية ، ونجحت انكلترا فى ذلك المؤتمر بما قامت به من نشاط فى الكواليس ، واستطاعت فى الاخير ان تغرر بالدبلوماسية الايطالية والفرنسية اللتين كانت كل منهما ترمي الى تبسيط نفوذها على القطر التونسي ، فاعترفت للاولى باحتلالها للقطر الليبي بينما اعترفت للثانية باحتلال تونس مقابل امتلاكها شخصيا لجزيرة قبرص وبسط نفوذها على الشرق الادنى بصفة عامة ، ومع ان فرنسا اشترطت على انكلترا قبيل انعقاد مؤتمر برلين، الا تثير اثناءه قضية مصر فان انكلترا لم تتورع من ان تضرب ضربتها هناك (1882) ، وكانت ضربة لفرنسا بقدر ما كانت ضربة للدولة العثمانية نفسها ، وبقيت العلاقات قاتمة بين الدولتين الاستعماريتين ، ولم يصف بينهما الجو الا فى مطلع القرن العشرين على اثر « الاتفاق الودي » (1904) الذي بمقتضاه تم الاتفاق على ان لفرنسا ان تسعى لاحتلال المغرب لقاء اعترافها لانكلترا بتوطيد اقدامها بمصر بعد ان كانت تلح عليها فى الجلاء عنها ، وغني عن البيان ان الدوافع التي اهابت بالدولتين الى هذا الصفاء ، بعد جفاء طويل ، هو ما لمسناه من اكفهرار فى الجو السياسي اذ ذاك بسبب ظهور المطامع الاستعمارية الالمانية ومنافستها للدولتين الآنفتي الذكر .

ولم يكن احتلال فرنسا لتونس بالامر الصعب بعد ان ركزت اقدامها فى الجزائر ، وكفاها أن تصطنع ازمة بينها وبين الباي التونسي مدعية اعتداء شن عليها من قبل بعض القبائل الساكنة على الحدود لترسل حملة عسكرية على تونس ، فتحتلها وتبسط عليها ، يا للسخرية ، حمايتها !

كما انتهزت انكلترا من جهتها الازمة المالية التي كانت مع فرنسا سببا فى خلقها بالنسبة للقطر المصري وذلك لتلعب دورها فى احتلال البلاد عقب الثورة التي قام بها القائد عرابي باشا .

وهكذا اكتسح هذا المد الاستعماري معظم الدول الاسلامية والعربية فى الشرق الاوسط بينما كانت الاقطار العربية تتحسس فى كثير من الصبر الطريق التي ستفضي بها الى الاستقلال بما تكون قد اثارته من وعي قومي فى كل مكان من انحائها .

* * *

ومعلوم ان بسط النفوذ الاجنبي على الدول الاسلامية عموما اظهر لتلك الشعوب ما اصبحت عليه الملكة العثمانية من الضعف والانحلال ، فلما ايقن العرب ان العجز وحده هو الذي اقعد الملكة العثمانية عن مجابهة العدوان الاجنبي ، راحوا يفكرون فى ضرورة دعم السلطنة حتى تصبح قادرة على مكافحة الاستعمار الاوربي حيث انها كانت الدولة الاسلامية الوحيدة فى الشرق ، وادت تلك الحالة بالمسلمين دفعا لخطر الاستيلاء الاجنبي الى جمود فى العلوم الدينية ، فتوقفت العقول من الابتكار والخلق ووقف ركب الحضارة الاسلامية بينما كانت اوربا تحث السير فى نهضة رائعة ، وامام انتشار العناد قامت الحركة الوهابية بالجزيرة العربية تدعو الى الوحدة على يد الشيخ محمد عبد الوهاب ، ولم تقتصر هذه الدعوة على الناحية الدينية بل تعدتها الى حملة سياسية عملت على طرد النفوذ التركي من مكة والمدينة بالجزيرة العربية اذ لم تكن الحركة تكتم رغبتها فى الاستقلال بجزيرة العرب ، ولما استفحل امر الوهابيين اشار السلطان العثماني على محمد علي، وليه بمصر بقمع تلك الحركة ، فكان له ما اراد ، وعظم شأنه حتى خافت انكلترا ان يستفحل امره فى الشرق الاوسط ، ولكن الافكار التي بذرها الوهابيون جعلت تعمل عملها فى النفوس من ان الاسلام لن يقوم له شأن مرة اخرى الا برجوع المسلمين الى الاصل عملا بالسنة والقرآن ومحاربة البدع والخرافات ، وانتشرت هذه الدعوة فى كل مكان عن طريق الحجاج عند عودتهم الى ديارهم ، وهكذا وجدت تلك الافكارطريقهاالى الهند وزنجيباروااليمنوليبيا ومصر. ووجدت من يؤيدها فى كل بلد من هذه البلدان ويدعمها لكن على اساس نصرة الملكة العثمانية ما دامت هي الدولة الاسلامية الوحيدة التي استطاعت ان تقوم فى وجه الاستعمار الاوربي حتى ذلك الحين ، وادت تلك الحركة الى خلق تكتل قومي فى شكل « جامعة اسلامية » انضم تحت لوائها كثير من الفلاسفة والسياسيين ، امثال جمال الدين الافغاني والامير شكيب ارسلان ومحمد عبده وغيرهم ، وقد اقتنعوا ان اي اصلاح لن يتم على نهضة دينية وحدها ، بل لابد من تدعيمها بنهضة علمية صحيحة ، بعد الاغتراف من العلوم الاوربية واساليب الحكم الدستورية ، بذلك يستطيع الشرق ان يجابه الغرب ، بل كان جمال الدين الافغاني يرى انه فى الامكان بعد القضاء على النزاعات الطائفية والعقائدية ومحاربة البدع والخرافات انشاء دولة اسلامية موحدة تحت راية

محاولة روسيا السيطرة على البحر الاسود والنفوذ منه عبر المضايق التركية الى البحر الابيض المتوسط منافسة بذلك السلطة العثمانية فى الجزائر وغيرها من البلدان الواقعة تحت السلطنة التركية .. ثم توالت الضربات على الدولة العثمانية من الشرق والغرب بسبب ضعف بعض السلاطين الذين خضعوا لارادة الحريم وقد جاءت تلك الضربات خاصة من ايطاليا واسبانيا ، ولعب « فرديناند الاول ، كراندوك ذي توسكان » دورا مهما فى هذه الهجومات ، وكان طامعا فى الاستيلاء على سوريا وفلسطين وقبرص ، ومن ثم حاول ان يعقد معاهدة مع صاحب حلب التي اغتصبت من السلطنة العثمانية منذ زمن قليل ، وبصفة عامة فقد اتخذت الشعوب الاوربية جميع الاسباب للاستيلاء على الشعوب الخاضعة للحكم العثماني ، وكانت ترى فى قرارة نفسها ان الدفاع عن الجماعات البلقانية المسيحية التي كانت خاضعة للحكم العثماني خير وسيلة للتوصل الى الاراضي الخاضعة لنفوذ الاتراك ، ولذلك ما كادت فرنسا وانكلترا تنتهيان من حروب امريكا حتى راحت كل منهما تتسابق على الاراضي الواقعة على شاطىء البحر المتوسط ، لكن اندلاع الثورة الفرنسية شغلت حكومة فرنسا عن تلك الاهداف ، ولما شعرت فرنسا بالعداء الذي كانت انكلترا تكنه للثورة الفرنسية جعلت تبحث عن طريق تتوصل منه الى اضعاف سيطرة الانكليز ومن ثم كانت الحملة الفرنسية على مصر ، محاولة ان تضرب عدوتها فى الصميم بالقضاء على طريق التجارة المؤدية الى الهند التي نعتها نابليون بانها الجهاز التنفسي بالنسبة للانكليز .. فلما ايقنت انكلترا بهذا الخطر الذي احدق بها بادرت الى احتلال المراكز الستراتيجية على طريق البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر بعد أن استولت على مصر ومالطة كما احكمت سيطرتها على الخليج الفارسي والمحميات الواقعة فى الجنوب العربي ، اما فرنسا فقد كانت تستعد لاحتلال الجزائر مدفوعة الى القيام بذلك العمل من طرف روسيا وذلك لسببين وهما اضعاف الدولة العثمانية من جهة واذكاء نار التنافس بين فرنسا وانكلترا من جهة اخرى ، ولما فاتحتها فرنسا فيما هي مقدمة عليه لم تبد طبعا انكلترا موافقتها ، الا انه لما دخلت الجيوش الفرنسية الجزائر اكتفت انكلترا بالاحتجاج على فعلتها ، وكان جواب فرنسا ان احتلالها للجزائر انما كان لصالح العالم المسيحي بما انها كانت تريد ان تهدم البحرية الاسلامية وتضع حدا لاسر المسيحيين وللجزية ايضا التي كانت الدولة المسيحية تدفعها للايالة الجزائرية ، وانفها راغم .

والغريب ان الدولة العثمانية لم تحرك ساكنا ازاء اعتداء فرنسا على ممتلكاتها ، بل اكتفت هي الاخرى بتقديم مذكرة احتجاج على قيام فرنسا بالاعتداء على حقوقها فى تلك الاثناء كانت استعدادات محمد علي قائمة على قدم وساق للاستيلاء على سوريا (1829) على يد عرابي باشا وانطلاقه فى بلاد الاناضول حتى كاد ان يدق ابواب العاصمة العثمانية ويضع نهاية لحكم سلاطينها .

وكانت ازمة شاقة بالنسبة لانكلترا ، فاضطرت الوقوف امام اطماع محمد علي التي اعتبرتها بالطبع تهديدا للمصالح الانكليزية فى الشرق الاوسط ، وقد فضلت ان تبقى هذه المنطقة فى قبضة السلطان العثماني نظرا لضعفه ، وهو ضعف يفسح لها المجال لتحقيق اغراضها الاستعمارية فيها ، وكان هذا نفس الشعور الذي كانت تشعر به روسيا .

وتطورت الاحداث واضطر معها عرابي باشا الى مغادرة سوريا وتبع ذلك نزول حملة انكليزية فى لبنان وجيوش اوربية مختلفة هنا وهناك فى بلاد الشرق الاوسط ، حتى كنت تجد مختلف الاجناس ، كل واحد يسعى سعيا حثيثا لبسط نفوذه على تلك الرقعة من العالم العربي ، ولم يمض الا زمن قصير حتى تواردت على سوريا ارساليات مختلفة اجناسها ، منها الفرنسي والانكليزي والامريكي والروسي والايطالي والالماني بدعوى الاهتمام فى الشرق العربي بمشاريع عمرانية وثقافية ، وشرعت فى فتح المدارس الاجنبية على نطاق واسع ، ومن هناك شهدت بلاد الشام نهضة ثقافية عارمة كان لها اثرها العظيم فى اثارة اليقظة العربية الفكرية والاجتماعية فى كل جهة .

لكن تغلغل هذا النفوذ الاجنبي المقنع فى شبه حركة ثقافية جعل المسلمين خاصة يتشبثون باذيال الدولة العثمانية ، على ضعفها وسوء تصرفها ، ويعملون على تحقيق فكرة « جامعة اسلامية » تستطيع ان تلم شعث المسلمين وتقف فى وجه ذلك الاحتلال الاوربي المقنع .

وبينما كانت الدول الاوربية تعمل على تثبيت قدمها فى الشرق وخاصة منها الدولة الروسية اصبحت الدبلوماسية الانكليزية تهتم بصفة خاصة بالشرق الاوسط وتهيىء لنفسها القيام بدور هام

الا رغما عنه نظرا للحرية المطلقة والاستهتار اللغوي الذي سمح به النواب لانفسهم ، ولعبت المعارضة دورا خطيرا فى البرلمان حتى ادخلت الهلع على السلطان الذي اضطر الى حل المجلس النيابي ونفي عشرات من نواب المعارضة ، وهكذا عطل الدستور وظل يحكم البلاد حكما فرديا استبداديا مطلقا مدة ثلاثين سنة اذ شعر بالتيار الذي صار يدفع العرب الى البحث عن وسيلة تنقذهم من الحكم العثماني ، بعد حصولهم على الاستقلال ، وتفطن عبد الحميد ان انسلاخ العرب عن الامبراطورية العثمانية سيكون نذيرا بانهيار الدولة برمتها لان بلاد العرب تشكل دعامة لهم وتمد العثمانيين بموارد هائلة وبالعدد الاكبر من جيوشها ، وشعر العرب بثقل قبضة الاتراك عليهم وراحوا يعملون بكل وسيلة للتخلص من سيطرتهم الا ان العوامل لم تكن آنذاك مكتملة حتى تتحقق رغبة العرب فى بناء مستقبلهم بأنفسهم كما يوصي به الوعي القومي الذي اصبح يتبلور شيئا فشيئا فى النفوس .

كان العمل من اجل تلك الغاية صعبا غير يسير بالفعل ، نظرا لما اصاب الشعوب العربية عامة من انحطاط بسبب ارتباطها بالدولة العثمانية ، ولم تكن، كما يعلم كل واحد ، دولة علم ومعرفة بل دولة حروب وفتوح، الا ان شعلة المعرفة التي كانت — رغم تصلب الدولة الحاكمة — تشع من الازهر الشريف ومفعول المدارس الحديثة التي اقبلت الارساليات على فتحها فى كل مكان من الاقطار العربية كان لهما اثرهما العميق فى تطوير المجتمع العربي فى الشرق الادنى ، كما أن حركة التعليم وانتشار الكتب والمخطوطات بسبب تركيز الطباعة فى كل من مصر وليبيا وسوريا والعراق وظهور الصحافة وتأسيس الجمعيات الادبية والعلمية على اختلافها وظهور حركة استشراق مباركة فى كل مكان ، كل ذلك كان من الاسباب التي أدت الى تنقية اللغة العربية من الاوشاب الدخيلة وجعلها لغة طيعة لاستيعاب الآراء الحديثة والتعبير عنها بوضوح ودقة واشراق ، تمهيدا لبعث وطنية صادقة ووعي قومي عن طريق احياء التراث العربي واللغة العربية القومية .

ان الجمعيات خاصة التي كانت تحيا حياة نشيطة عن طريق القاء المحاضرات ومناقشة الافكار السياسية متلبسة بآراء ادبية وعلمية اذكت لا محالة الروح الوطنية فى مجتمع كان يعيش فى ضيق لا يطاق وانبثق عن ذلك كله تكتلات كانت تعبر تعبيرا صادقا عما كان يخالج نفوس العرب من عواطف قومية ورغبة شديدة فى التحرر والانتعاش رغم ما كان يربطها بالدولة العثمانية من علاقات وروابط دينية متينة ، ونلتمس دليلا على حرارة تلك الدعوة الىتحقيق ما كانت ترمي اليه الحركة القومية فى ان الجاليات المسيحية نفسها كانت تحرص شديد الحرص على اقامة شعائرها الدينية باللغة العربية ، لغة الوطن العربي ، احتجاجا على اللغة التركية التي كان العرب على اختلاف نحلهم ومللهم يعتبرونها لغة اجنبية دخيلة ، ولاشك ان تلك الحركة العامة ادت الى حركة تعريب ناجحة كل النجاح .

واهم ما حمل فى طياته هذا الانتعاش الثقافي عن طريق انتشار المدارس فى كل مكان هو انه كشف الغطاء عن حقيقة لا تنكر اهميتها الا وهو ان الامة العربية كانت ذات حضارة لها اعتبارها قبل الاسلام وبعد الاسلام ، وان هذه الحضارة قد ساهم فيها المسلمون والمسيحيون على حد سواء ، ولذا كان افتخارهم بالحضارة العربية الاسلامية التي اسهموا فيها عن طريق الابحاث وعقد حلقات الدروس الادبية والعلمية الصرف يساوي افتخار المسلمين بحضارة العرب وثقافتهم .

والذي زاد المسألة تعقيدا بالنسبة للعرب عموما هو أن المسيحيين باعتبار نحلتهم الدينية كانوا يعيشون على الهامش بالنسبة للمسلمين اذ لم تكن الدولة العثمانية تشركهم فى الخدمات العسكرية ولا فى الحروب التي كانت تشنها على الدول الاخرى ، واكثرها مسيحية ، فلذلك شعرت الجماعات المسيحية بنوع من الانزواء عاشت بمقتضاه بعيدة عن الدولة ، تراودها هي الاخرى فكرة تحقيق القومية التي راحت تسري فى دماء ابنائها عن طريق التوعية الفكرية والثقافية التي كانت تعمل من اجلها عن قصد او بدون قصد المدارس والاندية والمطابع والجمعيات فى كل مكان بلبنان وسوريا ومصر والعراق .

واما المسلمون فقد ربطوا مصيرهم ، كما سبقت الاشارة الى ذلك ، بالدولة العثمانية الاسلامية اذ اعتبروها امتدادا للسلطة الاسلامية الموروثة عن الدول الاسلامية السابقة ، واستمر هذا الاعتبار ردحا من الزمان حتى القرن التاسع عشر عندما جعلت طائفة من العرب تشك فى شرعية الخلافة العثمانية لبعدها عن النسب القرشي الذي يعتقد بعضهم انه شرط من شروط الامامة ، خصوصا وان كثيرا من المدافعين عن الديانة الاسلامية التي كانت

اسلامية واحدة يقوم عليها خليفة لا ينازع منازع فيه ، لكي ينشر الافكار التي كان يدعو اليها انشأ مجلة « العروة الوثقى » التي اناب عنه في ادارتها الشيخ محمد عبده ، وكلنا يذكر ما كان لها من شأن وكيف ادت الافكار التي كانت تنشرها الى محاربة المجلة من طرف الدولة الانكليزية التي منعت دخولها مصر .

هذا وبقدر ما كانت دعوة جمال الدين الافغاني معززة للجامعة الاسلامية بقدر ما كانت مهدمة للاستبداد والطغيان ، ولذلك حاول السلطان عبد الحميد استغلال دعوة « الجامعة » لتقوية نفوذه في الخارج باعتباره زعيما يدين له بالولاء ما يزيد على ثلاثمائة مليون من المسلمين ، يخضع كثير منهم لروسيا وانكلترا وفرنسا ، وتعزيز جانبه بالنسبة لمختلف القوميات في امبراطوريته الواسعة الاطراف فبعث الى السيد الافغاني يستدعيه الى الاستانة واجرى عليه راتبا محترما محاولا استغلال نفوذه كما اجرى على كثير من الزعماء ومشايخ الطرق الدينية الاموال والهبات ، لكن الشيخ الافغاني كان من الذكاء بحيث لم تنطل عليه تلك الحيل ، وراح يدعو عبد الحميد الى ضرورة تطبيق نظام دستوري في الولايات التي يحكمها ، فلم يستجب لذلك عبد الحميد الذي كان يفضل ان يحكم بالقوة ولم يسبق جمال الدين الا قليلا حتى استجاب لداعي ربه .

ومع ذلك فقد استفاد السلطان عبد الحميد من الدعوة الاسلامية بما مهده لنفسه بواسطة اشياعه واتباعه من انه الساهر على الدعوة حتى تثمر والدين الاسلامي حتى يعود الى لمعانه السابق والخلافة حتى تستقيم له باعتباره المحافظ عليها والداعي اليها ، خصوصا وانه عرف كيف يبرهن على تعلقه بالقضية الاسلامية ، وقد دعا لها بمهارة فائقة برغبته في مد الخط الحديدي الى الحجاز تسهيلا على الناس في القيام بفريضة الحج .

الا ان الشك بدأ يراود بعض الكتاب والمفكرين العرب في جدوى « الرابطة الاسلامية » مع الترك وفي اخلاص السلاطين العثمانيين نحو رعاياهم المسلمين ، ومن الذين راحوا ينادون بهذه الفكرة المصلح الثائر عبد الرحمن الكواكبي الذي ادرك مفاسد الدولة العثمانية وانتقد ارادتها داعيا الى برنامج جاء في احدى « مواده » ضرورة اقامة خليفة عربي قرشي مستجمع للشرائط الشرعية في مكة المكرمة .

ولما اندلعت نار الحرب العالمية الاولى اخذت الدولة العثمانية — علاوة على انكشاف عجزها عن حماية ممتلكاتها الاسلامية — تنكل بالعرب هنا وهناك وتسعى الى « تتريكهم » بالقوة بدلا من أن تتيح لهم كما نصحها بذلك جمال الدين الافغاني ورفاقه من التمتع بحياة دستورية تصبح بفضلها قوية قادرة على رد هجمات العدو عند الاقتضاء ومؤازرة الدولة العثمانية الام على كل حال ، لاسيما وقد تهيأت العوامل كلها لتزيد في نشر الوعي القومي العربي بما حصل من اتصال متزايد بين مختلف الشعوب الاسلامية والحضارة الغربية وانتشار التعليم الجامعي وذيوع فلسفة قومية عربية ترمي الى محاربة الاستبداد بكل انواعه والحصول على الاستقلال الذي كان فيما اذا تحقق، لابد من أن يستفيد منه المسلمون قاطبة والدولة العثمانية خاصة . الا ان الدولة التركية سارعت الى تشديد الخناق على الولايات التي كانت تحكمها وتنصيب باشاواتها عليها ، فتقضي بذلك على الاستقلال الداخلي الذي كانت تتمتع به بعضها اغراقا في الظلم والعسف واتباعا لسياسة مركزة على ادارة مركزية بالاستانة منها تخرج الاوامر واليها تعاد الامور كلها .. واندلعت الثورات والفتن في كثير من الامكنة كالحجاز مثلا التي نكل بأهله الآمنين القائم باعمال الاتراك في جدة بصورة تقشعر لها الجلود كما حاولت الباب العالية بكل وسيلة الاستيلاء على اليمن سعيا في وضع حد لانتشار الوعي القومي في البلاد الواقعة تحت سيطرة الاتراك مستعملة كل الوسائل لفرض اللغة التركية على الاقاليم التي كانت تملكها تماما كما كانت تعمل الدولة الفرنسية في المستعمرات او الحمايات التي قدر لها أن تبسط نفوذها عليها في افريقيا ، ولا غرابة في ذلك فقد استمدت السياسة التي كانت تعتمدها في تسيير شؤون الولات العثمانية من النظام الفرنسي في مركزية الحكم ، وهو نظام يضمن ولو الى حين السيطرة على النفوس والعقول ، وان كان القانون المذكور يشير بصراحة الى ضرورة اشراك السكان في تدبير مصالحهم العامة ، لكن الادارة المركزية بقيت بكل اسف هي الغاية التي تهدف اليها الدولة العثمانية ، مثلها في ذلك كمثل فرنسا في معاملتها للبلاد الواقعة تحت تصرفها . واستمر نظام الحكم هذا على صفته المطلقة — ارادة السلطان فوق كل ارادة — الى ان تمكن فريق من الاحرار من تعزيز فكرة الحكم الدستوري ، الا ان السلطان عبد الحميد سرعان ما ضاق ذرعا بالحياة النيابية التي لم يوافق عليها

بقصائدهم الشعرية ، متفننين بمجد العروبة ، منددين بسياسة الاتــراك ، داعين الى تحطيم الاغلال :

آن الاوان لان اخــاطــر بالـــدم
من لم يخاطر بالدمــا لــم يسلم
اجزيرة العــرب التــي احببتهــا
كم من أكف قد رمتــك باسهـــم

* * *

واخذت احيانا العواطف القومية طريق التفشي فى الاتراك بمناسبة انكساراتهم فى الحروب وهكــذا لم يستطع رزق الله حسون كتمان فرحه عندمـــا انتصر الروس على الاتــراك فى حرب 1877 :

كم حروب للروس دارت على الترك
رحــاهــا فغــادرتهــا طحينــا
هكذا هكــذا تــدرو علــى البــا
غي الليالــي ويهلــك المجرمونــا

وما فتىء ان انتظم بعض اعضاء هذه الجمعيات فى جمعية سرية خطيرة ، انتقلت الحركة من حيزهــا الادنى الاجتماعي الى الحيز السياسي القومي بوضوح، ذلك ان اعضاء هذه الجمعيات لم يكتفوا بعد بالمناقشة فى اجتماعات سريــة بــل انتقلوا الى نشر الوعــي القومي بين طبقات الشعب بواسطــة منشورات لا توقيع عليها ، يحضون فيها العرب على الانتفــاض والثورة ضد الدولة العثمانية ، معتبريــن الاتــراك بأنهم مغتصبون للخلافة ، متهمين اياهم بالعمل علــى القضاء على اللغة العربية ، داعين الى الاستقـــلال الذاتي للعرب ، كانت هذه المناشير التي يلصقونهــا ليلا على جدران المنازل والدكاكين قرب المصالـــح الحكومية تحمل فى الواقع الخطوط الرئيسية للبرنامج الذي كانت تدعو اليه تلك العصبة وكان ذلك البرنامج يلخص في ما يلــي :

— منح سوريا الاستقلال الذاتي متحدة مع جبل لبنــــان .

— الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية فى البلاد.

— رفع الرقابة والقيود الاخرى التي تحد مــن حريــة التعبير ونشر التعليم .

— استخدام القوات المجندة من اهــل البلاد فى المهام العسكرية داخل البلاد فقط .

كانت هذه المناشير مدعاة لغضب السلطــات العثمانية طبعا ، فراحت تضيق الخناق على المواطنين العرب ، ولكنها مع ذلك لم تنجح فى اخماد صــوت التمرد والعصيان لان صــوت الحريــة اذا جلجل لا يستطيع سلطان ان يرده او يخمده ولو ضربت دونه الاسوار والحواجز .

والواقع ان نشاط الجمعية السرية تضاعــف بانضمام المدرسين اليها ، وناهيك بتاثير هؤلاء علــى الاوساط الاجتماعية بما لهم من نفوذ على طلبتهـــم وتلامذتهم الذين متــى ما اثروا فيهم اصبحوا لهـــم خير دعاة لافكارهم الاجتماعية والسياسية فى كـــل الاوســاط .

ولم تزدد وطاة المناشير التي كانت تذيعهـــا الجمعية السرية الا شدة بسبب ما كانت تدعو اليه المسلمين والمسيحيين الى الاتحاد وشد ازرهم فيمــا بينهم حتــى يتخلصوا من الحاكمين الغاشمين .

الا ان اثر تلك الجمعية لم يتعد فى الواقع عـــددا قليلا ممن كانوا يعملون تحت لوائها ، وذلك معنــاه ان مبادئها لم تتجاوب مع بقية الشعب اذ لم يكن قد تكون فى ذلك الوقت ما يسمى بالقضيــة العربيــة ، ولم تكن الفكرة القومية قــد تسربت الى نفــوس الجماهير الشعبية ، ومن ثم يمكن القول بأن الحركة القومية لم تكن ناضجة كل النضج ، لذلك تمكنــت السلطات التركية من تشتيت افراد الجمعية ، فهرب البعض الى اقطار عربية اخرى كمصر وبقي البعــض الآخر فى منازلهم قابعين .

ومع ذلك فقد كان للجمعية السرية فضل كبير اذ رسمت الطريق الذي يجب ان يسلكه من الآن الوعي القومي فى البلاد العربية الواقعة تحت تصرف الحكم العثماني ، خصوصا وقد استمر عملها على يد بعض النابهين كعبد الرحمان الكواكبي الذي راح يدعـــو الناس الى الاتحاد ، اتحاد قومي عربي ، لا ديني ولا مذهبي ، داعيا الى تناسي الاحقاد والتخلص من البدع والاجتماع على كلمة سواء هي فلتحيى الامةالعربية ، وليحيى الوطن العربي !

ولما رحل الكواكبي الى مصر اطلق العنان لقلمه ينتقد السياسة العثمانية وتواكل العرب ، ويقترح فى الاخير برنامجا يرمي الى اقامة خلافة اسلامية مركزها مكــة ، تلتف حولها الاقاليم الاسلامية فى نظام يشبــه نظام الولايات المتحدة الامريكية مع مراعاة خصائص كل منطقة ، هو برنامج يؤدي لا محالة الى انســلاخ المسلمين عن الحكومــة التركيــة .

وبما ان الكواكبي يمثل طليعة امته فى الذود عن حياض العرب والمسلمين ، فقــد وجب أن نذكــر

تتمثل فى كيان الدولة العثمانية صاروا ينظرون بعين من الاسف الشديد على ما آلت اليه تلك الدول من العناد والانحلال ، ومن ثم يلتمسون لانفسهم طريقا تمكنهم من المحافظة على كيانهم العربي الاسلامي ، مطالبين بطائفة من الاصلاحات التي لم ينتبه اليها الحاكمون الاتراك ، واضعين مقارنة بين ما يتمتع به الاتراك من حرية وحقوق وما كانت تعيش عليه الجاليات العربية فى كل قطر من لبنان وسوريا والعراق ومصر من انحطاط وظلم وتعسف شديد ، وهكذا بعد ان كان المسلمون يشعرون بارتباط قوي يشدهم الى الدولة العثمانية اساسه لحمة الدين الاسلامي وبينما كان المسيحيون يعيشون بعيدين عن الدولة العثمانية يشعرون كأنهم اجانب فى بلادهم فيحاولون الانسلاخ عن تلك الدولة الغاشمة ، اذ توحدت شيئا فشيئا الافكار التي كانت تروج فى ادمغة هؤلاء واولئك من مسلمين ومسيحيين نظرا لما اصابهم جميعا من اهمال ، فراحوا يتوقون الى ذلك اليوم الذي سيحققون فيه انسلاخهم عن الدولة العثمانية مطالبين اياها باعطائهم بادىء ذي بدء حقوقهم فى مختلف دوائر الدولة اسوة بالاتراك انفسهم ، وهكذا اخذت الفكرة القومية شكلا واحدا لدى المسلمين والمسيحيين معا .

ومعلوم ان هذه الحركة لم تظهر فجأة ولكن مهد لها بحركة ثقافية واجتماعية عن طريق المدارس والاندية واصدار الصحف والمجلات وطبع الكتب والمخطوطات ، فكانت اول الامر حركة فكرية اعقبتها حركة اجتماعية ، فتبعتها حركة سياسية هي التي مهدت الطريق لانعتاق الاقطار العربية من ربقة الاحتلال العثماني ، ذلك ان النابهين من العرب ، مسلمين ومسيحيين ، كانوا على علم بالتطور السياسي والاجتماعي الذي كان يسري مفعوله فى اوربا ، وكانوا متتبعين بالخصوص لنتائج الثورات الفرنسية من 1789 و1848 و1870 وما اعقبت تلك الثورات من نتائج فى البلدان الاوربية الاخرى كايطاليا والمانيا ، ومن ثم راحوا يتحدثون عن الوطن والوطنية والقومية وحقوق الانسان ، فانتقلت فكرة الوطنية التي كانت تتمثل بادىء ذي بدء فى الجالس على العرش العثماني الى مفهوم جغرافي يتمثل فى القطر الذي كانت تسكنه كل جماعة عربية فى الاقطار الخاضعة للحكم العثماني ، ومن ثم راحوا ينشرون ان الاخذ بمبادى الحرية واساليب الحكم الدستوري واجب على الحكومات والا ما تحقق ما تصبو اليه الشعوب من تقدم وازدهار ، كما ذهبوا مذهب الفرنسيين الاحرار ، فاعلنوا ان السيادة والسلطة للشعب وان وظيفة الحاكمين تتلخص فى خدمة الامة .

وفعلت هذه الافكار مفعولها فى النفوس ، فكان من نتيجتها ان عجلت بتوعية الشعوب العربية ولكنها كانت فى نفس الوقت معولا تحطمت بمقتضاه الوحدة الاسلامية والروابط الدينية التي كانت تجمع بين العرب والاتراك ، فمهدت الطريق للاستعمار الذي وجدها فرصة سائغة مكنته من الانقضاض على كثير من الاقطار العربية واحتلالها ، وحاول الكتاب العرب أن ينسجوا على منوال الكتاب الثوريين الفرنسيين فى القرن الثامن عشر امثال « جان جاك روسو » و « فولتير » و « مونتسكيو » فى تخطيط المبادىء الفلسفية التي تمهد للانقلاب الاجتماعي والسياسي الذي ارتسم فى اذهانهم وذلك بالنظر لما كتبوه من وصف اخاذ للحرية وتنديد بالظلم والاستبداد المكروه عقلا وطبعا ، معتمدين قول الافغاني المشهور: « ان الحرية تؤخذ ولا تعطى » . ومضى هؤلاء النابهون من العرب يكتبون وينشرون ويخطبون فى كل مكان بأنه لابد من وضع دستور للشعب يشترك فى وضعه هذا الاخير ، وهذه القوة النيابية لا يمكن أن تشمل معناها الحقيقي الا اذا كانت منبثقة عن الامة العربية نفسها ، شريطة أن تجري المداولات داخل مجلس الامة باللغة العربية لان وحدة الامة العربية هي بطبيعة الحال وحدة لغتها ، **ومعلوم ان ما دامت الامة لم تنضو تحت لغة واحدة ، هي لغتها الاصلية فان وحدتها السياسية والقومية ستظل وهما يعبث بمستقبلها العابثون .**

ولم تبق هذه الافكار طبعا فى نطاقها النظري ، بل راحت تغزو الميدان السياسي مؤلبة الطبقات العربية على الدولة العثمانية ، محاولة تحويل نشاط الجمعيات الادبية والخيرية الى عمل سياسي مرموق ، وتفاقم امر هذه الجمعيات فتعددت وانبثت فى كل جهد ، واجتهد اصحابهافى نشر الوعي الاجتماعي بين طبقة الشباب عن طريق ما استفادوه من تعاطيهم الثقافة الغربية ، وتضافرت جهود اعضائها ، مع مختلف الطوائف الدينية فى عمل دائب رتيب مستمر يرمي الى تحقيق الاهداف المشتركة على اساس الوحدة الوطنية وحدها ، وجعل الرباط الذي يربط بين مختلف المواطنين هو التراث العربي وحده ، وتدعمت تلك الحركة المباركة بموقف الشعراء الذين راحوا يعززون الافكار القومية ويثيرونها فى النفوس

# بروتوكولات حكماء صهيون

## تأليف الأستاذ عجاج نويهض
## تقديم وتعليق الأستاذ محمد بن عبد الله

تفضل فضيلة الاستاذ الكبير عجاج نويهض الفلسطيني صاحب مجلة « العرب » ، فأهدانا فى هذا الشهر كتابه الشامل المؤلف من اربعة اجزاء عن « بروتوكولات حكماء صهيون »

والاستاذ عجاج نويهض غني عن التعريف فهو من سراة الامة العربية ومجاهديها وفضلائها ، عرف بانه صاحب قلم سيال ، وفكر ثاقب ، وذو حماس وحمية للذياذ عن القضايا العربية والاسلامية والمصير المشترك .

وليس فى المغرب متتبع للحركات التحررية فى العالم العربي ، والشرق الاسلامي من يجهل شخصية الاستاذ عجاج نويهض .

فقد احبه رجال الفكر والادب فى المغرب منذ العقد الثالث لهذا القرن ، واتخذوا من مجلته «العرب» ايام المحنة الاستعمارية جليسا وانيسا ، كما كانت نشرة تقرأ على العموم لبعث الحماس الوطني ، واثارة الحمية فى النفوس ، وكان الوطنيون المغاربة يتلهفون بشوق غالب على قراءة هذه المجلة المجاهدة التي كانت تصل الى المغرب قليلة ، وبطرق جد سرية ، ولكنها تقرأ فى الجماعات والابهاء الادبية بصورة واسعة .

والاستاذ عجاج نويهض من خريجي معهد الحقوق الفلسطيني ، عمل فى المجلس الاعلى الشرعي الاسلامي فى فلسطين عام 1923 — 1932 ومارس المحاماة منذ عام 1935 ، وشغل مدير القسم العربي فى دار الاذاعة الفلسطينية (1940 — 1944) وكفاه خدمة للعروبة والاسلام انه ترجم « حاضر العالم الاسلامي » الذي الفه العلامة الحصيف البليغ المستر لوثروب ستودارد الامريكي ، وهو الكتاب الذي امسى معلمة عربية اسلامية بالتعليقات المستفيضة لكاتب الشرق امير البيان الامير شكيب ارسلان .

والكتاب الذي بين ايدينا يعتبر اخطر كتاب ظهر فى العالم ، ولا يستطيع ان يقدره حق قدره الا من يدرس البروتوكولات كلمة كلمة فى اناة وتبصر .

و « بروتوكولات حكماء صهيون » صدره الاستاذ الكبير بمقدمة ضافية ، او « كتاب مفتوح » الى القاريء العربي ، ومما جاء فى هذه المقدمة :

هذا الكتاب ، ليس للمتعة ولا للترويح عن النفس، ولا للتسلية . ليس هو رواية ، ولا قصة ، ولا مجموعة حكايات ، ليست ابحاثه من باب الفلسفة ، او اي علم من العلوم او الفنون او السياسة التي فى الاسواق .

اذا ، ما هو هذا الكتاب ؟

يقول المؤلف :

« هو من الفه الى يائه يتعلق بموضوع واحد : كشف الستار عن « اليهودية العالمية » التي من أدواتها، الصهيونية والماسونية ، وكشف الستار عن قاعدة « التجمع والاقتحام » الدموية المطبقة فى فلسطين منذ 1920 .

نبذة من حياته المليئة بالاعمال التي خلدت ذكره فى الصالحات ، وستتحقق من مركز هذا القائد الاكبر عندما تعلم أن نسبه يعود الى علي بن ابي طالب أمير المؤمنين كرم الله وجهه ، وقد ولد عبد الرحمان الكواكبي سنة 1848 اي فى مطلع الثورة الفرنسية الثانية ، وبرزت ثقافته الواسعة فى صحيفة «الفرات» التي كان يديرها بحكمة وقوة ، ثم فى صحيفة « الاعتدال » و « الشهباء » حيث كان ينتقد الادارة التركية انتقادا لاذعا ، ولما يئس من اصلاح الادارة اضطر الى قبول العمل فيها ، فتمت عدة اصلاحات على يده لفائدة الامة ، وهي اصلاحات تبرهن عن تبصره وارادته ونزاهته ، فقد كان له الفضل فى زيادة اجور العمال والموظفين دفعا لذرائع الرشوة والاختلاس ، وضبط اعمال الغرفة التجارية على نمط الغرف التجارية فى البلاد المتحضرة ، ووضع مشروعا لانارة المدينة وجلب الماء الى حلب ، وكان فى أعماله كلها صريحا نزيها ، فجر على نفسه بذلك عداوة المسؤولين المفطورين على الوشاية والفساد ، فأخذوا يكيدون له حتى اضطر الى مغادرة البلاد الى مصر حيث انكب على تاليف كتابه « طبائع الاستبداد » و «ام الفرس » وقد جاء الكتاب الاول والثاني عامرين بالافكار والتجارب التي اكتسبها عن خبرة واسعة ومعرفة تامة باحوال الناس فى مختلف الاقطار الخاضعة للسلطنة العثمانية وهي افكار مهدت كثيرا للانتفاضة الكبرى التي مكنت الشعوب العربية فى اوائل القرن العشرين من تحقيق ما كانت تصبو اليه من نبذ الاستبداد وادراك الاستقلال الذاتي عن طريق وعي قومي تسرب حتى الى الجنود العرب الذين كانوا يخدمون فى قطع الجيش العثماني .

* * *

يستخلص من كل ما تقدم ان العلاقات التي كانت تربط بين العرب والاتراك كانت رابطة اسلامية فى اول عهودها بحيث ظلت الجماعات العربية الواقعة تحت تصرف الاتراك متمسكة بهذه الرابطة شعورا منها بأنها وسيلة لاستمرار المملكة الاسلامية ، وحصن يتذرع به من خطر الاستعمار الاوربي المتربص بالعرب جميعا ، لا فرق بين مسلمين ومسيحيين ، ما دامت غايته الشنيعة الاستيلاء على اراضيهم وتسخيرهم لمصالحه الشخصية بدعوى العمل على تحضيرهم والمحافظة على مستقبل الجاليات فيهم .

ويظهر تمسك العرب بتلك الرابطة التي كانت تجمعهم بالاتراك فى الموقف العدائي الذي ظهرت به طائفة من الشعراء المرموقين ، للدفاع عن الرابطة الاسلامية كاحمد شوقي يؤازره فى ذلك جماعة من الوطنيين المخلصين كمصطفى كامل وشكيب ارسلان، وكانوا جميعهم يؤيدون الرابطة الاسلامية والدولة العثمانية ويعملون على محاربة الافكار المنبثقة من الجمعية السرية ـ مما يدل دلالة قاطعة على الخطر الذي كان يتجسم فيها على سلامة الدولة العثمانية ـ شعورا منهم بأنهم بدفاعهم عن الرابطة الاسلامية يعملون على ابعاد شبح الاستعمار الاوربي من الاقطار العربية وفى ذلك خدمة لمصلحة العرب ومصلحة الباب العالي فى آن واحد .

**الرباط ــ محمد محي الدين المشرفي**

والحكومة اليهودية العالمية هي تنفيذ المطمع الذي انما وجد اليهود ( حسب اعتقادهم ) ليحققوه بعد ان تحولت مصائب السبي البابلي الى بركات ساقت « الشعب المختار » الى ان يصل الى هذا المصير ...

والحكومة اليهودية العالمية ، هي اوتوقراطية هي نسل داود ، واما الامم والشعوب على اختلاف الاديان والعروق واللغات والاقاليم والالوان فهي حيوانات عجماوات .

**كيف اكتشفت بروتكولات حكماء صهيون ؟**

منذ 25 قرنا ، بدأ المخطط التدميري اليهودي، وانكشف امره ، كما يقول السيد ج.ك سكوت حينما كان اقطاب الصهيونية العالمية يعقدون مؤتمرهم الخاص فى بازل عام 1897 ، دهمهم نفر من الشرطة القيصرية الروسية القادمين من موسكو بنار اضرمت فى البناء حيث يعقد المؤتمر برئاسة زعيمهم « هرتزل » فحاقت الهلكة بالصهيونيين المؤتمرين ، فلاذوا بالفرار، فاقتحم رجال الشرطة القاعة ، وجمعوا ما على مناضدها من اوراق ومضابط ، ومذكرات ، وانتقلوا بها الى موسكو ، وهنا نخلت ومحصت ، واذ مما فيها ما أطلق عليه « بروتكولات حكماء صهيون »

وقد ذكر الاستاذ عجاج نويهض فى كتابه المفتوح الى القاريء العربي قوله :

انا نعتقد ان هذا الكتاب هو أول محاولة عربية من هذا النوع لكشف الغطاء عما وراء الستار اليهودي، فان البرتوكولات نفسها ، وهي جديدة عليك فى هذا العرض ستمسي فى نظرك مرحلة حصاد ونتائج ، عندما تطلع على الينابيع التي استقت منها القواعد والمباديء والروح .... »

ولعل الاستاذ الفاضل المؤلف فاته ان الاستاذ الاديب محمدخليفةالتونسي ـ حسبما نعلم ـ قام بأول ترجمة عربية امينة كاملة منقولة منالطبعة الانجليزية الخامسة منذ عدة عقود من السنين ، ونقلت من الفرنسية الى الروسية والانجليزية فغيرها من اللغات ، وثارت حولها زوابع من النقد والمناقشة ترددت بين الاستانة ، وجنيف وبروكسيل وباريس ولندن ، وافريقية الجنوبية وشغلت الصحافة والقضاء ، ورجال المتاحف والمراجع ، وصدرت من جرائها احكام شتى تنفي تارة وتثبت تارة اخرى .

والاستاذ محمد خليفة التونسي كان قد صدر لهذه البروتوكولات بمقدمة تحليلية بلغت مائة صفحة ، قال فيها عن سبب وضعه :

« ان زعماء الصهيونيين عقدوا ثلاثة وعشرين مؤتمرا منذ 1897 ، وكان آخوها المؤتمر الذي انعقد فى القدس لاول مرة فى 14 غشت سنة 1951 ، ليبحث فى الظاهر مسألة الهجرة الى اسرائيل ومسالة حدودها .

وكان الغرض من هذه المؤتمرات جميعا دراسة الخطط التي تؤدي الى تاسيس مملكة صهيون العالمية.

وكان أول مؤتمراتهم فى مدينة بازل بسويسرة سنة 1897 برئاسة زعيمهم هرتزل ، وقد اجتمع فيه نحو ثلاثمائة من اعتى حكماء صهيون كانوا يمثلون خمسين جمعية يهودية ، وقرروا فيه خطتهم السرية لاستعباد العالم تحت تاج ملك من نسل داود ، وكانت قراراتهم سرية محاطة باشد انواع الكتمان والتحفظ الا عن اصحابها بين الناس ، واما غيرهم فمحجوبون عنها ، ولو كانوا من اكابر زعماء اليهود ، فضلا عن فضح اسرارها سرا ، وان كان فيما ظهر منها ما يكشف بقوة ووضوح عما لا يزال خفيا

وقد نشر الاستاذ محمد خليفة بعض فصول الكتاب بمجلة الرسالة المصرية تحت اعداد 856 ـ 858 889 ـ 862 عام 1949 ـ 1950

وقد عرف فى حينه انه ما من احد ترجم هذا الكتاب او عمل على اذاعته باي وسيلة الا انتهت حياته بالاغتيال او بالموت الطبيعي ظاهرا ، وافزعت هذه هذه الشائعة بعض الناس ، ومنعتهم ترجمته ،

وما تعرض انسان لترجمة الكتاب ونشره الا تعرض للحملات العنيفة من للصهيونيين وصنائعهم..

فالبروتوكولات هي المخطط الذي وضعه رجال المال والاقتصاد اليهود لتخريب المسيحية والبابوية ، ثم الاسلام ، وبعد هذا التخريب الذي قرر اصحاب البروتوكولات ، ان يتم فى خلال مائة سنة ، اي قبل 1997 ، يعتقد اليهود الصهيونيون انهم سيستولون على العالم ، ويقيمون ملكا يهوديا داوديا له من الحيلة والوسيلة ما يمكنهم وهم اقلية ضئيلة ، من حكم العالم بأسره حكما اوتوقراطيا ، ولا يجاور الدين اليهودي التلمودي دين آخر ، لا مسيحية ولا اسلام .

ثم تنسف الحضارة القائمة نسفا تاما .. !!

وكشف الستار عن خفايا اليهودية العالمية التي « اسرائيل » قفازها الخارجي او محطتها الاولى .

اليهودية العالمية « قـوة » ابليسية على شكل منظمة سرية ، لكنها ظاهرة خفية معا . شبهت نفسها بالافعى ، ولهذه الافعى مخطط مؤلف من ( 9 ) مراحل نحو الغاية .

بدأ هذا المخطط من وقت سبي بابل منذ 24 ــ 25 قرنا ، وموعد انتهاء المرحلة الاخيرة آخر القرن العشرين هذا، وفي فلسطين . هكذا يزعمون .... »

« القـوة » في اليهودية العالمية قدرتها على ان تخفي اجهزتها عن العالم ، وتنشر الضباب من حولها نشرا متواليا لكي يبقى العالم في حيرة من امر الحقيقة اليهودية .

امهر اللصوص في العالم ، ولو اتقنوا الحيلة الفنية في السرقة ، وثقب الجدران ، واذابة الاقفال الحديدية ، والتسلق البهلواني في الظلماء ، وسرعة الانتقال ، وايقاع المفاجآت المذهلة بفوهة المسدس ، واستعمال المخدرات ، وتغطية الاكف بالقفاز والادهان، هؤلاء ، ولو لاذوا بالفرار ، لا بد ان يتركوا اثرا يكون مفتاح اكتشاف الجريمة ، وهذا يكاد يكون قاعدة تصح على الفرد والجماعة ، وما شذ قليل ، والقليل النادر لا حكم له .

لذلك اعتقد ، يقول المؤلف ، وانا ابسط ما في صدري في هذا « الكتاب المفتوح » ان اطلاع العربي والعربية على هذا الكتاب ، الخالي من المتعة ، وسبب الترفيه ، بل المشحون بما يبعث على الالم ، شيء ضروري يدخل في باب المساهمة لبناء مصيرنا العربي، لو كانت هناك حفنة من الالم في كل صفحة ، فلا باس. العبرة ان يضاعف الايمان ...

وقد قسم الاستاذ عجاج نويهض كتابه اربعة اجزاء :

فالجزء الاول يبحث في ماهية البروتوكولات ، وكيفية ظهورها في اوربا آخر القرن الماضي ، ومن هو الذي وقعت عليه الترجيحات انه واضع دستورها ، واسباب غفلة العرب عنها ، وتطبيقها في فلسطين واوربا

والجزء الثاني يتضمن ترجمة الاستاذ عجاج نويهض للبروتوكولات ترجمة نقية واضحة توافق نصوص الطبعة الانجليزية الحادية والثمانين الصادرة عام 1958 للسيد فيكتور مارسدن المبنية على اول طبعة بالروسية ظهرت عام 1905 للعلامة سرجي نيلوس

وياتي الجزء الثالث في المجلد الثاني ، وهو يبحث في ينابيع العقائد التلمودية ، كما اتى المؤلف على صفوة القصة المتعلقة بالعرق اليهودي ، والقبالا ، والنحمانية، والميمونية ، وكتاب « الاشراق » وبالعبرية « الزوهر » وهو دستور القبالا ، والبلعشامية والكهال .

كما يجلو في هذا الجزء قصة هامان الأجاجي العماليقي في بلاط الملك الفارسي مع أستير ومردخاي.

والجزء الاخير والرابع ويبحث في التوراة ، واسفار العهد القديم ، كما يبحث في منشأ السنهدرين قبيل العهد المسيحي ، ومنشأ التلمود بينابيعه الخيالية ، وانه شريعة موسى الشفوية غير المدونة ، كما يقدم نماذج من أقواله في المسيحية ، وفي ان البشر ما عدا اليهود بذر حيواني ....

والحقيقة ان الكتاب ــ كما يقول المؤلف ــ قد تؤلم مطالعته ، لكنه الكتاب الذي يطوف بضميرك العربي لتساهم في الذياد عن مصيرك ....

ان تخريب المحاولة الصهيونية على رؤوس المحاولين ، يتطلب روحا عربية واحدة ، في البيت ، والمنزل ، والمدرسة ، والمعهد ، والصحيفة ، والنادي ، والمحاضرة ، والمنبر ، والنشيد ، والشعر ، والمقالة، والخطبة ، والموسم ، والعيد ، والقرية ، والبلدة ، والعاصمة ، والمعسكر ، وميدان المعركة ، فضلا عن الاذاعة والتلفاز ....

كما يعتبر الكتاب وثيقة تاريخية تفضح المخطط الصهيوني الذي انكشف امره ، واسقط في يده عام 1897 في مدينة بازل السويسرية . في ذلك المؤتمر الذي ضم أعتى الابالسة ، ورؤوس الشياطين ليتبارى افراده وطوائفه منفردين او متعاونين في ابتكار اخطر خطة لتدمير العالم واستعباده ، حيث درس المؤتمرون خطة ا جرامية لتمكين اليهود من السيطرة على العالم .

وقد جرى الاصطلاح منذ 1897 على تسمية هذا المخطط ببروتوكولات حكماء صهيون .

والمخطط التدميري اليهودي هذا كناية عن 24 فصلا جمعت عصارة التفكير اليهودي الشيطاني في الوصول الى التسلط على العالم بحكومة يهودية ، بعد تخريب « روسيا المسيحية الارثوذكسية » واوربا الكاثوليكية و « البابوية » ثم الاسلام .

البروتوكولات ترجمة توافق نصوص الطبعة الانجليزية الحادية والثانية الصادرة عام 1958 للسيد فيكتور مارسون

وهو يشتمل على اربع وعشرين بروتوكولا حيث استغرق من 179 الى 292 صفحة ، وقد اختتمه بتعليق عن الجرائم الخسيسة فى مخطط البروتوكولات وعن رؤوس الحراب فى المخطط

ولا شك ان اطلاع القارىء العربي على البروتوكولات يثير فى نفسه الرغبة لكي يعلم ما هي ينابيعها ومصادرها ؟ ؟

فهل تكون تلك الينابيع والمصادر من عمل قرن او قرنين من الزمان ؟

وقياما بالكشف عن ينابيع « البروتوكولات » كان لابد من تناول « التوراة » و « اسفار العهد القديم » من النواحي التي تنكشف بها الحقائق ، ثم البحث في العمالقة او العرب الاولين فى سيناء وجنوبي فلسطين، وما كان هناك من اول الحروب واشدها وابقاها على الزمن بين عرب العمالقة وبين اسرائيل الى السبي البابلي ، وقصة أستير ومردخاي فى البلاط الفارسي، وبطولة الامير العربي العماليقي « هامان » الملقب في التوراة « بالاجاجي » وبطولة الامير العربي « جشم » فى السامرة عند عودة اليهود من السبي بمساعدة ملك فارس لاعادة بناء الهيكل الذي دمره نبوخذ ناصر ملك الكلدان ، تدرك كيف نشات فى ايام السبي ، الجرائم الاولى التي جعلت بفعل الزمن تطرد وتنمو وتتحول الى ما سمي « التلمود » وهذا بالتالي كان ملتقى الينابيع ومنه استمدت البروتوكولات روحها وهدفها وغايتها .

وهذه الابحاث التاريخية التي هي موضوع الجزء الثالث ليست هامشية او جانبية ، وانما هي ضرورية للكشف عن الحقائق اليهودية ، وبغير وسيلة ، لاسبيل الى ذلك .

والجزء الرابع يبحث فى منشأ السهندرين قبيل العهد المسيحي ، ويكشف الغطاء عن « القبالة » الرهيبة، و « والقهال » و « النحمانية » و « الميمونية » وكتاب « الاشواق » ، او « الزوهر » ويقدم تراجم يوسف منده ، ومونتفيوري ، ودزرائيلي ، ويختم بوصف موجز لحركة نقل « الكتاب المقدس » الى العربية فى بيروت فى القرن الماضي .

وقد استوقفني اثناء قراءتي للكتاب البروتوكول الثاني(1) الذي يصور اليهود وهم وراء كل مذهب وفلسفة ونظرية وكل نشاط انساني ، كما يصور نظرتهم الحاقدة الى الاجناس الاخرى حيث قال :

« اما الغوييم (2) فقد بعدت الشقة بينهم وبين ان يكونوا قادرين على الاهتداء الى الحكمة بالملاحظة التاريخية غير المتحيزة ، اذ جل ما تبلغ استنارتهم به هو طرق النظرية على نمط رتيب ، دون ان يتعمقوا فى تسليط العين الفاحصة النافذة على مدار النتائج للحوادث . فليس بنا من حاجة ، والحالة هذه ، ان نقيم لهم اي وزن ــ فلندعهم فى حالهم وما يشتهون ويحبون، حتى تاتي ساعة اقتناصهم ، او يظلوا يعيشون على الآمال تنتقل بهم من مشروع خيالي الى آخر ، ويتباهون بذكريات ما سبق لهم التمتع به من لبانات، وليبق هذا كله دورهم الرئيسي الذي يمثلون . وقد نجحنا فى اقناعهم بان مالديهم من معلومات نظرية، انما هو من حر محصول العلم . وما دام غرضنا هو هذا ، فدابنا بواسطة صحفنا ان نرسخ فيهم الاعتقاد بصحة ما يحملون من نظريات وآراء ، اما اهل الفكر منهم ، فينتفخون ازدهاء بما لهم من حظ المعرفة ، وتراهم ، وهم غفل من الاستعانة بوضع التجربة على محك المنطق، يندفعون الى وضع نظرياتهم موضع العمل، **ولكن ما هو فى نظرهم علم ومعرفة ، ان هو فى الواقع الا ما عني عملاؤنا الاختصاصيون بتصنيفه لهم بحذق ومهارة ، وهيء هذا كله لتتنور اذهانهم به على الاتجاه الذي نريد ...**

**اياكم ان تعتقدوا ، ولو للحظة واحدة ، ان ما اقول لكم هو من الكلام القليل الجدوى : فما عليكم الا ان تتفكروا فى ما صنعنا لانجاح النظريات الدروينية والماركسية ، والنتشية . اما نحن اليهود ، فما علينا الا ان نرى بوضوح ما كان لتوجيهاتنا من اثر خطير فى التلبيس على افهام الغوييم فى هذا المجال »**

ولا بد لنا فى منهجنا هذا ، ان ناخذ بعين الاعتبار، ما عند الامم من طراز فكر ، وخلق ، ونزعة ، واتجاه .

وانما نفعل هذا لكي نحترز به من الانزلاق فى معالجتنا السياسية والتوجيه الاداري ، فلا نعثر ولا نكبو . وان انتصار منهجنا ، الموزعة اجزاؤه على مختلف المناحي توزيعا يصيب كل ناحية بما يواتيها منه ، حسب امزجة الشعوب التي تقع فى طريقنا ــ ان

---

1) المجلد الثاني صفحة 190 .
الغوييم : عند اليهود ، وثنيون وكفرة وانجاس وبهائم ، ويطلق عندهم على غير اليهودي .

**معنى بروتوكولات حكماء صهيون ؟**

هذه الكلمات الثلاث تؤلف في مجموع الفاظها شيئا اجنبي الزي والصفة ، حروفها من حروف الهجاء، ولكن مؤداها غامض .

ا : فالمعنى المقصود من « **بروتوكولات** » اي الصيغة التي دونت بها مقررات العصابة المعروفة « بالحكماء »

ب : ولفظة **حكماء** تعني عصابة كبراء اليهود السرية ، التي تجدد كيانها الخفي في اثناء الثورة الفرنسية ، ووالت سيرها في منتصف القرن الماضي في ايام كارل ماركس ، ونشطت نشاطا خاصا في روسيا القيصرية في الربع الاخير من القرن الماضي ، ثم عقدت مؤتمرها الصهيوني العالمي الاول في العقد الاخير من القرن المذكور برئاسة الدكتور تيودر هرتزل في بازل 1897 .

ج : **صهيون** ، صارت كلمة صهيون مع الزمن معناها الحكومة اليهودية الدينية .

و « عشاق صهيون » او « احباء صهيون » منظمة علنية خفية رهيبة . انشئت في روسيا بعد منتصف القرن الماضي ، وانتشرت في داخل روسيا ، وقامت بالحركات السرية لهدم القيصرية ، كما انتشرت لها فروع عديدة في الخارج .

ثم يسير الكاتب الاستاذ عجاج نويهض في الجزء الاول متحدثا عن النكبات الاربع ، واسباب غفلة العرب عن البرتوكولات ، وعن وضع البلاد العربية عام 1919، وعصبة الامم ، ثم يعقد في هذا الجزء فصلا هاما عن المتهم بوضع البرتوكولات ، ثم اعتراف ويزمن بان البروتوكولات هي : « المؤامرة اليهودية الشريرة للتسلط على العالم » ، وفي الفصل 23 تحدث المؤلف عن حياد الصهيونية المصطنع للمساومة بين بريطانيا والمانيا وتركيا 1914 ، وعن الصهيونيين ودعاة الطورانية من الترك ، واستفحال النفوذ اليهودي في الدولة العثمانية من 1908 ــ 1914 ، وعن مخطط التوسع الصهيوني من المتوسط الى الفرات ، وموقف فرنسا من الوطن القومي ، كما تحدث عن وضع اوسيشكين في نوفمبر 1913 ــ وقد حلت النكبات بتركيا ، وصار حديث اقتسامها نهائيا شاغلا بال الدولة الكبرى الطامعة ــ كتابا صغيرا سماه البروغرام الصهيوني السياسي الذي لم يقصد توزيعه على العالم، بل على حملة عقيدة التجمع والاقتحام .

وقد استطاعت جريدة فلسطين العربية في يافا اذ ذاك ان تحصل على نسخة من هذا الكتاب ، ونقلته الى العربية ، ونشرته تباعا ، وهو مؤلف من فصول موجزة ، كما نشرته مجلة المنار الاسلامي في القاهرة في عددها المؤرخ في غشت 1914

وقد علق اذ ذاك على هذه الفصول العلامة الكبير المرحوم السيد رشيد رضا في مجلة المنار ، والحرب العامة كانت قد فتقت رياحها في أروبا بقوله :

« لو لم ينشر من هذا الكتاب الصهيوني الا هذه الفصول لكفت من يعتبر من العرب الفلسطينيين وغيرهم ، عبرة وبيانا ، لمقاصد هؤلاء الصهيونيين ، وليعلم من لم يكن يعلم دين هذه الامة وتاريخها ، ان الصهيونيين اذا تم لهم ما يريدون ، فانهم لا يبقون في ارض الميعاد التي يؤسسون ملكهم الجديد فيها مسلما ولا نصرانيا ، وليست ارض الميعاد او فلسطين عندهم ما نسميه نحن الآن فلسطين فقط ، بل هي في عرفهم وتحديد كتبهم الدينية تمتد الى سوريا حتى النهر الكبير ، اي نهر الفرات ، فهذه بلاد لا يجوز عندهم ان يقيم فيها احد غير الاسرائليين »

ثم انتهى الى قوله : « فماذا عسى ان يفعل العرب اصحاب فلسطين من اسباب المحافظة على وطنهم واملاكهم فيه على تفرقهم ، وجهل السواد الاعظم منهم بكنه الخطر ، وكنه قوة مزاحمتهم ؟ »

ثم مضى صاحب المنار في زيادة التنبيه بعبارات مؤلمة موقظة

والحقيقة ان ما قاله السيد رضا من هذا الكلام سنة 1914 هو بعينه الكلام الذي يصح ان يوجه الى الامة العربية في آسيا وافريقيا اليوم ....

وفي الفصل الثالث والثلاثين يذكر الاستاذ عجاج نويهض ثلاث مقابلات خطيرة تكشف لنا عن كثير مما تبطن الصهيونية وتخفيه ، تلك المقابلات التي تمت بين البابوية ورؤوس الصهيونية

لقد تمت تلك المقابلات المهمة بين :

قداسة البابا بيوس العاشر ، قابله هرتزل 1903

قداسة البابا بنديكت الخامس عشر ، قابله سوكولوف 1917

قداسة البابا بنديكت الخامس عشر ، قابله ويزمن 1921

وبهذه المقابلات يتم الجزء الاول من المجلد الاول ويليه الجزء الثاني الذي يشتمل على ترجمة نصوص

# شعراء اليمن المعاصرون

## تأليف الأستاذ هلال ناجي
## تعليق : ابو سعد

اصدرت مؤسسة المعارف (بيروت) كتابا جليلا للاستاذ الاديب هلال ناجي يعتبر فى صدر الدراسات التي تلقي ضوءا على قسم مجهول من انتاج ابناء العروبة سواء منهم الذين يعيشون فى اليمن نفسها او فى جنوبها المحتل . والاستاذ ناجي من مواليد بغداد ومن الادباء اللامعين الذين قرانا لهم كثيرا من الآثار النفيسة ، اذكر منها على الخصوص دواوينه الشعرية: الفجر آت يا عراق ! . ومرفأ الذكريات . وساق على الدانوب . واغنية حزن الى كركوك ... هذا الى كتبه: « بغير قلوب ، و7 قصص عن اليهود ، وشعراء معاصرون ، وصفحات من حياة الرصافي وادبه ، والقومية والاشتراكية فى شعر الرصافي ، والزهاوي وديوانه المفقود ، واثر النكبة فى الشعر الفلسطيني، ومحنة الفكر فى العراق ، وحتى لا ننسى ، وديوان الناصري ... واخيرا : شعراء اليمن المعاصرون .. وهو الى جانب نشاطه الادبي يتبوأ منصبا دبلوماسيا مرموقا لدى الجمهورية التونسية ، والحديث الى الاستاذ ناجي لا يقل متعة عن القراءة له فهو يفيض حيوية ونشاطا وقد تفضل فأهدانا كتابه هذا فأعاد الينا ذكريات عن مجامع الادباء وأحاديثهم سواء بالقاهرة او بيروت او الكويت او بغداد .

ومن الآن نقول ان الباعثين اللذين دفعا بالاستاذ ناجي هما اللذان يشعرهما كل اديب عربي يتوق لربط الصلة بينه وبين اخوانه فى باقي اجزاء البلاد العربية ، فنحن نتعرف فقط على الكثير من ادبائنا فى مختلف الجهات بيد أن تعرفنا على ادباء اليمن السعيد قليل، ونحن نقرأ لكثير من ادبائنا من خلال ما ينشرون لكن ذكر ادباء اليمن يختفي عنا بحكم بعد الدار . وقد ضاعف من رغبتنا بالخصوص للتطلع على انتاجهم ما كنا ننعم به من متعة روحية ونحن نجتمع بشعراء اليمن شيوخهم وشبابهم ... لقد كان شعرهم يتسم بالاصالة من جهة وبالقوة من جهة اخرى ولم يقتصر ناجي على تقديمه للشعر اليمني بمعناه المتعارف ولكنه تجاوزه كذلك لاعطاء نظرة عن التطور الفني فى الشعر اليمني ...

وقد كان للاستاذ ناجي الفضل فى تقديم هذه الباقة الفواحة من الشعر اليمني المعاصر ، فترجم للشاعر زيد الموشكي ، والشاعر الزبيري ، وابراهيم الحضراني، والشاعر البردوني ، واحمد الشامي ، ومحمد عبده غانم ، ومحمد علي لقمان ، ومحمد سعيد جراده ، وادريس حنبلة ، وعلي عبد العزيز نصر ، ولطفي جعفر احسان ، وعبد الله هادي سبيت ، وابى بكر العلوي، وعلي احمد با كثير ، وصلاح الحامد ، ومحمد الشاطري وحسين محمد البار .. ثم عبده عثمان وسعيد الشيباني ومحمد أنعم غالب واحمد الجابري وعبد الكريم العنسي ومحمد الشرقي ...

واذا كان اختيار طائفة من الشعر وانتقاؤه مما يصعب فى بعض الاحيان نظرا لاختلاف الاذواق والامزجة فان الاديب ناجي عرف كيف يختار ما ينبغي ان يقرأ ، ويكفي دليلا على اللبيب اختياره كما يقول الشعر العربي ...

انتصارنا المتوخى ، قد يفشل ويحبط دون ادراك الغاية ، اذا كان تطبيقنا للمنهج ليس مبنيا على الاحكام المستمدة من صفوة دروسنا الماضية ، نطبقها على ضوء الحاضر .

**ولا يخفى ان في ايدي دول اليوم آلة عظيمة تستخدم في خلق الحركات الفكرية ، والتيارات الذهنية ، الا وهي الصحف ، والمتعين عمله على الصحف التي في قبضتنا ، ان تداب تصيح مطالبة بالحاجات التي يفترض انها ضرورية وحيوية للشعب ، وان تبسط شكاوي الشعب ، وان تثير النقمة وتخلق اسبابها .**
اذ في هذه الصحف يتجسد انصار حرية الفكر والرأي، غير ان دولة الغوييم لم تعرف بعد كيف تستغل هذه الآلة ، فاستولينا عليها نحن ، وبواسطة الصحف تلنا القوة التي تحرك وتؤثر ، وبقينا وراء الستار ، فمرحى للصحف ، وكفنا مليء بالذهب ، مع العلم ان هذا الذهب قد جمعناه مقابل بحار من الدماء والعرق المتصبب . نعم ، قد حصدنا ما زرعنا ، ولا عبرة ان جلت وعظمت التضحيات من شعبنا . فكل ضحية منا انها لتضاهي عند الله الفا من ضحايا الغوييم » اهـ

ولقد تفطن الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد لهذا الاسلوب الجهنمي الخطير الذي يعتمل في ذهنية وعقول الناس في مقالة نشرها في جريدة الاساس عام 1950 تحت عنوان: «الوجودية : الجانب المريض منها»

قال ما نصه :

« ولن تفهم المدارس الحديثة في اروبة ما لم تفهم هذه الحقيقة التي لا شك فيها ، وهي ان اصبعا من الاصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الاخلاقية ، وترمي الى هدم القواعد التي يقوم عليها مجتمع الانسان في جميع الازمان .

فاليهودي كارل ماركس وراء الشيوعية التي تهدم قواعد الاخلاق . واليهودي دوركهايم وراء علم الاجتماع الذي يلحق نظام الاسرة بالاوضاع المصطنعة، ويحاول ان يبطل آثارها في تطور الفضائل والآداب . واليهودي او نصف اليهودي جان بول سارتر وراء **الوجودية التي نشأت معززة لكرامة الفرد فجنح بها الى حيوانية تصيب الفرد والجماعة بآفات القنوط والانحلال .**

من الخير ان تدرس المذاهب الفكرية ، بل الازياء الفكرية كلما شاع منها في اروبة مذهب جديد ، ولكن من الشر أن تدرس بعناوينها وظواهرها دون ما وراءها من عوامل المصادفة العارضة ، والتدبير المقصود ...

وبعد ، فقد اعطينا للقاريء الكريم نظرة مختصرة عن كتاب « بروتوكولات حكماء صهيون » واستعرضنا في ايجاز اهم ما جاء في فصوله من حقائق مذهلة ، وصور مفزعة ، مارين على بقية الابواب والفصول مرور المومنين على الصراط راجين من القاريء الكريم ان لاتفوته قراءة هذا الكتاب الرائع الذي يصور المخططات الصهيونية الرهيبة ضد الشعوب العربية والاسلامية والعالم الانساني .

وان الامة العربية ، والاقطار الاسلامية ، منصورة باذن الله ، مهما تجبر الطغاة ، وطال الليل ، وتعقد السير ...

وشكرا مرة اخرى للاستاذ الكبير السيد عجاج نويهض على تفضله ولطفه .

**الرباط : محمد بنعبد الله**

# إلى أين يسير الشعر؟

للأستاذ: ربيع مبارك

لعل الاصوات لم ترتفع قط بمثل هذه الحمية ، متسائلة عن مصير الشعر والشعراء ، فلقد عد الشعر في مختلف الحقب التاريخية ، اسمى انواع التعبير ، وحظي الشعراء لذلك بالمكانة العالية في مجتمعاتهم ، لا لشيء الا لانهم شعراء ، والامر اوضح في شعرنا العربي ، منه في شعر آخر . بيد ان موجة عالمية ، تجتاح الفكر البشري ، تصده عن الاهتمام بالشعر ، قراءة او معاناة ، فكثير ممن كانوا يزاولون الشعر ، انحرفوا عنه الى الوان اخرى من فنون الادب ، اما الجمهور فقد انفصم ما بينه وبين الشعر ، ولم يبق في عداد عشاقه الا قلة ممن تربطهم به روابط المهنة ، كأساتذة الادب ورجال النقد . والاصوات المرتفعة لاعادة مكانة الشعر في المجتمع ، تحاول العثور على وسيلة ، تجدد بها الصلة ، بين الشعر والجمهور ، لا جمهور المدارس من اساتذة وطلاب ، بل عامة الجمهور ممن يستطيعون المطالعة ، لكنهم لاسباب مختلفة لا يطالعون الشعر ، او تخلوا عن مطالعته بعد الاقبال عليها لفترة من حياتهم . ومن هنا اتجهت جهود بعض من رجال الادب ، الى تأليف كتب المنتخبات الشعرية ، وقد ظهر اخيرا كتاب من هذا النوع عن « الشعر الفرنسي من بودلير الى ايامنا » « La poésie française de Beaudelaire à nos jours » الذي تساءل فرنسوا نورنسييه F. Nourissier بصدده ، في مقال له في صحيفة الاخبار الادبية « Les nouvelles littéraires » بتاريخ 19 يناير 1967 قائلا : ما ذا يمكن ان تؤدي كتب المنتخبات من دور ؟

والواقع ان مما يصرف عن وضع كتب المنتخبات ، وحتى عن مطالعتها ، جملة نقائص مبدئية : فهذه الكتب كثيرا ما تكون موجهة الى نظم تعليمية خاصة ، فترتبط اشد الارتباط بمناهج المدارس ، التي وضعت لها ، وتتخذ طريقها الى تحقيق اهداف معينة . وبالاضافة الى ذلك فكتاب المنتخبات ، لا محيد له عن الاقتصار ، وهذا يذهب ببقية سمعة ، هذا الضرب من التأليف .

وكتاب « الشعر الفرنسي من بودلير ... » الفه الاستاذ « بيير بوسدفر » Pierre Boisdeffre وهو في الحقيقة حلقة من مشروع كبير يحمل عنوان الادب الفرنسي ، صدر منه كتاب عن النثر الفرنسي لنفس المؤلف سنة 1965 .

واول ما يلاحظ على هذه المنتخبات . كما يرى نورسييه ، انها تتجه الى الكبار ، وهذا يعني تحررها من كثير من القيود التي قد تعوقها ، فيما لو اتجهت الى الطلاب خاصة ، الا ان سمة الانتخاب لا يمكن تجنبها . فالمؤلف بالضرورة ، سيقف عند شعراء لا يأبه لهم القارىء كثيرا ، ويحتفل لغير من يحتفل لهم القارىء . وقد يختار المؤلف ما يوافق عليه جل القراء ، لكن اختياراته لن تحوز الرضى جميعها ، وسيظل الكثير منها موضع المناقشة . هنا يقول فرنسوا نورسييه : « بطبيعة الحال ، مما لا يبعث على الارتياح ان رفردي Reverdy واودبيرتي Audeberti لا يستثيرون بوسدفر لكن ، آخر الامر هذا من شانه وحده ، والقراء راشدون ، فهم بانفسهم سيصححون ذلك . فليس

ومع هذا فقد وجدتني فى حيرة وانا اريـــد ان اختار من هذا المقتطف بعض ما يروق ، ولهذا فحسبي ان احيل على الكتاب مكتفيا ببعض ما يسمح المقـــام باستعراضه . سأختار من شعر ابراهيم الحضراني هذه الابيات التي قالها وهو يجول فى شوارع رومـــة ، وكان يحس آنذاك بالجدران والسابلـــة تنظـــر اليه مستغربة زيه اليمني التقليدي وسماته وملامحه منكرة وجود هذا الجسم النحيف القادم مـــن ارض سبـــأ المتحدر من اقيال حميـــر المنسل مـــن ارض بلقيس ، والقصيدة بعنوان : ( يمني فى روما )

تتســـاءل الجـــدران بـــي
وانـــا بساحتهـــا اطـــوف
مـــن ذلـــك الوجـــه الغـــريب
وذلـــك الشبـــح النحيـــف
يمشي فتمشـــي حـــول هيـــ
ـــكلـــه مـــن الماضي طيـــوف
الـــذعـــر فـــي نظـــراتـــه
والـــرعـــب والقلـــق المخيـــف
يـــا مهبـــط الرومـــان هـــذا
مـــا جنـــى الزمـــن العجيـــف
مـــن عهـــد حميـــر لا يـــزال
يروعنـــا أو عهـــد (خوفـــوا)
والجـــرح جـــرح المستبـــد
لـــه باكبـــادتـــا نـــزيـــف
امشـــي برومـــا حائـــر الخـــ
ـــطـــوات لي سمـــع كفيـــف!
يتحســـس الكلمـــات كـــالاعمـــ
ـــى بمهمهـــة يطـــوف
الـــدار تـــذكـــرنـــي ولكنـــي
ساكنهـــا شعـــوف
اشـــدو فينكـــر جـــوهـــا
شـــدوي وتلفظـــه السقـــوف

ومـــن خفيـــف شعـــر ادريس بن حنبلـــة : ( الانجلو أراب ) قوله وهو يعبر عن بعض مشاعـــره ، ومثل هذا الشعر ـ يقول الاستاذ هلال ـ لا مجال لـــه فى دنيا الفصحى طبعـــا . قال من قصيدة عنوانهـــا صرخـــة شعبيـــة :

ايهـــا النـــاس افيقـــوا
انما الدنيـــا Finish (نهايـــة)
كيـــف ترضـــون بعيـــش
همنـــا رز و Fish (سمك)
قاتـــل اللـــه سجـــونـــا
تجعـــل اللون Redish ! (احمر)

ومن قصيدة دالية طويلة حيى الشاعر علي احمد با كثير الاستاذ علال الفاسي وهو فى منفاه بالكابون:

اذا خاننـــا وغـــد من الغرب سافـــل
تحيفنـــا نغـــل من الشـــرق حاقـــد
فـــآه كـــلانا شاعـــر غيـــر اننـــي
مقيـــم على ضيـــم وانت مجاهـــد!

والاستاذ ناجـــي لم يكتف فى دراسته لانتـــاج الشعراء اليمنيين بمجرد العرض والتحليل ولكنـــه كان يتجاوزه احيانا للمقارنة بينه وبيـــن الشعـــراء الاخرين ، ومن هذا القبيل ما اورده عن ذكر الشاعـــر صالـــح الحامد ، فلقد قارن بين قصيدتـــه « على الشاطـــيء » :

والريـــح تمـــلأ فـــي الفضـــا
الرحـــب اشـــرعـــة السحـــاب

وبين قصيدة لامية للشاعر المغربي محمد الحلوي:

ايـــن مـــن عيني هاتيـــك اللئالـــي
خـــاطـــرات فى بـــرود مـــن دلال ؟

وقـــد قال الاستاذ هلال معلقا : لو أن صالـــح الحامد وازن قصيدته بقصيدة الحلوي لبدا تهافتهـــا وضعفهـــا

الحقيقـــة ان نشر هذا الكتاب سيساعد الادباء العرب على التعرف على اخوانهم فى اليمن بالذات ، وان ما نعرفه فى الاستاذ ناجي من نشاط وحيوية ليحملنـــا على الاعتقاد بأن ما سيتحف به الخزانة العربية مـــن دراسات لابد أن يكون فى المستوى الذي ينشده الادباء فى الشرق والغرب .

**الرباط : ابـــو سعـــد**

الحديث ، والا لاصبح هذا ترديدا وتقليدا لا طعم لـه ؛ وانما يعني ان هذه الجدة ، تنتسب الى القديم ، اي انها نابعة عن « الاتصال » . وهذا معقول ، ما دام الاتصال « هو اتصال الحياة ، اتصال القلوب النابضة » نعم ان الطريق يبدو طويلا ، بالنظر الى المسافة الزمنية التي تفصل بين فيكتور هيجو مثلا وسان جون بيرس Saint John Perse وقد تبدو اطول بالنسبة لغيرهما، ولكن الطريق رغما عن ذلك ــ كما يقول الترــ يبقى هو هو على الدوام ،فثمة انحرافات ربما بدت مفاجئة ، الا انها ليست غريبة عن الماضي كلية ، بل لها فيه جذور واصول . وهذا يعني ان رجوعنا الى شعراء الماضي ، ليس ضياعا في المجهول ، بل اننا عاثرون على ما يمت بالصلة الى السير الحالي ، لحياتنا الشعرية ، كما اننا في هذا الماضي ، من وجه اخر ، نعثر على كل الارهاصات التي نجمت عنها خيوط حياتنا المجتمعية الراهنة .

فلنكتف بهذا القدر ، مما يكتب حول الشعر الفرنسي ، هذه الايام ، والجهود التي تبذل قصد ربط الصلة من جديد بينه وبين الجمهور . ولننظر الى الموضوع من الزاوية التي تهمنا ، وهي زاوية الشعر العربي . لسنا بدعا في الامم ، فموجة الانصراف عن الشعر تجتاحنا ايضا ، والاسباب ترتبط اشد الارتباط، بالاسباب التي جعلت جمهور فرنسا ايضا ، ينصرف عنه ، مهما تتخذ هذه الاسباب من الوان محلية . والامر عندنا اخطر ، ذلك ان قارىء الشعر ، لا يمكن أن يتوفر على ذوق سليم ، ويصبح بالتالي قارئا ، الا اذا توفر على ثقافة شعرية . ولكن هذه الثقافة حتما لن تأتي من الشعر الحديث وحده ، لانه ما نريد تذوقه اولا ، ولانه ليس كل شيء ثانيا . فهل نعود الى القديم ؟ لقد قر في اذهان الكثير ، ان شعرنا الحديث ، هو انفصال عن شعر الماضي ، او يجب ان يكون انفصالا عنه . وواضح ان فكرة الانفصال تتغافل عن معنى التطور ، وتؤدي الى اقامة هوة ، بين الماضي والحاضر . ومما قوى هذه النزعة عند البعض ، ما يوجد في الشعر العربي ، من ضروب المديح والحماسة والغزل . . . حتى ليذهب البعض ، ممن يفترض فيهم ، ان يكونوا على أوثق صلة ، بشعرنا قديمه وحديثه ، الى الدعوة الى « قبره » ، ولن نناقش هذا ، فليس لاصحابه مبادىء تصمد للنقاش ، واما قصدنا هنا فهو التلميح لفكرة الانفصال ، التي يراها البعض ما بين قديمنا وحديثنا ؛ والتي من نتائجها ان كثيرين لا يفهمون شعر اليوم ، ولا يرغبون في فهمه ، لا شك ان ما اثنينا على ذكره ، من جهود لخدمة الشعر الفرنسي ، يلهمنا ان نقول اننا احوج ما نكون ، الى كتب من هذا النوع ، كتب جامعة تنتخب اجود النماذج ، لتسلكها في فكرة عامة ، تؤدي آخر الامر ، الى احلال الاتصال او اظهاره ، والى استجلاب جمهور الثقافة العربية ، الى الشعر من جديد . واضح اننا لا نعني كتب منتخبات مدرسية ، بل نريدها للكبار ، متحررة من قيود النظم التعليمية ، لاناس متحررين منها ايضا . ولا اذكر محاولة من هذا النوع في الشعر العربي ، سوى محاولة طه حسين في « حديث الاربعاء » الذي كان الدافع اليه ، دفع الجفوة المعقودة بين شباب ذلك الوقت والشعر القديم ، وهي : محاولة لم يتح لصاحبها ان ينميها او يزيدها عمقا ، بل لم يتح له ان يعيد النظر فيها عند اصدارها في كتاب ، كما قال في مقدمته : اما المحاولة التي نريد اليوم ،فيجب ان تتعمق معطيات الحاضر بشكل ادق ، حتى تكون استجابتها على نحو اوفى واتم .

الرباط : ربيع مبارك

لفظ المنتخبات العالق بهذا الكتب ، بكاف لصرفنا عنها ، لا سيما اذا خلعت عنها الطابع المدرسي ، واتجهت الى الكبار ، وما هو افضل ، اذا ما كانت لها غاية مرسومة توجه اختيارها ، ومن هذه الزاوية تناول André Alter اندري التر ، نفس الموضوع ، فى مقال له بعنوان « سيستمر الشعر حيا » وذلك بمناسبة حديثه عن كتاب بوسدفر المذكور . وقد صدر المقال فى صحيفة تيموانياج كريتيان Témoignage chrétien بنفس تاريخ مقال نوريسييه .

ويلاحظ اندري التر ، ان الاصوات التي ترتفع منادية باعادة ربط الصلة بين الجمهور والشعراء ، يزداد عددها يوما عن يوم . والجمهور المقصود بالذات، هو خاصة ، تلك الطبقة التي طالما ادعت ، او قيل عنها انها لا تفهم الشعر . وبالرغم مما قد يكون لهذا الادعاء من صحة ، فان عوامل اخرى تلعب دورها فى نفور تلك الطبقة من مطالعة الشعر . فقد طفت الاهتمامات التقنية فى عصر الذرة والصواريخ ، على جانب كبير من الاهتمامات الفنية ، ومن ضمنها الشعر ، ولا شك ان القصة والمسرحية تظلان الى حد بعيد ، بمنجاة من نفور الجمهور عنها ، باعتبار انها تعالج مشاكل المجتمع، وقد تساعد على ايجاد الحل لكثير منها ، وهنا نلمس اول عامل جدي ، يمكن ان يؤدي الى النفور من الشعر، وهو ان الشعر يمتاز بأنه تعبير ذاتي ، يعكس رؤية فردية للموضوعات التي يتناولها ، والرؤية الفردية ، لا تحظى بالمكانة الاولى فى حضارة القرن العشرين ، ان كانت لا تزال لها مكانة ما . فالنظم الديمقراطية تعتمد الكثرة ، اي الرؤية الجماعية محل الرؤية الفردية ، وليس من الصعب ان ينزلق الناس من المواقف السياسية والاقتصادية ، الى المواقف الفكرية فيبدو الشعر ، ضربا من التعبير متطفلا ، على المجتمعات الحديثة ، والتي تعمل ما أمكن للتفتح على الخارج واقامة التكتلات مع المجتمعات الاخرى ؛ بينما يستمر الشاعر ، مع خواطره الخاصة ، يعالجها بالوصف والتحليل . ومن هنا ايضا ينجم عامل ثان ، يسهم في بسط الجفوة بين الجمهور والشعر ، وهو الصعوبة التي يلاقيها القارىء فى الشعر ، ما دام الشعر يعبر عن حالات فريدة يختص بها الشاعر ، ولا سبيل الى ان يحياها الجمهور معه ، مهما تبلغ درجة التعاطف بينهما، وهنا يلح سؤال ، وهو : الا يسير الشعر نحو الانقراض؟ ان هذا السؤال هو بالضبط الذي وضعه كثير من الشعراء انفسهم ، فى كثير من المناسبات ، وهو السؤال الذي يطرحه منذ الصفحات الاولى ، الاستاذ جورج جان Georges Jean فى كتابه « الشعر » Poésie وهو ما حاول التر ان يجيب عنه بصدد الحديث عن منتخبات بوسدفر من الشعر الفرنسي .

والفكرة الاولى التي يجب ان نتشبع بها — حسب التر — هي ان الشعر خير عام او خير مشترك Un bien commun ومعنى هذا انه يتجاوز المظهر الفردي ، الذي يقف عنده الكثيرون ، كلما دار حديثهم عن الشعر . والشعر الصعب ذاته يتجه الى الجميع ، الى الجمهور « وصعوبته ناجمة عن كونه ينبجس عن الاغوار الخفية ، لكل القلوب ، ويسعى الى ان يبين عن حقيقة عامة، تنتمي الى الجميع ، بقدر ما هي فريدة، وخاصة بكل واحد منا » وهذا وان كان صحيحا بالنسبة لسائر فنون الادب ، فهو اظهر ما يكون فى الشعر ، فقصارى ما يمكن للشاعر ، فى مجال اقترابه من الجماعة اي سيره نحو ان يصبح مفهوما من الاخرين ، هو ان يحاول عزل تجربته الخاصة عن ذاته ، ويجعلها كموضوع فى الخارج . ولكن هذه العملية الصعبة ، تتم بمجهود ذاتي ، هو الذي يحدد مبداها ومنتهاها ؛ وهكذا ، وبالرغم عن كل ما يمكن ان يقال ، فالتجربة الشعرية ، لن تضرب كثيرا فى الموضوعية ، وكل ما يمكن ان تصله، هو ضرب من الذاتية الموضوعية .

هنا نصل الى القطب الثاني فى الموضوع ، والذي يجب الا يمكن سالبا ، وهو الجمهور ، ففي محاولة « التفاهم » هذه ، والتي أتينا على وصف جهد الشاعر فيها ، يجب ان يبذل جهد مقابل من طرف الجمهور . ومهما تكن نوعية هذا الجهد ، فلا بد له من بنية شعرية يتقوم بها ، فالجمهور الذي يعشق الشعر ، لا بد أن يكون شاعرا ، بوجه من الوجوه ، ولا بد ان تتوفر له الثقافة الشعرية اللازمة . وهنا نلمس عن قرب دور هذه الكتب الجامعة او كتب المنتخبات الشعرية . وهذا بالضبط ما يسعى اليه بوسدفر ، فى كتابه عن « الشعر الفرنسي من فودلير الى ايامنا » الذي يهدف الى الكشف عن جمال هذا الشعر ، بحسن الاختيار ، والاشارات الواضحة ؛ وما هو اهم من ذلك فان المؤلف، صدر فى كتابه عن فكرة رئيسية ، وهي أن الكثيرين — وخاصة ممن لا يفهمون الشعر — يعتقدون ان الشعر فى ايامنا هذه ، عديم الصلة بالشعر القديم ، ومن ثم فلا حاجة بهم ، الى قراءة شعراء الماضي . يقول المؤلف : « ان الشعر الفرنسي » بالنسبة للكثيرين ، يبدو انفصالا عن الماضي . وهذا الكتاب — بالعكس من ذلك — يعمل على ابراز صفة الاتصال فى هذا الشعر » الا ان اثبات الاتصال لا يعني نفي الجدة عن الشعر

ولا طهارة ، وانما يتبركون بلحس بصاق رؤسائهم .. فما احل الله حرموه وما حرمه حللوه ..

انتفض الفتى الغيور ووضع يده على قبضة سيفه كأنه يواجه واحدا منهم وقال :

— كيف ؟ هذا ضلال مبين !

ابتسم الشيخ واستمر يحكي، ويده تشير الى الفتى المواجه له ، ان تمهل ان للامر يوما آت لا ريب فيه :

— انهم يحرمون على اتباعهم اكل رؤوس الحيوانات كلها ، واكل الديوك ، كما يحرمون الزواج من بنات العم بينما يحللون الزواج من النساء بدون تحديد ويحللون فى نفس الوقت الطلاق عدة مرات .. يا لهم من مخرفين جاحدين معاندين .. انما الامل معلق على عريس ليلتنا وأمير امتنا (يوسف) ، هو أمامنا ونحن من ورائه لمحق القوم الضالين ..

هز الامير راسه (مؤكدااستعداده) بصوت رقيق، ذي تأثير خاص على نفوس هؤلاء الحاضرين ، أصحاب القامات الفارهة والسحنات السمراء الداكنة ، الذين تغلى صدورهم بالحماس الديني القوي ، وتفيض قلوبهم بالايمان الخالص ، بينما اذرعهم المتينة تتململ من تحت الثياب الزرق واكفهم العريضة الشديدة تتحسس قبضات السيوف من شدة الشوق الى استعمالها ..

واستغرق الحديث كثيرا من التفاصيل عن معركة (تامسنا) وعدد الحاضرون اسماء الشهداء الكرام الذين سالت دماؤهم فداء للاسلام الذي تغمر مبادؤه النفوس الى درجة ترضى معها الارواح بالضياء .. ان الاراء تكاد تجتمع على دهاء البرغواطيين فى العراك واساليب خداعهم فى الحروب مما يتطلب من المجاهدين ثباتا عظيما ومجابهة قوية وضربات لا رحمة فيها . وشرع المحاربون المحنكون يبصرون اخوانهم بنقط الضعف فى مواقف هؤلاء الاعداء الاشداء .. وبهذا لم يعد الجمع حفلا لزفاف (الامير يوسف بن تاشفين) وانما انقلب الى ما يشبه المجلس الحربي !

وعلى العكس من ذلك كانت مأدبة النساء صاخبة ، تجملها بحسنها ووقارها عروسة الليلة (زينب النفزاوية) ، انها جالسة فى أبهة وروعة ، مستسلمة للماشطة التي كانت تخضب كفيها وقدميها بالحناء الى حدود الكوعين والكعبين ، بعدما أنهت ترجيل شعرها وتضميخه بالطيب ، واثبت فى ذؤابتي ضفيرتها حبات العقيق الاحمر واللبان الاصفر وبعض القطع الفضية والذهبية،ثمسرحتهما الى اسفل. ومالت الماشطة بعد هذا كله على الشفة السفلى فصبغتها بسواد (الحرقوس) المعطر ، وعلى العينين فكحلتهما . ان الزينة فى الواقع ترجع بالمراة فى بعض الاحيان الى رونق الشباب البهي . اما اللباس فظاهره كان عبارة عن اردية بيضاء وزرقاء طويلة تتدلى حواشيها حتى الارض ، اكمامها متسعة جدا، تبقى — من بعد ثنيها — الذراعان المكتنزان البضان لافتين للانظار .

فى هذا الحين بالذات كانت العازفات يحملن (الدبكات) المستديرة ، ذات الغشاء الجلدي المشدود الاطراف وينقرن عليها نقرا رتيبا متشابها منسجما يبدأ خافتا ثم يتقوى ثم يعود بنفس التدرج خافتا . وبرزت واحدة من بينهم تمشي على ركبتيها لتؤدي رقصة ذات اشارات واهتزازات يتحرك معها الراس والجذع بابداع ، بينما الاكف تساهم بضرباتها تحمسا واعجابا .

وقامت العروس بوقار ، وبدلال ايضا ، وغادرت المجلس صحبة احدى قريناتها من الحاضرات، وتتبعتها الاعين بشغف وفضول ، الا ان ذلك لم يؤثر فى حيوية العازفات والراقصات والضاربات بالكف . لقد شجعتهن على المضي فى مرحهن وسرورهن بابتسامة اخاذة واشارة من راسها فى منتهى الرقة واللطافة . لكن الاستغراق فى الطرب شابه اضطراب وهمهمات ونظرات محدقة ، ذلك ان العروس عادت فخرجت على الجماعة بلباس مدهش ، رائع ، جميل، آخذ بالالباب .. ان هؤلاء الصحراويات لم يرين قط مثل هذا اللباس الحريري الفخم ، الذي يشتمل على قطع احسن تفصيلها وترصيعها بالجواهر واليواقيت. انه ثوب تحتفظ به الاميرة منذ مدة . منذ ان اهدي اليها من سيدة وجيهة رجعت منسفرتها الى الاندلس..

نعم من الاندلس بلاد الرخاء والسعادة والرفاهية والحضارة الباذخة . لقد حكت لها تلك المراة الكثير العجيب من اخبار الاندلس ، اخبار قصورها ورياضها وقبابها وحماماتها وسيداتها ومغنياتها واطعمتها وحلوياتها وعطورها وزينتها وموسيقاها وانشاداتها.. لكم تاقت نفس زينب الى زيارة هذه الديار ، ولكنها لم تسعد من احلامها تلك بسوى هذا الثوب الفاخر . الذي طالما تلمسته وحدقت فيه وحلمت باليوم

# زينب اللبيبة

للأستاذ محمد بن أحمد اشماعو

الخريف الذي يعبس ويزمجر على السواحل والسهول وفوق رؤوس الجبال يذهب الى الصحراء ليخصها بالجو الصافي . والنسيم العليل ، والالوان الزاهية عند مشرق الشمس وغروبها .. خصوصا عند غروبها ، حين ترى رؤوس النخيل الخضر وهي تتوسد السحاب البرتقالي المتناثر عبر الفضاء الفسيح . تهدهدها نسمات رقيقة منعشة ، وتناغيها طيور عذبة التغريد . لتدعها بعد ذلك تنعم بالراحة والبرودة وضياء البدر الوضاح .. لقد عاش القاطفون عيشا شديدا فى عناقيد البلح فى هذا اليوم ، وما ذلك الا ليهيئوا لمادبة زواج (الامير) ما يلزم من اطباق البلح المختلف فى احجامه والوانه المتشابه فى طعمه .

وهكذا حفلت المادبة بعدة اطباق من البلح الطري والتمر الجاف المتعدد الانواع ؛ وبأباريق الحليب : لحليب النياق ، وحليب المعز الشهي ، وبقصاع اللحم المشوي الذي تنبعث منه روائح الشحم الناضج تمازجها نكهة (الكامون) العاطر ، المثير لشهية الآكلين ..

لم يكن الحاضرون يعرفون شيئا من التصنع والتأنق عند الاكل ، ولذلك اقبلوا على الخيرات المبسوطة يلتهمونها التهاما حتى شبعوا وارتووا ، ثم انتحوا على الجوانب يسوون ملابسهم الزرقاء ويثبتون الالثمة على وجوههم ، والذين برزت بعض الاحجبة من اطواقهم اعادوها الى ما تحت الثياب بعناية واجلال ، اذ ليست هذه الاحجبة الا آيات شريفة من القرآن الكريم .

ولم يركن المدعوون الى السكوت ، فسرعان ما ثار بينهم حديث طويل مشح حول المعارك التي ثارت مع (البرغواطيين) الخبثاء ، والتي ذهبت بأرواح عدد من الزعماء الفضلاء المرابطين ، ومن جملتها روح الداعية الجليل الخالد (عبد الله بن ياسين) ، وهنا حدث القوم باحاطة وحماس سيد وجيه من وجهاء الصنهاجيين المجتمعين فى هذا اليوم السعيد ، وراح الآخرون ينصتون باهتمام لتفاصيل المعارك السابقة لكأنهم لم يحضروها بأنفسهم ، ولم يستنشقوا غبارها، ولم يضمدوا جروحها ولم يواروا فى التراب شهداءها ، ولكن المحدث كان بارعا وعالما بدقائق الامور ، وخبيرا كل الخبرة بالقبائل واصولها ومواقفها من الاسلام منذ الزمن البعيد ، ومواقفها اليوم من العملية الكبرى التي تقوم بها جحافل المرابطين المظفرة ..

قال احد الحاضرين من المجندين الفتيان :

— حدثنا يا عم عن البرغواطيين الملاعين .

— بما اننا فى وليمة اميرنا يوسف حفظه الله ، وبما انها ليلة السرور فدعني اقص عليك ما يضحكك من اخبارهم ..

ثنى الفتى ركبته اليسرى وزحزح لثامه قليلا واقبل ينصت .

— والله ما سمعنا عن اشياخنا بأقوام انحرفوا عن الاسلام مثل هؤلاء القوم ، فلو كانوا اهل ذمة لكان امرنا معهم حسب الشريعة المطهرة ولكن أية ملة ملتهم ؟

قال الفتى السائل والغضب يطل من عينيه :

— هل يصلون ويصومون ويزكون ... ؟

— نعم يصلون ويصومون ويزكون ... مهلا ولا تتعجل .. انها ليست كلها من المفروضات فى شىء فالصلوات ليست هي الصلوات الخمس المفروضة ، والصوم حرام عليهم فى رمضان واجب فى رجب ، والزكوات ليست هي الزكوات الشرعية ، ولا وضوء

والولد .. ولهذا اقترحت ان تبدأ الحملة انطلاقا من مراكش ، مراكش التي تقترح أن تصبح دار الملك ، ومن مراكش الى أحوازها ثم تنزل الجموع الكثيرة على مراكز برغواطة لتدكها دكا بدون تردد ورحمة ، ان البرغواطيين — وهي اعرف بهم — شديدو المراس وعلى درجة كبيرة من الضراوة والعنف ، لهذا يجب الاستعداد القوي الكامل لمواجهتهم ... هناك ايضا جموع المغراويين واليفرانيين المتناثرة في الانحاء وهؤلاء لهم سند من خارج المغرب ..

— انما يا يوسف ...

— نعم زينب !

— احضك على الاهتمام بالعدوة الاخرى .

— ماذا ؟

— العدوة الاخرى ، اعني ديار الاندلس ، ان هذه البلاد السعيدة اهلها اشقياء ! فرغم أن من بينهم علماء وحكماء وادباء وفضلاء وصناعا ماهرين فانهم لا يكادون يستقرون على حال ، كل يوم فتن وكل سنة حروب ، والخزي أنهم يستعينون على بعضهم بخصومهم الالداء ، تصور المسلم وهو يستعين على اخيه المسلم بالخصم المسيحي العنيد ! بالله كيف يصل الضلال بقوم الى هذا الحد ؟

— ليست عندي تفاصيل عن الحالة هناك .

— لقد عرفت من الاندلسيين اناسا يبكون بدموع حارة على حالة بلادهم ، وهم حتى اليوم ينتظرون ان يأتي الفرج من هذه الديار .

— وهل انتهينا من مشاكلنا حتى نهتم ونتفرغ لمشاكلهم ؟

— اني متيقنة من انك منته منها عن قريب بفضل عزمك وحزمك ، وثق من مشورتي وسهري بجانبك ، انما لابد من دخول ديار الاندلس مهما طال الزمن !

— رسالة امامي (سيدي عبد الله بن ياسين) كانت هي تطهير هذه الديار من الكفر والضلال ، وسأبقى عاملا بها ما حييت ، واما الدخول الى اراض اخرى فسيكلف دماء غالية بين المسلمين ، وهذا ما لا ارضاه ،

— ثق انهم هم الذين سيدعونك للقدوم عندهم ، ولا مفر لهم من دعوتك لانقاذهم ، انهم غارقون في الخلاف ، لقد اخبرني احد العائدين من هناك ان ارضهم يحكمها الآن نحو اربعة عشر اميرا من المسلمين ، فلكل مدينة تقريبا امير يحكمها وهو مستعد على الدوام للدخول في حرب مع امير المدينة المجاورة ، وقد يستعين بحليف مسيحي من اجل ذلك ، وقد يؤدي له الجزية صاغرا !

— كيف ؟ يؤدون الجزية صاغرين ؟ معاذ الله ان تكون هذه تصرفات مسلمين غيورين على شرفهم.

— الا ترى أن الامر يستوجب تدخلك لانقاذ كرامة الاسلام ؟ !

— سنرى . المسألة تتعلق بالمستقبل . والله يفعل ما يريد !

— انها بلاد رائعة غنية سعيدة .. اتذكر الثوب الفاخر الذي ارتديته ليلة الزفاف ؟ انه أحد البسة الاندلس ، فاذا كان لباسهم هكذا فكيف يا ترى تكون مساكنهم وفرشهم واطعمتهم ونظام حياتهم كلها ؟

— مهما يكن امر ذلك كله فهو ترف زائد ! هل بلغك شيء من امر النساء هناك ؟

— مسكينات ، انهن رغم تقلبهن في النعيم والحضارة فانهن محجوزات في البيوت ، لا يسمع لهن راي ولا يشاركن في مجتمع ، ولا يساهمن في معركة لا بالقول ولا بالعمل . انهن يبقين مأسورات في البيوت حتى يأخذن مأسورات بيد خصومهن من ابناء العمومة او بيد العدو الخبيث الذي لا يتردد في فعل المنكر بهن صغيرات وشابات ، او لا يتردد في استعمالهن خادمات كهلات وعجوزات ..

— هذا ضلال ، ومخالف للسنة . خطتنا نحن معشر المرابطين مع نسائنا معقولة وصالحة .. ولكن ظهوركن في المحافل لا يخلو من مشاكل !

— اعرف ما تقصد . انك تشير الى الغر الذي تمنى ان يتزوج زوجتك !

— نعم ، وقد افهمته انه تجاوز حدود التمنيات الى الوقاحة .

— اما انا فقد فعلت به فعلة اخرى !

— كيف ذلك ؟

— لقد امرت بحبسه واطعمته ثلاثة ايام متوالية طعاما واحدا ، نفس النوع ونفس الطبخ ، ثم دعوته وسألته كيف وجدت طعام الثلاثة ايام ؟ فلما قال انها واحدة ، قلت له : النساء كذلك يا ابله ..

— وبماذا اجابك ؟

— اطرق خجلا ، واخذ يتراجع الى الوراء .. وعندئذ منحته صلة وصرفته الى حال سبيله .

— يا له من درس لمرابطي ساذج !

— دروسي من الآن حتى النهاية هي في صالح

السعيد الذي تلبسه فيه ، وها هو اليوم السعيد تعيشه وهي تزف الى زوجها الجديد (يوسف) العظيم، الذي تريد ان تفنى في خدمته وحبه والوفاء له الى النهاية ، ان شهرته طبقت الانحاء وملك من الناس اعجابهم ، فجدير بها ان تفخر بهذا الاختيار الخاص الذي وقع عليها دون غيرها من النساء ، ان امام هذا الرجل مستقبل كبير ، فعليها ان تكون له فيه ولية ونصيرة بعد الله !

ولم تطل الجلسة بالعروس بعد بروزها بين الحاضرات انيقة جذابة ، ذلك ان المدعوين اخذوا ينصرفون بعد ان جددوا التهاني للامير المحبوب يوسف .. هناك قامت الماشطة واخذت بيد زينب الى مخدع زوجها ، ولم يكن ذلك المخدع فخما ولا بالغ الاناقة ، وانما كان بسيطا مريحا يطيب الركون اليه ، ولكنه انقلب بدخول العروس الحسناء البهية ، العذبة الملامح ، الرصينة الحركة الى مكان يعلو مقاما على قصور الدنيا كلها .

واستقبل الامير الشاب عروسه في لباسه الصحراوي البسيط الذي يكسو منه جسما مثالا في الرشاقة وتماسك العضلات ، وتطل من لثامه عينان براقتان عنبريتا السواد ،، كان يحدق بهما من تحت الحاجبين المعقوفين في وجه زوجته الحسناء الرصينة التي تبدي بياضها ناصعا بجانب سمرته القوية .. لكن شعلة ادبها الجم وهي تتلقاه بصواع من اللبن وقصعة من التمر الممتاز ، فما كان منه الا ان شرب من تلك وتناول من هذه ، وكان لبقا فحرص على أن تشرب من نفس القصعة وان تأخذ التمرة من يده مباشرة ، وبذلك امكن للاصابع ان تتلامس لاول مرة!

وجلسا على سدة مفروشة بلجلد ضأن ثمين نظيف، واتخذا وسادتين لينتين وراء ظهريهما وكانت جلستاهما متحاذيتين جدا ، وعندئذ ظهر الابتهاج والاغتباط واضحا في عيني الامير . وخاطبها قائلا :

— ما زلت احمد الله ، فليس لكرمه من حد ولا نهاية . فمنذ شهور قليلة لم اكن سوى جندي من جنود الاسلام المتفانين في جماعة الشهيد سيدي عبد الله .. واليوم — بفضل الله — اصبحت اميرا للمسلمين !

— ونعم الامير ، الكل مجمع على حبك وتأييدك ..

— لا تقولي هذا ، فالعبء ثقيل والتبعة صعبة ، ولكن ذلك يهون بوجودك بجانبي !

— انا امة لك ، انا امة لك باخلاص ، وحين اقول اني امة لك اعني اني امة لدين الاسلام الحنيف الذي ظهر لي فضله وامتيازه على غيره ..

— ان الحظ كان معي سعيدا بينما اخطأ ابن عمي المسكين ابا بكر الذي ارتأى أن يفرط فيك .

— نعم فرط في لاكون من نصيبك هكذا ، انني سعيدة حيث اصبحت لك ، اما هو فليعنه الله على مهمته في الصحراء .

— زينب اسمعي .. اني كنت افكر في مشاكل الامة بعقل واحد ولكن الله الكريم منحني عقلا نيرا آخر هو عقلك سينير الطريق امامي في المستقبل ان شاء الله فالحمد لله .. زينب هل لك في صواع من الحليب ؟

— لا بأس . اسقني حتى يروى عطشي بارك الله فيك .

* * *

انتهى الامير يوسف بن تاشفين من الاجتماع الكبير مع رؤساء الاجناد من قادة المرابطين ، وانصت منهم الى المعلومات التي وافوه بها عن حالة جنودهم ، ومقادير الارزاق بين ايديهم ، ومبلغ مضاء الاسلحة عندهم . كما درس خطط حملة مقبلة بحضور بعض الرحالة العارفين بدروب الصحراء ومسالك الاطلس الوعرة ومنازل القرى الموجودة على الطريق، مع اثبات اسماء الزعماء والرؤساء وذوي الميول المشكوك فيها .. كانت صبيحة حافلة شعر بعدها الامير بضرورة الانقلاب الى زينب لتناول طعام الغذاء

كان اليوم شديد الحرارة ، لهذا كانت السيدة زينب متخففة من اعباء الملابس الفضفاضة ، ولا بأس بذلك في حضرة زوجها ، وراحت تذهب وتجيء جادة في اعداد مائدة الامير . تمرا وحليبا ولحما مشويا وبما ان جوع الامير كان شديدا فقد كان في حاجة الى ما يرطب لسانه الجاف من شدة الحر وكثرة الحديث لهذا اقبل على صواع اللبن الخاثر بنهم وشربه حتى آخره شاكرا حامدا .

واثناء تناول الطعام اعاد على سمعها جميع ما راج في الحديث من اخبار واسرار بين القادة وذوي الراي ، انما وجد عندها هي ايضا اخبارا واسرارا وجوانب من خفايا الامور التي لا تهم الرجال عادة ولكنها تلفت نظر المراة وتلهمها آراء نافعة على كل حال ، لقد تقلبت زينب في بيوتات الحكم والزعامة وخالطت اقواما متطرفين في معاداة الاسلام واقواما متفانون في حبه والاستعداد لتفديته بالمال والجاه

# نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

### تدشين مسجد الحي الحسني بالدار البيضاء

قـام معالـي وزير عمـوم الاوقـاف والشؤون الاسلامية الاستاذ السيد الحاج احمد بركاش بتدشين مسجد الحي الحسني بمدينة الدار البيضـاء .

وقد رافقه الى المسجد الكولونيـل السيـد عبد السلام الصمريوي عامل مدينة الدار البيضاء السابق والسيد الحاج احمد بنجلون النائب الاول لرئيـس المجلس البلدي والكاتب العام للعمالة والاستـاذ الجاي ناظر احباس مدينة الدار البيضاء والسـادة رؤساء الاقسام بالعمالة ، وعدة شخصيـات .

وتقدم السيد الوزير الى باب المسجد لتدشينه،ثم ادى صلاة الجمعة مع المصلين . وفى نهاية الصلاة رفعت اكف الضراعة الى الله جلت قدرته بالدعـوات الصالحة لصاحب الجلالة الملـك المغفور له محمـد الخامس طيب الله ثراه ، ولوارث سره جلالة الملـك المنصور بالله مولانا الحسن الثاني ، وولي عهده سمو الاميـرسيدي محمـد .

### فى الميـدان الثقافـي :

صدر العدد الاول من مجلة **الارشاد** التي تسهر عليها وزارة الاوقـاف والشـؤون الاسلاميـة . **والارشاد** مجلة شهرية تعنى بالتثقيف الشعبـي والتوجيه الاسلامي ، وتكتب باسلوب مبسط ليستوفي منها الغرض الذي تهدف اليه ، وهو نشر مبـادىء الاسلام ، وكونه دينا خالدا يساير مقتضيات التطور ومستلزمات الحياة فى كل عصر .

ويشتمل هذا العدد الاول على المواضيع الآتيـة:

تفسير قوله تعالـى : ان الله يأمر بالعـدل والاحسـان للاستاذ الرحالي الفاروقي .

تفسير سورة الانفطار للاستاذ عبد الله كنون .

سماحة الاسلام للاستاذ عبد الرحمن الدكالي .

الاعتدال بين الحقوق والواجبات فى نظر الاسلام للاستاذ محمد الطنجي .

من مآثر الرسـول : للدكتور تقي الدين الهلالي

علامات ارادة الله فينا للاستاذ احمد عبد الرحيم عبـد البـر .

وحدة الصف للاستاذ مولاي مصطفى العلوي .

من وحي الذكرى للاستاذ عبد القادر الصحراوي

القرآن آية الله الخالدة للاستاذ عبد الله الجراري

من اعلام الاسلام للاستاذ خليفة المحفوظي

جئتكم من عند خير الناس ، للاستاذ محمد بنعبد اللـه .

مولد الرسول الاعظم للاستاذ محمد عبد الكبير البكـري .

الاسئلة والاجوبـة . جواب عن سؤال لرئيس قسم الوعظ والارشاد بوزارة الاوقاف والشـؤون الاسلاميـة .

الاسلام آخر انذار من السماء الى الارض للاستاذ احمـد التيجانـي .

ويسرنا ان نقدم كلمة الافتتاح التي صدر بهـا معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية مجلـة الارشاد ، قال سيادته :

المرابطين الامجاد الذين تقلدت انت امرهم بحزم وعزم.

— زينب ، يقال ان ابن العم ابا بكر بن عمر يعول على الرجوع الينا ، فما العمل ؟

بوغتت زينب بهذا الخبر ، وراحت تفكر بعمق، وشاب وجهها الصبوح شيء من الكدر .. ثم علقت :

— وماذا يريد من وراء رجوعه ؟ الم ينه الامر معنا جميعا ؟... اسمع ، اذا جاء فأوصيك ...

وهنا علق الامير عينيه بعينيها الذكيتين ووجهها المستدير الجميل واجزاء شعرها الفاحم الناعم المتهدل فوق القفا والظهر ، وهنا كانت اذنه تستمع ولسانه يسر الحمد لله على ما انعم به ..

— اذا جاء هذا الرجل ، وهو كما تعلم ليس بثابت العزم ولا بقوي الارادة ، فاظهر له بألا رجوع فيما تم !

— كيف يكون ذلك ؟

— اذا رجع فاتركه مدة فى انتظارك ، ولا تستقبله الا فى موكب الامارة الكبير ..

— انا امقت الفخامة والبهرجة .

قالت مصرة والعزم يطل من عينيها :

— لابد من هذا ان كنت تريد استقرارا لبلاد المسلمين وتحفظا من الفتنة ، وان كنت — ايضا — تريد ان تسعى فى هناءة اسرتك . اجمع فرقا مهمة من جنود المرابطين ، ولتكن على اتم استعداد بأسلحتها وجمالها وخيولها ، يجب ان يكون المظهر قويا جدا وعظيما ومدهشا . وكافيا لادخال الرعب على القلوب وعليك كذلك ان تحدد له الوقت الذي تستقبله فيه ، وليكن استقبالك له على اساس انك امير وهو غير ذي مسؤولية . فعليك حينئذ ان تبقى ممتطيا صهوة جوادك ، ولتبق متمسكا بموقف الامارة وحرمتها .

— لقد كان اميرا قبلي ..

— نعم كان .. أما اليوم فأنت هو الامير ، انت سيد الدولة ، انت قائد المرابطين ، انت هو الذي يعلق عليك الامل ، ما دمت الحازم العازم القوي الارادة المحنك الانجد .. استقبله بمظهر القوة والا ذهبت ضحية الضعف ، قد يأمرك — ان سالمته — بالحلول محله فى الصحراء ثم يتركك فى مجاهلها الى ما شاء الله .. وقد تحدثه نفسه بعودتي اليه .. انى احذرك !

— لقد اختار الجهاد فى السودان وسلم فى كل شيء وترك العبء على كاهلي ، ولم يبق هناك دليل على أنه ينتوي الرجوع ، ولو كان ينتويه لما طلقك .. لهذا أرى أن ما تقولينه فيه بعض الوهم .

— اتمنى ان اكون واهمة ، لكني أعرف أن من الحزم سوء الظن !

— نعم ان الحزم يقتضي ان آخذ الامور على الشكل الذي اقترحت .

وانكبت زينب على اشغال مسكنها ، تعيد ترتيب كل شيء وتنظيفه ، ملازمة الصمت التام ، بينما تمدد الامير يوسف يروم اخذ سنة من النوم فى هذا الهدوء الشامل .. لكن طيف زينب السعيد الذي يتحرك من هنا الى هناك ، واصداء كلمات هذه المراة اللبيبة فى ضميره ، واوهام المستقبل العظيم المرتقب جعلت النوم يتعسر على التعسر عليه ، فلم يسعه الا ان ينادي على الزوجة العزيزة لتكون بجانبه ، فبادرت اليه عسى أن تذهب عن نفسها الاوهام التي علقت بها ، والتي لا يستطيع محو أثرها الا الامير الشاب الحازم نفسه .

**الرباط — محمد بن احمد اشماعو**

# أنباء ثقافية

✻ اعلن المثقفون الفرنسيون ، واساتذة الجامعات الفرنسية في بيان وقعوه بأن الاعتداءات التي قامت بها اسرائيل على الدول العربية ، قد كشفت الاهداف الحقيقية التوسعية للسلطات الاسرائيلية .

✻ كما وجه العلماء العراقيون برقية الى ملوك ورؤساء دول العالم الاسلامي ، يطالبون بالتدخل لتطهير الاراضي المقدسة من دسائس الصهيونية .

✻ كما وجهت رابطة العالم الاسلامي التي يوجد مقرها في جدة ، نداء الى زعماء وقادة شعوب الامة الاسلامية تدعوهم فيه لعمل على انقاذ المسجد الاقصى المبارك . من نوايا الصهاينة في بناء هيكل سليمان محل المسجد الاقصى .

✻ وجه رئيس رابطة علماء المغرب ، الاستاذ السيد عبد الله كنون ، نداء الى العالم الاسلامي لاستخلاص بيت المقدس من ايدي الصهاينة

✻ زار المغرب الدكتور محمد الحبيب بلخوجة، الذي اسندت اليه كتابة الدولة التونسية في الثقافة ، الاشراف على الدار التونسية للنشر . وقد زار الدكتور بلخوجة كبريات المدن المغربية واتصل برجال الثقافة والفكر فيها ، واتفق مع بعضهم على اصدار انتاجهم في الدار المذكورة ، نتيجة الاتفاقية الثقافية المبرمة بين المغرب وتونس في الايام الاخيرة .

✻ كان للحملة الثقافية التي نظمتها نيابة كتابة الدولة في الشبيبة والرياضة في جميع انحاء المغرب اثرها الكبير في رفع المستوى الثقافي بالبلاد .

✻ « اهداني خوخة ومات » عنوان الديوان الذي اصدره السيد احمد صبري

✻ يزور المغرب الشيخ شفيق يموت ، السفير اللبناني الذي اوفدته الحكومة اللبنانية الى بلدان المغرب العربي في مهمة ثقافية . وزار السيد يموت ليبيا ، وتونس ، والجزائر .

✻ اجتمعت مؤخرا الجمعية المغربية للعلوم الطبيعية والفيزياء بالدار البيضاء لدراسة التقدم العلمي في القرن العشرين .

✻ استدعى الفنان النحات بنصايغ خليفة رئيس جمعية الفنانين الاحرار للمشاركة في معرض ميلانو، الذي ستشترك في اقامته اربع عشرة دولة ، والذي افتتح تحت شعار « المعرض الدولي الثالث للنحت»

✻ اقيم بمركز الثقافة الشعبية بغابة المعمورة، تجمع لرؤساء الاتحادات الاقليمية لمسرح الهواة لدراسة فرق هواة المسرح بالمغرب .

✻ حصل اثنان من الطلبة المغاربة على الجائزتين الوحيدتين في المسابقة العامة التي نظمتها المدارس والثانويات بفرنسا حول اللغة العربية .

✻ سيقام بتونس مهرجان تخليدا لذكرى الشاعر المرحوم الطيب الشريف .

✻ اقامت لجنة من المثقفين في تطوان حفلة تأبين للمرحوم الاستاذ الحاج محمد بنونة .

✻ عثر السيد شارل دوبوابي ، الاستاذ في ثانوية سليمان بمدينة فاس ، على عظام بشرية على بعد 30 كلم من سيدي حرازم . وهذه العظام عبارة عن جزء من جمجمة في منطقة يعود اصلها الى العصر الحجري الثالث ، وبداية العصر الرابع ، ولهذه الجمجمة خصائص الانسان العاقل .

تبليغ الرسالة الاسلامية وتعاليم الدين الحنيف واجب فى كل زمان ومكان ، وقد من الله على المسلمين بأن وفق صاحب الجلالة والمهابة غصن الدوحة العلوية الشريفة امير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله الى الاهتمام بذلك وجعله من الاهداف الرئيسية كما اشار الى ذلك فى خطاب العرش حيث قال :

« ونظرا لما اولانا الله من شرف الامامة ، واناط بنا من واجب المحافظة على شعار الدين الاسلامي الحنيف ، اصدرنا أوامرنا لوزارتنا فى عموم الاوقاف فى نطاق تنمية الوعي الاسلامي وتيسير اسباب السعادة لشعبنا بمواصلة حملات الوعظ والارشاد بجميع جهات المملكة وبناء المساجد بالمدن والقرى والاحياء المفتقرة » .

وتطبيقا لتعليمات وارشادات صاحب الجلالة الملك المعظم .

ولتعميم النفع وايصال الخير الى قلوب المسلمين بالمغرب وخارجه فقد صدرت الاوامر السامية اخيرا لهذه الوزارة بانشاء مجلة دينية ثقافية ادبية تكتب بأسلوب مبسط وتكون مشكولة ليستوفي منها الغرض الذي تهدف اليه وهو نشر مبادىء الاسلام وكونه دينا خالدا يساير مقتضيات التطور ومستلزمات الحياة فى كل عصر .

وتدور موضوعات هذه المجلة حول الدعوة الى الاسلام والتعريف بأهدافه ومواقفه من القضايا الاسلامية عموما وكذلك التعريف بالاصول العامة للشريعة الاسلامية .

وتشتمل على مقالات خاصة بالسيرة النبوية ومواقف الرسول عليه الصلاة والسلام فى تبليغ رسالته وعلى تراجم وخدمات رجال الاسلام فى مختلف العصور ويختص ركن من اركانها بالقضايا الاسلامية التي تخص الجانب الاجتماعي والروحي كالمعاملة فى الاسلام وموقف الاسلام من الجوانب الخلقية وما الى ذلك ، ويخصص باب من ابوابها للجواب عن الاسئلة الدينية التي ترد عليها .

وتتميما للفائدة فان لجنة التحرير المكونة من اساتذة متخصصين فى الدراسات الاسلامية والتي تشرف هذه الوزارة على أعمالها رات ان تكتب أو تترجم بعض مقالات المجلة بالفرنسية حتى يستفيد منها المتعطشون لمعرفة دينهم من المثقفين بهذه اللغة كما تترجم كذلك معاني بعض الاحاديث النبوية والايات القرآنية .

وان هذه المجلة المغربية لتتقدم بالشكر والامتنان لولي نعمتها حامي حمى الوطن والدين والساهر على مصالح المسلمين امير المؤمنين الحسن الثاني ايده الله ، راجية من العلماء الاعلام أن يمدوها بما يرونه صالحا لها من انتاجهم لانهم كهداة يعتبرون مسؤولين على نجاح هذه الدعوة الاسلامية التي اسست من اجلها هذه المجلة .

والله اسأل ان يحفظ ملكنا الهمام ويرعاه بعينه التي لا تنام فهو حفظه الله لا يالوا جهدا لرفع الوية الاسلام عالية خفاقة فى هذا البلد الامين الذي يدين له بهذه النهضة الدينية العلمية المباركة التي تعد بحق انبعاثا لحياتنا الروحية والثقافية فكم بذل ويبذل اعز الله امره من مجهودات ، وكم يعطي من وقته الغالي الثمين ليدرس قضايا الاوقاف والشؤون الاسلامية ويصدر فى شأنها تعليماته السامية ، أمد الله مولانا الامام بعونه وعنايته وجعل هذه المجلة من حسناته وحفظه فى ولي عهده الامير الجليل سيدي محمد انه سميع مجيب .

**احمد بركاش**

* استأنفت دار «مارون عبود» التي انشئت حديثا في بيروت ، نشاطها بنشر كتاب « الرؤوس » للفقيد مارون عبود في طبعة ثالثة متقنة ، اشرف عليها رئيف خوري ، فوضع شروحا تيسر قراءة الكتاب .

* تصدر قريبا عن دار الآداب ببيروت الكتب التالية : « امام الباب المغلق » مجموعة شعرية لفدوى طوقان . « الشوارع العارية » رواية للكاتب الايطالي فاسكو براتوليني ، ترجمها عن الانجليزية ادوار الخراط . « الجوع والقمر » مجموعة شعرية لمحمد عفيفي مطر .

* « بيت العنكبوت » مجموعة شعرية لتريز عواد صدرت في بيروت .

* صدرت عن دار الريحاني ببيروت الكتب التالية : « جبران حيا وميتا » للشيخ حبيب مسعود « اشكالات » دراسات فلسفية للدكتور ملحم قربان ، استاذ الفلسفة في الجامعة اللبنانية . « مذكرات اجتماعية سياسية » للدكتور غصن استاذ الطب الشرعي في الجامعة الامريكية ببيروت .

* انجز خليل ابراهيم العطية تحقيق ديوان « توبة الحمير الخفاجي » صاحب ليلى الاخيلية عن النسخة الفريدة المحفوظة بجامع الفاتح باستنبول . وسيقدم الى المجمع العلمي العراقي لتعضيد نشره .

* قدم فريق من الادباء اللبنانيين الى وزير التربية والفنون عريضة هذا نصها : ادباء الامة الذين يفنون اعمارهم في العطاء والابداع الادبي ، هم ضمير الامة وعنوان شرفها . حالة الحرمان التي يعانونها صك اتهام للدولة . نطلب تعيين رواتب للمتفوقين منهم للعطاء والابداع الادبي تحفظ لهم كرامتهم ونعتبر ذلك قضية وطنية حيوية » .

* صدر في بغداد « المنتجع » وهو موجز بتصرف لكتاب « انوار الربيع في انوار البديع » لاحمد نظام الدين الحسيني ، بقلم خليل رشيد .

* سيصدر قريبا للدكتور عبد الستار الجواري نائب رئيس المجمع العلمي العراقي كتاب بعنوان « القدم في اللغة العربية » .

* باشر في بغداد العميد المتقاعد عبد الرحمن التكريتي ، بطبع الجزء الثاني من كتابه « الامثال البغدادية المقارنة — مقارنة مع امثال احد عشر قطرا عربيا » .

* صدر في بغداد ديوان « عبير وزيتون » للشاعر عدنان غازي الغزالي ، ويضم اكثر من عشرين قصيدة .

* صدر عن المكتبة العصرية في صيدا وبيروت الكتب الآتية : « احزان صحراوية » مجموعة شعرية لتيسير سبول ، « الرحلة الثامنة » كتاب نقد وادب لجبر ابراهيم جبرا .

* « الادب الجزائري المعاصر » للدكتور سعادة محمد خضر » في القصص العراقي المعاصر » نقد ومختارات للدكتور علي جواد الطاهر .

* يصدر قريبا في بغداد للدكتور علي الوردي كتاب « تطور الوعي السياسي في العراق الحديث » وهو بحث تحليلي اجتماعي لاحداث العراق السياسية منذ اوائل القرن العشرين .

* قررت جمعية حماية الفنون والآداب في بغداد، طبع كتاب لمنتخب من « فكاهات العرب » لسالم الجبلي ، ويضم نواد وفكاهات العرب قبل الاسلام .

* قريبا يصدر في بغداد كتاب « سوانح » للدكتور محمد مهدي البصير .

* « كتاب سيبوبة وشروحه » عنوان الكتاب الذي اصدرته في بغداد الدكتورة خديجة الحديثي ، وقد ساعدت وزارة التربية على نشره .

* وجهت سكرتارية مجلس التربية ببغداد ، الى عدد من الشعراء كتابا اعلنت فيه ان المركز الاسلامي في بروكسيل ، ينوي نشر مجموعة شعرية للشعراء العراقيين المعاصرين باللغة الفرنسية وطلبت السكرتارية تزويدها بست قصائد مما يختارونه من شعرهم لنشرها في المجموعة المذكورة .

* « تاريخ الدور » تأليف يونس الشيخ ابراهيم السامرائي ، صدر في بغداد وهو يتحدث عن البحث في تاريخ الدور وموقعه الجغرافي ، ثم اهم العشائر في تلك المنطقة . وقد دفع الشيخ يونس الى المطبعة بكتاب جديد عنوانه « مراقد الائمة والاولياء في سامراء » .

* توفي في مستشفى القوات المسلحة بالقاهرة الشاعر العراقي عدنان الراوي ، حيث كان قيد

* أصدر السيد ابن دفعة ديوانا بعنوان « اشواك بلا ورد » .

* نوقشت رسالة السيد احمد الدمناتي عن « القصة فى المغرب » فى كلية الآداب فى آخر هذا الموسم .

* توفي بمدينة طنجة الاستاذ السيد محمد الريفي ، مدير مدرسة محمد الخامس ، واحد الرجال العاملين فى الحقل الثقافي والتربوي ، والادبي . وقد ترك نعيه حزنا عميقا فى الاوساط الثقافية وقام الاستاذ الكبير السيد عبد الله كنون بتأبينه . رحمه الله رحمة واسعة .

* اتفق الدكتور محمد الحبيب بلخوجة مع السيد محمد الصباغ على اصدار كتابيه « شموع على الطريق » و«عندلة» فى الدار التونسية للنشر ، التي يشرف على تسييرها .

* عاد الى تونس الشيخ محمد الفاضل بن عاشور مفتي الجمهورية التونسية ، وعميد كلية الشريعة قادما من تركيا ، بعد أن القى بها سلسلة من المحاضرات .

* تنتهي الدار التونسية للنشر قريبا من اصدار ثلاثة كتب جديدة هي : ثورة بن غذاهم لمدام سلامة . وهو كتاب يحلل فى عمق ثورة علي بن غذاهم واسبابها وانعكاساتها . و « طبقات ابي العرب » تحقيق الدكتور علي الشابي ، والدكتور حسني اليافي ، ويعتبر هذا الكتاب اول كتاب افريقي حدد ملامح المجتمع التونسي ، وكشف عن معطياته الاساسية . و « قافلة العبيد » ديوان شعر لمحسن بنحميدة ، وهو الديوان الذي ترقبه الناس من زمان طويل .

* صدر عن الدار التونسية للنشر ديوان بعنوان « قلب على شفة » للشاعر احمد اللغماني .

* تصدر بتونس مجلة بعنوان « القيروان »

* نشر الفيلسوف البريطاني برتراند رسل تصريحا اتهم فيه « اسرائيل » بأنها قامت بالعدوان وذلك بمواصلة هجماتها على الاراضي السورية ، رغم قرارات وقف النار ، وبرفضها الانسحاب من الاراضي التي قامت باحتلالها . واضاف الكاتب البريطاني الكبير : أن على هؤلاء الذين اظهروا عطفهم على اليهود عندما كانوا ضحية للاعتداء الهتليري ، الا يعتبروا أن بقاء «اسرائيل» ووجود سياسة للتوسع يشكلان قضية واحدة .

* « زغاريد ومطر بالفجر » مجموعة شعرية لعلي صدقي عبد القادر ، صدرت فى منشورات اللجنة العليا لرعاية الفنون والآداب بوزارة الاعلام الليبية فى طرابلس الغرب .

* صدر عن دار المكشوف فى بيروت الكتب التالية : « وهل يخفى القمر ؟ » دراسة عن « عمر بن ابي ربيعة » لرئيف خوري ، طبعة جديدة « استرا ستنهوب » لجورج مصروعة . « عود الكبريت » مجموعة قصص للكاتب السوداني احمد محمد الامين

* « طريق السراب » مجموعة شعرية لاميل اديب صدرت فى بيروت .

* صدرت فى منشورات عويدات ببيروت الكتب التالية : « مدخل الى تأريخ العلاقات الدولية « لبيير رينوفان ، وجان باتيست دوروزيل ، ترجمة فايزكم نقش ، وتقديم الدكتور نور الدين حاطوم ، رئيس دائرة الحضارة والتاريخ فى جامعة دمشق ، فى سلسلة مكتبة الفكر الجامعي . وكتاب « المنطق » للدكتور جميل صليبا فى سلسلة مكتبة الفكر الجامعي ايضا ، وتاريخ « الرواية الحديثة » لالبيريس ترجمة الاديب السوري جورج سالم .

* تأسست فى بيروت شركة مساهمة جديدة جديدة اسمها « دار النهار للنشر » وهي منبثقة عن شركة جريدة « النهار » وقد اتفقت مع الشاعر يوسف الخال على أن تصدر له مجلة « شعر » بعد احتجابها سنتين . هيئةالتحرير مؤلفة من : يوسف الخال ، انسي الحاج ، شوقي ابن شقرا ، عصام محفوظ ، فؤاد رفقة ، رياض نجيب الريس . ولن تكون المجلة وقفا على الشعر كما كانت . وستصدر مرة كل ثلاثة اشهر .

* صدرت عن دار الآداب فى بيروت الكتب التالية : « اسلاميات » للدكتور طه حسين ، يجمع كتبه الاسلامية ويقع فى 1100 صفحة ، حجم كبير ، و « السفير » رواية لموريس ويست وترجمة نزيه الحكيم فى 320 صفحة ، حجم كبير . وثار وحب مجموعة شعرية للشاعر الجزائري الدكتور ابو القاسم سعد الله .

سقطة واهانة من ابن اخيه الاديب عامر العقاد لا يستحقها العقاد .. ولا الذين يحبونه .

* من انباء القاهرة ان دار الكاتب العربي ، قدمت الى المطبعة هذا الاسبوع ، الجزء السابع عشر من كتاب « الاغاني » لابي الفرج الاصفهاني « ت 356 هـ » وستتلوه ثلاث اجزاء بها يكتمل الكتاب الذي كان قد توقف نشره فى « دار الكتب » عند الجزء السادس عشر ، وطبعت هذه الاجزاء بالاوفست فى العام الماضي .

* صدر فى القاهرة كتاب بعنوان : (جدول ترقيم اسماء المؤلفين العرب فى المكتبات) تأليف الاستاذ ابو الفتوح عودة وتقديم الدكتور محمد حمدي البكري . وهو فى 292 ص من القطع الكبير .

يتضمن الكتاب دراسة علمية للاسماء العربية مبينا طبيعتها وطرق معاملتها فى الفهارس العربية وقواعد ترتيبها ابجديا وقواعد فهرستها ، كما يتضمن جداول يمكن بها ترقيم اسماء المؤلفين فى المكتبات لتضاف الى ارقام التصنيف مع شرح واف عن طرق استخدامها .

* قام عشرون مثقفا سوفياتيا بتوقيع عريضة قدمت للسلطات المسؤولة واحتج المثقفون فى فى عريضتهم على بعض مواد قانون العقوبات السوفياتي ، التي تتعرض لحرية النشر والتأليف وتقيد حرية المؤلفين والكتاب والفنانين .

وطالب الموقعون بتغيير أو رفع تلك المواد حتى يتحرر الكتاب من تلك القيود .

* الاستاذ احمد حسن الزيات كان قد اعد مذكراته عن العراق غير انها احترقت اذ ألقيت بالنار خطأ .. كان الكاتب الكبير قد جمعها خلال وجوده بالعراق عام 1934 ونشر بعضها بمجلتي المعرفة والرسالة .

* الدكتور مصطفى جواد ، عثر على (جزء خامس لالف ليلة وليلة) باللغة الفرنسية وسوف يقوم بترجمته الى اللغة العربية قريبا ، هكذا نشرت الخبر بعض الصحف المحلية .

* بناء على اقتراح الدكتور طه حسين وافق الدكتور ثروت عكاشة نائب رئيس الوزراء ووزير الثقافة فى الجمهورية العربية المتحدة على تعيين كل من الدكتور سليم النعيمي نائب رئيس المجمع العلمي العراقي واللواء محمود شيت خطاب والاستاذ السيد محمد تقي الحكيم والاستاذ محمد شفيق العاني والدكتور عبد العزيز الدوري اعضاء مراسلين فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

* صدر مؤخرا الجزء الاول من كتاب العين وهو أول معجم فى اللغة العربية للخليل بن احمد الفراهيدي (100 — 175هـ) تحقيق الدكتور الفاضل عبد الله درويش الاستاذ بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة وقد ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه. ولا ريب ان تحقيق مثل هذا الكتاب وصدوره من الاحداث الادبية المهمة وقد نشرنا فى محل آخر من (المكتبة) بحثا عن هذا الكتاب ومحققه .

* سأل محرر جريدة (الجمهورية) فى القاهرة الدكتور طه حسين عن اثر زيارة الفيلسوف سارتر لمصر ورايه فى فلسفته ... فضحك ضحكته المشهورة التي تصدر من حنجرته ثم اجاب : تسألني عن سارتر وأنا لم اعلم من أمر زيارته ، وتنقلاته الا من الصحف ، وهذا بلا شك أمر عجيب العجب كله ، فلم ادع لزيارته ، كما لم يطلب مني أن اقوم بزيارته ، فهل بعد ذلك تطلب مني ان اتحدث عنه وعن فلسفته ؟

* معهد اللغات الشرقية فى المانيا الديمقراطية سيصدر فى العام القادم كتابا عن المستشرق الالماني كارل بروكلمان « 1868 — 1956 » مؤلف « تاريخ الادب العربي » وغيره وذلك بمناسبة مرور مائة عام على ميلاده ، وستعقد جامعة « هالة » مؤتمرا علميا يحضره المستشرقون والعرب احتفالا بهذه الذكرى .

* كتاب « سيرتي الذاتية » الذي ضمنه برتراند راسل الفيلسوف البريطاني قصة حياته ، وكانت جميع نسخ الكتاب قد بيعت مقدما قبل موعد صدوره.

وتقول دار النشر التي تتولى اصدار الكتاب ، وهي دار « جورج الين وانوين ان الجزء الاول منه والذي تنتهي أحداثه عند نشوب الحرب العالمية الاولى، سيصبح أحد الاعمال الكلاسيكية مثل « اعترافات روسو » .

* انتهى الدكتور عطية عامر بجامعة اوبسالا من تحقيق كتاب (اصول النحو) لابي بكر السراج ، وهو يبحث عن ناشر لنشره .

وللدكتور المذكور نشريات قيمة منها كتاب (نزهة الالباء فى طبقات الادباء) للانباري .

المعالجة من مرض خطير اصيب به منذ الصيف الماضي . وقد نقلت جثته الى بغداد حيث جرى له مأتم حافل . رحمه الله .

* توفي فى القاهرة الاستاذ طاهر الطناحي الذي اشتغل 40 سنة فى الميدان الصحفي ، عاصر خلالها مرحلة من مراحل التطور الهامة فى « دار الهلال » ، محررا فى مجلاتها ، ثم رئيسا لتحرير « الهلال » و«كتب الهلال» عدة سنوات . وقد اشتهر بأحاديثه الصحفية ، واتجاهاته الادبية ، والثقافية ، والف عدة كتب تضمنت قصصا ، وشعرا ، ونثرا .

* يصدر فى القاهرة قريبا كتاب جديد عن العقاد ، تأليف العوضي الوكيل عن غراميات العقاد مع آراء العقاد فى شوقي ، وحافظ ابراهيم ، وخليل مطران .

* توفي فى القاهرة الاستاذ حسن عبد الوهاب كبير علماء الآثار العربية ، وصاحب المؤلفات المعروفة فى هذا الميدان ومن اشهرها كتابه عن المساجد الاسلامية .

* يصدر فى القاهرة قريبا كتاب « من ذكرياتي فى صحبة العقاد » للشاعر محمد طاهر الجبلاوي .

* كتاب يضم اسماء كل المؤلفين العرب من فجر التاريخ ، الى نهاية سنة 1966 ، اصدره ابو الفتوح حامد عودة ، خبير تنظيم الوثائق والمكتبات بالقاهرة .

* من الكتب التي صدرت فى منشورات وزارة الثقافة والارشاد بدمشق : « مسرحية سيدة الفجر» لالخاندر وكاسونا : ترجمة علي الاشقر . « الحمامات الدمشقية » لمنير كيال . « ديوان الشاعر المدني » لقيصر سليم الخوري .

* صدر فى بغداد الجزء الثاني من كتاب « رجال السيد بحر العلوم المعروف بالفوائد الرجالية » تأليف السيد محمد المهدي ، بحر العلوم الطباطبائي، تحقيق وتعليق محمد صادق بحر العلوم وحسين بحر العلوم .

* الاسلام خاتم الاديان « وانسانية الاسلام » كتابان جديدان لاحمد عبد الغفور عطار صدرا فى السعودية .

* صدر عن مطابع القصيم بالرياض ، الجزء الثاني من كتاب « صور من الجهاد » لزيد بن عبد العزيز ابن فياض .

* صدر فى السعودية كتاب « ثقوب فى رداء الليل » طبعة ثانية منقحة لابراهيم الناصر .

* اخرجت مطابع الاردن كتابا فريدا من نوعه « من الاردن الى اوروبا فى السيارة » للعقيد المتقاعد موسى عادل شردان ، معززا بالصور والرسوم والمخططات والاحصائيات والارشادات .

* صدر فى السعودية عن مكتب « الفكر والنشر والتوزيع » بجدة كتاب للشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير المعارف عنوانه « خواطر جريئة » .

* ظهرت منذ ايام فى منشورات « اوكسفورد يونيفرستي برس » فى لندن مجموعة قصص عربية ترجمها الى الانجليزية المستشرق دنيس جونسون ديفيز . وتضم 20 قصة من مختلف الاقطار العربية . وقد قدم لها البروفسور اربوري . اخذ المترجم قصة لكل كاتب . من الذين ترجمت قصصهم : الدكتور عبد السلام العجيلي ، وليد اخلاصي ، شكري عياد ، غسان كنفاني ، عبد الملك نوري ، فؤاد التكرلي ، الطيب صالح ، ليلى بعلبكي ، نجيب محفوظ ، محمود تيمور ، جبرا ابراهيم وغيرهم .

* الدكتور حسين مؤنس مستشار الجمهورية العربية المتحدة الثقافي فى مدريد يبحث فى خريطة رسمها خريستوف كولمبوس عندما سجن بعد رحلته الرابعة الى امريكا . وفى هذه الخريطة كتب كولمبوس اسماء كل اصدقائه . ومن بين هذه الاسماء اسمان عربيان هما : مبروك وزايد .. او ابن مبروك وسيد .. او زياد .. وقد قام الدكتور حسين مؤنس بتكبير هذه الخريطة ويستعين بأجهزة علمية حديثة على معرفة هذه الاسماء ..

ومن المنتظر ان يشترك د. مؤنس فى مؤتمر المستشرقين فى امريكا . وسوف يلقي بحثا عن الرسم عند العرب وكيف ظهر واختفى فى اوربا ..

* نشر الاستاذ انيس منصور التعليق التالي فى الصفحة الادبية بجريدة (الاخبار) :

* صدر «ديوان !!» للمرحوم عباس العقاد بمناسبة ذكراه .. اما الديوان فعنوانه «ما بعد البعد» والديوان الضئيل هو اسوا ما نظم العقاد من شعر .. ومن المؤكد ان العقاد قد اغفل نشر هذا الكلام الفارغ لانه قد نظمه برجله او بأرجل زواره . ولاشك ان هذه